

عدد ممتاز

الإسلام و العصر

العالم الإسلامي في مواجهة التحديات

- د. عبد المنعم النمر
- أنيس منصور
- د. زكي نجيب محمود
- فتحي رضوان
- د. احمد شلبي
- د. مصطفى الشكعة
- أنور الجندي
- عبد الرازق نوفل

نظرة على الإسلام والعصر بأقلام:

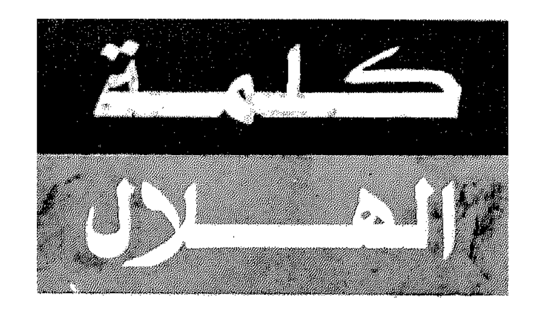
مكسيم رودانسون   چاك بيرك   فرانسسكو جابيريلى

ارنست رينان   چوستاف لوبون

استطلاعات بالألوان

- من روائع الفن الإسلامي
- مراكز الإشعاع الحضاري في العالم العربي

فهرست الهلال لسنة ١٩٧٨



المسلمون والعصر

هذا العدد من الهلال يمكن ان يعتبره القارىء ندوة أو مؤتمرا موضوعه الاسلام والعصر أو الاسلام وتحديات العصر ، وهو فيما نعتقد أخطر الموضوعات التى تواجهنا والتي ينبغى ان نضعها موضع النظر والدراسة ، لاننا لا نستطيع ان نترك قيادنا ،ونحن خمس اهل الدنيا، بأيدي غيرنا •

ومن استعراضك لجوانب المشكلة التى يتناولها هذا العدد واسماء الاساتذة الاجلاء الذين أدلوا بآرائهم فى هذه الندوة الاسلامية العربية العامة ومنهم نفر غير مسلمين تستطيع ان تقدر بنفسك المستوى الذى نظرنا منه الى الموضوع والاسلوب الذى اتبعناه فى تنظيم هذه الندوة الحرة •

ستقرأ آراء شتى وكلها على أعلى مستوى من النضج والعمق ، وطرحنا نحن المشكلة على انها ليست مشكلة الاسلام والعصر بل مشكلة المسلمين والعصر ، لأن الاسلام قادر بنفسه على الصمود لتحديات العصر ، ومن هذه الناحية لا نجد مشكلة ، وانما المشكلة الحقيقية فى نظرنا هى مشكلة المسلمين والعصر ، فان بعض شعوب الاسلام قد اثبتت فى احيان كثيرة انها اقل من مسئولية الاسلام نفسه ، وانها عجزت عن ان تنهض بها • ومن هنا تعرضت تلك الجماعات الاسلامية لمشكلات كبرى تجمعت على مر الزمن ووقفت بالمسلمين فى المرتبة الآسيفة التى يجدون انفسهم عليها فى عصرنا الراهن •

وقد يرضى الكثيرون بهذا الوضع لشعوبهم ، ولكننا نحن لا نرضاه ، لان أمة الاسلام فى رأينا ينبغى أن تكون فى كل عصر امة قائدة رائدة ولا يجوز لها ان ترضى بأقل من ذلك •

وعلى عادتنا نحن نطرح المشكلات الفكرية والثقافية الكبرى ونبدى رأينا وندعو من يتفضل بالاستجابة لرجائنا ان يدلى بدلوه معنا ، لأن الهلال مجلة القارىء قبل كل شىء •

والاسلام عقيدة وشريعةوهو حضارة• حضارة كل من يعيشون فى دار الاسلام أيا كان دينهم ، ومن ثم فان باب الرأى مفتوح على مصراعيه للجميع ••

المحرر



● استطلاعات بالالوان ●

● مرآة الفكر الغربى ●

الهلال
مجلة الفكر العربى

صفر ١٣٩٩ هـ
يناير ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون -
أول يناير ١٩٧٩ - ٢ من صفر
١٣٩٩

● مسابقة العدد ●

● دراسات ●

● تذكرة طبية ●

● ابواب ومتنوعات ●

● فهرست ●

● شعر ●

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠مليم
قيمة الاشتراك السنوى : «١٢» عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريد العادى٧دولارات او ٤جـ٥٠ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ جـ٥٠ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

الغلاف الأول

.. عن الاسلام العظيم ، رسالة السماء ، والدين الخالص للانسانية فى كل عصر ، يقدم « الهلال » هذا العدد الخاص عن « الاسلام والعصر » وقد اسهم فى اعداده واشترك فى تحريره حشد من كبار الباحثين والمفكرين والكتاب والمستشرقين .. وقام بتصميم وتنفيذ غلافه الفنان احمد الوردجى

بالشورى

يواجه الإسلام

لكي تواجه شعوب الاسلام تحديات هذا العصر ـ واي عصر ـ لا تحتاج الا الى شيئين : نظام سياسي شوري سليم .
وجدية حقيقية لكل فرد وجماعة في حدود القانون .

الاسلام بخير ولكن الذين
ليسوا بخير هم المسلمون

يبدو أن أصحابنا الذين يظنون انهم يقدمون للاسلام خدمة لا تقدر عندما يقولون انه « صالح لكل زمان ومكان » لا يعرفون شيئا عن طبيعته ، وليست لديهم فكرة واضحة عن تاريخه

ذلك أن اقل معرفة بالاسلام تدل على انه صالح لكل زمان ومكان ، فهو يقوم على عبادة الله الواحد الخالق دون سواه والتسليم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته وعبادة الله كما هو أهله والتزام قواعد الاخلاق الكريمة التي لاينازع فيها أحد والتي يجمعها قولنا : مكارم الاخلاق .

ومن البديهي أن عقيدة بهذا الوصف تصلح لكل زمان ومكان فليس فيها سدود ولا قيود على حريات الناس أو عقولهم ، وليست فيها عبادات خاصة معقدة تحتاج الى كهنوت ومراسم مركبة . وليس فيها تحريم لشيء ، صالح ينفع الناس .

وانما المشكلة في الناس الذين اثبتوا اكثر من مرة انهم غير جديرين بالاسلام .

فلقد عاش الاسلام زاهرا فاتحا البلاد وقلوب العباد الى يومنا هذا ، وهو في تقدم وصعود ، واذا كان تقدمه قد تراخى خلال العقود الاخيرة فان المسئولين عن ذلك هم المسلمون .

لأن المسلمين لا يحسنون الانتفاع بالاسلام . فهم لم يعرفوا كيف يفيدون من القوى الاخلاقية والمعنوية والفكرية والانسانية التي يضمها هذا الدين : فلم يوفقوا الى اسعاد انفسهم به .. وعجزوا عن ان يكونوا على مستواه .

ولقد كانت هناك أجيال اسلامية اثبتت بالفعل انها على مستواه ، فقفزت الى قيادة الدنيا وكتبت صفحات من المجد السياسي والحضاري

والحرية

تحديات العصر

بقلم: رئيس التحرير

ما زالت تبهر الدنيا الى اليوم .

ومثال ذلك اجيال صدر الاسلام التى شادت الدولة الكبرى .

ومثال آخر هم السامانيون الذين اقاموا فى بلاد ما وراء النهر وبلاد شرقى فارس دولة القوة والعلم على اساس الاسلام

والغزنويون الذين فتحوا للاسلام أبواب الهند ونشروه فيها واستنقذوا من الضلال ملايين بعد ملايين من الناس .

والأمويون الأندلسيون الذين اقاموا دولة الاسلام والعدل والعلم بين فكي الاسد فى قلب الغرب الأوربى .

والأجيال الأولى من الاتراك العثمانيين .. اولئك الغزاة المجاهدون الذين وحدوا آسيا الصغرى وغزوا شرق أوربا كله وأزالوا الدولة البيزنطية واقاموا للاسلام فى الشرق الاوربى دولة عمرت على حال القوة والصعود مالم يعمره غيرها من دول الاسلام الى ذلك الحين ..

وهناك المرابطون والموحدون وهم فخر من مفاخر الاسلام وحضارة الدنيا .

وفيما عدا هؤلاء كانت خلال الأربعة عشر قرنا الماضية أمم وأجيال وماتت كأن لم تعش ، فلا الاسلام عز بهم ولا هم عرفوا كيف يعتزون بالاسلام .

فاذا كانت هناك ازمة فى عصرنا فهى ليست ازمة الاسلام وانما هى ازمة أمم الاسلام

وكان ينبغى لهذا ان نجعل عنوان هذا الكلام : المسلمون وتحديات العصر لأن الاسلام نفسه ثابت للتحدى بل لا يعنيه اى تحديات ، فهو فوقها منصور موفق على الدوام .

ولكن المسلمين هم الذين اثبتوا بالواقع الملموس من نحو اربعة قرون انهم اقل من ذلك التحدى . فاضاعوا هيبة اوطانهم وسمحوا للعدو الصهيونى بان يغزوهم فى عقر ديارهم ووقفوا امامه عاجزين حائرين ..

ويجتمع جمعهم وينفض ، ويقوم سامرهم وينتهى بقرار خلاصته :

● إذا كانت هناك أزمة في عصرنا فهي ليست أزمة الإسلام، وإنما هي أزمة أمم الإسلام، لأن الإسلام نفسه ثابت للتحدي بل لا تحنيه أي تحديات.

اخفوا رءوسكم ايها المسلمون في الرمال وتجاهلوا الخطر، والعدو سيزيحه الله عنكم باذنه والعاقبة للصابرين من النعام واشباه النعام.

فاذا تقدم زعيم من زعمائهم وقال: اخرجوا رءوسكم من الرمال يا قوم وواجهوا التحدى وتحركوا فان اخفاء الرءوس في الرمال لن يرهب عدوا او يحل مشكلا، والركود لا يسمى قط صمودا وانما هو تقهقر وهزيمة! صاحوا به: انت خارج على الاجماع، ومخالف لما انعقد عليه امرنا من دس رءوسنا في الرمال والصمود قعودا حتى يأتي الفرج باذن الله..

احوال امم الاسلام اليوم
لا تسرنا ولا ترضينا

الاسلام الذي لا يواجه تحديات يعجز عن التغلب عليها.

ولكن المشكلة في المسلمين

وايا كان تفاؤلنا وحسن ظننا فاننا ينبغي أن نقرر ان احوال المسلمين اليوم لا تعجبنا ولا ترضينا بل قل انها تخجلنا.

فكل بلاد الاسلام والعروبة تدخل في نطاق الامم المتخلفة التي نسميها من باب المجاملة بالامم النامية.

ولا دولة اسلامية واحدة خطت الى الصف الاول، او حتى الى ذيل امم الصف الثاني.

وفينا أمم غنية، وامم لديها امكانيات لا حصر لها لكي تنطلق الى الامام، وهناك منا ايضا امم قليلة السكان تستطيع بشيء من الجهد أن تحمل حملها القليل وتسرع به الى الامام.

ولكنها لا تفعل او قل لا تستطيع أن تفعل.

لماذا؟

شيئان اساسيان نحتاجهما: نظام
سياسي شورى سليم وحرية صحيحة

الأسباب كثيرة، ولكن أهمها وابعدها اثرا هو اننا جميعا ما زلنا بعيدين عن أن نحقق في بلادنا نظاما سليما متينا للحكم يحمي الحقوق حقا ويؤمن المواطنين تماما على انفسهم وأموالهم ويفتح طريق العمل والانتاج والاستمتاع بالدنيا واسعا امام كل الناس كما هو الحال في البلاد التي نمت وتزداد نموا كل يوم.

● هناك أمم منا تحاول الوصول إلى بداية الطريق لتسير بعد ذلك في السبيل الذى يؤدى إلى النهوض والقوة وتحقيق الآمال في كل مجال ، وأمامنا التجربة المصرية الحالية ، وهى تجربة سليمة صادقة مخلصة -

والحكم السليم الذى ننشده لا يتصوره المواطن المسلم بسهولة لانه حرم منه من منتصف عصر الراشدين اى من ثلاثة عشر قرنا .

ولكننا جميعا نراه ونعرفه في بلاد غيرنا ، ونسميه ديمقراطية .

والديمقراطية هي حكم الشورى اي ان امور الجملة لا تستجمع في يد واحدة تتصرف في كل شيء ولا تنتقل قدم عن قدم الا باذنها .

والشورى كما مارسها أبو بكر وعمر لم تكن كذلك حكم الاغلبية ، فان اغلبية الناس - في كل مكان - لا يعرفون الا مصالحهم - ولينهم مع ذلك يعرفونها ! اما صالح المجموع ، صالح الوطن كله فلاتشعر به في العادة الا قلة قائدة ، هي الصفوة وهي التي ترسم الخط السليم وتثبت للناس انها جديرة بالثقة لانها مخلصة صادقة عارفة ، ومن ثم فان الغالبية تؤيدها وتسير معها وتعينها .

فقد كان أبو بكر وعمر يجتمعان بأهل الرأى من الصحابة ويدرسان معهم أمثل الحلول لتحقيق صالح الامة ، وبقية الناس لهم تبع .

وهذا بالضبط هو الذى يحدث في انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، فان الناس يختارون للنيابة عنهم من يثقون بأمانتهم ومعرفتهم ووطنيتهم فيضعونهم في مجلس العموم أو في مجلس النواب أو الكونجرس ويعطونهم الوقت الكافى ليتعرفوا كما يشاءون أربع سنوات أو خمس أو سبع ، والأمة ترقب وتتبع ، وبعد نهاية المدة يكون الحساب ، فتقرر الأمة ان كانوا يستحقون أن يجدد لهم العهد أم لا يستحقون .

وهذا هو الطريق السليم الذى سرنا عليه في فجر تاريخنا وساروا هم فيه من فجر تاريخهم الى اليوم .

وذلك هو الفرق ..

الشورى هي التي تجعل هذه الأمة سباقة ومتقدمة وضياعها هو الذى يضع الأمة في صفوف المتخلفين .

ومع الشورى الحرية واحترام شخصية المواطن وارادته وبناء النظام الديمقراطى للدولة على أساس يمكن الناس جميعا من الاستمتاع بملكاتهم ونشاطهم بحرية تامة .

وكنا نحن كذلك في العصر النبوى وفي عصر الراشدين وبهذا وحده انشانا عالم الاسلام الواسع وكنا في طليعة الامم في وقت كان اغلبنا فيه

● فقد عاش الإسلام زاهراً فاتحاً البلاد وقلوب العباد إلى يومنا هذا وهو في تقدم وصعود، وإذا كان تقدمه قد تراخى السنوات الأخيرة، فإن المسئولين عن ذلك هم المسلمون

لا يقرأون ولا يكتبون . ولكن كل فرد من أفراد الأمة كان يشعر انه رجل محترم ، وأنه يستطيع ان يحدث ابا بكر او عمر ويعرض رأيه دون خوف .

حكوا أن سعد بن عبادة لقى عمر فى طريق ، فسأله عمر عن سبب انقطاعه عن زيارته ، فقال له : والله ما رضيت قط عنك أو عن صاحبك ((أبو بكر)) فلا شأن لى بكما ..

قالها ومضى آمنا مطمئنا ..

وهذه الحرية وتلك الشورى هى التى قام عليها مجد الاسلام . ولو سألتنى اليوم : ماذا ينبغى لنا لنواجه تحديات العصر لقلت لك : شيئان اثنان : نظام سياسى سليم يقوم على الشورى والحرية فى صدق واخلاص اذا تحقق لنا هذا تحقق كل شىء غيره .

تجارب سليمة صادقة يمكن أن تؤدى بنا الى الطريق الصحيح

حقا هناك امم منا تحاول الوصول الى بداية هذا الطريق لتسير بعد ذلك فى السبيل الذى يؤدى الى النهوض والقوة وتحقيق الامال فى كل مجال.

هناك التجربة المصرية الحالية ، وهى تجربة سليمة صادقة مخلصة . فان رئيس الدولة يعتز بانه رأس الأسرة المصرية قبل أن يكون رئيس الدولة .

وهو يستشير ويناقش ويأخذ الرأى السليم ، ومن مأثورات كلمه قوله : « اننى لا أخطو خطوة الا وأنا واثق من ان شعبى يؤيدنى فيها » .

ومجلس الشورى او مجلس الشعب يزداد كل يوم قوة . وطراز النواب دائما فى تحسن ، وطريقة معالجتهم للأمور تتحسن وتزداد فاعليتها يوما بعد يوم .

وقد وضع حد للمركزية القاتلة التى شلت سير الأمور فى كل ميدان عشرات السنين . والمحافظ أو حاكم الاقليم يختار من بين أهله ، والناس عليه رقباء ، وهو يحكم عن طريق مجالس متخصصة ، وبناء على رأيها يتخذ القرار الذى يراه ، وهو مسئول مسئولية مباشرة امام أهل ناحيته وأمام السلطة المركزية وأمام مجلس الشعب .

طريق سليم نرجو أن يسير فى طريقه المرسوم ويحقق الامال المعقودة عليه .

وفى بلاد اسلامية كثيرة تجارب اخرى هدفها كلها وضع الحكم على أساس الشورى واتاحة الحريات للمواطنين ليقولوا ويفعلوا ما يريدون

● قد كانت هناك أجيال إسلامية أثبتت بالفعل أنها على مستوى الإسلام فقفزت إلى قيادة الدنيا ، وكتبت صفحات من المجد السياسي والحضاري ، لازالت تبهر الدنيا إلى اليوم .

فى ظل الدستور ، ولا بد من الدستور ولابد من مجلس شورى ، وبدون ذلك لا تقدم أصلا .

وأى بلد تستبد بالحكم فيه أقلية تفرض نفسها بالقوة لا يمكن أن تنتظر له تقدما فى أى ميدان .

وانسانية الانسان
لا تتم الا بالحرية

اذا تحقق ذلك كان هناك أمل فى ان يتحقق كل شيء عداه ..

لأن الشعوب ليست غنما ترعى وانما هى مجموعات بشرية من المواطنين المتساوين فى القيمة الانسانية ، والحقوق والواجبات ، وانسانيتهم لا تتم الا بالحرية ، لأنك اذا حرمت انسانا من حريته فقد حرمته من انسانيته ، وهنا لا يمكن أن تنتظر منه خيرا .

وتلك هى الحقيقة التى تغيب عن الكثيرين منا ، فيعتقدون انهم يتولون أمور الناس على رغمهم لكى يحققوا للشعب ما يسمونه بآماله ، لان الشعب فى رايهم عاجز عن معرفة صالحه أين يكون ، وهم وحدهم الذين يعرفون ويفهمون ويقررون .

وهذا هو الطريق غير المأمون ..

هذا هو الذى حكم علينا بأن نظل حيث نحن فى عالم المتاخرين .

لكى تواجه شعوبنا تحديات العصر وتحديات اى عصر علينا أن نضع نظاما سياسيا سليما يقوم على الشورى والحرية واحترام كرامة الانسان ..

فاذا تحقق ذلك أكمل الناس الطريق .

اذا كان ينقصنا العلم فسيتعلم الناس

اذا كان ينقصهم المال فسيخلق الناس المال : سيتاجرون ويصنعون ويبيعون ويشترون ويجمعون المال .

واذا كانت تنقصنا الثقافة فسيتثقف من الناس من يفهم ان الثقافة سلاح فى الحياة .

مهما كانت علل الاوطان فان علاجها الشورى والحرية

اعطوا الناس نظما سياسية شورية سليمة وحرية حقيقية تواجه اممكم بانفسها كل ما تتصورون من التحديات ...

د . حسين مؤنس

الإسلام وتحديات العصر

● د. عبد المنعم النمر ●

طلب منى الاخ الاستاذ الكبير الدكتور حسين مؤنس ان اكتب ((للهلال)) العريقة عن الاسلام وتحديات العصر . ولم اجد فى نفسى مقاومة امام طلبه او اعتذارا بكثرة مشاغلى ومسئولياتى ، فهو عندى اخ اقدره ، والموضوع نفسه موضوع يغرى امثالى بالحديث عنه . .

وحين جلست للكتابة فى غفلة من مشاغلى ، وجدت الموضوع شاسع المساحة ، متشعب المسالك والدروب يحتاج الى كتاب ووقت مناسب له ... فساءلت نفسى : ولم الحاجة الآن الى الكتابة فى مثل هذا الموضوع ؟

ووجدت الجواب سريعا ، فنحن المسلمين الآن على اختلاف افكارنا واوطاننا نعيش فترة دفاع .. دفاع عن الأرض ، ودفاع عن الدين ، أمام قوة الغرب والشرق الفكرية والمادية والعلمية . ونحس التخلف المتعدد الدرجات عن غيرنا .. فلا عجب اذا نحن رأينا انفسنا نكاد نقصر جهودنا على الدفاع عن ديننا ، أمام الهجمات التى توجه اليه ، وامام الحياة نفسها التى تتطور وتتقدم بسرعة ، فرأينا عناوين : الدين والحياة ، الاسلام والحياة ، الاسلام والعلم ، الاسلام والمدنية ، الاسلام وغزو الفضاء .. الى غير ذلك من العناوين التى نريد أن ندلل فيما نكتبه تحتها أن الدين صالح للحياة أو يصنع الحياة ، والمدنية ، والعلم وغزو الفضاء .. الخ .

والذى الجأنا الى هذه الحالة هو الضعف العام الذى اصابنا فى كل ميادين الحياة ، ووجود شبه اتهام بأن الدين هو السبب فى اصابتنا بهذا الضعف .. مع أن الدين برىء تماما من هذه التهمة ، ولهذا نشط الكتاب الاسلاميون ليبرهنوا على هذه البراءة ، وعلى أن الدين صالح لصنع الحياة المزدهرة القوية ، الخ .. بعرض نماذج من المبادىء والتعاليم التى تنهض لصنع هذه الحياة ، والتى اهملها المسلمون وفرطوا فيها فاصيبوا بهذا الضعف ... فمسألة هذا الضعف عندنا نحن الذين نتصدى للكتابة فى هذا المجال لا ترجع الى الاسلام ومبادئه وتعاليمه ، ولكنها ترجع الى ضعف همة المسلمين وفتور فى تعلقهم بدينهم واهمال لتعاليمه .

ولو كنا نعيش مثلا فى العصور الاسلامية الاولى ، عصور القوة المادية والعلمية والحضارية التى صنعها الاسلام فى كل مكان حل فيه ، لما ورد هذا التساؤل ، ولما كنا بحاجة الى البرهنة على أن الاسلام دين الحياة ، لان الحياة فى هذه العصور هى وحدها الدليل القوى على هذه القضية ، الاسلام دين الحياة ، دين القوة المادية والعلمية والحضارية ... نعم ، لم يكن المسلمون فى تلك العصور يشعرون باية حاجة الى هذا الدفاع ، لان التساؤل اصلا ما كان له وجود. بل كان الامر بالعكس: الحياة نفسها دليل على صنع الاسلام لكل تقدم فى كل مجال ...

فلما حل بنا الضعف ، أو صنعناه لانفسنا بايدينا ، اغرينا غيرنا بالتهجم علينا وبسوء الظن بديننا ثم انتقلت

العدوى الى الكثيرين منا نحن المسلمين نتيجة ضعفنا الثقافى بديننا

والموضوع الذى اقترحه عسلى الاخ الفاضل الدكتور مؤنس هو وليد لحالة الضعف ، وللرغبة فى الدفاع عن ديننا، واظهار قدرته على صنع الحياة القوية المزدهرة فى هذا العصر ، فجاء بهذه الصورة : الاسلام وتحديات العصر ، هل فى الاسلام قوة لمجابهة هذه التحديات والتغلب عليها ؟ .. والأمر يقتضى أولا، أن نتصور أو نصور هذه التحديات ..

فما هى هذه التحديات ؟

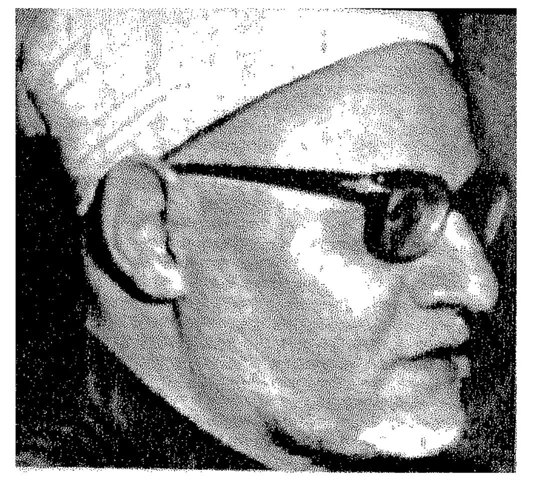
يمكن فى تصورى ان نملأ صفحات فى الكلام عن سرد هذه التحديات والحديث عنها لو كنا بصدد تأليف كتاب ، ولكن المجال مجال مقال له صفحات محددة ، فلنوجز الحديث اذن بقدر الامكان ...

ان الاسلام منذ جاء وهو يواجه الكثير من التحديات ، ولكنه انتصر عليها وشق طريقه الى القلوب والى الحياة بقوة ايمان المؤمنين به ، وتعلقهم او التزامهم بتعاليمه . فكان الاسلام دينا ايجابيا فى كل مكان انتشر فيه . وعلى اساسه صنع المسلمون حياتهم واقاموا حضارتهم « وكانوا مثالا للكمال البشرى مدة ثمانية قرون » كما يقول مسيو هنرى دى شامبون ...

ومما لاشك فيه ان لكل عصر ظروفه ومشكلاته وتحدياته ، ولا نريد ان نتكلم عن الماضى الا بقدر ما ناخذ منه عبرة او دليلا فى مسيرة الحاضر والمستقبل .. لا نريد ان نعيش فى غيبوبة الماضى فرارا من الحاضر ، ولا نريد ان نقف على شاطىء النهر نتحدث عن آبائنا واجدادنا الذين كانوا يعبرونه ، ونحن نقف على شاطئه نرتعش ونتحدث عن التاريخ ..

لابد ان نخوض البحر ((بعوامة)) الاسلام ، ولابد ان نجابه الحياة بزاد الاسلام ، فهل يسعفنا هذا الزاد ؟

ولابد ان نواجه تحديات العصر بسلاح الاسلام ، فهل يمكن ؟



د. عبد المنعم النمر

ان امام الاسلام والمسلمين الآن تحديات فكرية وتحديات علمية ومادية، فهل فيه من القوة ما يمكنه من التغلب على هذه التحديات ؟ .

ان أهم التحديات الفكرية التى تجابه الاسلام الآن انما هو الفكر المادى الذى يقوم على اساس مادية الحياة ، وانكار الاله ... وقد انتشر هذا الفكر المادى عقب انتصار الثورات الأوربية على الاقطاع المالى والاقطاع الفكرى والمالى الكنسى ، وجاء الفكر الماركسى فاصل هذا الفكر المادى وطعمه أو الحق به مذهبا اجتماعيا فيه كثير من اغراء الفقراء والكادحين بهذا المذهب المادى. فانتشر هذا المذهب كرد فعل لما كان يعانيه الكثيرون من التحكم الاقطاعى المالى ، وما زال حتى الآن يسيل لعاب الكثيرين ويستهوى أفكارهم نتيجة الحقد ، والآمال فى القضاء على الأغنياء.

ولو لم يطعم ماركس فكره المادى بهذه الافكار الاجتماعية التى تسيل لعاب وحقد بعض الناس ، لصار فى التاريخ كأى مفكر مادى لا ذكر له الا فى بعض الكتب ، وكم حفلت البشرية بالماديين المنكرين لله قديما وحديثا ومروا ونسيهم الناس ونسيهم التاريخ الا النادر منهم ممن يذكر فى كتب الفلسفة او التاريخ، وربما ماتوا وليس حولهم أحد يتبعهم ..

لكن كانت خطورة المادية الماركسية وجود المغريات لها من التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية وبناء هذه التنظيمات فى الفلسفة الماركسية على هذا الاساس المادى مما جعل للماركسية اتباعا متعصبين ثم جعل لها دولا تتخذها مذهبا رسميا أو عقيدة رسمية لها تدافع



عنها وتنشرها بكل وسائلها المادية .

ولم يكن الذين اقاموا الدولة اوالدول الشيوعية اخيرا غافلين عن اهم عقبة تقف امام افكارهم وهي الاسلام بعقيدته وتنظيماته للحياة .. ومن هنا كان تركيزهم يكثر على الاسلام لاكتساحه وكسر شوكته . وكانت تصريحات بعض زعمائهم التى تنم عما فى صدورهم .. فيقول مولوتوف فى خطبة له :

لن تنتشر الشيوعية فى الشرق الا اذا ابعدنا اهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز ((يريد الكعبة)) والا اذا قضينا على الاسلام))

وتقول مجلة سوفييتية ((اوزبكستان مادانياتى)) فى عددها الصادر فى ٢٥من مارس سنة ١٩٥٨ ((ان من شان الدين ان يحول بين المواطن السوفييتى وبين ان يكون بناء فى صرح المجتمع الشيوعى، والاسلام بصفة خاصة هو بحكم تقاليده وعاداته عدو للاشتراكية وللشيوعية))

وفى يوميات الاستاذ الاديب الاخ فهمى عبد اللطيف التى كتبها باخبار ١٥ - ١١ - ١٩٧٨ قال ان المستشرق الروسى ((كراتشكوفسكى)) كتب له يقول : ((اطمئن فلن تدخل الشيوعية بلدكم ابدا مادام فيها القرآن يملا نفوس اهلها وقلوبهم بالايمان والاطمئنان .. الخ))

ويقول الكاتب الفاضل « لقد كشفت لى هذه الكلمة من سر خطير وعرفت فيها ما تطويه الشيوعية فى حقيقتها نحو الاسلام ونحو القرآن » الخ ..

وهذا الكلام الذى قاله المستشرق الروسى والذى قاله مولوتوف وقال مثله بعض كبار الغربيين يبين لنا خطر الشيوعية وغيرها على الاسلام من ناحية، كما يبين لنا أقوى سلاح فى يدنا لمجابهة الشيوعية والتغلب على تحديها للاسلام .. وهو التمسك بالاسلام عقيدة وتنفيذه نظاما وسلوكا وهذا هو ما يجب على ان الفت الانظار اليه هنا وفى عالمنا الاسلامى حتى لا يختبىء الحكام المستبدون والاغنياء الظالمون ويحتموا وراء كلمة الاسلام ويطمئنوا الى مصائرهم امام التحدى الشيوعى ، فان الاسلام انما يحمى من الشيوعية ويقهرها بعقيدته القوية ونظامه المنفذ لا سيما فى العدالة والكفالة الاجتماعية والحرية ، فالاسلام بذلك وبذلك وحده يتغلب على اقوى تحد له فى العصر الحديث .. ويصبح الامر فى ذلك ليس امر الاسلام ، ولكنه امر المسلمين وفى يدهم ، فالاسلام فى ذاته وبنظمه الاجتماعية يتحدى الشيوعية وما هو اقوى منها تحدى نظام لنظام ، او تحدى عقيدة ونظام لعقيدة ونظام ..

ونحن هنا انما نتكلم عن الاسلام كعقيدة ونظام لا عن الاسلام على يد المسلمين او من يسمون مسلمين ويماشون واجبات الايمان بالاسلام لاهواء تلعب بنفوسهم غير حاسبين حسابا لاخطار تهب عليهم ..

فالايمان بالله ، وبقوة فوق قوى البشر مجتمعين ، امر طبيعى فى الانسان ولابد ان يرجع الى طبيعته ، وان عاش زمنا على عقيدة صناعية .. فحين حضرت الوفاة لينين اليهودى الاصل وزعيم الدولة الماركسية والمؤسس الثانى للماركسية ، واشتدت عليه سكرات الموت وقد احاط به زعماء الحزب الشيوعى لم يمتلك نفسه من ان يصيح من الاعماق صيحة البائس المضطر قائلا : ((اى يهوه)) اى يا الله .. فلما احس دهشة المحيطين به تدارك الامر وقال : ((ان هذا من هلوسة المرض)) .



وصرحت بنت ستالين بعد مغادرتها الاتحاد السوفييتي فقالت : «لقدنشأت في بيت لا يعرف الله ولا تذكر فيه حكمة الله أبدا ، ولكني بعد أن كبرت ونضجت عرفت ان الحياة صعبة وقاسية بغير الايمان بالله » .. ولم تكن تستطيع ان تقول هذا وهي في روسيا ، ولكنها في امريكا وجدت مناخ الحرية الذى استطاعت أن تعبر فيه عن طبيعتها .

والفيلسوف الروسى « تولستوى » يقول « لقد نبذت تلك العقائد الدينية في اول الامر ، ثم قبلتها الآن ووجدتها مليئة بالمعانى » .. ثم يقول « انني لا اعيش اذا نقدت العقيدة في وجود الله ، ولولا انني كنت اتعلق بامل غامض في وجود الله لقتلت نفسي ، انه ذلك الذى لا يستطيع المرء ان يعيش بدونه ، انه الله ، وعندما اعتقدت في وجود الله اعتقدت في الكمال الخلقي وفي التقاليد التي تحمل معنى الحياة » .

ربما اكون قد اطلت عليك في ذكر هذه الاعترافات ، لأنني أريد ان اقول ان ذلك الذى نراه في روسيا والدول الشيوعية من الحاد وانكار لله حتى من كبار زعمائها ، انما هو أمر صنساعي خارج عن الطبيعة الفطرية ، والانسان لابد يوما ما من ان يعود لفطرته التي فطر الله الناس عليها ... ولو رفع سوط الارهاب عن البلاد الشيوعية لوجدت الاندفاع الشديد نحو الايمان او اظهاره والتعصب له .

وامامي الآن مجلة اكتوبر الصادرة في ٥ من نوفمبر سنة ١٩٧٨ تنشر في صفحتها الثالثة عنوانا يقول : « الاسلام يهدد الشيوعية في روسيا » وتتحدث عن كتاب صدر لكاتبة فرنسية درست الوضع السكاني والحالة في روسيا لمدة عشرين عاما ، وتنقل عنها قولها : « على الرغم من ان الشيوعية على رقاب العباد ، فان المسلمين لا يرفعون عيونهم عن القرآن»

وتقول : « انني من واقع دراستي والارقام التي عندي ورصدي المستمر لما يجرى في روسيا اقول : ان محمدا « عليه الصلاة والسلام » هو الذى يهدد كارل ماركس وسوف يزداد خطر الاسلام في العشرين عاما القادمة » يمنى على روسيا والشيوعية » .

ولعل في هذا الذى ذكرته ما يغنيني عن الكلام الكثير عن قوة الاسلام لتحدى الشيوعية والافكار المادية عموما والتغلب عليها . وهي أخطر ما يواجهه الاسلام من تحديات فكرية في هذا العصر ...

***

بقى بعد ذلك ما أشرنا اليه من قبل من التحديات العلمية والتكنولوجية والصناعية التي يتقدم الغرب والشرق ايضا في مجالها بسرعة وصورة تفوق التصور ...

فاقول ــ ونحن هنا نتحدث عن الاسلام لا عن واقع المسلمين ــ لو أننا رجعنا الى الماضي لنأخذ منه شاهدا او درسا ، لعرفنا أن الاسلام صنع حضارة مزدهرة في عصوره الأولى كان الغربيون في ذلك الوقت ينظرون اليها بدهشة تشبه دهشتنا الآن من التقدم الغربي والشرقي في مجال العلوم والصناعة وغيرهما .. وهذا يعني أن المسلمين لو ظلوا يسيرون بقوة هذا الدفع الحضارى الاسلامي الذى سبقنا به الغرب بعدة قرون، لكان حالنا الآن حال الغرب المتقدم بل واكثر منه باشواط ، فالتقدم الحضارى والعلمي الذى صنعه المسلمون انما كان

بقوة الاسلام وعلى أساس من مبادئه وتعاليمه . ولا تزال قوة الدفع الاسلامى ولا تزال مبادئه وتعاليمه هى هى ...

لاتزال النصوص القرآنية التى تحث على العلم وترفع من شأن العلماء، وتدعو الى النظر والتفكير فى ملكوت السماوات والأرض ، وفى الانسان والحيوان والنبات والشمس والقمر والرياح ، لا تزال هذه الايات بيننا نتلوها كما كان يتلوها اسلافنا ولكن الفرق بيننا وبينهم انهم انطلقوا منها الى العلم والعمل ، ونحن اكتفينا بترديدها ، وهز رءوسنا « وتطويحنا » حينما نسمعها من قارىء حسن الصوت .

روى ان عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطى فى الرياضيات السماوية لبطليموس على استاذه الابهرى ، فدخل عليهما بعض الفقهاء يوما فقال لهما : ما الذى تقرآنه ؟ فقال الابهرى : «افسر آية من القرآن وهى قوله تعالى : «**افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها**» فانا افسر كيفية بنائها ! ..

وهذا يرينا كيف انطلق المسلمون من القرآن الى شتى العلوم يعرفونها من اى مصدر كان ويتقنونها ويزيدون عليها ..

والقرآن لا يزال بيننا ، واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وافعاله فى العناية بالعلم وبكل ما يتعلق به ، ويترتب عليه ، موجودة .. وأمجاد المسلمين الاول فيما وصلوا اليه من علوم وصناعات واكتشافات علمية ، وحضارة مزدهرة امامنا نقرؤها ، ولكنا نقف عند مجرد التفاخر بها . وشهادات علماء الغرب للمسلمين وما وصلوا اليه من تقدم علمى وحضارى كان اساسا لنهضة الغرب امامنا كذلك نقرؤها ، ولكن دون اى اعتبار بها ...

فالعيب اذن فينا لا فى الاسلام ، والقصور منا لا من الاسلام .

اننا لو لم تكن امامنا الا آية واحدة فى سورة الأنفال لنتمسك بها ونعمل بمقتضاها لكنا اقوى خلق الله فى كل مجال . تقول هذه الآية : « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** »

فهذه الآية تأمرنا بان نوفر لانفسنا قوة رادعة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء علينا ، للدفاع والارهاب لا للهجوم ، وهذا يوجب علينا ان تكون قوتنا أقوى من قوى أية دولة ان لم تكن جميع الدول . وهذا لن يتوفر لنا الان الا اذا كنا أقوى من روسيا وامريكا مثلا فى العلم والصناعة والزراعة والقوة الحربية ، اقوى منهما فى كل مجال من مجالات الحياة ، واسبق منهما فى الاكتشافات والصعود الى القمر والمريخ وصنع القنابل الرهيبة التى جعلت كلا من روسيا وامريكا يخشى احدهما الآخر ويعمل حسابه وحساب ما يملكه من آلات التدمير ...

نحن مامورون بمقتضى هذه الآية وحدها ان نكون أعلى شأنا من هذه الدول فى كل شىء نحتاج اليه لنكون قوة رادعة لهم جميعا .

وهل يمكن ان يتوفر لنا هذا الا بالعلم والصناعة والخلق ؟ نعم آية واحدة من هذه الآية كافية لان يتغلب الاسلام واتباعه المؤمنون به على كل التحديات . فما بالنا وقد حفل القرآن بالآيات كما حفلت كتب الاحاديث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تجتمع كلها لتجعل من المسلمين امة تسبق كل الامم فى كل المجالات ، وتنتصر بالاسلام على كل التحديات ...

د . عبد المنعم النمر
وكيل الازهر
وشيخ الازهر بالنيابة

نبى الإسلام في رأى الغربيين

● اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم النجاح فى حكمه ، ولقاده الى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة ..

((برناردشو))

● كان محمد مؤسسا لأمة، ومقيما لامبراطورية ، وبانيا للدين ، فى وقت واحد .. وهو وان كان اميا فقد اتى بكتاب يحوى ادبا وقانونا واخلاقا عامة وكتبا مقدسة فى كتاب واحد.. وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لأنه معجزة فى دقة الاسلوب وسمو الحكمة وجلال الحق .

((الكاتب الانجليزى ب. سميث))

● ان حياة محمد وقوة تامله وتفكيره وجهاده ، ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وشهامته وجرأته وثباته على الدعوة ثلاثة عشر عاما فى وسط أعدائه ، وتقبله سخرية الساخرين ، وحميته فى نشر رسالته ، وايمانه بالفوز والنجاح ، ونجاح دينه فى حياته وبعد موته ـ كل ذلك ادلة على انه كان يعيش على الحق : ولم يكن يعيش على باطل .

((الشاعر الفرنسى ـ لامارتين))

● تكشفت لمحمد الدنيا ومشكلاتها فلم يغفل الناحية العملية الدنيوية فى دينه ، فوفق بين دنيا الناس ودينهم ، ولذلك تفادى اخطاء الذين حاولوا خلاص الناس من طريق غير عملى . لقد شبه الحياة بقافلة مسافرة يرعاها الله وأن الجنة نهاية المطاف .

((الجنرال الامريكى د.ف.بودلى))

● لم يقل محمد انه هو وحده نبى الله ، بل اعتقد فى نبوة موسى وعيسى وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم واعتناق الاسلام .

وفى سنى دعوته الاولى احتمل كثيرا من اضطهادات أصحاب الديانات القديمة ولكنها لم تثنه عن دعوته .. لاريب أن هذا النبى من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشرى خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا انه هدى أمة كبيرة الى نور الحق ..

((عن كتاب ((نبى الاسلام فى مرآة الفكر الغربى)) للاستاذ عز الدين فراج)) .

الإسلام والنظرة العقلية

● د . زكى نجيب محمود ●

انه اذا كان عصرنا هذا هو عصر العلم بغـــير نزاع ، فهو بالتـــالى عصر يركن فى احكامه الى منطق العقل . فاذا نظرنا الى الاسلام ، ووجدنا منطق العقـــل كانت له الأولوية الاولى عنـد الباحثين المسلمين على اختلاف ميـــادينهم التى يجولون فيها .. اذن يحق لنا أن نقول ان ما وجده الاسلام محورا صالحـــا له ، هو نفسه المحور الذى وجدهعصرنا ملائما لانتاجه العلمى .

فنظرة سريعـــة الى رجال البحث الاسلامى بعد نزول الوحى فى القـــرن السابع الميلادى تدلنا على انهم منـــذ البداية أسلموا أنفسهم للعقل ،وللعقل وحده . فكانت الخطـــوة الأولى هى النظر فى اللغة وعلومها ، باعتبار اللغة أساسا ضروريا لفهم القرآن . فاذا بنا نرى نظرة علمية من الطراز الأول عند علماء اللغة الأولين كالخليل وسيبويه . ويكفى أن نعلم عن الخليل كيف رتب قاموسا عربيا كان هو القاموس الأول فى تاريخ الفكر البشرى فيما نعلم **وتسأل كيف رتبه ؟ .. فنجيبك الجواب الذى يثير الاعجاب الذى ليس بعـــده اعجاب : بالدقة العلمية العقلية المنطقية.**

فانظر فى هذا الموقف العلمى وحده . كم من منطق العقل فى ثناياه .

فاولا : جمع مفردات اللغة لأول مرة هو فى ذاته عملية علمية .

وثانيا : ترتيب هذه المفردات بحسب أوائل حروفها . وهذه عملية علمية أخرى .

وثالثا : البحث فى مخارج الصوت. ليعلم أى الحروف يخرج من هنا ، وأى الحروف يخرج من هناك وهذه عملية علمية ثالثة .

ورابعا :اثبات هذه المفردات بمعانيها مستشهدا بالنصوص الشعرية القديمة التى وردت فيهـــا تلك الألفاظ وهذه عملية علمية رابعة .

***

ولا نترك الخليل بن أحمد قبل أن نلقى نظرة سريعة أخرى على عمل علمى آخر من الطـــراز الاول . وهـــو استخراجه لبحور الشعر العـــربى لأول مرة . فالبضاعة التى بين يديه هى شعر قاله الشعراء . فانظـــر **كم من منطق العقل تســـتدعيه عملية استخراج القوالب او الاطر او الهياكل المجردة من ذلك الشعر بعد اســـقاط المضمون المعنوى ...**

هذان عملان فى ميـــدان اللغة لو اكتفينا بهما وحدهما لكانا شـــاهدين على مدى اعتمـــاد علمائنا الأولين على منطق العقل وحده فى بحوثهم .

***

ثم ننتقل الى مجال اســـلامى آخر وهو الفقه . فبعد أن فرغ المســـلم الباحث من النظر فى اللغة ابتغاء فهم القرآن الكريم فهما دقيقا ، انتقل الى ميدان الفقه ليستخرج الأحكام الشرعية من النص القرآنى .

وهذه عملية اراها اروع ما بلغـــه العقل الاسلامى فى تطبيق الاســـتدلال المنطقى الصرف فى استخلاص النتائج.

وهنا أيضا أقول اننا لو اكتفينـــا بالفقه وحده دليلا على اعتماد المسلمين على النظرة العقلية الخالصة لكفانا دليلا ولكننا ننتقل الى مجال ثالث جاء فى تلك المرحلة الأولى أيضا وهو مايسمونه علم الكلام ، وذلك أنه قد نشأت بعض المشكلات العقلية عند محاولة المسلم فهم بعض المعانى الاساسية كفكرة الخلق ، وفكرة الارادة هل هى حرة أو مقيـــدة وفكرة الثواب والعقاب .. وغير ذلك .

فحسبنا أن نقرأ لواحد من هؤلاء المتكلمين نختاره كما اتفق ، لنجد أنفسنا أمام فاعلية عقلية من الدرجة الأولى فى تحليل المعانى المراد تحليلها .

***

ونتنقل الى ميدان رابع هو ميدان الفلسفة ذاتها التى هى عقل صرف . فاذا بنا فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) امام نشاط عقلى نقف حياله حائرين لغزارته ودقته . وحسبنا هنا أن نذكر الى جانب الفلاسفة من امثال الفارابى وابن سينا أن نذكر جماعة اخوان الصفا فى رسائلهم التى تبلغ اثنتين وخمسين رسالة هى **عبارة عن موسوعة عقلية تلخص ما وصلت اليه الانسانية من علوم . وان اخوان الصفا هؤلاء ليذكروننا بفلاسفة فرنسا فى القرن الثامن عشر واعنى قرن التنوير** الذى كان فى مقدمته فولتير . فهم أيضا اخذوا ينشئون الموسوعات والقواميس ليلخصوا الاتجاه العقلى الذى ارادوا أن ينشروه فى الناس .

ونقفز على موج التاريخ قفزا لنصل الى عصرنا هذا .. ولننظر الى الرءوس التى كانت لها القيادة فى حياتنا الثقافية المعاصرة : بادئين من رفاعة الطهطاوى ثم الامام محمد عبده مرورا بقاسم امين ولطفى السيد وطه حسين والعقاد الى ان نصل الى ايامنا هذه .

فاذا ما القينا نظرة على انتاج هؤلاء جميعا . وعلى اى محور كان يدور هذا الانتاج لوجدنا الرسالة الأولى التى ارادوا أن ينشروها هى توكيد مكانة العقل عند المسلم ... فرفاعة الطهطاوى يكاد يضع لنا منهجا لحياتنا الثقافية خلاصته التجرد من العواطف الشخصية عند اختيار ما نعرضه على عقولنا .

ونتنقل الى الشيخ محمد عبده ، فاذا هو رجل يريد ان يضع الاسلام على ضوء العقل العلمى ليرى القارىء كيف انه لا خلاف بين هذا وذاك ، وانه ليس فى الاسلام ما يستعصى على النظرة العلمية .

وقل هذا فى سائر القادة لطفى السيد وطه حسين والعقاد وغير هؤلاء .

على أن اهم رجل بين المسلمين فى عصرنا هذا من حيث طرحه للعلاقة بين الاسلام والعقل هو محمد اقبال فى كتابه « **تجديد الفكر الاسلامى** » لأنه أوضح فى جلاء كيف ان الاسلام أراد للمؤمنين به أن يجعلوا احتكامهم للعقل وحده كلما اشكل عليهم أمر .

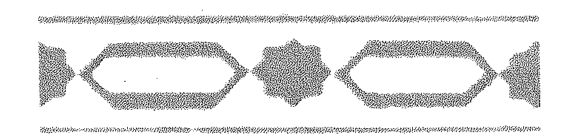
ومن هنا كان الاسلام آخر الرسالات الدينية .. لماذا؟ لأنه فيما قبل الاسلام كان كلما تكاثرت المشكلات أمام الناس وعجزوا عن التماس الطريق السديد فى حياتهم جاءهم رسول برسالة سماوية تشق لهم مسالك الحياة بعد ان سدت فى وجوههم . حتى اذا ما جاء الاسلام آخر الأمر وكان الانسان قد بلغ من النضج درجة كافية قالت الرسالة الاسلامية لهذا الانسان انت وعقلك منذ الآن ، فلم يعد ما يدعو الى رسول آخر ورسالة اخرى .

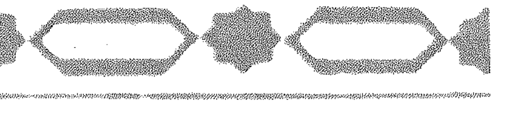
كل هذا نقوله لنقول : انه حينما كان المجال مجال نظر عقلى ، فلا يكون المسلم غريبا عليه ، وانما يتكيف له أسرع مما يتكيف له أبناء أية عقيدة أخرى . وأن هذا نفسه كان هو السبب الذى يفسر لنا لماذا نقل المسلمون الأقدمون فلسفة اليونان وهضموها على حين لم تنقلها بلاد ذات حضارة اخرى كالهند والصين ..

اليس ذلك دليلا على انه كلما كان الأمر أمرا مركزا على العقل ومنطقه ، كان لسان حال المسلم يقول : هانذا .

ولما كان عصرنا هذا عصر علم .. اى عصر عقل كما قلنا بالدرجة الأولى فمرة أخرى يقول له المسلم : هانذا ، شريكا فى **جهودك مستندا الى ايمانى والى** عقيدتى . فليس بين عقيدتى وبين مقتضيات هذا العصر من علم وعقل شىء من التضاد .

الإسلام والمستقبل





● فتحي رضوان ●

● لعل المسلمين بين الأمم البانية للحضارات ، والمنشئة للثقافات ، والتي ظفرت يوما ما بالمجد والصدارة ، ثم أدال الزمن عليها ، فبادت حضارتها ، وأصبحت آثارا توحي وتلهم ، وركدت ثقافتها ، فباتت مراجع للباحثين ، ومصادر للدارسين .. لعل المسلمين بين تلك الأمم ، أغربها ، وأبعثها للدهشة ، وادعاها للحيرة .

فهذه الطائفة من الامم ذات المجد المندثر ، والماضي الزائل ، واحدة من امتين : أمة زالت من الوجود تماما ، بزوال ملكها الاثيل ، وعزها الرفيع ، وأمة بقيت بين الاحياء ، ولكنها نفضت يدها من تجديد المجد الضائع ، واستئناف الحكم المنقرض ، واستنامت للواقع ، ورضيت به .

أما المسلمون ، فلم يكفوا قط عن التحدث عن حضارتهم ، ولا عن الاشادة بثقافتهم ، ولا عن بذل الوعد وراء العهد، بأنهم سيقيمون ما تداعى من بنائهم ، وسيسترجعون ما تلاشى من أمجادهم ، وأن الزعامة تنتظرهم ، ليقودوا الانسانية الى عهد جديد من السلام والتآخي والتعالي على مشكلات العصر الحاضر ، والتوقي من آفاته ، واستلهام الدين الحنيف أسسا شبيهة به ، وقائمة عليه ، تحقق ما جاء في آيات القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم » ـ « انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ـ « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ـ «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ـ « انما يخشى الله من عباده العلماء »» .

وتمضي القرون وهذه الوعود تتبخر في الهواء ، ثم تسمع ، وتتبدد في الفضاء، وتكرر ، ويبقى كل شيء في مكانه : فقد أصبحت دولة الاسلام الكبرى أمما تفرقت الايدى بها،وحضارة أصبحت خرائب في المدن ، ليس لها حتى ما للآثار عند الامم المعاصرة من مكانة ورعاية ، وثقافة ركدت حتى استحالت مستنقعات ملأتها الهوام والحشرات ، وفاضت منها روائح تزكم الانوف ، وتضيق لها الصدور ، فهي اما خرافات واراجيف ، واما قطع متناثرة من القديم والجديد ، والبالي والمستحدث ، والعلم والاماني .. وعلماؤنا أكثرهم عالة على علماء الآخرين يأخذون عنهم ، ولا يلحقون بهم . الا اذا رحلوا عن بلادهم ، ونأوا عن مجتمعاتهم ، وأظلتهم سماء الاجانب ، وطوتهم مجتمعات الأعداء .. فهل سيبقى هذا مصير المسلمين الى غير غاية وأمد ؟

• لابد من إنشاء مجلس ثقافي إسلامي ، متفرغ للشئون الفكرية في دنيا المسلمين ، ويكسب بدوره مكانة تؤثر في النفوس والعقول .

لكن ما السر في هذا الشوق المتجدد عند المسلمين الى ماضيهم ؟.. وما سبب عجزهم عن تحقيق ما يتشوقون اليه ويطمعون فيه ، وفي أرضهم ومالهم وبرهم وبحرهم ، وموقعهم ، وبعض حاضرهم ، ما يرشحهم للمكانة التي يحلمون بها ، والزعامة التي يتطلعون اليها ؟

لقد حدثت في آخر مراحل الحكم الاسلامي المجيد الباهر ، ملابسة ، اربكت المسلمين ، واضطرب لها تاريخهم ، فتعثرت مسيرتهم ، وقد بدأت في أوائل القرن الثالث عشر ، وعلى وجه التحديد سنة ١٢٢٧ ، حينما طارد المغول أمامه قبيلة من الترك في سهول آسيا الوسطى ، الى الغرب ، ولم يكن تعداد تلك القبيلة يزيد على حفنة صغيرة من آلاف من رعاة البدو ، وقد استقر بهم الترحال آخر الامر على مقربة من (أنقرة) أشبه شيء باتباع أو عبيد للسلاجقة .

فلما أفل نجم دولة السلاجقة في سنة ١٣٠٠ ارتفع عن أعناقهم نير العبودية وأصبحوا احرارا . وما لبث شيخهم ان رفع نفسه الى مرتبة (السلطان) ، ومنذ ذلك التاريخ ، الى سنة ١٩٢٢ ، بقيت هذه القبيلة سيدة تركيا ، وصاحبة الكلمة النافذة فيها ، فقد عرفت بدولة بني عثمان ، وذاع هذا الاسم وشاع ، حينما امتد ملك بني عثمان ، من فارس الى (فيينا) عاصمة النمسا في أوربا فدخلت في امبراطوريتهم أجناس وشعوب عديدة لم تجتمع في ظل امبراطور آخر ، حتى ولا امبراطورية أسرة هابسبورج ، التي عرفت باسم « امبراطورية النمسا والمجر » .

لقد اظلت دولة بني عثمان مع الاتراك والعرب ، الرومانيين ، والصرب ، والكروات ، واليونان ، والبلغار ، والمجر ، والالبان . ففي سنة ١٤٥٣ فتح بنو عثمان القسطنطينية ، ووضعوا نهاية بذلك الفتح المبين لحياة الامبراطورية البيزنطية المتداعية ، آخر طيف لروما الامبراطورية ، او امبراطورية روما . وبتحويل كنيسة (اياصوفيا) في القسطنطينية الى مسجد ، بات للعالم المسيحي الغربي كابوس ثقيل لا يفارقه في الليل أو النهار ، اسمه (التركي الرهيب) . ونقلوا عن السلطان التركي ربما بسبب ما ركبهم من خوف ، انه لن يمضي وقت طويل حتى تدخل جياد جيوش تركيا الى مذبح القديس بطرس في كنيسة هذا القديس ، بعد ان تحوله مذودا . وتصاعد الخوف من (التركي) الرهيب عندما فتحت هذه الجيوش مصر في سنة ١٥١٧ بعد ان تدفقت جحافلهم على الشرق العربي ، ثم اندفعت الى شمال افريقيا ..

وعبر سلطان فرنسا ، فرانسوا الاول باسم الغرب المسيحي عن الفزع الذي تولى هذا الجانب من العالم ، اذ عقد مع سلطان تركيا معاهدة ليكون السلطان المسلم ردءا للملك المسيحي في صراعه مع عائلة

هابسبورج · وحاصر الاتراك فيينـا فى ١٦٨٣ ، ولكنهم ردوا على أعقـابهم ، ومنذ ذلك التاريخ انحسرت موجة المد ، وبدأ الجزر واستمر · وبدأ دور تركيـا فى صد هجمات لا نهاية لها من الغـرب المسيحى ، الذى كان قد استجمع قواه ، وقرر أن يطـرد الاتراك المسـلمين مـن أوربا ، ثم أن يتعقبـوا فلولهم ، حتى لا يبقى لهم أثر لا فى أوربا وحدها بل فى المسرح السياسى والعسـكرى الدولى قاطبة ··وظل الصراع بينأوربا وتركيا ثلاثة قرون ، كان العالم الاسلامى فيهـا يشاهد ، ولا ينتفع بشىء مطلقا من هـذه المأساة الطويلة المريرة ، وقفت تركيا فى وجه حملات الاستعمار الغـربى ترده ، وكان دمها ينزف ، ومالها ينفد ، وقواها تتسرب من جوانبها ، حتى سميت آخـر الامر (بالرجل المريض) ··

فماذا كان أثر هذا كله فى العـالم الاسلامى وأحلامه التى تتخذ من المجـد وعودة الصدارة اليهم محـورا ، تدور حوله ، وتتفرع منه ، ثم تعود فتتجمـع وهكذا دواليك ··

كان أول الآثار لوجود دولة بنى عثمان واتساعها ثم تداعيها وانسـحابها ، ان المسلمين أحسوا فى قيام (الخلافة) فى الآسـتانة ، أو دار السـعادة ، أو (اسلامبول) ، أو (استانبول) ، بأن مجدهم المادى ،وملكهم الدنيوى لم يزل· وأن لهم (دولة) تمثلهم ،وتدافع عنهم، وتنزل بأعداءالمسلمين والاسلام،الحاقدين عليهم وعليه ، والخـائفين منهم ومنه ، الهزائم ، وتردهم على أعقابهم خاسرين ·

وكان سلاطين بنى عثمان يفعلون ذلك حقا وصدقا ، فقد بقيت دولتهم قرونا ، قوة عسكرية ، وسلطة امبراطورية ، لم يشهد تاريخ الامبراطـوريات ، والدول الضخمة ذات السلطان الواسع ، دولة فى مثل اتساعها وصمودها للزمن ·وكان السلاطين يعتزون بانتمائهم للاسـلام ، ويقيمون وزنا لكلام شيوخ الاسـلام ، ويطيعولهم فى أكثر الامر ، ولما تناقصت قوة هـذه الدولة ، وبدأت أمـراض الشيخوخة تدب اليها ، استطاعت ان تمنع أوربا الاسـتعمارية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية مـن التهام العالم العـربى ، وجزر البحـر الأبيض المتوسط الخاضـعة لسـلطان الاتراك من السقوط فى أيدى هذه الدول واتخاذها مواقعللوثوب علىالعالمالاسلامى وتغريبه أولا توطئـة لنزعه من نطـاق الاسلام روحيا وفكريا ، وتهيئته للشـك فى دينه وجدوى التمسـك به والاصرار عليه ، واغرائه بالنظـر فى فضـائل الحضارة الاوربيـة المسيحية اليهـودية ، وجلال آثارها فى مجالات الصناعة والعلوم والفنون ·

والثابت أنه لولا السلطان عبد الحميد، الذى كان الغرب يسميه (السـلطان الاحمـر) لاصبحت فلسـطين فى يـد الصهيونية قبل سنة ١٩١٧ · فلقد زاره هرتزل ، وزاره من قبل هرتزل ومن بعد هرتزل ، رسل الحـركة الصـهيونية ، وعرضوا عليه القروض الضخمة ، وتحالفا سياسيا يدافعون بمقتضاه عن السـلطان التركى فى صـحف أوربا وأمريكـا ، ويوقفون حملات الدعاية التى سادت فى دوائر السياسة والبرلمانات والمؤتمـرات الدولية ، والتى كانت تركيا وسلطانها ، ووزراؤها ، وفسادها وتحللها ،ومذابح

الارمن والمسيحيين فى ولاياتها ـ هدفا دائما لها ، مقابل أن يسمح لرواد الصهيونية ان يبنوا مستوطناتهم فى فلسطين . ولكن السلطان أدرك بفضل تمرسه بالسياسة الدولية ، ومعرفته لهاب الأمور قبل وقوعها ، أن هذه المستوطنات التى تبدو بريئة ، هى أول الغيث ، أو هى مستصغر الشرر الذى تنجم عنه أكبر الحرائق .

وبقيت تركيا للعالم الأسلامى ، شبحا يخايل شعوبه ، ويمنى مفكريه وزعماءه ومصلحيه ، يعقدون عليه الآمال ، ثم ينفضون يدهم منه ، حتى وقعت الحرب العالمية الاولى ، وزالت تركيا القوية ، ثم جاء كمال أتاتورك ، فأراح العالم الاسلامى ، واستراح ، حينما أسقط الخلافة العثمانية ، وأنهى دولة بنى عثمان ، وأقام جمهورية علمانية فى أنقرة، وأدار ظهره للعالم الاسلامى ، تماما ، وخلع العقيق والطربوش ، ونبذ الحروف العربية ، واصطنع قانون الاحوال الشخصية السويسرى ، فهز المسلمين من الاعماق ...

غضبوا أول الامر ، وسخطوا على كمال، ونسبوه الى المتهودة الاتراك ، ثم هدأت الصدمة ، فبدأ رد فعل مضاد ، تجاهه : أيكون هذا السبيل المؤلم هو سبيل بعث العالم العربى ، أو العالم الاسلامى ، .. نصطنع الحضارة الغربية بحلوها ومرها وشرها وخيرها ، وننظر فى ديننا بروح العلم ، ونطبقه بعد أن نراجع الكتب التى أورثتنا اياها القرون الوسطى وما بعدها ، والتى قامت سدا بيننا وبين الدين الحنيف ، دين الفطرة والحرية ، دين البساطة والوضوح ..

ولم يفعلوا شيئا ...

كان الذى كتبه مفكرو العرب عن انحلال دولة بنى عثمان وزوال سلطانها ، بعد عمر طويل ملىء بالانتصارات والفتوح، أقل من القليل ، وكان القليل الذى كتبوه، نقلا عن كتب الغرب ، وترديدا لدعاويه ، ولم يستخرجوا من هذا الحدث الضخم ، عظاته الكبيرة والكثيرة ، على الرغم من أنهم تعلقوا بهذه الدولة فى صدق وحب واعجاب ، وعلقوا عليها الآمال الكبار ، وبكوا لسقوط الخلافة عن رأى سلطانها ، وغياب الخلافة كلها .

ولا ازعم انهم كانوا قادرين على أن يردوا عن دولة بنى عثمان عادية الزمان، ولا أن يطيلوا عمرها أكثر مما طال ، ولكن كانوا جديرين أن يدرسوا أسباب انهيار الدول والمجتمعات فى دولة ضخمة، كثرت الوشائج والروابط بينهم وبينها باعتبارها أضخم دول الاسلام ، وباعتبارها وارثة الخلافة الاسلامية ، وباعتبارها واقعة فى المحيط الجغرافى الذى تقع على شواطىء بحاره وعلى مقربة من مجاله أكثر الدول العربية والاسلامية .

ولو تأملوا فى هذه الظاهرة الكبيرة ، لتبينوا أن الخسارة الكبرى التى منى بها المسلمون أن تركيا التى اتسع سلطانها ، وترامت حدودها ، وضخمت قوتها العسكرية برا وبحرا ، كان ينقصها أكبر ما تحتاج اليه الدول الكبرى لتتماسك ، ثم لتبقى ، ثم ليبقى أثرها بعدها حينما يفعل فيها الزمن فعله ـ وأعنى به (الثقافة) ، (الطاقة الروحية) (الرسالة الانسانية) ..

فقد كانت حضارة دولة بني عثمان ، عسكرية بحتة ، ولم تتح قط للفكر الاســـلامي ان يتطـــور ولا للشعوب الاسلامية ، بفنونها وصناعها وثقافاتهـــا القديمة وحضاراتها المندثرة ، ان تصنع ما صنعته دول المسلمين في دمشق وبغداد ومصر والاندلس وشـــمال افريقيا ، فلا معاهد دين تدرس القـــرآن وتشرحه ، وتجمع الحديث وتصححه ، ولا فنـــانون ولا صناع ولا مترجمون ولا بعثات ..

ولو تركت دولة بني عثمان للعرب ان يسهموا في بناء دولتها ، لاصبحت عواصم العالم العربي في ظـــل الحكم التركي منارات تضيء وتشع ، وتكسب الدولة احتراما ومهابة ، ولما تدهـــور الحكم العثماني الى الحضيض الذى وصل اليه ، ولا سيما في القرنين التاسع عشر واوائل العشرين ، بل والقـــرن الثامن عشر .

ولو اطال المسلمون النظر فيما اعتبر كارثة ، أي اسقاط الخلافة العثمانية في تركيا ، لأدركوا ان هذه الخلافة كانت قد سقطت منذ اجيال ، وان الدين الاسلامي في تركيـــا ، كما هو في أكثر الدول الاسلامية ، فقد قوة دفعه ، وقدرته عـــلى تشـــكيل المجتمع والهام أفراد النـــاس بروح الـــولاء له ، والتـــأثر به . وان ما يجرى في عالم المسلمين ، هو من قبيل القصور الذاتي . فالناس يمارســـون عبادتهم ، ويترددون على مســـاجدهم ، ويتلون بعض ما يصل الى أيديهم من كتب الدين ، بحكم العادة والتقليد في الاغلب الأعم ، وان كان هذا الحكم ليس صحيحا في جملته وتفصيله، ففي المجتمع الاسلامي الآن ، حركات أيقظت وجدان المســـلم وفكره ، وجعلته يتأمل دينه ، ويحـــاول ان يبحث عن الخلل في العـــلاقة التي تربطه بهذا الدين .

ولكن ما هو أهم ما يلزم للمسلمين في هذا الدور ؟.

***

لقد عاني الفـــكر الديني في القـــرن العشرين من ضربات متوالية .

فقد كانت الثورة الصناعية ، والتقدم العلمي ، وسرعة تغير المجتمعات الانسانية ، وخروجها من اهابها القديم ، والمشكلات التي تكاد تكون بلا حل المصـــاحبة لكل هذا ، صـــدمات جعلت أكثر المتدينين حيارى وهزت ايمانهم . فمنهم من تزعزع اطمئنانه الى الدين ، فاستمسك بعروبتـــه مجاهدا ، ومنهم من قطع صلته به ، ووجه وجهه لمصدر أو مصادر للالهام ، بدت له أكثر غناء .

وجاء الفكر السياسي الحديث ، بدروبه المختلفة ، واتجاهاته المتباينة ، مستعينا بوسائل البحث التي استحدثت ، وطرائق الاستنتاج والتخريج والمقابلة، فتدفقت في دنيا الكتب والثقافة ، مع سـيل متدفق من الكتب والبحوث والدراســات ، التي بدت الى جانبها الكتب القديمة التقليدية، بأساليب صياغتها ، وبمنهج دراساتها ، باعثة على السأم ،من جهة ، وعاجزة عن الاقناع من جهة اخرى .

وقد نجم عن هذه الصـــدمة الاخيرة ،

شيء احب ان اقف امامه طويلا ، ذلك هو صدمة (النظرية) ٠

***

لقد خرج من أنقاض الحربين العالميتين الكبريين سنة ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، و ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، مذاهب جديدة ، منها الاشتراكية التى اعتبرت الشيوعية خاتمة المطاف فيها ، والنازية ، بأسمائها المختلفة ودار بين المذهبين صراع دام ، كانت الحرب العالمية الثانية احدى صوره ، ولكنه استمر بعد ذلك ولا يزال مستمرا ، وكانت الصهيونية صورة أخرى من صور التفكير ، انتهزت هذه المجازر ، وحققت لنفسها مكانا ، وظفرت بمكاسب لا يمكن أن نقلل من شأنها ٠

وقد كان الصراع الفكرى بين هذه المذاهب كلها ، يدور حول نظريات تقدم ويحسن عرضها ويدافع عنها الانصار ويهاجمها الخصوم ، حتى اصبح (للنظرية) سحر ، فمن لم يكن له نظرية يعتنقها ويدافع عنها ويهاجم فى ظلها ، يشعر بأنه مكشوف فى دنيا العقائد ، وان كلامه لا يقنع ، وموقفه لا يفهم ، ولا شك ان (النظرية) هى أسلوب لتنظيم التفكير الانسانى ، ميزتها الكبرى انها تحاول أن تضع مبدأ أساسيا للنظر الى الكون وعلاقة الانسان به ، ثم تخضع كل ما يتفرع من هذا المبدأ الاساسى لنفس المبدأ ٠

ولعل سيادة فكرة (النظرية) هى التى اججت الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والديمقراطية والفاشية أو النازية ٠ ولعل هذا الصراع هو الذى ثبت سلطان (النظرية) على عقول الناس وافهامهم ٠

ومن هنا كان المتدينون شاعرين بأنه لم يعد لدينهم الذى يؤمنون به وجود فى دنيا الفكر ٠ لانه لا يقدم (نظرية) متكاملة تحلل فى مضمونها العلاقات الانسانية من حيث المنشأ ، والتطور والتعقد والانفراج ، ولا علاقات الانسان بوسائل حياته المادية والروحية ، ولا عناصر وجوده من مال وآلة وحكومة ٠

والخطا الذى يقع فيه المتدينون أنهم يريدون أن يكون لديهم نظرية شبيهة من حيث الصياغة والتبويب ، على نسق النظريات الحديثة التى يسمعون دويها وتتجاذبهم تياراتها وأمواجها ٠

ولقد بلغ من فرط تأثرهم (بالنظرية) وشغفهم بها ، أن بعضهم وضع للاسلام (نظرية)وصاغها فى قالب بعض المبادىء الحديثة ، واعتبر ان الاسلام قد سد النقص فى جدراة ، وأنه الان يستطيع أن ينافس بقية المذاهب الحديثة وان يغلبها ٠

ولا بأس عندى من كل محاولة جدية ، فالتطور والتفكير المتجدد ، وان أخطأ أو تعثر ، خير من الجمود والركود والتصلب ٠

ولكن على ان نحسن دائما الابتداء ٠

ولا يمكن أن نضمن الاهتداء الى البداية الحسنة ، ومن ثم فنحن لا يحق لنا أن نصادر حق أحد فى الاجتهاد ، ولو اخطأ ، فقاعدة من قواعد الاسلام ، أن للاجتهاد دائما ثوابه : لمن اجتهد وأخطأ ، ثواب ، ولمن اجتهد وأصاب ، ثوابان ٠

ولكن الذى أحب أن أؤكده هنا ، أن الاسلام يقوم على نظرية من أساسين :

الاولى ــ ان الله واحد ، « **قل هو الله احد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** »

الثانية ــ أن الانسان ، سيد هذه الارض ، وأن الكون الذى يحيط به ،

ويعيش فيه ، سخر له يطيعه ، ويأتمر بأمره ، ويمكنه ان يديره يمينا ويسارا ، بالتدبر والتأمل والاجتهاد والثقة بنفسه، والاعتماد على الله ٠٠ « ولقد كرمنا بنى آدم » ٠

ومن هذين الفرعين يقوم بناء كامل ، يتناول الانسان من مولده الى مماته ، ويقنن للصغيرة والكبيرة ، وما يتصل بالمال والحكم ، والزواج والطلاق ، والرق والعتق ، والتجارة والزراعة ، والصناعة ٠ ويدخل مع الانسان فى مخدعه ويصاحبه مع وساوسه وهواجسه، ومخاوفه ومطامعه ٠

وهذا الكلام المجمل اذا بسطناه ، استنفد منا وقتا وجهدا كبيرا ، يضيق بهما المجال هنا ، ولكن حسبنا أن نقول ان هذا المنهج الذى وضعه الاسلام جرب فى مجتمع هو أقل المجتمعات مالا ، وأنآها عن أسباب الحضارة ، وأحقها بأن يتجاهلها التاريخ ، ويتحاشاها الناس، فهى تقوم على فقر مجدب ، فى صقع مغوار ، فأنبت دينا ودولة ، وحضارة وثقافة ، وملكا وسلطانا ، وتدفقت له الجيوش الجرارة ، واخرج المدارس والمعاهد والجامعات ، وأتقن فى ظله الصناع والفنانون ، والكتاب ، والمفكرون أجمل وأرق وأخفى وألطف ما صنع الانسان ، وما ترك الفنان ٠

وهذا المنهج قادر على أن ينتج نفس الاثر ، فى مثل هذا الوقت القليل ، لو أخذناه بلا تكلف ولا حذلقة ، وفهمناه على وجهه من غير تعال أو تنطع ٠ يعنى أن يفهم أن المسلمين الاوائل ، وصلوا الى القوة فى صدر الاسلام وفى الاجيال التى تلته ، لانهم آمنوا فى بساطة تامة ، بكل الذى طلبه الاسلام منهم ، فهم اذا صلوا اعتقدوا أنهم بين يدى الله ، وسعوا جهدهم ليفرغوا ذهنهم من كل شىء ، لتحسن وقفتهم بين يدى الله ، فاذا فرغوا من الصلاة ، أحسوا فعلا بأن قواهم تجددت ، وروحهم سمت ، وانهم قادرون على مواجهة متاعب العيش ، ومخاوف الحياة فى قوة وثبات ، وبلا وهن أو ضعف ، فاذا طلب منهم أن يتصدقوا ، شعروا حقا بأنهم يقرضون الله قرضا حسنا ، وأنه سيرده اليهم اضعافا مضاعفة ،وان الحج يكفر ذنوبهم ويغفر خطاياهم وهكذا دواليك ٠ ٠

ومن كل تلك الالفاظ البسيطة التى يؤدون بها الصلاة ، ومن كل هذه الحركات القليلة التى يقومون بها سجودا وركوعا بين يدى الله ، وبالفرحة التى يستقبلون بها الصوم ، وبالبهجة التى يباشرون بها مناسك الحج ، تكتمل لهم قوة حقيقية ، مادية وروحية أدت بهم الى هذا التفوق والتجلى الانسانى ٠

فما لم يكن فى مقدور المسلمين أن يعودوا الى هذه البساطة ، وما لم ينزعوا من أنفسهم هزءهم الخفى بها ، واحساسهم الكامن بأن المسلم الحديث لم يعد يكفيه ما كان يكفى العربى منذ أربعة عشر قرنا ، وأن الزاد العقلى الذى يليق به ، ويصل الى سوائه ، هو ما يجب على علماء المسلمين ومشرعيهم ، وفقهائهم ومفكريهم ان يصوغوه ، فى قالب يمكن أن يواجه تحدى النظريات الحديثة ولو واصل المسلمون سيرهم فى هذا الدرب واصروا عليه ، استمر حالهم على المنوال الذى نراه ٠

***

ليفكر كبار المفكرين المسلمين ، وليبدعوا كتبا عظيمة ، وليستخرجوا من آيات الله الكريم ، وأحاديث رسوله

العظيم ، آثارا جديدة بأسلوب يثير الاهتمام ، ويدعو الى التفكير ، ويبعث على المناقشة والجدل ، ولكن كل هذا لا يغني فى قليل أو كثير عن العودة البسيطة غير المتكلفة الى الاسلام ، فى صورته التى تلقاها الرسول العظيم ، محمد بن عبد الله ، النبى الامى ، ثم تلقاها عنه صحابته ، فالمسلمون الاوائل ، واكثرهم فقير وضعيف ، لا يؤبه له .

فان هذه العودة ، هى التى سيشتعل لها وجدان المسلمين ، وسيتقد خيالهم ، فاذا التفاعل بين الاسلام الحقيقى ، والنفوس الصغيرة الصادقة ، يتحقق . واذا الاشتعال يبدأ ، واذا بالادوار السابقة تتلاحق وتتتابع ويحدث البعث المنشود ، وعندها سنرى فيضا من الانتاج الفكرى والفنى يشبع جوع الجائعين الى بناء عقلى يفلسف لهم أمورهم ويردها الى قاعدة عامة مستمدة من القرآن الكريم ..

ولكن لا مناص للمسلمين ، ليخرجوا من هذا الموقف الذى جمدوا فيه ولا خلاص لهم بالاسلوب الذى نقترحه ، الا بالاخذ بأمرين :

أن يكون للمسلمين نواة لزعامة ، وبداية لقيادة فكرية .

فللمسيحيين ، كاثوليك كانوا أو بروتستانت أو أرثوذكس زعامات مركزية كاملة ، ظاهرة وباطنة ، دينية ودنيوية .

ولليهود مثل هذه الزعامة ، ممثلة فى اكثر من هيئة ومجلس .

أما المسلمون فحبلهم على غاربهم ، وليس ثمة مجلس أو هيئة ، تجتمع بصفة دورية ، تحاول أن تعلو عن التفاصيل والامور المحلية ، والخلافات الاقليمية ، وتنظر الى الاسلام فى مجموعه .. وتقف الى جانبها أمانة تتلقى المعلومات وتجمعها وتبوبها وتحللها .. ثم تحاول هذه الهيئة ان يجتمع لها على مدى الايام ، شيء من الهيبة والمكانة والتأثير ، تكسبها على طول الوقت ، بحسن التوجيه ، والجهد المبذول ، والادارة الموفقة ، والتجرد لوجه الغاية المشتركة .

ولابد من مجلس ثقافى اسلامى ، ينشأ أيضا الى جانب الهيئة ، متفرغ للشئون الفكرية فى دنيا المسلمين ، ويستقر ويستمر ، ويكسب بدوره مكانة تؤثر فى النفوس ، والعقول ..

فانه من غرائب الامور ، أن يكون لفريق من المسلمين هم العرب ، مشكلة كمشكلة فلسطين ، تبدأ وتستمر وتتعقد ، ولا يوجد للعالم الاسلامى الضخم الغنى المترامي الآفاق ، رأى لا يقف عند حدود المشكلة السياسية العابرة ، انما يدرك مقدماتها البعيدة ، ونتائجها العميقة فى المستقبل .

وللمسلمين من موسم الحج ، معين على أن يفكروا فى هذه الامور المجردة التى تعلو على الوقت الذى يمر بنا وحدود الدول الضيقة ..

● وقد نستطيع ان نضع الخطوط الاولى فى صورة عظيمة للاسلام العظيم .

من روائع إعجاز القرآن

● د . جمال الفندى ●

● الفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر هو ان الرياح فى حالة السحابة المطرة « المزن » انها تستمر وتدأب على تغذيتها ببخار الماء الذى يتكاثف الى نقط من الماء السائل او بللورات الثلج اذا كانت درجة الحرارة منخفضة ، وكلها تنمو سريعا وتروح متساقطة الى الارض على هيئة مطر او برد او ثلج . وفى هذا المعنى بالذات يقول القرآن الكريم :

« وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين » ـ (الحجر ٢٢)

ولقد فسر بعض المسلمين فيما مضى كلمة لواقح بانها تعنى تلقيح الرياح للنباتات كما هو معروف ، ولكن هذا المعنى لا يربط بين شطرى الآية الكريمة ، ولا يتمشى مع قوله تعالى : « فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه » . والتفسير العلمى السليم هنا لكلمة لواقح هو انها انما تشير كما قلنا الى تلقيح الرياح للسحاب او امداده له ببخار الماء ونوى التكاثف بصفة مستمرة ، لكى يتكاثف ذلك البخار الى نقط من الماء أو بللورات من الثلج تنمو سريعا ويزداد وزنها ، ولا يقوى الهواء الصاعد داخل السحب على حملها فتتساقط على هيئة مطر أو برد ...

ولا تغذى الرياح السحاب ببخار الماء وحده بل انها تمدها وتلقحها كذلك بجسيمات صغيرة مجهرية من مساحيق او تمتصه مثل مساحيق ملح الطعام التى تتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات ، ومثل ابخرة الاحماض التى تكونها عمليات الاحتراق المختلفة او حتى يكونها البرق فى عواصف الرعد . وتسمى تلك الجسيمات كما نعرف باسم « نوى التكاثف » اى النوى

التى تتجمع عليها جزيئات بخار الماء وتتدكس لكى تكون نقط الماء الأولى داخل السحب .

هذا هو المراد من كلمة « لواقح » فى هذه الاية الكريمة . وفى هذا العصر يحاول العلماء استمطار السحب الركامية العابرة او عصرها ، وذلك كما قلنا بتلقيحها بنوى التكاثف بطريقة صناعية بواسطة الطائرات او المولدات الارضية التى تمدها مع الهواء الصاعد بمساحيق ملح الطعام الصخرى ، أو ابخرة يودور الفضة ، او حتىبيللورات الثلجالصناعى . ورغم انهذهالمحاولات اعطت بعض المطر الا انه لا مناص ولا مفر لكى تجود السحب بمقادير وفيرة من الماء من أن تداب الرياح على امدادها ببخار الماء اللازم لتكوين ذلك المطر ... أما اذا كان الهواء عقيما جافا فلا سبيل الى نجاح تجارب المطر الصناعى .

ولقد آمن العلماء بانه عندما تتوفر ابخرة المياه فى الرياح فان السحاب يمطر طبيعيا ولا تكون هناك حاجة الى المطر الصناعى . اما اذا كانت الرياح عقيما فلا سبيل الى نجاح المطر الصناعى رغم الحاجة اليه ، اذ لاتمطر السماءطبيعيا كذلك ، فسبحان الذى قال :

« افرايتم الماء الذى تشربون . انتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون » ــ الواقعة (٦٨ و ٦٩)

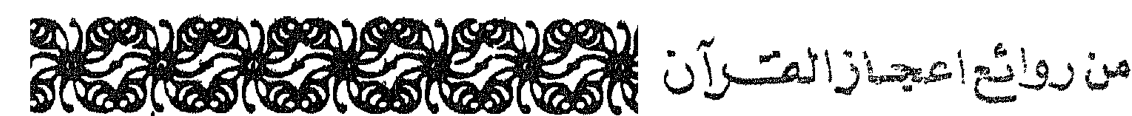
والذى قال : « ... ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته ، أ اله مع الله ؟ » ــ (النمل ــ ٦٣)

ومهما ازداد الانسان علما ، فلن يستطيع بصفة مستمرة تغيير دورات الرياح العامة او تصريفها على الدوام حسب هواه ، حتى باستخدام الطاقة النووية ، الا فى حدود ضيقة محلية . والسر فى ذلك ان الشمس تمد الأرض كل يوم بطاقة تعادل مئات آلافالطاقة النووية وان استخدام الطاقة النووية هنا معناه تلوث الهواء ، وان الطاقة الشمسية العظمى ــ التى لا يمكن التوصل اليها ــ هى التى تدفع بالرياح فى مسالكها . ويشير القرآن الى هذا المعنى فيقول فى سورة الاعراف الاية (٥٧) ــ « وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته »

ويقول فى سورة الفرقان (الاية ٤٨) : « وهو الذىارسل الرياحبشرى بين يدى رحمتة » .

***

والمطر هو اصل كل الماء العذب الذى نشربه وتروى به الأرض سواء ــ كما قلنا ــ حصلنا عليه من الانهار أو الابار أو العيون او اخذناه من المطر المباشر . ولهذا يقول الحق جل وعلا:



((فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه))

اما قوله ((وما انتم له بخازنين)) فتلك قضية علمية اخرى تقرر فى جلاء ووضوح أن هذا الماء العذب لا يختزن فى مكان معين ، ولكنه يخضع لدورة عامة بين السماء والارض تعرف باسم دورة الماء بين السماء والارض ، ومجملها أن اشعة الشمس تبخر بعض ماء البحار والمحيطات ويصعد البخار فى الهواء لأنه اخف من الهواء او أقل كثافة ، وتحمله الرياح معها فى مسلكها عبر آلاف الكيلومترات ثم تصعد لتكون السحب ، وتداب على تغذية تلك السحب ببخار الماء فيتكاثف البخار الى مطر يتساقط على الأرض مكونا الانهار او يغوص الى جوف القشرة الارضية ليعود من جديد الى البحار والمحيطات ، ثم تعود القصة كلها من جديد بفعل اشعة الشمس ، وهكذا ..

***

ولا يقف القرآن الكريم عند هذا الحد بل يستمر فى تقرير الحقائق العلمية فيتحدث بالتفصيل المعجز المذهل عن نوعى السحب ، وهما النوع الركامى ، والنوع الطبقى .

والمعروف علميا أن السحاب تبعا لطريقة نموه ينقسم تلقائيا الى ركامى، وهو الذى ينمو فى الاتجاه الرأسى حتى يصير كالجبال الشامخة ، ثم الى طبقى . وهو السحاب الذى يمتد افقيا فى طبقة او طبقات ...

والسحب الركامية هى النوع الهام لانها قد تمتد رأسيا عبر ١٥او٢٠كيلو مترا فتصل الى طبقات من الجو العلوى باردة جدا تنخفض فيها درجة الحرارة الى ٦٠ و ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر وبذلك يتكون ((البرد)) فى اعالى تلك السحب.والمعروف علميا أن نمو البرد فى اعالى السحب الركامية يعطى انفصال شحنات او طاقات كهربائية سالبة وأنه عندما يتساقط داخل السحابة ويصل فى قاعدتها الى طبقات مرتفعة الحرارة فوق الصفر المئوى يذوب ذلك البرد او يتميع ويعطى انفصال شحنات كهربائية موجبة . والتفسير العلمى لانفصال تلك الشحنات هو أن الطاقة السطحية للبرد تتحول الى طاقة كهربائية عند تغيير طبيعة السطح بالنمو أو بالتميع .

وعلى هذا الاساس يجب ان نبعد نهائيا عن اذهاننا فكرة تولد الكهربائية داخل السحب الركامية بواسطة الاحتكاك فهى فكرة قديمة خاطئة لا يمكن ان تستخدم فى حالة السحاب وفى نفس الوقت نجد انه طالما استمرت



الرياح على تلقيح السحابة الركامية ببخار الماء تحول ذلك البخار الى برد فى اعالى السحابة ثم انطلق الى اسفل بفعل الجاذبية وانصهر او تميع فى اسفل السحابة وتكون هذه العمليات بمثابة المولد الكهربائى او « الدينامو » الذى يداب على شحن السحابة الكهربائية وعندما يقوى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا عن الشحنة الموجبة فى اسفل يحدث التفريغ الكهربائى على هيئة برق وينجم عن التسخين الشديد

المفاجىء الذى يحدثه البرق فى منطقة انبعاثه ان يتمدد الهواء فجاة ويتمزق محدثا الرعد . وما جلجلة الرعد الا عملية طبيعية بسبب سلسلة الانعكاسات التى تحدث من قواعد السحب لصوت الرعد الاصلى وقد يحدث فى بعض العواصف ان يتكرر حدوث البرق داخل السحابة اربعين مرة فى الدقيقة الواحدة ، اما اذا حدث التفريغ الكهربائى بين السحابة واى جسم مرتفع عن سطح الأرض فانه يسمى صاعقة .. والآن كيف تتكون السحب الركامية ؟

عندما صورت بالرادار وجد ، كما قلنا أن السحابة الركامية الواحدة تبدأ بعدة خلايا او نتف صغيرة تظهر فى السماء ثم تتحد كل خليتين أو اكثر مع بعضها البعض لتكون الخلية الكبيرة التى سريعا ما تصبح كالجبل الشامخ وينزل منها المطر . ومن روائع اعجاز القرآن فى هذا الشأن قوله : فى سورة النور « آية ٤٣ » « **الم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار** »

صدق الله العظيم

● موعد مع الهلال ●

فى العدد القادم والاعداد التالية

تفتحت صفحات هذا العدد من « الهلال » للبحوث والدراسات عن « الاسلام والعصر » ... فنأجل نشر مواد كثيرة مما يقدم « الهلال » من ثمرات قرائح كبار الكتاب وشباب الادباء والشعراء ... فمعذرة ، وموعدنا العدد القادم والأعداد التالية من « الهلال ».

نبى الإسلام ومجتمع السلام

● د . مصطفى الشكعة ●

حين يمسك المرء بقلمه لكى يكتب شيئا عن السلوك المحمدى تتواكب الافكار والانوار امام بصره وبصيرته ، وتتدافع القيم والمبادىء فى عقله وخاطره الى المدى الذى يحيره ويبهره ، فيقف مذهولا ايها يتمثل وايها يدع . ذلك ان السلوك المحمدى ليس شيئا فريدا فى دنيا العقيدة والاخلاق وحسب ، ولكنه شىء اسمى من ذلك وارفع ، انه قيادة الى خير البشرية ، ودعوة الى سعادة الانسان ، ونفحة الهية خص الله عباده بها فضلا منه وتكريما ، فهل وعى الانسان ذلك الفضل ؟ وهل استوعبت البشرية ذلك التكريم ؟

اخشى ان اقرر انها لم تفعل ، ولو قد وعت واستوعبت لغدا الحال غير الحال ، ولاستراحت نفوس ، وسعدت ارواح ، وبرئت اجسام ، وارتفعت شعوب ، ونعمت امم ، وتطهرت مجتمعات . ان السلوك المحمدى يستهدف تلك القيم كلها ويعمد الى تدعيم هذه المعانى جميعا ويستهدف توثيقها .

والدعوة المحمدية هى دعوة السلام وجوهرها،ومحمد صلى الله عليه وسلم مهيأ لذلك داع اليه ، والله سبحانه أعلم حيث يضع رسالته ، وبالتالى **فقد تخرج محمد فى مدرسة القرآن كتاب الله المعجز فى كل شىء ، المعجز فى دعوته الى الهداية والتوحيد والتشريع ، المعجز فى دعوته الى السلام والصلاح والاخوة البشرية ، المعجز فى اسلوبه وبنيانه ومعانيه ، وبعبارة موجزة لقد تخرج محمد فى مدرسة الربوبية فكان عبدا لله صالحا ورسولا لله أمينا .**

لقد زكى الله محمدا وشرف قدره ورفع من شانه فى كتابه الكريم فقال جل من قائل : **((وانك لعلى خلق عظيم))**.

ولقد تفضل الله سبحانه وتعالى على كثير من رسله وانبيائه بالثناء والتكريم، ولكن صيغ التكريم التى حبا الله بها رسله وانبياءه مجتمعة ومنفصلة لاتنهض لكى تشكل قدرا صغيرا من هذا المعنى السامى الذى خص الله به رسوله المصطفى .

ويمنح الله محمدا مزيدا من التوصيف بلين الجانب ورقة الشمائل فى قوله تعالى اليه : **((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك))** .

ويخاطب الله المؤمنين فى شأن محمد ويقرر مدى اهتمامه لهمومهم ، وقدر حرصه على صلاحهم ونفعهم فى الآية

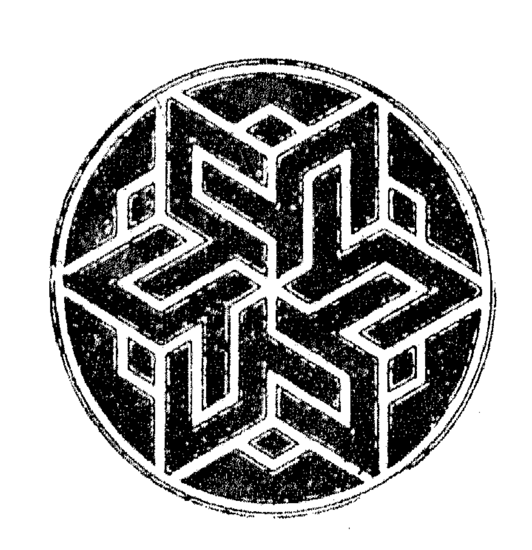
الكريمة : ((لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) .

ذلك بعض وصف القرآن لمحمد وخلق محمد وسلوك محمد ، ولقد كان محمد في أول حياته يلقب بالصادق الأمين ، وكفى المرء — أى امرىء — أن يكون صادقا أمينا ، ولكن مقام الرسالة وصاحبها لابد له من شمول فى كمال الصفات فكان كما وصفه الله سبحانه ، وكان أيضا كما وصف نفسه فى قوله الشريف : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، وفي قوله : أدبني ربي فاحسن تاديبي، وفي قول زوجه أم المؤمنين عائشة حين سئلت عن خلقه : كان خلقه القرآن .

ان محمدا وهذه صفاته وذلك تكوينه لم يكن الرسول الذى لا ينطق عن الهوى وحسب ، وانما كان الرائد والقائد والذورة والقدوة .

***

ان العقيدة الخالصة النقية يكون اعتناقها عن رضا واقتناع ، وكذلك فعل المسلمون الأولون ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعائشة وسلمان وغيرهم من الصحابة البررة ، وان دستور الاسلام فى ذلك يتجمع ويتبلور فى قول الله باعث الرسل ومبدع الديانات : ((**لااكراه فى الدين**)) وفى قوله الكريم الموجه الى رسوله الحبيب : ((**افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**)) .



انه دين محمد — بحكم كتاب الله الذى انزل على محمد — ليس دين اكراه ، ولكنه تبشير الى الهداية ودعوة بالكلمة الطيبة والعبارة الحسنة، ومن الحقائق الثابتة انه ما اكره على الاسلام فرد واحد من أصحاب العقائد السماوية ، واما الكافرون بالله وبرسالاته من منكرين او عباد للأصنام فبقاؤهم على ما هم عليه شر مستطير يحطم كيان المجتمعات ويزلزل سلام البشر ، ومن هنا كان شن الحرب عليهم حتى يؤمنوا علاجا لمرض وترياقا لسموم وبرءا لسقام ، وان مفهوم الدعوة من هذا المنطلق لا يخرج عن مفهوم السلام ومن ثم كان محمد الهادى الى الايمان والرشد هو نفسه صاحب الفكرة الكبرى للسلام .

***

والسلوك المحمدى فى نطاق الرسالة السماوية يدعو الى أسمى قيمة دعا اليها المصلحون وانقى سبيل تاقت اليها المجتمعات الحضارية منذ ان عرفت الحضارة على وجه الأرض ، تلك القيمة السامية هى المساواة ، ولعله من نافلة القول ان نقرر ان المساواة بين الناس لم تتحقق فى يوم ما كما تحققت فى نطاق دعوة محمد . ان الرسالة السماوية قد تعهدت هذه المساواة وفرضتها على المؤمنين فى قول الله عز وجل: ((**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم**)) وليس هناك ابلغ فى التعبير عن روح المساواة بين الناس مما حوته روح هذه الآية الكريمة التى جعلت التفاضل بين العباد يجىء من مبدأ تقوى الله ، وتقوى الله هى الصلاح فى كل مفاهيمه ومعانيه ومقاصده وتطبيقاته .

لقد كان السلوك المحمدى كامل الانسجام مع المبدأ الالهى للمساواة بين الناس حين عبر الرسول عن ذلك بقوله الشريف الخالد: ((**الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى)) . لقد قضى هذا المبدأ على النعرات الجاهلية والعصبيات القبلية ومبدأ سيادة الاحرار واسترقاق العبيد ، فكان سلمان الفارسي مفضلا على كثيرين وكذلك كان بلال الحبشي**

نبي الاسلام ومجتمع السلام

وكلاهما كان عبدا حرره الاسلام . ولم يكن مبدأ المساواة مجرد شعار نادى به القرآن ورردده محمد ، وانما كان مبدأ مطبقا وقانونا ممارسا ، بل لقد طبق فى اروع صورة واكمل أداء وذلك حين اقترفت احدى الشريفات جريمة السرقة ، فلما اريد تطبيق الحد عليها سعى اسامة لدى رسول الله راجيا اعفاءها ، وهنا يغضب الرسول العظيم ويسارع الى تبصير الناس بالخطر الذى يحيق بهم اذا ما ابطلوا الحدود قائلا : أتشفعون فى حد من حدود الله؟ والذى نفسى بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

ان الصادق الامين يقسم بالله ــ وهو ادرى الخلق بخطر هذا القسم ــ على ان البتول فاطمة ، ابنته الأثيرة ، الزهراء الطاهرة ، أم حفيديه العزيزين على قلبه ــ لو سرقت لطبق الحد عليها وقطع يدها ، وهنا يكمن السر الأعظم فى السلوك المحمدى الذى لا يفرق بين فرد وآخر فى نطاق الثواب أو فى مجال العقاب ، ولا يكون المجتمع مكتملا أسباب الصلاح الا اذا تمثلت القدوة الصالحة فى كبرائه ، ولقد كان محمد خير قدوة للناس الى جانب كونه خير انسان بين الناس .

***

والاسلام الذى جاء بالهدى للناس وجعلهم جميعا سواء فحقق المساواة الكاملة بينهم ، هو نفسه الاسلام الذى ضمن للناس حرياتهم وامنهم على ارواحهم واموالهم واعراضهم ، فالاسلام محرر العبيد بلا ريب قد رسم السبيل لتحريرهم فى نطاق التشريعات المتتابعة لعتق النفوس وفك الرقاب بما يضمن القضاء المبرم على هذه الظاهرة الشاذة التى واكبت الحياة الانسانية منذ أن كان القانون الارضى مطبقا بين الناس ، بل ان العبودية كانت فى أوجها فى عصور ازدهار الحضارة اليونانية والقوة الرومانية .

لقد سعت الرسالة المحمدية الى تحرير الرقاب والى ضمان الحرية للناس واشاعتها بين المجتمعات ، ولكن الاسلام يدرك أن لكل شيء حدودا ، وان الحرية اذا أسيء فهمها وساء تطبيقها كانت الفوضى بعينها ، وانقلب نعيمها الى جحيم ، وخيرها الى شرور ، وصلاحها الى فساد .

ان محمدا الرائد يدرك ذلك وهو الذى ضمن للناس حرياتهم ، فيشرع للمجموع كى يحميه من عبث الفرد ، ويجعل الأصل فى الخير هو خير الجماعة الانسانية والأساس فى الحرية هو حرية المجموع ، ويقضى على كل تفسير للحرية غير سديد فى قوله الشريف : أن قوما ركبوا في سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع؟ قال: هو مكانى أصنع فيه ما شئت . فان أخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركز على سلامة المجموع ، جاعلا منها الاصل والمنبع ففى سلامة المجموع سلامة الفرد دون نزاع ، وان ذلك لا يصطدم مع فلسفة المحافظة على سلامة الفرد لان الفرد جزء من المجموع وليس العكس بالصحيح .

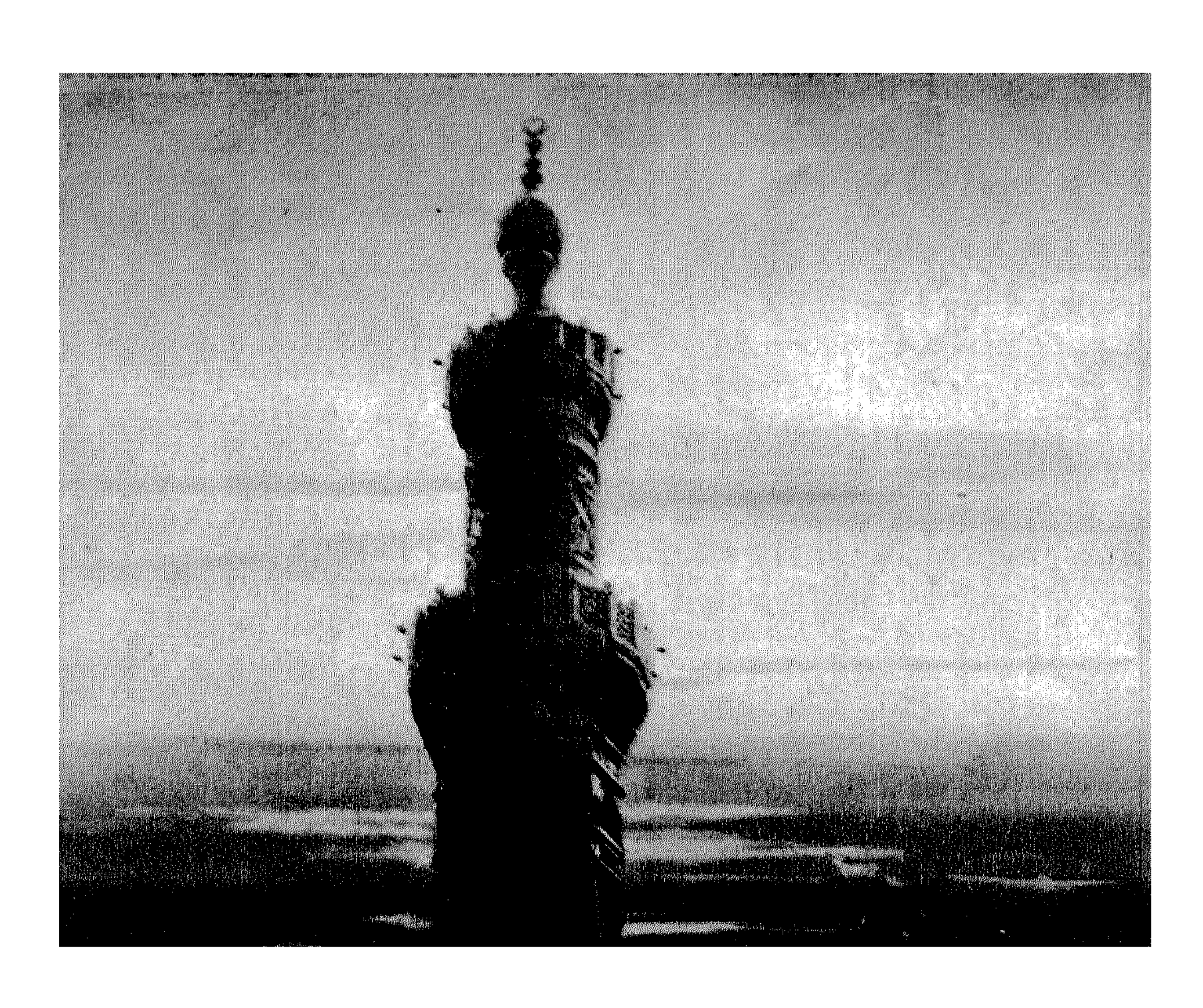
لقد قلت فى صدر هذا الحديث ان من يعرض للحديث عن السلوك المحمدى تتواكب الانوار أمام بصيرته وتتدافع القيم فى عقله وخاطره الى المدى الذى يوقعه فى حيرة أمام اى المعانى يأخذ وأيها يدع ، واى القيم يترك وأيها يختار لأنها من الثراء بحيث لا تنفد ، ومن النفاسة بحيث لا تترك ، ومن السمو بحيث لا يتسامى اليها .

بأبى وأمى سيدنا رسول الله ، لقد كانت رسالته السعادة والسلام ، وكان خلقه القرآن . ●

وعيبه أن معظم سكانه لا يعرفون مصادر
الثروة والقوة وما هو الجمال

عالم فسيح جميل فياض بالخير .. لو أردنا لكنا من أقوى أمم الأرض ولكننا لا نريد! لو أردنا لفعلنا ، فإن الدنيا إرادة وعمل ، وماذا تنفعك أرضك الخصبة وثرواتك التى لا حدود لها إذا كنت لا تعرف من وسائل العمل إلا الأوهام والكلام والأحلام .

بقلم الدكتور حسين مؤنس



عالم من الثروة والقوة والجمال

ان عالمنا الاسلامى جميل ..

● انه يمتد من حدود الهملايا الى المحيط الاطلسى، ومن شواطىء البوسفور وجبال الكربات في شمال يوغوسلافيا الى جنوبى خط الاستواء فى نيجيريا والكمرون والجابون وموزمبيق وانجولا .

ومساجد الاسلام ترتفع مآذنها فى جبال كشمير عند سفوح الهملايا وتزين ممرات الجبال فى أفغانستان ، ذلك القطر الجبلى الساحر الجمال ، وتمتد فى سلاسل طويلة من الابداع الفنى الجميل آلافا وآلافا من الاميال ، ولا يدلك على اختلاف صور الجمال فى عالم الاسلام شىء بقدر ما يدلك عليه اختلاف أشكال المآذن ، والفرق بعيد بين مئذنة قطب منار الرائعة فى دلهى ومئذنة جامع كانو في نيجيريا تحيط بهما القباب الخضراء البديعة ..

وعالم الاسلام في يومنا هذا حافل متسع ومساجده تصور اتساعه وتنوع حضاراته ، فقد رأينا مئذنة جامع فى سراييفو فى يوغوسلافيا صاغها المعمارى فى هيئة صاروخ نووى ، وفى لندن مسجد جديد فى حى ريجنت بارك اجتهد واضع خطته فى ان يجعل المئذنة والقبة على نفس طراز عمائر ناش التى تجاورها فى حى ريجنت ، وهذا المسجد مستقبلى اى يصلح ان يكون شاهدا معماريا على موقف الاسلام من حضارة هذا العصر .

وفي الكويت مسجد سيريالى فى حى ضاحية عبد الله ، وهو قطعة فنية رائعة لاتعجب الكثير من التقليديين ، ولكنها تعجبنا نحن الذين نفكر فى الاسلام فى ضوء العصر ونعرف أن مستقبل أمم الاسلام مرهون بقدرتها على مجاراة العصر ومطالبه ، والجمود لا ينفعنا فى شىء لأنه موت . والاسلام وأمم الاسلام لا يمكن أن تموت .

***

وقد تناول هذا العدد من « الهلال » مشكلات الاسلام والعصر من شتى نواحيها وفى هذه الصفحات نعطيك صورا شتى من بلاد الاسلام تصور لك جمال عالمك الاسلامي وما فيه من تنوع ، وما يتمشى في كيانه من علائم النهوض .

وجدير بالملاحظة أننا نحن المسلمين لا نعرف قيمة عالمنا الاسلامي أو أهميته فى عالم اليوم . وبعضنا تشغله ظواهر الامور مثل مسائل البترول أو علاقاتنا مع من يجاورنا من الامم ، فمنذ شهور وقع انقلاب افغانستان وتولت الحكم جماعة قيل انها تعمل لحساب روسيا، وزعم الكثيرون أن الشيوعية استولت على أفغانستان ، ولكننا نحن لم نفزع أو ننزعج ، لاننا نعرف تماما طبيعة شعب افغانستان ، فهم على بساطتهم من أشد المسلمين تمسكا بالاسلام ، ولا يمكن بحال أن ينحرفوا عنه ، ويكفى أن نقول انهم يسمون بلاد الهندكوش التى تقع بين الهند وافغانستان كافرستان أى بلاد الكفار ، لانهم لا يعرفون الا الاسلام ، وما عداه فى رأيهم كفر وضلال . والقوة الكبرى فى تلك البلاد هى الاسلام ، ولعلنا نرى اليوم ما يحدث فى ايران ، ونحن هنا لا نأخذ جانبا او نبدى فى المشكلة رأيا وانما نحن نقرر حقيقة ، وهي ان الاسلام فى ذاته اقوى من أى تيار . وانه مهما كانت العقبات فى طريقه فهو منتصر دائما .



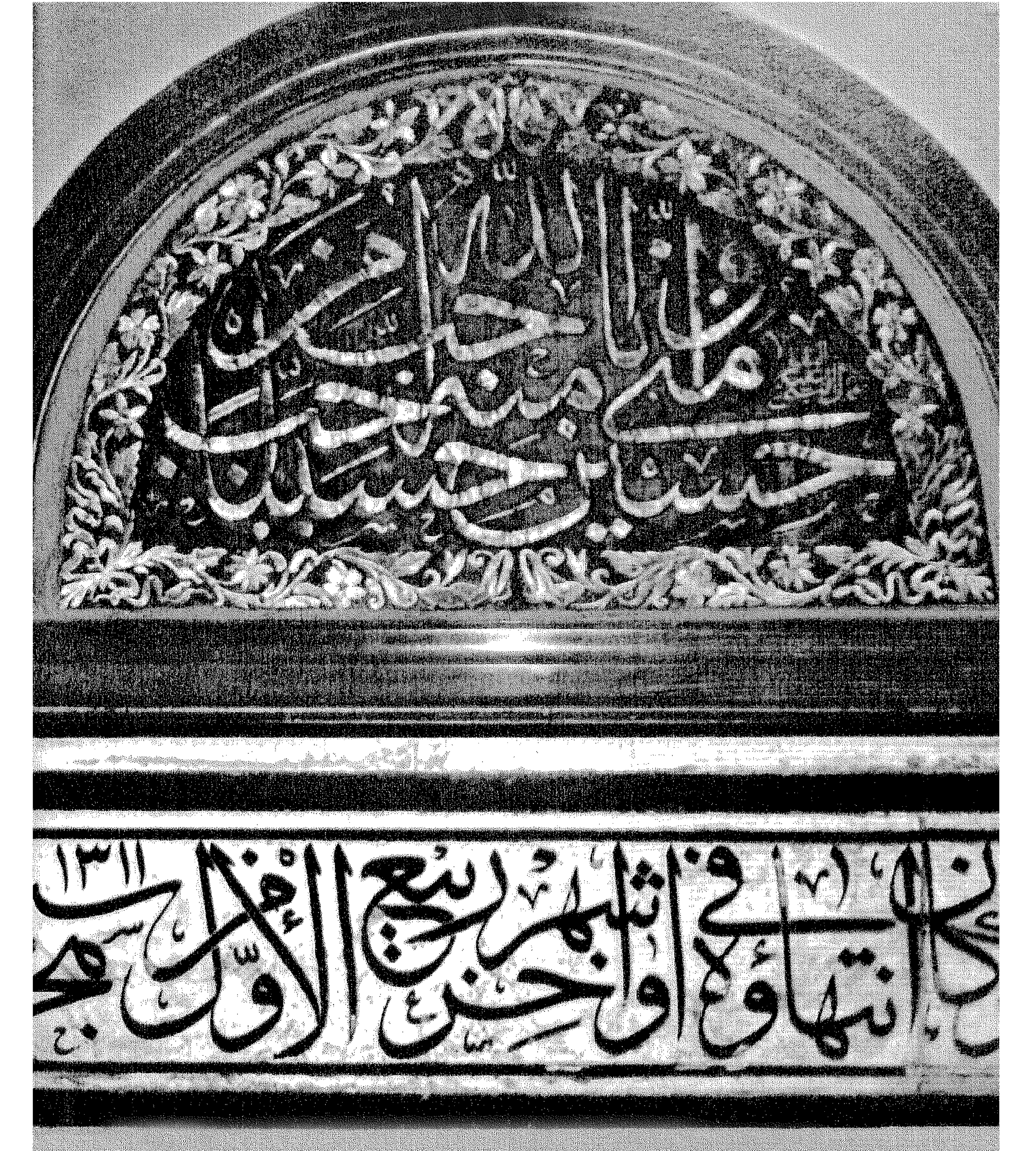
يعتبر مسجد ابى العباس المرسى بالاسكندرية الذى يبدو فى يمين هذه الصورة ويتميز بمئذنته المربعة من اسفل ، المسدسة من اعلى ، من معالم تاريخ العمارة الاسلامية . فان الذى وضع تصميمه هو المهندس الايطالى انريكومروسى الذى عاش فى مصر وخدم العمارة الاسلامية بتجديدها ، وانشا هذا المسجد ومسجد راس التين ومساجد اخرى كثيرة فى مصر واسلم فى اثناء ذلك ومات على دين الله

وعندما سقطت قوة الاسلام السياسية فى الاندلس بقى الاسلام ، ولم يجد الاسبان بعد ذلك للقضاء عليه فى بلادهم الا تصفية المسلمين تصفية جسدية بشعة عن طريق التعذيب وديوان التحقيق والطرد من البلاد ، وهنا فقط لم يبق فى الاندلس مسلمون ، ولكن حضارة الاسلام ظلت قائمة ، وانت اليوم اذا زرت اسبانيا احسست للوهلة الاولى ان الاسلام مر من هناك ، فهناك ، وفى الجنوب بصفة خاصة أثر اسلامى قوى وناس يفخرون بان اجدادهم كانوا مسلمين .

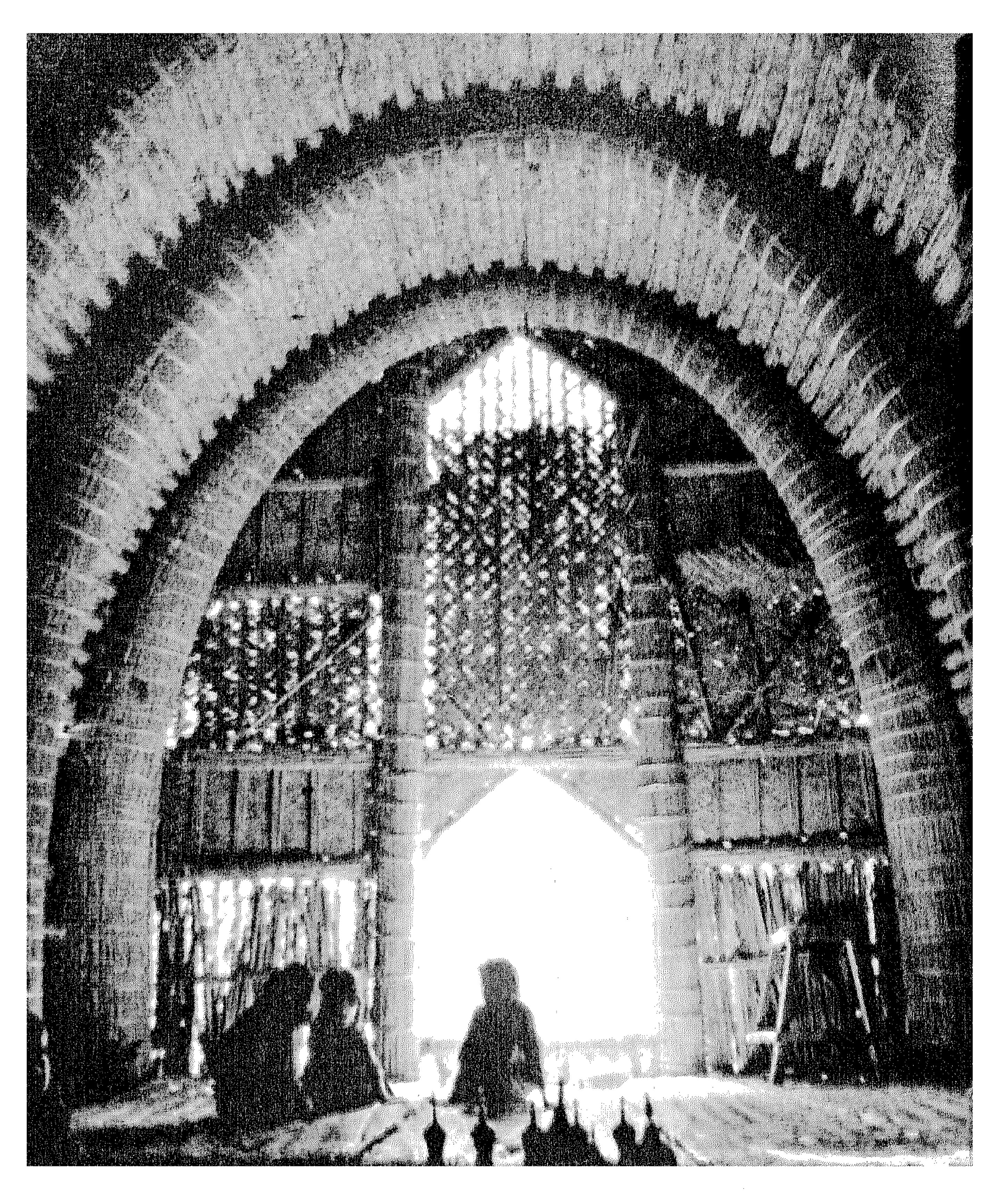
وكذلك الحال فى صقلية . ومن اغرب ما تسمعه اليوم فى ايطاليا انهم يقولون : لماذا اجتهدنا هذا الاجتهاد فى فصل صقلية وجنوبى ايطاليا « أبوليا وكلابرينا » عن عالم الاسلام ؟ .. وهذه بلاد كانت ولا تزال اسلامية الروح ، وهى جزء من تونس لا من ايطاليا ، وكان حال ايطاليا يكون احسن بكثير لو وقفت حدودها جنوبى نابولى .

***

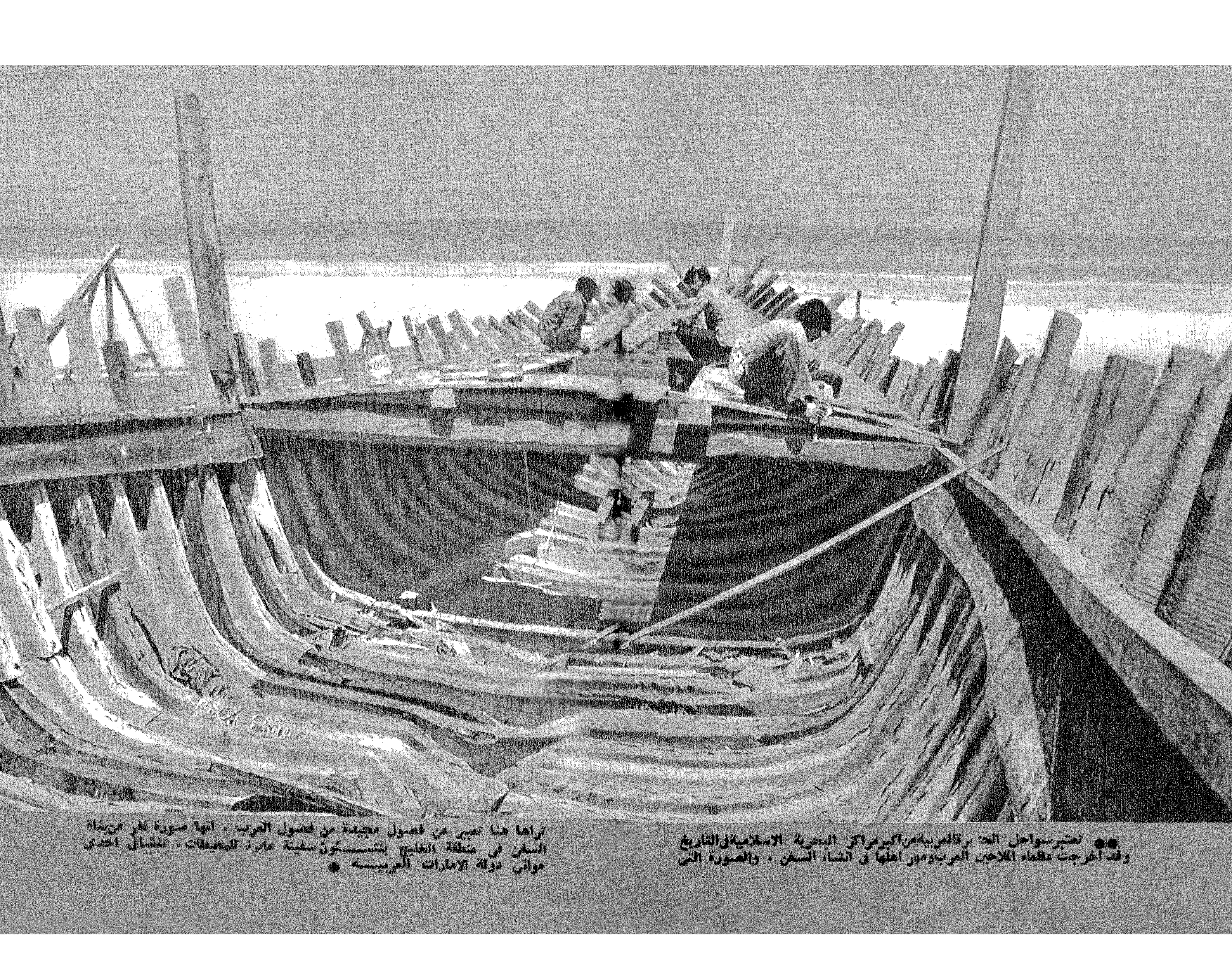
والمشكلة الكبرى التى يواجهها عالم الاسلام اليوم من الناحية الحضارية هى انه لا توجد بين شتى شعوبه صلات وعلاقات تعرف شعوب الاسلام بعضها ببعض ، وتشعر كل شعب مسلم انه **عضو فى جماعة انسانية حضارية تمثل خمس البشر ، ومن المسلمين يعرف ان كل خمسة بشر على وجه الارض منهم واحد مسلم ؟ ومن منا يعرف مثلا أن هناك بلادا اسلامية اجمل بكثير من سويسرا . ؟ .**



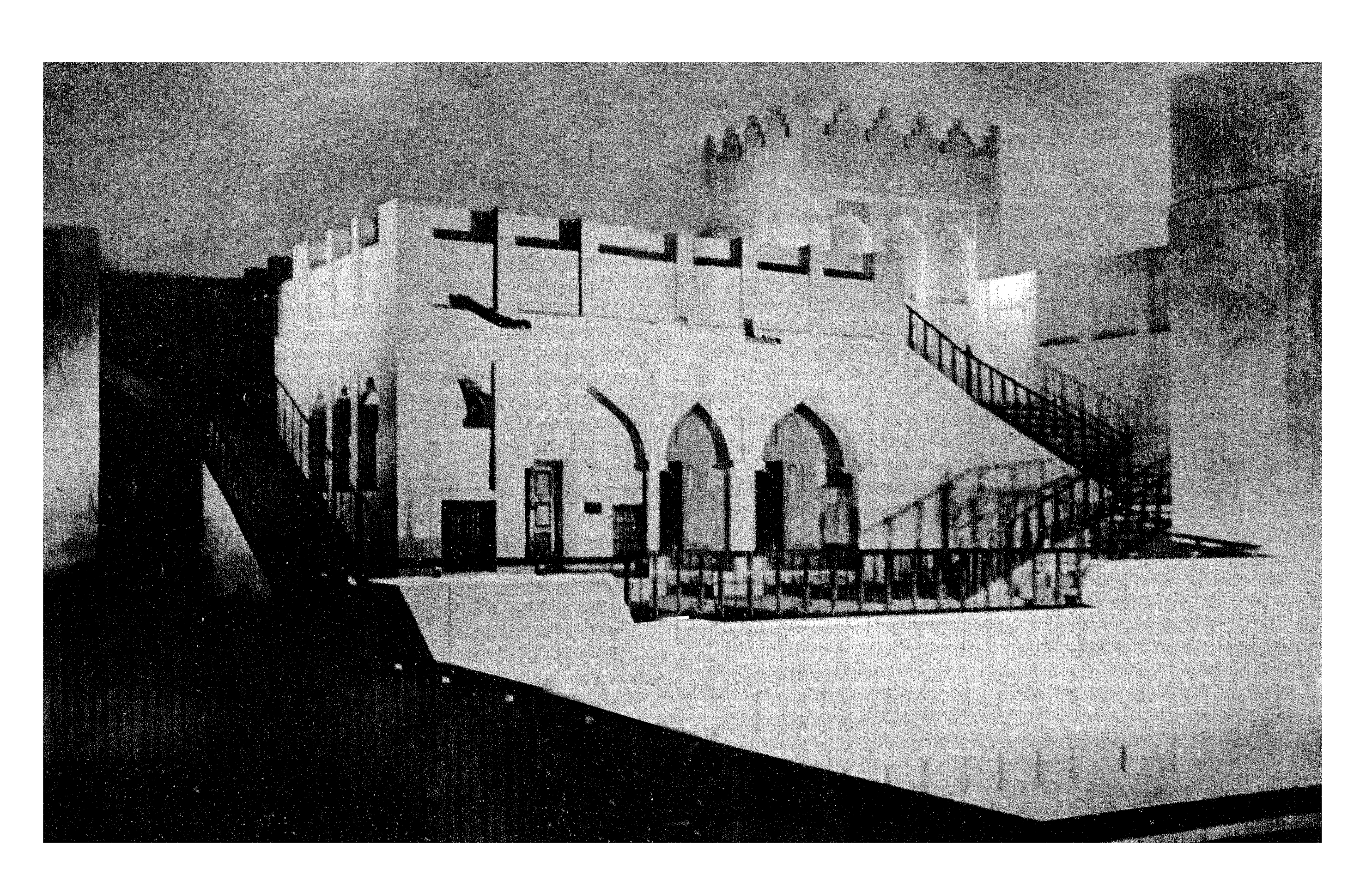
الكتابة العربية من اعظم عناصر الزخرفة الاسلامية ، وقد تمكن الخطاطون المسلمون من الابداع فى هذا الفن وتحويله الى عنصر جمالى أصيل ، وترى نموذجا لذلك فى اعلى مدخل المسجد الجديد للامام الحســـين ريحانة اهل الجنة وقد بنى المسجد سنة ١٣١١ هجرية .



هذه الصورة الجميلة تصـــور الحياة في منطقة من اجمل مناطق العراق منطقـة الأهوار في الجنوب ، والأهوار بحيرات من مياه الفرات ودجله وفيهـا جزر يعيش فيها الناس كما يعيش اهل فينيسـيـا وينشئون في الجزر بيوتا كلها من الغـاب والبوص والخشب ، انها عمـارة بديعة فريدة في بابها ، وفي الصورة مدخل بيت من هذه البيوت ، وأهل البيت يحتسـون القهوة العربية



●● تعتبر سواحل الجزيرة العربية من أكبر مراكز البحرية الإسلامية في التاريخ وقد أخرجت عظماء الملاحين العرب ومهر أهلها في انشاء السفن . والصورة التي نراها هنا تعبير عن فصول مجيدة من فصول العرب . انها صورة نفر من بناة السفن في منطقة الخليج يشيدون سفينة عابرة للمحيطات . لتشاهد إحدى موانئ دولة الإمارات العربيـــة ●



لا يعرف الكثير من القراء ان بلاد الخليج ذات ماض تاريخى بعيد فقد اقام الاسكندر الاكبر مثلا جالية يونانية فى جزيرة فليلكا الكويتية . ومن هذه الجالية نشات جالية يونانية اخرى فى شبه جزيرة قطـــر التى عرف تاريخها القديم عصورا من الحضارة المختلفة ما بين عربية وفارسية ، وبعض مخلفات البرتغاليين . وآثار هـــذا كله يحتفظون بها فى متحف قطر الوطنى الجميل الذى ترى صورته هنا



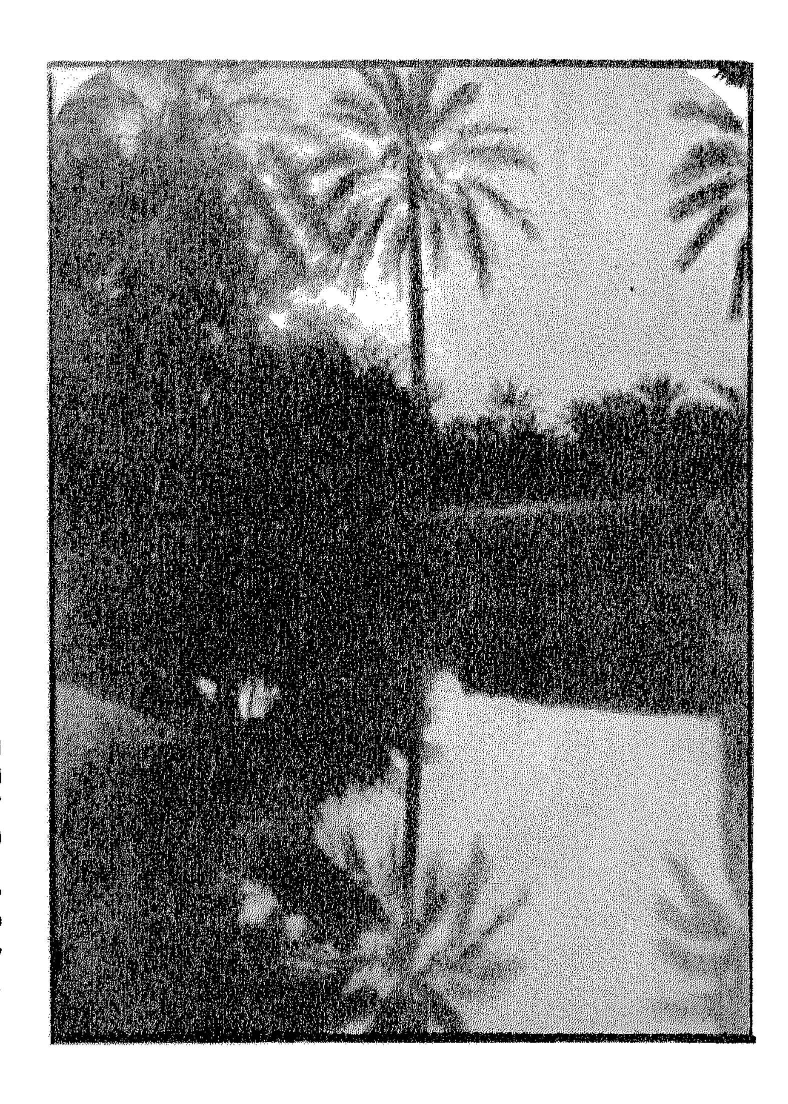
جامع الزيتونة من اجمل مساجد بلاد المغرب العربي وهو درة تزدان بها مدينة تونس ويرجع انشاؤه الى ايام الوالي العربي عبيد الله بن الحبحاب الذي حكم المغرب كله ابتداء من سنة ١١٤ هجرية ، وقد اعيد بناء المسجد على ايدي ولاة وامراء كثيرين آخرهم الخليفة المستنصر الحفصي

من منا يعرف أن جبال افغانستان تروع النفس بخضرتها وبهجتها ، وان شمال العراق وهو الموصل وما يليه شمالا بلاد رائعة الجمال من الممكن ان تكون أحسن مصايف الدنيا ..

ومن منا يتصور جمال منطقة جبال العلويين فيسوريا أو جمال بلاد المغرب التي يذهب اليها الفرنسيون لممارسة رياضة الشتاء ؟ وفي عالم الاسلام بلاد تزينها تلك الخضرة التي تبهرك في اجمل بقاع الدنيا التي تعرفها ، وهل تعرف مثلا ان كشمير اكثر بلاد الدنيا خضرة ، وان معظم الذين يذهبون لصعود الهملايا يقصدون كشمير ليستريحوا ويستجموا قبل المحاولة ؟.

وهل تعرف ان أجمل شواطىء الدنيا على الاطلاق هي شواطىء البحر الابيض من غربي الاسكندرية الى تونس ، واننا اذا انشأنا شركة عربية عامة للسياحة في البحر الابيض فان معظم السائحين الذين يزدحمون على الشواطىء الاسبانية سيجيئون الينا ، وان هذا المورد وحده كفيل بان يأتينا بمدد من المال يعدل اقصى ما يمكن ان يأتينا من اى مورد آخر بما في ذلك البترول ؟ .

لقد تنبه بلدان عربيان اثنان الى ذلك هما تونس والمغرب ، فجنيا من ذلك الملايين ، بل ان هناك جزيرة صغيرة تسمى جربة في خليج سدر الكبير ، وهي تابعة لتونس وقريبة من قابس ، هذه كانت جزيرة شبه قاحلة يسكنها قوم من الخوارج الاباضيين ، فتمكنت تونس ، بفضل حكومتها الرشيدة ان



البحرين تلك الجزيرة الصغيرة فى الخليج العربى، تعتبر من اجمل بلاد الاسلام والعروبة ومن اكثرها خضرة .. وتحيط بالجزيرة الكبيرة جزر أخرى صغيرة تشابهها فى الجمال والخصب مثل جزيرة النبى صالح التى يبدو منظر من مناظرها فى هذه الصورة

تجعل منها مصيفا من اجمل مصايف الدنيا ، وأنت تذهب الى هناك فلا تصدق عينيك : عشرات الفنادق الحديثة الجميلة وشواطىء ممتدة على مرمى البصر وكل ما تتطلبه السياحة الحديثة من مطالب ، كل ذلك انشأه التونسيون بتفكيرهم الهادىء السليم .

***

وهل تعرف ان اكبر بلد مصدر للبرتقال فى الدنيا اليوم هى المملكة المغربية ؟ لقد تفوقت حتى على اسبانيا ، و ((بورصة)) البرتقال العالمية مركزها طنجة ، واسعاره تحدد من هناك، لقد حاولت اسرائيل ان تستولى على سوق البرتقال ففشلت أمام المغرب ، لان اسرائيل فى حقيقتها كلام اجوف ،فكانت تشترى عشرات الالوف من اقفاص البرتقال المغربى وتاخذها الى ايطاليا وهناك تختم بعبارة ((مستورد من اسرائيل)) وأوهمت الناس انها تنتج من أرضها الصغيرة برتقالا يغطى كل أوربا ، ثم تنبه الناس الى ذلك اليوم .

المهم عندنا ان بلادنا فيها من موارد الخير والثروة والجمال ، مايكفى لكى نسير الى الامام بخطوات اسرع مئات المرات مما نفعله اليوم ، ولكننا لانعرف بلادنا ولا نعرف كيف نستفيد منها .

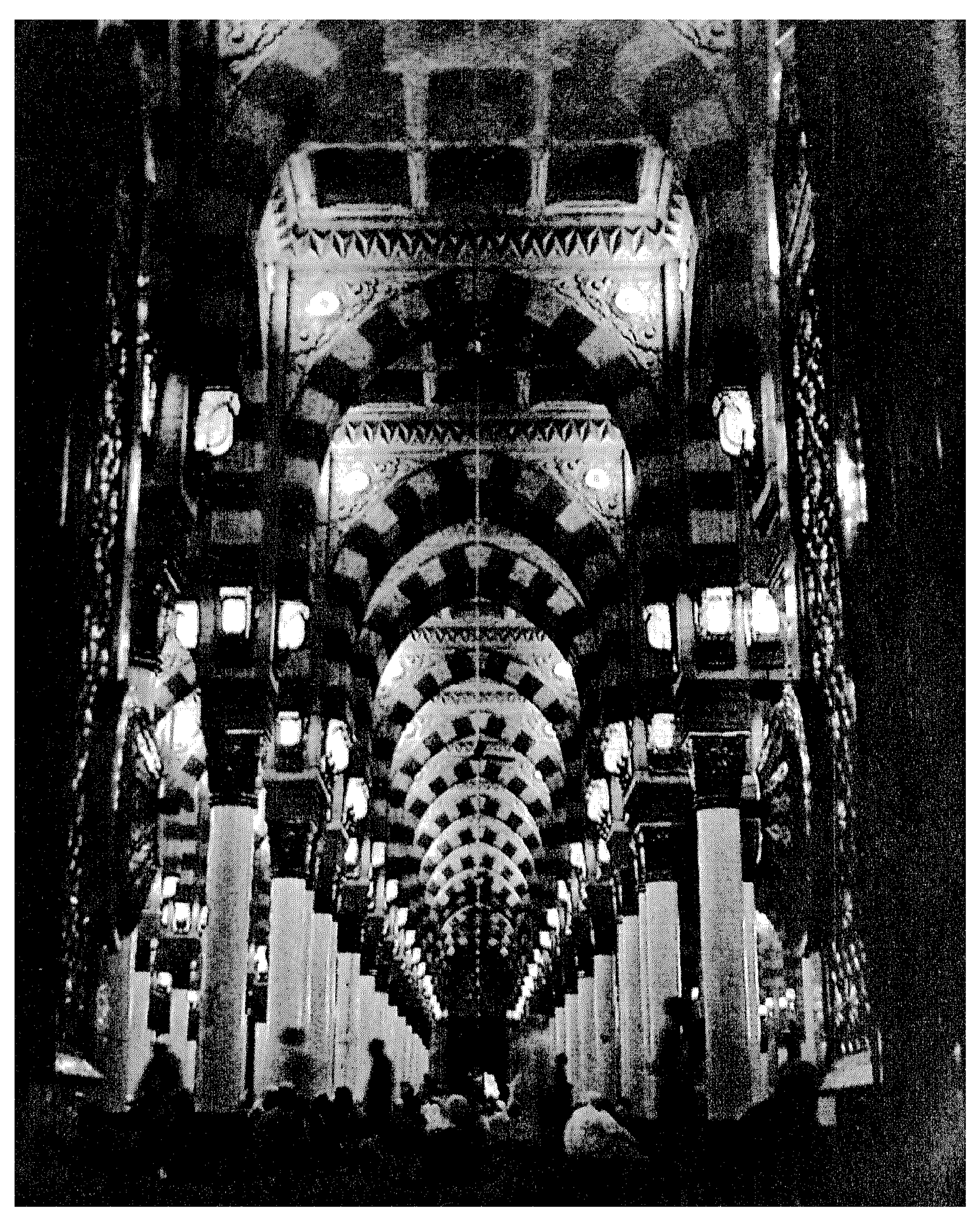
***

ليس يخاف على أحد أن عالم الاسلام يخوض معركة وجود .

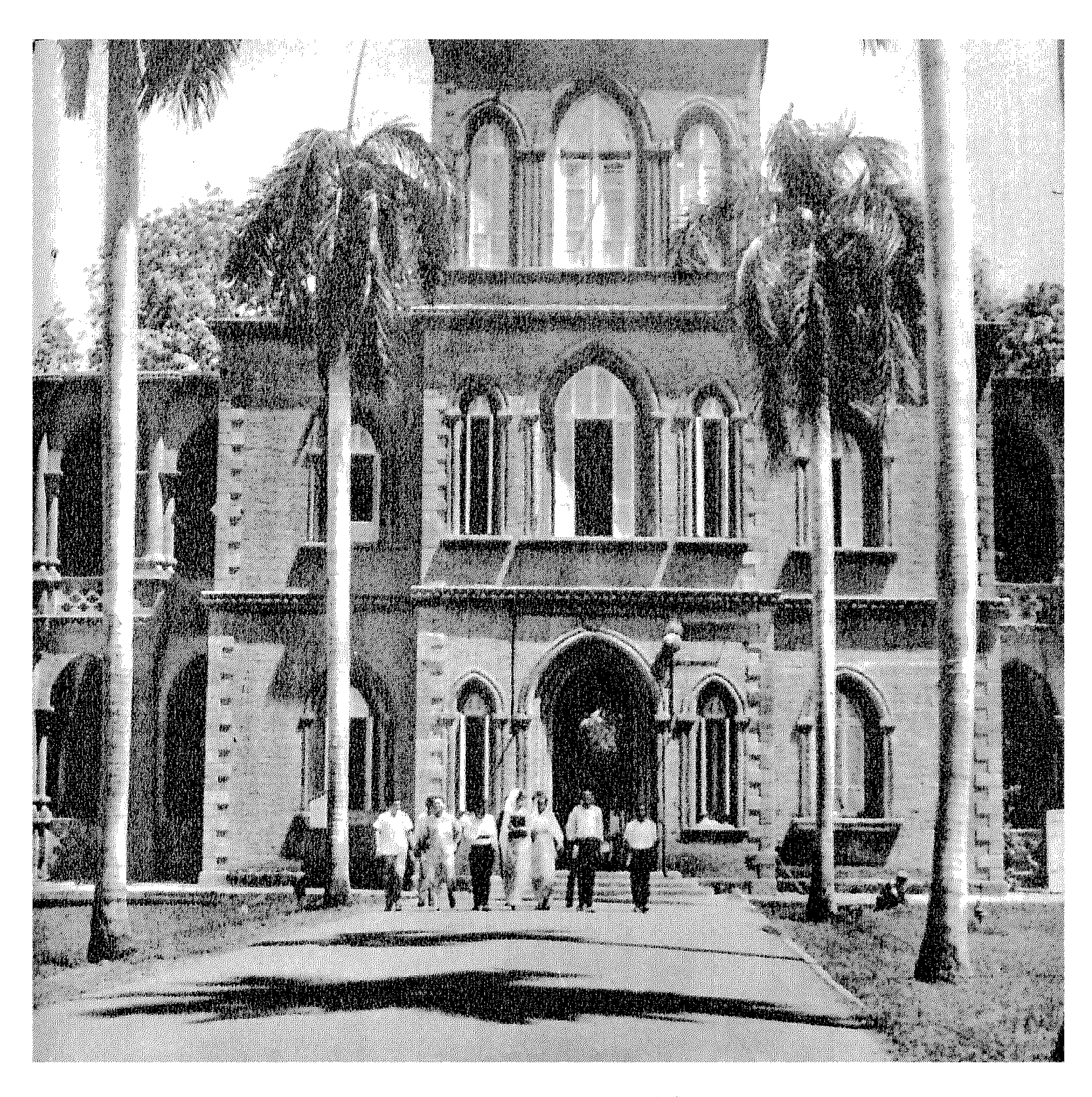
ولا ترجع هذه المعركة الى عداء خاص



تنتشر فى بوادى المملكة الاردنية القصور التى كان خلفاء بنى امية ينشــــئونها فى الصحراء لتكون مقاما لهم ولندمائهم بعيداً من اعين الناس مثل قصر المشتى وقصير عمره والقصر الأزرق الذى ترى اطلاله فى هذه الصورة .



هذا الرواق الجميل يعرفه كل من اسعده الله بالحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة . انه الرواق الاوسط للزيادة الجديدة فى المسجد النبوى التى انشاتها الحكومة السعودية على اجمل صورة يتصورها العقل . الرواق كله من المرمر وهو من تصميم مجموعة من المهندسين المعماريين المصريين



● جامعة الخرطوم تعد من معالم النهضة العربية الكبرى وهي من أعظم جامعات العالم الاسلامي وتمتاز بمركزها الرفيع وعمارتها البديعة كما ترى في الصورة ●

بيننا وبين غيرنا ، بل لأن المنافسة القاتلة هى أساس سياسة اليوم . روسيا نفسها تخوض معركة حياة أو موت .. الولايات المتحدة تكافح من أجل بقائها .. الصين مهددة بخطر الروسيا . واليابان يحاربونها بكل سبيل ، العصر كله عصر صراع مرير دموى ،ونحن من جملة العصر فلماذا نشكو ؟ .

بدلا من الشكوى علينا ان نواجه الدنيا كما ينبغى أن تواجه الدنيا .

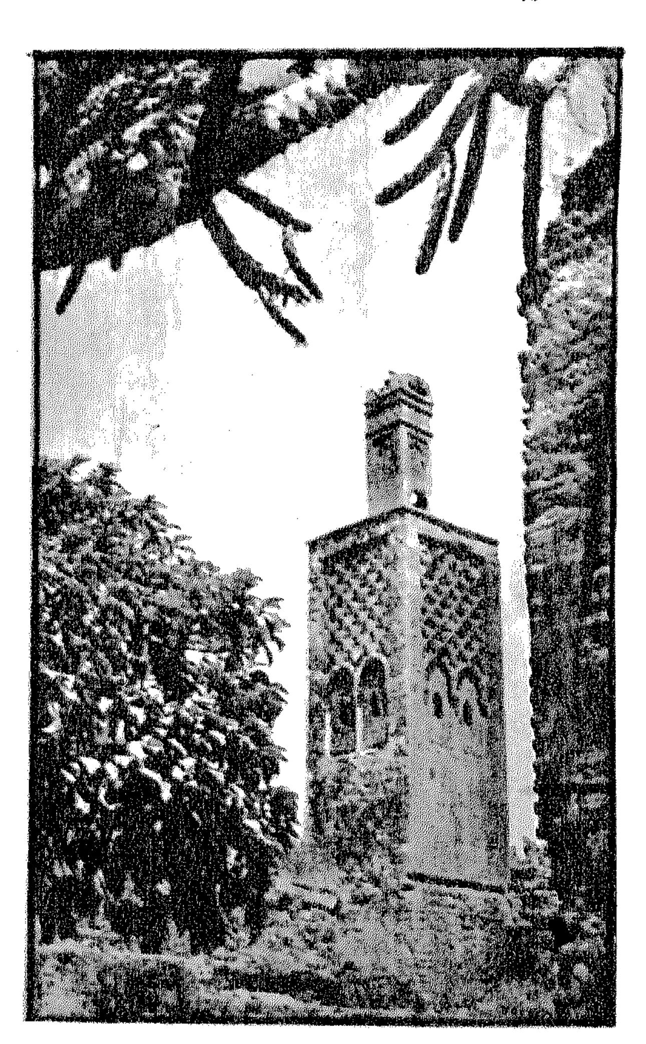
والدنيا لا تواجه بالشكوى أو المطالبة بالعدالة أو طرق ابواب هيئة الامم لأن هيئة الامم ـ ومجلس الامن أيضا ـ تدافع عن وجودها الذى ينعدم شيئا فشيئا . انها اليوم مجرد منبر للكلام ، للكلام فقط ونحن اذا لجأنا اليها فكما يلجأ أى مظلوم إلى المحكمة وهو واثق من

ان المحكمة لن تعطيه شيئا ، لانها حتى لو حكمت لصالحه فان الحكم لن ينفذ .
اننا نجهل الدنيا كما نجهل أمور بلادنا .

اننا نعقد اجتماعا تسميه قمة ونتخذ قرارات تزلزل الجبال كما نظن ، ثم ننتظر فلا يتزلزل تل واحد . والسبب ان القرارات نفسها لا تغير من واقع الامور شيئا ، انما الذى يغيره هو التنفيذ السليم .

اننا مثلا ظننا ان مشكلة السياحة عندنا هى مشكلة الفنادق ، ولكننا نتسى أن مشكلة زائر القاهرة تبدأ من

جامع حسان يعتبر أثرا فريدا فى بابه فى تاريخ العمارة المغربية ، فقد شرع فى انشائه الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف المنصور بعد ان اتم انشاء مسجد اشبيلية الجامع . ولكنه مات قبل اتمام مسجد حسان ، فظل قائما كانه سيمفونية لم تتم تشهد عليها تلك الصومعة البديعة فى مدينة الرباط .



ساعة نزوله المطار . حصوله على سيارة توصله الى الفندق مشكلة . بعض الزوار دفعوا ٢٠ جنيها ليصلوا الى الفندق

زائر اعرفه دفع جنيهين لينتقل من فندق شيراتون الى مبنى الجامعة العربية ليست المسألة مسألة فنادق فقط بل هى

مشكلة تفكيرنا الذى لم يتعلم الى اليوم كيف يفكر تفكيرا شاملا دقيقا حتى اذا حل مشكلة حلها فعلا لا مجرد توهمه انه حلها .. !

***

هل أقول ان مشكلة عالم الاسلام مشكلة عقلية ؟

فعلا ، هى مشكلة عقلية ..

مشكلة عقول لم تعرف بعد كيف

تنظر الى الامور نظرا سليما وتقوم بالعمل قياما سليما وتعرف ان درهم تنفيذ سليم خير من قنطار تنفيذ أعرج لا ينفع فى شىء .

ان عالمنا الاسلامى جميل غنى قوى . وأمامك صور منه تفيد ذلك ،ولكن عيبه

نحن ... عيبنا اننا لم نصح من النوم بعد ،ولم نفهم فى أى عصر نعيش وأى تحديات نواجه .

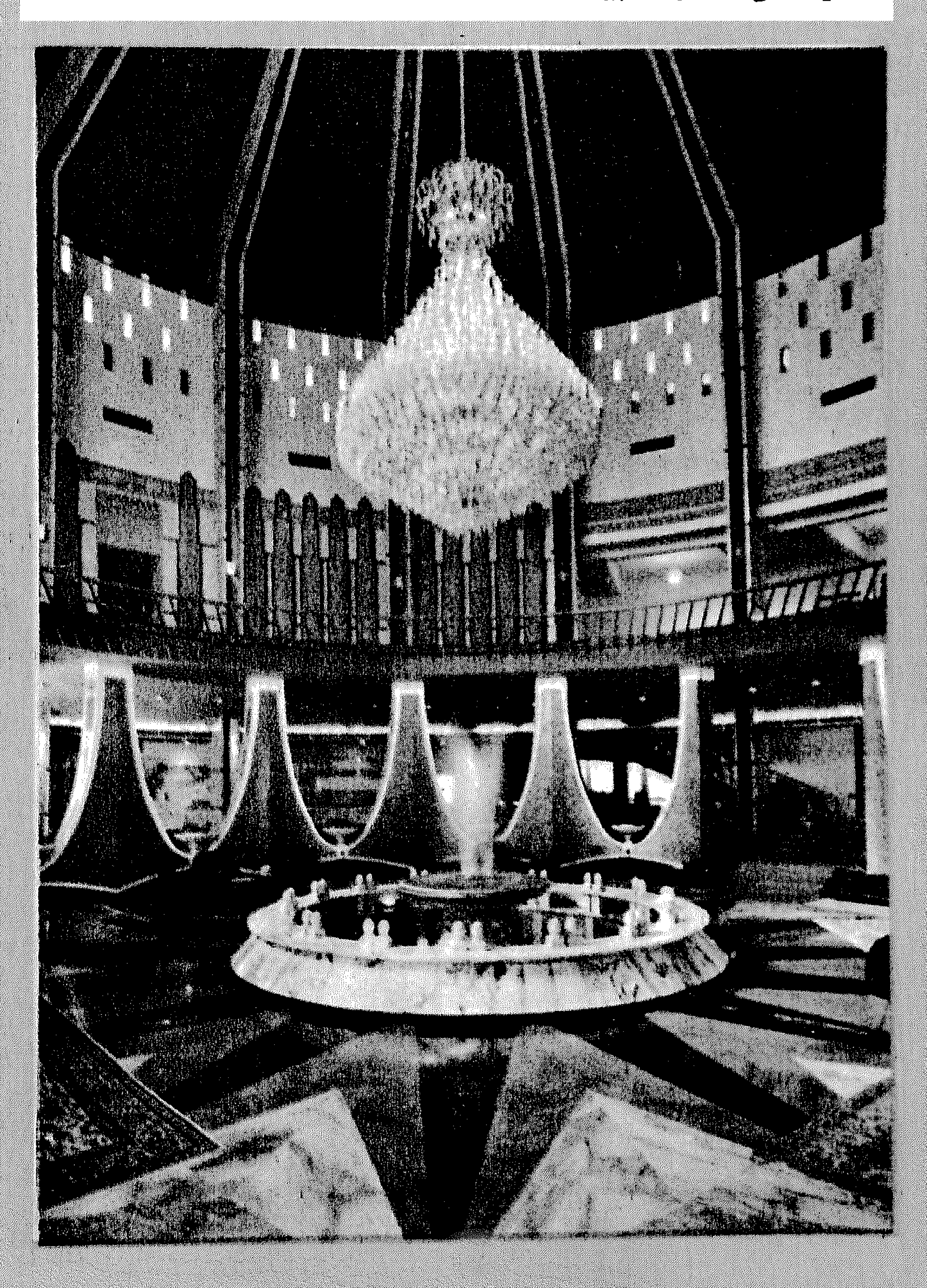
وهل من المعقول ان بلدا عربيا

يساعد مالطة بتقديم طائرات لها ، ويساعد الحبشة على القضاء على الاريتريين ، وهم عرب مسلمون ويترك أهل بلاده جهلة فقراء ويحسب أنه يفديهم بخطبه أو بصورة تعلق فى ميدان أو بكتاب ملون دعاية للبد يطبع فى ايطاليا ؟

اذا كنت لم تعرف بعد ما هو الكلام الفارغ ، فهذا هو الكلام الفارغ امامك . فكر وقل لى : الى أين ننتهى ؟

د . حسين مؤنس

من اجمل المنشآت المعمارية في الكويت قصر السلام الذي يســـتعمل اليوم دار ضيافة ودارا للمؤتمرات وكله من الرخام والمرمر المختلف الالوان ويمتاز بعمـــارته الحديثة التي لا تخلو من جرأة معمارية .





• ابراهيم عيسى •

❋ إذا ما جَفَّ زيتُ العمرِ في مِشكاةِ أيامي
وغابَ النورُ إلا ومضةٌ في كَفِّ أحلامي

❋ وتُهتُ على دروب الليل أستجدي سنا الفجرِ
وتاهتْ عن يَدَيَّ عصايَ حتى حِرْتُ في أمْري

❋ وكدتُ أذوب في بحرِ الحياةِ بغير أُلاّفِ
وضاعَت حِكمةُ الملاحِ لمَّا ضاعَ مِجدافي

❋ وأعْوَلَ موجُهُ العاتي •• على شهقات دمْعاتي
وأصبحَ موجُه يعلو على صوتِ الضراعات

❋ تمزّقني •• وتقذِفُ بي إلى المحراب والحانِ
فلُذتُ بنورِ توراتي وانجيلي وقرآني

❋ ورُحْت أفِر من ذنبي •• وأصرخُ في متاهاتي :
أنا الظلماءُ يا ليلَ العذابِ •• فأين نجْماتي ؟

❋ فانْ مال السّنا عني •• وجفّت فوقه دمعه
وَرُحْتُ أضيء في كهفِ الخطايا من دمي شمعه

❋ أرَى لله كفا تحتوى ذاتِي وتكْويني
وتمتد إلى روحٍ سَمَت عن عالَمِ الطين

الإسلام والأمن

● د . لواء كمال عبد الحميد ●

● مر بالقاهرة منذ ايام وفد امريكي من جماعة ((المورمانز)) ، وهي طائفة مسيحية محافظة تقيم بولاية ((اوتاه)) في غرب الولايات المتحدة ، وكان بين اعضائها صديق قديم ، هو الدكتور ((وليم لوثر)) . عرفته منذ عشرين عاما بمدينة ((سولت ليك سيتي)) ، وكان عضوا بمجلس ادارة صندوق ((بيت المال)) الذي اقامته الطائفة لجمع التبرعات النقدية : ((الفوائض العينية من الهبات والهدايا التي يقدمها ابناء ((المورمانز)) لتكون رصيدا قائما متزايدا لسد حاجة المحتاجين)) .. وقد تضاعفت أرصدة الصندوق منذ سنوات طويلة حتى استطاعت الطائفة تغطية الخدمات ومستلزمات الحياة بالولاية كلها ، بل واستطاعت ان تقدم قروضا ومعونات للحكومة الاتحادية بواشنطن في اوائل الثلاثينات ، عندما اختنق العالم بالازمة الشاملة .. وكانت هذه الصورة ماثلة في ذهني وانا أتهيأ للقاء الضيف الذي عرفت عنه ومنه كل الخير والصدق ..

● وحرصت على لقاء الدكتور لوثر لأقدم له ما أستطيع من الواجب ردا على ما قام به في زيارتي لجماعته حيث شهدت عندهم صورة مثالية للمجتمع المتجانس المتعاون في هدوء وانسجام ، فهم جميعا هناك يسعدون بالخدمة يقدمونها لمن يزورهم أو يقصدهم ، لا يعرفون الكذب ولا الغش ولا النفاق .. يتمسكون بالحق وبكل الفضائل ويعيشون بالايثار والحب ، ولا يدخنون ولا يشربون الخمر ..

ورأيت فيهم صورة حية للمجتمع الذي دعت اليه شرائع السماء وأوضحه الاسلام بكل أبعاده من حقوق وواجبات مما دفعني الى طلب المزيد من المعرفة عن فلسفتهم وعقيدتهم ، فلم أجدهم بعيدين عن الاسلام الا بالنسبة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهم يرونه قائدا ، ومصلحا اجتماعيا ، وزعيما انسانيا لا مثيل له... ويؤمنون بوحدانية الله ، وبأن عيسى هو نبيه ورسوله الاخير أكرمه الله منذ مولده ورعاه بالتأييد والمعجزات المادية ليواجه جدل وتحديات اليهود ..

دعوة جديدة لقمة دينية

● وفي لقائي الاخير بالدكتور لوثر علمت منه نبأ اهتمامه مع فريق من زعماء جماعته بالعمل من أجل الاعداد الى مؤتمر قمة عالمي لأقطاب وعلماء الاديان الثلاثة .. يمهدون له ليعقد في ((سولت ليك سيتي)) لمناقشة وتحديد مواطن الخلاف في التشريع بين

المذاهب والاديان ، املا في معالجة تلك الخلافات او حصرها ، وذلك للرجوع بالمجتمع الدولي على اختلاف مذاهبه وعقائده الى الله من اقرب طريق .. ففي ذلك تحقيق السلام الدولي عمليا عن طريق الشعوب ورجال الدين دون حاجة الى استمرار الانتظار لجهود القادة السياسيين ، بعد ان ثبت ان اكثر قادة الشرق والغرب يعملون من اجل الانفراد الى السيطرة على العالم ويزايدون بسلام الشعوب لمجرد الدعاية لانظمتهم وفلسفتهم الاستراتيجية .

● واضاف لوثر بأنه لم يفقد الامل فيما سعى اليه منذ ثلاث سنوات منذ بدأت من مدينته الدعوة للحوار الدولي في الاديان .. وان تحقيق مثل هذا الحوار سيكون فرصة للاحتكام العقلي لكل ما يفرزه الحوار من قضايا ، ولعل ذلك يؤدي الى وحدة فكر ، أو وحدة عقيدة ولو على مراحل وئيدة .. فيكون ذلك هو اعظم امل يتحقق للبشرية منذ خلقها الله ، ويسود السلام والوئام بين الناس ..

وكان تصور الرجل انه لابد وان يسبق هذا الحوار الدولي تمهيدات مرحلية تقوم بها قطاعات الاديان الثلاثة ، فيجتمع المسيحيون لتوحيد جدول عملهم . وكذلك يوحد المسلمون كلمتهم وبالمثل يفعل اليهود .. وتكون المرحلة الاولى للحوار خاصة بالتشريع والسلوك الفردي والجماعي ، على اساس ان تترك جواهر العقائد الى مرحلة تالية بعد ان تظهر ثمرة وحدة التشريع الاجتماعي المقتبسة من الشرائع السماوية اولا ...

ولقد درس لوثر وزملاؤه الاسلام ، وعرفوا انه اكثر الأديان حصيلة وثروة في التشريع ، ولكنهم مع ذلك يتحفظون بالنسبة لبعض القضايا . وكانت هي موضوع حوارنا المحدود بالنسبة لعلاقتها بأمن المجتمع واستقراره ، اي باستراتيجية الأمن للمجتمع ، على أساس ما تتضمنه الاستراتيجية من كافة الاعتبارات والتجهيزات المعنوية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية بالمفهوم العصري السائد

الاسلام والأمن الاجتماعي

● وكان الموضوع الأول متعلقا بالأمن الاجتماعي وموقف المرأة في المجتمع ، وخاصة وان الاسلام اباح صراحة تعدد الزوجات ، بجانب ما منحه لها من حرية كاملة في التعامل والتحرك والاعتقاد الديني والعمل السياسي والتجاري ، بما لم يتطرق اليه دين آخر وبذلك ظهرت أمام غير المسلمين ما يشبه المتناقضات فيه حول موقفه من المرأة .

● فكان الرد على هذه المؤشرات او المتناقضات .. هو بان الاسلام اكرم المرأة دائما بغير تناقض وباكثر مما كرمها اى تشريع مفروض او موضوع فقد منحها كل حقوق الحياة الكريمة ودعا الى تربيتها وتعليمها والمحافظة عليها واعطاها حق المبايعة ((السياسية)) في اختيار ولي الأمر ، وامتدت حمايته لها حتى بعد وفاة زوجها او عائلها فاعطاها من الميراث وفرصة الزواج حتى ولو من رجل متزوج . فخير لها ان تعيش معه من ان تبقى طريدة او وحيدة ، فتنضطر الى الانحراف وخاصة في مجتمعات ما بعد الحروب حيث يقل عدد الرجال . وقد كانت اباحة تعدد الزوجات علاجا واقعيا مطهرا للمجتمع من التغاضي والاعتراف بذيوع العشق والفساد بين الأزواج والزوجات كما هو الحال فعلا في كل المجتمعات غير الاسلامية .. وللعلم ، فلم ينفرد الاسلام باباحة تعدد الزوجات من حيث المبدأ بل سمح به البابوات من كنيسة روما في حالات كثيرة كحالة ملك فرنسا .. شارلمان !



وبالرغم مما أباحه الاسلام من تعدد الزوجات فقد اشترط لذلك ضرورة العدل في المعاملة بين الزوجات مع ضمان القدرة على الانفاق ، وسمح بالتعدد في حالة مرض الزوجة أو في كونها عاقرا ، فالأكرم لها أن تبقى في عصمة رجل متزوج بدلا من ان يستبدل بها زوجة أخرى وتبقى هي بعدها وحيدة في مهب الريح ..

اذن ، جاءت حكمة تعدد الزوجات لحماية المرأة أولا ، والمجتمع ثانيا ، ومع ذلك أشار القرآن صراحة بالنسبة للعدل في المعاملة بينهما بقوله : ((**فان خفتم الا تعدلوا .. فواحدة**))

والأمن السياسي

● وبالنسبة لموضوع نظام وأسلوب الحكم السياسي في المجتمع ، فقد تعرض الاسلام للأركان الأساسية التي يقوم عليها الحكم السوي ، وهي **المساواة والعدل بين الجميع ،** فلا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى .. وأن يكون الأمر قائما على الشورى فلا تعسف ولا استبداد بالرأي ، وفتح مجال الاجتهاد لأولي الأمر للأخذ بما ينفع الناس وفقا لمقتضيات التطور الفكري والاجتماعي لقياس الأمور بأشباهها ـ ((**فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله**)) على أساس عرض موضوع الخلاف في أي مشكلة على قواعد الدين وعلى أساس أن الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر وبشرط أن ((**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**)) وأن يكون الاحتكام الى العقل موطن الحكمة مع الالتزام بالعدل والقسط بين الجميع .. ((**كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم .. أو الوالدين .. أو الأقربين**)) ، وفي آية أخرى : ((**اعدلوا هو أقرب للتقوى**)).

● **ولم يقم الاسلام كما زعم خصومه بحد السيف** .. ولم يدع الى العدوان والابادة ، بل كانت دعوته دائما الى السلام والأمان ، ولو اقتضى ذلك الاضطرار الى القتال دفاعا عن النفس والعقيدة والعرض والأرض وللحماية لها كلها .. ودعا الاسلام الى **التعايش** مع جميع الناس ، ولم يفرض الاسلام نفسه بالقوة أو القهر ((**وجادلهم بالتي هي أحسن**)) ـ و ((**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وهو محسن**)) ـ ((**كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء**))

ولقد اعتمد الاسلام على المنطق والحكمة بالاحتكام الى العقل الذي أكرم الله به الانسان وفضله به على كل العالمين ، فبه استحق آدم أن تسجد له الملائكة ، فهم ((يفعلون ما يؤمرون)) ، أما الانسان فبعقله منحه الله نعمة وابتلاء الاختيار ((ليميز الخبيث من الطيب)) فكان بذلك سيد الأكوان ، فبالعقل تميز الانسان ، وبالاسلام كملت للانسان وسيلته .

دعا القرآن الى تحكيم العقل والاسترشاد بنوره الذي أودعه الله فيه ، وأن يكون التدبر أساسا للعمل والتحرك ـ ((**أفلا يتدبرون القرآن**)) .. وهل هناك وسيلة أو طريق أعظم لتكريم الانسان من أن يترك الله عز وجل عبده ليقرر بنفسه وبمحض اختياره طريقه الى المعرفة بنفسه وبالله ؟ ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) .

هذا ما أوضحه الاسلام في تكريمه للانسان ليختار طريقه ، ويختار أولي الأمر منه ، وهذا أسمى تطبيق لمفهوم

الحرية ..

الإسلام والحرب ..

● واما الحديث عن الحرب والسلام ، فقد دعا الاسلام الى السلام الحقيقي وحث على ضرورة الاستعداد لحماية وتامين السلام حتى ولو اقتضى الامر خوض القتال من اجل السلام والكرامة والحرية وكلمة الحق ، وهذه كلها هى معالم سبيل الله ، ونص صراحة على عدم البدء بالعدوان ((**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا**)) وأعلن بأن ((**الله لا يحب المعتدين**)) .

ولم يتجاهل الاسلام حقيقة الحكمة فى أن الحرب ظاهرة حتمية لتطور الحياة وهي ضرورية لتطهير المجتمعات من حين الى آخر حفاظا على الحق واحياء له ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين))

ولهذا أوضح الاسلام .. آداب الحرب ، ودستورها، وضرورة الاستعداد لها ، لفرض الحق أو استخلاصه ((**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**)) ومع ذلك دعا الى السلم بقوله ((**فان جنحوا للسلم فاجنح لها**)) ، وقد أوصى الرسول قادته وجنوده وهو الذى ((**لاينطق عن الهوى**)): أغزوا باسم الله وفي سبيل الله ولاتغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا، ولا شيخا ولاكبيرا ولا امراة.. ولاتذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكلة .. ولا تهدموا بيتا، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة .. الخ » ..

الامن الاقتصادى للمجتمع

● وبقى موضوع هام يتعلق باستقرار وأمن الجبهة الداخلية وسياساتها القائمة على أمنها الاقتصادي ..

فلقد كانت « المشكلة أو المسألة الاقتصادية » هي أخطر قضية واجهت الانسان منذ وجوده وبسببها اختصمت الجماعات وتقاتلت القبائل ، واشتعلت الحروب بين الدول والكتل الاقليمية وفى فكلها دارت وتشتت المذاهب والفلسفات الايديولوجية بين الشرق والغرب وفيما بينهما ، وقامت انظمة وعقائد بين الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية وانظمة اخرى ، فشلت كلها تماما فيما دعت اليه لتلبية حاجة الانسان ورخائه واستقراره .. وها نحن نرى كل يوم تحولا وتطورا فى النظريات والتطبيقات الاقتصادية ، وميل كل جانب الى خارج محوره ، والخروج تدريجيا عن مبادئه ومثله ونظرياته واستمرار التعديل والترقيع فيها ..

وذلك كله دليل فشل كل ما هو موجود من نظم ونظريات ، فى حين أن تجربة التطبيق للتشريع الاسلامى سبق أن اثبتت نجاحا فريدا لم يعرف له مثيل فى التاريخ حتى امتد ظلها من اقصى الصين شرقا الى الأندلس غربا فى اقل من نصف قرن ، بما عجزت عن تحقيق مثله كل قوى الأرض بالرغم مما تملكه حاليا من كافة مقومات الفتح والانتشار والاستثمار ..

نعم ، كانت شريعة الاسلام هى وحدها التى حققت الاستقرار ، والرخاء ، والسلام ، والقوة .. فقد احترمت للفرد حقه فى الحياة والكسب والعمل والامتلاك ، وفرضت فى نفس الوقت الزكاة وحق المجتمع على

الافراد ، فصار العطاء عاما ومنتشرا وفتح الاسلام ميدان الارث ونظم قواعد التوريث تقضي بهدوء واقتناع على النظام الطبقى ، وأوسع دائرة الانتفاع بالملكية بين الورثة ، فلا حقد ولا ضغينة . وقد قال «لوبون» عن ذلك فى كتابه « حضارة العرب » بأن «مبادىء المواريث التى نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف» كما فتح الإسلام مجال التوصية للانفاق على وجوه الخير والأيتام والغرباء وفى سبيل الله .. وحدد للفقراء حقوقهم فى الغنائم والفىء ، وحرم تكنيز الاموال ، ودعا الى توظيفها واستثمارها لصالح المجموع كما دعا صراحة الى عدم الاسراف وحث على الاعتدال والادخار، ووصف المبذرين بأنهم « اخوان الشياطين » .. وشدد على الحفاظ على اموال اليتامى والقصر الى أن يبلغوا اشدهم ، والى ضرورة التعاقد المكتوب فى المعاملات وبوجود شهود ، منعا للحساسيات والخصومات والظلم فى التعامل .. وحرم الربا ودعا الى حرية التجارة ، وحث على الانفاق فى سبيل الله ، وان يكون الانفاق من طيبات ما رزق الله به عباده ، وحرم القمار والتلاعب بالكيل والميزان ..

وهكذا تعرض الاسلام فى صراحة وقوة لمعالجة كل قضايا الاقتصاد بالحكمة التي اظهرها الله فى كتابه الكريم وبذلك كانت استراتيجية الاقتصاد الإسلامي فريدة فى مكوناتها وقواعدها على مستوى مسئولية حاجة الفرد والجماعة . وبذلك تقط تحل كل مشكلات الحياة من الفقر ، والقلق والفساد ، والاحقاد، فتستقر المجتمعات ويسود الرخاء ، وهذه غاية الغايات لكل ما قدمته البشرية من محاولات فى التشريع والتقنين ، وباءت كلها - وهي بعيدة عن شريعة الله - بالفساد والفشل المبين

التسلح الخلقى والقلق

وكان آخر ما تحدثنا عنه ، تعليقا على انباء مذبحة « معبد الشعب » التى اعدها القس « جونز » فى جويانا - أن علل الدكتور لوثر ذلك بقوله بأن هناك جماعات كثيرة اتجهت الى الشذوذ فى الفكر والسلوك هربا من اليأس والضياع ، وخاصة بعد حرب فيتنام التي طالت بأكثر مما استغرقته اى حرب اشتركت فيها الولايات المتحدة ، ومع ذلك لم يعلم اى مواطن امريكي حكمة التورط في تلك الحرب فى الوقت الذى عرف فيه بلاده بأنها الداعية الى الحرية والسلام ... وبذلك راى الامريكيون تناقضا عجيبا ولفاقا اعجب من القادة والساسة لافي بلدهم وحدها بل وفى العالم كله ، فتحطمت المثل العليا للديمقراطية والصدق السياسى والتعاون الدولى ، فانحرف الشباب بصفة خاصة الى الجنس ، وادمان المخدرات وممارسة الجريمة باصرار وتفنن كسلوك للتمرد والتحدى ..

وكان رد الفعل الثانى ، الاتجاه أو الهرب الى منافذ اخرى والاستجابة السريعة الى اى دعوة براقة تستقطب النفوس الهائمة للهروب الى السلام سواء بالتسلح الخلقى الحقيقي كما حدث فى جماعة الدكتور فرانك بكمان فى سويسرا ، أو فى الدعوة الى الخلوات الدينية ، كما دعا القس جونز وغيره من أصحاب الدعوات والطقوس الشاذة ..

● وهنا نقول ان الاسلام دعا فى وضوح وطمانينة الى الاصلاح بكل صورة ، اصلاح للبدن والنفس والعقل والروح .. اصلاح للفرد والجماعة والمجتمع .. والعمل الايجابى للانتاج والخدمات ، ووضع حدود المعاملات بين الناس ، وشرع أحكام هذه المعاملات من ثواب وعقاب . وخص بالجزاء الذى أوضحه الله بحكمته بالنسبة للجرائم الكبرى حتى لايكون فيها جدل أو اجتهاد أو ميل عاطفى ، وهى :« جرائم .. القتل ، والسرقة والزنا ، وقطع الطريق ، والفتنة والبغى ، والقذف .. » فلا هوادة مع الآثمين فيها ، وترك مع ذلك حدود الجزاء فى غير ذلك من الجرائم لاولى الأمر لتحديد العقاب وفق ظروف الزمان والمكان ، وخصوصا للجرائم الشائعة الناجمة عن احتكاكات المصالح والبشر اليومية ..

● ولعل موضوع قطع يد السارق كان اكثر ما تحدث الناس من غير المسلمين عنه ، ومع ذلك فقد شرط الاسلام فيه اعتبارات معينة لتحديد تنفيذ القطع ، فمثلا :

● **شرط أن يكون السارق عاقلا ورشيدا .**

● **وان لا تكون السرقة بسبب الجوع أو الحاجة الشديدة .**

● **واذا كانت السرقة من مال الغير وليس للسارق حصة فيه .**

● **واذا كان المال المسروق، متحفظا عليه ، أى ليس مشاعا كالانعام التى النى ترعى فى الطريق بغير راع .**

وهكذا جاء الاسلام ملائما ومهيأ لكل عصر ، ومن يدرسه بامعان يكتشف فيه المزيد من المعرفة ونور الحق فهو بالفعل شريعة السماء التى اهداها الله نعمة كاملة للانسانية لتكون لها نبراسا دائما على كل العصور من أجل استمرار الحياة كما أرادها الله نعمة لعباده . ولقد صدق قوله عز وجل :

« اليوم اكملت لكم دينكم .. واتممت عليكم نعمتى .. ورضيت لكم الاسلام دينا »

وبذلك ختمنا حديثنا مع ضيفنا الذى غادر مع جماعته مصر الى الشرق ليجمع معلوماته ويمهد لدعوته الى مؤتمر قمة الاديان ، من اجل العودة الى الله .. من أجل السلام ..

فى العدد القادم

نتيجة مسابقة :

لا تصدق كل ما تقرأ

لا تزال لجنة المسابقات فى «الهلال» توالى فحص ردود المشتركين فى مسابقة « لا تصدق كل ما تقرأ » لاختيار الاجابات الصحيحة من بين آلاف الرسائل التى حملها البريد الينا طوال فترة المسابقة .....
وسوف تجرى القرعة بين اصحاب الردود الصحيحة
ونعلن اسماء الفائزين فى العدد القادم باذن الله

المناهج الإسلامية الحالية لا تمثل الإسلام الصحيح

● د . احمد شلبى ●

● عندما نقول ان الاسلام يناسب العصر الذى نعيش فيه، فان ذلك يدخل ضمن النطاق الذى اتفق عليه المسلمون، وهو أن الاسلام دين كل زمان ومكان، وليس هذا القول منبعثا عن تسرع او عصبية دينية ، بل هو نتيجة لاستقراء تاريخى ، ولتتبع الاحداث .

فاذا نظرنا الى الاقطار التى استقر الاسلام بها فى هذه المساحة الشاسعة من الارض وبين الشعوب السامية او الآرية او الحامية ، نجد ان جميع هؤلاء الاجناس لم تحس أبدا أن الاسلام وافد غريب ، وانما احست أنه دين لها ، تعمقت فى ثقافته ، ونعمت بتشريعاته ، وظهر فيها مفكرون فى الدراسات الاسلامية على مستوى رفيع ...

ففى أندونيسيا ظهر محمد ناصر ، ومحمد حتى ، وشكرو امينوتو .. وفى افريقيا ظهر عثمان انفديو ، وأحمدو بولو ... وفى الهند وباكستان ظهر اقبال ومولاى محمد على ... وفى افغانستان وفى كل منطقة فى العالم الاسلامى نجد علماء من أهل المنطقة ، وهو شيء لا نكاد نجد له نظيرا بين الأديان الأخرى ، فلا يزال البيض يقودون الكنائس والبيع فى ربوع افريقيا وجنوب شرقى آسيا على الرغم من أن المسيحية دخلت هذه البقاع منذ عدة قرون ...

وتعتبر مصر بحق نموذجا فريدا على أن الاسلام دين كل زمان ومكان ، فقد تلقت مصر الدين الاسلامى الذى حمله العرب الوافدون به من الجزيرة العربية، وتلقت مصر كذلك لغة القرآن من هؤلاء الوافدين ، وسرعان ماقامت بمصر مدرسة اسلامية واصلت جهدها وجهادها حتى أجادت الدراسات الاسلامية واللغة العربية خير اجادة ، وقدر لها أن تحمل هذه الدراسات الى الجامعات فى مهبط الوحى ، وتحمل اللغة العربية الى معاقل العرب فى نجد

والرياض ، وهو بدون شك معجزة للاسلام الذى يناسب الأبيض والأشقر والاسود والاصفر دون تفريق ، ويلبى حاجات الجميع دون استثناء فى كل عهد وكل مكان .

***

وفى الاسلام كذلك كل الدراسات التى تربى الفرد والمجتمع ، فيه السياسة والاقتصاد وتنظيم المجتمع وحقوق المرأة وجذور الحرية الكاملة للعقل وللانسان ، وقد كان موقف الاسلام من الرق أساسا لتحرير الرقيق وانقضاء عهد العبودية .

ولكنا نصل بذلك الى نقطة هامة ، هى ان الاسلام الذى يناسب العصر هو الاسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله من عند ربه والذى تجلى فى القرآن الكريم واحاديث الرسول والسلف الصالح ، وليس الاسلام الذى يعلمه الأزهر او المعاهد التى تسمى نفسها معاهد اسلامية والتى تسير على نهج الأزهر فى الدراسات ، وانا اقول ذلك وانا ازهرى النشأة ، فقد تلقيت فى معهد الزقازيق ماسموه العلوم الاسلامية واللغة العربية مدة تسع سنوات ، كنت خلالها أول الناجحين ، ولكنى لم اذق للاسلام طعما أكثر مما عرفته فى قريتى قبل أن التحق بالأزهر ، وانما خضت فى اسرائيليات التفسير وفيما حوته كتب التفسير من نحو وفقه وبلاغة جعلت ماكان واضحا من معانى القرآن يصبح غامضا ، وخضت فى فقه مذهبى تبرز فيه العصبية المذهبية ، وتكثر فيه التفاصيل المملة والفروض التى لا يمكن ان تحصل ، كما تكثر فيه الحيل ...

ولم أعرف كتب التراث فى اللغة العربية ، اذ كانت علوم اللغة عندنا هى النحو والصرف أو قل شواذ النحو والصرف ، أما اللغة نفسها وأدبها وشعرها ، فلم ننعم به الا بعد أن نفض بعض الطلاب الطوق وبدأنا نقرأ كتب الجاحظ والاصفهانى والقالى والمنفلوطى والرافعى ، وشعر المتنبى وابى العلاء وشوقى . وقد اعتبرنا القوم آنذاك متمردين على الدراسات الأزهرية ، وعندما تفتقت ألسنتنا عن الشعر والمقال رمونا بالمروق والبعد عن الجادة .

ومن اجل هذا فنحن نصرخ صرخة نريدها ان تقبل او تدرس ، ولكننا لن نسمح لجماعة اللامبالاة بوأدها ، وهي: أن تعود الدراسات الاسلامية الى عصر صدر الاسلام ، نريد أن نعود بهذه الدراسات الى أصولها الخالدة لتنبثق كل الدراسات الاسلامية من القرآن الكريم واحاديث الرسول ، فان من يدرس تاريخ المناهج الاسلامية يرى بوضوح ان العلوم الاسلامية الصحيحة التى تحدث عنها كتاب الله وعنى بها رسول الله قد عبثت بها عصور الظلام ، نقتلت شطرها وانحرفت بالشطر الاخر ، قتلت علم مقارنة الاديان وعلم الحضارة الاسلامية ، فلم يعد المسلم يعرف من الأديان الأخرى شيئا ، مع أن القرآن تحدث عن اليهود واليهودية والمسيح والمسيحية وعن عبادة الأصنام والطاغوت والملائكة والشياطين ... وسماها أديانا مع بطلانها ، قال تعالى : « **لكم دينكم ولى دين** » واورد القرآن آيات تحث على مباشرة هذا العلم وآيات اخرى تحمل نماذج من المقارنة ، قال تعالى :



- « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن » (العنكبوت ٤٦) .

- « وجادلهم بالتى هى احسن » (النحل ١٢٥) .

- « افمن يخلق كمن لا يخلق » (النحل ٦٧) .

- « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الأنبياء ١٢٢) .

- ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » (المؤمنون ٩١) .

وقد عنى الصدر الاسلامى الأول بهذا العلم وكتب فيه العلماء المسلمون الاول اروع كتابة مثل النوبختى (٢٠٢ هـ) والمسعودى (٣٤٦ هـ) والمسبحى (٤٢٠ هـ) والبغدادى (٤٢٩ هـ) وابن حزم (٤٥٦ هـ) والشهرستانى (٥٤٨ هـ) .

ذلك علم قد وأده عصر الظلام ولايزال موءودا ، ولم نر منه كلمة واحدة خلال تسع سنوات درسناها فى الأزهر ، مع اننا درسنا الفقه والتفسير والنحو والصرف دراسة متكررة ومملة ، ولم يدخل علم مقارنة الأديان المناهج الأزهرية الا لشعبة صغيرة فى كلية اصول الدين ، ويدرس فيها كانه شىء دخيل وكائن غريب .

وكما قتل علم مقارنة الأديان ، قتل علم الحضارة الاسلامية ، ذلك العلم الذى يبرز ما تقدمه الاسلام للجنس البشرى فى مجال السياسة والاقتصاد والتربية والحياة الاجتماعية والسلم والحرب وغيرها . وآيات القرآن الكريم حافلة بالحديث عن هذه الموضوعات التى لو احييناه دراستها فاننا نبرز أن الاسلام هو دعامة العصر ومجد العصر وانقاذ العصر من كل ما يحيط به من آلام ودموع . ويدخل فى الحضارة الاسلامية فرعان مهمان هما :

١ - حضارة الخلق ، وهى الحضارة التى ابتكرها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام كالنهج الاسلامى فى السياسة والاقتصاد .

٢ - حضارة البعث والاحياء ، وهى الحضارة التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت ، ثم أحياها المسلمون وطوروها ، وابتكروا فى مجالاتها ، وهى الحضارة المرتبطة بالعلوم التجريبية ، كالطب والرياضة والفلك والموسيقى وغيرها .

***

ذلك هو شطر العلوم الذى وأده عصر الظلام ، اما الشطر الآخر الذى انحرف به ، فهو الفقه والتفسير واللغة العربية . فقد اصبح الفقه - كما قلنا آنفا - مذهبيا لا يعنى بحكمة التشريع وانما يعنى بالحيل والفروض المضحكة ، واصبح التفسير اسرائيليات وخرافات ، واصبحت اللغة العربية نحوا وصرفا ،

او قل شواذ النحو والصرف ، وتعجب عندما ترى الطالب عربي النشأة واللسان يدخل كلية اللغة العربية ، او كيلة دار العلوم حيث تخصص له حوالي عشرين ساعة اسبوعيا لعلوم اللغة العربية مدة اربع سنوات ، ثم يخرج ضعيفا فى اللغة العربية ، لا يستطيع أن يعبر عن نفسه متكلما أو كاتبا ،

ولا يستطيع ان يقيم لسانه .. مع أن خمس ساعات اسبوعيا مدة عام أو عامين كافية لاجادةلغة جديدة كاللاتينية والعبرية .

وقد قلنا هذا عدة مرات وناقشناه فلم نجد معارضا ، ومع هذا فالمناهج هى المناهج ، كأنها شيء مقدس لا يمكن التغيير فيه او المساس به .

***

ولم تكتف عصور الظلام بقتل شطر المناهج الاسلامية والانحراف بشطرها الآخر ، بل خلقت مجموعة من العلوم المعوقة ، ودفعتها الى المناهج على انها علوم اسلامية ، وهي فى الحقيقة بعيدة عن الاسلام أو عدوة للاسلام ، كعلم الكلام ، والمنطق ، والفلسفة . ويقول استاذ الفلسفة بكلية دار العلوم عما يسمى الفلسفة الاسلامية انها ليست الا فلسفة يونانية بلسان عربي وقد زينت بافكار اخلاقية ودينية . ولكن هذه الاضافات لا تشكل جوهرا ولا اساسا فى هذه الفلسفة .

***

وبعد ، ان الاسلام دين هذا العصر وكل عصر ، وفيه الدواء لما تعانيه الانسانية من آلام ، فيه النظم فى كل مجال ، وفيه الأخلاق التى خلا منها الشرق اكثر مما خلا الغرب ، ولكن اكثر ماندرسه فى المعاهد والكليات الاسلامية باسم الاسلام لا يمثل الاسلام الحقيقى ، او على احسن الاحوال يحتاج الى كثير من التنقيح والتهذيب .

وقد شكا الامام محمد عبده من التعليم فى الأزهر ، وقال عنه : « قضيت سنة ونصف سنة لا افهم شيئا لرداءة التعليم ، فادركنى اليأس وهربت من الدرس ، وهذا الأثر يجده ٩٥ ٪ من الطلاب فى الأزهر ، ولكنهم يظلون على سوء الحال حتى يكبروا ويبتلى بهم الناس » .

ومنذ فترة ليست بعيدة ، ظهر فى الولايات المتحدة اقبال على الاسلام وعلى اللغة العربية ، وممن دخل الاسلام شابان أمريكيان قرءا بعض الدرسات الاسلامية وتعلما اللغة العربية ، وقد رحبت احدى الدول الأسلامية بهذا الاقبال فخصصت منحتين لهذين الطالبين النابغين ليتعلما فى الجامعات الاسلامية بها .

وفرح الطالبان بهذه المنحة ، وسرعان ماشدا الرحال الى الجامعة الاسلامية العربية ، والتحقا بحلقات العلم ، وظلا على ذلك بضعة شهور ، ثم اقبلا على



ما اقبل عليه الأستاذ الامام من قبل ، فشدا الرحال مرة اخرى للعودة للوطن،

ولما سئلا عن ذلك اجابا بان ما يسمعانه فى المحاضرات بعيد عن الاسلام ولا يجذبهما اليه ، فخلال هذه الشهور كان الحديث عن انواع المياه وعن الجبيرة وعن المنطق وعلم الكلام وشواذ القواعد، وما لهذا جاء هذان الطالبان وتركا الوطن والأهلين ، وصرخ الطالبان : اين الفكر الاسلامى ؟ واين حضارة الاسلام ؟ واين اخلاقه ؟ واين اللغة العربية الفصحى وبلاغتها ؟

ما اجدر هذين الطالبين بالاشفاق ، لم يجدا فى معاهد الاسلام اسلاما ، فقنعا بما عرفا من مبادىء جذبتهما من قبل الى الاسلام ، وعادا قبل ان تاخذهما دوامة المناهج الحالية .

وامتد العقوق بالاسلام الى الجامعات المدنية ، فكليات التجارة والاقتصاد بالعالم الاسلامى تدرس فيها كل النظم حتى التى ثبت فشلها ولكنها لا يدرس بها النهج الاسلامى فى الاقتصاد . وقل مثل هذا عن كليات العلوم السياسية وكليات التربية ، والكليات العسكرية ، وأغلب الظن أن الكليات المدنية تأثرت بالكليات الاسلامية ، اذ ان هذه لاتدرس الاتجاهات الاسلامية فى هذه المجالات، فكيف تدرسها الجامعات المدنية .

***

بقيت كلمة عما يسمى تطوير الأزهر ، وهى كلمة ترتبط بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، والمطلعون يقررون ان هذا القانون اجدر به ان يسمى تدمير الأزهر، لأنه فتح فى الأزهر كليات عملية للطب والهندسة والعلوم ونحن نرحب بذلك ، ولكن هذه الكليات جذبت خيرة الشباب الأزهرى الذىيحصل علىثانويةالأزهر، ولم تترك الكليات العملية لكليات

الأزهرى الذىيحصل على ثانويةالأزهر

واصول الدين) الا الفتات ، فحرم الدراسات الأزهرية من نوابغ الطلاب الأزهريين ، وهى مؤامرة على الاسلام ينبغى ايقافها ، ثم أن الكليات العملية بالأزهر بها سنة تمهيدية وهذه السنة تحرم هذه الكليات من المتازين فى الثانوية العامة حتى لا يضيعوا عاما من اعمارهم دون جدوى ، ويكبر الخطب عندما نقرر أمرا مسلما به هو أن الدراسات التى تقدم للطلبة فى هذه السنة التمهيدية لا تستهوى الطلاب بهذه الكليات ، وليست الا نموذجا من الدراسات العقيمة .

وعلى هذا ، فيمكننا ان نقول ان الاسلام هو دين العصر دون شك ، ولكن كيف نحصل على الاسلام الصحيح اذا كانت مناهج الأزهر والمعاهد الاسلامية غارقة فيما قررته عصور الظلام ، وهذا قول يوشك ان يكون موضع أجماع .

ولذلك نصرخ :
اعيدوا النظر فى المناهج الاسلامية ، فان لم تفعلوا فقد بلغنا ، واللهم اشهد .

د . احمد شلبى
استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

كادت انجلترا تعتنق الإسلام

الهلال تسبق الصنداى تايمز بربع قرن

● مصطفى الشهاوى ●

● نشرت « الاهرام » فى عددها الصادر يوم ١١ من نوفمبر ١٩٧٨ بحثا مترجما عن جريدة «الصنداى تيمز» الانجليزية ، وعنوانه «كادت بريطانيا تصبح امارة اسلامية» .

وقد بدات « الصنداى تيمز » بحثها بعبارة : « كشف تاريخى فريد ، اثبت أن بريطانيا أوشكت ذات مرة أن تتحول الى امارة عربية تابعة لسلطان المغرب والاندلس محمد الناصر ، أوائل القرن الثالث عشر ، طواعية وباختيار الملك جون الأول الذى عرض أن يعتنق الاسلام هو ورجال بلاطه وشعبه ، وأن يكون تابعا مخلصا للسلطان .. فقط، اذا قبل السلطان أن يبسط عليه حمايته ... الخ » .

ثم يستطرد البحث فى ذكر الاحداث التى وقعت بعدئذ ...

وهذا الكشف التاريخى الفريد ،كما وصفته « الصنداى تيمز » سبق ان كتبت عنه مجلة « الهلال » فى عدد مايو عام ١٩٥١ اى منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما ، وكان ذلك احد القصص والطرائف التاريخية التى ينشرها « الهلال » .

وكان مقال «الهلال» ـ الذى كتبه الأستاذ مصطفى الشهابى ـ تحت عنوان : «كادت انجلترا تعتنق الاسلام» يشمل الكثير من الحقائق التى وردت فى ترجمة «الأهرام» لبحث « الصنداى تيمز » ويزيد عليها أن ملك انجلترا تعهد بدفع جزية ، وأن السلطان الناصر رفض هذا العرض وقال للرسل الملكة : **« انى عليم ببواطن الامور ، ان ملككم بدا يخرف بتاثير الشيخوخة ، وهو غير جدير بتحالفى معه ، اغربوا عنى ..! ان فضائح ملككم قد زكمت انفى » ! ..**

وهكذا سبقت مجلة « الهلال » جريدة « الصنداى تيمز » الانجليزية باكثر من ربع قرن الى الكتابة عن موضوع يتناول حدثا هاما وطريفا فى تاريخ انجلترا ... ●

مادة السلام في القرآن

• د. احمد الشرباصي •

مادة ((السلام)) لغة في معظم احوالها ـ كما في مقاييس اللغة لابن فارس ـ تدل على الصحة والعافية ، والسلامة هي ان يسلم الانسان من العاهة والاذى ، والله جل جلاله هو السلام ، لسلامته سبحانه مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء ، والاسلام هو الانقياد ، لانه يسلم من الاباء والامتناع ، ويقال سلم من البلاء ومن المرض : برئ وسلمه الله .

والسلام : المسالمة، والسلم والاسلام واحد ، وسمى الله بالسلام ، وهو اسم من اسمائه الحسنى ، وقد ذكر في سورة الحشر : ((هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يصفون)) . وذلك لانه مصدر السلامة والسلام والأمان .

ويامر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في السلام كافة ، فيقول في سورة البقرة : ((ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)) أى ياايها الذين صدقوا الله ورسوله : ادخلوا في الاسلام والسلام ، اى دوموا عليه جميعا، ولا تتبعوا آثار الشيطان ونزغاته ، فهو ظاهر العداوة لكم .

ويامر القرآن بالاستجابة الى دعوة السلام والأمان ، فيقول في سورة الانفال : ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)) : ان مالوا الى السلام، وارادوا المسالمة والمصالحة ، فمل الى السلام ، واقبل منهم ذلك ، وتوكل على الله فانه كافيك وحده .

وقد جاء في الحديث الشريف : ((سيكون بعدى اختلاف ، فان استطعت ان يكون السلم فافعل)) . ويدعو القرآن

أهل الكتاب أن يجتمعوا مع المسلمين فى التوحيد والمساواة ، وعدم الاعراض عن نداء الحق ، فان عارضوا فاستمسكوا باسلامكم وايمانكم ، فيقول فى سورة آل عمران : ((قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم، الانعبدالا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)) : أى يا أهل الكتاب — من اليهود والنصارى — تعالوا الى كلمة مفيدة عادلة نستوى نحن وانتم فيها : لا نعبد الا الله وحده ، ولا نعبد وثنا ولا صنما ولا طاغوتا ، ولا أى شىء سوى الله الواحد ، نفرده بالعبادة لا شريك له ، ولا يطيع بعضنا بعضا فى عصيان الله ، فان أعرضوا عن هذا الانصاف وتولوا ، فاشهدوهم انتم على استمراركم فى الاسلام ، والاسلام مشتق من السلام والمسالمة ، والمعنى أسلموا انفسكم ونفوسكم لله فى خضوع وانقياد .

وقد أمر الله عباده بان يحافظوا على هذا الاسلام طيلة حياتهم ، فيكون مصاحبا لهم ماداموا أحياء ، يحيون به ، ويموتون وهم عليه ، فقال فى سورة آل عمران : ((يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون)): أى جاهدوا فى سبيل الله حق جهاده ، ولا تأخذكم فى الله لومة لائم ، وحافظوا على الاسلام دعوة السلام ، فمن شب على شىء شاب عليه ، ومن شاب على شىء مات عليه ، ومن مات على شىء بعث عليه .

***

وهذا هو الاسلام يعلم اتباعه الاعراض عن الباطل فى القول والعمل، وأن يقابلوا المبطلين واللاغين والجاهلين فى أعمالهم وسلوكهم بالسلام ودعوة السلام، فيقول فى سورة القصص : ((واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين)) وقد أمر الحق جل جلاله بأن يجتمع الناس على هدى الله ، واسلام النفوس اليه ، فقال فى سورة الانعام : ((قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين)) : نخلص له العبادة وحده ، لا شريك له، واسلمنا امرنا اليه .

ويقرر لنا كتاب الله ان السلام موقوف على الاتجاه الى الله ، والاستمداد من هداه ، فيقول فى سورة طه : ((والسلام على من اتبع الهدى)) : أى السلام عليك ان اتبعت هدى الله . ولهذا لما كتب رسول الله الى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله : ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، فاسلم تسلم ، يؤتك الله اجرك مرتين)) .

ولهذا قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون : ((والسلام على من اتبع الهدى . انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى)) : أى قد أخبرنا الله فيما أوحاه الينا من الوحى المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله ، وتولى عن طاعته ، كما قال الله تعالى: ((فاما من طغى. وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى)) .

وقد عنى الاسلام عناية شديدة بأمر السلام ، فجعل السلام تحية يلقيها المسلم على من عرف ومن لم يعرف ، ومن تعبيرات السنة الرائعة أن السنة تدعو المسلم الى ((بذل السلام للعالم)).

ونتذكر هنا قول القرآن الكريم ((ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة. كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا)) .

وجعل السلام من المسلم على النبى واجبا ، فقال تعالى : ((ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)) . وجعل من عبارة التشهد فى كل صلاة قول

المسلم: «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته» .

كما دعا المسلمين أن يسلموا على انفسهم ، وعلى كل عبد من عباد الله الصالحين ، ففى التشهد : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » وجعل ختام الصلاة بالسلام ، بالتسليم يمينا ويسارا حين ينصرف منها المصلى قائلا: « السلام عليكم ورحمة الله » .

وفى السنة أن المصلى يقول بعد السلام داعيا : « اللهم انت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام .، فحينا ربنا بالسلام » . واذا كان الاسلام قد حث المسلم على القاء السلام ، وجعل هذا الالقاء سنة ، نقد جعل رد السلام ممن ألقى اليه أمرا مفروضا.

ومن العجيب ان كلمة الاسلام وهى اساس العقيدة مشتقة من مادة السلام .. وقد ذكر الله تعالى القاء السلام على المرسلين ، فقال فى سورة الصافات: « سلام على المرسلين » . وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين » . وقال الله تعالى فى الصافات ايضا : « سلام على ابراهيم » وقال ايضا : « سلام على نوح فى العالمين » . وقال ايضا : «سلام على موسى وهارون » . وقال : « سلام على آل ياسين » .

وقد جعل الله ميزة ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، انها ليلة سلام، يسلم فيها الملائكة على أهل المساجد حتى يطلع الفجر : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

***

والاسلام الذى هو اسلام الوجه لله، والخضوع لأمره ، والانقياد لطاعته ، هو صفة أهل الايمان أينما كانوا ، ولذلك قال الله تعالى فى آل عمران: « **ان الدين عند الله الاسلام** » وقال أيضا : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**» وقال فى سورة المائدة : « **ورضيت لكم الاسلام دينا**» . وقال فى سورة الانعام: « **فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام** » .

وفى القرآن شواهد كثيرة على أن الاسلام ــ وهو اسلام النفس لخالقها ــ كان دين المؤمنين من فجر التاريخ ، فالاسلام كان دعوة سليمان ، ولذلك يقول القرآن فى سورة النمل : «**انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم. الا تعلوا على وائتونى مسلمين** » . أى لا تتجبروا على وائتونى مخلصين مطيعين .

ولقد كان ابراهيم على الاسلام من قديم الزمان ، وها هو ذا القرآن فى سورة البقرة يقول عن ابراهيم واسماعيل : «**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم** » .

ثم يتحدث عقب ذلك عن ابراهيم فيقول : « **اذ قال له ربه أسلم قال : اسلمت لرب العالمين. ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون. ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون**».

فانت ترى هؤلاء اجمعين وذريتهم كانوا مسلمين ، وعاد القرآن الى تأييد ذلك . فقال النص الكريم فى سورة البقرة : «**قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم**

لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون »
فنحن نرى ان الله تعالى اصطفى ابراهيم ودعاه الى الاسلام بما أراه الله من آياته ، ونصب له من بيناته ، فأجاب ابراهيم الدعوة ، وقال : **« أسلمت لرب العالمين »** ، وقد نشأ ابراهيم فى قوم يعبدون الكواكب ويتخذون الأصنام ، فأراه الله حجته ، وأنار بصيرته ، فأدرك ان للكون ربا واحدا منفردا بالخلق والتدبير ، وقد وصى ابراهيم اولاده ان يختاروا الاسلام ، وان يحافظوا على الاخلاص لله ، والانقياد اليه ، فلا يتركوا ذلك الاسلام لحظة واحدة ، لئلا يموتوا فيها فيموتوا غير مسلمين ، ومثل ذلك فعل يعقوب مع أولاده ، فقد قال لهم عند موته من تعبدون ؟ فقالوا : **« نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »** .

وخلاصة وصية ابراهيم ويعقوب هى كما يقول الامام محمد عبده : عقيدة الوحدانية فى العبادة ، واسلام القلب لله تعالى والاخلاص له ، وتكرار لفظ الاسلام فى هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين ، وقد أبانت الآيات هنا

ان دين الله تعالى واحد فى حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى ، والخضوع والاذعان لهداية الأنبياء ، وبهذا كان يوصى أولئك النبيون أبناءهم وأممهم ، فتبين أن دين

الله واحد فى كل امة ، وعلى لسان كل كل نبى ، فالتفرق فى الدين ما جاء الا من الجهل والتعصب للأهواء والمحافظة على المنافع المتبادلة بين المرءوسين

والرؤساء . والقرآن يطالب الجميع بالاتفاق فى الدين ، والاجتماع على اصله العقلى وهو التوحيد والبراءة من الشرك بانواعه ، واصله القلبى وهو الاسلام والاخلاص لله فى جميع الأحوال ..

وابراهيم خليل الرحمن هو الذى كان يحرص على وجهة السلام حتى مع مخالفيه فى الدين والعقيدة ، وقد قال عنه القرآن فى سورة مريم فى شأن ابيه : « **قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا** » . وهذا

يوثق روابط ابراهيم بالاسلام الذى يدعو الى السلام حتى مع المخالفين ، فيقول التنزيل فى سورة الفرقان عن عباد الرحمن : « **واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** » .

وابراهيم نفسه هو الذى تتحدث عنه سورة الحج فيقول القرآن فيها : **« وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير »** ..

***

ونوح كان مسلما ، وكان مما قاله لقومه : « **فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين** » . اى ان كذبتم واعرضتم عن الطاعة فانى لن اطلب منكم على نصحى اياكم شيئا ، والله وحده هو الذى يعطينى أجرى ان طلبته ، وأنا ممتثل ما أمرنى الله به من الاسلام لوجهه عز وجل . والاسلام هو دين الأنبياء من أولهم الى آخرهم وان تنوعت شرائعهم ، وتعددت مناهجهم ، كما جاء فى تفسير ابن كثير .

ويوسف عليه السلام طلب من ربه ان يتوفاه على الاسلام . فقال يدعو ربه : **« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والأرض انت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما والحقنى بالصالحين »**

وموسى عليه السلام كان على الاسلام ومذكرا به ، فجاء فى سورة يونس : ((**وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين**)) .

وعيسى عليه السلام كان على الاسلام ونفهم هذا من حوار فى سورة آل عمران :
((**فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون**)) : لما استشعر عيسى من قومه التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال : من انصارى الى الله ؟ من يتبعنى الى الله ؟ قال الحواريون : — وهم طائفة من بنى اسرائيل كانوا انصارا لعيسى — : نحن انصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بانا مسلمون .

ويعود القرآن الى تقرير هذا فيقول فى سورة المائدة : ((**واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون**)) .

واهل الكتاب كان منهم مسلمون ، يقول القرآن فى سورة القصص عنهم :
((**واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين**)) نزلت هذه الآية كما قيل فى شأن سبعين نصرانيا ارسل بهم النجاشى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسمعهم سورة يس فآمنوا وقالوا : ((**انا كنا من قبله مسلمين**)) اى موحدين مخلصين لله .
وفى حديث الصحيحين : ان من الذين يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه ، ثم آمن بى »

***

ويعمم القرآن الاخبار عن وجود الاسلام بين الناس منذ القديم ، فيقول فى سورة آل عمران : ((**افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**)) : ينكر الله تعالى على من اراد دينا سوى دين الله ، الذى انزل به كتبه ، وارسل به رسله وهو عبادته وحده لا شريك له الذى استسلم له من فى السماوات والأرض طوعا وكرها ، كما قال تعالى :
((**ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال**))
فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فانه تحت التسخير **والقهر والسلطان** العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع .

وهؤلاء سحرة فرعون ، عصوا فرعون على عهد موسى ، **وقالوا له انهم مسلمون ، وسيموتون مسلمين** ، فجاء فى سورة الأعراف : ((**قالوا انا الى ربنا منقلبون . وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**)) ..

فالاسلام بمعنى الاسلام لله والانقياد لوجهه معروف مألوف من قديم الزمان ، وهو الدعوة الحق الذى يجتمع عليه المؤمنون .

ونعود لنرى مزيدا من افشاء الاسلام لدعوة السلام ، وتذكير المسلم بها فى كل زمان ، فلم يكتف القرآن بتحديثنا عن السلام فى دنيانا او دنيا من سبقونا ، فاذا كان القرآن قد حدثنا عن يحيى فقال : ((وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا)) .

وحدثنا عن عيسى ايضا ، فقال على لسانه : ((والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا)) ..

فانه قد انتقل الى الحديث عن السلام فى دار الآخرة ، فحدثنا ان دار النعيم وهى الجنة تسمى ((دار السلام)) يقول الله تعالى فى سورة الانعام : ((لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون)) ويقول فى سورة يونس: ((والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)) .

ويتكلم عن اقسام من اهل الجنة فيقول فيما يقول فى سورة الواقعة : ((واماان كان من اصحاب اليمين . فسلام لك من اصحاب اليمين)) : تبشرهم الملائكة بذلك ، تقول لأحدهم : سلام عليك ، لا بأس عليك ، انت الى سلامة، انت من اصحاب اليمين »

***

وتحية اهل الجنة هى السلام ، يقول تعالى فى سورة يونس : ((دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)) ، ويقول فى سورة الواقعة: ((لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما)) ، ويقول فى سورة يس : ((لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون . سلام قولا من رب رحيم)) . ويقول فى سورة الرعد : ((والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)) .

ويقول فى سورة الحجر : ((ان المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين)) ويقول فى سورة النحل: ((الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) ، ويقول فى سورة الأحزاب: ((تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما)) .

ويقول فى سورة الزمر : ((وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا . حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)) . هذا اخبار عن هؤلاء السعداء المؤمنين حين يساقون الى الجنة جماعة بعد جماعة ، المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع من يناسبهم ، حتى اذا وصلوا الى ابواب الجنة فتحت لهم ، وهنا قال لهم خزنتها سلام عليكم ، طابت اعمالكم واقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم .

وقد جاء فى حديث ابن ماجة : « بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رءوسهم ، فاذا الرب تعالى قد اشرف من فوقهم فقال : السلام عليكم ياأهل الجنة. فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شىء من النعيم ، ما داموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم » .

وخير مثل للسلام والاستجابة لدعوته ، هو رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام الذى خاطبه ربه فقال: ((قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين)) وقال له فى سورة الانعام : ((قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وانا اول المسلمين))

وهو القائل فى حديثه : ((من اراد ان يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة ، فليقل آخر مجلسه حين يريد ان يقوم : ((سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين))

الإسلام والحياة المعاصرة

● د . محمد كمال جعفر ●

● جمع الاسلام فى اطار موحد بين عالمى الغيب والشهادة جمعا لا يتعارض مع المرونة والتجدد فى الفروع المختلفة ، يعتبر بحق موضع اعتزاز كل مسلم بصير . فان كل النظم الوضعية دون استثناء لا ترى من ساحة الحياة الا جزءا ضيقا قريبا منها ، يتمثل اما فى الحاضر واما فى مستقبل ليس بالبعيد ، وهذا هو السر فى ضرورة التغيير المستمر فى هذه النظم من اساسها لا من فروعها وجزئياتها فحسب .

لكن ما قد يطرأ من تجديد او تغيير فى الساحة الاسلامية على وجه الخصوص انما يتصل بالفروع والجزئيات والمفاهيم المحددة التى هى بطبيعتها عرضة للتغيير والتعديل . وهذا هو ما ينبغى ان يفهم من حركات التجديد فى الاسلام مسايرة لمتطلبات العصر وتطور الحياة ، وهذا ما يؤكد ايضا ان المسلمين بخاصة والبشرية بعامة ليسوا بحاجة الى شرع جديد ، وانما قد يكونون بحاجة الى فهم جديد فى بعض فروع هذا الشرع الفريد .

ولتوضيح ذلك نقول ان المخطط العام والتوجيه الشامل للحياة الانسانية فى الاسلام ثابت اصيل مهما تعددت جوانب هذه الحياة ، ومهما تنوعت اهتماماتها . وهذا المخطط لا يصيبه الوهن او البلى ، لانه بسعته وشموله ـ وهو من عند ((الواسع العليم)) ـ يقبل العديد من الانماط والنماذج والصور والامثلة فى المجال التطبيقى دون ان يتخلف عن تطور .

ولا مراء فى ان الاطار الذى رسمه الاسلام للحياة الانسانية يعتبر أوسع الأطر التى قدمت لهذا العالم ، واكثرها مرونة واوفاها قبولا لما لانهاية له من التطور والتقدم ، من حيث تهيئته وتيسيره وتشجيعه على التحرك وعدم الجمود والقبوع والانكماش .

ولكى يتحقق لنا استيعاب ذلك بايجاز علينا ان نتأمل هذه الحقيقة البسيطة والخطيرة فى نفس الوقت مهما حاول الباحثون والفلاسفة من تعقيد مسالكها وتشعيب دروبها بحكم التخصص والاغراق فى التفاصيل

وهـــذه الحقيقة ترتبط بميـــــادين اساسيين في الروح الاسلامية اولهمـا « حركية الكون وديناميكيته » ـ «وكل في فلك يسبحون » . حتى الجماد الصلد « وترى الجبـال تحسبها جامدة وهي تمر مر السـحاب » والملائك تتنزل ، والانهار تجرى ، والارض تهتز ، والنبات ينمو ويتحرك ويهيج ، والريح تعصف ، والسحاب يسبى ، والحيـوانات تدب والانسان يســـعى ، حتى الكلم ينتشر ويرتفع أو يسفل وغير عســـير على القارىء ان يتلمس مصداق هذا المبـدأ الاساسي في الآيات القرآنية الـكريمة .. الكل يتحرك ، لا جمود ، ولا وقوف ويشمل ذلك الانسان بما حوى من بدن ومشاعر وخواطر وأفكار ، والنبات بما حوى من ساق وزهر ونوار وثمار ، والحيوان بما ضم من اعضاء وغرائز ، والجمـاد من رطب ومن يابس والجن والملائك وغير ذلك مما أبدع الخالق .

فالحركة هي الشعار الأول لكل ما في الوجود .

اما المبدأ الثاني فوحدة الانسان رغم تعدد احتياجاته وتنوع المجالات التى تتصل بهذه الاحتياجات . ان هــذه المجالات تشمل في ايجاز الجـــوانب الثلاثة المشهورة في الانسان وهي على الترتيب : الجانب الفكرى أو العلمي أو الادراكي ، والجانب الوجداني أو العاطفي أو الذوقي أو المتصل بالمشاعر ، واخيرا الجانب النزوعي أو الارادى أو السلوكي أو التطبيقي الفعـال الذى يجسم بالاعمال والاتجـاهات حصيلة التركيبة الثقافية الانسانية .

وقد افاض علماء النفس ـ وقـد سبقهم الى ذلك الدين ـ في ضرورة اشباع وتغذية هذه الـكفايات أو الجوانب واتاحة الفرصـة لهـا لكي تبدع وتبتكر أو تسـهم في صـنع التقدم والتطور . كما اضحى معلوما ان تكوين الانسان السوى المتـكامل يتحقق بتغذية هذه المجالات في توازن واضطراد وفي ظل من الأمن بمعنـاه الشامل الذى حدده الاسلام .

ان هذه النظرة ـ وان كانت تركز على الاهتمام بالفرد بما هو انسان ـ ليست انانية أو فردية على الاطـلاق لأنها لا تغفل عن حقيقة كون الفـرد لبنة في بناء المجتمع ، ومن ســلامة اللبنات نضـمن سلامة البناء كله .

والدارسون في الشرق والغرب ـ قديما وحديثا ـ يدركون بوضوح الطـابع الاجتماعي العالمي للتوجيه الاسلامي .

ان من المهم أن ندرك أن هــذه الاحتياجات الكبرى والمجالات العامة لا يختلف فيها انسـان الريف وانسان الحضر ، كما لا يختلف عليها الانسـان القديم والانسان المعاصر ، غير أن طريقة تغذية هذه المجالات وطريقة قبولهـا أو رفضها هي التى تتطور ، كما أن ترجمة آثار هذه التربية الى مبـادىء ومهارات ومواقف واعمال هي الاخـرى يحكمها التطور المتتابع ، دون ان يصطدم أي تطور مع المبادىء الاسـاسية التى بدأ منها الانبثاق الاسلامي .

***

ولننتقل الآن الى تأمل اول هــذه الجوانب في الاسلام وهو المجال الفكرى لنرى كيف يضمن لنا انبثاقنا الاسلامي في هذا المجال سلامة الانطلاق وشموله وايجابيته ، وكيف يتساوق وينسجم هذا الانبثاق مع الحياة المعاصرة ، وكيف نستمد بانفسنـا الزاد الحقيقي الموجه لطاقاتنا الفكرية نحو الفعالية والتاثير .

ويمكن بعد ذلك ان نلمح الى الجانبين الآخرين حتى تتم الصـورة الصحيحة للمسلم المعاصر الذى يجمع الى عراقة الأصل ، مواكبة ميزة المعاصرة .

ان القرآن الـكريم حشد للمجـال الفـكرى كافة ادواته وتنوع مناهجه وطرائق استدلاله ووسائله واهم موارده ومصادره . وعرض القرآن الكريم كل ذلك في مقامات وسياقات متنوعة بحيث ترسخ في الأذهان والقلوب معا قيمة الفكر وثماره وكونه في النهاية قمة بين النعم التى هياها المنعم الخالق للانسان .

ولو رحنا نستشهد على كل نقطـة سابقة في هذه الفقرة الأخيرة بآيات قرآنية لما وسعتنا صـفحات عديدة يضيق عنها صدر هذا المقال ويكفى في هذا المقام ان نشير الى تنوع المنـاهج لما نرى من اهميته في التوجيه العلمى الذى يعتبر عمادا للتطور بصورة عامة . ولما له من صلة بموضوع المقال فيمـا يتعلق بالحياة المعاصرة .

لقد وجه القرآن انظارنا الى المنهج



الاستقرائي او التجـريبي او العلمي بالمعنى الحديث في مناسبات متعددة ، مما يبطل مزاعم بعض الدارسين الذين يظنون انه وليد العقـلية الاوربية الحديثة مع ان ميلاده تم في المناخ الاسلامي . وليس امام الدارسين المعاصرين الا ان يسلموا لسبق المسلمين الى ادراك هذا المنهج بعد ان سلم به رواد اسلافهم في القرون الوسطى وفي مطلع العصر الحديث . غير انني الح هنا على المرجع القرآني لاصل هذا المنهج .

فمن المعروف ان هـذا المنهج يبدأ بالملاحظة والمشاهدة التى يتبعها الفرض ثم التجربة للتحقق ثم وضع النظرية أو اكتشاف القانون . ونقطة البدء هذه – وهى الملاحظة والمشـاهدة – هى ما نفهم بداهة من مثل قوله تعالى فى الرد على بعض العـرب الذين وصفوا الملائكة بالانوثة ((**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا،اشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون**)) .

ويعرض القرآن مناهج أخرى للكشف والاستدلال فى بعض قصص الانبياء كقصة ابراهيم عليه السلام ، وفى ردوده على الشبهات المثارة وفى تحذيراته من مخاطر السبل الضالة فى تكوين الفكرة .. من المتابعة بغـير علم ((**ولا تقف ما ليس لك به علم**)) ومن الخـلط بين الظن واليقـين ((**ان الظن لا يغني من الحق شيئا**)) . ((**ولا تلبسوا الحق بالباطل**)) . ((**ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون**)) .

***

ويوجه القرآن البشر الى مصـادر المعرفة المتنوعة ويبين أن الطبيعة مصدر من هذه المصادر ، وأن التاريخ مصدر آخر لمن لم يعش تجارب السابقين، كما أن الوحى مصـدر ثالث ، والبحث الدءوب الى غير ذلك من المصادر . ولم يغفل القرآن وسائل المعرفة وحذر فى مناسبات عديدة من اهمال الطاقات .

والطريف الخالد فى القرآن هو الربط الدائم بين العلم والعمل والفكر والسلوك والعقل والقلب فى وحدة رائعة تصون الانسان من الانفصـام الشخصي او التشتت والصراع المدمر بين الطاقات والملكات ، والميول والرغبات .

وخلاصة التأمل فى عرض وتغذية هذا الجانب فى القرآن أن الاسـلام يهيىء للفكر الانسـانى أن ينطلق بلا حدود فيما حوله من ظواهر طبيعية أو انسانية . والفـكر فى الطبيعة هـو عمل العلم الحديث الذى قد يشمل فى اطاره الفروع الانسانية التى اكتملت ادواتها وتبلورت موضوعاتها .

وليس للفكر حدود كما قلنا الا اذا حاول الجرى وراء اكتناه طبيعة أو سر الذات الالهية . هنا يحذر الفكر وينبه الى ان هذا المستوى لا تنال حقائقه أو المعلومات الصحيحة عن هـذه الذات المقدسة الا عن طريق الوحى المعصوم من الاختلاط والتشويه . ومصـداق هذا التوجيه مستفاد من الحـديث النبوى الذى يوجهنا فى هذا الصـدد اذ يقول ما معناه ((**تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا**)) وهـذا لعمرى أشمل وأسلم توجيه للانسان بما هو انسان فى هذا المجال الفكرى .

وفى ضوء ما سبق الافضاء به يتبين لنا خطأ هؤلاء الذين اساءوا فهم مصطلح « البدعة » التى حذر منها الرسول صلوات الله عليه حيث فهموا هـذا اللفظ على انه يشمل كل جديد لم يرد لقد رأينا كيف يصور الاسلام الكون ، متحركا بلا توقف ، وكيف وعد بكشوف لا حصر لها فى نطاق الآفاق والأنفس .

ان المسلم المعاصر لا ينبغى ان يفزع لكل كشف علمى مهما بدا رائعـا أو مذهلا ، بل عليه ان يسهم فى تحقيق مثل هذه الابداعات فان لم يسـتطع فليعتقد فى ثقة بان هـذه الكشوف تعتبر توثيقا وتأكيـدا لصدق ودقة التوجيهات والحقائق الاسلامية .

أما الجانب الثـانى الذى ينبغى ان نتأمله فهو الجانب الوجدانى أو العاطفى أو الشعورى ، وقد ألمحنـا الى ان

القرآن الكريم - حرصا منه على وحدة الانسان وتأكيد الانسجام والتكامل بين قواه وملكاته ، لايفرد هـذا الجانب بالتوجيه منفصلا عن الجانب الأول ، بل كثيرا مايجمعهما في صعيد واحد ، وذلك يعنى ببساطة انه اذا انطلقت العواطف أو ثارت المشـاعر فلابد ان تكون هناك حراسة فكرية تحول دون انقلاب هذه المشـاعر الى رياح هوج تعصف بشخصية الفرد وتدمر حياته

ومن الناحية الاخرى اذا صدر الفكر مجردا باردا على النطاق العقلى خيف عليه أن يقف عند هذا الحد من التجرد والبساطة وعدم الدخول فى دنيا الواقع والتطبيق ، فلابد ان تسرى حـوله حرارة العاطفة والوجدان ، وان تدفعه صحوة الضمير واهتزاز المشاعر .

ان هـذه الحقيقة الأخيرة هى التى تربط العلم بالعمـل والاخـلاق ، وان تنفيذها فى الحياة المعاصرة يسد الثغرة الشنيعة ، والهوة السحيقة بين العلم الحديث والاخـلاق . فنحن نرى ان هذه الهوة تزداد اتساعا لدرجة تهدد الحضارة الانسانية برمتها ، حيث اطلق لهـذا العلم العنان بصـورة اسقطت الانسان تماما من حسابه .

ان العالم المسلم البصير الذى اهتدى بمبادىء دينه الفكرية والروحية اهل لضمان سلامة البحث واخلاقية نتائجه لأنه لن يضيف الى الحياة الا مايسعد الحيـاة وما يجددها ويملؤها بالخير والسلام . السـلام الذى هو تحيته المتبادلة بينه وبين افراد ملته ، والسلام الذى بنى خالقه دارا باسمه ، السلام الذى أطلقه سبحانه على نفسه ، السلام الذى سـيظل الـكلمة الحلوة التى ستتبادلها شفاه وقلوب أهل الجنة .

ان تغذية هـذا الجانب الوجدانى لابد ان تراعى تنبيه الاحساس الجمالى والابداع الفنى فى نفـوس الأطفـال والشباب ، وان نطرح هـذا الجمود الذى قد يفهم منه بعض الناس ان هذا الوجود لم يخلق لنا نحن المسلمين ، كان ما ابدعته يد الانسان من معارض الجمال ليس لنا به شان ، وليست له غاية ، وكان هذه الروائع الفنيـة التى جادت بها قرائح الموهوبين ليسـت من عطاء هذا المبدع الخلاق جل شانه .

ان مثل هذه النظرة الضيقة تغـرب المسلم فى وطنه وتبعده عنوة عن مجال الادراك الصـحيح لآثار قدرة الله فى الطبيعة والانسان ، وتقتل فيه حوافز البحث ، وتسد فيه منابع الابداع .

***

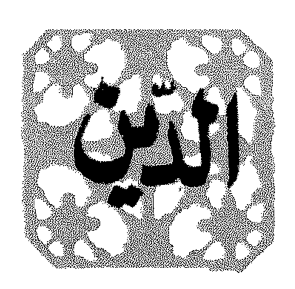
وينبغى الا يفهم المسـلم ان ادراك الجمال وتقديره وخلق الفن وابتكاره امر كمالى مترف : فلو تأمل المسـلم فى هدوء آثار التربية الجمالية ، ولو تأمل التوجيه الجمالى والفلسفة العامة التى يمكن أن تستمد من القرآن الكريم - نقول لو تأمل المسـلم ذلك بامعان - لأدرك على الفور أهمية التربية الجمالية فى تحسين السلوك وسلامة الذوق .

ان مراعاة هذه التربية المنبثقة عن فلسفة قويمة مسـتمدة من القرآن والسنة تغنى عن تتبع الافتـاء الطارىء المتضارب أحيانا حول بعض الظـواهر الفنية والجمالية ، وهذه الفتاوى التى كثيرا ماتترك الشـباب حائرا وكأن الاسلام لم يات الا التضييق والتحريم .

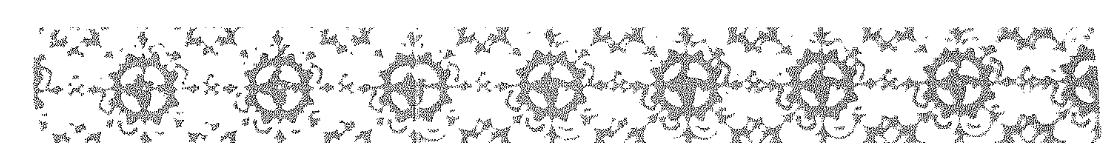
اننا لا نريد للمسلم ان يكون غريبـا فى هذا العالم ، بل عليه أن يتمثل المكارم والأصول العامة لدينه ، وهى كلها تشكل خلفية قوية تحمى ظهره وتشد أزره ، ولا تحجبه عن خير ، ولا تحول بينه وبين صنع التقدم أو المشـاركة فى صنعه ، أو على اضعف المستويات فهمه .

وحسـبنا الآن ان نكون قد وصلنا الى ان مناطات الانطلاق العلمى والفنى مكفولة فى الاسلام بصورة تمكن المسلم من ان يحيا دائما عصره هو ، وفى نفس الوقت يرتبط بالاصـل وبالاسلاف بحيث يجمع فى صعيد واحـد بين الأصالة والمعـاصرة .

د. محمد كمال جعفر
رئيس قسم الفلسفة الاسلامية
دار العلوم - جامعة القاهرة



الدّين في مجتمعات العصر



● د . محمود على مكى ●

● في سنة ١٩٧٢ كتب الشاعر الشيلى الشيوعى بابلونيرودا بين يدى ديوانه ((السيف المشتعل)) يقول ان هذا الديوان رواية شعرية خلاصتها ان الحروب والكوارث التى حلت بالعالم المتحضر قد قضت على الجنس البشرى كله ، ولم ينج من هذا الخراب الا رجل واحد انتهى فى فراره من مصير البشرية الرهيب الى صحارى البتاجونيا الموحشة المقفرة الممتدة فى جنوبى شيلى مقدرا ان تكون نهايته هى نهاية آخر ساكن لدنيا البشر . وفيما هو كذلك اذا بفتاة تلحق بهذا المكان السحيق فى طرف العالم هاربة بدورها من مدينة القياصرة الذهبية .

اما ((السيف المشتعل))الذى يتحدث عنه الشاعر والذى اتخذ منه عنوانا لديوانه فانه يشير الى آية فى سفر التكوين من ((العهد القديم)) (٣ / ٢٤) ((فطرد الانسان ، واقام شرقى جنة عدن الكروبيم ((اى الملائكة المقربين)) ولهيب سيف لحراسة طريق شجرة الحياة))

ومن الواضح ان الديوان كله ليس الا هجوما عنيفا على الدين اتسم به كل انتاج هذا الشاعر اخلاصا لعقيدته الشيوعية ، ومناداة بان يطرح الانسان فكرة العقيدة الدينية تاكيدا لشخصيته وتحقيقا لما يسميه الشاعر ((قدسيته)) هو .

وكان بابلونيرودا قد نال فى سنة ١٩٧١ جائزة نوبل العالمية للأدب ، كما انه شهد فى السنة السابقة انتصارالحزب الشيوعى فى بلده شيلى ووصوله الى الحكم . وكان نيرودا راى ان فرحته بهذين النجاحين لا تتم الا بهذا التهجم والتحدى لمشاعر كل من يؤمن بعقيدة دينية . على انه كان فى ذلك موافقا للايديولوجية الشيوعية التى لم تتخل ابدا عن عدائها الشديد للدين وخططها لتدمير جميع الأديان .

اما فى العالم الغربى فان التقدم العلمى الكبير الذى أحرزته اوربا منذ عصر الثورة الصناعية فى القرن الماضى قد افضى بالانسان من الانبهار بالعلم وقوانينه ومن الاعتداد بمنجزاته من مكتشفات ومخترعات الى ضرب من الغرور والاستخفاف بالدين والى كثير من النزعات الفكرية الشاكة او النازعة الى الالحاد الصريح غير ان حرية التفكير والتعبير التى سادت الغرب الاوربى جعلت من حق المتدينين أيضا ان يمارسوا عباداتهم ويعبروا عن معتقداتهم بغير ان يتعرضوا لحملات الاضطهاد والتنكيل التى يتعرض لها المتدينون فى البلاد الخاضعة للمذهب الشيوعى . ومع ذلك فان حصيلة التطور الاجتماعى والاقتصادى الذى

● إن البناء الجديد لا بد أن يقوم على أساس متين من الإيمان بالدين وقيمه الروحية وضوابطه الخلقية .

حدث فيما يسمى بالبلاد الغربية فى اوربا وأمريكا كانت تراجع الدين بوجه عام ، وفقده المطرد لمزيد من الارض .

فاذا انتقلنا ببصرنا الى العالم الاسلامى رأينا ان الاسلام قد تعرض منذ ظهوره ومازال يتعرض لحملات ضارية : تارة من خارج وهى تتمثل فى الحملات التى استهدفته من الشرق والشمال والغرب فى العصور القديمة ، ثم فى الحملات الاستعمارية التى لم تنقطع من الالحاح عليه بصورة أو باخرى حتى اليوم . وتارة من داخل ، وقد عرفها عالمنا قديما فى صور شتى من حركات الزندقة والالحاد ، ثم تجددت فى العصر الحديث ولا سيما بعد أن انتقل الى العالم الاسلامى كثير من الافكار السائدة فى البلاد الواقعة على حدوده سواء أكانت شرقية ام غربية . وترتب على ذلك أن دخلت الى العالم الاسلامى ألوان من الأفكار التى تستهدف الحملة على الدين أو التشكيك فى قيمه أو الدعوة الى التخلى عنه بصفته من مقومات المجتمع الحديث .

على أن اسوأ ما فى الأمر هو ان هذه التيارات الفكرية التى تتخذ من الدين هدفا لحملاتها فى بلادنا لم تكن ثمرة لتطور اجتماعى واقتصادى او لتقدم علمى سريع كما كان الامر فى البلاد الأوربية . وانما كانت فى كثير من الأحيان لونا من التقليد وترديدا لدعوات غير نابعة من حقيقة مجتمعنا . هى مجرد «تقاليع» يأخذ بها بعض مصطنعى « الحداثة » ، بغير فهم واع ولا تمثل علمى مكتمل ، تماما كما يأخذون بآخر « صيحة » فى دنيا الازياء أو الفنون مما يظهر فى أوربا بين وقت وآخر ، حتى نوهم أنفسنا أننا مسايرون لتطور العصر ، غير متخلفين عن ركب الحضارة وغنى عن الذكر ان مثل هذه الدعوات المنقولة من الخارج اذا انتشرت فى مجتمع غير مكتمل النمو مثل مجتمعنا فانها لا تعين الا على مزيد من تشوش الذهن وتخبط المسيرة ، وتكون فى النهاية صفقة خاسرة .

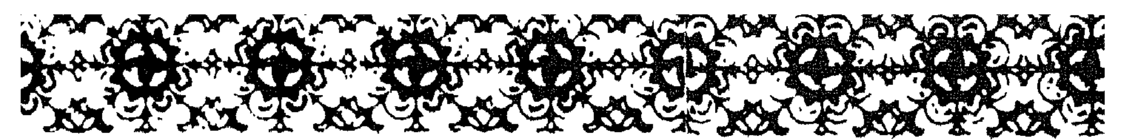
ومع ذلك فلننظر الى الحساب الختامى لذلك التحلل من قيم الدين فى المجتمعات المحيطة بنا . ولنطرح لتبين هذا الحساب سؤالين رئيسيين:

الى أى مدى استفادت هذه المجتمعات من تلك الدعوات المادية المتحللة ؟

ثم هل تمكنت هذه التيارات الفكرية المضطربة فى الشرق والغرب من القضاء على سلطان الدين فى النفوس ؟ وهل استطاعت اقناع الناس حقا بأن الايمان بالدين لا مكان له فى مجتمع العالم الحديث ؟

أما السؤال الأول فانه يكفى للاجابة عنه أن نلقى نظرة على ما نراه فى مجتمعات اليوم سواء فى البلاد الغربية التى تسمى نفسها بالعالم الحر أو فى البلاد التى تدعو نفسها بالكتلة الاشتراكية . وسنرى ان التعارض الذى يتحدثون عنه بين هذين العالمين ليس بذلك القدر من الحدة ولا التناقض ، فقد أدى غياب القيم الدينية وضعف الاحساس بما تعنيه من التزامات خلقية فى كلا العالمين الى درجة تكاد تكون واحدة من المادية المسعورة التى لا مكان فيها لطمأنينة الروح ولا الاحترام لآدمية الانسان .

فى البلاد الغربية يتسابق الناس على الثروة وعلى ما تعنيه من لذة ومتعة وهم لا يرون فى سبيل ذلك بأسا فى ان يأكل القوى منهم الضعيف . واذا كانوا قد ادركوا بالفعل نصيبا عظيما من الرفاهية المادية فان ذلك لم يضع حدا للنهم والبحث عن اللذة حتى انتهى الامر بعد ان استنفدت المتع الطبيعية



أو المعقولةالى الوان غريبة منالانحراف وأدت التخمة الى انتشار شعور بالملل والسأم والفراغ وعبثية الحيـــاة ، أو الى الاغراق المرضى فى العنف والجنس وتعاطى المخدرات وما الى ذلك ، مما أصبحت فيه انسانيةالفرد هناكسائرة فى طريق رهيب من التدنى والانحطاط.

واما فى المجتمعات التى تدعو نفســها بالاشتراكية فان المادية وهى من اسس تكوينها الايديولوجي قد انتهت فيها الى امتهان كرامة الانسان وتحويلهالى قطعة صغيرة أو مسمار من آلة ضخمة ، آلة لاتسمح للفرد بأنيكون له تفكيرهالمستقل ولا تعبيره الحر ولا كيانه الروحى الخاص هذا هو الشاعر الشيوعى بابلو نيرودا الذى افتتحنا هذا الحديث بكلام له يتمدح فيه بما سماه « قدسية الانسان » يقول فى قصيدة «الأقليات الرجعية» مندیوانه « النشيد الكبير » مفتخرا بما صار اليه بعد انتمائه الصريح الى الحزب الشيوعى:

« وحينئذ تحولت الى جندى
تحت رقم مجهول فى كتيبة ما
من كتائب المحاربين الخالصين
والى استخدام شفرة الاجهزة السرية
تحولت الى شجرة مســلحة لا يمكن تحطيمها
شجرة هي احدى معالم طريق الانسان فى الارض » !

غير ان الرجل الذى يتحول فى ظل المجتمع الشيوعى الى « رقم مجهول » لا يملك الا أن يفقد خصوصيته الانسانية ، ولا نظنه قادرا على أن يصبح « من معالم طريق الانسان فى الأرض » .

أما ضوابط العلاقات بين الأفراد فى مثلهذه المجتمعات فانها بعد أن تحللت من منطلق الدين وسلطانه الروحى فانها لم تعرف كيف تقدم بديلا ناجحا يمكن الاحتكام اليه ، ولم تحقق فى النهاية ما أراد لها واضعو الايديولوجيةالشيوعية بل انها اثبتت قلة فاعليتها • ويدل على ذلكما يصل الى أسماعنا بين وقتوآخر **من وراء الستار المضروب على بلاد الكتلة الاشتراكية من دوى انفجارات لأزمات اجتماعية وخلقية لا تعرف كل تفاصيلها •• ولولا ان النظم الشـيوعية لا تتيح الفرصة لتبين ما يجرى فيها على وجـه التحقيق ولا تسمح بالنقد الحر فى داخل مجتمعاتها ، لعــرف النـاس من ألوان الفساد فيها اكثر مما يعرفون ، وان كان من الجلى ان هذه المجتمعات ابعد ما تكون عن ذلك « الفردوس الارضي » الذى كان « انبياء » الشيوعية يبشرون به الانسانية**

اما السؤال الثانى عن مدى نجاح هذه الدعوات المعادية للدين فى مجتمعات اليوم فان الذى يتأمل الاوضاع فيها ينتهى الى ان هذه الحملات الضارية على الدين سواء فى الشرق او الغرب لم تؤد الى ما كان يتوقع لها من نتائج • فنحن نرى فىالعالم الشيوعي بعد ستين سنة من نجاح الثورة البلشفية كيف لايزال للدين فيه مكان لم **تفلح الدعاية المضادة المتواصلة فى خلعه عنه حتى اليوم • ولهذا فقــد اضطرت السلطات الحاكمة فى البلاد الشيوعيـة راغمة للتسامح مع مابدا منشعوبهذه البلاد من تمسك بشعائرها ومعتقـداتها الدينية • فالمساجد فى الجمهـــوريات الاسلامية فى جنوب الاتحاد السوفييتى مازالت تعمر بالمصلين ، والمسلمونهناك على الرغم من محاولات الدولة لتدمير ثقافتهم وتراثهم الفكرى القديم لايزالون مصرين على التمسك بما بقى من خيوط تربطهم بذلك التراث ، ومثــل ذلك ينسحب ايضا على العقيدة المسيحية •**

وفى مجتمعات البلاد الغربية ترتفــع الآن أصوات عدد كبير من المفــكرين والمصلحين الاجتماعيين معبرة عن قلقهم

• الإسلام لا يحجر على الفكر، بل يحضه على أن يقتحم مجاهل الكون.

المتزايد وهم يتأملون الانحدار الخلقي الذي أدت اليه دعوات التحلل من الدين والضوابط الخلقيه المستمدة منه، ولا سيما بين اجيال الشباب التي ترى نفسها الآن فى حالة مخيفة من التخبط والضياع ويرى هؤلاء ان اصلاح الاحوال في بلادهم لن يتم الا بالعودة الى رحاب الدين وافساح جانب من حياتهم لرياضة الروح .

بل اننا نرى الان بين شعوب البلاد التي كانت وثنية او بلا دين اتجاها متزايد القوة يحاول ان يلتمس في دين من الاديان **السماوية ما يكفل لمجتمعاتها شيئا من التوازن النفسي الذي يضفيه الايمان الديني . وقد حملت الينا الصحف مؤخرا نبأ اعتناق بعض الشخصيات البارزة في اليابان للاسلام . هذا مع ان اليابان بالذات كانت من البلاد الشرقية التي اتسم النمو الاجتماعي والاقتصادي فيها بقدر كبير من الاعتدال، والسلامة مما صحب هذا النمو فى البلاد الاوروبية من تطرف وعنف ونزعات الى التمرد . وهذه العودة الى البحث عن الايمان بالله ظاهرة جديدة جديرة بالتسجيل والتنويه في مجتمعات اليوم .**

أما عالم الاسلام فقد كان للدين فيه ـ ولا يزال ـ مكانة مرموقة . وبفضله استطاع المسلمون ان ينشئوا حضارة عرفت كيف تستفيد من كل حضارات العالم القديم وثقافاته بغير تهيب ولا عقد وان كانت لها بعد ذلك شخصيتها المستقلة وأصالتها المميزة . وليس هنالك شك فى أن من اهم ما قدمه الاسلام للعالم هو الانسجام والتوازن بين حرية ارادة الانسان وعبوديته لله ، وبين حث الانسان على **استخدام كل قدراته العقلية بغير قيود وبين الايمان بقدرة الله العليا .**

فالاسلام لا يحجر على الفكر ، بل يحضه على ان يقتحم كل مجاهل الكون الا انه يحوط هذه الحرية بسياج من الايمان بالله والعبودية له وحده . وبهذا يتحقق للانسان اعتداده بقدراته العقلية في ظل سكينة الروح وطمانينة النفس ، بحيث لا يصيبه الغرور ولا يتحول ما يتوصل اليه عقله من منجزات الى ضرب من الصدام والتعارض بين الانسان والله، ويصبح العلم والايمان عنصرين متكاملين متجانسين في حياة الانسان ، لا يفرض فيهما ان ينتهيا بالضرورة الى الصراع .

وهذا هو في الحقيقة ما رأيناه يستقيم في الفكر الاسلامي في عصوره المشرقة ، فعلماء طبيعيون وكيميائيون واطباء مثل ابي الريحان البيروني وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابي القاسم الزهراوي وابن النفيس ، وفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد ، وجغرافيون مثل المسعودي والادريسي والبكري ورياضيون مثل الخوارزمي وابن البناء ـ كل اولئك قاموا ببحوثهم وتجاربهم وحققوا منجزات رائعة في مجالات عملهم بغير ان يشعروا فى وقت من الاوقات بأن ما يصلون اليه سوف ينتهي بهم الى تحدي قدرة الله او الاعتقاد في « قدسية » الانسان ، كما نرى في المجتمعات الحديثة حينما اصبح تقدم العلم مرتبطا بكثير من الازمات النفسية الحادة الناتجة عن تزعزع الايمان وانهيار القيم الروحية .

ونحن نخلص من هذا الى اننا الآن فى اشد الحاجة الى أن نعود مرة اخرى الى استحياء هذا المبدأ فى بناء مجتمعنا الحاضر : أن نأخذ من أسباب العلم بكل ما نستطيع وأن نقبل على الحياة اقبال الواثق الذى لا يريبه شيء من كل منجزات العقل ، على أن يقوم هذا البناء الجديد على أساس متين من الايمان بالدين وقيمه الروحية وضوابطه الخلقية .

مفهوم عصري

للإسلام

في أفريقيا

● الشيخ : عبد الرحمن النجار

● يذكر التاريخ أن الاسلام دخل افريقيا عن طريقين رئيسيين : هما مصر في الشمال الشرقي الذي انطلق منها الى جهة الغرب حيث نشرته في غرب افريقيا ، وانطلق منها جنوبا الى بلاد النوبة ، الى ان سار غربا حتى كردفان ودارفور ..

والطريق الثاني هو طريق الساحل الشرقى المواجه للجزيرة العربية ، والذى لا يفصله عنها الا البحر الاحمر ، وقد رحل الكثيرون من العرب الى هذا الساحل ووجدوا الشاطىء الافريقى قريب الشبه بوطنهم ، لقد وجدوا - أولا - سهلا حارا جافا تسقط عليه أمطار منتظمة لها آثارها على النبات الطبيعي والزراعة والتطور الحضارى ، ووجدوا بيئة تشبه ما الفه عرب الجنوب فى بلادهم ، ووجدوا ثروة طبيعية ونشاطا بشريا ، وانتاجا أوفر من الطيب والصمغ والعاج ، ولا يزال الشاطىء الافريقى يحمل أسماء من الجنوب العربى فى مناطق مصوع وعصيب وما وراءها فى الداخل .. واذا ما استقر الوافدون خالطوا اهلها الذين سبقوا اليها ، وتنشأ من التفاعل نمط حضارى له ملامحه الاجتماعية والسياسية والثقافية ، المتأثرة بما كان فى الجنوب العربى من عادات وتقاليد ...

ولقد اخذ الافارقة عن العرب شدة تدينهم ، ورغبتهم فى المحافظة على فرائض العبادات سواء أكانت مفروضة ام مندوبة . وقد اخذوا الدين فى يسره وبساطته ، وواقعيته .

لقد حل بينهم العرب فوجدوا السحر سائدا بينهم ، والخرافات تضرب باقدامها الثابتة فى اراضيهم ، وهناك السحرة ولهم شهرتهم وصيتهم ، ويتدخلون فى امور الناس ، ويخشاهم من لم يدفع لهم اتاوة ، كانوا يعالجون

المرضى بالسحر ، ويتقاضون على ذلك جعلا طيبا ... وعندهم اعتقاد قوى بأن للماء قوة فاعلية غريبة ، فالطبيب الساحر مثلا لا يغتسل بالماء البارد ولا يمسه الا كل عام مرة .

ويتركز تأثير « الطبيب » وقوته فيما يكون بجسمه من وسخ ودهن يتخذ منه مادة الطب ، فاذا ما مس الماء تناقصت قوته ، وكانوا يعتقدون أن الماء البارد اذا صب على القبر استراحت روح الميت ، وحفظ مما قد يزعجه .. واذا ما هبت عاصفة شديدة ،تراهم يسارعون الى أعداد الماء البارد ليلقوا به فى طريق الرياح ، فاذا اهملوا ذلك فمن المحقق ـ فى اعتقادهم ـ أن يموت واحد منهم ... وقد كان العلاج مقصورا على أفعال السحر هذه ، وكان الايمان به متغلغلا فى القلوب ...

وبنشر قيم الاسلام ، فهم المسلمون هناك تعاليمه فهما صحيحا ، وانتقل هذا الى غير المسلمين ، فالسحر ليس هو الوسيلة المفضلة للعلاج من الأمراض بل ان هناك الأطباء المتخصصين والأدوية المختلفة. والدين يعلمهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « **تداووا عباد الله، فان الله لم يخلق داء الا وخلق له دواء** ». وبذلك فهموا العلاج فهما عصريا من واقع تعاليم الدين .

ومن القيم التى كانت سائدة عندهم عدم احترام العمل اليدوى ، فالذى يعمل بيده هو انسان ساقط المروءة، لا يصاهر الا من يعمل مثل عمله ـ أى فى عمل يدوى ـ لكن الآن أصبح للعمل اليدوى قيمة ، لأنهم فهموا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما أكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** » .

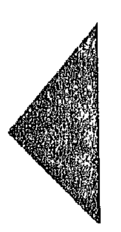
وقبل الاسلام كانوا يحتقرون العمل فى الزراعة ، فأهملوا الأرض ،وتركوها ليستثمرها الأجانب بعد أن يتملكوها ، وكان الافريقى يرى أرضه يملكها غيره ، ويستخرج منها خيراتها وهو جالس لا يجد قوت يومه ، وقد استنكف العمل فى الأرض ......

والآن بعد أن فهموا أن الاسلام هو دين الحياة ، وانه يحث على العمل فى جميع المجالات ، ويشجع جميع الانشطة، ناضلوا من اجل استرجاع ارضهم ،ثم تعميرها بالزراعة .

لقد سمعوا فى تاريخ المسلمين ان رجلا جاء من البادية وهو ممن يعمل فى قطع الأشجار ليبيع أخشابها حتى خشنت يداه ، وجاء الى المسجد النبوى الشريف ، وسلم بيده على الصحابة فوجدوا فيها خشونة من كثرة العمل ، ثم سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فيها الخشونة ، فشد عليها فى حفاوة وغبطة ، وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » .

***

وكان لهم ـ قبل الاسلام ـ فهم عجيب فى معنى الطهارة والنجاسة ، وقد شاهدت بنفسى فى بعض جهات أفريقيا اثر هذا الفهم ... رأيتهم لا يسلمون بأيديهم على الأجانب من الوافدين عندهم ، ولفت نظرى اننى شاهدت بعض كبرائهم فى حفل رسمى وهو لا يسلم على الضيف الأجنبى ، ولكن يشير اليه برأسه تحية له ، وسألت عن هذه الظاهرة ، فقالوا لى : ان الله تعالى يقول : « **يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس** » وما دام المشرك نجسا ، فاذا وضعت يدى فى يده فكأننى وضعتها على نجاسة ، وأنا أحب أن يظل جسدى طاهرا ، وقلت فى نفسى : سأتركهم مع هذا الفهم الخاطىء الى أن تستقل الدولة ، ويصبح الأجانب فيها أفرادا عاديين ، وأفهمهم أن معنى نجس أن عقيدتهم باطلة ، فالنجاسة معنوية ، لكن أجسادهم ليست نجسة ، ويجوز أن يسلموا عليهم ولا يكون ذلك وضعا لأيديهم على نجاسة



وبالتالي لا ينتقض وضوؤهم ، وفضلا تركتهم لتتعمق كراهيتهم للمستعمرين، وعندما استقلت الدولة التي كنت أعمل بها شرحت لهم معنى الآية ((**إنما المشركون نجس**)) وتعبت معهم كثيرا في تفهيمهم معناها ، وهي أن النجاسة معنوية لا حسية .

***

ومن فهمهم الطيب لقيمة دينيةجليلة احترامهم العلماء احتراما يصل الى حد التقديس ، واحترامهم المسنين ، ويقولون : هذا الرجل قد شاب في الاسلام . يعني أن عمره قد طال وهو مسلم ، فله فضل كبير عند الله ... وعندهم قداسة لكتاب الله ، انهم يحرصون على ان يكون عند المسلم مصحف ، او جزء واحد من اجزائه ، واذكر وانا ازور منطقة من مناطق شرق افريقيا ، وكان معي مجموعة من المصاحف واردت توزيعها ، انهم تسابقوا الي درجة التماسك بالايدى ، وكل واحد يريد ان يحظى بشرف ان يكون عنده مصحف ، ثم قسموا المصحف أوراقا واخذ كل واحد ورقة منه ...

والعجيب ان الافريقيين عموما ، لغتهم ليست هي العربية، ولكن تعليمهم قراءة القرآن منذ صغرهم ، جعلتهم يستطيعون القراءة في المصحف بطلاقة وان كانوا لا يفهمون المعنى الا اذا شرح لهم بلغتهم ...

وقد كانوا لا يتعلمون الا العلوم الدينية ، لانها هي الوحيدة التي تقرب الانسان من ربه ، لكنهم الآن فهموا أن العلم المطلوب من المسلم ان يتعلمه ليس مقصورا على علوم الدين وحدها ، بل يتسع ليشمل جميع الوان العلوم ، وكلها تقرب الي الله ... والله تعالى يقول : ((قل انظروا ماذا في السموات والارض)) ـ ويقول : ((وفي انفسكم افلا تبصرون)) ـ وكان من دعاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما ورد في القرآن الكريم : ((وقل رب زدني علما)) ...

***

ولقد كانوا يفهمون معنى التوكل على الله ، على انه الكسل والقعود والزهد في الدنيا ، فانتشرت لديهم البطالة ، اعتمادا على انهم متوكلون على الله،والله تعالي تكفل برزق عباده حسبما قال : ((**وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها**)) .

لكنهم الآن فهموا أن التوكل ليس معناه التواكل ، فالتوكل فيه اتخاذ الأسباب ثم الاعتماد على الله ، أما التواكل فهو عدم اتخاذ الاسباب أبدا وسؤال الله الرزق بلا عمل ، لقد وجدوا ان ذلك لا يطعمهم من جوع ، ولا يغنيهم من فقر ، ولا يسعدهم من ضيق ، فجدوا في العمل في جميع مجالاته ، والله تعالى قد حث على العمل حيث يقول : ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**)) . ولقد استغلوا اراضيهم احسن استغلال واستخرجوا منها كثيرا من خيراتها ((**ورزقهم الله من حيث لا يحتسبون**))

***

انهم يقدسون يوم الراحة من كل اسبوع ، ولا يحاولون اداء اي عمل فيه ، بل يقضونه في النزهة والترفيه، حتى يعودوا الي عملهم بعد يوم الراحة وهم اكثر ما يكونون نشاطا واقبالا على العمل ، وفي الحق انهم يحترمون اوقات العمل كل الاحترام ، وبنفس القدر يحترمون ايام الراحة ، ويتفننون في ايجاد جو الترفيه حولهم ، بحيث يستريح فيه الرجل الذى يعمل ، ومعه اسرته واولاده . كما ان وقت العمل لا يحب الواحد منهم ان تضيع منه دقيقة واحدة ، ولا يتزاورون أثناء



وقت العمل ، ويعتبرون العمل عبادة يثيبهم ربهم عليه، فهم يطبقون مانرفعه من شعارات : العمل حق ، العمل شرف ، العمل واجب ، العمل حياة .

***

والجميل جدا عند الافريقيين عموما احترامهم للنظام ، لا ترى تزاحما عند ركوب السيارات العامة، ولا تزاحما امام مكاتب البريد ، أو التلغراف ، أو امام اي مرفق من مرافق الخدمات ، انما تراهم يقفون صفوفا منتظمة ، ولا يتخطى أحد دوره مهما يكن شانه ، وقد تعلموا ذلك من النظام في الصلاة ، حيث يطلب من المصلين جماعة أن يقفوا صفوفا منتظمة ، خلف أمامهم ، الذى يلتزمون بتعاليمه ، فلا يدخلون فى الصلاة الا اذا دخل ، ولا يركعون الا اذا ركع ، ولا يسجدون الا اذا سجد ، ولا ينهون صلاتهم الا اذا انهاها اولا ...

لقد طبقوا هذا النظام في حياتهم العملية ، وهو بلا شك فهم عصرى وواقعى لتعاليم الاسلام . ولم يجعلوا من الصلاة مجرد طقوس تؤدى شكلية بدون أن يكون لها تاثير عملى فى سلوك الانسان .

***

ومن الفهم العصرى للاسلام بساطتهم في الحياة ، فهم لا يعقدون حياتهم ، ولا يتكلفون فيها ، بل هي الصراحة والوضوح ، يدعوك الواحد منهم للطعام اذا كنت في زيارة له ، فان كنت فى حاجة الى الطعام اكلت معه ، والا اعتذرت ، انه يدعوك مرة واحدة ، ولا يلح عليك من باب المجاملة وانت تعتذر من باب المجاملة كذلك ، بل يدعوك مرة واحدة ، لتعتذر أو تجيب .

واذا زارك وأراد الانصراف فلا ينتظر منك أن تطلب منه مد وقت الزيارة ، ويعتذر، وتحاول ثانيا وتقسم بأن يجلس ولو زمنا قليلا ، وهكذا مجاملات لامعنى لها ، وقد يكون صاحب البيت عنده ما يشغله ، ولكنه يجامل بلسانه فقط لكنهم وفروا هذا الوقت الضائع ، اذا هم الزائر بالانصراف ، فيسلم عليه صاحب البيت ويودعه ، وذلك لا يستغرق دقيقة واحدة ، هذه هى تعاليم الاسلام الحضارية التي تدل على أن الانسان يحترم وقته ووقت غيره .

ومن آثر هذه الصراحة أن الواحد منهم اذا ارتكب خطأ وسألته عنه اعترف لك واعتذر . ولا يحاول أن يخفي حقيقة من الحقائق ، أو يكذب وهو يقص عليك حادثا وقع له ، فالصدق عندهم فضيلة مقدسة ، وقد تعلموها من دينهم وعرفوا أن نبيهم الذى يحبونه أشد الحب كان يلقب منذ صباه بانه الصادق الأمين ، والله تعالى يأمر بالصدق في قوله : ((**ياايهاالذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**)).

***

بهذا فهموا الاسلام فهما عصريا .. لم يفهموه طقوسا مبهمة ، ولم يفهموه معزولا عن حياتهم ، بل طبقوا تعاليمه على حياتهم وسلوكهم ، فاستحقوا بذلك ـ مع أن اكثرهم شعوب بدائية ـ استحقوا أن ينطبق عليهم قول الله تعالى : ((كنتم خير امة اخرجت للناس)) لانها اتخذت من رسولها أسوة حسنة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مدحه ربه بقوله : ((وانك لعلى خلق عظيم)) .. وهو الذى دعا امته الى اصلاح دنياهم واصلاح اخراهم في قوله : ((اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا)) . ويا ليت المسلمين فى مختلف أقطارهم يطبقون تعاليم الاسلام عمليا ، ويفهمونه هذا الفهم العصرى .. حتى يكونوا تقدميين متحضرين .

مصاحف النسخ الفنى للقرآن وآثار إسلامية نادرة

ابراهيم البعثى
يكتب من دبلن :

ان تقوم دولة او هيئة بجمع روائع المخطوطات ، فهذا يبدو امرا عاديا او معقولا .. ولكن عندما يقوم فرد بهذه المهمة ، فهذا ما يلفت الانظار خصوصا اذا كان هذا الشخص غير دارس للتاريخ او متعمق فى الادب او الفن او الدين او غيرها ..

اسمه : تشيستربيتى — جنسيته ايرلندى — مهنته : مهندس ومستثمر للأموال .

اهم شيء كان يتميز به ، هو انه كان يتمتع بقدرة عالية علي الحكم الجمالي ويحسن الحكم على القيمة الفنية للصورة او الرسم او الخط .

وقد اصبح تشيستربيتى جامعا للمخطوطات فى جدية واهتمام منذ عام ١٩١٣ اثر زيارة قام بها للشرق الاوسط، فقد عثر مصادفة على مجموعة كبيرة من المخطوطات الاسلامية التى كانت معروضة للبيع باثمان زهيدة ، سواء لشدة حاجة صاحبها الاصلى الى المال او لانه لم يكن على درجة من الوعى بحيث يقدر قيمتها او اهميتها .

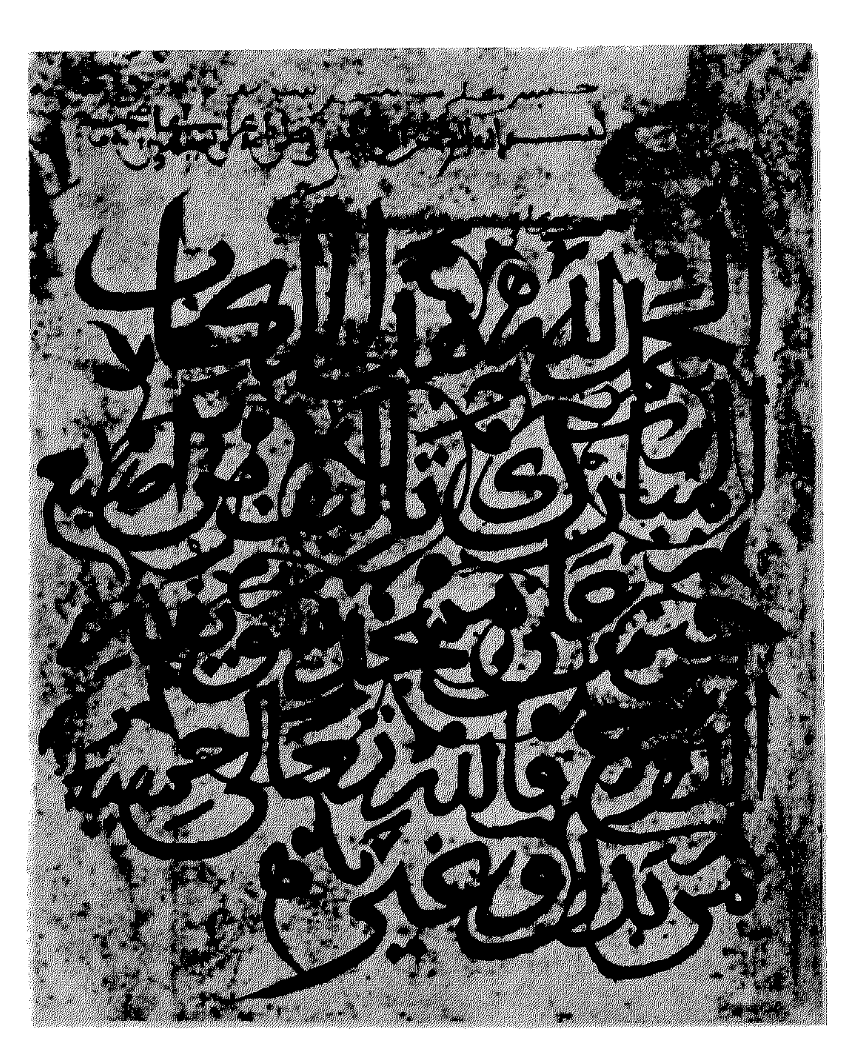
ومنذ هذه اللحظة اقبل تشيستربيتى على شراء المخطوطات والاعمال الفنية العربية والفارسية والهندية .

ولم يكن يقتصر على جمع الطبعات الاولى فقط، بل انه كثيرا ماكان يشترى الكتاب بسبب تجليده او ما يزينه من رسوم ..

ولم يكن يهتم بشراء مخطوطات عصر معين ، بل ان مجموعاته المختلفة اصبحت تضم ما يبرز تاريخ الحضارة ابتداء من عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد وحتى اليوم ..

ومن اقدم ما نجح فى الحصول عليه : مجموعة الواح الطوب البابلية ، واوراق البردى المصرية واليونانية ، ومنها على سبيل المثال صحيفة من البردى كتبت فى عهد رمسيس الخامس ، وهى تمتاز باهمية خاصة لانها تضم بعض اغانى الحب المصرية القديمة فى نصوصها وهى كاملة تماما ..

ولكن اشهر مجموعة من اوراق البردى فى مكتبة تشيستربيتى هى صحائف البردى التى تضم الكتاب المقدس باليونانية ، وقد اكتشفت فى الفيوم المدينة المصرية العريقة حيث كانت مدفونة فى مكان كان من قبل سردابا لكنيسة قديمة ، وحصل عليها تشيستربيتى من بائع فى القاهرة عام ١٩٢٩ ، ولكنه لم يعلن عن اكتشافه على العالم الا عام ١٩٣١ عندما تأكد من



نموذج للصحيفة الافتتاحية لكتاب عقيدة ابن اصبح ، مكتوب فى الاندلس فى القرن الثالث عشر . . .

صحتها ـ وطبعا كان البائع لا يعرف قيمتها او قدرها ...

وفى فترة الانتظار كان علماءالكتاب المقدس يفحصون اوراق البردي بسرية تامة لتحديد تاريخها وعمرها ، وقد اتضح بالفعل ان اوراق البردى هذه كانت اهم فئة من المخطوطات المتعلقة بالكتاب المقدس التى اكتشفت منذ اكتشاف قانون سيناء عام ١٨٤٤ ، واتضح ايضا ان اجزاء سفر التكوين

مصاحف نادرة وآثار إسلامية نادرة

التي حصل عليها تشيستربيتي كانت اقدمها في الوجود ..

وتمتاز أوراق البردي القبطية أيضا بأهمية قصوى نظرا لاحتوائها على نصوص كتب مفقودة لأصحاب العقيدة المانوية التي كانت سائدة في الماضي حول جزء كبير من حوض البحر الابيض المتوسط .

ترى كيف خرجت هذه الروائع النادرة ببساطة من مصر ؟!

صالة المخطوطات الغربية

وكانت مكتبة تشيستربيتي تضم في فترة ما عددا كبيرا من المخطوطات الغربية الا أن أغلبها بيع بعد وفاة السير تشيستربيتي عام ١٩٦٨ ..

والباقي منها له اهمية قصوى ، فعلى سبيل المثال يوجد « كتاب الساعات » الرائع الذي كتب بأمر من عاشق الكتب الكبير الاميرال كوتيفي الفرنسي حوالي عام ١٨٤٥ ..

وهذا الكتاب عبارة عن ١٤٤ لوحة جميلة في حجم صغير جدا قام برسمها كبار فناني بدفورد .. ويقال ان الاميرال كوتيفي كان يأخذها معه في رحلاته ..

وكذلك تضم مجموعة تشيستربيتي مخطوطات ارمينية لها وضع خاص لدى المؤرخين نظرا للمركز الذي كانت تحتله ارمينيا بين بيزنطة والاسلام ، وقد نجح القادة المسلمون فعلا في نقل الرسم البيزنطي الى مراكز التأليف والمخطوطات في عواصم العالم الاسلامي ..

وتعود روائع هذه المخطوطات الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وقد زين بعضها برسوم أعظم الرسامين ، ومن بينها أيضا عدد كبير من المخطوطات من أصفهان ، وفيها أيضا خمسون مجموعة من المخطوطات الاثيوبية التي زينت برسوم « منمنمة » كثيرة وأكلها ذات طابع افريقي قوى ..

وهناك أيضا نسخة من كتاب « ويداسا مريم » أي مدائح مريم ، كان قد استولى عليه ضابط بريطاني بعد معركة مجدلة عام ١٨٦٨ عندما غزا البريطانيون اثيوبيا ..

وهناك مجموعة صينية عبارة عن ١٧٠ صحيفة منها ٣ مجلدات من موسوعة قديمة كانت قد الفت بأمر من الامبراطور العالم تشيين لونج « ١٧٥٦ — ١٧٩٥ » التي بلغ عدد مجلداتها الفي مجلد ، وقد حفظت هذه المجلدات في المكتبة الامبراطورية في بكين الى أن قامت ثورة البوكسر عام ١٩٠٠ عندما أحرقت البناية أثناء المعارك ، وبعد الحريق تم انقاذ بعض المجلدات ونقلها من الصين ، وبالتالي أستطاع تشيستربيتي أن يشترى ثلاثة مجلدات منها .

وهناك أيضا تعويذة سحرية بوذية من القرن الثامن عشر كتبت على ورق وأحيطت بمعبد مصغر ، ولها اهمية كبيرة حيث أنها أقدم نموذج معروف لنص مطبوع .

والمجموعة اليابانية تحتوى على مائة صحيفة ملفوفة من الرسوم ، ولبعضها قيمة صناعية خاصة لانها تحتوى على تسجيل لعمليات زراعة الشاى وصناعة الحرير وكذلك معلومات عن التعدين والمناجم .. وهنا تنعكس اهتمامات تشيستربيتي الاصلية اذ أنه بدأ حياته كمهندس تعدين ..

وهناك ما يقرب من الالفى عمل مطبوع باليابانية بالاضافة الى عدد من الكتب المطبوعة بالكليشيهات الخشبية ، وتمثل هذه الكتب جميع عظماء فن الطباعة اليابانيين من أمثال هوكوزاي ، وهيروشيجى ، وأوتامارو وغيرهم ..

الكنوز الاسلامية

والزائر العربي الذي يدخل مكتبة تشيستربيتي في دبلن سيصاب بدهشة شديدة لما سيجده هناك ، واول ما سيثير اهتمامه هو نسخة من القرآن الكريم

بخط اعظم خطاط عربي هو ابن البواب، وقد كتبهافي بغداد سنة ٣٩١هجرية ـ ١٠٠٠ ميلادية ، والى جانبها هناك رسم ((منمنم)) رائع بريشة ((بهر زاد)) ادق رسام فارسي على الاطلاق ، وسيجد ايضا ـ على بعد خطوات ـ مؤلفا عربيا فريدا من البيزرة من مكتبة الخليفة الفاطمى العزيز ..

وطبعا سيتساءل الزائر العربى في دهشة :

● كيف وصلت هذه الكنوز من نوادر الادب الاسلامي وروائع الفن الفارسي الي هذه البقعة البعيدة عن الشرق الاوسط؟

قبل الاجابة أقول :

ـ صحيح أن تشيستربيتي كان ايرلندى الجنسية ، ولكن الحقيقة انه ولد في مدينة نيويورك الامريكية عام ١٨٧٥ وتعلم بها . وفى عام ١٨٩٥ انتسب الى كلية هندسة التعدين فى كولومبيا حيث تخرج بتفوق عام ١٨٩٨ ، وفى شتاء العام نفسه غادر نيويورك متجها الى دنفر في ولاية كولورادو التي كانت وقتئذ مركز صناعة تعدين النحاس الامريكية ..

وكانت هذه فترة حياة الغرب الامريكي المقفر الذى عرفناه جيدا من الافلام الامريكية فى الثلاثين عاما الماضية ، وفى هذه الفترة تمرس تشيستربيتى على حياة العنف التى لم يكن يأمن فيها انسان على حياته ما دام لا يحمل مسدسا في حزامه ، ولكن تشيستربيتي يختلف عن الجميع بانه كان يخفى مسدسه فى حذائه الطويل ..

وفعلا تعرضت حياته للخطر اكثر من مرة ...

كان قد وصل دنفر فى ولاية كولورادو وكل ثروته عبارة عن سبعين دولارا ، ولكنه قبل أن يبلغ السادسة والثلاثين ـ أي خلال ١٣ عاما ـ اصبح يملك مليونا من الجنيهات ...

وفى السادسة والثلاثين من عمره قرر أن يعتزل العمل فى المناجم بين العنف والسحب، وقرر أن يعيش في بريطانيا،



صحيفة من مخطوطة ((شاه نامه)) للشاعر الفردوسي . دونت بايران حوالي عام ١٣٤٠ ، وتمثل كسرى وهو يملى رسالة الى خاقان الصين .

وكان الاطباء قد ابلغوه فى ذلك العام ـ ١٩١١ ـ أنه لن يعيش أكثر من عام أو عامين .

وتشخيص الاطباء استند الى انه امضى ساعات تحت الارض تحت اقسى الظروف وهو يتنفس غبار المناجم الدقيق باستمرار مما أدى الى اصابته بمرض تراب الرئة ..

ولذلك قرر بيتى أن يمضى ما بقى من عمره في جو أفضل وأكثر ملاءمة لصحته، ولذلك فضل أن يعيش فى أوربا صيفا وفى مصر شتاء .. وهكذا وصل لندن مع طفليه ، وقلبه وعقله قد رسخت فيهما هذه القناعة .

وزاد من آلامه أن زوجته توفيت فى الولايات المتحدة قبل مغادرته لها بأيام.

ولكنه فى لندن ، عاد يتعلق بالحياة وتزايدت اهتماماته ببلاد العالم المختلفة بالاشتراك مع صديقه هربرت هوفر الذى اصبح رئيسا للولايات المتحدة فيما بعد ..

وانتقل تشيستربيتي من كنوز جبال الاورال فى روسيا الى نحاس روديسيا ثم ذهب أفريقيا الغربية ..

وكما كان مهندسا قديرا فى شئون

مصاحف نادرة
وآثار إسلامية نادرة

المناجم برزت مواهبه المالية ، ولكن قيام الحرب العظمى الاولى حال دون تزايد نشاطه ..

وفي شتاء عام ١٩١٣ ، وصل بيتي مع زوجته الجديدة الى مصر للمرة الاولى ، وقد شعرا بروعة جمال وادي النيل وآثاره الاسطورية ، ووجدا المناخ الذي يلائمهما تماما ، ولذلك قام بشراء مسكن ((فيللا)) سماها البيت الابيض ، ثم بنى بيتا بالقرب من اهرام الجيزة احاطه بالحدائق والبساتين ..

وكان من عادته ان يتمشى حول الاسواق وفي احياء القاهرة القديمة ، وكان يصادف اثناء هذه الجولات عددا من باعة المخطوطات القديمة المتعددة الانواع ، وكان يجد على سبيل المثال نسخة من القرآن كتبها خطاط لاحد سلاطين المماليك او رسالة مزينة بالرسوم الغريبة أعدت لمكتبة اسطنبول الملكية ، او سجلا قديما من الرسوم من بلاط الامبراطور الهندي جهانكير .

والذي اثار دهشة واهتمام بيتي ان عددا ضئيلا من الناس كان يبدي اهتماما بهذه النفائس بينما الاغلبية لا تهتم بها رغم وجودها أمام أنوفهم ..

وكان الاوربيون وقتئذ يفضلون جمع المخطوطات الغربية للعصر الوسيط على المخطوطات الاسلامية ..

وهكذا كان من السهل على تشيستربيتي أن يشتري روائع المخطوطات والاعمال الفنية بأبخس الاثمان رغم أنه كان عاجزا عن قراءة سطر واحد منها لجهله باللغة العربية ..

وعندما عاد الى لندن بدأ يبحث في أسواقها ومكتباتها على المخطوطات والمؤلفات العربية والفارسية . وقد استعان في هذه المرحلة بالمستر ادوارد ادواردز الذي كان يعمل وقتئذ في قسم المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني .

وكان بيتي يدفع ربع ثمن الكتاب كتأمين ثم يعطيه لصديقه ادوارد ليدرس ويتفهم مدى قيمته ، فاذا نصحه بشرائه دفع باقي الثمن .

واصبح له وكلاء في الشرق أشهرهم هما : كانا ساكيسيان وكان تاجر كتب ارمني له متجر بالقاهرة ، و أ. س. يهود المستشرق اليهودي في شمال أفريقيا . وفي الفترة بين عام ١٩١١ ـ ١٩٤٩ كان بيتي يسمح لمستشرقي العالم على مختلف جنسياتهم بفحص ودراسة مخطوطاته بل انه استعان ببعض العلماء ـ على نفقته ـ في تدوين وفهرسة وطباعة مجموعاته .

وفي عام ١٩٤٩ وعلى اثر خلافات مالية مع الحكومة البريطانية انتقل الى دبلن عاصمة ايرلندا حيث اشترى منزلا واعد مكتبة تحمل اسمه ..

وكان تشيستربيتي مشهورا بالكرم خاصة فيما يمس الكتب والمخطوطات ولكن قمة كرمه وسخائه انه عندما توفي عام ١٩٦٨ وهب مكتبته بأكملها للأمة الايرلندية .. هذه المكتبة التي تضم الان أكثر من اثنى عشر الف مخطوط وعمل فني ..

والمخطوطات العربية عبارة عن ٣٦٥٠ مخطوطا قام بتنسيقها وفهرستها المرحومان أ.ج. آربري من كمبردج ، والالماني باول كاله .

وهي عبارة عن ثلاثة انواع : نسخ قديمة جدا ، ومؤلفات فريدة ، ومخطوطات نسخت بيد المؤلف الاصلي .. هناك مثلا نسخة يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثالث عشر من صور الاقاليم «مخطوطة ٣٠٠٧» من تأليف الاصطخري « ٣٤٠ هجرية ـ ٩٥١ ميلادية » وقد زينت بخرائط ممتازة .

وهناك مؤلف بلا عنوان للكاتب الاندلسي المعافري المالقي يحتوي على مقالات لنساء شهيرات في الاسلام مثل عائشة بنت طلحة . وام الدرداء من دمشق المشهورة بعلمها في الفقه وعلم الكلام ، والشاعرة ليلى الاخيلية مع بعض



اشعارها « مخطوطة رقم ٣٠١٦ » وفهرست ابن النديم « ٣٧٧ هجرية ـ ٩٨٧ ميلادية » ..

وهناك جزء من كتاب « خاورنامه يحتوي على قصص ابطال الاسلام وخاصة اولئك الذين يتصلون بالامام علي ، والصور في حجم كبير غير عادي وقد رسمت بالوان زاهية جدا .

وهناك مخطوطات تركية كثيرة نظرا لأن السلاطين الاتراك كانوا يشجعون التصوير واحدها يضم فتوحات السلطان سليمان القانوني وقد كتبه لقمان عشوري المؤرخ الرسمي للسلطان ، وهناك مخطوطات مغولية هندية من ٧٤ مجلدا وسجلا مصورا .

٧٠ نسخة من القرآن

وتضم مكتبة تشيستربيتي نخبة بديعة من المصاحف جمعت من كل انحاء العالم ابتداء من الاندلس حتى الصين .

وقد كتب منظم فهرس مجموعة المصاحف المستشرق ا. ج. آربري ما يلي :

« ان مجموعة المصاحف في مكتبة تشيستربيتي الفائقة في الحجم والجودة والتنويع تضم نماذج مدهشة من كل قرن وكل اسلوب بحيث توضح بكمال يثير الدهشة تاريخ النسخ الفني للقرآن الكريم » ..

العربية في الجامعة الايرلندية

وبعد أن اصبحت المكتبة ملكا للشعب الايرلندي بدأت ايرلندا الوطنية في تطوير وتحسين مستوى تدريس اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، فقد تبين انه اذا اريد لشعب ايرلندا أن يستفيد من مجموعات مكتبة تشيستربيتي فانه لابد من تمكين الطلاب الايرلنديين من تذوق محتويات هذه المكتبة والاستمتاع بدراسة كنوزها ..

ولذلك تقرر أن تيسر دراسة اللغة العربية لخريجي الجامعة من حملة البكالوريوس ثم لغير الخريجين من الطلاب ..

وقد بدأ الاخذ بهذا المخطط بالنسبة لتعليم اللغة العربية والدراسات الاسلامية في عام ١٩٧٢ ..

ولكن الدراسة لم تثمر على النحو المرجو ، ولذلك فاننا نقترح ان يسهم الازهر ووزارات التربية والتعليم في كل الدول العربية في هذه الخطوة الهامة التي تقوم بها جامعة ايرلندا الوطنية نظرا لضعف امكانياتها .

وبهذا تنجح مكتبته في نشر اللغة العربية بين المواطنين في دولة بعيدة عن الشرق الاوسط .. دولة قريبة من القطب الشمالي ... ●

● موعد مع الهلال ●

في العدد القادم والاعداد التالية

تفتحت صفحات هذا العدد من « الهلال » للبحوث والدراسات عن « الاسلام والعصر » ... فتأجل نشر مواد كثيرة مما يقدم « الهلال » من ثمرات قرائح كبار الكتاب وشباب الأدباء والشعراء ... فمعذرة ، وموعدنا العدد القادم والأعداد التالية من « الهلال ».

المـــرأة

بـين الإســلام والشرائع الأخـرى

• عبد الرزاق نوفل •

● كرم الاســلام المرأة حيث لم تكرمها الشرائع الاخـرى ، وافــرد لهــا مكانتهــا في تساو مع الرجل ، بل انه خالف الشرائع الاخرى وناقض المعتقــدات التى كانت سائدة بالنســبة للمرأة وقت أن انزل الله سبحانه وتعــالى الاسلام نهاية الاديان واكملها ، وآخر الرســالات ــ اذ نجــد فى أول صفحات التاريخ المكتوب ، سواءاكانت رسوما علي حجر ، أو تسجيلا علــى اثر ــ ان المرأة ايا كانت مسمياتهــا او صفتها ، زوجة او خليلة او تابعــة او جارية : انما كانت تختلف عنالرجل فى قيمتها اختلافا كبيرا ، وتبعد عنه بعدا طويلا .. فهى لاتملك حتىنفسها ولاتماثل الرجل حتى فىشكل الحياةالتى تعيشــها معه .. فكافة الرســوم الموجودة علي الآثار تظهر الرجل يسير متقدما على المرأة ..واذا ركب الدابة، فهى تسير خلفه وخلفها ، تحملمتاعه ومتاعها ..

وما زالت هــذه العادة ناشبة فى بعض المجتمعات المتخلفة والقــرى النائية ، مما يؤكد أن المرأة لم تكن فى ظن الرجل ولا فى معتقــده الا جارية له ، أو تابعة تتبعه ، أوخادمة تقوم علي كل شأنه ..

وكــانت بعض الشرائع تذكــر أن المرأة كان لا روح لها ، وانها اذامانت فلا تحشر ولا تحاسب ، ولذا اذا مات زوجها تترك بلا غذاء حتي تموت !.

واذا رجعنا الى الشرائع القــديمة المكتوبة نجد أن فى شرائع الهند النص الذي يقول :

« ان الوباء والموت والجحيم والسم والافاعى والنار ــ خــير من المرأة » .

وفي الشرائع الاحدثنجد فى نسخ العهد القديم المتداولة وفى سفــر الجامعة بالاصحاح السابع نصايقول:

« درت انا وقلــبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقــلا ، ولأعرف الشر انه جهالة ، والحماقة انها جنــون ، فوجدت أشر من الموت : .. المرأة ، التى هي شباك ، وقلبهــا اشراك ، ويداها قيود .. الصــالح قــدام الله ينجو منها أما الخاطىء فيؤخذ بها !»

هذه النظرة الى المرأة ، وهــذا الاعتقاد فيها ، قد ترجم الى قوانين وتشريعات ، فالى عهد قريب وحتــى القرن الماضى لم تكن للمرأة الشخصية الاستقلالية التى تجعلها تمتلك حتــى ملابسها ، فهى اما ملك لزوجها ، او لابيها .. وان لم يكن لها الزوج او الاب فهى ملك لاكبر اشقائها .. وليس لها الاهلية التى تمكنها من التصرف فــى مالها ــ ايا كان مصدره ــ بل هــناك دليل واضح علي قدر ماترى المجتمعات الغربية فى المرأة .. انها تفقد اسمها واسم ابيها وعائلتها بالزواج، اذتحمل

اسم زوجها ، وما ذلك الا من آثار ما كانت عليه المراة اذ تتبع زوجهـا تبعية كاملة تفقد معها شخصيتهـا الاستقلالية بل اسمها أحيانا واسـم عائلتها حتما ..

ولم تكن المراة فى بلاد العرب أحسن حـالا .. فكان الاعـرابى يقتـل ابنته بمجـرد ولادتهـا ان كانت قبيحـة .. فان كانت جمـيلة وأبقى على حياتها : فانما لفترة حتى تصير طفلة فيدفنها حية ، وهذا هو «الوأد» الذى يقول عنه القرآن الكريم: ((واذا الموءودة سـئلت . بأى ذنب قتلت))

وكان الاعرابى يجمع بين الاختين بالزواج ، ويتزوج لفترة زمنيـة يحددها .

ومثل ذلك كثير مما يشير الى مهانة المراة فى مجتمع العرب قبل الاسلام.

ونزل القرآن الكريم ، دستور الدين الخالد ، الاسلام ، ليعطى كل ذى حق حقه ، ويكرم الانسان : التكريم الذى أراده الله سبحانه وتعالى . اذ خلقه بنفسه ليكون خليفة له فى الارض .

والانسان الذى خلقه الله وجعلـه خليفة فى الارض انما يضم الجنسين الرجـل والمراة .. وحيث كانت المراة قبل الاسلام تعيش فى ذلة ومهانة ، وفى ضياع وندامة ، فقد ركز القرآن الكريم على تكريم المراة ، واهتم نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم بها ، أيما اهتمام .

فقد أفرد القـرآن الكريم للمـراة سورة خاصة بل أطلق عليها اسمهـا وهى سورة النساء ، احدى السـور الشريفة الطويلة : وقـد اختصـت بالعناية بكل شئون المراة .

علاوة على ذلك فان سورا أخرى كريمة قد أوردت حقوقها وأوضحت التوصية على العناية بها ، وأبرزت أهمية دورها فى الحياة .. نجد ذلك فى سور الطلاق ، والبقرة ، والمائدة ، والنور ، والاحـزاب ، والمجادلة ، والممتحنة ، والتحريم ..

واذا اعتبرنا أن سـورة النسـاء هى الدستور الخاص بالمراة : نجد أن أول مواده ، أى أول آياتها : هـى الاية التى تقرر الحقيقة الاولى فى خلق المراة : التى تستهدف اعلان تساويها مع الرجل فيه ، فهى وهو سواء فى الخلق ، وانها خلقت كما خلق . . وذلك بالنص الشريف :

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الـذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منهـا زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا))

والمتامل لهذه الآية الشريفة يجـد انهـا أوردت أن الخلـق تم من نفس واحدة ومن هذه النفس بذاتها ، خلق منهـا زوجهـا ، فخلـق الزوج ، أى الاثنين يتساويان فى الطريقة والأصـل والهيئة والشكل .. ويتساويان تماما: اذ أن النفس الواحدة انقسمت الـى قسمين متساويين ومتماثلين فـكونا الفردين ، الرجل والمراة .. ولذلك فان القسم الواحد هو زوج الآخـر ، أى شطره ونظيره ..

وتأكيدا لهذا المعنى ، فان القـرآن الكريم لم يذكر المراة اطلاقا على أنها زوجة الرجل ، وانما هى زوج الرجل أى نصفه المتماثل الذى يكتمل بهـا .. كما انه أيضا زوج المراة ..وذلك فى ضوء الآيات الكريمة بالنسبة للمراة وانها زوج الرجل :

((فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه))

((فاستجبنا له ووهبنـا له يحيـى واصلحنا له زوجه))

وبصيغة الجمع نجـد لفظ الزواج أيضا ولم ترد زوجات أبدا فى مثـل النص الكريم :

((واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا))

ونفس اللفظ نجده بالنسبة للرجل وانه زوج المراة فى النص الشريف :

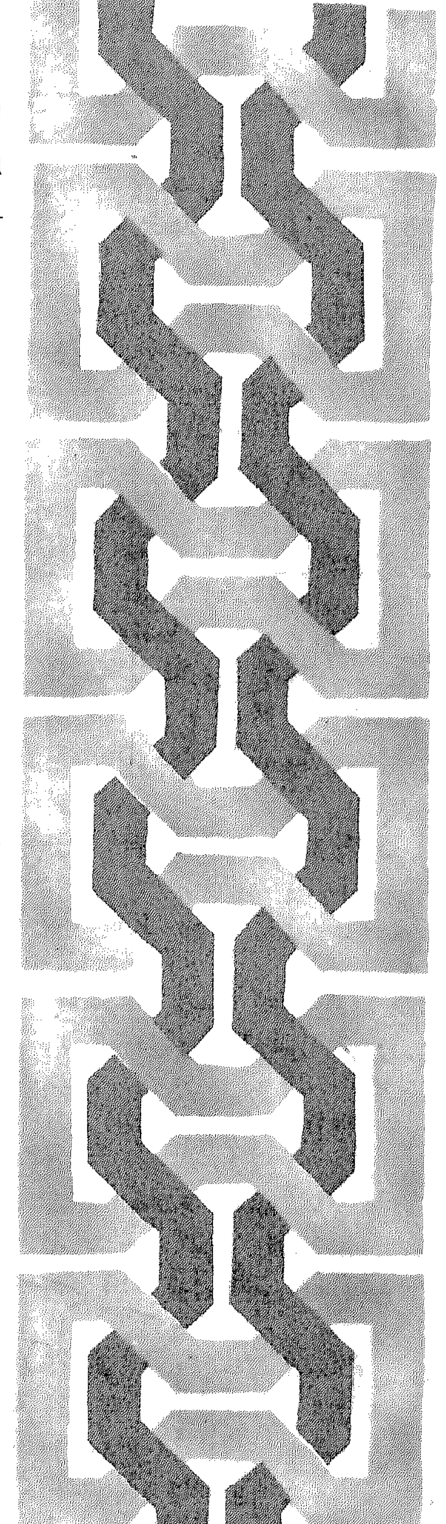
((قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها))

هذه الدقة فى البيان الاسـلامى واللفظ القرآنى ، انمـا ليعلن ويؤكد فى صراحة ووضوح تساوى الرجـل والمراة فى الاصـل والخلق

التكوين انهما شطران لنفس واحدة لاتقوم الا بهما معا..

مسابقة العدد :

أحداث وبطولات إسلامية



يسعد « الهلال » فى عدده الخاص ـ الاسلام والعصر ـ ان يقدم لقرائه فى ارجاء الوطن العربى ، هذه المسابقة الجديدة تدعيما لنشر الثقافة الدينية والمعرفة الصحيحة بالبطولات والاحداث في تاريخنا الإسلامي المجيد ..

● السؤال الاول ●

فى تاريخ العالم الاسلامى الحديث حوادث حاسمة تعين مراحل فاصلة فى تاريخ تحرر بلاد الاسلام ونهضتها الراهنة . ما هي في رأيك أهم حوادث خمسة في هذا التاريخ ؟ ..

لا تكتب اكثر من ثلاثة سطور عن كل حادث من هذه الحوادث الخمسة تشرح فيها أسباب اختيارك .. علما بان العصور الحديثة بالنسبة للعالم الإسلامى تبدأ من القرن الثاني عشر الهجرى ـ الثامن عشر الميلادي

● السؤال الثانى ●

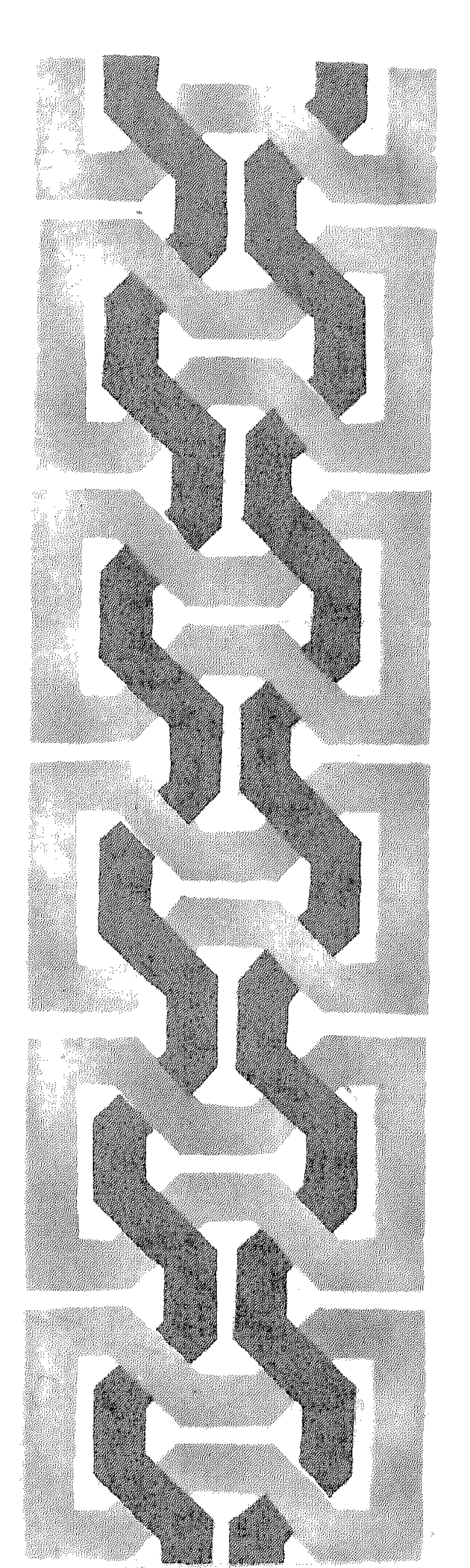
تاريخ الجهاد فى سبيل الحرية في عالم الاسلام الحديث حافل بالابطال وزعماء التحرير من رجال السياسة والحرب ورجال الفكر .

من هم الخمسة الاول الذين ترى ان لهم اثرا اكثر من غيرهم فى تحرير الوطن الاسلامي .. ؟

لا تكتب اكثر من ثلاثة سطور عن كل شخصية تختارها تبين فيها اسباب اختيارك لها .

شروط المسابقة :

- اكتب الاجابة عن السؤالين بدقة وبخط واضح .
- من حقك الاشتراك فى المسابقة بأكثر من رد
- ارفق اجابتك بالقسيمة المنشورة هنا، بعد ان تملأ بياناتها بخط واضح ..
- آخر موعد لتسليم الاجابات اول مارس ١٩٧٩
وتعلن النتيجة أول ابريل ١٩٧٩ .



الجوائز

الجائزة الاولى : عشرون جنيها
الجائزة الثانية : خمسة عشر جنيها
الجائزة الثالثة : عشرة جنيهات
الجائزة الرابعة : خمسة جنيهات

الجوائز الخمس التالية :

لكل فائز اشتراك مجاني
فى الهلال لمدة سنة

كوبون المسابقة
فى ظهر الغلاف الأخير

الإسلام

فى مرآة الفكر الغربى

● محمد الحديدى ●

« محمد : النبى ، ورجل الدولة » ـ عنوان كتاب الباحث الانجليزى مونتجومرى وات ، وهو استاذ للدراسات الاسلامية والعربية فى الجامعات الانجليزية ، وله كتابان آخران عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، هما : « محمد فى مكة » ، و « محمد فى المدينة » ، وهذا الكتاب : « محمد النبى ورجل الدولة » ، هو بصفة اساسية ، ادماج مختصر لهذين المؤلفين الكبيرين .

وقد كتب الكثيرون من مؤلفى الغرب عن حياة الرسول وعن رسالته ، وفى رايى المتواضع انه مما يهم المسلم ان يطلع على كتابات الغربيين فى موضوع الرسالة ، وفى حياة الرسول وصفاته، وذلك لأمرين : أولهما انه أمر مشوق جدا أن نعرف ما يقولونه وما يكتبونه ، وان كان من المنتظر ، بل من المؤكد ، انه سيكون مخالفا لما نعتقده ، بل ولما نعرفه . والأمر الثانى هو هذا نفسه ، وهو أن ما نعرفه وما نعتقده ، الايمان الذى الهمنا الله ، فامتزنا به عن الخلق اجمعين ، قد يجعل البعض منا يفقدون شيئا مما تاتى به الدراسة التاريخية المحضة لهذه الحقبة من تاريخ البشرية، التى كان لها اثر أعظم الاثر ، وخطر اجل الخطر ، والتى حولت مسار التاريخ الانسانى فى دفعة هائلة سريعة، وجاءت من حيث لم يكن لأحد أن يتوقع ، وفى زمن ومن بيئة لا هذه ولا ذاك كان ينبىء بادنى أثر على تاريخ الانسان أو عقيدته ، وعندما جاء هذا كله فانه جاء على يدى رجل امى نشا طفلا فقيرا يتيم الأبوين ، وكما يقول مؤلف هذا الكتاب « لم يكن ليتيم فى مكة ، على ما كانت عليه احوالها فى القرن السادس (الميلادى) ، لم يكن له أن يتوقع حياة سعيدة ، ففى حياة البدو القديمة ، كانت تقع على **كاهل زعيم الأسرة مسئوليات نحو الضعفاء من ابنائها ، اما فى مكة ، فقد كان صراع المتاجرين من اجل الثروة قد جعل كل واحد منهم لا يكترث الا بمصالحه ولا يلقى بالا كبيرا للمسئوليات التقليدية »** .



وهكذا فان الكثيرين منا، وربما كلنا، في ايماننا العميق، والشعور بالطمأنينة التي تاتي من هذا الايمان، لا نعطي الاهتمام الذي يستحقه منا الجانب التاريخي العظيم في الدعوة الاسلامية.

وصحيح ان الاسلام لا يفرق بين محمد النبي ومحمد الانسان، اذ انه ((**ما انا الا بشر مثلكم يوحى الي**)) ولكن الحقيقة تبقى، وهي ان هنالك عالما عظيما من المعرفة والمتعة، ياتي من تامل الجانب الدنيوي من هذا التاريخ منفصلا ولو للحظة خاطفة، ياتي من محاولة الاجابة عن هذا السؤال: كيف أمكن لمحمد كل هذا؟ محمد رجل الدولة، لا محمد النبي ...

وعلى اية حال فان محمدا لم يزعم انه كان قادرا على اية معجزات — ((**ما انا الا بشر مثلكم يوحى الي**)) ، ولكن فيما عدا الوحي كان محمد قائدا وزعيما ورجل دولة، كأي قائد أو زعيم أو رجل دولة، صحيح ان وقع الكتاب الكريم وآياته كان له اعظم اثر في النفوس، ولكن هذا لا ينفي انه ابتداء من هذا الاثر كان محمد يقود الرجال ويخوض الحروب ويعقد المعاهدات، وخلفه رجال كانوا من صحابته، نشأوا معه في اعماق هذه الصحراء الجافة الجامدة المترامية، وماتوا وهم خلفاء يحكمون امبراطورية هي كل ما كان معروفا من الدنيا اذ ذاك ...

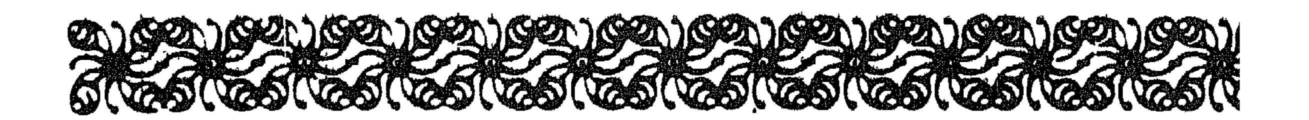
هؤلاء الكتاب

عندما نقرأ لهؤلاء الكتاب اذن، فان علينا ان ندرك أن الله لم ينعم عليهم بما انعم علينا به، وأن نقرأهم ونحن عارفون بذلك، وأن نحتمل منهم ما يظهرونه من شك في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، لان امامنا خيارين لا ثالث لهما، ان نقرأهم، والا نقرأهم، فاذا اتفقنا على ان العلم بما يكتبونه افضل من الجهل، وان هنالك الكثير مما يمكننا ان نجنيه من هذه القراءة، فانه لا معنى اذن لأن تتسم هذه القراءة بالحنق أو السخط ...

علينا أن نتقبل ما نقرأ بالحكمة والاناة، فهي حقيقة علمية ان هنالك مؤمنين وغير مؤمنين، والايمان ليس هو التزمت والتشنج، انه الادراك الواسع السليم، وكلما كان الايمان عميقا كان المؤمن اكثر صبرا واكثر تعمقا واقدر على فهم حقائق الحياة.

منهج الكتاب

ويتخذ هذا الكتاب طابع السرد، فهو يبدأ بسيرة محمد طفلا، يتمه وكفالته عند عمه أبي طالب، ثم يتوقف وقفة طويلة قائلا انه ليس معروفا الكثير عن شبابه، ثم يتطرق الى زواجه من خديجة، ثم انزول الوحي، ثم بدء الدعوة، ثم الرحلة الى الطائف والعودة منها، ثم الهجرة الى المدينة، واتساع نطاق الدعوة في المدينة، ومن ذلك الى الغزوات منتهيا بواقعة الخندق، ويكثر من الحديث عن يهود النادر وقريظة وخيبر، ويمضي من هذا الى فتح مكة،



ثم الى فصل بعنوان « حاكم بلاد العرب » ، وينتهى الكتاب بفصل عنوانه « تقييم » » .

ما الذى يقوله ؟

ورغم ان الكاتب ــ كما اسلفنا ــ ليس مسلما ، الا انه فى مواضع كثيرة يظهر درجات عالية من الذكاء والشجاعة والانصاف، فيقول فى بداية عرضه لهبوط الوحى « القرآن عند المسلمين هو كلمة الله ، ولابد أن محمدا كان يعتقد ذلك، ومن المؤكد أنه كان مخلصا تماما فى اعتقاده ، من المؤكد أنه كان مقتنعا تماما بقدرته على التفرقة بين أفكاره والرسالة التى تأتيه من خارج ذاته ، ان استمراره فى دعوته فى مواجهة الاضطهاد والاعتداء لم تكن لتتسنى لو لم يكن مقتنعا تماما بأن الله قد ارسله ، ولو انه كان يدرك أن الوحى كان من صنع أفكاره هو ، لانهارت دعوته الدينية من أساسها » .

وهو يمضى بعد ذلك فيعلل كراهية الغربيين للرسول عليه الصلاة والسلام، بأن المسلمين فى الفتوحات التى تمت بعد وفاته ، استولوا على البلاد التى ولدت فيها المسيحية : مصر وسوريا ، ثم : « عندما نأخذ فى اعتبارنا ما كان يقال عن الفاتحين فى العصور الحديثة ــ مثل نابليون وكايزر وهتلر ــ فاننا لا ندهش للعداء المرير الذى ووجه به المسلمون والذى لم يخفف منه ما ظهر به المسلمون فى اسبانيا من الرقة والدعة وحب الحياة الرغدة فى مواجهة شظف الأوربيين وبساطة حياتهم » .

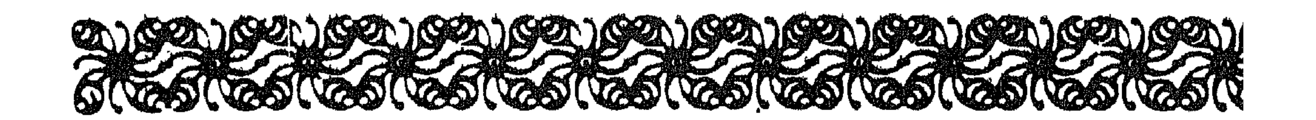
وعن الدين الجديد ، يقول : « والاسلام يتفق مع العقيدة التقليدية التى تسود اليهودية والمسيحية ــ أو لكى نتجنب الايحاء بانه ادنى منهما ــ العقيدة الابراهيمية ، وهو ليس بأية حال مجرد انعكاس لهما ، فهو ينبع من اندماج عناصر الكتاب المقدس مع حركة تحرر الروح الانسانية ، والتى تأتى بدورها من الظروف المحلية . يجب أن تكون كل هذه الجوانب واضحة لنا عندما نحاول تصور مولد الاسلام » .

والمؤلف يدفع عن الرسول كل الاساءات التى يلحقها به زملاؤه من الكتاب الغربيين فيما يتعلق بزيجاته ، فهو يقول عن زواجه بعائشة « من الواضح أن الزواج بعائشة كان لأسباب سياسية ، هى ايجاد الرابطة القوية بينه وبين أبى بكر ، وكذلك كانت اغلب زيجاته والزيجات التى كان يعقدها لبناته وللمقربين اليه ، وليس صحيحا ما يدعيه كتاب الغرب من انه كان رجلا شهوانيا ، فأغلب هذه الزيجات كانت تتم وهو يقترب من الستين ، وأغلب النساء كن أرامل رجال ماتوا فى الغزوات ، واذا راعينا سرعة نضج الفتيات فى هذه البيئة وسرعة هرم النساء ، واينا ان اغلبهن كن عجائز لا يغرين احدا بالزواج » .

وفى قصة الافك ، يحكى المؤلف ان الرسول دعا مجلسا من الانصار قبل ان يتخذ قرارا بمعاقبة المتقولين ظلما فى عائشة ، ثم يضيف « وهذا يدل على انه لم يكن بأية حال حاكما أوتوقراطيا فى المدينة ، وأنه اذا هاجمه رجل فى اسرته فانه يطلب موافقة انصاره قبل أن يوجه اليه اللوم » .

ثم يقول فى مسألة اليهود « ان استمرار بقاء اليهود فى المدينة ، وان





يكونوا قلة . يكفي للدلالة على خطأ الباحثين الاوربيين الذين يقولون ان محمدا اتخذ فى السنة الثانية للهجرة مبدأ يقضي باقصاء كل اليهود عنها ، لمجرد انهم يهود ، وأنه استمر في هذه السياسة بلا هوادة ، بل ان هذه لم تكن وسيلته ولا سياسته ، فقد كانت له دائما نظرة متوازنة الى المواقف ، وكان يكيف الأمور طبقا للظروف المتغيرة دون التزام بموقف واحد متجمد ، وقد كانت مهاجمته لقبيلتين يهوديتين لاتعدو أن تكون نتاجا لموقف اليهود أنفسهم الذى كان يهدف الى الاساءة الى الاسلام بانكار الوحى والنقد لنصوص القرآن كما انهم كانوا يؤيدون اعداء محمد ويتحالفون معهم ، والذين لم يلجأوا منهم لهذه السياسة هم الذين سمح لهم بالبقاء فى المدينة ، وكم كان يمكن ان يتغير تاريخ البشرية لو ان اليهود ــ وهم أصحاب ديانة توحيدية ــ أمكنهم ان يصالحوه أو يتعاونوا معه ! » .

بعد الفتح

يزداد اهتمام المؤلف بمحمد كرجل دولة ــ فيما يسمى به الكتاب ــ بعد فتح مكة ، ولكنه يضيف « ان أهم سبب لنجاحه فى فتح مكة هو جاذبية الاسلام، وصلاحيته لظروف المجتمع العربى ، وربما كان القادة يجدون منفعة سياسية فى الابقاء على العادات والتقاليد القديمة (يقصد أبا سفيان وغيره) أما الناس العاديون فسرعان ما اكتشفوا عيوب النظام القديم ، وأثرت عليهم حنكة محمد ودبلوماسيته ومهارته فى الحكم والادارة ، وكان زواجه من ميمونة وأم حبيبة وسيلة سريعة لكسب العباس وأبى سفيان الى جانبه ، وبمجرد اتمام الفتح المكى أصبح محمد حاميا لمكة من أعدائها لا قاهرا لها ، ومن أعظم انجازاته وصوله الى صلح صادق حقيقى مع زعمائها الذين كانوا أمر أعدائه منذ شهور ، الى حد ان أباسفيان ساعده فى تحطيم أصنام الكعبة » .

الاسلام واللغة العربية

وبرغم أن المؤلف ــ المسترمونتجومرى وات ــ دارس للغة العربية الا ان مصطلحاته الانجليزية فى أحيان كثيرة لا تقابل المعنى المقصود فى العربية ، فالمهاجرون يسميهم Emigrants وهو يعنى المهاجرين الى قطر آخر بحثا عن حياة أخرى ، وهذا لم يكن حال المكيين الذين صحبوا الرسول فى « هجرته » وليس « مهاجرته » والأنصار Helpers وهى تعنى « المساعدين » ، وربما Supporters كانت تكون أفضل ، وفى ترجمة الكثير من الآيات الكريمة نجد هذه الترجمة لا تنقل المعنى اطلاقا : « وللآخرة خير لك من الأولى » تصبح : The latter is better than the former

وهى جملة تحدثنا عن « الأولى والثانية » فى سياق الجمل وليس عن الحياة الدنيا والحياة الآخرة . ومثل هذا كثير فى الكتاب .

ولكنه لا ينقص من المتعة العظمى التى تأتى ــ كما أسلفنا ــ من الانصات لما يقوله غير المسلمين عن ديننا الحنيف ، طالما انهم باحثون متحررون من التعصب ، يكتبون بعقل مفتوح وقلب مفتوح ، وهما ألزم الامور فى هذا الزمن المضطرب .

وهما ألزم الامور لنا قبل غيرنا .

المسلمون وإعادة التقييم

● جاك بيرك ●

جاك برك
الاستاذ فى الكوليج دى فرانس وواحد من اعلام المستشرقين الفرنسيين الذين يمتازون بالفهم الكامل للعرب وماضيهم وتراثهم والتحرر فى أفكاره من كل نزوع استعمارى .

أخذ الكثيرون فى الشرق الأوسط، يدركون أن التحليل السليم لابد وان يبتعد عن القواعد المرتبكة والمثيرة للبلبلة . فعلى المرء، وهو يرى الحقيقة الواقعة ، فى ان الكيانات العربية الاقليمية قد نشأت ابان الصراع ضد التبعية فى الاتجاه المعاكس للامبريالية التى ظلت تؤثر أمدا طويلا على وجود الأمم الكبرى واعمالها طيلة القرن الماضى ، ان لا يتجاهل عناصر الاستمرار الكامنة فى البعث العربى . فالوطنية الجريحة ، والنقمة التى لها كل ما يبررها ، وغليان المكدودين ، كلها ظواهر تعبر عما يختلج فى قلوب الناس من ثورة قومية وتعززها ، ويعتمد نجاح هذه الثورة أول ما يعتمد على قوتها وعلى المدى الذى تستطيع فيه حشد الجماهير وراءها ضد السيطرة الاجنبية ولا شك فى أن الشعارات المجسدة للحنين العنيف من مجتمع عريق ، والامال التى تولد براعمها فيه ، قد اسهمت كلها فى تحقيق التحرير أكثر من اسهامها فى تحقيق الانجازات المادية . ومن الواضح ان التعميمات المشروعة وان كانت مفرقة فى تسرعها ، وقد شجبت بصورة كاملة المبدأ المتحرك للمرحلة السابقة وهى مرحلة الاستعمار الرهيب ، ولا شك فى أن هذه الامور كانت كامنة فى هذه المرحلة وان لم تكن قد أدت بصورة غير مباشرة الى الاسراع فى ثورة العرب اللاحقة . وينطبق هذا القول على الثقافات الاوربية ، حتى ولو كان نشرها يتم تنفيذا لدوافع انانية ، وكانت تفقد طبيعتها الاصلية اثناء عملية النشر ، فلقد الفت عناصر لايمكن دحضها او انكارها ، فى البعث العربى ، يضاف الى هذا ، ان اية بلاد حققت استقلالها لم تحاول فى الواقع اظهار اى تردد او تراجع فى هذا المجال . وتعكس هذه القدرة على التقييم الصحيح ورفض الحزازات العامة ، وظهور حكم تاريخى سليم فى هذه البلاد ، كما تساعد على دفع عملية البناء الاستقلالى الأولى الى الأمام .

واسهمت التطورات الداخلية فى تحقيق ذلك . فلقد تحقق التحرر فى الواقع بالرغم من عنفه القومى ، ولكن الاستقلال لا يعنى نهاية اعادة التقييم ، وانما يعنى فى الواقع بدايتها . ومن هنا فان الكيانات الجديدة ، لم تعد تعتبر نفسها استهلالات عارضة للحضارة الآلية وانما اسهاما فيها . فهى تهدف الى خلق تركيب تجمع فيه بين هذه الحضارة وبين أصالتها . ولقد وصلت هذه الكيانات الى استقلالها عن طريق ما أبدته من مقاومة لقوى أجنبية تضطهدها ، ومن قدرة على التكيف مع حضارة هذه القوى ، عن طريق الاجراءات المادية الخارجية طبعا ، ومن طريق أساليب العمل والفكر العميقة أيضا .

ولعل من الاشارات الباعثة على التفاؤل ، التقدم الذى تحقق فى مفهوم القومية ، وهو المفهوم الذى مثل القضية العاطفية التى تم خوض معارك النضال الاولى من أجل تحقيقها .



وفي وسعنا تغيير حدة هذه الخلافات، ومدى ما حققته البلاد العربية من تقدم في ضوء درجة تحول هذه الفكرة الى واقع ملموس قادر على اداء دوره في تضامنات العالم الخارجي . وليس من قبيل الصدفه العارضة ان هـــذه البلاد تدرس بالحاح الموضوع القومي وتناقشه في كتبها وندواتها ومؤتمراتها واصبح الكثيرون من ابناء هـــذه البلاد يرون في القومية الانطوائية ، مجرد طراز جديد للاستعمار . وقـد يموت هذا المفهوم القديم عن القوميـة مع مفهوم شريكه الاستعماري ، نتيجة تمسكه بالشعارات التي كانت في وقت ما تدعمه وتعززه ، ثم اصبحت تهدده الان نتيجة التحامه بالعاطفية المفرطة ، اذ ان شعوب هذه البلاد اخذت الآن تكافح للتخفيف من مظاهر عدم التكافؤ التي خلقتها الحقبة الاستعمارية التي مازال الاجانب يحاولون المـزيد من استغلالها لمصـــالحهم مســتخدمين في ذلك ما حققته التقنيـــة من تقدم ، ولا شك في ان هذه الشـعوب تتساءل الان عمـــا اذا كانت قد انتصرت على الاستعمار لتفسح المجال لمساوىء اخرى

ولا شك في ان هذا هو الوضــع الذي تحاول جميع الحركات المسماة بالاشتراكية في الوطن العربي ، دراسته وايلاءه الاهتمام والعناية ، ولاشك في ان قائمة هذه الحركات الكبيرة تتردد بين روح الجماعة القديمة الطراز التي يمثلها الاخوان المسلمون وبين اليسار الماركسي ، وتضم صورا متعـــددة منها الاشتراكية الناصرية التعاونيـــة واشتراكية حزب البعث والحـــزب القومي السوري والحزب الاشتراكي التقدمي الذي اسسه كمال جنبـــلاط وقد يكون من الصحيح القـــول بانه بالرغم من جميع ما حدث من تجديد في الصور والمرائي والعادات والمواقف الفكرية في غضون الخمسين ســنة الاخيرة ، فان النظـــرات العصرية مازالت مضطرة الى اخذ الماضي بعين اعتبارها ، اذ ان الجمـــاهير مازالت خاضــــعة لتاثيره من نواح عدة وان الكثيرين من الناس مازالوا ينظـــرون اليه كصمام امن لهم ومن هنا تبـرز بعض الغرائب في مفاهيم بعض هـــذه الحركات ، كما تبرز الخلافات الكثيرة في اساليبها ، ولكن المستقبل سيكون على اي حال ، للحركة القادرة على ان تثبت لهذه الجماهير قدرتهـــا على افهامها حقيقتها ، وعلى تزويدها بمـا تحتاج اليه من عدد الكفاح والنضال.

اجل سيكون المستقبل بعبارة اخـرى للحركة القادرة على تحديد هـــوية هذه الجماهير ، وتمكينها الى اقصى حد ممكن من الانسجام مع العالم والتكامل معه . ولا شك في ان الأحزاب ونظـم الحكم التي تعجز عن تحقيق هـــذا الهدف المزدوج ، وهو تمكين هـــذه البلاد من تحديد هويتها ومن تـكييف نفسها مع بقية ارجاء العالم ، ستنهار وتزول ، ولا شك في ان الاتجـــاهات والأفكار التي ستحقـــق النصر في المستقبل ، هي التي تســتطيع ان تحدد مواقفها من المستقبل ، لا على اساس غيبي او على اساس من الرغبة في الثار بل على اسس من الابتـــكار والتنافس ويصح هذا القـــول على الشرق الاوسط كما يصح على اجزاء العالم الاخرى . وفي وسعنا ان نخمن الثمن الذي لابد من دفعه لتحقيـق هذا الهدف ، وهو الثمن النـــابع من عنفاردود الفعل على مثل هذه التقييمات المعادة ، والقوة التي تستخدمهـــا في هز المعتقدات القديمة . ولا يهمنـــا كثيرا هنا من يثير المناقشـــات ، سواء كان قبطيا ماديا كســـلامه موسى ، او شيعيا من الفاطمية كالوردي ، أو استاذا ازهريا كخـــالد محمـــد خالد . هذه المناقشــــات تثير الفزع في نفوس الناس بافكار تختلف في مضمونها وظروفها باختلاف الحالات التي تقع فيهـــا ، وتختلف في الوقت نفسه عما يثيره المصلحون العـــرب الآخرون ولكن ما يهمني قبل كل شيء هو الأثر الضـار الذي تخلفه هذه المناقشات اذ انها تحسر النقـــاب عن حدة الصراع .

الإســــلام في عالــم البحــر المتوســط

● فرانشيسكو جابريلي ●

فرانشيسكو جابريلي
شيخ المستشرقين الايطاليين اليــوم وهو استاذ للدراسات العربية فى جامعة روما من أربعين سنة ويتميز فكــره بالتحرر والصدق والاطلاع الواســـع وفهم للعرب سليم ، وتقدير لمقـــامهم فى الماضى والحاضر .

ولد الاســــلام فى منطقة صـــــحراوية من العــالم القــديم ولكنه سرعان ما تجاوزها واصبح عقيدة تشــع منها قوة عجيبة انتجت حضــــارة تدعو الى الاعجاب رغم اختلاف البيئات والمستويات الثقافية التى ازدهرت فيها .

وقد كان للحضارة الاسلامية أثر بعيد وتراث حافل فى العالم الغربى وخاصة ما يطل منه على البحر المتوســـط حيث كانت تقوم الامبراطورية الرومانية التى اصبح بعض ممتلكاتها أرضــا اسلامية حتى اليوم أو أرضا اسلامية لفترة من الزمن « الاندلس وصقلية » أو أرضا دخلت فى نطاق حضارة الاســــلام بحكم مجاورتها للاولى أو الثانية .

سنتناول فى هــذا البحث النوعين الثانى والثالث ، والنوع الثانى يعنى شبه جزيرة ايبيريا وصــقلية وكريت وجزءا كبيرا من اليونان والبلقــان اما النوع الثالث فهو يشمل فرنسا وشبه جزيرة ايطاليا وأوربا الوســطى وباقى البلقان .

وتقسم اتصالات الاسلام بأوربا فى هذه المناطق الى فترتين :

١ ــ فترة العصور الوسطى وفيها كان الفتح والتغلغل عن طريق المعــرب والبربر .

٢ ــ فترة العصــــور الحديثة وفيها قام الاتراك المسلمون بدور البطولة .

وفى الفترة الأولى كانت الحضـــارة الاسلامية فى دور التــكوين ولم تلبث ان اصبحت أخصب وأمجد مرحــلة من مراحل النشاط الفكرى الاسلامى التى خلفت تــراثا للغـــرب فى عصره الوسيط ، وكان هذا التراث ذا أثر بالغ فى تطور الغرب فى المستقبل .

اما الفترة الثانية فهى المعاصرة أو التالية للنهضة الاوربية وفيهـــا كان الغرب يسير نحو النهوض والقوة بينما كان الشرق الاســــلامى يتراجع أمام الضغط الغربى بســـبب فشل الاتراك العثمانيين فى التغلغل الى قلب أوربا ، وتحولهم للسيطرة على الشرق الاوسط فلما تمت هذه السيطرة اتجه جهدهم الى عزل العالم الاسلامى الذى لخضع لهم عن بقية العالم .

نظـــرة العصـــور الوسطى الغربية الى الاسلام وانتشاره

كان الاسلام بالنسبة لتلك العصـــور خطرا يهدد المســـيحية فى صميمها ؛ لأن مبدأ التوحيد،وهو القاعدة الاساسية لرسالة محمد « صلى الله عليــــه وسلم » ، أنكر مبـــدأ تعدد الآلهة كما هاجم فكر الثالوث المقـــدس وأهم من هذا ان محمداً « صلى الله عليه وسلم » خرج الى الدنيا نبيا ورسولا مبشرا بدين جديد ٠

وكان انتشار الاســـلام لنجاة على سواحل البحر المتوسـط الشرقية والجنوبية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين مغيرا للتوازن فى هذا البحر بل ومنهيا للعصور القديمة فى التاريخ ٠ وقد نتج عن ذلك أن البحـر الابيض قامت فيه حضـــارتان متنافستان هما المسيحية والاسلامية ٠

وسيطر المسلمون على البحر الابيض وجعلوه بحيرة اســلامية مما اضطر الغــرب الأوربى الى الاعتمـــاد فى اقتصاده على دواخـل القارة الاوربيـــة فقط بدلا من البحر بسبب هيمنـــة المسلمين عليه الى حــد كبير ٠ وكان لهذا أثره فى التدهور الاقتصــــادى لبلاد الغربه ٠

طرق انتقال التراث الحضارى الاســـلامى الى الغـــرب

وقد انتقل تراث الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى الى الغـرب عن طرق ثلاثة هى بيزنطة وشبه جزيرة ايطاليا وجزرها ثم فرنسا « عن طريق الاندلس »

اثر الحضارة الاسلامية فى الاجزاء غير الاســـلامية من الامبراطورية الشرقية

أدى الاحتكاك بين الفكر اللاهـوتى البيزنطى والفكر الاسلامى الى الاتجاه لتحطيم التمـاثيل فى كــنائس الدولة البيزنطية ، وفى ميـدان الادب ظهرت لدى الطرفين قصائد «الجهاد العربية» والاغانى البيزنطية والقصص الشعبية لابطال عرب من أمثال الســيد غازى البطال وعمر العثمان

ومن العـــــرب انتقلت الى أوربا اساطير شرقية قديمة كقصـص كليلة ودمنة والسندباد ٠

وقد كشف النقاب اخيرا عن آثـار انتشار العرب فى أراض يونانية بسط المسلمون نفوذهم عليها فى حوض بحر ايجه وفى اليونان نفســها وفى كريت حيث وجـــدت عملات وكتابات وآثار اسلامية وغيرها كمسجد أبى أيوب الانصارى قرب القسطنطينية ومسجد آخر فى ريه فى قلابريا ، بل وعلى سفح الاكروبوليس نفسه أقيمت مســاجد اســلامية عثر على آثارها ٠ وذلك كله نتيجة للعلاقات التجارية بين الاســلام والنصرانية وقيام جاليات التجــار المسلمين فى اليونان وجاليات التجـار النصارى فى بلاد الاسلام ٠

المسلمون فى وسط البحـــر المتوسط

كان استيطان المسلمين وسط البحر المتوسط أقصر مما كان عليه فى شبه جزيرة أيبيريا ولكنه كان أطول وأخصب منه فى الاجـــزاء اليونانية ، أمـا فى ايطاليا فلم يقم للاسلام حكم مستقـر الا فى امارتين هما بارى وطارنط خلال النصف الثانى من القرن التاسع ٠ أما فى صـــقلية فقد استمرت السيطرة الاســـلامية اكثر من قرنين عدا العصر



النورمانى الذى امتد خلال أثر الاسلام الحضارى فى صقلية اكثر من قرن من الزمان

اما نظام الحكم الاسلامى فى صقلية فقد كان محليا ولكنه غير من الاوضاع الاقتصادية ، اذ الغى الاقطاعيات الكبيرة واحيا الزراعة وانماها .

وقد أسهمت صقلية فى الحياة الفكرية للاسلام اذ ازدهرت فيها دراسة الشريعة والفقه واللغة والنحو والشعر العربى ببحوره وأوزانه ولم يتخذ الشكل والأوزان الشعبية كما حدث فى اسبانيا حيث نشأ الزجل والموشح .

ونجد خلاصة التأثيرات العربية على الحضارة الايطالية فى الكلمات العربية التى دخلت اللغة الايطالية وتتركز فى المبادلات التجارية والجمركية واسماء الواردات والمهن ، يضاف اليهما بعض العلوم كالفلك والتنجيم والرياضيات والكيمياء والصيدلة والطب والفلسفة .

وهنا موضع سؤال : لماذا كانت شبه جزيرة أيبيريا مكان الاتصال المثمر بين الاسلام والحضارة الأوروبية ؟

الجواب : انه على مدى سبعة قرون كانت لدى المسلمين — فضلا عن السيطرة الدينية — الوقت والوسيلة للتغلغل فى البنية البشرية والاجتماعية والثقافية فى شبه جزيرة أيبيريا ، فلما انسحبوا من شبه جزيرة ايبيريا تغيرت تغيرا كبيرا وبقى العنصر العربى عنصرا اساسيا فى طبيعة البلاد ومصيرها ، بل وظهر تأثير ذلك فى طبيعة الشعب الأسبانى كله ، وخاصة فى الجنوب .

ولتقييم الانجاز العربى — الاسلامى هنا يجب أن نؤكد على سرعة فتح الاندلس ، ففى سنوات ثلاث وصل الفتح الى اقصى الحدود الشمالية ولكنه لم يحتفظ فيها بالقوة لمدى طويل ولذلك استردها المسيحيون فى القرن الحادى عشر . ولعل السبب هو طول المواصلات البرية بين قواعد المسلمين فى افريقيا وفى ايبيريا وعدم وضع خطط للتوسع مستقبلا ، فضلا عن نقص الامدادات والتعزيزات الاسلامية اللازمة للاحتفاظ بما يتم فتحه .

واوضح آثار الوجود العربى فى اسبانيا هو الاثر اللغوى وخاصة المفردات التى تتناول مختلف نواحى الحياة ويضيق المجال عن ذكرها اذ هى بالمئات وهناك اثر آخر يتجلى فى أسماء الاماكن الاسبانية التى لا تزال حتى اليوم مركبة من عناصر عربية .

ومن اعظم افضال الحضارة العربية فى اسبانيا انتقال العلم والفلسفة . ومن المؤكد انه بعد أفول القوة السياسية للعرب هناك بقى للعرب تراث علمى ضخم اذ انه فى القرنين ١٢ ، ١٣ بعد فقد الاسلام لبرشلونه وطليطله واشبيليه أصبحت تلك المدن مراكز للترجمة بهدف استخراج كنوز المعرفة اليونانية التى عربت فى بغداد فى القرنين ٩ ، ١٠

وأمام اوربا الجديدة وقف المسلمون فى موقف دفاعى ولم تظهر فكرة مسايرتهم للظروف الحديثة الا فى أواخر القرن ١٩ وذلك فى الأراضى العربية .

واخيرا يمكن القول بان تراث الفترة « العثمانية » لا يقارن بتراث الفترة الأولى ، لان اوربا عصر النهضة والاصلاح اكتسبت وعيا وتملكها حب استطلاع هدد الاسلام بالتوسع السياسى والاقتصادى للاوربيين

موقف الغرب من الإسلام عبر التاريخ

• مكسيم رودانسون •

مكسيم رودانسون
مستشرق فرنسي بالغ التحرر في كل ما يلقى به من آراء . انه متمكن من الثقافة العربية الاسلامية ، وواحد من اعلام الفكر الحر في اوربا اليوم .

● **كان المسلمون يشكلون تهديدا للعالم المسيحي الغربي قبل ان يصبحوا مشكلة بزمن طويل فقد حدث تحول في القسوى في الشرق «الاوسط» ، وقام شعب ، غير مسيحي ــ فاجتاح أراض واسعة ، وانتزعها من قبضة المسيحية حتى وصل الى السواحل الايطالية وبلاد الغال (فرنسا) ثم اسبانيا . ومن ثم فقد اصبحوا في نظر البلاد المسيحية « كارثة » ، مثلهم كمثل الشعوب البربرية .**

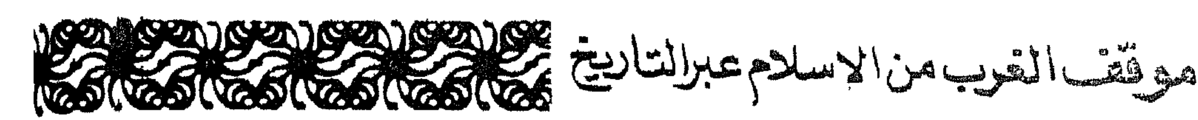
وقد سمع المسيحيون بالعرب ، وكانوا يسمولهم السراسنة ، قبل ظهور الاسلام ، وعندما اعتنق العرب الاسلام ، لم يلحظ أغلب المسيحيين في أوربا ذلك الامر ، ولذلك لم يعنوا بالحصول على مزيد من المعلومات عنهم .

والوحيدون الذين عنوا بهذا الامر هم مسيحيو اسبانيا المغربيةالمعروفون باسم المستعربين The Mozarabs بسبب المؤثرات الثقافية في الدين المسيحي ، وكان لابد لهؤلاء من معرفة اسيادهم وافكار اسيادهم ، للرد على ما انتشر بين عامة الشعب المسيحي واليهودي من اساطير مشوشة ومهينة .

ولم تنجح تلك المحاولة الا في القرن الحادي عشر عندما اصبحت صورة العالم الاسلامي اكثر دقة واصبحت أوربا كلها مسيحية تقريبا وبقى العالم الاسلامي هو العدو الرئيسي ومن ثم كانت أوربا كلها تتحرك ، مع الاسبان، لاستعادة الاراضي التي احتلها المسلمون .

واصبحت صورة العالم الاسلامي بصفة عامة واضحة أمام أوربا المسيحية فراوه بنية سياسية عدائية ذات حضارة مختلفة ونظام اقتصادي غريب .

ولكن من ناحية أخرى أوجدت الحروب الصليبية حاجة ملحة لاعطاء صورة كاملة تشوه صورة الاسلام في



موقف الغرب من الاسلام عبر التاريخ

نظر رجل الشارع ، وبشكل يرضى الذوق الأدبى عندهم .

واستطاع علماء اللاهوت الفلاسفة ان ينقلوا الى المسيحية ما كان يذكره ابن سينا عن الحضارة الاسلامية كروجر بيكون « ١٢١٤ ـ ١٢٩٢ » الذى استخدم فى تفخيم البابا ما ذكره ابن سينا عن الامام الاسلامى . بل لقد جاء وقت كانت فيه كلمة فيلسوف تعنى « المسلم »

***

وكان الدافع الاقتصادى مؤديا الى زيادة المعلومات عن العالم الاسلامى لانه عالم اقتصادى هام لكثير من التجار الاوربيين الذين كانوا يتاجرون مع الشرق من خلال وسطاء أجانب كاليونانيين والسوريين واليهود . ولكن بعض المدن الايطالية كالبندقية ونابلى ـ استولت على جزء من هذه التجارة منذ القرن التاسع وبالتدريج اتسع نطاق التجارة مع دول مسيحية اخرى مما ادى الى اعمال مشتركة صغيرة كرواج العملة المغربية أو تقليدها وكاستعمال عقود شرقية . ثم ازداد حجم التجارة مما أدى الى وجود اتصالات على المستوى الحكومى ونشأت محالفات مع المسلمين رغم تهديد البابا وتفجع لويس الثانى .

وكان من نتائج زيادة المعلومات الصحيحة عن الاسلام وشعوبه وعن الاتصالات السياسية والتجارية أن تغيرت النظرة الى المسلمين وتحول العالم اللاتينى والغربى الى علمنة الايديولوجيات ، ويتجلى ذلك فى بعض الحالات كالامبراطور فردريك الثانى النورماندى الذى كان يناقش المسلمين فى الفلسفة والطب وغيرها بل واقام مستعمرة ومسجدا خاصا للمسلمين الذين عملوا فى خدمته .

واعتبر البابا جريجورى التاسع عمل فردريك خطيئة جنسيمة ولذلك طرده من الكنيسة عام ١١٣٩ .

ولعل الصورة التى ابرزت للمسيحيين تقوى وفضائل المسلمين كانت حيلة لمناوأة الاكليروس فى القرون الوسطى وعلى أى حال فقد قوت الاتجاه الى اعتبار المسلمين اناسا مثل غيرهم، يعبدون الله على طريقتهم وان كانت ((حسب الرأى المسيحى آنذاك)) طريقة خاطئة .

ولم يطل امد الاتجاه نحو فهم اعمق للفكر الاسلامى بل قام بعض الفلاسفة مثل بيكون الانجليزى وليل الفرنسى يدعوان الى جمهورية تبشيرية تقوم على فهم العقيدة واللغات الاسلامية بدلا من الجهود العسكرية مع التسليم بوجوب محاربة الاسلام .

وفى بداية القرن ١٤ اخرج دانتى من النار كلا من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين ووضعهم فى المطهر مع حكماء العالم القديم وأبطاله .

وفى عام ١٣١٢ وافق مجلس فيينا على افكار بيكون وليل بخصوص تعلم اللغة العربية .

وقد وضع سقوط عكا ١٢٩١ حدا لآمال الصليبيين وحلت محل المخطط توسيع عالم أوربا المسيحى الممتد مخططات تحيكها كل أمة على حدة .
وبتقدم الثقافة وانهماك اوربا اللاتينية فى صراعاتها الداخلية ضعف الصراع العقائدى مع الاسلام واصبح النزاع العقائدى الداخلى هو المهم .

ونادى ويكليف بأن اصلاح الكنيسة والعودة الى منبع المسيحية سيؤديان الى ذبول الاسلام اذ تبين أن ما نسب للمسلمين من رذائل كان متوافر فى



العالم المسيحى اللاتينى وان اليهود والمسلمين ليسوا بأبعد عن الخلاص من كثير من المسيحيين

وانتشر هذا الراى وبدأ كبار المؤلفين المسلمين يدمجون ضمن الثقافة العامة كابن سينا وابن رشد والغزالى والرازى وغيرهم ، يعدون وتعاد طباعة مؤلفاتهم وتدرس .

وقد ذكر تشوسر فى حكايات كنتربرى طبيبا يعرف الكثير عن كبار العلماء ومن بينهم الرازى وابن سينا وابن رشد ، ولابد ان هذا الطبيب كان يمثل عصره .

ولكن عصر النهضة أكد على الاعمال الكلاسيكية اليونانية ولذلك هوجمت ترجمات العصر الوسيط عن اليونانية والعربية باعتبارها همجية بالنسبة للأصول ونودى بالعودة للمصادر الاصيلة ولكن ذلك الاتجاه لم يمنع من تكاثر الاقتباسات الثقافية عن الشرق الاسلامى وذلك بسبب العلاقات التجارية المتزايدة .

التعايش السلمى

وقد ادى نمو الامبراطورية العثمانية على حساب البلقان المسيحى الى بعث الاهتمام بالاسلام بين علماء الدين المسيحى لصعوبة احياء الحروب الصليبية فى وضع كان المفهوم المسيحى ذاته مترديا ، ولذلك اقترح احد هؤلاء عقد مؤتمرات عن فقهاء المسلمين ، وقام بترجمة القرآن واشترك فى وضع رسالة البابا بيوس الثانى الى محمد الثانى فاتح القسطنطينية ، وهى رسالة من الجدل الماهر تهدف الى الاقناع الفكرى ، غير أنها كانت حيلة خالية من كل صدق .

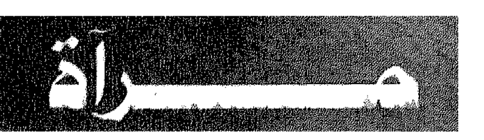
واعتبر المسيحيون الاتراك العثمانيين خطرا سياسيا وثقافيا أكثر منه عقائديا ولذلك تحتم اقامة علاقات سياسية معهم وجرت مفاوضات .

وهكذا اندمج الاتراك فى الجو السياسى الاوربى واصبح الاسلام يبدو اقل غرابة ومدعاة للنفور واصبحت كلمة « تركى » و « مسلم » مترادفتين ، وفى نفس الوقت بدأ احتكاك الأوربيين بمسلمى الهند وحكامهم المغول ، أما العرب فلم يكن لهم تأثير سياسى .

وظل الاتراك يسيطرون على اقوى امبراطورية فى أوربا بما فيها القسطنطينية التى أصبحت اقرب منالا لتحسن المواصلات ، وكانت أبهة الباب العالى مدعاة للاعجاب والتأثير فى النفوس .

من التعايش السلمى الى الموضوعية

واصبحت الدراسة الموضوعية للشرق الاسلامى أيسر بسبب الصلات المختلفة والرحالة والمبشرين ، كما اصبحت حاجة ملحة لرجال السياسة والتجارة ، ومن ثم بدات دراسات منفصلة ودقيقة ومتزنة وموضوعية لانماط الحياة والنظام السياسى والادارى والعسكرى للامبراطورية العثمانية ، وانتهت الى الاشادة بفعالية ذلك النظام ، ذلك لأن الشرق الاسلامى يومئذ كان على درجة كبيرة من الغنى والازدهار الحضارى ، الى الحد الذى دفع بعض الرحالة الى ارتداء الزى التركى بعد عودتهم الى أوربا ، والى اضافة عناصر السحر والاعاجيب الى صورة الشرق . ولكن ذلك التيار لم يستمر طويلا اذ أخذ اللون المحلى يفرض نفسه تدريجيا .





الحلال والحرام فى الإسلام

● تاليف : يوسف القرضاوى ●

● استطاع الاستاذ يوسف القرضاوى أن يجمع كل ما يهم المسلم فى حياته فى كتاب جامع شامل لحدود الله عز وجل ، فذكر كل الواجبات التى كلف بها الله المسلم ، فى صحائف جمعت مايجب أن يعرفه المسلم مما يحل له ومما يحرم عليه فى حياته الشخصية ، وفى حياته العائلية ، وفى حياته الاجتماعية ،وذلك مما يصون على المسلم نفسه وعقله وخلقه وماله وكيانه كانسان . كل ذلك فى كتاب يتميز بالتبسط وسهولة الاقناع مع المقارنة بالديانات والثقافات الأخرى .

وان موضوع الحلال والحرام فى الاسلام من الموضوعات الشائكة والمهمة، والمرجع الأول والأخير لها انما هو الكتاب والسنة ، حيث ان الله عز وجل هو الذى وضع حدودها ، وبذلك فهو تشريع سماوى يصلح لكل زمان ومكان لأن المشرع خبير بخلقه ، وما يصلح لهم ، وما يصلحون له ، فلا يحل شيئا جزافا ، لكل شىء خلقه بقدر وكل شىء شرعه بميزان ، فلا بد للانسان أن يقف عند حدود الله عز وجل حتى يضمن سعادته فى الدنيا وفلاحه فى الآخرة فبذلك يفوز بالسعادتين ويفلح فى الدارين .

ونحاول هنا أن نعرض صورة موجزة لهذا الكتاب حيث انه مقسم الى اربعة ابواب ، كل باب مقسم الى عدة قضايا تخص حياة كل مسلم ومسلمة .

والمؤلف اعتمد فى عرض تلك القضايا التى تخص الحلال والحرام فى الاسلام على الاقناع العقلى مستندا لكتاب الله وسنة رسوله ، مع قدرة المؤلف على العرض السهل الموضح لكل كبيرة وصغيرة تخص المسلم .

ونرى تحت عنوان « الاسلام يبيح الطيبات » ما يأتى :

ذكر أن الاسلام جاء والناس بين مسرف فى تناول الطعام ومتطرف فى الترك فوجه نداء الى المؤمنين، فقال الله عز وجل :

« يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » ـ سورة البقرة .

وهذا نداء خاص للمؤمنين أمرهم سبحانه وتعالى أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم وان يؤدوا حق النعمة بشكر الله عز وجل ، ثم بين الله الاصناف التى يجب على كل مسلم الا يتناولها . ثم اخذ المؤلف فى تحليل حكمة تحريم هذه الاصناف المذكورة فى الاية مع التحليل المعتمد على الاقناع العقلى .

وأما تحريم الخمر فقد تناول ذلك مبينا خطورة الخمر واثمها، وبين المنهج

التربوى الحكيم الذى اخذه الاسلام متدرجا فى تحريم الخمر حتى نزلت الآية الجامعة القاطعة فى سورة المائدة : ((**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟**))

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة او من الشعير تنبذ حتى تشتد ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم ، فأجاب بجواب جامع : ((كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام)) .

وقال أيضا ((ما اسكر كثيره فقليله حرام)) . ثم بين ان الاسلام يحرم أيضا الاتجار بالخمر ، واهداؤها أيضا حرام ، والتحريم قد شمل المخدرات أيضا لأن التحريم يتبع ((الخبث والضرر)) فحرمه هذه الخبائث التى ثبت ضررها الصحى والنفسى والخلقى والاجتماعى والاقتصادى مما لا شك فيه ، وعلى هذه الحرمة اجمع فقهاء الاسلام ، وفى طليعتهم ابن تيمية الذى قال : ((هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أم لم يسكر ..))

وفى الملبس والزينة ذكر المؤلف اهتمام الاسلام بالنظافة حيث انها الأساس لكل زينة حسنة ، وكل مظهر جميل ، وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ((تنظفوا فان الاسلام نظيف)) .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((النظافة تدعو الى الايمان ، والايمان مع صاحبه فى الجنة)) حيث انه لا تقبل صلاة من مسلم لا يكون بدنه نظيفا ، وثوبه نظيفا ، والمكان الذى يصلى فيه نظيفا .

وقد ذكر من المحرمات للرجال لبس الحرير والذهب رغم ان الاسلام أباح الزينة ، ولكنه حرم على الرجال نوعين من الزينة وهما التحلى بالذهب ، ولبس الحرير الخالص ، فعن على كرم الله وجهه قال : اخذ النبى صلى الله عليه وسلم حريرا فجعله فى يمينه ، واخذ ذهبا فجعله فى شماله ، ثم قال : ((ان هذين حرام على ذكور أمتى)) .

وعن عمر قال : سمعت النبى صلى عليه وسلم يقول : ((لا تلبسوا الحرير ، فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة)) .

ثم اذا جاء الحديث عن تحريم التماثيل نجد الشرح والتعليل لهذا التحريم حيث حرم الاسلام فى البيت الاسلامى أن يشتمل على التماثيل ، ويقصد بها الصور المجسمة غير الممتهنة ، وجعل وجود هذه التماثيل فى بيت سببا فى أن تفر عنه الملائكة ، وهم مظهر رحمة الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه تماثيل)) ((أو تصاوير))

ورأى العلماء فى ذلك انما يرجع الى التشبه بالكفار ، لانهم يتخذون الصور فى بيوتهم ويعظمونها ، لكرهت الملائكة ذلك ، وحرم الاسلام على المسلم ان يشتغل بصناعة التماثيل ، حتى ولوكان يعملها لغير مسلمين ، قال عليه الصلاة والسلام : ((ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور)) .

وبذلك يتبين لكل مبصر أن الله سبحانه لم يرد ان يدلل الناس بما احل ، ولا يضيق عليهم بما حرم .. وانما شرع لهم ما يصلحهم ويحفظ عليهم دينهم ودنياهم ، حيث انه اذا توافر للمسلم المعرفة الواعية بحدود دينه وشريعته ، والضمير اليقظ الذى يحرس هذه الحدود فقد توافر له الخير كله ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : ((اذا أراد الله بامرىء خيرا جعل له واعظا من نفسه)) ...

● **اعداد : عادل عبد الصمد** ●

الله

• البحتري الصغير •
• عمر شاهين •

مَنْ سَخَّرَ الشَّمسَ
لِتُضيءَ للإنسانْ
مَن أنبَتَ الحَبَّ
واستخرجَ الأغصانْ
مَن أنزَلَ الغَيثَ
فاخضَرتِ الوِدْيان
مَن فَجَّرَ النَّهرَ
يَجْري بِلا نُقْصانْ
مَن صَوَّرَ النّاسَ
والطَّيرَ والحَيَوانْ
مَنْ ألهَمَ القَلبَ
النَّبضَ والخَفَقان
اللهُ أنشَأها
في سالِفِ الأزمانْ
فانظُر لِقُدرتِه
الواحِدِ الدَّيّان
وانطِقْ مِنَ القَلبِ
آمَنتُ بالرَّحمَن

• ليتني •

لَيتَني أحيَا طَليقاً
بَينَ أزهارٍ وماءْ
مِثلَ عُصفورٍ صَغيرٍ
دائِما يَهوى الغِناء
يَسكُنُني فَوقَ الغُصونْ
دُونَ فَرشٍ أو غِطاء
باسِطًا رِيشَ الجَناحِ
راكِبًا مَتنَ الهَواءْ
لا أملُّ الشَّدْوَ يَوما
في صَباحٍ أو مَساءْ

رسالة إلى الهلال

فى السيرة النبوية

حول الرؤية الجديدة

الاستاذ الكبير رئيس تحرير الهلال

تحية النسب الأدبي والاخاء الاسلامي وبعد ، فانا من قرائك القــــدماء ، بل من تلاميــــذك المجــــدين الذين يصغون لما تقول ، ويدرسون ماتكتب ، بل انا التلميــذ الذي يعلق على كلام أستاذه ، ومنذ اكثر من ربع قرن علقت على رايك في نسب بني امية فى الأندلس فى جريدة الزمان ، وهانذا اقف موقفا مماثلا نحو مقالك الاخير فى هــلال سبتمبر ١٩٧٨ فقد جاء فى مقــالك الممتع عن ((الســيرة النبوية ــ رؤية جديدة)) هفوات . وقبــل أن اورد الملاحظات اقرر انني استفدت فوائد جمة من حيث جغرافية المدينة ــ مدينة الرسول ــ بابعادها من كل جهة ، فقد كانت المعالم غير واضــحة فى ذهنى فجلوتها جلاء موفقا . واستفدت معرفة منزلة الوثيقة التي كانت دستورا لمنهج الرسول مع سكان المدينة بعد الهجرة واثر ذلك فى جماعة المسلمين ..

انه مقال يجب ان يقرا مرارا وتكرارا لما حوى من المعلومات الأصــيلة ، والحقائق المنسية لدارسي الســيرة

وهنا استاذنك فى ذكرى الهفوات :

(١) قلت : « والحقيقة أن زينب بنت جحش كانت فى مرتبة ابنة خالة رسول الله ، فهى من بنى أســد بن خزيمة ، والسيدة آمنة بنت وهب رضى الله عنها كانت من هذه القبيلة » وهذه العبارة حوت خطاين : الأول أن زينب ابنة خالة رسول الله ، والحقيقة انها ابنة عمته « اميمة بنت عبد المطلب »

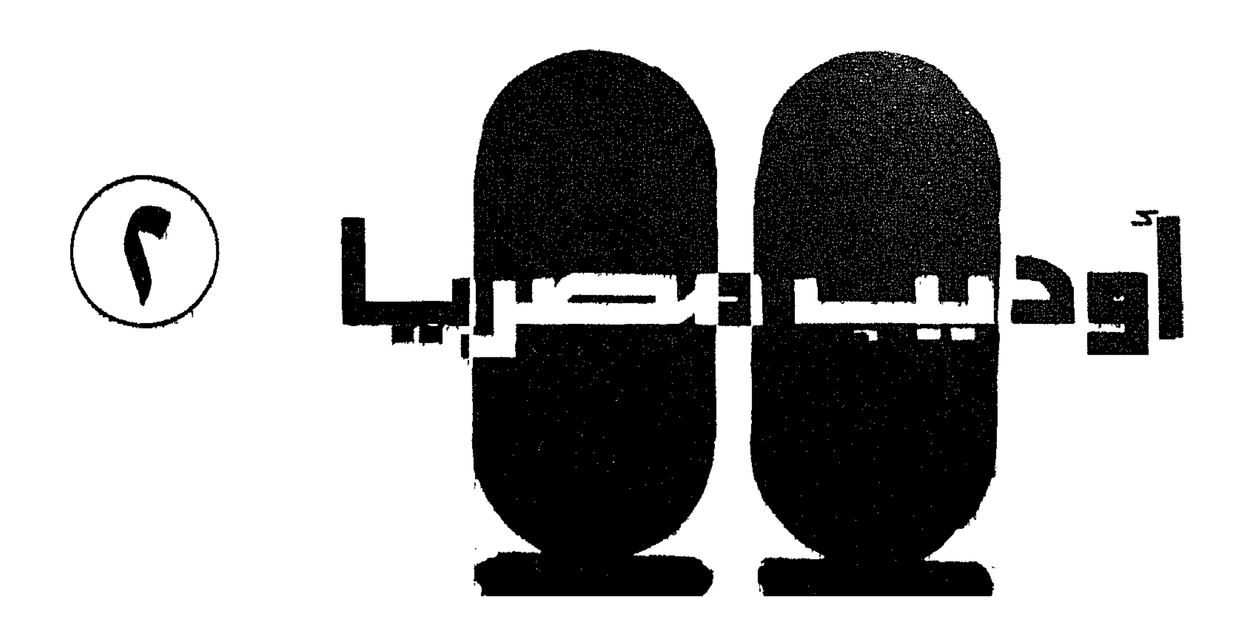
والخطأ الثاني أن « آمنــة بنت وهب » كانت من تلك القبيلة ، والصــواب أن آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراف قريش فى الصــميم لانها من بنى زهرة ، وزهرة أخو قصي جد الرسول من جهة أبيه ، فنسب آمنة مجتمع مع نسب الرسول فى كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي . فأســد قريش غير أسد خزيمة

(٢) فى حديثك عن صــلح الحديبية ذكرت أن من تولى المفاوضة عن قريش « صفوان بن أمية » الذى كان فى مقدمة قريش واغضب عمر بن الخطاب « اذ انه لم يرض عما طلبه صفوان بن أمية من ان يكتب فى الوثيقة هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بدلا من محمد رسول الله » أما التاريخ فيذكر أن الذي تولى المفاوضة « سهيل بن عمرو » .

(٣) نفيت أن الرسول انشأ دولة ، وبينت الأسباب ، ومنها انه لم يكن فى المدينة أيام الرسول هيئة حاكمة ولا دولة الا بهيئة حاكمة ، لم يكن هنالك موظفون .. وهذا القول ــ مع الاعتذار ــ غير دقيق ، فالرسول انشــأ دولة ولها موظفون بعد فتح مكة ، ولاة وقضاة وجباة أموال ، وجيش له قيادة فى كل موقعة ، ولولا ذلك ما استقام الأمر لمن بعده من الخلفــاء . وانا معك فى أن الأوصاف التي تذكر للرسول مثل العبقري والسياسي لاتليق برسالته صلى الله عليه وسلم

• السيد حسن قرون •

وكيل شبرا الثانوية للبنين بالمعاش



● يوسف الشاروني ●

الحلقة الثانية والاخيرة من الدراسة القيمة التي نشر «الهلال» اولى حلقاتها في عدده الاسبق « نوفمبر ١٩٧٨ » وتناول فيها الكاتب الناقد الاستاذ يوسف الشاروني بالعرض والتحليل « اوديب » في ادب توفيق الحكيم ...

● اما على احمد باكثير فكان اكثر امعانا في تجريد المسرحية مما يعتبره خرافة ، اذ جعل الكاهن الاكبر لوكياس يختلق نبوءاته ثم يعمل على تحقيقها بتدبيره ومكره الى ان تتحقق من بدايتها الى نهايتها . ودافعه الى هذا احط من دافع تريزياس عند توفيق الحكيم فقد علل باكثير تصرفات الكاهن الاكبر في بدايتها بان بوليب ملك كورنث كان ينافس لايوس على زعامة هيلاس ، ويخشى ان يكون لخصمه ولد يرث عرشه وليس له هو وريث ، فرشا الكاهن الاكبر بعشرين الف اوبول ليفترى وحيا باطلا حتى يحمل لايوس على التخلص من ولده فلا يبقى له وريث .. اما الاله الحكيم فحاشى ان يوحى بمثل هذا الاثم (« على احمد باكثير » ، ماساة اوديب » ، لجنة النشر للجامعيين » ، القاهرة ، ص٢٣»)

وتستمر احداث قصة اوديب كما نعرفها ولكن ليست تحقيقا لنبوءة وحي الهي بل نتيجة المؤامرة لوكياس كبير الكهنة .

ومعنى هذا ان باكثير يحول الصراع من صراع بين الانسان وقوى اعلى منه الى صراع بين الانسان والانسان فيفقدها الصراع بالمعنى الديني . ولهذا فانه عندما يتساءل اوديب ساخرا لماذا لم يعلن الوحي ان هنالك رجسا في المدينة من قبل وقد مضى على هذا الزواج الاثم سبعة عشر عاما ، افكان راضيا عن عمله ثم غضب اليوم ؟ .. اذن فماذا اثار اليوم غضبه ؟ـ « المرجع السابق ص ٩٣ » ندرك ان باكثير يريد ان يقول انه لو كان هنالك وحى الهى حقيقى لاعلن سخطه من اول يوم تم فيه الزواج الاثم .

اما ان يقع بعد سبعة عشر عاما وبعد ان انجب اوديب من امه ابنين



وبتتبين فتفسيره أن الامر كله من تدبير انسان يفترى على الاله .

وفى موقع آخر يقدم باكثير تفسيرا انسانيا آخر، وذلك على لسان اوديب حين يعلن للشعب ان الرجس كان موجودامن قبل ، فليس اذن هو سبب ما هم فيه من عذاب ، انما السبب ان اموال الأمة تتكدس فى ايدى الكهنة يحتجزونها من دون الشعب الذى يموت جوعا . ولن تزول المجاعة ــ وهى ليست طاعونا عند باكثير ــ الا بمصادرة اموال المعبد وتوزيعها بالعدل، ومن الطبيعى انتختلف اذننهايةاوديب باكثير عن نهاية أوديب سوفوكليس ، فهو لا يفقأ عينيه انما يغادر مدينة طيبة وهو اقرب الى الجنون ..

وتتردد فى مسرحية باكثير الكثير من التعبيرات الاسلامية أكثر مما تتردد فى مسرحية توفيق الحكيم ، حتى ليخيل الينا أن تريزياس ليس عرافا اغريقيا بل فقيها اسلاميا. كما يرفض باكثير بوضوح فكرة الانسان المسير ويعلن أكثر من مرة على لسان فقيهه تريزياس ان الاله بحكمته خلق الخير والشر ، ومنحنا عقلا نميز به بينهما، ومعنى هذا ان الانسان هوالذى يصنع قدره وليس العكس .

وهكذا غير باكثير تماما من المفاهيم الاساسية التى تقوم عليها مسرحية سوفوكليس بعد ان اقصى دور القوى العليا عنها . ومما يجدر التنويه به أن لعلى باكثير مسرحية أخرى بعنوان اخناتون ونفرتيتى ، ولكنه فعل ما فعله سيجموند الذى تحدث عن كل من اوديب واخناتون ولكن لم يدر بخلد احدهما ان لأيهما اية علاقة بالآخرعلى نحو ما فعل ايمانويل فليكوفسكى .

ولقد القى على باكثير ضوءا على طريقة معالجته لمسرحية اوديب فى محاضراته فى فن المسرحية من خلال تجاربه الشخصية التى القاها عام ١٩٥٨ على طلبة معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ونشرت فيما بعد ، فقال ان المسرحية قد حافظت على شخوص الاسطورة وحوادثها كما هى فى الأصل الا فى بعض التفصيلات الثانويةالتى لاتخرج عن اطارها العام، وان وضعت لكل حادث من حوادثها تفسيرا يختلف فى مدلوله عن مدلوله الاصلى ،« على أحمد باكثير ،محاضرات فى فن المسرحية من خلال تجاربه الشخصية ، جامعة الدول العربيةمعهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٨٩ » .

ونحن لا نوافق باكثير على انه لم يغير الا فى بعض التفصيلات الثانوية

أوديب مصرياً

التى لا تخرج المسرحية عن اطارها العام ، لانه — كما قلنا — فيه من المفاهيم الاساسية التى تقوم عليها مسرحية سوفوكليس واهمها رفضه دور القوى العليا .

غير أن باكثير استطرد قائلا اننا اذا تأملنا مسرحيته وجدنا لها دلالة تعكس واقعنا العربى — وعلى وجه الخصوص الفترة بين حرب فلسطين « ١٩٤٨ » والثورة المصرية « ١٩٥٢ » — بدقائقه وتفاصيله « لقد خضنا حرب فلسطين بجيوشنا الستة او السبعة فماذا كانت النتيجة ؟ خسرنا الحرب حيث كسبتها اسرائيل فاضيفت الى رقعتها أراض واسعة ، فهل كان ذلك امرا طبيعيا اقتضاه ضعف العرب وقوة اسرائيل أم كانت المسالة كلها مدبرة من قبل .. ومتى بدأ هذا التدبير .. ألم يبدأ منذ اعلن بلفور وعده المشئوم باقامة وطن قومي لليهود فى فلسطين ؟ فانظروا الآن الى قصة المسرحية . الا ترون فيها مشابها من هذا الذى حدث ؟ لقد اعلن لوكياس نبوءته الكاذبة قبل مولد اوديب ثم وجه الأحداث نحو تحقيق هذه النبوءة حتى تحققت . وكان اوديب هو الذى سعى بنفسه الى خوض غمار التجربة ، متحديا تلك النبوءة حتى وقع فى صميم المأساة طبقا لخطة مرسومة لايدرى هو عنها شيئا ، تماما كما سعى العرب الى خوض غمار الحرب ضد اسرائيل ، متحدين بزعمهم كل القوى التى تناصر اسرائيل حتى وقعوا فى صميم المأساة طبقا لخطة مرسومة لا يدرون عنها شيئا .

وفى حرب فلسطين هدنتان الاولى والثانية افلا تجدون فى قصة المسرحية مشابها لهما فى ذهاب أوديب الى طيبة مرتين فى الأولى ليقتل اباه والثانية ليتزوج امه ؟» — « المرجع السابق ص ٨٦— ٨٧ » .

ثم يشبه الطاعون الذى انتشر فى طيبة والذى كان سببه استيلاء المعبد على الاراضى الزراعية حتى لم يبق للشعب فيها الا القليل ، بالاقطاع الذى كان متحكما فى مصر وغيرها من البلاد العربية والذى كان مسئولا عن كثير من المآسى بلغت قمتها فى حريق القاهرة .

ومصادرة املاك المعبد وما تلاها من توزيع الاراضى على شعب طيبة ، يذكرنا بما قامت به الثورة المصرية من المصادرة والتوزيع على الشعب .

ومن الذى قام بذلك فى الأولى ؟ اليس أوديب الذى تجرع غصة المأساة وعانى ذلها وخزيها ؟

ومن الذى قام بذلك فى الثانية ؟ اليسوا هم الذين اكتووا بحرب فلسطين وعانوا ذل المأساة ؟

ومتى جاء الانقاذ فى الحالتين ؟ألم يجىء حين اشتد الكرب وعظم الخطب؟

وهكذا تستطيعون ان تمضوا فى استنباط وجوه الشبه بين هذه المأساة كما صورتها المسرحية ، وبين واقعنا العربى ، لا على اساس الرمز الجزئى الذى يخص كل شخص او كل حادث فى أحدهما بشخص أو حادث فى الاخر ، ولكن على طريقة الرمز الكلى الشائع فى المسرحية كلها .. فقد يرمز الشخص او الحادث الى اكثر من شخص او حادث .

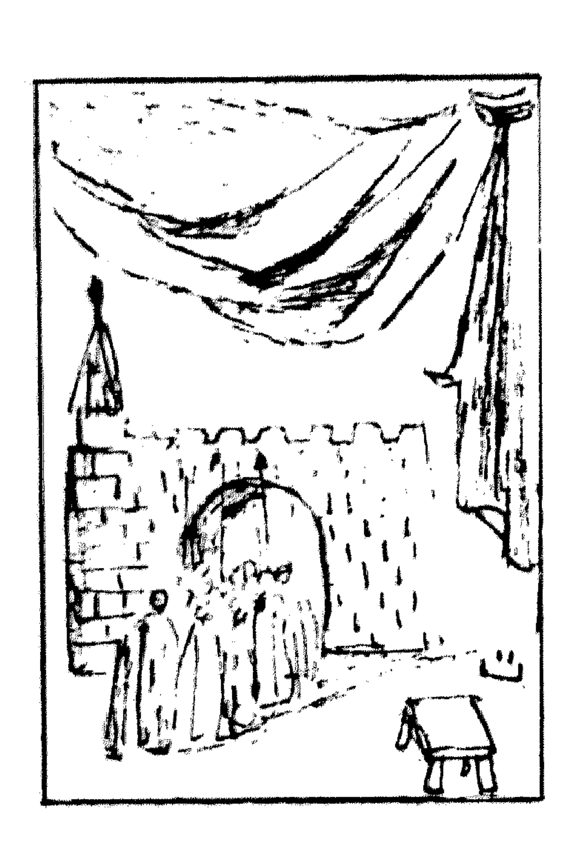
ويختم على باكثير القاء الضوء على ما فى مسرحيته « مأساة اوديب » من رمز بقوله :

ان الرمز هنا يتذبذب فيمس وترا هنا ويمس وترا هنالك كالسيمفونية التى يثير توقيعها فى نفسك مختلف المشاعر والاحاسيس دون أن تستطيع على التحديد ان تقول : هذه النغمة تثير كذا وكذا من المشاعر ، وهذه النغمة تثير كذا وكذا من الاحاسيس — « المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ » .

اما معالجة على سالم التى قدمت على مسرح الحكيم بالقاهرة عام ١٩٧٠ ثم نشرتها دار الهلال بعد ذلك ، فى حدود علمى ، فانها المعالجة الوحيدة فى العالم التى يعلن مؤلفها على غلافها انها كوميديا وليست ماساة . ولعل هذا هو السر فى انها باللغة العامية المصرية فى معظمها وليست بالفصحى ، لا لانها كوميديا فقط – واللهجة العامية انجح فى الاضحاك لانها اكثر مباشرة وتلغى المسافة بين الممثل والمتفرج – بل لان مؤلفها حاول ان يلغى البعدين الزمانى والمكانى ايضا . وكانت اللغة العامية احدى وسائله فى هذا الالغاء .

وفى مقدمة على سالم لمسرحيته ((أوديب)) أو ((انت اللى قتلت الوحش)) يشير الى بحث ايمانويل فليكوفسكى الذى عرضنا له فى اول هذه الدراسة وردد القول بان سوفوكليس وان لم يغادر ارض اليونان فقد كان صديقا للمؤرخ اليونانى هيرودوت الذى زار مصر كثيراً وكان يسمح له بمشاهدة طقوس معينة محرم على الشعب ان يراها . ويقول انه ربما كانت مسرحية اوديب سوفوكليس ليست سوى طقوس معينة محرم على الشعب ان يراها . ويقول انه ربما كانت مسرحية اوديب سوفوكليس ليست سوى اعداد اغريقى لمسرحية مصرية تقدم نفس الاحداث ويتولى اخراجها كهنة آمون فى معابدهم ، ولعلهم كانوا يعرضونها على كبار الشخصيات من زوار مصر كنوع من الاعلام الموجه لتشويه صورة الملك اخناتون بعد ان انتصروا عليه وعلى مبادئه وأعادوا عبادة آمون مرة اخرى .

ويمضى على سالم فى تدعيم رأيه فيشير الى مسرحية جان كوكتو : ((الآلهة الجهنمية)) فيرى ان الجو الفرعونى فرض نفسه عليه بحيث لم يستطع



التخلص منه ، فصور ابا الهول على انه فتاة جميلة يرقد على حجرها انوبيس اله الموتى فى مصر . واندريه جيد فى مسرحيته أوديب يجعل يولينيس بن أوديب يغازل أخته انتيجون ويعرض عليها الحب ، وعشق الاخت والزواج منها عادة ملكية فرعونية قديمة ، ولهذا كله عاد على سالم باحداث مسرحيته أوديب الى طيبة مصر القديمة وليس طيبة اليونان ، كما اعطى نفسه الحق فى أن يجردها من كل المفاهيم اليونانية القديمة والتى تتضمن اساسا الانسان وعلاقته بالاقدار والآلهة . هذا هو الاستبعاد الاول ، الاستبعاد المكانى .

أما الاستبعاد الزمانى فيتمثل اولا فى تصويره استخدام أهل طيبة الاختراعات الحديثة كالاذاعة والتليفزيون والتليفون . ويتمثل الاستبعاد الزمانى الثانى فى شكل

المسرحية وطريقة اخراجها ، فقد استخدم المؤلف فى الفصل الثانى التقدم التكنيكي الذى حققته التجارب المسرحية المعاصرة في بث حركة سريعة نابضة في ارجاء المسرحية يتطلبها دائما المسرح الفكري لدفع الاملال .

كما تم الغاء المسافة الزمانية ثالثا — وبطريقة اكثر وضوحا — فى الفكرة التى تقوم عليها المسرحية . فالماساة لم تعد مأساة أوديب ،بل مأساة طيبة وشعبها ، فهى تستأجر من يحل لها اللغز ، وتكافئه على هذا بان تجعله ملكا عليها ، ولكن اذا حدث وتصدى فرد لعمل بطولى مثل القائد امة ، وافلح فى هذا ، فاننا لا نلبث ان نتبين حقيقة ما فعل . ان الانقاذ وهم زائف ، هو فى الحقيقة تأجيل مؤقت للهزيمة . لهذا فان تريزياس يسخر من اسطورة اوديب القديمة قائلا : هل تراتم ان ملكا تربع على العرش لمجرد انه حل احجية ، افرضوا ان اوديب غير موجود وسطكم ، فماذا كنتم تفعمون ؟

انقذ اوديب طيبة من الوحش ، أو هكذا قيل على لسان خبراءالدعاية فى المدينة وصدق الناس النبأ وانصرفوا الى اعمالهم اليومية وانقطع اوديب لاختراعاته ومكتشفاته ليبنى امته على اساس المنجزات المادية وحدها ،بينما ترك حاشيته تخرب نفسيات الشعب، بدعوى العمل على ان يلتف الشعب حول مليكهم . وهنا كمنت الماساة فلا فائدة من الاختراعات والاكتشافات ما لم يصحبها بناء الانسان ، والكارثة ان مايحدث هو هدم الانسان . لذلك يعود الوحش من جديد الى الظهور . وحين يطالب الناس اوديب بملاقاته من جديد يجيبهم بانه سيلبى طلبهم ويحل اللغز ويقتل الوحش ، ولكن حين يموت ماذا هم فاعلون . لذلك يذهب شعب طيبة لملاقاة الوحش فيلقى الهزيمة . وحين يتساءل اوديب عن سبب الهزيمة مع انه طور طيبة آلاف السنين واخترع للناس كل ما يصنعه الانسان فى المستقبل ،يردعليه تريزياس قائلا : واخترعت ايضا يامولاى اسوأ اختراع فى التاريخ . « الخوف » الاختراع الوحيد الذى يفسد كل الاختراعات الاخرى . ويعلن ان اللغز الحقيقى هو ان يحررالانسان من الخوف والتملق والشك من اجل كل الطاقات الابداعية بداخله ، ومن يحل هذا اللغز هو الذى يستحق ببساطة لقب الحاكم .

وهكذا غير على سالم معالم الاسطورة تماما ، فاحالها الى كوميديا وان كانت روح الماساة تتغلغل فى احداثها واصبحت وقائع الماساة القديمة مجرد اصداء باهتة تبعث من ماض قديم ، مجرد اداة يطوعها المؤلف المسرحى المعاصر ليعكس قلقه وقلق عصره ومجتمعه ويقدم خلالها رؤيته وكلمته .

***

ونأتى اخيرا الى صياغة فوزى فهمى فى مسرحيته «عودة الغائب» فنجدانه ظل محتفظا بروح المأساة ولهذا فانه كتبها بالعربية الفصحى بل باسلوب اقرب الى روح الشعر من حيث التقديم والتأخير والسجع المتناثر خلال الحوار . اما الصراع فليس صراعا بين الانسان والقدر ، ولا بين الحقيقة والواقع .. الخ لكنه صراع اجتماعى فى جوهره ،الشعب احد طرفيه واوديب يتزعم هذا الطرف لانه يحقق احلام الشعب ويدافع عن حقوقه . « هو فى تاريخ طيبة ليس له مثيل ، ملك يدفع بعيدا عنه المنافع الشخصية وينتزع الثروات من الارض لا لنفسه بل لكل الناس ، امر لم تعتده طيبة .. » — (فوزى فهمى أحمد ، عودة الغائب ، الهيئةالمصرية العامة الكتاب (مسرحيات مختارة) ١٩٧٧ ، ص ٢٨) ..

اما الطرف الآخر فهم اعـــداء الشعب وعلى رأسهم كريون اخـو الملكة والعراف تريزياس ، ويعبـر كريون عن موقف هذا الطـرف حين يعلن قائلا : ان ما اسوقه هو حصـاد تجربة عشتها ، فانا من بيت حكـم ، الفت التعامل مع هذه الجماهير .. انهم لا يثقون بنا ، انهم يعلمون اننـا فوقهم .. نحن غيرهم . وهم دائمـا اعداء لمن يحكم — (المرجع السـابق ص ٣١) .

وهـؤلاء كانوا يـريدون من اوديب ان يملك ولا يحكم ،لايهمهم أن تحبهم الجمـاهير بل ان تطيعهم . وكانوا يعتقدون أن قتل لايوس تم نتيجـة تدبيرهم ، لكن النتيجـة جاءت على غير ما دبروا ، فبدلا من أن يخلو لهم الجو ويحققوا مطامعهم ، حـل أوديب اللغز فأصـبح من حقه ان يحل محل الملك المقتول ويتزوج زوجته .

ولئن كان أوديب في الفصل الاول « التعرف » يتعرف على حقيقـة ما ارتكبه بما لا يختـلف كثيرا عما فى مسرحية سوفوكل ، فانه فى الفصـل الثاني « القرار » نجده يتخذ قـرارا مخالفا تماما لما اتخذهاوديبسوفوكل، لانه لا يفعل ما فعله سلفه حين فقـأ عينيه وتخلي عن عرش طيبة ، فمعنى هذا انه تخلى عن شعب طيبة وتركه نهبا لمستغليه . ثم لماذا يفعل بنفسه هذا ولم يخطيء لا هو ولا امه لانهمـا ليسا اشرارا ، وسيثبتان لانفسهما ولمن يمدحهما بانهما حقا ابرياء وانهما محيا الضلال من حياتهما لحظة تبينناه. ثم انهما ليسا مسئولين عما جـرى لهما .

وهكذا قرر أوديب الا يدع العمـر يضيع في باطل وان يغرق نفسـه بما اراده لها: صنع مسـتقبل الناس الطيبين اهل طيبة . (المرجع السابق ص ٥٦) . وبذلك فان أوديب« فوزى فهمي » يدين أوديب « سـوفوكل » بانه اضاع عمره فى باطل وانه تحمل مسئولية امر لا مسئولية له فيه .

ونتيجة لهذه المقدمة اتخـذ أوديب قراره : انه لن يعلن حقيقـة قصته ، لان اعلانها معناه ان يحطـم المتلصصون صرحـه ويعرفوا جـرحه ليعودوا بطيبة الى الوراء ، الى ماقبل اليقظة من الرقاد حيث الاشـباح تعود ، ويفرخ الشر ويبـاح ، وتداس كرامة الناس بالنعـال — (المرجـع السابق ص ٥٨) .

وعندما تؤكد أمه جوكاسـتا بأن جريمتهما لا يمكن أن تغتفر يقاطعهـا بالا جريمة هناك . من أجل ذلك قررا ان يظلا زوجين امام الناس ولكنهمـا امام نفسيهما سيكونان اما وابنـا — (المرجع السابق ٦٠) .

ويحاول كريون المندفع التآمر على أوديب فيحرق رجاله الحقـول ويحطمون السـدود ولكن مؤامرته تفشل . فيشير عليه تريزياسالخبيث ان يشترى مجلس الشـيوخ ليقف اعضاؤه ضد مشاريعاوديب فيعزلونه عمن حوله ويجعلونه وحيدا .

اما جوكاستا فانها تشـفق على ابنها وتغرى وصيفتها اوريجـانيا بأن تكون زوجته مدعية أن مرضـا خبيثا يحـول بينها وبين أوديب بأمـر من الاطباء . وقد اتضـح أو أوريجانيـا تحب أوديب لانها تحب فيه وطنها فى ثوبه الجديد .

وعندما يشي كريون لاختـه جوكاستا بالعلاقة غير الشرعيـة بين أوديب وأوريجانيا يفلت منهـا لسانها

معلنة ان اوديب ابن دمهـا . وحـين ينتشر الطـاعون بجسـدها كريون وتريزياس فرصة ذهبيـة لهما . فتريزياس لا يزال يعمـل بكهانته ، فيطالب اوديب ان يرحـل لانه قاتل ابيه ومعاشر امه فاسراره ليسـت بمناى عن سكان الاولمب ، لكن اوديب يتصدى له معلنا ان ظل سكان الاولمب على الارض رغيف وسـلام بينمـا تريزياس يخضب بالموت ارض طيبـة ويطالبه بان يمرغ اطماعه فى الوحـل والا يجعل موت البشر سلاحه مستثمرا زمن الضـيق ، ويتحسر اوديب على ضيعة الامال فى عالم الاحقاد ــ (المرجع السابق ص ١١٦) . ويشيع تريزياس فى طيبة ان سبب الدمار وجود مـن ارتكب معصـيـة فى طيبة ويجب التخلص منه ، فيرد أوديب ردا منطقيا: فالعقـاب فى الشرائع لمـن ارتكب الخطأ ولا يمكن للالهة أن تسـاوم ولا ترضى أن يدفع شعب دمه المسـفوك عقـابا لمن ارتكب الخطأ ، بل العقـاب يحتمله مرتكب الخطأ والا فالالهة اذن آلهة ظالمة .

لكن اوديب يضطر فى النهـاية الى ان يعلن ان حجب الحقيقة عن الشعب هـو خطيئته ، ولكن الكورس يـبرىء اوديب معلنا انه ليس هناك لعنـة بل هنـاك مؤامرة ، وأن هـذه المؤامرة تستتر فى ظل المعبـد . ولكن الكورس يعود فيعاتب اوديب معلنا : كتمت عنا جرحك ونحن شعبك ، صار صمتك وحشا آخر يترصـد بنا ، اوديب انت بسقطتك وصمتك لست لنا ــ (المرجع السابق ص ١٣٤) .

حينئذ يستجيب اوديب لرغبـة شعبه معلنا ان الديمقراطية لن تنحنى امام سلطته . فلتصنع طيبة مصيرها ولتمارس حريتها ولتعلم أن امامهـا الطريق غير مفروش بالورود ..» ايها الطيبون انا لا اخالف اجماعكم ، انتم ترفضونني وهذا حقكـم ، كي لاابقى حريتكم وهما وشعارا مرفوعا .. لكن الانتصار الحقيقى لكم هو ان تستمروا بهذا القدر من الشجاعة في ممارسة حريتكم امام مواقف اخرى مماثلة .. وداعا وانا اترككم احرارا مـن ذلك الخوف » . ثم يصرح بمعارضـتـه لسلفه اوديب سوفوكل : اما انا فقد كان على ان افقأ عينى كمـا تحكي قصتي ، لكن هاانذا اصـد بكل ارادتي عن نفسى فقأ العينين فانا أحـلم بالخصب لا بالعقم ــ (المرجع السابق ص ١٣٦) . وهكـذا فانه اذا كان اوديب على سالم قد علم شـعبه الخوف فان اوديب فـوزي فهمي قد حذرهم منه .

ويبدو ان فوزى فهمى يسـقط على اسطورة اوديب موضوعا معاصرا، وان كان فى الواقع موضوعا جـديدا قديما لانه يتصل باساليب الحكم فى كل عصر وفى كل مكـان . ونحـن نلاحظ انه احتفظ من ناحية الموضوع بجانب من الاسطورة القديمة وتخـلى عن جانب آخـر ابرزه الصراع مع القدر الذى حـل محـله الصراع الاجتماعى،اما من ناحية الشكل فكان اكثر احتفاظا بالشـكل الاغريقى للمسرحية اذ احتفظ بالكورس وبروح الشعر وبالشـخصيات الرئيسـية وبزمانها ومكانها ولكنه قسـمها الى ثلاثة فصول .

وهكذا استرد ادباء مصر ــ ومن مختلف الاجيال ــ اوديبهم بعـد ان تغرب طويلا ، ووجدوا فى شخصيته طواعية لان يؤقلموه مع عقائدهم حينـا ومع همومهم حينا آخـر ، فارتدت ثيابنا وتحدثت بلغتنـا ، ولا غرابة فاوديب شخصـية خصبة تلاقت مع مواهب خصبة

من روائع الفن الإسلامى

التصوير فى الهند الإسلامية

لا زال الكثيرون منا يحسبون فن التصوير لم يزدهر فى بلاد الإسلام ، ولكن الحقيقة أن تاريخ فن التصوير عند المسلمين لا يقل إشراقا عنه فى أى بلد غربى ، وفى الصفحات التالية لمحات عن التصوير فى الهند الإسلامية .

السلطان جاهنجير فى حديث خاص مع ابنه الامير خسرو ، لوحة بريشة منوهر رسمت سنة ١٦٠٥



رغم ما يقال من أن الاسلام يحرم التصوير فان للتصوير تاريخا حافلا فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، وفى هذه الصفحات نعرض باللفظ والصورة لنواحى الابداع فى فن التصوير فى مدرسة واحدة من مدارس الفن الاسلامى : المدرسة الهندية .

دولة اسلامية عظمى قامت فى مطالع العصر الحديث

لا يعرف معظم المثقفين العرب والمسلمين عن التصوير فى عالم الاسلام الا القليل ، بل ان كثيرين منا لا يعرفون أن هناك فنا تصويريا زاهرا فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، ويبدو أن الناس متاثرون فى هذا الباب بما قيل من أن الاسلام يحرم التصوير ، وهو أمر غير صحيح . ان الحجة التى يستند اليها القائلون بهذا التحريم حجة واهية تقول ان الاسلام حرم التصوير خوفا من أن يعبد المسلمون الصور والتماثيل وهذا غير صحيح فان المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله لا يمكن قط أن يعبد صورة أو تمثالا مهما كان علمه بالاسلام قليلا . وليس هناك مسلم لا يعرف أن الاسلام عقيدة توحيد وتجريد ، ولم نسمع قط رغم كل ما ظهر فى تاريخنا من مذاهب منحرفة عن العقيدة العربية بأن فرقة اسلامية عبدت صورة أو تمثالا .

ولكن المسلمين بطبعهم عزفوا عن التصوير والمثالة نفورا من الوثنية وتمييزا لعقيدتهم عن العقائد الاخرى التى تعتمد على التصوير والتماثيل فى زينة معابدها كما نرى فى المعابد والكنائس التى تكثر فيها الصور والتماثيل لأنها تستعمل وسيلة لتصوير مشاهد من العقيدة أو من الكتاب المقدس واحاديث الانبياء والحواريين .

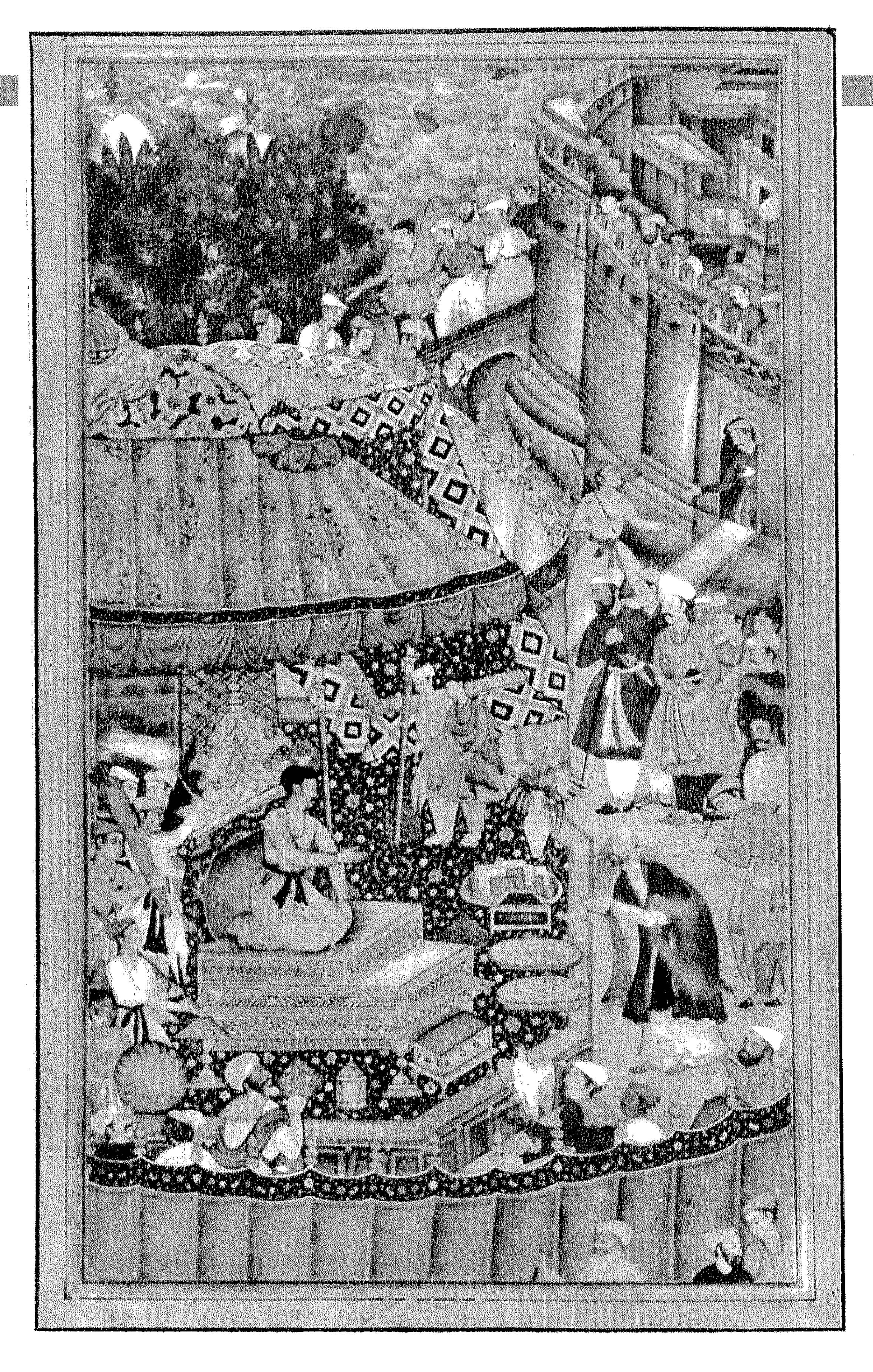
وقد استغنى المسلمون عن هذه الوسيلة فى التعبير الفنى بأمرين : الزخرفة والكتابة . فاستعاضوا عن التصاوير بالزخارف البديعة المختلفة الاشكال والالوان ، وأبدعوا فى استعمال الكتابة عنصرا زخرفيا ، ووفقوا فى ذلك توفيقا بعيد المدى حتى اصبحت الزخرفة بشتى أشكالها فنا يكاد يكون مختصا بالحضارة الاسلامية ، ولفظ أرابيسك فى الفن الاسلامى يدل على فن الزخرفة بصورة عامة سواء ما أبدعه المسلمون منها وما أبدعه غيرهم فيها .

ثلاث مدارس كبرى فى تاريخ التصوير عند المسلمين

ولكن هناك بلادا اسلاميه ثلاثة اشتهر أهلها بالتصوير وصارت لهم فيه مدارس مشهورة معروفة: الاندلس وايران والهند، ففى كل بلد اسلامى من هذه اهتم الناس بالتصوير ورسموا لوحات وصنعوا تماثيل وانشأوا مدرسة من مدارس الفن التشكيلى ، ومع ذلك فلم نسمع قط أن فقيها اندلسيا أو ايرانيا أو هنديا احتج على صورة أو تمثال، بل كان هناك تمثال جميل من المرمر لامرأة ترضع طفلها فى أعلى باب من أبواب قرطبة فسمى الباب باب الصورة ، ولم يطلب أحد من الفقهاء نزع ذلك التمثال أو المساس به .

وفى ايران نجد مصورين بارعين رسموا لوحات ومنمنمات هى الغاية فى الجمال من امثال بهزاد صاحب مدرسة هرات المشهورة ، وكان بهزاد من أكثر الناس ايمانا وتقى ، وكانت لوحاته والكتب التى زينها بصوره تتداول بين الناس دون حرج ، وكان للرجل مكان مرموق فى المجتمع الايرانى وما زلنا نحتفظ الى اليوم بمجموعات من لوحاته ومنمنماته . والمنمنمة هى الصورة الصغيرة التى تزين بها بعض المخطوطات ، وقد اشتهر المسلمون باتقان هذا الفن ويقال انهم هم الذين ابتدعوه ، وعنهم نقله الغرب .

وسنخصص حديثنا هذه المرة على فن التصوير فى الهند الاسلامية وسندرس اصول التصوير فى المدرسة الهندية



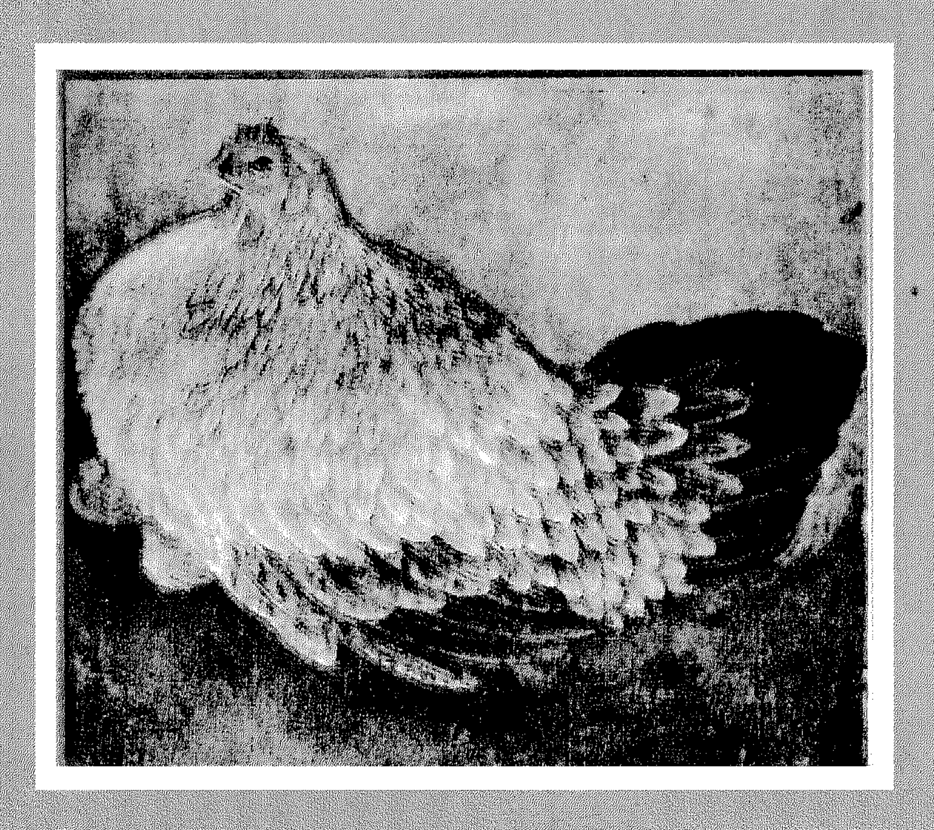
السلطان أكبر يتلقى الهدايا فى معسكره الى جوار ((جوان بور))
من رسم ((بقوان)) .. اللوحة من مخطوطة أكبـــــر نامه

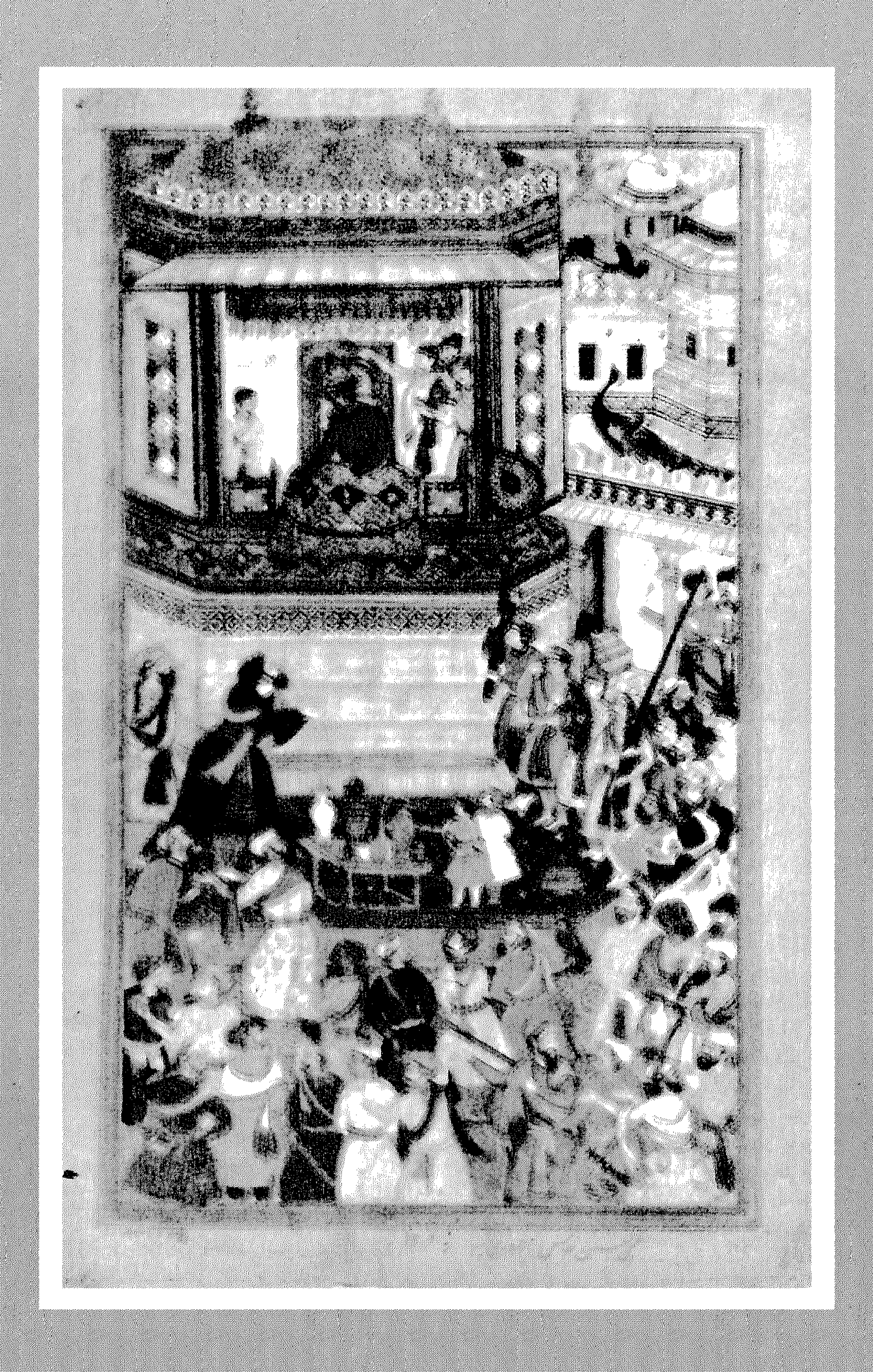
أسرى حرب يقدمون الى السلطان اكبر.
لوحة من عمل المصور الهندى حسين
نقاش . الصورة ماخوذة من مخطوطة
اكبر نامه التى تم عملها سنة ١٥٩٠ .

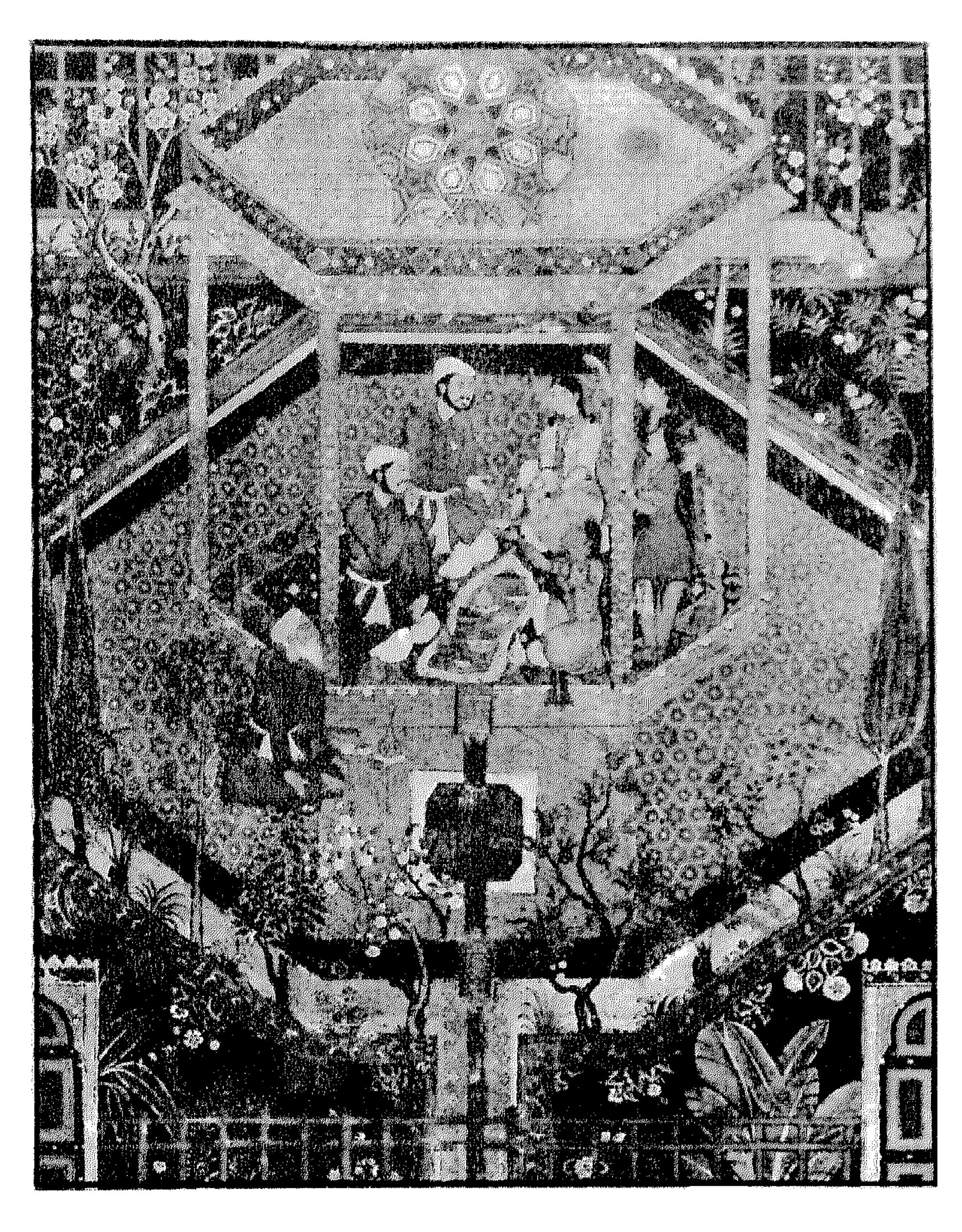


لوحة تمثل كبار السلاطين والامراء من آل تيمور ((سلاطين مغول الهند)) . لوحة رسمت على قماش من القطن بين سنتى ١٥٥٠ / ١٥٦٠ محفوظة فى المتحف البريطانى

دجاجة مع فراخها. لوحة رسمت على القطن فى عصر السلطان جاهنجير ١٦٠٥ — ١٦٢٨ محفوظة بالمتحف البريطانى







رستم ومهرالفاروز يتحدثان فى خميلة وسط حديقة .. لوحة رسمت على قماش قطنى من مخطوطة احمزه نامه

ونتحدث عن كبار الرسامين هناك، ونؤيد الكلام بنماذج من تصويرهم ملونة وغير ملونة .

قيام دولة اسلامية عظمى : دولة سلاطين مغول الهند وازهار الحضارة والفن الاسلاميين فى ظلها

يبدأ تاريخ التصوير الاسلامى فى الهند مع بداية عصر سلطنة مغول الهند التى وضع أساسها السلطان بابر سنة ١٤٨٣ وبابر من احفاد تيمور لنك ولهذا فان أسرته تسمى اسرة سلاطين المغول وكانت اسرته تحكم أول الامر اقليم فرغانة فى افغانستان الحالية .

وعندما تولى بابر عرش فرغانة سنة ١٤٠٥ بدأت امارة فرغانة تتوسع ففتح سمرقند فى بلاد ما وراء النهر ثم نقل عاصمته الى كابل سنة ١٥٠٤ . ومن هناك اتجه ببصره الى الهند وقرر غزوها لتجديد دولة الاسلام فيها ، وكان يحكمها اذ ذاك آخر سلاطين أسرة لودى وعاصمتهم لاهور ، فسار بابر بجيوشه فى وادى نهر كابل الذى يخترق جبال الهملايا ، ومر من ممر خيبر ودخل الهند حيث انتصر على سلطان لودى فى موقعة بانيبات المشهورة سنة ١٥٢٦، ثم هزم اتحاد امارات الراجبوتانا الهندية وقتل أميرهم ميوار رانا سانجرام سينج وبعد هذا النصر اصبح بابر يحكم امبراطورية واسعة تمتد من اقصى بلاد ما وراء النهر شمالا الى هضبة



صفحة من مخطوط يحكى ماساة استشهاد الحسين ابن على فى كربلاء .. والصورة تمثل هجوم الاعداء على قبر الحسين لتحطيمه ، والنص مكتوب بالفارسية .

الدكن جنوبا ، وعندما توفى بابر سنة ١٥٣٠ كان من أعظم ملوك عصره فى عالم الاسلام وخارجه وجعل عاصمته أجرا ، ودلهى .

سلطان عظيم وشاعر وفنان : جلال الدين بابر

وكان بابر الى جانب عبقريته العسكرية والسياسية رجلا ذا مواهب أدبية وفنية، فقد أملى مذكراته باللغة التركية وسماها « بابر نامه » أى كتاب بابر وكان ينظم شيئا من الشعر ، كان حبه للفنون والتصوير خاصة عظيما .

خلفه ابنه السلطان همايون وكان فاتحا عظيما أيضا ، وقد تمكن من تنظيم دولة أبيه الكبيرة ، ولكن الدولة بلغت أوجها أيام حفيده اكبر بن همايون الذى بدأ يحكم سنة ١٥٥٦ فى سن الثامنة عشرة ، وقد انتصر على امراء الراجبوتانا انتصارا عظيما عند بانيبات سنة ١٥٥٦ ، واستولى على بلادهم ووقعت فى يده قواعدهم العسكرية الكبرى مثل غيتور ورانتامبور والكوجرات سنة ١٥٦٨ . وفى سنة ١٥٧٣ استولى على سورات وضم الى بلاده البنغال وكشمير سنة ١٥٨٦ ، فى كل البلاد التى فتحها ازال معابد الوثنية .

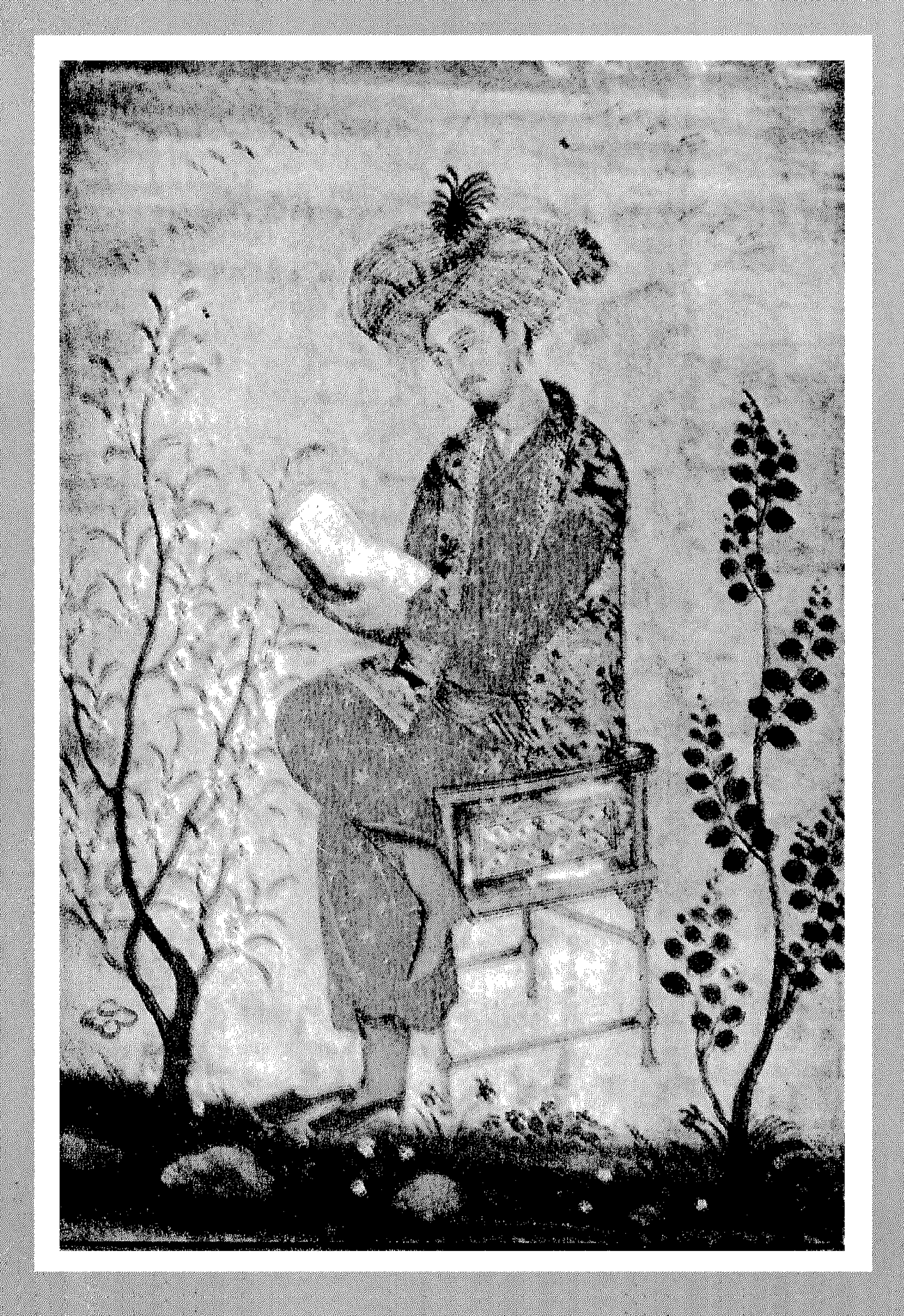
السلطان اكبر : فيلسوف ومفكر دينى حاول انشاء ديانة جديدة فلم يوفق وانتصر الاسلام

وبعد أن أنشأ السلطان اكبر هذا الملك العريض بنى لنفسه عاصمة جديدة قرب أجرا هى فاتح بور سيكرى فى الموضع الذى عاش فيه زاهد هندى مسلم مشهور هو الشيخ سليم شيستى

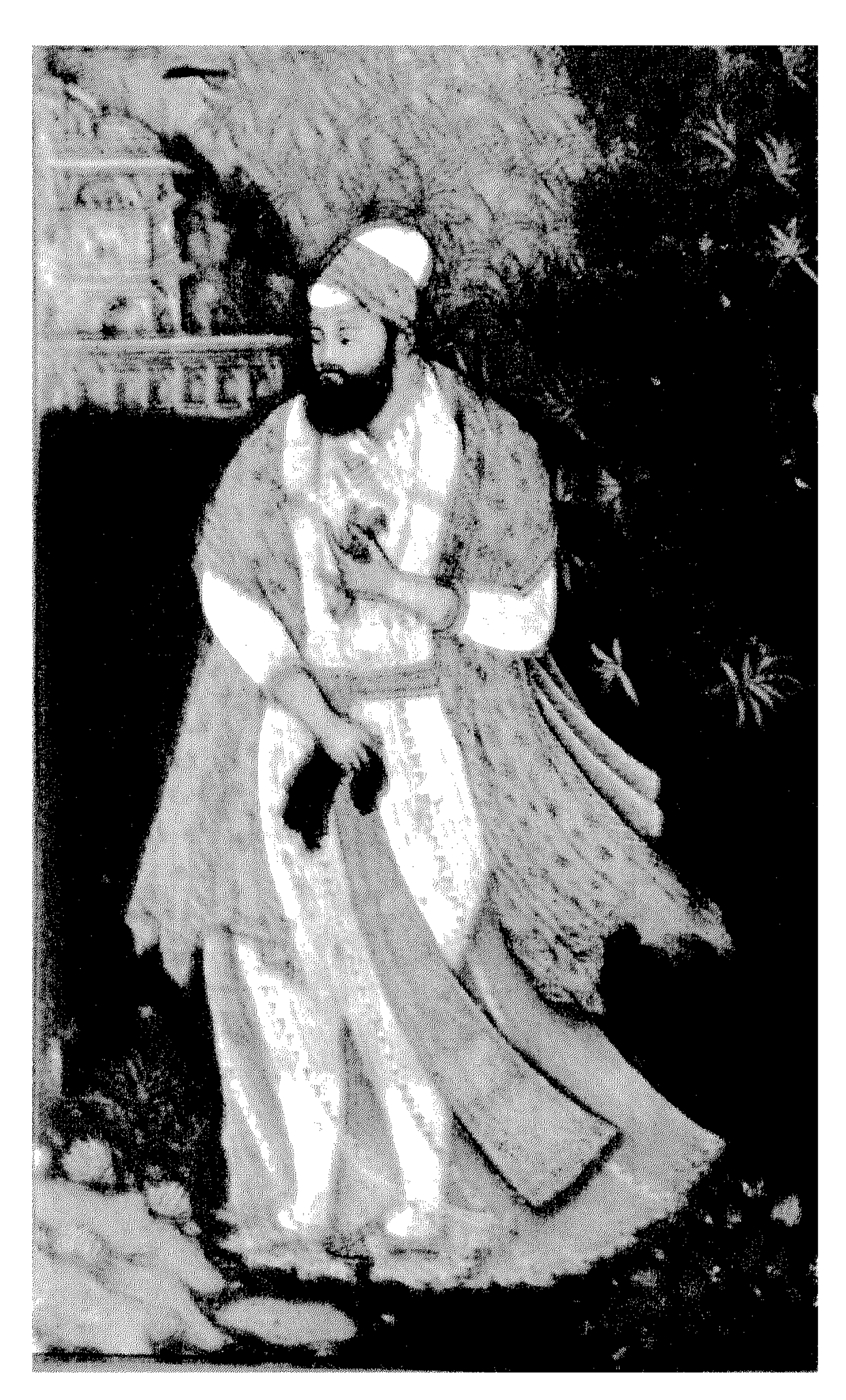
وكان السلطان أكبر رجل تاملات وأفكار فلسفية ومن هنا نفهم كيف أنه فكر فى توحيد الاديان الكبرى التى وجدت فى الهند اذ ذاك الاسلام والبوذية والهندوكية والمسيحية فى ديانة واحدة سماها « الدين الالهى » وهى محاولة لم توفق ، وكان يميل الى الجدل الدينى والقراءة فى الآداب ، وقد قام بكتابة تاريخ حياته واحد من أدباء عصره هو الشيخ أبو الفضل وسماه اكبر نامه ، وكان أبو الفضل مصورا ماهرا .

جاهنجير وشاه رجاهان : سلطانان مسلمان رعيا الفنون والتصوير خاصة

وخلفه ابنه جاهنجير ، وكان شبيها بأبيه فى النشاط والعمل ، ولكنه اقلع



السلطان بابر جالس على كرسيه يقرأ .رسمت فيما بين سنتى١٦٠٥ ـ ١٦١٠ مقاييسها١٨ × ٥ر١١ سنتيمتر بالمتحف البريطاني ..



لوحة تمثل موسيقيا من بيجابور رسمت
سنة ١٦١٥ محفوظة بالمتحف البريطانى

عن بدعة ((الدين الالهي)) وكتب لنفسه ترجمة حياة سماها توزيكي جاهنجير وتوفي سنة ١٦٢٧ وخلفه ابنه شاه جاهان الذي أنشأ التاج محل درة العمارة الاسلامية في الهند ٠

قيام مدرسة التصوير الهندية الاسلامية

في ذلك البلاط الزاهر الذي تعاقب عليه السلاطين العظام أزهر فن التصوير موضوع هذا المقال ٠

وكان السلطان همايون هو أول من انشأ في قصره مصورا ((ستوديو)) خاصا لمصوري البلاط ، وقد قبس ذلك عن البلاط الفارسي ، فقد قضى في تبريز سنوات طويلة منفيا من بلاده ، وهناك رأى ان شاهات الصفويين لهم مصورون خاصون بهم وفي القصر الملكي مصور خاص يعملون فيه ، والمصور مجموعة قاعات واسعة فياضة بالنور يعمل فيها مصورو البلاط ٠

وعندما عاد همايون الى عرشه أخذ معه نفرا من اعلام التصوير الايراني من مدرسة تبريز على رأسهم المصور الايراني الكبير سيد مير على سنة ١٥٤٩ ثم استدعى الى بلاطه فنانا ايرانيا آخر هو عبد الصمد

وقد تناول نشاط هذه الجماعة من المصورين تحت اشراف السلطان همايون ومن جاء بعده لوحات ضخمة ملونة للسلاطين أكبر وجاهنجير وخرم (الذى سمي باسم شاه جاهان) ، واللوحات كلها على أسلوب مدرسة تبريز الايرانية ، ولا تختلف عنه الا في شكل العمامة الهندية التي تميز سلاطين الهند من المغول ٠

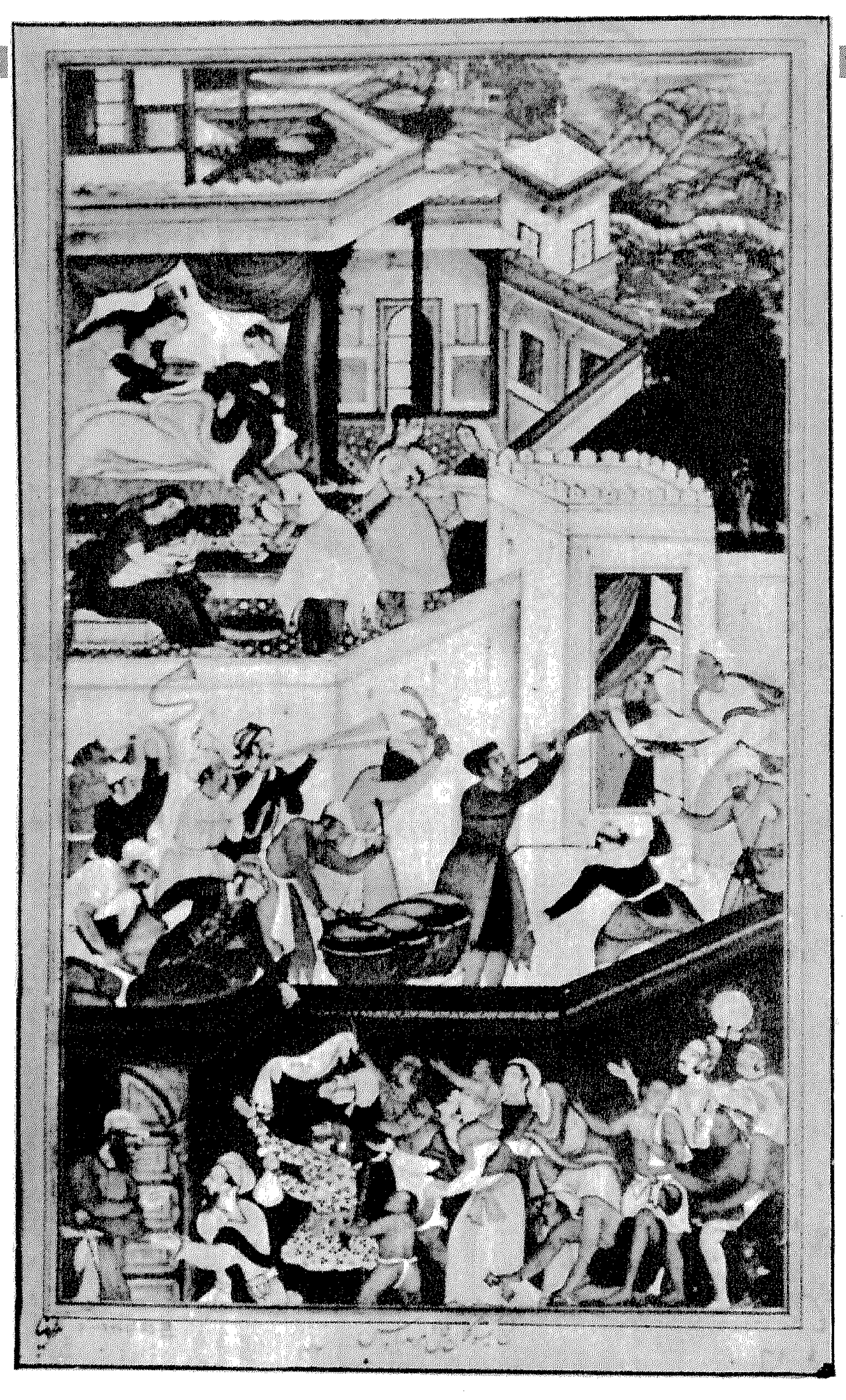
وكان السلطان اكبر نفسه من هواة الرسم ، كان يرسم بيده وهو صغير ، وقد تلقى تدريبا على الرسم على يد سيد مير على ، وعندما عاد سيد مير على الى بلاده سنة ١٥٧٤ أصبح عبد الصمد الرسام الاول والفنان المقرب الى همايون وبمعاونته استدعى عبد الصمد الى بلاط أجرا نفرا من الرسامين الهنود من ولايات احمد بخار وميشسابور وجولكوندا ،وعلى يد هؤلاء أخذ التصوير في الهند يتحرر من قواعد المدرسة الايرانية ، وظهر ذلك بشكل واضح في المنمنمات التي زينت القصة الجميلة المنماة بـ ((حمزة نامه)) أي كتاب حمزة وهي قصة أسطورية تدور حول سيدنا حمزة الشهيد وموت الابطال الذي لقيه في موقعة احد ٠ وقد كانت القصة تقع في ١٤ مجلدا في كل واحد منها مائة لوحة وحجم الصفحة ٤٥ بوصة أي نحو ١٢٠ سنتيمترا ، ويعتبر هذا المخطوط الذي لم يبق من أوراقه الا القليل أضخم عمل فني تم في تاريخ التصوير عند المسلمين ٠

حمزة نامه كتاب ضخم من لوحات مصورة

وكان هذا الكتاب المصور الضخم - وأوراقه من القماش المقوى بالشمع - يعرض على مجمع من الناس بينما يتلو قارىء قصة حمزة والعيون تتامل الرسم والتفاصيل ٠ حقا ان التفاصيل في اللوحات الباقية لنا كثيرة جدا يفقد المتامل معها قدرته على التركيز ، ولكن المصورين عرفوا كيف يضفون على الرسوم قوة وحيوية غير معهودة في التصاوير الاسلامية ٠ ثم ان الالوان زاهية جدا ، وهي قد تبدو جافية احيانا، تدل على مهارة كبيرة ، وقد قصد الرسامون من استخدامها الى احداث اكبر وقع في النفوس ٠

رسامون عظماء : سيد مير على وعبد الصمد وعبد الرحيم

وبعد ذلك كلف همايون أحد قادته وهو بيرم خان بترجمة تاريخ حياة جده المسماه ((بابر نامه)) الى الفارسية ثم كلف الرسام عبد الرحيم بتزيين المخطوط بمنمنمات مفردة أو مزدوجة، أي تغطى نصف صفحة أو نصفي صفحتين متقابلتين ، والرسم هنا جميل جدا ، والوانه اكثر تناسقا من ألوان



لوحة تمثل الفرحة بميلاد الأمير سليم ابن السلطان اكبر
وقد رسم الصورة ذرمداس الرسام الهندى

كتاب حمزة نامه • وقد صور هذا المخطوط أكثر من مرة ، ونسخه الباقية لدينا - فى المتحف البريطاني خاصة - يختلف بعضها عن بعض أشد الاختلاف وكل التصاوير تحمل امضاء راسميها وأحيانا نجد امضاءين لرسامين على لوحة واحدة •

((أكبر نامه)) كتاب
مصور فريد فى بابه

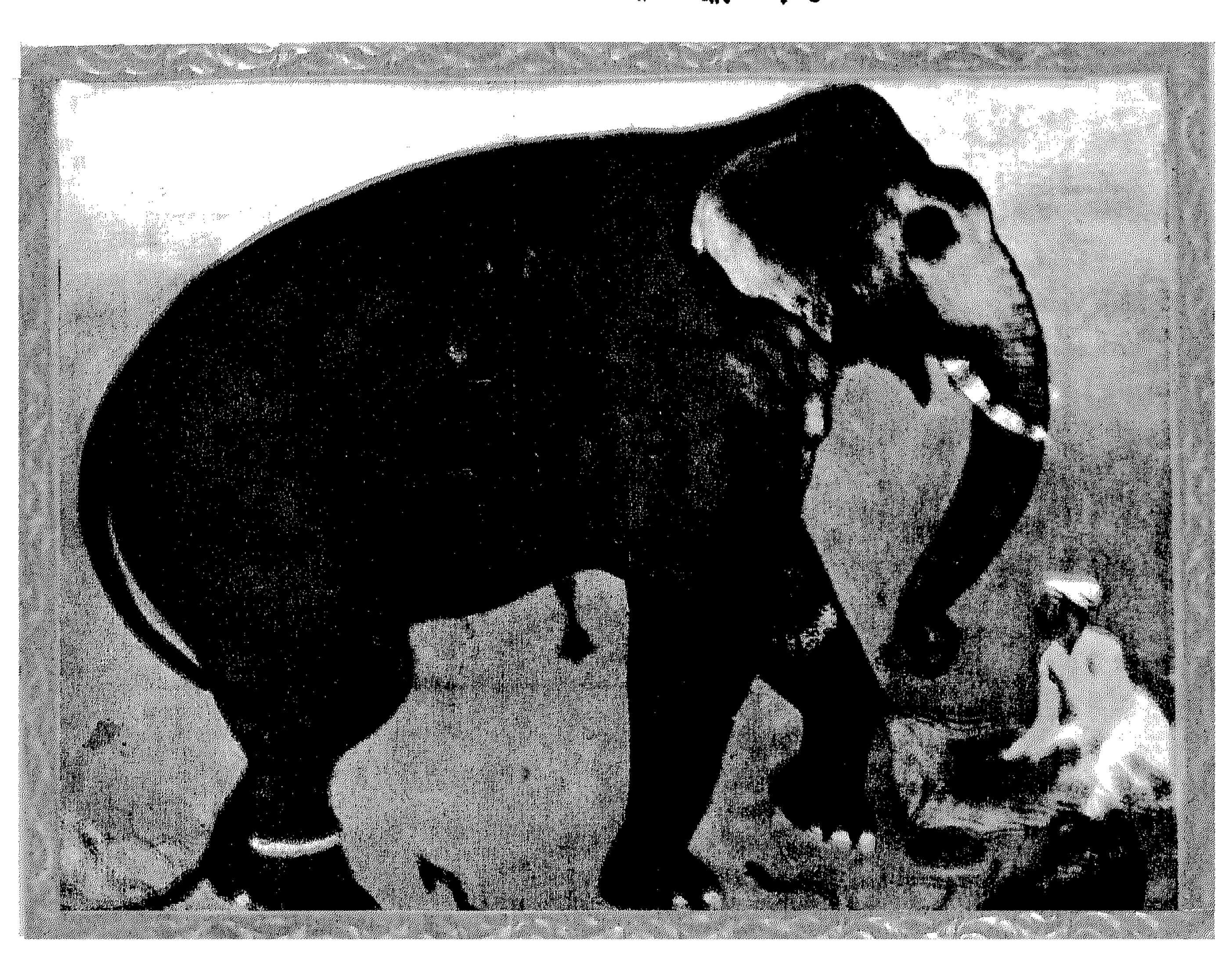
ولكن أعظم اعمال التصوير التى تمت فى عهد أكبر هو تصاوير تاريخ حياته التى كتبها كاتبه أبو الفضل وأشرف هو بنفسه على اعمال كتابة المخطوط وتزيينه بالصور • والكتاب يضم ١٨٩ منمنمة • وقد أنجز وقدم للسلطان أكبر ابن همايون سنة ١٥٨٤ •

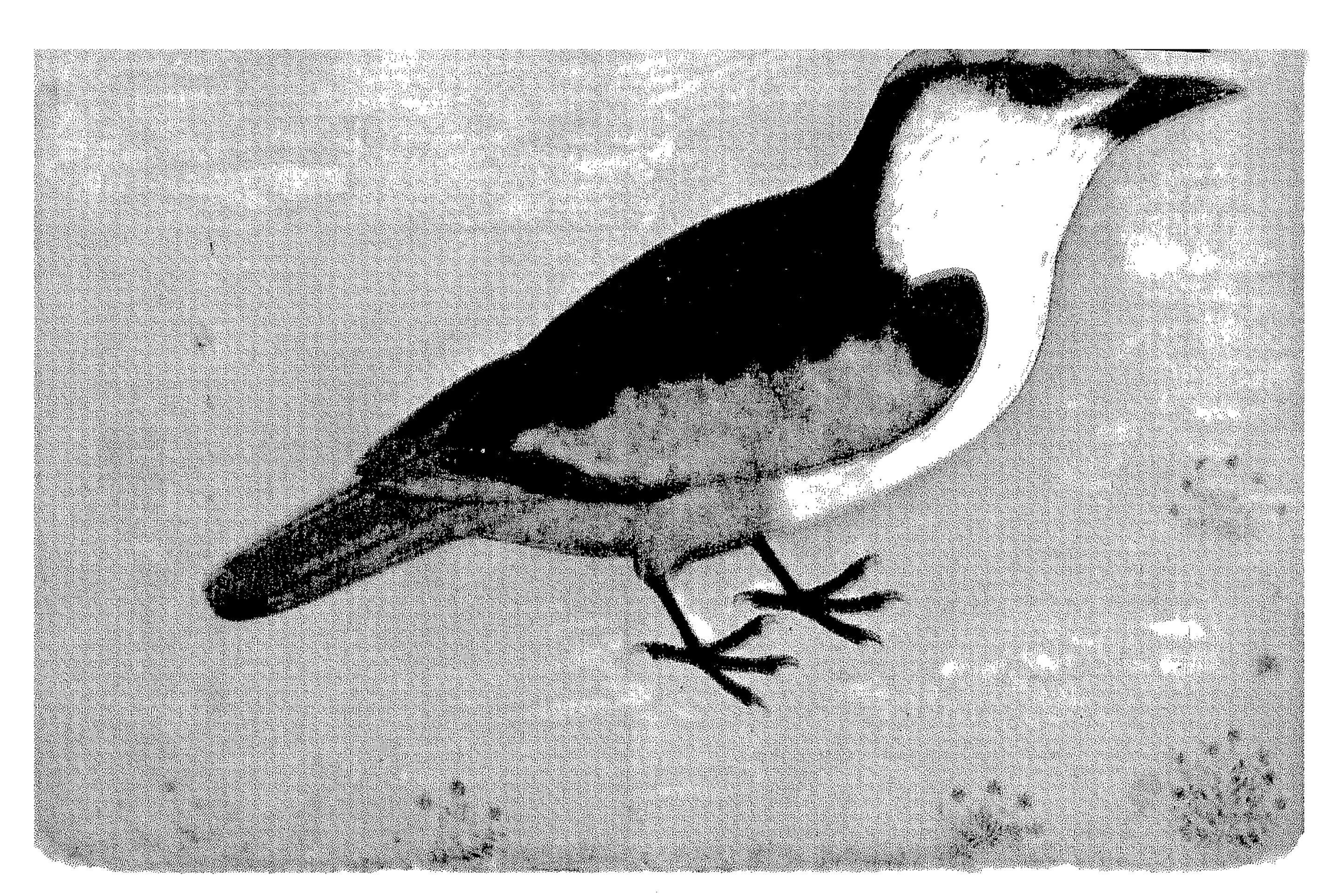
وفي نفس الوقت امر السلطان أكبر بترجمة الملحمة الهندية المعروفة باسم ((مهابهاراتا)) فترجمت الى الفارسية بعنوان « رزم نامه » وزينت بالصور البديعة ذات الألوان الباهرة ، ومخطوطتها اليوم فى ملك مهراجا جايبور وقد تمت وقدمت للسلطان أكبر فى نفس التاريخ • وتصاوير هذه المخطوطة عملت بأيدى رسامين من الهنود لانهم أعرف بطبيعة تلك الملحمة الهندية الكبيرة من غيرهم من الرسامين المسلمين ويبدو ان السلطان أكبر أعجب بهذه التصاوير فأمر بان تترجم المخطوطة الى الفارسية وتصور ملحمة هندية أخرى تسمى هاريكامسا وهى تدور حول شخصية كريشنا الذى تتمثل فيه شخصية الاله الهندى فشنو ، وتصاوير هذا المخطوط ، مثلها فى ذلك مثل تصاوير المهابهاراتا تمتاز بالحيوية والحركة التى ادخلها الفنانون المسلمون على فن التصوير عند الهنود •

مخطوطات كثيرة
مزينة بالمنمنمات

ومن بين روائع الاعمال التى صدرت عن مصور السلطان أكبر مجموعة من المخطوطات المصورة تدور كلها حول

أطعام الفيل •• لوحة رسمت سنة ١٦٢٠ فى عصر جاهنجير مقاييسها ٢٠ × ٢٨ سنتيمترا





صورة طائر ذى ريش مختلف الألوان رسمت فى سنة ١٦٢٠ فى عصر جاهنجير

ملاحم فارسية ، هذه المخطوطات أصغر حجما ، ومن ثم فان رسومها أصغر مساحة ، لانها عملت للمطالعة الخاصة لا للعرض كما هو الحال مع المخطوطات الكبيرة التى تحدثنا عنها آنفا • ونلاحظ فى هذه التصاوير أثرا أوربيا فلمنكيا فى الغالب ، لان العلاقات التجارية بين الهند وهولندا كانت نشيطة فى ذلك العصر وهو القرن السادس عشر الميلادى

لوحات أشخاص لا تقل عن اللوحات الاوربية فى عصرها

وقد اشتهر التصوير الاسلامى فى الهند بلوحات الاشخاص • ومن اشهر ما عمله ابو الفضل تلك اللوحة الكبيرة التى رسمها للسلطان أكبر ومازالت باقية تبهر العيون بجمالها وروعة الوانها الى اليوم • وقد امر اكبر بأن تعمل لوحات لعدد من افراد اسرته ووزرائه وكان بعض المصورين يرافقونه فى حملاته ليصوروا بعض مشاهد المواقع ، ومازلنا نملك الى اليوم تصاوير بديعة لحصار تشيتور ورانتابهور

جاهنجير ومصوره أبو الحسن

وقد ورث السلطان جاهنجير حب والده للتصوير وتميز عنه بحب بالغ للطبيعة ومظاهرها •واثناء سنوات نزاعه مع والده وابتعاده عن اجرا جمع حوله طائفة كبيرة من المصورين أشهرهم آقارضا أو آغارضا،وقد أدخل هذا المصور ـ وأصله من هرات ـ أصول فن التصوير التى تكونت فى مدرسة هرات تحت رعاية البلاط الصفوى على يدى آقارضا وفيها ظهر رسام هندى كبير من أصل فارسى هو أبو الحسن ، وهو اكبر من يمثل لنا فن التصوير الهندى فى عصر جاهنجير •

وكان جاهنجير كذلك معجبا بالتصوير الاوربى ، وكان يطلب الى السفير البريطانى السير توماس رو أن يوافيه باللوحات الأوربية ، وقد حكى السير توماس رو فى مذكراته تفاصيل المحاورات التى كانت تدور بينه وبين جاهنجير حول موضوع التصوير ، وفيها نقرأ أنه لم يكن معجبا بالتصاوير التى عملت فى أيام أبيه اكبر • ولكننا نلاحظ مع ذلك ان التصاوير التى صنعت له أو لبعض مشاهد حياته مثل الاستعراضات العسكرية تتميز بجمود يفقدها الكثير من الحيوية التى نجدها



صورة لأحد الاوربيين الذين دخلوا الهند تجارا ، رسمت بريشة رسام هندى مسلم فى مخطوطة تاريخ حياة جاهنجير

فى الصور التى عملت تحت اشراف أبيه أكبر ، ونجد نماذج من التصوير فى عصر جاهنجير فى مخطوطة تاريخ حياته المسماه « توزكى - جاهنجير » .

ومن روائع اللوحات فى ذلك العصر اللوحة البديعة التى صنعت لشاه جاهان ابن جاهنجير قبل أن يتولى الملك وهى لوحة باهرة تتميز بجمال ملابسه والجواهر الثمينة التى تزين بها . وقد أمر جاهنجير مصوره بشانداس بأن يصنع له لوحة للشاه عباس سلطان ايران ، وأرسله مع بعثة دبلوماسية كانت ذاهبة الى بلاط اصفاهان ليقوم بعمل الصورة ، وكأنما اراد السلطان الهندى أن يرى صورة معاصره العظيم الذى لم يره قط .

تصوير طيور وحيوانات فى غاية الابداع

ومن بين الصور التى صنعت لجاهنجير مجموعة من اللوحات يمكن أن توصف بأنها عملية ، وقد كان هذا السلطان شديد الولع بتأمل أشكال الطيور والحيوانات الغريبة التى كان يراها فى رحلاته ، وكان يعهد الى مصوريه بعمل صور لتلك المخلوقات ، وما زالت عندنا مجموعة كبيرة منها وهى تضاهى فى جمالها ودقة رسمها الصور المماثلة التى كانت تصنع فى أوربا . ومن اللوحات المشهورة التى عملت فى مصور جاهنجير اللوحة المسماة « موت عنايت خان» وهى تصور رجلا مسكينا يموت بسبب ادمانه على الافيون . وقد أمر السلطان بهذا الرجل فأحضر الى مجلسه ليراه ويتأكد من دقة التصوير الذى عمل له .

المجموعات المصورة او الالبومات

وقد اشتهر التصوير الهندى بالمخطوطات التى يمكن أن تسمى مجموعات صور أو ألبومات ذات موضوع تصويرى واحد ، ومثال ذلك ألبومات رسوم الصيد والقنص التى نرى فيها لوحات جميلة جدا تمثل هذه الرياضة التى اشتهرت بها الهند . وهناك كتب مصورة من هذا الطراز خاصة بلوحات الاولياء والصالحين اثناء صلواتهم ومن بين لوحات هذا الطراز واحدة مشهورة فى العالم كله تصور زاهدا متصوفا يصلى ويتعبد فى محرابه .

القائد الكبير آصاف خان فى ملابسه العسكرية والملائكة تحوم فوق راسه ، وفى مؤخرة الصورة نرى جنوده مصطفين .



لوحة للقائد الهندى المسلم آصاف خان الذى عاش فى عصر جاهنجير ، رسمها الرسام بالشند .

لوحات شاه جاهان

وقد اشتهر السلطان شاه جاهان باللوحات الكبيرة التى عملت لشخصه ، وهو يبدو فيها بملابس فاخرة زاهية الالوان مزينة بالجواهر وتعلو رأسه شارة القداسة . وقد حرص المصورون فى عصره على أن يصوروا فى منمنمات صغيرة مشاهد حياته التى سجلها فى كتابه المسمى ((شاه جاهان نامه)) . وهناك مجموعة من الصور تمثل السلطان تيمور جد مغول الهند والسلاطين الاربعة الاول من رجال تلك الاسرة الباهرة التي أنشاها بابر . وتضم هذه المجموعة لوحة بديعة تمثل

عشرات من المصورين النابهين

ولدينا الى الآن أسماء نحو أربعين مصورا ممن نبغوا فى فن التصوير فى بلاط دلهى واجرا ، وقد ذكرنا منهم مير سيد على وعبد الصمد وأبا الفضل . ولا شك أن أبا الفضل هذا هو امهرهم وأبدعهم تصويرا وكذلك تلميذه بسوان ، وكان أبو الفضل شديد الاعجاب به لا يزال يذكره ، والحق أنه مصور بارع ويكفى أن نذكر هنا لوحة « الجزيرة » المشهورة الموجودة فى المخطوطة المسماة دارانيان .

المدرسة الهندية الاسلامية فى التصوير ومكانها فى تاريخ التصوير العالمى

هذه فكرة عامة عن احدى مدارس التصوير الاسلامى وهى الهندية فى عصر سلاطين المغول .

انها حافلة بروائع الفن والابداع ، وغنية بأسماء الفنانين الكبار الذين لم يسمع الكثير منا عنهم قبل الآن ، مع انهم معروفون بل مشاهير فى تاريخ الفن العالمى كله . وفى كل الكتب المؤلفة فى تاريخ التصوير نجد فصولا عن مدارس التصوير الاسلامية وخاصة الهندية والايرانية والاندلسية .

وهذه ناحية واحدة من نواحى حضارة الاسلام التى لا نعرف عنها الا القليل ، ناحية تدل بالبرهان القاطع على ان الاسلام أوتى من القدرة ما يمكنه من مواجهة تحديات هذا العصر واى عصر غيره ،ولكن العبرة هنا بالارادة والعزيمة والايمان ، فاذا أردنا ان نكون سادة العصر باسلامنا كنا كما نريد ، ولا مفر لنا على اى حال من هذه الارادة وذلك الايمان ، لان التحدى قوى وخطر ، وليس له الا واحدة من نتيجتين : اما أن نكون أو لا نكون .

● د . حسين مؤنس ●



في مثل هذه الجميلة قالوا

● منية الروح ●

يا منيةَ الروح يا أفـــراحَ أيـّـامي
يا كوكبا في سَـماء المعبَد السـّامي
يا دنيـَتي يا شـَـبابي ، أنتِ ملهمتي
شعْري .. فأنتِ نشيدي ، أنتِ إلهامي
أنتِ الرّبيعُ وإني طـائر غـــرد
لولاَ الرّبيع لمَا غرّدتُ أنغـــامي
لولاكِ ما اهتزّ قلبي للهَــوى أبـَـدا
ولا تراءَتْ معَ الأطـيافِ أحـلامي

● عبد الله هلال ●

● فاتنة الثغر ●

يا وارفَ العيْنـــين بالحنين
أمْتعْتني في لحظَـــة سِنين



أكادُ مِن سُرور تَشَنــوتى
أقبِّل اليـدَين والجَبــينْ

يا وَارِف العينَين بالحَنينْ

وثغرُك المُطِل في اشتيـاق

لدعْوةِ اللّقــاءِ والعنــاقْ

تَسَـمَّرت عَيْـون لَهفَتى

عَلى ضِفَافِ ثغرِكَ الحزينْ

يا وَارف العينَين بالحَنين

● محمد على عبد العال ●

● ملهمــة .... ●

مُرِّى على جِسرِ الهوى وترفّقى

فاذا وجدت عَـلامتى فسنلتَقى

حَمَّلتُها وَجْدَ المشوقِ صَبابَة

وزرعتُها بيْنَ الخَميلَ المُـونِقِ

فهنا سنَجلس وحدْنا فى روضَة

ويداى تَحلُم فى يديك وتَستَقى

فهواكِ نبع لا نغيبُ خـريرُه

نِعمَ الحياة بِظلِّ نبع ناطـق !

● طارق صـلاح الدين بندارى ●

● حنان قلب ●

في بحر عينيك أغرق — في نار حبك أحرق

ما كنت أحسب يوما — قلبي يحب ويعشق

حتى جلوت لعيني — حسنا زهـا وتألق

فنور وجهك يجلو — ظلام ليل مطبق

وورد خدك يدمي — قلبا بحبك يخفق

في ظله تتساقى — حنان قلب تدفق

● احمد محمد الديب ●
● حلوان ●

● قولي ... ! ●

قولي ... فحرفان — سيعطرا كلفي

الحاء ، والباء — كالري .. للسعف

قولي ... فان لنا — وعد .. مع العزف

في باحة الألق — والذوب في شغف

قولي .. فملؤهما — كاسي .. ومغترفي

يا فرحة تنبي — بشروقي الأنف

قولي بإيماء — ما دمت في خوف !

فالحب لا يخفى — والصمت لا يعفي !

● احمد مرتضى عبده ●
● قنــا ●

قصة حب

الشاعر ريتشارد شريدان

ومغنية الأوبرا اليزابيث ليندلي

● د . سليم الاسيوطي ●

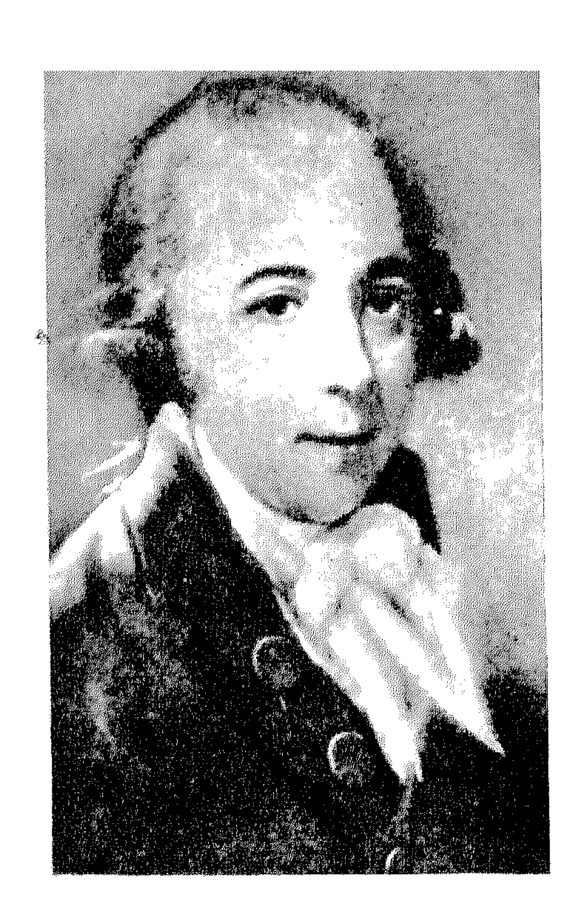
● في شارع كنجسزميد ، في مدينة باث بانجلترا وفي غضون ربيع عام ١٧٧٢ كانت الآنسة اليكيا شيريدان في فجر التاسع عشر من عمرها — تقيم مع شقيقها ريتشارد ، البالغ من العمر عشرين عاما ، وشقيقتها الصغرى بيتسي في ربيعها الثالث عشر . كان أبوهم ، توماس شيريدان — مدرس في الخطابة وشخصية اجتماعية مرموقة في عصره — متغيب في موطنه الاصلي مدينة دبلن في ايرلندا .

كان يقيم في الشارع القريب المجاور ، توماس لينلي ، مدرس الموسيقى والغناء وزوجه ، مع أسرة رائعة ، فقد كانوا جميعا موهوبين موسيقيا . كانوا جميعا البنات والأبناء يتمتعون بالجمال الرائع والذكاء الخارق ، وكانت كبراهن اليزابيث ، وعلى الرغم من انها لم تكن قد بلغت السابعة عشرة من عمرها ، قد نالت اعتراف الجميع بوصفها أعظم مغنية اوبرا سبرانو في انجلترا ، ولقد ابدع جينفر بورا ، مصور الشخصيات العظيم ، رسم ، ما ينيف على الاثنتي عشرة صورة لأولئك الفتيات الفاتنات .

وكانت اليزابيث قد اصبحت موضوع مسرحية الفها الكاتب المسرحي العبقري الساخر ، صمويل فوت ، وكانت هذه المسرحية تدور حول عدم رغبة اليزابيث في الزواج من ثري كهل تقدم بطلب يدها .

وكان لاليزابيث معجبون كثيرون ، جاوزوا الاثنى عشر متيما ، ولكن كانت ابغض المجاملات والملاطفات التي يظهرها عاشق طمعا في الفوز بقلبها ، هي تلك التي كان يمطرها بها الولهان توماس ماثيوز ، وهو ضابط برتبة كابتن في المليشيا الايرلندية ، وكان قد تزوج حديثا ويقيم في مدينة ((باث)) .

أسرت اليزابيث الشابة الى صديقتها الحميمة اليكيا شيريدان ، بما تلقاه من مضايقات ماثيوز وكرهها له ورغبتها في الخلاص منه ، وكانت تخاف أن تفضي لأبيها بسرها ، خشية أن يتحدى الأب هذا الضابط الى المبارزة ويثير فضيحة اجتماعية جديدة ، خاصة وأن المجتمع في المدينة كان لا يزال يتحدث عن تلك المسرحية التي تصورها فتاة تعزف عن حب كهل ... فأسرت الى



ريتشارد شيريدان



الحسناء اليزابيث شيريدان ، من تصوير جينز موران المصور المشهور ...

صديقتها اليكيا شيريدان ، رغبتها في الانزواء في دير فرنسي ، حتى تبلغ الواحدة والعشرين من عمرها .

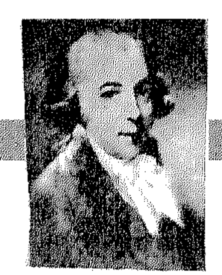
واقترحت عليها اليكيا ان يكون شقيقها ريتشارد الذي خط له القدر في لوحه أن يكون الشاعر المسرحي الفذ ، المقبل في انجلترا ـ هو فارسها المطوف الذي انيط به انقاذ فتاة عذراء في مأزق . وفي الثامن عشر من شهر مارس ، كان مستر لينلي وابنه الاكبر توم وابنته ماري ، يقومون باحياء حفل موسيقى ، تغيبت عنه اليزابيث بحجة المرض ـ احضر ريتشارد شيريدان سيارة كبيرة مغطاة الى بيت آل لينلي . وفي هذه السيارة حملت اليزابيث الى مركبة الأجرة التي كانت في انتظارهما على الطريق الى لندن . كما استأجر سيدة لتقوم على رعاية الفتاة .

وقبل الرحيل ، ترك شيريدان خطابا الى مستر لينلي والد اليزابيث ، ضمنه سلوك الضابط الايرلندي ماتيوز تجاه ابنته اليزابيث ، ولقد حمل هذا الخطاب الأب على أن يرجىء السفر للمودة بابنته حتى ينال الضابط المفتون ما يستحقه من عقاب .

وفي هذه الأثناء كان مستر بويدز، صاحب المنزل الذي تسكنه أسرة شيريدان في كنجسز ستريت، لا يرتاح لفكرة وجود فتاتين شابتين بمفردهما في البيت دون رجل يقوم على حمايتهما ورعايتهما، وبلغ اهتمامه بهذا الموضوع حداً جعله ينطلق لتوه في البحث عن تشارلس ، شقيق ريتشارد الأكبر .

كان تشارلي البالغ من العمر اثنتين وعشرين سنة متيما بحب اليزابيث لينلي ، الذي يكتمه ولا يبوح به لانسان ولقد انتهى به تفكيره الى أنه ينغمس في هوى يجرعه آلام الحب فحسب ، ولا يذيقه رحيقه الحلو . فقر عزمه على أن يعتزل المجتمع ليعيش في بيت في مزرعة على بعد عدة أميال خارج مدينة « باث » لكي يكون بعيداً عن صحبة المغنية الشابة .

ولما لم تكن هناك اية بادرة تشير الى اية صلة بين شقيقه الأكبر ، والحسناء اليزابيث لينلي ، فقد اضطرب تشارلي لنبأ الهروب ، وقر في ذهنه انه كان ضحية خدعة حاكها له الهاربان فاسرع





فى الذهاب الى « باث » حيث وجد كابتن ماتيوز ، فى شارع كنجسز ميد يحاول اماطة اللثام عما قد حدث .

وتفوه شارلس بما اغضب ماتيوز واكرهه على أن يصرح أنه على الرغم من اعتزازه بحب الآنسة اليزابيث وعلى الرغم من أنه متزوج ، فهو لا يتردد فى اعلان أمله فى الفوز فى حبه لولا تدخل صديقتها الشابة ، ولقد كتبت اليكيا شيريدان بعد عدة سنوات عن سلوك ماتيوز .

***

ونعود ، لنتتبع المركبة المغطاة التى ضمت اليزابيث والمرأة التى ترعاها ، كانت العربة تنطلق فى تلك الليلة من شهر مارس الى لندن القرن الثامن عشر ، وعند وصول المركبة اقترض شيريدان بعض النقود من مستر ايوارت العجوز ، وهو قريب له ، بدعوى أن الآنسة لينلى وريثة لثروة ضخمة رضيت بأن تتزوج منه فى فرنسا .

وفيما بعد ذلك اليوم ، قابل شيريدان صديقا شابا آخر ، وهو ابن لتاجر خمور من حى المال فى لندن اقترح عليه أن يضمن له سفرة بحرية الى دنكرك فى سفينة يملكها أبوه ، مستر فيلد .

قال مستر فيلد الاب انه سوف يتولى رعاية الزوجين الشابين على السفينة ، بنفسه .

كان الابحار الى دنكرك حافلا بالمتاعب والمصاعب ، وفيما بعد ، وبعد مرور سنوات وسنوات وحينما كانت اليزابيث مريضة مرضا خطيرا ، كتب فى مذكراته عن هذه التجربة التى مربها:

((حملت المسكينة اليزابيث ، التى تجاورنى الآن وهى تذبل فى مرضها ، وبفضل مودتها ، فقد شغفت بها حبا آنذاك الى درجة انه لو قدر لها الموت كما ظننت ذلك من قبل فى اثناء وجودنا على ظهر السفينة ، لقذفت بنفسى بكل تأكيد خلفها الى غيابة القبر))

وعند وصول الزوجين الى دنكرك ، ذهبا الى مدينة ليل عن طريق كاليه ، وهنا أخبر شيريدان اليزابيث بوضوح للمرة الاولى انه يهواها، وانه لن يتركها فى دير كما رغبت ، مالم تنزل عند رغبته فى الزواج منها — هذا الزواج الذى ظل املا يهدهده طوال شبابه .

ولقد كتبت الآنسة اليكيا شقيقة ريتشارد فيما بعد :

ان الآنسة لينلى (اليزابيث) التى كانت حقا تفضله على جميع من عداه من المعجبين لم تكن عصية يصعب اغراؤها، وفى قرية ليست بعيدة عن كاليه ، اقيمت حفلة الزواج على يد قسيس كان مشهورا بهذه الأدوار فى مثل هذه الظروف .

ولما لم يكن لهذه الحفلة القوة الشرعية اللازمة ، فان الطرفين المتعاقدين وهما صغيران بروتستانتيان ، فقد اعتقد شيريدان انها سوف تكون ملزمة لاليزابيث فتربطها به وتمنعها من الزواج بأى شخص آخر سواه ... وبعد معاناة طويلة وصعوبات أطول انتهى بها السير الى دير . ولكن ماكاد يستقر بها المقام هنالك ، حتى كان والدها قد وصل الى ليل .

ولقد بدا فى النهاية أن شيريدان يستطيع أن يصحح الاوضاع ولكن توماس لينلى (والد اليزابيث) أصر على العودة الى انجلترا للوفاء بعدة ارتباطات كان قد عقدها نيابة عن ابنته، ومن هنالك فقد انطلق ثلاثتهم عائدين الى انجلترا ، وهناك علم شيريدان بما كان من أمر ماتيوز ، واعلانه الذى نشره فى صحيفة « باث كرونيكل » الذى يندد فيه بمسلكه ، واقسم الشاب انه لن ينام ليلته فى انجلترا حتى يتحدى هذا الماتيوز الى نزاله فى مبارزة .

لم ينكث بعهده ، واوفى بوعده فقد بقى ساهرا طوال الليل فى كنتربرى وعند وصوله الى لندن فى الساعة التاسعة فى ليلة التاسع والعشرين من ابريل

علم من صديقه ايوارت ان ماتيوز فى لنـــدن وانطلق لتوه الى حيث يقيم ماتيوز فى كرتشدفراير ، فوصل المنزل بعد منتصف الليل بنصف ســـاعة ، وهناك اخذ يجأر عاليـــا خارج البيت منددا بخصمه ، داعيا اياه للنزال الى أن سمح له بالدخول في الساعة الثانية صباحا . تحـــدث الخصمان ماتيوز وشيريدان على امتداد خمس ساعات.

ورغم كل المحاولات بعد ذلك ، فلم يكن هنـــاك بد من النزال ... وكان ايوارت الشاب شاهد المبارزة لشيريدان، وقام بدور الشاهد لماتيوز كابتن نايت وهو عم لماتيوز الذى اختار السيوف .

وقد اتفقا على أن يجرى النزال فى حجرة فى كاسل تافرن على مقربة من شارعى بدفورد وهنريتا . وحين ذاك كان مساء ، وعندما امتشق كل منهما الحسام كانت الغلبة لشيريدان ، وبعد أن كسر سيف ماتيوز ، وافق هذا على كره منه على أن يبعث باعتـــذار الى صحيفة « باث كرونيكل » وظهـــرت نشرة الاعتذار فى السابع من مايو .

« لما كنت مقتنعا بأن العبارات التى استعملتها للاساءة الى مستر شيريدان كانت ثورة انفعال وبســـبب الحقائق المشوهة التى نميت الى ، فانى لاسحب ماقد قلت ضد هـذا السيد واطلب صفحه ، خاصة عن اعلانى الذى نشرته فى صحيفة باث كرونيكل » .

***

واستمرت اليزابيث توالى لقاءاتهـــا سرا فى الأماكن المنعزلة بشيريدان ولكنهما لم يتقابلا كعاشقين بل لم يظهرا جهارا كزوجين قط ، فقد كانا يثقان حقا انهما لم يرتبطا بعد الرباط الشرعي المقدس .

ولكن كتب لهذين العاشقين الفراق وشيكا ، لان اليزابيث وشقيقتها مارى وشقيقها توم رحلوا جميعا لاحياء حفل موسيقى فى صحبة والدهم ووالدتهم وكتبت اليه اليزابيث عشـــية غادرت باث :

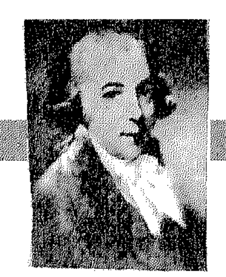
« فكر فى وانا بعيدة عنك ، ولا تكن افكارك مصدر ازعاج لك بســـببى لانى مادمت حية فليس بوسعى الا أن اكون حبيبتك اليزا .. »

لقد كتبت اليزابيث اليه ، الرسالة فى ٢٩ يونيو ١٧٧٢ ، وفى مساء اليوم التالى مباشرة وافق شيريدان على لقاء ثان مع كابتن ماتيوز ، مبكـــرا فى صباح الاول من شهر يوليو فى كنجز دون على مسيرة اربعة اميال من باث، بالقرب من الطريق الى لنـــدن ، ولكن ماتيوز بعد أن تبين أن ســـلوكه كان سببا فى جرح كرامته والاســـاءة الى شـــجاعته وكبريائه فى اللقـــاء الاول حاول أن يستدرج شيريدان فى خطاب ارسله اليـــه لكى يوقع وثيقة جـــولة ثانية للمبارزة .

اختار شيريدان الســـيوف ورفض الانصياع لرغبة ماتيوز وسقط الاثنان معا على الارض ،وانكسر سيف ماتيوز ايضا . ولكن عند ســـقطتهما وقع ماتيوز فوق شيريدان وكان بيـــده بقية السيف وهى اطول من بقية ســـيف غريمه ، فما كان منـــه الا أن راح يثخن بالطعنات شيريدان الذى رفض بـــكل اباء وشمم أن يلتمس العفو بحياته وفى النهاية تدخل الشاهدان .

غادر ماتيوز المكان وكان قـــد أعـــد العدة للهروب الى فرنسا والتو شخص الى غايته نحو الشاطئ ، ونقـــــل شيريدان الى حالة هـــوايت هارث فى مركبة اخرى واعلن هناك الاطبـــــاء خطورة حالته وأن سفره مســـتحيل .

وبعـــد وقت قصير وصل توماس شيريدان الى باث غاضبا ، ولكن عندما صرح الاطباء بأن شيريدان قـــد اجتاز مرحلة الخطر ، أمره والده بالابتعاد عن جميع افراد أسرة لينلى .




أما توماس شيريدان فقد كان يعتبر ابنه أعلى مرتبة اجتماعيا من اليزابيث وتوماس لينلي كان بدوره يعتقد ان غلاما يافعا في العشرين من عمره ولا يملك متاعا ولا مالا ولا يمارس مهنة ، يعتبر صفقة زواج خاسرة لشابة مرموقة تربح الكثير من الغناء .

وكان الابوان يريدان الحيلولة دون زواج العاشقين فما كان من توماس شيريدان الا أن ترك منزله فيباث وحمل ابنتيه الى دبلن وبعث بابنه ريتشارد لدراسة القانون في ولتهام .

كان ريتشارد عليلا في ذلك الخريف، وبدأ يتشاءم ناظرا للحياة نظرة يأس وقنوط من حيث صحة زواجه من اليزابيث ، وفي ديسمبر اخبره صديق له في باث ان سير توماس كلارجس سوف يتزوج الآنسة لينلي أو يهرب بها . لقد كان حقا انه طلب يدها ، ولكن اليزابيث قد رفضت هذا العرض .

اما عن اليزابيث نفسها فقد سمعت قصصا تروى عن جولات وجولات يخوضها شيريدان مع حسان ولتهام فكتبت اليه :

« كنت ضحية خداعك ، وخداع الجميع الى حد بعيد سلب فيه لبي . فان لم اكن اتوقع انك تحاول تبرئة نفسك وتبرير سلوكك لا فانك لا تستطيع هذا معي .. فاذا ما كنت تحرص على سلامي العقلي وتقدره فلتعد الى خطاباتي »

وكتب اليها شيريدان محاولا تبرير سلوكه مرة أخرى ، فتلقى منها اكثر من رد .

كتبت اليزابيث اليه خطاباتها المفعمة بالمشاعر والاحاسيس وهي في اوج نجاحها المهني . ومع ذلك فعلى الرغم من كل هذه المشاحنات فقد جمع بينهما رباط الزواج المقدس في خاتمة المطاف » .

لقد كان زواجا بلغ ذروة السعادة، فان اليزابيث بما تتسم به من فرط جمال ، وحصافة وذكاء وحساسية فنية كانت الزوجة الكاملة لشيريدان .

وفي عام ١٧٩٢ بعد مولد طفلتهما الاولى التي طال انتظارها سقطت اليزابيث فريسة لمرض السل الذي كان قد ذهب من قبل بشقيقها وشقيقتها الموهوبة الى القبر ونصح لها الاطباء بالاستشفاء في مياه برستول الساخنة .

لقد كان الدكتور بلير متفائلا في أول الامر بشفاء اليزابيث ، وفي التاسع من مايو انتقلت مع صديقتها الحميمة مسز كانتج الى سكن خاص في كلفتون تطل نوافذه البيضاء المستديرة على حديقة من اشجار التوت . وعلى الرغم من الامل الحلو الذي كان يداعب رأس طبيبها فانه بعد اسبوع واحد فحسب اظهرت التقديرات المحتملة للمرض انها لا تستطيع البقاء على قيد الحياة ستة اشهر .

وفي باكورة شهر يونيو لعام ١٧٩٢ كتب شيريدان الى دوقة ديفونشاير :

« الليلة الماضية ، رغبت في الجلوس الى البيانو عزفت بعض الالحان ، وهي تبدو كطيف لصورتها والدموع تنحدر على ذراعيها الناحلتين . لقد غدا عقلها سماويا ولكن جسمها الزائل كان يتلاشى ذابلا عن عيني بينما انا ابحث عبثا في عقلي المتسامي الى معتقدها بان كل شيء لن يفنى »

وفي الثامن والعشرين من شهر يونيو اسلمت اليزابيث شيريدان الروح وهي في ربيعها التاسع والثلاثين ، ودفنت الى جوار شقيقتها الحبيبة ماري لقد كانت المثل الكامل للانوثة النبيلة ..

زهرات من رياض العرب

خير منه ..

قدم عقيل بن ابى طالب على معاوية فاكرمه وقربه ، وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : يا عقيل .. انا خير لك من أخيك على بن ابى طالب ..

قال : صدقت .. اخى آثر دينه على دنياه ، وانت آثرت دنياك على دينك . فانت خير لى من أخى ، واخى خير لنفسه منك لنفسك .

الاخلاص ..

دخل اعرابى المسجد النبوى، فصلى صلاة خفيفة ، فقام اليه الامام على ـ كرم الله وجهه ـ فخفقه بالدرة خفقة خفيفة ، وقال له : اعد صلاتك .

فاعادها الاعرابى مطمئنـا ... فقال له الامام : أهذه خير ام الاولى ؟ فقال الاعرابى : الاولى لأنى صليتها لله ، اما الثانية فقد صليتها خوفا من الدرة !

ذكـاء

كان الخليفة المأمون فى مجلسه ، وحوله الأمراء والعلماء ، فجاءت امرأة تتظلم اليه ، وتقول : مات أخى وترك ستمائة دينار ، فلم يصبنى الا دينار واحد . فقال لها المأمون : اترك اخوك أما وبنتين وزوجة واثنى عشر اخا ، واختا واحدة ؟

قالت : نعم يا امير المؤمنين ...

قال : قد اخذت حقك ... فللبنتين الثلثان : اربعمائة دينار ، وللأم السدس مائة ، وللزوجة الثمن : خمسة وسبعون دينارا ، بقى خمسة وعشرون دينارا ، لكل اخ ديناران ، وبقى دينار واحد لك .

فعجب الحاضرون من فطنته وسرعة اجابته .

مواساة ..

قال بعضهم : دخلت على بشر بن الحارث فى يوم شديد البرد ، فرأيته قد تعرى من ثيـابه ، الا ما يستر العورة ، وهو ينتفض من البرد ، فقلت له : يا ابا نصر ، النـاس يزيدون فى الثياب فى مثل هذا اليوم ، وانت قد نقصت منها ! ..

فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه ، وليس عندى ما اواسيهم به ، فأردت أن أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد !

جهنم ...

دخل ابو حازم على بشر بن مروان فى قلق وحيرة ، وقال له : ما المخرج مما نحن فيه ... ؟ فقال له بشر : تنظر ما عندك فلا تضعه الا فى حقه، وما ليس عندك فلا تأخذه الا بحق ..

فقال أبو حازم : من يطيق هـذا يا ابا بشر .. ؟

فأجاب : من اجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين .

هـدايا ..

ركب الرشيد وجعفر بن يحيى عن يساره فالتقى الرشيد فى طريقه بأحمال ثقيلة مقبلة ، فسأل عنها فقالوا له : هذه هدايا خراسان من على بن عيسى وكان الرشيد ولاه عليها بعد الفضل بن يحيى .. فقال الرشيد : أين كانت هذه الهدايا يا جعفر أيام اخيـك ؟ فاجاب جعفر : كانت فى منازل أصحابها يا أمير المؤمنين !

جيران الله ..

عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال : **« يقول الله تعالى يوم القيـامة : اين جيرانى ؟ فتقول الملائكة : من هذا الذى ينبغى له ان يجاورك ياذا الجـلال والاكرام ؟**

فيقـول : أين قراء القرآن وعمـار المسـاجد؟ » .

● **محسن فهمى** ●

أمل جديد للمتخلفين

● د. مصــطفى الـديوانى ●

● ان لضعف القوى العقلية درجات تتفاوت فى شدتها ، ولا يصل معظمهــا الى درجــة البله او العبط ، بل قد تقتصر على اعراض تبدو بسيطة اول وهلة ، ولا تثبت خطورتها الا بمرور الزمن .. والطبيب الفاحص المدقق هو الذى يدرك هذه الحالات فى بدايتها ، وبذلك يتمكن من اسداء بعض المســاعدة او كلها لهــذه المخلوقات التعسة التى يشاء الله ان تســتقبلها الحياة بترحيب ممزوج بتثاقل وعطف واشفاق ... فهى لكى تشــق طريقها فى الحياة ، لابد لها من مشــاطرة الغير عقله وتفكيره وارشاده .

ومن منا لم يصادف فى حيــاته العملية ازواجا لم يكد ينتهى الحــول الاول أو الثانى من زواج موفق سعيد، حتى يصدمهم القدر ببكر أبله معتوه ، يخيب املهم فى الحياة ، ويجعلــهم يتساءلون عمــا اذا كانت هنــاك فائدة فى الاســتمرار فى التناســل ما دامت البشائر قد دلت على ما قد يجىء به المستقبل ..

والجواب فى مثل هــذه الحالة هــو العكس تماما . فانه كثيرا ما ينجب الوالدان اطفالا غاية فى الصــحة والذكاء بعــد بكر فى أحط درجــات الادراك العقلى ..

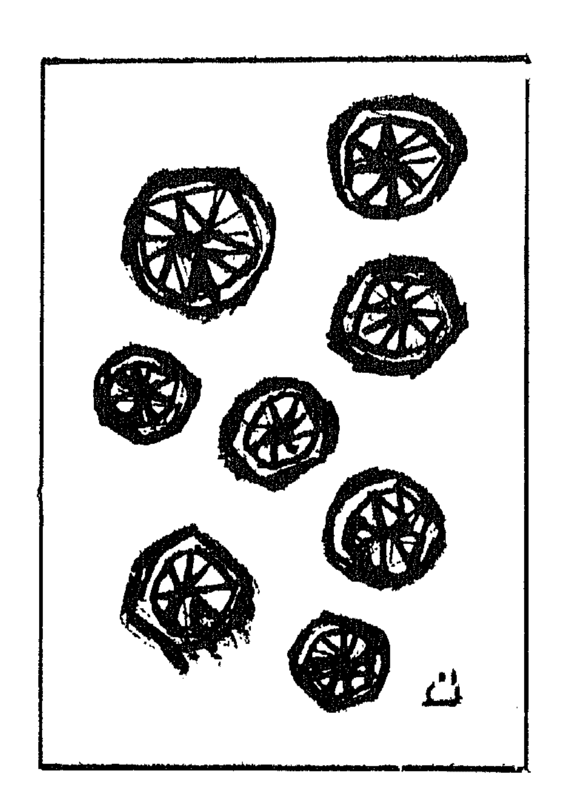
الاعراض

يمكن التوصل الى تشخيص ضعف القوى العقلية باستجواب الأم أولا ، وبالفحص الطبى ثانيا ، وسنصف كلا على حدة ..

« اولا » استجواب الام ، قــد تخبرنا الام اثناء أخذ التــاريخ المرضى بوجود عادة الادمان على تعاطى المشروبات الروحية فى العائلة ، او وجود اشخاص آخرين من أقارب الطفل بهم مس من الجنون او البله أو حدة فى المــزاج وعصبيته أو الصرع ، ويمكننا أن نعلم منها ، اذا كانت ولادة الطفل عسرة أو قبل الأوان ، واذا كان قد انتــابته تشنجات عصبية بعد ولادته بقليل .

ويجب ان نستعلم من الأم عن تقــدم الطفل منذ ولادته ، وفى امكاننا — حتى فى الحالات البسيطة — ان نســتخلص منها ما يدل على أن ســلوك الطفــل وطباعه غير طبيعية . وهنــا الفت الانظار بصفة خاصة الى النقــط الآتية :

١ — قد يبدو على الطفل تثــاقل وكسل غير عاديين ، فهو لا يقبل على الثدى او زجاجة الرضاعة ولا يرفس بيديه ورجليه ، ولا ينشرح بمداعبة



امه ، بل يقابلها بفتور يجعلها تسائل نفسها عن عدم ميله اليها ...

٢ ـ يحدث احيانا ان تشكو الأم من كون طفلها يقضى نهاره وليله فى صراخ متواصل دون سبب ظاهر ، وقد يكون الطفل صغيراً لا يزيد سنه على شهرين او ثلاثة . فيفحصه الطبيب فحصا دقيقا ، ويصف له مختلف الادوية المسكنة ، وقد يعزو بكاءه الى المغص او الجوع أو غيرهما من مسببات البكاء فى الاطفال الذين فى سنه ، ولكن دون أن يصل الى نتائج حاسمة فى العلاج .

٣ ـ وعلى النقيض من ذلك ، قد تتحدث الأم عن هدوء طفلها غير العادى حتى ان اى متردد على المنزل فى اى ساعة من ساعات النهار ، لا يدرك ان فى المنزل طفلا كان عليه ان يملأ الجو صراخا وضجيجا .

٤ ـ قد تلاحظ الأم تأخر الطفل فى قدرته على القعود والوقوف ، والزحف على الأرض والمشى .

وبالرغم من مرور الشهور سراعا ، فانه يعجز عن محاولة تناول الطعام بيده او الشرب من الكوب دون مساعدة الغير ، فى السن التى يجب أن يقوم فيها بمثل هذه المحاولات .

٥ ـ يستمر الطفل فى التبول او التبرز على نفسه ، ولا يطلب من امه احضار المبولة (القصرية) اذا دعت الحاجة .

٦ ـ قد يلاحظ تدلى اللسان باستمرار خارج الفم ، ويكون هذا مصحوبا بسيلان اللعاب بكثرة .

٧ ـ يتأخر الطفل فى الكلام ، وقد تمضى السنون قبل أن ينطق بلفظ واحد حتى « بابا » و « ماما » .

٨ ـ من أهم علامات النقص العقلى حدوث تشنجات عامة تعاود الطفل على فترات متباعدة أو متقاربة ، وقد يرجع تاريخها الى الأسابيع الأولى بعد الولادة .

(ثانيا) فحص الطفل : قد يبين فحص الطفل ما يأتى :

١ ـ صغر حجم الرأس نتيجة عدم نمو المخ نموا طبيعيا ونلاحظ عادة فى مثل هذه الحالات ، ان اليافوخ الامامى يتصلب مبكرا . وقد يولد الطفل ويافوخه مقفل .

٢ ـ قد تكفى مجرد نظرة الى الطفل للتوصل الى تشخيص المرض ، فمثلا اذا دلت ملامحه على أنه من نوع « المونجول » أو أشار كبر رأسه الى اصابته باستسقاء الدماغ ، أمكننا استنتاج ان الطفل ـ حتى اذا كان صغير السن لدرجة لا يمكن معها الحكم على ادراكه العقلى بالضبط ـ ينتمى الى فصيلة ضعاف العقول .

٣ ـ واذا لم يظهر الفحص اى تشوه جسمى فان حركات الطفل تنم بسهولة عن حالته العقلية .. اذ تصدر عنه اشارات غريبة كأن يرمى رأسه الى الوراء فاغراً فمه ، أو يضحك ويبكى دون سبب ، وقد لايبدى اى اهتمام لما حوله .. فلا يتنازل بابتسامة رضا لمن يداعبه ، أو غضبة احتجاج لمن يعاكسه .

***

وقبل أن ننتقل الى طرق العلاج ،

احب ان الفت النظر الى نوع من الضعف الفكرى والعقلى ، لا يمت الى البله او العته بصلة ، بل هو نتيجة العزلة والبعد عن الاوساط المستنيرة والجهل ، كالفلاح مثلا فى حقله النائى وبيته المظلم . كذلك الطفل الذى تصيبه الامراض المنهكة المزمنة ،والتى يبقى بسببها فى فراشه أو غرفته مدة طويلة لا يخالط الناس . وغنى عن القول ان الطفل الاعمى أو الاصم ، ما لم يولى عناية خاصة ، ينشأ محدود الذكاء أولى التفكير .

العلاج

من الطبيعى ان يكون وجود طفل من النوع الذى ذكرناه مصدر تعاسة لمن حوله ، فاذا صادفنا فى حياتنا العملية احدى هذه الحالات ، وجب علينا ان نوجه اهتمامنا وعنايتنا لا الى المريض فقط ، بل الى الحالة النفسية لوالديه أيضا ، ويكون تفكيرنا بالنسبة إليه مبنيا على الأسس الاتية :

« اولا » ان الطفل ضعيف العقلية ، يبقى كذلك مهما بذل الطب من جهود .

« ثانيا » عند معظم هؤلاء الأطفال قابلية للتحسن ، لدرجة قد تكون بسيطة ، الا انها كافية لاسعادهم وافادتهم من المجتمع الذى يعيشون فيه .

« ثالثا » ان الام الذكية اكبر عون للطبيب فى علاج هؤلاء الاطفال ، اذ عليها فقط يقع عبء تدريبه وارشاده والاخذ بيده ، من حياة كلها وحشة وظلام الى مجال يشعر فيه ببعض المسئولية ، كأن تعلمه القيام ببعض الأعمال المنزلية التى تبث فى نفسه روح القيام بالواجب ، وتشعره انه ليس عالة على الغير بل انه يؤدى لمن معه بعض الخدمات ، وانه حسب ظنه ، يؤديها باتقان وضمير طاهر ، وما على الطبيب فى هذه الحالات الا ارشاد الأم بين آن وآخر عن خطوات العلاج والتدريب ، حتى تتدرج بطفلها دون ان تجهده ، الى أقصى المستطاع بالنسبة اليه .

« رابعا » تتوقف نتيجة العلاج على مقدا ما يتمتع به الطفل من الذكاء ، فطبيعى ان الطفل الابله لا يمكنه التعاون مع أمه أو طبيبه ، وبذلك لا يعطى نتائج حسنة . اما الطفل الذى لا يزال لديه بقية من الذكاء ، فبمقدار هذا الذكاء يكون التحسن قليلا او كبيرا .

« خامسا » اذا لم يكن الطفل مشلولا ، فان عدم تحريكه لأطرافه يرجع الى كونه لا يحاول ذلك ، اذ انه لا يدرك ان حوله جوا وهبه الله ملكا للجميع يتحركون فيه كيف شاءوا . فواجب على الأم أن تنمى فيه غريزة الانتباه الى ما حوله باللعب التى تحدث اصواتا كالشخليلة والطبلة والصفارة وكلما زاد انتباه الطفل يأخذ فى تحريك اطرافه تدريجيا ، وتفيد الصفارة فى الحالات المصحوبة بسيلان اللعاب لانها تقوى عضلات الشفة .

« سادسا » ان هؤلاء الاطفال معرضون لاكتساب العادات السيئة كمص الاصابع وقرض الاظافر وغيرها ، وهم يلجأون اليها لانهم لا يفكرون الا فى انفسهم غير عابئين بما حولهم ، واذا ارادوا قتل الوقت التمسوا اقرب الاشياء اليهم كاصابعهم واظافرهم واعضائهم يعبثون بها ، فعلى الام ان تراقب طفلها بدقة حتى لا تستفحل فيه احدى هذه العادات ، وان تحول اهتمامه الى ناحية اخرى كلما وجدت منه ميلا الى ممارسة عادته المفضلة .

« سابعا » يجب أن نثير اهتمام الطفل بأى شىء حوله وان نشجع فيه غريزة الاهتمام بالاشياء التى يراها كل يوم ، فمثلا اذا وجدنا انه يسر للنظر من النافذة ومراقبة السيارات والترام والعربات وهى تسير ، وقفت

الام او المربية به عند النافذة عدة مرات فى اليوم ، واذا اعجبته الاصوات الموسيقية واللعب البراقة اغدقتاهما عليه بسخاء ، واذا لاحظت الأم ان طفلها لا يميل اليها ميلا خاصا ، وجب عليها أن تنبه فيه عاطفة الحبوالميل، بملاعبته ومحادثته ومداعبته .

« ثامنا » بالرغم منأن هؤلاءالاطفال يتاخرون فى الكلام ، فان واجب الام أن تبدأ التحدث مع طفلها مبكرا حتى اذا لم يفهم ما تقول او ينتبه اليها وهى تتكلم ، فلابد أن ياتى اليوم الذى يقلد فيه بعض الكلمات . ومتى بدات ملكة الكلام يتعلم الطفل كلمات أكثر بمرور الزمن ، ولو أن الكلام فى معظم الحالات يكون غير واضح تماما . وكثيرا مايحدث أن يعجز الطفل تماما عن الكلام فى سنواته الاولى ، ومتى كبر انطلق لسانه واصبح كثير الكلام ، ويحسن أن تبدأ الامبتعليمه كيف يقلد اصوات الحيوانات أو اللعبة التى يلعب بها ، وتكرر عليه مرات عديدة فى اليوم . ثم تسمىلهبعض الاشياء التى يراها يوميا ، وتطلب منهان يكرر ما تقول ، وهنا أوصى الام بالصبر وطول الاناة ، فاننفاد صبرها قد يفسد عليها مجهودا طويلا سبق أن بذلته ..

« تاسعا » يجب أن يشعر الطفل بروح العطف والمساعدة والتعاون ممن حوله ، وأن يمنع الاطفال الذين حوله من معاكسته أو معايرته .

« عاشرا » قد لا تجدى الادوية فىعلاج الصراخ المتواصل الذى يصيب هؤلاء فى شهورهم الأولى ، وقد يقلل الخروج بهم فى الهواء ، كثيرا من نوبات الصراخ

« حادى عشر » اما علاج الشللالذى قد يصحب هذه الحالات فيتلخص فى تحريك المفاصل المتصلبة الواحد بعد الآخر بواسطة الأم أو الطبيب ، اذ ان هذا يساعد على تليين العضلات ، ويستحسن عملهعقب حمام دافىءوحينما يكون الطفل هادئا . اما اذا كان متهيجا لسبب ما فيجب تاجيل العملية لوقت آخر . كذلك تعليم الطفل القيام بحركات يستعمل فيها عضلاته المتصلبة ، وهو مستلقعلى ظهره اويتم تعويده الوقوف ثم المشى تدريجيا بمساعدة الغير أى « المشاية » ، ثم احضار دراجة ليحاول استعمالها وبذلك تعود الى عضلات القدم ليونتها وقوتها شيئا فشيئا .

وهنا يجب أن أذكر أن التدليك والعلاج الكهربائى قليلا الفائدة ، فان العضلات لا تنقصها القوة ، وانما تنقصها المرونة والرشاقة والمران . أما العمليات الجراحية ، فقد تفيد اذا كان للطفل من الذكاء ما يمكنه من السيطرة على حركة اطرافه والتعاون مع أمه وطبيبه اثناء دور التمرين .

البيت أم المصحة ؟

يحسن بقاء الطفل فى المنزل بين أهله فى سنواته الاولى ، حيث ينعم بعناية خاصة وعطف هو أحوج اليه من أى شىء آخر . ولكنه اذا بلغ السادسة او السابعة من عمره أخذ يشعر بنقصه بالنسبة لاخوته الذين يشاهدهم وهم يلعبون حوله ويقومون بأعمال تبدو معقدةبالنسبة له ، فيزيدذلكمنتعاسته ومنتعاسة والدته التىتراقبه فى حسرة وأسى . وقد يدفعها عطفها المتزايد نحو طفلها المشوه أن تهمل فى شئون اخوته أو ترهق نفسها لتؤدى واجبها نحو السليم والمريض من فلذات أكبادها .

وطبيعى أن الطفل يشعر بطمانينة اكثر وتزداد ثقته اذا وجد نفسه بين زملاء له لا يبزونه فى ادراكهم العقلى ، بل قد يدفعه حب التفوق الى الاتيان ببعض حركات او أعمال يرى انهم عاجزون عن تقليدها . هذا فضلا عن قيام الاخصائيين بالعناية به وتدريبهعلى الوجه العملى الصحيح ، مما لا يتسنى له وهو فى المنزل بين أهله وذويه ...

كتاب

● الى ـ ممدوح ٠ / ٠ م ـ الوايلى القاهرة :
ـ أنت رجل مممعى ! ٠٠
يأخذك كل ذى رأى معه !
وتقول لكل قائل أنا معك !
أمسك نفسك عن الهرولة بين الرأى والرأي المضاد ! ٠٠
ولا تصدق أن العربية لغة مترادفات متشابهات ٠٠
فليس للاسد ولا للجواد أو السيف عشرات الاسماء ، مترادفات من التكرار والاكثار ٠٠٠
وانما الحق فى هذا ما جرى به الحوار بين أبى على الفاسى وابن خالوية، من أشياخ اللغة

قال ابن خالوية لصاحبه : كم للسيف اسما ؟ ٠٠
قال : اسم واحد ،
قال : بل اسماء كثيرة ٠٠ الحسام والمقضب ، وال ٠٠
قال : لا ، لا يا ابنى ٠٠ هذه كلها صفات ! ٠٠

***

● الى ـ م ٠ كمال رضا : العجوزة ـ القاهرة :
لايحزنك أنك ـ (لو صح أنك !) ـ شاعر ! ٠٠
واعلم أن من قصور الفهم ما تتصوره فى القرآن العظيم موقفا يندد بالشعر والشعراء ٠٠٠
صحيح أن فى الآية الكريمة من سورة الشعراء ، انهم « **يتبعهم الغاوون** » ـ وانهم « **فى كل واد يهيمون** » ـ وانهم « **يقولون ما لا يفعلون** » ٠٠٠
ولكن هذه المثالب الثلاثة ليست تعميما ولا تأكيدا ٠٠ ودليل ذلك انها مشفوعة بأداة استثناء : الا ٠٠٠
بل ان هذه المآخذ الثلاثة متبوعة فى الآية الكريمة ذاتها بتزكيات طيبات ثلاث ٠٠٠
وأروى لك ما روى بعد نزول هذه الآية
فقد وفد الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ جمع من الشعراء يبكون ، ويقول قائلهم : « انا الشعراء ٠٠ والله أنزل هذه الآية ٠٠ »
فابتسم الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم مبينا مافى سياق الآية بعد ذلك لهم من استثناء وتكريم ، فكان يتلو من الاية ثم يلتفت للشعراء
عندما تلا ، فى الآية (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ـ قال : انتم « وذكروا الله كثيرا » قال : انتم ٠
« وانتصروا من بعد ما ظلموا » ـ قال : انتم ٠٠
وهكذا طابت أنفس الشعراء ، وفهموا ٠٠
لكن ، وبالطبع لم يخطر لهم أن سيكون من خلفهم شاعر يظهر فى

وقـــــــراء

● نصر الدين عبد اللطيف ●

جوزة ولا يفهم - بعد أربعة عشر قرنا هجريا - مثلما فهموا ! ..

***

● الى - سميح فتحى : ميدان الثورة - المنصورة :
هي - الديسكو ميوزيك - موجه تغزو الان أوربا ، والمراقص ونوادى
ستماع فى مدن وعواصم كثيرة من أنحاء العالم ..
والديسكو ميوزيك ليست ايقاعا خاصا بقدر ما هي رنة - من الرنين -
سوت معين متميز ..
كذلك - وليس كما تقول فى سؤالك - فهى امريكية ، لا انجليزية
الانجليز منذ تقليعة « البيتلز » لم يسمع لهم ابداع خارق يتجاوز الجزيرة
ما وراء البحار ..
ربما لأن الموسيقي عندهم ، منذ البدء ، تدور فى دائرة مغلقة ، وتولد
مدارسهم منطوية على ذاتها .. فان النظام المتبع فى تدريس الموسيقى
د الانجليز ، ينحصر فقط فى دراسة الموسيقى الانجليزية ..
لعلها العقدة المضادة لعقدة الخواجة هنا .. فأنهم يتحـــرزون فى
ن الى درجة الخوف من كـــل ما هو أجنبى .. واذا كانت الموســـيقى
بلاد الدنيا تدرس كعلم متكامل ، يبدأ قوميا ثم ينفتح عـلى التـــراث
لابداع العالمى قديمه وحديثه - فانهم فى انجلترا يدرسون موسيقاهم
وجهة نظر قومية انجليزية فقط وعلى طول الخط ..
لذلك ، فان من النادر ، بوجه عـــام ، أن تلتقى بموسيقى انجليزى ، أو
او انجليزى للموسيقى ، قد استمع فتذوق فعشـــق مثلا ، موســـيقى
زارت ! ...
وليست هذه الظاهرة عندهم مقصورة على الموسيقى وحدها..فهناك شيء
مثل ذلك فى الأدب !..
فالأدب الأنجليزى .. ولكن ...
ولكنك سألت فقط عن الموسيقى .. ولم تسأل عن الأدب ! ..

***

●الى : أحمد دربالة - شبين الكوم - هدى أسعد - المطرية
مناط الامر والرأى هنا ، أستاذنا الدكتور رئيس التحرير ..
أسرتنا الكبيرة فى « الهلال » ، هو كبيرها .. وله فيما يقبل وينشر
رأى والفتوى والخيار ! ..
لا تظن الآن انى صاحب قرار يفرض أو يرفض
بل انى لتأخذنى كثيرا حماستى وافتتانى بروح العصر ، الى غربة عن روح
هلال عراقة وتراثا ووقارا!.. وكم لى هنا من كتابات تترك ،أو ترجأحتى
لغ سن اليأس من النشر !
ليس اذن فى هذا الأمر ، أمر ! ..
أنا مجرد عازف فى جوقة الموسيقى ، قد يكون لى أن أوزع الاماكـــن

والادوار على العازفين ، ولكن ليس لى أن أفرض فكرى وذوقى فأحدد لهم من الالحان والمقطوعات ما يعزفون ! ..

وكل مالى بعد ذلك خمس دقائق فى آخر الســـهرة .. أعنى خمس صفحات فى آخر العدد ـ أقدم فيها للناس والعصر فاصـــلا من العزف المنفرد ! ..

ربما لهذا السبب ، تجىء نغماتها ، اعنى سـطورها ، مفعمة بالتيارين الشهيرين فى عالم النفس : (الأســقاط ، والتعويض) .. فانى أعتبر هذه الصــفحات الخمس ، جزيرة لى هائلة آهلة .. أرفع عليها راياتى ... وانشىء فيها سلطنة .. وأنصب عرشا ، واتباعا ، ومجلس اسمار واركانا ، وخزائن ادب تحوى كنوز العصر شــعرا وعلما .. و ... حبيبة ، فينانة ، عذبة الحضــور ، تحفة الله ، مليكة جارية ، رائعة الحنان !

ـ احلام !؟

ـ أعرف ، يقينا ، انها أحلام .. وأعرف أيضا ، وأحلف ، انها .. عقد ... عقد !!

***

● الى ـ محمد ناظم تميمى ـ تونس :

« الابداع » هو انتاج عمل ما فى العلم او الفــن او الادب ، على ان يكون جديدا فى صــياغته ، غـــير مسبوق بما يماثله ، وان كـانت عناصره موجودة من قبل ...

والاختــــراع هو أحد جوانب الابداع ...

والاكتشاف غير الاختراع ...

من الأمثلة ، تحديدا وتمييزا بين هذه الثلاثة ...

كريستوفر كولمبس اكتشف جزرالهند الغربية التى كانت موجـودة من قبل ـ وهذا هو « الاكتشاف » ... وجراهام بل توصل الى انتاج مجموعة من المبادىء التى ســبق التوصل اليها ـ وهذا هو«الاختراع»

أما الابداع فهو ما أنتج شيكسبير بتاليف مسرحية « عطيل » . فرغم ان الدراما كانت ستوجد فى العصر الاليزابيثى حتى اذا لم يوجــد شيكسبير ، فانه لم يكن من الممكن لاحد غير شيكسبير ان يكتب«عطيل» تماما كما كتبها هو . ورغم أن كل عنصر من عناصر « عطيل » قــد تناوله شعراء اخرون ، فان ادماج هــذه العناصر بهذا الشــكل الشيكسبيرى ، هو ثمرة فكر وعقل شيكسبير وحده بالذات ـ وذلك هو « الابداع » ! ..

***

الى ـ نور الدين وهدان ، المحلة الكبرى :

... على مقربة من ذاكرتى الان رايه - الاستاذ العقاد - فى فن القصة ... ولكنك تظلمنى بظنك ان لى ذات الراى فى نفس الموضوع! فالقصة عندى حبيبة ، كالشعر، ولا مفاضلة ...

وليس حتما وأنا أحب العقاد ، اكون له ومن ورائه رجع الصدى ... فالحق انى ، فى عالم الفكر ، احب الحب كالبحر ، رحب المدى، ينفسح للموجة والموجة المضادة !..

والقصة ، بعد ذلك ، - جوابا عن بقية سؤالك - لم تعد كما كانت فى البداية مع بوكاشيو فى القرن الرابع عشر ، ولا حتى مع ولتر سكوت بعد ذلك بخمسة قرون ، ايام كانت - القصة - تمثل الابن البغيض فى الاسرة الأدبية !..

لقد نمت القصة الحديثة واكتملت ، واعطتنا - كما سجل مؤرخ اعلام الفن القصصى الشهير د. هنرى توماس - روائع تعد فى صف أنبل أنماط الادب ... فالقصة الحديثة حتى فى أدنى مستوياتها - بساط سحرى - يحملنا على « النسيان المبارك » وتمنحنا المناعة والعبرة وتجربة حياة الاخرين ...

وهى كذلك صورة أدبية تنتظم كل الصور الأخرى : الشعر ، والمسرح ، والتاريخ والاجتماع والعلم ، والسياسة ، والدين ، والفن ، والمغامرة ...

والقصة العظيمة ، اليوم أو فى اى وقت اخر ، هى صورة كاملة تشمل الجسم والعقل والروح للانسان .. وهى بالاضافة الى ذلك كله ،صورة تكشف عن انسان واحد بنوع خاص هو القصاص نفسه ، فأجود جزء من القصة ، هو ذلك الذى يتجلى فيه القصاص » ...

● ردود خاصة ●

● الى : محمد بيومى الدرينى ، المحامى ، القاهرة :

« بكاء الرجال » - قصتك - طويلة ، يجرى الكلمات فى سطورها محملة بالاحداث المتلاحقة .. الأغتصاب ، والوساطة ، والانتقام ، والجزاء وميراث الأحزان - تحتشد كلها فى الورقة الأولى وحدها . وللاوراق التالية أحداثها ..

اعتبرها « ورقة أفكار » للسيناريو وقدمها لهم ، ومرحبا بتجاربك الجديدة الجيدة ..

***

● الى : ابن الجوزى - الخرطوم ، جنوب :

لك العتبى ، للسودان الشقيق كل المحبة ..

حمدا لله أن الصورة التى تشير اليها كانت ، كما تقول ،

من الاستعمار ، وهى على أى حال من مطبوعات احدى منظمـــات الأمم المتحدة ، وبغير توســـع فى التفاصيل فليكن غضـبك مجرد انفعال وحماســـة حب للسودان الحبيب الذى ننافسك فى حبه هنا وكلنا فى الهلال وكل صحف دار الهلال ..

● الى ســمير ٠ ى الروبى ـ المنيا :

لوانك أردت ، كما تقــول ، أن تختبر « حسن أدبى » ، فكتبت لى تشتمنى .. ـ فان من حسن أدبى أن ارد عليك الشـــتيمة بمثلها أو بأحسن منها ٠ ولو أنك كتبت لى ، كما تقول أيضا ، على وجه واحد من الصــفحة بخط مقــروء ، وبعد التحية والســـلام ـ تسألنى ... **فسوف اباهى بك العـــالمين فى الأمم المتخلفة ! .. وأجيبـــك عن اسئلتك بكل اجتهادات المتقـــدم لاختبـار فرصـــة عمر فى منظمة الأوبك !**

***

● **هانى احمد الأسمر ـ عمان**

سبق لى ان اجبت عن ســؤال كسؤالك فى عدد ســـابق ، بان النصائح هى بعض ما ليس عندى .. لكن وبما أنك قررت ان تعطى حياتك للادب ـ مثلى ، كما تقولى ،فلست املك الا ان اقدم لك ما قال اعرابى للأصـــمعى .. ففى احدى رحلات الأصمعى فى عمق الصـــحراء لقيه اعــــرابى رحب به ، ثم ساله :« ما حرفتك » فابتسم الأصـــمعى وقال : « الأدب .. » فقال الاعرابى : « نعم الشىء ، ولكن باب التوفيق فيه ان تكون نفس صاحبه كبيرة ! .. »

***

● الى : ع ٠ م ٠ احسان ـ المعادى :

ـ الدب فى الغابة يعرف احدى وأربعين أغنية تدور كلها حول الكمثرى! ربما لأنه يعرف ، لأنه يغنى ، فأن له فى النهاية ، عند حاملات الثمار ـ قطوف المشتهى ! ...

و .. يا سيدتى ، أو يا سيدى ، ردا على سؤالك :« .... والى أين وصلت ؟ » ـ :

فلعلى أكثر من الدب اجتهادا ..

أعرف أكثر من احدى وأربعين أغنية لكل نوع من الكمثرى واخواتها ٠

وبالمعرفة وللحب أغنى فى غابة الناس والعصر ..

اخافت فى قيثارتى وتر الجرح ! ..

ولا ارتجى ضياع المتاهة يهدينى طريق النهر ! ..

كلما تألقت لى السماء الدنيا زينة بانجمها ، ساهرتها حوارا ونجوى .. ولكنى ، أبدا ، لا أقول لها : ليتنى كنت ..

ليته كان كل حظى من المعرفة أن أغنى للكمثرى ! ..

فهرست موضوعات الهلال عام ١٩٧٨

● يناير ١٩٧٨ عدد خاص عن ((الحب والجمال)) ●

● مايو ١٩٧٨ ●

● يونيو ١٩٧٨ عدد خاص عن ((الأدب والفكاهة)) ●

● اغسطس ١٩٧٨ عدد خاص عن ((سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)) ●

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ●			
العربي والزمن	د . حسين مؤنس	سبتمبر	٦
السيرة النبوية .. رؤية جديدة	د . حسين مؤنس	«	١٨
حماية لاجيالنا الصاعدة من شبهات عشرين	انور الجندى	«	٣٠
العقلية الغيبية ليست وصف ذم كما يزعمون	د . محمد كمال جعفر	«	٥٢
الاسطورة رمز واطار	د . محمد عبد المنعم خاطر	«	٥٦
العشق فى مادية الفكر والفلسفة	د . النعمان القاضى	«	٧٠
الفونسو باسو معجزةالمسرحالاسبانى وصديقالعرب	د . محمود على مكى	«	٨٢
دراسة جديدة للشعر العربى	نسيم مجلى	«	٨٦
شهرة وذيوع صيت	عزت محمد ابراهيم	«	٩٦
ابن المعتز وفن الطرديات	د . محمد بديع شريف	«	١٠٠
التراث العربى .. كيف يحيا وكيف نحييه	عبد المنعم شميس	«	١١٠
جون باسوس والجديد فى الرواية الامريكية	د . صلاح عدس	«	١٢٩
شباب الادب الواعد .. اين ؟	عزت معوض مصطفى	«	١٥٠
على اطلال الثقافة الاوربية .. لماذا	ماهر شفيق فريد	«	١٥٤
● استطلاعات ملونة ●			
تاج محل .. قصة حب وجمال خالدين	د . حسين مؤنس	«	٣٥
اسماك البحر الاحمر اجمل اسماك الدنيا		«	١١٥
لا تخف .. الموت عالم بهيج	د . حسين مؤنس	«	٥٨
الطعنة النجلاء فى حسن المظهر وجمال القوام	د . مصطفى الديوانى	«	٩٢
تذكرة طبية	د . السيد الجميلى	«	١٠٤
حلم البشرية الجديد .. المناعة ضد السرطان		«	١٠٦
● قصص ●			
عندما تحب المرأة	البرتو مورافيا ترجمة : د.سليم الإسيوطى	«	٧٦
ابو قادوم	د . نعيم عطية	«	١٢٨
العودة	ضياء الشرقاوى	«	١٤٠
صوت الصدى	محمد كمال محمد	«	١٤٤
الحسد	اليفة رفعت	«	١٤٦
الراس والحائط	نبيل عبد الحميد	«	١٤٨
الليلة	محمد عثمان صالح	«	١٥١
● شعر ●			
نحن الحقيقة	د . مصطفى الجندى	«	٥١
مهر العلا	ابراهيم صبرى	«	٦٢
التوبة	كامل امين	«	٧٤
قمة الاربعين	سالم حقى	«	٩٥
الحب المقدس	عبد الشافى داود	«	١٤٢
غفران	ياسين الفيل	«	١٤٣
لزوميات	عبد الهادى النجار	«	١٤٧
الى اجمل الاجمل	د . انس داود	«	١٥٣
● أبواب ومنوعات ●			
كلمة الهلال : اين رياح سبتمبر وامطاره	المحرر	«	٣
قطوف من لغتنا الجميلة	فاروق شوشة	«	١٤
ناس وصور وحكايات		«	٦٤
فى مثل هذه الجميلة قالوا ...		«	١٣٢
كاريكاتير		«	١٣٤
مرآة الفكر العربى	اعداد : عادل عبد الصمد	«	١٣٦
زهرات من رياض العرب	محسن فهمى	«	١٥٢
شىء من النقد وقليل من الشعر		«	١٥٧
الناس والعصر «٧»	نصر الدين عبد اللطيف	«	١٥٨

● أكتوبر ١٩٧٨ ●

● نوفمبر ١٩٧٨ ●

● ديسمبر ١٩٧٨ عدد خاص عن // بناء الانسان\\ العربى

مختارات من الشعر الفارسي

في ضيافة الشعر العربي

شعر : أنوري
ترجمة : احمد مصطفى حافظ

قال لي صاحبي : ـ تصبّرْ قليلا
تجد الصّبْرَ للخلاص سبيلا
غاضَ ذا الماءُ من غديرك ... لكنْ
سوفَ يجري ، كعهْده ، سلسبيلا
وتصيرُ الأمورُ خيرا وأبقى .
من عهودٍ قدْ أمتعتكَ طويلا

***

وأجبْتُ الصديقَ : ـ حسبُك .. قل لي :
ـ أيُّ نفعٍ للماءِ ... يُشفى الغليلا ؟
... (سمكي) اليومَ ، بالجفافِ ، قتيل
هلْ سيُجديه ... ذا العُبابُ ، فتيلا ؟!

مجلة الهلال
مسابقة العدد الخاص : عن الإسلام والعصر

الهلال يناير ١٩٧٩

الإسم :
السن :
العنوان :

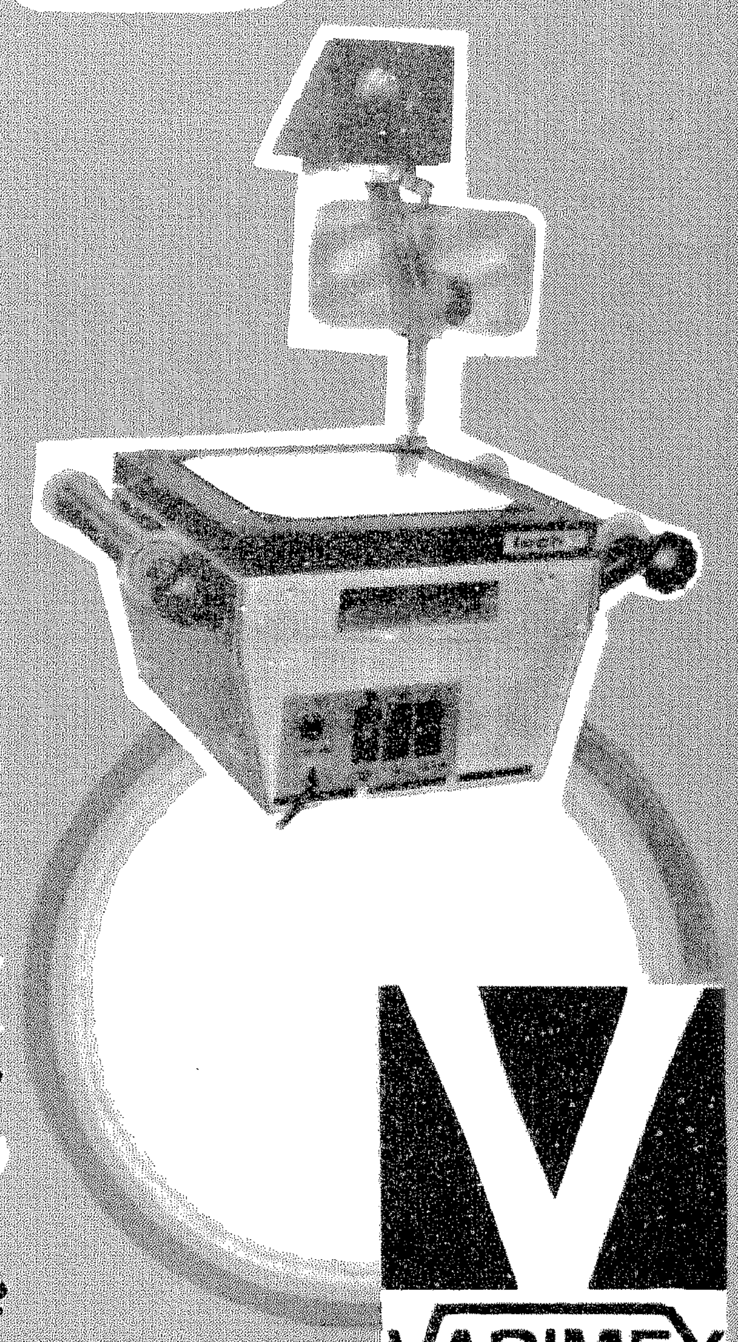
أنظر شروط المسابقة والجوائز داخل العدد

إلى الجامعات والمدارس والمعاهد التعليمية

السبورات الضوئية البولندية

فاريمكس

OVERHEAD
PROJECTORS



وهي تمتاز عن مثيلاتها بملحقاتها
الإضافية التي تتيح استعمالها
كأجهزة لعرض الشرائح وكذلك
لتكبير الصورة حتى مقاس
٢،٤ متر × ٢،٤ متر .
ومعها أيضا منضدة ضوئية
لتحضير الرسومات قبل المحاضرة

سعر الجهاز بكافة ملحقاته ٣٥٠ جنيها

متوفر حاليا

بشركة الجمهورية للأدوية

بالإدارة التجارية بالأميرية وفروع البيع

لكافة الاستعلامات

المركز البولندي للاستعلامات التجارية والفنية فاريمكس

٦ ميدان الفلكي - باب اللوق - القاهرة

تليفون : ٣١٨٤٢ / ٣٣٥٤٨

مسابقة بجوائز

الهلال

مجلة الفكر العربى

- تجربتى مع الايمان.
- احلامنا و واقع حياتنا.
- كرامة شخصية — قصة المستشار محمد عبد الحليم عبد الله

دعــوة إلى
حاب المواهب
ائة كتاب
ب الشباب

ابتسامتك مفتاح نجاحك

استطلاعان بالألوان
- سيناء .. رغم أنف الدعاية اليهودية
- صور وناس .. وقصص حـ

كلمة الهلال

إبتسامة وبشريات ربيع

مع مطلع فبراير من كل عام تهب علينا فى عالم العرب نسمات مبشرات بقرب الربيع ، نسمات دافئة تذهب بصقيع الشتاء وتفتح امام الربيع السعيد الذى أحسن البحترى وصف مقدمه بقوله :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد يبدو لبعض العرب أن الجو اليوم بعيد من التفاؤل .

ولكننا هنا نشعر بتفاؤل عظيم ، فعن قريب ستنفرج الازمة ، وسيتراجع العدو الصهيونى وتهل علينا بشريات النصر باذن الله .

وانا واثق اننى فى افتتاحية عدد مارس أو عدد ابريل على الاكثر من الهلال سأهنىء العرب - والهلال مجلتهم - بطليعة النصر باذن الله .

ويومها سيذوب ثلج كثير ، وسنصافح أيد عربية كانت تظن أن القطيعة قد دبت بين العرب الى الابد . وكلنا نعرف هنا - فى مصر أقصد - أن شيئا يسمى قطيعة بين العرب لا يمكن أن يدوم طويلا لأن العرب امة واحدة ، بعضهم لبعض مهما اختلفوا .. لابد أن تعود الوحدة وترفرف رايات العروبة والسلام .

لقد مررنا نحن العرب بآلام كثيرة ، ونحن دون غيرنا من الامم كنا أول من تحدى الامبراطورية البريطانية وثرنا فى وجهها مطالبين بحريتنا فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وخضنا مع الانجليز والفرنسيين صراعا طويلا ومريرا حتى انتصرنا وانتزعنا استقلالنا ، ثم نكبنا بكارثة اسرائيل انتقاما منا ، وظنوا أننا لن نخلص منها الى الابد .. ومن ذا الذى يستطيع مواجهة الصهيونية العالمية التى عنت لها وجوه الجبابرة فى اوربا وامريكا ؟

وقلنا : نحن ! نحن نصمد لهؤلاء الطواغيت ونسير بالسيف الى وكر الجبار ونضرب بين عينيه ..

وقد كان !

وانظر اليوم الى خوف اسرائيل واضطراب اسرائيل وعلائم الخذلان التى تبدو فى كل ناحية من نواحى حياة اسرائيل ..

انها بشرى النصر لنا ..

انها طلائع الربيع ..

والى اللقاء مع زهر الربيع ورياض الربيع وبسمات الربيع التى يحمل اليك بشراها ذلك العدد من الهلال ..

المحرر

في هلال هذا الشهر

● موضوعات عامة ●



ربيع الأول ١٣٩٩ هـ
فبراير ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون -
اول فبراير ١٩٧٩ - ٤ من ربيع الاول ١٣٩٩

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم
قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .

في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ ج . ك بالبريد الجوي ١٥ دولارا أو ٩ ج . ك . تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف الأول

هذا العدد من الهلال ، عدد باسم . صممناه لنخفف ضغط الموضوعات الكبرى التي عالجناها في الاعداد الماضية . ربما لم نجد ما يعبر عن ذلك القصد الا هذه الصورة المشرقة الفياضة بنبض الحياة والتفاؤل ..

إلى أين يمضي بنا هذا الجمود ؟

بقلم : رئيس التحرير

في عالم العرب في يومنا هذا حالة جمود مخيف ..
الكثيرون من أهل السياسة منا قرروا الوقوف في مكانهم حتى تحل القضايا نفسها بنفسها .
وأهل الفكر تنازل معظمهم عن دورهم داخل عالم الفكر وخارجه ، فالى أين ينتهى بهم هذا التنازل ؟ ..
ان الدنيا تجرى يا قوم ..
ومن لا يتقدم يتأخر ولا شك ..

● يستوقف نظرنا فى تاريخ العرب فى الماضى والحاضر بطء الحركة التاريخية ، والاتجاه العام الى الركود والسكون .

فاذا استثنينا القرنين الهجريين الأولين ، وجدنا أن سير العرب انما هو استسلام للتيار . تيار الحياة هو الذى يسير ، أما العرب فلا يتحركون الا فى النادر ، حتى فى حالات الاخطار الداهمة تجد ان حركتهم بطيئة وثقيلة ، بل يصل الامر الا انهم — فى غالب الاحيان ينتظرون مكانهم حتى تقع الواقعة .

وهذا كما قلنا باستثناء عرب القرنين الهجريين الاول والثانى عندما كان العرب قوة دافعة لا تتوقف ، حتى ان الانسان لا يصدق ما قام به العرب بتلك السرعة الخاطفة حتى تم على أيديهم فيهما ما تم خلال قرن ونصف فحسب من الزمان ..

وهل يصدق الانسان مثلا ان العرب أتموا فتح الشام والعراق وايران ومصر وبلاد الترك ووصلوا الهند قبل سنة ٩٠ للهجرة ، وفتحوا الاندلس فيما بين ٩٢ و ٩٥ هجرية ، وقاموا بفتوحهم العظيمة فى فرنسا فيما بين ٩٦ و ١١٤ هجرية ... وفى هذه السنة الاخيرة كانت موقعة بلاط الشهداء فى قلب فرنسا ، وهى

● إن الظروف التى تعيش فى الدنيا فى أيامنا هذه بالغة القسوة وإننا فى عصر يموت فيه عالم ويولد فيه عالم جديد.. وهناك دول أوروبية فى قمة الحضارة ، ولكنها تموت اليوم شيئاً فشيئاً لأنها عجزت عن ملاحقة الزمان ...

● إن أى حركة خير من أى جمود ولو كان هذا الجمود على قمة المجد والحياة ومن قوانين الحياة أن الذى لا يتحرك من تلقاء نفسه .وهذا الوقوف الجامد مهما كان رأينا فيه لا يمكن أن يؤدى إلى خير ...

التى تعين توقف التقدم العربى فى غرب أوربا ؟ ..

تصور المسافة من دمشق الى مدينة ثور بفرنسا ، وتصور الجهد الخارق الذى بذله العرب للوصول الى قلب فرنسا فاتحين .قارن هذه السرعة الخاطفة فى الحركة والعمل ، بالبطء الغريب الذى سارت به الاحداث ابتداء من القرن الهجرى الثالث وهو قرن يمكن ان نسميه قرن التوقف عن التقدم .

لا ندرى ما الذى حدث للعرب ، لان الذى نعرفه ان العربى رجل متحرك لا يميل الى السكون .. قف مرة مثلا فى شارع عربى وانظر كيف يتحرك الناس باستمرار وتدافع . فى أحيان كثيرة تجد هذه الحركة فى الشارع بلا داع ولا هدف ، ولكنها حركة على أى حال . وانه لمن الغريب ان تكون للعرب كل هذه الحركة فى الشارع وفى الصغائر ، ثم يكونون بذلك البطء أو الجمود فيما يتصل بالتاريخ . لقد استوقف ذلك انتباهى أكثر من مرة ، لانه ليس من المعقول ان يكون هناك ناس بهذا التدفق فى الحيوية ثم يكون تاريخهم بهذا الركود ..

***

ونحن نتحدث كثيرا عن تخلصنا من الغزوة الصليبية ونعتبر ذلك من مفاخرنا ، ولكننا ننسى أننا احتجنا الى أكثر من قرنين ونصف من الزمان حتى نحرر بلادنا من قوة ضئيلة مثل قوة الصليبيين، فقد نزل الصليبيون أرض الشام سنة ١٠٩٧ ، ولم نتحرك لرد العدوان الا بعد نصف قرن من الزمان ، ولو ترك الامر لولاة الامور فى بغداد لما حدثت هناك حركة على الاطلاق ، ولكن جماهير الناس هى التى تحركت فى بغداد وبقية العراق، واقتحمت قصر الخلافة على الخليفة ورجاله وطالبتهم بالحركة والقيام لطرد المعتدين ، ومع ذلك فان الخليفة لم يتحرك ، وكان الذى بدأ مسيرة النضال أتابكة الموصل .. وقد وقف هؤلاء الاتابكة وحدهم فى ميدان النضال ، ولكن أمة العرب أيدتهم وتطوعت فى صفوفهم حتى تمكن عماد الدين زنكى من الاستيلاء على الرها ، والقضاء على واحدة من الامارات الصليبية الاربع سنة ١١٤٤ **ميلادية ، ثم احتجنا بعد ذلك الى ٤٣ سنة لكى نستعيد بيت المقدس ، فلم ندخلها الا سنة ١١٨٧ بعد موقعة حطين ، ولو أن الله لم يرزقنا اذ ذاك بمجاهد من طراز فريد هو نور الدين محمود لما كان هناك صلاح الدين ولا كان نصر حطين ..**

إلى أين يمضي بنا هذا الجمود؟

ثم احتجنا بعد ذلك الى ٨٠ سنة لكي نتخلص من بقايا الصليبيين عندما استولى الاشرف خليل على عكا سنة ١٢٩١ووضع حدا لمأساة العدوان الصليبى ٠٠

قرنان ونصف من الزمان مضت ونحن فى مشكلة الصليبيات ، خـــلال هذين القرنين كانت معظم قوانا قد استنفدت لا من الحـــــركة والعمل بل من الركود والجمود ، وكان نشــاطنا العام قد بطؤ حتى كاد يتوقف ، لان سلاطين المماليك الذين تولوا الامور بعد الايوبيين استغلوا خطر الصليبيين ليثبوا على الســـلطان ويتحكموا فىرقابنا أولا ، ثم لكىينهبونا نهبا ذريعا بحجة حالة الحرب والظروف الطارئة ثانيا ٠

وهــــذا هو الذى حدث فى قضـــية انتصرنا فيها ٠

واذا نظرت فى القضية فى جملتهـــا رأيت اننا فى النهاية خرجنا خاسرين ، فان المائتي سنة ونصف التي قضيناها فى مشكلة الصليبيات هى التى أضعفتنا الى درجة أصـــبحنا معها عاجـزين عن الوقوف أمام المماليك ، وأصبح المماليك أنفســــهم عاجزين عن ادارة البـــلاد ، وتهيأت سلطنة مصر والشام للوقوع فى أيدى الاتراك العثمانيين سنة ١٥١٧ ، ثم كان ليل الاحتلال العثمانى الطويل ٠٠ أى اننا فى النهاية خسرنا ولم نكسب ٠٠ والسـبب فى ذلك هو الجمود وانتظار فرج الله دون مجهود ٠

***

نقول هذا بمناســـبة هـذا الوقوف الجامد الذى يتمسك به بعض اخوانـــا العرب ويظنونه جهادا ٠

لقد تغيرت الدنيا كثيرا ومعظمنـــا فى غفلة عن هذه الحقيقة ٠ انهم يحســــبون ان الزمان سينتظر حتى نتفضل ونتحرك على الاسلوب الذى يعجبنا ٠٠

وبعضنا الاخر يحسبون ان مفـــاتيح المستقبل العربى بأيديهم ،وانها ما دامت فى أيديهم فيمكنهم الانتظار بل النـوم ، ولن يستطيع أحد الدخـــول لان معهم المفتاح ٠٠

لهؤلاء جميعا نقول : آنستم ٠٠ !

قد تكون المفاتيح فى جيوبكم ، ولكن للمستقبل العربى أكثر من باب ٠ وبينما أنتم على الأرائك مضطجعون دخل غيركم وأمسك بناصية الامور ومضى يحـــاول ان يرسم مستقبل العرب كما يشاء ٠٠

وانظر مثلا الى الوقاحة الاسرائيليـة التى تجعلهم يســـتمرون فى انشـــاء المستعمرات فى الاراضى المحتـلة دون ان يبالوا بأحد ٠٠

ما الذى يجعلهم يبلغون فى الجـــرأة هذا المبلغ ؟

السبب اننا نقف متفـــرجين نكتفى بالاحتجاج ٠ وفى بعض الاحيان تصـــل الهمة الى درجة الاستنكار والجـــرى الى الامم المتحدة لكى تصدر بيان استنكار ٠

وواحد منا فقط رفض موقف الجمود وما يتصل به من احتجاج كلامى وبـــكاء وجرى لا نتيجةله الى الامم المتحدة ٠٠

واحد فقط رفض هذه الســـلبية ، وتقدم ليحرك القضية ويخرجها منالجمود ويكشف الستر عن أضاليل اسرائيل ٠٠

ذلك هو الرئيس الســـادات صاحب المبادرة الفريدة فى بابها فى التـــاريخ ، وما أعقب هذه المبادرة من تحرك شامل للقضية كلها وتغير كامل فى وضعالنزاع العربى فى العالم ٠

فماذا فعل الكثيرون منا ؟

غضبوا وأصروا على الوقوف مــكانهم

ومن منطق التاريخ نقـــول لهم : ان الوقوف دون حركة لا يمكن ان يؤدى الى شىء ، لان التاريخ فى صـــميمه حركة ،

والوقوف والجمود معناه الوقوف خارج نطاق التاريخ .

والذى حدث أثناء أزمة الصليبيين هو اننا بجمودنا وضعنا أنفسنا خارج نطاق التاريخ ، حتى تحرك أتابكة الموصل بعد خمسين سنة من الكارثة وأعادونا الى ميدان التاريخ .

ومع ذلك ، فقد كلفنا ذلك الجمود ١٥٠ سنة أخرى من الشقاء والضياع .. ثم استنفد الامر قوانا وكان ما كان مما حكيناه .

***

نقول هذا بكل تجرد واخلاص لاخواننا العرب ..

ان الظروف التى تعيشها الدنيا فى أيامنا هذه بالغة القسوة

اننا فى عصر يموت فيه عالم ويولد فيه عالم جديد ..

هناك دول أوربية فى قمة الحضارة ، ولكنها تموت اليوم شيئا فشيئا لانها عجزت عن ملاحقة الزمان ..

أنظر الى انجلترا والازمات التى تعانيها وعجزها عن الامساك بعجلة القيادة بعد ان كانت تدير الدنيا ..

وانظر الى ايطاليا التى توصف الان بالفعل بأنها بلد يموت ..

عصابات من الغلمان استطاعت ان تشل الحياة فى بلد ضخم مثل ايطاليا ، بل اختطفت أكبر سياسى ايطالى وقتلته ووضعت جثته فى سيارة على أمتار من مخفر البوليس ..

لماذا ؟

لان انجلترا وايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية وقفتا جامدتين أمام الزمن المتطور ..

لقد ألغت انجلترا وجودها بنفسها عندما أخرجت نفسها من القضايا العالمية.

وانظر مثلا الى قرارها العجيب بالتخلى عن كل موقع لها شرقى السويس .. بهذا القرار أخرجت انجلترا نفسها من نطاق التاريخ .

وكان التدهور ، وكان سقوط الاسترلينى ، وكانت الاضطرابات .

أما ايطاليا فقد ظن أهلها انهم كسبوا الحرب أو على الاقل عدوا أنفسهم فى عداد المنتصرين .

وغفلوا عن سياسة بلادهم ودخلوا فى دوامة صراع الاحزاب .

وفى أثناء ذلك تسلل الشيوعيون واجتهدوا فى اضعاف قوة ايطاليا لكى يسقط نظامها الديمقراطى ويدخلوا هم منقذين ..

من هذا الجمود أحذركم أيها الاخوة العرب .

فان أى حركة خير من أى جمود . والذى لا يتحرك يتاخر من تلقاء نفسه.

وهذا الوقوف الجامد مهما كان رأيكم فيه لا يمكن أن يؤدى الى خير ..

ولسنا نقول هذا لرجال السياسة ، فلا شأن لنا بهم فى نطاق هذا المنبر الفكرى . ولكننا نوجه الكلام الى أهل الفكر .

لانهم فى الحقيقة جامدون جدا هذه السنوات .

انهم لا يعلنون رأيا فى شىء ، ويكتبون وكأنهم يخطون على السحاب ، ويمضى العام كله فلا يخرج الواحد منهم كتابا له قيمة كبيرة ..

صح النوم أيها الاخوان ..
لقد مضى معظم النهار .. ولم يبق على المغيب الا ساعات !

● د . حسين مؤنس ●

تجربتي مع الإيمان

● للامام الراحل : د . عبـــد الحليم محمود ●

واقصـــد ((بالتجربة الكبرى)) ((تجربة الهداية)) ..

ان الله سبحانه وتعـالى يقول فى حديث قدسى :

((يا عبادى كلكم ضال الا من هديته، فاستهدونى أهدكم)) .

ويقول سبحانه لرسوله الكريم :

((انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء)) .

ونحن نمر بامثـال هـذا الحـديث الشريف ، وهذه الآية القرآنية الكريمة فلا تكاد نعيرها التفاتا ..

انهم يقفون طويلا مرددين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه **الترمذى : روى عن أم سلمة انه كان** اكثر دعاء رسول الله صلى الله عليـــه وسلم اذا كان عندها :

« يا مقلب القـلوب ثبت قلبى على دينك » ، ومعه صلى الله عليه وسـلم فى قوله ــ فيما رواه الامام مسـلم : **« اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنـا على طاعتك » .**

وكنت أنا احد هؤلاء الذين اتجهـوا الى الله يضرعون اليه بهذا الدعاء، واحب ان أسير مع الامر من ابتدائه .

نشأت فى أسرة تتسم فى الظـــاهر والباطن بالتدين ، وكان والدى رحمـه الله يفرض جو التدين فى ارادة لا تلين ، لقد تعلم فى الأزهر ثم استقر به المقام فى القرية ، وكان معنيا بكـل صـغيرة وكبيرة من فروض الدين ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان يجد فى ذلك مقاومة ، ولا معارضة . لقـد كانت والدتى رحمها الله تسير على غراره وتتبع جو هواه ، فتسير فى تياره .

وحفظت القرآن الكريم فى كتـــاب القرية، ثم دخلت الأزهر ، وكانت أمورى فى قراءتى ، وفى أفكارى تسير فى الجـو العادى التقليدى .

ثم كانت النقلة المفاجئة الى فرنسا ..

ومن أول يوم حلت فيه قدماى أرض فرنسا : بدأت المفاهيم والمبادىء عنـدى تاخذ مجراها فى مختبر النقد والتفكير، ولكنها كانت فى صورة هينـة سهلة ، بل ويمكن ان اقول انها لـذيذة ، ومن امثلة هذه الامور الهينـــة اننى رايت النشاط يدب فى جميع مجالات الحيـاة ورايت السرعـة ، وحـب السرعـة ، والحرص على السرعة فى كل مجـال ، وفى كل مكان .

لقد رأيت الفتيات يمشـين بسرعة ، ورأيتهن يتحدثن فى سرعة . وجال فى ذهنى ، ما كنا نقرؤه عن وصف المرأة الجميلة ، وان من سمات جمالها مايقوله الشاعر عن مشيتها وعن حديثها :

« مشى القطاة ونطقها ايماء » ..

وأخذت أوازن بين مفاهيم الشــعراء القدماء فى الجمال ، ومقاييسهم فيه ، فى المشى والحديث وغيرهما ، وبين ماأرى وأسمع ، واهتزت نوعا ما المقـــاييس القديمة ...

ورايت الرجال أكثر سرعة وأكثـر نشاطا وحركة ، وبدت الحياة وكأنهـا سرعة ونشاط وقفز ، وابتعاد فى كـل ثانية عن الماضى ، واستئناف فى كـل لحظة للمستقبل ، وتجديد دائم لا يهدأ



● الحارث بن أسد المحاسبي ألقى بنفسه في معترك المشاكل التي يثيرها المبتدعون والمنحرفون وأخذ يصارع مناقشا ومجادلا وهاديا ومرشدا ، متخذا القرآن والسنة مقياسا وحاكما في كل ما يعتقد .

ولا يفتر قط ... وتذكرت عند ذلك وصف سيدنا عمر من أنه اذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع ، واذا تكلم اسمع .

ونعمت فى اللحظات الأولى من وصولى بهذا الذوق الراقى ، فى كل شىء . وهذه النظافة التى تجدها أينما تسير : فى الشارع ، فى محلات البيع ، على وجوه الاطفال ، وعلى الملابس عند الكبار وعند الصغار ... وبهرتنى الحضارة الأوربية فى مظهرها هذا الخارجى الذى يتمثل فى النشاط والنظافة والذوق ..

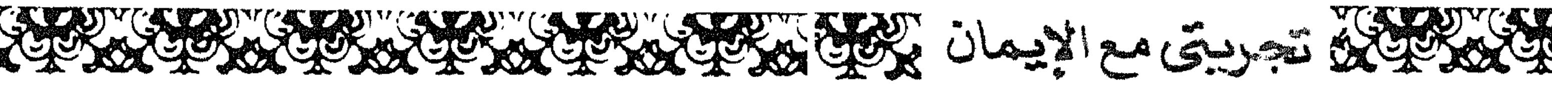
وكان هذا الانبهار يجعلنى اعود الى المفاهيم الاسلامية فى النظافة وفى الجمال واستذكر :

((ان الله جميل يحب الجمال)) ..

((وان الله طيب لا يقبل الا طيبا)).

وقوله تعالى : ((قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق)) ..





وقوله سبحانه : ((خذوا زينتكم عند كل مسجد)) ..

واتذكر هذا التراث الاسلامي الضخم الذى يتصل بالنظافة والنشاط والذى يعيشه الغربيون فى صورة واقعية فكانوا فى هذا كانهم مسلمون مثاليون ..

واعود من الانبهار الى الأسف على ما عليه المسلمون فى هذه المجالات مبتعدين عن الاوامر الاسلامية الصريحة ..

ولكنى كنت اعود فاقول : هذا المظهر **الخارجى مادام مرتبطا بالثقافة ودرجتها** وما دام الاسلام قد حث عليه فى قوة ، ومادمنا آخذين باسباب الثقافة فى عناية ظاهرة فاننا سنصل الى ما نرضاه فيه ان شاء الله ، وكان هذا يجعل المجال الظاهر من الحضارة الغربية فى تصورى ليس ببعيد المنال بالنسبة لنا نحن الشرقيين ..

ودخلت الجامعة ، وبدأت الدراسة فى علم الاجتماع وعلم النفس ... ومادة الأخلاق ، وتاريخ الاديان ...

وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على الاساتذة اليهود ، وكانت **هذه المواد كلها تسير فى تيار محدد، هو:** انها علوم مجتمع ، أى انها لا تتقيد **بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على انه** وضع الهى، فهى تدرس موضوعاتها على انها ظواهر اجتماعية وظواهر انسانية.

وبدأنا فى الدراسة نسمع مختلف الآراء فى نشأة الدين ، ومختلف الآراء فى تفسير النبوة ، وينتهى الأمر برأى الاستاذ فى الموضوع .

وليس فى هذه الآراء ـ على اختلافها وتعددها ـ ما يتجه الى ان الدين وحى من السماء أو ان النبى موصول الأسباب بالسماء ، واذا انتظرنا من الاستاذ ان يصحح الوضع ، فيدلى فى النهاية برأيه مثبتا الالوهية والنبوة هادما للآراء الأخرى واصفا لها بانها ضلال ـ اذا انتظرنا ذلك منه فاننا نكون واهمين ، فانه واحد من هؤلاء العشرات من الاساتذة فى هذه المواد وما شابهها المنغمسين فى تيار المادية .

لقد فسرت الجامعات الأوربية العلم على انه القواعد التى تقوم على التجربة والملاحظة ، والتزمت أن تفسر وان تشرح علم الاجتماع وعلم النفس وجميع الظواهر فى الآفاق وفى الأنفس على هذا الاساس ، والتزمت ذلك ايضا فى تاريخ الأديان ..

هذه العلوم بالذات وفروعها تتكاتف لتقود الانسان متعاونة متساندة الى الالحاد .

ان للدين ـ فيما يزعمون ـ نشأة انسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه « فضيلة » ، **وعلى سلوك آخر سموه : « رذيلة » ..**

ودراسة الدين والاخلاق اذن تتجه الى النشأة والمظاهر وعوامل التطور وظواهر التطور . وليس للسماء فى الدراسة من نصيب ، اللهم الا الوصف لظاهرة نشأت فى المجتمع. وكل الظواهر والمظاهر فى هذه الدراسات اعتبارية **نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال،** ولا تستقر على وضع ، لأنها فى كل **يوم تتبدل حالا بحال .**

وهذه الأفكار تتكرر فى هذه المواد : تسمعها فى علم الاجتماع ، وتسمعها فى علم النفس وتسمعها فى دراسة مادة الأخلاق ، وتسمعها فى دراسة تاريخ الأديان ، وتسمعها فى دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك .

والشاب الذى انتقل من الاقسام



● بدأت تجربتي بين عالمين من المعرفة : علم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء وهي أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، وعالم التفكير المجرد في الدين والأخلاق والمجتمع .

الثانوية الى الجامعة يتاثر بأستاذه فاذا كان الاساتذة متكاتفين على هدم **القيم الثابتة ، والمثل العليا التي يقررها** الدين ، وتقررها الاخلاق — اذا كان الأمر كذلك — فان الطالب الذى يعيش في اجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ينتهى به الأمر — فى الاغلب الاعم **من الحالات — بأن تنهار هذه القيم فى** شعوره .

ومن هنا كانت الظاهرة التى تجدها فى طلبة الجامعات فى أوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد ، وبكثير من القيم . **وينتهى الطالب بالالحاد ، أو على أقل** تقدير بالايمان الذى لا فاعلية له ، ولا تأثير له فى سلوك الانسان .

وكنت — من غير ماشك — أضيق بكل ما يجرى فى هذه الدراسات ، ولكن الله سبحانه وتعالى الهمنى التفكير فى قيمة وآراء الاساتذة انفسهم فى هذه المواد .

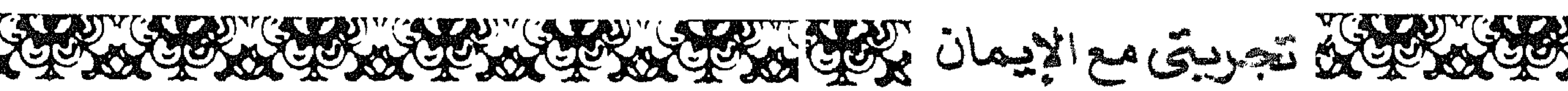
وبدات العمل بين عالمين من المعرفة عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء، وهى أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، ولا اختلاف فيها . وعالم التفكير المجرد فى الدين والاخلاق والمجتمع .

واخذت أدرس فى اناة هذا الجانب الخير من الزاوية التاريخية ، فوجدت أنه منذ أن بدأ التفكير بدأ فى اللحظة الأولى الاختلاف فيه ، وبدأ كل زعيم من زعمائه ينتقد الآخرين فى عصره وكل مفكرى عصر ينتقدون المفكرين فى العصر السابق عليه . وهكذا الأمر ...

وما من شك فى أن هؤلاء الاساتذة الذين يدرسون لنا ينتقد بعضهم بعضا فى آرائهم ويخطىء بعضهم بعضا . كما ينتقدون السابقين عليهم ويخطئونهم . وسيصنع من بعدهم فيوجهون اليهم النقد ويخطئونهم ، وهكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها ...

لقد أخذ « دوركايم » اليهودى يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والاخلاقية ، واخذ تلميذه الاكبر اليهودى ، ليفى بروهل ، ينهج منهجه ويسير على طريقه فى علوم الاجتماع وفى علم الاخلاق . وكتاب ليفى بروهل « الأخلاق وعلم العادات » — مثل واضح لهذا النوع من القيم ، ومحاولة القضاء على كل المثل ، وعلى ايجاد الضغائن والفتنة بين مختلف فئات الشعوب ، والثمرة التى يعملون دائبين على الوصول اليها ، أن يكون المجتمع شاكا مليئا بالفتن ، وذلك سبيلهم الى السيطرة .

ان اليهود يهدفون من وراء كل ذلك الى السيطرة على العالم ، والا تقف فى وجههم قوة من ايمان أو قوة من خلق . ومن أجل ذلك تكاتفوا على أن تكون لهم الكلمة الاولى فى الجامعات هناك فى علم الاجتماع وفى علم النفس ، وفى مادة الاخلاق ، وفى تاريخ الأديان ، ولم يكن من السهل على اثناء هذه الدراسة الاستمساك الوائق بالقيم والمثل التى




نشأت عليها ، ولولا عون من الله سبحانه وتوفيق منه ، لصرت كواحد من هؤلاء الألوف الذين يدرسون في الجامعات الاوربية ثم يخرجون منها ، وقد تحطمت في نفوسهم المثل الدينية الكريمة ..

وانتهيت من هذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة التالية هي مرحلة «الدكتوراه».

***

بعد تجارب هنا وهناك في مجالات مختلفة من الموضوعات ، وبعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك — هداني الله — وله الحمد والمنة — الى موضوع التصوف الاسلامي .

ولم يكن ذلك مصادفة ، وانما هي هداية وتوفيق من الله سبحانه وتعالى وهي عناية أعجز عن شكر الله سبحانه وتعالى عليها ... وانغمست في العنصر الأساسي في موضوع الرسالة ، وهو دراسة الحارث بن أسد المحاسبي ..

انغمست في جو مجموعة من المخطوطات لهذا العالم الكبير ، والصوفي المستنير ، ورأيت انه قد مرت به — هو الآخر — فترة من الضيق لاختلاف الآراء وتفرقها والحيرة في أيها الأحق وأيها الأصوب ؟. ثم هداه الله سبحانه الى الطريق الأقوم .

ووجدت في جو الحارث بن اسد المحاسبي الهدوء والطمانينة ، ولكنه ليس الهدوء السلبي ، او الطمانينة المعتزلة المنطوية على نفسها ، ولكنه هدوء اليقين ، وطمانينة الثقة بما يعلم ...

فقد القى بنفسه في معترك المشاكل التي يثيرها المبتدعون والمنحرفون ، واخذ يصارع مناقشا ومجادلا وهاديا ، ومرشدا ، متخذا الأساس الاصيل ، والمصدر الاول : القرآن والسنة ، متخذا ذلك مقياسا وحاكما متحكما في كل مايقال او يفعل ...

وانتهيت من دراسة « الدكتوراه » واذا بي أشعر شعورا واضحا بمنهج المسلم في الحياة ، وهو منهج « الاتباع » ..

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلمة موجزة عن هذا المنهج هي اعجاز من الاعجاز ، انه صلى الله عليه وسلم يقول : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ..

وهي كلمة حق وصدق ثرية بالمعاني الطويلة العريضة ، يبرهن آخرها على أولها ، والنهي في وسطها يبرهن عليه أيضا آخرها : أي اتبعوا فقد كفيتم ، والكافي سبحانه وتعالى الذي أوحى المبادىء والأصول والقواعد ، وطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك وبينه ، فكان تطبيقه مقياسا وبيانا ومرجعا يرجع اليه المختلفون : ولا تبتدعوا فقد كفيتم : ان الذي يبتدع هو من لا كفاية له ، ولكن **الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين** ، وأتم النعمة ، فليس هناك من مجال ، ولا من حاجة الى الابتداع .

لقد كفانا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كل ما أهمنا من أمر الدين .

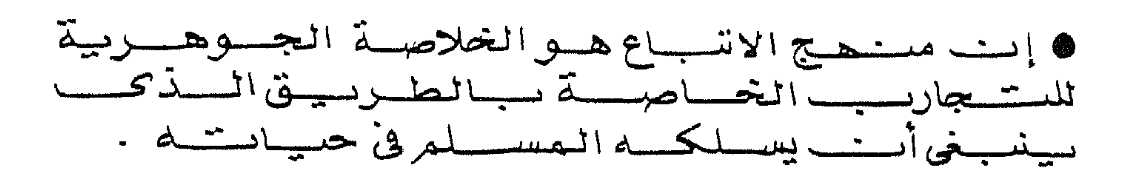
وبعد أن وقر هذا المنهج في شعوري واستيقنته نفسي ، أخذت أدعو اليه : كاتبا ومحاضرا ومدرسا ، ثم أخرجت **فيه كتابا خاصا هو كتاب : « التوحيد** الخالص » ، أو « الاسلام والعقل » ..

وما فرحت بظهور كتاب من كتبي مثل فرحي يوم ظهر هذا الكتاب ، لأنه هو خلاصة تجربتي في حياتي الفكرية ..

وكل ما كتبته عن التصوف ، وعن الشخصيات الصوفية ، فانما يسير في فلك هذا المنهج ، منهج الاتباع .. وهذا المنهج يفترض :

١ — مقاومة الغزو الفكري .

والغزو الفكري له مجالات مختلفة ، هناك الغزو الفكري في العقائد ويتمثل في


● إن منهج الاتباع هو الخلاصة الجوهرية للتجارب الخاصة بالطريق الذى ينبغى أن يسلكه المسلم فى حياته .

كل هذا التراث الضخم الذى نقل الى اللغة العربية فيما يتعلق بما وراء الطبيعة، وهو تراث مختلف متعارض بل ومتناقض وهو نتاج بشرى بكل ما يتسم به النتاج البشرى من خطأ وضلال .

٢ ــ والغزو الفكرى فى نظام المجتمع، الذى حاول ان يفرض علينا نظام المجتمعات الأوربية ، واذا نحن سرنا فى تياره ، فاننا نصبح ولا شخصية لنا ولا ذاتية ، ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التى كلفنا بتبليغها للناس ونشرها ، وهى رسالة الاسلام التى من اجلها كانت الأمة الاسلامية وبدونها تصبح الامة الاسلامية ولا مبرر لها ..

٣ ــ والغزو الفكرى فى مجال التشريع :

وهذا الغزو الفكرى فى مجال التشريع توجد اسسه واصوله بصورة مشروعة فى مختلف الاقطار العربية ممثلة فى كليات الحقوق التى تنفق عليها الدولة وتعتمد شهاداتها ..

وكليات الحقوق تلك دراستها غزو فكرى ، واستعمار فكرى ، ودراستها اثر من آثار الاستعمار التى لم تزل بعد ان زال الاستعمار ...

واذا كانت الأمم الواعية تحاول جاهدة ان تتخلص من وصمة الاستعمار بما فيها من شرور ورجس وآثام ، فان الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تتخلص من وصمة الاستعمار الصارخة الواضحة الممثلة فى هذه الكليات ..

ان هذه الكليات تخصص عشرين ساعة فى الأسبوع للقوانين الاوربية أى للفكر الاوربى فى التشريع ، وتفرض على الطالب أن يذاكره ويستوعبه ويحفظه ويتمثله ، وينهج فيه فى الامتحان .

اى انها تفرض على الطالب أن يستحضر فكر الأوربيين فى مجال التشريع وان يلغى ذاتيته الاسلامية فى **هذا المجال ، وان يكون تابعا للأوربيين فى** هذا المجال مقلدا لهم ، تجره عجلتهم مستسلما لغزوهم .

وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة اسبوعيا للفكر الأوربى فى التشريع اذا بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الاسلامى .

ولو أن هذه الكليات فى فرنسا او فى انجلترا لما فعلت اكثر من ذلك . ومنهج الاتباع اذن يقتضينا أن ننظر فى جد فى أمر هذه الكليات لتمثل الوطنية والاسلامية والعروبة .

وبعد :

فان منهج الاتباع هو الخلاصة الجوهرية للتجارب الخاصة بالطريق الذى ينبغى أن يسلكه المسلم فى حياته، واذا سار فيه المسلم فردا ، أو سار فيه المجتمع مجتمعا ، فان الله سبحانه وتعالى يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة ، لأنه يكون فى جو ربانى ملىء برعاية الله سبحانه وتعالى وعنايته .

((ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)) . هذا وبالله التوفيق .

د. عبد الحليم محمود

اللامبالاة حتى فى حياتنا الثقافية !

● د. زكى نجيب محمود ●

يبدو لى أن افضل زاوية ننظر منها حينما نريد أن نلتمس الاسباب التى من أجلها انصرف القراء بصفة عامة عن المشكلات الثقافية الصرف التى لا تمس امور السياسة ولا أمور الشئون الجارية مسا مباشرا ، أقول انه يبدو لى ان افضل زاوية ننظر منها عندما نريد ان نلتمس الاسباب التى ادت الى هذه الظاهرة فى أيامنا هى أن نعود بالذاكرة الى فترة من الزمن مثل العشرينات حديثا ، او ربما نعود الى فترة اخرى من الزمن ، اوغل فى التاريخ ، وهى الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لنرى ما هى الظروف التى جعلت القراء العرب ، فى العشرينات يهتمون اهتماما واضحا بالمشكلات الثقافية ، التى لا تربطها علاقة مباشرة بالحياة السياسية الراهنة ، او ما هى الظروف التى سادت الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى ، وادت الى ذلك النشاط الثقافى العجيب ، الذى لا يخطئه بصر فى حياة الامة العربية فى ذلك الحين

وعندئذ ننتقل الى عصرنا نحن الان ، لنتبين كيف اختلفت الظروف المحيطة بنا اختلافا كان من شانه هذا الانصراف عن الثقافة البحث ، على نحو ما ذكرنا ..

فاما حياتنا فى العشرينات من هذا القرن ، فقد كان اهم ما يميزها ان الاقلام التى حملت عبء الكتابة السياسية على المستوى الارفع ، كانت هى نفسها الاقلام التى حملت مهمة نشر الرسالة الثقافية ، فكأنما كان الكاتب منهم يومئذ يكتب صفحة للسياسة ، وصفحة للثقافة على التوالى ، لانه شعر بانه هو الرائد فى كلتا الحالتين .

ولما كانت فكرة الحرية أهم رسالة توجه اليها الكاتب السياسى ، فقد نتجت عن ذلك نتيجة مباشرة ، وهى ان ذلك الكاتب ، سرعان ما رأى ان تلك الحرية السياسية المنشودة ، لم تكن لتكتمل للمواطن العربى المصرى الا اذا ساندتها تصورات للحركة فى مجالات أخرى غير السياسة ، كتصور الحرية فى الشعر ، وتصور الحرية فى الفن التشكيلى ، وتصور الحرية فى النقد الادبى ، وتصورها فى الفكر الفلسفى ، وهلم جرا .. فالواقع ان الدعوة الى الحرية التى يمكن اعتبارها الفكرة الأم فى نشاطنا العقلى كله هى التى اوحت الى الكاتب والقارىء معا بأن يتوسع فى تغذيتها من شتى الجوانب .

ويمكن القول بأن تلك التغذية لفكرة الحرية بالمعنى الشامل لهذه الكلمة ، تأتى أساسا من مصدرين أولهما الشعور بالانتماء الى ثقافة عربية أصيلة ، حتى لا يخامرنا الوهم أو الظن بأننا أمة متسولة فى الميدان الثقافى لم يكن لها رصيد غزير مخزون وموروث من أسلافها الاولين .

وأما المصدر الثانى فهو الحضارة الاوربية التى شاء لها الله أن تكون هى حضارة العصر .

فكان الشغل الشاغل لكتابنا ، ثم لقرائنا بالتالى مزدوج النشاط . ففى الوقت نفسه الذى كنا فيه نحيى تراثنا القديم ، احياء يعيده الى دماء تجرى فى شراييننا ، كنا ننقل أمهات الثقافة الغربية فى كل عصورها ، نقلا كان فيه النقد والتمحيص .

فلا غرابة أن يجد القارىء نفسه مشوقا الى تزويد نفسه بما كان يتعطش اليه من شعور بفرديته الحرة ، فكان يتابع ما ينشره كتابنا الكبار فى كلا الجانبين معا ، جانب الموروث من حياتنا الفكرية السابقة ، وجانب المنقول من حياة أوربا فى كل عصورها . فلو عدنا الى الفترة الاخرى التى أردنا أن نسوقها مثلا آخر ، وهى القرن الرابع الهجرى ، وجدنا الشىء نفسه الذى رأيناه فى عشرينات هذا القرن ، يتمثل أمامنا على نطاق تاريخى

واسـع من حيث الاتجـاه الاول نحو الترجمة ٠

وأما الاتجاه الثانى فهـو أن المفـكرين ابان ذلك القرن نفسه كانوا يعكفون عـلى دراسة المسائل التى تفرعت عن الثقـافة العربية الاسلامية نفسها منذ ظهر الاسلام

من هذين المثلين يتبين لنا أن الحيوية الثقافية التى تشد الكاتب والقارىء معا الى بؤرة واحدة ، يلتقيان فيها باهتمامهما ، انما تتمثل فى الجمع بين لونين من التفكير أحدهما هو اللون الاقليمى المحلى ، والثانى هو اللون المنقول عن الحضارات الاخرى ٠

وعلى هذا الضوء ننظر الى هذه الفتـرة من السنين التى نحياها اليـوم ، والتى نشكو فيها بأن القارىء قد انصرف عـن متابعة المشكلات الثقافية البحت ٠فاقول ان انصراف القارىء هذا ، انما هو تابع فرعى من توابع انصراف الكاتب نفسه، عن تلك المشكلات الثقـافية ٠ فأين هو الكاتب الان الذى يهضم الثقـافة العربية القديمة ، هضما يمكنه من عرضها ، عرضا نقـديا ، كما كان يفعـل طه حسين فى العشرينات ٠

وأين هو الكاتب اليوم الذى يتاح له أن يتـابع الثقـافة الاوربية بمثل ما كان يتابعها أعلام العشرينات أيضا ٠ بل أين هو الكاتب اليوم الذى يستقطب بثقافته ، جميع الخطوط الرئيسـية ، التى تميز ثقافة العالم بأسره ، كما كان يفعل أبـو حيان التوحيدى فى القرن الرابع الهجرى، أو اخوان الصفا فى نفس ذلك القرن ٠

فاذا لم يـكن الكاتب الغزير فى تحصيله الواسع فى أفقه النافذ فى نقده، الهاضم فى فهمه وفى عرضـه لما يكتبه ، أقول اذا كان مثل هذا الكاتب غير موجود فى يومنا الراهن، بصورة واضحة ، فكيف نبيح لأنفسنا أن نبحث عن قارىء لهذه الصفات أو شىء منها ؟!

اننى لارجو من أراد أن يكون منصفا فى حكمه على فترتنا الراهنة ، أرجـوه أن يراجع ولو لفترة محـدودة ، ما يكتبه كتابنا اليـوم (أو معظمهم) ٠٠ اما فى الصفحات الادبية من الصحف اليومية ، واما فى المجلات الثقافية ليرى بنفسه كيف أصـبحت الكتابة تتعمد الا تغوض فى المشكلة التى تتعرض لها ، مكتفية بمـا يشبه « الساندوتشات » فى دنيا الطعام ! كأنما الكاتب قد أصبح يحس أنه اذا تعمق مشكلته ، فلن يجد مـكانا فى الصحف لتنشر له ، ولن يجد فراغا عند القارىء ليطالع ما كتبه ، مطالعة الفاحص المدقق ٠

اننى الاحظ اليـوم كثرة الاحاديث والندوات ، فى حياتنا الثقـافية ٠ لان الحديث بين اثنين ، أو الندوة التى تعرض فى وسيلة من وسائل الاعـلام ، تكتفى بطبيعتها بالقشور ، لانها مادامت ندوة ، فهى أساسا للتسلية ٠٠

من أين نأتى بالكاتب أو بالقـارىء ، الذى ينذر نفسه نذرا ، للمشكلات الفكرية اذا كانت الجامعات ، وهى ملتقى الثقافة على أعلى مستوى ، قد ازدحمت كل هـذا الازدحام ، وقد انشغل فيها الاساتذة ، كل هـذا الانشـغال بكثرة المحاضرات فى الاسبوع الواحد ٠ فـلا الاستاذ يجـد الدقيقة الواحدة التى يصرفها فى شحذ أذهان طلابه خارج صـلب مادته التى يحاضر فيها ، ولا الطالب طبعا يجد الحافز الذى يدفعه الى الاهتمام بمشكلة ثقافية ، خارج مذكراته الجامعية ٠

اننى على ضوء هذا كله ، لا يدهشنى أن أرى الفراغ الرهيب الذى يتحرك فيه شبابنا اليوم ، عند اختيار أهداف حياتهم الثقافية ٠ فهنالك منهم من يكاد يمحو من نفسه أثر التعليم الذى تعلمه فى المدارس وأوشـك الذين يعلمون أن يكونوا فى غمرة من لا يعلمون ! ٠ لا يفرق بين هؤلاء وأولئك خاصة مميزة ٠

وفى ظنى أن حياتنا الثقافية لن تعود الى عنفـوانها وعمقها واخلاصـها الا اذا أحس الكاتبون والقارئون معا ، باهتمام داخل نفوسهم يؤرقهم ، حـول مشكلة بعينها أو مشكلات ٠ فاذا وجـد هـذا الاهتمام المؤرق ، وجدت الكاتب مدفوعا للكتابة ،والقارىء مدفوعا للقراءة فى وقت واحد ٠٠

وعلى ذلك فصميم المأسـاة فى حياتنا الثقافية الراهنة ، هى انعدام الاهتمام بأية مشكلة ثقافية ٠ ولذلك نرى الكاتب اذا كتب ، والقارىء اذا قرأ ، فهو يكتب أو يقرأ ، وكانه غير ذى صلة شـخصية بالمادة التى يكتبهـا أو يقرؤها ٠ فـلا تهمه طريقة المعالجة ولا النتـائج التى يوصل اليها ، ويصبح كل شىء مساويا لكل شىء ٠ وفى ذلك موت للفكر الجاد لحساب التفـاهات التى ننشغل بها اليوم ٠



● بقلم الدكتور : هلموث كروج
عميد الاطباء النفسيين الالمان ●

● ترجمة : د . حسين مؤنس ●

اهتمام الناس بالاحلام

مهما يقل لك الناس انهم لا يعلقون اى اهمية على الاحلام ، وانها كلها اوهام وتصورات تتراءى للانسان فى النوم دون ان يكون لها اى معنى او دلالة — فان كل انسان يهتم باحلامه ، وخاصة ما كان منها مزعجا أو ما كان له معنى على وجه من الوجوه ...

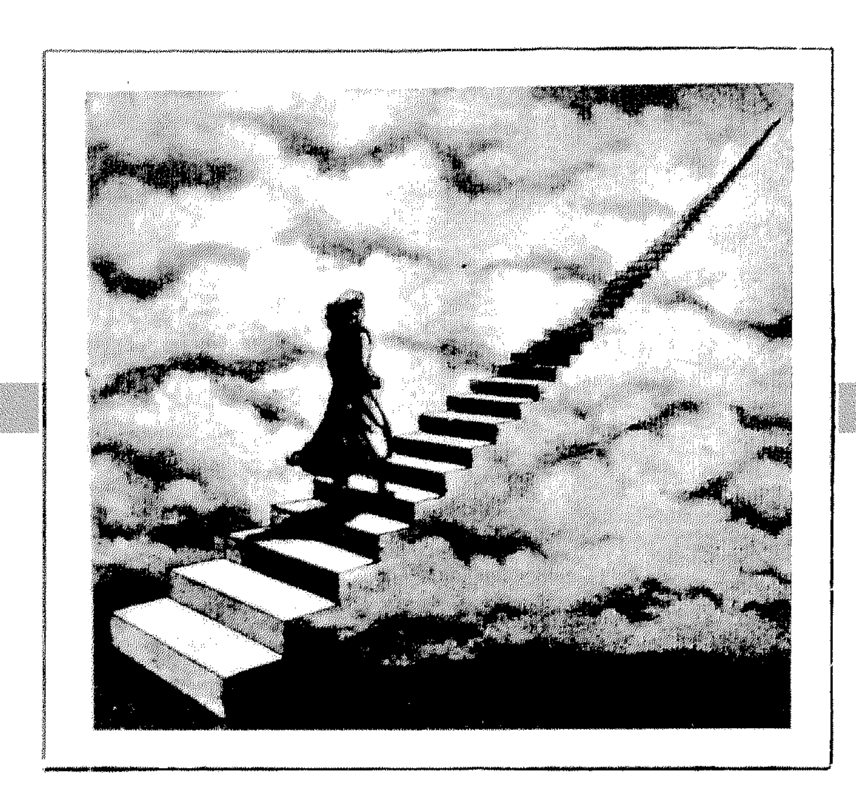
حتى الذين يزعمون لك انهم متحررون من كل فكرة قديمة وانهم لا يؤمنون الا بوقائع الاشياء ، يحرصون على احلامهم وان كانوا يظهرون ان الاحلام اضغاث لا تستحق منهم لحظة تفكير !

وأذكر انه كانت فى دار الكتب المصرية نحو عشر نسخ من كتاب تفسير الاحلام لابن سيرين ، ومع ذلك فلا أذكر اننى طلبته مرة فوجدته ، وأتاح لى الحظ مرة فرصة شرائه ، فما زال أصحابى يستعيرونه ويردونه حتى استعاره واحد منهم ولم يرده وضاع ، وكان قد استهلك وصار قطعا ! ..

فرويد ونظرياته فى دلالات الاحلام

وقد كان سيجموند فرويد أول من درس الاحلام دراسة علمية ، وخرج بنظرياته الكثيرة عنها وأهمها القول بأن الاحلام ليست مجرد أضغاث وتصورات أو أوهام ، بل هى ظاهرة عظيمة الدلالة على شخصية الانسان وتجاربه فى الحياة ، فان العقل الباطن يختزن التجارب والاحداث ، **وخاصة ما كان لها أثر بعيد فى حياة الانسان ، وتظل هذه التجارب مكبوتة فى حالات اليقظة ، فاذا نام الانسان ونام ذهنه المفكر اطلق العقل الباطن تلك الصور المختزنة فظهرت فى اشكال شتى لها دلالاتها الكبيرة ، وخاصة فى الحالات التى يصاب فيها الانسان بحالات مرضية نفسية ، هنا يكون الحلم تعبيرا عن قلق او خوف عميق وخفى يؤرق الانسان ويكون له اثر فى سلوكه وتصرفاته ..**

ولهذا يهتم المحللون النفسيون اهتماما كبيرا بالاحلام ويطلبون الى عملائهم بيانا وافيا عنها لكى يستطيعوا التعرف على أسباب القلق أو الاضطراب النفسى الذى



حلم السلم الصاعد فى الفراغ والانسان عليه فى خوف من السقوط يدل على طموح وخوف من الحياة .. ولكنه ليس دلالة على خطر مقبل ...

يعانيه المريض .

ولكن بحوث النفسيين فى الاحلام تطورت تطورا كبيرا من أيام فرويد الى اليوم ، فلم يعد العلماء يعطون للافكار والاحلام الجنسية تلك الاهمية الكبرى التى أعطاها اياها فرويد. فقد كان فرويد يرى ان الجنس هو القوة الكبرى وراء تفكير الانسان ، وتبين بعد ذلك وخاصة فى بحوث يونج وأدلر أن الجنس قوة دافعة كبرى فى النفس الانسانية ، ولكنه ليس أقوى الدوافع المحركة لفكر الانسان ونشاطه .

لا علاقة للاحلام بالمستقبل وما سيحدث فيه ...

وما زالت البحوث فى الاحلام مستمرة فى كل جامعات الدنيا ، وقد انتهى العلماء الى عدد من الحقائق الهامة التى تختص بطبيعة الاحلام وتفسيرها ..

والحقيقة الاولى هى ان الاحلام لا علاقة لها بالمستقبل . فاذا راى الانسان حلما مخيفا أو مفزعا فلا يتصور ان ذلك انذار بشىء سيىء سيحدث . فالاحلام تتركب من رواسب ماضية ولا يمكن ان يكون لها أثر أو علاقة بالغد ...

وهناك الكثيرون من الناس يؤكدون لك ان الاحلام انذارات بما سيحدث ، ويحكون حكايات كثيرة تؤيد هذا الرأى ، وهؤلاء الاشخاص صادقون فيما يحكون عن أحلام رأوها ثم تحققت أو صدق **ما توقعوه ، وتفسير ذلك ان الحلم فى هذه الحالة لم يكن انذارا بما سيحدث ، بل يدل على ان ذهن صاحب الحلم كان مشغولا بموضوع ما يهمه أو يخيفه أو يرجوه ، فيكون الحلم فى هذه الحالة**

ظهرا لانشغال البال والعقـــل الباطن بذلك الموضوع ، ويكون ما رآه الحـــالم توقعا من ذاته الباطنة ، فاذا وقع بالفعل ظن الانسان ان الحلم قد تفسر ٠٠

أما ما يذهب اليه الكثيرون من القول بان هناك أشياء اذا رآها الانســـان فى الحـــلم كانت ذات معنى خاص فغـير صحيح ٠ فرؤية الذهب فى الحلم لاتدل على شر مقبل ورؤية اللبن لاتدل على خير

ورؤية شخص ميتا لاتدل على انه سيطول عمره ، ورؤية الثعبان لاتدل على ان عدوا سيؤذيك ، وكذلك الحلم بخلع الضرس لايدل على ان الانسان سيفقد عزيزا ٠٠

كل هذه أشياء غير صحيحة ، وانمـا هى أفكار قديمة توارثها الناس واستغلها المفسرون للاحلام وكرروها مرة بعـد مرة حتى استقر فى الاذهان انها حقائق حتى أصبح الناس يفزعون من الاحـــلام فزعا شـــديدا وصرت اذا أردت أن تقص على زوجتك أو صاحب لك حلمـــا كان أول ما يقول : خيرا ان شاء الله ٠٠

فلا تؤرقك الاحلام اذن ، واطمئن من ناحيتها ، فليست لها أى عـــلاقة بمـــا سيحدث لانها كلها أصداء لما حدث وفات أو لما يحدث أو يشغل البـــال فى الفترة التى يقع فيها الحلم ٠٠

الاحلام المتكررة ودلالاتها

ولكن هناك نوعا من الاحـــلام ثبت بالفعل انله علاقةبماضىالانسان وحاضره ومستقبله ، أى بوجوده كله ، تلك هى الاحلام المتكررة ، ويراد بها الاحلام التى يراها الانسان مرة بعد مرة فى صـــور وأشكال شتى ، ولكن صميمها واحد

فمن الناس من يرى نفسه فى المنـام يخوض فى ماء مرة بعد مرة ويصـــاحب ذلك الحلم خوف من الماء ٠٠٠

فمرة يرى هذا الماء يفـــور كانه ماء دوامة ، وهو يســـير فيه فى خـــوف وحذر ٠٠٠

ومرة اخرى يرى هذا الماء يتعالى شيئا فشيئا ويخاف ان يغطيه ويغرق فيه ٠٠

ومرة ثالثة يرى هذا المـاء بنى اللون وهو يخوض فيه بخوف لانه يشـــعر ان هناك حيات فيه ٠٠

وهكذا ٠

مثل هـذا الحلم المتـــكرر له معنى واساس من حياة صاحبه ٠ انه يعانى من خوف عميق مستمر ، والخـوف مرتبط بالماء ٠ ربما يكون قد تعرض وهو صغير لحادث غرق فى الماء ونجا منه ٠ قـــد تكون هذه التجربة القاسية وقعت لغـيره امام عينيه وهو صغير ٠٠

ودلالة الحلم النفسية هى عدم الثقـة بالنفس والخوف من الحياة والقلق على النفس والزوج والاولاد ٠ ٠

ومثل هذا الشخص ينبغى ان يطمئن



اذا رأيت نفسك فى الحلم فى بيت من زجاج فلا تتوقع فضيحة مثلا ، فالاحلام لا صلة لها بالغد .. وانما هذا الحلم يدل على انك تشعر انك لست فى المكان الذى تريده

الى أن هذا الخوف وهمى ، وان هذا الحلم لن يقع له أو لأحد ممن يحب فى واقع الحياة . انه ليس نبوءة ولا انذارا . انه صدى لشىء قديم ترك فى النفس شعورا عميقا من الخوف . والحلم يتردد طالما ظلت حالة القلق الناتجة عن الاعتقاد بأن هذا الحلم لابد أن يقعَ يوما فى عالم الحقيقة .

نماذج من الاحلام المتكررة

سيدة ترى نفسها دائما فى بيت من زجاج

ونموذج ثان من تلك الاحلام المتكررة .

سيدة كانت تحلم دائما بانها تعيش فى بيت جدرانه شفافة كأنها من زجاج .. فى الحلم تشعر بأن العيون ترى كل ما تصنع ، لانها تعيش فى الحقيقة فى فراغ ..

نفس السيدة تحلم فى نفس الوقت بأن لها بيوتا كثيرة .. كلها لها ولكنها كلها لا تعجبها وفى كل منها شىء يخيفها ...

مرة تحلم بأنها تعيش فى بيت شفاف على حافة الماء .. الماء يضرب الجدران ويدخل من النوافذ . الجدران كلها شفافة كأنها من زجاج ، انها ترى نفسها فى الحلم تبحث عن مكان تختبىء فيه..

انها دائما مهددة بافتضاح أمورها .. مهددة بماء أو نار أو فيران ضخمة خطرة تملأ البيت ..

وهى دائما فى تنقل من بيت لبيت . فى كل حلم ترى نفسها وكأنها فى بيت جديد ، ولكن هذه البيوت محدودة ..

انها هي هي تتكرر في الاحلام ..

ودلالة هذا الحلم المتكرر هي ان هـذه السيدة تشعر دائمـــا الا مكان لها على الارض .. انها نفس قلقة لا تجـــد الراحة ...

ويدل الحلم كذلك على انهذه الانسانة تريد اخفاء شيء عن الناس . قد تكون قد وقعت في خطأ وتريد ان تستره ، قـــد تكون تخشى ان تنـدفع الى الوقوع في خطأ وتحس بأن الناس يعرفون ذلك .

اعرف رجلا كان يرى مثل هذا الحلم : حلم بيت الزجاج والخوف من الفضيحة. بعد التحليل النفسي تبين ان هذا الرجـل متزوج من سيدة في سنه ، ولكن لهـــا ابنة جميلة مطلقة تعيش معهمــا . انه يعشقها في قرارة نفسه ويشـــتهيها ، وأكثر من مرة حاول ان يقدم على أمـــر معها ، ولكنه خاف الفضيحة ..خاف أن ترفض أو تصرخ أو تســتغيث ... ان الحلم يحذره من نفسه . يقـــول له ان الناس يرون كل ما في نفسه ويعرفونه وان ابنة زوجته تعرف ذلك ..

والنصيحة التي قدمتها اليـــه هي ان يعمـــل على أن يجعل تحقق هذا الامـــر مستحيلا . كانت ابنة الزوجة تعيش في غرفة الى جوار غرفته فنصحته بأن ينام في نفس الغرفة التي تنام فيهـا زوجته اذا أمكـن ان تخـــرج البنت من البيت وتسكن في مكان آخر كان أحسن بكثير. وفي النهاية نصحته بأن يصارح زوجته بالامر ويبتعد عن البيت، لفترة ما ..وأن يتأكد من أن هذه النزعة الداخليـة وهم خادع ، وان ابنة الزوجة لن تسـمح له بشيء فهو في الثانية والسـتين وهي في الثلاثين .

حلم السلم الصـاعد الى
مالا نهاية في السماء ..

وسيدة كانت ترى حلما متكررا يملأ نفسها خوفا ...

في الحلم ترى نفسها وكأنها تصـعد على سلم في الهواء . السلم ممتد الى مالا نهاية في الفراغ بلا سياج حاجز ...

مرة ترى هذا السلم وكأنه سلم حريق صاعد الى السحاب ، أو سلم من رخام ذي درجات منفصل بعضها عن بعض ، وهي تصعد على هذه السلالم المخيفة كل مرة وقلبها ملء بالخوف ..

انها رسامة تعمل في محل ديكور كبير .. وهي تقوم بأعمال ضخمة وعظيمـــة فعلا . في المحل الذي تعمل فيه يعهدون اليها بأشق المهمات ، وتقوم بها بنجـاح كبير ...

اذن ما معنى هذا السلم الذي يخيفها في المنام ؟

تبينت أولا من التحليل النفسي انها غير متزوجة . ان سـنها تقترب من الاربعين ولا زوج . في قرارة نفسها تشـعر انها معلقة في الهواء بلا زوج او ابن او بنت ، والسلم يقود خطـــواتها الى مزيد من الخوف من هذه الناحية لان السن تتقدم بها . انها تقول انها لا تريد ان تتزوج او



كذلك عندما يرى الانسان نفسه فى المنام عاريا وسط الناس فلا ينبغى ان يخاف من هذا الحلم المتكرر ... انه يدل على ان صاحب الحلم يشعر انه يعانى مخاوف غير واضحة ويخاف الناس

ان هناك رجلا يريد الزواج منها ، ولكنها تخشى الا يوفق الزواج ، ثم ان الرجل لا يعجبها كثيرا .

ومن ناحية أخرى هى طموح جدا . تريد ان تحقق المستحيل فى عملها . كلما عهدوا اليها بمهمة عسيرة تكرر الحلم . انها تصنع مشروعات بالغة الطموح ، وتخاف فى نفس الوقت الا تستطيع ارضاء طموحها رغم ان الشركة راضية كل الرضا عن عملها .

قلت لها : تزوجى ...

لا علاج لك الا الزواج

حقا ان الرجل لا يعجبك كثيرا ، ولكنك فى حاجة الى سند ، فى حاجة الى رفيق حياة ، فى حاجة الى شريك وبيت واستقرار . ثم لماذا تخشى الا ننجب ؟.

واخذت بنصيحتى وتزوجت ..
بعد قليل الفت الزوج واحبته ..

ثم انجبت طفلة جميلة . هذه الطفلة امتصت كل طموحها . كانت تنفق الساعات فى تسريح شعر البنت وتزيينها وعندما كانت ترى ابنتها فى اجمل صور الطفولة كانت تشعر انها حققت شيئا عظيما ، وتلاشى الحلم المتكرر المخيف .

الرجل الذى يرى نفسه فى الحلم يقود سيارة وهو لا يحسن القيادة ...

ورجل كان يحلم دائما بأنه يقود سيارة وهو لا يحسن القيادة ..

بين الحين والحين يحلم بأنه فى سيارة جميلة تستلفت أنظار كل الناس ، ولكن الخـوف يملأ نفســـه · انه يحس انه لايحسن القيادة ، أو انه لا يملك رخصة قيـــادة وان رجال المرور لن يلبثـوا ان يقبضوا عليه ··

فى حالات كثيرة ينتهى الحلم بحادث · حادث صغير أو كبير ، ولكن النهاية دائما واحدة ··

وكان يقول لى ان هذ الحلم انذار متكرر له بأنه سيموت فى حادث سيارة ·

بعد التحليل تبين لى ان الامر بعيد كل البعد عما يظن ·· وهو فى اغلب الظن لن يموت فى حادث سيارة ··

ولكن السيارة فى حلمه رمز الى ميـل داخل فى نفسه الى الظهـور بمظهر اكثر من حقيقته · وهو يعـــرف انه يكذب على نفسه وعلى الناس ويخاف ان يفتضح امره او يقع فى مشكلات بسبب حب الظهور هذا ··

ثم ان الثقة الكاملة بالنفس تنقصه · عدم حصوله على رخصة قيـادة يدل على ذلك ···

وعندما فكر فى أمر نفسه وتواضـــع لله وقنع بما هو فيه بدأ ذلك الحـــلم يتلاشى ··

وشابة تحلم دائما بأنها تحس بنفسها مكشوفة امام العيون

وجاءتنى سيدة شابة تقول انها ترى نفســـها فى حلم متكرر وكأنهـــا بغير ملابس ···

لا احـد فى الحلم يراها بغير ملابس ولكنها هى تشعر بأنها مكشـــوفة أمام الناس ··

هذا الحلم يؤرق امنها · انهـا تخشى فضيحة ما ···

انها ســـــيدة متزوجة على خلق كريم وحشمة تامة · وزوجها يحبها ولكن الله لم يرزقهما ولدا ··

قلت لها : ولماذا لا تحاولين ان تحملى · اذهبى الى طبيب نساء وحاولى ·

وذهبت الى طبيب وطبيب وطبيب ·· وفى النهاية حملت ·· وأنجبت ولدين ·· وتلاشى الحلم ·

وكان الذى جعلنى انصحها بذلك هو ما قررته هى فى جلساتى معها بأنها من أسرة ريفية كثيرة العيال · وفى قريتهم يعير الانسان اذا لم ينجب

واذن فهذا الحلم دلالته أنها تشـــعر انها مكشوفة أمام أهل قريتها · لانها لم تنجب · والستر الذى كانت تبحث عنه هو الولد ··

وكانت مخطئة عندما أهملت مســـالة العلاج ··



وعندما تشعر فى المنام وكان على صدرك وزنالقيلا فلا تخف فان هـذا ليس انذارا بشر مقبل وانمـا هو يـدل على انك فى موقف عسير وتحـاول التخلص منه ...

لا تخف من الاحلام المفزعة ...
فلا علاقة للاحـــلام بالغد ...

هذه الاحلام المتكررة اذن هى التى لها معنى ومغزى

لو حلمت مرة أنك تخلع ضرسا فلا تكترث لهذا الحلم ، لن يموت شـخص عزيز عليك .. هذا ليس انذارا ! ..

ولو حلمت نفس الحـلم خمس مرات على فترات متباعدة وفى صور شتى كانت للحلم دلالة ...

وليست دلالته انك ستفقد عزيزا ...

بل دلالته ربما كانت انك غير مطمئن على صحتك. قد تكون من الاشخاص المصابين بوسواس المرض . اقل الم فى اى جـزء من جسمك يجعلك تفـترض اسـوأ

الاحتمالات ..

لا بد ان تتخلص من هذا الوهم ..

لا تثق بتفسيرات الاحــلام التى يملاون بها اذنيك ...

لا ترى نفسـك فى المنام فى ثوب أبيض فتظن ان ذلك انذار بالمـوت قريبا ..

الاحلام لا علاقة لها بالغد ...

انها تتكون من نسيج حياتك بالامس واليوم .

والاحلام المتكررة وحدها هى التى لها دلالة نفسية ويمكن علاجها ...

فيمـا عـدا ذلـك ، نم هنيئـا واحلم بما تريـد ولا تكترث ! ..

نظرة شاملة على تحديات القرن الأخير

● أنور الجندى ●

يوشك القرن الرابع عشر الهجرى - (الذى يوافق بالتاريخ الميلادى عامى ١٨٨٣ - ١٩٨٠) على نهايته . وهو قرن حفل بالاحداث الجسام وكان بعيد الأثر فى التحولات الخطيرة التى واجهت جغرافية العالم الاسلامى وتاريخه ومصيره ، ومن ثم فقد كان لابد من نظرة شاملة الى القرن الرابع عشر ، قبل الحديث عن التحديات التى تواجه القرن الجديد ، وتتمثل هذه النظرة فى عدة عوامل ضخمة هى :

أولا : استكمل فيه الاستعمار الغربى عملية تطويق عالم الاسلام ، وهى الخطة التى بدأها الاستعمار قبل ذلك بوقت طويل ، هذه المرحلة التى بدأت بعد سقوط الاندلس مباشرة وعلى أيدى قوات اسبانيا والبرتغال التى أخذت تغزو سواحل افريقيا وتنتزعها من أيدى أصحابها المسلمين ، ثم امتدت هذه الحركة حتى بلغت شواطىء الهند وسيطرت على جزر الملايو وكانت مقدمة للاستعمار الهولندى فى اندونيسيا ، والبريطانى فى شبه القارة الهندية .

كذلك فان قوى النفوذ الروسى أخذت فى نفس الوقت تنتزع الأجزاء الاسلامية فى آسيا « القوقاز والقريم وبخارى والتركستان » .

وقد استولت فرنسا على الجزائر وتونس والسنغال ومدغشقر والمغرب بين عامى ١٨٤٧ - ١٩١١ ، واحتلت ايطاليا ليبيا والصومال واريتريا (١٨٨٧ - ١٩١١) ، واحتلت اسبانيا الريف « المغرب الأقصى » واحتلت هولندا جزيرتى جاوه وسومطرة ومايعرف الآن باسم اندونيسيا « ١٦٢١ - ١٨٧٤ » ، واحتلت بريطانيا شبه القارة الهندية « البنغال والبنجاب » ونيجيريا ومصر والسودان وزنجبار وجزيرة قبرص .

ولم يبق فى أول القرن الرابع عشر الهجرى على استكمال تطويق عالم الاسلام الا خطوات قليلة ، فقد احتلت مصر عشية بدأ القرن ، ثم احتلت المغرب ، وفى ابان الحرب العالمية الأولى احتلت فلسطين والعراق وسوريا ثم سلمت فلسطين للصهيونية وقسمت تركة الدولة العثمانية بين فرنسا وانجلترا .

ولكن العالم الاسلامى لم يستسلم للاحتلال الأجنبى ، وقاومه مقاومة شديدة احتشد لها بالدماء والأرواح ، وقد عرفت قبل بداية القرن مقاومة الأمير عبدالقادر الجزائرى للفرنسيين من ١٨٣٠ - ١٨٤٧ وتوالت حركات المقاومة وامتدت . وفى مصر كانت مقاومة أحمد عرابى للاحتلال البريطانى ، كما كانت مقاومة محمد احمد المهدى للانجليز فى السودان ، ومقاومة الشيخ شامل للروس فى القوقاز .

وكانت حركات المقاومة فى الهند للاستعمار الانجليزى وفى ارخبيل الملايو للاستعمار الهولندى ، وفى قلب افريقيا للاستعمار البريطانى والفرنسى .

وعرفت أسماء عمر المختار فى مقاومة الاستعمار الايطالى فى ليبيا ، وعبد الكريم الخطابى فى ريف المغرب ، كما عرفت ثورة أحمد بن عرفان فى الهند ، وثورة يعقوب فى التركستان ، ولم يتوقف

● لم يتوقف المسلمون خلال القرن الرابع عشر عن المقاومة حتى أرغموا الاستعمار الغربي على إعادة النظر في مخططاته والنزول على إرادة المسلمين والعرب

● واجه العالم الإسلامي خلال القرن الرابع عشر، ما يسمى معركة الاستعمار الثقافي والاقتصادي. وهي المتمثلة في البدائل التي أقامها النفوذ الأجنبي

المسلمون خلال القرن الرابع عشر عن المقاومة حتى أرغموا الاستعمار الغربي على اعادة النظر فى مخططاته والنزول على ارادة المسلمين والعرب على النحو الذى حقق لهم الانتقال الى مرحلة الاستقلال

وعرفت هذه المرحلة محاولات متعددة للاصلاح والبناء ومواجهة النفوذ الأجنبى من خلال حركة اليقظة الاسلامية ودعوات جمال الدين ، ومحمد عبده ، والألوسى ، والدهلوى ، والدكالى ، وابن باديس ، والطاهر بن عاشور ، وعشرات من المصلحين الذين كان لهم أبعد الأثر فى يقظة الفكر الاسلامى .

***

وهكذا نجد أن القرن الرابع عشر بدأ باستكمال حركات الاحتلال ، ولكن سرعان ما نزل عند ارادة المسلمين والعرب الذين استطاعوا فى شطره الثانى أن يحققوا خطوات واسعة نحو الاستقلال والتحرر وفيه جلت القوات الاجنبية عن معظم أجزاء العالم الاسلامى . وبدأت خطوات الوحدة والاتحاد عربيا واسلاميا

***

ثانيا : شهد القرن الرابع عشر الهجرى الذى نوشك أن نودعه تحديات الغزوة الصهيونية التى بدأت خطواتها الأولى فى مؤتمر بال ١٨٩٧ ، حيث توالت الخطوات بالتآمر والغدر من أجل السيطرة على فلسطين ، فكان أول قرار رسمي يعطى الصهيونية العالمية حق الاقامة هو تصريح بلفور ١٩١٧ ، ثم قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ ثم احتلال بيت المقدس ١٩٦٧ ، وكان الاحتلال البريطانى هو الذى حضر لهذه المؤامرة الخطيرة باستيلائه على شئون الانتداب فى فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى ، وكانت الولايات المتحدة من بعد هى التى عمقت هذا الكيان ودعمته بالاشتراك مع روسيا السوفييتية .

ولاريب كان النفوذ الاجنبى يرى فى سيطرة الصهيونية على فلسطين وقيام اسرائيل : انها قاعدة لاستمرار سيطرته على العالم الاسلامى ، وكانت بريطانيا وأمريكا من بعدها ترى فى الاحتلال الصهيونى لفلسطين بديلا من الاستعمار الذى انتهى عهده ووسيلة لاستمرار رسالتها الاستعمارية والسيطرة الاقتصادية والثقافية على أخطر أجزاء العالم الاسلامى ، ولاسيما منطقة قناة السويس الاستراتيجية والقدس التى يتمثل فيها نفوذ الأديان الثلاثة « الاسلام والمسيحية واليهودية » .

ولاريب ان لقيام الدولة اليهودية فى فلسطين تاريخا طويلا استهدف القضاء على الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وتقسيم البلاد العربية بين فرنسا وانجلترا وكان للماسونية دورها الخطير فى تحقيق هذه الخطوات التى أدت الى تمزيق الوحدة الاسلامية ، وقيام الكيانات الاقليمية ، وايجاد روح الصراع بينها وفى داخلها . والواقع أن الصهيونية كانت تحديا جديدا للعالم الاسلامى أصبح مع مرور الايام اشد خطرا من الاستعمار الذى أمكن انهاء احتلاله من اغلب أجزاء العالم الاسلامى . ذلك ان الاحتلال الصهيونى لفلسطين قد اخذ صورة أشد عنفا من الاستعمار نفسه ، فهو استعمار استيطانى من نوع أشد خطورة . ذلك ان الصهيونية لم تكتف بما أطلق عليه وطن قومى لليهود ، ولكنها لم تلبث أن أعلنت عن مخطط واسع لبناء امبراطورية كبرى يجرى العمل لتنفيذها بالتوسع والاحتلال لأراضى الدول العربية المجاورة ، حتى تتحقق مؤامرة « من النيل الى الفرات » وان اسرائيل تعدت حدود التقسيم منذ اليوم الاول وتوسعت أكثر من مرة وضمت القدس والضفة الغربية وصحراء سيناء وهضبة الجولان منذ عام ١٩٦٧

ولعل هذا هو الخطر الذى مازال يواجه العالم الاسلامى على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى .

***

ثالثا : ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية بوادر خطر جديد فى مواجهة وحدة العالم الاسلامى وحريته ومصادر ثروته ، تلك هى محاولات النفوذ الشيوعى فى السيطرة على بعض أجزاء البلاد العربية والاسلامية تحت اسم مؤازرة هذه الشعوب على التحرر من الاستعمار القديم والنفوذ الغربى .

ولقد واجهت بعض البلاد الاسلامية « محاذير » هذه التجربة الشيوعية وتكشف مدى الاخطار التى تعرضت لها وخاصة اندونيسيا ومصر وبعض بلاد القارة الافريقية .

وقد تبين بوضوح خيوط مؤامرة يجرى حياكتها وتديرها القوتان الصهيونية والشيوعية من وراء ستار من أجل السيطرة على مقدرات العالم الاسلامى ، وقد كشفت حوادث كثيرة ووقائع متعددة هذا الخطر وتلك المحاولة . ولقد استطاعت بعض الدول التى أحسنت الظن زمنا بالكلمات البراقة الخادعة ، أن تتخلص بسرعة من النفوذ الشيوعى ، ولاتزال الدول أخرى تحاول ذلك ، وتعكس صورة الصراع فى افريقيا مدى المخاوف الخطيرة التى تواجهها القارة نتيجة تغلغل النفوذ الشيوعى وتزايده فى هذه السنوات الاخيرة من القرن الرابع عشر وخطر انطلاقه الى مواقع الثروة البترولية والمنافذ الاستراتيجية .

***

رابعا : واجه العالم الاسلامى خلال القرن الرابع عشر : مايسمى معركة الاستعمار الثقافى والاقتصادى ، وهى المتمثلة فى البدائل التى أقامها النفوذ الاجنبى بعد انسحابه العسكرى والسياسى الظاهر وتتمثل هذه البدائل فيما يسمى بالغزو الثقافى والتغريب وهى محاولات ترمى الى القضاء على الذاتية العربية الاسلامية وصهرها فى بوتقة الاممية وخلق قوى مؤازرة للنفوذ الاجنبى فى البلاد العربية والاسلامية عن طريق بث الدعوات الهدامة والحركات الوافدة وخاصة البهائية والقاديانية والماسونية وغيرها .

ويحظى عالم الثقافة والتعليم بالدور الاكبر من التحدى ، كذلك فان هذه المحاولات تستهدف اللغة العربية والقرآن وتاريخ الاسلام وقيم الاسلام الاساسية فى محاولات متعددة ومختلفة للحيلولة دون تمكين البلاد الاسلامية من تحرير



إن المسلمين يؤلفون وحدة إقتصادية إلى ما يوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك وطراز مشترك

ارادتها واحكام سيطرتها على مقدراتها والتماس منهج الاصالة فى الحكم والتربية والاجتماع وخاصة مايتعلق بتطبيق الشريعة الاسلامية وأسلوب التربية الاسلامية والتحرر من سيطرة امبراطورية الربا والتخلص من تبعات الانحلال والاباحية التي تتمثل فى ركام فساد الحضارة الغربية فى مرحلة التحلل والانهيار .

***

خامسا : لا تزال الخطوات مستمرة من أجل اعادة توحيد العالم الاسلامي. وقد شهد منتصف القرن الرابع عشر محاولات متعددة ومؤتمرات مختلفة وكان أبرزها المؤتمر الاسلامي فى لاهور والرباط وقد شهدت هذه المؤتمرات تجمعات وخططا تستهدف الى وضع خطط للتكامل الاقتصادي ولمحو الخلافات والفوارق القبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم الاسلامي واحكام الرابطة الاسلامية باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين للهداية والتوحيد والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء الشعوب الاسلامية وادخال عناصر التعليم الاسلامى فى جميع مناهج الدراسة والعمل على دعم اللغة العربية وتعميمها باعتبارها لغة الثقافة والعقيدة وبمثابة اللغة الثانية بعد اللغة القومية .

ولقد كان من بين قرارات هذه المؤتمرات مانص على « ان المسلمين يؤلفون وحدة اقتصادية الى مايوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك وطراز مشترك فأكثر الاقطار الاسلامية مناطق متجاورة وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ، ذلك هو طراز اقتصادياتها ، اذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لاتزال فى مرحلة الزراعة والعامل الهام هو اننا اذا كنا مستقلين نوعا سياسيا الا اننا لا نزال من الناحية الاقتصادية فى قبضة الأمم القوية ولم يستطع بعضنا، حتى بعد الحصول على الاستقلال ، التخلص من العبودية الاقتصادية » .

***

سادسا : كشفت السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر عن تملك العالم الاسلامى لثلاثة عناصر من القوة التى تمكن الأمم من اقتعاد مكانها الحق، وهى الثروة المالية والطاقة والتفوق البشرى .

ولاشك كانت معركة رمضان علامة على طريق جديد للعالم الاسلامى من حيث ان العرب أصبحوا قادرين على مواجهة القوى الغازية باحدث وسائل العلم والتكنولوجيا واصبحوا يمتلكون القدرة على ايجادها واستعمالها وانهم حققوا النصر بها عن طريق مفهوم الاصالة الاسلامى الذى يجمع بين الايمان الروحي والاعداد المادى باعتبار ان هذا هو اسلوب المسلمين على طوال تاريخهم فى مواجهة العدو والمرابطة فى الثغور

هذه نظرة سريعة للماضي ، ويبقى علينا بعد ذلك ان نلقى نظرة على مطالع القرن الجديد ...

حول مذكرات محمد فريد

قصة تثير الجدل

بين المؤرخين والسياسيين أيضاً

● د . محمد أنيس ●

... أخيرا تشجع مركز تاريخ ووثائق مصر المعاصرة فى نشر جزء من مذكرات الزعيم محمد فريد ، وهى التى تتناول الفترة من ١٩٠٤ حتى وفاته فى برلين فى نوفمبر ١٩١٩ وقد عنونها الزعيم الراحل تحت عنوان ((مذكرات بعد الهجرة)) .

وعلى الرغم من انها ليست مذكراته بعد الهجرة على وجه التحديد لانه هاجر عام ١٩١٢ ، الا ان هذه المذكرات تتناول الحقبة مابين ١٩٠٤ الى اكتوبر ١٩١٩ .

وقصة هذه المذكرات معروفة لدينا، ذلك أنه بعد هجرته مع صديقه اسماعيل لبيب فى ١٩١٢ وقبل شعوره بالوفاة مباشرة ، ارسل الى اسماعيل لبيب فى جنيف حيث كان يقيم هناك ، فجاءه صديقه على عجل ، وسلمه الزعيم محمد فريد صندوقا من الأوراق ليسلمها الى ابنه المرحوم عبد الخالق فريد .

ومن سخرية القدر ان اسماعيل لبيب قد مات قبل ان يسلمها الى عبد الخالق فريد ، فقامت زوجة اسماعيل لبيب بتسليم هذه الاوراق الى عبد الخالق فريد .

وتطرح هذه المذكرات قضايا عديدة فى مقدمتها تعريف المذكرات .

وينقسم الراى حول هذا الموضوع فى : ان صاحب المذكرات هو الذى اشترك فى صنع الاحداث وكتبها . هذا راى بعض المؤرخين .

والرأى الاخر : ان المذكرات يكتبها المعاصر للاحداث وليس بالضرورة صانعها ، اى المراقب لها وليس المشترك فيها ..

ويتردد المؤرخون بين هذا الرأى وذاك ، فعلى سبيل المثال : —

كتاب عبد الرحمن الجبرتى المعنون ((عجائب الآثار فى التراجم والأخبار))

هل هذه مذكرات شخصية أم تدخل فى باب المؤلفات التاريخية .

مع ان الجبرتى لم يشترك فى اى حقبة من هذه الحقب فى صنع احداثها ، فقد كان ساخطا الى حد ما على حكم المماليك ، وزاد سخطه على الحكم الفرنسى ، ثم ازداد سخطه بدرجة اكبر على الفترة التى عاشها فى عصر محمد على ...

فى كل هذه الحقب كان الجبرتى مراقبا منفعلا بالاحداث ، موضوعيا على قدر ما يمكن أن يكون عليه الانسان موضوعيا .

ان غالبية المؤرخين يعتبرون ((عجائب الآثار)) بمثابة مذكرات لأن الرجل كان معاصرا لهذه الأحداث وانفعل بها وكتب عنها .

نقول ذلك لان محمد فريد فى كتاباته يتعرض لمثل هذا الجدل ، ذلك لان



محمد فريد : احدثت غيبته في اوربا خصومة بين صفوف الحزب ...

الجبرتى : كان ساخطا على حكم المماليك والفرنسيين والفترة التى عاشها فى عصر محمدعلى

محمد فريد كتب كتابا تحت عنوان ((تاريخ مصر العثمانية منعام ١٨٩١ — ١٨٩٧)) . وقد خرجت هذه الكتابات محققة على يد الدكتور رءوف عباس — الاستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة .

خلال هذه الكتابات لم يكن محمد فريد مشاركا للاحداث وانما كان مراقبا لها منفعلا بها — وكان محمد فريد فى سلك القضاء فى ذلك الوقت .

ونشرها الدكتور / رءوف عباس تحت اسم مذكرات محمد فريد فى العام الماضى ، وثار الجدل حول هل هذه مذكرات ام لا ، لأن محمد فريد لم يشترك فى صنع الأحداث بل كان مراقبا لها ومنفعلا بها .

ويصر بعض المؤرخين على أن هذه مذكرات وإن كانت تأتى فى الأهمية من ناحية مذكرات الرجل السياسى الذى شارك فى صنع الأحداث .

ويبدو أن هذه القضية تحتاج الى مزيد من البحث والمناقشة بين المؤرخين حتى يصلوا الى رأى موحد .

القضية الثانية التى تلفت النظر فى ((مذكرات بعد الهجرة عام ١٩٠٤ — ١٩١٩)) ، هى .. تقييم الدور الوطنى الذى لعبه محمد فريد ..

هل كان بقاء محمد فريد فى مصر يكافح ويتعرض للاضطهاد أفضل ، أم كان أفضل للحركة الوطنية كلها أن يسافر الى الخارج للدعاية للقضية المصرية ؟

١ — أصحاب الراى الاول يصرون على أن خروج محمد فريد كان خطأ ، ويسمون هذه القضية ((الكفاح على طريقة محمد فريد)) أى الكفاح الخارجى .

٢ — أما أصحاب الرأى الثانى فيرون : انه لم يكن فى امكان محمد فريد تحت وطأة الاستعمار البريطانى الصارمة أن يتحرك فى مجال نشاطه .

ومرة أخرى تظل هذه المشكلة موضع خلاف بين المؤرخين والسياسيين ... معا .

وقد يكون أصحاب الرأى الثانى اكثر صوابا ، لأنه يلاحظ أن محمد فريد حينما قامت ثورة ١٩١٩ دهش بها دهشة كبيرة ، ولم يكن يتوقعها ، ولعل هذه الدهشة ترجع الى غيابه عن الساحة السياسية المصرية نفسها ، ثم ان غيبة محمد فريد فى أوربا قد أحدثت خصومة عنيفة وانقسامات بين صفوف الحزب الوطنى .

فكان هناك الجناح الرئيسى وهو جناح القيادة الذى يتزعمه محمد فريد .

ثم كان هناك جناح آخر وهو الذى



حول مذكرات محمد فريد

يتزعمه عبد العزيز جاويش ، ثم جناح ثالث يميل الى الطاعة والولاء بشكل كامل الى الخديو عباس حلمى الثانى ويمثله تشريفاتى الخديو عباس المعروف بيوسف الصديق وهو ابن « صديق المفتش » الذى قيل عنه انه قتل فى عهد الخديو اسماعيل .

كما يمثله ايضا على فهمى كامل شقيق « مصطفى كامل » .

ومثل هذه القضية مثار جدل بين المؤرخين والسياسيين ايضا .

والبعد الثالث الذى تثيره هذه المذكرات ان محمد فريد المولع بكتابة التاريخ قد كتب تاريخ مصر فى الفترة ما بين عام ١٨٩١ – ١٨٩٧ ، ومذكرات سياسية فى الفترة ما بين عام ١٩٠٤ – ١٩١٩ .

ولكن الفترة ما بين عام ١٨٩٧ – ١٩٠٤ يحوطها الغموض التام بالنسبة الى محمد فريد ، فهو لم يكتب عنها ، ولم ينشر شىء منسوب اليه من هذه الفترة ، فهل سقطت هذه الفترة من هويته التاريخية وضاعت من أوراقه الخاصة ، أم أن انشغاله بالعمل الوطنى لم يترك له مجالا للكتابة فيها ، أم انها ما زالت محبوسة بين ورثة الزعيم الراحل .

كل هذه اسئلة تستوقف النظر لمن يتفحص تاريخ مصر بشكل عام فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وبالذات الحركة الوطنية ... وعلى وجه التحديد دور محمد فريد فى الحركة الوطنية أو كتاباته عن الحركة الوطنية .

غير أن الاستاذ الكبير المرحوم عبد الرحمن الرافعى الذى كان تلميذا لمحمد فريد كتب فى كتابه عن محمد فريد ... ان محمد فريد قد اضطر الى اتلاف أو احراق الكثير من أوراقه بعد مقتل بطرس غالى – على يد ابراهيم الوردانى .

وكان ابراهيم الوردانى عضوا سريا فى الحزب الوطنى وعلى صلة وثيقة بمحمد فريد .

وثمة بعد آخر تثيره هذه المذكرات وهو :

تشكك محمد فريد فى كافة الشخصيات التى تعرض لها .

وقد يكون هذا التشكك راجعا الى حذر ذاتى من طبائع الزعيم محمد فريد ، أو يكون له ما يبرره من ملاحقة الانجليز لنشاطه فى الخارج ، خصوصا وانه كان يعمل فى سلك القضاء والنيابة قبل أن يستقيل منها فى مصر .

ولكن يبدو الأمر هنا غير مقنع كثيرا على الرغم من كل هذه الاحتمالات اذا ذكرنا مثلا :

ان الطبيب الذى فحص محمد فريد « وكان مصابا بداء الكبد » قد نصحه بالعودة الى بلاده الدافئة .

فيقول عنه محمد فريد : ان هذا الطبيب كان جاسوسا للانجليز عليه ..

والأمر يبدو أغرب حين يتعرض محمد فريد فى مذكراته هذه الى مدام دى روشبرن الفرنسية التى كانت قرينته والتى انجب منها طفلا ما زال يعيش فى باريس باسم ريشار – ويملك محلا صغيرا فى حى نوتردام ، ليس بعيدا عن منزل والدته ، يفرق بينهما فقط نهر السين .

وقد قدر لى ان اقوم ، بصحبة الدكتور حسين فوزى، بزيارة هذه السيدة فى باريس مرتين ، وزيارة ابنه مرة واحدة فى عام ١٩٧٥ ، وكان هدفى هو الحصول على مذكرات تكون قد كتبتها هى او رسائل من الزعيم محمد فريد لها .

وقد استطعت بالفعل الحصول على هذه المذكرات وهى فى طريقها الى النشر باللغة العربية ، وتاتى اهمية مذكرات هذه السيدة فى انها تضع الكثير من خطابات محمد فريد فى مذكراتها .

ومع ذلك ... فليست هذه المذكرات سواء الخاصة بمحمد فريد والتى تم نشرها بالفعل .. او مذكرات مدام دى روشبرن كافية تماما لاعطاء صورة كاملة عن محمد فريد .

ذلك لأن خطابات محمد فريد التى أرسلها الى عدد من السياسيين الغربيين أو العرب والرسائل التى وردت اليه من هؤلاء تشكل من وجهة نظرى الحجر الأساسى لصورة محمد فريد المتكاملة .

***

ولاشك أن هناك أفكارا كثيرة يطرحها محمد فريد فى « مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ - ١٩١٩ » اذ مما لا شك فيه أن محمد فريد كان شديد الاعجاب بحركة الاتحاد والترقي ووثيق الصلة أيضا بزعماء هذه الحركة ، وهى الحركة التى أطاحت كما نعلم بالسلطان عبد الحميد فى ١٩٠٨ .



عمر سلطان

والطريف ان محمد فريد يذكر فى هذه المذكرات انه زار الآستانة فى ١٢ من أبريل من عام ١٩٠٨ لاول مرة فى حياته :

« وفى صبيحة ١٣ منه حصلت الحركة الارتجاعية المشهورة التى انتهت بعزل عبدالحميد بقوة حزب الاتحاد والترقى وهمة البطل محمود شوكت باشا .

« ومن غريب المصادفات أنها حصلت صبيحة وصولى ، فأخذت أرسل الأخبار تلغرافيا للواء فى اليوم مرتين أو ثلاثة ، وكانت أخبارى أصدق اخبار الجرائد لانى كنت أستقيها من



طلعت حرب

أصدق المصادر حتى قال بعضهم انى كنت على علم بما سيحصل هناك ، ولذلك سافرت فجأة .

« والحقيقة أن سفرى كان لتوثيق الروابط بين حزبنا وبين رجال حزب الاتحاد .

« ولقد حضرت صلاة الجمعة مع السلطان عبد الحميد بجامع حميدية قبيل عزله ، وحضرت الصلاة فى أول يوم جمعة عقب تولية محمد رشاد الخامس بجامع آيا صوفيا ، ونشرت كل ما رأيته مفصلا فى مقالاتى التى نشرها اللواء حينئذ » .

***

غير أننى اعتقد أن من أطرف ما جاء فى هذه المذكرات موضوع هجرته الى الخارج ، اذ يذكر ان هجرته الى الخارج حدثت بعد ان اقفلت صحيفة اللواء نهائيا فى سبتمبر أو اكتوبر عام ١٩١٢ .

ويذكر « وكان لعمر سلطان ووكيله حرب « أى طلعت حرب » وعلى فهمى ورجاله الفضل الأكبر فى ذلك » .

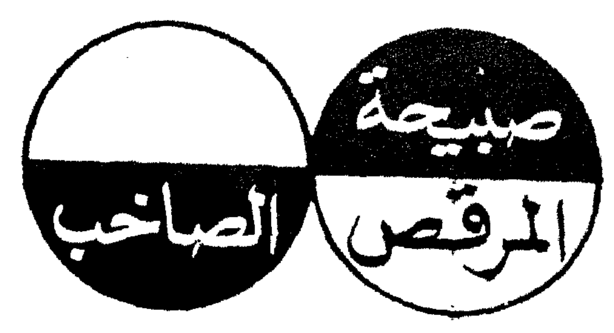
كما يذكر انه اضطر الى ان يخفف حدة خطابه السنوى فى الجمعية العامة للحزب الوطنى يوم الجمعة ٢٢ من مارس عام ١٩١٢ .

ويحدد انه منذ ذلك اليوم بدأ تفكيره فى الهجرة فيقول :

● البقية العدد القادم ●

● د. محمد انيس ●





● ادوارد حنا سعد ●

خرَجتُ والفجرُ سِـرٌّ عن كَتْمه ضَـاقَ صدر
عن ساحَة الرّقص نَمضى والخطو عسِر ويَسْر
دهَا عيُـون فتَـاتى فى ردهَـة الدارِ ذعْرُ
ضَاعَ السِّـوار .. فهَل لى عَن الرجُـوعِ مَفَرّ ؟

***

رجعتُ أطْـوى الطريق والذّكريات رفيـق
نَشْوى تبعثَر حَـولى أصْداء لحن رقيـق
وسِحر غيد سُكَارى من حسنِها .. لا تفيـق
والبِشر فى الكأسِ طاف والشّجو فيهـا غَريق !

***

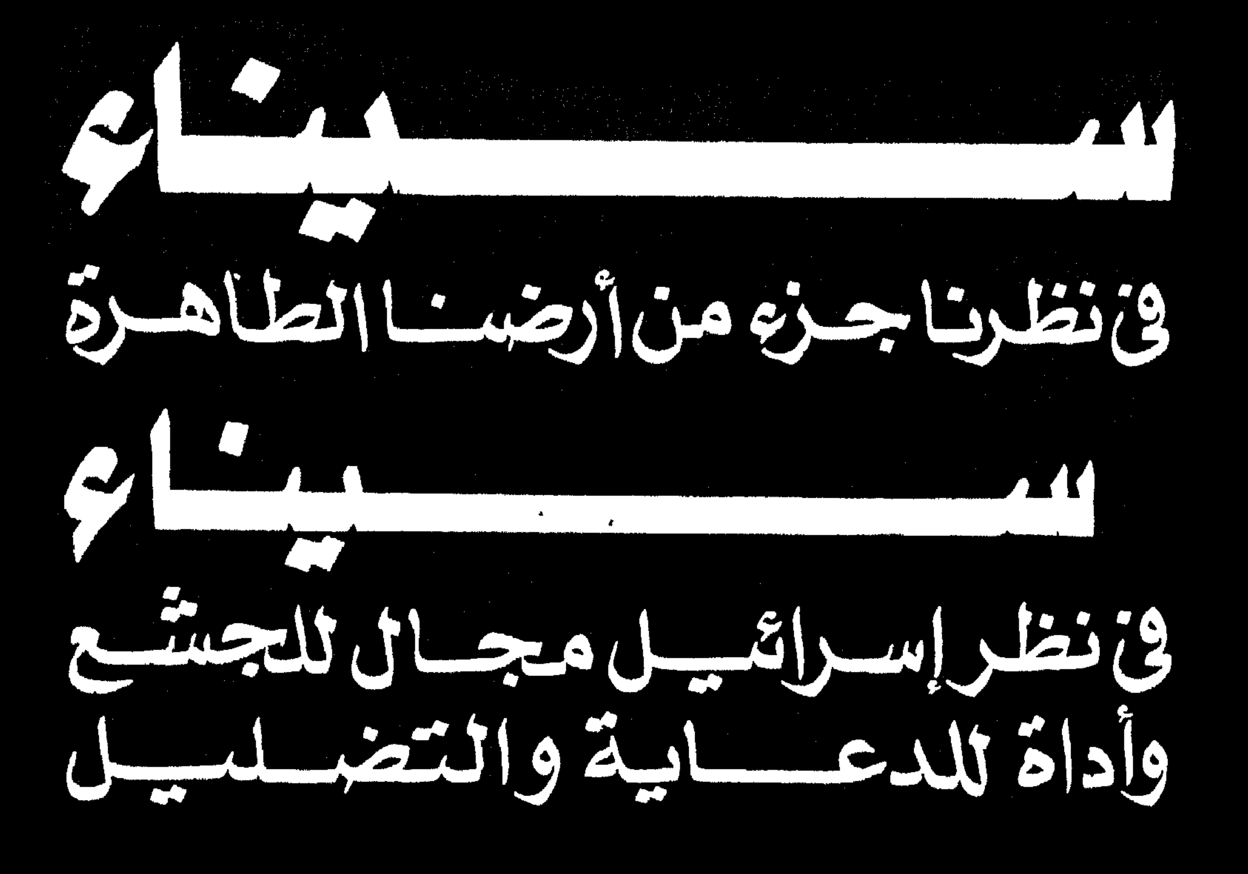
بلغتُ بابَ السـرورْ فانجَـابَ عن مهجـور
ومظلم كنتُ فيـهِ من سَـاعة ... وهو نورْ
وصامت كان دُنيـا من الدوىّ المثـيرْ
فى ضَجّة الرّقصِ ماجت وفى دبيبِ الفتـورْ !

***

وراءَ كَـوم الحشَـايا والمنضَـدات العَـرايا
حطَام كأس ... وزهْـر ممزّق فى الـزّوايا
والخَمرُ والنّقـل صَارا ثمَـالة وبقَـايا ! ...
أشَحْتُ أهـربُ منها فحَاصـرتْنى المَرايا !

***

ما أكـذبَ العنـوان فى قِصّـة الانسانْ
تذوي الثّمار .. وتَنْمو تفّـاحَة الحرمان !
والدهرُ فى النـاسِ يبنى والفأسُ فى الجـدران
ولا يَزال الزّمـان بالكرّ .. حرْب المَكان !



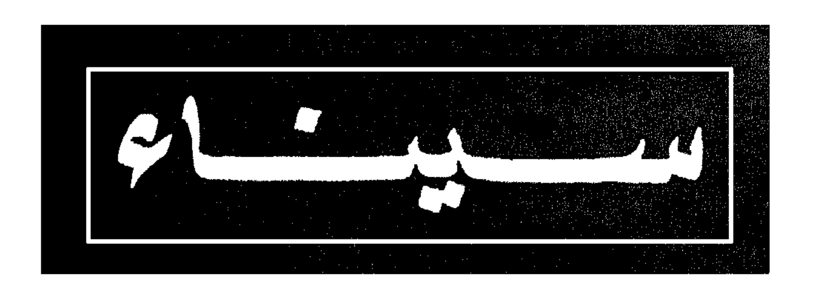
سيناء

فى نظرنا جزء من أرضنا الطاهرة

سيناء

فى نظر إسرائيل مجال للجشع وأداة للدعاية والتضليل

على قمة ذلك الجبل ، وهو جبل الطور ، كلم الله موسى تكليما ... والجبل فى جنوبى سيناء ، يرى منه البحر الاحمر من بعيد ، وفى قصة حديث الخالق سبحانه مع موسى يقال انه وهو يكلم الله سبحانه وتعالى طلعت الشمس ، ورأى نخلات وأشجارا من بعيد ، وسمع صوتا يقول له : تلك هى الارض المباركة .



مثال من الفكر الاسرائيلي الضال وأساليب هؤلاء القوم في خداع الدنيا والناس .. ولكن اقدام الكذب قصيرة، والقناع قد سقط ، وبدت للناس اسرائيل كما نعرفها نحن وكما ينبغي ان يعرفها كل الناس ..

● اكبر ما حدث خلال العام المنقضى بالنسبة لصراعنا مع اسرائيل ان قناعها سقط وانكشفت للناس على حقيقتها .

لقد كان خداع الناس وستر حقيقتها عنصرا من اكبر عناصر قوتها !
كانت تكذب ويصدقها الناس ..
وكنا نقول لهم انها تكذب فلا يصدقوننا .

كنا نقول لهم ان كل ما في اسرائيل خداع . كل كلمة يقولها رجالها كذب، كل ما تذيعه عن نفسها قائم على تضليل . كنا نحن وحدنا نقول ذلك . الآن تقوله معنا كل الدنيا . حتى اكبر أصدقاء اسرائيل في الولايات المتحدة أصبحوا الآن يشكون في ذلك الوهم الطويل الذى عاشوا فيه وكلفوا بلادهم الوف الملايين في سبيله : وهم اسرائيل المظلومة ، الضعيفة ، المهددة ، التى تقوم وسط وحوش وهمج لا يفكرون الا في الانقضاض عليها وافتراسها .. وهم اسرائيل البلد المتحضر وسط بلاد العرب غير المتحضرة ..!

اسرائيل التى ستجلب الحضارة والعلم والاستقرار في المنطقة ..
اسرائيل التى لا تريد الا أن تعيش مع جيرانها في سلام لتستطيع أن تعينهم على التقدم والتحضر والسير الى الامام ..
لا أحد في الدنيا يصدق ذلك الآن..
والذى قلناه وكررناه وكذبونا فيه يقولونه هم الآن ..

واقدام الكذب قصيرة كما يقولون..
تستطيع ان تكذب مرة ومرتين ، وعاما وعامين وعشرين ، ولكن الناس في النهاية سيعرفون ، والحقائق لابد ان تنكشف للناس .

وفي خطاب صغير من خطابات القراء الى مجلة « در شبيجل » — « المرآة» الألمانية كتب قارىء يقول بمناسبة قرار لجنة جائزة نوبل تقسيم الجائزة **بين رجل السلام الحق انور السادات، وبيجين صاحب مذبحة دير ياسين، قالت سيدة من شتوتجارت : منذ الآن لن اثق بقرارات لجنة نوبل ابدا . اذا كان هناك انسان واحد استحق — على طول تاريخ جائزة نوبل — ان ينالها عن السلام فهو انور السادات ، فكيف يعطونه نصفها فقط ؟.**

***

وفي هذه الصفحات نعرض مثالا من تضليل اسرائيل للرأى العام العالمى .
موضوع التضليل هذه المرة هو سيناء

تلك القطعة العـــزيزة من أرض مصر وأرض العرب التى احتلها الاسرائيليون اثناء حرب يونيو الاسود سنة ١٩٦٧ .. لقد حسبوا يومها أن سيناء ستظل فى أيديهم الى الأبد .

وكانوا يعرفون من البداية انهم لــن يستطيعوا أن يعملوا فى سيناء أكثر من احتلالها استعدادا لوثبـــة اخرى على ارض العــــرب ، لأن تعمير ســــيناء واستخراج كنوز ســــيناء يحتاج الى الوف كثيرة جدا من ملايين الدولارات والى الوف كثيرة جدا من الناس ..

وعنـــدما ذهب الاسرائيليـــون الى الولايات المتحدة يطلبون اليها معاونتهم بألوف الملايين من الدولارات لتعمـــير سيناء لم تستطع حكومة جونسون أن تقدم لهمالا جزءا ضئيلامما طلبوه على الرغم مما نعرف من ان جونســـون كان قلبا وروحا مع اسرائيل ..

ولكن لكل شيء حدودا ..

ومع ميل جونســـون ودين راســك لاسرائيل الا انهما لاحظا ان الملايين التى اخذتها للتعمير استعملتها للتســـليح . انفقتها فى بناء خط بارليف . وبعد أن فرغت من بناء سد « يأجوج ومأجوج » ــ هذا كما تصورت ــ ذهبت مرة أخرى الى الحكومة الامريكية تقول انها الان حصنت سيناء ، ولن يستطيع الشيطان أن يقتحم عليهم سيناء ، وقد جاء دور التعمير ...

وكان جونسون قد خرج من البيت الأبيض وحل محله نيكسون والى جانبه هنرى كيسنجر ..

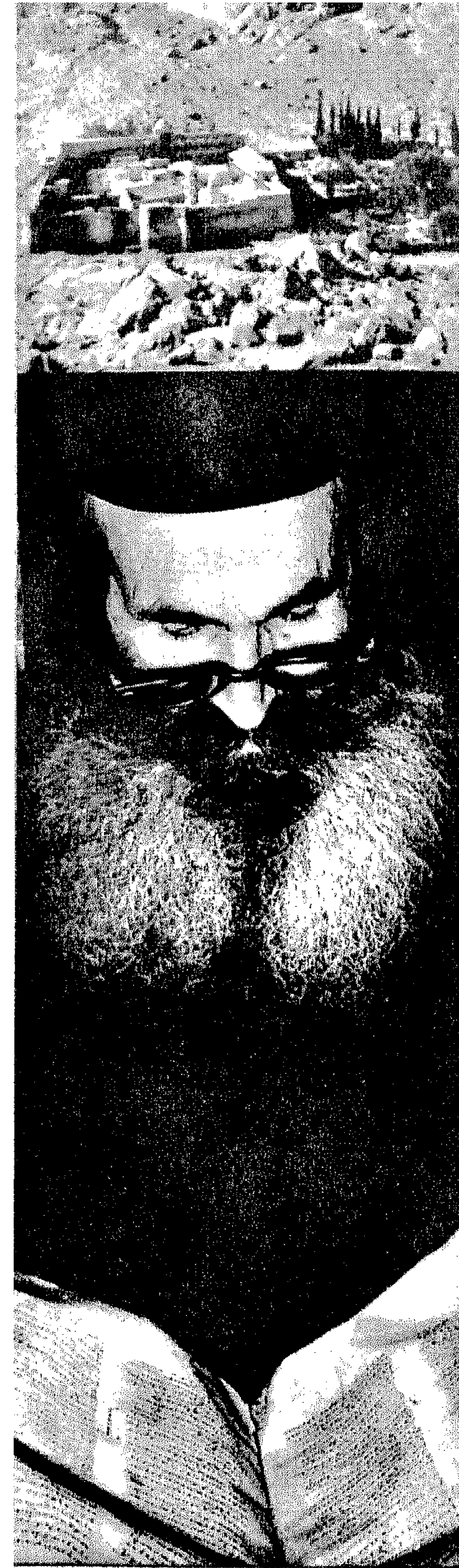
واتفق الاثنان على ضرورة التريث فى هذا الموضوع .

وانطلق رجـــال اســـرائيل يعملون ويرتبون لكى يرغموا الولايات المتحـــدة على التسليم بما يريدون .

***

كانت وسيلتهم عمل حمـــلة اعلامية عالمية تقول انهم عمروا سيناء وعملوا فيها المعجزات ..

وكما هى العـــادة كان ما يكتبونـــه



فى الصورة العليا .. فى واد وسط جبال سيناء يقوم دير سانت كاترين المشهور ، وترى مبانيه وقبة كنيسته . وفى الســـفلى .. راهب مصرى من رهبان الدير يقرأ فى الانجيل .



سيناء

فى الصفحة اليمنى مجموعة من الصور يرى فيها .. شجرة برتقال يزعم الاسرائيليون أنهم زرعوا منها ملايين فى سيناء ، وهم يستخدمون مثل هذه الصور للدعاية

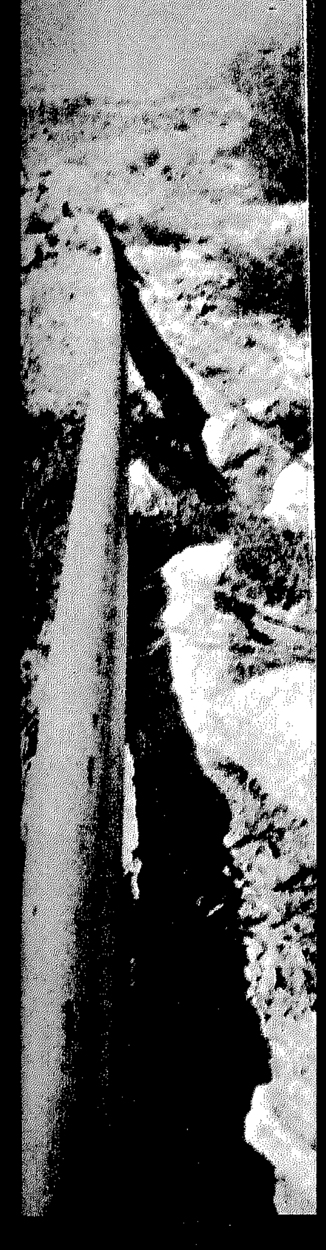
ولمثل هذا الغرض يلتقطون صورة حقل من حقول الطماطم ، ويزعمون انهم ادخلوا زراعتها الى سيناء مع اننا من عشرات السنين نزرع الطماطم فى شبه الجزيرة العزيزة دون دعاية ودون كلام كثير ..

وفى الليل يغطون اشجار الطماطم باغطية من البلاستيك لحمايتها من البرد القارس ، وهو امر معروف لنا من زمن كما يزعم الاسرائيليون انهم يستخرجون من ارض سيناء مقادير هائلة من الماء ، وهذه الصورة تكذب مزاعمهم ، فهى لانبوب يجلب الماء من نهر الاردن الى مزارعهم المزعومة . وصورة بئر تقليدية من آبار سيناء وعمرها الوف السنين وترى فيها التركيبة التى يقيمونها فوق فوهة البئر لانزال الدلو ، واستخراج المياه ..











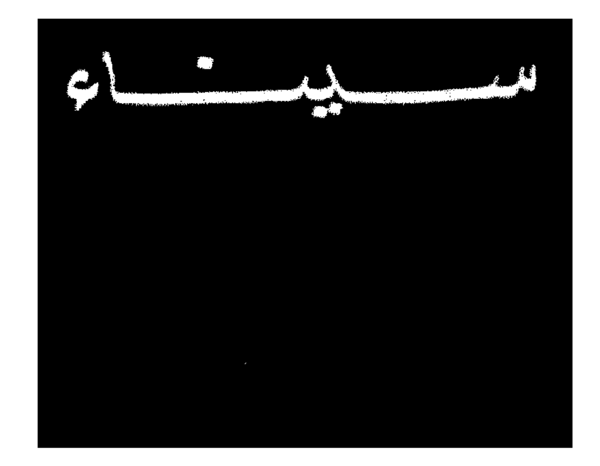






بدأت الحكومة المصرية تهتم بالاسرة والمراة الجديدة فى سيناء ، وارسلت المشرفات الاجتماعيات للتعليم والتوجيه .. وهذه مجموعة من الصور ، فيها نظرة تفاؤل لواحدة من بنات سيناء ، وطفل يترقب المستقبل السعيد ، وفى الثالثة مشرفة اجتماعية تقوم بتعليم فتيات من سيناء الخياطة والتطريز .

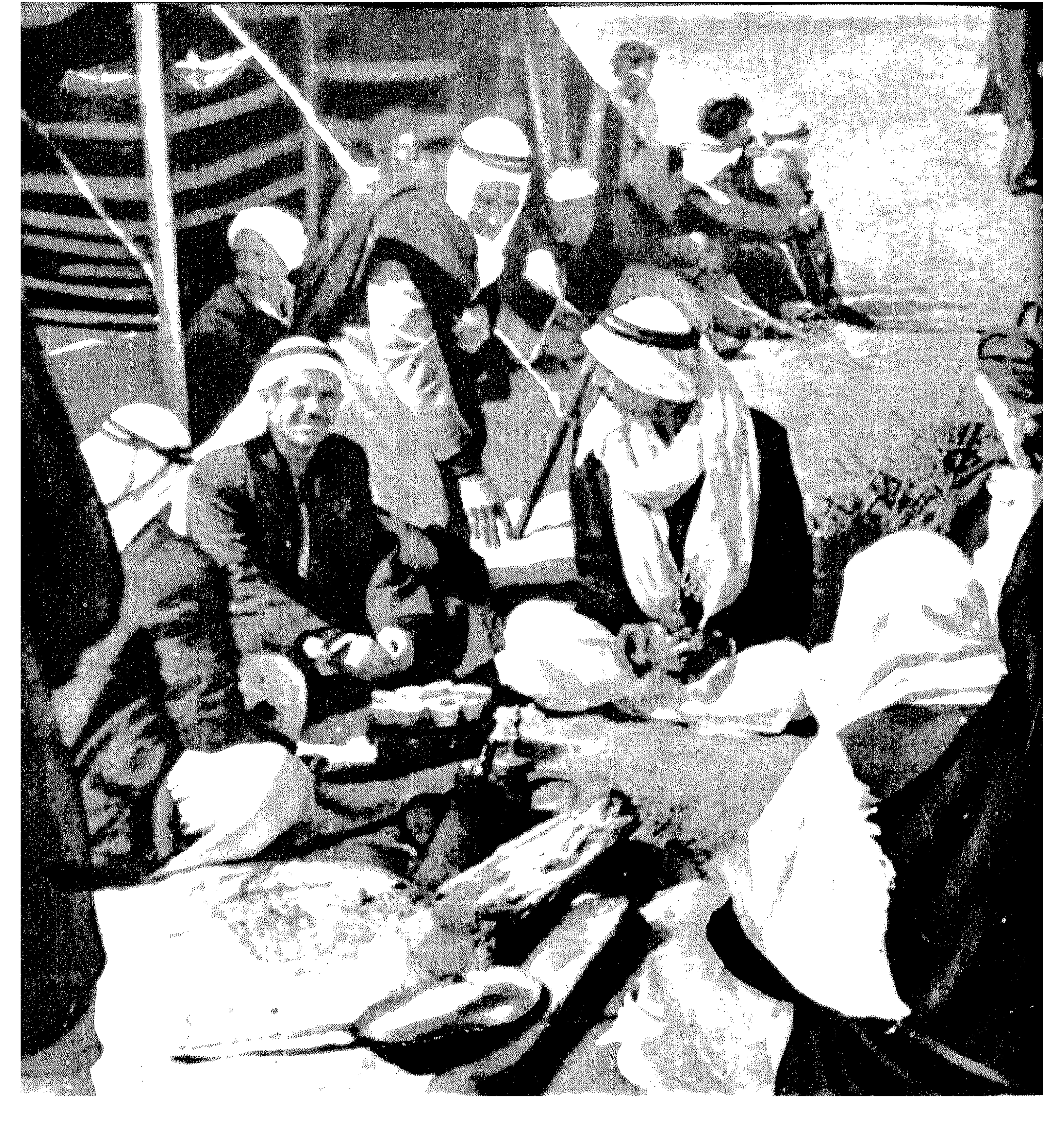




لا يقوم على حقيقة ، لان الهدف من ورائه كان الايهام ، وبالايهام يحصلون على المال ..

قالوا انهم حولوا شرم الشيخ الى مدينة سياحية عالمية ، وانشأوا فندقا و « موتيل » و « سوبر ماركت » و « كورنيش » صغيرا على البحر ..

واشتغلت الدعاية فى العالم كله تقول ان الاسرائيليين عملوا فى سنوات ثلاث

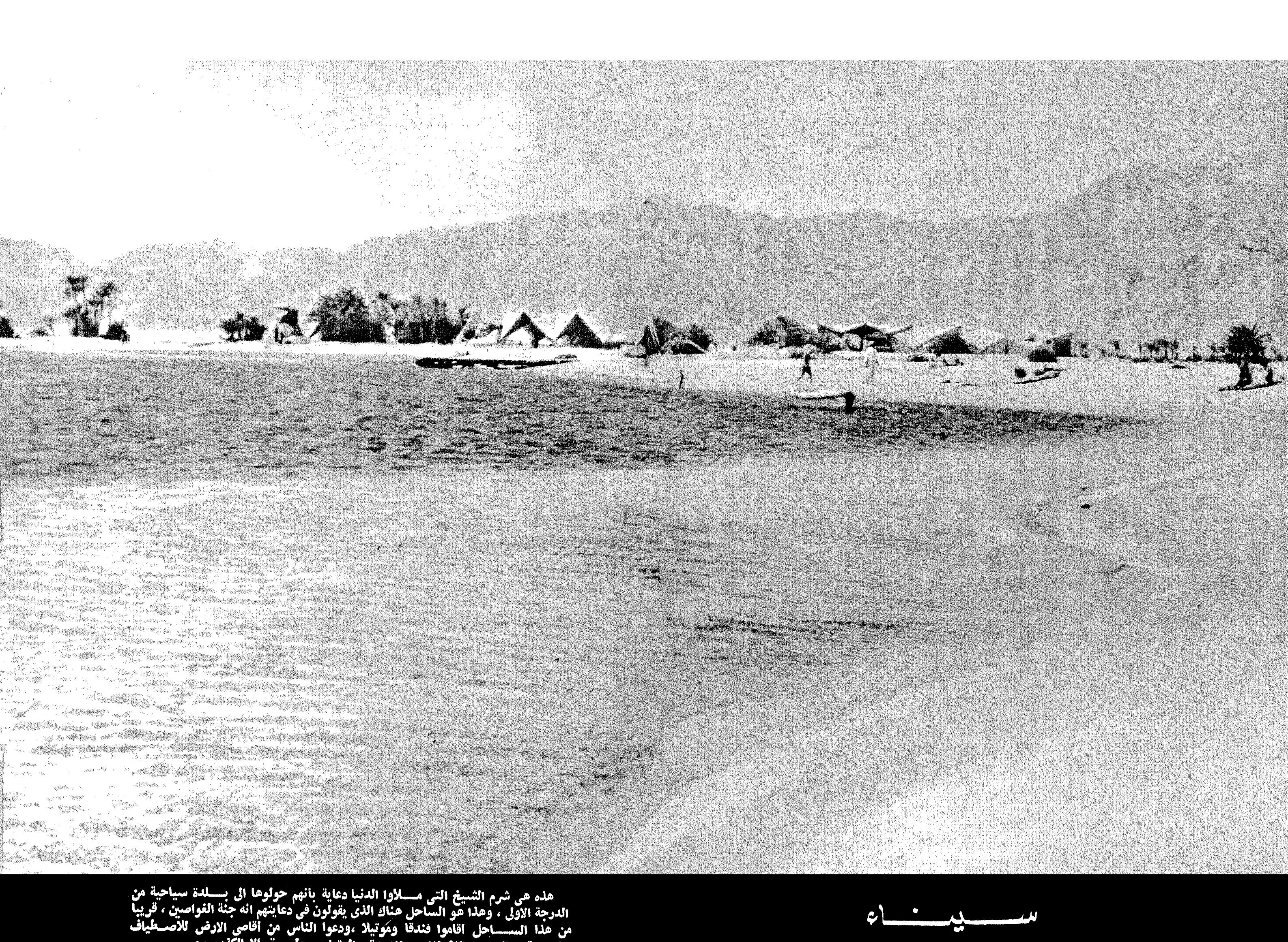


مالم يعمله العرب فى ثلاثة آلاف سنة!. انشاوا مدينة ومصيفا وطريقا على شاطىء خليج العقبة يؤدى الى شرم الشيخ .

وادرجت شرم الشيخ فى نشرات الدعاية السياحية العالمية ، وانخدع الكثيرون وذهبوا الى آخر الدنيا ليجدوا فندقا و ((موتيل)) وبعض البارات و ((سوبر ماركت)) ثم ماء البحر الأحمر ..

والذين ذهبوا الى شرم الشيخ مرة لم يذهبوا اليها الثانية ..

لكن الدعاية العالمية استمرت ، بل جرؤ الاسرائيليون على الدعوة الى عقد مؤتمر السياحة العالمى فى شرم الشيخ، وتبرع بالتكاليف الصهيونى البارون ادمون روتشيلد .. وانفق يومها ملايين الفرنكات ، واشترى اراضى واسعة عند شرم الشيخ على أمل أن يبيعها يوما من الأيام بأضعاف ثمنها ..



سيناء

هذه هى شرم الشيخ التى مـلاوا الدنيا دعاية بأنهم حولوها الى بـلدة سياحية من الدرجة الاولى ، وهذا هو الساحل هناك الذى يقولون فى دعايتهم انه جنة الغواصين ، قريبا من هذا السـاحل اقاموا فندقا وموتيلا ،ودعوا الناس من أقاصى الارض للاصطياف والتشتية هناك ·· الان أفلس الفنـدق والموتيل ، ولم يبق الا الكذب ··

ســـيـنـــاء

ولكن اكذوبة المدينة العالمية فى شرم الشيخ لم تلبث ان انكشفت والذين اشتروا الأراضى هناك اخذوا يبيعونها ويعودون من حيث اتوا . وكان يهودى فرنسى من أهل نيس قد باع بارا كان يملكه وهاجر بأمواله الى شرم الشيخ، وهناك فتح بارا واخذ ينتظر الايراد العظيم .. وبعد خمس سنوات عاد الى فرنسا ليعمل « جرسون » فى نفس البار الذى باعه .. !

ووقفت أكذوبة شرم الشيخ .

والفندق الذى هناك استعملوا معظم ادواره مصحا لمرضى الصدر ..

والذين يذهبون للاصطياف هناك هم الذين يبحثون عن المصيف الرخيص، وهم يأخذون الى هناك جماعات العمال وطلبة المدارس .

ومازالوا يتبجحون

وفى ادلة السياحة العالمية ما زالت شرم الشيخ تدرج على انها من اجمل مصايف الدنيا ، ولا ندرى من هو المجنون الذى يترك شواطىء البحر الأبيض لكى يذهب الى ذلك الوكر الممل الذى انشاوه فى شرم الشيخ .

***

ثم التفتوا الى المستوطنات ..

ونحب أن نقول هنا ان هذه المستوطنات التى ينشئونها فى الاراضى العربية انما هى مؤسسات عسكرية وسياسية وليست عمرانية بحال ..

وفى سيناء بالذات دلت التجارب على الا مستقبل حضارى لها على الاطلاق . فمن الواضح ان مصر لن تسكت قط على شبر مسروق من ارضها ، وطال الزمن أو قصر ستعود سيناء الى مصر

والاسرائيليون يعرفون ذلك .

ولكنهم يخدعون على عادتهم ويضللون .

يذهبون بعيدا على الشاطىء عند بحيرة البردويل لينشئوا مستوطنة .

ولماذا هذا العمق كله فى الأرض المصرية ؟

لكى يساوموا عليها فيما بعد ..

وقد قرأت الكثير جدا مما كتبه الاسرائيليون انفسهم عن المستوطنات ورأيت مرة فى لندن فيلما كاملا عنها .

المستوطنة الواحدة تتكلف مبالغ لا تصدق ...

فان الماء يوصل اليها فى معظم الاحيان بتكاليف باهظة ...

فهم يريدون أن يزرعوا أشياء تبهر الأذهان وتستوقف النظر . بدلا من ان يزرعوا بطاطس مثلا يزرعون زهور الداليا أو الكريزنتيم ، لان الذى يقرأ الاخبار ويرى الصور والافلام الملونة يقول : يا سلام !. حتى الزهور زرعوها واخرجوها بهذا الجمال ؟ لابد أنهم فرغوا من زرع القمح والذرة والبطاطس حتى التفتوا الآن الى الكماليات ..

ومن المعروف أن زهور الداليا والكريزنتيم تستهلك ماء كثيرا جدا ، وأى رجل خبير بزراعة الزهور يعرف ذلك ، فاذا رأى صورة بالألوان لزهور الداليا التى انتجتها مستوطنة فى سيناء يقول : لابد أن هؤلاء الناس لديهم مقادير هائلة من المياه ..

ويقول الاسرائيليون فى دعايتهم : تصور أن العرب عاشوا هنا الاف السنين دون أن يعرفوا كيف يستخرجون لتر ماء ونحن الان نخرج مياها تكفى لزراعة الاف الفدادين !.. هذه المستوطنة التى ترى فى الصورة صفا من منازلها ستصبح بعد قليل مدينة

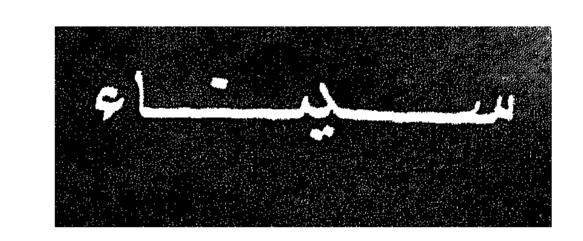


بدوى مصرى من أهل سيناء على قمة جبل الطور ،
حيث كلم الله نبيه موسى عليه السلام تكليما ..



سيناء

الطريق الرئيسى فى سيناء .. فى صباح السادس من اكتوبر ١٩٧٣ اقبل اليهود ليتخذوا مواقعهم على ضفة القناة ، وبعد الظهر أتى المصريون وأزالوهم من على ضفة القناة .



كبرى تتسع لمائة الف نسمة ، وقد وجدنا مقادير هائلة من الماء وكنوزا من المعادن ...

اما الحقيقة فهي ان هذا الماء آت في انابيب من نهر الاردن ، والانابيب مصممة على هيئة في غاية الدقة لكي يصل الماء الى جذر النبات مباشرة ، وهذا يتكلف اموالا طائلة ، اي ان كل زهرة داليا او كريزنتيم تظهر في الصورة تتكلف مئات الدولارات . ولكن خداع الاسرائيليين يذهب الى حد عرضها في محلات بيع الزهور في اكبر شوارع باريس وبيعها بثمن لا يصدق حتى يظن الناس انهم ينتجون منها مقادير ضخمة جدا ...

وقد اكتشفوا ذات مرة ان هذه الزهور ترسل من تل ابيب الى نابولي في ايطاليا وهناك تضاف اليها مقادير اخرى مزروعة في ايطاليا ، ثم ترسل الشحنة كلها الى لندن وباريس على انها كلها مزروعة في اسرائيل .

***

لقد تعاقدت شركة زراعية اسرائيلية ذات مرة مع مستورد هولندي للخضر والفواكه على توريد كميات من الطماطم والبرتقال والليمون .

وارسلت اليه بالفعل الكميات المطلوبة في المواعيد المحددة . ثم تبين بعد ذلك ان معظم هذه الكميات واردة من مزارع رجل يهودي فرنسي يعمل في قرسقه ويضع على كل برتقالة خاتم : مستورد من اسرائيل وكذلك على كل صندوق ، والسفينة تخرج من يافا وتمر على قرسقه وتحمل هذه البضاعة كلها الى مرسيليا حيث توزع في نواحي فرنسا كلها . ويتعجب الناس من ذلك البلد الصغير الذي يملأ الأرض انتاجا ، حتى جرؤ صحفي اسرائيلي ذات مرة وكتب يقول ان اعظم شعب منتج في الدنيا هو شعب اسرائيل . انه اكثر انتاجا من اليابان بالنسبة لحجمه وعدد سكانه ، ثم ختم مقاله قائلا : ولكن اسرائيل مظلومة لا تستطيع ان تؤدي دورها كما تريد ، لان من حولها اولئك العرب الذين يهددون هذا العمل الحضاري الضخم كله بالزوال ، ومن واجب الدنيا كلها ان تقف الى جانب هذه الأمة البطلة الشجاعة وتحميها .. تحمي الحضارة !

وفي الاستطلاع الملون الذي تراه على هذه الصفحات ترى الصورة التي يعرضون بها عرب سيناء المصريين . تصور .. أنهم يقولون انهم بذلوا أقصى ما يستطيعون لتحويلهم الى حضر مستقرين ، ولكنهم — اي العرب — لا يريدون ! انهم ، في رأي كاتب المقال لا يريدون الرقي ويرفضون التطور ، وكل ما استطاع رجال اسرائيل ان يفعلوه هو نقلهم من الخيام الى مدن الصفيح ! ..

***

اكاذيب واضاليل . هذا هو عالم اسرائيل . وكل شيء عندهم يستعمل للاساءة الى العرب وخداع الناس .

حتى ارض سيناء الطاهرة يستعملونها للدعاية لانفسهم ، وكان ينبغي أن تكون أبعد الموضوعات عن الدعاية ، حتى ارض جبل الطور حيث كلم الله سبحانه سيدنا موسى تكليما .

ولكن لا فائدة .

كانوا يحلمون بأن سيناء اصبحت لهم الى الأبد .

ثم جاءت حرب اكتوبر ، وعلى رمال سيناء صوحت آمال اسرائيل .

وخط بارليف العتيد اصبح مفخرة



هذه الصورة تنطق بتعاسة البدو المصريين الذين يعيشون فى سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلى ، وهى تكذب كل دعاية اسرائيل واكاذيبها . انها لمصرية بدوية الى جانب كوخ من الصفيح هو كل ما تملك فى الحياة ، وهذا هو ما تعطيه اسرائيل للبدو الذين تزعم انها أتت لترتفع بمستواهم .

للجندى المصرى ووكسة لاسرائيل
ثم جاءت المبادرة وفتحت الدنيا كلها عيونها .

ورأى الناس اسرائيل على حقيقتها

ولن ينخدع الناس فيها بعد ذلك أبدا ...

واقول لاخوانى العرب أجمعين .
هونوا عليكم : سيناء ستعود بل عادت والضفة الغربية ستعود وغزة ستعود والقدس العربية ستعود ..

وكل ما نرجوكم فيه شيء واحد : لا تكونوا من الذين لا يعملون ويسوءهم أن يعمل الناس ...

تقدموا فلا خوف عليكم باذن الله .
ضعوا أيديكم فى أيدينا ولنسر صفا واحدا ..
ويومها ستعود اليكم كل ارضكم ، كل ارضكم ، شبرا بشبر ...
ويد الله مع الجماعة !

● د. حسين مؤنس ●



سيناء

مثال من امثلة استخدام اليهود لسيناء كعنصر من عناصر الدعاية المضللة : مزرعة طماطم صغيرة لا يزيد حجمها على نصف فدان ، مغطاة بالزجاج ، والماء ياتيها من نهر الاردن ، ثم يقولون انهم حولوا سيناء كلها الى جنة خضراء ، ويزعمون انهم وحدهم حققوا المعجزة · وزيادة فى التضليل يأتون ببدوية ويقولون انهم حولوا البدو الى زراع ·

تلك الخطى

● محمود العتريس ●



إذْهَبي عَنّي ... رعَاكِ الله أيّــان ذهبْـتِ
عَلّني أبرأُ بعــدُ اليــوم ... من حبّي ومقتي

لم أكن « قيْسَكِ » ـ يا هذي ـ ولا « ليْلاي » كنتِ
فاذْهَبي ... حسبُك من تلكَ الخُطى .. ماقد مَشَيْتِ !

إذْهبي ... حسبك أصْـداءَ من الدَّرب ـ وذكرى
رُبّمَــا تُنجيك من وهمٍ .. بدنيـاك استَقَـرَّا

أَنا من عاقَــرت أقـداحَ الهوى .. حُلْواً ومُـرّا
لم أشأْ تحطيمَ أقداحِكِ ... لكن أنتِ شـئتِ !

لم أشَــأْ ذَبحَ السَّنَا والعطـر .. ما ذلك دَأبي
إنّني أحتضِـــن الحســـنَ بعينيَّ ، وقلبي !

إن يكن بينَكِ ذنبي ... فلقَـــد آثرتُ ذَنبي !
رُبَّ ذنب ... يرأَبُ المصـدوعَ من جدران بَيْتي !

رُبَّ ذنب يرْقَأ الأدْمُعَ .. في جفنِ الليَــالي
ويداوي برحيـق الصَّبر أشْجان الجمَــال

فاذهبي يامَن لها ـ في التّيهِ ـ كم قلت : تعَــالي
لستِ أنتِ المَنَّ والسَّلوى لقَلبي ـ لسْــتِ أنت

لستِ أنتِ اللحنَ والنور الذي يحْدو .. ويُحـدَى
رغم تلك الفتنــةِ النّشـوَى .. وعمر يتحَـدّى

أنا ـ يا هذي ـ مدى في الحب .. لن يعجزَ مَـدّا
حسب أيامكِ من أيامِــه .. ما قــدْ رأيتِ !

وحدة الثقافة الإسلامية

ودور اللغة العربية فيها

● محمد خلف الله احمد ●

● شاءت ارادة العليم الحكيم ، جل جلاله ، أن يصطفى لخاتمة رسالات السماء الى الارض رسولا من شبه الجزيرة العربية .. وأن يجعل آيته المصدقة لرسالته ، المتضمنة لاصول شريعته ، كتابا معجزا بلسان عربي مبين .

وبهذا ارتبطت اللغة العربية بالاسلام ارتباطا وثيقا ، فانتشرت بانتشاره الى مختلف آفاق الارض ووسعت بعبقريتها وقابليتها للنمو والتطور تعاليمه وثقافته ، واقبل عليها المسلمون من كل جنس ولسان — ودون فرض او الزام — يصلون انفوسهم بجوهر الرسالة عن طريقها — ويتذوقون أدبها ويحلق الكثيرون من غير العرب منهم التعبير والدرس والتاليف والكتابة بها ، ويشاركون في نهضة علومها وآدابها ودراساتها ، وفي ضبط معجمها ، وتقنين نحوها وبيانها ، مشاركة أصيلة سجلها التاريخ ، وسجل لهم قصب السبق في كثير من ميادينها .

وكان من أول ما اهتم به الخلفاء الراشدون — بعد ان لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه — جمع القرآن ثم تسجيل نصه على طريقة تحفظه من الخلاف — في مصاحف معدودة ارسلت الى كبريات الامصار الاسلامية .

وكان الذى قام على جمع القرآن الخليفة الاول ابو بكر الصديق ((رضى الله عنه)) وقد عهد بذلك الى هيئة من المختصين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخذ المتفقهون فى الدين من الصحابة كعلى وابن مسعود وابن عباس يبينون ما قد يشكل على الناس من آيات الكتاب وأحكامه ، مهتدين فى هذا بما حفظوا من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله وفعله ، مستعينين بالرجوع الى اللغة العربية الفصحى التى نزل بها القرآن والى خصائص تلك اللغة فى دلالاتها وأساليب تعبيرها ، وظلت جماعة المسلمين مدة تعتمد فى أمر السنة النبوية على الحفظ والرواية حتى اذا قارب القرن الهجرى الاول نهايته بدأوا حركة جمع الحديث النبوى وتسجيله وتبويبه ، وهى الحركة التى آتت ثمارها فى كتب « الصحاح » ومصنفات السنة التى حفظت للمسلمين المصدر الثانى بعد القرآن لتشريعتهم وثانية المنارتين اللتين وعد الرسول المسلمين ألا يضلوا ما تمسكوا بهما ، وهما كتاب الله وسنة رسوله .

أدرك المسلمون أن اول ما يلزم للمحافظة على هذين الأصلين ، ولاستنباط الاحكام الشرعية منهما ، أن

تجمع اللغة العربية ونصوص أدبها وشعرها الذى يمثل ديوان العرب ، وأن تسجل ألفاظ اللغة وتضبط دلالاتها وتراكيبها ،وتدرس صور التعبير وفنون الحقيقة والمجاز فيها ·

وقد شهدت القرون الهجرية الثلاثة الاولى من تاريخ الاسلام فى هذا الميدان جهودا علمية لم تظفر بمثلها لغة أخرى ـ على ما هو معلوم من حيوات اللغات الكبرى فى تاريخ الانسانية ·

وتمثلت هذه الجهود فى بضع نواح رئيسية :

الناحية الاولى :

جمع اللغة ونصوص شعرها ونثرها من افواه الرواة فى مختلف البيئات والقبائل وتصنيف رسائل وكتب ومجموعات تضم قدرا كبيرا من تلك الثروة اللغوية والادبية التى خلفتها العبقرية العربية فى مرحلة نموها وازدهارها الفنى قبل الاسلام ، وقامت على أساس هذه الجهود حركة وضع المعاجم اللغوية التى شغلت ولا تزال تشغل حيزا كبيرا فى تاريخ حياة اللغة العربية ·

الناحية الثانية :

العناية بما يعين على صحة ضبط أواخر الكلمات ، اذ كانت اللغة العربية التى نزل بها القرآن لغة اعرابية تتغير فى اشكال أواخر كلماتها حسب مواقعها ووظائفها فى تركيب الكلام · وقد بدأت سلسلة الجهود فى هذه الناحية منذ القرن الاول الهجرى بادخال علامات بالنقط تدل على حركة الحرف وعلى شكل أواخر الكلمات من رفع أو نصب أو جر ·

وتطورت هذه الجهود حتى أثمرت علم النحو ، وهو علم ذو قواعد وأصول وضوابط ، تساعد مراعاتها على سلامة الاداء وعدم الوقوع فى اللحن خصوصا بعد أن انتشر الاسلام ودخلت فيه أمم كثيرة لها ألسنتها وطرائق نطقها · وعملت عوامل التأثير والتأثر عملها ، ونشأ اللحن عند سكان الحواضر والامصار ·

والناحية الثالثة :

دراسة عبقرية الأدب العربى فى فنون صناعته ، وألوان صوره وخصائص نظم القرآن ودلائل اعجازه وأسرار بلاغته ، وأساليب الخطابة والكتابة **الادبية ،وقد انبثقت عن هذه الجهود علوم لها شأنها فى الثقافة الاسلامية ، وعرفت بعلوم البيان والبلاغة العربية ، ودراسات ومؤلفات حاولت البحث العلمى والفنى فى اعجاز القرآن ·**

والناحية الرابعة :

تفسير الكتاب العزيز وتأويله اعتمادا على المروى فى هذا عن الرسول وصحابته والمأثور من أسباب النزول من جهة ، وعلى الدلالات اللغوية والصور البيانية وطرائق العرب فيها من جهة أخرى ، ثم التآليف العلمى فى مختلف نواحى القرآن من غريب ومتشابه وناسخ ومنسوخ ومكى ومدنى وغيرها ·

ظفرت المكتبة العربية من هذه الجهود المتنوعة بكتب وموسوعات ، تألفت فيها الدراسات الدينية والعلوم اللغوية والادبية والبيانية وظهر فيها التلاحم واضحا بين الاسلام واللغة العربية · ولم **يجىء القرن الرابع الهجرى / العاشر** الميلادى / حتى كان الاسلام بلسانه العربى قد بنى حضارة عالمية زاهرة سمحة الاخذ والعطاء شارك فى صنعها المشرعون والفقهاء والمؤرخون والفلاسفة والرياضيون والادباء والفنانون من مختلف ديار الاسلام فى مشرقه ومغربه من عرب وغير عرب من مختلف ديار الاسلام ومن مختلف الملل والنحل المستظلة بلواء الاسلام والمتمتعة بالامن والحرية والاستقرار تحت رعايته ·



وحدة الثقافة الإسلامية

ودور اللغة العربية فيها

وقد أخذت هذه الحضارة الاسلامية العربية مكانها في تاريخ الحضارة البشرية ، وأثرت أثرها في نهضة الغرب المسيحي وحضارته الحديثة

غير ان السنن الكونية وطبائع العمران اقتضت ان تمر هذه الحضارة الاسلامية العربية ـ بعد ازدهارها ـ بمرحلة من التاريخ تبلغ بضعة قرون ، أبطأ فيها سيرها ، وتوقف نموها أو كاد ،وأخذت حضارة الغرب الحديث تسبقها في ميادين العلم والتجريب والاختراع ، وتستغل هذا السبق في محاولة السيطرة على بلاد الشرق والاسلام ، وكبت حرياتها ، والاستئثار بخيراتها ، وكان من لطف الله ان قامت معاهد العلم الاسلامي الكبرى ـ وفي مقدمتها

« الازهر »ـ بالحفاظ على التراث الاسلامي العربي ، والحراسة للغة الكتاب المبين من أن تفقد مقوماتها شخصيتها ،ومعالم عبقريتها ،حتى جاءت بداية القرن الماضي (التاسع عشر الميلادي) فأخذ العالم الاسلامي يتحرك من جديد وينفض عن نفسه غبار التخلف ويحاول ان يصل حاضره المتوثب بماضيه المشرق في عصوره الذهبية قبل مرحلة الضعف والركود وكان من الطبيعي ان تكون الوحدة الثقافية والفكرية والسياسية في مقدمة

الشئون التي تشغل تفكير قادته ومصلحيه ، وكان من الطبيعي كذلك أن يثور النقاش في بعض الهيئات الاسلامية الكبرى ـ غير الناطقة بالعربية ـ خلال القرن الحاضر حول ضرورة العناية فيها بلغة القرآن والاعجاز والتشريع والحضارة الاسلامية ، وافساح المجال لها في مناهج التعليم الوطني ، بل ارتفع صوت الداعين في بعض تلك الهيئات لان تصبح اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية او اللغة الاولى فيها . وفي السنوات الاخيرة قامت مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية بنصيب في

الدعوة الى العناية باللغة العربية في مختلف بلاد العالم الاسلامي واصدار التوصيات والقرارات في شأنها وكذلك فعلت كثير من الندوات والمؤتمرات التي أقيمت في شتى انحاء العالم العربي والاسلامي .

وفي التمهيد لهذا نضع تحت أنظار العالم الاسلامي بضع نقاط اساسية لمزيد من البحث والمناقشة .

النقطة الاولى : ان هناك كما أشرنا في مستهل البحث ـ رباطا احكمته يد الارادة الالهية بين الاسلام واللسان العربي المبين ، وان اللغة العربية كانت وستظل الاداة الضرورية للفهم الصحيح للاسلام ونصوصه واحكامه واسرار شريعته ، وان العلوم العربية الاسلامية من تفسير وحديث وأصول وفقه ، وفقه لغة ، ونحو وصرف وبلاغة وأدب وفلك وتاريخ وتقويم بلدان وغيرها ـ انما نشأت وترعرعت في كنف القرآن الكريم والسنة ، وقصدت اول ما قصدت الى خدمتها وتطور دراساتها ، وان الحضارة التي ينتمي اليها المسلمون جميعا ويعتزون بها حضارة اسلامية عربية : اسلامية في روحها وعقيدتها وتعاليمها ومثلها الاخلاقية وغاياتها السلوكية ، عربية في لسانها وبيانها

● هناك رباط أحكمته يد الارادة الالهية بين الاسلام واللسان العربي المبين ، وأن اللغة العربية كانت وستظل الاداة الضرورية للفهم الصحيح للإسلام ونصوصه وأحكامه وأسرار شريعته .

وأدب كتابها وسنتها وتراثها وعلومها وآدابها ومختلف منجزاتها الفكرية •

النقطة الثانية : ان من الخير للمسلمين أينما كانوا وبأى لسان تكلموا - بل من حقهم - أن تشارك اممهم وأجناسهم كل بقدر ما يستطيع في الاتصال المباشر بالقرآن واسراره واعجازه ، وبالسنة النبوية وهديها وبأصول التشريع ومذاهب الفقه الاسلامي • ولن يتحقق ذلك على الوجه الامثل الا بالاتصال - نوع الاتصال - باللغة العربية وثقافتها وبأساليبها في التعبير ودلالات ألفاظها

النقطة الثالثة : أن العالم الاسلامى الحديث فى أشد الحاجة الى تحقيق وحدة ثقافية شاملة تتعاون في صنعها كل أجزاء ذلك العالم ، وتصب فيها جداول عبقريتها على مختلف اجناسها وألسنتها وألوانها ، والاداة الضرورية لتلك الوحدة الثقافية الاسلامية فى العصر الحديث هى الاداة التى قامت عليها وحدة الثقافة الاسلامية فى العصر الذهبى للتاريخ الاسلامى وهى اللغة العربية الفصحى •

النقطة الرابعة : أن تحقيق وحدة ثقافية مشتركة - بين أمم العالم الاسلامى - على تعدد ألسنتهم وقومياتهم - يعين على تحقيق وحدة فكرية وسياسية واجتماعية فى هذا العصر الذى نعيش فيه : عصر الكتل الكبرى والتجمعات الواسعة .

النقطة الخامسة : ان هذه الوحدة الثقافة الاسلامية التى ننشدها ، والتى تتخذ من اللغة العربية محورا لها ، لاتتعارض واحتفاظ كل شعب اسلامي بلسانه الوطنى الذى يؤلف ركنا فى هيكل بنائه القومى ، ومن الثابت تاريخيا ان الاسلام - كما اتبع فى شئون العقيدة مبدأ « لا اكراه فى الدين » وكذلك جرى فى الاقطار التى انتشر فيها على الحرية فى امر اللغة فلم يقف فى طريق نمو الألسنة والآداب القومية فيها ، ولم يلزم أحدا بتعلم اللغة التى نزل بها القرآن ، ولكنه ترك الناس لعاطفتهم ووجدانهم الدينى، وكان الذى يحدث حين يعتنق الفرد دين الاسلام أن يتعلم آيات أو سورا قصارا من القرآن الكريم يقيم بها صلاته ، ثم تعمل العاطفة الدينية عملها ، فيندفع الكثيرون الى طلب المزيد من الحفظ ، والى محاولة تحصيل لغة القرآن والشريعة بالمخالطة والتقليد أو بالتعلم ، والى استعمالها فى التخاطب الى جانب لسانهم القومى •

وقد سجل ظاهرة الازدواج هذه كثير من رحالة المسلمين ، ومن بينهم ((المقدسى)) صاحب كتاب ((احسن التقاسيم فى معرفة الإقاليم)) ••

وتدفع حرارة الايمان ، والاعتزاز بالعقيدة والتطلع الى المشاركة فى شئون الدولة ووظائفها ، كثيرا من المسلمين الجدد الى اتقان لغة الشريعة والتبحر فى علومها والتاليف في بعض ميادينها والتبريز فى شعرها ونثرها ، وبين ايدينا شواهد ذلك فى طوائف من كبار المفسرين والمحدثين والفقهاء وعلماء البلاغة والادب واللغة ، والمؤرخين الجغرافيين والفلاسفة

وحدة الثقافة الإسلامية ودور اللغة العربية فيها

الرياضيين ممن تكشف أسماؤهم عن انتماءاتهم البيئية : كالطبرى والبخارى، والخوارزمى ، والنيسابورى ،والجرجانى وغيرهم ٠

وقد كان للرحالة والمتصوفة والتجار والملاحين دور في انتشار الاسلام ولغته بعد مرحلة الفتوح الأولى التى تم معظمها فى القرن الاول من حياة الاسلام .

***

ان الثقافة العربية الاسلامية الشاملة التى حققها تاريخ الاسلام فى عصوره الذهبية والتى شاركت فى صنعها عناصر من المواطنين فى العالم الاسلامى على طول امتداده فى الشرق والغرب لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، قد استطاعت ان تعبر عن عبقريتها فى دنيا الفلسفة والعلوم والاداب والفنون ، وأن تترك طابعها على تاريخ الحضارة الانسانية ٠٠ وانتقلت الى العالم الغربى فى تاريخه الوسيط ثمار أصالتها وابتكارها مضافا اليها ثمار ما تمثلته من ثقافات العالم القديم ــ وكان لهذه الثمار الاصيلة والمنقولة آثارها فى بعث الاحياء الاوربى وتلك حقيقة تاريخية شهد بها علماء الغرب ومفكروه منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، ولا تزال البحوث الغربية تكشف كل يوم جديدا من آثار هذا التراث الحضارى الخالد ، ولا تزال مكتبات العالم الكبرى تضم كنوزا من مخطوطاته التى تبلغ الملايين عدا .

وقد تنبه المسلمون حديثا الى المشاركة فى دراسات الحضارات ، وفى الكشف عن ما بين الحضارة العربية الاسلامية وحضارة الغرب المسيحى من صلات ، وما كان للاولى على الثانية من فضل السبق والتأثير ، وتلاقت فى هذا بحوث علماء من الشرق والغرب فى المؤتمرات العالمية للثقافة الاسلامية التى عقدت فى خلال العشرين سنة الاخيرة والتى كان من أهمها « ندوة برنستون ومكتبة الكونجرس الامريكى سنة ١٩٥٣» وقد نشرت بحوثها فى مجلد باللغة العربية -بالقاهرة سنة ١٩٥٧ ٠ ثم الندوة العالمية للاسلاميات فى لاهور ــ باكستان سنة ١٩٥٨/٥٧ وقد نشرت اعمالها فى مجلد باللغات العربية والاردية والانجليزية .

***

ان العالم الاسلامى اليوم فى مرحلة بعث حضارى شامل ، وقد تحررت غالبية شعوبه من ربقة الاستعمار الاجنبى الذى عاق تطوره وتقدمه بضعة قرون ، واخذت الامم الاسلامية تكشف عن مصادر قوتها المادية والمعنوية ، وأخذ ساستها ومفكروها ينسقون بين جهودها على الصعيد المحلى وعلى الصعيد الدولى ، كما أخذ علماؤها ومشرعوها يعملون على اعادة بناء حياتها المتطورة على أسس من تعاليم الاسلام وتشريعه فى مجال الثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع٠

وبموازاة هذا التطورالاسلامى الشامل أخذت اللغة العربية لغة القرآن والتشريع ، تسير منذ القرن الماضى

● إن العالم الإسلامي الحديث في أشد الحاجة إلى تحقيق وحدة ثقافية شاملة تتعاون في صنعها كل أجزاء ذلك العالم، وتصب فيها جداول عبقريتها على مختلف أجناسها وألسنتها وألوانها.

بخطى حثيثة نحو النمو والاتساع والاستجابة لمطالب الحياة والعصر، وأخذ علماؤها يكشفون عن عوامل تنميتها المتأصلة فيها، ويضيفون الى رصيدها الضخم من طوالب التعبير عشرات الآلاف من مصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة، وقامت المجامع اللغوية في العالم العربي بالدور الاكبر في هذا البعث اللغوى، وفي تيسير كتابة اللغة العربية وضوابطها وفي تصنيف المعاجم الحديثة لها من كبير ووسيط ووجيز، وأخذ أدبها كما أخذت ثقافتها في الانفتاح على الاداب والثقافات العالمية المعاصرة، واتسعت حركة الترجمة بينها وبين اللغات الاخرى الواسعة الانتشار.

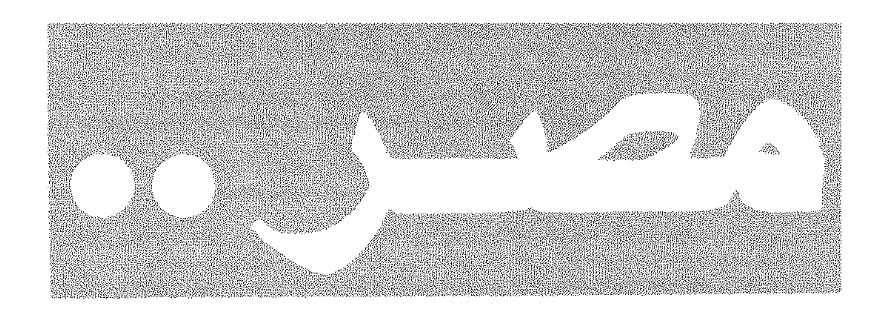
بهذه الحيوية والتجدد والنمو، وبالرصيد الحضاري الخصب، وتمشيا مع المكانة البارزة لدنيا الاسلام والعروبة في المعترك الدولي الحاضر، تهيأت اللغة العربية لان تأخذ مكانها كلغة رسمية في هيئة الامم المتحدة ومنظماتها، وفي كثير من المؤتمرات الدولية، وهي الآن موضع عناية الدارسين والباحثين في كثير من جامعات العالم، ومراكز دراسات الشرق الاوسط فيها.

وانا لنلمح في هذا التطور بشائر اتجاه المسلمين كافة الى أن يحيوا الرابطة القديمة الوثيقة بين الاسلام والعروبة، وان يعيدوا للغة الوحي والقرآن والسنة والتشريع مكانها في دعم ثقافة العالم الاسلامي، وأن يجعلوا منها ملتقى لافكارهم وآرائهم وعلومهم وأهدافهم. ولسانا مشتركا لستمائة مليون يمثلون خمس سكان العالم المعمور.

وان الشواهد قائمة على أن كثيرا من الشعوب الاسلامية غير الناطقة بالعربية تتطلع الى الاخذ بنصيبها في العناية بلغة القرآن، وان الازهر ليوالي القيام برسالته في هذا الميدان عن طريق ايفاد العلماء الى مختلف المجتمعات والهيئات الاسلامية ليساعدوا في تنمية الثقافة الاسلامية وتعليم اللغة العربية للشباب المسلم، ويزيد الازهر كل يوم من عنايته بطلبة البعثات الاسلامية ورعايتهم ومساعدتهم على اتقان اللغة العربية، وتخريجهم في فروع الدراسات ليكونوا بعد عودتهم الى أوطانهم رسل اصلاح وقادة فكر ودعاة وحدة.

وتضطلع الهيئات الاسلامية في مصر وفي البلاد العربية بنصيب كبير في احياء التراث العربي الاسلامي وفي تزويد الجماعات الاسلامية في مختلف بقاع العالم بالكتب الدينية والثقافية باللغة العربية وبغيرها من اللغات، كما تبذل بعض البلاد العربية الاسلامية جهودا موفقة في رعاية الشباب وفي تنمية الاقتصاد الاسلامي، وفي جمع كلمة المسلمين على التمسك بعقيدتهم، والعمل لدعم وحدتهم، والوقوف صفا واحدا في الصراعات العالمية التي لم يعد يقوى على الثبات فيها الا الكتل الكبيرة، ذات القوى البشرية الهائلة، والثروات الاقتصادية الضخمة، والتقدم العلمي في ميادين التجريب والاختراع.

●



عند الشدياق

● فاروق خورشيد ●

يعتبر احمد فارس الشدياق احد المعالم الرئيسية فى دنيا الادب العربى ، ودنيا الصحافة فى القرن التاسع عشر . ولا يمكننا فى الحقيقة ان نفهم حقيقة التيارات التى سادت هذا القرن قوميا وسياسيا الا اذا درسنا حياة الشدياق فى خروجه من لبنان واستقراره بمصر، ثم هجرته الى مالطه ، ثم الى تونس ومقامه فى انجلترا وفرنسا . ثم استقراره اخر الامر فى الاستانة لاصدار اشهر جريدة عربية فى زمانها، ونعنى بها جريدة ((الجوائب)) التى عرف بها الشدياق وعرفت به .

والشدياق كاتب لبنانى المولد ولكن مصرى الهوى ، مهما طال اغترابه فى بلاد العالم ، ومهما كان امر استقراره آخر الامر فى الاستانة ، داعيا للخلافة الاسلامية ، ومناصرا لمعنى الوحدة الاسلامية الشاملة . فقد قصد الشدياق مصر هربا من ضائقتهم الاقتصادية فى لبنان ، وهربا ايضا من عسف واضطهاد ، وخاصة من اعدائه الموارنة .

ويقول السندوبى فى كتابه « اعيان البيان » ص ١١١ ــ « فظل ــ اى الشدياق ــ يعانى غصص الحياة الى ان تمت مصائبه بوفاة اخيه سعد فى سجن اعدائه الموارنة لتركه نحلتهم، وانتحاله المذهب الانجيلى ، فجاهر فارس بسوء فعلتهم وأخذ يندد بهم ، فخشوا غضب لسانه فاقتفوا اثره للنكال به ، فالتجأ لى المرسلين الامريكان فأجاروه ، وبعثوا به الى مصر ليعلم فى مدارسهم بها ، فجاء الى القاهرة فى عهد مصلح مصر الكبير محمد على باشا)) .

ولعل هذه المرحلة هى التى جعلت الشدياق يغير دينه فيعتنق الاسلام ، ويتسمى باسمه الثانى ، وهو احمد، ويصبح احمد فارس الشدياق ، ففارس هو الاسم الذى سماه به ابوه والشدياق هو اللقب الذى عرفت به العائلة، واحمد هو الاضافة التى جعلت من الشدياق مسلما بين المسلمين ، ثم بعد هذا داعية الى الاسلام ووحدة المسلمين فى «الجوائب» .

***

وقد تقلب الشدياق منذ وصوله الى مصر فى عدة اعمال، بدا بالتدريس ثم العمل ككاتب عند احد السراة ثم الاشتغال بالصحافة . . ويقول الدكتور / محمد خلف الله فى كتابه ((احمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والادبية)) ص ٢٦ : ((كان الاشتغال بالصحافة هو الامر الذى

جعل للشدياق ذكرا في البلاد المصرية وفي غيرها من البلاد الاسلامية من امثال تونس وتركيا . ويذكر لنا الدكتور ابراهيم عبده في كتابه اعلام الصحافة العربية ان السيد رفاعه الطهطاوى هو الذى جر الشدياق الى هذا الميدان، وانه الذى افسح له صدر الوقائع المصرية ، وان الصلة بينهما كانت صلة التلميذ بالاستاذ)) ..

فمصر لم تكن بالنسبة للشدياق محطة من محطات مهجره ، وانما كانت عنصرا رئيسيا في تكوينه ، وفي استقراره ، ثم في تحديد المهنة التي اصبحت بعد هذا هي كل حياته ووجوده وأعني بها مهنة الصحافة، فالشدياق لم يعرف سوى مهنة النسخ والتجارة على حمار والتدريس في المنازل في لبنان . . اما في مصر فنستطيع ان نقول انه التقى بنفسه ومستقبله ومهنته التي حددت مستقبله وكيانه كله ، كما ان صلته بمصر لم تنقطع بعد هذا أبدا . ونحن نشهد أول لقاء له بمصر منذ الكتاب الثاني من ((الساق على الساق فيما هو الفارياق - أو أيام وشهور وأعوام - في عجم العرب والاعجام)) .

ولكي نكون على بينة من هذا الموقف في تاليف الكتاب نعود الى ما اكده رافائيل كحلا الدمشقي كاتب مقدمة الطبعة الاولى من الكتاب عام ١٨٥٥ حين قال : ((اني لما طالعت هذا الكتاب المسمى بالساق على الساق ، رايته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد الفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس باسلوب رائق معجب)) .

ويقول الشدياق نفسه في الكتاب الاول : ((ثم ان شرطي على القارىء الا يسطر شيئا من الالفاظ المترادفة في كتابي هذا على كثرتها ، فقد يتفق ان يمر به في طريق واحده سرب خمسين لفظة بمعنى واحد او بمعان متقاربة، والا فلا اجيز له مطالعته ولا اهنئه به))

والواقع ان الشدياق يعتبر هذه المترادفات اللغوية هدفا رئيسيا من اهداف الكتاب ، ويعترف صراحة انه كان يرجع الى القاموس ، بل ان



الشدياق : قدم صورا هامة من الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع المصرى ...

القاموس كان مرجعه الأول والوحيد ، فيقول ص ٢٨١ ((هذا واني قد ألفته وما عندى من الكتب العربية شيء أراجعه وأعتمد عليه غير القاموس فان كتبي كانت قد فركتني فاعتزلتها، غير أن مؤلفه رحمه الله لم يغادر وصفا في النساء الا وذكره ، فكأنه الهم أن سيأتي بعده من يغوص في قاموسه على جمع هذه اللآلىء في مؤلف واحد منسق لتكون أعلق بالذهن وأرسخ في الذكر)) ..

ولعل الشدياق يفسر لنا بهذا ، ولنفسه أيضا ، سر اهتمامه بالمرأة، والنساء عموما في كل رؤاه عن مصر وعن غير مصر على السواء . ولكن المرأة المصرية تحتل جزءا هاما من ملاحظاته ومن تحليلاته وكلماته

ونحن نحسب انه في اشارته للقاموس انما يعني القاموس المحيط للفيروزبادى فليس في علمنا ما يطلق عليه هذا اللفظ دون اضافة غيره ..

***

يغادر الشدياق الاسكندرية الى احدى جزر البحر الابيض المتوسط، ولكنه لا يطيق الحياة هناك ، فيعود مرة أخرى الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة . ولكنه يقابل في الاسكندرية حين عودته بأن يسكن الى جوار دار

مصر.. عند الشدياق

فيها طرب وغناء ، فيعود اليه تفاؤله وحبه للحياة بعد يأسه فى تلك الجزيرة وضيق حاله بها ، فيقول : « ورأى لدوله مصر رونقا ، وفى عيشها رغدا مغدقا ، فكان الناس كلهم معرسون أو مفاخرون او منافسون » ..

ويعود الشدياق الى ذكر نساء مصر ، وهو قد علل اهتمامه بالنساء باهتمام القاموس بوصفهن ، ولكننا نكاد نحس ان وقوفه عند وصف النساء فى كل مكان ذهب اليه من لندن الى باريس الى مالطه الى تونس الى الشام ، جزء هام من اهداف تأليف هذا الكتاب .. وهو يؤكد بنفسه هذا حين يعتبر ذكر النساء أحد أمرين بنى عليهما الكتاب : الاول ما ذكرنا من الاهتمام باللغة والثانى يقول عنه : « والامر الثانى ، ذكر محامد النساء ومذامهن فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعرفة بحسب اختلاف الاحوال عليها » .

ويقول : ومن تلك المحامد أيضا حركات النساء الشائقة ، وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصور منها شىء الا وذكرته فى هذا الكتاب ، لا بل قد أودعته أيضا معظم خواطرهن وافكارهن وكل ما اختص بهن » ...

ولهذا فلم يكن غريبا ان يقول عن نساء الاسكندرية فى وصوله الثانى اليها ص ٢٣٣ - « ان لنسائها كياسة وظرفا وجمالا ، ولطفا ولينا ودلالا ، وتيها واختيالا ، يخطرن فى الطرق بالحبر كالمنشآت فيجعلن مجموع الهم على القلب فى شتات ، وما انا اول واصف لهن انهن خلابات للعقول ، غلابات للفحول ، فقد وصفهن بذلك كل ناظم وناثر وذكر محالهن كل من حاولهن من الاكابر والاصاغر ، وفى المثل السائر : تراب مصر ذهب ، وغيدها نعم اللعب ، وانها لمن غلب » ..

ويمضى الشدياق يتحدث عن ركوبهن الحمير ، ومشيهن فى الاسواق ، وفتنة الرجال بهن وبحميرهن على السواء ثم يورد مجموعة الالفاظ التى تتعلق بوصف النساء وجوها وقامة وسلوكا على السواء ، ويأخذ المسألة مأخذ الجد مرة ومأخذ الهزل مرات ، رابطا بين ما استغرق فيه من وصف للابسات البرقع ، وبين احداث حياته التى بدأت تأخذ شكلا جديدا فى مصر التى قدمها وفى نفسه امالا كبارا « فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة »

وقد عمل أول قدومه الى مصر كاتبا عند رجل من السراة الاغنياء ، فخرج من العسر الى اليسر ، ومن الضيق الى الفرج ، « قد اكتريت لى دارا صغيرة واشتريت حمارا ، واتخذت خادما لتصلح لى الدار ، وخادما يصلح الحمار .. »

ثم اشتغل الشدياق بالصحافة وتعلم على يد الشيخ محمد شهاب الدين حيث قرأ عليه طائفة من كتب اللغة والادب ، وقد اعادت مصر اليه الهدوء بعد طول القلق ،. فتزوج وأنجب اثنين من الاولاد ..

ويقول جرجى زيدان فى الجزء الثانى من مشاهير الشرق : « وتعرف فى مصر بعائلة الصولى من وجهاء السوريين فصاهرهم ، وولدت له امرأته ولدين هما فائز وسليم ، أما الاول فتوفى بعد ذلك فى ضواحى لندره اثناء اقامته فيها كما سيجىء ، وبقى سليم وحيدا ، وهو سليم أفندى فارس نزيل بلاد الانجليز » ..

وبعد أن هاجر الشدياق من مصر ، ظلت هى العامل الاول فى استقراره واستمراره فى عمله ، عندما انشأ جريدة « الجوائب » . ويقول الدكتور محمد أحمد خلف الله : « على أن صلة الشدياق بمصر من الناحية الاقتصادية ظلت قائمة حتى بعد أن غادر الرجل مصر وأقام فى غيرها من

البلدان ، وهي صلة نلحظها من ذلك العطاء الجزيل الذي كان يقدمه اسماعيل باشا خديو مصر للشدياق اثناء مقامه بتركيا وتحريره للجوائب ، وقد اشار الشدياق نفسه الى هذه الصلة ، كما اشار اليها غيره من المؤرخين » ..

واشارة الشدياق هذه تاتي في كتابه سر الليالي في وصفه للجوائب وحديثه عنها ، وكيف انفردت بالصدارة في عالم الصحافة ويقول ص٩٦ — « .. فالشكر لله على نعمه ، ولعزيز مصر على كرمه ، فانه الذي اعلى منارها ، وسنى استمرارها ، كيف لا وهو كسميه اسماعيل اب للعرب ، وسند كل ذي أدب وأرب ، فادامه الله نصرا للاسلام وفخرا للأنام » ..

وهذه الصلات بالبيت الحاكم في مصر استمرت بعد وفاة اسماعيل ، والدكتور محمد احمد خلف الله يرجع وقوف الشدياق الى جانب توفيق في الثورة العرابية في جريدة « الجوائب » الى هذه الصلات المالية بين الشدياق وحاكم مصر ، ويؤكد بهذا بايراد قول السندوبي في اعيان البيان « وفي سنة ١٨٨٦ وفد على مصر في عهد الخديو السابق توفيق باشا فنال من لدنه كل رعاية واكرام .. »

ونحن نرجع الى هذه العلاقة ايضا سر هذا التعلق الذي يبديه الشدياق لمصر ، ثم سر موقفه من عامة المصريين موقف النقد الذي يصل الى حد التجريح في أحيان كثيرة . فعلى الرغم من اقامته لفترة طويلة بمصر الا انه ظل ينظر اليها دائما نظرة السائح الى بلد حل فيها ترحاله فهو ليس منها ، وان كانت خيراتها ملك له فيقول : « وكيف كان فانها مدينة غاصة باللذات السائغة ، متدفقه بالشهوات السابغة ، توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبداللطيف البغدادي . يجد بها الغريب ملهى ومسكنا ، وينسى عندها أهلا ووطنا » ..

النظرة هنا ، نظرة الضيف الذي يرقب ويسجل . ويحدد رؤيته للاشياء بما يحس موقفه هو من هذه الاشياء . وبما يوافق هواه ويستدعي التفاته فيقول : « ومن خواصها أن ما يذهب من اجسام رجالها يدخل في اجسام نسائها فترى فيها النساء سمانا كالاقط بالسمن على الجوع ، والرجال كالحشف بالشبرج على الشبع » . ومن ملحوظات الزائر او السائح قوله « ومنها أن اسواقها لا تشبه رجالها البتة . فان لاهلها لطافة وظرفا وادبا وكياسة وشمائل مرضية وأخلاقا زكية وأسواقها عارية من ذلك رأسا » ..

ومن ملحوظات الضيف الغريب قوله « ومنها أن ماءها لا يشبه عيشها اى خبزها فان الاول عذب والثاني تافه » .

الا أن للشدياق من الوصف في اهل مصر ما يدل على احساسه بما يعانيه الانسان المصري من ضيق في بلده واحساسه بقيمة هذا الانسان ، رغم كل ما يلقاه من عنت فهو يقول : « ومنها ان العالم فيها عالم ، والاديب اديب ، والفقيه فقيه ، والشاعر شاعر ، والفاسق فاسق ، والفاجر فاجر » .

ويرفق هذا بقوله « ومن ذلك ان البرنيطة فيها تنمي وتعظم وتضخم ، وتتسع وتطول وتعرض وتعمق فاذا رأيتها على رأس لابسها حسبتها شونة » وبعد أن يصفها بعدة الفاظ مترادفة أو متكاملة يقول « كيف أنماها هواء مصر وكبرها الى هذا المقدار ، وقد طالما كانت في بلادها لا تساوي قارورة الفراش ، ولا توازن ناقورة الفراش .. وكيف كانت هناك كالتراب ، فاصبحت كالتبر .. ياهواء مصر ، ياناره .

يا ماءها يا ترابهـــا ، صيروا طربوشي برنيطة وان يكن احسن منها عند الله والناس ، وأفضل » ٠ ٠

فالمصريون يقعون في بلادهم في موقع اقل من الاتراك ، وأقل من الاجانب الغرباء على السواء ، وهم على هـذا في عسف من السلطة دائم ومقيـم : « ومن ذلك ان لضابط البلد شـفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم ، وذلك انه يأمر جميع الســالكين في طرقها ليلا أن يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة ، خيفة ان يعثـروا بشيء في أسواق المدينة فيسـقطوا في هوة أو جب فتنكسر ارجلهم او تنـدق أعناقهم ، ومن وجد ليـلا يطوف من غير ذوى البرانيط وليس بيـده فانوس ، غلت رجله الى يده ، ويده الى عنقه ، وعنقه الى حبل ، والحبل الى وتد ، والوتد الى حائط ، والحائط الى ناكر ونكير ، وتصلية سعير » .

وقد استطاع الشدياق بهذه الجمل الساخرة واللقطات السريعة ان يصور حال مصر والمصريين في ظل عصر محمد على ، بما لم يستطعه مؤرخ ملتـزم الدقة العلمية الكاملة . فأهـل البلد في واد وحكامهم ومستغلوهم في واد آخر ، وهـؤلاء الحكام اما من الترك واما من أصحاب البرانيط ، واما من فئات وافدة مد لها الحاكم الحبـل على الغارب فيقول ((ومن خصائصها ايضا ان البعاث بها يستنسر ، والذباب يستصـقر .. والنـاقة تسـتبقر والجحش يستمهر . والهريسـتنمر ، بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة)) . اما اهــل البلد انفســهم فيقول عنهم ص ٢٤٧ (اهلها ذو لطف وأدب ، واحسـان الى الغريب وفي كلامهم من الرقة ما يغني الحزين عن التطريب ، اذا حيوك فقد أحبوك ، وان سلموا عليك فقد سلموك ، وان زاروك زادوك شوقا الى رؤيتهم ، وان زرتهم فسحوا لك صدروهم فضلا عن مجالسهم) .

والواقع ان الرصد الاجتماعي الذى يسجله الشدياق للحيـاة في مصر بالغ الاهميـــة في التعرف على الكثير من العادات السـائدة في مصر ، الى جوار التركيب الاجتماعي الذى كان يشـكل صورة المجتمع المصرى في عهد محمـد على ، ذلك المجتمع الذى يعنى بموظفي الدولة عناية فائقة ويتيح لهم صـورة الحياة الكريمة بينما يعاني عامة الناس من الضنك الكثيـر . ويقـول : « أما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والفخر والعز ، والكرم والمجد فكان للمتسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكسى والشـحن ما لم يعهد في دولة غيرها ، وكان واليهايولى المراتب العلية وسمات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصـارى ما عدا اليهود وخلافا لدولة تونس فان شرفها عم الجميع » .

ويتحدث الشــدياق عن الطوائف المختلفة في مصر فيقول عن العلماء «أما علماؤهم فان مدحهم قد انتشر في الآفاق وفات لفخر من سواهم وفاق . بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشـة الوجه مالا يمكن المبالغة في اطرائه » .

وعن النصـــارى في مصر يقــول الشدياق : « ولكل نوع من النـــاس عندهم اكـرام يليق به سواء كان من النصـارى أو غيرهم وربمـا خاطبوهم بقولهم يا سيدى ، ولا يســتكلفون من زيارتهم ومعـاشرتهم خلافا لعـادة المسلمين في الديار الشامية . وبذلك لهم الفضـل على غــيرهم . وكـان هــذه المزية وهي حسن الخلق ورقـة الطبـع أمـر مركوز في جميع أهــل مصر » ..

وهو يفرق بين النصــارى والقبط فيقول « ذلك أن المســلمين أهل قناعة

وزهد وفي النصارى شره عظيم الى اتخاذ الديار الرحيبة وقنية الخيل النجيبة والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر لا حد لها » (٥١)

وبعد ان يصف بيوت هؤلاء النصارى وما بها من متاع ورياش مبالغ فيهما يقول : «ولو ان مشتريا شاء ان يشتري شيئا من تاجر مسلم لوجد سعره ارخص من بضاعة النصراني بربع الثمن ، ولكن وجود هذه الشراهة انما هو فى الغالب عند النصارى الغرباء ، فأما القبط فانهم اشبه بالمسلمين وقل من تعاطى المتجر منهم » ..

ويقدم لنا الشدياق الى جوار هذا الوصف لطبقات المجتمع المصرى صورا هامة من صور الحياة الاجتماعية المرتبطة بالمحتوى الثقافى والحضارى ، والسلوكى للمصريين في عصره مما يصلح مادة هامة عند الدارسين الاجتماعيين من أصحاب الانثولوجيا ، وكذلك دارسى الحضارة والفولكلور .

فيصف مشهدا فريدا من مشاهد حياة المرأة المصرية العاملة وصفه الساخر قائلا « من ذلك .. ان البنات اللاتى يستخدمن فى الميرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك، يحملنه على رءوسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات، صادحات مادحات غير آحات ولا ترحات، ولا دالحات ولا رازحات ولا طامحات ولا نائحات ومن كان نصيبها من الآجر نظمت عليه موالا آجريا ، أو من الجبس غنت له اغنية جبسية كأنما هن سائرات فى زفاف عروس » .

وهو يذكر بعض العادات المصرية فى دقة فيتحدث عما نعرفه بالقافية البلدية فيقول : « فان لعامتهم ايضا مخالقة ومجاملة . وكلهم فصيح اللهجة بين الكلام سريع الجواب . حلو المفاكهة والمطارحة. وأكثرهم يميل الى هذا النوع الذى يسمونه « الانقاط » .. وكأنه المحاورة وهى المفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى . فان لم يكن قد تدرب فيه لا يمكنه ان يفهم شيئا وان يكن شاعرا » ..

وكان لابد للشدياق أن يقف عند الغناء والطرب فيقول : « وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة . وغناؤهم اشجى ما يكون . فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره . وكذلك الاتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها . واعظمها عندهم هو العود . وقل اعتناؤهم بالناى . ولهم فى ضرب العود طرق فنون تكاد تكون من المغيبات غير أنى أذم من غنائهم شيئا واحدا ، وهو تكرير لفظ واحد من بيت او موال مرات متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام. ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن » .

وعلى الرغم من طرافة ودقة المشاهد التى يلتقطها الشدياق من الحياة المصرية الا أننا نحس انها تسجل بعدسة المشاهد لا المشارك ، أو بعدسة الغريب لا من رؤية ابن البلد الذى يحسب نفسه جزءا منها ومواطنا فيها . فالمصريون عنده « هم » لا « نحن » . الشىء الوحيد الذى يجمعه بهم هو استعماله لكلمة العرب لتدل على ابناء المنطقة جميعا الشامى منهم والتونسى والمصرى فى مقابل كلمة ترك أو الغرباء .. لتدل على غير ابناء المنطقة ، وهو استعمال يحتاج الى دراسة متأنية اذ هو يدخل فى كتابته دخول المسلمات المتعارف عليها فى جيله وعند كتاب عصره .

ومع هذا فان هذا الكاتب يدل بموقفه وبما سجل من وصف ومشاهد على كل كتاب عصره بل وعلى المؤرخين ، ويصبح كتابه « الساق على الساق » مرجعا رئيسيا لوصف الحياة فى مصر فى عهده أو فى العصر التاريخى الذى نعرفه بعصر محمد على ، لاغناء عنه لأحد من الدارسين او الادباء الذين يريدون استلهام العصر ..

هيوارد نميروف
شاعر أمريكى معاصر

• ماهر شفيق فريد •

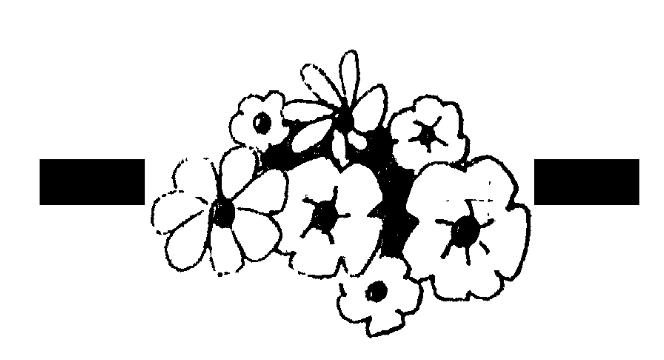
● في « ملحق التايمز الأدبى » – قبل احتجاب التايمز والملحق اخيرا – الصادر فى ٦ اكتوبر ١٩٧٨ ، كتب الشاعر والناقد الاسكتلندى ج. س. فريزر مقالة عن كتابين للشاعر الأمريكى هوارد نميروف هما « مجموعة القصائد » (مطبعة شيكاغو) و « اشكال الفكر تاملات فى معنى الشعر ومقالات اخرى» – (دار « ديفيد ر . جودين » للنشر ببوسطن) .

يقول فريزر : ان نميروف الذى بلغ الآن الثامنة والخمسين ليس نموذجا لشعراء جيله . فهو – بغزارة التاجه ووضوحه – أقرب الى الشعراء العظماء لجيل اكبر سنا مثل روبرت فروست ، رغم انه فى قصيدة مثل قصيدته المسماة « البركة » يكشف عن تعقيد واع اكثر مما كان فروست خليقا أن يكشف عنه ويكتب مرثية رعوية حزينة . ان صبيا يدعى كريستوفر يغرق فى بركة فيسميها أهل المنطقة « بركة كريستوفر » على سبيل ابقاء ذكرى الصبى ، ولكن النباتات لا تلبث مع مرور السنين ان تزحف على البركة وتنضب ماءها ..

وفى قصيدة « طبيعة ميتة (٢) » ، وهى فى آن واحد تحية للشاعر الامريكى ولاس ستفنز ونقد له ، نجد اشارات الى عدد من قصائد ستفنز مثل « صباح الأحد » و « جرة فى ولاية تنسى » و « الرجل ذو القيثار الأزرق » . يقول نميروف فى هذه القصيدة :

الاطباق تفاحات ، الاطباق جيتارات
تطفو فى برك من لحمها الخاص
بيد أن طهارة الجرار المتحدة
تؤنب فوضى اللحم ...

ففى قصيدة ستفنز « صباح الأحد» اطباق فاكهة تذكرنا انها لو لم يدب اليها البلى لفقدت الحياة الأبدية أشبه بمعرض للصور الشمعية مثل معرض مدام تيسو فى لندن . ان « الموت ام الجمال » كما



يقول ستفنز . ومعادلة الأطباق والتفاحات والجيتارات عند نميروف تذكرنا بحكمة ستفنز القائلة : «ينبغى أن تكون تجريديا» وبحبه للرسم التجريدى . فالجرة على تل فى تنسى تسيطر على كل ما حولها وتلوم فوضى الحواس ، اذ لا توحى بطائر ولا شجيرة كما يوحى غيرها فى ولاية تنسى . والجرتان المتحدتان انما هما من ابتكار نميروف واتحادهما طاهر . انهما رمز للأفكار المجردة الخالية من رغبات الحواس .

● اشكال الفكر ●

وكتاب نميروف المسمى « اشكال الفكر » مجموعة مقالات تستخدم سلاح الفطنة وتمتاز بالذكاء بل بروح الفكاهة . انه يعارض رأى الناقد هارولد بلوم الذى يؤمن بأن كل قصيدة عظيمة انما هى محاولة لاعادة كتابة الشعر الذى يعجب به صاحب القصيدة والذى أساء فهمه ..

● اناشيد كيتس ●

وردا على ذلك نقول : ان أناشيد كيتس الى العندليب أو الى الخريف أو الى اناء اغريقى ليست اساءة فهم لقصائد أسلافه جزاى وكولنز أو لسوناتات شيكسبير . كذلك نجد أن صمويل جونسون وأوليفر جولد سميث وجورج كراب لم يسيئوا فهم بوب .

● الشعر والمعنى ●

وفى مقالة عنوانها ((الشعر والمعنى)) يورد نميروف مقتطفات من قصيدة لأحد طلبته ، وكان نميروف قد قال له : ((هأنتذا . لقد قرأت ومن المحتمل أن تكون قد فهمت أدب الاربعمائة سنة الاخيرة ، ولكنك لم تسمع شيئا قط)). يعنى أن تلميذه يفتقر الى تلك الحاسة النغمية التى بدونها لا تغنى قراءات الشاعر عنه شيئا . بيد ان أكثر ما يلقى الضوء على انجاز نميروف نفسه هو قوله :

((ان مهمة الشعر — حين ينظر اليها من احدى الزوايا — هى ان تلهم ، بل وان تبتكر غرضا انسانيا. بيد ان نقيض ذلك صحيح فى الوقت ذاته : فالشعر هو الوسيلة الانسانية التقليدية لمواجهة افتقار الفرض الانسانى الى الهدف)) .

وقد حقق نميروف تقدمه الشعرى من خلال الانتباه — على نحو حى الضمير — الى هذين الرأيين المتعارضين .. ●

قالت لى الروح

● كامل أمين ●

قالَتْ لِيَ الروحُ مابالُ الرؤى اختَلَطَتْ
عَلَيَّ مِن عَالَمِ الأرواحِ والبدنِ
بَيْنى وبينَ السما أشياء تَحجُبُهَا
عَنِّى ومِلءُ الثرى أشياء تحزننى
ذَرْنى ومابِى أُسبِّح فى ضَبابهما
للهِ فى غُربَةِ النزّاحِ فى فَنَنى
عسى الجمالُ الذى فى الخُلدِ أنشُدُهُ
أراهُ فى لَمْحةٍ من غَفْلَةِ الزّمَنِ
دَعْ عَنكَ من خَدَعَت عينَيك فِتنَتُها
هَل كانت الأرضُ إلاّ مَوطِنَ الفِتَنِ
ظلّت تُوسوِسُ لى نَفْسى بِذَاكَ وقَدْ
وعَت حَدِيثا لِخَودٍ كَادَ يَفتِنُنى
كانتْ مَعى وكأنّى لم أكُن مَعَهَا
تاهَ الحديثُ بنا كالحُلْمِ فى الوسَنِ
تغْشى غَواشٍ عَلى عَينى فأغمِضُها
ويَهْمس الحب لا تصغى لهُ أذنى
جسم غَريب على رُوحى يقدّم لى
شيئا يُسمونَه حُبّا بِلاَ ثَمنِ
أشم ريحَ شِواءِ اللحمِ فيه عَلى
جَمْرِ الغرائز مَرغوبا على دَخَنِ
صَدَفتُ عَنْه ونفسى عَنه رَاغِبة
كأنّ شَيئا أمامِى مِنه لم يكُنِ
لكنّ شوقى إلى المجهول حَرّضَنى
لأطمئِنّ لشىء لا يُطمئِننى
فقلتُ هَبْ أنّ هَذا الحبّ تجربة
مِن التجارِبِ .. جَرّب . واشْض وامتحِنِ!
قالَت لِى الروح .. هذَا الحب أكرَهُه
لأنّه مِن تراب لَيْسَ فى وَطَنى

عَرفتُ حبا جَميلا في السَّماء وهَ
ذا الحب لم أرهُ فيهما ولَم يَسرَني
إن كنتَ تبحث عنه في التراب فقد
ضيعت عُمركَ بينَ الوَهم والحزَنِ
عَصَيتها وقبلت الامتحان به
كطالب العلم لو يُرمىَ بمُمتحِنِ
وقلتُ إنْ كنتَ حبا والجمالُ سما
وياءً كما تَدّعى في أرضِنا ، أرني
فقالَ تلهُو على اللذات مُنتقِلا
لهو الفَراشة بينَ الزّهر والغُصُنِ
وترشفُ الشهدَ من ورد على شفَة
وتحضِنُ القَدّ كالشحرور لِلفنَنِ
فقلتُ هَل سَوف يَبقى لَهونا أبَدا
أمْ سوفَ يَفننَى مع الأيام والزّمنِ
فقالَ : جَـلّ الذى يَبقى الدوامُ لَـهُ
فقلتُ : هل كُنت محتَاجا إلى المِحَنِ
ماذَا أقولُ لرَبّى يومَ يَسْألنى
عَمّا اقترفت وباتَ الكوْن يلعَنُنى
ذَرْني وما أنا فيه مِن تذَكّره
ماكنتُ أخْلِطُ بينَ الخَمر واللّبَنِ
ماكل حسن يَروق العين منظَره
حُسْن فكم حسَن ما كانَ بالحسَنِ
عيبُ الجَمَالِ بلاءُ بَعْد رَوْنَقِه
وآفة القلبِ فيه حُبّه الوثَنى
ماكانَ للحُسن أن يُغرى القلوب به
لو كانَ للنقاب ما لِلعقل مِن فطَنِ
أعوذُ باللهِ من حُب أضِل به
فى غيره ، أو هَوى فى الأرضِ يفتننى
قالتْ لىَ الروح : إننى الآن عدْتُ أرَى
ماكانَ للنور فى نَفسى وفى بَدنى
كُل الجَمال أرانى الانَ أحْضُنُه
من عَالِم الروح والأرواحْ تَحْضُننى

معلومات جديدة عن تطور الإنسان

● محمد الحديدى ●

● **كيف كان انسان العصور السابقة ؟**

من أعقد المشكلات العلمية ـ واكثرها استحقاقا للمحاولة واستهلاكا للجهد، والبحث ـ الاجابة عن هذا السؤال، وفى كل يوم يجد العلماء فى خفايا الارض أصابع وأسنانا وجماجم تحدث فى تاريخ الانسان فروقا .. تصل الى ملايين السنين ! والمليون سنة ليست فترة قصيرة فى عمر الانسان كما هى فى عمر الكون ، فقد امتد عمره أخيرا من مليون واحد ، الى ثلاثة ملايين ونصف ، والعلم عند الله !

والمهمة شاقة ، فالدلائل الاساسية هى الحفريات ، قطع واجزاء يصعب استنتاج شىء منها ، وكثيرا ما تؤدى الى استنتاجات متناقضة تزيد من حيرة الباحثين ، خاصة وان ملايين السنين من الزمن الثقيل تجعل املاح الارض تغوص فى باطن العظام وتحل محل جزئياتها وتحيلها شيئا مختلفا تماما عما كانت عليه .

ويعمل المطر وغيره من العوامل على اخفاء الادلة التى يبحث عنها العلماء ، وتتوقف حالة مخلفات الانسان والحيوان على ظروف الهلاك ومكانه ، ومن المعروف ان شرق افريقيا يحظى بأكبر قدر من اهتمام الباحثين وذلك لان الظواهر الجيولوجية قد كشفت عن طبقات فوق طبقات من الترسبات واظهرت مايخفى .

كيف يستنتجون ؟

وتستلزم التجارب تحليل التربة التى وجدت فيها ، ثم تنقية المخلفات ثم اعادة تجميع الاجزاء لتصبح جمجمة او يدا ذات أصابع ، وذلك بجهود مضنية تشبه الجهد الذى يبذلونه لتجميع اجزاء طائرة محطمة لمعرفة سبب سقوطها ، هذه « انثروبولوجيا » التكنولوجيا ، اما تلك فانثروبولوجيا الانسان ، ويلى ذلك خيال العلماء والفنانين الذى يعمل على تكوين شكل الكائن كما كان أثناء حياته .

واشهر علماء الانثروبولوجيا الان « علم تطور الانسان » هو ريتشارد ليكى وهو شاب فى اوائل الثلاثينات وكان ابواه ، لويس ومارى ليكى، عالمين كبيرين وباحثين شهيرين فى تطور الانسان وكذلك كان بالطبع توماس هكسلى ، جد الكاتب الشهير الدوس هكسلى ، وصاحب نظرية التطور ، تشارلز داروين ، ... الخ .

وريتشارد ليكى كينى الجنسية ، ينتمى الى كينيا ، وهو يجرى بحوثه فى هذه المنطقة التى تعد اصلح مكان للبحث عن تاريخنا الذى لم يسجله اجدادنا القدماء ..

وقد اصدر ليكى كتابا بعنوان



المؤلف مع انسان عمره ثلاثة ملايين سنة

« الاصـول ORIGINS » ، ضمنه خلاصة بحوثه وكشوفه . لن نستطيع فى مقالة كهذه أن ننقل لقارئنا العربى ولا حتى خلاصة لهذه الخلاصة، ولكن نزرا يسيرا فقط ...

وليكى انجليزى الاصل ، ولـكنه ـ كما سبق ـ مواطن فى كينيا «السوداء» كما تسمى ويسمى غيرها من البـلاد الافريقية التى يحكمها الان ابناؤها ، ولا يفوته فى نهاية هـذا الكتاب ،

وتحت عنوان « نظرة عامة الى النـوع الانسانى »،أن يدمج خلاصةعلمه وفكره النابه ، فيقول والكتاب يقترب مـن نهايته :

« انه ليس هناك ادنى شك فى أن التفرقة بين ما يسمى بالانسان الابيض ومايسمى بالانسان الاسود قد خلقـت تهديدا خطيرا ومستمرا للسـلام ،

وبصرف النظر عن الراى الفارغ العقيم الذى يقول بأن هناك فوارق عقلية بين البيض والسود . فان تصنيف الانسان الى انواع هو فى حد ذاته هـذيان لا معنى له ، الواقع انه ليس هنـاك

وجود لشىء اسمه الانسـان الابيض او الانسان الاسود ، فالمسالة لا تعدو انه كلما اقتربنـا من خط الاسـتواء زادت نسبة التعرض للاشـعة فوق البنفسجية ، وسواد الجلد ليس الا

الاستعداد الطبيعى للتعرض لهذاالاشعاع وهكذا فان الاجيال التى تتعاقب فى هذه المناطق تنتج فى النهاية نوع الجلد الادمى المجهز للحياة فى هذه البيئـة ،

وليست المسالة بهذه الدرجةمن السذاجة فالمسالة ليست أبيض واسود بل درجات متتابعة من اللون البنى تتناسب مـع مسافة البعد من خط الاسـتواء ،

معلومات جديدة عن تطور الانسان

والسواد كما يسمونه ليس الا الانسجام مع البيئة التى تتطلب ذلك ، وليس لعاقل أن يتصور ان لهذا أدنى علاقة بالمقدرة الفكرية .

« ولقد تغير لون جلد سكان المناطق الحارة عندما نزحوا شمالا وبدأت جلودهم تفقد المادة الملونة لانه لم يعد لها لزوم ، والعكس حدث عند النزوح من شمال أمريكا الى جنوبها .

واذا كان سكان أمريكا الوسطى الان لم يكتسبوا لون سكان أواسط افريقيا فهذا راجع لقصر الفترة التى قضوها هناك ولكن هذا التغيير آت حتما ، ومن السخف ان نتخذ من تفوق الاقلية البيضاء على بقية الجنس البشرى اساسا لمثل هذه الاستنتاجات الساذجة وليس هناك ما يدل على أن هذا التفوق سوف يستمر لانه ليس الا تطورا تاريخيا حادثا فى عالم بشرى يفتقر الى الكرامة والعدالة »

نعم ، ما أجمل الكلام فى السياسة عندما يأتى من عقول تستنير بالحقيقة العلمية وتعتد بفضل أصحابها على الانسانية، وليس من الاوباش المتجرين بالسياسة والذين يتخذونها مهنة لالشىء الا لانهم لا يصلحون لاية مهنة اخرى !

فصول فى حياة الانسان

يبدأ الكتاب بتأمل مركز الانسان فى الكون الفيزيائى ، هذا الموضوع القديم: « ان كوكبنا الصغير يدور حول الشمس وهى ليست الا واحدا من عشرة آلاف مليون نجم فى هذه المجرة ، وهذه المجرة واحدة من ملايين المجرات التى يعتقد انها نتجت عن « الانفجار العظيم » كما يسمى ، وهو الحادث الذى أدى الى وجود الكون كما نعرفه نحن او كما نراه ، يقدر أن هذا الحادث وقع منذ ثلاثة عشر الف مليون سنة ، هذه الارقام الهائلة تلقى ضوءا على مكانة الانسان من الكون ، واذا اردنا أن نكون أمناء : فلابد أن نقر باننا لن نعرف ابدا ماالذى وقع لاسلافنا خلال رحلة التطور التى ادت الى الانسان الذى يوجد الان ، فالمسألة ببساطة هى أن الادلة لا تكفى للوصول الى معرفة قاطعة ...

« ومثلا : مواطن اقامة الانسان منذ مليونى سنة ، قليل منها مابقى على حالة تمكن من البحث ، وهذا القليل لن يكتشف منه الا نزريسير بينما تبقى البقية مدفونة تحت الارض : والذى سنجده فيما نكتشف لن يكون الا قطعا مبعثرة من الادوات الحجرية وغيرها هى كل ما تبقى من مدنية معقدة التكوين بمقاييس عصرها على الاقل . الىجانب قدر من العظام المتحجرة ...

« برغم هذه الصعوبة الكبرى ، فاننا نجتاز الان ثورة فى دراسة عصور ماقبل التاريخ ! والذى كان الى عهد قريب مجرد جهود عزلاء منعزلة للعثور على أدوات حجرية وحفنة من الحفريات أصبح الان بحثا علميا تشارك فيه مجموعات عديدة من العلماءمن تخصصات كثيرة ، وقد أصبح الان واضحا بما لا يقبل الشك أن خط التطور الذى انحدر منه انسان اليوم يمتد الىالوراء الى خمسة وربما ستة ملايين سنة ، وليس مليون سنة فقط كما كان العلماء يعتقدون الى بضع سنوات مضت !ومن الواضح ايضا ان اجدادنا الذين تناسلنا منهم كانوا يقتسمون نفس البيئة مع نوعين من المخلوقات لهم بهما صلة وثيقة ولكنهما انقرضا بعد ذلك ،هذان « النوعان الادميان » ، يطلق عليهما اسم « أوسترا لوبيتيسين » ، أحدهما كان ضعيفا نوعا ، أما الثانى فكان صلبا .

هذه الانواع الثلاثة ، تنتمى الى اصل واحد مشترك على الاقل ، وهو قرد صغير يسمى « رامابيتيكاس » ، ظهر لاول مرة منذ اثنى عشر مليون سنة على الاقل وعاش فى أوربا وآسيا وأفريقيا . شىء آخر تشترك فيه هذه الانواع الثلاثة ، هو انها كانت كلها منتصبة تمشى على قدمين ، ولا يمكننا

حتى الان ان نصف عملية التطور التى ادت الى ظهور هذه الانواع الثلاثة ولكن مع الكشوف الكثيرة الاخيرة يمكننـــا وصف اسلوب معيشة كل منها بشىء من التفصيل ، ولم تكن هناك خلافات كبيرة بينها أول الامر ، الا أن « هومو » ، وهو الكائن الذى نلحدر منه، بدأ يتميز ويتطور مبتعدا عن زميليـه ، وكان من الاحداث الخطيرة فى تطوره أن بدأ ياكل اللحم ، لان اكل اللحم يتطلب الصيد ، والصيد يتطلب التعاون وايجاد الجماعات وكان الامر الثانى هو جمع الثمار للطعام استمر هذا وذاك الى فترة ترجع لمـــا لا يزيد على عشرة آلاف سنة ، عندما بدأ الادميون يعرفون الزراعة .

بقية القصة معروفة ، جاءت الثـورة الصناعية بعد الثورة الزراعية «فى القرن الماضى فقط » وادى هذا الى الحيــاة التى نعيشها اليوم ، وصحب ذلك تزايد تعداد الكائن البشرى من عشرة مـلايين اثناء الثورة الزراعية ، الى مايزيد عـلى اربعة آلاف مليون ، اثنان من كل ثلاثة منهم يعانيان الجوع !

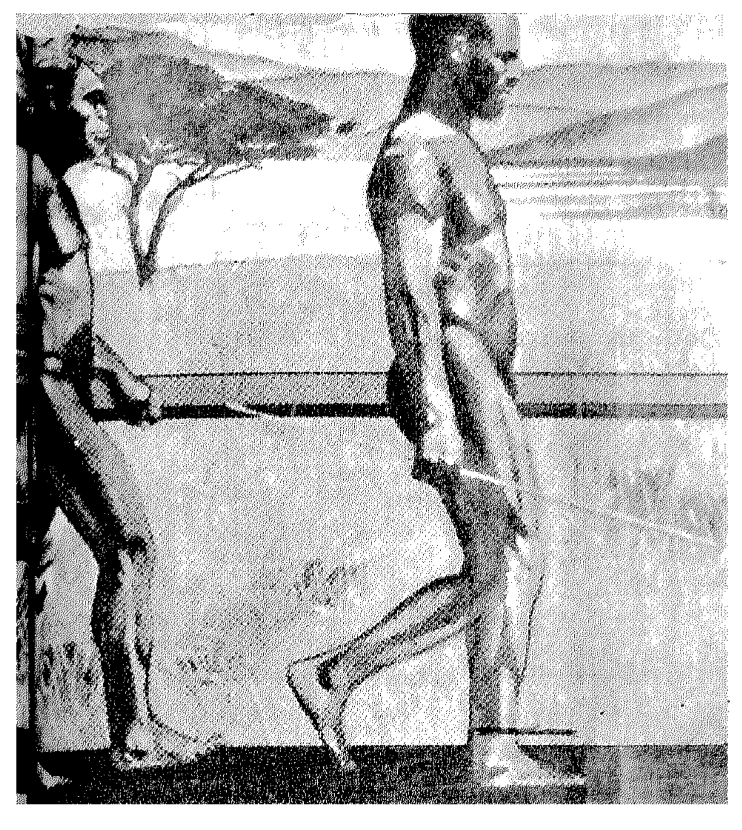
المقياس الزمنى

يلجأ المؤلف الى تصوير جميل للفواصل الزمنية بين مراحل تطـــور الانسان ، فيقول : لو اننا اردنا ان ندون تاريخ كوكب الارض ، يوما بيوم ، وسنة بسنة منذ أن ولد هذا الكوكب كعضـــو فى مجموعة الشمس ، منذ ما يقدر بأربعة آلاف وخمسمائة مليون سنة ، فى كتاب واحد يقع فى الف صفحة بالضبط ، كل صفحة تصف أربعة ملايين ونصف مليون سنة ، فان الربع الاول من الكتاب حوالى ٢٢٠ صفحة ، ستصـــف كيف وجدت الظروف التى تناسب نشـــأة الحياة ، والتى جاءت بعد أن تـكثفت الغازات لتكون جسم الارض . عندئذ ، بدأت كتل جيلاتينية التكوين ، اجسام حية بلا شك ، تظهر فى دوامات المحيطات الدافئة .

اما بقية انواع الحياة البحرية التى نعرفها الآن فانها لاتظهر الا عندماتاتى على ثلاثة أرباع الكتاب ، وعصر الحيـــاة السمكية يرجع الى خمسمائة مليـــون سنة ، اما الكائنات البرية الاولى ،وهى سلالة الكائنات البحرية التى هجـــرت حياة البحر ، فتظهر بعد ذلك بثلاثين صفحة ، اى منذ حوالى ٣٥٠ مليـــون سنة .

يأتى بعد ذلك عصر من اكثر عصـــور الحياة الارضية اثارة للذعر وهو عصر الديناصور ، الذى يستمر ثلاثين صفحة تصف الفترة التى تمتد منذ ٢٢٥ مليون سنة مضت ، الى ٧٠ مليون سنة مضت وفجاة تختفى هذه الكائنات الهائلة وتحل الثدييات محلها ، وفى هذه الفترة ذاتهـا منذ ٧٠ مليون سنة ، بدأ ظهـــــور « البدائيات » وهى الكائنات القـــروية ذات الاصابع ، وقد بدات بأنواع تشبه الفئـــران ، ما لبثت أن تركت الارض وصعدت الى الاشجار ، من هــــذه الانواع تنحدر القـــرود والنسانيس والانسان .

ولكن أول مخلوق يشبه الادميين يظهر قبل نهاية الكتاب بثلاثة صفحات فقط ، منذ حوالى ١٢ مليون سنة ، هذا هو « راما بيتيكاس » ، اما الانســـان « هومو » ، فيبدأ فى الظهور فى نهاية الصفحة قبل الاخيرة !! اى ان عمـره لا يزيد الا قليلا جدا على واحد من الالف من عمر الكوكب الذى يعيث فيه فسادا الان ، ويبدأ ظهور العدد المصنوعة من الحجر ، وهى علامة عظمى فى تطـــور الانسان ، فى منتصف الصفحة الاخيرة ، واما الازمنة الحديثة ، فتتزاحم الجمل التى تصفها ، فى اخر ســـطر فى الكتاب ! وفيها كل شىء : الفنون والقيم الجمالية ، واللوحات الفنية التى تصور كهوف العصر الحجرى ، ثم بداية الزراعة فى مصر ، ثم الاثارة الفكرية التى صاحبت



معلومات جديدة عن تطور الإنسان

عصر النهضة فى أوربا ، واضطرابات الثورة الصناعية ، وظهور القوى الكبرى واستقطاباتها الدولية ، وبداية عصر الفضاء ، وكل هذا الذى نعيشه اليوم، ليس الا لحظة تافهة فى تاريخ الكون العظيم !

يمضى المؤلف فيقول : ان الانسان قد يكون هو سيد الارض فى الوقت الحاضر ولكن علينا أن نراعى أن تاريخنا على الأرض ليس الا لحظة خاطفة في زمن طويل ، وانه كما أن الماضى طويل ، فالمستقبل بعيد ايضا ، وسوف تمضى مائتا مليون سنة من الان ، والسؤال هو : هل سيكون « هومو ـ سابينز » أى الانسان « العاقل » كما يسميه العلماء ، هل سيكون موجوداً على ظهر الارض ؟

الاجابة هى ، النفى ، بشكل يكاد يكون مؤكدا . وذلك لسببين : اولهما أننا اذا مضينا فى غرورنا واسرافنا فى استهلاك مواردنا بالمعدل الذى يتميز به الان من يعدون أنفسهم « متمدينين » فاننا سنكون قد استهلكنا البيئة التى نعيش فيها بقدر يفوق قدرتنا على التلاؤم ، ان لم نكن قد أتينا على كوكب الارض ذاته ، والسبب الثانى هو مايدلنا عليه تاريخ الارض ذاته ، وهو أن استقرار عنصر واحد من عناصر الحياة ، معقد بهذا القدر ، لفترة طويلة مهما كان قادرا على التغير والتلاؤم ، غير ممكن من الناحية البيولوجية ،كما ان حياتنا الفكرية واسلوبها يعلوان فوق حياتنا البيولوجية ، وهذا فى حد ذاته يجعل مستقبلنا أكثر غموضا ،ويجعلنا لا نستطيع أن نتنبأ بما سيأتى بعد مائتى سنة ، لا بعد مائتى مليون سنة .

كلمة عن المؤلف

مثل هذا الشاب النابه ، هو مايحتاجه كل مجتمع يصبو الى النهضة والى مكانة دولية لائقة . وقد جربنا نحن المصريين ، عصرا كان فلاسفتنا يقولون لنا فيه انه لا أمل فى التقدم التكنولوجى والعلمى ، وان العوض اذن يكون مايسمى « التقدم الاجتماعى » ، أى أن البديل للعقول وللسمو الفكرى هو أن نترك زماننا للرعاع يقودوننا الى الوفاة الفكرية والثقافية .

وقد ولد ريتشارد ليكى ليكون عالما انثروبولوجيا ، كما سبق كان أبوه لويس ليكى ، باحثا قديرا فى تطور الانسان ، مات سنة ١٩٧٢ ، بعد أن كان قد اضاف كشوفا مثيرة نتيجة لبحوثه عند بحيرة « توركانا » فى كينيا ، (والتى كانت تعرف باسم بحيرة رودلف) وكان ريتشاد قد أتم ستة شهور من عمره عندما صحبه ابواه فى اول رحلة استكشافية .

وكان قد تعلم الكشف عن الحفريات وفحصها من قبل ان يتعلم النطق ، ثم تعود استقبال العلماء ومصاحبتهم فى رحلات أبيه الاستكشافية ، وفى السابعة عشرة ترك دراسته وبدأ يخرج فى رحلات التنقيب بمفرده ، مرتزقا من الصيد ومصاحبة هواة « السافارى » ،



حلقات التطور كما يتخيلها العلماء

وفى سنة ١٩٦٣ شاهد من رحلة بالطائرة فوق المنطقة موضعا اعتقد انه قد يحوى آثارا هامة ، وبتشجيع من ابويه بدأ اعمال الحفر . وقد كان ان عثر على اجزاء من هيكل ((أوسترا لوبيتيكاس)) ، وهو الكائن الذى يقال ان القردة والادميين تنحدر منه .

سافر بعد ذلك الى انجلترا للدراسة، وتقدم للجامعة واجتاز امتحانات القبول ولكنه وجد ان عليه ان يضيع سبعة شهور قبل بدء الدراسة ، فترك الجامعة واستأنف اعمال التنقيب ، ومازال حتى الان لا يحمل هذا الشىء الذى يعتبر فى بلادنا تصريح الدخول الى الحياة : الشهادة الجامعية !

وفى سنة ١٩٦٨ سافر الى امريكامع ابيه وطلب قرضا من الجمعية الجغرافية القومية هناك ، لينفق منه على بحوثه ، وعثر فى منطقة بحيرة توركانا على الآثار التى غيرت نظرة العالم كله الىالمعلومات التقليدية عن تاريخ الانسان .

ماذا تقول الحفريات ؟

مصدر المعلومات عن ماضى الانسان هو البقايا العظمية التى تعطى أجزاء دقيقة جدا من الحقائق ، التى كثيرا مالاتكون حقائق ، وكثيرا ما تناقض بعضها البعض وتخلق اسئلة اكثر مما تعطى اجابات ».

وليست كل الهياكل تعيش طوال هذه السنين ، لابد أن تكون « محظوظا » لكى تموت فى ظروف تجعل عظامك تكتشف بعد مائه مليون سنة ، فالذى يحدث هو أن يموت الحيوان أو النبات ويدفن فى الطين الذى يغطى بعد ذلك بركانيا ، أما اذا مات فى أدغال غابات ممطرةفان عظامه تتحلل كيمائيا بحيث لا يبقى منها اثر بعد ذلك . القليل من العظام اذن هو الذى يتحجر ويبقى ، والقليل من هذه هو ما يكتشف ، والقدر الاعظم من هذا ـ كما اسلفنا ، يوجد فى شرق أفريقيا .

والعثور على الحفريات يتطلب بصرا ثاقبا وحاسة « مهنية » راقية ، هذا النوع من الفراسة الذى يتميز به الباحث الموهوب ، وهناك من اكتشفوا أدلة لها أثر عظيم على النظريات الأنثروبولوجية فى أماكن يمر بها ألوف الناس كل يوم دون أن يلحظوا شيئا ..

قصة لم تنشر

كرامة شخصية

● محمد عبد الحليم عبد الله ●

كان الزوج مطرقا ... لم يتكلم .. لم ينف الحادثة ولم يثبتها ...

● كانت نهاية كل اسبوع تحمل اليها خطابا منه ، وتحمل اليه خطابا منها .. وبدت الحياة التي يصفها كل منهما على الورق جديدة طريفة كانهما لم يعشا مثلها من قبل ، كتلك التى يصفها الروائى ولا يستطيع ان يحياها ..

وكانت هي واثقة بان فترة البعد التي فرضتها عليهما الظروف هي التي اكسبت الدنيا طعمها الجديد . فقد رات زوجها يحلق ذقنه امام المرآة كل صباح ، لكن كلمة : « وحلقت ذقني ثم تناولت فطوري » ـ التي كتبها لها في احدى رسائله ـ كان لها سحر وعطر ذكريات ...

وتنهدت .. وعادت تنفث من ذهنها هذه الفكرة . فكرة أن البعد هو الذي اكسب حياتهما هذا الطعم الجديد . وهزت رأسها وهي في النافذة تنظر الى لا شيء . حين ادركت ان البعد يخدم الحب والكره بميزان واحد ، يخدم الحب باشعال الشوق ، ويخدم الكره ببذر النسيان .

وعلى الرغم من ان الفصل صيف ، فقد كانت هذه المدينة الصغيرة تنام في وقت باكر ، وتسهر « سميرة » في الشباك تلقى نظرات على الليل والشجر والنوافذ البعيدة وملعب الكرة الفسيح الخالي الذى اكلت اعشابه احذية اللاعبين ، وعلى امراة حامل يسبقها بطنها ويتبعهما زوجها تتمشى على الطريق الهادىء .

ويتيح لها كل هذا ان تفكر في حياتها وان تلقى نظرة على الاعوام التي مضت .

انه رجل لطيف .. زوجها . جاوز الاربعين بقليل ، يشغل وظيفة في ديوان المحاسبة وله صلات اجتماعية لا باس بها . من النوع ذى الاعمال المتتابعة الذى ينكشف لك منه بعد جديد بعد ما توقن انك قد وصلت الى قراره . وهو لذلك يسحر النساء ، غير أن ثقة سميرة بنقاء صفحته كانت موضع عجب كل من يعرفونهما ، وكانت تحس ان فتور علاقته بها احيانا شيء مثل فتور



النوم .. وينتمي الى الحيوية مثل انتماء الراحة الى العمل . وحتى اخطاؤه الحقيقية كانت لا تنال الا صفحها .. كثيرا ..

لكنها فى هذه الفترة التى يغيبها الآن — فى الاسكندرية — خامرها شعور غامض كشعور العذراء ، ذو طابع قلبى اكثر من اى شىء آخر . وخالطها هذا الشعور طوال الليلة الماضية فلم تنم كثيرا . وفى ساعات النوم كانت تحلم بما ستعمله فى الصباح . وفى الصباح الباكر منذ الساعة السادسة والاولاد لا يزالون فى فراشهم . ارتدت ثوبا بسيطا وخرجت من البيت .

وكانت تبتسم وهى فى الطريق وفى لحظة من اللحظات لم تفطن الى ان الابتسامة التى على شفتيها كانت واضحة جدا الا عندما ابتسم لها احد الطلبة ورفع لها يده بالتحية .

« ما اجمل ان يستمع منى اليوم كلمة صباح الخير على غير انتظار ! قبل ان ينزل الى عمله .. قبل ان يغادر غرفته فى الفندق الذى ينزل فيه .. ما اجمل ذلك ! »

وتمت هذه الفكرة على وجه ما عندما كانت الساعة تشير الى السابعة صباحا فى مكتب التليفون فى المدينة الصغيرة و « سميرة » تنظر الى الساعة من خلال الباب الزجاجى المقفل .

ثم كتبت له آخر خطاب تقول فيه : « اننى انتظر عودتك التى لم تحددها بعد ! » وكان مليئا بعبارات حب لم تكتبها اليه من قبل .. عبارات عادية غير مغلفة كما تعودت ان تفعل ، فقد كان فى بعده يقرأ رسائلها فيحس كأن الحياء يتسلط على اهم كلماتها . اما فى هذه المرة ، فهناك حديث عن القبلة والشفة الغليظة والتلاشى بين الذراعين القويتين . كانت الرسالة امامه كجسد سقطت عنه الغلائل .. وخيل اليه انها تتحدث عن حبها له بصوت عال يسمعه الجيران ، فلم ينكر حديث الحب بل انكر ارتفاع الصوت . يا الهى ما هذا ؟!

وقلب الرسالة بين اصابعه باهمال ،

وتاهت نظراته فى البحر الصاخب ، ثم استقرت وهو يسندها على الراية السوداء المرفوعة على سارية . وتنهد .. وبحث عن ريقه ، احس انه ظمآن .. الى ماذا ؟! الى الراحة .. وهل هناك شىء ؟ !

كان موقنا ان احاديث الحب لاتصلح الا همسا ، ويعلم أن « سميرة » تعرف ذلك وتذكر رسائله اليها . كانت فيها عبارات غير مغلقة ، فهل احست هى بنفس احساسه ؟ ربما ! وشرد يتذكر .. كان قادرا فى هذه اللحظة على استحضار كل ما فات . على قراءة الرسائل التى عنده .. كانت منشورة أمامه . وقال فى نفسه : « بمثل هذا سنعذب فى الاخرة عندما تصبح اخطاؤنا ماثلة امامنا كيوم وقعت ويكشف حجاب الغيبة عن عيون الناس .. آه » ..

ولم يدر لماذا اوحى اليه ان ينهى مهمته فى الاسكندرية قبل ميعادها المحدد بايام .. وركب القطار عائدا الى المدينة الصغيرة . وكان طول الطريق يفكر فى الكلمات العارية والصوت الهامس ، عندما يفتح الباب بالمفتاح الذى يحمله ويفاجئها فى ركن الشقة .. آه !

ترى ماذا سيكون الموقف ؟ ! ان المفاجأة ستحملها على البكاء .. حتما !! وتخيلها وهى مسندة راسها الى كتفه تبكى كطفلة كبيرة .. ثم طعم الماء المالح الذى بلسانه ، انه اعظم انواع الحلوى ! ..

وادار المفتاح فى الباب برفق شديد ودخل على اطراف أصابعه .. كان كل شىء ساكنا والشبابيك مغلقة . ولم يكن ممكنا ان يراها من الشارع الرئيسى الذى جاء منه لأنها كانت تطل على شوارع خلفية . وعجب .. وعلى الرغم من يقينه الا احد فى المسكن فقد رفع صوته ينادى كما يفعل الجريح ليثبت لنفسه انه لم يمت . نادي : « سميرة » .. فجاءه الصدى . ولم يكن هناك مجال للعتاب فميعاد عودته كان بعد أيام .. نعم وقرية أصهاره على مسافة نصف ساعة بالسيارة من هذه العاصمة الصغيرة .

وحمل راسه بين كفيه وهو جالس على احد الكراسي فى المدخل ، ثم افاق قليلا فراي ورقة كبيرة تنادى من يقرا موضوعة على احدى المناضد . نقام اليها ملهوفا وقراها .

كانت تقول له : « اننى يا حبيبى سئمت الوحدة والوحشة » ولم تستطع ان تتعذب بالشوق وهى فى السجن الانفرادى فسافرت الى اهلها فى الريف : «واذا قدر ان تحضر وانا غائبة فاطلب اخى فى تليفون العمدة .. قبلاتى والأولاد » .

واحس نوازع الشوق تكاد تحرقه . واحس بظمأ شديد . ثم قام ففتح النوافذ واطل على الملعب .. كان هناك فريقان يتصارعان وغبار خفيف معقود فى سماء الملعب . واصوات التشجيع والارشاد والمخاوف تتناهى اليه . ولم يكن داخل الزوج باهدا من هذا كله . كان فى نفسه غبار وألم واشياء يصطدم بعضها ببعض ..

وترك النافذة وعاد الى المدخل لياخذ حقيبة سفره . وعندما انحنى لياخذ الحقيبة القريبة من الباب راى ورقة اخرى ، فى حجم نصف الخطاب المعروف داسها بقدمه وهو داخل ، ومن المؤكد ان يدا دفعت بها من تحت الباب المقفل لتدخل الى الشقة ،

وليراها الداخل عندما يعود ..

وقراها بلهفة . كانت مكتوبة بسرعة واهمال . انسان يريد ان يقول شيئا بسرعة وخوف وان كان عمله لا يخلو من المجازفة : ((حبيبتي .. كنت اطمع في لقاء آخر قبل سفري ، لكن .. ظروف . ((س)) ((...))

ولم يصدق عينيه . وعاد نقرا الورقة حتى .. صدق عينيه ! ثم ، **وضع خطابها جنب هذا الخطاب** الحب عن اليمين والخيانة عن اليسار ، وكاد يجن . . انه شيء لا يصدق . وحمل رأسه بين كفيه واطرق يذكر الماضي . الجنة والنار .. والدنس والحريق حتى بلغ به العذاب منتهاه **فقرر أن يتصل بتليفون العمدة ويطلب** شقيقها ويقول له : ان كل شيء بينهما قد انقضى . و .. و ..

وعندئذ سمع جلبة على الباب واقداما لاتزال تصعد السلم . وصوت ولده وبنته يحاوران امهما في شيء **فتأهب للقتال وهو جالس خلف الباب .**

ومن فتحة الباب دخل الطفلان اول كل شيء واغرقا الأب في عناق طويل ولم يكن لقاء الزوجين في حرارة لقاء **الأب واطفاله فقد حاولت « سميرة »** أن تحتفي به بما يسمح الموقف الذي يشهده الأطفال ، فرد عليها ببرود . لكنها جلست الى جواره تثرثر ببراءة عجب لها . وكأنها لا ترى الوجوم الذي يظلل وجهه :

« كانت اياما جميلة .. اقصد التي قضيتها انا في الريف . آه ، مالك ! .. مؤكد انك تعبان من السفر » .

— مؤكد !!

— آه .. « وضحكت في سعادة » قلت في نفسي مادام زوجي يغطس كل يوم في البحر فلماذا لا أفعل مثله ! »

فرد في فتور وتحد قائلا :

— آه ، صحيح .. واجب !

— لكن .. بما انه ليس هنا بحر مثل بحر اسكندرية فلماذا لا اذهب الى الريف .. البحر الاخضر .. هناك ، هه ؟! لماذا لا ترد ؟

— ...

— آه ، هل قرأت الرسالة التي تركتها لك ؟ معذرة فقد كانت امي مريضة ، **آه .. هل اعجبتك افكاري .. ما** رأيك في رسائل الغرام التي اكتبها ؟ هل تراها من النوع الحاد ؟!

فرد وابتسامة مخيفة تتخايل على شفتيه ، ابتسامة المبارز حين يخرج السيف من جرابه ليشهره في وجه خصمه .

ثم هز رأسه مرتين وقدم لها احدى **الرسالتين قائلا :**

— في حرارة مثل هذه الرسالة ؟

وظل محملقا فيها .. اما هي فقد قرأتها ووضعتها على منضدة برفق ، ثم اخذت الاطفال الى الداخل ووضعت لهم طعاما يشغلهم ، وعادت اليه وعلى وجهها علامات تصميم شديد :

— اين التقطت هذه الورقة ؟

— من صفيحة القمامة !

— اذن ، اذن .. فلا علاقة لنا بها !

— لقد وجدتها في المدخل ، مدفوعة بلا شك من تحت الباب .

— وانا مالي !

— أليست موجهة اليك ؟



ـ لا يا وكيل النيابة : لكن الا تثق بى ؟ !

ـ كنت ...

ـ والآن ؟!

ـ لا .

ـ لا ؟ لكن .. لماذا اثق بك ؟!

ـ لاننى اهل لذلك !

ـ اهل للثقة لاننى لم اجد مثل هذه الورقة التافهة فى اوراقك ؟!

فهز كتفه ولم يرد .. وظل يحملق كالنمر الذى ينتظر فرصة الوثوب ، وخيم صمت حاد جدا . قالت بعده :

ـ هل تحب ان تعرف الموقف ؟

فضحك حتى لمس راسه الحائط .

ـ وقال ساخرا :

ـ اذا سمحت !

فتنهدت وقالت :

ـ احسست بشوق شديد اليه .. قمت فى الصباح الباكر ولبست ثيابى ، وكان الاطفال نائمين ..

ونظرت اليه . فاذا به فاغرا فمه متعجبا من اعترافها . فاستطردت :

ـ وكانت الساعة تشير الى السابعة صباحا حين كنت فى كشك التليفون اطلب الفندق . فى اسكندرية ..

وصمتت ونظرت اليه . كان لونه مصفرا وبدات اعضاؤه تتراخى ، وقلت حدة نظراته .. واستطردت :

ـ ردت على عاملة التليفون هناك وسالتنى : من تطلبين ..؟ ثم قالت بعد وهلة كمن تذكرت شيئا : آه .. لقد نزل حالا .. هل ترغبين ان تكلمى المدام ، فلما وافقت طلبت الحجرة التى فيها ـ انت تعرف من صاحبها ؟! ـ لاكلم المدام .. لكن ما لبثت العاملة ان اعتذرت بانها لا ترد فلعلها فى الحمام ..

((ثم استغرقت فى الضحك)) ..

كان الزوج مطرقا ، لم يتكلم ، لم ينف الحادثة ولم يثبتها .. ولما طال الصمت قالت له زوجته :

ـ افرض ان هذه الورقة التافهة صحيحة .. فما رايك فى قاعدة المعاملة بالمثل ؟!

فرد بصوت جريح . لكنه قادر :

ـ انا .. لا ، لا اقر هذه القاعدة ..

فردت هى بهدوء قائلة :

ـ ولا انا .. بالنسبة لى فقط ، لاننى احترم نفسى !.

ثم قامت وغابت قليلا وعادت وجلست ثم سالته :

ـ هل تطلب تفسيرا لخطاب الغرام القصير المتعلق بى انا ؟

فاوما براسه : نعم .

فقدمت اليه النصف الثانى من الورقة .. وكانت تذكرة طبيب تعودوا التردد عليه . قطعت نصفها الابيض وقلبته وكتبت عليه بيدها اليسرى ما كتبت ، وكان عنوان عيادة الطبيب على هذا النصف لكن على الوجه الآخر .. شطبته بالرصاص ليمكن مسحه عند التحقيق وكتبت بنفس القلم الذى شطبت به . كانت تقوم بمسح الشطب وتركيب نصف التذكرة الابيض على النصف الآخر بهدوء ومهارة ، وهو صامت صمت الصنم .

ثم قدمت له كل هذا فى صمت ...

عندئذ قام وهو لا يتكلم . فشيعته بكلمة واحدة :

ـ هل عرفت ؟!

لكن مستقبل الايام كان احسن .. لكن بالتدريج ، قليلا قليلا .. بعد ان استعادت النفوس هدوءها والقلوب ثقتها بمرور الزمن ، كما تسترد الارض المنهوكة خصوبتها .. قليلا ، قليلا .. ●

الجدّ والحفيد

● عامر محمد بحيرى ●

رجعتُ من حَلْبَـةِ القصيد ... بلعبةِ الجدِّ ، والحَفيدِ !
ولذّةِ اللّهـو ، والتّصابى ... كرّةِ اللّحن ، والنّشيد
كأنّنى أستعيد عمرى ... وهل لما فاتَ من مُعيد ؟
طفولتى بعدما تولّت ... تعود فى ثوبها الجديد ..
كأنّنى فى مقرٍ دارى ... بمجلسى المفرد ، الوحيد
من فتيةِ الكهف .. بعد نومٍ ... ألاعب « الكلب » بالوصيد
يقول « هو ، هو » .. فيستبينى ... بصوته النّاعِم السّعيد
يجيئنى الصبح فى سريرى ... بالصحف من عزمه الوطيد
ويرهف السّمع فى انتشاء ... لقارئِ السورةِ المجيد ...
وربما راحَ وهو يبكى ... فى غضبة الثّائر العنيد
وربّما عادَ فى ابتسامٍ ... وقدّم الكفّ .. للصعود ...
فقلت أهلا ، وقلت سهلا ... طوقت بالباقياتِ جيدى !
حفظت صحبى ، وأهل ودّى ... وصنت ما بينهم عهودى
وسقت غيثى لهم رحيما ... ينبت بالزّهرِ والورود
فلم أجد كالصّغار أهلا ... لحبّى الصّادق الأكيدِ
وكلهم كالحفيد عندى ... إذا تأمّلت ... من بعيد
أحبهم .. غيرَ أن قلبى ... يخصّه اليوم بالمزيدِ
فطالما شاقنى لديهِ ... براءة النّاشىء ، الوليد
براءة الطّفل ... وهى صدق ... أولى من الكذب ، والجحود !

صح النوم

● ● مهمــا كان مستوى البرلمانات فان جلساتها مملة في احيـان كثيرة ، وخصوصا عندما تطول المناقشات ويكثر الاخذ والرد في أمور لا تهم بعض القوم فيغلب عليهم النوم ، وهم معذورون ...
هذا يحدث في كل برلمانات العالم .
ولكن الصورة التي تراها هنا تستحق منك ابتسامة .
لقد اخذت في مجلس النواب الفرنسي المسمى بالكورتس اثناء التصويت على الدستور ...
وبينما كان الخطباء يتناوبون على المنصة قبل التصويت استولى الملل والسأم والنعاس على بعض النواب .



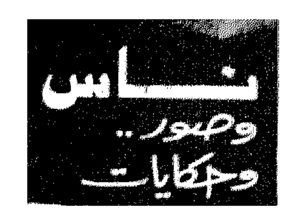


المليونيرة وسائقها

●● من الطبيعى ان يكون لكل مليونيرة سائق ، او اكثر من سائق . ولكن المليونيرة الالمانية ميتزى فايلاند وسائقها فيليكس اداتوس ثنائى عجيب .

انها اقصر مليونيرة فى الدنيا فطولها ١٤٥ سنتيمترا فقط وهو اطول سائق فى الدنيا ، فطوله ٢١٠ سنتيمترات ..

والصورة امامك تعبر عن هذه المفارقة ، حتى السيارة الفاخرة مرسيدس ٤٥٠ س ل – اغلى سيارة فى الدنيا – تبدو قزمة الى جانب هذا العملاق ! ..



هكذا تكون الاخوة

● ● عندما نبحث فى ملفات المحاكم عندنا نجد مئات من الاخوة غارقين فى قضايا بعضهم مع بعض على أشياء فانية من الميراث والى هؤلاء نهدى هذا الخبر :

رولف ريتر (٢٦ سنة) شاب المانى يعمل مهندسا فى احد المصانع الالكترونية ، وهو موفق فى عمله ، وكان الشيء الوحيد الذى ينغص عليه حياته هو أن اخته روزى (١٧ سنة) مصابة فى كليتيها وقد قرر الاطباء انها لن تعيش طويلا ٠

ولانقاذها كان لابد من استئصال الكليتين وتعويض روزى بكلية سليمة من اخيها ، وبكل نفس راضية وافق رولف ، واجريت العملية المزدوجة للاثنين فى وقت واحد : استؤصلت كليتا روزى ونقلت واحدة من كليتى رولف الى اخته ونجحت العملية وشفيت روزى ، وعادت اليها متعة الحياة ، فى الصورة السفلى روزى وقد اقعدها المرض ولم تعد تنتقل الا على كرسى ذى عجلات ، وفى العليا روزى واخوها بعد الشفاء ٠



لإنقاذ كلب

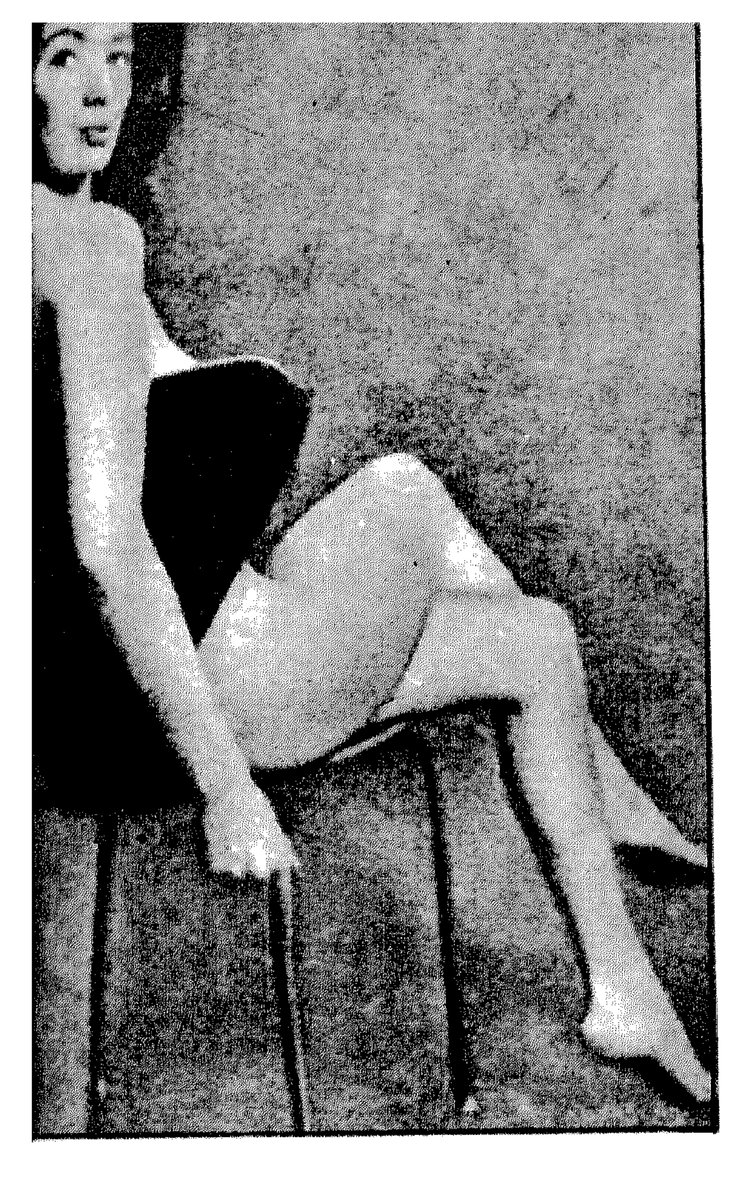
●● كان الكلب بللو ـ وجنسيته المانية لأن صاحبه ديتريش ليمان المانى من دسلدورف ـ يقفز فوق حفرة عميقة الى جوار قدمه ،ولكن اظافره لم تتثبت بالناحية الاخرى من الحفرة ووقع المسكين الى القاع ، وقف فى الماء الى منتصف اقدامه واخذ يبكى ·

وترامى الصوت الى صاحبه ، فاسرع الى رجال المطافىء ، فجاءوا بسلم حديدى ومدوه حتى بلغوا موضع الكلب وحملوه وصعدوا به ···

واخيرا عاد بللو الى ذراعى صاحبه ·

الا ترى الشكر والامن فى عينى الكلب ···

عادت إلى حجمها الطبيعي





هل تذكر كريستين كيلر والفضيحة التي أثارتها بعلاقتها باللورد بروفيومو الوزير الانجليزى اثناء الستينات ؟

يومها قال النـاس ان كريستين كيلر قفزت الى القمة واصبحت من شخصيات العصر ، وانها ستصبح من ذلك الحين كوكبا لامعا فىالمجتمع مثلها في ذلكمثل مدام بمبادور محظية لويس الرابع عشر مثلا ..

ولكن فاتهم ان مدام بمبادور لم تكن مجرد محظية .

كانت شخصية ادبية فكرية فنية .. كانت مؤهلة لتصير سيدة مجتمع وقبلة الانظار فى صالون ادبى كبير ..

ولكن كريستين كيلر كانت مجـرد امراة ارخصت نفسها ، ثم جاء اللـورد بروفيومو فهبط الى مستواهاواقام علاقة معها ، بغباء اللوردات المعروف ..

وتالق نجمها

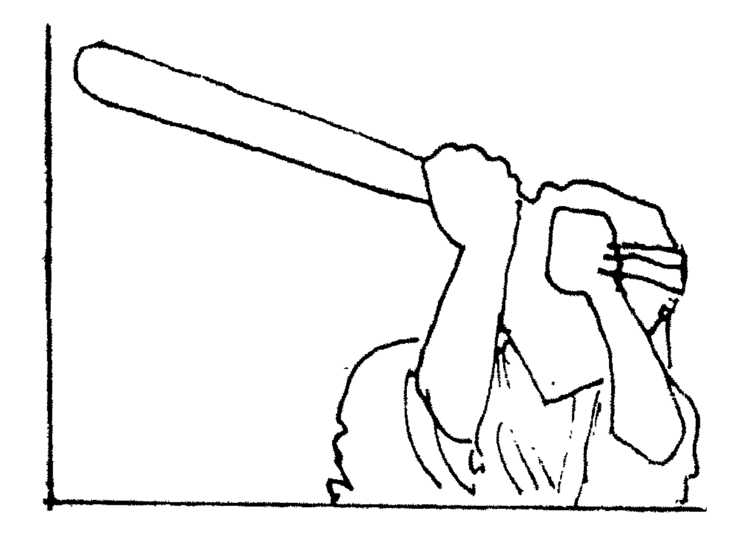
ولكن الفضيحة قضـت على اللورد بروفيومو .

وانطفا ضوء كريستين كيلر وعادت الى حجمها الحقيقى .. عادت عاملة فى محل تجارى ، بائعة فى متجر ضـخم لا يلتفت اليها احد ..

فى الصورة الاولى ترىكريستين كيلر أيام مجدها الرخيص ..

وفى الثانية كريستين كيلر كما هى اليوم .. فى حجمها الطبيعى .

ولا زالت مذبحة الأطفال مستمرة



في شمال كندا والسويد والنرويج تعيش في الثلوج الفقمات وهي نوع من كلاب البحر تمتاز بوداعة وظرف فهي في أصلها كلاب لطيفة امينة،ولكنها منذ ملايين السنين أخذت طريقها الى البحر واصبحت من فصائل الاسماك .

والفقمة تولد بفراء أبيض طويل الشعرفي غاية النعومة ، فاذا كبرت سقط الشعر الابيض الناعم ، وبدا من تحته الجلد الاسود فيخرج منه شعر اسود غليظ هو الذي تعيش عليه الفقمة بقية حياتها ..

ولكن الشعر الابيض الذي يكسوجسد الفقمة الطفلة اشتهر في عالم الفراء باسم المينك أو الديرمين ، وهو من اغلى انواع الفراء واجمله ، ومعطف المينك للسيدات قيمته عشرة آلاف جنيه ، لانه يتكون من خمسين فراء مهياة ومحاكة بعضها ببعض .

وكان الناس في الماضي يعثرون على طفلات الفقمات مصادفة فيأخذونها ويستخلصون جلدها ، وكان فراء المينك نادرا ولكنه تحول من سنوات الى تجارة واسعة النطاق .

وعندما تحول الامر الى تجارة أصبح الصيادون لا يبالون بشيء ، لكي يحصلوا على الفقمة الطفلة يضربونها بخشبة ضخمة على راسها لتموت ، لانهم يخافون أن يصاب فراؤها بشيء اذا ضربوها بالرصاص .. فاذا تصادف ان كانت الام موجودة قتلها الصياد بسكين لكي ياخذ الطفلة .

وقد تفاقم الامر في السنين الاخيرة ، فاصبح اولئك القتلة الذين يسمون انفسهم صيادين ينزلون بهذه الفقمات الاليفة مذابح رهيبة حتى لقد بلغ ما يصيده الواحد منهم عشرين طفلة في اليوم يبيع فراء الواحدة منها بنحو ١٠٠ دولار لكي يعالجها تجار الفراء بعد ذلك ويبيعونها بالف .

والنتيجة ان جنس الفقمات معرض للفناء ..

لارضاء جشع حفنة من الصيادين ووحشيتهم تنزل مذبحة بفقمات صغار بحياة جنس من الحيوان اليف وديع .

وارتفعت الصيحة في اوربا وامريكا، وتالفت جمعيات لمحاربة هذه الوحشية، وانشات هيئة الامم مؤسسة وظيفتها ايقاف هذه المذبحة الرهيبة ..

ونجحت الحملة الى حد ما ، ولكن المذبحة مستمرة ، خفت بعض الشيء . ولكنها مستمرة ...

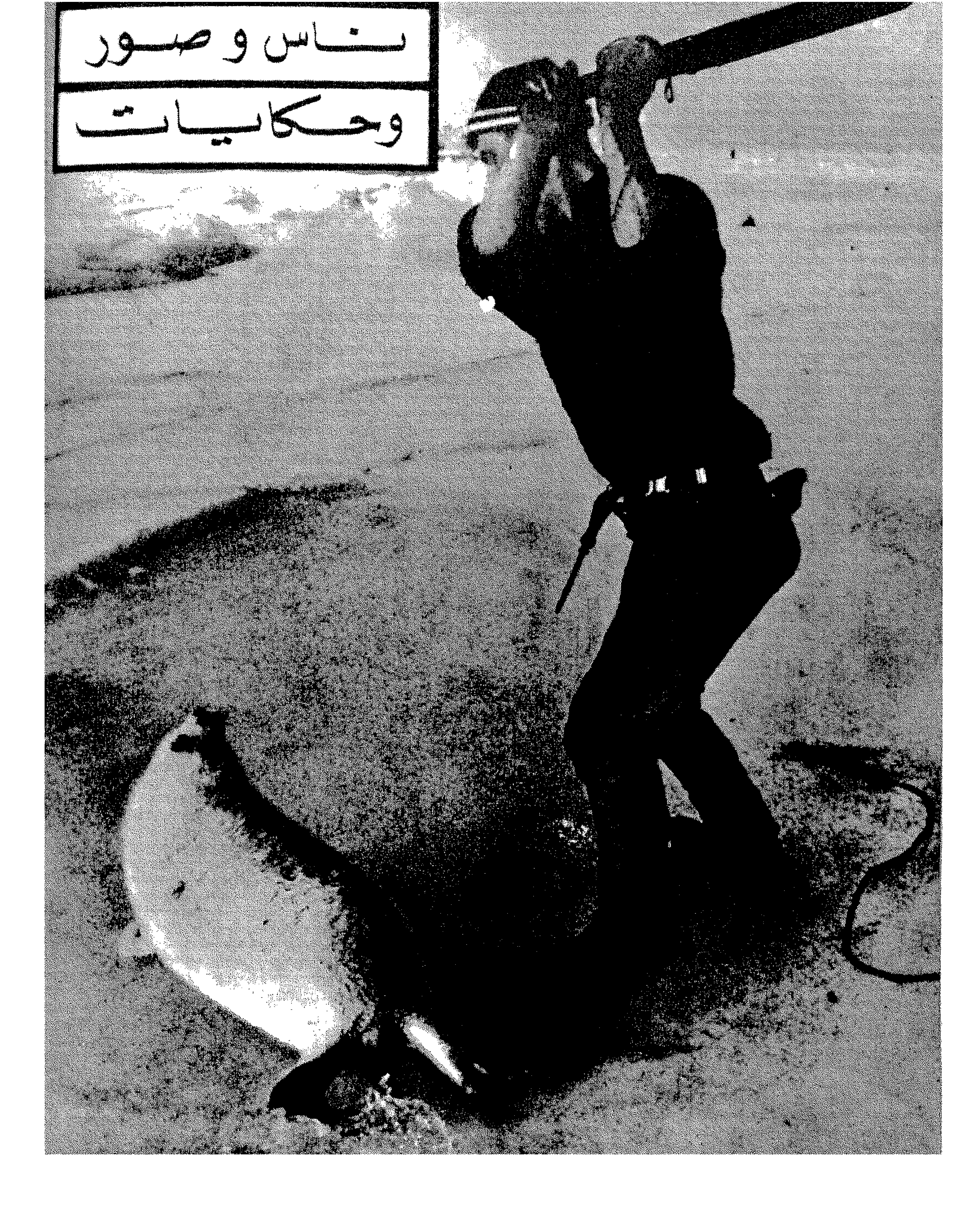
حقا ، لم يخلق الله على هذه الارض اسوأ من جنس الانسان : انه يبيد أجناسا كاملة ليعيش هو . كان في الولايات المتحدة عندما اكتشف الاوربيون أمريكا ٣٠ مليون من الثيران المعروفة باسم البيزون .

هذه كلها ابيدت !

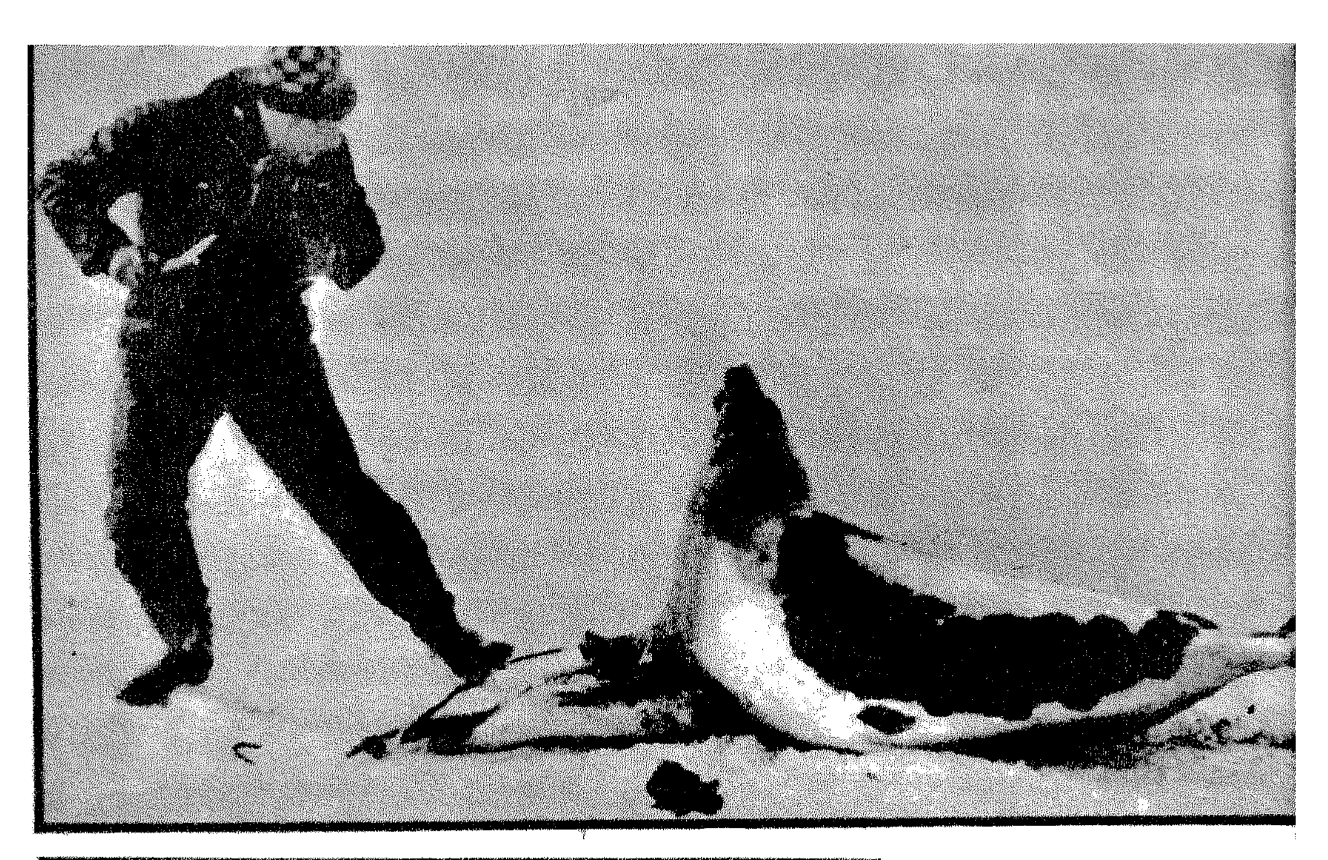
لم يعد من البيزون الا نماذج قليلة تعيش في المتنزهات القومية في كندا والولايات المتحدة ..



ويخشى ان يكون هذا مصير الفقمات اذا لم تتوقف مذبحة هذه الاطفال الوديعة



هكذا يقتل الصياد القاسي تلك الفقمة الطفلة بعصا غليظة ·· يضربها على رأسها ليقتلها دون أن يتلف فروها ·· انظر كيف تسترحمه المسكينة وترجوه أن يبقى على حياتها !·



هذه المرة وجد الصياد الفقمة الأم الى جانب طفلتها ، فاخرج سكينا وضربها فقتلها ثم قتـــل الطفلة لكي يحصـــل على ١٠٠ دولار ! أزهق روحين فى مقـابل هذا المبلغ الزهيد ٠



وبعد أن قام بجريمتـــه ربط الفقمة الطفلة القتيل بحبلوجرها على الثلوج لكىيبيعها بمال قليل

مرآة الفكر الغربي

الفراق

● للشاعر الانجليزي لورد بيرون ●

● ترجمة وتقديم : د . سليم الأسيوطي ●

● اللورد بيرون شاعر نال من التقدير والاعجاب فى خارج وطنه أكثر كثيرا مما ناله بين قومه ومواطنيه : ولم يهتموا له الا فيما بعد ، ولم يلتفتوا الى شعره الا فى وقت متاخر ..

ولد لورد جورج جوردن بيرون فى لندن ، فى الحلقة الاخيرة من القرن الثامن عشر ، وهو ينتمي الى اسرة نبيلة أخنى عليها الدهر . وعندما آل اليها لقب الاسرة ، « اللورد » كان هو فى سن الطفولة . ولكنه اضطر الى بيع ممتلكاته لتسديد ديونه .

ولم يهنأ بيرون فى زواجه : فقد اقترن بفتاة ورثت ثروة طائلة ، ولكنها حرمتها عليه ، كما بخلت عليه بالوفاء والولاء ، فتركته يجتر همومه ...

وسافر الى ايطاليا حيث انضم الى زمرة المقيمين فى « بيزا » وكان من بينهم شيللى . وهناك نشر عددا عديدا من اشعاره فى صحيفتهم « الحر » .

وفى عام ١٨٢٣ غادر جنوا الى اليونان لينضم الى صفوف المناضلين للدفاع عن حرية اليونان واستقلالها . ولم يمض وقت طويل عليه فى حياة الجندية والكفاح من اجل الحرية : حتى قضى نحبه اثر اصابته بالحمى فى ميسكوتونفى

قصيدته « دون جوان » ، وشقيقتها « تشايلدهارولد » — هما من أروع أعماله وأشهرها . أما هذه المقطوعة «الفراق» فهى رجع الصدى لما اصابه بعد هجر محبوبته

ON PARTING

The kiss, dear maid ! thy lip has left
Shall never part from mine,
Till happier hours restore the gift,
Untainted back to thine.
Thy parting glance, which fondly beams,
An equal love may see :
The tear that from thine eyelid streams
Can weep no change in me.
I ask no pledge to make me blest
In gazing when alone ;
Nor one memorial for a breast,
Whose thoughts are all thine own.
Nor need I write—to tell the tale
My pen were doubly weak :
Oh ! what can idle words avail,
Unless the heart could speak.
By day or night, in weal or woe,
That heart, no longer free,
Must bear the love it cannot show,
And silent ache for thee.

Lord Byron.

الفراق

للشاعر الانجليزى لورد بيرون

ان القبلة التى طبعتها شفتاك ايتها العذراء الحبيبة !
لن تزايل شفتى ،
حتى تبادلك الهدية ساعات اسعد
فتعيدها اليك طاهرة نقية

***

ان نظرتك التى تودعنى تشرق هياما
ستحظى بحب يعدله
والعبرة التى تنحدر من اجفانك
لن ترى غير مثيلها عندى

***

انى لا ابتغى عهدا يهبنى البركة
وانا احدق فى عزلتى ،
ولا ارغب فى تذكار لصدرى
الذى يحفل بكل ما هو لك

***

فلا جدوى من ان اكتب قصتى
وقلمى يعجز المرة تلو المرة
اواه ، ! ماذا عسى ان تفيد الكلمات العقيم
ما لم يستطع القلب ان ينطق

***

سواء فى الليل او النهار فى السراء او الضراء
يتعين على القلب الذى فقد الحرية
ان يحتمل عبء الحب الذى لايستطيع البوح به ،
وان يالم فى صمت من اجلك

شيء من العلم

أرسطو العصر الحديث!

● د. صلاح عبيد ●

نظر الى استاذ الفيزياء الذرية في احدى جامعاتنا بدهشة كبيرة حين شرعت اتحدث عن وجهة نظرى في معادلة الكتلة والسرعة « لآينشتين » ...

واستوقفنى قائلا انه حين كان يعد رسالة الدكتوراه خطر له أن يبدى ملاحظة عارضة على بعض افكار « آينشتين » فانتهره استاذه بشدة... ومن يومها وهو لا يجرؤ على تكرار ما فعل !..

وكان معنى كلامه انه اذا كان هذا هو حال اهل العلم ، فكيف تجسر انت يا رجل الأدب على معارضة « آينشتين » في أهم معادلات النظرية النسبية الخاصة والتى هي الوجه الآخر لمعادلة الكتلة والطاقة الشهيرة : ؟.

والواقع انني كنت سعيدا جدا حين تمكنت من فهم معادلات النظرية النسبية الخاصة ، وكنت اعتبر انني اضفت شيئا هاما جدا الى معلوماتي ... ولم يخطر ببالي أنني سوف اقف منها موقف الناقد أو المعارض يوما ما ، ولكن ما حيلتي وقد قادتني تأملاتي في طبيعة تركيب الاجرام الفلكية الى اعادة النظر في افكار « آينشتين » ومعادلاته ...

لقد وجدت أن نقيض فكرة الكتلة والسرعة على طول الخط هو الذى يفسر لنا طبيعة تركيب الارض مما لا أدخل الآن في تفصيلاته وكان على اما أن اضحى بفهم هذا التركيب أو بمعادلات «آينشتين» ... وقد اخترت التضحية بالثاني !.

وفي هذه الصيف شاءت الظروف أن اكون على مقربة من جامعة « ويلز » في بريطانيا ، وقلت لنفسي انها لفرصة رائعة لعرض افكارك في الفيزياء على بعض المتخصصين هنا !..

والتقيت بالدكتور « جوب ».

وكان الرجل لطيفا ومهذبا ، وتواعدنا على اللقاء في الغد ...

وحينما التقينا في موعدنا صباح اليوم التالي بدا لي أن الدكتور «جوب» فهم انني اريد شرحا مبسطا لقوانين الحركة ، فأخذ يشرح لي قوانين «نيوتن» من البداية ...

وبذلت جهدا في تحويل مجرى الحديث وتعميقه حتى تطرقنا الى معادلات النسبية الخاصة ، وحينما تبين له انني لا أوافق على التركيب الرياضي لهذه المعادلات حيث أدخل فيها « آينشتين » معامل لورنتز المبني على نظرية الاثير - توقف الرجل برهة كأنما فوجيء بأمر لم يتوقعه على الاطلاق ..

وقال : اذن فانت تعترض على معادلة « الكتلة والسرعة » ..

ومع انه ظل هادئا في نقاشه بعض الوقت الا انه أصبح عصبيا بعض الشيء وهو يستمع الى اعتراضي على التجربة التي أيدت هذه النظرية وهي تجربة نويمان وبوشرر ..

واشتد بيننا الخلاف على مفهوم الكتلة وقدمت له حجتي المبنية على البحوث الحديثة في الفضاء حيث تبلغ طاقة الالكترونات الحرة في أعالي الغلاف الجوى عدة مئات من ملايين الالكترون فولت ، بينما كتلتها القصورية صغيرة جدا .. ونهض الى احد كتبه يلتمس فيها ما ينقض حجتي ، ثم وعد أن يجد في المستقبل ما ينقضها . واحسست أنه غاضب بالفعل من جرأتي على « آينشتين » ، ولكنه غضب ملفوف بالتهذيب البريطاني وانتهت المناقشة الطويلة المرهقة دون أن يقنع أحدنا الآخر برأيه ...

ولكني تبينت بعدها أن «آينشتين» قد تحول الى عقيدة وانه ربما اصبح أرسطو العصر الحديث ... وأن المشقة التي تنتظرني في اقناع الناس بوجهة نظرى في طبيعة تركيب الاجرام الفلكية كما تمثلها الارض، على اساس نظرية تتعارض مع النظرية النسبية - هي مشقة كبيرة حقا ، ولكنها مشقة مصحوبة مع ذلك بلذة كبيرة .. ●

المهرجان

● سالم حقى ●

ذاعَ فى هذهِ الربا ذاتَ صبح
أنْ قضى اليومَ شاعرٍ فى المدينه
ماتَ وسطَ الضجيج .. دونَ ضجيج
وثوى راضيا .. بحضنْ السكينه
لم يشيِّعه للثرى غيرُ قلب
كان مُنذُ مطلع الشباب .. خدينه
هكذا .. تأفلُ النجومُ جميعا
فى زحام المدينة المجنونه !

***

عندما ذاعَ فى الربا : ماتَ شاعرٌ
رُوِّعَ الطيرُ والسنا والأزاهرْ
وارتدى الروضُ حُلَّة من حداد
ومشىَ فى المروج صمتَ المقابر ...
لملمَ الزهرُ عطره فى خشوع
وتهاوىَ منكسَ الغصن .. حاسرْ
والنسيم الهيمان كفهُ جنحا
حيه ، وحطت فوقَ الصباح .. الدياجر

***

وإذا بلبل يجىء من الأفـ
ق لهيفا ... مفزَّع النفس .. ذاهلْ !
صاح : يا هذه الربا والخمائل
يا طيورا .. يا نسمة .. يا جداول !
ذاكَ عيدُ الخلودِ فى الأرض .. هيّا
أرسلى الصوتَ واصدحى يا بلابل

***

ذلك الشاعرُ الذى عشق الـ
ـحسن وعاش الحياةَ إرنانَ طائرْ
وشذا زهرة ... وهمسَ نسيم
وسنا نجمة ... وإيمانَ ثائرْ
كفكفى الدمعَ يا ربا وأقيمى
مهرجانَ الجمال .. فالميتُ شاعرْ !

توماس مور في ذكراه الخمسمائة

● د . انجيل بطرس سمعان ●

● عندما ورد ذكر أحد المؤتمرات العديدة التي عقدت مؤخرا في كثير من بلاد العالم للاحتفال بالذكرى الخمسمائة لمولد « توماس مور » في حديث مع أحد الزملاء ـ كان رد الفعل المتسائل والمشوب بالدهشة لهذا الزميل هو : « وهل مرت خمسمائة سنة على مولد مور ؟ اني لا اخال ذلك ممكنا » .

ولكنه سرعان ما ادرك ان تلك حقيقة تاريخية لا مفر من الاعتراف بها .

أما رد فعله هذا فلعله دليل ، خير دليل ، لا على خلود اسم « توماس مور » وبقاء ذكراه حية في نفوس ابناء هذا الجيل فحسب ، بل على قربه الينا ، وعلى ان البعد الزمني بينه وبيننا يكاد يختصر تماما بحيث نرى « مور » وكأنه معاصر لنا في كثير من وجوه فكره وفلسفته ونظرته للحياة .. ومن هنا كانت ذكراه الخمسمائة التي شارك في احيائها عشرات من الكتاب والدارسين لحياة « توماس مور » واعماله ، ومئات من المعجبين به ، ومحبي شخصيته ، وذلك بالكتابة والقاء المحاضرات وعقد المؤتمرات العلمية واللقاءات العامة التي جمعت بين الدارس المتخصص والانسان العادي غير المتخصص ـ حدثا ادبيا فريدا من نوعه ..

وعلى امتداد عامي ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ التقى لاحياء ذكرى « مور » علماء وادباء ونقاد من انجلترا وفرنسا والمانيا واستراليا ونيوزيلندا ومصر والولايات المتحدة وكندا في جامعة انجيه في فرنسا ، واجتمع غيرهم وبعض منهم مرة أخرى في واشنطن بالولايات المتحدة وفي السوربون في باريس ، وغيرها من الجامعات أو المدن في المانيا وبلجيكا وانجلترا واليابان .

وكان أهم ما يميز معظم هذه اللقاءات انها اتسمت من ناحية بالروح العلمية الاكاديمية التي برزت في كثير من البحوث التي قدمت فيها ثم نشر بعض منها في الدوريات الادبية ، على أن يجمع افضلها وينشر في كتب فيما بعد ، كما اتسمت بروح الصداقة والالفة والوحدة الفكرية التي جمعت بين اناس من بلاد شتى ومهن مختلفة ، فمن اصدقاء « توماس

وتمثل هذه السمة من سمات شخصيته، وهي ما يمكن ان نطلق عليها عصريته أو قدرته على مخاطبة هذا العصر، احدى الزاويتين اللتين أود ان القى من خلالهما بعض الضوء على هذه الشخصية الفريدة الساحرة التى خلدها الزمن فظلت ماثلة امام عيوننا الى الآن ..

اما الزاوية الاخرى والتى قلما تنبهت اليها الغالبية الكبرى من عارفى هذه الشخصية، فهى ثراؤها وتعدد جوانبها بدرجة تكاد تصل الى حد الاعجاز. فقلما يذكر الكثيرون عن حياة «توماس مور» سوى علاقته المأساوية بالملك الطاغية هنرى الثامن، ملك انجلترا، الذى كان فى مستهل حياته صديقا لـ «مور»: شديد الاعجاب بكفاءته وقدراته فى مجال القانون والسياسة، واجراء المفاوضات بحيث لم يهدأ له بال حتى الحقه - بصعوبة شديدة - بخدمته فى البلاط اولا، ثم فى حكومة الدولة .. الى ان ارتقى اوفع مناصبها. ولكنه فى النهاية عز عليه ان يمتنع «مور» عن ان يبارك رغباته الشخصية الجامحة والتى تتنافى مع تعاليم الكنيسة التى يؤمن بها «مور» ويقدسها، ولا يرى غضاضة فى ان يضحى فى سبيلها بكل شىء حتى الحياة ذاتها ... وهكذا لم يتردد ذلك الملك الفاسد الشرير فى ان ينكل بذلك الرجل الامين الصادق الذى فضل الموت على خيانة المبادىء التى يؤمن بها وما يعتقد انه الحق. ومما لاشك فيه ان موقف «مور» هذا واستشهاده فى سبيل عقيدته دعامة قوية من دعائم شهرته وخلوده، خاصة اذا حاولنا ان ننظر الى هذا الموقف نظرة اكثر شمولية لنرى فيه الذروة لحياة «مور» وما دعا اليه خلالها من مبادىء وافكار، كما نرجو ان نوضح فيما بعد ..

أما النواحى الاخرى لهذه الشخصية المتعددة الجوانب الثرية غاية الثراء فستتضح اذا القينا نظرة سريعة على التفاصيل الرئيسية لحياة «مور» أولا ثم ركزنا بايجاز على بعض هذه النواحى.

ولد توماس مور فى مدينة لندن فى



توماس مور

مور» الى جانب الدارس والاديب، رجل القانون والسياسى، والمعلم ورجل الدين والطبيب والعالم وربة البيت والممرضة والادارى، ومنهم الشباب والشيوخ والرجال والنساء على حد سواء ..

وفى ذلك تحقيق لآمال توماس مور واحلامه فى انتشار الصداقة، والاخاء لا بين افراد الشعب الواحد بل بين جميع الشعوب والأجناس، وفى الاهتمام بالعلم والمعرفة وروح البحث والسعى وراء الحقيقة ما وسع الانسان الجهد.

أما ان دل هذا الاحياء الحافل والصادق لذكرى «توماس مور» الخمسمائة على شىء، فانما يدل على ما بلغته شهرته من ازدهار فى هذا العصر الذى يتضح أن - «مور» - قادر على مخاطبته تماما كما كان قادرا على مخاطبة عصره، او لعله أكثر قدرة على مخاطبة عصرنا الذى انتشرت فيه بصورة اكبر واعمق افكار كانت تعد أفكارا جديدة بل وخطرة فى بعض الاحيان فى عصره، واصبح اكثر تفهما لبعض صفات «توماس مور» ومواقفه عن بعض العصور الأخرى التى تفصل زمنيا بين عصرنا والعصر الذى عاش فيه سير «توماس مور» أو القديس «توماس مور» ...

توماس مور في ذكراه الخمسمائة

السابع من فبراير عام ١٤٧٧ ويقال ١٤٧٨ . « ومن هنا امتد الاحتفال باحياء ذكراه طوال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ » ، في « أسرة طيبة وان لم تكن مرموقة » كما كتب هو في المرثية التي تركها لتعيش على شاهد قبره .

وتعلم اللاتينية في مدرسة القديس انطونيوس. وفي حوالي الثانية عشرة من عمره انتقل الى منزل الكاردينال جون مورتون وهو رجل مشهود بتقواه ونزاهته وعلمه ، وكان يشغل منصب الوزير الاول للدولة ، وبينما يعمل الصبي وصيفا في داره على عادة القوم في ذلك الوقت ، تنبه الكاردينال الى تدراته فأوصى بارساله الى جامعة اكسفورد في عام ١٤٩٢ .

ولم يقض « توماس مور » سوى عامين في اكسفوزد ثم ارسله والده الذي كان يعمل قاضيا ويريد لابنه ان يسلك نفس الطريق ، الى مدرسة القانون وكانت تسمى بجامعة انجلترا الثالثة « بعد اكسفورد وكمبردج » ، واتم « مور » فترة دراسته وتدريبه ، واخذ في ممارسة القانون محاميا في بادىء الأمر ثم تدرج في سلك القضاء الى ان بلغ أعلى مراتبه .

وفي تلك الاثناء اخذ في تعلم اللغة اليونانية على أيدي خيرة دارسيها في ذلك الوقت ، جون كوليت ووليم جروسين وليناكر ، واظهر براعة فائقة في تعلم تلك اللغة والترجمة منها ، وابدى رغبة شديدة في تكريس حياته للدراسة والعلم . وان كانت رغبة والده في سلوك ابنه طريق الحياة العامة قد تغلبت في النهاية . ولكن حبه لليونانيات قد ظل أحد اهتماماته الرئيسية طوال حياته وزاده قوة لقاؤه بالعلامة الهولندي أرازموس ، عالم علماء الكلاسيكيات في عصر النهضة .

كذلك ظل « مور » موزعا بين رغبته في الخدمة الدينية وبين مواصلة العمل في سلك القضاء ، شاكا في صلاحيته لحياة الرهبنة والكهنوت ، فعمل على اختبار ذاته بأن قضى اربع سنوات بين رهبان دير تشارترهاوس ظل خلالها يجمع بين ممارسة القانون ومتابعة دراسة اليونانية والترجمة منها ومن اللاتينية ، وبين حياة التقشف والعبادة التي يحياها الرهبان . ولعلنا نجد هنا ثلاث نواح هامة ، من نواحي حياة « مور » هي : اهتمامه بالقانون وبالكلاسيكيات وبالدين . ويقال عادة ان لحياة « مور » العملية جوانب ثلاثة : فقد كان الدارس العالم ، ثم رجل القانون ومن ثم السياسي المبرز ، ثم القديس الذي ضحى بحياته في سبيل ما يعتقد انه الحق .

أما الجانب الأول فيتضح في كتاباته العديدة ومترجماته المختلفة في ميادين الأدب والتاريخ واللاهوت . فقد ترجم من اليونانية وكتب باللاتينية والانجليزية ، وفي ميدان الادب كتب الشعر والقصة الخيالية والمسرحية .

وكانت بادرة اعماله : « مقطوعات توماس مور اللاذعة والكثير من الأبيات الشعرية المترجمة من لغة الاغريق » والتي اخذ في كتابتها في عام ١٥٠٥ ونشرت كاملة في ١٥١٨ ، ثم ترجمة لسيرة حياة الكاتب الايطالي المعروف وأحد مشاهير عصر النهضة بعلمه ودعوته للاصلاح ، « بيكودى ميراندولا » بعنوان « حياة جون بيكو الميراندولي » حوالي عام ١٥١٠ كان قد شارك صديق عمره أرازموس في ترجمة ونشر « الكثير من أعمال لوكيانوس الصفري مترجمة الى اللاتينية على يد أرازموس وتوماس مور » في ١٥٠٦

وفي باب التاريخ أخذ في كتابة « تاريخ ريتشارد الثالث » باللاتينية وكاد يتم ترجمة انجليزية له بقلمه حوالي ١٥١٣ — ١٥١٤ . وكان يرمي الى ان يجعل من هذا الكتاب صورة تاريخية لعصره

حتى موت هنرى السابع ، ولكنه لم يتمه ، ربما نتيجة لانشغاله باعمال أخرى ، وربما نظرا لما راى فى ذلك من خطورة لما تعرض له من نقد لنظم الحكم الفاسد والظلم والقهر فى عصره .

اما كتابه التالى وهو « يوتوبيا » أو كما أطلق عليه «مور» عند نشره : « كتاب مفيد وممتع حقا عن الحكومة المثلى للدولة والجزيرة المسماه يوتوبيا»

فقد نشر باللاتينية فى مدينة لوفان فى ١٥١٦ ، واصبح أكثر اعمال « توماس مور » شهرة وأقربها الى قلوب القراء فى جميع انحاء العالم تقريبا . وسرعان ما توالت الطبعات المختلفة الواحدة بعد

الاخرى فى سرعة غير مألوفة ثم تتابعت الترجمات الى العديد من اللغات الأوربية اولا ، ثم فيما بعد الى اللغات الاخرى ومنها مؤخرا اللغة العربية .

وتتكون « يوتوبيا » ـ من كتابين : الكتاب الأول وقد كتب فى فترة لاحقة لكتابة الكتاب الثانى

وكانت كتابات « مور » من الصرخات المدوية التى نادت بالتغيير والاصلاح ونشر العدل والحرية بين الناس .

ويرى بعض النقاد فى « يوتوبيا » مقدمة لعصر النهضة فى انجلترا واحد اعمال النهضة الأوربية الهامة بوجه عام . وهى الى جانب ذلك وثيقة من وثائق الحركة الانسانية الأوربية التى كان « مور » احد أعمدتها ومن ابرز روادها أرازموس الهولندى وبوديه

الفرنسى ، وفيفيس الأسبانى ، وكوليت الانجليزى وغيرهم ، وكان الانسانيون جميعا يدينون بحب الانسانية والسعى

فى سبيل تحقيق العدل والسلام والوحدة بين الشعوب ، والعمل على نشر العلوم والآداب الكلاسيكية، ويتطلعون الى عصر يسوده العقل والعدل والرحمة

وقد ربطت الصداقة بين دعاة هذه الحركة والفت المبادىء المشتركة بينهم، فتبادلوا الرسائل كما هو معروف فى حالة « مور » و « ارازموس » و (بوديه) وغيرهم ، واصبحت كتاباتهم وثائق هامة لمخاوف الانسان وآماله فى تلك الفترة الهامة من فترات التاريخ الانسانى ..

من أعمال « مور » الأخرى « الأشياء الأربعة الأخيرة » ، « ١٥٢٢ تقريبا » و «محاورة الراحة ضد المحنة» «١٥٣٤» و « تأملات » « ١٥٣٤ » ،و « صلوات

لمور وابنته مارجريت » « ١٥٣٥ » وجميعها تحوى تأملات روحية دينية ، كتبت الثلاث الاخيرة منها فى أواخر أيامه وحين أدرك أن النهاية وشيكة لا محالة .

وهكذا نرى تداخل الجانبين الأول والثالث من جوانب حياة « مور » أى اهتماماته الأدبية والدينية الى حد كبير، كما نرى تداخل الجانب الثانى والثالث فيما بعد .

اما الجانب الثانى وهو جانب «مور» رجل القانون والسياسة ، فيتضح فيما قام به « مور » من مهمات دبلوماسية وما اضطلع به من أعباء سياسية ، طوال حياته العاملة . فقد أرسل أكثر من مرة فى بعثات دبلوماسية الى أوربا، وشارك فى ابرام اتفاقيات للسلام ، فقد كان مفاوضا بارعا وذكيا ، وانتخب عضوا فى البرلمان الانجليزى ثم اختير رئيسا له ، وعمل فى خدمة مدينة لندن نائبا لرئيس شرطتها ثم قاضيا ، وفى بلاط الملك هنرى الثامن اختير عضوا بمجلس البلاط ومستشارا للملك واخيرا عين قاضى القضاة ووزير الدولة الأول .

اما «مور» رجل الدين ، فقد خلده الزمن ومنحته الكنيسة الكاثوليكية فى ذكرى استشهاده الاربعمائة لقب قديس فى عام ١٩٣٥ .

تلك الجوانب الثلاثة لحياة « مور » العالم والسياسي والقديس – على ثرائها واهميتها – لا تمثل في واقع الامر الا الجانب العام من جوانب تلك الشخصية الفريدة . فهناك الجانب الخاص الذي لا يقل روعة وثراء .

لقد كان « مور » نعم الزوج والأب ونعم الصديق .

كان زوجا محبا رقيقا لزوجته الاولى الشابة الجميلة جين ثم لزوجته الثانية – الارملة اليس التي كانت كما قال مرة مازحا « لا هي بالصغيرة ولا بالجميلة » كما كان خير اب لابنائه وبناته ، وخير جد لأحفاده ، وخير سيد لخدمه ، وخير صديق لكل من وطأت قدماه عتبة داره .. كان نعم الصديق لعامة الشعب الذي كرس الكثير من وقته لخدمته ، وخير نصير للفقراء والمظلومين حتى لقب بـ « خير صديق للفقراء »

● كما كانت تربطه علاقة الصداقة الوثيقة بمعظم مبرزي عصره من العلماء والأدباء ورجال الدين والسياسة ، وكانت داره ملتقى لجميع الفئات ولمختلف الجنسيات : كما كانت مركزا للأدب والفن ، اذ كان جميع افرادها يحبون القراءة ومعظمهم كلفون بالدراسة والكتابة ، تعزف الموسيقى التي تعلمتها زوجته وأتقنتها الفتيات ، ويقيم بالدار احيانا فنان مصور وأحيانا أخرى اديب ناشيء او طبيب في مرحلة التدريب كما تجمع بين جنباتها الكثير من الطيور والحيوانات . كانت داره أسرة كبيرة ترفرف عليها روح الود والاخاء والمشاركة التي آمن بها « مور » وعمل على نشرها .

أما مركز هذه الاسرة ونقطة الجذب بها فكانت شخصية « مور » الساحرة بابتسامته ورقته وحبه للناس . فقد كان مرحا في غير ابتذال ، هادئا ، مخلصا ، حازما في غير قسوة ، متقشفا في غير تزمت ، متدينا في غير تعصب ، محدثا لبقا ، ومناورا بارعا ، يثير في النفس الثقة والاعجاب .

ومن بين أبنائه كانت ابنته الكبرى مارجريت أحب بناته الى قلبه ، وذلك لطيبة قلبها وذكائها وحبها للعلم ، وتعلقها الشديد به . كما كانت مثلا رائعا لايمانه بقدرة الفتاة على التعليم مثلها مثل الفتى وصدق دعوته الى ذلك ...

أما صديق عمره ارازموس فقد قدم لنا خير وصف له في حياته في رسالة بعث بها إلى صديق مشترك طلب اليه أن يوافيه برسم لشخصية « مور » الذي عرفه من كتبه ولم يلتق به – وهو أولريخ فان هوتين

فاذا انتقلنا الى الزاوية الاخرى التي وعدنا بالنظر من خلالها الى تلك الشخصية ، وهي قدرتها على مخاطبة هذا العصر والتأثير في وجدانه .. فلعلنا بعد هذا العرض السريع نكون اكثر قدرة على فهم سر حيوية هذه الشخصية وبعض أسباب قدرتها على ذلك .

كتب احد معاصري « مور » من المعجبين به يقول – بحق « انه رجل لكل العصور » . ثم جاء كاتب مسرحي معاصر لنا – بعد هذه المئات من السنين يستخدم نفس الكلمات عنوانا لمسرحية تصور جانبا من حياة « مور » وازمة الضمير التي ادت الى النهاية

التى نعرفها جميعا ، تصويرا بارعا يجسد تلك الأزمة ويضع امام المشاهد صورة حية نابضة لتلك الشخصية الخالدة . ولقد كان حسن استقبال المسرحية ثم الفيلم الذى تحولت اليه ونجاحهما الساحق ، دليلا واضحا على قدرة تلك الشخصية على اثارة وجدان ابناء هذا الجيل .

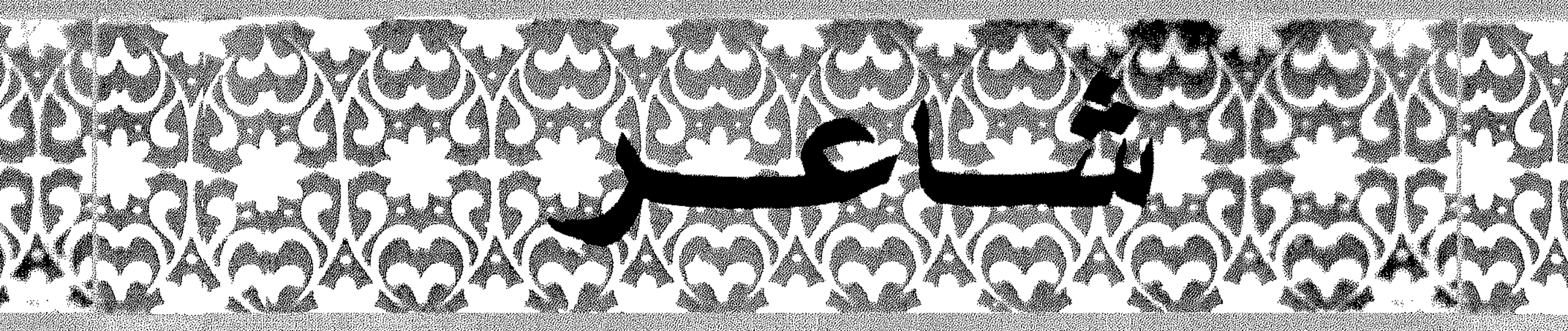
كما أن نجاح هذه المسرحية لم يكن الا مظهراً واحدا من مظاهر هذا الاهتمام « بتوماس مور » فى عصرنا هذا . لقد منحته الكنيسة لقب قديس فى ١٩٣٥ ، وكرمته انجلترا بعد طول تجاهل بوضع لوحة تحمل اسمه فى القاعة الكبرى لويستمنستر فى ١٩٦٩ ، واقيم له تمثال نصفى فى ضاحية تشيلسى التى كان يقيم بها . كما ظهرت ترجمات حديثة لسيرته ، واعيد طبع بعض ماكان قد ظهر منها من قبل . وأخذت بعض الجامعات الامريكية بوجه خاص فى اعداد طبعات حديثة ومحققه لاعماله ، لعل أهمها مشروع جامعة ييل لطبع اعماله الكامله والذى حشد له لفيف من أبرز المتخصصين والذى ظهرت بعض مجلداته بالفعل .

ثم تكونت الجماعات والجمعيات لاصدقاء « توماس مور » فى كثير من البلاد مثل انجلترا والولايات المتحدة واليابان مثلا ، وان كان اشهرها جماعة « أصدقاء توماس مور » التى تجمع بين أعضاء من مختلف الجنسيات ومقرها مدينة انجيه بفرنسا ، وعنها تصدر مجلة « موريانا » التى تنشر بحوثا تعالج حياة « مور » وأعماله ، وعصره باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ومن وقت لآخر بلغات أخرى ، وأخيرا تلك الاحتفالات العديدة بذكراه الخمسمائه كما أشرنا .

ما هو اذن سر هذا الاهتمام الشديد به فى هذا العصر بالذات ؟ . لعل السبب كامن فى ذلك الوصف المعبر وهو أن « مور » ـ «رجل لكل العصور » وبالاخص تلك العصور التى تجد فيها أفكاره وفلسفته صدى لها . ففى هذا العصر الذى أصبح فيه الايمان بضرورة نشر العدل وتحقيق الكفاية للجميع ومحاربة الظلم والقهر والاستبداد والعمل على استقرار السلام فى العالم واحترام حرية الفرد ـ هى المبادىء السائدة ، وان تعذر فى بعض الاحوال تطبيقها تطبيقا كاملا : وفى هذا العصر الذى يطيب للفرد أن يشعر انه وضميره هو الحكم الاول لاعماله وتصرفاته ، وان الدولة تكفل له تلك الحرية ما لم يسىء الى حرية الآخرين وأمنهم ، أليس من الطبيعى أن تحرك حياة ((مور)) وفكره **وجدان ابناء هذه العصر ؟ .**

وهل أدل على قدرته على الجمع بين القلوب وعلى عصريته وعالميته معاً من أن يتبارى كل من المعسكرين الدوليين الشرقى والغربى على تكريمه ودراسة اعماله والاشادة بها .. لقد احب مور الانسانية جمعاء وعاش صادقا مع ذاته ، فاحبه الناس وخلده الزمن

●



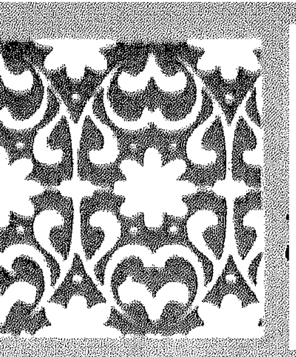
● د . محمد صلاح الدين ●

لست بالغاوى ولا يتبعنى رهط الغواه
لست بالهائم ضل السعى فى كل اتجاه
لست بالقائل والأفعال تنفى ما رواه
وانا الشـــاعر أستلهم آيات الالـــه
فى علاه

فطنة الايمان ترقى بى الى ابهى خيـال
وهو الخير يناجينى باسرار الجمـال
وصفاء النفس يوحى لبيانى ما يقـال
فقفى شعرى من الابداع والسحر الحلال
مبتغــاه

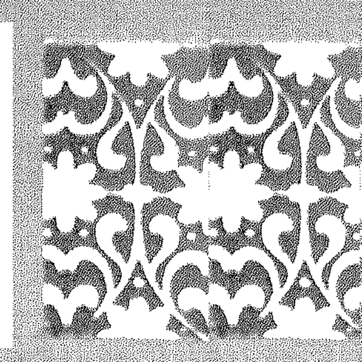
لى شيطان وشيطانى له قلب رسول
فاتن كالأمل البسام براق خجـــول
صـــادق كالوحى فعال يعانى ما يقول
طاهر النبل وان ذابت لبـــانات العقول
فى هواه

ياله من ساحر يخلب الباب العبـاد
يده خلاقة بيضـاء من غيــر ســواد
وعصاه تلقف الافك وتجتث الفســاد
ووصـــاياه وئام وسلام ورشـــاد
وصـــلاه



« والشعراءُ يتبعهم الغاوون • ألَمْ ترَ أنّهم فى كلّ وادٍ يهيمون • وأنهمْ يقولون مالا يفعلون • إلاّ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ وذكروا الله كثيرا وانتصرُوا منْ بعدِ ما ظُلِمُوا ، وسيعْلَمُ الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبُون »

((صدق الله العظيم))



يا له من مزهر يعزف الحان السماء
فتتيه الارض بالحسن ويهتز الفضاء
ويفوح العطر والنور وانفاس الرجاء
ويغنى الحب فى كل صباح ومساء
للحياه

ذلك النصر السماوى الالهى المبين
ان يمس الشاعر المطبوع شيطان امين
يرحم الناس ويستغفر رب العالمين
وشن الحرب شعواء تهد الظالمين
والطغاه

ايه شيطانى لولا تتهاوى للحسان
طالبا حواء فى كل خيال وعيان
راصدا من سرها مالايراه الناظران
لتبوأت ذرا الطهر الى أسمى مكان
فى سماه

بيد أن الأصل غلاب وللنار لهيب
ومن الطين الى الطين حنين ووجيب
وعمار الكون يهديه حبيب لحبيب
والذى ابدع حواء غفور مستجيب
وحمى العصمة يستعصى على غير الاله

● شعر : د • محمد صلاح الدين ●

أضواء على السينما الافريقية

• ماري غضبان •

•• السينما الافريقية جديدة على رواد السينما في العالم كله ، وفي افريقيا .... والسينما الافريقية التي نقصدها ليست السينما العربية التي ازدهرت في مصر في الركن الشمالي الشرقي من افريقيا منذ اكثر من نصف قرن ، لكنها السينما في افريقيا السوداء التي لم نكن نسمع عنها شيئا في السنوات الماضية حتى جاء مهرجان فينيسيا السينمائي عام ١٩٦٨ ومنح جائزة للفيلم السنغالي ((الحوالة)) . وبعدها بدات السينما الافريقية تخطو خطواتها واصبحت هذه الخطوات تحت الاضواء التي اسهم بعد ذلك مهرجان قرطاج في تسليطها عليها ..

•• ولا يمكن ان نطلق على الافلام الافريقية التي انتجت قبل عشر سنوات بانها افلام افريقية صرف ، فهذه الافلام كانت نتاج فكر أوربي وناطقة بلغات اوربية اجنبية عن القارة ، لكنها كانت تحمل جنسيات البلاد التي صورت فيها وشاركت في تمويلها .

ومن هذه الافلام نتذكر فيلم « انا زنجي » اخراج الفرنسي جان روش والمخرج الانجليزي ليونيل ريجوزين الذي قدم فيلم « الجنوب » و « العودة الى افريقيا » والمخرج دونالد سوانسون الانجليزي أيضا الذي اخرج فيلم « مشربة القرع » .

وعام ١٩٦٦ يعتبر بداية قيام السينما الافريقية الحقيقية حينما اخرج المخرج السنغالي المسلم عثمان سامبان فيلمه الطويل الاول « زنجية من ... » وهو يحكي قصة أسرة فرنسية عاشت في السنغال تعرفت على فتاة سنغالية متعلمة مثقفة عرضوا عليها ان تذهب معهم الى باريس للعمل سكرتيرة لرب هذه الاسرة .. وترضى الفتاة أملا في الوصول الى عاصمة النور — كما نسمع — لكنها تفاجأ عند وصولها بانهم يعاملونها كخادم تقوم بالاعمال التافهة ، وينتهي الامر بانتحارها .

•• والملاحظ ان معظم الاعمال السينمائية الافريقية الجادة التي ظهرت بعد ذلك استمدت مضمون واقعها من اعمال ادبية افريقية .

والمخرج عثمان سامبان الذي كان اول من لفت الانظار الى السينما الافريقية في مهرجان فينيسيا ١٩٦٨ هو ايضا روائي وكاتب صحفي ولذلك يقوم بنفسه بتحويل اعماله الادبية الى اعمال سينمائية وكما صرح لي اثناء لقائي معه في تونس في ديسمبر الماضي ((لقد اتضح لي — والامية التعليمية متفشية في افريقيا — ان كتاباتي ، رواياتي ، مقالاتي لن تصل الى معظم الناس فاخذت لغة السينما لأن الصورة مبهرة واستطيع من خلالها ان اكتسب الجماهير

وليس معنى اتجاه عثمان سامبان الى السينما انه ترك الكتابة، فهو حريص



مشهد من الفيلم الانجولى «سامبزنكا»
اخراج ســـارة مالدورور . . .

على مخاطبة المثقفين والمتعلمين من خلال الكلمة المكتوبة ، لكنه يخاطب الجميع من خلال لغة الصورة .

وفيلم « الحوالة » الذى فاز بـــه عثمان سامبان بجائزة مهرجان فينيسيا عبارة عن حوالة بريدية تساوى ٥٠٠ فرنك ارسلها عامل سنغالى يعمل فى باريس الى أهله فى داكار ويتعـــرض الفيلم للبيروقراطية ونظم الروتين التى حالت دون وصول قيمة الحوالة المالية الى الاسرة الفقيرة المتعطشة لهـــذه المساعدة المالية التى ارسلها ابنها العامل فى باريس .

وفيلم « جــزالا » يحكى قصـــة البورجوازية الافريقية التى وقفـــت ضد الاستعمار الاجنبى للبلاد واصبحت بعد التحرير صـــورة من البورجوازية الاوربية تقلدها وتسايرها فى السلوك والافعال .

وغير عثمان سامبان عرفت السينما السنغالية المخرج معمر تيام الذى قدم الفيلم الجيد « ســارزان » المقتبس عن قصة براجو ديوب « الضابط سارزان » والرواية تدور حول ضـــابط سنغالى التحق بالجيش الفرنسى تنتهى مدة خدمته ويعود الى وطنه متصـــورا انه متحضر ويفهم فى المدنيـــة الغربية وأن عـــودته ستفيد أهله وتطورهم ، لكن تصرفاته عند العودة أوجـــدت شـــقاقا بينه وبين الجميع ، ووجد نفسه وحيدا وبعد فترة انتهت أيامه فى مستشفى

للامــراض العصــبية والعقلية • ومن افلام معمر تيام الناجحة ايضاً فيـلم « كريم » عن قصة لنفس الكاتب عثمان براجوديوب •

● انجولا وسينما المراة ●

●● فى انجولا يعرفون المخرجـة سارا مالدورور ، قدمت أكثر من فيلم روائى اهمها فيلم « الحياة الحقيقيـة لدمينجو زافيا » عن قصة الكـاتب الانجولى لوندينو فيرا ويحكى قصــة اعتقال مناضـل وحبسه فى مكان غير معروف ويتعرض الفيلم لبحث زوجته عنه فى كل مكان •

والفارق بين هذا الفيلم والافــلام الافريقية الاخرى ان تكاليف الفيــلم كبيرة وتتجاوز ميزانية اى فيلم عادى بما لا يتناسب مع امكانيات السـينما الانجـولية اقتصــاديا برغم تمويل حركات التحرير الانجولية للفيلم •

●● وفى الكونغو برازافيل يعرفون المخرج كاما سباستيان وانجح افلامه « التحالف » وقصته مقتبسة عن رواية الكـاتب البرازافيـلى جان مالونجـا « اسطورة ماما زونو » وتحكى قصـة الفيلم قصــة القبائل الافريقية فى سنوات بعيدة فيما قبل الاحتلال •

●● وفى ساحل العاج يتحدثـون عن مخرج السـينما ديزيريه ايكاريه وفيلمه « فرنســا لنا نحن الاثنين » وموضوع الفيـلم يستمد فكرته من أشعار الشاعر ليوبولد سنغور رئيس السنغال وديوان شعره « سيدة عارية •• سيدة سوداء » والفيلم عبارة عن انشودة الحزن على ضياع المثقف الافريقى فى العواصم الاوربية •

●● وفى نيجيريا يعتبرون سـيجون اولسولا رائد السينما الجديـده فى نيجيريا وهو فى الاصل مخرج تليفزيونى ويشغل وظيفة مدير البرامج السينمائية فى تليفزيون لاجوس الى جانب كونــه كاتبا مسرحيا ، وأشهر أفلامه المأخوذة عن عمل أدبى « الحصاد » مأخـوذ عن مسرحيـــة تليفزيونية للكاتب النيجيرى بول سونيكا •

ومن اشهر افلامه الروائية « البداية » وفيلم « الفا » و « المهرجان » وافــلام « الحياة » و « المهرجـان الجـــديد » ، و « أغنية افريقيـــة » ، و « نيجـــيريا ستكسب » •

●● وفى غينيا يعرفون المخرج أمين اكين واشهر افلامه « الشاويش » وهو عن مسرحية للكاتب الغينى اميل سيس عن مجند فى الجيش الفرنسى يعـده اهله بالزواج من فتاة جميلة بعد عودته من السفر ، وعندما يعود تنضج الفتاة ويحاول تنفيذ وعد أهلها، ولكنها ترفض نقد اصبحت فتاة متعلمة ولم يعـد الشاويش العائد يرضى طموحها فيلجأ الى السحرة لعمل سحر لها يمكنه من الزواج منها ولكنه يفشل •

●● والمخرج سليمان سيس مــن جمهورية مالى حصـــل هـــذا العام على الجائزة الفضية « الجائزة الثانية » عن فيلمه الذى عرض هذا العام فى مهرجان قرطاج السينمائى بتونس •• والفيلم اسمه « بارا » والفيلم يحكى قصــة رأســمالى يقع فى مشكلات مع عمـال مصانعه بعد ان تنبه العمـال لضرورة حصولهم على حقوقهم العمالية وحصل بطل هذا الفيلم ابو بكر كيتا على جائزة احسن ممثـل • وكلمة « بـارا » تعنى العمل بلغات مالى المحلية •

●● ومن اشــهر مخرجى اثيوبيا سالمون بيكيلى الذى اخـــرج فيلم « واجادوجر » والسينما فى اثيوبيـا تهتم بالافلام التسجيلية والقصـــيرة ولا تعطى اهتماما كبيرا للسينما الروائية •

وفى غانا يعرفون المخرج سام اريتيه ومن اشهر افلامه « لا دموع » والفيلم ناطق بالانجليزية وبلغة محلية اخـرى هى لغة التوى • والفيلم يحكى أسطورة افريقية عن العنكبــوت الذى يتميز بالمكر ويؤثر فى حياة الناس •

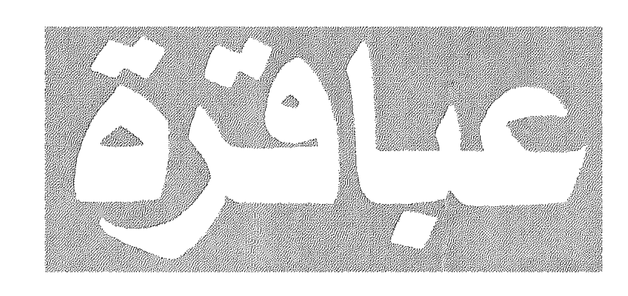


بن جزارة وجينا رولنــــدز في فيلم
جون كاسافيتش فى ليلة الافتتاح ..

وفولتا العليا برغم صغر حجمهـــا الا ان وجودها الســـينمائى اكبر من الكثير من البلاد الافريقية ذات الوجود الجغرافي والسكانى مثل زائير واثيوبيا وتنزانيــا وكينيــا وغيرها . ومعظم مخرجى فولتــا درســوا فى الايديك الفرنسى ، وأشهر مخرجيهم و . سيكو وبيير دابيرى وادويث سانجوت وهي مخرجة تليفزيونية فى الاصل واشهر افلامهم « المخلطون » اخراج محمدكولا وهو يناقش مشكلات التفرقة العنصرية فى شمال فولتا حيث لا يســـمحون بزواج المخلط مع صاحب العرق الزنجى النقى .

وفى تشاد يعتبر ادوار سابايلى من أشهر مخرجى الســينما وأهم افلامه « اليوم الثانى » و « اكتشاف تشاد » وهو فيلم طويل فلكلورى ثقافى .

●● والســـينما الافريقية التى تعرضــنا لبعض ملامحهــا التى ألقيت الاضواء عليها من خلال مهرجـــانات عالمية اهمها المهـرجانات الافريقية فى قرطاج وفى واجــادوجو ــ هــذه السينما السوداء تتميز بأن معظـــم مخرجيها من الدارســين فى الخارج وخاصة فى البلاد الاوربية فى رومــا ولندن وباريس ، حتــى عمليـــات التسجيل والطبع والتحميض تتم فى نفس المعامل مما يجعل التكاليف باهظة بجانب ضعف التمــويل وعدم وجــود شركات سينمائية مستقرة ، وقلة دور العرض ... والى جانب هذا تعــدد اللهجات المحلية خاصــة بعد التوجيــه بعدم استعمال اللغات الاوربية فى حوار تلك الافلام مما يصعب من مهمة توزيــع الفيلم ووصوله الى الناس . وعدم وجود عناصر سينمائية محترفة يصعب ايضــا من اســتقرار صناعة السينما الافريقية وان كان الامل ، حاليـــا ، ان تســهم امكانيـــات ومعامل التليفــزيون فى معاونة الانتاج السينمائى بمــا يكفل ضمان اســتمرار هذه الســـينما واســتقرارهــا ●



فى العلم والفن معاً :

● عزت محمد ابراهيم ●

● ما اكثر الادباء والفنانين والشعراء الذين بداوا خطوات حياتهم الاولى على نهج لا يمت الى الادب او الفن او الشعر بصلة ، ثم اذا بهم لاهون الاسباب يصبحون من المبرزين فيه ذوى الصولة والاقتدار فى ميدانه ، وكذلك ما اكثر العلماء الذين بلغوا فى العلم شاوا بعيدا ، ولم تكن بدايتهم تنبيء بذلك وكانت تشير الى اتجاه غير الاتجاه ..

لناخذ لذلك مثلا من حياة « صامويل مورس » مخترع الارسال البرقى ، وقد قيل فيه ان من الغريب ان يقدر لفنان تحقيق حلم طالما راود المشتغلين بالكهرباء ، المهتمين بحل مستعصياتها .

كان رساما ذائع الصيت ، واحب ان يصقل موهبته ، ويزيد من ثقافته فرحل من أمريكا الى فرنسا ، ينهل من معين الفن فيها ، ويغترف من عذب نميره ، وعاد بعد غياب سنين .

وقد ازمع العودة الى وطنه ، وفى ظنه وتقديره أنه قد تزود من الفن بزاد وفير يكون له عونا فيما يتطلع اليه من مستقبل ، ثم يلتقى فى طريق عودته وعلى ظهر السفينة ب « الدكتور فيكتور جاكسون » واحد من المهتمين بدراسة الكهرباء ، ويتجاذبان الحديث عن التيار الكهربى والمغناطيس ، والوسيلة التى يمكن بها نقل الرسائل عبر الأسلاك فى التو واللحظة . وهنا يقول « مورس » : « لقد خطرت لى الفكرة بمجرد سماعى « الدكتور جاكسون » ، وتخيلت فى الحال اداة يمكنها اداء هذا العمل ..

انها ومضة الخلق والابتكار ، وليس بجهد الدرس والتحصيل ، ولو كانت كذلك لكان « جاكسون » هو الأولى بها ، ولا يكون فى ذلك مدعاة لغرابة ، أو مثارا لدهشة واستغراب .

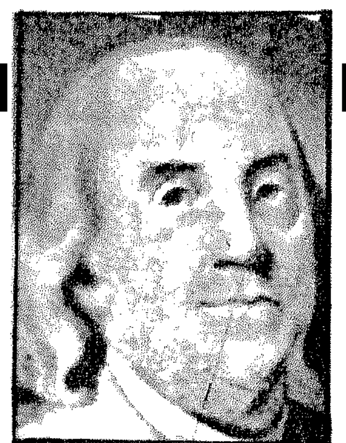
دون فى كراسته الرسوم التوضيحية لاختراعه ، وهبط من السفينة ، وكراسته فى يده يطبق عليها اصابعه ولا يدعها تفلت من بينها ، وهو يقول انه لا يتخلى عنها مقابل الوفير من المال ، وقد كانت فى الحقيقة فوق ان تقدر بالمال مهما كثر وازداد .

***

والعالم الشهير « آينشتين » كان يهوى الموسيقى ، انحدر اليه شغفه بها من أمه صاحبة الذوق الرفيع فيها ، وقد كان لذلك اثر كبير فى مستقبل حياته جعله يقرن الرياضة الى الموسيقى ، ويشيد بالتناسق والترابط بين عالم الارقام وعالم الانغام

وليس بأديب أو فنان ذاك الذى يقف جهده على الأدب وحده ، وكذلك ليس بعالم ذاك الذى يجعل العلم وحده هو مدار اهتمامه ، وحسبنا ان نعرف ان الشاعر « ت . س . اليوت » لم يكتب قصيدة « الأرض الخراب » مفخرته ومبعث شهرته وذيوع صيته الا بعد قراءته لكتاب « الغصن الذهبى » للعالم الباحث « جيمس فريزر » .

وقد كان الروائى الايرلندى « جيمس جويس » من المهتمين بأعمال



بنيامين فرانكلين

البرت آينشتين

« آينشتين » فى النسبية ، وبما يكتب وينشر عن بحوث الذرة ، وساقه ذلك الى الاهتمام بفكرة الزمن والمحاولة الرائدة للوصول الى ما وراءه ، وتشعبت اهتماماته وتنوعت ، واكب على اللغات يدرسها درسا مستفيضا ، يريد من ورائه ان يصل الى تحليل الكلمات واعادة صياغتها ، مستخدما فى ذلك العديد من التعبيرات التى تتلاقى كلها فى أعماله بطريقة دائبة الحركة توحي بالتحول الدائم ، وبلغ ذروة ما اراد فى قصته « فينيجانز ويك » التى استغرقت كتابته لها سبعة عشر عاما ، والتى كادت فيها الصلة بين الكلمة والمقصود بها تتلاشى فتصبح الكلمة ومدلولها شيئا واحدا متصلا اتصالا عضويا لافكاك منه وكان ذلك هو ما جعل منه ظاهرة فريدة فى الفن الروائى لا مثيل له بين سابقيه .

أما الذين جمعوا بين العلم والفن وكان لهم فيهما معا شأن ، فهم كذلك ليسوا بالقليل ، كان منهم « عمر الخيام » عالما رياضيا ، وشاعرا يردد الناس صدى رباعياته .. وكان منهم « بنيامين فرانكلين » اديبا ومخترعا معا ..

ومضرب المثل فى ذلك كله هو عملاق عصر النهضة .. « ليوناردو دافنشى » مبدع لوحة « موناليزا » التى لا تنقطع صفوف المشاهدين امامها فى متحف « اللوفر » والتى مازالت حتى اليوم مصدر وحي والهام لادباء وشعراء ، بل وموضوعا لروايات سينمائية يشاهدها الملايين .

وقد كان لـ « دافنشى » فى العلم جوانب شتى ، واسهامات متعددة ، فهو قد خاض فى الهندسة وطرق بناء القلاع والحصون ، وادوات الحرب والقتال ، وهو قد تعرض لعلم مساقط المياه الذى يعرف اليوم بعلم « الهيدروليكان » وقد صنع آلة للموسيقى على هيئة جمجمة حصان ، فكانت بذلك شيئا فريدا له جماله وطرافته ، أما العازف على أوتارها فلا يضارعه غيره من العازفين على غيرها من الآلات .

ولعل عبقرية ((دافنشى)) العلمية لم تظهر على حقيقتها ، وباوضح واجلى معانيها الا بعد العثور على مذكراته ومخطوطاته التى ظلت على مدى بضعة قرون تنتقل من يد الى يد ، ومن بلد الى آخر ، ومن متحف الى سواه ، فى خفية وتستر ، وحرص وكتمان ، لا يدانيه الا الحرص على الكنوز الغالية والنفيس من الآثار ، وخاصة منها ما سمى بمخطوطتي مدريد ، اللتين عثر عليهما منذ سنوات قليلة ، وكشفتا جانبا هاما من جوانب العبقرية العلمية عند ((دافنشى)) ..

وقد كادت احدى هاتين المخطوطتين تكون مخصصة لموضوع واحد هو علم « الميكانيكا » وكان لها بذلك فضل الامتياز على غيرها من المخطوطات التى تناثرت الموضوعات بين صفحاتها على غير نسق أو ترتيب ، وان نظرة واحدة تلقى

على رسومه التوضيحية لما يسبقه من نظريات لتدعو الى الدهشة حقا ، فكانما هى رسوم لما نعرفه اليوم من آلات واختراعات لا تكاد تفترق عنها فى شىء ، اما نظرياته العلمية ، فقدتعرض فيها للقوى المحركة من وزن وقوة وحركة وضغط ، ثم كان ينتقل منذلك الى المجال العملى ، فيطبق النظرىعلى العملى ليرى مقدار صحة نظرياته .

وقد كان « يوجين ديلا كروا» مصورا عظيما ، بل لعله آخر المصورين العظام ، حمل لواء الرومانسية فى الفن ، فصور بها أعظم اللوحات ، وابعدها فى النفوس اثرا ، واثار الانتباه ، ولفت الانظار ، وهو لا يزال شابا ، حين رسم «قارب دانتى » مستمدا موضوعها من «الكوميديا الالهية » واستأثرت اللوحة باعجاب كبير ..

وقد استمد « ديلاكروا » من اعماق نفسه اعظم الافكار ، واكثرها غرابة كذلك ، وهو لم يكتف بالتعبير عنعالمه الداخلى بالريشة واللون فحسب ، بل ان يومياته تحفل بالنظر الداخلى الذى يصل الى الاغوار ، ويبحث فى اعمق الاعماق ، فكان مما تناوله فى كتاباته موضوعات الالهام والعبقرية والخيال والحلم ، متخذا من نفسه ميدانا رحبا فسيحا لبحثه وتنقيبه ، وبلغ فى ذلك حدا جعله مصدرا من مصادر علم النفس ، ورائدا من رواد التحليل النفسى، حتى ليتخذه « فرويد » مرجعا من مراجعه فى أعماله الاساسية .

ولم يكن « ديلاكروا » على وفاق مع عصره وابناء عصره ، شأنه فى ذلك شأن كثير من العباقرة الافذاذ فى كل ميدان ، فكان عرضة لسخط الساخطين من المصورين التقليديين المطمئنين الى مناصبهم يذودون عنها كل متطلع الى مثل ما هم فيه من جاه وسلطان ، فوضعوا فى طريقه العقبات ، كلما تخطى عقبة وضعوا فى الطريق سواها ، ووقفوا له بالمرصاد فى كل محاولة يريد بها شق طريقه .

واعيتهم الحيل وذهبت محاولاتهم سدى ، وباءت جهودهم بالفشل والخسران ، حين صور لوحته «الحرية تقود الشعب » التى كانت ضربة قاصمة لظهورهم، واشترتها الحكومة الفرنسية، فكان فى ذلك دفعة قوية يسرت لهتحقيق ما كان يصبو اليه من سفر وترحال ، فيمم وجهه شطر المشرق ، يعيش فى سحره ، ويغترف من باهر ضوئه ولالائه، واتاح له ذلك مجالا رحبا فسيحا لابداع خصب متنوع ، فتح له باب حياة فنية حافلة لا ينضب لها معين .

وبقدر ابداعه فى الفن ، كان ابداعه فى الكتابة والتأليف ، وما تركه فى ميدانهما يكفى لوضعه فى مصافه كبار الادباء ، فلو لم يكن مصورا عظيما، لكان اديبا مرموق المكانة ، عظيم القدر ، **ويشتمل تراثه الادبى على رسائل عامة تقع فى اجزاء خمسة ، ويومياته التى تعد ((عملا اساسيا فى الفن الفرنسى)) وبحوث عن مشاهير الفنانين تقع فى جزءين ، ومقالات ادبية تضم آراء سديدة فى الفن وانطباعاته وتأملاته ، يضاف الى ذلك قصص ومسرحيات ، الى جانب ما لا يزال مخطوطا ، وهو لا يقل عما نشر من اعماله قدرا وقيمة**

لم يسخط « ديلاكروا » على اختراع آلة التصوير ، ولم يصب عليها جام غضبه ، كما فعل سواه من الفنانين الذين نظروا اليها نظرة مقت وعداء ، بل سره اختراعها ، وود لو أن ذلك قد تحقق فىمقتبل عمره، وليس فى مقدم شيخوخته ، اذن لكانت حياته أكثر خصوبة ، وأوفى امتاعا ، وهو معذلك قد افاد منها وجعلها خادما لفنه ، حيث اشفق سواه أن تكون حربا عليه ، وبلغ من حسن استخدامه لها أن قال فيه أحد معاصريه : « أن اختيار الطبيعة، والمواقف ، وتوزيع الضوء ، والتواء أعضاء الجسم من الجمال بحيث يبدو لك أن هذه التجارب الفوتوغرافية



ليوناردو دافنشى



يوجين ديلاكروا

ليست فى الواقع الا صورا للوحات كبار الفنانين ، وقد كان «ديلاكروا» فى هذه اللقطات سيدا للآلة وللعناصر التى يشير بتصويرها ».

وبلغ من حماس ((ديلاكروا)) لهذه الآلة المستحدثة فى زمانه أن تطلع الى بعيد ، فتراءى له ما يمكن ان تؤدى اليه فى مقتبل الايام ، وكاد فى يومياته يتنبأ باختراع الاذاعة المرئية الذى تحقق بعد عشرات السنين من قوله : ((سيأتى اليوم الذى سيتمكنون فيه من عزف السيمفونيات فى نفس الوقت الذى تعرض فيه الصور وذلك بغية استكمال الاحساس المراد نقله)) .

***

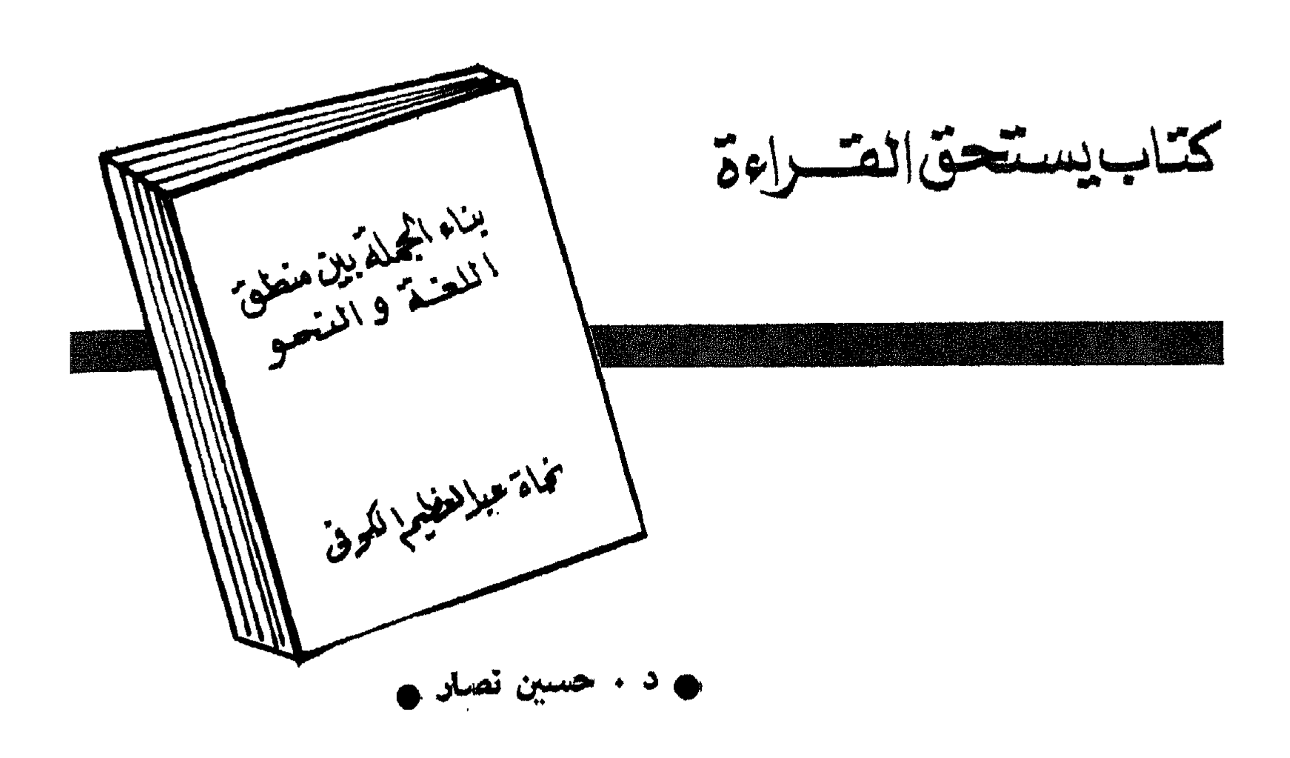
وكان ((جول فيرن)) روائيا واسع الخيال ، خصب القريحة ، متوقد الذكاء ، فكانت مؤلفاته خير عون للمخترعين والمبتكرين ، فهو الذى مهد لهم طريق العلم ، وعبد لهم مسالكه ، وهو الذى وضع لهم الصور والعلامات على منحنياته وتعاريجه ...

ومن مثار الدهشة حقا أن يكون ما وصفه فى رواياته عن مركبات الفضاء ، هو ما تحقق فعلا ، بكل تفاصيله ودقائقه ، ومقاييسه وأوزانه ، التى كان يحرص عليها كل الحرص ، فيذكر المقياس والميزان ، والطول والعرض ، وما ينبغى أن يكون وما لا ينبغى ، فكأنما قد وضع نظريات أو معادلات رياضية ، لا ينقصها الا التنفيذ لكى تصبح حقيقة واقعة .

اشتغل فى بدء حياته بتأليف المسرحيات التى لم تكن تدر عليه غير القليل من المال ، كما اشتغل بالاعمال المالية التى لم يحالفه فيها الحظ ، ولم يقدر له الاشتغال بالمهن القانونية التى حصل فيها على اجازتها ، وتقلب فى أعمال عديدة ، ولكنه لم يكن يكف خلال ذلك عن القراءة والاطلاع ، وتزويد نفسه بزاد وفير من المعارف والمعلومات ..

والقراءة توسع الآفاق، وتبعد مرامى المدارك ، والفكر يقدح زناد الفكر ، وقد أعان ذلك على اشعال جذوة الخيال فى نفسه ، وأبقى عليها مشتعلة زمنا طويلا ، كان كافيا لتأليف كتبه العديدة التى تحلق فى اجواء بعيدة لم يسبق لانسان ارتيادها. فاذا التقى بصاحب دار نشر مشغوف بالرسم والتصوير ومعارف **الطيران ومضت فى ذهنه فكرة روايته ((خمسة اسابيع فى منطاد)) ثم كانت خطوة أخرى الى الامام فى لقاء مع ناشر آخر تعاقد معه على نشر قصصه ، فكان ذلك ايذانا له بالانطلاق والتحليق ، فاخرج ستين قصة فى نحو أربعين عاما ، منها : رحلة الى مركز الارض ، من الارض الى القمر ، عشرون ألف فرسخ تحت الماء ، حول العالم فى ثمانين يوما ، وغيرها من قصص الخيال التى شدت اليها الناس بما فيها من غرائب وعجائب ، وارتياد لمجهول لم يسبق لهم أن اطلعوا عليه فى خيال متخيلين، او واقع واقعيين ...**

كتاب يستحق القراءة



● د . حسين نصار ●

● « بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو » ، والذى أصدرته نجاة عبد العظيم الكوفي المدرسة فى كلية البنات جامعة عين شمس كتاب جدير بالقراءة ــ على الرغم من أمور متعددة ..

فعلى الرغم من انه كتاب فى النحو . فالمألوف ان يقرأ القراء كتب علم اللغة أو فلسفة اللغة لانها تقدم لهم موضوعات عامة أو فيها شيء من العموم ، وتقدم موضوعات تكشف عن الفكر الانسانى عندما يحاول التعبير عن نفسه ، وما ينشب بين الفكر والتعبير من صراع ، وما يحدث بينهما من صلح ، وما يضطر الفكر اليه من اصطلاح ليرضى عن التعبير . أما النحو فالاداة التى يجب على الانسان أن يحيط بها وبقدراتها ومسالكها معرفة ، ويجب عليه ان يحسن استخدامها فاذا ما احاط بالمعرفة وأحسن الاستخدام استغنى عن الرجوع اليه ، والاطلاع عليه ثانية .

وعلى الرغم من انه كتاب مدرسى ، ابتغت مؤلفته ان تلقيه محاضرات على طلبتها ، ووضعت نصب عينيها مستواهم الثقافى وحاجتهم العلمية ، واعتمدت فيه على التبسيط ، ولجأت فيه الى سبل التوضيح . فاستهلت كل واحد من فصوله بقائمة بالعناصر التى يحتوى عليها ، وختمته ــ بل ختمت كثيرا من الاقسام تحت الفصول ــ بمجمل يورد القواعد التى شرحتها وابانتها . واعقبت هذا المجمل بدليل للاعراب على شكل جداول فى مواضع متعددة . وتناولت قواعد فى ميسورها أن تستغنى عنها لو استهدفت القارىء العام .

وعلى الرغم من انه كتاب قواعد ، يسعى الى ان يدون قواعد اللغة العربية وأن يضم ما استطاع منها ، وان يعالج آراء النحاة عندما يختلفون بصدد واحدة من مسائلها ، او واحد من شواهدها . على الرغم من ذلك كله هو جدير بالقراءة . لا يبدأ فيه قارئه حتى يجد نفسه منجذبا اليه ، شديد الرغبة فى مواصلة القراءة الى ان يفرغ منه .

● محاولة متكاملة ومنسقة .. تقدم الدرس النظرى للناقد القديم ، وتقدم التطبيق المتكامل للمنهج الحديث ، وتقدم العلاج الشامل للقواعد النحوية قديمها وحديثها ٠ .

فالكتاب يقدم رؤية خاصة بمؤلفته ..

فقد اتخذ النحاة العرب - منذ أقدم العصور التى نعرف جهودا لهم فيها - من فكرة منطقية عمادا للنحو ، بنوه عليها ، وشكلوه وفق ما تفرضه ، وهذبوا أطرافه على بصر منها . ولم يستطع احد منهم أن يفلت من اسرها ، غير قليلين منهم من حصل على قدر من التحرر ، مثل ابن جنى ، ومنهم من سعى الى تحطيم سلطانها مثل ابن مضاء ، والسهيلى قديما ، وابراهيم مصطفى وشوقى ضيف وتلاميذهما حديثا .

تعلن تلك الفكرة - تحت تأثير العلاقة بين الاثر والمؤثر - أن كل معمول لابد له من عامل . وانطلق النحاة من هذه الفكرة الى مجموعة من النتائج كان لها أشد التأثير فى النحو . ومن أهم هذه النتائج تقسيم العوامل النحوية الى لفظية ومعنوية ، والى أصلية وفرعية .. وكل منها له عمله الذى يختلف عن الاخر ، والا يتنازع عاملان معمولا واحدا ، وأن يتقدم العامل على معموله ، والا يفصل بينهما أجنبى ... الخ .

وقد هاجمت الكاتبة - تبعا للثائرين - نظرية العامل ، وردت اليها عيوب النحو التقليدى ومشكلاته . فقد تجاهل المؤسسون للنحو العربى - تحت سلطان تأثرهم الفلسفى وتحمسهم للقياس ونظرية العامل - تجاهلوا أن للغة منطقا اجتماعيا مرنا متغيرا ، لا يتفق كل الاتفاق فى جميع الامكنة والازمنة مع المنطق الأرسطى الذهنى الثابت . فاصطدم كثير من احكامهم بالاستعمال العربى الصحيح ، وخاصة ماجاء عن الاستخدام الادبى العالى والاستخدام القبلى المحلى فاضطروا الى كثير من التخريج والتبرير ثم التأويل . بل اضطروا الى طرح ما لم يستقم لقواعدهم ولم يخضع لتعليلهم أو تأويلهم .

وكان من الطبيعى أن تهدم الكاتبة نظرية العامل وتطرحها . ولكنها لم تشا أن تتوسع فتتجنبها فى النحو كله ، وانما قصرتها على الحروف وحدها . فضيقت مجال سيطرتها ، وحدت من نشاطها ، وقيدتها فى حقل يبين تاثيرها فيه واضحا لا تخطئه الابصار ، فتضطر الى البحث عنه ، فتهتدى حينا معتمدة على التقدير ، وتعجز حينا اخر فتلجا الى التاويل او عدم الاعتراف .

وعندما طرحت نظرية العامل فى ما وراء الحروف تخلصت قواعد النحو من الملاط الذى يلصق بعضها ببعض ويشكلها ، وتحللت لتتيح الفرصة امامها لتعيد تشكيلها .
وقد فعلت .

ولم تتخذ من الحركة الاعرابية فى اخر الكلمة العربية أساسا للدراسة والتقسيم . فاجتمع لها أمور :

١ ــ لم تعد الاسناد السبيل الوحيد للتعبير اللغوى ، ممــا يقصر التراكيب اللغوية علىالجملتين الاسمية والفعلية. بل أعلنت أن اللغة قد عبرت بتراكيب خلت من الاسناد اطلقت عليها الاساليب مثل النداء والاختصاص والتحــذير والاغراء .

٢ ــ اتسع المصطلح النحوى فشمل جميع الاستخدامات اللغوية الصحيحة التى ورد فيها العنصر اللغوى . فجاء الفاعل مثلا عندها مرفوعا عندما تركز الخبر فى اسناد الفعل أو الحدث الى فاعله . وجاء مجرورا بالباء للتعجب فى أفعل به ، ومجرورا بمن لتأكيد النفى، ومجرورا باضافة احد المشتقات مثل قول الشاعر : « أراك عصى الدمع » فالمعنى عصى دمعك ، والدمع اذن فاعل للعصيان على الرغم من جره .

٣ ــ اختلف التصنيف العام للنحو ، وتغيرت صورة الابواب فى الكتــاب عن مثيلتها فى كتب النحو التقليدى، فالكتاب ينقسم الى بابين : اكبرهما لبنــــاء الجملة ، والاصغر للاساليب . أضــيف الى ذلك أنه يضع كان وأخواتهــا فى الجملة الفعلية لا الاسمية ، ويسـمى اسمها فاعلا وخبرها مفعولا تبعا لابن هشام .

***

وبعد ما استقام منهج الدرس للكاتبة التفتت الى المادة التى تستخلص منهــا احكامها ، أريد قواعد اللغة ، وخاصة انها تصرح مرارا أن منهجهــــا يبقى الالتـــــزام بالمنطق اللغوى لا المنطق الفلســــفى . واعلنت الكاتبة ان اول المصادر التىاعتمدتعليها القرآنالكريم، ثم الاساليب العربية الرفيعة من الشعر والنثر بل الحــديث النبوى الذى لم يعتد به أكثر النحويين القدامى .

***

لا أستطيع أن أصفه بالجدة التامة أو الاصالة الخالصة . فالمبادىء التى هدمها ــ نظرية العــــامل أو العلل المنطقية ــ هوجمت منذ أزمنة بعيدة ، وعم الهجوم عليها فى العصر الحديث بحيث تهاوت فى أكثر معاقلها حصانة.

واعادة تنظيم ابواب النحو وتصنيفها انما هو استمرار لمحاولات متعـــددة سابقة .

والاراء الجريئة التى تبثها الكاتبة فى كتابها ، وتتخذ مظهر التجــديد ، تتابع فى أكثر الاحيان آراء سابقة جاء بها بعض نحاة الكوفة غالبا ، وافراد من نحاة البصرة أو المتــــاخرين أو المحدثين احيانا .

ولكن الكتاب يقدم محاولة متكاملة ومتسقة . يقدم الدرس النظرى الناقد للقديم ، ويقدم التطبيق المتكامل للمنهج الحديث . ويقدم ــ اضافة الى ذلك ــ العلاج الشامل للقواعد النحوية قديمها وحديثها ، فى اختصار جميل ، وعبارة واضحة كل الوضوح .

لا أعنى بذلك أن الكتاب يخلو مــن الاراء الاصيلة للكاتبة خلوا تاما . فقد وقفت موقف الند من كبار النحاة قدماء ومحدثين ، وجادلتهم فى ثقة واطمئنان جدالا جديرا بالاعجاب . وخلصت الى عدد من اللمحات القيمة التى تدل على اتصال دائم بالعربية ، وفهم عميق لها، وتذوق حسن لمناحيها الادبية ، وخاصة فى الاستخدام القرآنى . واضرب مثالا لذلك بتفرقتهــا بين اليس ، وأوليس

● اللغات المعربة مثل العربية ، تمنح المتكلم بها حرية واسعة في ترتيب تراكيبه أو حذف بعضها اكتفاء ببعضها الآخر ، دلالة على أغراض شتى يشعر بها ويريد أن يومئ إليها والحكم الوحيد هو عدم اللبس إلا إذا أراده المتكلم

« ١٣٠ - ١٣١ » ، وبين معانى افعال المقاربة والرجاء والشروع « ١٤١ - ١٥١ » وحديثها عن الواو التى حيرت النحويين « ٢٠٥ - ٢٠٧ » .

كذلك لا يعنى اعجابى بالكتاب خلوه من المآخذ أو من المواضع التى اختلف فيها مع صاحبته . ويهمنى هنا المواضع التى أعتقد أن فيها خروجا على المنهج الذى وضعته لنفسها .

وأهم هذه المواضع تناولها للتقديم والتأخير ، وللحذف فى الابواب النحوية التى تناولتها ، وللحروف التى تعمل اذا اختصت ولا تعمل اذا فقدت الاختصاص . فاننى أعتقد أن طرح نظرية العامل يجعل من هذا الحديث عبثا . فاللغات المعربة مثل العربية تمنح المتكلم بها حرية واسعة فى ترتيب تراكيبه او حذف بعضها اكتفاء ببعضها الاخر ، دلالة على أغراض شتى يشعر بها ويريد أن يومىء اليها . والحكم الوحيد هو عدم اللبس الا اذا اراده المتكلم .

كذلك احتكمت الكاتبة الى منطق غير لغوى فى بعض المواضع فقد احتكمت الى مبادىء دينية فى معالجة جواز بناء الجملة من اسمين وعدم جوازه من فعلين « ٢٩ » والتفرقة بين عمل الرئيس ونائبه « ١١٣ » .

واختلف معها فى اعراب جملة القول « ١٢١ » ، فان ذلك أمر لفظى محض ، لايتفق مع بحثها عن ربط الاعراب بالمعنى .

واختلف معها فى تناولها بعض الاستخدامات التى لا يوجد شواهد عليها ، فانى اخشى أن تكون ثمرة حب بعض العلماء للتظاهر ، ومنافسة بعضهم بعضا ، مثل « هب » بمعنى رد « ١٦٦ » .

***

وتبقى امور ارجو ان تعيد الكاتبة النظر فيها ، وتمنحها مزيدا من الدراسة . واهمها معانى بعض الافعال فانها تقول ان وجد بمعنى أدرك فى قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » « ١٥٨ » والاقرب أن يقال انه بمعنى لقى . كذلك المنصوب الثانى فى افعال التحويل مثل رد وجعل « ١٦٣ - ١٦٦ » فان ما القيته عليه من نظرات تقرب بينه - فى خلدى - وبين الحال ، وتباعد بينه وبين المفعول الثانى .. ●

مرآة الفكر العربى

الكعبة المشرفة

● تاليف : امينة الصاوى ●

● يهتم كثير من الباحثين والدارسين بالاثار الاسلامية واهمها الكعبة المشرفة لما لها من قدسية فى نفوس المسلمين جميعا ‧‧ وقد سجلت الكاتبة الاديبة امينة الصاوى اضـــافة جديدة الى هذه الدراسات بكتابها الجديد عن الكعبة المكرمة ، فقد عرضت للمراحل التاريخية فى أسـلوب سـهل مبسط وأبرزت دور الكعبة وما واجهها من أحداث جسام ، صمدت لها وظلت كما هى كعبة المسلمين جميعا ‧

وتحدثت الكاتبة عن الكعبة من حيث انها من الآثار الجليلة تاريخا وعقيدة ، فهى اول بيت مبارك وضع للناس ‧

وعن عمر رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعث الله جبريل الى آدم وحواء يأمرهمـا أن يبنيا له بيتا، فخط لهما جبريل ، ومكث آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء ، فلما انتهيا أوحى الله اليه أن يطوف بـه ‧

ثم مرت القرون لتأتى فترة ظلام على الناس ارتدوا فيها عن الايمـان وغلبت عبادة الاصنام ، فأرسـل الله عز وجل اليهم نوحا ليهديهم الى الرشاد ، ولكنهم طغوا ، فحق عليهم التدمير بالطوفان الذى دمر كل شىء ، ثم تسـتعد الحياة لدور جديد فى تاريخ البشرية، وتدخل الكعبة فى أهم أدوارها ، ويقف ابراهيم عليه السلام موقفا متشددا من الكفرة وعباد الاصنام وتكون حياته سجلا حافلا بالكفاح من أجل دعوة التوحيد ‧ وتزوج من سـارة ومن هاجر التى أنجبت له اسماعيل وكانت بداية جديدة لحياة الكعبة ‧ حيث كانت مكة جرداء لا ماء فيهـا ولا زرع ، ولكن رحمـة الله كبيرة ، وقد تدفق المـاء من جوف الارض ليكون بحيرة صغيرة تحت قدمى اسماعيل، وأخذت أمه هاجر تحمد الله على هـذه النعمة الجليلة ، ولايزال الماء يتفجر حتى يومنا هذا من عين زمزم

وتمضى الايام حتى يأتى أمر الله ببناء الكعبة ويبدأ ابراهيم واسماعيل فى العمل ويمضيان فى تطهير الارض حتى ظهرت القواعد الاساسية للبيت ، وأخذا معا فى بنائه من جـديد ، وجاء جبريل بالحجر الأسعد والمناسك كلها ، وبذلك استقرت مكانة مكة المكرمة أم القرى ‧ ثم توالت الايام وتموت سـارة وهاجر وابراهيم واسماعيل لتدخل الكعبة مرحلة أخرى من مراحلها التاريخية الحافلة بالاحداث ‧‧‧ وهى فترة الجراهمـة الذين ملأوا الدنيا فسادا وظلاما وصراعا ، وفى تلك الفترة حدث تصدع لجدران الكعبة بسبب السيول ، وظل هذا الوضع حتى هزمت الجراهمة على يد خزاعة التى كانت أسوأ من سابقيها ‧

وتستمر الصراعات المتلاحقة والاحداث ويحاول الكثير من الملوك والحـكام أن يبنوا بيوتا أخرى مزينة بأعظم التماثيل ليغيروا بها اتجاه الحجاج بدلا من الكعبه ولكن حماية الله لهـذا البيت أكبر ‧‧‧ قد ظهرت عناية الله ورعايته للكعبة على مر الايام والعصور ، فلم تهدم قواعده أو أساسه الذى أسس عليـه ، ولم يستطع عدوان الغزاة أن يصل اليه ‧‧‧

وهكذا ، الى أن أرسل الله سـيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مرشـدا وهاديا ، يزيح عن هذه الدنيا استـار الظلم والجهـل والفسـاد وينشر على الناس والدنيا نور الايمان ، مبشرا بدين الله الحنيف ، وتبنى الـكعبة فى عهـده ويكون له الشرف الاكبر فى حمل الحجر الاسعد ، وازدهرت الكعبة بنور الاسلام ‧‧‧ ومرت الايام والاعـوام ‧‧‧ هاهى الكعبة المشرفة شامخة فى العهد السعودى الذى حشد كل الطاقات والامكانات لتعمير وتوسيع حرم الكعبة المكرمة وبذلك توافرت للملايين الذين يحجون بيت الله الحرام كل عام سعة من الارض الطيبة يستطيعون أن يقضوا مناسك حجهم فى يسر وراحة

وأخيرا فان هذه الدراسـة الجديدة تسـهم اسهاما عظيما فى ربط المسـلم بأشرف مقدساته الاسلامية ، وتوقظ فى قلبه الحنين والشوق الدائم الى لقاء ربه ، أداء للفريضة فى بيته المقدس حاجا أو معتمرا ‧

روح مصر في قصص السباعي

● تأليف : حسن محسب ●

عن الاديب الفنان المبدع الشهير يوسف السباعي ـ كتب الروائي حسن محسب هذه الدراسة الممتعة التي صدرت عن دار المعارف في سلسلة ((كتابك)) بعنوان ((روح مصر في قصص السباعي)) .

والحق أن هذه الدراسة التي تحمل ملامح وفاء حسن محسب ، تعبر بصدق عن روح مصر من خلال قصص الشهيد الاديب صاحب الموهبة المبدعة ، والحساسية التي تتعدى الحدود والازمان يوسف السباعي ...

لقد عاش يوسف الروائي الفنان واقعه وتعايش مع مجتمعه بكل ظروفه واحواله واستطاع بمقدرته الفنية وعمق حساسيته تصوير كل قطاعات المجتمع المصري والحياة بكل تقلباتها ، كاشفا عن قدرات فنه ووعيه الاجتماعي وتطوره الفكري في معالجة قضايا بلده كمصري اصيل عاش لارضه ووطنه واهله وعروبته ، وتلك هي اهم سمات الفنان الاصيل الذي يتعايش مع الانسانية جمعاء حتى اخر قطرة من دمه

وقد أمتعنا المؤلف بحديثه عن التطور الفكرى للكاتب الاصيل يوسف السباعي مبينا مراحل تطوره الادبى من القصة القصيرة الى الرواية الى العمل السياسى والادارى مبرزا أن التطور الفكرى عند يوسف السباعي يمر بثلاث مراحل .

الاولى ، مرحلة البحث عن الذات وفيها كتب القصص العاطفية والاجتماعية لبعض المجلات مثل مسامرات الجيب ، وهى مرحلة تصور الهروب من الوقوع فى الخطيئة سواء بسبب الفقر أو سوء التربية والتخلف الاجتماعي ، ومع تمرد السباعى على تلك الاوضاع الفاسدة فى مجتمعه ، فان صوره الادبية يتجسد فيه حبه لمصر ، وذلك واضح فى مجموعاته : أطياف، اثنتا عشرة امرأة ، خبايا الصدور فى موكب الهوى ، مبكى العشاق .

المرحلة الثانية : مرحلة الوعى الفكرى الذى أنضجه تنوع قراءاته وتعدد تجاربه، وتلك المرحلة تمثل لنا بداية موقفه الثورى فى معالجة جوانب البطولة فى الانسان المصرى ومشكلاتها مجتمعة .

كما نحسه فى « بين الاطلال » التى تنادى بتحرير المرأة وتطوير تلك الدعوة التى نادى بها من قبل كثير من المصلحين الاجتماعيين ، ثم تأتى « انى راحلة » وغيرهما مفعمة بتلك الدعوات الصادقة

وأول رواية للسباعى «نائب عزرائيل» حيث يناقش فيها جوانب الشخصية المصرية من كل الزوايا وبمختلف ألوانها ساخرا وناقدا ، ومتعاطفا . وهو بكل ذلك يغير الصورة الكئيبة للحياة .

ثم يتخذ مساره كاتبا جادا يبشر ببداية ثورة فكرية كبيرة فى « يا أمة ضحكت » .. وبذلك نجد ان يوسف السباعى يناقش قضايا اجتماعية غاية فى الخطورة ويريد من مجتمعه أن يكف عن الهزل ليواجه بجدية تلك المشكلات التى تغرق الانسان المصرى ... وبعدها يواصل مساره الادبى فى قوة وشجاعة وثورة جديدة فى « أرض النفاق »،والتى تمثل قمة الانفجار الفكرى وتعكس تخلف المجتمع بكل آفات الجوع والفقر وأحلام الثراء والطمع ، والزهد ...

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة تطور فيها يوسف السباعى لكى يمارس بنفسه وبقلمه هذا الاصلاح ، ويسميها المؤلف ـ حسن محسب ـ مرحلة الفعل الثورى . وهنا يحاول بصلابة كسر الاغلال ،وينادي بالعدالة الاجتماعية ، والاستقرار العائلى للاسرة المصرية والعيش بدون خوف ..

ولعل اهم اعمال يوسف السباعى التى تعبر عن تلك الاهداف : « السقامات » « البحث عن جسد » ، « رد قلبى » ، « نادية » ، « نحن لانزرع الشوك » ، واخيرا « العمر لحظة » التى جسد فيها تجارب عمره وحصاد ثقافته المتنوعة .. و « العمر لحظة » ماهى الا رد لكرامة الانسان المصرى العربى مسجلا اروع بطولات الجندى المصرى فى معارك العبور والانتصار

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

إبتسامتك مفتاح نجاحك

د. حسين مونس

- إبتسامة صادقة على وجه إبنك خير ألف مرة من بكالوريوس يشقى نصف عمره ليحصل عليه، ويشقى نصف عمره الباقى ليعيش به !..
- إننا نتعس أنفسنا بأنفسنا، ونحن فى حاجة إلى هدوء وأعصاب، وإلى تفكير وثقة فى النفس والغير.

على غلاف هذا العدد من «الهلال»

● وجه ضاحك ..

لم نقصد قط أن نضع على الغلاف صورة فتاة او امرأة جميلة، كل ما رمينا اليه أن نطالعك بابتسامة حلوة من وجه شابة افرغ الله عليه رونق الجمال ..

ورجونا ونحن مجتمعون لتقرير صورة الغلاف ان تنتقل هذه الابتسامة الحلوة الى وجهك وقلبك، لأننا نشعر انك مثلنا تشعر أن الحياة ثقل ظلها هذه الايام، وألقت على أكتافنا مسئوليات ومتاعب تحتاج منا الى مزيد من القوة والصبر لنواجهها به، وهذه المسئوليات ليست من صنع احد ولا هى صدرت عن ظروف معينة، وانما هى طبيعة الحياة فى عصرنا هذا فى مطالبه الكثيرة واسعار تلك المطالب فى ارتفاع، والوارد الينا لا يزداد الا فى بطء السلحفاة، وعلينا ان نعمل ونعمل من الصباح الى ساعات الليل المتاخرة لكى نستطيع أن ننهض بأعباء هذه



الشباب والمرح وخفة الظل

خفة الظل والمرح ، والميل الى الدعابة من ميزات الشباب . وهذه البنت الجميلة تعطينا مثلا حلوا لروح الشباب هذه . فقد وضعت ساعتها في شعرها ، وجعلتها خلف ظهرها لتعاكس الناس طبعا ، فان الذى يرى هذه الساعة في هذا الوضع ، لابد أن يبتسم على الاقل ، وان يسال نفسه : ترى لماذا وضعت البنت الساعة في هذا الموضع ؟ والجواب : لكى تتخذها وسيلة للكلام مع من تريد الكلام معه من الشبان طبعا !..

فهى تستطيع أن تساله : كم الساعة ؟! ثم تستدير ليقرأ هو الساعة ويخبرها .
تقليعة شباب .. وما اجمل مايصدر عن الشباب من امثال هذه التقاليع

إبتسامتك
مفتاح نجاحك

الحياة ومطالبها المتزايدة

***

وقد يحسب بعض الناس ان ثقل الحياة هذا خاص بنا دون غيرنا ، ولكنك تستطيع أن تطمئن ، فهذه حال الدنيا كلها اليوم ، بل نحن احسن من غيرنا بكثير ، وكلما تقدم البلد فى ميدان الحضارة زادت متاعب أهله .

ولقد كنت فى بلدين أوربيين هذا الصيف فاحسست وكأن عصر الضحك والابتسام قد ولى مع أمس الدابر ، وحل محله عصر العبوس . وما فتحت جريدة الصباح هناك يوما الا امتلأت نفسى هما : اضرابات وأزمات وحروب ومشكلات تستعصى على الحل ، والمسئولون فى كل بلد أصبحوا اتعس من غيرهم ، فهم يحملون مسئولياتهم ومسئوليات الغير ، ويقفون دائما وظهرهم الى الحائط كان الوظيفة العامة أصبحت فى يومنا هذا حكما بالسجن مع الاشغال الشاقة بلا امد محدود ...

وانا لا ازور ما ازور من بلاد الغرب سائحا قط ، انما انا لى فى نواحيها أصدقاء . فانتهز فرصة السفر لأراهم وأتعرف من خلالهم على حال الدنيا ، فكنت اذا زرتهم قبل سنوات تزاحمت على دعوات المسرة والتسلية وسهرات الاصحاب ، اما اليوم فلا دعوات ولا سهرات ، انما هو اللقاء القصير وتبادل التحايا ويذهب كل منا فى طريق ، لان كلا من هؤلاء يحمل من المتاعب والمسئوليات والمخاوف فوق ما يطيق.

ولا انسى صديقا لى فى ضواحى جنيف يعمل فى احدى منظمات الامم المتحدة من نحو عشرين سنة ، وكان لقاء هذا الرجل سعادة أسعى اليها ، فهو بطبعه طروب ، متفائل ، واسع الرزق ، يعيش فى بيت وحى كأنهما قطعتان من الجنة ، وقد أسعده الله بزوجة هى البشر بعينه ، وما زرت بيتهما قط الا قضيت ساعات من المتعة ، واصطحبانى للغداء أو للعشاء فى تلك المطاعم المشرقة بالنور المسعدة بما يقدم لك فيها من طعام مختلف الوانه ، فلما نزلت به ذلك الصيف قرأت فى وجهه كآبة لم أعهدها ، واحسست ان الرجل ضيق بالدنيا والناس ، ولم البث ان عرفت السبب : لقد انفصل عن زوجته ، ولم أصدق الخبر ، ومضيت الى حيث الزوجة المطلقة فوجدتها فى هم ناصب ، وعرفت ان السبب فى ذلك بنت لهما كانت متعة القلب وقرة العين صباحة وشبابا وجمالا انحرفت مع موجات هذه الايام وهربت مع شاب من أمريكا اللاتينية ، وكان من رأى الأم أن تترك البنت وشأنها ، فهذه حياتها وهى حرة ولا شأن لنا بها ...

اما الاب فلم يكن على هذا الرأى .. كان يحب ابنته ولا يريدها ان تضيع فى عواصف هذا العصر ، واشتد النزاع بين الاثنين وانتهى الامر بالانفصال ..

ولقيت الزوجة . انها تعمل فى مكتب سياحى . وجدتها فى حالة من الضيق لا توصف .. لقد ضاعت ابنتها ، وهذا هو زوجها ضاع ، فماذا بقى لها فى الحياة ؟.

***

وتبينت خلال الأسبوعين اللذين قضيتهما هناك أن هذه هى الحالة الغالبة على الجميع .. كلهم فى ضيق كلهم فى تعب .. رغم أن بيوتهم قطع من الجنة ، وفيها كل مستحدثات الحضارة ،



كارولين فيلة لطيفة تعمل فى سيرك فى المانيا ، مدربها شاب يسمى فرانز رومر ، وهما رفيقان لا يفترقان بحكم العمل

ويبدو أن كارولين وقعت فى غرام فرانز نتيجة لطول الصحبة والاشتراك فى التدريب ساعات كل يوم

ولم تجد كارولين ما تعبر به عن غرامها بمدربها الا ان تجلس على الكرسى وتدعو مدربها ـ باللغة التى يتفاهمان بها عادة ـ الى ان يرقد على ذراعيها لتهدهده كانه طفل .

ورآهما صاحب السيرك فى هذا المشهد الغرامى الظريف ، فوجد أن هذا المشهد يصلح ليكون « نمرة » من نمر السيرك يشاهدها الجمهور .

وبالفعل تزاحف الآلاف ليروا كارولين تخرج الى الحلبة وتمد يديها ، ويقبل فرانز ويصعد على سلم وينام على ذراعى صاحبته ...

ولكنهم يعيشون فى جحيم ...

ماذا جرى للدنيا ...

اين ضاعت الابتسامات ؟..

ولماذا كنا قبل عشرين سنة مضت نبتسم ونضحك ملء قلوبنا مع أن أحوالنا لم تكن أحسن فى شىء مما هى اليوم ؟

ولماذا ـ مثلا ـ كانت هناك صحف ومجلات وظيفتها اضحاك الناس وتسليتهم ، وكان الاقبال عليها عظيما ؟

***

السبب فيما اتصور اننا جميعا اعطينا الأمور المادية أكثر مما تستحق ، فأخذت تطحننا بثقلها وقسوتها .

ومن الواضح أن الحياة اليوم أصعب بكثير مما كانت بالأمس الأسعار فى ارتفاع فى الدنيا كلها ، ومطالب العيش أصبحت أضعاف ما كانت عليه .. ولكننا من ناحيتنا نبالغ فى تضخيم مشكلات الحياة ونكلف أنفسنا أكثر مما تطيق .

عرفت اسرة ركبتها الهموم لان واحدا من اولادها لم يحصل على مجموع يأذن له فى دخول الكلية التى يريدون أن يدخلوه فيها

ورايت ازمات ومشاجرات فى بيت بين الأب وابنه لأن الولد يطلب مزيدا من مصروف الجيب لا يملكه ابوه ...

إبتسامتك مفتاح نجاحك



مرح من القلب

مجرد نظرة الى هذه الصورة تملأ قلبك مرحا وتفاؤلا بالحياة انها شابة تضحك من كل قلبها .. وكل مافيها يضحك .

والشابة اسمها كارولين جريمالدى ، اميرة موناكو التى اصبح اسمها الان كارولين جونو ، وكان زفافها عرسا عالميا احتفلت به الدنيا كلها. وهاهى مع زوجها فيليب ايام كانت فى شهر العسل والدنيا كلها من حولها ضحك وابتسام وتفاؤل .

ابتسامتك

مفتاح نجاحك

وكان الشاب يقول : ان اصحابى جميعا يدخنون سجائر أجنبيــة فكيف أكون اقل منهم ؟ انني لابد أن اجاريهم فى الجلوس فى « البوفيه » ..

وعادت بى الذكرى الى ايام كنت فى مثل سنه . كنت امشى على قــدمى نصف المسافة من الجامعة الى شبرا ، لاننى كنت أدخر نصـــف تكاليف المواصلات لاشترى مجلات وكتبا .

وكنا نسمع برامج الاذاعة من الشباك اذ لم يكن عندنا جهاز راديو ، وكان يمضى الشهر والشهران دون أن نذهب الى سينما ، لاننا كنا نستعيض عنهــا بالقراءة ..

وكــان فى القلب دفء ، وفى الدنيـا خير وفى الرأس مطامح لا مطامع ، ولهذا كنا لا نحمل فوق اكتافنا هـذه الهموم كلها ، وكنـا نجـد الوقت للابتســام والضحك ...

***

ولا تصدقوا أن الحياة فى الماضى كانت اسهل منها اليوم ....

نعم كانت اسعار الحاجيات اقـل بكثير من اســـعارها الراهنة ، ولكن المرتبات كذلك كانت أقل بكثير مما هى عليه الآن ..

واذكر اننى عندما انتقلت للسكنى فى حي الروضــة كانت الأرض فضــاء أو حقولا مزروعة ، وكانوا يبيعونها بجنيه للمتر ، وفى بعض الأحيان كنت تستطيع أن تشترى متر الأرض بنصف جنيه .

وقال لى من اسابيع شاب من اقاربى :

ــ لقد ضيعت الفرصـــة !. كنت تستطيع أن تشترى فدانين .. تصور لو انك فعلت هـذا لكنت اليـــوم من الأثرياء ..

قلت : حقا يا بنى .. ولكن صدقنى ايامها لم أكن أملك مدخرا اشترى به مائة متر ! .. انت على حق، كان متر الأرض يومها بجنيه أو نصف جنيه .. ولكن الدخل لم يكن يسمح بادخار مائتى جنيه مثلا لأشترى أربعمائة متر من الأرض ، وهى اقل مساحة يمكن أن يقوم عليها بيت ..

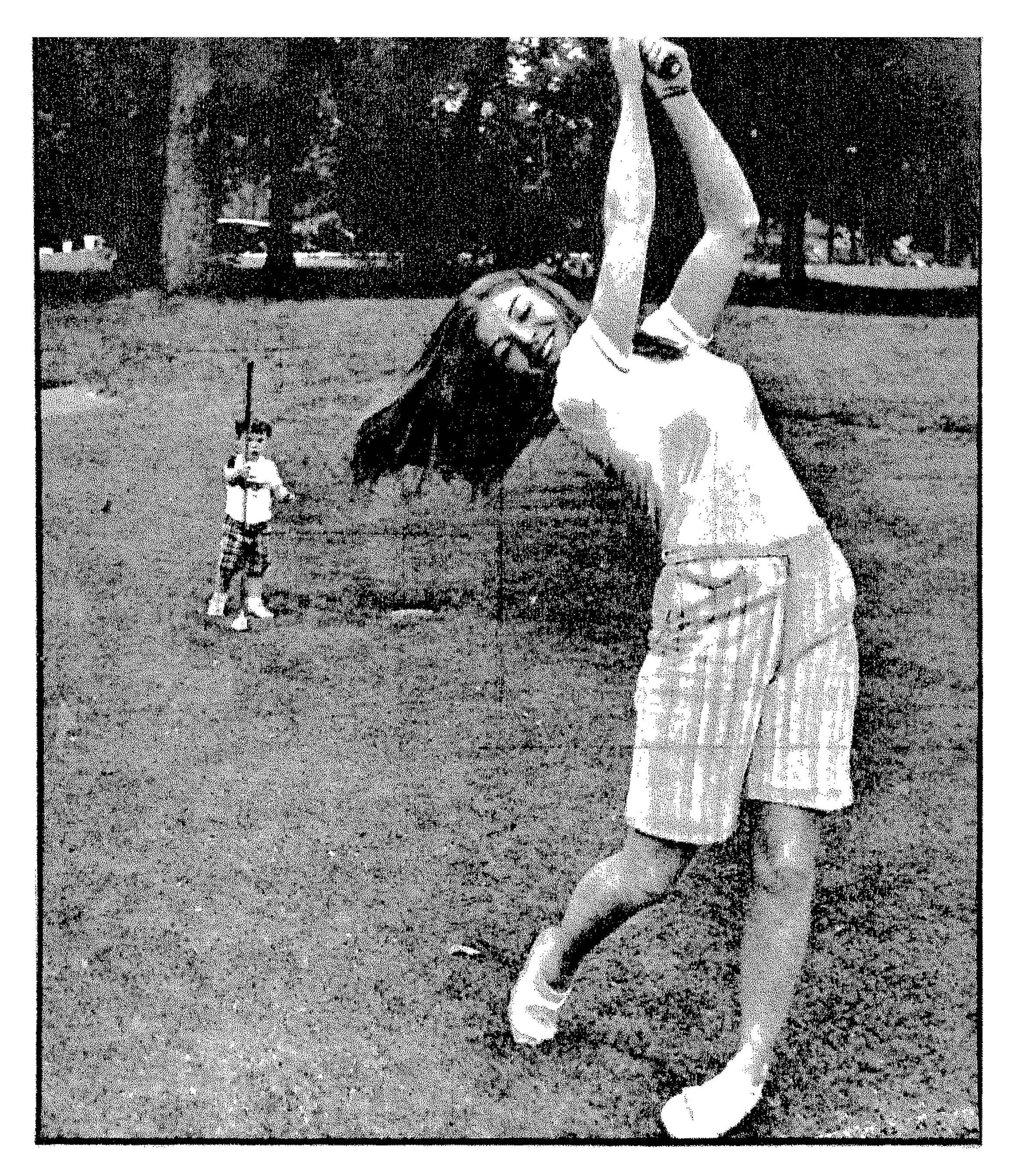
ثم اننا يا بنى لم نكن نفكر فى الغنى او الصفقات . كنا نفكر فى الحياة فى هدوء وسلام .

اذكر اننى زرت استاذى عبدالحميد العبادى رحمه الله ، وكان يسكن فى بيت واسع فى حى الروضة حوله حديقة واسعة . فقلت له : لماذا لا تشترى هذا البيت .

فقال وهو يبتسم ابتسامته الجميلة الطيبة : ولماذا أشتريه ؟ . هانا ساكن فيه ومستمتع به .. لمـاذا اقلق راحتى واسعى لكى اكون صاحب ملك وأرض وانفـق وقتى عنـد المحـامى وادارات التسجيل ... اليس افضل من ذلك ان اقرأ كتابا ؟!..

واعجبنى رايه . كنا فى عصر هادىء رزين لم تعصف به هـــذه التيـارات المفتعلة التى تعصف بنا اليوم .

واقول مفتعلة ، لان الحقيقة اننــا نحن المسئولون عن معظم هـذا الجو العصبى الذى نعيش فيـــه ، ومعظم ازماتنا مصطنعة .



في نظر الشباب الدنيا كرة ، يلعب بها كيف يشاء ، هذه الزوجة الشابة تلعب الجولف برشاقة واناقة ، ومرح وطرب ، ومن ورائها ابنها يريد أن يفعل مثلها . ولكنه لايدرى كيف ، فمد يده بالمضرب لامه لانه رأى « خدم » الملعب يقفون وراءها دائما بالمضارب ، كما هو معروف في لعبة الجولف

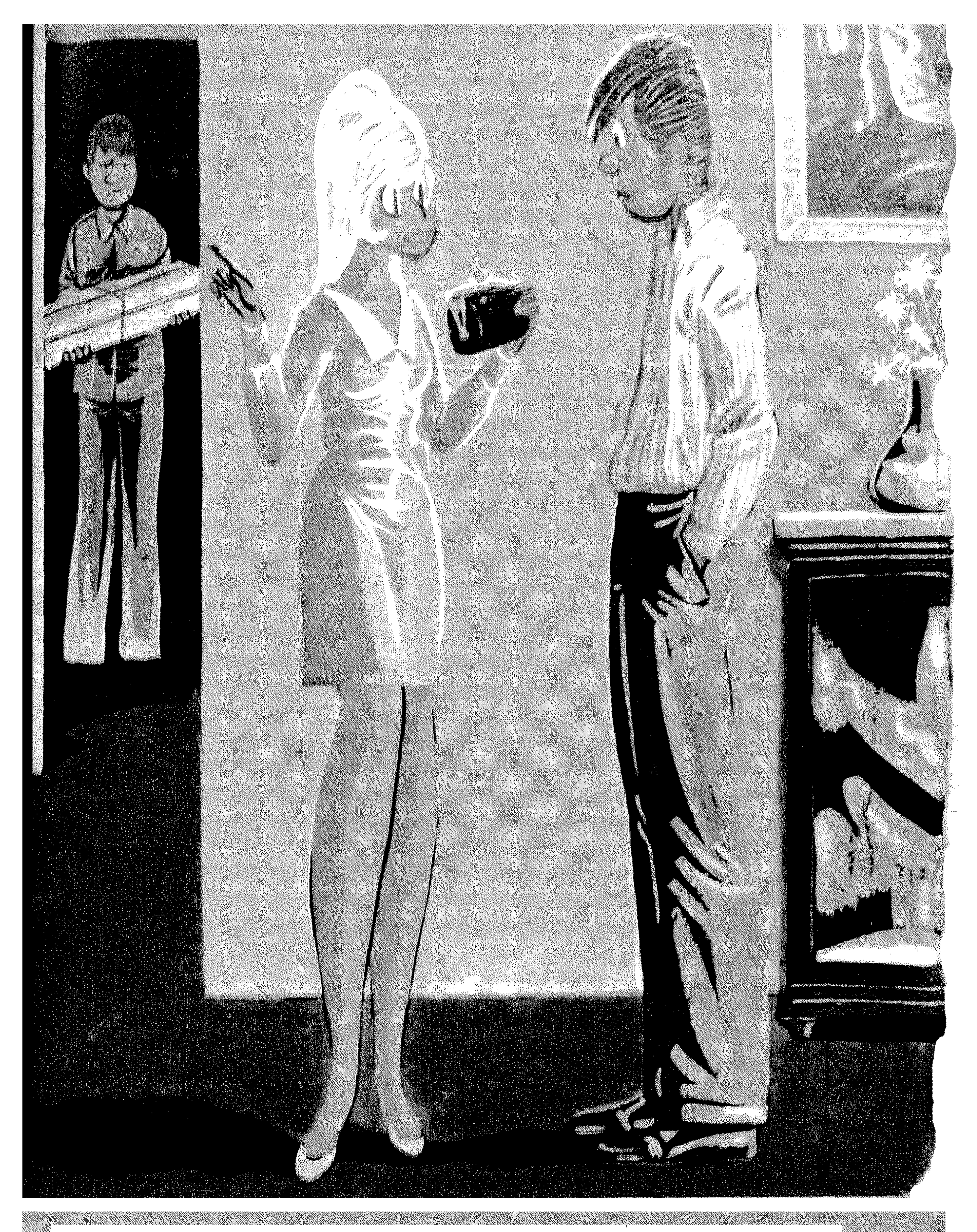
واضرب لك مثالا نشهده كلنا كل يوم .

انظر الى الناس الذين ينتظرون في محطة الحافلة أو الاوتوبيس . انهم متجمعون متاهبون كانهم يستعدون لمعركة . لماذا كل هذه العصبية ؟ .

وماذا يحدث لو أن أولئك المواطنين وقفوا صفا بحسب وصولهم

سيركب كل منهم في دوره ، دون هجوم ، دون زحام ، دون تدافع .. ودون أن يتحطم الاوتوبيس .

هذا المنظر البغيض في ذاته رمز على العصبية التي نعيش فيها دون داع .. لأن اهل الدنيا كلهم يقفون صفوفا في



ابتسامتك
مفتاح
نجاحك

هي لزوجها : اصلي اشتريت الهدية اللي كنت باحلم انك تقدمها لي !... عاوزه شوية فكه بسيطة يا حبيبي ٤ مائة جنيه بس ...



ـ مش معقول .. الخاتم البديع ده تمنه لمسة حنان ؟
ـ تمام ... اصلى شفت زوجي فى لمسة حنان مع واحدة صاحبتى
... واضطر يشترى لى الخاتم ده صلح وتعويض !!



انتظار دورهم ليركبوا الحافلة .. نحن وحدنا من دون الناس نخوض معركة لأمر بسيط مثل ركوب السيارة .

وهذا مثال بسيط نراه كل يوم ..

وهو ينطبق على تصرفاتنا كلها .

وانتقل بك من هذا المشهد اليومي الى المأساة التي تعيشها أسرنا كل عام دون داع ...

من شهر أبريل تجد الاسرة كلها في حالة عصبية ، الاولاد يذاكرون والمدرسون الخاصون داخلون خارجون، الأب متوتر الاعصاب يفكر دائما في المجموع الذي سيحصل عليه الاولاد والأم تضع يدها على صدرها ..

لماذا ذلك كله ؟!

لأن كل الاولاد يريدون دخول كليات الطب أو الهندسة ..

اليس ذلك عجيبا ؟

هل من المعقول ان يصبح هؤلاء كلهم اطباء ومهندسين ؟

وهل هؤلاء جميعاً لديهم الاستعداد ليكونوا أطباء ؟

وهل سيصبحون سعداء اذا أصبحوا أطباء ...

وهل تعرف هذه الأسر مقدار الجهد



ان تركب البنت ((الموتوسيكل))فهذا شيء نفهمه ويمكن ان نقبله في عصر اشتدت فيه ازمة المواصلات واصبح على كل انسان ان يعتمد على نفسه للوصول الى عمله او موعده فى الوقت المناسب ولكن دخول البنات ميدان سباق الدراجات النارية او الموتوسيكلات مع الرجال فهذا هو الذى لانفهمه لان السباق بالدراجات النارية من اخطر السباقات التى نعرفها فى يومنا هذا .

ولكن بنات اليوم لا حدود لطموحهن ، والصورة لهؤلاء البنات الست بدراجاتهن البخارية فى ميدان التروكاديرو فى باريس يوم ٢٦ ديسمبر ومعهن نحو ١٢٠ شاب أوربى بالدراجات النارية ليبدان معهم سباق باريس ـ دكار وهو أكبر سباق دراجات نارية فى الدنيا ..

انها لجراة عجيبة جديرة بالتقدير من الجيل الجديد من البنات .

الذى لابد ان يبذله الشاب لكى يحصل على البكالوريوس ..؟

ولماذا لا يحدث هذا فى انجلترا أو فرنسا مثلا ؟

لأن الناس هناك يفكرون بهدوء ولا يدعون انفسهم قط نهبا للتوتر العصبى دون داع ..

وليس من الضرورى قط أن يصبح جميع ابناء الأسر اطباء ، لأن الطب استعداد وموهبة وعمل كثير جدا ، ومن الظلم للشاب أن نعبىء راسه بأفكار زائفة تقول انه اذا دخل كلية الطب ضمن مستقبلا سعيدا .

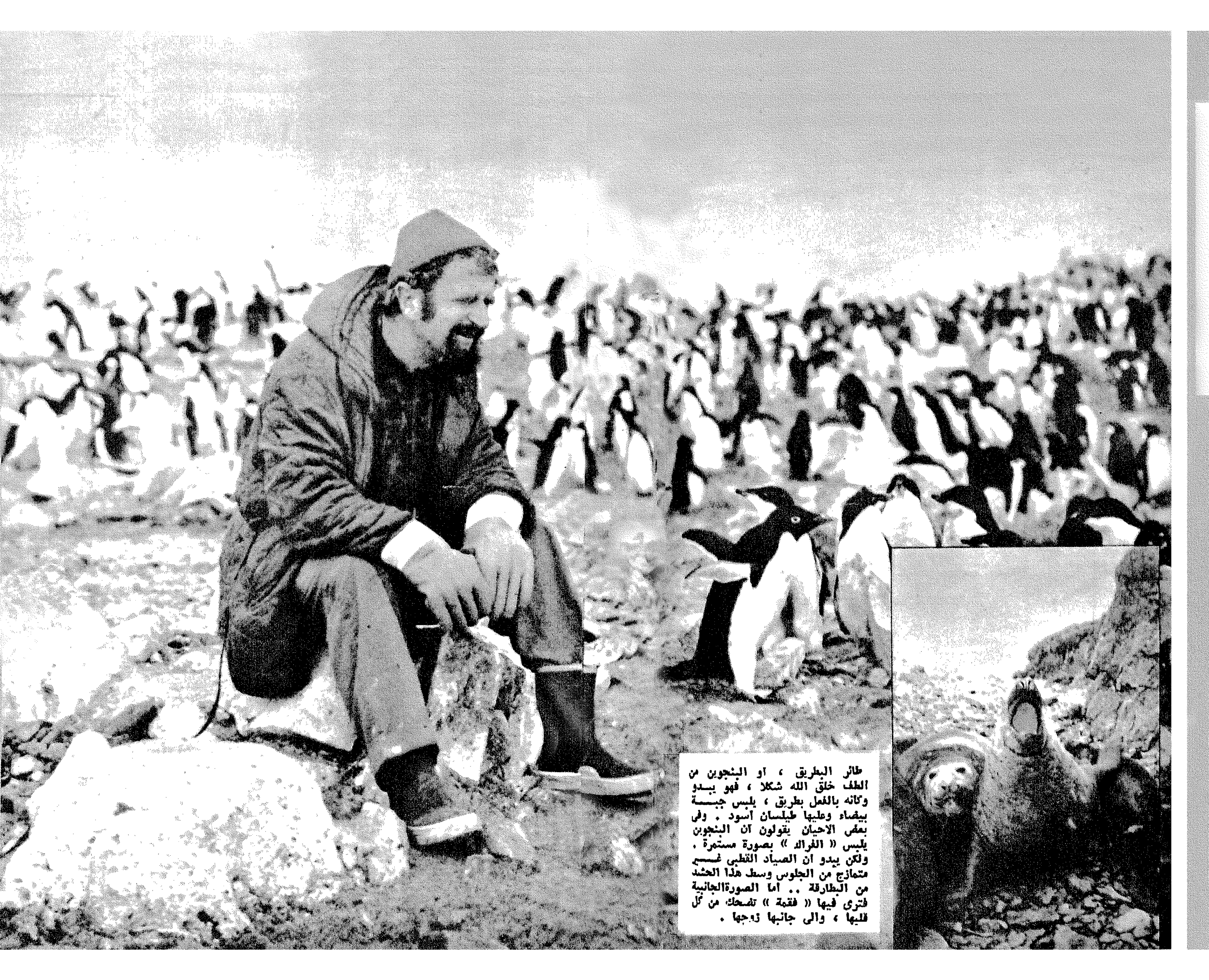
ومن الممكن جدا ان يكون دخول كلية الطب بداية التعاسة للشاب ...

لماذا لا ندع الشبان يختارون مستقبلهم دون عصبية ودون خوف ؟.

أليس الهدف الأخير أن يصل كل من هؤلاء الشبان الى العمل الذى يتفق مع مواهبه ليعيش مرتاح الاعصاب ؟

وهل يفكر اولئك الآباء والأمهات فى سنوات الجهد والشقاء والخوف التى سيعيشها أبنهم فى كلية لا تناسب قدراته أو مواهبه أو مزاجه ؟!

لقد اقسم لى اب من الآباء انه ينفق



طائر البطريق ، او البنجوين من الطف خلق الله شكلا ، فهو يبدو وكانه بالفعل بطريق ، يلبس جبة بيضاء وعليها طيلسان اسود . وفي بعض الاحيان يقولون ان البنجوين يلبس « الفراك » بصورة مستمرة . ولكن يبدو ان الصياد القطبي غير متمازج من الجلوس وسط هذا الحشد من البطارقة .. اما الصورة الجانبية فترى فيها « فقمة » تضحك من كل قلبها ، والى جانبها زوجها .

إبتسامتك
مفتاح نجاحك

ألف جنيه دروسا خصوصية على ابنيه اللذين يدرسان الطب .

قلت له : انت صادق .. ولكن لماذا هذا الانفاق كله ؟.

ـ لا مفر من الدروس الخصوصية .. كل الطلاب ياخذون دروسا خصوصية .. بدونها لا ينجحون ..

قلت : صدقنى أن هذا كله لا لزوم له . وهذه الدروس الخاصة وهم لا فائدة فيه ، والطالب الذى رزقه الله الاستعداد لدراسة الطب لا يحتاج لساعة واحدة من الدروس الخاصة..

اننا نحشر ابناءنا فى هذه الكليات وندفعهم الى السير فيها بكل عنف وقسوة وننفق مئات الجنيهات ؟!

ونعيش معهم سنوات من القلق والاضطراب النفسى ، **والنتيجة ؟**

بعد هذا كله لن ينجح فى عالم الاطباء الا صاحب الاستعداد لهذه المهنة الشريفة .. اما الباقى فثق ان معظمهم لا يصلون الى السعادة المنشودة قط ..

***

ومثال آخر ...

تصور معى ما تفعله كل اسرة تزوج بنتا لها ..

الوف الجنيهات ينفقها فقراء ليؤثثوا للبنت وزوجها بيتا من اربع غرف وصالة على الاقل ..

لماذا لا يحدث هذا الا عندنا ؟

هل فى انجلترا وفرنسا مثلا لابد ان تبذل الاسرة كل هذه التضحيات لكى يدخل شاب حديث التخرج فى بيت زوجية مؤثث تأثيثا كاملا ؟ .

كل هذا لا داعى له ...

لان الذى ينبغى ان يتوفر للزواج السعيد ليس الاثاث ولا الغرف الأربع ..

الذى ينبغى هو الوفاق والالفة والسعادة وهذه لا تستطيع الاسرة ان تهيئها مهما أنفقت ، وأمامك المئات من **البنات عندنا : تزوجن وكلفن اسرهن** الالوف ولم يجدن السعادة ولا الوفاق . بل وجدن الطلاق ...

***

حقا ان الحياة اليوم قاسية .

ولكننا بعصبيتنا وبجهلنا بطبيعة **الحياة نجعلها جحيما ..**

ولا انسى يوما زارنى فيه صديق وجلسنا نتحدث ، ثم أتى انسان وقال **ان فى البلد أزمة بن ..**

وقفز الصديق وخرج يجرى ليشترى بنا قبل ان ينفد .

وعندما اتصلت به بعد الظهر بالتليفون قال انه اشترى خمسة كيلو جرامات .

ولم تكن هناك أزمة ولا شبه أزمة ، وأيامها كان البن ملء الاسواق ...

ثم ... ماذا يحدث فى الدنيا اذا لم يكن هناك بن ؟.. هل القهوة طعام او شراب حيوى ؟.

***

الحق اننا نتمس انفسنا بانفسنا

ونحن فى حاجة الى هدوء أعصاب ، والى تفكير . الى ثقة بالنفس والغير .

هنا ستجد الابتسامة طريقها الى الوجه ....

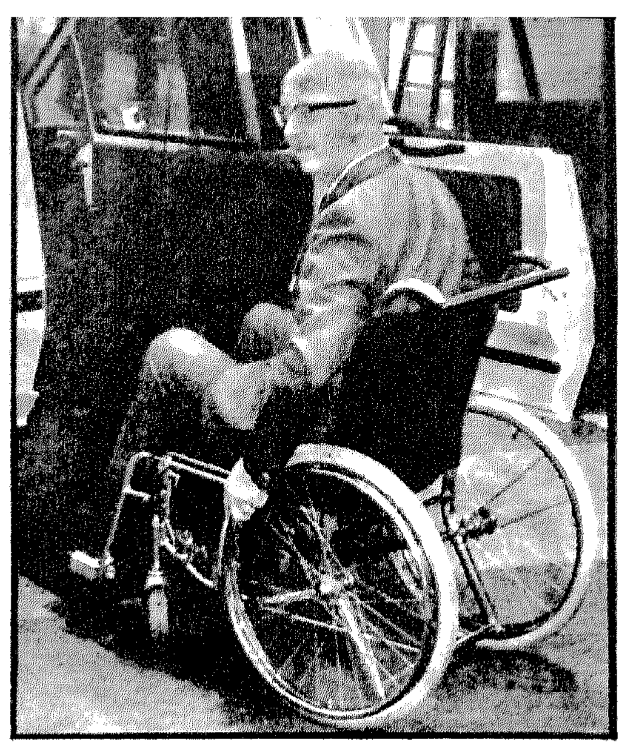
هنا سنضحك من جديد ملء افواهنا

وهنا ايضا ستهبط نسبة الامراض الى النصف ... وستجد الحياة رغم ما فيها من متاعب ، رغم غلاء الاسعار .. ستجدها رحلة لطيفة هادئة .. فيها عمل كثير متعب وجهد متواصل .. ولكن فيها هدوء اعصاب واطمئنانا وابتساما ..

وابتسامة صادقة على وجه ابنك خير الف مرة من بكالوريوس يشقى نصف عمره ليحصل عليه ، ويشقى نصف عمره الباقى ليعيش به ...

● د . حسين مؤنس ●

لكى يسعد المعوقون

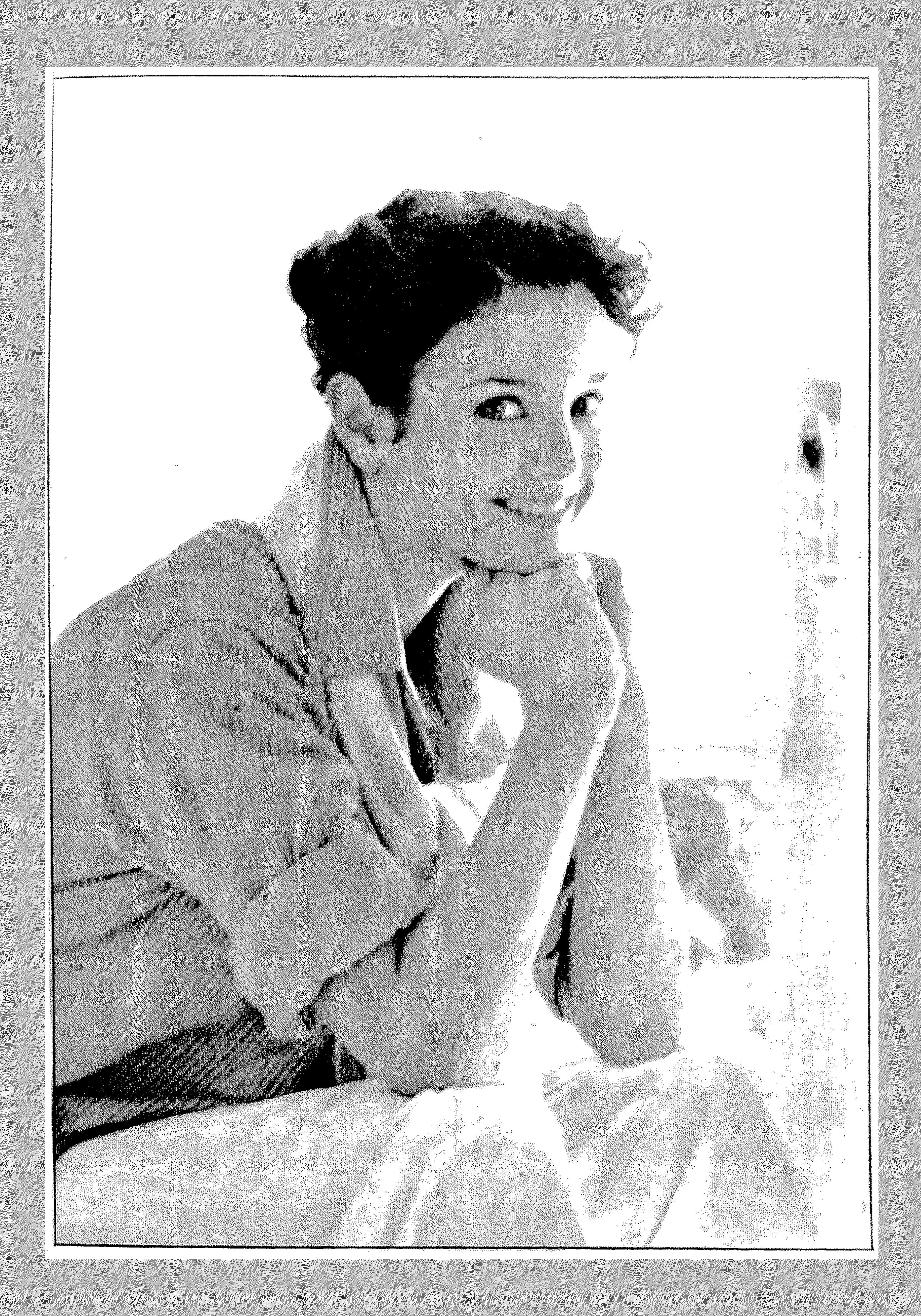




فى اوربا يريدون ان يزيلوا لفظ المعوقين من قاموس اللغة لانهم يريدون الا يعانى انسان من نقص فى تكوينه ابتلته به الطبيعة . وهم يبتكرون كل يوم اشياء تساعد اولئك الاخوة على التخلص من متاعب النقص الذى لايد لهم فيه .

ومن آخر ماقرأنا من اخبار هذه المحاولات ، اختراع سيارة لمن افقده الشلل عن الحركة ، وربطه الى سجن الكرسى ذى العجلات .

هذه السيارة تتيح لسجين الكرسى ان يدخل بكرسيه فى السيارة ، ويصبح الكرسى فى هذه الحالة كرسى قيادة . ومن مجلسه وهو مرتاح يستطيع الانسان ان يقود سيارته ، وكل مفاتيحها تحرك باليد .



فكّر.. واكتب

إنها تخاطبك ..
تفضل بالرد عليها ..

حديثنا هنا موجه الى الشعراء والكتاب ـ وهو دعوه منا اليهم للاشتراك فى هذه المسابقة الجديدة .

هذه البنت الحلوة تنظر اليك وفى عينيها كلام ..

وانت ـ شاعرا كنت أم كاتبا ـ تفهم هذا الكلام ..

ولابد ان لديك ردا عليه .. اذ لا يستطيع أديب أو شاعر أن يرفض الرد على هذا التحدى الذى ينبعث من هاتين العينين .

تأمل الصورة وقل لنا ـ شعرا أو نثرا ـ ماذا تقول لك ... بماذا توحى لك ..

وقل لنا : بماذا ترد عليها ، .. ماذا عندك تقوله لها .. ما هو الحوار الذى يمكن أن يدور بينك وبينها ..

لا تسرع فى الكتابة ، فكر أولا فان الامساك بالقلم هو آخر خطوة فى الانشاء الفنى .. شعرا أو نثرا !

فى الشعر ، أكتب أبياتا قليلة .. وفى النثر فقرات وجيزة .. وابعث لنا بما كتبت .

ولك من الفوز ، ولكل من الفائزين الاربعة الآخرين ـ جائزة .. اشتراك مجانى لمدة سنة فى « الهلال »

عمود الشعر وشعرنا المعاصر

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

— ١ —

● عمود الشعر ، اصطلاح يتردد كثيرا فى النقد العربى ، وعلى السنة الشعراء ، منذ القرن الثالث الهجرى ، حتى اليوم . وتنسب القصيدة الشعرية الى عمود الشعر ، ويقال لها قصيدة عمودية .. فما هو عمود الشعر اذن ؟

انه اصطلاح جديد ، ظهر فى العصر العباسى فى القرن الثالث الهجرى ، وتردد صداه على السنة النقاد العرب ، فى هذه الحقبة الحافلة بمختلف التيارات الأدبية والنقدية . واخذه عنهم من جاء بعدهم من النقاد .

يروى الآمدي الحسن بن بشر (٣٧١ هـ) عن أبى على محمد بن العلاء السجستانى ، وكان صديق البحترى ، انه قال : سئل البحترى عن نفسه وعن أبى تمام ، فقال : « هو اغوص على المعانى ، وانا اقوم بعمود الشعر » .

وكان الآمدى يقول عن البحترى : انه أعرابى الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف . وقال عن أبى تمام: شعره لا يشبه أشعار الاوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولدة .

وهكذا نجد هذا المصطلح النقدى يظهر ويذيع فى القرن الثالث والرابع ، والآمدى على أية حال من اظهر النقاد الذين حكموا عمود الشعر العربى ، وكشفوا عنه ، واحتفلوا به احتفالا شديدا ، وكان يرجع الى الأصول الفنية والبيانية فى الشعر القديم ، فيجعلها كل شيء ، أو اهم شيء ، فى النقد ، فهو ينقد شعر أبى تمام بالاحتكام الى عمود الشعر ، والى النهج العربى فى شعره ، ويحكم الذوق الادبى والاساليب العربية فى أسلوبه فيرد ما ترده ، ويقبل ما تقبله ، فللعرب طريق خاص فى استعمال الاسلوب والنظم والصياغة ، وفى تناول المعانى والأخيلة والموضوع ، وفى الأوزان الشعرية التى ينظم الشاعر عليها شعره ، ولهم نهج خاص فى مجازاتهم واستعاراتهم وتشبيهاتهم ، وفى التمثيل والكناية والبديع من جناس وطباق ومقابلة وتورية ، وخلاف ذلك ، وذلك كله هو مايجب على الشاعر أن يلتزمه ، ويسترشد به ، ويحتذى حذوه ، وينظم شعره على مثاله ، وهذا النهج الفنى هو عمود الشعر العربى ، وهو خلاصة لكل التقاليد الفنية التى التزمها القدماء من الشعراء فى قصائدهم ، فى الشكل وفى المضمون ، فى المعانى والاخيلة والصور ، وفى الوزن واللفظ والاسلوب .

— ٢ —

وهذا العمود الشعرى هو الذى حكمه النقاد فى الشعر ، وحتموا التزامه ، وسموا ماجاء على نمطه من الشعر قصيدة عمودية ، وقالوا عنها : انها القصيدة الملتزمة لعمود الشعر ، اى لكل قيمه الفنية ، والبحترى لذلك اقوم بعمود الشعر ، وابو تمام غير ملتزم له .

ان كثرة الاختلاف فى قضايا النقد

• إن كثرة الاختلاف فى قضايا النقد فى القرن الرابع الهجرى جعلت الاحتكام إلى عمود الشعر أمراً ضروريا ، فهو الميزان يوزن به كل ما جد على القصيدة الشعرية من ألوان التجديد المحدث

فى القرن الرابع الهجرى ، جعلت الاحتكام الى عمود الشعر أمرا ضروريا ، فهو الميزان الذى يوزن به كل ما جد على القصيدة الشعرية من الوان التجديد المحدث ، وصار العمود الشعرى حكما فاصلا فى قضايا النقد ، وليس هذا العمود الا كل التقاليد الفنية الموروثة فى القصيدة العربية عن الشعراء القدماء من امرىء القيس حتى نهاية العصر الاسلامى ، أى حتى نهاية الخلافة الاموية ، والاحتكام اليه اكثر انصافا فى النقد . لانه أحكم المقاييس النقدية وأصدقها .

على أن النقاد القدامى لم يستطيعوا ان يحددوا لنا مضمون هذا المصطلح النقدى — عمود الشعر — ولا نجد تعريفا صادقا له عند كل النقاد ، من قدماء ومحدثين ومعاصرين ، وتعريفنا السابق له قد يكون اوفى ما يمكن أن نعرفه به .

— ٣ —

لقد امدتنا القصيدة الجاهلية بكل القيم الفنية للشعر ، وهى قصيدة المعلقات ، التى تركت آثارها على الشعر العربى فى مختلف عصوره ، حتى مطلعها الطللى ، أو مقدمتها الطللية ، صارت جزءا من تقاليد الشعر ، وفهم ناقد كبير مثل ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أنها تدخل ضمن عمود الشعر ، وانها يجب أن تلتزم فى القصيدة . ولكن اذا كان المخضرمون والاسلاميون قد التزموا المطلع الطللى للقصيدة فاننا نجد الشعراء المحدثين ، من بشار وأبى نواس ، ومن جاء بعدهم ، قد ترك أكثرهم المقدمة الطللية للقصيدة ، وبداوها بالغزل ، أو بوصف الراح ، أو بدون مقدمات على الاطلاق .

ان قصيدة المعلقات قد حددت كل التقاليد الفنية الملتزمة فى القصيدة العربية : شكلا ومضمونا ، موضوعا وفكرا ، خيالا وصورا ، لفظا وأسلوبا وموسيقى ، وبالتالى فقد رسمت لنا عمود الشعر . والقصيدة العمودية التراثية هى قصيدة ملتزمة مقيدة ، والفن هو الفن ، لابد فيه من القيود ، والمثل الفرنسى يقول : لا يحيا الفن بدون قيود ، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الاصيلة ، والحرية فى الفن هى استعمال الفنان الموهوب لاقصى قدرات عبقريته ، من خلال تلك القيود .

وليس من الصحيح ان نعد ذلك استعبادا فنيا ، وكان الدكتور أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبوللو الشعرية (١٨٩٢ — ١٩٥٥ م) يرى أن الشكل العمودى أو التقليدى للقصيدة استعباد للشاعر ، وعلى ذلك يسير اكثر الثائرين على عمود الشعر ، ممن يذهبون الى ان الوزن التقليدى يجر الشاعر الى استخدام اسلوب وايقاعات تضرب بجذورها فى أعماق عقله الباطن ، وتملى عليه الايقاع والمعجم والاسلوب ، وتغلبه على ابداعه وشخصيته . وعندهم ان هذا الشكل لا يتصف بالكمال ، وهو غير قادر على التعبير عن كل الموضوعات والتجارب والحالات الشعورية عند الشعراء العموديين .

ومن الخطأ أن نتابع مذهب الذين يرمون الصياغة الكلاسيكية بانها تغلب الشاعر على ابداعه ، وشخصيته ، ولا تسمح للقوة الخلاقة ، الكامنة فيه ان تكشف عن نفسها ، ففى رأيى أن الصياغة الكلاسيكية لا يمكن ان تقف

عقبة امام الابداع وظهور الشخصية ، ولا امام حرية الفنان واستقلاله الشخصي ، وكان ابو شادي يكرر انه يهدف الى التحرر من قيود لا ضرورة لها لا الى التحرر من القواعد الفنية جملة ...

ان القصيدة العمودية بموسيقاها الجميلة ، ونغمها الموقع ، وجمالها الفنى الاخاذ ، أصبحت فى العصر الحديث مجالا للنقد . ونحن لا ننكر أن بعض هذه التقاليد يمكن التحرر منها أو التجاوز عنها ، أو التحوير فيها ، لمنح الشاعر قسطا أوفر من الحرية ، لكن ذلك لم يكن يجوزه — على أية حال — الذين التزموا بعمود الشعر من النقاد العرب ولا يعنى هذا أيضا التحرر من كل القيود .

ان الشعراء المحدثين فى العصر العباسى قد تجاوزوا بعض قيود عمود الشعر ، واحدثوا تجديدات واسعة فى القصيدة ، فاذا كان الشعراء الاسلاميون اى شعراء العصر الاموى ، قد أحدثوا فى الشعر قصيدة الاراجيز ، فان الشعراء المحدثين قد أحدثوا قصيدة الموشحات ، وجددوا فى كل عناصر الشعر ، جددوا فى الشكل والمضمون وفى الوزن والقافية ، وفى المعنى والخيال والصورة الشعرية ، الى غير ذلك كله.

وبجانب ذلك وجد نقاد محافظون متعصبون للقديم ، كابى عمرو بن العلاء والاصمعى وابى عبيدة وغيرهم . فابو عمرو شديد التعصب على المحدثين ، لخروجهم عن عمود الشعر ، بل هو شديد التعصب على الشعراء الاسلاميين كذلك ، وكان لا يرى الشعر الا للجاهليين ، وكان اشد الناس تسليما للعرب كما يقول ابن سلام (— ٢٣١ هـ)، ولا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين ، وسئل عن المولدين ، فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم .

ان مثل ذلك التعصب للقديم موجود فى الآداب الاوربية ، **فقد كان هوراس** الشاعر الرومانى يرى ان **شعراء** الاغريق هم النماذج التى يجب ان تدرس ليلا ونهارا ، **وأن الشعر ينبغى** ان ينظم كما كانوا ينظمونه ، والنقاد فى العصر الكلاسيكى فى أوربا كانوا يفتنون بالنماذج الاغريقية القديمة.

وهناك طبقة من النقاد انصفت المحدثين وشعرهم ، بل دافعت عنهم ، ومنهم خلف الاحمر (— ١٨٠ هـ) ، والجاحظ (— ٢٥٥ هـ) ، وابن قتيبة (— ٢٧٦ هـ) ، وابن المعتز (٢٩٦ هـ).

— ٤ —

وعند هذا الحد يتضح لنا معنى عمود الشعر ، وتحكيم طائفة من النقاد له فى الشعر فى القرنين الثالث والرابع تحكيما شديدا ، ولقد كان نقاد القرن الثانى يعرفون عمود الشعر بمضمونه وفحواه ، لا بنصه وفصه ، بعكس نقاد القرن الثالث الذين عرفوا عمود الشعر بحقيقته وحده ، وتحدثوا عنه فى كتبهم ، وكذلك فعل نقاد القرن الرابع . ومن ذلك نعرف مضمون القصيدة العمودية الملتزمة للوزن والقافية ، أو الملتزمة لعمود الشعر العربى التزاما كاملا .

كما نرى اعتدال فريق من النقاد فى تحكيم عمود الشعر فى قصائد المحدثين ، وفى انصافهم لشعر المولدين. ولا يخلو عصر من عصورنا الادبية من متعصبين لشعر الأوائل من نقاد وشعراء ، يحتذون حذوه ، ويقلدونه تقليدا شديدا .

على أن المعاصرين ، ممن خرجوا على المذهب الكلاسيكى، وتحرروا من الاوزان الشعرية العروضية الموروثة عن الخليل، قد نظروا الى عمودية القصيدة ووزنها الموروث نظرة خاصة ، فانصرفوا عن الاوزان القديمة وعن الاوزان المولدة جملة واقبلوا على الشعر الحر والمرسل والمنثور ، وغير ذلك من ضروب التجديد فى القصيدة الشعرية ، ممعنين كل الامعان فى الخروج على عمود الشعر مرة اخرى ، وهؤلاء لعمود الشعر وللقصيدة العمودية عندهم اصطلاح آخر غير اصطلاح القدماء ، الذى أشرنا اليه من قبل . فالقصيدة العمودية لديهم هى الصورة البديلة للشعر الحر أو الجديد. ولا ريب أن الشعر الحر هو خروج كامل على العمودية ومنهج العموديين ، ومن أجل ذلك كان الخلاف بين النقاد المعاصرين حوله شديدا عنيفا ، كما

كان الخلاف من قبل شديدا عنيفا حول تجديد ابى تمام واضرابه .

ان القصيدة العمودية تعبير عن روح الشاعر الاصيلة العميقة الرفيعة ، وتمتاز بموسيقاها وبغنائيتها وبمحافظتها على كل تقاليد القصيدة وقيمها الفنية ، وهى تنافى الحرية التى لا تستند الى اساس فنى خالص .

***

والشعر الحر ظهر فى فرنسا ، منذ عام ١٨٣٥ . وانتشر فى انجلترا والمانيا وغيرهما ، ونظم اليوت شعرا حرا ، كما نظم مايكوفسكى شاعر روسيا الشعر الحر وطبق ايديولوجيته فيه ، وظهر الشعراء التعبيريون فى المانيا من دعاة المذهب التعبيرى ، فبداوا منذ اوائل **القرن العشرين يطلقون صرخات الاحتجاج والغضب والسخط فى الشعر والقصة والمسرحية ، بل وفى الرسم والموسيقى، وأخذوا يعملون عملهم فى تحطيم القديم بحثا عن شيء جديد، وفى مقدمة المجموعة الشعرية التعبيرية التى سموها ((فجر الانسانية)) نادى التعبيريون بصرخاتهم ، وقد اخذوا فى تحطيم أوزان الشعر والخروج الى ميادين الشعر الحر ..**

ان هذا كله يشبهه ما نراه اليوم بيننا من دعاة الشعر الحر ، الذين يتصورون أن عصر القصيدة العمودية قد انتهى .. وهو لم ولن ينتهى ابدا ..

ان القصيدة الجديدة المرتبطة بالموسيقى العروضية عند العقاد والمازنى وناجى وابى شادى وابى ماضى ومطران وشكرى ، لا تزال هى سيدة الموقف حتى اليوم ، مهما علت صرخات الشعر الحر المتجرد من الوزن الشعرى العروضى عند شعرائه الذين ظهروا فى مطالع الثلث الثانى من القرن العشرين .

واذا كان شعراء هذا الشعر الجديد لم يستطيعوا المحافظة على موسيقى القصيدة الداخلية ، وهم قد طرحوا الموسيقى الخارجية للقصيدة كذلك فكيف يمكن للقارىء ان يتأثر أو يهتز بهذا الاسلوب النثرى البعيد عن الغنائية؟ ومن أجل ذلك نادى العقاد والزيات وعزيز اباظة وصالح جودت وغيرهم بأن هذا الشعر الجديد أولى به ان يسمى الشعر المنثور ويؤكد عزيز اباظة فى مقدمته لديوان « أصداء الحرية » للشاعر عبد الله شمس الدين بأن مصيره هو العفاء .

وقد اصبحت نازك الملائكة منذ صدر ديوانها الرابع « شجرة القمر » تتنبأ بان تيار الشعر الجديد سيتوقف فى يوم غير بعيد ، وسيرجع الشعراء الى الاوزان الشطرية ، بعد ان خاضوا فى الخروج عليها ، والاستهانة بها ، مع انها كانت تتزعم حركة الجديد الشعرية ، واصدرت كتابها « قضايا الشعر » لتدافع عنه ولتؤكد انتماءه الى الاوزان العروضية الخليلية ...

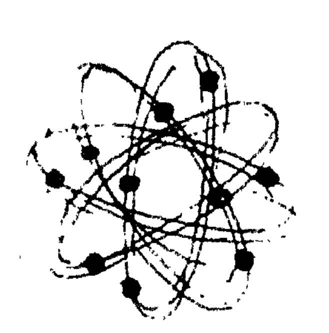
ومن شعراء الشعر الجديد فريق كبير ينادى بمهاجمة التراث وعمودية القصيدة وتقاليدها الفنية الأصيلة .. يقرر ارسطو فى كتابه « الشعر » ان الفنون الشعرية الكبرى — اى الجيدة — تستخدم كل ادوات المحاكاة ، وهى الايقاع والانسجام والوزن . ويتساءل افلاطون فى كتابه « القوانين » : اى فن هو الفن الجيد ؟ ويجيب عن هذا التساؤل : بانه الفن الذى يلذ ، اى يمتع الناس . فاين هذا الشعر الذى يمتع الناس اذا خلا من الموسيقى الجميلة ، واللفتات الفنية الرائعة التى تحركها موهبة الشاعر الاصيلة المستندة **الى ركن قوى من التراث والقيم الفنية والموسيقى الخفية التى تغذيها العاطفة والخيال وعبقرية الشاعر فى رسم الصور ..**

ان الشعراء الجدد الذين حافظوا على التفعيلة قليلون جدا ، وهم قد تركوا الموسيقى المركبة الى تفاعيل مفردة لم تمنح اصحابها حظا من التاثير فى وجدان السامعين والقراء .

على ان كل جديد لايجافى الاصالة ولا يبعد عن روح الفن ، ولا يتنكر للتراث ، ولا يعادى المذاهب الاخرى ليصرعها ويقف على اشلائها ، هو جديد انسانى النزعة ، لا يمكن أن يأباه احد .. لكن المصارعة فى ميدان الفن تقتل روح الفن نفسها ، ولا تثمر جديدا . ●

الذره فى خدمه السلام

آفاق جديدة للطب النووى الحديث



● لم يخطر على بال الذين اكتشفوا الذرة وسخروها لاغراض الحرب والتدمير — انه سيأتى يوم تستخدم فيه هذه الطاقة التدميرية الهائلة من آجل السلام ورفاهية الانسان وسعادته ٠

ولقد جرت فعلا محاولات عديدة لاستغلال الطاقة النووية فى مجالات انتاج الغذاء وتنمية الثروة الحيوانية وخدمة اهداف الصناعة ، وكمصدر لانتاج الكهرباء ٠ وامكن الحصول على كفاءة غذائية اكبر عن طريق استخدام النظائر المشعة فى السيطرة على نسبة الفوسفور والكالسيوم فى الغذاء ٠٠كما تستخدم الطاقة الاشعاعية فى تعقيم الادوية والاغذية ، مما يؤدى الى قتل جميع الميكروبات والبكتريا ويسمح بالتالى بتخزين الاغذية لمدة طويلة ٠٠

***

وهناك مجالات اخرى عديدة تستخدم فيها الطاقة النووية لخدمة الانسان ٠٠ ومن اهم هذه المجالات استخدام الطاقة النووية فى اغراض الطب والعلاج ٠ ولقد اصبح الطب النووى علما اساسيا يتطور بسرعة كبيرة ، ويحقق فى كل يوم اضافات جديدة ٠٠

وفى الولايات المتحدة الامريكية يستخدمون الاشعاعات النووية فى اغراض التشخيص واكتشاف الامراض وتتبع مسارها وتاثيرها فى الخلايا ، وفى التعرف على مواقع الخلل فى جسم الانسان ٠

والسؤال الآن : كيف تستخدم الذرة فى اغراض التشخيص والكشف عن المرض ؟ ٠

يجيب عن هذا السؤال الدكتور جين سميث الاستاذ بكلية الطب بجامعة جورج واشنطن ، ومدير قسم الطب النووى بادارة المحاربين القدماء بالولايات المتحدة ، وسكرتير عام الاتحاد العالمى للطب النووى والبيولوجيا النووية :

يقول الدكتور سميث : اننا نحقن المريض بقدر بالغ الضآلة من مادة مشعة يقل اشعاعها مائة مرة عن الاشعة السينية المعروفة ٠٠ ثم نتتبع هذه المادة اثناء سريانها فى الجسم ٠ حيث تتجه عادة الى اماكن المرض كمايحدث بالنسبة للغدة الدرقية على سبيل المثال ٠٠

فالذين يعانون خللا فى وظائف الغدة الدرقية ، يتم حقنهم بقدر ضئيل جدا من مادة اليود المشع الذى يشق طريقه رأسا للغدة الدرقية التىتمتص بطبيعتها كل ما يدخل الجسم من مادة اليود ، ويطلق اليود المشع فور وصوله الى الغدة اشارات اشعاعية تحولها اجهزة الكشف الاشعاعي الى نبضات كهربية تولد قدرا من الضوء يتم التقاطه على فيلم فوتوغرافى ٠٠ وبتحليل هذا الضوء يحدد الطبيب النووى موقع الخلل وحجمه ومن ثم يمكنه بالتالى تحديد العلاج اللازم ٠٠

● **كيف تعالج الغدة الدرقية بالذرة ؟**

للاجابة عن هذا السؤال ، يقدم لنا الدكتور سميث مريضا يعانىمن نشاط زائد فى غدته الدرقية ٠ ان هذا النشاط الزائد فى الغدة الدرقية يفقد المريض كثيرا من وزنه ويجعله غزير العرق ، وترتفع نبضات قلبه الى ما بين ١٤٠ و ١٨٠ نبضة فى الدقيقة ٠ كما يصاب بجحوظ فى العينين ٠

والعلاج هنا ، كما يوضح الدكتور سميث ، يتم ايضا بواسطة اليود المشع ٠٠ حيث يحقن المريض بقدر أكبر من هذه المادة التى تتجه رأسا الى الغدة

ماذا تعرف عن الطب النووى؟

الجهاز الذى أحدث ثورة فى التشخيص الطبى
حقائق جديدة عن مرض السكر

الدرقية ، فتبطىء من حدة نشاطها ، وتعود بهذا النشاط الى معدله العادى .

الجهاز السحرى الجديد

لقد حقق فرع الطب النووى الحديث انجازات ضخمة فى مجال اجهزة الكشف الاشعاعى ، حيث تم اختراع العديد من الأجهزة التى تخدم أغراض التشخيص والعلاج النووى . ومن احدث هذه الاجهزة جهاز جديد اسمه « جهاز التصوير الاشعاعى المحورى الالكترونى » ، يعرف باسم « س . ايه ، تى » وهو يجمع بين الحاسب الالكترونى وجهاز الاشعة السينية ، وترجع أهمية هذا الجهاز الى انه يوفر منظرا ثلاثى الابعاد مجسما لأعضاء الجسم الداخلية .

وهناك نوعان من هذا الجهاز يبث أولهما حزم الاشعة السينية المنخفضة الطاقة عبر جسم الانسان ويتم تجميعها من الطرف الآخر على لوحة فوتوغرافية تترجم عليها مواقع الحقن فى الجسم .

اما النوع الثانى فيقوم باطلاق المادة المشعة الى مناطق معينة فى الجسم ــ قلب مصاب مثلا ــ تتركز المادة المشعة فى منطقة القلب .. وتبدأ فى اطلاق اشارات من اشعة جاما نحصل عن طريقها على صورة ثلاثية الابعاد « مجسمة » للنوبة القلبية ، يمكننا بواسطتها ان نحدد على وجه الدقة درجة النوبة ومدى خطورتها .

ويوضح الدكتور سميث الفارق بين الاشعة السينية التى اكتشفها روتنجن فى اواخر القرن الماضى ، واجهزة الكشف الاشعاعى الحديثة ــ فيقول : ان الاشعة السينية تكشف عن العظام المصابة بالكسر أو الاورام أو ما شابه ذلك من تغيرات .. وفى اغلب الحالات يكون المرض ــ كما فى حالة السرطان ــ قد تقدم كثيرا قبل أن تكتشفه الاشعة السينية .

اما اجهزة الكشف الاشعاعى فى الطب النووى الحديث ، فتستطيع ــ والحديث ما زال للدكتور سميث ــ ان نكتشف فى البداية ادق التغيرات التى تحدث فى الخلايا من قبل ان تصيب الجسم باضرار يصعب علاجها ..

ويضيف الدكتور سميث ان الاشعة السينية لا تظهر التغيير التشريحى الذى احدثه السرطان فى الجسم الا بعد ان يدمر ٤٠ أو ٥٠ فى المائة من خلايا العضو المصاب .. اما وسائل التشخيص النووى فانها تظهر هذا التغيير منذ لحظة بدايته .

جائزة نوبل للطب النووى

وبرغم ان الطب النووى يعد من الفروع الحديثة ، الا ان علماء هذا الفرع الجديد من فروع الطب قد حققوا انجازات هامة فى مجال التشخيص والعلاج النووى ، مما كان موضع تقدير الدوائر العلمية والاكاديمية فى العالم .

ففى العام الماضى ، اقتسم ثلاثة من رواد هذا الفرع جائزة نوبل للطب . بينهم اثنان من العاملين فى ادارة المحاربين القدماء هما دكتوره روزالين يالو ودكتور اندرو شالى .

وقد حصل دكتور شالى على الجائزة تقديرا لبحوث اجراها على وظائف الهرمونات بالمخ ، اما دكتوره يالو فقد توصلت الى حقائق جديدة عن مرض السكر ، منها ان المصاب بهذا المرض لا يعانى من نقص مادة الانسولين ، كما كان شائعا ، وانما تكمن المشكلة فى ان جسم المصاب بمرض السكر لا يستخدم الانسولين بالطريقة العادية .

مشروع رائد يقترحه "الهلال"

فى كل يوم يزورنا فى مجلة « الهلال » شبان يحملون فى ايديهم كتبا تبحث عن ناشر ..

والكثير من اولئك الشبان موهوبون، وكتبهم تستحق ان تنشر ، ومن واجبنا ان نساعدهم على ذلك ..

ولكن لكل دار صحافة ونشر حدودا ونظما وقواعد تسير عليها ، ومهما بذلنا فاننا لن نستطيع ان نفتح الباب امام كل موهوب ، لن نستطيع ان تفتح الف باب لالف موهوب .

وكما قلنا قبل ذلك مرة بعد مرة ، فى عالم الفن والمواهب لايستطيع احد ان يساعد احدا ... المواهب هى التى تساعد صاحبها ، والنجاح فى عالم الادب والفن صراع بين أصحاب المواهب الذين لابد ان يصعدوا وجيوش ممن لا مواهب لهم ، ولا يريدون لاحد ان يخرج من صفوفهم ـ صفوف المغمورين ...

ولكن الشاب صاحب الموهبة لا يستطيع ان يصنع كثيرا اذا وقف وحده ...

وفى عصر ازمة فكرية كهذا ، عصر ركود فى الابداع ، تصبح مسألة الخروج من الزحام شبه مستحيلة فى الاديب الناشىء الذى يطرق الابواب وحده ويصيح بأعلى صوته ولا يسمعه أحد ..

ولكنه اذا اجتمع مع أخوانه ووضع كل منهم يده فى يد الآخر لهان عليهم المسير ..

لا مفر لهم من ان يتعاونوا فيما بينهم .

وهذا هو الذى فكرنا فيه نحن فى مجلة الهلال

ونحن نشعر ان معاونة الجيل الجديد من شباب الفكر والادب والفن والاعلام جزء من مسئوليتنا ...

وكما كان الهلال دائما مدرسة الاجيال ، فسيكون أيضا مدرسة هذا الجيل الجديد ..

***

وتفاصيل فكرتنا ، وهى فكرة رائدة سيعرفها كل شاب يمر بنا ؛ لانها مجرد فكرة ستنضج اثناء الاخذ والرد والمناقشات .

ولكننا نسمح لانفسنا بأن نقول انها فكرة تقوم على تعاون الشباب الصالح بعضه مع بعض ليفتحوا بأيديهم الطريق ...

ولهذا فنحن ندعو كلا منهم للمرور بنا ...

ومن بين من سيمرون بنا سنختار مائة من الجادين حقا ، الذين يعرفون اننا نبحث عن مواهب جادة وحقيقية . لان الفكر العربى فى اشد الحاجة اليها ..

نريد مائة من اولئك الطامحين الذين يشعرون انهم موهوبون .. كل ما يحتاجون اليه فرصة يثبتون بها للناس قدراتهم ومواهبهم ..

ولكن ، كيف يجتمع هذا النفر من شباب الفكر والادب والفن والاعلام لكى يصنعوا خطة السير ؟

قلنا : هذا واجبنا نحن ، هذا حقهم علينا ...

الهلال التى حملت على اكتافها جانبا كبيرا من مسئولية الفكر فى مصر والعالم العربى ستقوم بهذه المهمة ..

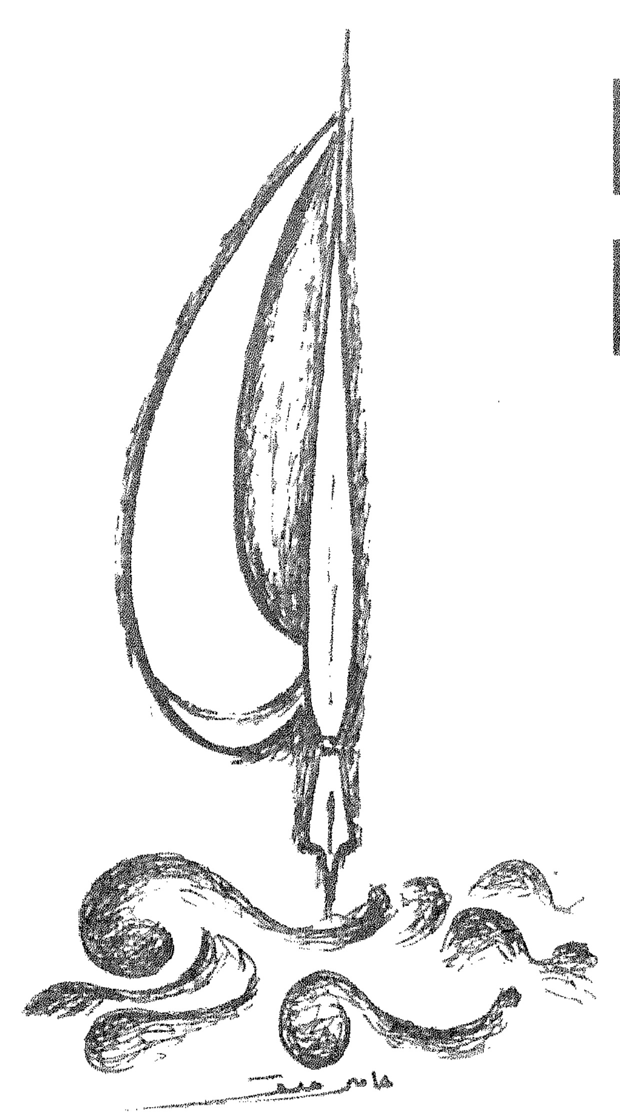
انها تدعو اولئك الموهوبين الذين لديهم كتب يريدون نشرها أو أفكار يريدون مناقشتها الى المرور بنا ليطلعوا على الخطوط العريضة للمشروع الذى وضعناه لهم لنناقشه معهم .. لانهم هم الذين سيقومون بالتنفيذ ، ونحن سنعاون ونساعد وسنفعل كل مانستطيع ليضع الجيل الجديد قدميه على أول الطريق الجديد ..

وبعد ذلك نحدد معا موعد اجتماع يتقرر فيه الموعد الذى ستتحرك فيه قافلة الجيل الجديد .

ولكى نعرف أنك من الجماعة التى تاخذ الموضوع جدا وستسير معنا ، نرجو أن تقطع البطاقة المنشورة فى غلاف الصفحة الاخيرة من هذا العدد وتاتينا بها معك .

بقايا من ضياع

● محمد على عبد العال ●



أنا مازلتُ فى تيه العُباب أسيرٌ فى بأس
يثور المَوْجُ فوقَ الموج يدفعنى إلى الغطس
وأبحرُ ثمَّ أبحرُ تائها ببحاره الخمْس
فبَدءُ البَدءِ إعياء وفعل اليوم كالأمس
بقايا من ضياع خافت الأصوات والحس
أذوبُ أذوب لا أمل ، وفى لا شئ قد أمسى
فماضى البحر إظلام يصب بظلمة النفْس
وضعتُ وضاعَ ما أبغى منَ الآمال والأنس
سوادُ الليل ضيعه وأفرغ عامدا كأسى
وأصرخُ دون فائدة ، يضيعُ الصوت من يأس

موضـــوع للثـــرثـــرة

● فؤاد بركات ●

● هذه القصة « موضوع للثرثرة » واحدة من مجموعة قصصية للكاتبة الروديسية «دوريس ليسنج » ، عنوانها « تسع قصص افريقية» تروى خلالها معاناة الانسان الاسود فى تلك الدولة الراقدة فوق بركان بشرى ، والمحاطة بموزمبيق شرقا وانجولا غربا ، والكونغو ومالاوى شمالا ، ثم الى الجنوب حيث تقع ام العنصرية « جنوب افريقيا » ..

وهى فى مقدمة مجموعتها ، تهاجم الرجل الابيض هنالك ، وتنعته بالحماقة والجنون والقسوة .. وتحفل مجموعتها بشتى صور الحياة المتناقضة هناك .. الزعيم ، وحياته وزوجاته ، الباحثون عن الذهب وكيف يبدأون احيانا من الصفر ، العامل الاسود وفلسفته العميقة وسط فقر وتخلف فى مواجهة رفاهية نادرة فى العالم يحياها الانسان الابيض .. مع صور شاعرية للجبال وللاحراش ..

موضوع للثرثرة

مدقان ضيقان احدهما تبر عمقته ركلات الاقدام العارية ـ ممتدان من مساكن فلاحى المزرعة الى البئر العجوز ، خلال نصف الميل من الاحراش الكثيفة .. النساء الوطنيات مع اطفالهن قد اعتدن قطع ذلك الطريق من المزرعة الى البئر ، وهن يطلقن ضحكاتهن الصداحة ويبعثرن صياحهن المزغرد الى قمم الاشجار .. وعند البئر يقضين نصف النهار والفات فى مجموعات ، والصفائح المدنية الصدئة او اللامعة مرفوعة الى الرءوس المغطاة بالحشائش او منحنيات مدليات بالملابس .

وقد تلوح من خلال الاحراش اكتاف مفتولة ، ثم تنسحب الى الداخل ، او تتقدم لبعض المماكسات ، ولكن لا يهم ، فالبئر بئرهن ..

واذ هن هناك بضحكاتهن ، وصيحاتهن ، وغنائهن ، وجرارهن ، وامشاطهن المدنية ، فانهن يسمعن نداءات المنازل من المزرعة ... فيلملمن انفسهن ، ويشكلن مجموعات لترتد الى هناك فى منظر خلاب ..

وبدون النساء فان ماحول البئر كان يلوح مقفرا قبيحا ، بظلاله السوداء الفاحمة الممتزجة مع اشعة الشمس الباهتة .. كن عادة جميلات الملامح عدا تلك المرأة ذات العين الواحدة بشرار لاسع ، فانها تخالف النظم .. وقد اعتادت أن تتقدم خلف الاخريات وحيدة او معها الكبار من الاطفال ، ولم تكن تعانى من آلام بالساقين فحسب ، بل كانت ايضا تنوء بجسد مترهل متهالك .. داخل الملابس الوطنية السوداء ، بحزام ازرق ملفوف حول الوسط ، وحيدة فى المسير كما هى وحدها عند البئر ، وبلاضحكات ..

واذ كانت تحمل صفيحة ماء ثقيلة ، فانها تظل معظم الوقت مهددة بانسكاب مائها من ماء لكنها كانت تعيد الامور الى نصابها بحركة متشنجة مخيفة ...

هذه المرأة كانت اسن واقدم زوجات ذلك الرجل الطويل ، والذى كان سائقنا الماهر .. لم يكن طويلا عملاقا ، وان كان يبدو كذلك لنحافته الشديدة ، كما يبدو دائما قلقا كثير الحركة ممسكا بيديه حزمة حشائش يقطعها بيدين عصبيتين ، وكتفاه ترتفعان وتنخفضان فى عصبية ، جسده الطويل ينتهى براس صغير ، واذنين مفرطحتين كبيرتين .. ويبدو منظره ملفتا ، بتعبيرات وجهه القوية المنقبضة سواء كان غاضبا ام ضاحكا، او ـ كشانه معظم الاوقات ـ شاكيا .. كما كان له لسان لاذع يخشاه الجميع فى المزرعة حتى ابى الذى يبتسم اثر مناقشات معه ، ويقول لنا :

ـ انه رجل هذا الاسود .. يجب على المرء ان يحترمه .. انه بعد كل شىء لانجد شيئا نعاتبه عليه !..

وكان الرجل يعانى من متاعب جسيمة مع زوجاته الثلاث ، وقد اعتاد ان يتجه الى ابى ، ويحادثه — حديث رجل لرجل — كيف ان الزوجة الصغيرة قد انشأت علاقة مريبة مع احد صبيان المزرعة المجاورة ، وكيف انهما قد قذفت زوجته الوسطى بعلبة كبيرة معدنية للتبغ يعتز بها !

ولقد الفنا منظره والفنا على باب منزلنا عند الغروب ، وابى يتمشى فى هدوء اثر الانتهاء من العمل .. يتمشى مع ابى ليحكى له قصة شاكية ، واحيانا يتنهد فى عمق كرجل مرهق ، ويضحك ابى طويلا ..

وذات مساء ، اتى حزينا مبتئسا — يطلب من ابى ان يقنع امراته العجوز ان ترحل « بعينها الواحدة حادة النظرات » — حيث انها قد ابت ان ترحل الى اهلها .. قال شاكيا فى ضجر :

— ان المرأة فى منزلك رغم اى شىء تصبح احيانا مثل ثعبان على جسدك !.

واستاء ابى من طلبه ، والرجل يلح بانه يود ان يتخفف من زوجاته جميعا وخاصة من هذه العجوز فهى ايضا تفسد له الطعام!

ولكن الامر بدا اكثر تعقيدا ، فالزوجتان الاخريان كانتا تصران على بقاء العجوز .. هما تكرهانها حقا ، ولكنهما اتحدتا على شىء واحد: ان العجوز يجب ان تبقى ، وانها نافعة جدا ، فهى ترعى لهما الاولاد ، والزراعات البسيطة ، وتسليهما احيانا بحكايات ظريفة! رفض ابى طلبه فى حيرة ثم فى غضب .. ، وطالبه ان يكف عن هرائه .

واخيرا مع الحاحه الشديد — انفجر ابى صارخا به ان يمسك لسانه وان يعالج مشكلاته مع زوجاته بنفسه ..

وفى ذلك المساء ، مضى الرجل وراح يحادث نفسه ، وهو يتضم بعصبية حشائش النباتات ، ثم انصرف الى زوجتيه الشابتين ، وامراته العجوز وام اطفاله الكبار .

بعد اسابيع وجه ابى سؤالا عارضا للرجل الطويل :

— بالمناسبة يا طويل .. كيف تجرى الامور الان ؟.. هل عادت الاشياء على مايرام ؟!.

واجاب بلا اكتراث :

— نعم .. انها قد رحلت بعيدا !

وهز كتفه قائلا انها قد رحلت فجاة ، دون ان تقول شيئا لاى انسان . .. ولكنها من قبيلة تقطن ارضا تنأى بمسيرة عدة ايام عن المكان ، والسير المرهق الطويل خلال الاحراش ، لا يمكنها ان ترحل وحدها . . فهل اتى شقيق لها او قريب ليصحبها الى قبيلتها ؟ .. — ام تراها قد رحلت مع الجماعات التى تسير على المدقات متنقلة من مكان لاخر ؟ ..

وبعد قليل نسى ابى كل شىء من هذا الموضوع الذى لا يهمه ، وان كان سعيدا بان اشد رجاله اخلاصا له قد فرغ من مشاكله ، قبيل جمع المحصول ، وقبيل المتاعب فى نقل الماء ، فقد كانت هناك بئران ، الاولى خاصة بنا ، ولكنها تجف دائما فى يوليو — وقتها فان الرجل الطويل يأتى لنا بالماء من النهر على بعد عدة اميال فى عربة « حاملة ماء » .. والبئر الثانية كانت للوطنيين ، ولمائها مذاق سيىء ولون بنى

بيد ان الشكاوى قد انهالت من النساء ان الماء فى البئر قد تغير مذاقه ، وان البئر يجب ان تنظف .. فاجابهن ابى فى اقتضاب:

— ان البئر ستنظف عندما يجد الوقت ملائما لذلك .

ذات صباح ، وعلى باب منزلنا ، شاهدنا شروق الشمس ، والنسوة الوطنيات قد تجمعن متذمرات يتصايحن فى هياج قائلات لابى :

— انه اذا لم تنظف البئر فان اطفالهن سيمرضن !

اجاب ابى متصديا لثورتهن ان البئر ستنظف فى الاسبوع القادم ، وان عليهن الهدوء ..

وفى ذلك اليوم — هرع الرجل الطويل يأتى بالبراميل ، وراح ينزح مع الرجال فى دأب ماء البئر .

وعند تفريغ البئر الى ما بعد المنتصف كانت هناك روائح عديدة عفنة شرعت تتسلل الى الانوف ، وتتزايد مع استمرار النزح والاقتراب من القاع .. حتى اصبحت الروائح اخيرا لا تطاق .. مع ظهور فئران ميتة على حشيات البئر الحجرية .

بل لقد وجدنا عند القاع .. ما هذا ؟! هيكل جسد بشرى رويدا رويدا يطفو .. ذراع وبقايا جسد .. انها المراة العجوز ذات العين الواحدة ، امراة الرجل الطويل ؟ وقد اصبحت جثة متحللة .

وبدا الرجل الطويل مذهولا شاحبا .. ثم اخيرا انفجر فى البكاء والصراخ

قال له ابى فى هدوء : الم تقل انها قد رحلت الى اهلها ؟!

فاجاب الطويل صارخا : واين كان يجب ان اظنها قد ذهبت ؟

ورد ابى قائلا فى غيظ :

— اذا كان من الضرورى ان تقتل نفسها الم يكن من الافضل لها ان تشنق نفسها على شجرة بدلا من افساد البئر ؟!.

اجاب الطويل متصنعا التماسك ، وعيناه مسلطتان الى البئر :

— ربما كانت قد سقطت !

فنظر ابى الى الطويل متفرسا ، وردد فى تؤدة :

— اجل ربما كان الامر كذلك !

وكان الحادث مثار حديثنا لعدة ايام ... وكيف ان الوطنيين احيانا ينتحرون بطرق غريبة ، وبدا الموضوع مثيرا للثرثرة .

غير ان الرجل الطويل بدا حزينا صامتا تتنقل نظراته احيانا بسرعة خاطفة الى البئر ، وتعود غارقة فى هم ابدى ..

هجر اخيرا زوجتيه وهجرنا ، ثم اختفى ، .. وقيل انه هام على وجهه بعيدا حيث الاحراش والحشائش المبعثرة ، والجبال المترامية ..

وقيل ان صورة له مخيفة شبحا ، تظهر احيانا يرقص على سطح البئر ، يلوح لزوجتيه ، وللاخريات . . ثم سرعان ما يختفى فى الاعماق او متسربا الى النهر ؟ ..

فى المنتدى

« البحترى الصغير »
● عمر شاهين ●

ودعت فى يــوم التــلاق
ما كان من امــر الفــراق
ردت لنـــا ارواحنـــــا
لمـــا راينـــا الحــب باق
***
فى منتدى بين الشجـــر
قد ضــم جمعــا من رفاق
وامامنــا فوق النضـــد
خمـــــر والقداح رقاق
ومضيفـــة تسقى لنـــا
قامت عـــلى قدم وســاق
لغة الهوى ما بيننـــــا
همس ووجــد واشتيــاق
وتقول خذ .. واقول . ها
ت الكاس ما احلى المذاق
***
قد شاقنى عهــد الهــوى
والقــلب للمحبــوب تاق
امــلامة ان شـــاقنى
والقلب بالهجــران ضــاق
ياليــل قد ذقت الكئـــو
س وملؤها الدمـــع المراق
حتى بــدا بــدر الدجى
فى اعينى مثــل المحــاق
***
فى نشـــوة العشاق قد
سرنا على غــير اتفـــاق
ماضرنا والحـــــب كا
ن رفيقنا .. اين المساق ؟
وتكحلت عينى بحســــ
ـنك والهــوى والوصل راق
وكاننا نجــــم وليـــ
ـل .. ما يكون لنا افتــراق
فى عشنا طاب الهـــوى
ما كان احــلاه العنـــاق

أسطورة

● فوزى فؤاد صالح ●



عندما تقبلين ،
تزغرد فى القلب الامانى
ويرقص الهوى
ويحضن الوئام الجديد
منابت البداية الطروب
ويغرق الطوى
***
عندما تبسمين
يرقرق الرواء وتسجع الحمائم
وتنثر النسائم الندية
بشائر الصفاء
وتنسج الخمائل البديعة
وشائج التلاقى
***
فؤادى الطليق
منازل تليد
فى ساحة الهوى
يبارك التروى ويمقت الولائم
مزاجه الوحيد فى هداة الليالى
أزاهر وغنوه
ومعزف حنون
وصاحب ودود
يبايع التفانى
ويعشق الوفاء
***
حبيبتى ..
أهزوجة رقيقة
فى عالم صفيق
تشابه الملائك
وتبهر الالق
فى كفها الدقيق
ترائب الطفولة
ومعزف النزق !
وريشة صغيرة ..
تداعب الانامل
تسطر الولاء !
حبيبتى ..
أسطورة قديمة
تداعب الخيال !

قصة

سلّم إلى السماء

● محمد كمال محمد ●

منذ وقع الحادث ، والشيخ عبد ربه حبيس المسجد لا يغادره ..
عبر الباب الموارب ، كنت المحه ، كلما رافقت ابي شيخ المسجد ، قابعا فى حجرته الضيقة الملاصقة لمدخل المئذنة ، يدفن وجهه فى مصحف كبير ، كان الشيء الوحيد الذى يصحبه فى كل اوقاته .

مرتان او ثلاث ، كنت اشهد الشيخ عبد ربه يتوضا فى الميضاة ، فتقابلنى منه نظرة صامتة اظل بعدها نهبا لمشاعر مختلطة من الرثاء والشفقة والالم ...

كل من يعرف الشيخ عبد ربه ، كان يقول انه صائر حتما الى الجنون ... وكان أبى يقول انه كان اذكى من عرف بين طلبة المعهد الدينى ، واوسعهم اطلاعا ، وانه لو واصل دراسته بالازهر لصار ذا شان كبير ..

وكلما ذكره ابى بعد وقوع الماساة ، قال راثيا لحاله :

ـ « مسكين ! .. ان نكبته بفقد ولده الذى بقى له من أسرته ، اطاشت صوابه » .

فيتمثل لى على الفور وجه « الاستاذ يوسف » ، كما كان يلقبه أبوه حتى قبل ان يتخرج مدرسا برقته ووداعته ـ وينساب صوته الندى فى أذنى ، وهو يردد أذان العشاء وابتهالات الفجر من مئذنة الجامع بدلا من أبيه الشيخ .. واذكر مايحدث من الشيخ عبد ربه ، حينما تنتابه تلك الحالات المفاجئة فينتفض بعد ان يؤذن للصلاة فى مدخل المسجد ذى السلالم الرخامية العريضة ، وصدى صوته الخاشع الحزين لا يزال يتردد فى أسماع المصلين .. ويصيح فى من يجده بجواره :

ـ « كان يناجيه من فوق ، كان قريبا منه .. فاخذه عنده » .

وترتفع عيناه ببريق غريب الى المئذنة التى حرم على نفسه صعودها ، منذ سقط ولده من فوقها ذات فجر من رمضان .. ثم يخفضهما الى السلالم تحت قدميه ، يحدق فيها ويهمهم بوجه مضطرم :

ـ « رايتم جسده هنا عندما سقط .. رايتموه ! ـ وانا ايضا »

ويبتسم فجاة ويزعق :

ـ « لكنكم لم تروا الشيء الذى رايته ساعتها .. ! لم تروه »

ويلوى رقبته هازا راسه هزات متلاحقة ... ثم يبتعد داخل المسجد مهرولا الى حجرته وهو يردد :

ـ « لن اقول ابدا مارايت !.. لن اقول ابدا مارايت ! »

مرة واحدة قابلت فيها الشيخ عبد ربه ، تلك الليلة ..

كانت ليلة المعراج التى ازدان فيها المسجد الرحيب ، وتوهجت داخله اضواء الثريات الكبيرة ..

وكان الوقت قد مر بى قرب المحراب وحدى بعد صلاة العشاء ، استعيد فى تامل وذهول حديث أبى للمصلين عن المعراج الذى تعرج عليه الارواح عند الموت الى السماء .. وفى اذنى لايزال صدى الانبهار بمعجزة الاسراء ومعجزة المعراج ، ورحت أتمثل تلك الصورة الرائعة ، التى وصف بها النبى المعراج : « .. فلم ار شيئا أحسن من المعراج ، وهو مرقاة من الذهب ومرقاة من الفضة ، ومرقاة من الزبرجد ، ومرقاة من الياقوت الاحمر .. »

وسمعت صوت الشيخ عبد ربه ينبعث من حجرته مرتعشا يردد فى خشوع وايمان : « ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد راى من آيات ربه الكبرى »

نهضت من مكانى فرايته منتصبا الى جوار المنبر بقامته الطويلة ، وعوده النحيل ، يحدق نحوى بدهشة وانكار ، كانما يرانى لاول مرة ..

وشيئا فشيئا لانت ملامحه بترحيب صادق ، ربما لانه تذكر فى صديق ولده ، على رغم ماكان بيننا من فارق السن .

اوما براسه مرتين : ـ تعال !

دنوت منه فى دهشة يخالطها الود ، بينما تردد

في جنبات المسجد للحظة قصف الرعد : ـ انظر! للأسمنت واسانا وهو يطل من طاقة مربعة في الجدار عبر السماء ..

ـ هنا كان السلم مسدودا في الفضاء، ورأيتها .. روحه تصعد عليه الى السماء، ناديتها باكيا بوجيعة قلبي ـ لكن شيئا بهر عيني فسكت ...

استدار ليلصق ظهره بالجدار ، بينما أومض البرق من فتحة الطاقة كشعاع خاطف ..

عاد فتحول الى الطاقة واطل متأملا :

ـ تبدو لي الليلة أكثر تألقا وأكبر نورا ..

رفع بصره الى الثريا الكبيرة المتدلية من سقف القبة العالية ، يشع منها ضوء وهاج .. وانبعث صوته مرتجفا يختلط بصوت المطر الذى انهمر في الخارج فجأة :

ـ وكان السلم منورا بنورها .. هذا هو الشيء الذي بهرني فأسكتني !..

افترست أصابعه الرفيعة في لحم ذراعي .. ترك ذراعي وضرب فخذه بباطن كفه :

ـ عندما سمعت صوت جسمه يسقط من فوق المئذنة ، جريت لانظر ، لكن المهم هو ما رأيته من هذه الطاقة .. أتعرف ! ـ كانوا يريدون أن يسدوها عندما جاءوا يرممون الجامع ... لكني منعتهم !

تحول الى الجدار وقد تغير وجهه :

ـ كان شابا يعرف الله ... سل اباك عنه وانت !! هل رأيت فيه غير ذلك ؟!

احتضن باحدى ذراعيه العمود الرخامي المجاور يهمهم محدقا :

ـ لقد قبض ملك الموت روحه بحربته التى من نور ، وأرسلها الى عليين ، لأنها روح طيبة.

تطلع الى سقف المسجد المزخرف مشرق الوجه وراح يردد :

ـ الجنة ، الجنة .. كأنى أراه فيها الآن ، على كرسى من نور ،

التفت الى بعينين دامعتين متألقتين :

ـ هل حدثك أبوك عن الجنة ؟!

استضاءت ملامحه ، وحملق من خلال باب المسجد في صفحة السماء التى بدت بعد انقطاع المطر مغسولة بالصفاء :

ـ رآها النبي ليلة الاسراء ، رأى الجنة ، وذكر أوصافها الكثيرة : « أرضها بيضاء مثل الفضة ، وحصباؤها من اللؤلؤ والمرجان ، وترابها المسك والزعفران ، وأشجارها ورقة من فضة وورقة من ذهب .. والثمار عليها مثل النجوم المضيئة ، والعرش سقفها ، والرحمة حشوها ، الملائكة سكانها ، الرحمن جارها » ـ أوصافها كثيرة .. ما أجمل هذا النعيم !

اقترب من الطاقة ، ووضع يده على حوافها يتحسسها :

ـ انهم لا يعرفون أى شيء نورانى يطل على من هذه الطاقة ، ليؤنسنى في وحدتى ... لا يعرفون !

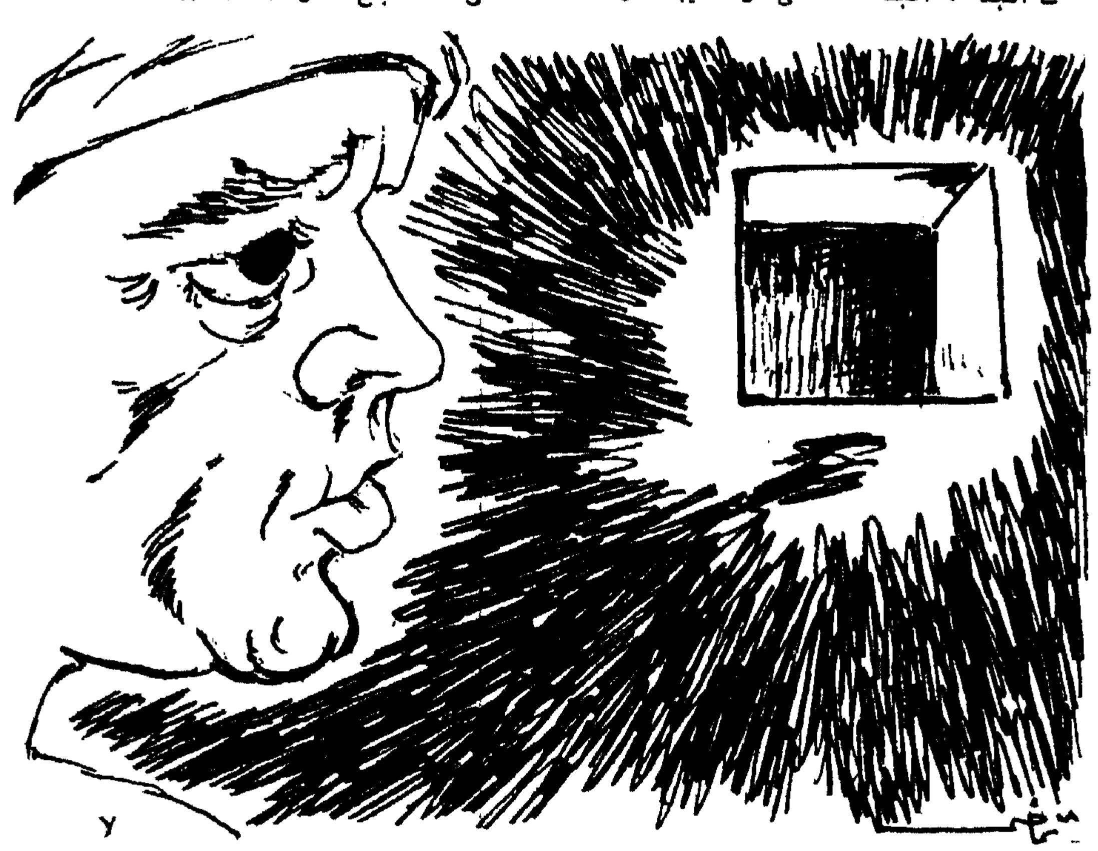
أغلق الشيخ عبد ربه باب المسجد ورائى ، لانكر في حيرة ودهشة ...

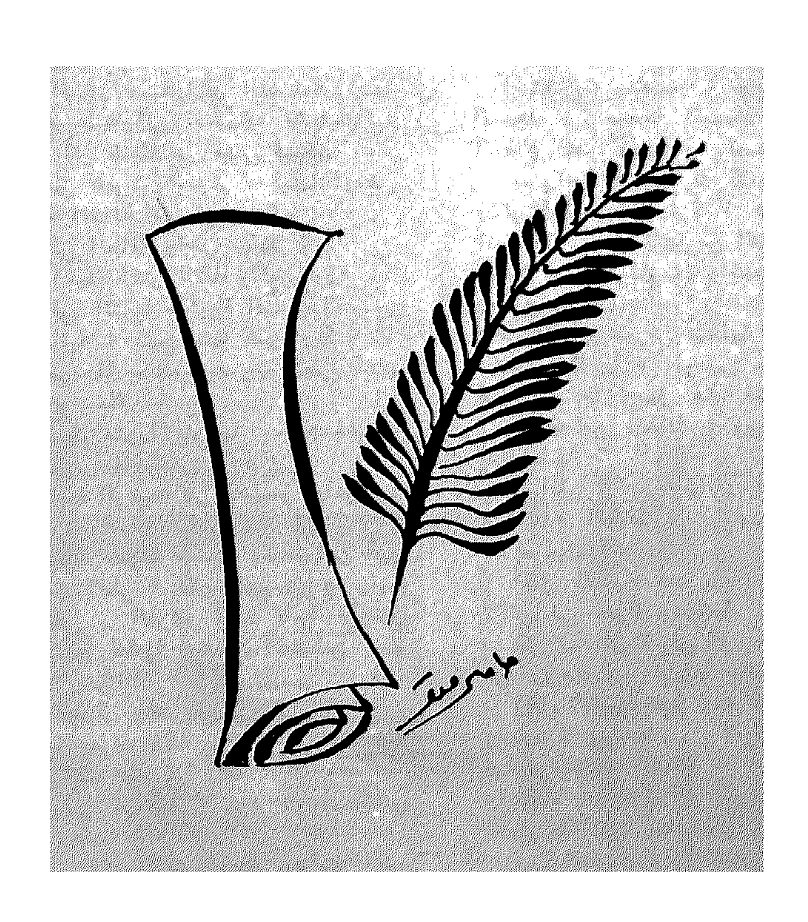
لكن ثمة شيئا على أى حال يحسه هو ، يشرق في روحه .. ليمده بالعزاء والسلوى ...

وظل الشيخ عبد ربه قابعا في المسجد ليله ونهاره لا يبرحه .. وكانوا اذا دخلوا بنعش ميت ليقيموا عليه الصلاة ، حدق نحوه من ركنه وابتسم .. دون أن يثير الدهشة والاستغراب ، لطول ما ألفوا منه ذلك ...

وترن عند خروج النعش صيحته في جنبات المسجد طويلة مطوطة الحروف : ـ « دنيا »

وتطول في صيحته الياء وتمتد ، حتى تكاد تبلغ عنان السماء ...

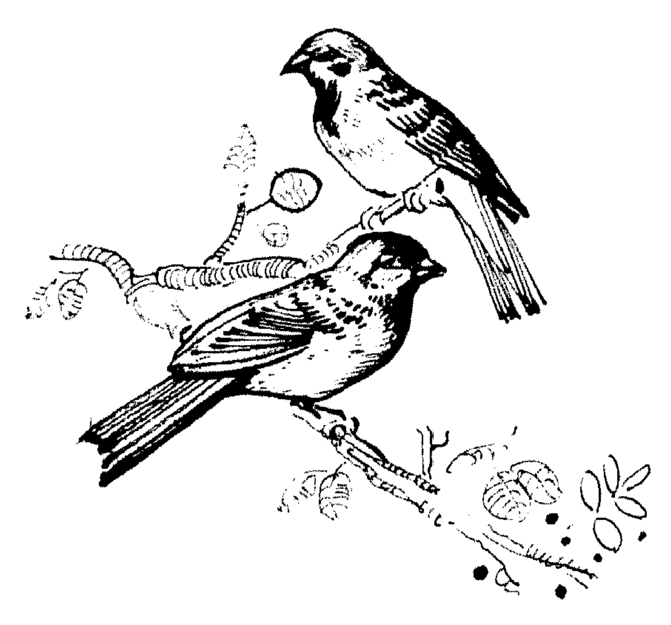




ترانيم

● عبد الهادى النجار ●

نصيحتى اليك يا محاربى — فكل ما ترهبه .. فى كتبى !
وكل ضربة سقيت مرها — ملك لنا يا جاهلا بالعرب
فكيف تنسى أمة عريقة — فى حومة الوغى بكف ضارب
وكيف تنسى امة تلالات — أمجادها فى الشرق أو فى الغرب
يا أيهذا العبد تحت امرتى — هيهات لن تصنع نذلا : تعبى !
سهرت أعواما على تعلتى — وصبرنا عليك حلم الضارب
وطار فى جنبيك حقد موغل — ما مسنا بل كان لى : كالطرب
لك الاسى مفصلا وقهره — وهكذا يكون حظ الخائب
أرى شعوبا كابدت ضياعها — فلم تعش للحب طول الحقب
يموت بالارجاس كل فاجر — كما يموت فارس بالهرب
انى وان كنت الرحيب عطفه — عفوا : فما كتمت يوما غضبى
ايه : نسور الحق وفوا عهدكم — بالروح وبالسيف وبالذهب !



سوسينا

● تاج الدين سلامة نوفل ●

« سوسينا » كالطبيعه	جميلة مطيعه
وقلبها رقيق	وروحها وديعه
أمينة عفيفة	حصينة ، منيعه
عيونها الخيال	بلوحة بديعه
أتت على الجمال	وقد حازت جميعه
وأشرقت عليه	وعانقت ربيعه
وحسنها حياء	سجاياها رفيعه
بلا مزايفات	به ولا خديعه
فان عددت حسنا	فانها الطليعه
كأبهى ما تكون	فما أحلى الطبيعه

***

وانما الحياة	من المولى وديعه
فان لم تثر فيها	فقد تفنى سريعه
اذا مات الحياء	فموته فجيعه

***

وتحفظ الكتاب	وأحكام الشريعه
وتوصل الارحام	ولا تهوى القطيعه
وتكره الحرام	وتستزرى صنيعه
وتاسى للقلوب	وموتها - صريعه
وتابى ان تكون	لمستهو تبيعه

***

فان عددت حسنا	فانها الطليعه
كأحلى ما تكون	وما أحلى الطبيعة

قصة
ليس الوقت متأخراً دائماً

● حسين عبد هادى ●

يخترق حنفى الطريق كعادته متمشيا على مهل .. الطريق متعرج طويل يبتلع الظلام اغلبه .. كان يخشى أن تنزلق قدمه فى بؤرة ماء فسيل يداريها الظلام ، فيتطاير رشاش الماء ، ليلوث ((بنطلونه)) الوحيد او يطمس الطين لمعة حذائه المغبر بالاتربة ...

يصل لعتبة داره ، يتنفس الصعداء، يتوقف ، يلقى نظرة على الطريق ... يتسرب بصيص الضوء من الابواب النصف مغلقة ، فيلقى ظلالا شاحبة على الارض السوداء ... يسمع امراة تلعن ابنها الشقى . يهز راسه بلا مبالاة ، يدخل البيت ، فيسقط فى ظلام حالك . تهب عليه رائحة عشة الدواجن . يصعد السلالم المهدمة ببطء ... يدخل شقتهم مغتما ، يواجه امه . تحيط عينيها الحزينتين هالة سوداء . يلقى التحية ساهما ، يندفع الى حجرة النوم .. اخوته الخمسة يفترشون الحصيرة الصفراء الكالحة . يغطون فى نوم عميق تجذبه رائحة العرق الفجة .

— حنفى ، حنفى ...

ينصاع لنداء أبيه ، يدخل حجرته بلا ارادة ، يضطجع الاب على الفراش عندما يراه يصرخ فيه فجأة : تختفى منى يا ولد ... وترجع ولا تتكلم !

عندما يصرخ الاب فالنظرة الى الارض كسيرة ، والكلام ماله الموت ، ولا معنى للاحتجاج ، فالرجل رغم مرضه لا ينزاح عن فتوته الكريهة ....

يأمره الاب : فى الصباح تقابل عمك حسان ، تطلب منه قرشين ، فاهم يا ابن ...

يصيب جو الحجرة ركود . يغرق العرق الجسد . تطفو رائحة شىء عفن . يهز حنفى رأسه موافقا ... فيصرخ الأب ثانية : اتفضل ذاكر ... وحياتى ما انت نافع ، وحياتى ...

يعود حنفى الى حجرة اخوته . يرمى كتبه وكشكول محاضراته على منضدة صغيرة ، تتكتل عليها كتب اخوته . يغير ملابسه بينما صوت ابيه الهادر ، الجهورى ، يلعن كل شىء ... فيتضاءل ازاءه صوت امه الطيبة ، تواسى اباه ، تدعوه لعدم تعكير دمه لانه مريض . والرجل سادر فى غيه ...

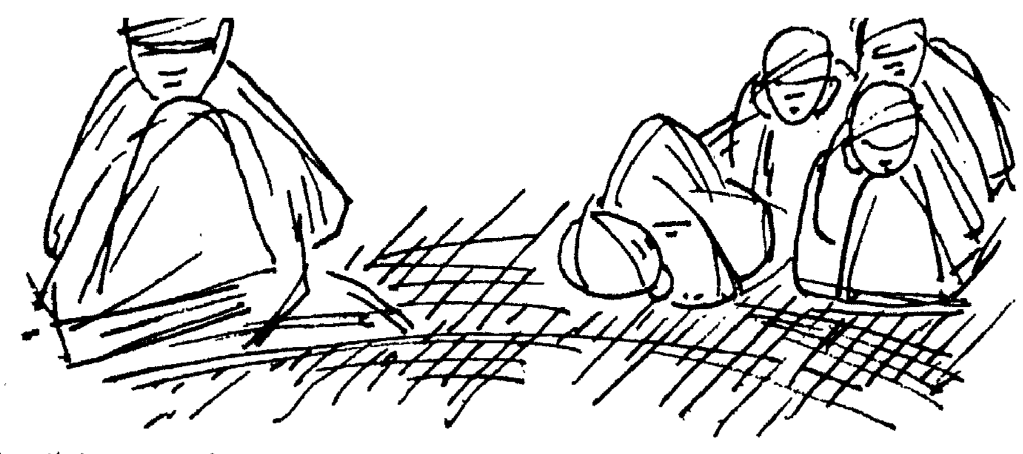
***

يتمطى حنفى . يتمدد بجوار اخوته. يحس بالراحة تخدر جسده المكدود . يملأ الضيق نفسه ، لكنه يندهش ، انه لا يثور ... فقط يود لو يغمض عينيه، سوف يعدلها المولى ، فلن يحكم على الدنيا أبدا بالفناء العاجل .

يتثاءب . يغمض عينيه . يتلاشى تدريجيا صوت أبيه وأمه . لم تعد رائحة العرق العنيفة تثقل عليه . او يضجره تتابع أنفاس اخوته الرتيب .. تحرك مبتعدا فى هدوء ، لينتقل من طيات الظلام الى اشرقة نور ساطعة ... فجأة يوقفه سؤال : لم يصر الوالد العجوز على اضطهادى المستمر ؟ .

سمح للسؤال أن يمر فى سلام قبل ان يخنق انطلاقة خياله ... سار فى الطريق اللامع النظيف، اشار له الخلق باعجاب، وهو فى تواضعه خجول . لا تحيد نظراته عن ارض الطريق .. ينضح على جثة السؤال القديم آخر وليد : لم لا ارفع عيناى فى أبى ... واتحداه ؟.

وكما عبر السؤال الاول فمر مرور الكرماء ، مر الثانى دون أن يثير ضجة ... عاد الى شقتهم فى حى آخر راق بالمدينة الواسعة ... نظافة ، نظافة بلا حدود. تقلب فى سرير كأنه الجنة ...



يشعر بلدغة فى مؤخرة رأسه . يحك قفاه بقوة . فيسحق حشرة تحت ضغط أصابعه . **غادر الفراش الوثير الى حجرة مكتبه الانيقة . هدوء مطبق** ، يشرخه صوت امرأة تلعن أجداد جدود ابنهـا الشقى .

يسند جانب ساقه على الحـائط ، فيرتاح لرطوبته . يتنهد بعمق . يفجعه صوت أمه المولول : أبو حنفى .. أبو حنفى .. ما بك يا أبو حنفى ؟!

تمتد نظراته عبر زجاج النـافذة المحطمة الى السماء المفتوحة ، الواسعة .. يحاول ان يعاود النوم ، لكن أمه توقظه ، تنوح بوجه حزين : حنفى .. ابوك مات ياحنفى !..

تجهش الام ببكـاء مر ... حنفى يتساءل غير مصدق : اقولها واقـع أم مجرد حلم عابر ؟! .

***

لا يدرى حنفى كيف انقضى نهـار يومه الجديد ... كل ما يذكره أشتات متناثرة من مشاهد شتى ، لا يقدر على الربط بينها ، او جمعها فى كل واحد **... فى الصباح قابل عمه حسـان . تحجرت عيناه الضيقتان عندما اخبره بطلب ابيه الاخير . كور شفتيه . أعطاه النقود بلا نقاش .. ثم تقفز الى مخيلته الكسيرة تحت الشمس الحارقة ، فـراغ يحط عليه الخراب ، آنسته فيه حشرات شاردة بلون الرمال الصفراء .**

تحملق فيه أعين الجيران . وسـط سرادق مزعج ، طويل . تشد الايدى على يده ـ بحرارة ـ تواسيه . يهز رأسه ببلاهة ... **خرافة ما يقولون ، لا شك أصاب الناس الجنون ... لم يواسونه؟!**

يتطلع الى الجالسين فى الصـفوف الطويلة بخشوع ، ينشد الجواب ... تفاجئه همسة خجلى : « كان عم عوض رجلا طيبا » . اراد أن يصرخ فى الرجل . **عوى الصوت فى أعمـاقه ، مترنحـا ، مهزوما : لا تصدقوه ، لا تصدقوه ... الرجل أبى وانا اعرفه ، فلا تصـدقوه ... انه مثل اى كائن يعيش . لا تكذبوا وتقولوا كان ..**

يشد رجل على يده . يخصه بالقول المأثور . يجلس الرجل على كرسى قريب من وقفته . يغمض عينيه . يعض شفته السفلى ... فجاة تتشكل على وجهـه ابتسامة كبيرة . يتنبه الى الجو الحزين المحيط به . يتلفت مذعورا . يوقن أن احدا لم يره ، فيغمض عينيه من جديد فرحا بانتصاره الصغير .

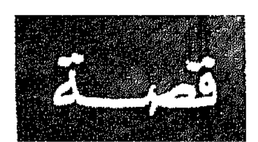
يبتسم حنفى ، تتحول ابتسامته الى ضحكة مفاجئة ، كسجين ظهر له لوهلة منفذ للخلاص ، فتدفقت من خلاله كل مشاعره المكبوتة .

يتهامس القوم بحزن مشوب بالفضول : مسكين !.. المسكين فقد عقله ، اصابه الجنون لموت أبيه !.

واذا الضـحكة تتحول فى حلقه الى حشرجة . تغيم عيناه بالدموع . يتشبث بصره بالبيوت القديمة المتلاصقة . ثم تدب على الطريق المظلم ، المعـرج المـلىء بافخاخ متعددة من بؤرات المياه الراكدة واكوام القاذورات المتناثرة التى يتزاوج حولها الذباب بكثرة ... ثم تغزو مجال رؤيته وجوه الجيران ، هيكلية شـاحبة .. بينما امرأة تلعن أولادها مولولة ..

يتنفس بعمق كمن يكاد يختنق ... تفجعه رائحة العرق العطنة وسط العظام البارزة ، والعيون الغائرة ... فيعوى الصوت من جديد ، فى أعماقه المعذبة بيأس قائلا : صدقونى ، لم يمت ... فكل شىء على حاله القديم ... كل شىء على حاله القديم . ولم يتغير اى شىء ..

●



اليوم أوغداً..

● عزت معوض مصطفى ●

وقف « خالد » برهة ينظر الى السماء بعينيه المسهدتين ... بعد أن أطلق لنفسه العنان ، الأفكار في داخله تمتصه ، تقطر في كيانه سطوات مخيفة لاذعة .. العزلة ملأت عقله بالأفكار الغريبة ، انطلق معها في أحلام شبحية ... الحياة بصورتها الرتيبة ألملول خلقت عنده نوعا من التشكك . كل شيء في نظره اصبح جامدا لا يتغير ... الناس هم الناس بشذوذهم وجشعهم ، بصراعهم بقوتهم وعجزهم ، حلقات متصلة من فراغات ، من دوائر يتحرك في داخلها كائن فيحجم الفيروس يصيب ويصاب .. التعاسة في داخله ، والحياة أصبحت ارقاما عديدةكثيرة الحروف ، كثيرة الألغاز ، حب وكره .. وجود وفناء .. وفاء وخيانة ــ لم كل هذا ؟

هل فقد الحب والعاطفة ولم يبق من صدقهما الا خيوط العنكبوت ؟ !

***

فالصراع .. هذا الملعون فجر في الأعماق أشياء كثيرة بغيضة ، حتى ملأ جوف النفس بعوالم غامضة ، تتداخل وتتصارع فيهما ملايين الرغبات والعواطف ... الخوف امتدت جذوره ــ حتى خلايا انسجتهم . انتشر فيها الميكروب حتى النخاع ... القدرة على الفهم والتمييز أصبحت مفقودة ... عندما تقول حقيقة أن هذا لك وانت صاحبه ، يعترض آخر ، أن ما هو لك فهو لي ... وما هو لي فهو لي أنا وحدي ... انانية فجرت في شرايينهم الضلال والقسوة ، لا تملك الا أن تهرب وتدمر كل شحنة عواطف جميلة في حياتك ، لم يعد هناك حس سوى الوهم ، فالفراغ الفكرى شقق عقولهم ومسخهم بهلوانات شاذة .

***

لم يستطع « خالد » أن يلتقط أنفاسه ، حبات العرق ترسم على جبينه خيوطا من أشكال متنافرة مفزعة ... التعاسة تسيطر عليه ، حاول أن يكتم المهمات الحزينة الصادرة من أعماقه ويتماسك أمام « سوزان » ولكنه تهالك ونظر الى صديقه « حامد » بلا مبالاة وهمس في أذنه : انها المحنة أن تفكر في حب شيء وأنت جائع من كل شيء !! أتدرك ذلك ... أتدرك أنني أصبحت متبلدا ولم يعد عندي قدرة على الهمس الخافت والتأمل المريح .. أصبحت مثلهم متشنجا عصبيا مكدودا مفتقدا لحظة انطلاقة ، لحظة أجد فيها نفسي كانسان ، أجد فيها ذاتي ... انصهرت من المعاناة حتى أصبحت ككائن قادم من عالم مجهول غامض مدمر .. شخصيتي البريئة الهادئة سرقت ، لم أعد أحسها في أعماقي ... لا تلمني على ذلك ولكنها الحقيقة .

ــ أية حقيقة يا « خالد » وأى لوم وأنت متجرد من كل شيء .. لماذا أهملت « سوزان » هكذا ؟ صديقتك الجالسة بجوارك ؟

ــ كلهن سوزان ، ولكنهن اختلفن في العنوان ... لا تهتم فسوف تدرك الحقيقة بأنه لم يعد عندي ما أعطيه لها ، ففاقد الشيء لا يعطيه .

ــ ولكن هي تريد أن تعطيك ......

ــ هذا خطأ ... انها لا تستطيع أن تمنحني الأشياء التي أبحث عنها ... الأشياء التي ذبلت في داخلي ، أن أتجرد من كل شيء وانطلق في كل شيء .

ــ أنت بوهيمي ...

ــ بل أنا من يرغب في أن يلتقط اللحظة بصورة أو بأخرى دون قيد من أحد .

ــ أتدرك ماتقول ..؟ انها الوجودية بعينها .

ــ لست أفهم هذه المضامين ، ولكني أدركها بالتخيل من خلال أشباع رغبتي في أن أتمرد على ما يقيد لحظة الاختيار عندي .

ــ أنت تحاول أن تهرب من ......

ــ أنا لا أهرب ولكنك لم تفهم ... ولكنه التمرد الذي انساق وراءه ، فأنا الألم ، وهي بقايا صراع الألم ، وفي يوم ما سنلتحم معا في خلية واحدة ، ولكن ليس اليوم أو غدا ..

رغم حاجتي اليها لتنزعني من عالم الخوف وتحتويني بين عينيها ، الا انني هائم في عالم غريب وهي مختلطة بعالم أكثر غرابة ..

فاللحظة عندي أن أجعل الحياة شريدة الفكر ، تسبح ، تعزف لحنا ولا يمكن أن تبلغ نغمته مسمعكم ، فالكرات البللورية اللامعة كقطرات الندى تتدفق عبر تشققات جدران الأحلام عندي .. وما تسمونه قسوة هو الاختراع الخالد .

رسالة جامعية
الواقعية واتجاهاتها فى الشعر العربى المعاصر

● سمير عبد المجيد ●



الدكتورة رشيدة مهران تتلقى التهنئة من لجنة المناقشة ...

صورة مشرفة للمرأة المصرية الأم ، والجامعية المكافحة ... تمثلت فى رشيدة مهران المدرسة بكلية الاداب قسم اللغة العربية بجامعة الاسكندرية التى حصلت على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الاولى . وكان موضوعها « الواقعية واتجاهاتها فى الشعر العربى المعاصر » .

تكونت لجنة مناقشة الرسالة من الدكتور عبد القادر القط عميد آداب عين شمس سابقا والاستاذ بجامعة بيروت رئيسا ، والدكتورة نفوسة زكريا الاستاذة بآداب الاسكندرية عضوا . وقد اشرف على الرسالة الدكتور محمد زكى العشماوى نائب رئيس جامعة الاسكندرية .

قالت الدكتورة رشيدة مهران فى رسالتها ان الواقعية مرحلة من مراحل تطور الادب . وتكاد تكون ثمرة نضج

استمدت وجودها من جلود متأصلة فى اعماق عالم الأدب والفن . وتمثل تلك النقطة البعيدة فى مراحل التغير التاريخى والاجتماعى الحتمى الذى يطرأ على العالم .

لذلك اتخذت عنوان البحث : « الواقعية واتجاهاتها فى الشعر العربى المعاصر »

فكان الفصل الأول عن الاتجاه « الواقعى الرومانسى » استعرضت مقومات هذا الاتجاه من واقع اشعار نازك الملائكة ، واحمد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور .

وفى الفصل الثانى فصلت الاتجاه الثانى الذى حددته للشعر المعاصر وهو **« الاتجاه الاشتراكى الثورى » عرضت فيه خصائص هذا الاتجاه كما اوضحتها اشعار عبد الوهاب البياتى ، عبد الباسط الصوفى ، محمد الفيتورى .. اما الفصل الثالث من الرسالة فقد**

خصصته «للاتجاه القومى الفلسطينى» ذلك الاتجاه الذى عبر فيه شعراء المقاومة عن تجربتهم المأساوية فى صورة شعرية استحقت ان تكون اتجاها منفردا من الاتجاهات الواقعية .

وحددت بهذه الفصول الثلاثة الاتجاهات التى رأت ان الواقعية قد حددتها لنفسها داخل كيان الشعر العربى المعاصر .

وفى الباب الثالث والأخير من الرسالة ثلاثة فصول وقد جعلته الدكتورة رشيدة مهران صاحبة الرسالة للمقومات الفنية للتجارب الواقعية . وكان الفصل الاول للصياغة والصورة بحيث تناولت شرح وتفصيل التجربة فى الشعر الحديث .

وكان الفصل الثانى فى هذا الباب « للموسيقى والوزن » والتغير الذى طرا عليهما والتجديد الذى استحدث بحيث اعتبر ثورة فى الشعر الحديث .

اما الفصل الاخير فكان عن موقف النقد الحديث فى هذه التجارب الواقعيه يعتبر بمثابة تقويم عام للتجربه وتوضيح قيمة التجربه بين السلب والايجاب.

واخيرا فان تلك الرسالة اضافة منهجية جديده فى ذلك المجال ●



مدينتي

مدينتي ...
احس فيك بالضياع ، وانتفاضة القلق ...
احس بالهزيمة النكراء ، بالغباء
.. بان ما تشيعه الأضواء من بهاء..
.. مزيف الألق !
مدينتي ...
لانني أتيت دون دعوة اليك ...
افتقد الأمان والسلامة !
يغتالنى النفاق ، والاعياء
يمتصنى الأرق ...
لاننى أتيت من مواسم القتامة
الى دروبك العنيفة الأضواء والصارخة الألوان
شعرت بالسآمة ! ..
لمست ما يقال عن صفاقة الانسان ...
عن فظاعة الهوان !
فقدت ماورثت من شهامة !
فقدت ماملكت من حمية !
وعشت كالسجين فى الفردوس ..

***

حبيبتي .. والتبغ ، والرفاق ، والقلق ...
وجلسة المساء فى المقاهي ...
والخوف والحديث عن بلادة المكان ..
وصخب الملاهي ...
ملامح للقهر والهوان فيك يامدينتى ...
لكنها غريبة ، مفروضة عليك !
فنحن فى البداية ، ونحن فى النهاية ..
ونحن فى الاثناء .. نحن للأمان والهدوء والنقاء
.. وحمرة الشفق

مصطفى رجب ـ سيوط

زهرات من رياض العرب

● اللعنة ●

حصلت لابى علقمة النحوى علة، فدخل عليه الطبيب يعوده فقال: ما تجـــد ؟ •• قال : أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطسئت طسأة ، فأصابنى وجــع ما بين الوابلة الى دأية العنق ، فمازال يزيد وينمى حتى خالط الخلب والشراسيف •• فماذا ترى ؟!

قال الطبيب : خذ خربقا ، وسلفقا ، وشبرقا مزهزقة وذقذقة واغسله بماروث واشربه ••

فقال علقمة النحوى : ما تقول ؟

فقـــال : وصـفت لى من الداء مالا أعـــرف ، فوصفت لك من الدواء مالا تعرف !

● مسكين •• ●

قيل لابى صدقة المدنى : ما اشـــد الحاحك ؟

فقال : تلومونني على ذلك وأنا أسمى مسكين ، وكنيتى أبو صدقة ، واسم أبى صدقة ، واسم امرأتى فاقة !

● الصابر والشاكر •• ●

قالت حمرة امراة عمران بن حطان ، وكان قبيحا وكانت جميلة : انى لأرجـو أن نكون جميعا فى الجنـــة •• فقال : ولم ؟

قالت : لأنك أعطيت مثلى فشكرت ، وأعطيت أنا مثلك فصبرت ، والصـــابر والشاكر فى الجنة !

● نجابة أبى حنيفة •• ●

كان قتادة السدوسى من كبار علمـــاء التابعين ، وقد دخل الكوفة مرة ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : سلوا ما شئتم •• وكان أبو حنيفة حاضرا ، وهو يومئـــذ غلام حدث ، فقال : ســـلوه عن نملة ســـليمان : أأنثى كانت أم ذكـــرا ؟

فســـألوه • فأفحم • فقال أبو حنيفة كانت أنثى ، فقيل له : كيف عـــرفت ذلك ؟• فقـــال : من قوله تعـــالى : (قالت نملة) ، ولو كانت ذكرا لقال : قال نملة •

فخجـــل قتادة الســـدوسى وقـــام وانصرف •••

● بدون مقابل •• ●

أتى رجل تاجرا للحمير فقال : اشتر لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ، ولا الكبير المشتهر ، ان أشبعته شكر ، وان أجعته صبر ، وان خلا الطـــريق تدفق ، وان كثر الزحام ترفق ، لا يصـــــدم بى السوارى ، ولا يدخل بى تحت البوارى ، ان ركبته هام ، وان ركبه غيرى نام •



فقال له التـــاجر : أنظر فى قليلا ، فان مسخنى الله حمـــارا خذنى بدون مقابل ، وأنا أنفذ لك كل ما طلبت !

● ما بين ذلك •• ●

دعا أعرابى ، وهو يطوف بالكعبـــة ، فقال :

اللهم قد أطعنـــاك فى أحب الاشياء اليك : شهادة أن لا اله الا انت وحـــدك لا شريك لك ، ولم نعصـــك فى أبغض الاشياء اليك ، الشرك بك ، فاغفر اللهم ما بين ذلك •

● محسن فهمى ●

الموشى
أو الظرف والظرفاء

● لأبى الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء ●

● د . انس داود ●

● أما مؤلف هذا الكتاب فهو أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى المعروف بالوشاء والاعرابى ، وقيل انه ابن الوشاء ، انه من ادباء النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى حيث اتسعت الحياة العربية واشتملت على فنون من الرقة والأناقة فى الفكر وفى السلوك، وشاع نمط من الحضارة لهج الأدباء والمؤلفون فى تتبع شياته والعناية بأصحابه .

فليس الظرف والظرفاء هنا من الفكاهة واشاعة الحديث الطلى فى مجالس المنادمة ، ولكنه نمط من السلوك الاجتماعى له رسمه المميز وخلائقه المنتقاه فى الطعام ، والشراب ، والمصادقة والمصاحبة ، والعشق ،وتحمل تبعات الحياة الاجتماعية ، والاخاء مما يصح معه ان نسمى هذا الكتاب « فن الاتيكيت العربى » .. فهو كتاب يمثل آداب ذلك العصر ، نقع فيه على كثير من صفات « الجنتلمان » العربى والانسان الظريف فى عرف المجتمع العربى ، الاسلامى ، آنذاك ..

كما حفل الكتاب بوصف الازياء التى كانت شائعة يومئذ فى مختلف الطبقات الاجتماعية ، وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار أو بالاحرى ينسجونه « بالدانتيل » والخيوط المذهبة والمفضضة على الثياب والعصائب والزنابير والمناديل والشعور والوسائد، بل وحتى ما كانوا يزينون به النعال ، وآنية الشراب والعيدان ..

وفى دراسة كل ذلك نفع لاهل زماننا ، فضلا عن قيمته التاريخية .. ففيه رصد لتلك الصفات المثلى التى ينبغى على الرجل المهيب فى المجتمع والمرموق ، والمثالى ، أن يتحلى بها من

صدق وعفة ورعاية للاخلاق الفاضلة ، وبذل للمحبوب وللصديق ، وايمان بالواجب ، وتفان فى عمل الخير ماوسعه ذلك ..

وفيه ما يستطيع أن يقف عليه أصدقاؤنا من مخرجي السينما والتليفزيون مما يتصل بأزياء ابناء ذلك العصر فى القرن الثالث الهجرى ، حتى يتسنى لهم أن يقفوا على الصورة الصحيحة التى كان عليها مظهر القوم ولباسهم ، بدلا من تلك الفوضى فى

الازياء – التى تحمل عليها اجتهادات غير مرتبطة بالتوثيق التاريخي – التى نجد عليها بعضا من المسرحيات التاريخية التى تتناول احداثا فى تلك الفترة الهامة من تاريخنا .

***

واول ما حث عليه الكتاب من شروط الظرف ان يتخير الانسان « مجالسة الرجال ذوى الالباب ، والنظر فى افانين الآداب ، وقراءة الكتب والآثار ، ورواية الاخبار والاشعار » ، وتأتى بجانب هذه الدعوة الى العلم والمعرفة الواسعة ، دعوة الى التواضع ، ومعرفة حدود علم الانسان على حد ما قال الشاعر .

ما حوى العلم جميعا احد
لا . ولو مارسه الفى سنه
انما العلم كروض زاهر
فتخير من كل شىء أحسنه

أى فتخير من كل شىء احسنه على نحو ما قال ابن عباس :

« العلم اكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شىء أحسنه » .

وينهى المؤلف عن الجدل واللجاجة ، وادعاء العلم والتفيهق ، بما لا يعرف :

لا خير فى حشو الكلام
اذا اهتديت على عيونه
والصمت اجمل بالفتى
من منطق فى غير حينه

بعد المعرفة ، وتكريم الانسان لعقله، يأتى السلوك النبيل . والخلق الامثل.. وأول ما يجمل بالظريف ، اختيار اخوانه .

« روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اختبروا الناس باخوانهم ، فان الرجل يخادن من يعجبه نحوه » .

وقال مجاهد : انى لأنتقى الاخوان كما انتقى أطيب الثمر .

وقال بعض الشعراء :

ولا تصحب اخا الجهل
واياك واياه
فكم من جاهل اردى
حليما حين آخاه
وللشىء من الشىء
مقاييس واشباه
يقاس المرء بالمرء
اذا ما المرء ماشاه
وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه !.

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذى يخفى عليك
اذا نظرت الى قرينـــه
وعلى الفتى بطبـــاعه
سمة تلوح على جبينــه

فاذا ما اختار الظريف « خلا » فـان للصحبة آدابا ، وللصداقة واجبات، وقد أوفاها المؤلف حقها ، حتى تبلغ مرتبة الحب فى الله خالصا من شوائب المنفعة، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الاساس الثابت لهذه المحبة المخلصـــة حين قال :

والايمان ان يحب الرجـل الرجـــل ليس بينهما نسب قريب ، ولا مال اعطاه اياه ، لا يحبه الا لله عز وجلّ .

ثم افاض المؤلف فيما يجب أن يتدرّع به « الظريف » من سجايا الصـــــدق والمروءة ، والحفظ للعهـــد ، والوفاء بالوعد ، وحفظ الجوار ، والانفـة من العار ، وطلب السلامة من الأوزار ..

ولن يكون الظريف ظريفا على حـد ما يقول الكتاب الا اذا اجتمعت فيـــه خصال اربع : الفصاحة ، والبـلاغة ، والعفة ، والنزاهة ... واعتد آخرون بأربع صفات اخرى هى : الحيـــاء ، والكرم ، والعفة ، والورع ... وهى كلها سجايا من الخلق الرفيع التىتصور المثل الاجتماعى الاعلى فى ذلك العصر ، واحرى بأبناء عصرنا أن يتأملوا تلـــك الصـــفات ، وان يقتبســوا من هذه السجايا ... فعصرنا قد اصبح فقيرا وبخيلا ، وقد وصفه كثير من الشعراء بالدمامة لكثرة ما راعهم من تغير اخلاق الانســـان ، وبعده عما ينبغى ان يكرم به نفسه من النبل والمثالية ...

***

ويفرد الكتاب صفحات مطـــولة عن صـــفات الثيـــاب والحـــلى للظرفاء والمتظرفين، ومن ذلك الفن الذىابتدعته الحضـــارة آنذاك فن توشـــية الجـــلى والثياب ، بكلمـــات من رائع الأدب أو بأبيات من موفق الشـــعر ...

فمما كتب على الفصوص :

ما علينا جنـــاح
فى هوى البيض الملاح

وايضا :

تحت ثيابى بدن ناحل
وفى فؤادى شغل شاغل

ومما كتب على التفاح حين يهدى للحبيبة:

ليس شىء يتهـــادى
مثل تفـــاح مكتب
خط بالفضــــة من
نبراس تحرير مهذب
يا منى قلبى ماترثى
لترى عشق معـــذب

وايضا مما كتب على التفاح بالفضة:

انا للأحبـــاب بالسر
وبالوصل رســـول

اتهاوى فارق القلب
والقـــلب ملـــول

ثم غير ذلك على الأردية والقمصان والزنابير ، فقد كتبته احدى الجوارى على قميص كانت تلبسه ليراه حبيبها :

زفراتى ليـــس تغنى
وفؤادى بك مفـــنى
اترضـــاك وأبدى
لك حبا ذاق غبنـــا
بأبى كم اتمـــــنى
والى كم أتمـــــنى
بعد ما اصـــبح قلبى
فى يد الاحرار رهنـا

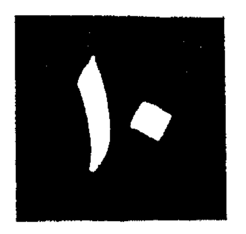
الى غير ذلك مما سجله المؤلف مما كان يكتب على المنـــاديل والســـتور والوسائد والبسط والمرافق والمقاعد ، وماكان يكتب أيضـا على جبين الجارية وخديها ، وما كان يكتب على القنــانى والكاسات والاقداح على نحو ماذكر المؤلف مما كتب على قدح :

ومالبس العشاق ثوبا من البلى
ولا خلعـــــوا الا بقية ما أبلى
ولاشربوا كاسا من الحب حـــلوة
ولا مرة الا وشربهم فضــــــل

ومن هذا العرض السريع ، يتضـــح ما لمثل هذا الكتاب من أهمية ادبيـــة وتاريخية واجتماعية .. فهو رصـــد لعادات فى السلوك وفى اللباس بالغـة **فى مغزاها التــاريخى والاجتمـــاعى ،** **وهو رصـد لاخلاق حميـدة مجد الناس أصـــحابها ودعوا اليها ، وهو متحف حافل بالقطع الشعرية المختـــارة ، والمأثورات المنتقاة .. وهو فى كل ذلك كتـــاب أدب وتــاريخ :**



يضـــيف الى قارئه متعة بالفن وبصرا بالاخلاق وبالتاريخ .



كلّه - [جيداً] - شعر..
وكلّه - الآن - أزمـــة !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

ارنى رايك فى الشعر ، والعصر ، والازمة !

ولا تلتفت الى الوراء تستدعى لنا التاريخ يحشر أنفه بيننا ! ..

الوقت الآن لواقعنا ، ولرؤية فكر وعمل بأدوات عصرنا ..

وما دام الحب معك ، فكن معنا حيث تشاء فى ملتقى الشعر عموديا أو بغير أعمدة ، فكله ـ (جيدا :) ـ شعر ! .. وكله ـ الآن ـ ازمة !

الحب ، وحده . وليس غيره ، هو كل ما بقى لنا من عصر المعجزات ...

والحب وحده الآن ، هو المعجزة التى تطوف حولها دعواتنا ، عشاقا وحالمين بان يســترد للشعر عرش سليب ، وتكون امارة ، وأمير جديد ! ...

أشهر الاخطاء المطبعية هذا الموسم ، تجرى لصالح نادى القصة ! ...

في معظم الاخبار ، في معظم الصحف ، في معظم الاحيان ... وأنت تطالع خبرا تحت عنوان نادى القصة ، سوف تكتشف ـ بعد فوات الاوان ! ـ أن المقصود هو نادى القصيد !

ليس ذلك عن عمد بالطبع أو سوء قصد ..

وانما هى ضغوط عصر السرعة تحريرا وطباعة ، تفرض على نادى القصة ونادى القصيد ، وعلينا ، ضريبة : علفط الشىء بالشىء خلطه !

لكن ومن حسن الحظ ، فان الواقع بين القصة والقصيد أجمل بكثير مما تنشر الصحف بأخطاء مطبعية وبغيرها ! ..

ففى مثل هذا اليوم من الشـــهر الماضى ، ونادى القصة يحتفل بتوزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقته السنوية ـ وقف الاستاذ ثروت أباظة رئيس الحفل وأمين عام نادى القصـــة يلقى خطبة الافتتاح ، فكان مفتتح كلماته بيت شعر من قصيدة شوقية ! ..

ولكن اختيار هذا البيت من الشعر لهذه المناسبة ، كان دليـــل ذوق وحسن تذوق وحافظة محيطة بكنوز الشعر الجميل !

كذلك الالقاء ، لبيت الشعر وفى خطاب الحفل كله ، كان رائعا واثقا ، مبينا ... ومرتجلا ... وقليل قليل بين المتكلمين فرسان الكلام الرجيل ! ..

و ... لا نستطرد فما أظن هذه النافذة الصغيرة هنا تنفســح لأبعد من اطلالة على طرافة الاخطـــاء المطبعية فى بعض ما تنشر الصحف من أخبار الناديين : العتيد ، والجديد !

ولقد جاء افتتاح حفل القصة ببيت من قصيد ، تحية كأنهـــا تعويض للقصيد وأهله ... ولو أنها قد تكون تحية غير مقصودة لذاتها ، فان أمين القصة ثروت أباظة موصول الثقافة بالشـــعر ، يتذوق من روائعه ويختار : حبا ، وحكمة ، واحتكاما ! ..

ويبقى فى الختام سؤال ...

وليس السؤال : شوقى فقط ؟ .. شوقى دائما ؟ .

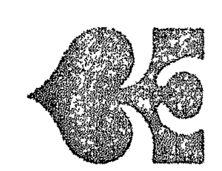
ولكن ...

لو أنك انسيت فى تلك اللحظة شعر شوقى ...؟.

فمن كنت تذكر من الشعراء الآن فى الناس والعصر ؟ ..

من ... ؟

***



● شجرة الحكمة والتمرد ●

فى أحد شوارع العصر ، عند الملتقى بين طريقى الحكمة والتمرد ـ رأيت الشاعر حائرا يفكر ويحلم ...

كانت تتوهج فى نظراته قصيدة معاناة يعيشها ولم يكتبها ! ..
معاناة شاعر تستغرقه الأعباء فى العمل والحياة ، فلا يبقى منه للشعر ــ والشعر روح حياته ! ..
والمعاناة ... نباتها الصبر ، ثمرها التمرد ! ..

ومن أجل الشعر ، يتمرد هو على القيود والأعباء ، عملا ومشغلة حياة ...

يريد أن يخلص للشعر وحده ! ...
أن يتنفس الحياة شعرا ! ...
وليضرب بكل ما عدا الشعر عرض البحر ! ..

. . . .

الآن يلتفت ليبدأ ...
ها هو يتسلم من القدر كتاب الرحلة ، ومفاتح الطريق ...
فى ظاهر الصفحة الاخيرة من الكتاب ، لفتته أقباس من قانون الأمر الواقع فى غابة الناس والعصر .. :
الاتجاه هدف ، الهدف يأخذ ويعطى ...
والشعر ، آه .. الشـــعر ــ حتى الآن ــ ياخذ فقط ، ياخذ ، ياخذ !

. . . .

وتريث الشاعر ...
ترك نفسه لخطواته تدور حول نفسها !
... ومن أجل الشعر ،
فى دائرة الملتقى بين طريقى الحكمة والتمرد ...
رأيت الشاعر ابراهيم صـــبرى ، لايزال واقفا ، يفكر ، يحلم وتعلو شفتيه ابتسامة شهيدة ...
ولم أساله : من أين ، والى أين ؟
ولكن الابتسامة الشهيدة قالت لى : الآن ، وكما ترى!.. انا .. واقف فى الممنوع !

***

● تقول ليلى ... ●

قرأتها ، هذه الكلمات الرقيقة ، مرتين ...
وفى المرة الثالثة نحيت عنى موازين الشعر والنقد ، وسبحت وراء الكلمات فى خواطر وضيئة من وحيها ...
الكلمات ، قصـــيدة منثورة للشاعرة ليلى موسى ، وعنوانها ــ (القصيدة !) ــ الشعر والشاعر ...
وليلى موسى شاعرة مصرية ، تكتب الشعر بالعربية وبالفرنسية، وهى زميلة فى أكاديمية الشعراء الفرنسية بالقاهرة ، وعضو فى « سيبباف » ــ المركز الدولى للفنون والفكر الفرنسى بباريس ...

تقول ليلى فى : الشعر والشاعر :
« الشاعر يتنفس شعرا ..
يتكلم شعرا ، ينبض شعرا :

الشعر في عينه ، في ثغره ، ملء يديه ...
الشعر عطاء ، وسخاء ، وفيض !
الشعر برق ، وهمس ، ولحن ...
الشعر حرف ، وكلام ، وصمت ...
الشعر يرعد ، يمطر ، يصفو ...
والشعر ، قول ، وسكون ، وخلد ! »

. . . .

والآن ،ولأن الخواطر الوضيئة لا تخرج سريعا ،ودائما ،من غابة الفكر بصيد ثمين ، فانني أملأ فترة الانتظار الى أن يدخل الصيد الشباك ، بمناقشة حول اقامة جسور عصرية بين شعرنا العربى والشعر الفرنسى المعاصر ، للتواصل واللقاء ...

والمناقشة هنا ليست للمبدأ ، فهو موجود ... ولكنها للتنفيذ فهو المطلوب ! ...

***

● المشع ثقافة ورهافة ... ●

لو ان لك ، مثلى ، صديقا رقيقا ، تحبه فى لندن ..

فان اختلاف النهار والليل ، فى لندن ، ينسى !

كذلك فان الجو الأبرد من البرود الانجليزى هناك ، قد يغريه بالتكاسل عن النزول الى أقرب مكتبة فى شارع اكسفورد ليشترى لك ، يرسل ، كتاب – ترجمة ذاتية – « عالم داخل عالم » للناقد الشاعر العجوز المعاصر ، ستيفن سبندر ...

واذن ، فانه لن يحدث شيء لأى شيء لو أنك هنا كعادتك تقلب أوراقك فى ليل القاهرة – والقاهرة دفء كقلوب الشعراء – فوجدت عندك بين آثار هذا الشاعر الانجليزى ما تختار منه هذه الاقطوعة ، تنفس بها عن عتابك وعدم اعجابك بما يفعل الاصـــدقاء الرقاق فيما وراء البحار ! ...

الكلمة ...

للشاعر : ستيفن سبندر

« الكلمة مثل السمكة
« تعض الكلمة مثل السمكة
« فهل ألقى بها ، لتعود حرة ...
« الى ذلك البحر ،
« عندما تندفع الأفكار فجاة وبعنف
« وتضرب الذيل والزعنفة ؟ ...
« أو أكبح جماحها ، وأردعها
« لتتناغم معى شعرا وقافية
«على صفحة طبق من الطعام ؟! »

والآن ، سوف يخطر لك بالطبع أن تسألني عن هذه « الكلمة » ا « سبندر » ، ما صلتها بالموقف أو المناسبة هنا ؟ ‥ فاقول : أبدا ...

تقول : إذن ، فلم كتبتها ، لم تقدمها ؟

أقول : مجرد مناغاة لعزيز بعيد !

تقول :أونعرفه ؟

أقول : هو الأديب المشع ثقافة ورهافة ، ماهر شفيق فريد ‥

تقول : ألم يكن أولى لك أن تكتب مباشرة له ، فتوفر على نفسك وعلينا كل هذا الذى ...

أقول : ولكني لا أستطيع ... مستحيل !

تقول : مستحيل أن تكتب رسالة لصديق فى لندن ؟

أقول : تماما ! لأنى لا أعرف عنوانه فى لندن !

***

● **لعله ‥ لعلها ؟ !.** ●

سرقت منه أحداث الليالى أجمل مواعده مع الشعر ! ...
كان كلما خلا الى فكرة أو ذكرى وعاطفة ، فاجأته الاحداث برحلة عذاب مع الحياة والأحياء فى قاع المدينة ! ‥

لكنه رغم الأحداث ، رغم الليالى مخلفات الوعد ــ (قيل ولا يجمع الوعد ، وقيل يجمع على وعود) ! ــ لم يغب هاتف الشعر عن سمعه وعن وجدانه ! ...

لذلك ، ولأن حساسيته لاستباق السنين فى مجرى العمر تزكى يقينه بأن للشعر عليه حقا ، فلقد تنازل ــ مستقيلا ــ عما بقى له من سنوات عمل في سجله المرموق ...

وتلفت ، أخيرا ، يفتح ذراعيه للايام والليالى شاعرا ، عاشقا متفرغا يؤدى للشعر حقه ....

منذ أشهر كان له فى سلك الشرطة رتبة اللواء ‥
الآن هو الشاعر اللواء سالم حقى ...

والآن أيضا يلتقى وشعره بقراء وقارئات ، وجمهور ندوات فى الاسكندرية ، والقاهرة ، وفى بلدهم كفر الزيات !‥

وفى منتديات القصيد ، وأنت ترى وتسمع صوته المهيب والمنظار الأسود والشعر الرمادى ‥ قد تحس فى زخم الصوت ، فى القرار أثر جرح ، وشجى نغمة رمادية ...

لعله ... لعلها ! ‥ ولا تسأل ، فسوف تجرفك ضحكته مرحة سمحة ، ساخرة ...

والشعر حياة!‥ انى أشعر !‥ انى ألعب فى الوقت الضائع.



مختارات من شعر العالم

في ضيافة الشعر العربي

الحمام ...

● للشاعر الفرنسي : تيوفيل جوتييه ●
● ترجمة : أحمد مصطفى حافظ ●

بين الأحداث بدت تخضر ... إكليلا ، كالريش الأخضر
نخلة رابية ، باسقة ... بسطت ذروتها ، كي تستر :
جريد سواعدها ، عشاء ... لحمام يهديل — يأسر !

***

فاذا ما انفلق الاصباح ... صدحت والتأت أفراح
وافتقدت نخلتنا عقد ... بقا ، منفرطا ، ينداح
برحيل حمائمنا عنها .. ... تطويها سبل وبطاح

***

نفس كالنخلة .. يغزوها ... بجنون رؤى — ما يغزوها
وتظل تصفق بجناح ... كحمام حيي في واديها
وتروح تخايلها سحرا ... .. وطلوع الشمس — يواريها

بطاقة اشتراك
في مشروع المائة كتاب من أدب الشباب
(فكرة تعاونية ثقافية تقترحها مجلة الهلال)

الاسم ______	عمل أدبي إنتاجي أرشحه للنشر
السن والمهنة ______	مجموعة قصصية : ______
العنوان : ______	ديوان شعر : ______



مارس ١٩٧٩

الهلال

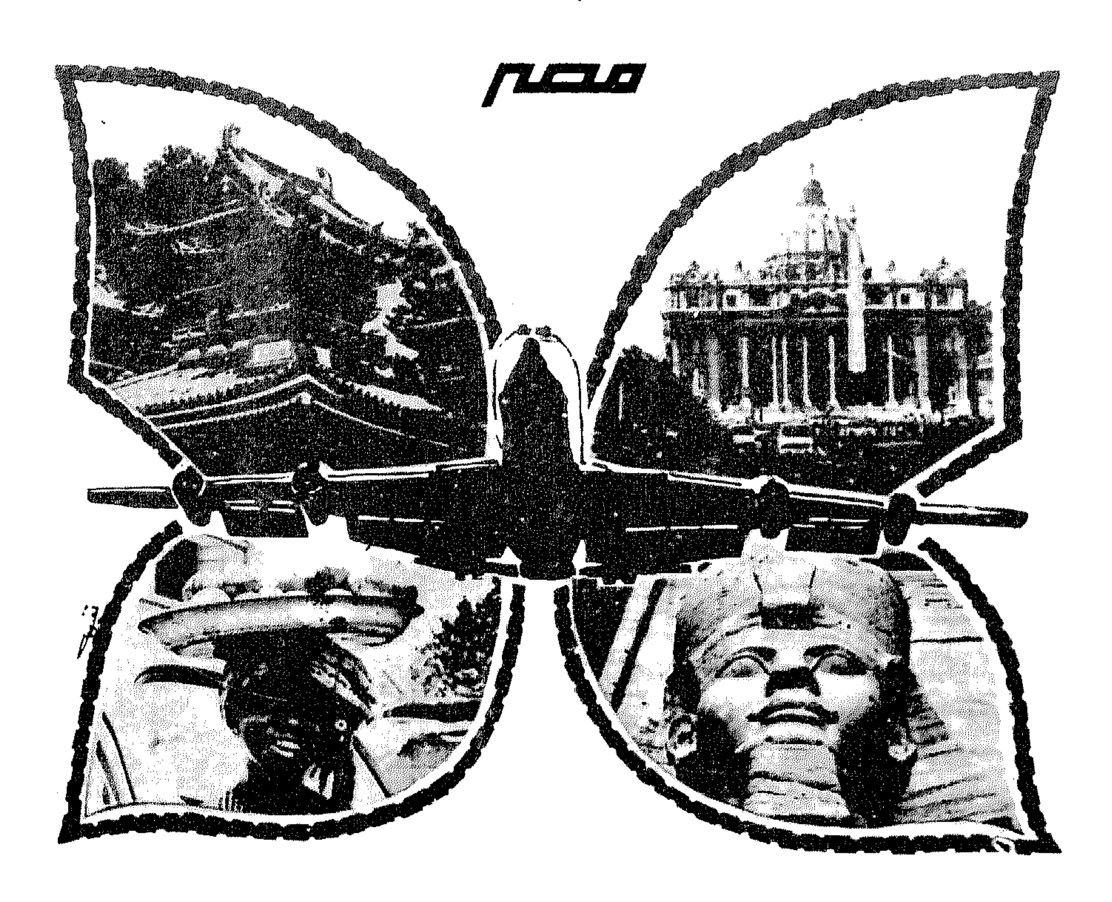
مجلة الفكر العربي



في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفي عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - آسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

مولد

كان ينبغي ان نصدر عدد الشهر الماضي (فبراير ١٩٧٩) بمقال عن مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولكننا هذه المرة رأينا ان نتريث حتي نرى كيف يحتفل الناس بتلك الذكرى العظيمة التى لا تدانيها ذكرى في تاريخ المسلمين كله .

ومن عند المسلمين غير محمد ؟ وماذا كانت تكون اممهم لولا محمد ؟

واليك كيف احتفلوا بذلك المولد العظيم .

اقامت كل وزارة أوقاف ليلة أو سهرة لم نسمع فيها ما يستحق الذكر الا آيات القرآن الكريم التى بدأت بها الاحتفالات وختمت.

وبين آيات الافتتاح وآيات الاختتام لا شيء ...

كلام مكرر معاد سمعناه ونحن بعد فى الكتاب . كان يلقيه علينا سيدنا الطيب المسكين ، واليوم يلقيه علينا أصحاب فضيلة وقدر عظيم .

وخرجت من مراكزها جماعة الصوفية ورفعوا البيارق وساروا في مواكب فى ظل اعلام خضراء وحمراء وفي مقدمة كل جماعة شيخها على فرس شهباء تمشى به من القلعة الى الحسين وكان ينبغى أن تسير به والسيف فى يده الى ميادين الجهاد هناك فى فلسطين

نصبت خيام بيعت فيها عرائس المولد وخيل المولد وكلها من الحلاوة وكلها من السكر ، أكلها الاباء مع الابناء ونشرت الصحف مقالات قرأنا امثالها عشرات المرات .

وانتهى المولد .

وانتهى الاحتفال بذكرى مولد سيد الخلق اجمعين .

ونحن واثقون من أن ذلك كله سيتغير عندما يستجيب الناس للدعوة الكريمة التى يحمل لواءها المخلصون من اهل هذه الأمة للنهوض بالدين وكل ما يتصل بالدين .

وكل عام وانتم بخير ..

المحرر



في هلال هذا الشهر

● موضوعات عامة ●

● استطلاع بالألوان ●

● حظوظ وأقدار ●

الهلال
مجلة الفكر العربي

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفني : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ
مارس ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال — أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ — السنة السابعة والثمانون — أول مارس ١٩٧٩ — ٢ من ربيع الثاني ١٣٩٩ .

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠مليم
قيمة الاشتراك السنوى: «١٢» عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريد العادى ٧دولارات او٤ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو٩ ج.ك.تسددبشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
الادارة: دار الهلال ـ ١٦شارع محمد عزالعرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف الأول

حظوظ والقدار ..
من الاعداد المتميزة التى يقدمها الهلال خدمة للقارىء وإثراء للفكر الانسانى .

فكرى أباظه

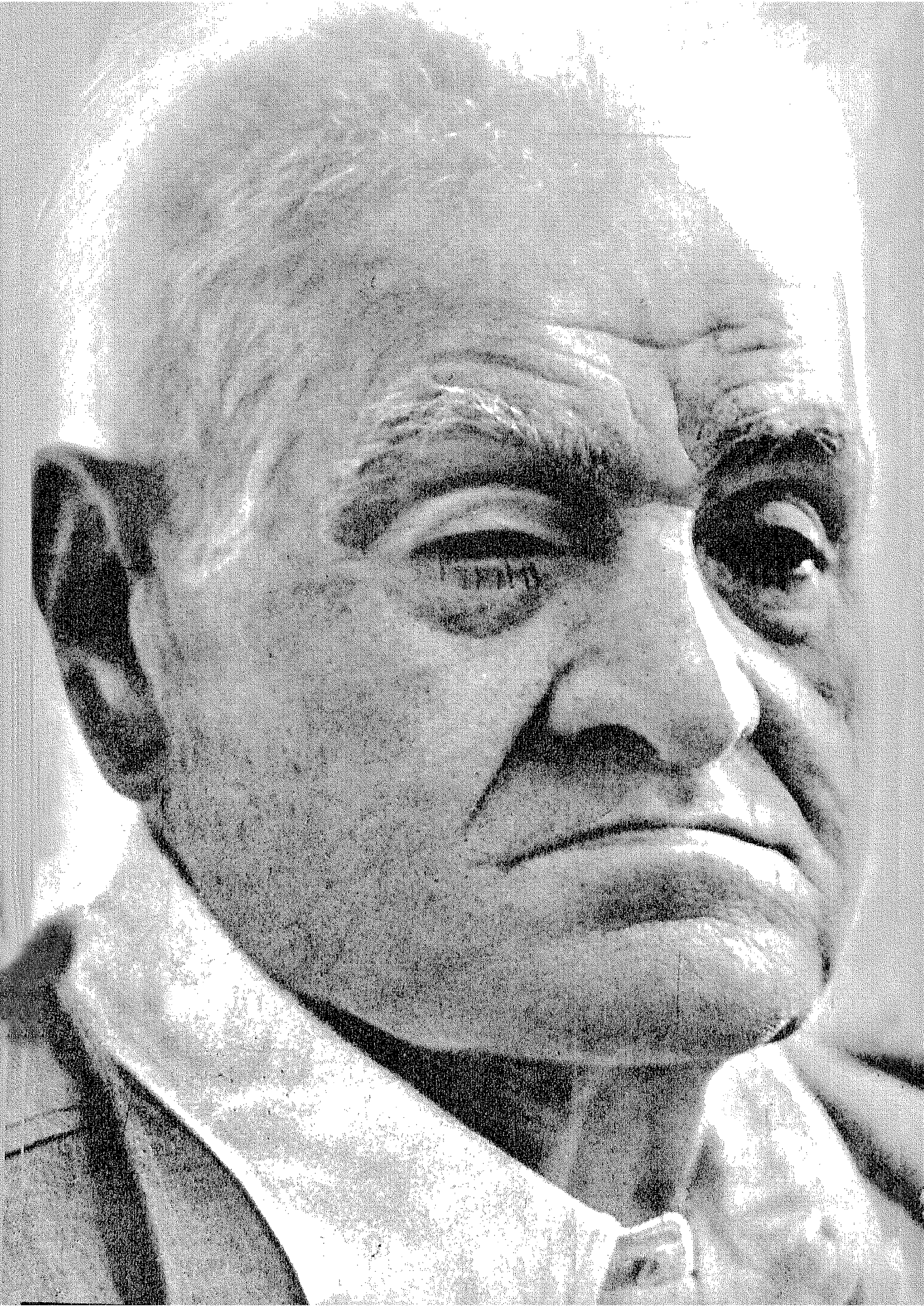
صفحة ناصعة فى تاريخ الفكر والصحافة

● كنا فى انتظاره صباح الاربعاء ١٤ من فبراير كما تعودنا كل يوم منذ خمسين سنة، لان فكرى أباظة كان لا يتاخر عن موعده أبداً ولكنه فى ذلك اليوم كان على موعد آخر .. موعد مع الخلود .

● صفحة مجيدة من صفحات تاريخ الفكر والصحافة فى العالم العربى طويت فى صباح يوم الاربعاء ١٤ من فبراير الماضي عندما أعلن الناعى خبر انتقال الاستاذ فكرى اباظة ، شيخ الصحفيين جميعا ـ الى دار البقاء .

ذلك أن فكرى أباظة دخل ميدان الصحافة فى العشرينات من هذا القرن أى من أكثر من خمسين سنة .... دخل دخول هواية وعشق للأدب بمقالات تفيض صدقا وعذوبةوحيوية، كان ينشرها فى الاهرام فى اسلوب ضاحك بالغ متالق يجتذب النفوس اجتذابا ويثير فى النفس اصداء بعيدة المدى ...

ومن الاهرام انتقل فكرى اباظة الى المصور فى أوائل الثلاثينات، ومن ذلك الحين ارتبط اسمه بتلك المجلة العريقة التى رأس تحريرها وقاد دفتها نحو ثلاثين سنة بكتابة نادرة ، وخصوبة فى الذهن والابتكار قل ان نجد لها مثالا، فلم يقتصر عمل فكرى أباظة على كتابة مقالة وأعمال رئاسة التحرير ،



بل كان يبتكر ابوابا طريفة تدل على شخصيته النقادة الواعية مثل : كلمة الحق ، ومناظر مؤذية ، ويعجبنى ولا يعجبنى وغير ذلك كثير مما جعل المصور منبرا حرا للفكر السياسي والادب الاجتماعى والكتابة الجميلة السهلة الممتنعة التى لم يوفق احد قط الى مجاراة فكرى اباظة فيها .

وكان العصر آنذاك عصر شوامخ فى الكتابة السياسية : كان عصر محمد عبد القادر حمزة ، وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد فى الدور السياسى من تاريخه الحافل ، وانطونى الجميل ، وداود بركات ، وفؤاد صروف وغيرهم ممن شادوا بالصحافة العربية ذلك الصرح العالى الذى انتقل بها من مهنة من لا مهنة لهم « فى أوائل هذا القرن » الى مهنة اصحاب الفكر الوقاد والشعور الوطنى المتدفق ، واصحاب القلوب الحية والضمائر اليقظة الذين ايقظوا أمة العرب وانهضوها من سبات القرون.

هنا يحتل فكرى اباظة مكان الصدارة، فلم يكن قط مجرد كاتب ، وانما كان صوتا حرا ، ونداء عاليا للاصلاح فى كل ميدان ، فالى جانب جهده الضخم فى المصور كان يكتب فى الهلال مقالات أدبية رفيعة ، وكان



كان فكرى اباظة واحدا من رواد الرياضة فى مصر .. احب كرة القدم وعشقها ، وكنت تجده فى مدرجات النادى الاهلى مشجعا ومتحمسا كانه شاب فى العشرين ، وقد اختاره اعضاء مجلس ادارة الاهلى رئيسا شرفيا للنادى مدى الحياة لقاء ما قدمه للرياضة والرياضيين فى مصر .



كان شخصية جذابة فى احاديثه الاذاعية .. لقد قدم مايربو على اربعة الاف حديث واذاعة .. وكانت شهرته كاذاعى تجعل المستمعين حريصين على سماعه فى البرامج المختلفة حتى لا تفوتهم متعة الزاد الروحى الذى يقدمه من فكر وفن لا يبارى ..

يلقى فى الاذاعة احاديث تستولى على الباب السامعين .

ولا ينسى احد قط صوت فكرى اباظه فى أحاديثه الاذاعية فى الثلاثينات والاربعينات وهو يتكلم باسلوب سهل حلو عميق يلقيه صاحبه فى صوت قوى ونبرات كانها وقع الموسيقى ، حتى قيل ان مصر كلها لا تصغى اصغاء كاملا لما يذاع الا لثلاثة اصوات :

ام كلثوم ، محمد عبد الوهاب ، وفكرى اباظة ـ صداح الفكر وغريد الاسلوب العذب الذى لا يضارع ..

***

الى جانب ذلك هناك فكرى اباظة البرلمانى المثالى الذى طالما جلجل صوته تحت قبة البرلمان معلنا أو قائلا كلمة الحق غير هياب ولاوجل ، وغير طامع قط فى وظيفة أو تقرب من سلطان ، ولو أراد فكرى اباظة أن يكون وزيرا أو رئيس وزراء فما كان ذلك بعسير عليه . ولكنه بفضل وطنيته الصادقة



كان فكرى أباظة نجما متألقــا فى المجتمع ، تعرفه المنتديات الادبية التى كان يغشاها ، وتفتقده اذا غاب عنها .. كان خطيبا مفوها فى كــل الوان الخطابة ، عرفته منابر الخطابة ومن اهمها مجلس الشيوخ الذى كان عضوا من ابرز اعضائه .

أخذ مكانه فى صف الوطنيين الاحرار الذين اعتصموا بحصن « الحــزب الوطنى » لكى يكافحوا فى سبيل الوطن دون ان يكون لأعداء ذلك الوطن سبيل الى التأثير عليهم باغرائهم بالمناصــب الوزارية وما فى مستواها . لان رجال الحــزب الوطنى فى ذلك العصر كانوا قد حرموا على انفسهم المشاركة فى هذه الوظائف ، لان حزبهم كان حزب التشدد والاباء ، وكانوا يرون ان كــل مفاوضة لابد ان تكون على حســـاب تضحيته بشىء من حقوق ذلك الوطن ، فقالوا لا مفاوضة الا بعد الجلاء، وهى ليست عبارة رفض كما حسب الناس فى ذلك الحين ، وانما كانت مبــدأ سليما يرمى الى المحافظة على القضية القومية بعيدا عن كل مساومة .

***

ومن على منبر مجلس النــــواب: هاجم فكـرى أباظة أخطاء الســـياسة والسياسيين ، وهاجم القصر ورجال

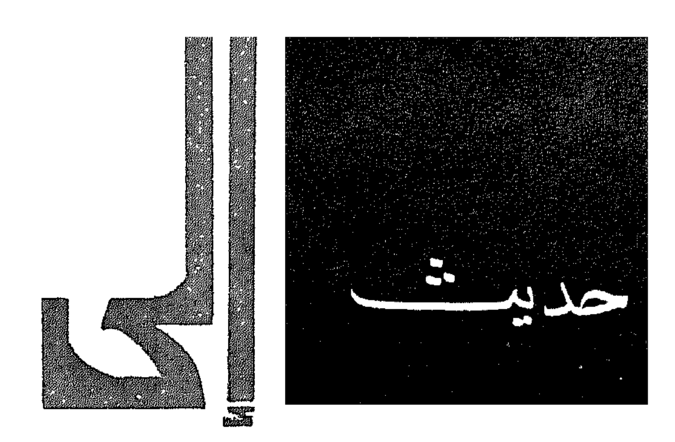


لم تكن نشاطاته تقف عند حد من اوجه النشاط .. فى الندوات الفكرية، وفى بلاط صاحبة الجلالة ، وفى مجال المحاماة والذود عن حقوق المظلومين برجاحة عقله وقوة منطقه ، وحلاوة بيانه .. ويرى فى هاتين الصورتين : عن اليمين: امام الميكروفون فى ندوة يتحدث فيها باسلوبه العذب . وعن اليسار صورة له فى شبابه .

القصر، وهاجم الانجليز، وضرب بذلك مثلا رائعا من مثل السلوك الوطنى الصادق والبرلمانى الصريح ...

فى سنواته الاخيرة ظل فكرى أباظة رغم ما امتحنه به القدر من علة فى البصر وأدواء أخرى يجلبها معه السن وتجارب الايام ــ رغم ذلك ظل فكرى أباظة دائما ذلك الرجل الصادق الوفى الذى يكافح بقلمه فى سبيل ما يراه حقا ، واصابته المحنة التى اصابت كل الاحرار قبل حركة التصحيح ، فصمد وتجلد وعاد الى مكتبه فى المصور ليواصل رسالته القومية والصحفية حتى وافاه الاجل المحتوم .

صفحة طويت ولم تطو ، وصوت سكن ولم يسكت ، لأن امثال فكرى اباظة يمثلون أعلاما رفيعة خالدة فى حياة الفكر وحياة الكفاح فى تاريخ امتنا المصرية العربية ..



حديث إلى أدباء الشباب

بقلم : رئيس التحرير

● ان « الهلال فى هذه السنة يسير فى عامه السابع والثمانين وهو يبدو بهذه السن وكأنه صحيفة عجوز ، تكتبها اقلام ذات أسنان ولا تنشر الا موضوعات تعجب اصحاب العمر الطويل .

ولكن الغريب أن « الهلال » مع عمره الطويل هذا ، كان ولا يزال مجلة شابة مفتوحة لاقلام الشباب ، ومجلة مستقبل تستطلع آفاق الغد ، لقراء العربية اجمعين .

كان جرجي زيدان شابا عندما أنشأها وكانت كل أقلام الفطاحل اذ ذاك شابة، لأن الأدب العربى الحديث ، كان يخطو خطواته الأولى ، نحو النضج والازهار . وكتاب الجيل الماضى ، والذين قبلهم جميعا ، كتبوا فى « الهلال » وهم شبان ، وكتبوا فيه وهم كهول ، وكتبوا فيه وهم شيوخ .

ولكنهم فى أى سن كتبوا كانوا دائما يكتبون بأقلام شابة ، وكان أدبهم يصدر عن قلوب شابة . ولابراهيم عبد القادر المازنى مقال يفيض شبابا وحيوية ، كتبه وهو فى الرابعة والستين من عمره ، وقبل أن يتوفى بأسبوع ، ونشره له « الهلال » بعنوان «لن يلحقنى المشيب»

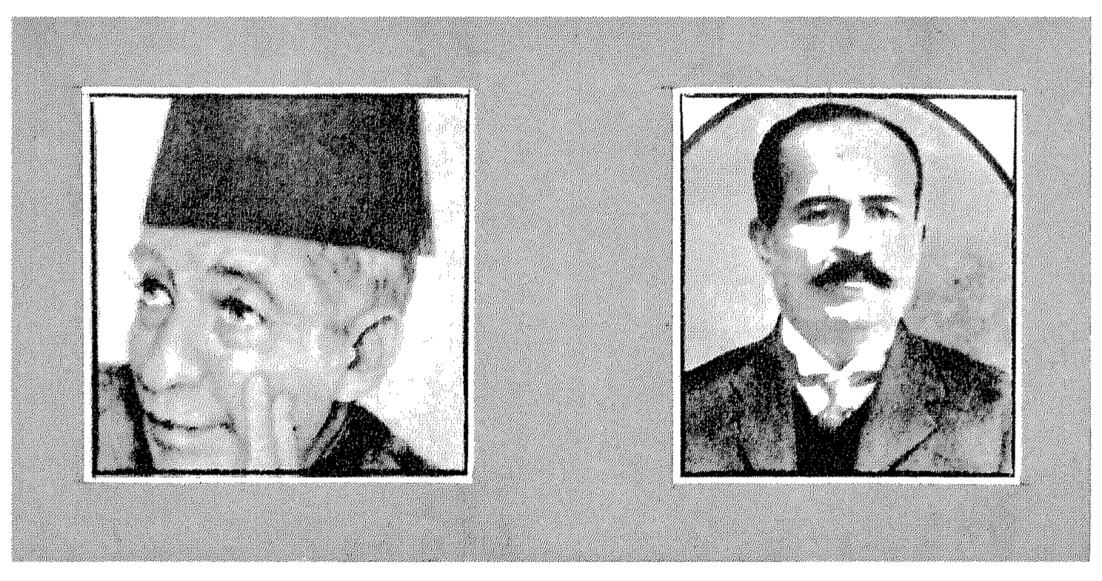
وقد أكد المازنى فى هذا المقال حيويته رغم علو سنه ، وشباب « الهلال » ، رغم ما انقضى عليه من السنين

هذا مجرد مدخل أردت به أن أوجه الحديث هذه المرة الى الشباب : الى قراء الشباب ، وكتاب الشباب .

والذى يدفعنى الى هذا الحديث ، اننى سمعت كلاما كثيرا من بعض الشباب يذهبون فيه الى أنهم لا يأخذون حظهم فى مجلة « الهلال » .

وأحب أن اقول هنا ـ اننا فى كل ما ننشر ، لا نفرق بين شيب وشباب ، لأن كل الذى يعنينا ، هو أن يكون ما ننشره ناضجا وجميلا ، مستوفيا لكل ما يطلبه قراء « الهلال » وهم الى يومنا هذا خيرة مفكرى ذلك العالم العربى ، وقد ظلوا أمناء « للهلال » لأنه لا يقدم لهم الا ما يعجبهم ،وما يشتهون.

ومن زمن طويل لم يكن لدينا احساس



جرجي زيدان منشىء «الهلال»
كانت كل اقلام القطاحل اذ ذاك شابة

ابراهيم عبد القادر المازني :
مقـال أكد حيويته رغم علو سنه

بأن هناك شيئا فى عالم الفكر ، يسمى الأجيال ، أو صراع الأجيال ، لأن الموهبة اما أن توجد أو لا توجد ، فاذا وجدت فلا شباب هناك ولا شيخوخة ، واذا لم توجـــد ، فلا ينفع معها سن ، أو مرور أعوام .

والأديب الموهوب ، أو الفنان الموهوب يولد مع موهبته . وأنت تعرفه لمجرد أن تقرأ له ..

وفى كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ترى بوضوح أن نقاد الأدب فى تاريخنا الأدبي ، كانوا يعرفون الشاعر الموهوب، من أول قصيدة يقولها ، وكذلك كانوا يتبينون الشاعر غير الموهوب،ويصارحونه بحقيقة موهبته القليلة ، ويظل عندهمفى موضعه مهما طالت به أيام العمر ، ومهما أنشأ من قصيد .

وفى كتاب الذخيرة لابن بسام ،حكاية عن شاعر من هذا الطراز ، عـــرض على ذلك الناقد الأندلسى المشــــهور ، أبى الحسن على بن بسام الف دينار ، لكى يختصه بباب من أبواب الذخيرة . فقال له : أما الألف دينار فقد قبلناها ، وأما الباب فقد سددناه ! .

وفى احدى مقالاتنـا الماضية ، قلنا : ان أحدا فى عالم الأدب والفن ، لايساعد احـدا ، فاما ان تشق طريقك بذراعك ، واما فلن يشـقها لك أحد ! .. وكل ما يسمي اليوم بخصـــومة الشـــباب والشيوخ ، يتولاها أدباء يشـــكون فى ملـــكاتهم ، ويريدون أن يلقوا التبعة على الغير ، لأن الأديب الموهوب كما قلنا ، لا يحتاج الى عكاز يتوكا عليه ، بل هو يفرض نفسه بنفسه .

وأذكر اننى أول ماعرفت ادب يوسف ادريس كان عنطريق مجموعته القصصية « **أرخص ليالى** » . **وكنت أعمل ايامها فى اسـبانيـا ، وازور مصر بين الحين والحين لبعض عمل ، واشترى ما تيسر من الكتب . وكانت هذه المجموعة من بين ما اشـتريت ، فقلت بعد ان فرغت من قراءة القصتين الأوليين من المجمـوعة : هذا فنان صادق . وبعد أسابيع وكنت في اسـبانيا ، زارني اديب مصري فى طريقه الى الولايات المتحدة ،وكان يحمل**

لى بعض الكتب هدية ، وفى أولها نفس كتاب يوسف ادريس فقلت فى نفسى : يا سبحان الله ، ان الموهبة الصادقة تعلن عن نفسها ، وتشق طريقها بيدها ، ولا يمكن ان تخفى طويلا ، مثلها فى ذلك مثل المصباح الذى يتوهج ويجتذب الانظار .

و « الهلال » يعرف هذه الحقيقة ، ولهذا فان مجلتنا مفتحة الأبواب للشباب ولا أظن أن هناك مجلة أدبية تنشر للشباب بقدر ماننشر ،ولا أظن أن هناك مسئولا عن مجلة أدبية يقرأ من أدب الشباب الذى يصل اليه قدر ما أقرأ . ونحن نفعل هذا خدمة « للهلال » فى المكان الأول ، لأن « الهلال » لا يعيش بغير كتاب .

ومن واجبنا نحن أن نتبين من بين ما يصلنا الجيد ، لكى نقدمه ، وأعتقد ان هذه حقيقة يعرفها الكثير من الشباب ولا أظن أننى من يوم أن قمت بالعمل فى هذه المجلة ، فاتنى أديب شاب ذو موهبة .

***

أما ما قلناه فى بعض المقالات عن أدب الشباب ، وما نأخذه عليه من مآخذ ، فكان دافعنا اليه أملنا فى أن يظهر من بين الشباب ، جيل جديد من الأدباء ، يتولى حمل الرسالة ويسير بها الى الأمام

ونحن لا ننكر أننا استعملنا فى بعض الأحيان لغة فيها شىء من العنف والعتب الشديد ولكن سبب ذلك كما قلناه هو الحب ، والأمل . وغضبنا فى هذه الحالة هو غضب الأب على ابنه اذا لم يعجبه شىء من تصرفاته ، فان الصبى اذا ارتكب خطأ ، كان أبوه أشد الناس غضبا عليه . وبينما نجد الآخرين يتسامحون ويتساهلون ، ويهونون الأمر نجد الوالد لا يتسامح مع ابنه ، ويسترسل مع غضبه .

وليس معنى ذلك أن الأغراب يحبون الصبى أكثر مما يحبه أبوه ، ولكنهم لا يهمهم أمره بقدر ما يهم أباه .

وهذا مجرد مثل ضربناه لكى نفسر به عنفنا فى الحديث عن الشباب فى بعض الأحيان ،ولا وجه هنا للتشبيه بين أدباء الشباب والصبيان ، ومعاذ الله أن يخطر ببالنا شىء من هذا القبيل .

***

اظن أن هذا يوضح لأدباء الشباب موقفنا من الموضوع الذى يدور حوله الآن نقاش طويل ،وهو موضوع أدب الشباب وما يتصل به ، مما يزعمون انه صراع بين الاجيال . والآن وقد قلنا ذلك ، فليأذن لنا أدباء الشباب فى بضع كلمات نقولها من قلوب عامرة بالمحبة والمودة ، والأمل فى المستقبل الزاهر للأدب العربى بمشيئة الله . نقول للشباب أولا : ان النجاح فى عالم الأدب والفن متوقف الى حد كبير على الأطلاع والقراءة فى عمق واتساع . واذا أذن لى الشباب قلت لهم: انى وجدت فى الكثير مما يكتبونه نقصا بالغا فى الثقافة ، وتراخيا فى الاطلاع ، وتقصيرا فى دراسة لغة أجنبية ،والتمكن منها ، واشد ما آلمنى فيما يكتبون ، هو ضعف اللغة العربية ، وعدم المعرفة بقواعدها .

ومن المؤسف جدا ، أن نضطر الى توجيه هذه الملاحظة الى ادباء الشباب . حقا ان بعضهم متقن للغة العربية ، لايقع فى أى خطأ نحوى أو تركيبى ، ولكن البقية يهملون لغتهم اهمالا مؤلما ، فتقرأ لناس ، لا يعترفون بلغة أو نحو أو قواعد ،بل يستهينون بالنحو ،ويجدون

فى التزامه نوعا من التأخر ، أو نوعا من القيد ينبغى أن يتحرروا منه •

لهؤلاء جميعا نقول : انكم ادباء عرب تكتبون بلغة العرب ، ولابد أن تكتبوا بها دون غيرها ، ولهذا لابد أن تجيدوها، ولا عيب فى أن يبدأ الواحد منكم فيستدرك ما فاته لكى يعرف كيف يكتب اسلوبا عربيا فريدا • وصدقونى اذا قلت لكم انهم فى فرنسا أو انجلترا ، او المانيا لا ينشرون قط صفحة لأديب ، او قصة لقصاص فيها خطا نحوى أو تركيبى •

وحتى فى أوساط العلم والتخصص يرفضون اى رسالة علمية ، اذا كان فيها خطا فى النحو أو التركيب ، لانهم يحترمون لغتهم ، ولا يتسامحون فيها •

ولعل هذا يفسر للكثيرين من الادباء امتناعنا عن نشر أى عمل أدبى ، لا يكتب بغير اللغة العربية الفصحى ، حتى لو كان قصة مصرية — مثلا — فنحن لانقبل الحوار باللغة العامية ، ولا نقبل جملة واحدة لا تكون بغير هذه اللغة •

ونحن لا نصر على ذلك لمجرد أننا نعتبر أنفسنا مجلة الفكر العربى ، بل لاننا نعتقد أن رسالة الهلال مرتبطة بمصير اللغة العربية،وأن واجبه حمايتها والمحافظة عليها سليمة من كل ما يخالف قواعد الكتابة والاملاء •

وقد قلت « الاملاء » لاننى ينبغى أن أقرر مع الأسف الشديد ، أن الكثير مما يقدم الينا حافل بأخطاء الاملاء ، وبعدم المعرفة باصول كتابة الهمزات •

أما الادباء ومعرفة اللغة الأجنبية ،فلا يمكن أن يوصف الا بأنه مأساة فان



فاروق شوشة : نشاط متجدد فى مجال الادب والفكر •

الكثيرين منهم ، لا يجيدون لغة أجنبية واحدة • ومن ثم فهم لا يستطيعون الوصول الى الآداب الغربية ، فى لغاتها واذا كان هذا يبدو غير ضرورى للشاعر مثلا ، الا أننا نقرر أنه لا غنى عنه للقصاص أو الروائى ، لأن القصة والرواية بنتان مستحدثتان فى اللغة العربية •

وفن القصص كله ليست لنا فيه تقاليد ، وتقاليده راسخة فى آداب الغرب ، ولا يمكن لاديب عربى أن يكون قاصا أو روائيا ، الا على أساس متين من الاطلاع الواسع العميق ، على الأدب الغربى ، فى أى لغة من اللغات الغربية •

ومن المعروف أن من نسميهم بجيل الشوامخ ، كان الاطلاع على آداب الغرب فى لغاتهم من أكبر مفاخرهم ، بل هو من اسباب تفوقهم •

والذين قصروا عن اللحاق بالصف الأول منهم ، مع توفر الملكات الأدبية عندهم ، كان سبب ذلك ، عدم معرفة اولئك المقصرين بلغة أوربية • والأمثلة

في ذلك معروفة ولا داعي لذكرها تجنبا للحساسيات ٠

***

والأمر الثاني الذي نأخذه على أدباء الشباب هو التعجل : تعجل النشر ، وتعجل الشهرة ٠

ونحن نقدر طموح الشباب ، ونعرف أن كل شاب يحرص أشد الحرص ،على أن يرى ما يكتبه مطبوعا ٠ ولكن الشيء الذي نلفت النظر اليه ، هو أنهم جميعا متعجلون ٠فهم يرون مثلا أنهم اذا كتبوا قصة ،فلابد أن تنشر ، بأسرع ما يمكن٠

وتضيق صدورهم اذ تأخر هذا النشر ، وهم يعلمون بطبيعة الحال ، ان طريق الأديب ـ مهما كانت موهبته ـ شاق وطويل ، وانه ينبغي أن يكتب ويكتب ، ولا يغضب لتأخر النشر ، لأنه ـ كما قلنا ـ اذا كان موهوبا ، فلا خوف على موهبته أبدا ،وانما هي طبيعة العمل الأدبي : صبر واطلاع وكتابة مرة وثانية وثالثة ، حتى يضع الاديب أو الشاعر قدمه على أول السلم ، ثم يسير باذن الله

وأنا أعرف اننا في عصر قاس وعنيف وأن ظروف الحياة تلهب ظهورنا أجمعين لأن مطالبها في زيادة ، والحياة لاترحم٠ والشاب الذي يريد أن يعيش من الأدب يتعجل الوقت الذي يستطيع فيه فعلا العيش من الأدب ٠ ولكن ما الحيلة ؟!٠ وهذه هي الظروف ٠٠ وتلك هي طبيعة العمل الأدبي !

ولو علم شباب اليوم ،كم كتب غيرهم، ومزق ، وألقى ، وكم تأخرت جهات النشر عن نشر ما كتبوا ، حتى وصلوا الى أول الطريق ، لفهموا عنى هذا الكلام وأنا اقدر تماما أنهم يفهمونه ، لأنهم اهل ذكاء وفطنة ٠ ولا يمكن أن يطرق باب الأدب والفن الا صاحب ذكاء وفطنة

وقبل أن أختم هذه السطور ، أحب ان اتوجه الى شبابنا برجاء ٠٠

لا يدفعكم اليأس من النشر أو الظهور الى التماس الطريق الاسهل ، أو الى تكوين الجماعات التي تسمي «بالشلل» **أو الخضوع لرغبات أصحاب الأقلام وبرامج الاذاعة والتليفزيون ٠ لأن الذي يسير في هذه الطريق ، ربما وصل الى المال ٠ ولكنه لن يصل أبدا الى أن يكون في يوم من الايام ، الأديب الذي يرجوه لنفسه ٠أو الشاعر الذي تتناقل الأفواه شعره ،ويتباهى الناس بحفظه وروايته٠**

أقول هذا لأنني أشعر بالألم البالغ، لما أسمع وأرى في المذياع والتلفاز من قصص في غاية الركاكة والضعف ، وفي غاية البعد عن الابتكار ،والمستوى٠ وبودي لو فهم أدباء الشباب الطامحون، أن الأديب هو الذي يحدد مستوى نفسه فاذا كان بالفعل واثقا بنفسه محافظا على مستواه فسيظل دائما في مستواه ٠

أما اذا انحرف ودخل في دائرة أولئك الذين جعلوا القصة والرواية تجارة ، فلا مخرج له من هذه البئر العميقة أبدا ٠

وليس أسوأ بالنسبة للأديب الشاب خاصة من أن يقرأوا اسمه ، ثم ينظرون الى ما انتج ، فيسخطون ، ويسرعون الى اغلاق المذياع أو التلفاز ٠

وهذا الرجاء موجه الى أدباء الشباب خاصة ، الذين استولوا على القصص والروايات في الاذاعة والتلفاز ٠ واظن انني لا ابالغ اذا قلت : انهم لم يحسنوا بهذا لا لأنفسهم ، ولا للاذاعة والتلفاز ٠

موعد مع مائة كتاب من أدب الشباب

يتابع الهلال في عدده هذا عمله لانجاح مشروع مائة كتاب لأدب الشباب ، والمشروع كما ذكرنا في العدد الماضي هو مشروع تعاوني بين الشباب الطامح الواثق بنفسه .

واسرة مجلة الهلال لكي تفسح الطريق امام جيل جديد من ادباء الشباب ليأخذوا مكانهم في ركب التاريخ الادبي ، وشيئا فشيئا يتجمع ادباء الشباب حول ذلك المشروع الجديد ، وقد أصبح الراغبون في الاشتراك في ذلك المشروع الان بضعة عشرات من خيرة شباب الادباء ولكننا نطمع في المزيد .

ولهذا فاننا نرجيء الاعلان الكامل عن ذلك المشروع الى العدد القادم حتى تتضح الفكرة تماما قبل اعلانها على الجمهور لاننا نريد لهذا المشروع أن يلقى النجاح لاول اعلانه

ولهذا فاننا نرجو الشباب ، ان يواصل تعاونه معنا والاتصال بنا حتى يستمر الحوار للخروج بهذا المشروع الى حيز التنفيذ في القريب العاجل باذن الله . أكتب لنا بما تراه لاننا في حاجة الى رأيك .

بطاقة اشتراك

في مشروع المائة كتاب من أدب الشباب

(فكرة تعاونية ثقافية تقترحها مجلة الهلال)

الإسم :	عمل أدبي إنتاجي أرشحه للنشر
السن والمهنة :	مجموعة قصصية : ....
العنوان :	ديوان شعر : ....

لطفي السيّد

أستاذ جيل ربما.. ولكن جيلنا لا يرى فيه شيئاً!

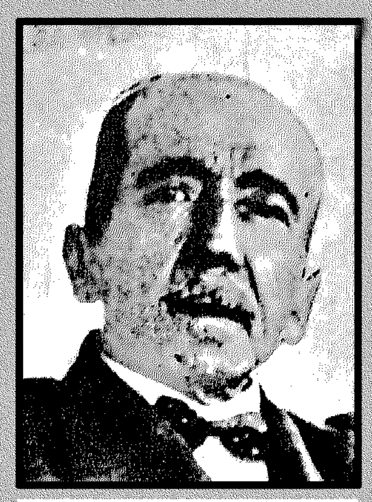
● أحمد حسين ●

تثبت الحقائق التاريخية عندما تقال وتكرر ثم لا يقوم قول يناهضها ، او حتى يتشكك فيها ، ولما كنت معاصرا لنصف حياة لطفي السيد على الأقل ، ولما كنت صاحب فكر وقلم ، فاصبحت مسئولا عن ان اسكت عن قول يردد امامي على انه حقيقة ، حيث اراها حقيقة قد زيفت لتحقيق مآرب خاصة ، أو لتوافق ظروفا عابرة ، مرت بمصر في يوم من الايام ، ويرجع الفضل في حفزى على كتابة هذا المقال للتخفف من مسئوليتي امام التاريخ ، الى الكاتب الاسلامي الكبير ، والمؤرخ الاستاذ انور الجندي ، وهو الذي الف موسوعة للأدب في مصر خلال القرن العشرين .

وقد كان يمكن لمقال الأستاذ انور الجندي الذي كتبه في مجلة الاعتصام ليجرد لطفي السيد من الهالة التي تحيط باسمه ، ان لا يستوقفني في شيء ، فأنا واحد من جيل ، لم ير من لطفي السيد ، خلال ما يزيد على أربعين سنة ، ابيض ولا اسود ، ولكن واقعة وردت في المقال لم يشأ الكاتب الامين أن يجزم فيها برأى ، ولكني لم اكد اديرها في رأسي ، حتى وجدتني أجزم فيها **برأى قاطع لا يداخلني فيه ذرة من شك ، اما هذه الواقعة فهي القول بان الترجمات التي نسبت اليه لكتب ارسطو ، فهي من عمل قسم الترجمة في دار الكتب المصرية ، ابان رئاسته لها ، ولا جدال ان له جهدا في هذه الكتب قل أو كثر ، ولا جدال ان كان هو الموجه وهو المشرف ، وهو المصحح والمراجع ، والمنسق ، والا لما سمح لنفسه أن يضع اسمه على هذه الكتب كمترجم لها ، ولكن الذي لم يعد فيه شك عندنا ، ان صلب عملية الترجمة ، قد تولاه موظفو دار الكتب .**

اما من اين يجيئنا اليقين ، بانه ليس المترجم ابتداء ، فذلك لأن الدنيا لم تشهد ، واحسبها لن تشهد ، انسانا يعيش ما يربو على الثمانين عاما لا يترجم ، فضلا عن أن يؤلف كتابا واحدا ، ولكنه في منتصف العمر نراه يخرج كتبا في خلال سنتين أو ثلاثة ، ثم يعود لعقمه فيعيش اكثر من اربعين سنة ، دون أن يترجم ، فضلا عن أن يؤلف كتابا ...

ولا تفسير لذلك الا انه في خلال الفترة وجد ظروفا لم يجدها من قبل أو من بعد ، وهذه الظروف هي انه وجد مرءوسين تحت ادارته ، استعملهم كأدوات للترجمة ، ثم راح يفعل بهذه الترجمة ما يفعل ، لتكون له القدرة على ادعاء نسبتها اليه .



احمد شوقى
الابداع الشعرى فى الثلاثينات



مصطفى كامل
ايقاظ الوطنية المصرية لمقاومة الاحتلال

وابادر فأقول ان هذا الامر لا يهمنى فى قليل أو كثير والله أعلم بحقيقتــه وسواء ترجم لطفى السيد هـذه الكتب او لم يترجمها ، فحكمى عليه لا يتغير ، من أنه فى اخصب سنوات عمره (بعد الاربعين) لم يقدم لمصر شيئا مع انه لعب فى السياسة دورا متصلا ، فكان وزيرا أكثر من مرة فى وزارات عطلت الدستور ، والغت حق الشعب فى حكم نفسه ...

وخارج النطاق السياسى فقد عمـل مديرا للجامعة المصرية فى العشرينـات والتحقنا نحن بالجامعة فى أول الثلاثينات وتخرج فى الجامعة أفواج فى ظل ادارته لها ، فلم يحدث أن سمع أحد منهم قولا له مسموعا او مقروءا ، فضلا عن أن يلقى محاضرة للطلاب أو يصـــدر لهم كتابا .

ربما ، ولكن ؟!

وهكذا عشـت وعاش كل جيلى من طلاب الجامعة ، لا نرى أو نسـمع عن قول أو توجيه للطفى السيد من أى نوع كان ، وان كانت عبارة أستاذ الجيـل ظلت تتردد ، خاصـة وانه قال قـولا أعجب قائد الثورة فصارت وســائل الاعلام تكرر هذا القول ، الذى لا معنى له وليس الا بعد أن شرعت أكتب تاريخ مصر الحديث (فى موسوعة تاريخ مصر) ان وجدت دورا للطفى السيد فى حياة مصر ، ويتلخص هذا الدور بعد دخول الانجـليز الى مصر واستتباب الامور لهم ، وشروع مصطفى كامل فى ايقاظ الوطنية المصرية ، ومقاومة الاحتـلال البريطانى ، فكان من الطبيعى ، ان يحاول الانجليـز خلق طائفة من المصريين ترى مصـلحتها ومصلحة مصر (طبـعا) مسايرة الانجليز والترحيب بأساليبهم ، باعتبارها الطـريق المؤدى الى نهضـة مصر ، فكان أن شجع الانجليز على قيام حـزب « الأمة » المؤلف ممن كانـوا يسمونهم أرباب البيوتات ، والعـائلات الكبيرة وقـد اعتبروهم فيما بعـد « أصحاب المصالح الحقيقية » ، وانشأ حزب الأمة لسان حال له وهو (الجريدة) **ووضـع على راسـها « احمـد لطفى السـيد » كرئيس لتحـريرها ، وظلت الجريدة تقوم بعملها مناهضة الحـركة الوطنية التى كان يقودها مصطفى كامل وجريدته اللواء ، حتى وصل الامر بنشر بعض اقوال لمصطفى كامل على صفحات الجريدة ، تحت عنوان « ناقل الكفـر ليس بكافر »** .

ومن ناحية اخرى كانت « الجريدة » تقاوم حـزب الاسـتقلال الذى انشاه الخـديو بزعامة الشـيخ على يوسف صاحب « المؤيد » .

فأنت ترى انه اذا كان للطفى السيد تأثير ، فهذا التأثير لا يعدو أن يكون فى أضيق نطاق متصور وهو قلة قليلة من الشبان الذين لم ينخرطوا فى الحركة الوطنية ، والذين لا يؤمنون بأن الدين الاسلامى (والمسلمون أغلبية مصر الساحقة) يصلح لأن يكون منطلقا للبعث والنهوض وانما هى اقلية ترى فى محاكاة اوربا السبيل الى النهضة .

والمهم انه فى الفترة التى لا تتجاوز بضع عشرة سنة ، وهى فترة اشتغال احمد لطفى السيد بالصحافة ، لم يمتد تاثيره الى كل ((الجيل)) وانما لبعض هذا الجيل ومن هنا قلنا ((أستاذ جيل ربما .....)) فقد كانت هذه فترة لم نعايشها ، فلا نستطيع أن نقطع برأى ، ولو أن أحمد لطفى السيد مات قبل ان نعاصره أو بالاحرى نعاصر القسم الاخصب فى حياته ، وأى انسان يعيش حتى يجاوز الثمانين ، فلا يمكن الا ان يكون نصف حياته الاخير هو الاخصب (انظر الى حياة احمد شوقى ، والعقاد ، وطه حسين ، وأحمد أمين وامثالهم) .

وما كنت لأسمح لنفسى ان أنفى عن احمد لطفى السيد انه أستاذ الجيل ، أو لم أعاصره ، فلم اتلق عنه ولا أى واحد من جيلى توجيها واحدا . وها هو رئيس تحرير الهلال ، واحد من هذا الجيل وهو مؤرخ عظيم ، فياحبذا لو قال لنا ، ماذا سمع أو نقل عن لطفى السيد شيئا مما يسمع أو ينقل عن الاساتذة)

ومنتهى علمى أن من تصدى للتعليم يوما فانه لا يكف عن التعليم أبدا .

من أين جاءت الفكرة ..

ويكون السؤال الان ، من أين اذن جاءت الفكرة ، فكرة استاذيته لجيل ؟

ولا يمكن أن يكون ردى على هذا التساؤل الا من نوع الرجم بالغيب وقد يكون خطأ كله ، فلاشك أن للانجليز دورا فى هذه التسمية ، وللمستشرقين كذلك ، فمادام الرجل يروج للمبادىء والافكار الاوربية ، فلابد من شد أزره ومن تقويته ، هذا احتمال قائم .

وثمة احتمال آخر ، وهو أن يكون بعض ممن قادوا الفكر فى مصر قد قالوا هذا القول من انه استاذ جيل .

ولسنا نعرف من هؤلاء الا اثنين : الدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين .. فما هو موقف كلا الرجلين منه ؟

الدكتور محمد حسين هيكل

فأما الدكتور محمد حسين هيكل ، فقطب من أقطاب مصر فى ميدانى السياسة والأدب والفكر ، وهو يمت بصلة القربى الوثيقة بأحمد لطفى السيد ، فهذا الأخير هو « خال » الاول وفى مذكرات الدكتور هيكل السياسية نرى اشارات كثيرة لأحمد لطفى السيد ولكن هذه الاشارات كلها تدور حول خلاف اساسى يقوم بين هيكل وبين خاله ، وقد يفهم من هذه الاشارات ، ان أحمد لطفى السيد ، قد يكون رجلا مرموقا من اعيان الدقهلية ، وقد يكون من أقطاب رجال السياسة ، ولكنك لن تستخلص أبدا من كلام هيكل عن خاله ، انه كان استاذا يقف الى جوار أى فكرة من الافكار فضلا عن أن يعلمها .

فنرى الدكتور محمد حسين هيكل ياخذ على ((خاله)) وهو الذى كان فى ((الجريدة)) يندد بالخديو وتصرفاته ، ومع ذلك يراه فى مقدمة من وقفوا يحتفون باستقبال الخديو وتكريمه .

وفى موقف آخر يأخذ الدكتور هيكل على ((خاله)) جزعه الشديد على مصطفى كامل حتى ليلبس عليه السواد ويدعو لاقامة تمثال لمصطفى كامل ، وهو الذى عاش طوال حياة مصطفى كامل يندد به ويعتبره نكبة على مصر ..

ونحن نختلف تماما مع الدكتور هيكل ، ونرى فى كلا الموقفين اللذين لم يعجباه فى خاله ما يدل على انه مصرى أصيل ، وان العاطفة الوطنية كانت تتغلب دائما عليه فيطيعها ، تاركا هذه الكتابات التى كان يبدو انها لا تصدر عن اقتناع كامل بها .

ويحدثنا الدكتور هيكل اخيرا فى مذكراته عن مواقف لم يفهمها لخاله حيث رفض ان ينشر له مقالا فى الجريدة عقب تاليف الوفد المصرى وصيرورة احمد لطفى السيد عضوا فيه .

ويعنينا من كل ذلك ان احمد لطفى السيد يمكن أن يوصف بأى شىء طيب او غير طيب (حسب اختلاف وجهة النظر) ولكنه لا يمكن أن يوصف بأنه استاذ صاحب مدرسة .

مع الدكتور طه حسين

يأتى فى الدرجة الثانية بعد الدكتور هيكل ، علم آخر من أعلام مصر ، وهو الدكتور طه حسين ، فلابد أن يكون هذا القطب ، ممن تصور البعض انه واحد من تلاميذ لطفى السيد ولم يحدث ان نفى طه حسين هذا القول ، فقد كان يكتب مقالات فى الجريدة ، وكانا يمتان للمدرسة التى تتصور ان مصر لن تنهض الا بأن تترسم طريق أوربا ولما كانت أوربا أعلنت عن نفسها ، انها تدين بنهضتها للاغريق ، فحين دعا طه حسين لاعتبار الاغريق هم الذين يجب ان يكونوا أساس الثقافة المصرية ، فان احمد لطفى السيد هو الذى ترجم كتب ارسطو ، ثم تزامل الرجلان فى الجامعة، هذا مدير لها وذاك عميد لكلية الآداب ولكن الرجلين افترقا بعد ذلك فى كل شىء ، فعندما اطيح فى حكومة اسماعيل باشا صدقى (١٩٣٠) بالدكتور طه حسين ، فقد كاد أحمد لطفى السيد ، ان يسكت على ذلك ، لولا أن طلبة الجامعة (تحت تأثير الوفد) اعتبروا ذلك عدوانا على استقلال الجامعة ، واجبروا لطفى السيد على الاستقالة ، فاستقال محرجا . وحيث انضم الدكتور طه حسين الى الوفد ، فان أحمد لطفى السيد ظل مع حزبه القديم « حزب الأمة » بعد أن أصبح اسمه « الاحرار الدستوريين » ولم يلبث أن اصبح وزيرا عندما ألف الحزب وزارته . **وحيث مضى طه حسين كأى مفكر وكاتب يكتب ويحاضر ويؤلف ، ويتطور بفكره حتى آخر لحظة فى حياته ، فان لطفى السيد ظل عقيما لا يفصح عن راى من اى نوع كان ...**

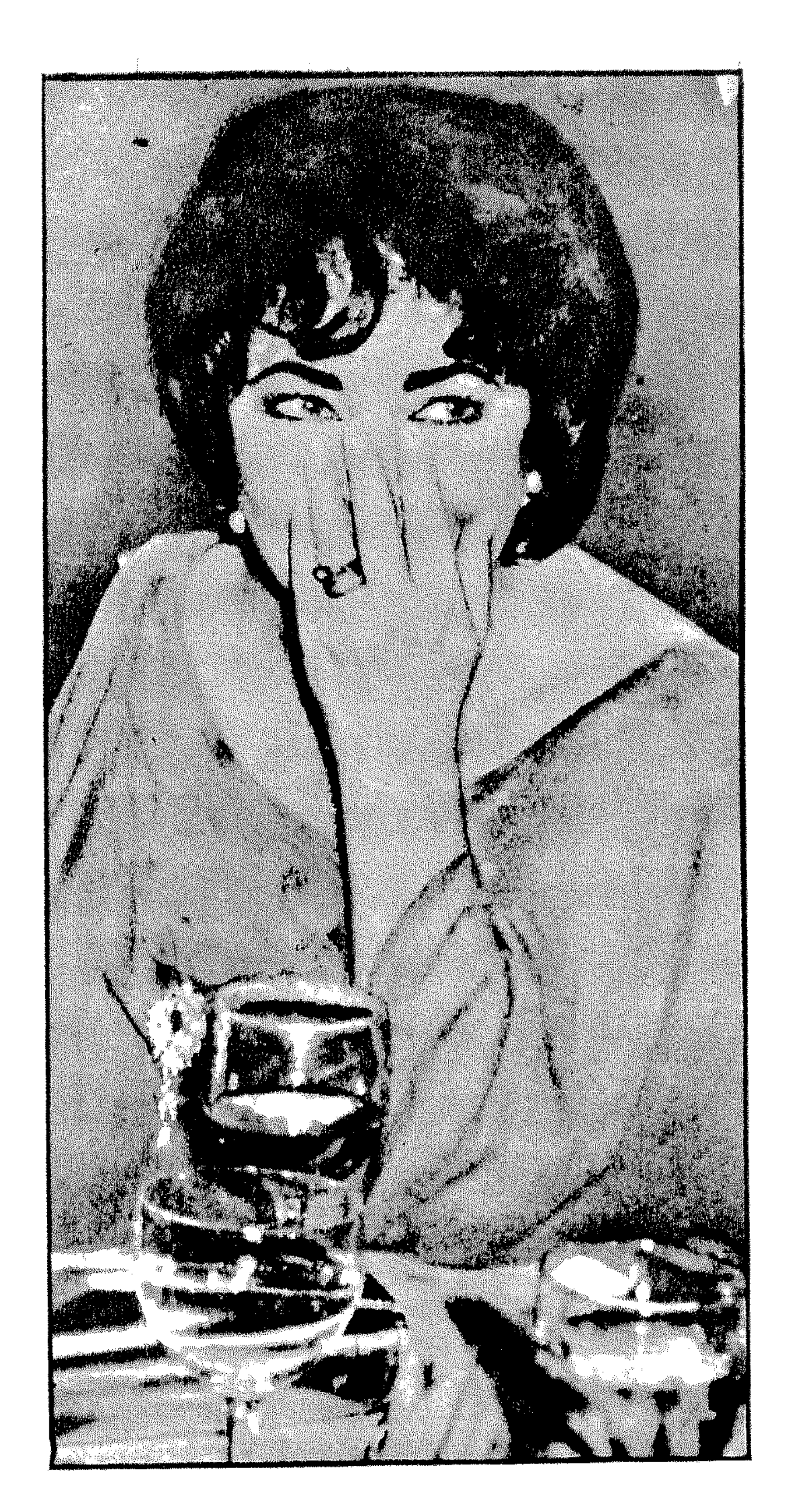
والأمر الذى لا شك فيه ان أحمد لطفى السيد قد استطاع بصمته المطبق الذى دام أربعين سنة ، أن يحافظ على الهالة التى نسجت حول شخصه .

ولا يمكن ان يقال ان الرجل اعتزل الحياة العامة ، واكتفى بما اداه من دور فى يوم من الايام ، ولكن الرجل ظل يشارك فى السياسة ، كوزير فى حكومة الاحرار الدستوريين .

كتاب عن لطفى السيد

وقد اصدر أخونا المفكر والباحث والمؤرخ الدكتور حسين فوزى النجار ، كتابا فى سلسلة أعلام مصر ، عن أحمد لطفى السيد ، والكتاب امين كل الامانة فى عرض شخصية أحمد لطفى السيد ، ولذلك لم نر فى الكتاب ما يجعلنا نغير راينا فى احمد لطفى السيد فى انه قد يكون استاذا لنفر لا نعرفهم ، أما نحن وقد عاصرناه قرابة أربعين سنة واكثر، فلا نعرف له شيئا من أى نوع كان الا انه كان احد باشوات حزب الاحرار الدستوريين ووزرائهم ، وسمعنا انه كان مديرا للجامعة ، عندما كنا طلابا بها .

ومرة أخرى أرجو الا يتصور متصور أننى أحاول الغض من شخصية أحمد لطفى السيد ، عندما انسبه لحزب الاحرار الدستوريين ، فانا نفسى كنت متعاطفا معهم فى وقت من الاوقات ، وكان محمد باشا محمود رئيس الحزب من أكرم الناس عندى ، وقد اجبرتنى ظروف الكفاح والنضال أن أواجهه واتحداه وهو رئيس للحكومة ، ولكن **الرجل النبيل استطاع ان يغلبنى على امرى بكرم اخلاقه وتواضعه وتسامحه، فانا عندما اصف احمد لطفى السيد بانه من اقطاب الدستوريين ، ولا زيادة، فانا انما اتحرى الدقة (من وجهة نظرى) للحديث عن التاريخ كما** درسته وعاصرته ...



وجدت السعادة فى السمنة

● عاشت اليزابيث تايلور طول عمرها معذبة بسبب الحرص على قامتها ووزنها ومقاييس جسمها، طالما كانت تعمل نجمة فى السينما · ولكنها الان وبعد أن شبعت من السينما والكاميرات والاضواء والمال والشهرة تزوجت زوجها الحالى ، عضو مجلس الشيوخ · وعرفت للمرة الاولى طعم الحياة الزوجية الهنيئة الى جانب زوجها « جون وارنر » ·· ونتيجة لذلك فقد ارسلت جسمها على طبيعته ، فسمنت وزاد وزنها ، ولم تعد تهتم بما تاكل وتشرب ، وهى تؤكد انها سعيدة جدا بسبب هذه السمنة ، وكذلك زوجها يقول انها هكذا تعجبه اكثر ·

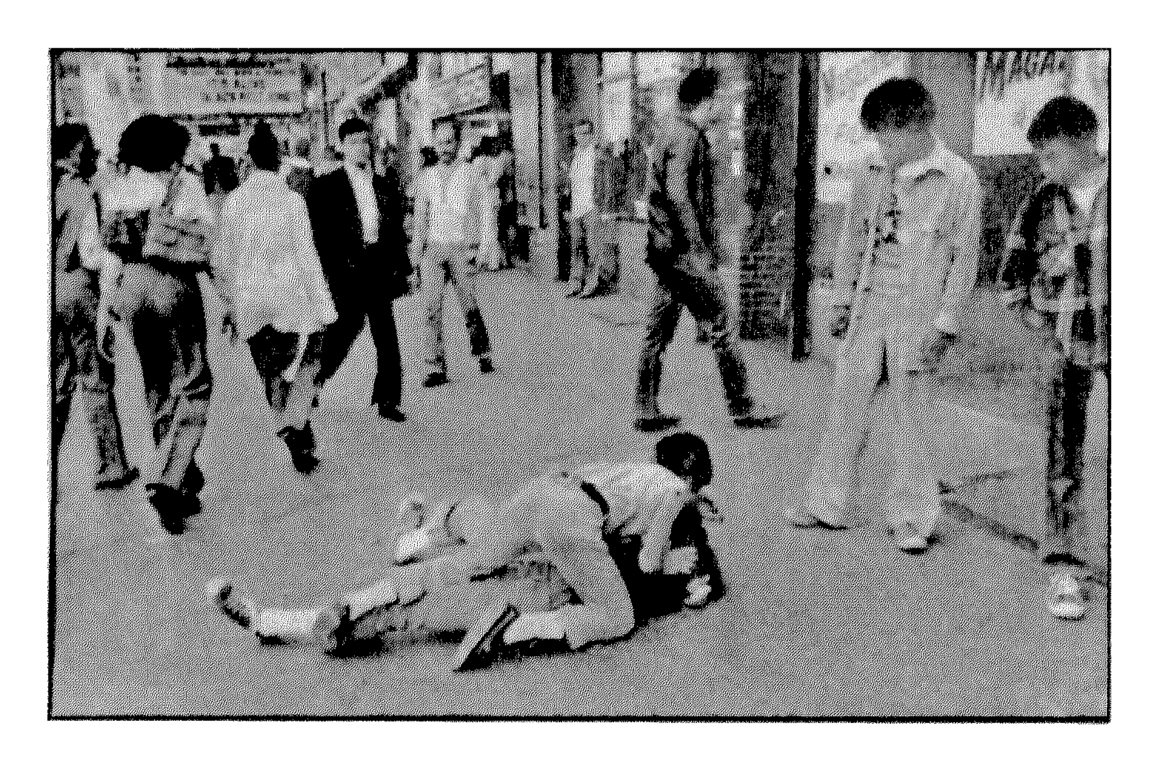
حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة



● يزعم الرجال انهم منحوا المراة حريتها ، واذنوا لها بان تتساوى بهم ! وتزعم بعض السيدات بأنهن الان على قدم المساواة مع الرجال في كل شيء ، ونحن لا ننكر أن الله منح المرأة من الذكاء والقدرات ما يعدل (أو ما يزيد) على ما عند الكثيرين من الرجال ، ولكننا نسأل : هل هذا كله حقيقة ؟ وهل تحتل المراة بالفعل فى عالمنا الراهن المكانة التى تستحقها ؟ ! ..

لعل الصورة خير تعبير عن حقيقة الوضع بين الرجل والمرأة فى عالمنا الراهن ، فى ارقى البلاد الغربية ، فالمرأة رغم ذكائها ، وقدراتها ما زالت تقف امام الرجل في حقيقة الامر على الهيئة التى تراها فى الصورة الماثلة امامك ! .

منظر طبيعي من نيويورك أرقى مدن الدنيا كما يقولون



● ان أرصفة نيويورك نظيفة تكاد تلمع ،ومحلاتها انيقة .. ولكن احداث نيويورك كارثة . فهم يتجمعون على نواصى الشوارع ، وعند دور السينما ، ويتحزبون احزابا ، وتقوم بينهم المعارك وهم يعتدون على المارة وخاصة فى الليل ،ويقسمون الشوارع الى مناطق نفوذ .

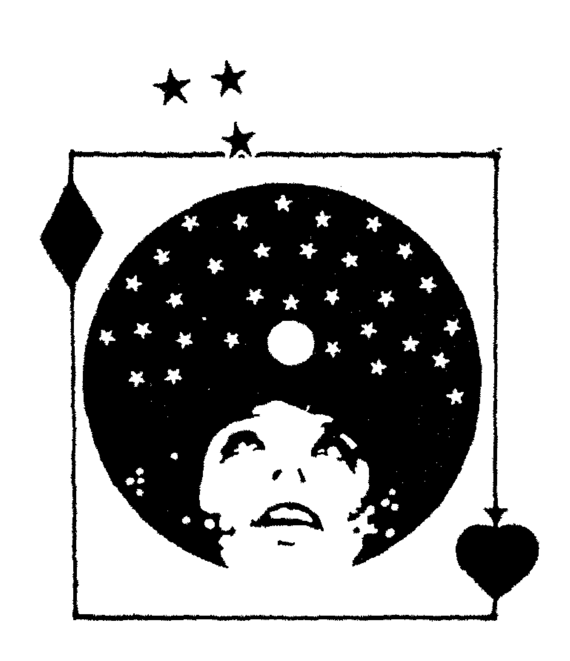
وقد يئس البوليس من السيطرة عليهم لكثرتهم وجرائتهم ، واقدامهم على أى عمل غير قانونى ، أو غير اخلاقى .

والصورة التى تراها مالوفة جدا فى تلك المدينة الكبرى . ويلاحظ ان المارة لا يكادون يهتمون لمشهد الصراع المخيف بين هذين الغلامين .

صورة جميلة وكارثة عائلية

● هذان الغلامان يسميان بيتر وهاينز ، وهما توأمان . والمشكلة ان الزوج وقف أمام ابنيه في حيرة بالغة ، فانه هو وامرأته بيضاوان ، فمن أين جاء التوام الاسود .
الزوجة تقسم انها زوجة صالحة ، ولكن ما الحيلة ، والبرهان ساطع واضح !

حظـــوظ وأقـــدار





● الحياة عمل وجهد وكفاية ، وقيـام بالواجب . والحياة أيضا أقدار .
فهناك دون شك شيء أسمه الحظ، وعندما انتصر نابليون فى معركة «واجرام» سئل عن سبب النصر، فقال ثلاثة أشياء : أنا ، والحظ ، والحظ . وعندما ابلغوه ان قائده الكبير «ديزيه» قتل فى المعركة، قال : ضعوه فى قائمة الابطال ، واكتبـوا تحته : أنطوان ديزيه ، جنرال فرنسـا ، حالفه الحظ خمسة وأربعين عاما ، وتخلى عنه خمس دقائق !.

وهكذا فنحن نعمل ، ونحن نجد ونسهر، ولكننا دائما فى حاجة الى الحظ .. الى ذلك الشيء المجهـــول الذى لا نستطيع السيطرة عليه ، وهو الحظ ، أو المصادفة : أو ذلك الشيء الغريب الذى يجعـــلك فى الوقت المناسب ، فى المكان المناسب لكى يقع الحظ فى حجرك ، أو بين يديك كما نقول .

***

وأنت تتحكم فى العمل ، وفى علاقتـــك بالناس ، ولكنك لا تدرى قط ، ما هـــو الوقت المناسب والمكان المناسب اللـــذان يلقاك فيهما ذلك الشيء الغريب الذى اسمه الحظ .

حكى سعد زغلول حكاية طريفة، تصور لك كيف يلعب الحظ بالناس ، أو للناس .

قال : انه كان يبحث عن رجل من أواسط الناس يعينه وزيرا لكى يعرف النـاس أن عهد الوزراء الباشوات قد انقضى .

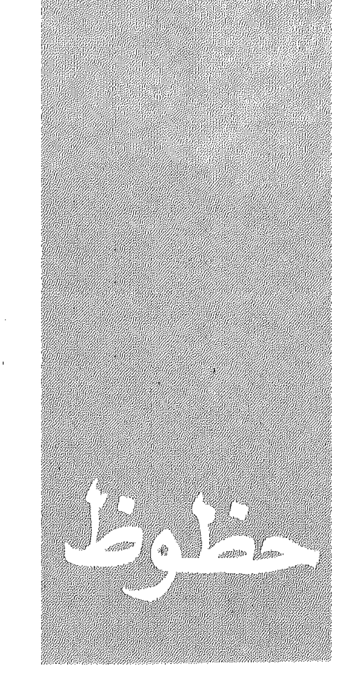
وجلس فى مكتبه يفكر ، عندما قيل له ان الاستاذ نجيب الغرابلى يطلب المقابلة . وكان نجيب الغرابلى اذ ذاك محاميا متوسطا فى طنطا . وكان يتولى لسعد زغلول بعض الاعمال القضائية ، وعرف فيه سعد زغلول الامانة ، والوطنية ، ولكنه لم يفكر فيـه وزيرا !.

ولكن حظ نجيب الغرابلى أرسله فى هذه اللحظة بالـذات : فى الوقت المناسب والمكان المناسب ، لكى يسد الفراغ الذى كان يحير سعد زغلول .

ودخل الرجل فى كشف الوزراء، واصبح وزيرا ، ووزيرا ناجحا .

هذا يصور لك ما نريد أن نقوله .. هو أن الحظ موجود ، ولكن المشكلة هى كيف يلقاك ، أو كيف تلقاه فى الوقت المناسب ، والمكان المناسب ..

فى الصفحات التالية قسم خاص يحدثك عن الحظ . ادع الله معنا أن نكون من أولئك الذين يجدهم الحظ ، فى الوقت المناسب ، والمكان المناسب ..



حظوظ تلعب بأقدار النابهين والأبطال

● فتحى رضوان ●

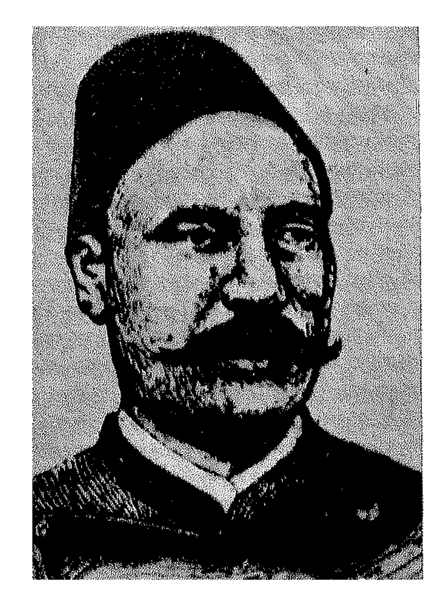
● مضى الايطالى ، ابن ميناء جنوه ، كريستوفر كولمبس ، فى السنوات ١٤٩٢ و ١٤٩٣ و ١٤٩٨ على راس ثلاث سفن الى المحيط الاطلسى ، بحر الظلمات ، يستدرجه امل الوصول الى الهند من الغرب ، وقد اخفق فى تحقيق امله ، ولكن كان اخفاقه أعظم من النجاح الذى يطمح اليه ويحلم به ، فقد كشف عالما جديدا ، فاضاف بهذا الفشل عالما جديدا الى الدنيا التى يعرفها الناس ، ويطاون ارضها ، ويتمتعون بخيرها ، قارتين ، تتراءى آفاقهما من المحيط الى المحيط وتمتد مساحتهما من القطب الى القطب ، وتفيض أرضهما وماؤهما بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ولكن هذا المغامر الجسور ، عاد الى بلاده سنة ١٥٠٤ ، مجللا بالعار ، مكبلا بالاغلال ، ثم تحاشاه الناس ، فمات فقيرا لايكاد يجد قوت يومه .. فى حين أن أفاقا ، كتب عن الدنيا الجديدة كتابا خلب الألباب ، واستولى على هوى القراء فأطلقوا اسمه « اميرجو » على هذا العالم الضخم ، وكأنه لم يكتشفه فقط ، بل كأنه خلقه خلقا ، وصنعه على عينيه ، وشكله بيديه !

هذا مثل ضخم فى التاريخ ، يرى كيف يعبث الحظ بأقدار الابطال يرفعهم الى السماكين ثم يهوى بهم الى الدرك الاسفل ، وهم بين الارتفاع والانخفاض ، وبين الرفعة والخمول ، وبين الظهور والخفاء ، لا يكافأون على العمل المثمر ، ولا يعاقبون على الخطأ والتفريط ، بل يمنحون ويمنعون ، حسب قانون لا يعرف أحد نصوصه ، ولا أحكامه ..

وان أردت الحق ، فظاهرة اختفاء صاحب الموهبة ، أو تواريه ، أو قلة حظه مع حسن ما قدم ، ووفرة ما انتج ، وطول ما امتع أو علم ، هى ظاهرة طبيعية ، وقد تخلو من الظلم الذى قد نتوهمه فيما يصيب العظماء من الجحود والاهمال .

فنحن نحكم على الشخصية العامة سياسية أو أدبية ، بمقياس واحد ، هو مقياس ما نعرفه نحن عن هذه الشخصية وننسى انه مجموعة من العناصر والصفات والخصائص وأن حياته ثمرة عوامل كثيرة ، تتعارض وتتواتر ، وتخرج آخر الامر شخصا آخر غير الذى نعرفه فيما



احمد عرابي :
في البدء جاءت دعوة للذهاب
الى نظارة الحربية



محمد عبيد :
حارب كألف بطل في جسم
رجل واحد

نقرؤه عن هذه الشخصية أو نقرؤه لها.

ولعل أحسن مثل يفسر لنا قلة حظ بعض النابهين من رجال السياسة أو الفكر ، ممن تتألق مواهبهم فيما قاموا به من الاعمال وما تركوه من الاثار هو ما نلاحظه فى أن بعض ذوى الوجوه الحسنة ، والقسمات الجميلة ، حينما يقفون أمام آلة التصوير ، فيبدون أقل جمالا ، بل قد يبدون من أولى الوجوه المنكرة والتقاطيع المنفرة ..

هذا هو (القبول) الذى تقول عنه (عامتنا) ، وهو لفظ بسيط وسهل ، ولكنه ممتنع على الشرح ، لا تدرى سره ولا تحلله الى عناصره ،ولكنه يوجه تاريخ الانسانية ، ويقدم ويؤخر الكبار ، ذوى الصدارة ، فى مسرح الامم ومجال الاحداث العظمى ، فاذا الذكى ، الذى واتته بلاغة البيان ، وقوة اللسان ، وحدة الذكاء ، وسرعة الخاطر ، المقدام الجسور الفعال ، رجل فى المؤخرة ، أو فيما يقرب منها ! ..

والامثلة كثيرة فى الشرق والغرب ، والقديم والحديث ، لعل اظهرها فى التاريخ المعاصر ، وصول (أتلى) فى انجلترا ، الى زعامة حزب العمال ... و « ترومان » فى الولايات المتحدة ،عقب وفاة الرئيس (روزفلت) الذى بقى فى رياسة الجمهورية لبلاده أربع مرات خلافا لنص الدستور الذى يحرم على الرئيس أن يبقى فى دست الرياسة أكثر من مرتين ..

وقد بقيت أتحدث كلما لاحت فرصة عن عدد ممن اخطأهم الحظ ، فنسيت اقدارهم ، والقى عليهم الاهمال ، أو قل الجحود ، ظلالهما الكثيفة ، حتى غابت أسماؤهم ، وطمست آثارهم ..

فى مقدمة هؤلاء من رجال الحرب والسياسة اثنان هما : محمد عبيد بطل الثورة العرابية ، وعبد الرحمن فهمى ، قائد ثورة سنة ١٩١٩ ، فى اثناء غيبة زعماء الثورة فى الخارج ، وعند احتدام الاحداث ، أو اضطرام المعارك .

ومن رجال الفن اثنان هما : محمود مراد ، وعبد الرازق عنايت .

ومن رجال الأدب اثنان هما : محمد صبرى السربونى ، وعبد الرحمن شكرى

وعندما تقرأ تاريخ مصر ، وتقلب صحائفه السياسية ،ثم تنتقل الى صحائفه الفنية والسياسية ، ترى عجبا . ترى الابطال المغاوير ، والمفكرين الافذاذ ، والمجاهدين الصامدين ، وقد استحالوا الى ما يشبه الخارجين على القانون ، الذين تطلب رؤوسهم العدالة ، ويتعقب آثارهم رجال الامن ، مدججين بالسلاح ، معززين بوسائل قص الأثر ، فان هؤلاء يتوارون عن الانظارحتى تغيب اشخاصهم

حظوظ تلعب بأقدار النابهين والأبطال

وأسماؤهم ، ما لم يدقق الانســـان في المراجع والآثار الباقية ، وعندها يتضح لهؤلاء ، أثر عظيم ، وجهد باق ، وأيد تطوق عنق البلاد ..

***

اما محمد عبيد ،فقدمهد لثورةسنة ١٨٨١ ، التي عرفت في التاريخ المصرى الحديث ، باسم الثورة العرابية ، مهد لها بما حفظ قادتها ، ودفع مسيرتها ، ولو لم يقيض الله لمصر هـذا البطـــل بكل جرأته ، وثبات جنانه وقوة ايمانه لما وقعت هـذه الوقـعة الكبرى ، التي كانت بغير شبهة بداية للقومية المصرية في أحدث أدوارها .. احسـت معهـــا بنفسها ، وعرفت طريقها ، كما عرفت اعداءها .

ولا يغض من هذه الحقيقة ، ان هذه الثورة افضــــت الى الاحتلال البريطاني وانطوت صـــحائفها على مـــواقف لا ترضى الكبرياء المصرية ، ولا تتسق مع مثالية المجاهدين المؤمنين . ولكن الذى يطلب بطولات لا تشوبها نقائص البشر ، ولا تعلق بذيلها زلات بني آدم ، عليه أن يلتمس في عالم الاساطير الابطـــال الذين تتجـــاوز قدراتهم طاقة البشر ، فيســـتحيل الحديث عنهم لونا من الخرافة الممتعـة التي لا تثبت لضـــوء الشمس ..

وقد بقي محمد عبيد بطلا لا ند له في الثورة العرابية عندما بدأت ، ثم عندما وقعت المعــــارك بين الجيش المصرى والجيش البريطاني ، فقد كان أول من امتشـــق سيفه ، وكان الوحيـد الذى اسـتشهد من زعمائها في ميدان القتال وتحت غبـــار المعركة ، وقد كان قبره تحت سـنابك جواده ، لم يعثر له على جثمان ، ولم يقم له ضريح ..

في بداية الثورة ، وهو بعد جنين في بطن التاريخ ، عرض عثمان رفقي وزير الحربية المصرى الشركسي الاصل ، على مجلس الوزراء الذى كان يرأسه رياض باشا ، ان يحتال على قادة الثورة احمد عرابي ،وعبد العال حلمي ،وطلبة عصمت ومحمود فهمي حتى يلقى القبض عليهم ثم يزجهم الى السجن العسكرى ، ثم يعقد لهم محاكمة عسكرية ، ثم ينفـذ فيهم حـــكم الموت أو على الأقل النفى ، وتهيب رياض باشا من هذه المجازفة ونصح بعدم الاقدام عليها ، وصـمم رفقي على انفـاذها ، ومازال بالوزراء حتى وافقوا وفي أول مايو سنة ١٨٨٢ تلقى عرابي وزملاؤه دعوة للحضور الى نظارة الحربية وكانت مبانيهـــا في ثكنات قصر النيل التي بقيت زمنا طويلا على شاطىء النيل الغربي ، بألوانهـــا الحمراء القاتمة حتى ازيلت في احتفال بعد ثورة ١٩٥٢ ثم بنيت في مكانها دار الجامعة العربيـة وفندق هيلتون .

وتداول الزعماء في هذه الدعوة التي فاحت منها رائحة المؤامـرة فقـد كانت المناســـبة لا تستدعي دعوة كل هؤلاء القادة ، اذ لم تعد التداول في اجراءات الاحتفال بزفاف شقيقة الخديو ،ولكنهم كرهوا ان يتخلفوا عن تلبية الدعوة خوفا من شر يقع عليهم ، ورأوا أن شرفهـم يقتضيهم أن يلبوها ، ويحتاطوا لاعدائهم فلهبوا في الموعد المحدد ، وقد تركوا عيونهم وارصادهم خارج مبنى الوزارة، واتفقوا معهم على أنهم اذا لاحظوا طـول مكث القـادة داخل الوزارة عـن الزمن المعقول والمناسب للمهمة التي دعوا اليها يخطرون اخوانهم وزملاءهم في ثكنـاتهم ليهبوا لنجدتهم ..

وطال غياب القادة العرابيين في مبنى الوزارة،فاسرع من أخبر الاميرالاى محمد عبيد بك ، وكان في خدمة حرس الخديو فما كاد يتلقى النبــــأ حتى امتــــطى جواده ، وأمر ضـــباطه وجنـــوده أن يتبعوه ، ومرق بهم من بـــاب قصـــر الخديو ــ قصر عابدين ــ الى ســـاحة الميدان متجها الى ثكنات الوزارة ، وكان الخديو توفيق في شرفة القصر ، فعجب لخروج عبيد واخوانه وجنوده في هذه الساعة فأمر قائد الحرس بملاحقته ورده

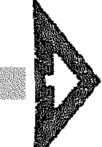
الى الثكنة ، وفعل الرجل ، وأسرع فى اعقاب (عبيد) ، فلم يلتفت اليه ولم يحفل به ، وانطلق ينهب الارض الى (وزارة الحرب) ، واقتحم بابها ، مزيلا من طريقه الحراس ، وراح يبحث هنا وهناك عن (عرابى) واخوانه ، فاذا عثمان رفقى قد حقق مؤامرته ، فما كاد عرابى يصل الى الوزارة حتى زج به الى السجن ، وقد جرد من سيفه ، ونزعت عن صدره وكتفه شارته العسكرية ، وفعل الشىء نفسه مع زملائه .. وانعقد المجلس العسكرى ليحاكم هؤلاء الابطال الذين لم تكن جريمتهم سوى رفض الذل الذى تفرضه العناصر الاجنبية فى الجيش المصرى ، والسيطرة الغربية الزاحفة على مصر وسلطاتها ، وكان عثمان رفقى وأعوانه من خصوم المصريين يمنى نفسه بأن يخلص من عرابى واخوانه فى نصف ساعة يتهمهم ويحاكمهم ، ويستصدر الحكم ضدهم، وبذلك تقتل الثورة ، وهى بعد براعم لم تتفتح ..

فاذا عبيد يقتحم أبواب الزنازين التى أودع الابطال فيها ، وكأنه اعصار هب فجأة بلا تمهيد ، واذا الاسرى الذين استدرجوا الى هذا المصير بنذالة وخسة ، قد عادوا الى الحرية ، وردت اليهم سيوفهم ، وشارات مجدهم وخرجوا رافعى الرأس ، فى حين تولى الذعر وزير الحربية وأعضاء المجلس العسكرى ، فتزاحموا على النوافذ ، ليقفزوا منها الى شاطىء النيل الذى كانت مبانى الوزارة تطل عليه وهبطوا الى الارض كما تهبط الاحجار الثقيلة ، بلا كرامة ولا احترام للنفس، ومنهم من قام يظلع بساقه ، ومنهم من لم يستطع الحراك من مكانه لرضوض وجروح !

***

وبقى محمد عبيد من قادة الثورة ، ينفخ فى نارها ، وينظم صفوفها ، وينفى الضعف عن أتباعها ، حتى وقعت الواقعة الكبرى ، واسفر الانجليز عن وجوههم ، وحاولوا غزو مصر ، جهرة ، وعلى مرأى ومسمع من هذا الوهم الذى يسمونه الرأى العام العالمى ، وقد بدأوا أولا بمحاولة التدفق الى مصر من جانبها الغربى، أى من طريق الاسكندرية فدمنهور ، ولكنهم وقفوا عاجزين وحائرين امام التحصينات التى أقامها الضابط المهندس المصرى محمود فهمى باشا عند كفر الدوار ، فأستداروا الى الجانب الشرقى من مصر من الناحية المكشوفة ، أى قناة السويس ، حيث توالت معارك حاربت فيها الخيانة والخديعة والرشوة الى جانب الجيش الانجليزى والجند حتى انتهت الفاجعة الى معركة « التل الكبير » فامتشق محمد عبيد سيفه فوق صهوة جواده ، وحارب كألف بطل فى جسم رجل واحد ، يدخل فى صفوف الاعداء ، ويكر ، وقد فر من فر ، واستسلم من استسلم ، واستبسل من استبسل حتى استشهد ثم داسته سنابك الخيل وأقدام المقاتلين ، فلم يعثر له على جثمان ، ولم يقم له ضريح ...

ثم حدث ما هو ادهى وامر ، فانك ان طفت مصر ، شبرا شبرا ، باحثا عن اسم ((محمد عبيد)) على درب او شارع ، او مدرسة او معهد ، او ضريح او مبنى ، فانك ستبوء بالخيبة والفشل ... وستمنى بهما ايضا ان فتشت فى دواوين الشعراء منذ كانت الثورة العرابية حتى اليوم ، او فى قصص القصاصين ، واعمال المسرحيين ، لتجد بيتا من الشعر او مشهدا يخلد ذكرى هذا البطل العظيم ، او يتخذ من بطولته الفذة ، ووطنيته الملهمة ، وسيلة لاثارة انبل المشاعر وأسماها فى نفوس المصريين .. ولكنك ستجد صحائف طويلة وكلاما لا ينتهى على من هم دونه شجاعة وفدائية ، واسهاما فى الثورة وايمانا بها ، وفناء فيها ..



حظوظ تلعب بأقدار النابهين والأبطال

ولا تفسير الا انها حظوظ ومقادير .

***

وبعد أقل من نصف قرن ، كانت ثورة أخرى ، وظهر « أميرالاى » آخر. أما الثورة فكانت ثورة سنة ١٩١٩ .

وأما الضابط الفذ الغريب ، فقد كان عبد الرحمن فهمى ..

لعب دورا شبيها بدور سلفه محمد عبيد من حيث ما استهدفه من خطر ، وما ضربه من مثل ، وما حققه من خير، منذرا نفسه فى غير تخوف ولا احتياط، بائعا روحه بلا من ولا ادلال ، متقدما الصفوف فى غير طمع ولا انانية ..

فى مارس سنة ١٩١٩ انفجرت القضية المصرية ، مروعة ورائعة ، فى وجه سلطات الحكم البريطانى ، التى لم تكن تظن ان هذا الفلاح البسيط الهادىء المسالم ، يمكن أن يستحيل الى متمرد ثائر ، وأن يمارس عنفا لم يخطر على بال . ولكن لم تكن هذه الفرقعة المدوية سوى غضب الحليم ، فان بريطانيا منذ وقعت المجزرة البشرية الاولى التى سميت بالحرب العالمية ، فى النصف الثانى من سنة ١٩١٤ ، أحست بقبضة العسكرية الجرمانية الرهيبة تمسك بخناقها وتكاد تزهق روحها ، فلم يكن أمامها مفر الا أن تعتصر موارد الشعوب التى رزحت تحت نير التاج البريطانى سواء كانت بشرية أو اقتصادية ، ومن ثم فقد عاث ممثلو بريطانيا فى مصر فسادا ، يصادرون الارزاق ويطاردون الحريات ، وينشرون ظلاما كثيفا ماديا وروحيا ، حقيقة ولا مجازا .

وكانت بريطانيا طوال سنوات المجزرة البشرية تعلن فى ملل بالها تحارب من اجل الحرية وتقرير مصير الشعوب بنفسها . فلما وضعت الحرب أوزارها وجد الشعب المصرى يده صفرا من هذه الوعود ، فلا الحرية عادت ، ولا الاحكام العرفية الغيت ، ولا أسعار الحاجيات اعتدلت ، ولا مرافق العيش انتظمت .

وكانت القلة من ابناء الحزب الوطنى التى تركت خارج المعتقلات ، وبعيدا عن المنافى ، يحرضون المصريين على الثورة التى بقيت تداعب خيال زعيم الحركة الوطنية فى المنفى فى المانيا وسويسرا ، فيذكرها فى مذكراته التى يبثها لواعج حزنه ، وينفس فيها عن ضغوط همومه .

تحدى المصريون السلطة البريطانية الظافرة فى أوائل سنة ١٩١٩ ولم يكن فى ايديهم سلاح يشهرونه ، ولم تكن أمامهم خطة يتبعونها ، وغاب عنهم زعماؤهم القدامى والمحدثون ، فمحمد فريد مات فى برلين وحيدا شريدا ، وتلاميذه شردوا فى طول أوربا وعرضها، وسعد وصحبه نفوا الى مالطة ؛ واصبحت الحاجة ماسة الى رجل يضم الصفوف ، ويشد العزائم ، ويضع الخطط ، ويأمر وينهى ، ويعد ويهدد ، ويبعث الامل ، ويطارد اليأس ، ويعلم الشباب ويدربهم ويحذرهم ، ويشجعهم ويقى الحركة من ملل الشيوخ وميلهم الى المهادنة والتسليم ، فبرز من بين الصفوف مجاهد مجهول ، كان ضابطا فى الجيش ، ثم انتقل الى الوظائف الادارية فكان وكيلا للمديريات ، ثم مديرا فى الجيزة وبنى سويف ، ولم تكن له سابقة جهاد ، ولا خبرة بشئون السياسة ، ولكنه تلقى من الشعب الوحى ، واستهانته بالموت ، وحرصه على الحرية ، وقدرته على الفداء ، وحسن طاعته للأئمة والزعماء . فكان عبد الرحمن فهمى . كان مصر كلها ، بريفها وحضرها ، بشبابها وشيوخها ، طوال الفترة العظيمة التى بدأت بها الثورة صحائفها ...

خرج الغرب ــ المهزوم فيه والمنتصر على السواء ــ من المجزرة البشرية مثخنا بالجراح ، فقيرا ، مدينا ، تتهدده الثورات ، والمجاعات والاوبئة ، ولذلك كانت حركات التحرير فى البلاد العربية والشرقية ، التى تستهدف القاء نير



**عبد الرحمن فهمي
ادار المعركة الوطنية بكفاءة واقتدار**

الحكم الإستعماري الغربي عن كواهلها، تخيف دول اوربا ، وتبعث في قلوب قادتها الفزع ، وقد كانت ثورة سنة ١٩١٩ في مصر ، نذيرا بان الامور لن تسير على هواهم ، ولذلك فقد تواصي الغرب كله على تشويه هذه الثورة والحط من قدرها ، بتسميتها «القلاقل في مصر » وقد ضنوا عليها جميعا باسم « الثورة » ، ولكن عبد الرحمن فهمي لم يزل يدبر الثورة في الجانب السياسي منها في مصر على وجه من الحنكة والبراعة حتى سلمت صحف بريطانيا الكبرى بان ما يجري في مصر — في غيبة زعمائها — هو ثورة بالمعنى الحرفي لهذا اللفظ .. فقد كان عبد الرحمن فهمي يعرف مهاب الدسائس ، فيقفل الباب في وجهها ، من ذلك محاولة الانجليز التفرقة بين المسلمين والاقباط، فاحكم عبد الرحمن فهمي الرباط بينهما واصبح من تقاليد الثورة ان يخطب القسس في المساجد ، وان يخطب علماء الازهر في الكنائس ، وان يصنع لمصر علم جديد يحمل الهلال والصليب

وحدثت مضاعفة خطيرة ، اذ تفتقت حيلة السياسة البريطانية عن ارسال لجنة بزعامة احد دهاقين ساستها هو اللورد ملنر ، ليعلن انه جاء يتحرى اسباب الغضب المصري ، مؤملا ان يفرق صفوف المصريين ، بين معتدل ومتطرف وراغب في التفاهم مع الانجليز ومنصرف عن ذلك ، فواتت بديهة عبد الرحمن فهمي بحل مثالى لهذه المحنة اذ قرر أن المصريين لن يستقبلوا اللجنة ، ولن يستمعوا لها ، ولن يسمعوها ، وأنه لا مناص للورد واعوانه من العودة الى زعماء مصر الذين كانوا آنذاك في باريس، واحكم الحصار الوطني على لجنة ملنر وصحبه ، حتى لم يجد انسانا واحدا ذا قيمة يقبل أن يرد لها تحية او يجيب عن سؤال منها . وكان هـذا النجاح شـهادة لوحدة المصريين وحسن تنظيمهم وكفاية قائد حركتهم عبد الرحمن فهمي.

فلم يكن هناك مناص امام بريطانيا سوى اعتقال عبد الرحمن فهمي ، والزج به الى السجن بتهمة تآمره على حياة السلطان فؤاد ووزرائه واتباعه ، وتدبيره لحوادث التخريب والتدمير في مايو سنة ١٩٢٠ .

ثم اقاموا محكمة عسكرية في المدة من ٢٠ من يوليه سنة ١٩٢٠ حتى ٦ من اكتوبر في السنة ذاتها برياسة جنرال انجليزي اسمه « صولون » ،فارتفع عبد الرحمن فهمي ، من مرتبة القائد عند الشعب المصري الى مرتبة الشهيد. فأصبح اسمه على كل لسان ، والدعاء له يرتفع بعد كل صلاة وصورته في كل مقهى وناد ، واصوات المحاكمة شغل الناس الشاغل ، في البيت والطريق . وغضب سعد زغلول لالقاء القبض على «عبد الرحمن فهمي» ، وهدد بقطع المفاوضة مع الانجليز ... وكان قد دخل في هذه المفاوضة مع ممثلي الحكومة البريطانية في فرنسا . وسجل في مذكراته ان عبد الرحمن فهمي بمثابة جيش كامل ، وان الفراغ الذي يخلفه لا يملؤه احد ، وصدر حكم المحكمة الانجليزية العسكرية عليه بالموت، ثم خفف الى السجن والاشغال الشاقة ١٥ سنة .

حظوظ تلعب بأقدار النابهين والأبطال

وقد كان الانجليز يخافون من عبد الرحمن فهمى القائد الثورى الكفء الذى بلغت صلابته وعناده أقصى الحد ، ولكنهم كانوا يخافونه اكثر من ذلك بكثير ، بوصفه رائد الحركة العمالية فى مصر ، اذ نجح فى تاليف اتحاد لنقابات العمال كان يضم أكثر من ١٢٠ نقابة و ١٥٠ الف عامل ، وهذه قوة كانت آنذاك ، تبعث الفزع حقا .

وخمدت نار الثورة ، ودبت الفرقة بين المصريين ، وقامت حرب اهلية تطايرت قذائفها ، واصبح اخوان الامس اعداء ، ولم يعد لعبد الرحمن فهمى مكان ، فنسى عمله ، حتى لقد رشح نفسه فى احدى الدوائر العمالية ، فلم يظفر الا بثلاثة وثلاثين صوتا .. وتوارى القائد ، ونسى الناس اسمه ، ولم يعد احد يعرف أن ثورة ١٩١٩ لم تعرف قائدا مثله ، فى أعظم ادوارها ، حينما كانت حركة قوية شاملة لكل مصر ، من اقصاها الى اقصاها تسير على خطى مرسومة ، وتهتدى بخطة مدروسة ...

ولم يقم لعبد الرحمن فهمى تمثال ، ولم يذكر اسمه على ميدان ، واذا ذكر اسمه خلطوا بينه وبين عبد الرحمن الرافعى حينا ، أو بينه وبين عبدالعزيز فهمى حينا آخر .. وراح واحدا من الذين اخطأهم الحظ بلا ذنب ارتكبه .

***

فاذا انتقلنا الى عالم الفكر والفن قابلنا مثلين آخرين من هذه الضحايا ، التى توارت فى صفحات التاريخ ، فى صمت وسكون .. اولهما عبد الرازق عنايت ، وثانيهما محمود مراد ، وكلاهما اتصل بالمسرح ، وهام به ، وبذل فى سبيله كما يبذل المؤمن فى سبيل عقيدته ..

وقد تفتحت عبقرية محمود مراد مبكرة ، ثم انطفأت بانطفاء حياته وهو بعد فى مقتبل العمر ، يحلم بأعمال كبار ، ويتهيأ لها . وقد كان مصريا قحا ، ولد فى حى بولاق ، ونشأ فيه ، وارتبط به ، حتى بعد أن أتم تعليمه فى مدرسة المعلمين العليا وأوفدته بلاده ليحصل على مزيد من العلم فى الاداب من انجلترا ، ليعود مدرسا للتاريخ فى مدرسة الخديوية .

ولما عاد الى مهنته الاصلية ، مهنة التعليم والتلقين ، لم يقنع بالواجب التقليدى للمدرس فى مصر ، بل فتح فتحا فى الثقافة الرفيعة ، المدرسية والعامة ، اذ وضع مسرحية شعرية استوحاها من تاريخ مصر القديم ، وسماها « مجد رمسيس » فحقق بهذا العمل الواحد اربعة اهداف عظيمة كانت تستعصى على فحول عصره ، اولها وضع المسرحية الشعرية ، واقناع سلطات التعليم بان المسرح المدرسى اداة اصيلة وعميقة وبعيدة الأثر فى تعليم الناشئة وتلقينهم وتهذيب وجدانهم ، وتحريك خير نوازعهم ... ثم تقديم أوبريت مصرية كاملة ، فى حين كان الغناء الفردى المتمثل فى ((التخت)) ، هو الفن السائد والمسيطر آنذاك ، وكان الغناء المسرحى يحاول ان يولد فى المسارح العامة على يدى الفنان العظيم ((سيد درويش)) وانداده فى ذلك العهد المبكر فى حياتنا الفنية عهد كامل الخلعى ، وداود حسنى ، وسلامة حجازى من قبلهما .

والهدف الثالث تثقيف اصوات تلاميذ المدارس الثانوية بتعليمهم الاداء الفنائى الشاق ، المضبوط بالقواعد العلمية الحديثة ... واخيرا اخراج مسرحية مدرسية كاملة ، بوسائل المدرسة المحدودة ، ونطاقها المعروف ، وداخل جدران المدرسة ، ثم دعوة أهل الفكر والفن ، واولياء الامور فى الحكومة ، والبيوت ليشهدوا عملا فنيا متكاملا ، ناضجا وناجحا .

وقد نجح فعلا نجاحا مشهودا وكان لهذا العمل الفنى الرائد أثره فى دنيا واسعة تمتد من مدرسة الخديوية الثانوية ، حتى الصحافة ، ودوائر المسرح والغناء والتلحين .

ولا تنس أنه كان عملا وطنيا فى الوقت

نفسه ، اذ لم يكن مجرد مسرحية تؤلف اعتباطا بل كانت استلهاما لتاريخ مصر القديم ، والاشادة به .

ولم يقف جهد محمود مراد عند هذا الحد فقد بعث بتلميذه فى المدرسة ، محمد رجائى ، الى معهد « برجرين » ليتعلم الاداء الصوتى السليم والموسيقى الغربية على أصولها الصحيحة ، وبذلك فتح باب التربية الموسيقية السليمة ، وقد تبع محمد رجائى فى الانتساب الى هذا المعهد « محمد عبد الوهاب » وكان الفضل فى ذلك الى محمود مراد الذى لم يقف جهاده عند هذا القدر الباهر من التجديد ، والريادة ، اذ ترجم مسرحية « البروكة » الغنائية ، وقدمها لسيد درويش الذى لحنها ، وكانت سبقا فنيا بقى أثره الى اليوم ..

واضاف محمود مراد ، الى آثاره ، ما ترجمه الى العربية من عيون الادب الغربى ، بلغة عربية ناصعة . ولو مد الله فى أجل محمود مراد ، لاثمرت هذه البذور التى القاها فى سخاء ، ولأصبحت اشجارا باسقة ، فقد كانت فى حاجة الى رعايته الحميمة ، وحبه الذى يبذل بغير من ولا تردد . ولكن الله اختاره لجواره ، فمضى مع عمله العظيم ، ووطنيته الصادقة ، ومواهبه العديدة ، مجهولا غير مذكور ... فانت لا ترى لاسمه اثرا فى صحائف التربية والتعليم ، ولا فى تاريخ الادب والترجمة الادبية .. وكانه لم يشق طرقا مجهولة ، ولم يضع اسسا لاعمال مجيدة ، بقيت بعده ، منسية مجهولة ومتروكة على حساب المصلحة العامة فى كل ناحية واتجاه .

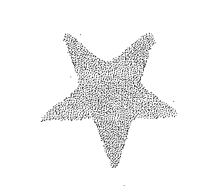
***

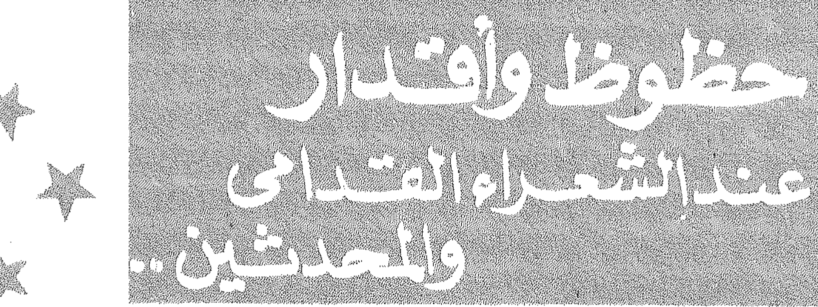
اما المجاهد الفذ ، عبد الرازق عنايت فهو جدير بأن يؤثر بصفحة كاملة فى تاريخ المسرح المصرى ، وأن توضع له لوحة فى اكثر من مسرح ، وأن يطلق اسمه على شارع من الشوارع التى تقام فيها المسارح وقاعات الفن . ففى وقت مبكر جدا ، أقام هذا الرائد المجهول مسرحا من حر ماله ، على أرض سوق الخضار بأرض العتبة الخضراء ، قبل أن تصبح سوقا بطبيعة الحال ، وكان مسرحا حديثا من حيث بنائه وتصميمه ، ومن حيث ادواته ومعداته ، ووضعه فى خدمة مسرح «احمد أبو خليل القبانى» الرائد الثانى للمسرح العربى بعد مارون نقاش وأخويه نقولا وسليم نقاش ، ولكن هذا المسرح لم يلبث أن احترق عن آخره ، فاتت النار عليه من القواعد ، وكان آنذاك ثروة قائمة بذاتها ، فى وقت ينفق فيه الاغنياء مالهم على بناء الدور التى تدر عليهم المال . وكانت هذه الصدمة جديرة بأن تفت فى عضد عبد الرازق عنايت ، وأن تصرفه عن المسرح ، او على الاقل عن الانفاق فى بناء دور للمسرح ، ولكن ايمانه كان اكبر من أن تقضى عليه صدمة واحدة ، ولو كانت بهذه الفداحة ، فقد أسس فى التو مسرحا جديدا فى شارع الباب البحرى لحديقة الازبكية غير بعيد عن ميدان الخازندار وشارع الجمهورية « ابراهيم باشا سابقا » واطلق على هذا المسرح « دار التمثيل العربى » وهو مسرح اقترن بالكثير من أدوار المسرح فى بلادنا ، وشهد الكثير من أيام ازدهاره كما شهد الكثير من محنه .

وفى هذا المسرح أقيمت لأول مرة المقاصير « البناوير والالواج » للسيدات وخصص لهن باب خاص ، واقتنى الكثير من المناظر الفخمة والثياب الغالية والمعدات الفنية التى لم يحصل عليها مسرح آخر بعده من المسارح الاهلية وبعض الحكومية . وعلى هذا المسرح تالق الشيخ سلامة حجازى وبقى يجلجل فيه صوته حتى أصيب بالفالج فى ١٨ من يوليه سنة ١٩٠٩ ولكنه عاد اليه بعد أن تماثل للشفاء .

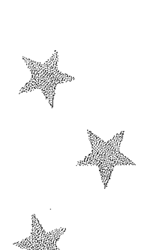
***

هذه هى حفنة من العظماء الذين غبناهم ، وجحدنا فضلهم ، نذكر بعض ماعملوا ، لتؤدى اجيال المستقبل حقهم ، وليرفعوا ذكرهم ، وليذيعوا على الناس خبرهم .





حظوظ وأقدار عند الشعراء القدامى والمحدثين ..



● محمد عبد الغنى حسن ●

● مارايت اكثر ايمانا بالحظوظ والاقدار من شـــعراء العــرب : قديمهم وحديثهم ، جاهليهم واسلاميهم ، مسلمهم ومسيحيهم .. فهى فكرة راسخة التقوا عليها قبل أن يلتقوا على دين .. ولقد أدار شعراء العرب الفـــاظ ((الحظوظ)) و ((الجدود)) و ((المقدار)) و ((القضاء)) على كثير من اشعارهم ، مما يدل على أنهـــا كانت فكرة راسخة وعقيدة ثابتة .

واذا كنا نجد شاعرا اسلاميا تنسك وتزهد بعد لهو وغزل مثـــل « أبى العتاهية » يجعل نقش خاتمه هـــذا البيت المؤمن بحتمية القضاء :

سيكون الذى قضى سخط العبد أم رضى

فانا نجد قبله بأربعة قرون تقريبا ، وفى ذروة العصر الجاهلى ، شـــاعرا جاهليا وثنيا غير ذى دين كتابى ، يؤمن بالقضاء المحتوم ، والقدر المقـــدور ، فيذهب الى قيصر ملك الروم مستعينا به على استرجاع ملكه ومعه صـــاحبه ورفيق دربه : « عمرو بن قميئة » ، فيبكى الصاحب والرفيق تخوفا مـــن المجهول ، ولكن « امرأ القيس » يدفعه ايمانه بالقضاء المحتوم الى الاقبال على السير ، والمضى على الدرب . ويصور لنا هذا الاطمئنان فى ابياته الرائيـــة التى يقول فيها :

بكى صاحبى لمــا رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقـــان ((بقيصرا))
فقلت له : لاتبك عينـــك ، انمـــا نحاول ملكا او نموت فنعــذرا ..

والواقع ان الشـــاعر امرأ القيس ـ ونحن نبدأ به مرحلة الشعر العـــربى فى مسارها الطويل ـ كان مؤمنـــا بالحظ الى حـــد بعيـــد وعنده ان المرء مادام مجدودا ـ أو محظـــوظا ـ فلن يضره العجز ، ومادام محـــروما فلن ينفعه السعى والكد :

عاجز الحيلة مسترخى القـــوى جاءه الدهر بمـــال وولـــد
ولبيب ، آتى ذو مـــــرة محكم الآراء ، مأمون العقـــد
خصـــه الدهر ، وغطى حزمه وانتضـــاه من عديد وسبـــد
لا يضر العجز ذا الجـــد ، ولا ينفع المحروم ايداع وكـــد

وفكرة الايمان بالحظوظ والاقـــدار قد دفعت كثيرا من شعراء الجـــاهلية الى اقتحام الغمرات ، واقدامهم انفسهم على المكاره . فالشاعر ((طـــرفة بن العبد)) يقول فى ايمان بالاقدار :

إذا كان جد المرء فى الشئ مقبلا   تأتت له الأشياء من كل جانب
وإن أدبرت دنياه يوما توعرت   عليه، فأعيته وجوه المطالب

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى   وان اشهد اللذات هل انت مخلدى
فان كنت لا تستطيع دفع منيتى   فدعنى ابادرها بما ملكت يدى

وكذلك كان الشاعر الفارس «عنترة العبسى» ، فقد حمله ايمانه بالمقدور على خوض المعارك مادامت المنية منهلا يرده كل انسان :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى   اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها : ان المنية منهل   لابد ان اسقى بذاك المنهل

وقد رسخ الايمان بالأقدار والحظوظ فكرة الشجاعة عند ابطال الشعراء فى الجاهلية ، كما رسخ فكرة أخرى تريح العليل من التفكير فى العلة، وهي انه لا نفع للدواء اذا حم القضاء. واذا كانت هذه الفكرة قرينة البأس فان فيها راحة لنفوس الأعلاء . وما أصدق الشاعر « ابن احمر الباهلى »، وهو يعبر عن ذلك قائلا :

شربنا وداوينا ، وما كان ضرنا   اذا الله حم القدر الا تداويا

وشر ما جلبته فكرة الايمان بالحظ والقدر، انها قدتكون جنت على أصحابها الشعراء ان يجنحوا الى التواكل وايقاف السعى فى الحياة، وهى جناية تضيع من قيمة العمل فى الحياة . وكثيرا ما حث القرآن على « العمل » حتى لا يتوقف دولاب الحياة. ويمثل هذه الفكرة الشاعر المخضرم «كعب بن زهير» حيث يقول :

لو كنت اعجب من شىء لاعجبنى   سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها   والنفس واحدة والهم منتشر

ومن حسن الحظ أن « البحترى » فى حماسته نسب هذا الشعر المثبط الى شاعر غطفانى غير كعب بن زهير ، فبرأ بذلك ساحة « كعب » من تهمة التواكل فى الحياة ..

وعجيب أن روح التقاعد هذه ، المنبثقة عن فكرة الاطمئنان الى الحظوظ والاقدار ، ظلت تسرى من العصر الجاهلى الى عصر صدر الاسلام فالعصر الأموى ، حتى رأينا شاعرا مثل « عروة بن اذينة » يفد على الخليفة هشام بن عبد الملك ، فينكر عليه هشام قوله :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى   أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
اسعى له فيعنينى تطلبه   ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وترتبط فكرة الحظوظ والاقدار بالرزق منذ العصر الجاهلى ، حتى باتت أكثرما تستعمل مع الفقر والغنى، وان كان ذلك لا يمنع ارتباطها بالعافية والمرض ، والشقاء والسعد ، والقوة والضعف ، والجدة والحرمان . وقد نفى شاعر جاهلى من بنى قريع ان يكون للمرء حيلة فى غناه وفقره ، فما هى الا حظوظ وجدود . وبهذا ينتفى ان يصف الناس الفقير بالعجز ، والغنى بالقدرة .

و « الحظ » فى نظر الشاعر العربى ـ جاهليا كان أم اسلاميا ـ لا يجلب الغنى او يطرده وحسب ... ولكنه يقرب ابعد الأشياء ، ويحسن أقبح المناظر ... كما ان الحظ التعس يباعد القريب ، ويقبح الجميل، وقد عبر عن ذلك الشاعر بقوله :

اذا كان جد المرء فى الشىء مقبلا تاتت له الأشياء من كل جانب
وان ادبرت دنياه يوما توعرت عليه ، فاعيته وجوه المطالب

كما احسن التعبير عنه الشاعر« عبد الله بن يزيد الهلالى » بقوله :

الجد املك بالفتى من نفسه فانهض بجد فى الحوائج أو ذر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدر ، وأبعدها اذا لم تقدر

ويبدو ان الشعراء — وخاصة المحدودين منهم — قد روجوا فى اشعارهم لفكرة ان الحظ الحسن والعقل لا يجتمعان .. ، وذلك تسويغا لما هم فيه من حرمان ، فهم يؤكدون فضلهم وعقلهم بما حصل لهم من لنحس وقلة البخت ! وقد وجدوا من الكتاب من يروج لهم هذه الأقوال ، ويجريها مجرى الأمثال ... فنقرأ — مثلا — مثل هذا القول : من زيد فى عقله نقص من حظه . ونصادف مثل هذه العبارة : ما جعل الله لأحد عقلا وافرا الا احتسب عليه من رزقه ! ومن هنا نجد مثل قول الشاعر :

وخصلة قل فيها من يخالفنى الرزق والحمق ملزومان فى قرن

وقول الآخر :

خاب امرؤ ظل يرجو أن ينال غنى بالعقل ما عاش فى دهر المجانين !!

ثم نتقدم خطوة لنصادف الشاعر الفحل الذى كثيرا ما كانت الأقدار تعاكسه وهو يقول فى كبريائه واعتداده المألوف :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بابعد من ان اجمع الحظ والفهما!

وكان « المتبنى » هنا يقول مع المثل المشهور : ذكاء المرء محسوب عليه..

ولقد ذهب بعض شعراء العربية فى سبيل تقدير « الحظوظ » الى حد تعطيل كل آلة للعمل فى الحياة ، فالسيف ينبو حين لا يساعف الحظ، وقلم البليغ حين لا تسعد المقادير — شبيه بالمغزل .. اى تتجافى عنه البلاغة ، وتزور عنه الفصاحة ، ويخطئه الابداع ...

فهذا شاعرنا « الفرزدق » ، يؤتى الخليفة سليمان بن عبد الملك باسرى من الروم وهو حاضر ، فيأمره الخليفة بان يضرب فى اعناق هؤلاء بالسيف ، ويدفع اليه سيفا كليلا ، فيضرب عنق واحد من الأسرى فينبو السيف ... فيضحك سليمان ومن فى مجلسه من الحاشية ، فيقول « الفرزدق » معتذرا عن نبو السيف فى يده :

لم ينب سيفى من رعب ولا دهش عن الأسير ، ولكن اخر القدر
ولن يقدم نفسا قبل ميتتها جمع اليدين، ولا الصمصامة الذكر

وهذا الشاعر ابو العلاء المعرى يقول :

لا تطلبن بغير حظ حاجة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح ، وهذا اعزل ..

وما أفظع أن يقع انسان بين عجلتى حظ مقبل وحظ مدبر ، فتقرأه فى حاليه اذا كان شاعرا — وتحس بالفرق بين حلاوة الاقبال ، ومرارة الادبار ... وقد حدث هذا للملك شاعر رقيق الحس ، هو « المعتمد بن عباد » . وقد تنبه المستشرق الاسبانى « انخل جنثالث بالنثيا » الى شعر « المعتمد » فى سعوده ، وشعره فى منفاه . وهو موقف يعكس ما بين حالتى السعد

لا تطلبن بغير حظ حاجةً   قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما   هذا له رمح ، وهذا أعزل

والنحس من مفارقات . ولا شك ان الحظوظ السعيدة الحسنة تريش اصحابها ، اما الحظوظ التعسة فتستل النصول من النبال ... ولعل الشاعر « عائد بن حبيب الأسدى » كان يقصد هذا المعنى تمام القصد حين قال :

الا بكرت عرسى على تلومنى   وتزعم انى راكب جمل الفقر
تريش الجدود الصالحات بنيهم   وجدى بسكينيه متبركا يبرى ...

وما أكثر شاعر عربى من الحديث عن « الحظ » ومفارقاته وعجائبه مثلما فعل الشاعران : ابن الرومى ، وابو العلاء المعرى .

فابن الرومى قد عالج « الحظ » فى ديوانه معالجة تؤكد ايمانه به ، وسخطه عليه ، وتسليمه اليه . وظل ايمانه بالحظ الى اللحظات الاخيرة التى كان يودع فيها الحياة . وما أصدقه وهو يقول وهو من أواخر شعره :

غلط الطبيب على غلطة مورد   عجزت محالته عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب ... وانما   خطأ الطبيب اصابة الاقدار

فحين يخطىء الطبيب أو يعجز فما ذلك الا اصابة من « القدر » الذى لا يخطىء ولكنه دائما مصيب .

ولم يبعد ابن الرومى - فى معرض تحدثه عن الحظ - عن رأى الشعراء السابقين الذين جعلوا الجمع بين الرزق والعقل مستحيلا . فالجهلاء فى بلهنية ، وذوو العلم والتجارب فى شظف من العيش :

عزت مطالب دنيا كل ذى ادب   وهان مطلب دنيا الانوك الحلق
وقدر الله فيها ان يذللها   فهان مطلبها للجاهل الحمق
فليس ينفك ذو علم وتجربة   من ماكل جشب ، او مشرب رتق
وذو الجهالة منها فى بلهنية   من مسمع حسن ، او منظر انق
تبارك العدل فيها حين يقسمها   بين البرية قسما غير متفق

ويلح الشاعر ابن الرومى - فى غير موضع - على حظوظ الأغبياء ، وتعس العقلاء ، كما يلح على ارتفاع الأدنياء ، وسقوط الحكماء ... ويلوك المعنى الذى لجأ اليه بعض الشعراء المكدودين المحدودين ، من ارتفاع الجيف فوق الماء ، وهبوط الدرر فى الأعماق ، فيقول فى نسجه الخاص الرائق : -

طار قوم بخفة الوزن حتى   لحقوا غفلة بقاب العقاب
ورسا الراجحون من جلة النا   س رسو الجبال ذات الهضاب
ولما ذاك للئام بفخر   لا ، ولا ذاك للكرام بعاب
هكذا الصخر راجح الوزن راس   وكذا الدر شائل الوزن هابى
فليطر معشر ويعلوا ، فانى   لا اراهم الا باسفل قاب
جيف انتنت فاضحت على اللجـ   ـة ، والدر تحتها فى حجاب
وغثاء علا عبابا من اليم   وغاص المرجان تحت العباب
ورجال تغلبوا بزمان   انا فيه وفيهم ذو اغتراب ..

على أن الذى كان يعزى « ابن الرومى » فى سوء حظه اعتقاده أن الحظ « متنقل » غير ثابت ولا قار ، فقد يبارح الحظ التعس ليحل محله حظ آخر سعيد :

صبرا فكم ناهض من بعد وقعته يوما ، وكم واقع من بعد ما طارا
اذا هوى الدر فى الميزان اصدره تاجا الى قمة العلياء سوارا . . .

و « الحظ » كما يراه ابن الرومى لا يحوج صاحبه المحظوظ الى معاناة او كد أو سعى بل يأتيه وهو وادع ، لم يبذل جهداً ، ولم يحرك قدما ، على حين يتعب السىء الحظ ويشقى، فلا ينال من سعيه أدنى نصيب :

ارى ((الحظ)) يأتى صاحب الحظ وادعا ويعيى سواه ساعيا فيه متعبا
اذا كان مجرى كوكب سمت هامة علاها ، والا اعتاص ذلك مطلبا

على أن الشاعر ابن الرومى خرج من معالجة قضية « الحظ » بمعنى هجائى بديع ، فقد هجا يوما « أبا الصقر اسماعيل بن بلبل » ، فأراد ان يفتن — كعادته — فى اسلوب الهجاء فقال عن مهجوه :

ان ((للجد)) كيمياء اذا ما مس كلبا احاله انسانا . . .
يفعل الله ما يشاء ، كما شا ء ، متى شاء ، كائنا ما كانا !

وهكذا كان « أبو الصقر » مهجو ابن الرومى مسخا من افاعيل الحظ العجيب . . .

***

اما « أبو العلاء المعرى » ، فقد أدار قضية « الحظ » و «البخت » فى شعره على أوسع ما تدار عليه قضية يثيرها شاعر حصيف، محدود مكدود .

و « الحظ » عند المعرى لا يخص الانسان وحده ، بل هو ملابس للحيوان والنبات والجماد . فكلها يصيبها من الجد والحظ اقبالا وادبارا ما يصيب الانسان . ويطيل المعرى الكلام فى قضية الحظ عند الحيوان، فالحظ السعيد يجعل صغير الحيوان كبيراً ، ودنيئه عظيما . « والحظ » قادر ان يجعل أصغر الجراد ابلا كبيرة، كما انه قادر — حين يدبر — ان يهلك النعم والماشية :

((السعد)) يجعل ذرى الدبى نعما والنحس يهلك ما للمرء من أمر

وقد يدرك ((الحظ)) السعيد النبات فيجعله الها معبودا ، كما يدرك الحجر فيجعله الها كذلك يعبد وتقدم له القرابين :

والسعد يدرك أقواما فيرفعهم وقد ينال الى أن تعبد الحجرا
وشرفت ((ذات انواط)) قبائلها فلم تباين على علاتها الشجرا ..

وذات انواط شجرة من السمر كانت تعبد فى الجاهلية ، وقد اشار اليها الحديث النبوى الشريف

ومجمل « الحظ » و « البخت » عند أبى العلاء المعرى انه — اعنى الحظ — جعل الأصنام تعبد ، وانه يجعل التابع سيدا ، وانه يجرىء « الثعالب » « الهجارس » على الاسود فتفترسها ، وانه يجعل المرء عزيز الجانب حتى لتهاب الأسود غنمه . . .

وبالحظ يدعى تابع القوم سيدا وتأكل آساد العرين الهجارس

أرى "الحظ" يأتي صاحب الحظ وادعا ويعيى سواه ساعيا فيه متعبا
إذا كان مجرى كوكب سمت هامة علاها، وإلا اعتاض ذلك مطلبا

من يؤت حظا يبتهج ، ويكن له عز فترهب ضانه الآساد

و « الحظ » كذلك عند المعرى يضمن للبازى رزقه وهو فى وكره ام يبرحه ، كما يضمن للمرء مال عدوه من غير حرص ولا مكر ، ولو نحست قبيلة طيء لالحق « حاتم الطائي » بحي سواها استتماما لقوة السعد والنحس :

اذا سعد البازى البعيد مضاره تادى اليه رزقه وهو فى الوكر
ويحوى الفتى بالحظ مال عدوه على رغمه من غير حرص ولا مكر
ولو نحست طيء لالحق حاتم بحي سواها ، مثل تغلب او بكر

وتمتد لمسات الحظ فى راى المعرى الى « البلاد » نفسها ، فهي تشقى وتسعد كما يشقى الناس ويسعدون ... فهناك بلدة محرومة من الماء لا تناله ولو بالحفر البعيد ، مثل بلدة « كفر طاب » ، وهناك بلدة اخرى مثل « بالس » اغناها نهر الفرات ، عن ان يحفر اهلها بئرا ... :

ارى ((كفرطاب)) اعجز الماء حفرها و((بالس)) اغناها الفرات عن الحفر
كذلك مجرى الرزق : واد بلا ندى وواد به فيض ، وآخر ذو جفر .

وبالطبع لم يفت الشاعر ابا العلاء العاقل المحروم ، والذكى الفاضل المكدود المحدود أن يشير الى قضية استحالة الجمع بين الفهم والحظ الحسن فى قوله :

لا حظ فى الدنيا لعالى همة والوحش الفضل صيدها الأعيار !

***

ولقد تناول شعراء العربية المحدثون والمعاصرون قضية الحظ ، والاقدار ، والسعد ، والنحس من زوايا تلتقي عند شعرائنا القدامى فى الكثير ، ولا تفترق الا فى القليل .. فهذا شاعرنا « محمود أبو الوفا » رحمه الله – يعبر عن ملازمة النحس له ، وآقامته عنده ، تعبيرا ساخرا مريرا حين قال :

لو غسلت الثوب ابغى نشره السمت شمس الضحى لم تطلع
ولو انى تلمس التبر يدى حول التبر ترابا اصبعى !

أما الشاعر المهجرى « نسيب عريضة » صاحب ديوان « الأرواح الحائرة » ، فقد راى الحياة كلها من اسود جوانبها ، وأحلك جهاتها ، نجنح الى نظرية « القدر الظالم » و « القدر الغاشم » ، وملأ اغلب شعره بنغمات البؤس والتشاؤم :

ضاق ذرعا بالاسي الكتيبه ظل فى كتمانه حتى انفجر
فاسمعوا اناته تروي لكم رجع ما ردده صوت القبر
عن ظلام العيش ، عن سجن البقا عن فيافى التيه ، عن ظلم ((القدر)).

ولعل شاعرنا ((احمد شوقى)) اجمل لنا فكرة ((الحظ)) العجيب وقدرته على ما لا يقدر عليه شيء ، كما ركز لنا فكرة الخوارق والمعجزات التى تصنعها ((الحظوظ)) و ((الاقدار)) فى هذه الدنيا العجيبة فى قوله من قصيدته التى نظمها بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافى فى مصر :

و (الحظ) يبني لك الدنيا بلا عمد
ويهدم الدعم الطولى اذا خانا

اسعد الله حظوظكم ايها القراء الاعزاء !

الحظ مظلوم

● عباس محمود العقاد ●

أردت أن أرى الحظ الذى يتطلع جميع الناس الى رؤية محياه .. وجلست فى فترة الانتظار أتخيل كيف يكون مرآه ...

فان قرائح البشر لم تختلف فى تصوير شىء من الاشياء كما اختلفت فى تصوير هذا ((المخلوق)) الذى يمـــلأ جوانب الخيال ...

فمنهم من تصوره فى السماء يتألق فى كوكب النحـوس كمـا يتألق فى كوكب السعود .

ومنهم من تصوره فى صورة فتـاة حسناء ولكنها عمياء او معصوبة العينين تنثر الذهب ذات اليمين وذات الشمال، لا ترى من تجفوه وتعرض عنه ، ولا من تحابيه وتقبل عليه !.

ومنهم من تصوره فى صورة فتى رشيق مجنح الذراعين يجرى على كرة لا يستقر لها قرار ، وتقف به تارة وتنطلق به تارة أخرى الى حيث يريد أو الى حيث لا يريد ...

ومنهم من تصوره فى صـورة مارد عملاق يعطى بغير كرم ويمنع بغير بخل ، على طريقة ابن عباد الذى قيل فيه :

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت
يداه بالجود حتى ساجل الديما
فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما !.

وانى لأفكر واقدر ، وأقابل واعادل ، واتخيل ، واتأمل ، اذا بالباب ينفرج عن منظر عجيب ..

وينادى على :

ـ هذا هو الحظ بين يديك

اى منظر عجب هو هذا الحظ الذى وقف بين يدى ؟.

مخلوق شاحب ناحب، متجهم متبرم، مكبل بالسلاسل والاغلال ، لا يريد أن يرى احدا ، وكل أحد فى هذه الدنيـا يريد ان يراه ...

قلت : « ويحك ... هل قضى عليك أن تخلف كل حساب حتى فى مرآك ؟ »

قال فى ذلة ونقمة : هو نكد الطالع !.

قلت : وما هذه السلاسل والاغلال التى كبلوك بها وانت فى أوهامنا كـــرار فرار لا تستقر بالليل ولا بالنهار ؟..

قال : هو ما ترى !.

قلت على غير قصد منى : جزاء وفاقا، تستاهل !.

قال : وانت أيضا تلقانى بالشماتة ، وترانى اهلا لهذا البلاء الذى أعانيه !.

قلت : ولم لا .. الست تحرم المحروم، وتجود على المجدود ؟.

قال : ما حرمت ولا انعمت الا وانا كما ترى مكبل بالقيود !.

ففكرت قليلا فيما أسمع ، وسألتـه متعجلا : وهل كنت مقيدا بالحديد حين افرغت الذهب على ذلك البخيل صاحب الملايين فاعطيته نمرة المصرف الرابحـة

اربع مرات ، وهو غني عن مرة واحدة منها بما يملك من العمائر والضياع وما عنده من المال والمتاع ؟!

قال : الحمد لله ، لقد هداك الله الآن الى مثل واحد يغني عن جميع الامثال، فلو شئت لعددت لك عشرين قيدا كانت في كل جارحة من جوارحي يوم وصلت تلك الهبات الى ذلك البخيل اللئيم .. واحسب على أصابعك ولا تغلط على في الحساب : فكل رقم من الارقام في دفاتر المصرف قيد لا يفلت منه انسان ولا شيطان ...

فقطعت عليه بيانه قائلا : دعنا من دفاتر المصرف وارقامه ، فما يسالك احد عنها،وانما يسالونك عن تلك الارقام التي تجيلها في صندوق القرعة على هواك، ولا يدري انسان من ضحاياك لماذا تديرها هنا ولا تديرها هناك ؟!

فأجابني وهو لا يتكلف التفكير كأنه قد فرغ من كل تفكير في هذا الموضوع: وهل أنا أدري ؟.

فبادرته متسائلا : ومن يدري اذن ؟.

قال : سل عن تلك الكرات الدقاق قانون الجاذبية الذي يقذف بها هنا وهناك ، ويقيدوني معها بقيود اعسر على طالب الخلاص من قيود الدفاتر والارقام !.

قلت : واليد التي تحركها ؟.

قال : كل قطرة دم في تلك اليد تطيع القلب الذي يدفعها والبنية التي تحتويها ولا تطيعني في كثير ولا قليل !.

فأكرهني كلامه — والحق يقال — على التدبر في صدق مقاله ، وبدت مني صيحة لا اريدها فقلت : مظلوم !.

قال : بل شر من المظلوم ، لان المظلوم قد يجد بين الخلق من يعطف عليه !.

قلت : حسبك عطف السعداء واصحاب الحظوظ ..

فصاح مغضبا : لعنة الله عليهم ، انهم لاقسى على من الاشقياء المحرومين لانهم لا ينالون خيرا الا حسبوه من حقهم بغير منازع ، وزين لهم الغرور انهم قد بلغوه بصدق النظر وصواب الراي ودقة الحساب ... وأنهم لولا بصيرة نيرة تهديهم في كل عمل ، وتعصمهم من كل زلل ، لبذلوا المال في صفقة من صفقات التجارة ولم يبذلوه في ورقة من أوراق النصيب ، أو لبذلوا المال في هذه التجارة الخاسرة

ولم يبذلوه في تلك التجارة الرابحة ... فاذا ربحوا مما يسمونه « حظا » فليس الحظ بمشكور. واذا خسروا منه فالحظ ملعون غير معذور !.. وهكذا يضيع الحظ بين السعداء والاشقياء ، ويخرج محروما مظلوما من هؤلاء وهؤلاء على حد سواء !..

فسبقتني سخرية لا مناص منها في هذا المقام ..

وسألته : فما بالهم اذن يدعونك بصاحب الجلالة أيها المسكين ؟.

قال : هي ملكية مقيدة كما ترى!.

ثم راح يقول متهكما : ملكية مقيدة مع فارق صغير جدا كما قد تعلم لان الملكيات يقيدها دستور واحد . أما أنا ..

واشار الى القيود والاغلال التي تجلله من فرعه الى قدمه ، وتوشك أن تطغى على لسانه وفمه ، وراح يقول : **اما أنا فدساتير العالم كله تقيدني وتقهرني وتجرني وراءها الى حيث تشاء هي لا الى حيث اشاء أنا أو يشاء الناس !.. دساتير الارض والسماء، دساتير الطبيعة وما وراء الطبيعة ، دساتير الغيب والشهادة ، دساتير العقول والاجسام.. وكل ما ترى من هذه السلاسل والقيود ففيه حلقة من حلقات تلك الدساتير ، وفيه رقيب عتيد على هذه الملكية المقيدة بجميع القيود .. ملكية صاحب الجلالة الحظ المحروم من جميع الحظوظ !.**

فما تمالكت أن رثيت للمسكين المظلوم، وتركت الحظ يندب سوء حظه ، ومضيت وانا اقول :

« محروم مظلوم ضائع ، كما قال ، بين السعداء والاشقياء على كل حال !.

عن « الهلال » — ديسمبر ١٩٤٧



● د. عبد الفتاح الديدى ●

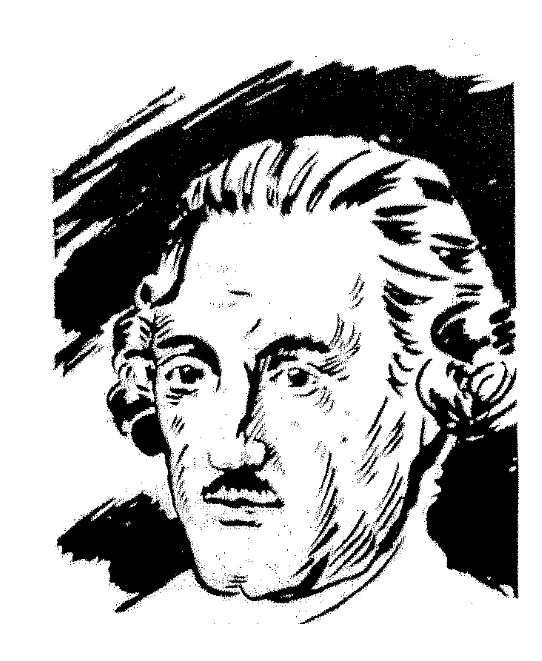
● كتب فريدريك الثانى خطابا الى فولتير سنة ١٧٥٩ يقول فيه : كلما تقدمنا فى السن اكتشفنا أن صاحبة الجلالة المقدسة « الصدفة » تقوم بتدبير ثلاثة أرباع عمل هذا العالم التعيس ! »

وما زلنا حتى اليوم نطلق اسم الصدفة، والحظ ، والنصيب ، والقدر ، والبخت ، والفرصة ـ على آلاف المناسبات وثلاثة أرباع المواقف التى تعرض لنا فى حياتنا اليومية ، على الرغم من كل المدنيات التى عشناها حتى الآن ، وعلى الرغم من التقدم الذى أحرزناه فى مجالات العلوم والمعارف .. ولا نكف عن اطلاق هذه الاوصاف المترادفة على عدد لا حصر له من الوقائع العادية أو الغريبة ذات الطابع الخاص بالنسبة الى أقساطنا من الحظ او التعاسة ومن السعد أو النحس فى وجودنا ..

واعتمادا على هذه الاوضاع المتباينة التى يلمسها الناس فى حياتهم ، عرف الانسان معنى المراهنة . وتطورت المراهنة على مدى التاريخ حتى صارت ثقة بالمستقبل وايمانا بالمصير . وتطورت فى مجالات العلوم حتى أصبحت احتمالا محسوبا . وظهر علم بأسره يعرف باسم حساب الاحتمالات .

وبين العلم والتاريخ اختلف العلماء والمؤرخون حول طبيعة الاحداث وتسلسلها حتى صار موضوع الحتمية والاحتمال يشكل أضخم باب من أبواب علوم الطبيعة والفيزياء وفلسفة التاريخ فى الوقت الحاضر .

والمراهنة تشير الى المخاطرة مع الامل فى أن تدور الدوائر لصالح الشخص . وقد تشير الى الاندفاع نحو هدف ما، مع التسليم بما قد يكمن وراءه من الاخطار .. وهذا يعنى أن الانسان يترك زمام أموره وقياد مصيره أحيانا كثيرة للتوقعات والتنبؤات . وتخضع هذه عادة لاحكام المماثلة أو الاستثناء أو التفرد أو الحساب



فردريك الثانى



فولتير

الرقمى أو الثقة بالله سبحانه وتعالى ٠ فالمراهن الذى يـــلعب « الروليت » أو « البكاراه » أو سباق الخيل يضع اختياره للرقم أو اللون أو العلامة وفقا لتقديرات حسابية فى التكرار ونسبة وقوع العلامة المختارة بناء على حصر دقيق لكل احتمالاتها أى لعدد مرات وقوعها فى الماضى وللمرات المنتظر فيها ورودها مستقبلا ٠٠

مثلا زهر الطاولة له ســتة اوجه ، واحتمال كسب احد هذه الاوجـه الستة يكون بمعدل واحد الى ستة ٠ ومن هنـا اصبح لهذا الوجه درجة احتمال فى الكسب مرة واحدة كل ست مرات نلقى فيها بزهر الطاولة ٠ ولذلك تجـد المراهنـين فى المسابقات الدولية يحتفظـون بمفـكرة يسجلون فيها مرات التكرار لكل لـون احمر أو اصفر أو اخضر أو اسود ، ولكل الارقام الواردة فى الدائرة ٠ ويكاد يصبح التوقع فى بعض المرات أكيدا ٠٠

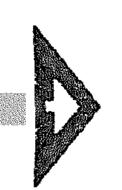
وكذلك الحال فى توقع ميلاد الطفـــل الذكر أو الانثى ٠ فالذكر قد يتكرر وكذلك الانثى مرة بعد مرة ما لم تتغير منسوبات العوامل الوراثية والمخالطة الزوجية ٠٠ ويبلغ العدد الكامل للناسلات عند الذكر حوالى بضعة آلاف ٠ وتحمل الصبغيات أو الكروموزومات هذه الناسلات أو الجينات وسلوك هذه الصبغيات غير المحكوم هـو المصدر الاكبر فى التأثير على نوعية المولود داخل الاسرة ٠

ويقول جان روستان فى كتـــابه عـن الانسان ، ان الصدفة هى التى تقرر كل شىء هنا ٠٠ وتوجد مجموعة من الاسباب المعقدة لهـذه الظـاهرة بحيث يستحيل تحليلها أو معرفة كافة احتمالاتها ٠ ولذلك تزداد الاصفار الواردة الى يمين الارقام فى وصف المعدلات ، وتزداد معها دقة الظواهر والملابسات ودرجة تعقيدها ، مما يدفـع بنا الى التسليم بالامر الواقع فى النهاية ٠

وفى رأى روستان أن هذه الملابســات تشبه الملابسات التى تصاحب القاء قطعة نقود على الارض ٠ واحتمال أحد الوجهين فى كل مرة يعادل ٥٠ ٪ ٠

التاريخ والاحتمال

والصدفة مشكلة أبدية فى علم التاريخ لان المؤرخ يتطلع فى العادة الى تقرير عدد من التكهنات التى تبرر تخميناته بالنسبة الى المستقبل ٠ وازدادت أهمية هـــذا



الموضوع فى مطلع هذا القرن بعد ظهور نظرية كورنوه ، العالم الرياضى الفرنسى ، فى احتمالات القانون العلمى وامكان وقوع الظاهرة فى المستقبل ٠

وأطلق كورنوه صيغة مؤداها أن الواقعة مصادفة بين سلسلتين أو بين نسق كامل واحدى السلاسل ٠ وتخضع كل واحدة من السلسلتين لحتمية صارمة ولكن نقطة الالتقاء بينهما تتحقق بمعزل عن أى قانون ٠ ولم تلبث نظرية كورنوه (١٨٠١ ـ ١٨٧٧) أن استهوت عددا من المؤرخين فى نهاية القرن الماضى ومطلع هذا القرن ٠٠

والواقع ان كل حدث من احداث التاريخ وليد سلاسل عديدة ٠ ولو القينا نظرة على الحرب العالمية الاولى أو الثانية ٠ لوجدناها ناشئة عن أسباب عديدة ٠ ولكن الى جانب الاسباب المعروفة ، هناك دور خاص تلعبه الحروب فى المجتمع الاوربى فى هاتين الفترتين كامتداد للسياسة الاوربية وكثمرة نسق معين من مجموعة الاساليب المتبعة فى الدبلوماسية الساخنة ٠٠ وهذا الموقف هو ما نسميه بالسلوك العدائى الحربى المبنى على أسباب نفسية أو حتى على دوافع جنسية كامنة (كما يقرر البعض) يتم تجسيمها فى المؤسسات القومية داخل اطار المدنية الرفيعة ٠ اما فلاسفة التاريخ من أصحاب الايحاءات البيولوجية فيرجعون بظاهرة الحرب مباشرة الى أصولها وجذورها الحيوانية فى الانسان ٠

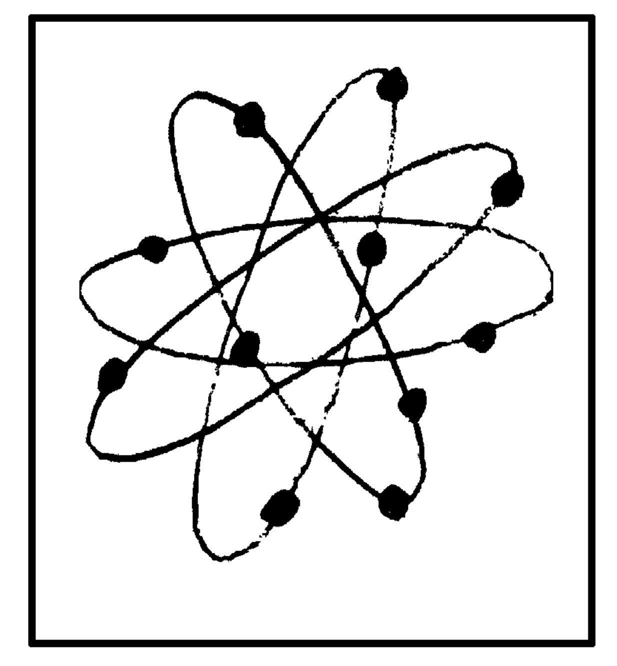
ويعمد المؤرخ عادة الى الأسباب المسلسلة فى وضوح فيبنى منها شكلا منطقيا متكاملا قائما على عدد من الاستدلالات الصارمة ٠ وعندئذ تختفى ملامح العشوية أو المصادفة المطلقة كما تختفى أيضا ملامح النظام المترابط فى صورة محكمة مطلقة ٠

ويعيد المؤرخ رؤية التطورات المعهودة فينسج المصير بناء على رؤية لجوانب الاشكال وبصيرته فى النفاذ الى أسرار الموقف ، ويبدو الحدث المعين عرضيا بالنسبة الى عدد من المقدرات السابقة والشواهد المتقدمة ، ويبدو جوهريا بالنسبة الى عدد من الدلالات البارزة ٠ ومن ناحية يصبح ذلك الحدث المعين مصادفة عند التقاء الوقائع الحديثة المتواترة فى صورة متتابعات أو مسلسلات ، ومن ناحية أخرى يصبح ترتيبا غائيا عقليا عند العثور على نظام محكم مقبول على المستويات الأعلى ٠

ونجد نموذجا للسبب العام فى وقوع الحرب فى كتاب جاستون بوتول عن ظاهرة الحرب التى يقرر فيها من وجهة نظر المؤرخ الاجتماعى أو الباحث فى فرع الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ان الحرب وظيفة اجتماعية شأنها شأن الموت والشيخوخة والمرض ٠ فالحرب فى نظره ظاهرة اجتماعية دائمة بدوام المجتمعات وعامة ومنتظمة الحدوث ، وبالتالى لا تمثل أى شذوذ ٠

ومن نفس هذا المنظور العلمى يقرر ريمون آرون فى كتابه السلام والحرب بين الامم سببا خاصا مباشرا لوقوع الحرب العالمية الثانية ، وهو الشعور الناشىء عند بعض الساسة بعدم وجود أنداد لهم أو قرناء على مستوى البلاد الأخرى الاجنبية ٠ فالشعور بالتميز على الأقران الذين يحتلون نفس المواقع فى الدول الاجنبية والاقتناع بأنهم ليسوا أقرانا حقيقيين وعدم الاعتراف بالشخص المماثل أو الند فى البلاد الأخرى ، هو أحد الجذور الاجتماعية والنفسية على السواء التى تظل تخلق الحواجز بين الجماعات حتى ترتفع يوما الى السطح فتؤدى مباشرة الى الحرب ٠٠٠

ونتكلم فى العادة عن المصادفة فى التاريخ عندما نفكر مباشرة فى نمط معين من الوقائع الطبيعية الذى يعترضه فاصل متقطع بسبب هزات ارضية أو



مرض مفاجىء أو ظروف مناخية معطلة، وكذلك عندما نتدبر عدم التجانس أو التساوق بين الاسباب والمسببات (كالقشة التى تقصم ظهر البعير) أو عندما يقود شخص عظيم مسار التاريخ ويتملك أزمة الأحداث المصرية • فالأمور التى تمضى بكثافة زمانية نحسبها دائما طبيعية وجوهرية وغائية • وما يبدو لنا عرضيا وعابرا وجزئيا من الاحداث نطلق عليه اسم المصادفة •

وتعنى الحتمية أن الارادة لا يمكن أن تغير هذا العنصر أو ذاك من عناصر الواقعة ولا تملك حولا أو قوة أمام عجلة الزمن • وفى الحتمية تترابط كل الأحداث بعضها بالبعض الآخر كأنها سلسلة متشابكة من الحلقات • ومن يسمى بالعظيم انما يعبر عن مجموعة أو عن كيان أو عن عصر برمته • ويلتقى فعل الغزاة والفاتحين بضرورة تاريخية وبمصير انسانى • ولعلنا لا نخطىء كثيرا من هذه الناحية عندما يجرى على لساننا كلام مؤداه أن العصر لا يجد من يمثله • أو نقول أحيانا ان هذه الحقبة لا تلقى من يستجيب للمسئوليات التى تفرضها • أو نقول هل كانت الامور قد سارت على نحو ما تمضى لو كان شخص آخر فى موضع المسئولية ؟

ومعنى هذا أننا نخلط بين الأحداث التاريخية والموضوعات الاجتماعية التى تتمثل لنا فى شكل مهام من صميم أوضاع المجتمع • أو بعبارة أخرى غالبا ما نجهل الفرق بين السبب التاريخى وبين الظواهر الاجتماعية • وبالتالى لا نملك القدرة على تحديد السبب التاريخى الخالص • ولكن يظهر أيضا من ناحية أخرى أننا تعودنا تصور الأسباب التاريخية على نحو ما نتصور ترتيب الوقائع فى حياة كل يوم كأن نضغط على زر فيضاء المصباح أو نحك الثقاب فيشتعل • ولكن هذا التصور السببى المعزول أبعد ما يكون عن تصوير الواقع الجارى فى باب التاريخ •

والمهم هنا هو أن هذا المبحث يقود الى الكشف عن المقومات الاجتماعية التى تدخل فى تكوين ما نسميه بالتاريخ ••• وأصدق تعبير فى تعريف علم الاجتماع هو أنه العلم الذى يبحث تأسيس وتأصيل القوانين أو يبحث تحديد ترتيب الاحداث فى حين يحرص التاريخ على سرد الوقائع فى تسلسلها الفريد • وبالتالى يصبح علم الاجتماع بحثا لاستخلاص العلاقات العامة بين وقائع التاريخ وهذا هو أساس علم الانثروبولوجيا الاجتماعية •

العلم الطبيعى والمصادفة ••

يمكن أن يقال بصفة عامة ان الهدف الاساسى من العلم هو معرفة الواقع الحقيقى من أجل استيعاب الأسباب والنتائج استيعابا يسمح بتأسيس قوانين التوقع أو التنبؤ بما سوف يجرى به المستقبل • وتبغى المعرفة العلمية اقامة القوانين بشأن ما يتكرر

من الأحداث حتى لا تفاجئنا الأحداث بغير المتوقع • ولذلك تخللت الفيزياء الحديثة والمعاصرة محاولات ضخمة من أجل تحويل التجارب الى صيغ رياضية وتصوير الظواهر فى قوالب حسابية • وقد دلل باشلار فى كتابه عن الروح العلمية الحديثة على أهمية الصياغة الرياضية لموضوعات العلم المعاصر •

وما دمنا قد سلمنا بأن العلم يهدف الى تحقيق معرفة تقريرية عن الواقع من أجل الحصول على الصدق ، فمن المستحيل استبعاد درجة يقين معينة بالنسبة الى هذه المعرفة • أعني يستحيل أن نفصل المعرفة العلمية عن تصيب معين من الصدق وبالتالى لا يمكن أن يصدر حكم من الاحكام العلمية بدون صفة تقريبية لطبيعة هذا الحكم • وهذه الصفة هى ما نسميه جهة الحكم • فلكل حكم جهة •• اما أن يكون تقريريا أو ان يكون ضروريا ، أو أن يكون احتماليا ، الى آخر سلسلة الجهات فى الاحكام التى يلصقها المناطقة عادة بالاحكام المنطقية •••

وأقوى الاتجاهات المنطقية المعاصرة على الاطلاق هو المنطق العضوى الذى أسسه رينيه بواربيه استاذ المنطق بالسوربون فى الخمسينات والستينات من هذا القرن • ويرتبط المنطق العضوى ارتباطا وثيقا بالاحتمال العلمى فى الوقت الحاضر • وهو قائم أساسا على مفهوم الجهة فى الحكم كاشارة الى درجة احتمال الوصف العلمى للاحداث والظواهر •

وما نسميه بالمصادفة يكمن غالبا فى الاصفار اللانهائية التى تتشكل وراء العقل • او كما يقول مارسيل بل ((بضم الباء)) فى كتابه عن يقين المصادفات ان الصدفة تكمن فى الغالب فى مقدار جهلنا بالارقام ، وفى مدى الاهمية التى تكون للعوامل المعقدة التى يصعب تقويمها وتقديرها فى بعض الظواهر •

والافضل — فى رايه — هو ان نضع التنبؤات ذات التقدير الاحتمالى محل اليقين غير المؤكد وأن نحرص على أن نشير الى هذه التنبؤات باقصى مانستطيع من التقدير العلمى الصحيح • ولسوء الحظ اننا كما يقول مارسيل بل نحول تفكيرنا فى المصادفة الى نوع من الاعتقاد الصوفى ، وهو ما لا يقل سوءا عن التفكير الحتمى الصارم •

ويقدم لنا مارسيل بل نموذجا حسابيا للصدفة من لعبة «البيلوت» الفرنسية بأوراق الكوتشينة ، فيقول انها لعبة تعتمد على فكرة الحصول على اكبر عدد ممكن من أولاد « الكوتشينة » الاربعة الذين نضمهم الى ٢٨ ورقة «كوتشينة» أخرى مختلفة ، فيكون مجموع الاوراق ٣٢ . ويتم خلط الاوراق وتفنيطها جيدا حتى تتعادل الفرص بين اللاعبين واللاعبات . وعندئذ تصير درجة احتمال سحب الولد من بين أوراق «الكوتشينه» ٤ على ٢٨ أى الثمن أو (١٢٥ر٠) ودرجة الاحتمال تلك تساوى ٥ر١٢ ٪ أما درجة احتمال سحب أية ورقة « كوتشينة » من غير الاولاد فهى ٢٨ على ٣٢ أى ٧ على ٨ أى (٨٧٥ر٠) فتكون فرصة سحب أية ورقة أخرى غير الاولاد تعادل نسبة ٥ر٨٧ ٪ •

وينسحب مانقوله هنا عن ((الكوتشينة)) على معظم وقائع العلم الطبيعى • غير ان العلم الطبيعى أو الفيزياء لا تنظر الى الحتمية على نحو ما تنظر اليها الفلسفة او التصوف . ولا يتوفر مفهوم الحتمية فى نظر العالم الطبيعى لوى دى بروى مكتشف الميكانيكا التموجية فى ثلاثينات هذا القرن ، الا اذا استند العالم الى امكانية التنبؤ الاكيد بالظواهر المستقبلة . فتكون هناك حتمية فى نظر عالم الفيزياء اذا سمحت معرفته السابقة او الحاضرة ومعرفته بقوانين الطبيعة بان يتنبأ بصورة أكيدة بان هذه الظاهرة أو تلك سوف تحدث فى لحظة قادمة ••

غير أن هذا التعريف صار يمثل صعوبات كثيرة كما يقول لوى دى بروى فى كتابه عن المتصل والمنفصل فى الفيزياء الحديثة . اذ لما كان فى الطبيعة احتكاك كونى بحيث يمكن أن تؤثر حركة أبعد الكواكب عن الارض على حركة ابسط الذرات فى الجسم المادى صار التنبؤ الأكيد باحدى الظواهر المستقبلة يستلزم مبدئيا معرفة شاملة بالوضع الحاضر للكون بأسره وهو أمر مستحيل التحقيق . ولم يكن فى الفيزياء القديمة اى اعتراض على مبدأ التنبؤ بالظواهر المستقبلة . ولهذا كان من المقبول أن نفكر تفكيرا حتميا فى الفيزياء قبل انتشار وازدياد معارفنا عن الظواهر الكمية أو الكوانتا . أما بعد ظهور فيزياء الكوانتا وامكان دراسة ظواهر العالم الذرى حيث تتكشف مجالات الكوانتا فقد اكتشف العلماء استحالة دقة المعطيات الضرورية للتوقعات القطعية التى تتحول فى النهاية الى أرقام وراء العقل .

وفى هذا المجال ظهرت احتمالية الظاهرة فى فيزياء هايزنبرج . وبفضل تحليلاته وتحليلات نيلز بوهر حول الميكانيكا التموجية أمكن فتح مجالات جديدة أمام التفكير الفيزيائى المعاصر . وتوالت بعدئذ الميكانيكا الكمية والميكانيكا التموجية عند لوى دى بروى وشرودينجر ونظرية الالكترون الفقارى أو الحلزونى عند ديراك ، فضلا عن نظرية الفوتونات لأينشتاين قبل ذلك سنة ١٩٠٥ .

كل هذا أدى الى احداث تغييرات يسمونها بلغة العلم انقلابات فى الميكروفيزياء أو الفيزياء المجهرية المعاصرة . ولم يعد الجسيم شيئا محددا فى الزمان والمكان وصار امكانية محتملة باستمرار . وادت تفسيرات بوهر وهايزنبرج الى رد كل الفيزياء الى باب الاحتمال وأسبغت مفهوما جديدا على معنى العلم .



والخلاصة ان قوانين العلم أبعد ماتكون اليوم عن أن تأخذ شكل الضرورات المنطقية . انها مجرد مستخلصات من التجربة أو مجرد احتمالات . وليس هناك ما يدفع الى التشكيك فى قوانين الطبيعة ولكن من المؤكد ان هذه القوانين لا تماثل الضرورات العقلية فى شىء . وبالتالى لا يمكن تفسيرها او تعليلها .. ولهذا اصبحت الفيزياء اليوم مجالا لتاسيس قوانين الطبيعة لا أكثر . .

وبين الطبيعة وسير الاحداث التاريخية ــ على كل ما فحصناه من هذه وما عشناه من تلك ــ ما زلنا نحبو فوق ارض لا هى بارض اليقين ولا هى باعماق الظنون .. وقد تدور العجلة دورة فى لحظة ونحن على مشارف الحضارة فنعود اعقابنا فى ضربة حظ الى مشارف ما قبل التاريخ . وننعم من جديد بالشعور بيقين المستقبل بين أزميل من حجر وكأس من فخار فى كهوف وسراديب المجهول ... الامل وحده فى الله ..

●

التنجيم ما هو؟

● محمد الحديدى ●

● لكي نحاول الاجابة عن هذا السؤال ، يجب أن نبدأ بتصور لأوضاع الفضاء والاجرام السماوية ، أو بشيء من انعاش الذاكرة حول هذا الموضوع ...

كما هو معروف ، نحن نعيش على كوكب كروى الشكل تقريبا ، وهو أحد توابع الشمس المعروفة ((وعددها حتى الآن تسعة)) .. كل هذه الكواكب تدور حول نفسها ، وبذلك فهناك ليل ونهار فى كل منها ، كما أنها تدور حول الشمس ، والسنة فوق كوكبنا هى الفترة التى تستغرقها الارض فى دورانها حول الشمس ..

وكل هذه الكواكب تتحرك فى مستوى واحد ((ما عدا آخر كوكب تم اكتشافه وهو بلوتو فهو يتحرك فى مستوى مائل قليلا ، وهذا هو السبب فى شك الفلكيين فى حقيقته) فلو تصورنا الشمس كرة فى حجم كرة ((التنس)) مثلا ، تطفو فوق سطح الماء فى حوض فان الكواكب ستكون جسيمات صغيرة تسبح فوق سطح الماء هى أيضا وتدور حول كرة ((التنس)) ، وفى نفس الوقت تدور كل منها حول نفسها (محور دوران الارض ليس راسيا تماما بالنسبة للمستوى أو ((سطح الماء)) هذا ، فهو مائل ٢٣٫٥ درجة ، وهذا هو السبب فى اختلاف طول النهار والليل على مدى السنة ، وهو ايضا السبب فى الفصول ولكن هذا موضوع آخر) .

الشمس نجم قريب جدا منا ، وهو ايضا نجم متواضع جدا ، فهناك نجوم يصل حجمها وكتلتها الى ما يساوى حجم الشمس وكتلتها آلاف الملايين من المرات ، ولو كان كل شيء فى الكون متناسبا فلعل لمثل هذه النجوم توابع هى ايضا ، واذا كان فيها سكان فالافضل أن نكون نحن متواضعين بقدر تواضع الشمس .

الذى يعنينا من هذا الآن هو أن أى انسان يقف على سطح الارض وينظر الى السماء فى الليل سوف يراها مرصعة بالنجوم ، ولكنه مهما كان عاشقا ولهانا ، فانه لن يستطيع أن ينفق الليل فى عدها ، ليس لانها كثيرة ، أو ليس هذا فقط ، ولكن لسبب أهم ، هو أنه كلما انفق وقتا فى العد كانت الارض قد استدارت قليلا ، مما يؤدى الى اختفاء بعض النجوم (التى ((تغرب)) أو تختفى وراء الافق من ناحية الغرب) وظهور البعض الاخر (الذى ((يشرق)) أو يطلع فوق الافق من ناحية الشرق) فالارض فى دورانها الدائم من الغرب الى الشرق تجعل كل فرد على ظهرها ، فى **أى مكان ، يرى صفحة السماء فى حالة تغير مستمر ، الا أنه تغير بطيء ، والدورة الكاملة تتم فى يوم وليلة ، ولكن**



● إن أى انسان يقف على سطح الأرض وينظر إلى السماء فى الليل سوف يراها مرصعة بالنجوم ، ولكنه مهما كان عاشقاً ولهانا فإنه لن يستطيع أن ينفق الليل فى عدّها ، ليس لأنها كثيرة ، ولكن لأنه كلما أنفق وقتاً فى العدّ كلما كانت الأرض قد استدارت قليلاً ، وتغيّرت مواقع النجوم .

هذا التغير لا يزال ملحوظا ، فانت ترى القمر فوق الافق ، وبعد ساعة مثلا تجده قد ((صعد)) ، هذا نتيجةدوران الارض ، نفس الشيء بالنسبة للنجوم ، فهى تشرق وتغرب بصفة دائمة مع دوران الارض ، وهذا يحدث طوال الوقت ، نهارا وليلا ، واذا كنت لا ترى النجوم فى عز الظهر فهذا لا يعنى بالضرورة انك عاقل ، فهى موجودة فى عز الظهر ، ولكنك لا تراها لان ضوء الشمس القريبة منا يطمس لمعان النجوم ...

كل جسم من الاجسام السماوية يشرق ويغرب ، فقط نحن الذين نقصر الشروق والغروب على الشمس لما لها من اثر عظيم على حياتنا اليومية وعلى تكويننا البيولوجى ، وربما علىحظوظنا أيضا ، من يدرى ؟

وكل انسان على ظهر الارض ، مهما كان المكان الذى يعيش فيه ، تأخذه الارض فى دورتها الكاملة ليواجه كل هذه النجوم التى تقع فى نطاق واحد يلتف حول الارض ، (بما فى ذلك الشمس طبعا وكوكب القمر) وهىذات النجوم التى نراها نحن هنا والتىيراها من يعيش فى سيبيريا أو الاسكا أو الارجنتين ، اما ايها يواجهنا فى الليل وايها يواجهنا فى النهار ، فهذا بطبيعة الحال ، يتوقف على المرحلة التى نحن فيها بالنسبة للسنة ، لان الليل والنهار ناتجان عن حركة دوران الارض فى مواجهة الشمس ، وحركة دوران الارض حول الشمس ستؤدى الى اختلاف أزمنة شروق وغروب هذه النجوم بالنسبة لكوننا فى الليل او النهار .

واذا اردنا ان نتخيل هذا بصورة اوضح فلنرجع الى حوض الماء ، الكرة الارضية سابحة على السطح ، وكذلك الشمس وجدران الحوض مليئة بنقط بيضاء تمثل النجوم المتناثرة فى اعماق الفضاء وحولهما ، والان ،مع دوران الأرض فالنجوم تظهر من فوق الأفق فى الشرق ، ثم تغرب فى الغرب ، واى مشاهد على الأرض سيرى منها ما يشرق اثناء الليل ولن يرى ما يشرق اثناء النهار ، وعندما يهبط الظلام فانه سيرى فى الحال ما يكون منها ظاهرا فى مواجهة الأرض فى النصف الذى يعيش هو فيه ، والذى لم يكن ظاهرا له منذ ساعة بسبب وجود ضوء الشمس .

ما يرى فىالليل وما لا يرى فى النهار يختلف طوال السنة حسب موضع الارض فى سباحتها حول الشمس ومواجهتها لها من كل الجوانب مع بقاء النجوم ثابتة فى صفحة السماء ، وهى بالطبع ليست ثابته ولكنها بعيدة جدا وحركاتها لا تظهر لنا بسبب المسافات الشاهقة التى تبعدها عنا .



الابراج

اذا رجعنا مرة ثانية الى حوض الماء وتخيلنا جدرانه دائرية أو أسطوانية فانه فوق وتحت مستوى الماء يمكننا ان نحدد نطاقا مستديرا يحيط بالارض (ومعها الشمس والقمر) هذا النطاق يكون دائرة كاملة فيها ٣٦٠ درجة ، اذا قسمناه الى اثنى عشر قسما (كل منها

٣٠ درجة » فان النجوم ستنقسم الى مجموعات ، الى اثنتى عشرة مجموعة ، كل مجموعة تقع فى قسم ، هذه الاقسام هى ما يسمى « الابراج » ، الحمل ـ الثور ـ الجوزاء ـ السرطان ـ الاسد ـ العذراء ـ الميزان ـ العقرب ـ القوس ـ الجدى ـ الدلو ـ الحوت .

هذا الاختيار عشوائى ، اذ ليست هناك اى رابطة بين مجموعات النجوم هذه ، ولو تصورنا اننا نثرنا بضع حبات من القمح فوق فرخ كبير من الورق ثم قسمناه أقساما متساوية لخرجنا بأشكال مختلفة لبذور القمح ، فتقسيم الابراج ليس الاتقسيمالصفحة السماء الملتفة حول الارض الى أقسام متساوية ، هذه الاقسام تظهر فيها مجموعات من النجوم أطلقت عليها هذه الاسماء لاسباب غير معروفة ، ربما تجد الجوزاء مستحقة لهذا الاسم مثلا من حيث أن فيها نجمين متزاوجين ، وربما كان للعقرب ذيل يتكون من مجموعة نجوم على خط منحنى ، ولكن هذه الاسماء لا تعنى أشيئا . والواقع ان التقسيم الى ابراج يرجع الى ايام البابليين واهتمامهم بالسماء ، ومنذ هذا الحين حتى الآن قد مال محور دوران الارض قليلا وبالتالى فان أعضاء الابراج قد تغيرت قليلا هى أيضا، وهكذا فانه على مدار السنةتختلف **مجموعة النجوم التى يتفق شروقها مع**

شروق الشمس ، عندما تظهر الشمس عند الافق فانه يبدو وراءها (او على الاصح لا يبدو وراءها ، لانها تحجب النجوم) مجموعة نجوم معينة ، فاذا بدا لنا قرص الشمس واقعا فىالمساحة او المجال او الجزء من الافق الذى يظهر فيه برج الحمل ، فعندئذ يقال ان الشمس فى برج الحمل ، والشمسدائما فى برج الحمل اعتبارا من ٢١ منمارس الى ١٩ من ابريل من كل سنة ،وذلك طبقا لموضع الارض بالنسبة للشمس

وعندما يقول شخص ((انا حمل)) فان هذا لا يعنى انه يصف نفسه بالتخاذل او انه ((خروف)) ، هذا يعنى أنه ساعة ولادته كانت نجوم برج الحمل، او منطقة برج الحمل المعروفة باشكالها، فى لحظة ((الشروق))، وهذا بالطبع قد يكون فى اى ساعة من الليل والنهار.

والفارق بين التنجيم « العلمى » ـ ان جاز أن نقول ذلك ـ وبين مسالة البخت » التى تراها كل يوم فى الصحف تضع البشر كلهم فى اثنتى عشرة زكيبة ، وتتنبأ بما سيحدث لكل زكيبة هذا اليوم ، الفرق بين الاثنين هو أن الاول يأخذ فى اعتباره برجالشخص، أىالبرج الذى كان يشرق ساعة ولادته، وهذا يختلف باختلاف المكان والزمن الذى ولد فيه هذا الشخص ، اما الثانى فلا يهتم الا بالبرج الذى كانت فيهالشمس اثناء حوالى ثلاثينيوما ولد اثناءها .

يمكننا تماما أن نتجاهل هذا الموضوع ونعتبر اعمدة « حظك اليوم » او كائنا ما كان اسمها والتى تنشرها الصحف كل يوم ، نعتبرها شيئا يلحق بماذا تأكل اليوم ، فليس من الضرورى ـ وفى كثير من الاحيان ليس من الممكن ـ ان

● ما يُرى في الليل وما لا يرى في النهار يختلف طوال السنة حسب موضع الأرض في سبحتها حول الشمس وموجهتها من كل الجوانب مع بقاء النجوم ثابتة على صفحة السماء . وهي بالطبع ليست ثابتة ولكنها بعيدة جدا وحركتها لا تظهر لنا بسبب المسافات الشاسعة التي تبعدها عنا .

تأكل الطبق الذى يقترحونه عليك وليس من الضرورى أن تصدقهم فى موضوع ((البخت)) وان وجدت هذا وذاك موضوعاً مسليا فلا باس .

وهكذا فلكل شخص برجان :

١ ــ البرج الذى كانت الشمس فيه فى الايام التى ولد فيها .

٢ ــ البرج الـذى كان يشرق فى اللحظة التى ولد فيها . (ونكرر انه لا يهم ما اذا كان هذا ليلا أم نهارا فكوننا لا نراها لا يدل على أنها لم تشرق) .

فاذا اتفق ان ولد شخص ساعة شروق الشمس فهذا ((يفقده برجا)) ويصبح ببرج واحد فقط هو الذى كان يشرق ساعة مولده ومعه الشمس طبعا .

ويجوز لنا هنا أن نلاحظ أن المسألة كلها من وجهة نظر مشاهد على الارض فهذه الابراج بعيدة جدا جدا عنا وعن الشمس ولا علاقة للشمس بها ، بل أنها هى نفسها بعيدة جدا عن بعضها البعض وقد يكون الكثير منها قد اندثر منذ ملايين السنين ولكن بعد المسافة هو الذى يجعلنا نراها للآن .

الفلكى الحقيقى

المنجم ، بمعنى هذه الكلمة ، هو الذى يجرى ما يلى :

١ ــ يحسب مكان وساعة وتاريخ مولدك .

٢ ــ يعيد حساب الزمن ليصبح صحيحا من الناحية الفلكية . وانت عندما تنظر الى ساعتك وتقول ((سبعة الا عشرة)) فهذا بعيد جدا عن الحقيقة مهما كانت ساعتك مضبوطة . فهناك تصحيح يأتى من عدم انتظام دوران الارض حول الشمس ، فهى لا تسير على دائرة وانما على منحنى (القطع الناقص كما يسمى) وهو الذى تراه عندما تمسك سكينا كبيرا وتقطع خيارة بالسكين مائلا ــ اى ليس عموديا) ، ثم هناك تصحيح نتيجة اننا نعد اليوم ٢٤ ساعة من باب التسهيل ، ولكنه ليس كذلك من وجهة نظر مشاهد بعيد ــ يعنى من وجهة نظر الكون ــ وذلك لأن الارض عندما تكون قد دارت ٣٦٠ درجة حول نفسها ، تكون قد انزاحت ايضا ولابد من ((زقة)) صغيرة أيضا لمن يقف على ارض لكى يجد نفسه يواجه الشمس كما كان فى اليوم السابق . ثم هناك تصحيح للوقت المحلى ، وهو ((مراعاة فروق التوقيت)) كما فى الصلاة وفى الافطار والتى تنتج عن توحيد التوقيت بالنسبة لمناطق باكملها ، فتوقيت القاهرة هو توقيت السلوم ولكنه ليس كذلك فلكيا .. الخ .

٣ ــ من هذه البيانات ، يوجد ((البرج)) او علامة الـ ((زودياك)) ، من ذلك يعرف انك ولدت فى اللحظة



التى كان فيها « الدلو » يظهر فوق الافق ، وهذا على سبيل المثال فقط دون ان نقصد اى اساءة

٤ ــ ثم يوجد البرج الذى كان فى منتصف المسافة بين الشروق والغروب اى فوق الرأس بالضبط فى المكان والساعة التى ولدت فيهما .

٥ ــ ثم يحدد مواضع الشمس والقمر ، والكواكب على هذه الخارطة التى اصبحت الان تمثل ما يسمى « اوروسكوب » أو « المنظار الزمنى» الخاص بك أو بأى شخص آخرولايمكن ان يشترك فيه اثنان ولو كانا توأمين!

حتى هنا الموضوع علمى جدا ، لايستطيع اىعالم فلك أن يعترض عليه أما ما يبنى على ذلك فهذه مسألة أخرى ..

الشخصية والمستقبل

هناك أشخاص مغرمون بهذا الموضوع الى حد انهم يعرفون أصدقاءهم بأسماء أبراجهم ، هذا « ثور » وهذا « دلو » وهذا « عقرب » ... الخ ، وكل واحد من هؤلاء له طباع معينة أو شخصية ، الى آخر هذا الهذيان .

هذا ــ كما سبق ــ ليس موضوعنا موضوعنا هو ، هل صحيح ان الاوضاع الكونية لها تاثير على كل مايحدث على الأرض ؟ بما فى ذلك شخصية المولود ؟ بل والمهنة التى سيشتغل بها ؟ ومستقبله .. ، الخ ؟

الجاذبية اهم ظاهرة فى هذا الكون وهى قانون عالمى ، بمعنى الكلمة ، لا استثناء منه ولا مفر ، وكل جسم فى هذا الكون يجذب كل جسم آخر بقوة تتناسب مع كتلة كل منهما ، وتتناسب عكسيا معمربع المسافة بينهما والارض تجذب كل واحد منا وهذا هو ما يجعل له « وزنا » ، ولذلك فان جاذبية الاجسام لبعضها البعضلايظهر اثرها وذلك بسبب تغلب جاذبيةالارض

ولكن بقية الاجسام السماويةتجذبنا ايضا ، وبصفة خاصة الشمس ، والقمر والكواكب ، واكثرها تأثيرا على الارض هو القمر ، رغم أنه صغير الحجم جدا بالنسبة للشمس ، وأصغر كثيرا من الكواكب ، الا ان قرب المسافة بينه وبين الارض هو الذى يجعله يجذب ماء المحيط فيسبب المد والجزر ، ويجذب الغلاف الجوى مؤثرا على الضغط الجوى ... الخ .

ولكن الفلكيين ــ والمقصود هنا المنجمون ، فالآخرون « علماء الفلك » ــ ينسبون الى هذه الاجسام أثرا على الحياة فى الارض يصعب على الانسان العادى ان يتصوره ، خاصة والتاثيرات التى تنسب للكواكب لاتقتصر على فعل الجاذبية ، وان كان هذا نفسه مشكوكا فى اهميته لبعد المسافة ، بل ان التاثيرات تتخذ أشكالا وافكارا ميتافيزيقية ، وابتداء من هنا ، فان ما يقول به الفلكيون العالميون من أن التنجيم علمٌ ، يبدأ فى فقدان قدرته على الاقناع .

هذا الذى يقولون به مجرد معتقدات تقليدية ، وسيلتهم فى اثباتها أغلبها « احصائى » فالذين يولدون والمريخ فى وسط السماء يصبحون أطباء ، هكذا بصرف النظر عما سيصادفههذا المولود فى مستقبله بما فى ذلك مكتب التنسيق . مسألة المهن هذه أجريت عليها تجارب كثيرة فى اوربا وامريكاوهم يقولون انهم ياتون بال « اوروسكوب » الخاص بعدد من الناس ويعطونها

● الفارق بين التنجيم "العلمى" وبين مسألة "البخت" هو أن الأول يأخذ فى اعتباره برج الشخص ، أى البرج الذى كان يشرق ساعة ولادته ، وهذا باختلاف المكان والزمن الذى ولد فيه هذا الشخص ، أما البخت فلا يهتم إلا بالبرج الذى كانت فيه الشمس خلال ثلاثين يوماً ولد أثناءها .

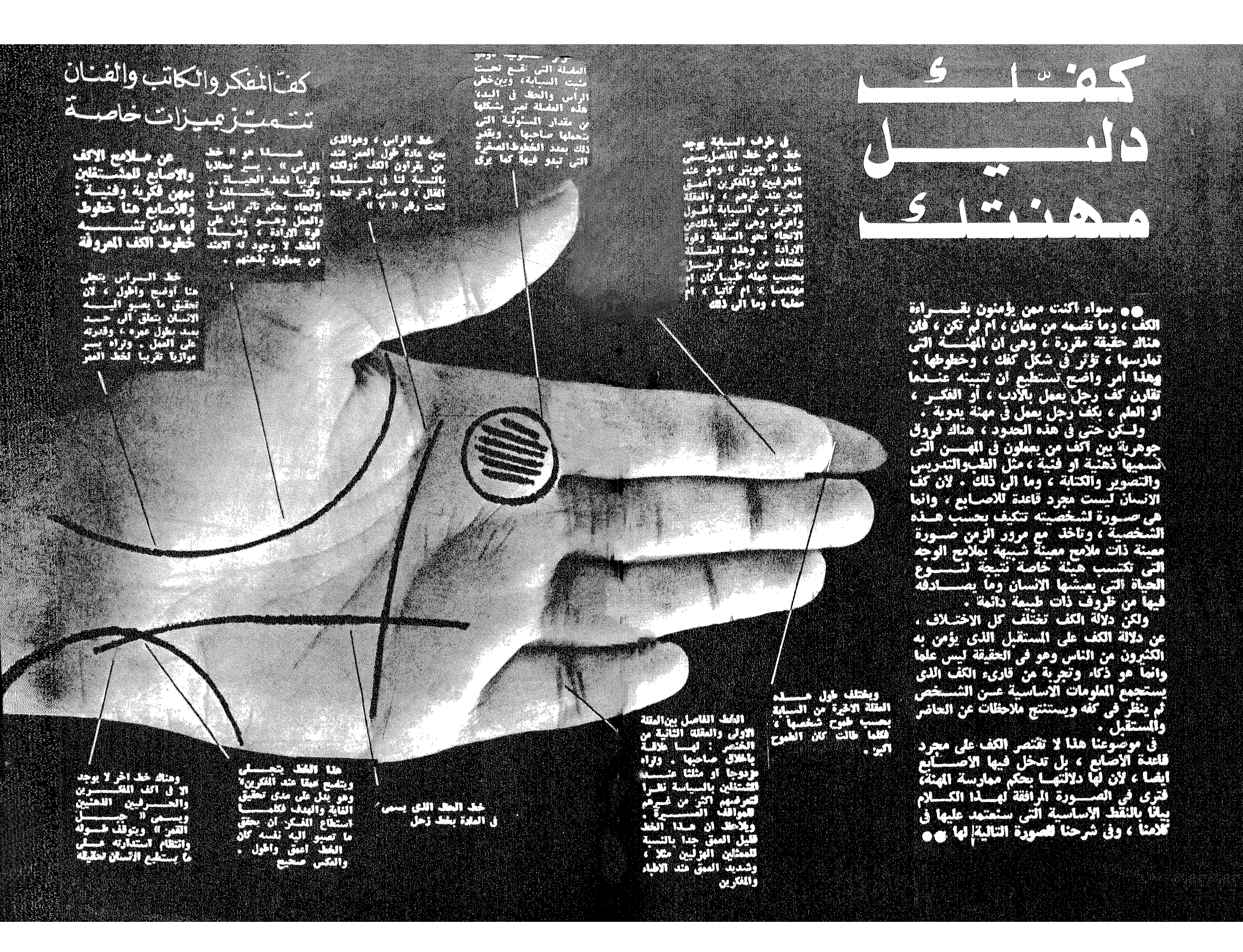
للفلكيين الذين يحددون مهنة كل واحد منهم بنسبة نجاح عالية . لو حدث هذا امامى مليون مرة لقلت أنها مليون صدفة ، او رمية من غير رام كما يقول العرب .

وهناك قواعد اخرى كثيرة فالخارطة تدل ايضا على طباع الشخص وعلى مميزاته الشخصية وقدراته .. الخ وكل هذا ــ كما سبق ــ يبنى على مجموعة من المعتقدات القديمة ، ومن المستحيل ايجاد اى رابطة منطقية بين هذه المعتقدات وأغلبها اشياء مبهمة ولا توجد اى قواعد يمكن فهمها .

ولكن بعض العلماء مازالوا يحاولون ايجاد تفسيرات لهذه المعتقدات وبلغ الاقتناع بهذه الامور الى حد ان عالما تشيكوسلوفاكيا أوجد الصلة بين الشهر القمرى ودورة الطمث عند الاناث وخرج من بحوثه بطريقة لمنع الحمل عند كل سيدة ، تستنبط من الخارطة الفلكية ايضا ، بل أن نوع المولود ــ فيما يقولون ــ يتوقف هو الاخر على أوضاع القمر والكواكب .. .. الخ وبناء عليه فان هذه كلها يمكن التحكم فيها او « تخطيطها » بواسطة الفلكيين !

كل هذا شيء ... والتنبؤ بالمستقبل شيء آخر ، وبنو الانسان فى رغبتهم فى استباق الحوادث لا يملون الاستماع الى التنبؤات التى تدلهم على ما سيقع فى اوقات لم نصل اليها بعد !

اعتقد ان هذا الجزء على الاقل يجب ان يكون مجرد تسلية ، لان المستقبل شيء لم يحدث بعد وبالتالى فهو شيء لا وجود له الان ، وبكل بساطة ، اذا عرفناه فانه لم يعد مستقبلا ، وليس كل واحد منا شخصية فى مسرحية اوديب بحيث يمكننا معرفة ما سيحدث دون أن يمكننا منعه او تغييره . ولكن الفلكيين والذين يصدقونهم لن يعجزوا عن التلاعب بحقائق العالم المادى ، وعلى راسها أن الزمن موضوع نسبى ، وان ما يبدو لنا انه الماضى والحاضر والمستقبل ليس الا تهيئوات **نحن الذين نخلقها ونفترضها .... الى آخره ، حسنا ، لكل من يسرون باستنباط المستقبل من الأوروسكوب والخرائط الفلكية ، كما لو كانت لحظة مولد الانسان هى اللحظة التى يتحدد فيها كل شيء ((وهو خطا فادح)) ، بل ونقول للذين يؤمنون بالكف والكوتشينه وقراءة الفنجان: لتستمتعوا بما تسمعونه اذا كان يمتعكم، وليس من الضرورى ان يكون صحيحا من الناحية العلمية ، فليست الحقيقة العلمية هى النوع الوحيد من الحقيقة ، وليست الحقيقة هى اهم شيء على اية حال ، كثيرا ما يكون الخيال افضل منها ... اما انه امتع، فهذه هى الحقيقة لا يختلف فيها اثنان .** ●



كفك دليل مهنتك

●● سواء اكنت ممن يؤمنون بقـــراءة الكف ، وما تضمه من معان ، أم لم تكن ، فان هناك حقيقة مقررة ، وهي ان المهنــة التي تمارسها ، تؤثر في شكل كفك ، وخطوطها . وهذا امر واضح تستطيع ان تتبينه عنـدما تقارن كف رجل يعمل بالأدب ، أو الفكـر ، او العلم ، بكف رجل يعمل في مهنة يدوية .

ولـكن حتى في هذه الحدود ، هناك فروق جوهرية بين اكف من يعملون في المهــن التي نسميها ذهنية او فنية ، مثل الطب والتدريس والتصوير والكتابة ، وما الى ذلك . لأن كف الانسان ليست مجرد قاعدة للاصابع ، وانما هي صورة لشخصيته تتكيف بحسب هــذه الشخصية ، وتاخذ مع مرور الزمن صــورة معينة ذات ملامح معينة شبيهة بملامح الوجه التي تكتسب هيئة خاصة نتيجة لنـــوع الحياة التي يعيشها الانسان وما يصـــادفه فيها من ظروف ذات طبيعة دائمة .

ولكن دلالة الكف تختلف كل الاختلاف ، عن دلالة الكف على المستقبل الذى يؤمن به الكثيرون من الناس وهو في الحقيقة ليس علما وانما هو ذكاء وتجربة من قارىء الكف الذى يستجمع المعلومات الاساسية عــن الشــخص ثم ينظر في كفه ويستنتج ملاحظات عن الحاضر والمستقبل .

في موضوعنا هنا لا تقتصر الكف على مجرد قاعدة الاصابع ، بل تدخل فيها الاصـــابع ايضا ، لأن لها دلالتهــا بحكم ممارسة المهنة، فترى في الصـــورة المرافقة لهــذا الكــلام بيانا بالنقط الاساسية التي سنعتمد عليها في كلامنا ، وفي شرحنا للصورة التالية لها ●●

كف المفكر والكاتب والفنان تتميز بميزات خاصة

من مـلامح الاكف والاصابع للمشتغلين بمهن فكرية وفنية : والاصابع هنا خطوط لها معان تشـــبه خطوط الكف المعروفة

خط الــراس يتجلى هنا اوضح واطول ، لأن تحقيق ما يصبو اليــه الانسان يتعلق الى حــد بعيد بطول عمره ، وقدرته على العمل . ووراءه يسير موازيا تقريبا لخط العمر

هـــذا هو « خط الراس » ، يسير محاذيا تقريبا لخط الحيـــاة . ولكنـــه يختــلف في الاتجاه بحكم تاثير المهنة والعمل وهـــو يدل على قوة الارادة ، وهـــذا الخط لا وجود له الاعند من يعملون بلعقلهم .

خط الراس ، وهوالذى يبين عادة طول العمر عند من يقراون الكف ، ولكنه بالنسبة لنا في هـــذا المقال ، له معنى اخر تجده تحت رقم « ٧ »

... العضلة التي تقع تحت منبت السبابة ، وبين خطى الراس والحظ في اليد ، هذه العضلة تعبر بشكلها عن مقدار المسئولية التي يتحملها صاحبها . ويظهر ذلك بعدد الخطوط الصغيرة التي تبدو فيها كما يرى

في طرف السبابة يوجد خط هو خط المفصل يسمى خط « جوبتر » وهو عند الحرفيين والمفكرين أعمق منه عند غيرهم ، والعقلة الاخيرة من السبابة اطول واعرض وهي تعبر بذلك عن الاتجاه نحو السلطة وقوة الارادة . وهذه العقـلة تختلف من رجل لرجـل بحسب عمله طبيبا كان ام مهندسا ، ام كاتبا ، ام معلما ، وما الى ذلك

ويختلف طول هـــذه العقلة الاخيرة من السبابة بحسب طموح شخصها ، فكلما طالت كان الطموح اكبر .

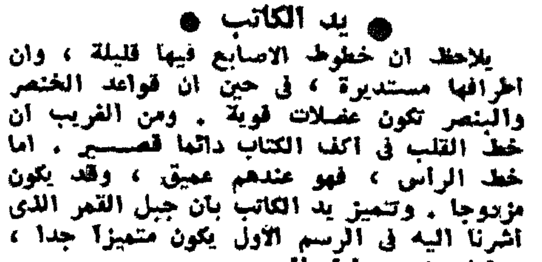
الخط الفاصل بين العقلة الاولى والعقلة الثانية من الخنصر : لهـا علاقة باخلاق صاحبها . ووراءه مزدوجا او مثلثا عنـــد المشتغلين بالسياسة نظـرا لتعرضهم اكثر من غيرهم للمواقف الصــعبة . ويلاحظ ان هـــذا الخط قليل العمق جدا بالنسبة للممثلين الهزليين مثلا ، وشديد العمق عند الاطباء والمفكرين

خط الحظ الذى يسمى في العادة بخط زحل

هذا الخط يتجــلى ويتضح عمقا عند المفكرين ، وهو يدل على مدى تحقيق الغاية والهدف فكلمــا استطاع المفكر أن يحقق ما تصبو اليه نفسه كان الخط اعمق واطول . والعكس صحيح

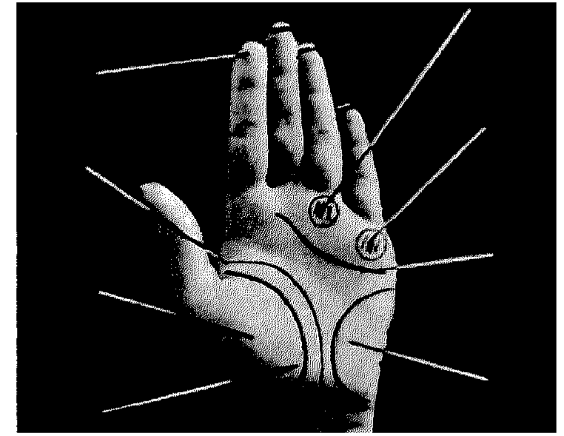
وهناك خط اخر لا يوجد الا في اكف المفكـــرين والحــرفيين الذهنيين ويسمى « جبــل القمر » ويتوقف طـوله وانتظام استدارته عـــلى ما يستطيع الانسان تحقيقه

كفك دليل مهنتك



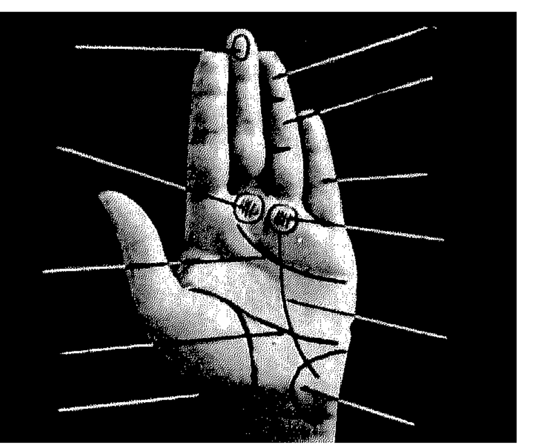
● يد الكاتب ●

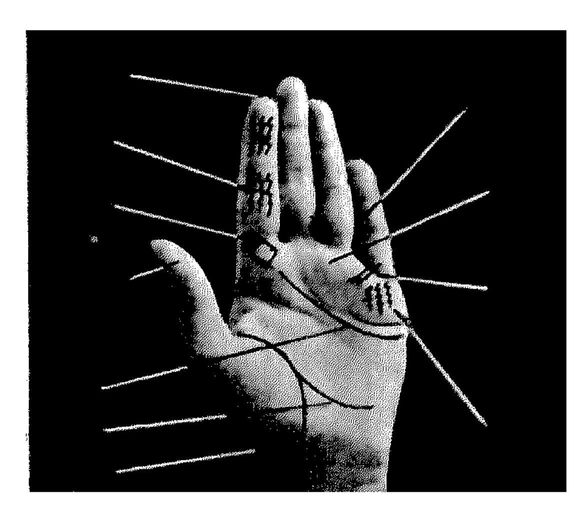
يلاحظ ان خطوط الاصابع فيها قليلة ، وان اطرافها مستديرة ، فى حين ان قواعد الخنصر والبنصر تكون عضلات قوية . ومن الغريب ان خط القلب فى اكف الكتاب دائما قصير . اما خط الراس ، فهو عندهم عميق ، وقد يكون مزدوجا . وتتميز يد الكاتب بان جبل القمر الذى اشرنا اليه فى الرسم الأول يكون متميزاً جدا ، ويطول عندهم خط العمر .



● كف الفنان واصابعه ●

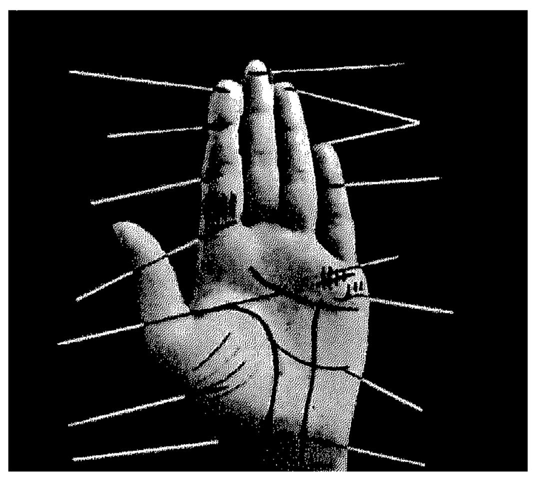
يلاحظ طول عقلات الاصابع ودائرة الفن ، حول الظفر الاصبع الوسطى ، وكذلك تبدو الخطوط الفاصلة بين عقلات الاصابع عميقة ، والعقلات نفسها طويلة ، وتتميز اكف الفنانين بقاعدتى الوسطى والخنصر .. والاولى تسمى جبل زحل .. والثانية تسمى جبل الشمس . ومن كل من هاتين العضلتين يخرج خط . فالاول يسمى خط الشمس ، والثانى خط زحل كما يرى فى الرسم . لاحظ اختلاف اتجاهات خطوط العمر والارادة ، والفكر فى قاعدة الكف ، لان المشتغل بالفن فى العادة يتميز بعصبية وحساسية خاصة





● يد المدرس ●

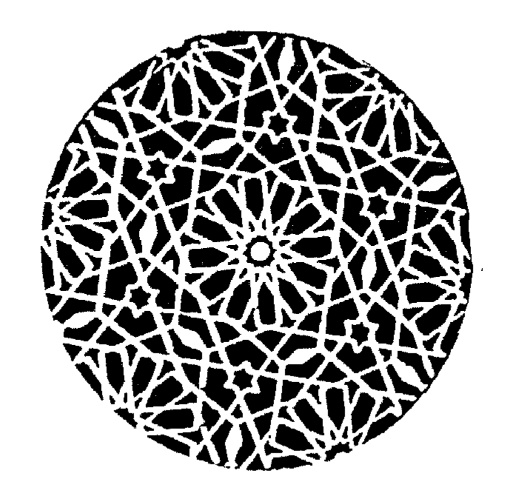
تمتاز هذه اليد ببسطة الكف ، وطول الاصابع وغلظها ، وضخامة العضلة الواقعة عند منبت الخنصر . وأكبر ما يميز المشتغلين بالتدريس بالنسبة لاصابعهم هو قوة السبابة ، وكثرة خطوطها ، بسبب استعمالها المتواصل . ولهذا فان قاعدتها تتميز بمربع يسمى مربع المدرس



● كف الطبيب ●

تتميز اصابعها بالطول والتدبب فى الاصبعين الوسطى والخنصر ، اما السبابة فهى فى العادة مستديرة ، لان الطبيب سواء أكان جراحا أم باطنيا يستعمل السبابة باستمرار .. ويلاحظ أن العقلة الاولى من السبابة تكون قوية ذات خطوط كثيرة راسية ، فى حين ان الخط الفاصل بين السبابة والكف يكون عميقا لان السبابة تعتبر فى الحقيقة من اعظم ادوات الطبيب . وخطوط الكف بالنسبة للاطباء لاتتبع نظام خطوطها عند غيرهم ، نظرا للحساسية الخاصة التى تتربى عند الاطباء الممارسين أيا كان تخصصهم

المعجزة الباقية



● د . مختار الوكيل ●

زَهَوْنا بميراث النَّبي محمَّد ... ولُذنا بقرآن الاله تَهَجُّـدا

إذا أقبلَ اللَّيلُ انثنَينا لسُورة تُطَالع فيها الباقيات على المَدَى

... إذا أقبل الليل استضأنا بنوره لأنَّ لنا فيه مَلاذاً ومَسْجِدا

هُدًى ذلك القرآن للنَّاس كلِّهم فليسَ لبَعض منهمُو نزَّل الهدى

***

وفي هَدأة الليل الحنون ترَتَّمت لَهاة بآيات وضَاء هي النَّدى !

وعِيد ووعد بالجِنان ، ورحمَة وعَهد بغُفران لمَن تَابَ واهتدى

ونَار أعِدَّت للذين تَجَبَّروا عَتوا ، فَضلُّوا وانتهى أمرهم سدى

ودين ودنيا ، والعُصُور التي خَلَت فلم يبْقَ منها في الحياةسوى الصدى

***

فياسيِّد الرُّسل الكرام ، تحيَّة إليك من القلب الذى قامَ مُنشِدا

لقد جئتَ من ربِّ الأنام بمُعْجِز على الدَّهر يبْقى في الصدور مُردَّدا

مضَت مُعجزات الرسل فور ظهورها وقرآنك الباقي على الدَّهر سرمَدا

***

عجِبتُ لمن ينأى عن النور جاهِلا وفيه شِفاءُ الروح والعز والنَّدَى

فيَامن إلى القرآن تَنمَى أصولهم أعِزوا كتاب الله ترضَوا محمَّدا

قاموس مصطلحات النجوم والأبراج

• شندى الفلكى •

الزودياك : دائرة الابراج وهى كلمة يونانية وضعها العالم اليوناني زودياكوس • و « زوون » باليونانية تعنى الكائن الحي • وهى دائرة مائلة بمقدار ١٧ درجة ارتفاع ، تحيط بالارض ، ويقسمها خط الشمس فى وسطها • طولها يعادل سمت الشمس ويساوى ٣٦٠ درجة •

يقسم الفلكيون دائرة الزودياك الى ١٢ جزءا متساويا ، كل جزء منها مؤلف من ٣٠ درجة واطلقوا على هذه الاجزاء اسم ((ابراج الزودياك)) •

وهذه هى الابراج بالتسلسل ، مع موجز للصفات العامة التى تميز بها شخصيات مواليدها :

برج الحمل : شخصيتك تدل على القوة والمهارة وقوة العزيمة ومتانة الخلق ، وانت تستطيع تحديد مستقبلك أو التحكم فى ظروفك واحوالك •• كل اخطائك بل ومتاعبك فى الحياة نتيجة التسرع فى تصرفاتك أو اعمالك أو اقوالك ، بل وفى عدم صبرك ••

الثور : تعشق الجمال والفن والموسيقى والغناء ـ عواطفك قوية عميقة ، ومشاعرك رقيقه حساسة ـ عنيد ، تتمسك دائما برأيك ـ وانت قوى الارادة وقد تستخدمها لمصلحتك أو ضد مصلحتك أحيانا ـ وانت صديق صدوق ومخلص لا صدقائك جميعا •

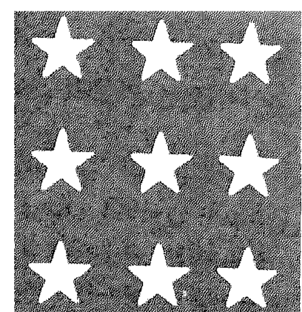
الجوزاء : يغلب عليك القلق والتشاؤم ، وهذا نتيجة سرعة افكارك وميلك الشديد الى التغيير المستمر ـ انت حساس بطبعك ، عاطفى ومحب ومحبوب وكريم ، ولكنك مندفع ومتقلب أحيانا اتبع وحى ضميرك واختر من الاعمال ما يناسبك او يلائم طبيعتك لتصل الى السعادة والنجاح •

السرطان : شخصيتك تدل على الامانة والصدق وعلى الاحتفاظ بالاسرار ، كما انك تقوم باعمالك بدقة ومهارة ـ عواطفك عميقة متينة وهى مفتاح السر لشخصيتك ـ توازن عادة بين قواك العقلية والجسمية ، ومع ذلك فانك تبدو احيانا منقبضا متشائما حزينا •

الاسد : انت فخور بنفسك معجب بذاتك ، متكبر لوعا ، نصيحتى اليك ان لا يزيد الاعجاب أو الكبر فى نفسك الى درجة تجعلك غير مقبول فان ذلك يعوق طريق نجاحك ـ عندما تحب يكون ذلك فى عمق واخلاص وتضحية ورقة وكرم شديد •

العذراء : طبيعتك حساسة وأنت تعيش داخل نفسك ومشاعرك الخاصة ، لانك محافظ بطبعك ومسراتك تأتى دائما من داخلك ، حسب ما يوحى به عقلك الباطن ـ تبدو مصمما ومثابرا الى اهدافك او غاياتك ـ انت خبير باحوال الناس وطبائعهم •

الميزان : لك شخصية مستقلة ، وتعرف جيدا ماذا ينبغى عمله أولا ـ تستفيد دائما من تجارب الماضى ـ وانت حساس رقيق ومرهف الشعور ، تميل الى الفنون بطبعك ـ قاوم احساسك بالحزن أو التشاؤم فهو نتيجة ارهاق



عصبي أو قلق نفسي

العقرب : انت تتحكم في قدراتك العقلية بشكل يضمن لك النجاح في أي عمل ـ قد يلجأ اصدقاؤك اليك يسألونك المساعدة فلا تبخل بها ـ ستصادف حظا موفورا من ثروة وشهرة وتصل الى مركز عظيم في حياتك ـ واعلم ان الحظ يخدمك كلما تقدمت في السن وخصوصا في اواخر ايام العمر ..

القوس : تعتريك بعض الافكار الحزينة كما يساورك الخوف بالنسبة للمال أو العمل أو المستقبل انت عنيف في ساعات الغضب ، لا يمكن لاحد ان يثنيك عن عزمك ـ لا تحب التعقيد بل تميل الى البساطة واليسر والتساهل ـ قوى الملاحظة قوى الحجة .

الجدى : انت ملهم وعندك القدرة على التنبؤ بأشياء في المستقبل ، حياتك العقلية في تطور مستمر ومن النادر ان تبقى على فكرة واحدة طويلا ـ أنصحك باستخدام ما يوحي به اليك عقلك المفكر لتحقق النجاح السريع في حياتك ـ

الدلو : قد لا يعرفك الكثيرون جيدا أو قد يخطئون فهمك لانهم لايستطيعون ان يسبروا غورك أو اعمالك ـ أنت طيب القلب ورحيم وخدوم ، وروحك شفافة عالية وهمتك مشكورة ـ تعيش في عالم من الاحلام وتتمنى لنفسك وللعالم اماني جميلة ، وتنشد السلام مستسلما كثيرا لاحلام اليقظة .

الحوت : انت مخلص في نواياك واعمالك ومقاصدك ـ بالتفاؤل والمرح والابتسام تحقق انجازا كبيرا ـ حاستك للحب أو الجمال أو الفن قوية نشيطة ـ ينبغي ان تتغلب على الانطواء والخجل والحساسية ، تسير في أعمالك أو مشروعاتك بخطى ثابتة وتصل الى اهدافك بفضل ما منحك الله من عزيمة وعقل راجح وفكر صائب .

دائرة البروج الفلكية :

اختلف الكثيرون في معنى البروج ، فقال بعضهم هي القصور من السماء مثل قصور الارض ، وقيل هي النجوم وقيل هي السرج وقيل هي أبواب السماء التي تسمى المجرة . وقال غيرهم انها البروج المعروفة اثنا عشر برجا . وانها مقسمة ترابيع وتثاليث ، وهي مقسمة على الكواكب السيارة . وذكر بعض **العلماء بقول الله تعالى ((تبارك الذى جعل في السماء بروجا)) ـ هي محل** الكواكب السيارة .

ومنطقة البروج الفلكية تشبه الى حد كبير دورة حياة الانسان وتطورها منذ المهد الى اللحد . « فالحمل » يمثل أول مرحلة في تلك الدورة ، أي تلك المرحلة التي تشبه الطفولة بطلباتها الكثيرة .. ثم مرحلة « الثور » وهي تتمشى مع المرحلة التي يعثر فيها الطفل على الحب الذى يبحث عنه ، « والجوزاء » تمثل الطفل في مرحلة اللعب وهو ينمي علاقته بالحياة خارج نطاق الاسرة .. أما « السرطان » فيعبر عن مرحلة المراهقة عندما يعكس الصبي آراء وتصرفات الاسرة والبيئة المحيطة به و « الاسد » يمثل الشاب الذى يتخذ لنفسه زوجه ، وهي بالطبع « العذراء » . و «العقرب» يعبر عن الصراع ، أما « القوس » فهو المرحلة التاسعة التي يكون صاحبها قد اكتسب فيها الحكمة والتفاهم مع الآخرين أي مرحلة العلم ثم مرحلة الانطلاق والتقدم في « الجدى » ، ثم مرحلة فلسفة أمور الحياة في « الدلو » ثم المرحلة النهائية وهي الاستعداد للرحيل من الدنيا ومرحلة التصوف في « الحوت » .

الكواكب السيارة : وظائفها رموزها وتاثيراتها

يتكون نظامنا الشمسي من الشمس التي تدور حولها الكواكب « وتشمل الارض وتابعها القمر » وتسمى الشمس والقمر عادة في علم النجوم التطبيقي

((النيرين)) .

ولكل كوكب علامة تدل عليه ، وتناظرات وعلاقات خاصة مع بيوت النجوم وبروج دائرة البروج ولكل كوكب أيضا حركته الدائرية الخاصة ، ودور الكواكب مهم جدا لانها تؤثر فى خريطة البروج الشخصية وفى التنبؤات المحلية والعالمية .

الشمس : الحياة ، الملك ، الرئيس ، القائد ، الاب ، الاشعاع ، الانتشار ، السلطة ، القدرة على تحقيق الذات .

ومن العيوب الغطرسة ، الغضب ، الغرور ، الاثرة ، الطغيان أو الاستبداد وله من الابراج الاسد وهو البيت الخامس

القمر : الخصوبه ، والمراة باعتبارها الزوجة والام فى العائلة ، الام الروحية ، الجماهير ، الناس ، النفس ، العقل الباطن والظاهر ، التخيل ، الذكرة .

ومن العيوب التقلب ، الاستغراق فى التفكير الحاد ، النزوات ، التهرب من الواقع ، وله من الابراج السرطان .

عطارد : الشباب ، الاخوة الصغار ، أولاد العم والخال ،الوسطاءالروحانيون ذكاء متوقد ، قدرة على التكيف ، فصاحة ، مرونة ذهنية ، قدرة على التكيف والاستنتاج ، دبلوماسية ، براعة يدوية .

ومن العيوب عدم الاستقرار ، انغماس فى الملذات ، خيانة ، كذب ، خداع ، سرقة .

وله من الابراج الجوزاء والعذراء ، وهما البيت الثالث والبيت السادس

الزهرة : الفنون ، الجمال فى كل صوره ، الصديقة ، المرأة للفنان ، الاجتماعية ، الكياسة ، المثالية ، القدرة على التجاوب ، الاحساس الفنى .

ومن العيوب الاهمال والغيرة ، والكسل واللاأخلاقية . ولها من الابراج الثور والميزان وهما البيت الثانى والبيت السابع .

المريخ : الحيوية ، الرجولة ، الكفاح الحرب ، الحركة ، القائد ، الصراحة ، الجاه ، المغامرة ، الشجاعة ، قوة التحمل والاقدام ، تفضيل المشروعات العملية عن التخطيط النظرى ، الحس الاستراتيجى وديناميكية ، من السهل ان تؤثر على الآخرين .

ومن العيوب الاهمال ، الاندفاع ، التهور ، الغضب ، القسوة ، روح الحقد والسخرية وله من الابراج برج الحمل وهو البيت الاول .

المشترى : المناصب العليا للدولة ، ادارية ودينية ، رجال القانون الصديق الكريم ، الحكمة ، التمسك بالفضيلة ، الاهتمام بالانسانيه ، التعقل ، رباطة الجأش ، الاحساس بما هو عدل ، قدره هائلة على التنظيم ، مهارة طبيعيه ، الاحساس بالواجب واحترام السلطه ، النزوع الى فعل الخير .

ومن العيوب الانغماس فى الشهوات النهم ، الغرور . وله من الابراج القوس وهو البيت التاسع .

زحل : الزهد ، التدين ، المعرفة الواسعة ، التماسك ، الحكمة ، المثابرة ، ذكاء ، قوة تركيز ، تأمل ، بعد النظر ، الحيطة ، اتزان عاطفى ، طبيعة محافظة .

ومن العيوب الانانية ، عدم الثقة ، التشاؤم ، بغض الجنس البشرى ، العناد . وله من الابراج برج الجدى وهو البيت العاشر .

أورانوس : خيال وشفافية ، رغبة فى الدراسة ، احساس بالاخوة ، الاصدقاء ، التقدم ، ميل الى العلوم النفسية والميتافيزيقية .

ومن العيوب المطالبة بما لايقدر عليه ، الفوضوية الثورية وحب الذات ، وله من الابراج برج الدلو وهو البيت الحادى عشر .

نبتون : الجماعة ، التصوف ، الوساطة ، المحيط ، الحيرة ، الليونة ، التفتح العقلى الحرص ، الايمان ، حب العبادة ، التطور الروحانى .

ومن العيوب الكسل الذهنى ، يسهل التأثير عليه ، الكآبة . وله من الابراج برج الحوت وهو البيت الثانى عشر .

بلوتو : احساس كامن بالعدالة ، فوضى طبيعية ، تغيرات نفسية كبيرة ، القدرة على اعادة البناء الجسدى والتحليل النفس الذاتى ، موهبة الابتكار والاتزان الذهنى ، التقوى .

ومن العيوب العناد ، العنف ، القوة ، الميل الى التحايل بدرجة كبيرة لارضاء الرغبة فى الثراء وله من الابراج العقرب وهو البيت الثانى

سَلي ثغرَكِ الطفلَ من قبّله ؟
وجفنَكِ من بالهَـوَى كَحَّلَه ؟
ومن أيقظ الحبَّ في مَهْـــده ؟
ومن قد رعاه .. ومَن دَلّله ؟
وصدرَكِ من هَـزَّ أشواقَــه ؟
وخصــرَكِ من في فَمي حلّله ؟
أنا كنتُ فارسَـــكِ المُـرتجى
وكنتُ بغصنِ الهَـــوى بُلْبُلَه

***

وقلتُ : أحبكِ ... قلتُ كلاما
كثيرا كثيرا بلا أقنِعَـــــــه
صدقتُكِ حتى ضَمَمْتِ حروفي
وقلتِ لقلبيَ إنّي مَعَـــــــه
وينتفض الشوقُ في مهجتينـــا
فنخْفِي بأعماقنا الزوبعَـــه
لكَي لا يَرى الناسُ أنا جُننّـــا
وجُبْنا البحارَ بلا أشـــرعَه

***

ونَغفو على جمَــرات الوصالْ
ونَصحو على همســـة مستجيره
وأجذب شـعرَكِ .. أغرسُ كفّي
فتلهو على راحتيَّ الضّـــفيره
وتعبث بي موجَــةُ الأمنيــاتِ
فيسكُب شوقي بقلبي هَـديرَه
كأنّي شِراع ببَحــر الهَــوَى
رَمَتْه الليالي .. وأنتِ الجزيره!

الفلكيون يؤكدون :

لكل إنسان منا توأم زمنى في مكان ما بالعالم ... ! فهل تعرف توأمك الزمنى ؟

● تاليف العالم الفلكي : جودافيج ●
● تقديم : جورج عزيز ●

● لكل انسان على وجه الارض — تقريبا — توام زمني في مكان ما ، أي ان يكون هذا الانسان مولودا في اي مكان مع توام له يكون قد ولد في مكان آخر ، وتكون الولادة في يوم واحد ، وربما في ساعة ولحظة واحدة ، وعلى نفس خطي الطول والعرض ..

وكثيرا ما يحدث أن يولد عشرات الاطفال في وقت واحد تقريبا بالمدن الكبيرة . وقد يولد في اللحظة نفسها ، في أي مكان آخر على سطح الارض ، عشرات آخرون من الاطفال .

في وقت واحد في طالع واحد !

وهؤلاء الاطفال الذين يولدون في وقت واحد ، أو لحظة واحدة. تقريبا يشتركون، أغلب الاحيان ، في طالع واحد ..

ولقد ظل الفلكيون ، طوال قرون عديدة ، يذهبون الى أن الناس الذين يشتركون في طالع واحد لهم حياة واحدة ، وان اختلفوا أحيانا من الناحية الخلقية ، ومن ناحية الاتجاه الذى خرجوا فيه من أرحام أمهاتهم .

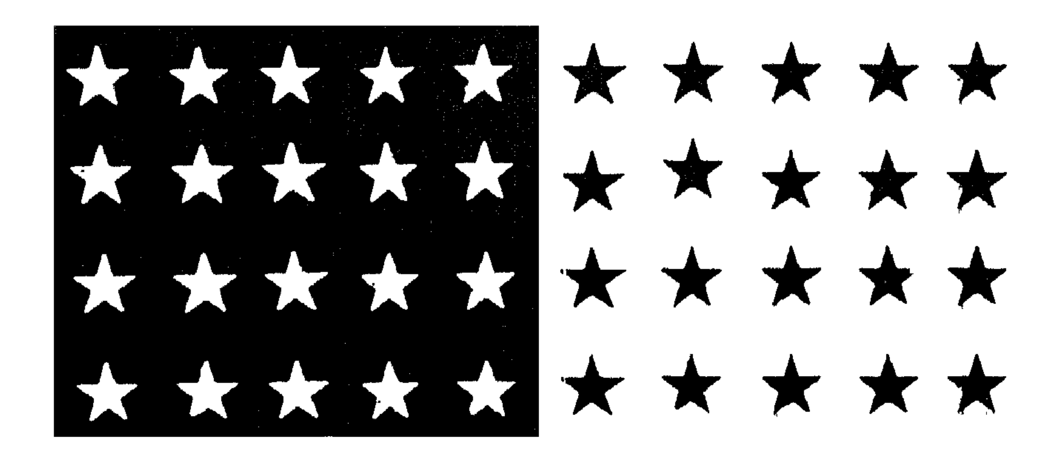
ذلك انه اذا كان للقوى الجبارة في الكون المحيط بنا اى تاثير يمكن التنبؤ به ، على حياة البشر ، فان تاثير تلك القوى على حياتك يمكن الاستدلال عليه والافضاء الى كنهه، بالعثور على اناس ولدوا في نفس الوقت والمكان تقريبا، والوقوف على كل التفاصيل في تاريخ حياتهم لمعرفة ما اذا كانت هناك أوجه شبه بينها وبين تاريخ حياتك

وثمة أمر له أهميته القصوى في هذا الصدد، هو أن وجود علم الفلك أو عدمه يرتهن بالاهتداء الى مثل هذه القرائن .

ومن ثم استقر رأى المؤلف على أن يدرس هذا الموضوع بدقة وعناية العالم الحريص على معرفة الحقيقة ، وذلك لكى يثبت ما اذا كان علم الفلك علما بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معنى أم كلاما أجوف لا نصيب له من العلم !

وبعد سنوات عديدة من الدراسة والبحث والتقصى ، اهتدى المؤلف الى قرائن عديدة حدت به الى آن يقول بأسلوب العالم الواثق بنفسه :

« لقد ثبت لى بالادلة القاطعة الدامغة أن «توائم الابراج» أى الاشخاص الذين يشتركون في طالع واحد لانهم ولدوا في نفس الوقت تقريبا — يتشابهون في أمور كثيرة ، ويصابون عادة بنفس الاصابات



فى وقت واحد تقريبا ، وفى نفس المكان من الجسم !

ومما يلاحظ فى هذا الصدد أن الاثار التى تتخلف عن الاصابات فى أجسامهم تكون متشابهة الى حد يثير الدهشة والعجب . واغلب هؤلاء الناس يتزوجون ، وينجبون أطفالا ، ويتقدمون فى السن ، ويخط الشيب شعرهم ، فى وقت واحد على وجه التقريب ، بل انهم يموتون فى نفس الوقت لنفس السبب فى أغلب الاحايين ! »

هل يحدث بمحض الصدفة ؟

ان كثيرين من الناس يعتقدون ان هذه الامور لا تحدث الا بمحض الصدفة ، غير ان الادلة العديدة المتباينة التى استطاع المؤلف جمعها خلال فترة غير قصيرة من الزمن تثبت ، بما لا يدع مجالا للشك ، ان هذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الصحة .

ولكن ينبغى لنا مع ذلك أن ندخل الوراثة فى حسابنا ، ولا مفر لنا من أن نربط بينها وبين تأثير البيئة ، وان كان هذا كله يواجهنا بأسئلة يتعذر علينا أن نجيب عنها لأنها تدور حول مسألة تثير شيئا غير قليل من الحيرة هى امكان وجود قوى خارجية لها تأثير بعيد المدى فى تكوين أخلاق وصفات المرء ، وقد تحدد مصيره ومستقبله فى الحياة .

فالامير الثرى ، والفقير الذى لا يملك شروى نقير ، قد يكون لهما طالع واحد ، بيد أن مركز كل منهما فى الحياة يمنعه من أن يعمل على نفس المستوى الذى يعمل فيه الاخر .

وهناك دراسات وبحوث عديدة تثبت ان لموعد الولادة تأثيرا كبيرا على الطريقة التى يفكر بها المرء ، ويشعر ، ويسلك فى الحياة .

وفى هذا يقول الطبيبان الامريكيان دكتور ويلسون ودكتور ريس ان التوأمتين «بوبى جين» و « بتى جوالين » ولدتا فى ١٩ من أغسطس عام ١٩٣٠ فى مدينة بورلير بولاية كارولينا الشمالية ، وأصيبتا باضطراب عقلى بعد حياة مليئة بالتماثل فى أمور عديدة : الحوادث ، والاصابات ، والامراض !

غرائب المصادفات !

ففى يوم ١١ من ابريل عام ١٩٦٢ وجدت احدى ممرضات مستشفى براوتون حيث كانتا تعالجان ، أن « بوبى » فارقت الحياة . وعلى الفور اتصلت تلك الممرضة بممرضة أخرى كانت تشرف على العنبر الذى اقامت فيه « بتى » ، وعلمت منها ان « بتى » لفظت أنفاسها الاخيرة هى الاخرى . ولم يتضح من تشريح الجثتين سبب وفاة التوأمتين !

مصادفة غاية فى الغرابة حقا .. ولكن هل هى مصادفة ؟!

لقد وضع دكتور « فرانز كالمان »

الفلكيّون يؤكدون



الاستاذ بمعهد العلاج النفسى فى نيويورك تقريرا أثار اهتمـــاما بالغا فى الدوائر الطبية ، تحدث فيه بافاضة عن تــوأمين أصيبا بنوع واحد من انفصام الشخصية (شيزوفرينيا) ٠

لماذا ؟

نؤثر أن نتجنب الحالات الشاذة غــير العادية ، مفضلين التركيز على الحـــالات غير العادية دون أن تكون شاذة ٠

فى يوم ٤ من يونيه عام ١٧٣٨ ولد طفلان لا صلة بينهما على الاطلاق فى نفس الدقيقة باحدى مدن بريطانيا ٠

وكان الطفل الاول من أسرة عادية ، أى من عامة الناس ، وقد أطلق عليــه اسم « صمويل هيمنجز »

وكان الطفل الثانى ـ عندما شب عن الطوق ـ هو الملك جورج الثالث !٠٠

وبعد أن تخرج صمويل فى الجامعــة آثر أن يكون رجل اعمال ، وافتتح لنفسه مكتبا فى شهر اكتوبر من عام ١٧٦٠ ، وهو الشهر الذى جلس فيــه جــورج الثالث على عرش بريطانيا !

وتزوج صمويل يوم ٨ من سبتمبر عام ١٧٦١ ، كذلك تزوج الملك جــورج فى اليوم نفسه !

ومرض كل منهما ووقعت لهما حوادث فى نفس الوقت تقريبا ، وكان لكل حادث ذى بال فى حياة صمويل ما يمــاثله فى حياة الملك ، والعكس صحيح ٠ ولكن كان طبيعيا ان تكون لكل منهما حياة خاصة تختلف عن حياة الاخر ٠

ثم حدث شىء يثير الدهشــــة والعجب حقا !

ففى يوم ٢٩ من ينــاير عام ١٨٢٠ توفى الملك جورج الثالث ، وفى اليــوم نفسه لفظ صمويل انفاسه الاخيرة ! ٠٠

وأمثلة أخرى أغرب من الخيال ٠٠

حدث شىء عجز العلماء عن تفســـيره لشخص اسمه دونالد تشابمان وشــخص آخر يدعى دونالد برازيل ٠

وخلاصة قصتهما التى حيرت العلمـــاء انهما ولدا فى نفس الساعة ، بل فى نفس الدقيقة ، بمدينتين متجـاورتين فى ولاية كاليفورنيا يوم ٥ من سبتمبر عام ١٩٣٣

وبعد انقضاء خمســــة أيام فقط على احتفال كل منهما بعيد ميـلاده الثالث والعشرين فى يوم ١٠ من سبتمبر عام ١٩٥٦ ، التقى دونالد تشابمان ودونالد برازيل للمرة الاولى والاخيرة فى حياتهما ٠ فقد كان كل منهما يقود ســـــيارته فى الطريق رقم ١٠١ الممتد جنوبى مدينـــة « يوريكا » صباح يوم أحد ٠

وأغرب ما فى الامر انه وقع صـــدام عنيف بين السيارتين ، ولقى كل منهمـا حتفه فى نفس اللحظة ! ٠٠

وحرى بالذكر فى هذا الصـــدد ان الفلكيين يزعمون ان طوالع الاباء لها تأثير على الابناء فى كثير من الاحيان وعلى الاحفاد فى بعض الاحايين !

فهل نقبل ما يذهب اليه الفلكيون فى هذا الصدد اذا علمنــــا ان والد دونالد برازيل لقى حتفه فى حادث ســـيارة فى نفس الطريق ، بل فى نفس المكان ٠

(نشرت هـــذا النبأ وكالة الانبـاء الامريكية أسوشييتد بريس فى يوم ١٠ من سبتمبر عام ١٩٥٦) ٠

حادث مثير فى ايرلندا

وحدث شىء مثير حقا فى ايرلنـــدا ، فقبيل أعياد الكريسماس ورأس السنة ـ أى بعد وفاة دونالد تشابمان ودونالد برازيل فى سنة ١٩٥٦ ـ كان جاك سميث يقود سيارته والى جانبه زوجتـــه ، على امتداد نهر « ليفى » الذى يمر بالعاصمة الايرلندية ٠ ولسبب ما انزلقت سيارتهما من الطريق وهوت الى قاع النهر ، فمـاتا غرقا ، وترتب على ذلك أن تيتم ابنهمـــا



بيتر (٨ سنوات) وأخته فيكى (١١ سنة) اللذان لم يستقلا معهما السيارة . ولكنهما لم يظلا يتيمين فترة طويلة ، فقد تبناهما جون شانون وزوجته اللذان كانا صديقين حميمين لجاك سميث وزوجته.

وبعد انقضاء أربعة أعوام على غرق سميث وزوجته كان جون شانون يقود سيارته على نفس الطريق الذى يمر بالعاصمة الايرلندية ، ولأمر ما انزلقت سيارته وهوت به الى قاع نهر « ليفى » تاركا أرملة ويتيمين هما « بيتر » و « فيكى » .

ولعل أهم ما ينبغي ذكره هنا ان جون شانون كان قد ولد فى نفس السنة ، ونفس الشهر اللذين ولد فيهما جاك سميث ، ولكن بعد أربعة أيام فقط !

ولدا ، وقتلا ، فى وقت واحد !

فى وقت واحد ، على الساحل الامريكى الغربى ، فى يوم ١٩ من يوليو ١٩٤٤ ، ولد طفلان وسمى أحدهما «فريدشوكلى» واطلق على الثانى اسم «باريت وودراف» وشاءت الصدف أن يصبحا صديقين حميمين ، وان تكون لهما اهتمامات متماثلة أثناء الدراسة الابتدائية والثانوية ... بل كانا يحصلان على درجات واحدة ويمارسان نفس الالعاب الرياضية ويعملان نفس الشيء فى وقت واحد ، وأخيرا التحقا بكلية « أوكلاند » فى كاليفورنيا ، فى وقت واحد !

وفى يوم ٢٣ من مارس عام ١٩٦٤ كان « فريد » و « باريت » عائدين مع زميلتين لهما من رحلة نهاية الاسبوع الى « أوكلاند » . ولكن لم يعد أى منهما .. فقد قتل كل منهما من جراء اصطدام سيارته بسيارة أخرى ، وأغرب ما فى الامر ان الاثنين أصيبا باصابات واحدة ، ولفظا أنفاسهما الاخيرة فى نفس اللحظة! صدفة غريبة حقا !

مصطفى وعلى امين ..

وكان المرحوم الاستاذ على امين قد روى لى قبل رحيله عن دنيانا ببضعة أشهر أنه أصيب قبل اعوام بخراج فى فخذه ، على ما اذكر ، فلما عرض نفسه على أحد الاطباء طلب منه تحليلا كاملا لدمه ، وتبين من نتيجة التحليل انه مصاب بالسكر ، فاتصل على الفور بتوأمه الاستاذ مصطفى راجيا اياه ان يحلل دمه فاتضح أنه أصيب هو الآخر بالسكر فى نفس الوقت تقريبا !

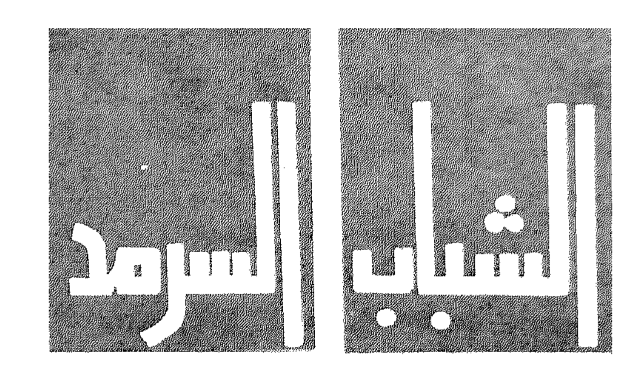
لو كانت عندنا احصائيات دقيقة عن مصير التوائم ، ولو اتجه اهتمامنا الى معرفة كل شيء عند الاطفال الذين يولدون فى وقت واحد ، وهم كثيرون بلا شك لاتضح لنا قطعا أن عندنا فى مصر حالات تثير العجب كالحالات التى أسلفنا ذكرها .

والمسألة ليست معقدة أو عسيرة التحقيق ، اذ يكفى الاعتماد على الاعلان فى الصحف . بمعنى أن يعلن شخص ما عن موعد مولده بالضبط ، ويسأل غيره ممن ولدوا فى الوقت نفسه عما فعلت بهم الايام . ونحن نعتقد ان مثل هذا الاعلان الذى نقترح أن تنشره الصحف بالمجان ، من شأنه أن يثير اهتماما كبيرا ، وأن يؤدى الى الوقوف على حالات تثير الدهشة والعجب ، ويكفل للصحف التى تنشره مزيدا من الرواج ...

لماذا لا تجرب أيها القارىء العزيز ؟

أعلن عن اليوم الذى ولدت فيه ، وحدد الساعة التى جئت فيها الى هذه الدنيا ، واطلب من كل من ولد فى الوقت نفسه، أو من يشاركك برجك أن يبعث اليك برسالة يضمنها كل التفاصيل الممكنة عن حياته وظروفه ..

● جرب ... وستعرف الكثير والغريب من مصادفات الحظوظ والاقدار ..



● ابراهيم صبرى ●

كفاكَ شباباً أن ترَى الحُسنَ بادياً
يؤجّجُ فى جَنبيكَ ماطَنّ خابيـــاً

ويقشَعَ غَيْمَ الرَّيب عن خافقِ الهَــوى
ويمحو مِنَ الدهر السِّـنين الخَواليـا

فتُضحِى .. ولا عُمرٌ سوى ما تريدُه
ولا زَمَنٌ إلا الذي شِـئتَ آتيـــا

وتُبصر أسرابَ الأمانى تلاحقَــتْ
على دَوْحَة الأحلامِ تزهو غَـواديا

ويتّهم الحُسّاد غيظا عيونَهـــم
أهذا الذى خِلناهُ وارى الأمانيـــا ؟!

ويَنطق بالمــرآة .. مالا يَســرنى
فيُسْفِرُ قلبى عن مُحيّـــاهُ ضاحِيا

ويُشْهدُ عينَ الكون أن ليس فى الوَرى
زمانٌ ولا عُمرٌ ينَحِّى شَـــبابِيا

يَهاب اقترابا من مَغَـــانى ربيعـه
خريفٌ .. ويمضى خاسِىءَ الطّرف كابِيا

ويُلقى على أهل الأراجِيف ظِـــلَّه
فيَعجزُ كلٌ أن يَنَـــالوا نواليـــا

وتنبهِرُ الأبصار .. والـكُلُ سَـائِل
أسِحرٌ يُرى مِنْ بَعْد موسى أتانيَا

ولو أبصَروا حقا .. فلا السِّحرُ مَسَّنى
بل الشِّعر بالإلهَـــام يروى فــؤاديا

وقُرة عَينِى أن أرى الشِّعر ملهمَـــا
وغَايَة قلبى أن أرى الحُبّ هَاديَـــا



وما أنا إلا شَــاعِرٍ هــامَ بالعُــلا
وأذّنَ في الآفاق فَخْــرا مُنــاديا :
أبا الطيِّبِ اسمع لي .. وكُن لي مجاوبا
ففي إثْر ما أبدَعتَ صُغْتُ القَوافِيَا
وما كُنت يوما ناظِمــا ما نظمتَــــه
إذا كنتَ قد عَمِّــرتَ حتى أوانيــا
كلانا به مَسٌ مِن الدهــر ســاءه
وضلّل عن درْب الوصُول المسَــاعيا
ولكنني لم أشكُ دهْــرا مُعَــاندا
لأني بهذا أشتكي الله ، عَاصِـــيَا
وقد قنَعت نفسي رضَــاءً بِحُكمه
وإنْ لم تزل ترجو الرّغابَ الغَواليــا
وما أنا إلا شَــاعر عَزّ شِعره ...
فلَم يبكِ حتى لو رأى الكون باكِيَـا
ولم يأسَ ممن أنــكروا أو تنكّروا
ومروا به صُمًا وبُكمــا تعامِيــا
فحَسبي فخاراً أن ترى الشّعر شَامخًا
يَخِر له ما قيــلَ من قبــلُ جاثِيَـا
وخَلف رُؤى المجهول قد بات مُشفقاً
على شِعْره من كان في الغيب آتِيَـا
ويَبرزُ في التاريخِ من بَعْدُ مُنصفٌ
يقولُ الذي ألقاهُ في الخُلد راضِيا :
لقَد كان .. بل مازالَ بالحبِّ.. شَاعرا
يعيشُ شبابَ الدّهر حيًّــا وباقِيا !

دراسات أدبية

الدهر والقدر في شعر المتنبى

● د. محمود على مكى ●

● كان الايمان بالقدر متأصلا فى نفوس عرب الجاهلية ، يستوى فىذلك بدوهم وحضرهم ، من دان منهم بالوثنية ـ وهم الكثرة الغالبة ـ ومن وقعت اليهم أطراف من الديانات المعروفة مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية .

والحقيقة أن العرب لم يكونوا بدعا فى ذلك بين الشعوب القديمة ، فقد كان هؤلاء يدينون أيضا بالقضاء والقدر ، أى بهذه القوة الخفية التى تحدد للبشر طرق حياتهم وترسم مصايرهم ، على أن الذى [illegible] فكر العربى منذ الجاهلية هو الربط بين القدر والزمن ، فلم يعد الزمن [illegible] هو حركة الفلك كما عرفه اللغويون العرب ، ولا تلك العلاقة بين ظاهرتين أو حدثين من حيث القبلية أو البعدية أو التوافق كما يعرفه المحدثون ، وانما أصبح الزمن هو تلك القوة الغامضة التى تحدد للناس حظوظهم من الدنيا ، وتخط لهم مسيرتهم فى الحياة. وقد عبر العرب عن هذه القوة بالفاظ عديدة أكثرها شيوعا عندهم : الدهر ، والزمان ، أو جزئيات الزمن مثل الايام والليالى .

وهكذا أصبح « الدهر » قوة رهيبة تتعقب الانسان فتنزل به كلّ مايقع عليه من شر ، فأصبحوا يقولون « أصابته قوارع الدهر » أو « حوادثه » ، ونسبوا اليه ما يصور هذه القدرة ، فقالوا « يد الدهر » و « ريب الدهر » و « بنات الدهر » و « صروفه » أى مصائبه .

هذا زهير بن أبى سلمى يرثى صاحبه هرم بن سنان ويعرج على من أدركه الموت من عظماء قومه فيقول :

فاستأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرمينى ولا أرمى
لو كان لى قرن اناضله ... ما طاش عند حفيظة سهمى
او كنت اعطى النصف قلت له ... احرزت قسمك فاله عن قسمى
يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت فى العظم
وسلبتنا ما ليس تعقبنا ... يا دهر ما انصفت فى الحكم

وفى هذه الابيات تصوير لذلك الصراع غير المتكافىء بين الانسان والقدر

الذى عبر عنه الشاعر بلفظ « الدهر » .

ويقول عمرو بن قميئة مصورا شيبه ومتحدثا عما حل به من « بنات الدهر» وهى الخطوب التى توجه اليه سهامها النافذة دون أن يجد لها مدفعا :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى   فما بال من يرمى وليس برام
فلو أنها نبل اذن لاتقيتها   ولكنما أرمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا   أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

ولعل أبا ذؤيب الهذلى ـ وهو شاعر جاهلى أدرك الاسلام ـ هو أكثر من ألح الحاحا شديدا على الحديث عن هذا الصراع بين الدهر وبين كل ذى روح من بشر وحيوان ، وذلك فى رثائه لابنائه الخمسة الذين ماتوا فى سنة واحدة :

أمن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

فهو يعاتب نفسه على كثرة التوجع والبكاء ، فذلك ما لن يجديه شيئا ، اذ أن « الدهر » لن يرق للجازعين ، ولن يعمل على استرضائهم أو مراجعتهم بما يحبون. ولهذا فان الشاعر يحاول أن يتماسك ويتجمل ، حتى لا يفرح الشامتون بمصيبته، وهو يستعين على ذلك بذكر من سبق أن فجعه بهم « الدهر » من أحبائه وأهله :

وتجلدى للشامتين أريهم   أنى لريب الدهر لا أتضعضع
ولئن بهم فجع الزمان وريبه   انى بأهل مودتى لمفجع

ثم يسلى الشاعر نفسه بالنظر الى عالم الحيوان الذى يضطرب أمام عينيه والذى يوقع الدهر بأهله كما يوقع بالبشر ، اذ أن هذا هو المصير المحتوم لكل كائن يتردد فيه النفس ، فيرسم لوحة رائعة لمهلك حمار وحشى تحيط به اتانه الاربع على يد صائد رمى القطيع بسهامه ، وذلك فى الابيات التى يبدؤها بقوله :

والدهر لا يبقى على حدثانه   جون السراة له جدائد اربع

فاذا فرغ من ذلك رسم لوحة اخرى لا تقل روعة عن سابقتها لمصرع ثور وحشى هاجمه الصائد بكلابه الضارية حتى أرداه قتيلا بعد أن أبلى فى الدفاع عن نفسه ، وهى أبيات يستهلها الشاعر بقوله :

والدهر لا يبقى على حدثانه   شبب افزته الكلاب مروع

واخيرا يعود الشاعر مرة أخرى الى عالم البشر فيتحدث عن مصرع بطلين من الابطال مدججين بالسلاح التحما فى معترك الحرب فقتل كل منهما صاحبه ، ويفتتح أبو ذؤيب هذا الجزء من القصيدة بقوله :

والدهر لا يبقى على حدثانه   مستشعر حلق الحديد مقنع

ونلاحظ أن الشاعر قد استهل كل صورة من هذه الصور بشطر واحد يتردد كأنه مدخل حزين لثلاث فجائع كان الصراع فيها بين القدر والكائن الحى ، وكان الغالب فى جميعها هو القدر الذى يعبر عنه الشاعر بـ « حدثان الدهر » .

وتتمثل قدرية الجاهليين فى قصيدة تنسبها بعض المصادر للشاعر سويد بن خذاق العبدى (من قبيلة عبد القيس التى كانت تقطن على ضفاف الخليج العربى) وفيها يتأمل الشاعر اختلاف حظوظ الناس من الغنى والفقر ، فيرى أن القدر هو الذى يمنح ويمنع دون أن تكون للبشر حيلة فى هذا ولا ذاك :

متى ما ير الناس الغنى وجاره   فقير يقولوا : عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى   ولكن احاظ قسمت وجدود
وما يكسب المال الفتى بجلاده   لديه ولكن خائب وسعيد

ولعل من أطرف الصور التى خلفها لنا تراث الشعر الجاهلى فى تصوير الدهر هى تلك التى رسمها لنا شاعر آخر من قبيلة عبد القيس لا نعرف حتى اسمه ،

وانما اشتهر بلقب مرده لتلك القصيدة ، وهو « شاتم الدهر العبدى » ، وفيها يمثل لنا الدهر فى صورة شيطان مريد أو عفريت من تلك التى كان بعض الاعراب يزعمون فى تكاذيبهم لقاءها فى قفارهم الموحشة : فهو حيوان خرافى رهيب قبيح الخلقة ، ذو ظهر كأنه ظهر بعير هائل مقطوع السنام ، تضطرم فوق فقاره شعل النار ، وله عرف من شعر قصير خشن ولحية مشعثة حائلة اللون ، وجبهة ضيقة كأنها سير من سيور النعال تشبه جبهة القرد ، وأنف قصير مجدوع ، وخدان مائلان ، ونظرات شزر تنذر بالشر والويل :

لما رأيت الدهر وعرا سبيله ... وأبدى لنا ظهرا أجب مسلعا
ومعرفة حصاء غير مفاضة ... عليه ولونا بالعثانين أجدعا
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة ... وصعر خديه وأنفا مجدعا
هناك ذكرت الذاهبين أولى النهى ... وقلت لعمرو والحسام : ألا دعا

- ٢ -

ويشرق نور الاسلام على جزيرة العرب ، وترفع دعوته راية ثورة فكرية تعمل على تحرير الفكر من طغيان هذا المفهوم الجاهلى للدهر ، وما يتضمنه من جبرية تقف عاجزة مستخذية أمام ذلك القدر الذى لا راد له ولا محيص عنه . ويجدر بنا أن نشير الى أن لفظ « الدهر » الذى رأينا مدى شيوعه فى الشعر الجاهلى لم يرد فى القرآن الكريم الا مرتين : احداهما فى معنى الزمن (سورة الانسان ، آية ١) والاخرى فى معرض التنديد بما جرى عليه كفار العرب ومن وافقهم من المشركين من نسبتهم الحوادث والنوازل التى تحل بهم من موت أو هرم الى « الدهر » والتكذيب لهم فى ذلك : « **وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون** » (سورة الجاثية ، آية ٢٤) .

ولهذا فقد كان هؤلاء « الدهرية » لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وقد انكر الاسلام كما نرى هذه الدعوى المخربة التى تشل الارادة البشرية وهدم كل ما ينبنى عليها من خرافات ، كما أنه بين للناس المغزى الحقيقى لاختلاف الليل والنهار وتعاقب الشمس والقمر ، فليس لذلك صلة بمصير البشر ، وما كان لهذه الاجرام السماوية ان تباشر اى تاثير على حظوظ الناس أو ما يصيبهم من خير او شر ، وانما الحكمة فيها مانص عليه الله تعالى فى كتابه الكريم : ((هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراوقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (سورة يونس ، آية ٥)

« وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » (سورة الاسراء ، آية ١٢) .

وفى الحديث النبوى الشريف نجد مثل هذه الدعوة الى نبذ الفكرة الجاهلية عن الدهر وانكار نسبة ما يقع على البشر اليه ، فقد أخرج البخارى ومسلم فى الصحيحين وابو داود والنسائى فى السنن من رواية سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « **يقول الله تعالى : يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الامر ، أقلب ليله ونهاره** »

وقد آتت دعوة الاسلام الرشيدة أكلها بغير شك ، فاليها يرجع الفضل فى

تخليص الفكر من تلك القدرية التي عطلت ارادة الانسان من قبل ، غيرانه ليس من السهل دائما أن تتخلى المجتمعات والامم عن معتقداتها القديمة المتوارثة ، فقد بقى لفظ « الدهر » عند المسلمين يكثرون من استخدامه للدلالة على ما يصيب الانسان من شر ، وان لم يعن ذلك عودة الى عقيدة « الدهرية » ولا انكارا للمعاد والبعث • فنحن نرى شاعرا اسلاميا هو شمعلة التغلبى يتحدث عن عقوبة أوقعها به أحد خلفاء بنى أمية فيقول :

فان أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

ويقول آخر :

الدهر لاءم بين ألفتنا وكذاك فرق بيننا الدهر
وكذاك يفعل فى تصرفه والدهر ليس يناله وتر

ويقول أبو صخر الهذلى متحدثا عن فراق محبوبته له :

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

ويعلق أبو العلاء المعرى على هذه الابيات فيقول : « لم يدع أن أحدا من هؤلاء الشعراء كان يقرب للأفلاك قرابين ولا يزعم أنها تعقل ، وانما ذلك شيء تتوارثه الامم فى زمان بعد زمان » •

وكثيرا ما نجد فى مختارات الشعر الاسلامى التى ضمنها أبو تمام « حماسته » قصائد ومقطعات يستهلها الشاعر بقوله « لحا الله دهرا •• » ، بل اننا نجد شاعرا اسلاميا آخر هو الكميت بن زيد يوشك أن يكرر صورة رأينا مثلها من قبل عند الشاعر الجاهلى « شاتم الدهر العبدى » اذ يرى الدهر فى تقلبه واضطراب أمره أشبه بحيوان يتمرغ فى الرمل :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل المعك بالرمل

ومن الصور الطريفة التى نرى فيها امتدادا لفكرة الجاهليين عن «الدهر» تلك المناقضة التى جرت بين جرير والفرزدق ، وكل منهما يريد أن يغالب صاحبه مشبها نفسه بما ظن أنه ذروة القوة • أما الفرزدق فرأى الموت أقوى ما فى الوجود :

فانى أنا الموت الذى هو نازل بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله

وأما جرير فقد رأى فى « الدهر » ما هو أقوى وأسمى حتى من الموت نفسه :

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

على أننا نرى شراح هذا البيت يضفون عليه صبغة اسلامية فيقولون ان جريرا جعل الدهر الدنيا والآخرة لان الموت يفنى بعد انقضاء الدنيا • وعلى كل حال فان شعراء المسلمين فى العصور التالية ظلوا يستخدمون لفظ « الدهر » وما يرادفه من ألفاظ مثل الزمان أو الايام أو الليالى استخداما قريبا مما رأيناه عند الجاهليين وان يكن تصورهم له مجردا من مظنة الالحاد أو « الدهرية » كما رأينا فى تعليق أبى العلاء المعرى •

– ٣ –

ويطول بنا الامر لو تتبعنا الحديث عن الدهر فى الشعر العربى ، فلنقف به عند شاعرنا الكبير المتنبى الذى قال عنه ابن رشيق القيروانى انه « ملأ الدنيا وشغل الناس » وهى كلمة كانت صادقة على المتنبى فى أيامه ومازالت باقية الصدق حتى اليوم •

وقد ذهب الدارسون مذاهب شتى فى تفسير عبقرية المتنبى ومحاولة الوقوف

على سر اهتمام الناس به على هذا النحو الذى لم يقدر لشاعر غيره .

وقد عاش المتنبى فى عصر اشتد فيه كلب الاعاجم على الدولة العربية ، فامتلأت نفسه بالثورة على تلك الاوضاع ، واراد ان يحقق هذا الامل الذىظل يراوده منذ نعومة اظفاره ، وهو رد الدولةالى العرب وتخليص الامة الاسلامية من السيطرة الاعجمية ، وكان شعره وسلوكه تعبيرا عن هذه الرغبة وصراعا مريرا فى سبيل تحقيقها . واذا كان ابو الطيب قد عجز فى النهاية عن بلوغ امنيته وانتهت حياته الى مصير فاجع قبل ان يدرك شيئا مما كان يختلج فى صدره ويلهج به لسانه ، فان صدى كلمته قد ظل يتردد حتى اليوم فى ضمير الامة العربية وكأنه مسبار يغور فى جرح لم يأن بعد اندماله .

وقد تتبعنا لفظ « الدهر » ومرادفاته فى شعر أبي الطيب ، وهو لفظ كثير الدوران فيه ، فرأينا فى حديثه عنه تعبيرا صادقا عن نفسيته وما أصاب حركة وجدانه من تحول على طول مسيرته فى الحياة ، وقد اعتمدنا فى ذلك على استقراء شعر «الديوان» ، وعلى ماكتب حول المتنبى من دراسات حديثة لعل من خيرهاـ ان لم اقل خيرها ـ كتاب شيخنا الاستاذ محمــود محمد شاكر عن المتنبى الذى صدرت طبعته الاولى فى سنة ١٩٣٧ ، ومازالت له بعــد مرور أكثــر من اربعين سنة جدة لاتبلى وطلاوة لم ينل منها تطاول العهد ، فهو كتاب يجمع بين تذوق الشعر واستبطان قيمه الفنية وبين المنهج النقدى التاريخى . وهذه طريقة فريدة فى دراسة الشعر وتحليله ، وهى التى ينبغى أن تنتهج فى بحث الفن الشعرى .

ونعود الى الحديث عن الدهر فى شعر المتنبى ، فنرى انه يمكن أن نقسم هذا الحديث الى ثلاثة أقسام تواكب المراحل التى مرت بها حياة الشــاعر (٣٠٣ ـ ٣٥٤) :

١ ـ المرحلة الاولى : منذ صباه المبكر حتى اتصاله بسيف الدولة :

وهى فترة تزيد على العشرين سنة ، اذتمتــد بين تفتح قريحــة المتنبى فى زمن جد مبكر « نحو سنة ٣١٤ » حتى لقائه لسيف الدولة فى ســنة ٣٣٧ وتحوله الى شاعره الاول الناطق بلسانه وبلسان العروبة ممثلة فى شخصه .

وفى هذا الطور من حياة ابى الطيب نجده ثائرا متوتر الاعصاب هائج النفس ، ساخطا على مجتمعه ، مهددا بتغيير الاوضاع فيه بقوة السلاح . وقد اختلف الباحثون فى تفسير هذه الثورة التى يضج بها شعر المتنبى منذ أن كان غلاما يطلب العلم فى كتاب يتعلم فيه صبيان الاشراف من العلويين فى الكوفة .

وقد رد الاستاذ محمود شاكر ذلك الى مايوشك ان يكون عكسا لبعض الآراء فى المتنبى ، فابو الطيب عنده علوى الاصل ، غير انه كان يكتم نسبه هــذا او كان هناك فى الكوفة من اشراف العلويين انفسهم من كان يجبره على كتمان ذلك النسب ، وادت به عداوة هؤلاء الاشراف الى الخــروج من بلده الى الشام ، وهناك حاول اظهار نسبه فى باديتها ، فقبض عليه فى اواخــر سنة ٣٢١ واودع السجن حتى سنة ٣٢٣ ، وكان سجنه لهذا السبب لا لما يزعمه المترجمون له من ادعاء النبوة .

واختلف الباحثان أيضا حول مدى ما انتهت اليه نوازع السخط والتمرد عند أبى الطيب . فالدكتور طه حسين رأى أن ثورته قد انتهت به الى الاتصــال بالقرامطة ، بل والى التحول الى داعية من دعاتهم ، وهو يتابع فى هــذا رأى المستشرق الفرنسى الاستاذ بلاشير .

وأما الاستاذ محمود شاكر فقد أنكر قرمطيـــة المتنبى كل الانكار ، ورأى أن الامر لا يتجاوز محاولته اظهار نسـبته العلوية ، الا أن ذلك أحفظ خصـــومه العلويين ، فزجوا بــــه فى الســـجن واســـتمرت عداوتهم له بعد ذلك طيلة حياته . على ان مقابلة الرأيين على شعر أبى الطيب والحجج التى ساقها الاستاذ محمود شاكر فى دراسته الاولى ، ثم ماتجمع لديه من حجج جديدة ونصوص توفرت له حينما أخرج الطبعـة الاخيرة من كتاب « المتنبى » ــ كل ذلك يحمل الباحث على قبول رأيه فى علوية المتنبى وتفسير ما كان يضطرم به شــعره من ثورة على أساسها .

ونعود الى استخدام المتنبى للفظ الدهر ومرادفاته فى هـــذا الطور من أطوار حياته ، فنرى أنه لا يعنى به ما رأيناه فى الشعر القديم من « القدر » ، وانمـا يعنى به فى الغالب مجتمعه وأهل زمانه ، ولعله كان يخص من « أهل » هـــذا الزمان اولئك الذين تعمدوه بالاذى والاضطهاد ، وهو لذلك يجزيهم كراهيـة بكراهية ، ويصب عليهم سوط غضبه ويرى نفسه معهم فى حرب دامية يتوعدهم فيها بأشد النكال ، هذا على الرغم من معرفته بقصور وسائله وقلة حيلته ، ولعل من أدل شعره على ذلك فى هذه المرحلة من حياته قصيدته الميمية التى قالها فى صباه بالكوفة ، وهى من أول قوله :

ليس التعـــلل بالآمال من اربى ... ولا القناعة بالاقلال من شـيمى
ولا اظن بنـــات الدهر تتركنى ... حتى تسد عليهـــا طرقها هممى
لم الليالى التى اخنت على جدتى ... برقة الحـــال واعذرنى ولا تلم

وتروع المرء فى هذه الابيات نبرة التحدى وعدم الاستكانة لما هو فيه من فقر ورقة حال وقلة معين ، وأكثر من هذا صدورها عن غلام مراهق لا يمنعه صـباه وعجزه من التحفز لمواجهة مجتمعه الذى انقلبت فيه الاوضاع ، فأصبح الخدم فيه هم الملوك ، والاذناب هى الرءوس ، بل ان هذا الصبى الصغير لا يكتم ما يريده بهذا المجتمع :

لقـد تصبرت حتى لات مصـــطبر ... فاليـــوم اقحم حـتى لات مقتحم
لاتركن وجـوه الخيل ساهمـة ... والحرب اقـوم من ساق على قـدم
بـكل منصـلت ما زال منتظـرى ... حتى أدلت له من دولة الخـــدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ... ويســـتحل دم الحجاج فى الحـرم

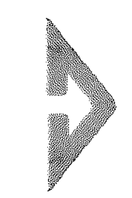
وتذهب بالغلام نفسه الى أقصى درجات العجب والخيلاء ، فيقول فى سذاجة قد تحمل على الابتسام وان كانت قوة تعبيره وجلادته تملأ النفس بالاعجـــاب ، وهو يوجه الخطاب الى ملوك عصره عربهم وعجمهم على السواء :

ايملك الملك والأسياف ظامئـــة ... والطـــير جائعة لحم على وضـــم
من لو رآنى ماء مات من ظمـــا ... ولو مثـلت له فى النـــوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشـــفرتين غدا ... ومن عصى من ملوك العـرب والعجم

ويمضى أبو الطيب فى أحلام يقظته هذه ، فيتصور الزمان ــ أو أهـل الزمان بتعبير أصح ــ قرنا ينبرى لقتاله ، فلا يتردد فى قبول التحدى ومباشرة النزال ، كما نرى فى قصيدته التى خاطب بها معاذ بن اسماعيل اللاذقى :

ابا عبـــد الاله معـــاذ انى ... خفى عنـــك فى الهيجا مقامى
ذكرت جســـيم مطلبى وانا ... نخاطـــر فيــه بالمهج الجســـام
امثـــل تاخـــذ النـــكبات منـه ... ويجــزع من ملاقاة الحمـــام





ولو برز الزمان الى شخصا   لخضب شعر مفرقه حسامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني   فويل في التيقظ والمنام

ويرى الشاعر الدهر في صورة جيش من الفرسان يحاصرونه لكي يوقعوا به ، الا أنه لا يخيم عن اللقاء ويقدم عليه اقدام السيل الجارف ، فهذا هو المجد الحقيقي : هو « قبول التحدي » ومواصلة القتال وحشد الجيوش وشن الغارات:

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر   وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
وأشجع مني كل يوم سلامتي   وما ثبتت الا وفي نفسها أمر
تمرست بالآفات حتى تركتها   تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت اقدام الأتي كان لي   سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها   فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة   فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى   لك الهبوات السود والعسكر المجر

« الدهر » عند المتنبي في هذا الطور من شبابه المفعم بالحماسة النابض بالتحدي ليس هو القدر المحتوم الذي لا مرد لحكمه ولا جدوى من مقاومته ، بل هو مجتمع فاسد لا بد أن تغير أوضاعه بحد السيف . والشاعر الثائر لا يرى « حظه » في الرضا بما قسم له ، وانما يرى المجد في المثابرة على العمل من أجل التغيير ، سواء أبلغ هذا الامل أم خذلته عنه وسائله :

أقل فعالي بله أكثره مجد   وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد
سأطلب حقي بالقنا ومشايخ   كأنهم من طول ما التثموا مرد

وهو هنا يعود الى التهديد باستخدام القوة من أجل استرداد « حقوقه » ، ثم يصل ذلك بصورة غريبة ، وهي الشكوى الى الزمان من أهله :

أذم الى هذا الزمان اهيله   فأعلمهم فدم واحزمهم وغد !
وأكرمهم كلب ، وابصرهم عم   واسهدهم فهد واشجعهم قرد !

ويكرر هذه الصورة وهو يحمل على مجتمعه ولا سيما طبقة الملوك منهم في مدحه للمغيث بن بشر العجلي ، فيقول :

ودهر ناسه ناس صغار   وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم   ولكن معدن الذهب الرغام
أرانب غير انهم ملوك   مفتحة عيونهم نيام
باجسام يحر القتل فيها   وما أقرانها الا الطعام

وهو يتخيل الزمان ــ والمقصود به أهله ــ وقد ضاق ذرعا به ، الا أنه لايبالي بذلك ، لأنه يراه واقفا تحت اخمصيه ، ويعود الى التهديد بالحرب ، فهو يأبى أن يلحق به ظلم ، ودون ذلك أن تشرق الأرض من حوله بالدماء :

ضاق ذرعا بان اضيق به ذرعا زماني واستكرمتني الكرام
واقفا تحت اخمصي قدر نفسي   واقفا تحت اخمصي الأنام
أقرارا الذ فوق شرار   ومراما أبغي وظلمي يرام
دون أن يشرق الحجاز ونجد   والعراقان بالقنا والشآم

ومن هذه النماذج يمكن أن نرى تصور أبي الطيب في صباه وشبابه للدهر أو الزمان ، فهو لايعني عنده ذلك المفهوم الغيبي القديم الذي يرادف القدر وما يقترن به عند البشر من استسلام وخضوع ذليل ، وانما هو مجتمع لايذ

أن تقلب أوضاعه ، وتعبير المتنبي ازاءه بعيد عن تلك القدرية الجبرية في الشعر القديم ، بل فيه اعتداد بارادة الانسان وحريته وقدرته على شق طريقه لنفسه .

ولهذا فانه على الرغم من شكوى أبي الطيب المستمرة خلال هذا الطور من حياته فان شعره يخلو من التشاؤم السلبي ، بل هو في توتره وحركته الدائبة نابض بالتفاؤل والثقة بالمستقبل ، وان كانت كل الظروف من حوله معادية .

٢ ـ المرحلة الثانية : شعر المتنبي في ظل سيف الدولة :

وهي الفترة المتضمنة بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٦ حينما فارقه لاحقا بمصر .

ولا يختلف استخدام أبي الطيب للفظ « الدهر » ومرادفاته كثيرا عن استخدامه لها في المرحلة السابقة ، الا أننا نلاحظ في حركة وجدانه تطورا له خطره ، فرنة الشكوى القديمة زالت أو كادت تزول ، وحل محلها شعور بالرضا وشيء من الطمأنينة ، لا لما بلغه الشاعر في ظل الامير الحمداني من ثروة وجاه وشهرة ، وانما لانه كان يرى في سيف الدولة تحقيقا لما كان يطمح اليه ، فهو الذي يمثل الفتوة العربية ، وعليه ينعقد أمل الشاعر في تغيير أحوال الامة الاسلامية التي جثم على صدرها الاعاجم .

كان المتنبي يرى في سيف الدولة صورة نفسه الثائرة ، واذا كان أبو الطيب خلال مسيرة حياته السابقة قد قعدت به أسبابه عن ادراك بغيته ، فهاهو ذا الان يرى أميرا عربيا قادرا على حمل الراية وخوض غمرات الكفاح .

ونرى في شعر المتنبي في هذا الدور كيف يكون الصراع هو قدر الانسان ، ولا حياة بغير كفاح :

انما أنفس الانيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شيء غلابا ... واغتصابا ، لم يلتمسه سؤالا !

وبقدر علو الهمة يكون التعب في سبيل بلوغ الامل :

واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الاجسام

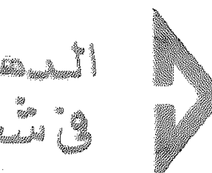
واذا كانت حظوظ الناس تختلف فليس ذلك ضربة لازب من قدر يتصرف في البشر كما لو كانوا دمى لا حول لها ولا قوة ، وانما الانسان هو الذي يخط قدره بيده ، فليست الايام هي التي تحدد للناس حظوظهم ، بل هي نفسها التي تتفاوت حظوظها بقدر تفاوت هممهم :

فذا اليوم في الايام مثلك في الورى ... كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا
هو الجد حتى تفضل العين أختها ... وحتى يصير اليوم لليوم سيدا

ويرى المتنبي في سيف الدولة صورة الانسان القادر على أن يرسم بارادته الحرة طريق المستقبل ويخضع لرغبته تصاريف القدر ، ولهذا فان مدائحه له تتحول الى ضرب من انتصار الانسان على « الدهر » ، فهو يقول في احدى سيفياته المبكرة حينما قصد أميره ميافارقين لزيارة قبر والدته في سنة ٣٣٨ :

تعرض سيف الدولة الدهر كله ... يطبق في أوصاله ويصمم
فجاز له حتى على الشمس حكمه ... وبان له حتى على البدر ميسم

بل ان سيف الدولة قادر على أن يتحدى ارادة القدر فيحمي من جوره حتى الامم البائدة :



اجار على الايام حتى ظننتـــــه   تطالبـــه بالرد عاد وجـــرهم

ويقول في ميميته الخالدة التي يصف فيها انتصـــار سيف الدولة على الروم وبناءه قلعة الحدث سنة ٣٤٣ :

خريدة دهر ســـــاقها فرددتها   على الدين بالخطى والدهر راغم
تفيت الليالى كل شيء اخـــذته   وهن لما يأخـذن منـك غـوارم
اذا كان ما تنويه فعلا مضــارعا   مضى قبل أن تلقى عليــه الجوازم

ويتحدث عن انصياع « الدهر » لسيف الدولة في قصيدة يمدحه بها حينما أرسل اليه ملك الروم سفارة يطلب فيها الهدنة سنة ٣٤٤ :

فتى تتبع الازمان في الناس خطوه   لكل زمـــان في يديه زمـــام

ويكرر هذا المعنى داعيا لسيف الدولة حينما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة سنة ٣٣٧ :

وأراك دهرك ما تحاول في العدا   حتى كان صروفه انصـــار

ويقول في أول قصيدة مدح بها سيف الدولة سنة ٣٣٧ :

ويستكبرون الدهر والدهـر دونه   ويسـتعظمون الموت والموت خادمه

شعر المتنبي خلال هذه السنوات التسع طافح بالقوة والحركة ، ونحن نحس فيه بما يشبه أن يكون حلاوة انتصار الانسان على القدر ، ولا نكاد نلمح فيـــه شيئا من التراجع أو الضعف الا في حالتين :

الاولى حينما يتحدث الشاعر عن هزيمة يمني بها سيف الدولة ، ولكن الضعف هنا لا يصل أبدا الى حد اليأس ، بل سرعان ما تعود للشـــــاعر حميته ورباطة جأشه ، فاذا به يصور الدهر معتذرا عما كان منه ، والممدوح قادرا على التماسك واستعادة زمام المبادرة ، كما نرى في قصيدته التي يذكر فيها وقعة نكب فيهـا المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث في سنة ٣٣٩ ، حيث يقول :

الدهر معتذر والسيف منتظر   وارضهم لك مصطاف ومرتبع

والحالة الثانية حينما يتحدث عن الموت في معرض الرثاء لشخص عزيز عليه أو على أميره سيف الدولة ، فحينئذ يربط المتنبي بين الموت والدهر ، فيـــدركه شيء من التشاؤم الذي يكاد يخلو منه شعره في ظل فارس بني حمدان . ونضرب على ذلك مثلين من مراثيه :

الاول في رثائه لأم سيف الدولة حيث يتحدث عما رماه به « الدهـــر » من الأرزاء المتوالية « سنة ٣٣٧ » :

رمـــانى الدهـــر بالأرزاء حـــتى   فـــؤادى في غشـــاء من نبـــال
فصرت اذا اصـــابتنى ســـــهام   تكسرت النصـال على النصـــال
وهان فمــــا أبالى بالـــرزايا   لانى مـــا انتفعت بأن أبــــالى

والثاني في رثاء أبي الهيجاء بن سيف الدولة وقد توفي طفلا صغيرا في سنة ٣٣٨ :

نبـكى لموتانا على غـــير رغبـــة   تفـــوت من الدنيا ولا موهب جزل
اذا ما تاملت الزمـــان وصرفه   تيقنت ان الموت ضرب من القتـــل
وما الدهر اهل ان تؤمـل عنـــده   حياة وان يشـــتاق فيه الى النسل

ولكنك اذا تأملت هذين المثلين رأيت أن ما يعبر عنـــه المتنبي فيهما ليس ذلك

الخضوع القدرى المستسلم للدهر كما رأينا فى الشعر العربى القديم ، بل هو ضرب من الفتور المؤقت الذى لا يشل الارادة ، هو استكانة عابرة يعود بعدها المحارب الى حلبة الكفاح ، ففى القطعة الاولى سرعان ما يستمد الشاعر من ألمه قوة دفع جديدة ، فاذا به يستهين بما يصيبه من خطوب ، فيعلن أنه لا يبالى بها ، وفى المثل الثانى يرى فى الموت ضربا من القتل ، أى أنه يجعله حلقة من حلقات الصراع الذى تخوضه البشرية · صحيح أن النهاية واحدة ولكن القتال يوحى بمعنى الارادة التى لا تستسلم ولا تلين ·

٣ ــ المرحلة الثالثة : منذ مفارقته سيف الدولة حتى وفاته :

اى الفترة المتضمنة بين سنتى ٣٤٦ و ٣٥٤

خرج أبو الطيب من بلاد سيف الدولة متوجها الى مصر فقدمها فى جمادى الثانية سنة ٣٤٦ ثم بارحها بعد أربع سنوات ونصف ، فقصد الى مسقط رأسه الكوفة . وبين العراق وفارس قضى مابقى من عمره حتى لقى مصرعه فى السابع والعشرين من رمضان سنة ٣٥٤ ·

وشعر أبى الطيب خلال هذه السنوات الثمانى الاخيرة من عمره وان كان يحمل سمات شخصيته المتفردة فانه يختلف اختلافا بينا عن شعره السابق ، فقد عرفنا المتنبى حتى ذلك الوقت ثائرا متمردا يدعو منذ صباه « للادالة من دولة الخدم » وينصب نفسه لسانا ناطقا عن ضمير الامة العربية التى مزقتها نوازع الفرقة وسيطرة الاعاجم ، ولكنه يرى نفسه فى النهاية مضطرا بعد فراقه لسيف الدولة للتنازل عن مبادئه ، وللوفود ببضاعة شعره على أولئك العبيد والاعاجم أنفسهم وأعوانهم ، يمدحهم بلسانه وهو يكن فى نفسه لهم أعمق الاحتقار · ونحن نستقرىء شخصيات هؤلاء الممدوحين من كافور الحبشى الى عضد الدولة الديلمى ، فلا نرى فيهم الا من عناهم أبو الطيب بقوله قبل ذلك بنحو عشرين سنة :

لا اقترى بلدا الا على غـــرر	**ولا أمر بخلق غـــير مضـــطغن**
ولا اعاشر من املاكهم ملـــكا	**الا احـق بضرب الرأس من وثن**

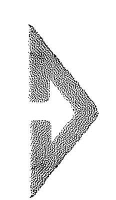
ولنا أن نتصور عمق شعور أبى الطيب بخيبة الامل حينما قصد هؤلاء وهم الذين كان يمنى نفسه فى شبابه بأن ينتصف منهم اذا امتد به العمر :

مدحت قوما وان عشنا نظمت لهم	**قصائدا من اناث الخيل والحصن**
تحت العجاج قوافيها مضـمرة	**اذا تنوشـدن لم يدخلن فى أذن**
فلا احارب مدفوعا الى جـــدر	**ولا اصالح مغـــرورا على دخن**

واذا كان شعر أبى الطيب قد اتسم حتى خروجه من حلب بسورة المحارب واعتداد البطل الواثق بنفسه المعتز بقوته وقدرته ، سواء فى حالات سخطه أو رضاه ، فانه فى هذا الطور الاخير قد أدركه اليأس والعجز لاول مرة ، بعد أن ذاق مرارة الهزيمة ·



وحينما يتحدث أبو الطيب عن « الدهر » أو القدر فى هذه المرحلة نحس بهذا التبدل الذى طرأ عليه ، فهو فى مرثيته لخولة اخت سيف الدولة وتعزية أميره وصديقه السابق عنها (سنة ٣٥٢) يقف أمام « الليالى » معترفا بقدرتها على الحاق الهزيمة بالقوى على يدى الضعيف :



فلا تنلك الليالى ان أيديها اذا ضربن كسرن النبع بالغرب
ولا يعن عدوا أنت قاهره فانهن يصدن الصقر بالخرب

ثم يتأمل أحوال الدنيا ، فتسبق الى خاطره ألفاظ ما كانت لتجرى على لسانه من قبل :

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

وقد كان أبو الطيب يرى حظ الانسان هو ما اختاره لنفسه ، وناله بجده وعمله ، ولكن فكرة الحظوظ المقسومة المقدرة تلح عليه الان الحاحا شديدا ، ولا غرو فهو لا يفسر اعتلاء كافور وأمثاله من « العبدى » والموالى على عروش الامصار الاسلامية الا بانها ضربات حظ غاشم لا يعرف التمييز ، ونتبه هنا الى كثرة الحديث عن « الحظ » فى كافوريات المتنبى على نحو لا نرى له مثيلا من قبل فى شعره ، وتأمل هذه الابيات فى واحدة من أولى هذه القصائد :

فيا أيها المنصور بالجد سعيه ويا أيها المنصور بالسعى جده
فانك ما مر النحوس بكوكب وقابلته الا ووجهك سعده

وفى قصيدة تالية وكأنه يتعجب من اصابته الرأى بغير جهد ، ويستكثر عليه النصر بغير كفاح :

قد يصيب الفتى المشير ولم يجهد ويشوى الصواب بعد اجتهاد
نلت مالا ينال بالبيض والسمر وصنت الارواح فى الاجساد

واذا كان أبو الطيب فى الابيات الدالية السابقة قد وازن بعض الموازنة بين السعى والحظ ، فانه بعد ذلك كاد يفرد قصيدة كاملة للحديث عن انتصار كافور بفضل حسن حظه وسعد طالعه ، ونعنى بها نونيته التى ذكر فيها ثورة شبيب العقيلى على كافور ومقتله بدمشق سنة ٣٤٨ ، فهى قصيدة عجيبة يكاد يكون محورها الاساسى الحديث عن الحظ ، وقد حشد أبو الطيب فيها — مع أنها **لا تتجاوز سبعة وعشرين بيتا — عددا كبيرا من الالفاظ التى تتعلق بهذا المعنى من أمثال : الثقلين (وترد مرتين) ، النجم ، الدبران ، الفلك الدوار ، قضاء الله ، الحدثان ، الجد (بفتح الجيم) ، السعد ، المقدار ، الدهر .**

وهى ألفاظ ما كان أبو الطيب ليجمعها من قبل فى مثل هذا العدد القليل من الابيات . ولنستمع الى أبياته فى اللحظات الاخيرة لحياة شبيب وفى مصرعه الذى أتى بغير توقع ، وكأنه يرثى هذا المتمرد بدلا مما تقتضى المناسبة من ذمه :

نفى وقع أطراف الرماح برمحه ولم يخش وقع النجم والدبران
أتته المنايا فى طريق خفية على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت سبل السلاح لردها بطول يمين واتساع جنان
تقصده المقدار بين صحابه على ثقة من دهره وأمان
وهل ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معان

ثم ينهى القصيدة مخاطبا ممدوحه كافورا بقوله :

قضى الله يا كافور انك أول وليس بقاض أن يرى لك ثان
فما لك تختار القسى وانما عن السعد يرمى دونك الثقلان
وما لك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طعان بغير سنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده وأنت غنى عنه بالحدثان

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران !

فمفهوم « الدهر » هنا يكاد يكون ردة الى المفهوم القدرى القديم الذى رأينا مثله فى الشعر الجاهلى والاسلامى الذى سقناه فى أول هذا الحديث · بل ان الامر يصل به الى حد الاعتقاد بأن المرء قد يخيب سعيه لا لشيء الا لأنه بذل غاية الجهد واستفرغ أقصى الطاقة ، كما يقول فى احدى مدائحه الاخيرة لعضد الدولة (سنة ٣٥٤) :

والامر لله ، رب مجتهد ما خاب الا لانه جاهد

واذا كان الاسلام قد هذب مفهوم « الدهر » الجاهلى من مظنة التعطيل والالحاد فان أبا الطيب بعد خروجه من مصر وهو يتأمل ما استدبر من أمره تصيبه الحيرة ، فتبلغ به الى حد الريبة فى العقيدة ، ومقاربة الرجوع الى أغلظ ما كانت الجاهلية الجهلاء تدين به من أمر التعطيل ، اذ يرى أن استيلاء كافور وأمثاله على مقاليد الحكم فى بلاد المسلمين يوشك أن يستحيل الى حجة يتنفج بها الدهرية والمعطلة والمنادون بقدم العالم ، اذ لو كان للعالم مدبر وكانت الامور جارية على تصريف حكيم لما ملك أمثال هذا العبد :

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم
ألا فتى يورد الهندى هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم
فانه حجة يؤذى القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

واذا كان أبو الطيب عظيما فى تعبيره ابان سنى شبابه عن الثورة العارمة التى تتحدى الدهر وتريد أن تقلب موازين الكون بفضل ارادة الانسان الحرة ، فانه الان وهو بأخرة من عمره ما زال عظيما أيضا حينما انتهى الى هذه الاستكانة القدرية العاجزة ، استكانة البطل الذى تحطم سلاحه ، ولم يبق أمامه الا تجرع الصبابة الاخيرة من كأس الهزيمة المر · ولنستمع اليه يقول فى نبرة هادئة حزينة بطيئة الايقاع وهو يتحدث عن الزمان :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ ـه وان سر بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ ـه ولكن تكدر الاحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الد هر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

أو وهو يقول فى تذكر مسيره عن مصر مستعرضا حياته الماضية التى بدت له كفاحا عقيما باطلا منبت الثمرة :

هون على بصر ما شق منظره فانما لحظات العين كالحلم
الدهر يعجب من حملى نوائبه وصبر جسمى على احداثه الحطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته فى غير امته من سالف الامم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

نجاحك .. ذكاء أم حظ ؟

● مصطفى الشهابى ●

● أيهما أشد تأثيرا فى حياة المرء : ذكاؤه أم حظه ؟ ●

اقرأ هذه الأسطورة أولا

التقى الذكاء ذات يوم بالحظ وهو جالس على مقعد باحدى الحدائق، فقال الحظ للذكاء :

ـ افسح لى مكانا لأجلس !

وشعر الذكاء بشىء كثير من التحدى من جانب الحظ ، ولم يدر أيهما يجب أن يفسح مكانا للآخر فأجاب :

ـ ولماذا أفسح لك مكانا ؟ أأنت أفضل منى ؟!

ورد عليه الحظ :

ـ الافضل منا هو الأقوى !

ثم أشار الى بستانى يشذب أشجار الحديقة وقال :

ـ أترى هذا الشاب البستانى ، ادخل فى راسه فاذا صار بعد قليل من الزمن احسن حالا من الآن ، اعترفت بتفوقك وافسحت لك المكان والطريق ، بل وتركت لك مقعدى اذا كنت جالسا ، كلما وحيثما تلاقينا !

ورحب الذكاء بهذا الاقتراح وأسرع بالدخول فى رأس ((كارل)) ـ الشاب البستانى .

لم تمض لحظات قلائل حتى بدأ « كارل » يفكر فيما حوله وفيما يقوم به من أعمال وتساءل فيما بينه وبين نفسه :

ـ هل سأظل أشذب الاشجار وانسق الأزهار طوال عمرى فى هذه الحديقة الصغيرة ؟ لاشك اننى يمكننى بالبحث أن أجد حديقة أكبر حيث احصل على أجر أكبر ورزق أوفر !

وعاد « كارل » لبيته حيث وجد أباه هناك فبادره بقوله :

ـ يا أبت ، انى كرهت العمل بتلك الحديقة الصغيرة ، وأود أن اعمل بحديقة اكبر ...

وتساءل الأب :

ـ وأين هى تلك الحديقة الأكبر ؟

وهنا أوحى الذكاء « لكارل » بالجواب التالى :

ـ انها حديقة الملك !

وقال الوالد متعجبا :

ـ ماذا جرى لك يابنى ؟ هل فقدت عقلك ؟! ان العمل بحديقة الملك امر قد لا يتحقق لك بسهولة ، ومع ذلك فاذا كنت مصرا على رأيك فامض فى طريقك والله يوفقك ...

***

وتوجه « كارل » الى قصر الملك ، وانتظر عند الباب الخلفى الذى يؤدى الى الحديقة ، وما هى الا لحظات حتى رأى البستانى المشرف عليها قادما ، فحياه وطلب اليه ان يمكنه من العمل معه فى تلك الحديقة .

وابتسم البستانى ، وكأنه على موعد مع ((كارل)) ، ذلك لأن مساعد البستانى كان قد توفى منذ بضعة أيام فأخذ يعمل وحده ، وفى نفس الوقت أخذ يبحث عن شاب يساعده ، فلما تقدم له ((كارل)) رحب به ، وبعد أن سأله بضعة أسئلة عن خبرته بشئون الحدائق ، أجابه اجابات تنم عن خبرة ودراية ، ووافق على أن يكون مساعدا له .

وسرعان ما وعى ((كارل)) كل ما كسبه ذلك البستانى من خبرة طويلة ، بل تفوق عليه لحدة ذكائه وسرعة ادراكه، وفى أيام قلائل لم يعد فى حاجة لاستشارته ، بل أخذ يبتكر طرقا جديدة فى فلاحة البساتين بحذق ومهارة ، الامر الذى أغضب البستانى فى البداية ، ولكنه بعد تفكير عميق ، وازاء النتائج الباهرة التى وصل اليها ((كارل)) ، لم يجد بدا من

الاحتفاظ به ، بل وشجعه ايمانا منه بأنه اذكى منه ...

ولم تمض بضعة أشهر حتى لبست الحديقة حلة قشيبة مما استرعى نظر الملك واعجابه ، وجعله يكثر التردد عليها مع الملكة ومع الاميرة الشابة ، ابنته الوحيدة .

كانت تلك الاميرة جميلة ولطيفة ، غير أنها منذ بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، اصيبت بمرض مفاجيء افقدها النطق ، مما سبب الألم للملك وزوجته ، بل والأميرة نفسها ، اذ كان يرتسم على وجهها الحزن الدائم ، لعدم مشاركتها والديها وغيرهم الحديث ، كما كانت تفعل من قبل .

وعرف « كارل » بقصة الاميرة ، وبعد تفكير عميق طلب المثول بين يدي الملك ، وعرض ان يتولى مساعدة الاميرة على النطق ، فحذره الملك من عواقب فشله ولكن « كارل » أصر على طلبه : ولم يجد الملك بأسا من ان يضيف الى المحاولات السابقة محاولة جديدة ..

وسار الملك وزوجته وبعض مستشاريه الى غرفة الأميرة ، حيث كانت جالسة تداعب كلبها الجميل الذى ولعت به لانه كان يفهم جميع اشاراتها .

ولما كان « كارل » يعرف أمر هذا الكلب فقد تظاهر عند دخوله غرفة الأميرة بانه لم يرها ووجه انظاره الى الكلب ، وتحدث اليه قائلا :

ــ انا أعرف أيها الكلب انك ذكى وذكى جدا ، ولذا جئت اليك طالبا رايك فى مشكلة يهمنى ان أصل الى حل عادل وحاسم بشأنها ...

كنا ثلاثة رفقاء فى السفر أولنا نحات ، والثانى خياط ، والثالث أنا .. وبينما كنا نجتاز غابة كبيرة داهمنا الليل فاضطررنا للمبيت فيها . ولخوفنا من الوحوش الضارية اشعلنا نارا واتفقنا على أن يسهر كل منا ثلث الليل للحراسة ولتغذية النار بالوقود .

وكان دور النحات أولنا ، ولكى يسلى نفسه ويقضى الوقت فى شيء يشغله فقد امسك بقطعة كبيرة من الخشب واخذ فى نحتها على شكل فتاة ، وعندما انتهى منها كان دوره فى الحراسة والسهر قد انتهى ، فأيقظ الخياط ليبدأ دوره .

ولما رأى الخياط تمثال الفتاة سأله عن مصدره فروى له ما فعل ونصحه بأنه اذا اراد الا يمل من السهر والحراسة فعليه أن يشغل نفسه بشيء بعمله ، واقترح ان يفصل ملبسا ملائما للفتاة الخشبية .

وفى الحال امسك الخياط بمقص وابرة وخيط وبعد أن قص ملابس الفتاة وخاطها ، البسها اياها .

وكان « كارل » يراقب الأميرة دون أن تشعر ، ولاحظ على وجهها الاهتمام بما كان يرويه للكلب ، فشجعه ذلك على الاستمرار فى قصته فاستطرد قائلا :

ــ ثم جاء دورى فأيقظنى الخياط لاقوم بدورى فى الحراسة ، ولما سألته عن ذلك التمثال روى لى ما حدث ، ونصحنى اذا شئت الا اسأم السهر ان أقوم بتعليم الفتاة النطق والحديث .. وفعلا اخذت أعلمها النطق والحديث ، وما كادت الشمس تشرق حتى كانت الفتاة تتكلم وتتحدث كأى كائن بشرى !

وبعد قليل استيقظ رفيقاى ، وطمع كل منهما فى زواج الفتاة فقال النحات: « أنا الذى صنعتها ! » وقال الخياط: « وانا الذى كسوتها ! » اما انا فقلت : « انها يجب ان تكون من نصيبى لأننى الذى علمتها النطق ! »

والآن ، قل لى أيها الكلب الذكى : لأى منا يجب أن تكون الفتاة ؟.

وطبيعى الا يجيب الكلب ...وكانت المفاجأة ان الأميرة نطقت قائلة :

ــ يجب ان تكون الفتاة لك وحدك . فما فائدة الفتاة التى صنعها النحات، والكسوة التى البسها اياها الخياط بدون نطق ؟ . ولذا فانت احق بزواجها!

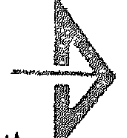
واغتبط « كارل » لأمرين ، أولهما أن الأميرة نطقت ... وثانيهما أن حكمها أو رأيها كان فى صفه !

ولذلك قال :

ــ لقد أصدرت الحكم بنفسك يا سيدتى الأميرة ، فلقد منحتك النطق ثانية وأعدت لك الحياة من جديد فانت لى ؟!

***

ولكن كبير مستشارى الملك وجه



الحديث الى « كارل » بقوله :

— ان مولاى الملك سيغدق عليك العطايا لنجاحك فى فك عقدة لسان الأميرة ... ولكنها لن تكون زوجة لك ، لأنها يجب أن تتزوج من أمير مثلها ، وانت بستانى صغير لا تملك شروى نقير !

وأعاد الملك كلمات مستشاره ، واعدا « كارل » بهبة مالية وهدايا عوضا عن تزويجه بابنته ...

ولكن « كارل » رد مؤكدا انه لن يقبل بديلا آخر ، وقال :

— ان مولاى الملك وعد ان يزوج الأميرة للرجل الذى يجعلها تنطق ، دون ان يستثنى من ذلك أى فرد كائنا من كان ... وكلمة الملك بمثابة قانون ، فاذا أراد الملك أن تحرص الرعية على اتباع قوانينه فمن واجبه أن يحافظ على كلمته ، ومن ثم يجب أن يزوجنى بالأميرة ابنته .

وهنا صاح مستشار الملك :

— كيف يجرؤ أحد رعايا مولاى أن يقول انه يجب أن يفعل هذا أو ذاك . ان من يصل الى هذا الحد من الجرأة انما يتحدى مولانا الملك ، وليس من عقاب لهذا التحدى سوى القتل ...

ثم اتجه المستشار بالحديث الى الملك ، وبعد أن انحنى قال :

— هل يسمح مولاى بالقبض على هذا الشاب الأحمق واعدامه ؟

وأجاب الملك بالموافقة ...

وسرعان ما ألقى حرس الملك القبض على « كارل » واقتادوه الى السجن ريثما تعد منصة لتنفيذ الاعدام ..

وبعد بضع ساعات وصل الحراس « بكارل » الى ساحة الاعدام ...

وهناك كان الحظ واقفا فى انتظار الذكاء .. فلما رآه بادره بقوله :

— اترى ماذا أصاب هذا الشاب على يديك ؟ .. انه على وشك ان يفقد حياته . اتركه ودعنى اقف الى جانبه ، وسأتولى أمره !

ودقت الطبول ايذانا ببدء اجراءات تنفيذ الاعدام ، وعندما شرع الجلاد فى استخراج السيف من جرابه وجده مكسورا ، فترك منصة الاعدام وذهب ليحضر سيفا آخر ...

وما كاد الجلاد يولى المنصة ظهره حتى سمع المحتشدون حول المنصة صوت بوق فاتجهوا نحو الصوت فوجدوا جنديا ينفخ فى بوق ويلوح بعلم ابيض ، ولما اقترب من المنصة صاح : « أوقفوا تنفيذ حكم الاعدام ! »

وما هى الا لحظات حتى وصلت عربة ملكية لتعود « بكارل » الى قصر الملك ...

والسبب أن الأميرة لما سمعت بحكم الاعدام صارحت والديها بان « كارل » لم يخطىء فيما قال لأن وعد الملك يجب أن يكون نافذا ، ومن ثم وجب ان يتزوجها ، واذا كان من أصل وضيع ففى استطاعة الملك أن يرفعه الى مرتبة الامراء ، وهددت بالانتحار اذا لم يلغ حكم الاعدام ويمنح لقب أمير حتى تتزوجه ...

ولم يجد الملك ازاء اصرار ابنته والحاح زوجته الا أن قال : يمنح « كارل » لقب أمير .

ثم أرسل الملك رسولا ليوقف التنفيذ ، وعربة لاحضار « كارل » الى القصر .. لعقد قرانه على الأميرة .

وتم عقد القران فى حفل فخم واستقل العروسان عربة ملكية طافت بهما أرجاء المدينة فى موكب بهيج والحظ يتقدمه .

ورأى الذكاء كل ذلك وشعر بالخجل لتفوق الحظ عليه !

ويقال انه منذ ذلك اليوم كان الذكاء يتوارى كلما رأى الحظ ، أو يفسح له الطريق عندما يلتقيان ؟ ●

طرائف

لا الشمس ولا القمر !

بعد توقيع معاهدة باريس التى اعترفت فيها انجلترا باستقلال الولايات المتحدة ، أقام وزير الخارجية الفرنسية حفلة عشاء تكريما لمندوبى انجلترا والولايات المتحدة وتوثيقا لعرى الصداقة بين دولته ودولتيهما .

ونهض الوزير الفرنسى وطلب ان يشرب نخب ملكه لويس السادس عشر ووصفه بأنه يضىء فى سماء العالم كالشمس .

ولم يجد مندوب انجلترا سوى القمر الذى يسبب المد فى البحار والمحيطات فيسهل دخول السفن وخروجها من الموانىء — فشبه به ملكه ..

بعدئذ نهض مندوب الولايات المتحدة وقال : انى ادعوكم لشرب نخب جورج واشنطن الذى قال ، كما فعل يوشع من قبل ، للشمس والقمر : ((قفا ؟)) فوقفا طائعين لأمره !

الأطفال يحكمون العالم :

كان ثموستكليس القائد الاغريقى الشهير ((٥٢٠ — ٤٥٩ ق.م)) يداعب طفله عندما زاره أحد أصدقائه ، وبعد ان رحب به قال له :

— ان هذا الطفل هو الذى يحكم اليونان !

— وكيف ؟

— لأن أثينا تحكم بلاد اليونان ، وانا أحكم أثينا ، وأم هذا الطفل تحكمنى ، وهو بدوره يتحكم فيها !

حمالو الهموم

لا يخلو انسان مهما كانت منزلته من هموم وأشجان . وقد انشئت فى امريكا مكاتب مهمة موظفيها الاستماع الى أى فرد لديه هموم ولا يجد من يشكو اليه أو يواسيه ، وما عليه الا أن يتصل تليفونيا بأحد هذه المكاتب فيبادر أحد ((السميعة)) للحضور وعندئذ يشرع ((الزبون)) فى سرد متاعبه أيا كان نوعها ، والسرية مكفولة .

ولدى هؤلاء ((السميعة)) من اللطف واظهار المشاركة فى العواطف ما يدعو الى ارتياح الشاكين وشعورهم بأنهم ازاحوا من صدورهم الهموم .

كياسة

لما اعترف معاوية بأخوة زياد الذى كان يعرف باسم ((زياد ابن أبيه)) ، اراد زياد ان يحصل على اعتراف كتابى من أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ، فأرسل اليها كتابا باسمه الجديد وبدأه : **((من زياد بن أبى سفيان .. الخ)) حتى تكتب له السيدة عائشة ردا باسمه كما أصبح ، فيكون كتابها حجة لديه ..**

ولكن السيدة عائشة فطنت لما يقصد اليه ، وكان ردها : ((من عائشة أم المؤمنين الى ولدها زياد)) .

الراوية كان لصا !

كان حماد بن سابور بن المبارك قد لقب بالراوية ، لانه كان من أعلم الناس بأيام العرب واشعارها واخبارها وانسابها **وسبب اشتغاله برواية الشعر انه كان لصاً فى بدء حياته ، وحدث انه سطا على بيت وكان مما سرقه كتاب شعر ، قراه فاعجبه ، وقرأ بعدئذ كتبا اخرى فازداد اعجاباً بالشعر ، مما دفعه الى التوبة والاشتغال بالادب ورواية الشعر ..**

شارع الاختين

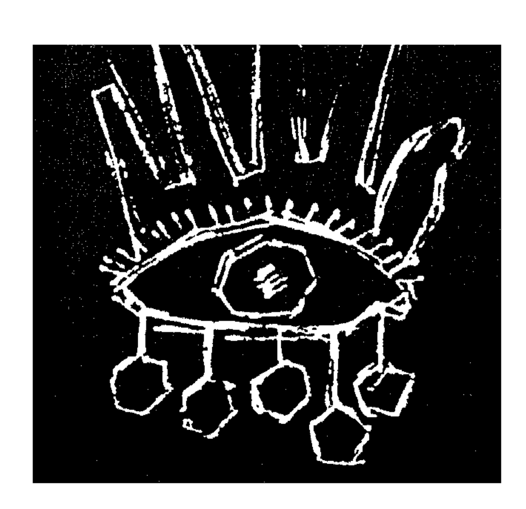
فى مدريد شارع يسمى ((شارع الاختين)) وللاسم قصة فحواها أن اسبانيا ذهب الى الحرب وكان له بنتان جميلتان ، تركهما وحدهما فى المنزل .

وخشية ان يطمع فيهما أحد لبست الكبرى ملابس شاب وقاية لها ولأختها ، وبمضى الايام اعتقد الجيران والمارون أمام البيت أن به رجلا .

وتسلل الاب الى البيت فوجد شابا نائما بجوار ابنته الصغرى ، فاستل خنجره وقتلهما معا شر قتلة .

وما أن بدت الحقيقة حتى ندم الاب ، وتأثر الجيران واطلقوا على شارعهما اسم ((شارع الاختين)) .

عن السّحر والزّار وعين الحسود !



● د. أحمد متولى مسلم ●

● معظم النـاس يخافون عين الحسود ، ويعتقدون أنهـا قادرة عـلى الضرر والاذى ... وكثير منهم يتشاءمون من شـخص ما ، ويعتبرونه نحسا ، وينسبون اليه ما يصيبهم من كوارث .. وكثير يلجأون الى وسـائل من الرقى ، والتعـاويذ ، والزار ، وقراءة الكف ، والفنجـان ، والمندل ، والتنجيم ، والتنويم المغناطيسى ، الخ .. وبمقاييس المنطق والعلم والدين فان هذه المعتقدات والممارسات ليست الا خرافات وشـعوذات .. هـذه المعتقدات مخلفات من فكر القدماء .. توارثها البسطاء جيلا بعد جيل . وكان للخرافات قوة خاصة تسـاعدها على البقاء !.

فى العصر الفرعونى، مثلا، كان الناس يعتقدون أن للانسان ــ الى جانب جسمه المادى ــ روحا (با) ، وقرينا (كا) .. ولا تزال هـذه الفـكرة تسيطر على معتقدات بعض العـامة فى عصرنا ، فعندما يقع الطفل فجأة على الارض ، تسرع اليه أمه وتقول : « اسم الله عليك .. وعلى أختك أحسن منك » ، فهى تخشى أن تكون أخته القرينة قد أصيبت بأذى !.

وقد لعب السـحر دورا حيويا فى حياة الناس أيام الفراعنة ، كان الناس ــ من خلال الكهنة المدربين على السحر ــ يطـردون الشر ، ويلتمسـون من الارواح تحقيق رغباتهم . وكانت التعاويذ وسيلتهم الى طرد المرض ، وكانوا يعلقون التمائم ، وقاية من الاذى . وقد صنعوا هذه التمائم من الحجر الملون ، والمعدن ، والخشب ، والزجاج ، وأشهرها الجعران (مرتبط بالاله الشمس) ، وعمـود أوزوريس (يهب الثبات) ، وشارة عنخ (تهب الخلود) ، وعين حوريس (تهب السعاده) ، وعقدمينات (يحمى النساء) ، وريشـة النعامة (تهب الصـدق والاستقامة) ، والشمس المشرقة (تهب الحياة والبعث) ، وربطة الحزام ، أو دم ايزيس (تهب الحماية) .

اختفت هذه التمائم ، وأصـبح البسطاء الان يعلقـون فى رقابهم بدلا منها أحجبة تختلف فى أشكالها ، لكن مضمونها واحد لا يتغير : مجرد شخبطة على الورق بالحبر الاحمر !.

وقديما صنع الكهنة تقويمـا لايام السعد والنحس ، وكان الملك يستشير الكاهن قبل أن يقوم بمشروع مهم ... وكان الساحر يصنع نموذجا للعدو من الطين أو الشمع ، ويسميه باسمه ، ثم يحطم النموذج أو يصهره ، ليهـلك العدو .

وفى عصرنا يحدث أن ترقى الفلاحة ابنها المريض، بأن تصنع عروسا من الورق ، وتنطق باسم الحاسدات المتوقعات للمريض ، وتثقب الورقة بابرة كلما ذكرت اسما منها ، ثم تحرق الورقة .

وهكذاانحدرت الينا مخلفات منالتراث الفرعونى وغيره ،ولم يستطع تقدم العلم وتطور الحياة ولا الصحافة ، ولا الاذاعة المنتشرة فى كل قرية ونجع ، أن تحرر الناس تماما من هذه الرواسب والمعتقدات ..

وقادة الفكر ظلوا يحاربون الخرافة فى الكتب والصحف منذ أكثر من نصف قرن ، ولا تزال الخرافة تعيش فى كثير من الاذهان ...

ولا يزال فى الناس من يتشاءمون من بعض الوجوه ، ويعتبرونها نحسا ، ومن بعض الحيوانات كالقطة السوداء ، ومن بعض الايام ، ومن بعض الارقام كالرقم ١٣ .

وكان العرب يتشاءمون من صوت الغراب ، ومن الطير والحيوان البارح (الذى يأتى من جهة اليسار) ويتفاءلون بالطير أو الحيوان السانح (الذى يأتى من جهة اليمين). وجاء الاسلام فنهى عن التشاؤم والتطير ، وقال النبى عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من تحلم أو تكهن ، أو رده عن سفره تطير)

ولا يزال الناس يؤمنون بالحسد ، ويعتقدون أن شخصا معينا له عين حاسدة تستطيع بنظرتها ان تسبب لهم الاذى، اويعتقدونانالناس يحسدونهم، وهذا هو سبب ما حل بهم من مصائب.

وهو تفكير لا يقوم على اساس علمى، لان الحسد لا يؤذى المحسود بقدر ما يؤذى الحاسد نفسه ، الذى يحترق بغيظه وحقده :

اصبر على حسد الحسود
فان صبرك قاتله
فالنار تاكل بعضها
ان لم تجد ما تاكله !.

وقد يرد البعض بأن الحسد مذكور فى القرآن : « ومن شر حاسد اذا حسد » . وتفسير الآية ان الحاسد لا يضر « الا اذا ظهر حسده بفعل أو قول ، لايقاع الشر بالمحسود ، فيتبع مساوئه ، ويطلب عثراته ـ القرطبى » ، اى ان الحاسد يؤذى بافعاله واقواله ضدك، لابنظرة عينيه كمايعتقدالناس. فما ابعد الفرق بين الحسد فى القرآن والحسد عند العوام .

وقد تظن أن الخرافة وقف على الاميين . والواقع غير ذلك ، فلا تزال أعداد كبيرة من المتعلمين تتردد على محترفى «فك» الرباط و «فك» العمل،

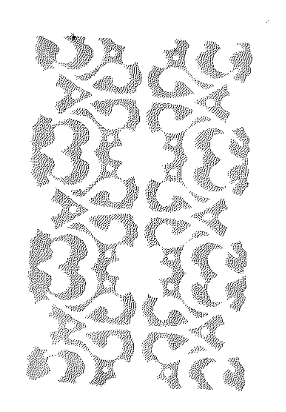
وكثير من المرضى العقليين من المتعلمين ، يترددون على الدجالين سنوات طويلة ، قبل أن يلجأوا الى الطب النفسى . ونسبة من السيدات المترنحات على أنغام الزار قد يكن من خريجات الجامعة .

وقد يصادف التعليم شخصا لهميول اجرامية واستعداد للانحراف ، فتعينه معلوماته على ابتكار اساليب جديدة لارتكاب الجريمة ، بحيث لا تطوله يد القانون . ومثال ذلك المشعوذ الذى يرتدى لباس العصر ، تجد « عيادته » فى العمارات الكبيرة داخل المدينة ، تحمل لافتة منوم مغناطيسى ، مثلا ، ويقصده البسطاء من الريف،والوافدون، فيبتز اموالهم بحركاته المسرحية ، وحتى لو تقدم أحد ضحاياه بالشكوى ضده فقد يتعذر اثبات الجرم ، والقانون لا يحمى المغفلين ...

ومن الدجالين العصريين : المعالجون بالارواح ، ومن يزعمون أنهم يجرون العمليات الجراحية بالارواح ، . والحمد لله هذه بدعة ((مستوردة)) ، وليس لها مندوبون فى مصر على ما نعلم .

والفنان الكبير الاستاذ ((يوسف وهبى)) الذى جرب علاجهم فى الخارج اكثر من مرة ، يؤكد ان تسعة وتسعين فى المائة من هؤلاء المعالجين بالارواح ، ليسوا الا ... نصابين أفرنجى !.

الحظ والقدر والأمير الشاعر



● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

— ١ —

● كان الاحتفال بمولد الامير الشاعر رائعا يفوق الوصف .. ففى اليوم الثالث والعشرين من شعبان عام ٢٤٧ هـ / اول نوفمبر عام ٨٦١ للميلاد ــ ولد ، فى بغداد ، الامير العباسى عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، اشهر الشعراء من البيت العباسى، واعظمهم شانا فى عالم الأدب والنقد والشعر .

وكان الخليفة المتوكل قد جعل ولاية العهد لابنائه الثلاثة : المعتز والمؤيد والمنتصر ، وذلك فى عام ٢٣٥ هـ : وجعل المعتز حاكما لاقليم خراسان يستقل باموره بعد وفاة المتوكل والده ، وامر بنقش اسمه على الدراهم ، ثم وكل اليه خزائن الاموال بعد ذلك .

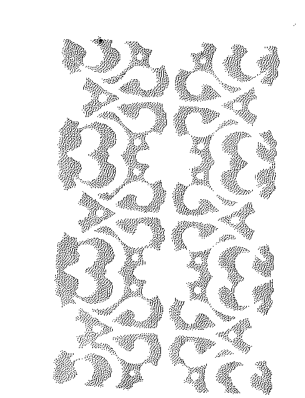
وكان لميلاد عبد الله بن المعتز رنةفرح فى قلب والده ولى العهد ، وجدهالخليفة الذى كان يضفى على ابنه المعتز كل العطف والرعاية ..

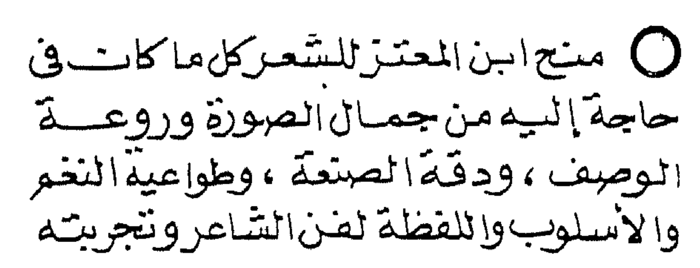
ولكن سوء الحظ لازم الامير عبدالله حتى فى طفولته ، فلم يلبث ، بعد ان مضى على ميلاده اربعون يوما ، ان قتل جده الخليفة المتوكل ، بقيام الجناح العسكرى التركى فى جيش الخلافة بثورة عسكرية ، انتهت بقتل الخليفة وتولية ابنه المنتصر مكانه ، وكانالشاعر أبو عبادة البحترى شاعر المتوكل مع الخليفة فى قصر « الجعفرى » ليلة مقتله ، وشاهد هذه الاحداث الكبرى وصورها ورثى الخليفة المتوكل بقصيدة من عيون شعره ، وكان ذلك فى ليلة الخميس الرابع من شوال عام ٢٤٧ هـ الحادى عشر من ديسمبر عام ٨٦١ م.

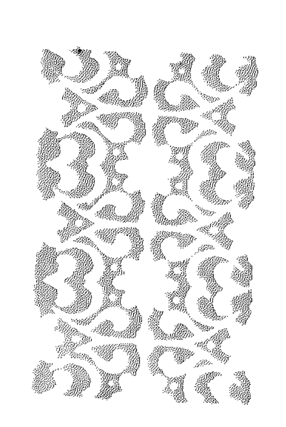
واعتقل المعتز ، وحبس فى الجوسق وصودرت امواله ، وترك له ما قيمة ايراده عشرون الف دينار سنويا ... ونال بيت المعتز وابنه الطفل الصغير عبد الله ، ما نالهما من العذاب والآلام بسبب هذه الاحداث الجسام .

ومرت الايام بطيئة كأنها قطعالليل المظلم ، ولكن الاحداث تحولت الى جانب آخر غير الذى سارت فيه من قبل ، فقد انقسم الجناح التركى العسكرى فى جيش الخلافة أحزابا وتخاصموا ،ومات المنتصر الخليفة بعد شهور قلائل ، وجلس عمه المستعين بن المعتصم على عرش الخلافة ...

وبعد نحو اربع سنوات الا قليلا عزل المستعين ، وبويع المعتز بالخلافة يوم الأربعاء لاحدى عشرة ليلة من المحرم عام ٢٥١ هـ : ٨٦٥ م وعمر ابنه عبد الله بن المعتز اربع سنوات الا قليلا وبدات الايام تبتسم للطفل الامير الصغير ابتسام الروض عن زهور الربيع ، وأقام المعتز فى سامرا العاصمة الجديدة للعباسيين ، وبعد مناوشات حول بغداد طال امدها نحو عام سلم المستعين البردة والقضيب والخاتم للمعتز ، وبايعه بالخلافة ، وخلع نفسه







منها ، وبايعت بغداد كلها المعتز ، وخطب له فى مسجدها الجامع ، ونظم الشعراء القصائد الطوال فى هذا الحدث الكبير . وفى عام ٢٥٢ هـ جعل المعتز الخليفة ولاية العهد لاخيه اسماعيل ولابنه عبد الله ، وظل يدير دفة الامور وسط الاعاصير والمؤامرات والفتن ، وبعد سنوات ثلاث أو تزيد قام الجناح التركى العسكرى فى جيش الخلافة بثورة ثانية على المعتز بعد الثورة الاولى التى قام بها على المتوكل وانتهت باعلان خلع المعتز نفسه من الخلافة ، ثم بمقتله فى سامرا ، بعد أن أعطى أمانا له ولأخته وابنه وامه، وذلك فى الخامس والعشرين من رجب عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ، وسن الامير الصغير عبد الله ثمانية أعوام .

وكان مصير بيت المعتز ــ الخليفة المقتول ــ داميا ، امه « قبيحة » وضعت تحت المراقبة ، ولكنها تمكنت من الهرب ، ومعها بنت لها وجارية من جواريها ، وبحث الاتراك عنها فلم يعثروا لها على اثر ، وظلت مختفية نحو شهرين الى أن عثر عليها فى رمضان من عام ٢٥٥ هـ ، فصودرت جميع اموالها بسامرا وبغداد ، وكانت لها ثروة كبيرة تشبه الأساطير ، ونفيت الى مكة . وكانت من اجمل النساء وسماها زوجها المتوكل قبيحة لحسنها وجمالها وكانت اثيرة لديه ، حبيبة اليه ، عزيزة عليه ، وقد زوجت ابنها المعتز احدى قريباتها ، فولدت له عبدالله .

وهكذا ذاق عبد الله مرارة اليتم ، بعد ان شاهد الاحداث التى انتهت بمقتل والده ، وهو بعد لم يتجاوز الثامنة من عمره .. انها لاحداث جسام ، وأهوال يشيب منها الوليد ... ورأى عبد الله الامير الصغير اسرته مشردة واموالها مصادرة ، والفزع يحيط بها من كل جانب وفقد بمقتل والده كل شيء فى الحياة .

والظاهر ان جدته قبيحة ، قد اخذته هو وامه واخته وجارية لها معها الى مكة وهى منفية هناك .... ولكنه عاد الى بغداد ، ليعيش من جديد من اجل العلم والادب وتلقى ثقافته على ايدى ائمة العربية وشيوخها ، واخذ يدمن القراءة والمطالعة فى مصادر الادب والشعر

ولم يلبث ان جاشت فى صدره روح الشاعرية ، وتفتحت ملكاته عن اديب مطبوع متعدد الجوانب والمواهب الادبية .

وغذى روح الأدب فى نفسه اساتذته من مثل : ابن زياد الضبى الكوفى، وابن سعيد الدمشقى ، والحسن بن على العنزى ، والمبرد ، وابى العباس ثعلب وغيرهم من فحول اللغة والادب والشعر وسمع مع ذلك الأعراب الفصحاء ، ورواة الأدب من البلغاء ، وخالط العلماء والأدباء والشعراء، ونظم الشعر وطارت شهرته بين أعلام الأدب والفكر فى عصره . وتوفيت جدته قبيحة عام ٢٦٤ هـ ، ولكن الخلفاء لم يناموا حذرا من هذا الامير الشاب ، الذى كان يهدد باخذ الثار من قتلة ابيه ، ويقول من شعره :

خليلى ان الدهر ما تريانه
فصبرا والا اى شيء سوى الصبر

ويقول :

لو به اقتل كل قريب
وبعيد لم ينم لى ثار

ووضع الامير الشاب تحت المراقبة حينا ، واعتقل حينا آخر ، وعاش مشردا مهموما حزينا باكيا وصار يشكو فى شعره سوء احواله ،وبخاصة المالية منها .

ويقول :

يا قوم انى مرزا
وكل حر مرزا
خرج كثير ودخل
نزر فلم لا اعزى

وكانت اقامته فى سامرا ، ثم تردد على بغداد ومجالسها وحلقات العلم فيها . وكانت داره فى سامرا بالمطيرة وهى ضاحية من ضواحى سامرا ومتنزه من متنزهاتها .

***

وواصل الأمير عبد الله دراسته فلازم كبار الشعراء والادباء والعلماء فىسامرا وبغداد، ولم يلبث ان الف كتابه «الفصول القصار » ، ثم بعد ذلك الف كتابه « البديع » عام ٢٧٤ هـ .

وتزوج ابن المعتز ، ولكنه لم يوفق فى زواجه ، ثم تزوج اخرى ، وكان ابن المعتز يكنى بأبى العباس باسم أول ولد له ، وكان له ابن آخر اسمه « عبد الواحد» ويذكر ابن حزم فىكتابه«جمهرة الانساب» الذى حققه بروفنسال،ونشرته دار المعارف (ص ٣٥) أن ابن المعتز لم يكن له ولد قط .

وكان لابن المعتز صداقات كثيرة ، ومجالس ادبية عامرة ، واخوانيات رائعة . كان يقيم فى سامرا ، وفى عهد ابن عمه الخليفة المعتضد العباسى (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) امر الخليفة بعودة ابن المعتز الى بغداد ، فامتثل الأمير للأمر، وأقام بدار على شاطىء «الصراة» احد الجداول الصغيرة لنهر دجلة .

ومضت الايام والأمير يعيش فى بغداد بين الامن والخوف ، والغنى والفقر ، والامل واليأس ، والخلفاء العباسيون يتوالون على عرش الخلافة .. المهتدى، المعتمد ، المعتضد ، ثم المكتفى (٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ) .. والأمير عبد الله بن المعتز يردد من شعره :

من يشترى حسبى بامن خمول ؟
من يشترى ادبى بحظ جهول ؟

ولم يلبث أن قبض عليه وأودع السجن، ثم أطلق الخليفة المكتفى سراحه. ولكن الاحداث تطورت تطورا جديدا .

الشعب فى بغداد ناقم على الخليفة ــ المكتفى ، ولكن الجيش يؤيده ، ولم يلبث ان مات المكتفى ، وبويع بالخلافة لابنه جعفر المقتدر ، على الرغم من انه شاب صغير فى الثالثة عشرة من عمره، ولم يرض هذا الناس فىبغداد، فقاموا بثورة شعبية ، انتهت بأن بايعوا بالخلافة عبد الله بن المعتز فى يوم السبت العشرين من ربيع الاول عام ٢٩٦ هـ ، ١٧ من ديسمبر عام ٩٠٨ م ، ولكن الجناح العسكرى التركى أيضا لم يرضه ذلك التصرف فقبض على ابن المعتز بعد ليلة واحدة من توليه الخلافة ، وقتل يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول عام ٢٩٦ هـ / ١٩ من ديسمبر ٩٠٨ م ، ومات الشاعر العباسى الكبير صريع آماله الكبار ، واحلامه الجسام ، ولقى من الحظوظ والاقدار ما ملأ حياته بالاحداث المدوية فى سمع الزمان .

ــ ٢ ــ

وكان ابن المعتز من اعلام الشعر فى القرن الثالث الهجرى ، ويعد هو وابو تمام والبحترى وابن الرومى طبقة واحدة من طبقات الشعراء المحدثين ، الذين آلت اليهم زعامة حركة التجديد فى الشعر فى العصر العباسى الاول .

ولقد أخمل هؤلاء الشعراء الاربعة كل شاعر عاش معهم ، او ظهر بينهم ، ولم يذكر من الشعراء الا من ذكر بسببهم فى خصومة أو صداقة او منافسة ، كما يرى ابن رشيق .

وقد منح ابن المعتز للشعر كل ما كان فى حاجة اليه من جمال الصورة ، وروعة الوصف، ودقة الصنعة، وطواعية النغم والاسلوب واللفظة لفن الشاعر وتجربته .

ـ ٣ ـ

وكان ابن المعتز رقيق الحاشية ، لطيف الصياغة ، سمح الاسلوب فى شعره ، الصورة الشعرية عنده تمتاز بأناقتها وطرافتها ... كان يمثل مدرسة المحدثين وذوقهم الفنى ومواهبهم التى تأثرت بالبيئة والحضارة والترف ، ومثلت العصر والحياة فى شعرها تمثيلا صحيحا ، ونأت عن التقليد للقدماء ، وصارت كلاسيكية الجاهليين على يديه تتحول الى لون جميل جديد من الوان المحافظة على التراث الشعرى ، فلم يعد الشعر عنده قوالب فنية جامدة ، بل صار انغاما واطيافا وسحرا ، وماكان لابن المعتز ، وهو حضرى تتمثل أمامه الحضارة فى أبهى حللها ، وتلوح أمام عينيه المدنية فى أجمل مواكبها ، ان ينأى عن الرقة والعذوبة .

يقول ابن المعتز فى وصف نار مشبوبة:

وموقدات بتن يضرمن اللهب
يشبعنه من فحم ومن حطب
يرفعن نيرانا كاشجار الذهب

ويقول فى وصف الهلال :

كمنجل قد صيغ من فضة
يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن ابياته المشهورة :

عجبا للزمان فرحا لتيه
وبلاء دفعت منه اليه
رب يوم بكيت منه فلما
صرت فى غيره بكيت عليه

ومنها كذلك :

اصبر على مضض الحسود
فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
ان لم تجد ماتأكله !.

ومن شعره المأثور كذلك :

وحدثتنى يا سعد عنهم فزدتنى
جنونا، فزدنى من حديثك ياسعد

وقوله :

وحلاوة الدنيا لجاهلها
ومرارة الدنيا لمن عقلا

ولابن المعتز الكثير من الشعر المشهور الذى يتمثل به فى كل مناسبة .. يقول :

والصبا ممتلىء
حاجة واملا

وله شعر فى الطبيعة والسياسة والنسيب ووصف الراح ، وفى الوجدانيات له اجادة تامة ، وكذلك فى الوصف ، الى اجادته فى المدح والفخر والرثاء ، وله ملحمة شعرية نظمها يؤرخ فيها لخلافة المعتضد العباسى وأعماله ، وملاحم اخرى فى الطرد والخمريات وغير ذلك .

ـ ٤ ـ

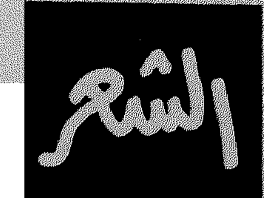
واخيرا فنحن لا ننسى انه كان اديبا وكاتبا وشاعرا وناقدا ومؤلفا ..

وهو صاحب نظرية البديع فى النقد العربى ، وكتابه « البديع » مشهور شهرة فائقة تماثل شهرة كتابه «طبقات الشعراء المحدثين » . وله رسالة فى محاسن شعر أبى تمام ومساوئه.. وغير ذلك من روائع اعماله الادبية ..

وكان يقال له : شاعر ادركته حرفة الادب . ولما قتل أراد صديقه الحسن ابن على بن بشار الشاعر (المتوفى عام ٣١٨ هـ) أن يرثيه بقصيدة ، فلم يستطع أن يفعل ذلك فنظم قصيدة رثاء ادعى أنه نظمها فى قطة له اخفاء على المقتدر واعوانه ، وخوفا منهم ، يقول منها :

وكيف ننفك عن هواك وقد
كنت لنا عدة من العدد

ورثاه بعض اصدقائه الآخرين من الشعراء ، وهكذا انتهت حياة شاعر كبير من اعلام الشعراء بعد ان ذاق فى حياته من رفاهية وشقاء ولقى ما لقى من امن وخوف وامل ويأس، ومن حظ واقبال بدأت وانتهت حياته كما تشاء ..



الشعر والغناء

● عامر محمد بحيرى ●

بين مرئيـّـة ، وبين مذيعـة

عبّر اللحنُ عن جمـال الطبيعه !

وسرت نشـوة .. فهزّت فؤادي

وأعادت ذكرى الليالى البديعـه

والصبّا ناضـر" بروض الأمـانى

لم يكفكف من السرور دموعـه

يضرب العود فى الصدور .. فيحكى

ضربات القلوب .. وهى سريعـه

وأنا جـالس بحجـرة دارى

خاطرى ثائر ، وعينى مطيعـه

كم شجانى فى الليل صوت « المغنى »

أتملّى صـلاته ، وخشـوعه

إننى أبدع القصـيد ... ولكـ

ـنْ بديع الغنـاء .. لن أستطيعه !

فله أهـله الكرام علينـا

عصـبة أنشأوا السرور جميعـه !

رفعة ... كالكواكب الزهـر تمشى

معبّد الليل ... كى تضيء شموعه

وشموس على الضحى ... أين منها

لمعة الآل .. من سراب بقيعه ؟

يا رعى الله فى الشبيبة عهـدا

كم تمنّيت للـزمـان رجوعه

أين فيما سمعت .. « يا جارة الوا

دى » .. ولحن الهزار يشجى سميعه؟

وأغاريد أم كلثـوم ... تاج

فوق صدر السـماء منه رصيعه !

وأغانىُّ أســمهان ••• كعِطــــر الــ
ــورد •• أحْيَيْا بعدَ الشتــاء ربيعه !
وفريد ، ومن لنــا كفــريد
حامِل العُود ، راية مرفــوعه ؟
وصــداح للعنــدليب شَجِى
رددته وراءَه المجمــوعه
جمَع الله شَمــلنا ••• فى حمى الفـ
ـن وحَيَّا دياره ، وربوعــه !
أيها الناظِمون ••• هلْهلْتُم الشِّعْـ
ـرَ فأين المهلهــلُ بنُ ربيعــه ؟
إن لحن الغِنــاءِ يطلب شِــعْرًا
يمتلى أمجــاد مصر الرفيعــه !
وإذا الشِّعر لم يجمِّــل ••• بلحن
فهو كالماسِ موشك أن نُضِــيعه !
فدعُونا نصــرِّف القَول فى الشِّعْـ
ـر •• ونجلو بيانه ، وبديعــه !
واجْعلوا الصِّدق للفنــون أساسا
فهُو عين الهُدى ، ورأس الشريعــه
وامْسَحُوا بالغِنــاء صَدر الليالى
بلسم الجرح ، أو شِــفاء الوجيعــه
واحفَظوا عهــد سابقٍ عبقــرىٍّ
كُل ما خلّف الــكرام وديعــه !
أنشدوا للسّــلامِ فى دولة « الســا
دات » •• لحنا ، له الشعوب مذيعه ••
وامنحُوه تأييدكم ••• وانصــروه
فهو أعلى يدًا ، وأقــوى ذريعــه
صاحب الثورتين •• بيضــاء أو خضـ
ـراء •• والليث مقدَّم فى الطَّليعــه !
عَــزمه يرفع القَــواعد للبيـ
ـت ويبنى حُصُــون مصر المنيعــه
دعْوة للسَّــلامِ والحبِّ باتت
تسْعِدُ الجيل •• شيخَه ورضِيعه !

حول مذكرات محمد فريد



قضية تثير الجدل

● د . محمد انيس ●

« وفى يوم الاحد ٢٤ لما عدت لمنزلى ليلا اخبرنى الجناينى ان احد ضباط البوليس حضر لمقابلتى ، فأفهمه بأنى عدت للجريدة بعد الغداء ، فطلب منه ان يخبرنى عند عودتى بأن انتظره لانه يريد مقابلتى لأمر خصوصى ، فانتظرته حتى حضر . وبعد الجلوس، اخبرنى أنه مكلف بتوصيل جواب رئيس نيابة مصر اليه ، فدهشت لأنه لم يخطر لى على بال مطلقا أن خطبتى بها شىء يعاقب عليه، ولكن زادت دهشتى عندما اطلعت على الجواب ووجدته يدعونى للحضور صباح الاثنين لاستجواب عما جاء بها ».

ثم يستكمل حديثه فيقول : « حينئذ وعدته بالتوجه فى الغد الى النيابة فطلب منى كتابة ذلك على الظرف ، ففعلت وانصرف .

من هذه اللحظة صممت على ترك مصر ولكنى لم أخبر زوجتى ، بل لما سألتنى عما يريده منى هذا الضابط ، قلت لها: انه صاحبى ويريد استشارتى لاننى محام ، فى مسألة تخصه » .

الجديد فيما يرويه محمد فريد بعد ذلك واغفله المؤرخ عبد الرحمن الرافعى أن قرار الهجرة اتخذ بعد مداولة بين اصدقاء محمد فريد .

اذ يذكر :

« وبعدها خابرت صادق بك رمضان، وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى ، واسماعيل لبيب ، واسماعيل حافظ اى اعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا شكلناها للمداولة فى مسائل الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية » .

ويسترسل فى القول :

ـ « فى صباح الاثنين نزلت من القطار فى محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون ، وقصدت منزل الدكتور صادق واخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر ، فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب ، ثم نزلت الى العاصمة فوجدت محمود بك فهمى فى انتظارى فى محطة كوبرى الليمون او محطة القبة لا اتذكر جيدا .

« ووجدت بعض ضباط البوليس الطليان بملابس ملكية يراقبون حركاتى مع أنى أعرفهم شخصيا ـ « وهذا امر طبيعى لأن محمد فريد كان يعمل قبل استقالته فى النيابة العامة » .

« ركبت عربة مع محمود بك فهمى الى مكتبه ، وهناك تركنى وذهب ليقابل محمد سعيد باشا ليعلمه بالامر ، وأنا انتظرته بمكتبه .

« بعد اكثر من نصف ساعة عاد بدون أن يقابله لأنه أرسل يخبره بأنه لم يلبس ملابسه ، ولينتظر ولكنه أبطأ عليه ، عندما قصدنا النيابة العامة معا وقابلنا على بك توفيق رئيس النيابة ، فقال لنا ان المكلف باستجوابى هو على بك ماهر ـ « الذى اصبح بعد ذلك رئيسا للوزراء فى أول وزارة عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ مباشرة » . بنيابة الاستئناف ،فصعدنا الى الدور الثانى ورافقنا ومعه الدوسيه .

« اخذ على بك ماهر يتأفف من هذه المامورية ، ومن ظلم الحكومة واضطهادها لنا الى غير ذلك ، وكان موجودا أخى ابراهيم بك وكيل النيابة بها ثم حضر



الزعيم الوطني محمد فريد : حرص على كرامتـــه وكبريائه

احمد لطفي ، واحمد عبـــد اللطيف، وعبد العزيز فهمي المحامون، وحضروا الاستجواب .

«وأخيرا بعدالظهر بنصف ساعة،اذن **لي على بك ماهر بالانصراف ، فانصرفت مع محمود بك فهمي الى منزل اسماعيل لبيب وهنـــاك قصصت على الاخوان مادار بالتحقيق .**

« **فتقرر بالاجماع ســـفري خارج** القطر ، وبعد الغداء ذهبت الى نادي **الحزب الوطني وذهب اسماعيل لبيب الى محل كوك للاســـتعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجـدنا الوابور الروسي « الملكة اولجـــا » يسافر الى** الاستانة وبيريه في اليوم التالي

«وأخذت بعض الأوراق من مكتبي، **وفي الساعة الثـــامنة مساء قصدت منزلي .**

« **وانا بالنادي حضر احمد بك لطفي المحامي ونصحني بالسفر لان الحكومة تنوى القبض علي في الصباح ، وانهـــا طلبت ذلك من علي ماهر فامتنع ريثما** يطالع الأوراق ، وانه يخشى ان تؤخذ **الأوراق وتسلم لغيره من ضعاف العزيمة** فيأمر بالقبض علي ، فاسررت له بالأمر **وباني مسافر بالغد .**

« ثم ذهبت الى منزلي هناك ،اخبرت زوجتي بالأمر سرا وطلبت منهـــا ان لا تخبر الأولاد ولا احدا من العائلة ، وافهمتها ضرورة سفري ، وبمـــا ان الجرائد ستاتي في الصباح وبهـــا تفصيلات استجوابي ، فلتحجزها حتى لا يطلع عليها الأولاد ، وبما انها امرأة عاقلة وفاهمـــة خطر مركزي ، قبلت القضاء بالرضاء وشجعتني على السفر وتحمل مشاق النفي بدلا من الحبس)» .

ثم يسترسل محمد فريد في مذكراته بقوله :

« في الصباح الباكر نزلت من المنزل في الساعة ٦٫٠٠ صباحا وركبت القطار من محطـــة الزيتون ثم ســـــافرت بالاكسبريس ، وقابلت بمحطة مصر ، وبالقطار كثيرين من أخواني ومن المعارف، فسالوني عن وجهـــة سفري فكنت اجيبهم باني قاصد الاسكندرية للمرافعة في قضية وساعود في المساء ، ولم ابح لأحد بالسر حتى ولا لمحمد بك عبد اللطيف ـ الاجزجي ـ بطنطا ، ولذلك بلغني فيما بعد انه امتعض لأني كتمت الأمر عنه .

« لما وصلت الاسكندرية قصدت المحكمة ومنها توجهت لادارة جـــريدة « وادى النيل » وقابلت الكلزة واخبرته بالسر ، وعند حضور قطر الساعة ١٢ ونصف من مصر قصدت لوكاندة «آبات» للغداء وهناك حضر اسماعيل لبيب بك ومعـــه اخوه عبد الله بك طلعت .

« وبعد الاكل قصدنا الوابور الروسي فركب اسماعيل واخوه عربة وركبت انا مع الكلزة ولما وصلنا الرصيف ، نزلا أولا وصعدا الى الوابور ثم نزل الكلزة ليرى اذا كان الدخول للوابور سهلا أم لا، واذا كان هناك مراقبون ثم استبطاته، فنزلت قاصدا الوابور فقابلني ضابط من حرس الجمرك اسود يظهـــر عليه انه جعفري وانه لم يعرفني ، فدلني على مكان الصعود فصعدت ودخلت الى غرفة اسماعيل بك .

« أما الكلزة فانصرف بعد قليل، ثم حضر محمود بك فهمي المحامي بالقطار الذى يصل اسكندرية الساعة ٣ بعـــد الظهر ، واتى الى الوابور وسلم علي ثم انصرف وظل على الرصيف حتى قامت الباخرة ، وعند حضور مفتش الكرنتينا دخلت الى محل الادب واختفيت فيه نحو عشر دقائق ثم خرجت لمـــا ناداني اسماعيل بك واخبرني بخروجه . بعد

قيام السفينة دفعت اجرة السفر ولم اعلم القوميسير باسمى واظنه هو رمن بالوابور لم يعلموا اسمى مطلقا » .

ثم يستطرد محمد فريد فى وصف المتاعب التى لاقاها حتى وصل الى الآستانة صباح الاحد ٣١ من مارس سنة ١٩١٢ .

من هذا تتضح الصعوبات الكبيرة التى لقيها محمد فريد لخروجه من مصر الى الدولة العثمانية وهى شجاعة يحمد عليها ، وتدل على عظم وطنية هذا الزعيم ، كما أن الطريقة التى اتبعها تدل ايضا على انه اكتسب الكثير من الخبرة فى عمله فى النيابة العامة قبل ذلك .

ويذكر محمد فريد أنه قوبل مقابلة حسنة من الاتحاديين ، واستعدادا لمساعدته ، غير انه من المؤسف انه منذ وصوله الى الآستانة حدث خلاف بينه وبين الشيخ عبد العزيز جاويش .

وبعد ذلك يتحدث عن تجواله فى اوربا وبالذات فى فرنسا بصفة خاصة ، ولم تكن هذه أول مرة تعرف فيها بمدام دى رشبرن ، فقد كان عرفها قبل ذلك فى عام ١٩٠٩ بباريس وكانت آنذاك طالبة باكاديمية الاستشراق بباريس .

وكانت رحلته من تركيا الى اوربا نتيجة علاقات المجاملة بين تركيا وانجلترا آنذاك ، ويؤكد أن الحكومة المصرية كانت تبذل جهدها بواسطة سفراء انجلترا فى الآستانة لتسليمه فى ذلك الوقت .

سافر محمد فريد من الآستانة الى جنيف لحضور انعقاد مؤتمر السلام العام فى ٢٢ من سبتمبر عام ١٩١٢ حيث انتخب فى هذا المؤتمر وكيلا له عن المصريين ، ثم سافر الى باريس وبعد ذلك الى السويد ، ثم فى ٢٩ من سبتمبر سافر الى برلين وهناك قابل الدكتور محمود لبيب محرم الذى كان يعانى من مرض عصبى ادى به الى الجنون ، وارسل محمود لبيب الى احد المستشفيات وبقى به حتى مات فى ٤ من سبتمبر سنة ١٩١٣ .

***

اتخذ محمد فريد مقرا دائما لمدينة برلين ، ويعتقد البعض ان محمد فريد كان مقيما بصفة دائمة فى برلين ، وهو اعتقاد خاطىء وذلك لانه كان باستمرار يحاول تكوين جمعيات من الطلبة المصريين فى كافة انحاء اوربا .

وكثير من المصريين بما فيهم المؤرخون لا يعلمون ان هذه الجمعيات التى كونها محمد فريد كانت بمثابة سكرتارية الوفد المصرى فى سنة ١٩١٩ حينما ذهب الوفد الى مؤتمر فرساى ، وبذلك يكون محمد فريد قد ادى خدمة كبيرة لاول مفاوضات مصرية للوفد المصرى الذى ذهب الى فرساى عام ١٩١٩ .

وكان الوطنيون المصريون يميلون الى انضمام محمد فريد الى الوفد المصرى الذاهب الى مؤتمر فرساى ، غير ان سعد زغلول اعترض على ذلك ، على أساس ان محمد فريد كان يقيم فى برلين ، وهى البلد التى قدر لها الهزيمة فى الحرب العالمية الاولى .

لذلك كان فكر سعد زغلول ان انضمام محمد فريد الموالى لتركيا والمانيا سوف يضعف من موقف الوفد المصرى فى المؤتمر ، وعلى الرغم من ذلك نقد فشل الوفد المصرى فى الدخول الى مؤتمر فرساى لشرح القضية المصرية .

وفى السنوات الاخيرة لمحمد فريد ضعفت صحته وحاول الاطباء علاجه ولكنه مات ودفن فى مقابر المسلمين فى برلين ، حتى استطاع تاجر من الزقازيق ان يذهب الى برلين ، واحضر جثمانه الى مصر .

ومما يقال ان محمد فريد كان تعوزه الحاجة المالية فينزل من المنزل الذى يقيم فيه قائلا لصاحبة المنزل انه سيتناول الغداء فى الخارج ولكنه كان يتجول فى شوارع برلين ويعود دون تناول الغداء فى احد المطاعم حرصا على كرامته وكبريائه امام صاحبة البيت .. والى لقاء آخر .

نتيجة مسابقة "الهلال"

لا تصدق كل ما تقرأ!

كان هذا هو موضوع المسابقة التى اعلن عنها « الهلال » فى عدده الصادر فى شوال ١٣٩٨ « أكتوبر ١٩٧٨ » . وكان بمناسبة خبر نشرته احدى الصحف اليومية الكبرى نقلا عن بعض كتب التاريخ ، ويقول الخبر تحت عنوان « واختاروا الاسلام طائعين » :

« فى خلافة عمر بن عبد العزيز هاجم قتيبة بن مسلم سمرقند المدينة العظيمة بدون انذار حرب ، فلم يرسل لأهلها الانذار المعهود : اما الاسلام واما الجزية واما الحرب . فرفع أهل سمرقند دعوى الى عمر بن عبد العزيز يدعون فيها أن بلدهم فتح غدرا .

« وامر عمر برفع الدعوى الى القاضى ، فاحضر القاضى المدعين والمدعى عليهم يمثلهم القائد العام للجيش الاسلامى ، وسمع اقوالهم ، ثم أصدر حكمه التاريخى الذى يفخر به القضاء الاسلامى على كل قضاء ، حيث حكم القاضى ببطلان الفتح الاسلامى لسمرقند ، لأن الفتح كان قد خالف قواعد الاسلام فى الحرب .

« وحكم بخروج الجيش الاسلامى منها واعطائها مهلة للاستعداد ثم اعلان الحرب من جديد بالصورة الاسلامية المعروفة . ولم يملك الجيش الا أن ينفذ الحكم الغريب جدا من وجهة النظر العامة والموغل فى المثالية الى اسمى مراتبها . وبالفعل شرع الجيش فى الانسحاب واخلاء سمرقند .

« ولكن اهل سمرقند المدعين الذين شدتهم هذه العدالة الاسلامية المطلقة والذين ذاقوا نعمة الحكم الاسلامى خلال فترة الفتح عادوا الى الخليفة يطلبون طائعين مختارين البقاء تحت راية الاسلام » .

وقد ذكرنا اننا بمجرد قراءتنا لهذا الخبر التاريخى تبين لنا أنه غير صحيح وانه لا يمكن أن يكون قد حدث . لماذا ؟ كان هذا هو السؤال الذى أردنا أن نمتحن به قدرة قرائنا على تمحيص ما يقراون من اخبار ، وتمييز صحيحها من باطلها .

وقد سبق لنا أن اعلنا على صفحات « الهلال » عن مسابقات هدفنا ببعضها الى اشراك قرائنا فى عرض ما تجود به اقلامهم او ما تتخيره أذواقهم حول موضوع معين . وكان من بين هذه المسابقات ما اردنا به أن نتعرف على مدى اطلاع قرائنا وثقافتهم كما راينا فى المسابقة الخاصة ببعض المواقف والاحداث فى حياة محمد « صلى الله عليه وسلم » .

اما هذه المسابقة الأخيرة فقد كانت على الرغم من بساطة السؤال المطروح فيها أصعب وأدق ، اذ انها كانت بمثابة اختبار للحاسة التاريخية عند القراء ، وهى امر يحتاج ـ فضلا عن العلم وسعة الاطلاع ـ الى قدرة على المقابلة والتحقيق وتجرد من العاطفة عند الحكم على صحة الأخبار ، فقد يعجبنا الخبر لدلالته او

نتيجة مسابقة الهلال
لا تصدق كل ما تقرأ..

لأنه يقع من نفوسنا موقع الهوى ـ كما هو الحال فى الخبر الذى بين أيدينا الآن ـ ولكن الحق أحق أن يتبع ، وعلينا أن نعرف كيف نقرأ ، ثم نحكم بعد ذلك على ما نقرأ حتى نستطيع أن نضعه فى مكانه الصحيح . ولو اننا اخذنا أنفسنا بذلك وتعودنا الدربة على التحقيق لاستقامت لنا معايير سليمة للحكم على صحة الأخبار ، لا لما مضى به الزمن فحسب ، بل كذلك لما يقع بين ايدينا الآن ، على مرأى منا ومسمع .

وقديما نعى ابن خلدون على بعض جامعى الأخبار وكتاب التواريخ انهم لا يحكمون فيما يجمعون معايير عقلية منطقية كانت جديرة بأن تجنبهم كثيرا مما وقعوا فيه من أخطاء . يقول مفكرنا العبقرى فى مقدمة تاريخه :

« فهو ـ يعنى المشتغل بصناعة التاريخ ـ محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ـ فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط » .

واذا كان ابن خلدون قد حمل على بعض جامعى الأخبار وكتاب التاريخ لما وقعوا فيه من اخطاء نتيجة لافتقارهم الى الحاسة التاريخية فان الحق يقتضى أن نقول أيضا ان هذه الحاسة كانت متوفرة لدى كثير من علماء السلف ، ولا سيما أولئك الذين اهتموا بجمع الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من معتلها ، فقد كان جانب كبير من دراسة هؤلاء المحدثين موجها الى معرفة مايسمى بـ « الرجال » ، وكانوا يعنون به تتبع أسماء رواة الأحاديث وسير حياتهم والتحقق من أسانيدهم أى الطرق التى اخذ بها بعضهم عن بعض . وقد احتكموا فى ذلك الى معايير تاريخية ونقدية صحيحة جعلتهم ينفون عن الحديث النبوى كثيرا مما لم تثبت المقابلة التاريخية صحة النقل فيه ، حتى وان كانت مادته طيبة لا غبار عليها . وتشددوا فى ذلك الى أقصى الحدود ، ووضعوا له قواعد علمية جديرة بكل تقدير .

ونعود مرة أخرى الى الخبر الذى عرضناه فى المسابقة فنجد انه منذ سطوره الأولى يشتمل على ما ينقضه ويثبت بطلانه . فقد جاء فيه **أن قتيبة بن مسلم هاجم سمرقند فى خلافة عمر بن عبد العزيز** . ولو أننا قابلنا بين احداث حياة قتيبة وسيرة حياة الخليفة الأموى عمر ابن عبد العزيز لرأينا أن هذا الخبر مستحيل الوقوع كما سوف نبين .

فقتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى أحد أعاظم القواد المسلمين ولد سنة ٤٩ هـ « ٦٦٩ م » وقدم فى سنة ٨٦هـ « ٧٠٥ م » واليا على خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى عامل الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق وكان ذلك قبل وفاة الخليفة بشهور قليلة « فى منتصف شوال ٨٦ هـ اكتوبر ٧٠٥ م » . ومنذ ان ولى قتيبة عمل خراسان بدأ فتوحه العظيمة التى اضاف فيها الى دولة الاسلام اراضى واسعة تمتد فيما وراء نهر جيحون « الذى

يسمى اليوم أموداريا » عبر وسط القارة الآسيوية حتى حدود الصين . وقد استغرقت هذه الفتوح كل خلافة الوليد بن عبد الملك منذ ولايته بعد وفاة أبيه فى منتصف شوال ٨٦ حتى وفاته فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ « فبراير ٧١٥ » . وكان من أجل هذه الفتوح استيلاؤه على بخارى فى بلاد الصغد والمناطق المحيطة بها فيما بين سنتى ٨٧ و ٩٠ « ٧٠٦ — ٧٠٩ » ثم سمرقند وخوارزم والمناطق المحيطة بنهر سيحون « الذى يسمى اليوم سيرداريا » ما بين سنتى « ٩٢ و ٩٥ » ٧١١ — ٧١٤ » .

وبينما كان قتيبة بفرغانه يستعد لغزو كاشغر اول حدود الصين أتاه نبأ وفاة الوليد بن عبد الملك واستخلاف اخيه سليمان فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ ، وكان سليمان يكره الحجاج الثقفى ويحقد على اعوانه ، وكان قتيبة على راس هؤلاء ، فقدر ان الخليفة الجديد لابد ان يبعده عن الولاية ، وقد يعذبه وينكل به كما فعل مع غيره من عمال الحجاج ، فاعلن خلع الخليفة سليمان بن عبد الملك . غير أن قبائل العرب كرهت ذلك ورأت فى مثل هذا التمرد ما ينذر بشر مستطير . وعمل بعض زعماء العرب حسداً لقتيبة على تاليب الجند عليه . وكان زعيم هذه الحركة ، وكيع بن أبى سود حسان الغدانى اليربوعى احد زعماء بنى تميم. وخرج وكيع على قتيبة وهو بفرغانه وثار به ،فقتله هو واحد عشررجلا من اهله فى ذى الحجة سنة ٩٦ ((اغسطس ٧١٥)) .

وقد كان قتيبة بن مسلم على الرغم من هذه النهاية المؤسفة التى حاول فيها شق عصا الطاعة ،من اعظم المجاهدين ومن اكبر القادة العسكريين فى التاريخ. ومع ان حياته لم تتجاوز ستا واربعين سنة فانه اضطلع بفتوح رائعة واجه فيها اعداء شديدى المراس كثيرى العدد : فلم تهزم له راية خلال هذه الحياة الحافلة بالصراع. وقد صور لنا الشاعر المشهور جرير حياته ومصرعه تصويرا نابضا بالحياة ، اذ قال مخاطبا اولئك الذين تآمروا على قتله :

ندمتم على قتل الأغر ابن مسلم وانتم اذا لاقيتم الله اندم
لقد كنتم من غزوه فى غنيمة وانتم لمن لاقيتم اليوم مغنم
على أنه أفضى الى حور جنة وتطبق بالبلوى عليكم جهنم

ولا تطول الحياة بعد ذلك بسليمان بن عبد الملك صاحب هذه السياسة الخرقاء فى التنكيل برجالات أخيه الوليد واعاظم قواده « فلنذكر ان موسى بن نصير فاتح الاندلس قد لقى ايضا على يديه مثل هذا المصير » . اذ يتوفى سليمان بعد اقل من ثلاث سنوات فى يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة ٩٩ — ٢ أو ٣ من أكتوبر ٧١٧ على انه ربما كان من خير ما كفر به عن أعماله استخلافه ابن عمه عمر بن عبد العزيز اعدل بنى امية واورعهم وأشدهم فى الحق .

ومن هذا يتبين لنا أن الخبر موضوع المسابقة ماكان ليحدث، فقتيبة بن مسلم كان قد لقى مصرعه قبل ولاية عمر بن عبد العزيز باكثر من سنتين .

اما ما جاء فى الخبر من أمر دعوى أهل سمرقند وحكم عمر بن عبد العزيز فيه فمجمله كما ساقه الطبرى هو أن أهل سمرقند زعموا لسليمان بن أبى السرى عامل عمر على خراسان ان قتيبة غدر بهم وظلمهم وأخذ بلادهم ، وارادوا أن يبعثوا الى الخليفة وفدا يشرح ظلامتهم . فكتب عمر الى سليمان يأمره أن يجلس لهم القاضى « فلينظر فى أمرهم ، فان قضى لهم فأخرجهم الى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة » . فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضى . فقضى أن يخرج عرب سمرقند الى

نتيجة مسابقة الهلال
لا تصدق كل ما تقرأ ..

معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحا جديدا أو ظفرا بعنوة . ولكن الصفد « أهل سمرقند » عادوا فقالوا « بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا » . وتراضوا بذلك ، فتركوا الامر على ما كان ولم ينازعوا فيه .

والخبر يدل فعلا على موقف غريب من مواقف العدالة يذكر بالفخر للقضاء الاسلامى وللحكم الذى يرى ان السياسة ينبغى أن تقوم على أساس من الالتزام الخلقى . وهذا هو المعنى الذى أراد كاتب الخبر أن ينوه به : ولو انه أحاله عن وجهه ، وأضاف اليه ما أفسد حقيقته التاريخية .

وبعد ، فقد كان هذا السؤال بما فيه من اختبار لتلك الحاسة التاريخية التي لا يسهل توفرها لجمهور القراء العاديين من الاسئلة الصعبة . وهذا هو ما جعل عدد الاجابات الصحيحة ـ بين نحو الفين ممن اشتركوا فى المسابقة ـ اقل مما عهدناه فى المسابقات الماضية، ومع ذلك فقد بلغت الاجابات الصحيحة نحو مائتين من سائر انحاء العالم العربى والاسلامى . وعلى الرغم مما اوصينا به فى المسابقة من التزام الايجاز فقد ابى بعض القراء الا أن يضمنوا اجاباتهم بحوثا مستفيضة مدعمة بالمصادر مع النص على مواضع النقل من تلك المصادر بصفحاتها .

ونود ان ننوه هنا ببعض هذه الاجابات :

ـ السيد المهندس نزار عرنوق ـ ٣٣ سنة ، طرطوس ، سوريا ص ب ٢٠٠ ، اجابة سليمة دقيقة . وشكرا لتحيته وجميل ثنائه .

ـ السيد الرباطى العربى ـ ٣٠ سنة، تجزئة الرايسية رقم ٨ ، الجديدة ، المملكة المغربية : اجابة صحيحة محررة فى ايجاز ووضوح . وشكرا على تحيته الرقيقة .

ـ السيد مجدى الطاهر عبد القيوم ـ ١٩ سنة ، الخرطوم جنوب ، ص ب ٥١١ السودان ، اجابة صحيحة مع تحقيق تاريخى جدير بالاعجاب .

ـ السيد محمد محمد جمعة العدوى ـ ٤٤ سنة ، السنبلاوين ، دقهلية ش محمد حسين ، مصر : اجابة سليمة موجزة .

ـ السيد أمجد اللطيف ـ ١٧ سنة، شارع الهادى شاكر : قرنبالية ، الجمهورية التونسية ، اجابة سليمة محكمة .

الفائزون بجوائز المسابقة

اجريت القرعة بين أصحاب الاجابات الصحيحة تحت اشراف لجنة المسابقة برياسة الدكتور محمود على مكى ، فاسفرت عن النتائج الآتية :

الفائز الأول : السيد حسن محمد سليمان ، ٦ شارع سليمان جوهر شقة ١٤ ـ الدور الرابع ، الدقى ـ الجيزة وجائزته خمسة جنيهات .

الفائز الثانى : السيد فاروق يوسف اسكندر ، ٢٣ شارع مليون ابراهيم حدائق شبرا ، القاهرة ، وجائزته خمسة جنيهات .

الفائز الثالث : السيد عبد الرسول بخيت ، ٩٠ ش الضياء ، الساحل ، القاهرة . وجائزته اشتراك مجانى لمدة سنة فى مجلة الهلال .

الفائز الرابع : السيد المقدم محمد بشير النجار ، عمارات الأوقاف ب ٤ شقة ٤٠ ، كوبرى القبة . وجائزته اشتراك مجانى لمدة سنة فى مجلة الهلال .

الفائز الخامس : السيد محمد أمين خضر ، سمالوط ، المعصرة ، شرق . وجائزته اشتراك مجانى لمدة سنة فى مجلة الهلال .

تهنئة للفائزين واطيب التمنيات لمن لم يوافقهم الحظ فى هذه المرة والى اللقاء فى المسابقة القادمة .

د. محمود على مكى

نحن وزهور الربيع

د. حسين مؤنس

هذا الوجه الباسم الجميل ..
هل هو زهرة ، ام ابتسامة ربيع ؟!
الاثنان في رأينا سيان .. فالابتسامة
مرح النفس ، والربيع مرح الحياة .



نحن وزهور الربيع

الربيع والزهور صنوان لا يفترقان .. فاذا رأيت الزهور ذكرت الربيع ، واذا رأيت الربيع ذكرت الزهور وفي كل عام يولد ربيع . وتولد مع الربيع زهور الحياة .

وحديثنا هنا عن زهور الحياة، وزهور الربيع . ولك ان تنقل عينيك وذهنك بين الربيعين لكى تشعر بجمال الحياة ، ولكى تختلس من عبوس الايام ابتسامة تنفعك فى مسارك فى هذه الحياة .

***

ولكل بلد زهور ، وليس فى الدنيا بلاد لها زهور أجمل من الزهور التى منحها الله للعرب فى اوطانهم .

فالورد وهو اجمل الزهور على الاطلاق ، وارفعها عطرا ، زهرة عربية ، كانت مجهولة فى هضاب ايران ، حتى كشفها العرب ونقلوها الى بلادهم ، ونشروها فى شتى نواحى العالم ، واصبحت من ذلك الحين رمزا على الجمال وعلى العواطف من حب وكراهة، وحزن وقلق ، بحسب ما يتراءى للورود من الوان .

وصدق ابن حزم عندما قال بيته المعروف :

الورد أجمل ما رأت عيني
واحسن ما سقى ماء السحاب الجائد

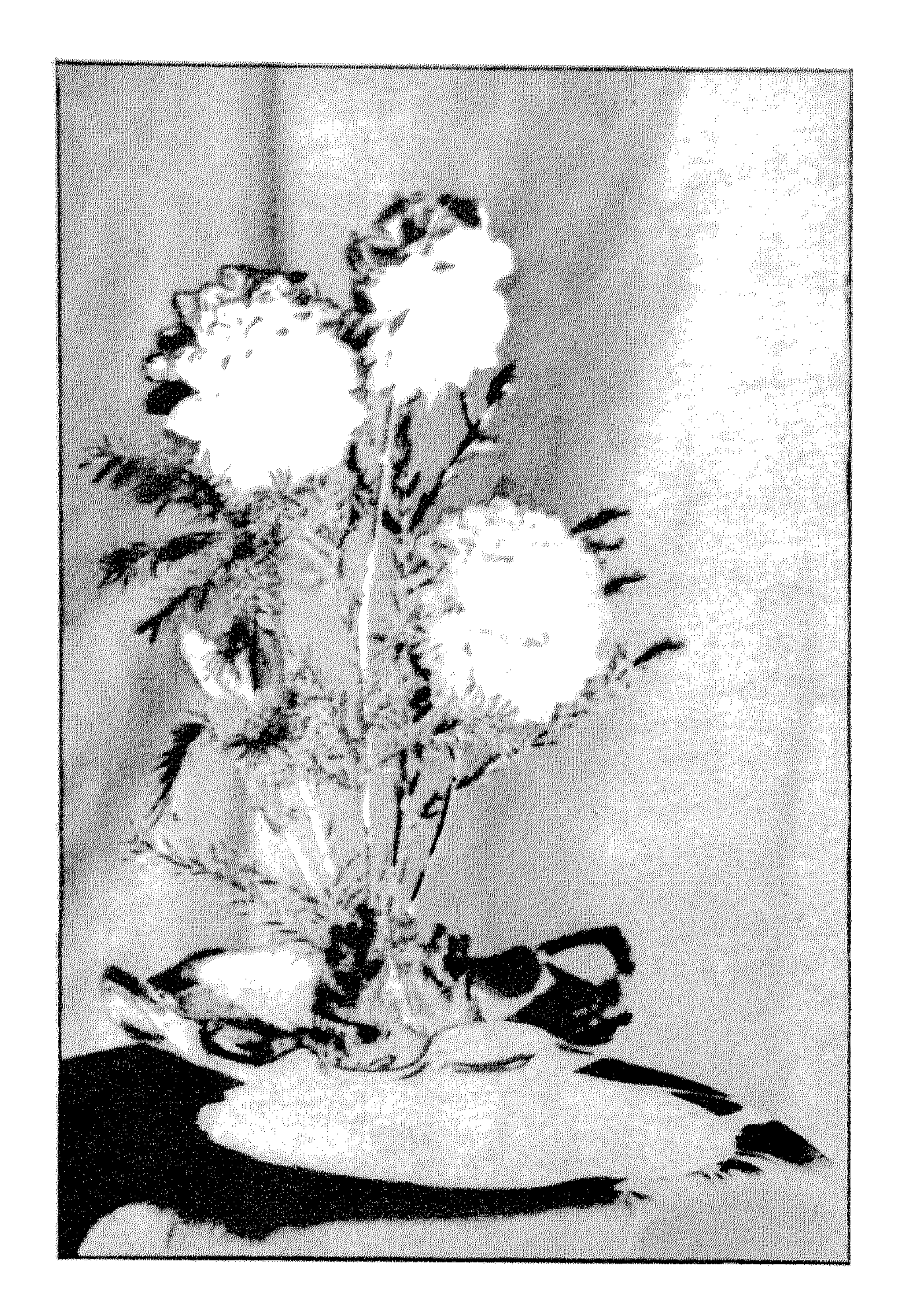
وقد روى هذا البيت معظم ادباء الاندلس ، لأن ابن حزم وصل فيه الى تصوير الورد فى اجمل صوره ، وفاق كل ما كتبه أبو الوليد الحميرى فى كتابه المشهور « البديع فى وصف الربيع » وكنه عن الزهور أو النواوير ، كما كانوا يسمون الزهور فى تلك الايام.

والنواوير مفردها نوار ، اى الذى ينور . لأن الزهور عندما تتفتح من أكمامها تنور الروض ، وتبعث الضوء فى الحياة . ولهذا كان شعراء الاندلس لا يرضون بكلمة الزهور بل كانوا يفضلون لفظة النوار .

حقا لقد عرف الرومان الورد ، وسموه باسم « روسا » ولكن ما أبعد الفرق بين وردة الرومان ، وهى الوردة الأوربية ، ووردة العرب وهى الوردة ذات العطر الجميل ، واللون البديع .

ولان الورد الرومانى منظر فحسب، ولا عطر فيه . ثم انه يخرج دفعة واحدة فتجد شجرة الورد تطلع من مائتين الى الى ثلاثمائة وردة فى نفس الاسبوع . وبعد أيام تذبل تلك الورود ، ولابد ان تنتظر الى العام التالى حتى ترى وردة اخرى .

اما الوردة الجورية ، وهى الوردة



زهرة الداليا، من أجمل ماخلق الله من الزهور ، وشجرتها شجرة كريمة ، تعطيك فى الموسم الواحد عشرات الزهور ، وتعطيك للموسم القادم عشرات الابصال ..

العـــربية (لأن العرب نقلوها من اقليم جور فى وسط ايران) فتتجدد اسبوعا بعد أسبوع ، من ابريل الى أكتوبر . فهى حياة متجددة ، وربيع متكرر ، ومن هنا جاءت شهرتها ومكانتهـــا فى عالم العطور ، فان كل شركات العطور التى تسمع عنها ، والتى تبيعك عطورها باغلى من سعر الذهب ، لا يمكن أن تصـــنع عطرا الا وفيه شىء من عطر الورد . لأن عطر الورد أساس فى تلك الصناعة التى

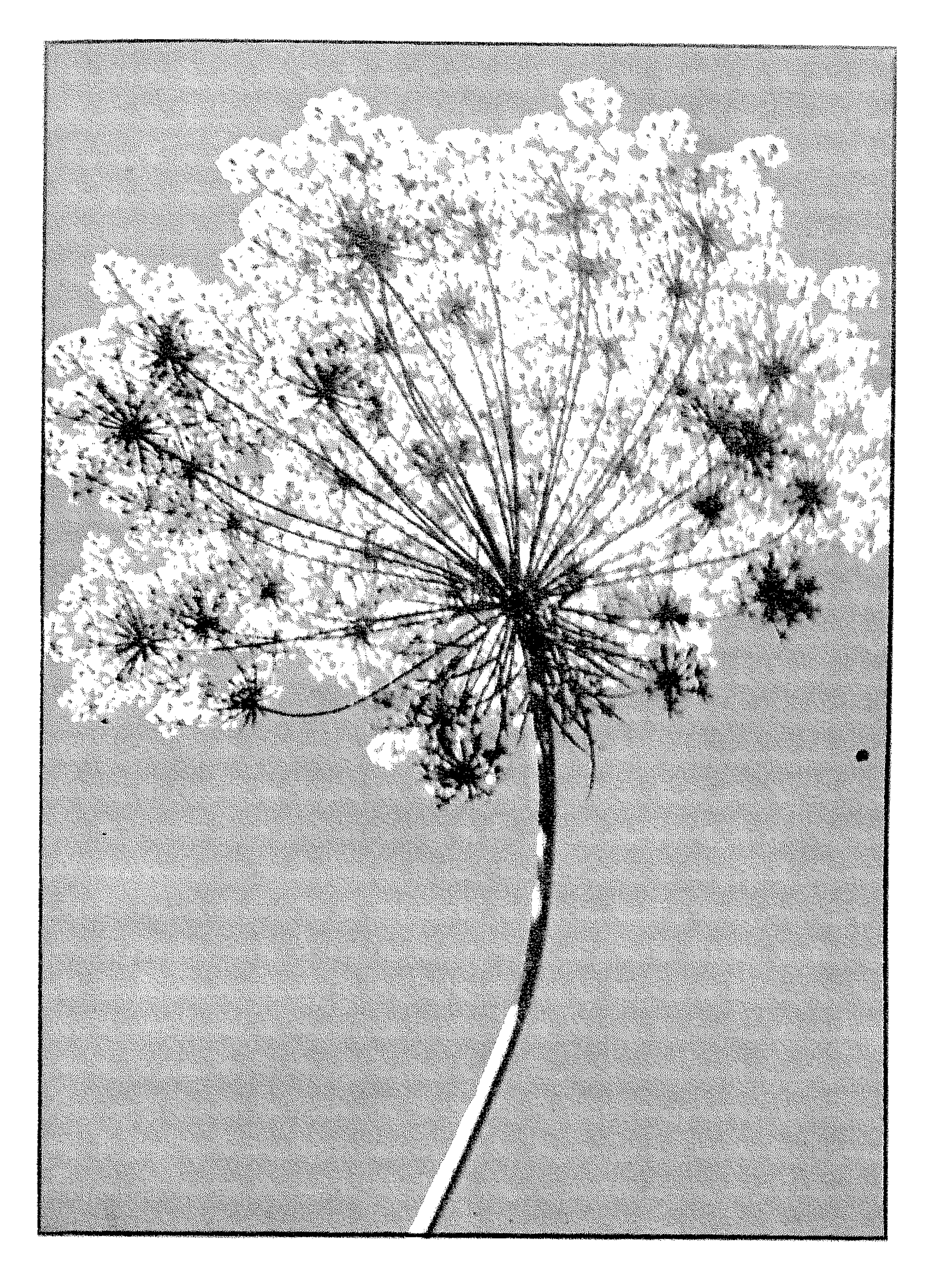


نحن وزهور الربيع

زهرة من بنات حواء ، وورود مما تطلع أمنا الارض المباركة . لا تدرى أيهما أجمل ، ولا تدرى أيهما أدل على حقيقة استمرار الحياة ، وجمال الحياة، ولو وضعت تلك الحسناء الوردة فى شعرها ، لكانت أجمل ، ولزالت حيرتنا، لان الله سبحانه وتعالى خلق الحسن كله من أصل واحد ، وسبحانه جميل يحب الجمال .

ولكن حذار فلكل من الوردتين أشواك، وبدون أشواك فلا زهور . أما شوك الورد فنعرفه ، لانه يدمى اصبعك . ولكن شوك بنات حواء من يعرفه ؟!.

ان خير ما تفعله ازاء الوردتين ، هو أن تقف عند حد النظر ، تملأ عينيك من جمال هذه ، وفتنة تلك . وحذار أن تمد يدك ، أو مدها وأنت المسئول.



تبارك الخلاق فى ما خلق ! .

هذه زهرة لا يزيد حجمها على بضـعة سنتيمترات ، ولكن الله أودعهـا من الجمال والتناسـق والرقة ، ما تحـار فيه العيون .

وتستطيع ان تقضى الساعات فى تامل ذلك الخلق البديع ، وبصرك يجرى من الساق الى الفروع ، ومن الفروع الى الزهور ، وكل ذلك خلقه الله سبحـانه وتعالى ، زينة للشجرة الصـغيرة التى تخرج ((الكسبرة)) التى يأخذها البقال والعطار ، ويفتلوتها ، ويبيعونها دون أن يعلموا ماذا حطموا .

نحن وزهور الربيع

تدر الملايين .

وعندنا الورد أحمال ، فماذا صنعنا بالورود ؟!.

ان شجرة ورد واحدة تزرع بعناية ، وتراعى فيها كل الظروف التى تجعلها تعطى اكبر قدر من زهورها ، يمكن ان تؤتى صاحبها كسبا يبعث على العجب ، ومن غريب الامر اننا رغم كل ماقلنا عن الورد ، وكل محبتنا له لم نستطع ان نفيد منه الا فى كلام الشعراء ، شأننا فى ذلك ، شأن معظم الاشياء الجميلة فى بلادنا .

ولعل شاعرا من شعراء العصور الحديثة لم يصل فى وصف الوردة ما وصل اليه احمد شوقى ، عندما قال :

تبارك اللى خلق ظلك من الخفه
واللى كساك الورق ولفه دى اللفه
زى القبل ولفت شفه على شفه ..

وفى بلادنا ينبت الفل ، وهل فى الدنيا عطر اشهر او اقوى ، او اجمل من عطر الفل ؟! .

انه يترامى الى مسافات بعيدة ، واذا كانت عندك شجرة فل ، فانك تحس عطرها طول الليل ، لان الفل يخرج معظم عطره فى سواد الليل ، كأن العطر يتحول فيه الى نور يضىء ظلام الليل لمخلوقات أخرى غيرنا تعس فى الليل تلتمس غذاءها ، فيجتنبها عطر الفل من بعيد .

ومن فصيلة الفل بنوعيه شجرة هندية بدات تدخل البلاد العربية، تسمى ملكة الليل ، وزهورها صغيرة جدا ، ولكنها لا تخرج عطرها الا فى الليل ، وأنت تشم عطرها من مسافات بعيدة ، وشجرة واحدة منها تملأ بيتك فى الليل بعطر هادىء جميل . ومن هذه الشجرة يستخرجون اليوم تلك العطور التى يسمونها عطورا رجالية ، ويجنون منها ارباحا لا تقدر ، وهى منتشرة فى بلادنا، لايكاد يحفل لها احد .

لأن الربيع كله فى بلادنا لا يحفل له احد ، وهو يمر كأنه لم يات ، ومن اغرب ما تجد فى حياتنا ان الربيع يقدم مع اسوا فترة تمر على الشباب ، واسر الشباب ، وهى فترة الامتحانات . فتجد الصبى والشاب عاكفين على كتب ثقيلة يستذكرونها للامتحان ، بينما الربيع وزهوره تنتظر خارج الشباك .

اتعلم ماذا يفعلون فى اوربا فى مثل ذلك الوقت ؟

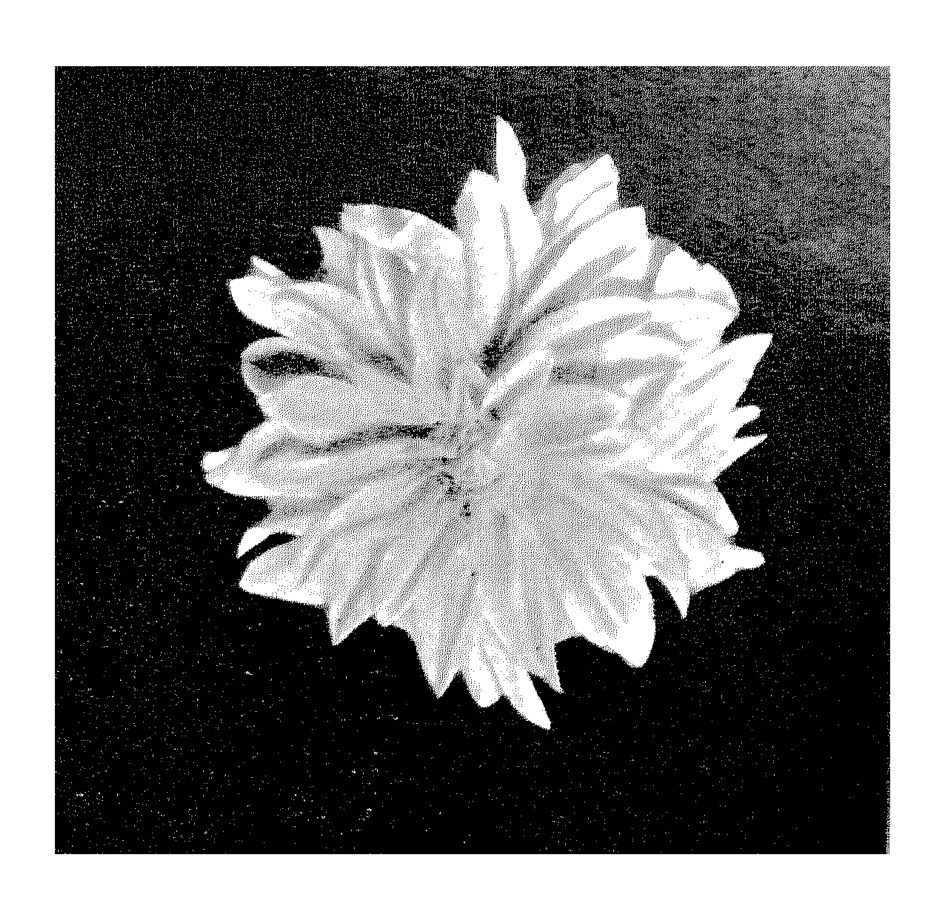
انهم يعطون المدارس والجامعات اجازة نصف السنة فى الربيع بالذات ، لكى يستمتع الشاب بالربيع ، ويستقبله ويحتفل به ، ويحس بطعم الحياة



عاشق الزهور
ياليت لى كالفراش اجنحة
أهفو بها فى الفضاء هيمانا
ادف للنور فى مشارقه
واغتدى من سناه نشوانا
وارشف القطر من بواكره
فلا أرود الضفاف ظمآنا
والثم النور فى سنابله
مصفقا للنسيم جذلانا
حتى اذا ما المساء ظللنى
سريت بين الورود سهرانا
اشرب أنفاسها وقد خفقت
صدورها للربيع تحنانا
تحلم بالفجر فوق جنتها
يموج فيه الغمام الوانا



وبالعصافير في ملاحنها
تهز قلب الصباح ارنانا
لو يعلم الزهر سر عاشقه
افرد لى من هواه بستانا
فلا تراني العيون مقتحما
سياجه أو تحس لى شانا
اذن لغردت في خمائله
وصغت فيه الحياة الحانا
لكنه شاء خلق مبتدع
من فنه العبقرى فنانا
اراده شاعرا فدلهه
وسامه جفوة وهجرانا
فليحمنى الحسن زهر جنته
وليقصنى العمر عنه حرمانا
ما كنت لولاه طائرا غردا
ولو جهلت الغناء ما كان
● على محمود طه ●
● من ديوانه : الملاح التائه ●



نحن وزهور الربيع

● زهور مصر ●

أحصى علماء الحملة الفرنسية من زهور مصر ستمائة نوع . واعطوا كل واحد منها اسما علميا، ونقلوا الكثير منها الى فرنسا ، حيث انتشرت في أوربا وأخذت اسماء أوربية ، وعادت الينا دون ان تعرف أنها ((بنت بلدنا)) . وفى الصور المنشورة هنا ثلاث من زهور مصر تراها كل يوم ، وتمر بها دون أن تملأ عينك من جمالها .. انها كلها ذات ألوان باهرة ، تتالق فى ضوء الشمس ، وتتضوع بالعطر ، ولكن من منا يملأ عينيه من الجمال ، ونفسه من العطر .

ان بلادنا بلاد زهور ، ولكننا نحن لسنا أهل زهور ، أو غالبيتنا على الاقل . وفى قريتنا ، كان يعيش ألوف من الناس ، ولكن واحدا منهم فقط زرع زهورا ، فى جزء صغير جدا من أرضه ، لانه كان انسانا ذا حساسية مرهفة ، أما الباقون فلا هم لهم الا زراعة ((الكوسة)) و ((الخيار)) و ((الطماطم)) و ((البصل)) الى آخره .





نحن وزهور الربيع

روض من السندس الاخضر ، وجواهر من الزهر الاحمر .. اجمل بساط تقع عليه العين ..

قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وما اجمل الدنيا لمن يلتمس فيها الجمال ، ويدرك فيها اسرار الجمال..

وجلسة امام هذا البساط الجميل ، اروح للنفس من هذا الصيف الذى ننفق فيه ايامنا ، ونحن نلهث لناكل ، وناكل لنلهث، وعيوننا لاتبصر من جمال الوجود الا القليل .. وكل همنا منصرف الى ملء البطون ، وملء الجيوب.. اما الروح فاين من يعنى بالروح!.

ودورة الوجود . ويذكر أن هنـــــاك أشياء تسمى الحب والجمال والالوان.

ولهذا فان الشاب هنـــــاك يعيش الربيع ، ويعمل فى الشتاء .

وعندنا يلعب الشـــاب فى الشتاء ، ويعمل فى الربيع .

وتراث الماضى الذى خلفوه لنا ، تراث ثقيل ، لا حياة فيه . ولا كانت له فى يوم من الايام حياة ، ثم يلوموننـا على اننا نسير فى الصفوف الخلفيــة من ركب الحياة .

واين هى الحياة ؟!

***

نريد أن ندعوك الى أن تحتفـل معنا هذا العام بمولد الربيــع ، وأن تعيش

نحـــن وزهـــور الـــربيـــع



مع الربيع ،وزهور الربيع ،وكل مايعنيه الربيع من حب وتفاؤل واستبشار .

نريدك أن تنسى وزن الحيـاة الثقيل الذى يثقل على كتفيك وما اكثر اثقال الحياة فى هذا العصر ..

ويعيش الناس يتصورون اننا نحن وحدنا من دون البشر ، نعانى اوصاب هذا العصر الحافل بالتكاليف والأعباء

ونحب أن نقـــول لك ان تكاليف الحياة وأعباءها فى عصرنا هـذا ثقيلة على كل أهل الدنيا فى كل بلاد الله . ولكنهم هناك يفهمون الحياة ويأخذونها على أنها ربيع وخريف وتعب واستمتاع، وجد وهزل ، وهم يضعون كل شىء فى مكانه .

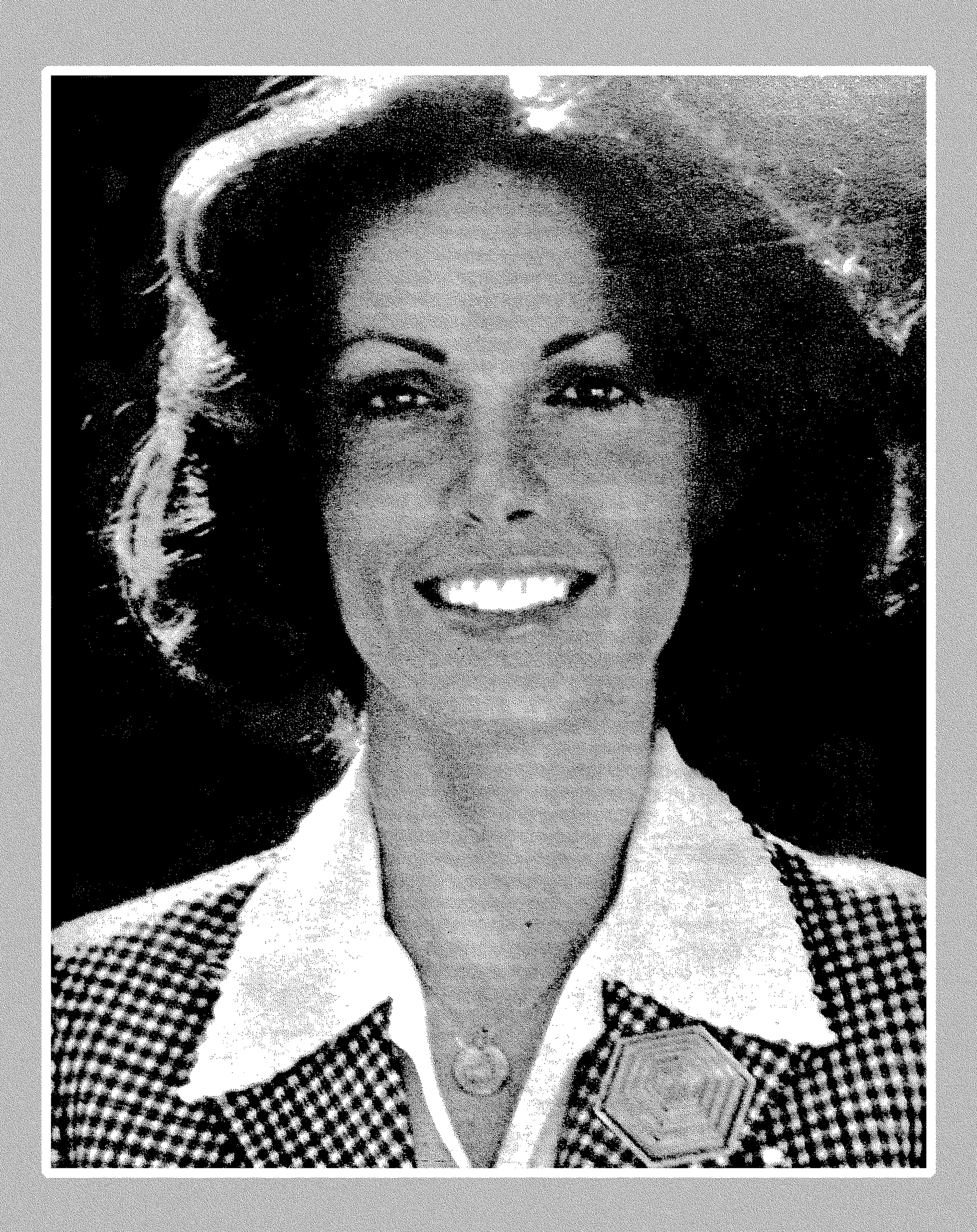
أما نحن فما اكثر ما نجد فى وقت الهزل ، ونهزل فى وقت الجد ،ونريد أن نحتفل بالربيع فى الشتاء ، ونلهب ظهور أبنائنا لكى يعملوا فى الربيع . وفى غير بلادنا ــ مثلا ــ تبيعك الزهـور فتيات جميلات فى شكل الزهور ، فانظـر ــ حرسك الله ــ من يبيعك الفل فى موسم الفل ، انه يبدو أبعد ما يكون عن الفل أو عطره ، أو الزهر وجماله . وهـذا مثال من انقلاب الاحوال بفضـــــل ذكائنا الذى لا نحسد عليه .

وقد دعوناك أن تبتسم فى العـدد الماضى ، وها نحن نقدم اليك ابتسامات الربيع فى زهور ذات الوان ، فهـــل عساك أن تسمع منا وتبتسم معنـــا ، وتحس بالربيع وزهر الربيع، كمـــا ينبغى ان تحس به ؟ .

نرجو ...

اشكال الحسن كثيرة ، ولكن جوهر الحسن واحد ..
فانت اذ تنظر الى هذا الوجه المشرق ، بين زهــور الكريزانتيم ، ذات الالوان البديعة ، يخيل اليك ان كل زهرة تحمل لك ابتسامة لا تقل جمالا عن ابتسامة وجه الحسناء .. وهذا هو اجمل ما فى الربيع ..





في مثل هذه الجميلة قالوا

● فاتنة ! . . . ●

حسناءُ ناعمــــة تزهو نضـــارتها
كالرّوض ، يختالُ فيها الحسنُ مزدهرا
في طرفهـــا حور في أنفهـــا شـمم
في ثغرها كوثر لا يعـــرف الـكدرا
تبدو غدائرُها للعـــين من ذهـــب
وجيـــــدها فاقَ في لألائه الدررا
لما بدت ، ذبتُ وجـــدا عند رؤيتهـــا
فلم ترَ العينُ إلا السّــحر مقتـــدرا
مليحـــة برزت في ثوبٍ فاتنـــة
فلا ترى غيرها شمســـا ولا قمـــرا !

● أحمد محمد الديب ●
● تجارة حلوان ●

● كأنها طيف .. ! ●

حلما أرى ، ربّاهُ ... ياطول ما
ناجيتُ في وجـــدان أحـــلامي
كأنّها طـيف ، وتلكَ الـــرؤى
تبرقُ في آفاقِ أوهـــــامي
أظل أرنو ساهيـــا سارحا
في جنّة من سحرِها الهـــامي



أظل أسقى مهجتى سلسلا
عذبا وأروى غلة الظامى !

● حسنى الامين ●

● ابتسام الندى .. ●

خذينى لعينيك ، حتى الرمق
لألقى الشروق ويصحو الألق
خذينى فقد راوغتنى الليالى
وقد ساورتنى شباك القلق
فما أنت إلا ابتسام الندى
وما أنت إلا ـ لعمرى ـ أفق !
أفيضى على انطلاقات روحـ
ـك ، إن عبوس الدجى ينفتق
ومازال طهر مداك يغنى
لقلبى لحونا ، تصوغ الشفق
خذينى ... فانى أحب الهوى
إذا فاض منك ـ ولم يحترق

● احمد مرتضى عبده ●

● لبيك ... ●

لبيك حورية فى الحب أو ملكا
كلاهما أنت فى ظنى وتقديرى
لبيك يا فتنة فى الحسن آسرة
روحى وملهمة فى الشعر تفكيرى
براءة وحياء .. عفة ونهى
وآية أنت فى أدب وتعبير

لو استطعت أصوغ النّور فى صور
من البيانِ لجاءَت سحر تصويرِ
من أجل معجزة فى الحبّ فاتنة
فى الحسن ساحرة فى بهجة النور
أقول لبيكِ إن عزّ الفؤاد بها
والعز أسمى المعانى فى هوى الحور

● عبد الله هلال ●

● الحان الشوق ! ●

اقول هواكِ ذا عذبٌ
من التعذيب أحيانا !
فحين يكون بى شجن
أجوبُ الحبَّ شطآنا ..
فأبحثُ عنكِ فى لهف
شريد القلب حيرانا
كطير صادهُ الشَّبَكُ
رهين الأسر يقظانا
فراحَ يغردُ الشعرَ
يصوغ الشوق ألحانا
كذلكَ يصنعُ الحب
بطير صار فنّانا !

● طارق صلاح الدين بندارى ●
● القاهرة ●

لن يموت شئ

● للشاعر الانجليزى : لورد الفردتنسون ●

● د. سليم الاسيوطى ●

● كتب تنسون هذه القصيدة على اثر وفاة صفيه وصديقه الحميم آرثر هللام وهو نضر العود ، غض الاهاب ، فى ربيع العمر وشرخ الشباب . وقد كان موهبة مبكرة وعبقرية قلما يجود زمان بمثلها ، وكان واعدا بمستقبل زاهر عظيم .. فكان لنبأ موته وقع الصاعقة على تنسون وعز عليه فقد أعز الصحاب الى روحه واقربهم الى قلبه . فتجمعت سحب اليأس فى سماء حياته ، وران على روحه الاحباط . احس أنه لن يلبث أن يقضى نحبه فى اثر نجيه وصفيه ، ولكن قبل أن يحل به الدمار الروحى والجسدى ، أفاق من غشيته وثاب الى رشده وعاد الى الايمان القوى القويم بأن الحياة لن تكون الى الزوال ، ولكنها ستبقى نابضة دافئة تنطلق قدما ، لا تتردد ولا تتوقف ، بل على النقيض وكالعهد بها دائما تجيش بالآمال الكبار والفرص السانحات ويحفل روضها بالزهر الناضر والثمر اليانع ، وقد حان قطاف هذا وجنى ذاك . فامتشق حسامه وراح يخوض معركتها مزودا بالايمان والثقة والجهد الجهيد .

ويعتبر لورد الفرد تنسون من أشهر فحول الشعراء فى عصر الملكة فيكتوريا الذهبى فى انجلترا ، وهو ينتمى الى المدرسة الرومانسية . وقد نشر أول ديوان له وهو فى الحادية والعشرين ، ثم تلاه بديوانه الثانى بعد ذلك بسنوات

كان تنسون يهتم اشد الاهتمام بالتراكيب العروضية والقافية والوزن ، بالاضافة الى الايقاع . وقد جرب الاوزان العربية والفارسية فى اشعاره وخاصة فى قصيدته ((اوكسلى هول)) .

وفى سنة ١٨٥٠ وقع عليه الاختيار ليكون شاعر البلاط خلفا للشاعر وردزورث حيث بقى فى هذا المنصب الرفيع زهاء الاربعين عاما . وعند موته دفن فى مقبرة العظماء فى كنيسة وستمنستر .

Nothing will die.

When will the stream be aweary of flowing
Under my eye ?

When will the wind be aweary of blowing
Over the sky ?

When will the clouds be aweary of fleeting ?
When will the heart be aweary of beating ?
And nature die ?

Never, oh ! never, nothing will die ;

The stream flows,
The wind blows,

The cloud fleets,
The heart beats,

Nothing will die.

Nothing will die ;
All things will change
Thro' eternity.
'Tis the world's winter ;

Autumn and summer
Are gone long ago ;
Earth is dry to the centre,

But spring, a new comer,
A spring rich and strange,

Shall make the winds blow

Round and round,
Thro' and thro',
Here and there,
Till the air

And the ground
Shall be fill'd with life anew.

The world was never made ;
It will change, but it will not fade.
So let the wind range ;

For even and morn
Ever will be
Thro' eternity.

Nothing was born ;

Nothing will die ;
All things will change.

ALFRED TENNYSON.

ن يموت شيء
حين يعجز الغدير عن الجريان
على مرأى منى
وتعجز الريح عن الهبوب
فى كبد السماء
وتعجز السحب عن المسير
والقلب عن الخفقان
فهل تموت الطبيعة ؟
أبدا ، أواه ! أبدا ، لن يموت شيء ،
سوف يتدفق الغدير
وسوف تهب الريح
وسوف تعبر السحب
وسوف يخفق القلب
ولن يموت شيء .
لن يموت شيء
وسوف يتغير كل شيء
من خلال الابدية .
انه شتاء الدنيا ،
خريفها وصيفها
ولت منذ عهد بعيد ،
جفت الارض حتى قلبها
ولكن الربيع فى الطريق اليها ،
ربيع غنى عجيب ،
سيدفع الريح الى الهبوب
المرة تلو المرة
خلال هذا وذاك ،
هنـــا وهنـــاك
حتى تفعم الحياة الهواء
والارض من جديد .
هذا العالم لم يصنع ابدا ،
سوف يتغير ولكنه لن يزول .
كذا فلتهب الريح ،
فى المساء وفى الصباح
عبر الابدية
على الدوام
لم يولد شيء ،
ولن يموت شيء ،
وسوف يتغير كل شيء

((تنسون))

فيلم من سينما الفكر

النهاية السعيدة والنهاية غير المنطقية

● مارى غصبان ●

●● كثير من الاعمال الفنية يخرج منها الانسان وهو لا يتذكر الا انه امضى ساعات من التسلية او المتعة الفنية . وقليل من الاعمال الفنية او الادبية تلك التى يخرج منها الانسان وهو يعانى من التساؤلات وعلامات الاستفهام المحيرة ..

ومن اهم الاحداث الفنية التى تندرج تحت عنوان السينما الذهنية ذلك الفيلم الذى عرض فى اوائل العام الجديد ((احلام نسناس)) من اخراج ماركوفاريرى وانتاج مشترك بين ايطاليا وفرنسا .

●● و ((احلام نسناس)) تدور احداثه فى اكثر اماكن العالم ابرازا لتناقضات الانسانية .. اختار المخرج ماركو فاريرى نيويورك والولايات المتحدة حيث الحضارة المتقدمة والظروف المتناقضة ، فهناك من يقفون على رأس السلم الحضارى ،

وهناك ايضا من يقبعون تحت فى الاعماق السحيقة التى لاتمت بصلة الى الوجود الحضارى .. وازمة الحضارة التى يعالجها الموضوع تعنى ان الشخصيات تعيش فى أحلام تخرج عن اطار الزمن ، فالناس تتوهم الخطر الذى يتجسد فى الخوف من خطر المذاهب التى تقضى على الراسمالية كالمذهب الشيوعى ولا

فارق فى خوف هؤلاء من الشيوعية عن خوفهم من اخطار القوى الاخرى وغزو الاتجاهات اللاآدمية وقدوم كائنات من كواكب اخرى . وازاء هذا

الخوف ينعدم كل اسلوب من اساليب التعامل البشرى ، يفقد البعض حتى لغة الحوار والقدرة على الكلام وتصبح وسيلة التعبير لديهم مجرد أصوات تصدر من افواههم تشبه الصفير ..

والبشرية المهددة بالانهيار لا تفقد اشكالها المادية ، لكنها تفقد فقط وجودها الانسانى ، فناطحات السحاب العملاقة والطرق والكبارى موجودة ،

ولكن الكيان البشرى هو الذى يختفى ... فالرعب موجود فى كل مكان .. الغوريللات الضخمة اختارت ان تموت على الشواطىء والسواحل الآهلة

بالسكان ، والفئران الكبيرة تخرج من الجحور وتهدد حتى مجرد التواجد البشرى ..

نيويورك لم تعد مدينة الحضارة



من فيلم « احلام نسناس » ... مشاهد الرعب في كل مكان ، وفي هذه اللقطة نرى الغوريللا الضخمة التي اختارت أن تموت على الشواطئ والسواحل الآهلة بالسكان . . .

والحركة المتزايدة ، بل اصبحت مدينة الفراغ والخوف والرعب والخطر المحيق بالوجود الانساني والحضارة البشرية . وبقايا المدينة ـ التي كانت نيويورك ـ تواجه خطرا آخر هو الحريق الذي يلتهم ما بقي منها من مظهر يدل على الكيان والسلوك الانساني ، وينتهي كل شيء لينتهي معه آخر اثر للحضارة البشرية .

***

وقد وصف النقاد الفيلم بانه يعبر عن مرحلة اليأس ... فالناس مصنوعون ، والحضارة زائفة ، والاعلام مزيف ، والافكار مطحونة .

ووسط ما خلقه الانسان من مظاهر حضارية مادية يبدو الانسان ـ صانعها ـ قزما امام ضخامة هذه الانجازات المادية ... واين الانسان الضعيف امام قوى الدمار الضخمة .. وهو صانعها ؟ !

واذا كانت المجتمعات قابلة للاختفاء والحضارات قابلة للزوال ، الا أن هناك نوعيات من البشر لاتنتهي، بل تستمر لكي تخرج من العدم وجودا، ولكي تؤكد مسيرة الجنس البشري والسلوك الانساني . وهذه النماذج التي تتميز بالقدرة على المقاومة والقدرة على البقاء ، هي حلم مؤلف القصة ومخرجها ماركوفاريري . . .

وعلى شاطئ من الرمال الذهبية التي تجاور ساحلا مائيا فيه صفاء اللون الازرق السماوي ، تبدو امراة جميلة وطفل صغير يبحثان عن لحظة استقرار بعد فترات ضياع ـ رمزا لاستمرار الحياة وبداية حياة جديدة وعالم جديد ... بهذه النهاية اراد



مشهد ناطحات السحاب العملاقة كما جسدها فيلم ((احلام نسناس)) .. ان مخرج الفيلم يرمز بهذه اللقطة الى معان كثيرة ومتعددة أهمهـا اختفاء الكيان البشرى فى ظل التغلغل المادى الذى اصاب العالم

المؤلف ماركو فاريرى أن يقول ان أزمات الحضارة ستنتهى ... صحيح انها ستدمر الكثير من مظاهر الوجود الانسانى ولكن النهاية الحتمية ستبقى فى استمرار الجميل والصحيح من السلوك البشرى .

***

●● هذه الخيالات والتخوفات من انهيار الحضارة الانسانية سبق أن عالجها الكثيرون فى اعمال أدبية وأفلام سينمائية ومسرحيات ، لكن هدف هذا الفيلم ((احلام نسناس)) يبدو فى أن الكلمات أصبحت فى غالبيتها كاذبة ، والاعلام أصبح وسيلة كريهة لنقل أفكار سخفية ، والماركسية التى كانت حلما بالنسبة للكثيرين للتغلب على حماقات النظام الرأسمالى ، صبحت ايضا شيئا كريها ، فتطورها لم يعد الصلاح لاحوال المجتمعات .

واذا كانت هذه الاهداف أيضا غير جديدة فى نظرة الفن والادب والبحث عن أسلوب جديد للصلاح الانسانى ، الا أن هذا الفيلم الذى مثله مارشيلوماستروياني ، وجيرار بارديو ، واخرجه مؤلف القصة ماركو فاريرى - يوضح هذه المعطيات من خلال فهم وتناول جديد يجسد أبعاد المشكلة بشكل محذر ومخيف من أخطار وتراكمات العصر ، لكن النهاية التى لجأ اليها المخرج بعد جو من الارهاب والكآبة ، تمثل نهاية مفاجئة لا يستسيغها الكثيرون ، فقد كانت بمثابة ((النهاية السعيدة)) التى تمثل مخدرا ومسكنا لآلام عديدة يصعب التغلب عليها بمثل هذا الدواء السحرى والنهايات غير المنطقية! ●



● يس الفيل ●

مثلمـا ينتشر العطـر على وجه الصـحارى
مثلما يلمـع نجم في سراديب الحيـارى
مثلما تنـدلع الاشواق في ليل العـذارى
مثلمـا يرجع للأيام عيد ، في المدى يوما توارى
تشرق الآمال في قلبى ربيعـا ، وازدهارا !

***

فاغنى .. وتغنى في زمان الصـمت روحى
وأحس الكون عطـرا ناعما يكسـو جـروحى
وأرى دنيـاى تمتـد الى أفق فسيح
وكأن الليـل ـ فوق الارض ـ لم يرسم ضريحى
وكأنى لم أزل ، والامس لم يحرق طمـوحى !

***

غـير أن الصمت لا يلبث أن يغتـال نفسى
واعاصـير الليـالى بالأسى تمـلأ كاسى
وبقـايا العـالم السـحرى فى آفاق امسى
تنطوى مبتـورة الايقـاع فى أنقـاض يأسى
وكأنى صـرخة الاحـزان فى ليـلة عرس !

***

وبرغم الصمت أحيـا ، أزرع الارجاء نورا
وأعيش العمـر احسـاسا ونبضـا وشـعورا
ولقـد أبصر وجه الارض من حـولى قبـورا
غير أنى سـوف أشدو ، أمنح العـانى سرورا
وأغنى لغـد يشـرق فكرا .. وضـميرا !

قصة

وحيدة!

● هدى جاد ●

● **تتقلب في فراشها ، ذات اليمين وذات الشمال ... تحجب الضوء عن عينيها ، رغم أن الدنيا ظلام ... تخفى عن فكرها صور الماضي .. تحاول بكل ما ادخرته من جهد أن تطمس معالم الذكريات !**

بالارادة يهون الصعب ... كلمات جميلة ، معانيها حلوة ، تدفع الراغب في تخطي الصعاب أن يتمسك بقشة ، ليهون الصعب . كما يقولون ..

لكن ما الذى يجعلها حقيقة هكذا تتقلب على جمر ؟ .. والفراش وثير والهدوء مستتب ... هذه الفترة بالذات ، تتوقف الحركة ـ حركة المرور ، حركة ضجيج الاطفال في المدارس والبيوت والشوارع ... تستكين العصافير فى اعشاشها ، تغلق الحوانيت ابوابها ، ينام السكان وبوابو العمارات .

الانسان حر ... هذه حقيقة . منح حق الاختيار ... حقيقة ثانية . مادام يملك القدرة على التفكير السليم ، له أن يخطط لنفسه حسب ما يرتضيه الحق .. ويومىء المجتمع برأسه علامة الرضا ..

ما الذى كان فى وسعها أن تخطط له بما يتناسب مع ظروفها ؟

فقدت والديها وزوجها ولم تنجب .. ولا داعى لان تخوض فى أسباب انفصالها عن زوجها لانه ربما كان العقم واحدا من أسباب طلاقها .

فى نهاية الامر ، اصبحت وحيدة ، هذه هى الحقيقة الاولى والاخيرة ..

« عيب يا امرأة أن تعيشى بمفردك » ومازلت ذات فتنة ودلال : عيب يا امرأة ألا يظلل سقف دارك رجل ! رجل بأية صورة : أب ، أخ ، زوج ، ابن ... »

كثيرا ما تصفحت الجرائد اليومية ، والمجلات الاسبوعية ... هل هناك اعلان عن واحدة تريد الانتماء الى رجل ـ بغية التغلب على الوحدة ؟

كل هذه الافكار تحيط بها فى كل لفتة فى كل حركة . فى صحوها ومنامها . فى أوقات عملها . خارج البيت وداخله ... المهم . يجب أن تواجه الحقيقة ... تريد أن تعيش بحيث تتنفس هواء نقيا .

كانت تملك مالا يسد رمقها ، يعوضها عن اللجوء للآخرين، فحمدت ربها واهتمت بوظيفتها وعملت على تحسين مركزها . بالاطلاع والاستقامة حتى حصلت على احترام كل من يتعامل معها ، فحمدت ربها ..

بقيت المشكلة الحقيقية .. وهى اكتشافها المفاجىء لمن يقف أمامها . يسد بجسمه الثقيل ، وأنفاسه المنفرة ، كل ما تروم اليه من حرية ... كيف ؟ جارها الثقيل ، زوج صديقتها الطيبة التى تلبى لها ما تطلب منها ..

رجل منحته الطبيعة وزنا ثقيلا فى كيلوات اللحم والدم !

عندما تقف أمام النافذة تراه ... فترة ما بعد الظهر كل يوم يفرغ نفسه ليترصدها ... كأنما خلق فى هذه المرحلة ليتمم رسالته ، وهى أن يراقبها كيفما سمح له وقته . فى أول الامر ، تجاهلت ما دار فى ذهنها من هواجس ، وما لقنه لها قلبها من تحذيرات .. ومرت الايام واستمر الأمر أشهرا طوالا ، ماذا تصنع ... هى التى تقدس معنى الحرية؟

قلبها يستثقل ظل هذا الرجل ، عقلها يهدئها ... كل واحد حر فى بيته ... الشيطان يهمس لها .. لابد أن من بنى هذا البيت غرس فيه جثة هذا الرجل ، الذى لا يفارق نافذة بيته التى تطل على شقتها وتكشفها كلها .

وأحيانا تتغلب الصفاقة على المواقف السلمية ... فقد حول الجار بندقيته رصده الى الشرفة ، حيث يكشفها تماما .
لم ييأس ، ولم يكل ، لم يمل .. أخذ يطاردها خارج البيت وفى داخله ..
فكرت ، هل تلجأ لبعض الاقرباء المخلصين ليوقفوه عند حده ؟ ستكون فضيحة بلا شك .. وستخسر صاحبتها البريئة المخلصة ـ زوجته !
ومن هنا تساءلت : ان هذا التفكير معناه تسليمها الكامل بأنها وحدها لا تستطيع الذود عن نفسها !
وطرأت لها فكرة ... لماذا لا تسافر عند قريبتها في الريف ؟ لها حق فى أجازة كانت تماطل فى الحصول عليها .. لان طاقة العمل داخل البيت وخارجه ، تنقذها من الاستسلام للفراغ الموحش ... لعلها فكرة صائبة . لأن شعورها بالاختناق وهى حبيسة دارها كان يوغر صدرها ..
واحتواها الريف ، جدد نشاطها ... لم تكن فى احتياج لغلق النوافذ أو الاستسلام لكوابيس الاحلام..هدهدتها قريبتها ، وسعدت باجتماعهما معا بعد طول غياب ..

ولكن ، ما أقصر عمر الايام السعيدة .. هكذا انتهت الفترة التى اختلستها من زمانها لتعود مرة أخرى الى عشها ، الذى تحول فى الاونة الاخيرة الى سجن بمحض ارادتها .. الموضوع الان أصبح لا يحتمل المماطلة ، التفكير المتواصل فى الحصول على كامل حريتها دون اللجوء الى اخرين ، كاد يعتصرها تماما ...

نبعث من داخلها قوة رهيبة ، ادخرتها الى حين لتخلص نفسها تماما من الضيق المتواصل ، شرط ألا تعمل على اثارة فضيحة ، لأنها لو حاولت البوح بما يكدرها لاخرين ينصتون اليها ، قد يتبادر الى أذهان البعض انها ليست حسنة النية، وربما تريد القاء شبهة ما على رجل .. من يدريهم انها على حق ؟ مازال المجتمع ينظر الى المرأة ، على انها فى احتياج مستمر للحماية .. والحماية من رجل..الرجل الذى اصبح يمثل لديها وحشا فى غابة متسعة لا حدود لها .

والحصول على مسكن ، دخل فى عالم المعجزات ، لن تستطيع الانتقال الى مسكن آخر ـ كذلك هو !

مازال صامدا يترصدها فى كل مكان . يقلق راحتها ، سعيدا بانتصاره وبتغلبه عليها ... النار تشتعل فى صدرها غيظا
كانت تستمد قوتها المدخرة من ايمانها مازالت لديها فترة طويلة تستطيع من خلالها الحصول على أجازة أخرى ..
إدعت المرض بمرض معد وخطير أخطرت جارتها الوفية بذلك ليصل الخبر الى الجار الصفيق ... اختارت فترة محددة أغلقت على نفسها الابواب والنوافذ بعد أن ادخرت طعاما ومؤنا تكفيها لمدة شهر على الاقل ..
نظمت وقتها . بعضه لانجاز عملها الذى تريد من ورائه ربحا معنويا قد يضمها الى قائمة المتفوقين . انعزلت تماما عن الناس الا بقدر محدود عن طريق التليفون .
كانت تنام نوما هادئا مستريحا ، وتقسم بقية الوقت فى المطالعة ومشاهدة التليفزيون ، اقترب موعد الخلاص ! .. احست بأن عبئا ثقيلا كاد ينزاح عن صدرها .. فتحت النوافذ ، كانت نوافذ الجار الصفيق مغلقة ... قهقهت فى سرها ، خرجت الى الشرفة القريبة جدا من شرفة الجار العدو ... ذهلت !
كان الغبار يغطى كل شىء لدرجة توحى بان المسكن مهجور .. هتف صوت من باطنها : انتصرت يا امرأة نصرا مبينا !

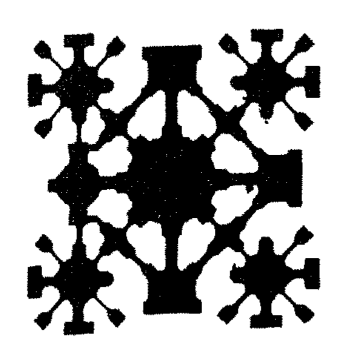
الخوف من العدوى من مرضها المخيف ربما كان الدافع لهربه أو لهرب الجميع ، فالرذاذ والهواء المخزون المحمل بالميكروبات أوهم الجميع بأنها أصبحت مرتعا خصبا للمرض ..
واجهت نفسها .. ألم انتصر على عدو صفيق دون حماية من أحد ؟ بعد مرارة العذاب النفسى الذى تجرعته ليلا ونهارا فى حريتى ، فى سكونى ، فى نومى وفى يقظتى ..

كل هذه الالام التى لم أجلبها الى نفسى، لكن وضعى المتفرد وظروفى القاسية هى التى أطمعت الطامعين فى ..

انما ارادتى ، وعذاباتى ، وعنادى المتولد من اصرارى على المقاومة كل ذلك سيحمينى من شر الاخرين ..

رنت المرأة الوحيدة الى الفضاء الواسع ودمدمت من بين شفتيها :

الجحيم .. هم الآخرون !



مرآة الفكر العربى

من قضايا الفكر الإسلامى
دراسة ونصوص

● تأليف : د. محمد كمال جعفر ●

● يعرض هذا الكتاب القيم لقضية هامة فى حياتنا الثقافية المعاصرة ، هى قضية اصالة الفكر الاسلامى ، وقد ضم بين دفتيه أبوابا رئيسية ثلاثة كل منها يحتاج لكتاب مفصل ينير لنا الطريق ، خاصة ، اننا الآن تمر بنا مرحلة نحتاج فيها ان نعرف كيف نفرق بين تراث اجدادنا ، وبين الوافد علينا من الخارج ، وليكون كل منا على يقين من تراثه ، ما يفيد منه وما يحتاج لتصحيح مساره .

وقد استطاع المؤلف ، وهو الاستاذ الجامعى أن يعمق نظراته فى دقة علمية فى تراثنا ليضعنا أمام جوهر المشكلة الاساسية التى تواجه المثقف المعاصر . وقد عالج هذا الموضوع بأسلوبه الفلسفى والعلمى الواضح ، فجاء الباب الاول استجابة لنداءات الضرورة الملحة المعاصرة : الفكر الاسلامى بين الاصالة والتجديد ، وقد استعرض فيه الكاتب اللمحات السريعة التى تتعلق بتحديد طبيعة هذا الفكر ، وتوضيح النقاط الاساسية اللازمة لتقييمه وتقدير مكانته بين الانماط الفكرية العالمية .

كما أشار المؤلف أولا الى اضطهاد المستشرقين للفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية ، مبينا العاصفة الخطيرة التى واجهت الفكر الاسلامى والتى حاولت النيل منه ، على يد بعض الباحثين الغربيين بشتى نزعاتهم ولغاتهم وبيئاتهم وهم الذين انتهوا الى آراء متناقضة حول أصالة هذا الفكر .

ويعلق المؤلف على ذلك بقوله ((ولا عجب ان يعلق باحث أوربى منصف على مثل هذه الآراء معلنا أنه لم يعد هناك ضرورة الى بعث مثل هذه النظريات المتناقضة التى كانت واسعة الانتشار فى الماضى ، والتى دأبت على تصوير التاريخ السياسى الاسلامى أو الحضارة الاسلامية بصورة عامة على أنهما معا سلسلة مملة من الحكام والطغاة ،وتكرار ممل للفكر والاشكال)) .

وقد بين المؤلف ان أهم مثال على تناقض هؤلاء الباحثين : مكدونالد ، وميلر ، حيث انهما وغيرهما قد وقعوا فى سلسلة التناقضات فى وقت واحدنتيجة لافكارهم المسبقة التى تدل على خيانتهم للبحث العلمى والبعد عن النزاهة والموضوعية ، وحيث ان هذه الآراء جميعا يمكن الرد عليها بالمنطق والموضوعية ، لأنه ثابت تاريخيا أن هناك قرونا عديدة ازدهر فيها النشاط الفكرى الاسلامى مع وجود عقيدة القضاء والقدر ، ولم نر أى فترة من فترات التاريخ قد تعطل السير فيها بسبب القضاء والقدر ، ومن المعروف أن ازهى العصور كانت فكرة القضاء والقدر هى العون على اعتدال الانسان ومعرفته قدر نفسه ومشجعا لتحمل الصعاب والنوائب ، ولكن فى الحقيقة كل من اراد أن ينتقص من الفكر العربى الاسلامى وأن يقلل من شأن العروبة والاسلام ، انما يظهر عليهم ذلك من نزعة عنصرية متعصبة ، وقد تعرض المؤلف هنا لأكثر من شخصية لهؤلاء

الباحثين الغربيين مثل ارنست رينان ، وليون جونيه بالتحليل والدراسة مثبتا العنصرية والخيانة العلمية فى آرائهم مع اثبات أن العقلية العربية عقلية علمية قادرة دائما على التأليف والتركيب والتوحيد بين الاشياء وهى بذلك قادرة على الاحاطة والشمول وادراك الكليات .

***

ويرى المؤلف أن اثبات الاصالة للفكر الاسلامى والحضارة العربية الاسلامية ليست بحاجة لطلاسم ،بل ان بها عناصر ثابتة أصيلة تشير الى مواقف عقلية وفكرية تقف تواجه الرأى الذى ينفى اصالة هذه الحضارة وهذا الفكر ، كما تشهد بمواقف الاعزاز والاعتزاز ، بالتراث ..

وأروع ما يطالع الباحث فى الفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية أن بهما اتجاهين فيهما التخصص الدقيق والتعميم ولكن ما نلاحظه فى هذا الباب ان الكاتب اعطى اهتماما خاصا بضرورة مراعاة الجوانب الاربعة التى تمثل الفكر الاسلامى فى اطاره العام المطلق ، وألا يقتصر فى تقييم هذا الفكر على جانب واحد من هذه الجوانب التى أشيراليها بعلم اصول الفقه ، وعلم الكلام ، والفلسفة المدرسية والتصوف ..

وعلى ذلك يشير المؤلف الى انه اذا كانت مراعاة الجوانب الأربعة السابقة ضرورية لضمان سلامة الحكم على مدى أصالة الفكر الاسلامى فانه من الضرورى كذلك أن تكون نفس هذه النظرة الشاملة هى مصدر الانطلاق فى محاولات التجديد الفكرى ، فكان من أهم اقتراحات المؤلف لتجديد الفكر انه من الضرورى ان يكون التجديد نابعا من الاسلام حيث انه اشمل صيغة للفكر وللسلوك وأوسع دائرة تنظم الفكر والوجود ،وهذا الانبثاق يشترط أن يكون نتيجة لاستعراض واستيعاب الفكر الاسلامى فى ميادينه الاربعة ، وفى ضوء القرآن والسنة الصحيحة فان الاطار الاسلامى الذى يجمع الاصل والكينونة والمصير دون آهمال لأى منها على حساب الآخر هو الاطار الذى يجب ان يحتذى به .

وقد عرض المؤلف فى هذا الباب مثالين هامين من محاولات التجديد . أولهما للفيلسوف المسلم ، الشاعر محمد اقبال الذى عرض قضية التجديد الفكرى عرضا فلسفيا ، ويعتبر كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الاسلام » الوثيقة الاولى التى تضمنت تصوره العام للقضية واقتراحاته حول التجديد ..

وثانى محاولات التجديد ، محاولة استاذ معاصر هو الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه «تجديد الفكر العربى» حيث رسم فيه خطة للمثقف العربى المعاصر فى اطارها العام وأزمته الانسانية من حيث امكانية التوفيق بين روح عصره وتراثه فى خطة تجديدية شاملة ، حتى يكون لديه ما يقدمه لعصره ، فيضيف زادا فكريا جديدا لعالم اليوم ، واعلن أن الثورة لابد وان تبدأ من اللغة حيث انها فى حقيقتها فكر . وقد قدم لنا المؤلف تعليقاته وملاحظاته على هذين المثالين .

أما الباب الثانى فيتضمن استعراض بعض محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة ، وقد اراد المؤلف بهذا الباب توضيح جهود الاسلاف فى مواقف حضارية . وتلك المواقف ان لم تكن شبيهة كل الشبه بموقفنا الآن ، فهى على أى حال قريبة منا حيث كانت بيئات الاسلاف عرضة لغزو فكرى وحضارى، وقد حاول الاسلاف أن يتصدوا لهذا الغزو الفكرى الوافد محتفظين بأصالتهم وعروبتهم ، وبذلك يكون هذا الباب وثيق الصلة بالباب الاول .

ثم خصص المؤلف الباب الثالث للنصوص والتعليقات عليها ، فضم نصوصا تنشر لاول مرة وتكشف بذلك عن جوانب هامة ،وقضايا عامة فى فكرنا الاسلامى ، ومن هذه النصوص رسالتان لابن مسرة الاندلسى ، وأقوال تتصل « بالنبوة » لابن كمونه .

وهذا الباب يتيح للقارىء الاتصال مباشرة بالنصوص ويتيح له تكوين الحكم والرأى فى حيدة ونزاهة ان يكون قد تمرس بأساليب الفلاسفة والمفكرين .

● اعداد ، عادل عبد الصمد ●



● احمد الشيخ ●

\- ١ -

قال لنفسه وهو يعبر الزقاق :
لـو بقيت فلن يتحقق شيء لي أو لهم ..
لو رحلت أكون بالفعل قد انشطرت ، لكني ساحقق حلما طاف بخيالي يوما، ساعيش وايسر لهم اسباب الحياة ...
وقال لنفسه ايضا :

في مثل هذه الحالات يلـزم تجنب العواطف قدر المستطاع ،فالعواطف تعمل على تعويق حركة الانسان .

كان قد عقد العزم على الهجرة،كانت امه في غفلة من امرها تغسل ثوبه وتعد طعامه ، ترتب فراشه وتتاكد في ليـالي الشتاء المرطبة أنه لم يزح عن نفسهالغطاء ... تحتال على الايام وتوزع حنانها عليهم بعدالة فطرية لا تعرف الانحياز أو التفرقة كان هو أكبرهم . رجل البيت ومصـدر دخله الوحيد . فسعيد ما زال يستـعد لامتحان الثانوية ، وآمال تنتظر نصيبها كما تقول الام ،بعد أنفشلت في الحصول على الاعدادية ...

كان قد دخل الشقة الصغيرة عاقـدا العزم على مواجهتها بالامر .. كان يشعر بشيء من الحرج ، ورغم أن نواياه لم تكن شريرة ولا جبانة الا أنه كان يستشـعر الحرج من مواجهتها عينا لعين ...

نظر الى بلاط الصالة وراح يحصـيه ويتابعشروخا غزته بعد طول الاستعمال.

قال بينما تنظر اليه متعجبة من صمته بعد أن ناداها بشيء من الجدية :

\- سوف اهاجر ...

بدا لها أن ما سمعته لا يخصـها في شيء ... استوضحته :

\- ماذا قلت ؟

قال ملقياً عن نفسه عبء الانتظـار والمراوغة :

\- سأهاجر ... سوف أهاجـر الى استراليا ... قدمت أوراقي وقبلوا طلبي

لم تفهمتماما ما يعنيه ، لكنها احست أنه ينوي الرحيل ... هكذا بلا مقدمات يفكر في الرحيل الى عالم لا تعـرفه أو تسمع عنه قبلا ...

بدهشة ولوم واستنكار قالت :

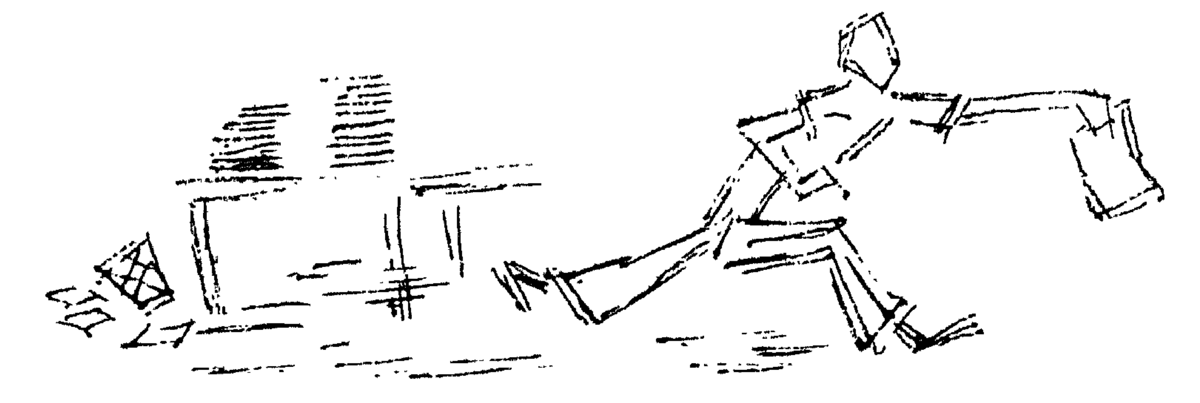
\- واخوتك ؟ هه ... اذا رحلت فمن يرعانا ؟.. هل جننت؟..

قال وعيناه تتابعان الشروخ علىامتداد الصالة :

\- سوف أكتب لكم وارفق بكلرسالة مبلغا يعينكم على الحياة حتى ...

صمت ... كان قد أوشك علىالتراجع ... على الاعتذار الكامل عن فكرته التي تحمس لها تماما ... لكنه حاور نفسه قائلا :

.. لو تراجعت لانهزمت .. لو بقيت



لانتهيت ٠٠٠ وهناك يمكن ان تتحقق كل الاحلام ٠٠٠

ساد صمت سخيف ٠٠٠ انسحب متعللا بسماع صوت زميل العمل يناديه من الزقاق ٠٠٠

قالت هي لنفسها : لو كان الولد عاقا لهان الامر ٠٠٠ انه حتى لا يدخن ، يحرم نفسه من كل شيء ويسلمني مرتبه في اول الشهر ٠٠٠ يطالبني بالمصروف في كل صباح كانه تلميذ ٠٠٠ يسهر مع سعيد ليشرح له ما يصعب عليه في دراسته ٠٠٠ يحنو على آمال ويرعاها كما لو كان ابا صغيرا ٠٠٠ يستر البيت على حساب نفسه ٠٠٠ هل انقلبت الدنيا ليتركنا ؟ ٠٠ هل يتغير الابناء في غفلة عنا وبلا سبب ؟ ٠٠ كان الصوت الذى سمعته لشخص آخر لم اسمعه قبلا .

ـ ٢ ـ

قال لصاحبه موضحا :

ـ طبعا تضايقت ٠٠٠ لكن ما حيلتي ، كان من الحتم أن تعرف ٠

قال الآخر :

ـ لقد تربينا على أساس أن نظل بجوارهم ٠٠٠ أفقدونا روح المغامرة ٠٠٠ عندما عارضني أبي قلتها له « أنت تعتبرني مصدر دخل لك . حسنا ٠٠٠ ساكون هناك أكثر فائدة لك من الناحية المادية ، فكيف تعارض ؟ »

اعترض هو على أسلوب صاحبه :

ـ لم يكن هناك داع لمثل هذا الكلام الجارح !

ـ أؤكد لك انني بالنسبة له لا أعني أكثر من هذا ٠٠٠

اعترض مرة اخرى ٠٠ أحس بالضيق ٠٠ تذكر الاستاذ عرابى ٠٠ تمثله بوجهه الحزين المكتئب وهو يهمس بشيء من الحرج :

ـ تصور يا استاذ ماهر ٠٠ خمسة عشر عاما في هذه الشركة ، ولم أتمكن من توفير مبلغ يسمح لي بامتلاك شقة تخصني ٠٠٠ ومع ذلك يسخرون مني لانني لم أتزوج حتى اليوم ٠٠٠

بدا على وجهه الكدر ٠٠٠ سأل صاحبه :

ـ كيف يرفض الاستاذ عرابى ملء استمارة الهجرة ؟

أليس عجيبا رغم انطباق الشروط على حالته ؟ ٠٠

قال الآخر في استهانة :

ـ رجل تخطى الاربعين من عمره ، وراحت أيامه ٠٠٠

ـ حرام ٠٠٠ أخلاق ممتازة ، ويد نظيفة ، وكفاءة ٠٠٠

ـ يستحق ما هو فيه ٠٠ غيره يعيش، من يتعثر تطؤه الاقدام ٠٠ ما الذى ذكرك به ؟ ٠٠

ـ لا ادرى ٠٠٠ ربما لأنه الوحيد الذى نصحني بالبقاء ٠٠٠

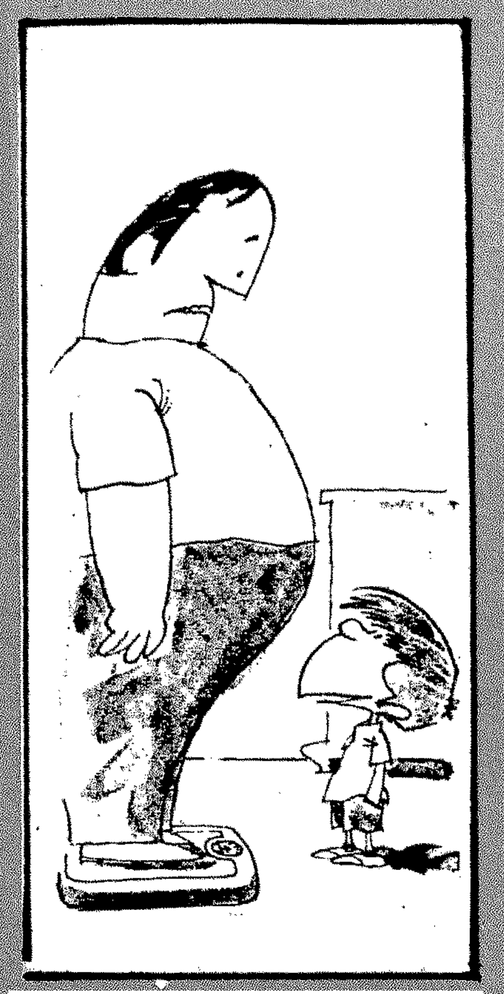
ـ معتوه ٠٠ تبقى لتصبح مثله ؟ تموت وانت حي ثم تتمسح مثله في حب الوطن ؟

وشعر بالضيق ، بالمرارة ، نظر الى الاخر في تحفز ٠٠ اوشك على صفعه دفاعا عن الاستاذ عرابى ٠٠٠ لكنه تماسك قام ٠٠٠ اعتذر ٠ وهو في اتجاه الباب سمع الآخر ينبه عليه :

ـ لا تنس الذهاب الى شئون العاملين، فقرار قبول الاستقالة مطبوع ، وعليك استلام نسخة منه لتحصل على تاشيرة الدخول من السفارة . ●

كاريكاتير

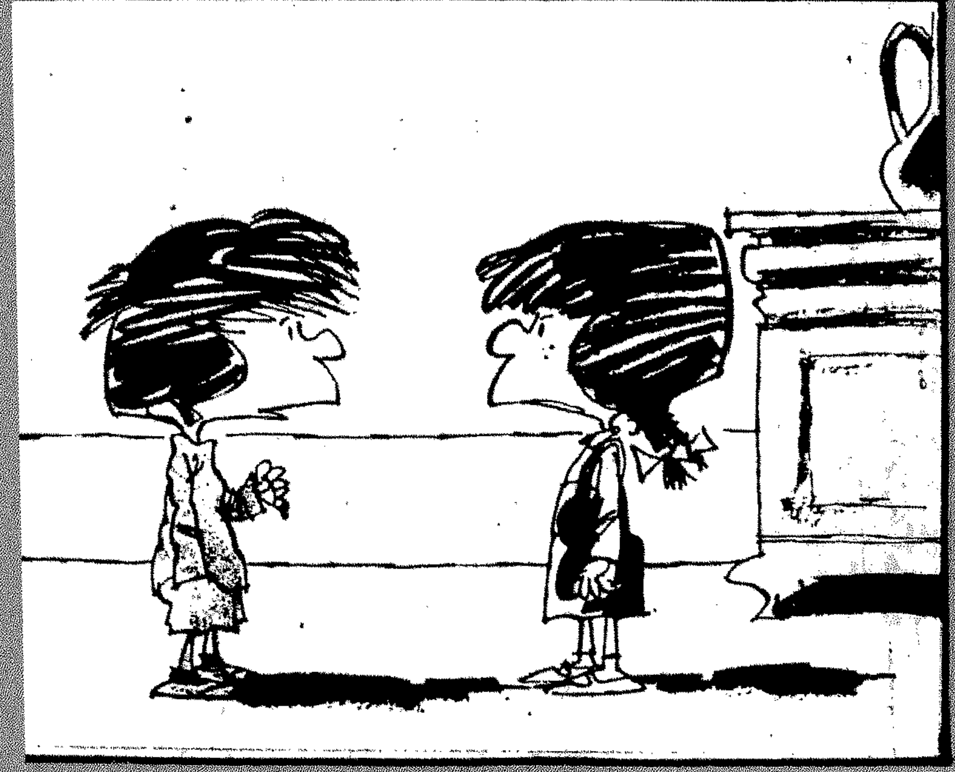
جيل جديد جداً !



الولد لابيه : مش ممكن تخس مادام بتاكل اكتر منا .. مش مصدق ؟ تعال شوف انا وزنى ايه وانت وزنك ايه !



الولد لابيه : وكمان جايب لى كتب اتسلى بيها فى الاجازة ؟! ياابنى هو انا ناقص . ما انا طول السنة قرفان فى الكتب !

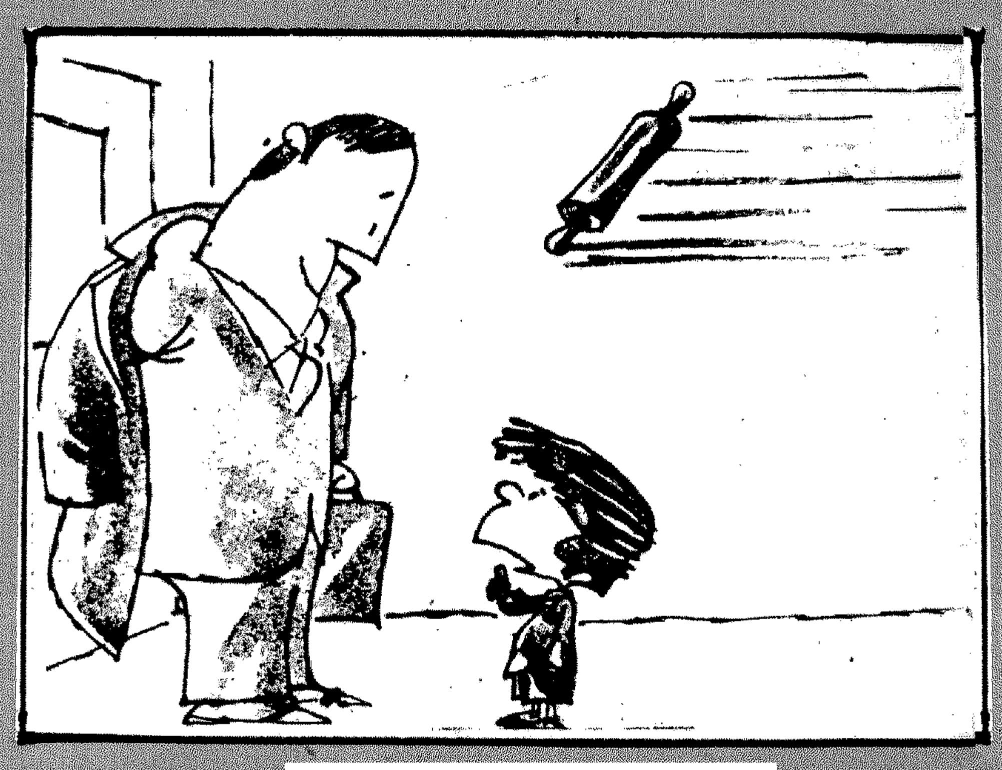


الولد لصديقته : هو انا كل ما اقولك حاجة ابوكى يقول لا ؟! هو احنا مش رجالة زى بعض .. خلاص ؛ اختارى لك واحد منا تسمعى كلامه !



الولد : بدل ماتحملنى
مسئولية أن الـــكورة
جات فى عينه، اسأله
هو ليه يحط عينه فى
سكة الكورة !..

الولد لامه : هو انتم
فى البيت ده مالكمش
شغلة الا انا ؟ ! طول
النهار : اعمـــل ..
ما تعملش !.. اخرج،
ماتخرجش ! ماتسيبونى
فى حالى شوية، خلونى
اعرف ابقى راجل !





الولد لأبيه : تسمح تقوللى انت عملت
ايه النهاردة فى المكتب ؟.. والا يعنى انا
ماليش الحق اسالك زى انت مابتسالنى
كل يوم عملت ايه فى المدرسة ؟!

قصة

أغنية حزينة

• صلاح عبد السيد •

— ١ —

.. ازيك يا عم عبده ....
.. ازيك يا عم عبده !.

وتشتعل السرسعات — ياعم عبده — ، تتداخل الثاثات .. يلوح له الصغار بايديهم النحيلة — عيدان الكبريت — وهى تحمل اكياس كتبهم الدمور — ياعم عبده !. ، يا عم عبده !.

ويشد عم عبده فرامل عربته الكهنة — الفنطاس — فتصطك قبل ان تقف ويستدير بوجهه المغضن اليهم، يحتويهم بعينيه القططيتين ، فتضحك الاخاديد فى وجهه وتختلج الشفتان :

— رايحين فين ؟.

وتختلط الضحكات بدبدبات الاحذية:

— المدرسة !

فيمد يده الى باب العربة ويضغط عليه : .. اركبوا

فيرفرفون بأجنحتهم ويتصايحون : ساعوا بعض .. !!

ويملس بعينيه عليهم قبل أن يغلق باب العربة ...

تهتز العربة قبل أن تنطلق ، كان جسدها كله سيتفكك ، تزوم فى عواء متقطع مكتوم ، فى آخره تكة كالحشرجة، ثم تقفز للامام فجأة كأنها ضفدعة ، فينكفىء الصغار مهللين — هيه — وهم يتحاضنون ، وتنساب من تلك المفعوصة الصغيرة — يسميها عم عبده المفعوصة — والتى تجلس الى جواره دائما ، ضحكة طويلة ، كركرة ضحكة طويلة ، منغومة ، لها ذيل يتلوى ، فتستلقى على قفاها ، وتصطك اسنانها الصغيرة المتآكلة ، وتتموج حنجرتها بالرعشات ، بينما الضحكة تتقاطر من فمها كأنها زغرودة لا تنتهى ، فيضوى وجه عم عبده ، وتتندى العينان باشراقة البكاء :

— ازيك يا بت يا مفعوصة انتى !

ويتحسس شعرها ، يمد لها يده بقطعة بسكويت ، فتتدلل — كلها انت يا عم عبده — لكن يده تظل ممدودة ، فتأخذها منه ، تحتفظ بها وعينها عليه، الى أن تحين الفرصة و .. تدفعها له فى فمه ، و .. تنساب بقايا الكركرة التى ما زالت فى فمها ، تتسابق معه على الطريق ...

قبل أن تنزل البنت المفعوصة من العربة ، تدفع يدها على عجل الى جيب مريلتها القديمة ، لم تخرج بها وبين أصابعها التعريفة الوحيدة الذى معها ، فترفعه الى أعلى وهى تهمس شأن الكبار : خد الاجره يا عم عبده

فتضحك عيناه : خليه هالك بيه حلاوة نبوت الغفير .

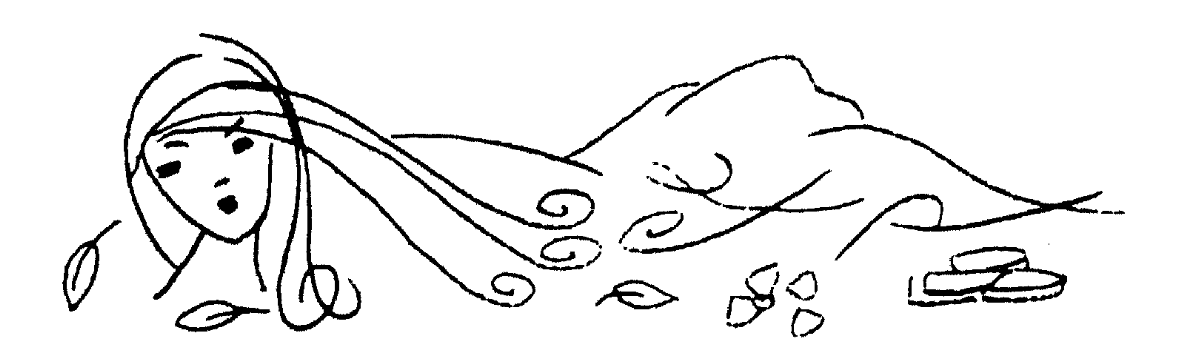
وتنط بكيسها الدمور كعصفور صغير

— حاسبى وانتى ماشية — مع السلامة يا عم عبده !

وتلوح اليد النحيلة — عود الكبريت — له وترف داخل المدرسة .

يستدير عم عبده بعربته عائدا ، والضحكة أم ذيل فى اثره .

أرنب برى صغير — يتشعبط على عربته ، يتنطط على كتفيه ، ينزلق على صدره يمسح بوزه فى وجهه ، ثم يتكوم



فى الاخر مستكينا ، مستدفئا ، قابعا فى حجره ، ف .. فتلمع عيناه ، و .. وتتمانق الاخاديد فى وجهه المغضن .

— ٢ —

يرتفع ازيز العربة عاليا ، تتك تكة واحدة مكتومة ، يندفع فى اثرها بخار الماء كثيفا يضرب مقدمتها و .. يتوقف موتورها تماما عن الحركة ..

ويهم بالنزول ، لكنه يحس المـا فى ساقه، فيتحامل على نفســه وينزل ، فتنزل المفعوصة فى اثره ، يرفع غطــاء العربة ، يدخل اليها بنصف جسده ، يتحسس بيده المرتعشة آلاتها ، يربت على عددها ، و .. يطيل النظر اليها ..

« شاخت العربة يا عم عبده ، تهرات من الداخل ، لم يعد يجـدى فيهـا الاصلاح ، ولم تعد تنفع العمرة ... عمر ، ويسعل ، عمر طويل ، وهـذه العربة معك ، ذهب الكل ، وبقيت هى، شهدت أيام فقـرك ولم تتبرم ، وأيام عزك ولم تغتر ، لم تخذلك أبدا ، فمـا الذى حدث لها ؟! »

وتحبو ثاثاة المفعوصة الصـغيرة .. على ساقيه — عاوز زقة يا عم عبده ؟ فيتدافع الصغار نازلين من العربة وهم يتصـايحون — عاوز زقة يا عم عبده ؟ و .. يرفرفون حوله ، ينقرون باعينهم الدجاجية الصغيرة جسده المحنى داخل العربة .. يتوقف عم عبدهبكفهالمرتعشة على موتور العــربة لحظة ، وينصت بعينيه ، ثم يدق بيــده عليه ، دقة ، يا الله ، دقتين ، يا الله ، ثلاث ، يا الله، لكن لا فائدة ، لم يعد الموتور يستجيب لدقاته ، ويحس بالالم يعض ســاقه ، وينتشر كالنار فى اعصابه ..

« ما الذى حدث لهذه الســاق هى الاخرى ، كان الالم فى الاول متبــاعدا ومحتملا والان اصبح متقاربا وعنيفا » .

ويستعيد نصف جسده من العربة ، وهو يعض على نواجذه ويهمس للصغار فى الم ... ياولاد خدوا عربيه تانيه !.

ويزحف متساندا على جسد العربة ، يدخل الى مقعده ، يتحسس ســاقه ، يدق عليها دقة ، دقتين ، ثلاث ، لكن لا فائدة ، لم تعد الســاق تستجيب لدقاته ، ويحس بالالم يعنف ، وبقدرته تعجز عنالمقاومة ، فيغمضعينيهويسند راسه الى عجلة القيادة وهو فى غيبوبة الالم ، تقاطرت الى أذنيه نهنهة رفيعة مكتومة ، وأرب عينيه ليجد المفعوصة الصغيرة تتكوم فى حضنه وهى تنشــج بالبكاء — مالك يا عم عبده ؟. — رد على يا عم عبده ؟ واختنق صـوتها بالدموع .. بالكاد لملم كلمـــتين .. ازيــك يا مفعوصة !. زقزق صوتها فرحا — خد يا عم عبــــده . ودست فى فمه قطعــة بسكويت. انا شاريأها لك من فلوسى.. و .. كركرت ضحكتها ام ذيل ، وسط الدموع .

— ٣ —

نظر الميكانيكى من تحت العربة وطس الكلمتين :

.. العربية دى خلاص يا عم عبده بقت خرده !.

ويدور عم عبده بعينيه على العربة

.. بيعها خرده أحسن لك ياعم عبده

ويدور عم عبده بعينيه على العربة

« ابيعها ؟! أتخلى عنها ؟! وهى التى لم تتخل عنى أبدا ؟. هل آخذها لحما وأرميها عظما ، هل هذا هو الوفاء ؟. لقد أصبحت بعضا منى .. فهل ابيع بعضى ؟! »

.. خلاص عمرها انتهى يا عم عبده !

ويتحسس عم عبده غطاء مقاعدها ، انه من نفس قماش بنطلونه ، وتتعلق عيناه بالعروسة القطنيةالقديمة ، المعلقة أمام عجلة القيادة ويتنهد ، انها الشىء الباقى له من زوجته ، ويتذكر يوم اهدته هذه العروسة القطنية ليزين بها عربته فقرر لحظتها أن تكون هى عروسته ..

.. انا اشتريها منك خرده يا عم عبده ..

ويحس بوخزة فى قلبه

.. قلت ايه يا عم عبده ..؟

يزم عم عبده عينيه فى ضيق وتتهدل الاخاديد فى وجهه ..

..طب شوفلك صرفهفيها ولو تمشى يوم واحد بس !.

ويطس الوجه الملطخ بالسواد ضحكة بلهاء ..

.. اشمعنى يعنى يوم واحد يا عم عبده ؟!.

ويصطك ، يصطك منتشيا ..

ف .. فيعرج عم عبده مبتعدا وهو يسحب ساقه ، الضحكة صخرة .. تتدحرج خلفه ، فيحث الخطى لكنها تلاحقه.. وتثير فى حلقهالغبار والرشاش والاسى ..

— ٤ —

كان عم عبده عائدا لتوه من ادارة المرور .. قال له الضابط المسئول : خلاص يا عم عبده ، مش هنجدد لك الرخصة تانى ..

.. خلاص يا عم عبده .. ما بقاش بامكانك تسوق !.

.. خلاص يا عم عبده ، نظرك ضعف .

.. خلاص يا عم عبده ، ودانك خلاص .

داخ عم عبده ، أحس — فعلا — انه لم يعد يرى ولم يعد يسمع ...

خلاص يا عم عبده ، خلاص يا عم عبده .. ، خلاص يا عم عبده ..

ارتجف الطريق فى عينيه ...

تمايلت العربة ، خلاص .. ، اصطكت ، خلاص .. ، خلاص .. ، خلاص .. ، اى ، واحس بوخزة فى قلبه ، أى ، تزايدت الوخزات ، أى ، تكوم على نفسه واصطك ، اهتز فى نوبة سعال متصلة ، ارتفع ازيز العربة، عاليا ، تحشرج صوته ، تكت العربة ، شهق ، أصبحت التكة حشرجة ، انثال العرق عليه ، اندفع بخار الماء كثيفا يضرب مقدمة العربة ، وارب فمه ، انفتح فم العربة واندلق منه الماء ، شهق ، تطاير من الماء رذاذ ، شهق ، و.. واختلج الموتور، اختلج وتوقف..!!

. . . .

و .. ظل الرذاذ يتطاير ..

— ٥ —

ظل الصغار فى انتظار عم عبده بلا فائدة ، فتحلقوا يدورون حول عربته الخالية وهم يترنمون :

توت .. توت .. هاتلنا بسكوت !.

أيديهم النحيلة — عيدان الكبريت — تتشابك ، واجسادهم الصغيرة تتقارب، تلتصق ، تتداخل ، حتى لتصبح جسدا واحدا ، دافئا ، ممتدا ، يحيط بالعربة من كل الجهات ، كأنهم اوراق وردة متفتحة ، فى منتصفها تماما ، فى القلب منها ، يطفو جسد العربة ..

توت .. توت .. بنحبك موت !.

وتسيل قطرات الندى على زجاج العربة ، تتعرج ، تنزلق.. تتساقط.. كأنها خيط الدمع الممتد بلا نهاية ..

توت .. توت

بنحبك موت

موت ... موت ... موت !..

سكر الأعناب

• عزت الطيرى •



- ١ -

ويسقط وجه نيسان
على جدران غربتنا
فينكر موسم الافراح
كل بنات قريتنا
ويهجر سكر الاعناب
كل ثمار كرمتنا
وينسدل الستار على
بقايا من حكايتنا

- ٢ -

ويبصق بابك المهجور
فى وجهى
يقول ارجع
فتنعدم الرؤى ، تقسو
مآقينا فلا تدمع
تموت محارة الذكرى
وتخفى سرها المودع
ونبقى دون اغنية
فمن يشدو ؟ . ومن يسمع ؟ .
واهتف يا عطور الورد
يا وطن الهوى المترع
لمن نبكى ، لم نشكو
عذاب فؤادنا الموجع !.



نهاية الحصار

● اسماعيل عبد الفتاح ●

١ ــ وينتهى الحوار بيننا
بلا نتائج محددة ، بلا هوية ..
لتخفى وجهك المؤرق الجميل
فى الحقيبة البنية ...
ويهدأ الحوار بيننا ... وتخمد القضية !..

***

٢ ــ الاصبع الدافئة فى يدك ...
تفتح الحوار من جديد ــ وانا ...
اصارع الحديث فى استياء ... اساوم الحديث فى شقاء
والعن القصائد المرتقة
بالحزن ... والدموع ... والبكاء !

***

٣ ــ هانت ...
تديرين الحديث باقتدار ... تشددين الحصار ...
يحاصرنى وجهك المضىء
باننى المسىء ...
تقررين العقوبة ! ...
تحاصرين حنان اضلعى بالثلج ، والرطوبة !..

***

٤ ــ تقول لى ...
عيونك الجميلة ...
باننـــا ..
على مشارف العبور للوراء
ليصبح اللقاء بيننا ــ بلا لقـاء !...

***

٥ ــ وجاء ما اخشاه بائس الخجل ...
يزفنى الحنين للرجاء .. املا بلا امل
ويصبح اللقاء بيننا ... يشوبه الملل ! ...

***

٦ ــ هانا ...
ارفع رايتى البيضاء ...
لأعلن الرحيل والجلاء ...
أشنق الاشواق فى شقاء
على ذرا احزانى السوداء
وأكتب القصائد المرتقه
بالحزن ، والدموع ، والبكاء !..

***

٧ ــ ارجوك ..
مضى ما كان وانتهى
وغاله الانين ...
وعانق الحنين اضلعى بالنار والسكين ! ..

***

٨ ــ ارجوك ...
سيرى مع المساء للوراء ...
مضى ما كان فاتركينى
لرحمة السماء !

أحلام الذى ينتظر



● احمد مرتضى عبده ●

وأحلم ،
ادفع عن مقلتيك الجميله
بزوغ البكاء
ورعشة ضوء الليالى القتيله
وأحلم ،
أقهر عجز المسافة والمستحيل
بمهماز شعرى المعنى المسافر
بين عروق التنظر والانطلاق !.
وأحلم ،
ضوء الموانىء والاغنيات النميره
وريح الصبا فى عناق السكون
وأحلم ،
ادفع فى الامسيات بقايا البكاء
لتشرب من فرحتى الأغنيات
ويرحلّ عن دربهن انبجاس الدماء ..
واحلم أنى التفت ... وأنى احترقت
وصوت الموانىء يصعد رجعا ثقيلا
اصوت السكوت !.

قصـــة

الذبـابـــة..

● نبيل عبد الحميد ●

● نظر الى وجه الطفل وضمه الى صدره وقبلـه ، بكى وتلوى وتدافعت يداه ورجلاه . تركه على الارض وقال وهو يمعن النظر الى الصورة :

ـ يشبهه الى حد كبير !

جففت عينيها وتنهدت . جرى الطفل وامسك برجليها فرفعته الى صدرها ونظرت اليه . قال:

ـ وبعد ؟ ..

ـ سافرت اليه ورجوته أن يحضر معى ، قال انه لا يستطيع احتمال السفر . توسلت اليـه واخبرته أنهم لن يصرفوا النقود الا اذا ذهب بنفسه ووقع على الاوراق .. وأخيرا وافق .

امتدت رقبته الرفيعة وآتسعت عيناه :

ـ كم ؟

وضعت الطفل على الارض وظلت منكسة الراس

ـ اخذ نصيبه بالكامل !

ـ ماذا ؟

ـ كنت أعرف أنه سيفعلها

نفرت عروق رقبته ولمعت عيناه

ـ يفعل ماذا ! ياخذ معاش احفاده !

ـ آخذ نصيبه من المعاش ومن المكافأة ، قال انه حقه الشرعى .. وقد سالنى ايضا عن نصيبه من اجر القصص والروايات المستحق لنا عند دور النشر .

دقت يده المنضدة فاهتزت كوب الشاى

ـ كيف ؟ انا لم أسمع أبدا عن جد يفعـــل مثل هذا مع احفاده !

هزت رأسها وتنهدت ،

ـ وفعل أكثر منه مع ابيهم !

ـ آرتفع صوته الخشن ،

ـ ابوهم كان رجلا وامكنه ان يكافح ويحتمل ، ولكن هؤلاء الأطفال كيف ؟ ..

تدلت ملامحها وانخفض صوتها ،

ـ لهم الله ....

ـ كان المفروض أن يساعدهم ، عنده ارض ومعاش كبير . ماذا سيفعل بهذه الثروة ؟

همست وهى مغمضة العينين ؟

ـ لكى يرضى زوجته آلجديدة !

ابتعدت السيجارة عن فمه وتطاير الدخان قريبا من وجهها :

ـ وماذا ستفعلين ؟

ارتفعت نظراتها وتعلقت بالصورة

ـ كان يحمل كل العبء بمفرده . لا اعرف كيف يمكننى ؟ ..

ـ اقصد ماذا ستفعلين بالنقود ؟

جففت عينيها ونظرت الى الارض !

ـ سددت [illegible] ما علينا ، وما تبقى احتفظ به حتى ادبر امرى .

ـ اين ؟

ـ آين ماذا ؟ .

ـ اقصد اين تحتفظين بالنقود ؟

ـ اودعتها صندوق التوفير باسم الآولاد

ـ كلها ؟

ـ انها مبلغ بسيط كما تعلم ، ولكن الظروف تغيرت واصبح على أن ...

اختنق صوتها وتساقطت آلدموع من عينيها . نكس رأسه وقال

ـ كفى بكاء .. لقد أصبنا جميعا بجـــرح لا يلتئم ، ولكن ماذا نفعل ؟

قالت بصوت تتخاطفه آلشهقات :

ـ البركة فيكم .. لم يعد لنا سواكم ..كنتم أحب وأقرب الاصدقاء آلى قلبه

ـ لا تحملى هما على الاطلاق ، كل الامور ستسير على خير ما يرام .. تقولين أودعت كل المبلغ صندوق التوفير . ولكن مصاريف البيت والاولاد ، الا ....

قاطعته بصوت منخفض :



ـ اشكرك فان معنا ما يكفى !

ـ اقصد لماذا لم تبق بعض النقود معك ـ هنا بالمنزل ـ لعلك تحتاجينها لامر طارىء

ـ انها نقود الاولاد والحكمة ستحاسبنى عليها ، هكذا قالوا لى .
استطالت رقبته واتسع فمه :

ـ اريد عشرة جنيهات ...
انكمشت ملامح وجهها ..
ـ ماذا ؟

ـ لتكن البداية من ناحيتى ، لكى لا تتحرجين مستقبلا فى طلب ...

ـ كيف نتحرج منك ، اهذا معقول ؟
ـ حسنا ، اعطنى اذن عشرة جنيهات ...
اخذت الطفل ووضعته على ركبتيها ، اضطربت الابتسامة بملامح وجهها

ـ اتريدها حقا !
ـ نعم !

بكى الطفل ، ضمته الى صدرها وهدهدته .. قال بصوت خشن :

ـ يريد ان ينام ، ضعيه فى الفراش

قامت واتجهت ناحية الباب .. قال :
ـ لا تنسى العشرة جنيهات !
عادت ، وجلست وظلت تربت على ظهر الطفل :

ـ اعتاد ان ينام هكذا .
تدلت ملامح وجهه . تحفزت ، امتدت يداه ناحيتها
ـ دعينى اجرب ذلك ...

بكى الطفل وتعلق بها ، قامت وهدهدته ، ظل يبكى .. قالت بصوت منخفض

ـ يريد ان ياكل وينام !

ـ ولماذا لا تطعمينه ؟ .

ـ ويريد ان يغير ملابسه .
امتصت شفتاه السيجارة ، اهتزت واقترب توهجها من اصبعيه .

ـ اريد ان اذهب ، هيا احضرى العشرة جنيهات !

ارتفع بكاء الطفل وتدافعت رجلاه ويداه . جلست ووضعته على ركبتيها واعطته اللعبة . القاها على الارض وواضع راسه على كتفيها ونام قال بصوت هامس :

ـ يمكنك أن تذهبى الآن
ـ هل سنراك قريبا ؟

ـ ساحضر لاعيد اليك العشرة جنيهات بعد يومين ...

نظرت الى الصورة والى المصباح والى المكتبة. تحسست قدمى الطفل
ـ يبدو مريضا . سأذهب به الى الطبيب غدا

ـ لا تخافى ، كل الاطفال هكذا ... هه اريد ان اذهب .. ضعيه فى الفراش واحضرى العشرة جنيهات .

قامت وتحركت بالطفل ، قالت بصوت مرتبك:
ـ قلت لك انه لا حرج بيننا ، اننى اعتبرك عما للاولاد ، ثم اننى .. اقصد ...

تراخى جسده فى المقعد وارتمى راسه الى الخلف

ـ عم الاولاد يريد عشرة جنيهات ...
تلونت ملامح وجهها وقالت بصوت متخاذل :
ـ اخذت عشرة جنيهات من قبل !

ـ اعرف .. ساعيدها بعد يومين !

نكست راسها ومشت بالطفل حول المنضدة. توقفت الى جوار الباب والتفتت ناحيته .فتحت الباب وابتعد صوت خطواتها البطيئة .. ظل

ينظر الى سقف الغرفة ... سمع صوت باب الشقة ينفتح وينغلق ، قام ونادى . جاءت الطفلة متكاسلة تدعك عينيها ، قالت بصوت متماوت:

ـ ماما ذهبت تشترى الاشياء ...

تشنجت ملامح وجهه ، اتسعت خطواته ناحية الباب ، وهرول على السلم وهو يسعل بصوت خشن ...

●

زهرات من رياض العرب



● لن يعود اليها ●●

خرج المامون منفردا فالتقى بأعرابى ، فسلم عليه وقال له: ما اقدمك يا أعرابى ؟

قال : الرجاء لهذا الخليفة ، وقد قلت أبياتا أستمطر بها فضله ٠

قال المامون : أنشدنيها ٠٠٠

فقال الاعرابى : ياركيك ، أويحسن أن أنشدك ما أنشد الملوك ؟

فقال : يا أعرابى انك لن تصل اليه، ولن تقدر مع امتناع أبوابه وشدة حجابه، ولكن ما رأيك لو أعطيتك الف دينار وتعطينى شعرك أتوسل به، لعلى أتوصل؟

قال الاعرابى : لقد رضيت !

فبينما هما فى المراجعة أحدقت الخيل وسلم عليه بالخلافة فعلم الاعرابى أنه وقع

فقال : يا أمير المؤمنين أنت تعرف أن قبيلة بنى الحارث بن كعب من اليمن تبدل القاف كافا ، وهى لغة لعنها الله لن أعود اليها أبدا !

فضحك المامون وأمر له بالف دينار ٠

● لايغمزها احد ! ●

مرض رجل فجاء أبو العبر يعوده وقد ثقل ، فصاحت امرأة الرجل : من لى بعدك يا سيدى ؟

فغمزها أبو العبر ، وأومأ اليها : « أنا لك بعده ٠٠٠ »

فلما مات الرجل وانقضت عدتها تزوجها أبو العبر ، فأقامت عنده حينا، ثم حضرت ابو العبر الوفاة ، فجاء عواده، فصاحت امراته : من لى بعدك ياسيدى؟

ففتح عينيه وقال لمن حوله : لايغمزها الا من يكون قد باع عمره ! ٠٠

● دفاع طفيلى ●●

عوتب طفيلى على التطفيل ، فقال :

والله مابنيت المنازل الا لتدخل ٠٠ ولا نصبت الموائد الا لتؤكل ٠٠٠ وانى لاجمع فى التطفيل خلالا ، أدخل مجالسا ،وأقعد مستأنسا ، وأنبسط وان كان رب الدار عابسا ، ولا أتكلف مطلقا ، ولا انفق درهما ولا أتعب خادما أو حارسا ٠

● رسالة ●●

سأل الفرزدق الشاعر ، عتبة مولى عثمان بن عفان : ياعتبة متى تذهب الى الآخرة ؟

فرد عتبة : وما حاجتك الى الآخرة ؟

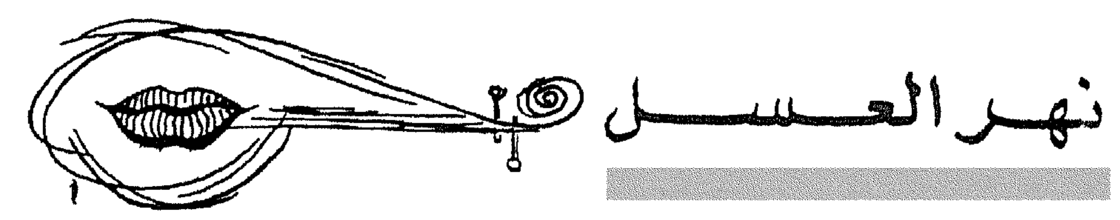
قال الفرزدق : عندى رسالة لوالدى أريد أن اعهد بها اليك ٠

فقال عتبة : والله ليست طريقى الى جهنم ٠٠٠ فانتظر حتى توصلها بنفسك!

● حصن الامان ●

عن انس بن مالك ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت سورة الفاتحة وسورة الاخلاص فقد أمنت من كل شىء الا الموت»

● محسن فهمى ●



نهر العسل

● ابراهيم خليل ابراهيم ●

قيثارتي . شفتاك ان همست . قرار آسر ! ..
وجوابه اما ضحكت فقد تغنى ساحر !
واذا شدوت فقد تمايل فى الثمالة شاعر !

***

شفتاك حارستا كنوز ضمها عرف اللما
رويت من الحب الذى صان الجواهر واحتمى ..
فتلالات . سبحان من وهب البريق وانعما !

***

تعطى وتمنع فى نداء واحد نهر العسل
وتشدنى وتصدنى ما بين ياس او امل !
انى شكوتك للغرام وشاهدى طعم القبل !

***

شفتاك كاسا فرحة وعلى المدى لن يفرغا
مفترتان عن الجمال عن الدلال اذا طغى
اسكرتنى . . وليغفر الله الرحيم لمن بغى !

كبرياء

● محمود العدلى محمد ●

ارفعى عينيك عنى اننى استجير من عذاب مقبل
استجير من عيون طالما راودتنى ، واعدت مقتلى
قتلتنى ثم جاءت شيعت ما تبقى من عظام الهيكل !

●

كنت نجما فى سمائى مشرقا كنت شعرى ، كنت شهد المنهل
يوم عيد ، ان تلاقينا معا ويجن الفكر ان لم تقبلى ...

●

كنت فى الماضى اسيرا ، هانا .. انا حر فاسمعى او سجلى
كنت نبضى فاسالى قلبى فلم يبق منك ، حبة من خردل !
كل ما ارسلته ، مزقته انتهى ما بيننا ـ لا ترسلى !
تندمين اليوم لا ، لا يكفنى ما شربت من كئوس الحنظل !
تركعين الآن لا . . لا تركعى ارحلى . . . خير لنا ان ترحلى !

• نصر الدين عبد اللطيف •

(١١)

تكوينات حوارية

مفتتح المساء ...
في مجمع استهلاكي ،
بائع يسلم المقررات التموينية لرجل شاب ...

● كل شيء اذن حضر يا أستاذ ... وحسب المقررات في بطاقتك :
ـ ناولني هنا ، لو سمحت ، في الحقيبة ...
● تفضل ... : والمعلبات والأصافيات ايضا ، والفلفل ، والفول و ... القصيدة !
ـ القصيدة ؟!
ـ نعم ، شعر ! .. هنا في العلبة ، على شريط تسجيل !
ـ آه ، ولكن ... متى دخل الشعر مقررات التموين ؟!
● ابتداء من هذا الشهر !
ـ والمقررات لكل بطاقة في الشهر : ـ قصيدة ؟
● لا ... مجموعة من التسجيلات الشعرية !
ـ عظيم ! .. ومن شاعر المقررات هذا الشهر في بطاقتنا ؟!
● ... الا تجد الأسم مكتوبا عندك على العلبه ؟
ـ أبدا ... لا اسم ، ولا كتابة من أى نوع على العلبة أو الشريط !
● اذن ، فلعلهم يقصدون أن يكون الأمر مفاجاة !
ـ ولكن ، ليست كل المفاجآت سارة !
● معك حق ...
ـ ومن حقى أن أرفض هذا « المقرر » الجديد على بطاقتى !
● ترفضه ؟
ـ واسترجع ما دفعت له ...
● لا ، لا ... ممنوع !
ـ وما هو اذن غير الممنوع ؟
● الشكوى !
ـ الشكوى ! .. لمن ؟!
● للأستاذة منى ... (ينادى سكرتيرة المجمع) : أستاذة منى ..
منى :(مقبلة) ـ ماذا ؟

البائع : (مشيرا الى الرجل) ــ تفضلى يا ست ·· الشكوى الثانية عشرة !

منى : من الفول ؟

البائع : لا ·· من الشعر !

منى : آه ، (للرجل) تفضل معى ···

***

« بعد لحظات ·· معا ، فى مكتب المجمع ·· »

هى : لماذا اذن ترفض هذا التسجيل ؟

هو : لأنى لا أعرف ما فيه ···

هى : فيه شعر ! ··· ألا تحب الشعر ؟!

هو : أحبه !

هى : هل يرفض الأنسان شيئا يحبه ؟!

هو : وهل يحب الأنسان شيئا لا يعرفه ؟!

هى : واضح أنك صعب ، و ··· متعب !

هو : أبدا ··· أنا غلبان !

هى : متزوج ؟

هو : ليس بالزواج وحده يكون الرجل غلبانا !

هى : ··· وعملك ؟

هو : كاتب فى مؤسسة لطبع الظروف والجوابات !

هى : كاتب ، مثقف ، كما يبدو ···

هو : شكرا ، ولكن ···

هى : أبدا ··· مجرد ملاحظة عن انسان لا يفارق كتبه ، حتى وهو يجىء ليتسلم مقررات التموين !

هو : انسان يطلب الغذاءين فى وقت معا ! ···

هى : ·· فى وقت معا ؟!

هو : نعم ··· الغذاء فقط ، وغذاء الروح !

هى : آه ، غذاء الروح ···

هو : الفن ، الفكر ، و ··· الشعر !

هى : آه ، الشعر ! ··· والشعر كلام حب جميل ···

هو : جميل ! ···

هى : ما رأيك الآن اذن ، وبصراحة ، فى تجربتنا ؟

هو : تجربتنا ؟! آه ، ولو أنها لم تبدأ بعد !

هى : اووه ! ··· ها ·· انما قصدت تجربة توزيع الشعر هنا فى مقررات التموين !

هو : اذن ··· نجرب ، أولا ، تجربتكم !

***

« المساء التالى ، فى ذات الموعد ·· »

« الرجل الشاب ، مع أحد المشرفين حول مكتب بالمجمع ·· »

● ··· و « منى » قالت لى كل شىء ، وعنك أيضا بالتفصيل ··· لها ، وللمدير ، الثناء الجميل !

● لست المدير ... أنا ملحق ثقافي بالمؤسسة للتحقيق والمتابعة !
ـ متابعة التجربة ؟
● نعم ،ما رأيك فيها ؟ .. طبعا سمعت التسجيل الشعرى الأول؟!
ـ سمعته !
● أعجبك ؟
ـ لا أعرف !
● كيف اذن سمعته ؟!
ـ كنت جائعا ... أسمع وأنا أجهز الأكل للأكل وآكل !
● ... طريقة عجيبة لسماع الشعر !
ـ وقتها لم يكن عندى أعجب منها !
● ولكن ، ألم تحاول أن تسمع باهتمام اكثر ؟
ـ حاولت .. ولكنه ، هو ، لم يساعدنى !
● هو ! .. من ؟!
ـ **الشعر !**
● **وكيف كنت تريد أن يساعدك ؟!**
ـ **يشدنى !**
● **وهل فى قدرات الشعر أن يـ ...**
ـ **نعم ! .. وان من الشعر ، لو علمت ، ما يهزك فيشغلك حتى عن طعامك ، والى مدى ترتعد له اللقمة بين يدك وفمك !**
● ذلك على أى حال لا يمنع أنك لم تعط تجربتنا الاهتمام الـ ...
ـ تعنى انى سمعت شعركم جائعا ، والجائع لا رأى له فى الـ ..
● تماما ...
ـ اطمئن ، فانى سمعته ثانية ، وكنت على العكس مما كنت !
● يعنى بعد أن أكلت ، وشبعت ...
ـ وحمدت الله ، والجمعية الاستهلاكية ! .. ثم تركت لجهازى العصبى الذاتى (المسئول عن التنظيم الداخلى) عملية سحب الدم الى معركة الهضم !
● وفى هذه المرة ، أعجبك ما سمعت ؟
ـ لا أعرف ... ولكنى لم أزعل !
● ولم الزعل ؟ .. انك حتى الآن لم تقل رأيا ولا نقدا !
ـ انى أقول ما حصل !

● وفي كل ما حصل ، ألم تلمس مشاعرك نفحة مما سمعت أو فكرة ، أو حتى لحظة ذكرى ؟! ٠٠
ـ ربما يحدث ذلك ، أو شيء منه ، مع مقررات الشعر فى الشهر القادم

● ولم نتجاوز هذا الشهر ؟ ٠٠ هل ضايقك ، مثلا ، صوت الشاعر ، أو القاؤه ؟
ـ ٠٠٠ كان معقولا !
● والشعر أيضا ، كان معقولا ؟
ـ ولكن ٠٠٠ ! المعقول ليس شعرا !
● آه ، يبدو أننا لن نصل الى شيء أبدا ، و ٠٠٠٠

ـ وما الذى تريد أن تصل اليه ؟
● أريد أن اكتب للمؤسسة ، التقرير الموسع عن « عملية التسجيلات الشعرية التموينية » ٠٠٠
ـ والعملية حتى الآن ، وبوجه عام ، ناجحة ؟
● من الناحية التسويقية ، ماشيه ، وبدون طوابير ٠٠٠ ولو أن معظم جمهور البطاقات اعتبروها « تقليعة » ! ٠٠
ـ هذه علامة النصر ٠٠ فالتقاليع أروج المبيعات في العصر !
● لا ، لا ٠٠ لا تزال الفراخ المدعمة أهم وأنجح !
ـ عموما ، ليس من العدل المقارنة بين «مأكولات» و «تسجيلات»!
● فعلا ! ٠٠ المأكولات غذاء فقط ٠٠٠ والشعر غذاء الروح !
ـ على شرط أن يكون شعرا !
● وهل فى الشعر ما ليس بشعر ؟!
ـ بلى ! ٠٠ الم يصرفوا لك مقررات التموين الشعرى هذا الشهر !؟
● ها ، ها ، لكن ، وعلى أي حال ، المؤسسة الاستهلاكية ليست شاعرة ولا ناقدة ! انها هنا وسيطة تقدم خدمة شعرية للجمهور!
ـ كثر خيرها ! ٠٠ فالجمهور هذه الايام محتاج لشعر ٠٠ والشعر محتاج لجمهور !
● لا عجب اذن أن تقوم المؤسسة بينهما بدور الوساطة !
ـ العجب ان المقررات هنا فى البطاقات تجعل الوساطة : وصاية !
● فى مثل هذه الحالة ، فى التموين ، وفى عدالة التوزيع : الوصاية ـ حماية !
ـ انما فى الشعر ، لا ! ٠٠ الشعر عاطفه ، وروح ، وخيال ٠٠٠ الشعر « مسألة خاصة » !
● وتجربتنا تخدم هذه «الخصوصية» ٠٠ والا فما تقول فى المؤسسة تتعب نفسها فى اختيار الأشعار وتقدم لها أحسن الموجود ؟!
ـ اقول لها يفتح الله ٠٠ فأحسن الموجود ـ موجود !
● واذن ، فأنت ترفض التجربة كلها من الألف الى الياء ؟!
ـ لا ! ٠٠ من الالف الى الواو !
● لكن ، قل لى ٠٠ ألا تحب الشعر ؟
ـ أحبه !
● والشعراء ؟

ـ ... الشعراء !

● واذن ، فلعلك تعرف أنهم الآن ، وأنه ، فى .. أزمة !

ـ أزمة ؟ ... الحق أنى لا أعرف تماما هل ..

● **ما الذى تعرف اذن ؟**

ـ **أعرف أن هناك ، الآن حركة تجمع شعرى والمد جديد ، لقيام « نادى القصيد » !**

● والى أن يتم القيام ، وتورق الأحلام ...

ـ **أعرف ، فأن الشعر هذه الأيام ، فقير .. مريض .. مريض عزيز تحمله عربة الى غرف الانعاش !**

● **الانعاش ؟!**

ـ **نعم ، وكما يبدو .. ففى منتصف الطريق ، تعطلت العربة !**

● **آه .. وبعد ؟**

ـ **لا شىء ! .. فالكل مشغول .. مشغول فى انعاش العربة !**

● ها ... ألا ترى اذن أن تجربتنا هنا قد تكون هى النجدة لمريضك العزيز ؟!

ـ فى هذا الموقف ، لا ! ...

● لا تنس أن لنا رصيدا من التجارب الناجحة فى التسويق وحسن الرواج !

ـ ذلك فى السلع : نادرة ، أو فاخرة ، أو ضرورية ... وليس كذلك ـ حتى الآن ـ الشعر !

● كتر خيرك ! .. عقدت لنا التجربة .. وسددت نفسى حتى عن كتابة التقرير ! ..

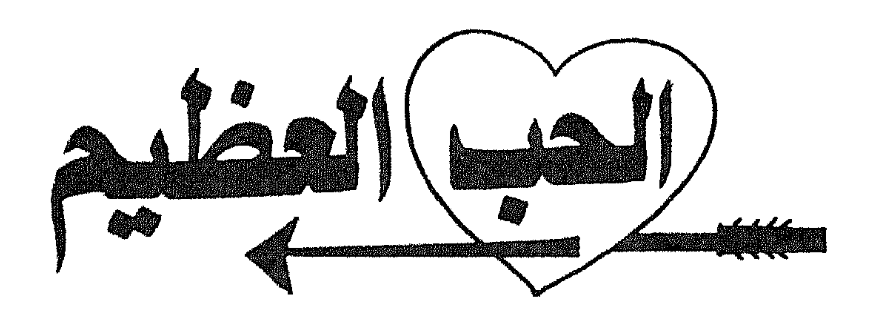
ـ تقريرك الموسع للمؤسسة ؟ .. ولا يهمك !

● كيف ؟

ـ هات قلمك اكتب لك ... :

« نحن الملحق الثقافى للجمعيات الاستهلاكية .. :
تجربة مقررات التموين الشعرى » المسجل ، تجربة متعبة ! .. وليس ذلك ، والحمد لله ، ذنبنا !
فالشعر نفسه هذه الأيام محزون ، غامض ، بعيد الحضور !
ان معجزة ، أو شيئا كالمعجزة ، يجب أن يحدث .. والا فان الشعر قد تتجاوزه مسيرة الناس والعصر .. ويجرر أذياله منسحبا الى .. مجاهل « الفولكلور » ! ..

مختارات من شعر العالم
في ضيافة الشعر العربي



● من وحى الشاعر الالمانى ، هنريش هينى ●

● ترجمة : احمد مصطفى حافظ ●

تنـــاءيتُ عن أمّى بوهم وغَفـلـةٍ　　فَمَا كان أشْقَانى •• بنَأى وغـربةِ

ونقّبت فى طُول البلادِ وعرضِـهـا　　عن الحُبِّ فى شَتى صُنوف وصُورة

لأعـرف ماكنه الوداد وسـرّه　　وألقاهُ فى توق يُؤجّـج مُهْجَتى

أدين بدين الحب •• لا شَىء غَـيره　　وأنشُـدُه فى كل ثُغر ومُقلـة

وكم جُبْت آفَاقا وجُزْت مَسالـكا　　وكمْ فَـوق دور الناس كرّرتُ دقّتى

وما كُنتُ أستجدى سِوى الحب وحده　　وإلا •• ففى ذُلّ السـؤال منيّتى !

***

•• وطَالَ بِىَ التّطواف بَحثاعن الهوى　　بخفّىْ حُنين قد رجعتُ •• بخَيبتى !

وعُـدْتُ إلى دارى ببثّى ولَوعَتى　　وقَد نَال منّى الداء فى ذات لَيلَة

***

وأقبلتِ يا أمّى بأسرع خطـوة　　وقَد طَاف فى عيْنيك ما ضَاءَ ظُلْمتى

فانى رأيتُ الحبَّ يبدو مجَسّـمـا　　ويُسفِر فى عينيك •• من غير ريبَة

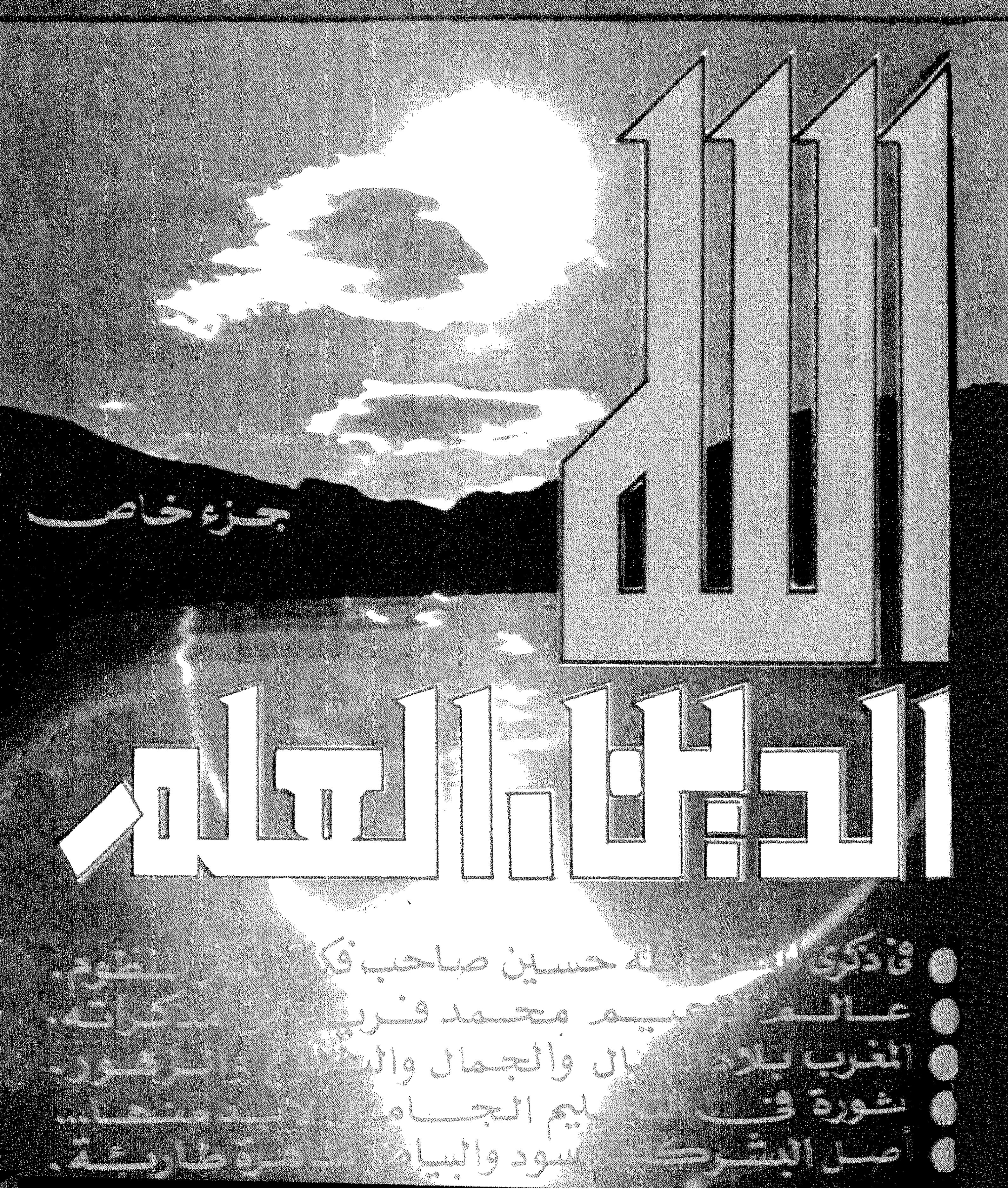
فأدركتُ فى لمحِ البصِـيرة ما الذى　　طَويتُ له الأمصَار ــ فى طول رحلتى


الهلال
مجلة الفكر العربي
الشريعة والكسب غير المشروع
نهاية الرواية في الأدب العربي المعاصر
نجيب محفوظ
أنيس منصور
يوسف إدريس
يحيى حقي
يوسف السباعي
ثروت أباظة
عبد الرحمن الشرقاوي
يوسف جوهر

الهلال

أبريل ١٩٧٩

مجلة الفكر العربى



الله جل جلاله

خصصنا جانبا من هذا العدد من الهلال لمقالات عن الله سبحانه وتعالى وعن الدين والعلم ،وقد رمينا من وراء ذلك الى ان نرد الشباب الى الايمان الصحيح . والايمان الصحيح عندنا هو الايمان بالله سبحانه وتعالى والايمان بدينه الحنيف والايمان بالعلم .

والثلاثة في رأينا واحد ، فلا ايمان بالله دون ايمان بالعلم ورسالة العلم وفضل العلم ، لان عقيدة الاسلام تقوم على ايمان وعلم ، ولا خير فى مؤمن جاهل ، انما الخير كل الخير في المؤمن العالم باي ناحيــة من نواحى علوم الدين والدنيا ، فالطبيب العالم بطبه لابد أن يكون نتيجة لذلك عارفا لله سبحانه وتعالى ، شديد الصلة به ، مراعيا له فى كل ما يعمل ، وقل مثل ذلك فى المهندس او الصيدلانى أو النباتى أو عالم الذرة .

لأن الايمان في اعتبارنا ومن وجهة النظر الاسلامية لا يتجزأ .

ولهذا أتينا فى هذا العدد بكلام جميل عن الله والايمان .

وفى باب ناس وصور وحكايات آتينا بصـــورة سيدة مال بها الحظ وتنكرت لها الدنيا فلم تجد الا الله سبحانه وتعالى تفزع اليه ، تلتمس فى الايمان قدرة على مواجهة نكبات الزمان بعد ان عزها الملك وجاه الملك زمانا طويلا . لان الله سبحانه وتعالى هو البداية وهو النهاية .

هو بداية الامل ونهاية الامل .

ومثل هذا الكلام نريد به أن نبدد من اذهان الشباب شكوكا ومخاوف وأوهاما تراكمت مع الزمن وصرفتهم عن الايمان وظنوا أن الاراء والعقــائد التى يقولها بعض من خلت قلوبهم من الايمان يمكن ان تفتح لهم ســـبلا للحياة جديدة .

وما هى بفاتحة الا أبواب الشك والحيرة والتدهور والدمار . فاذا وفق هذا العدد فى ان يرد من يقرؤه من الشباب الى الرشد ، اى رشد الايمان فذلك حسبنا .

والله سبحانه وتعالى ولينا وولى كل الصادقين .

« المحــرر »

فى هلال هذا الشهر

ص

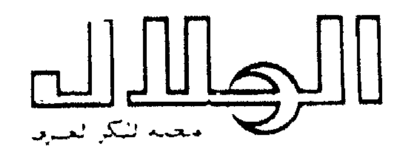
● موضوعات عامة ●

● اسلاميات ●

● دراسات ●

● أدب ●

● مواقف وشخصيات ●



جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ

أبريل ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال — اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ — السنة السابعة والثمانون — اول ابريل ١٩٧٩ — ٤ من جمادى الاولى ١٣٩٩ .

من « الهلال »

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها الفنى لـ : وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويأمل [illegible] أن يستطيع نشر الصالح منها ، ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

ص

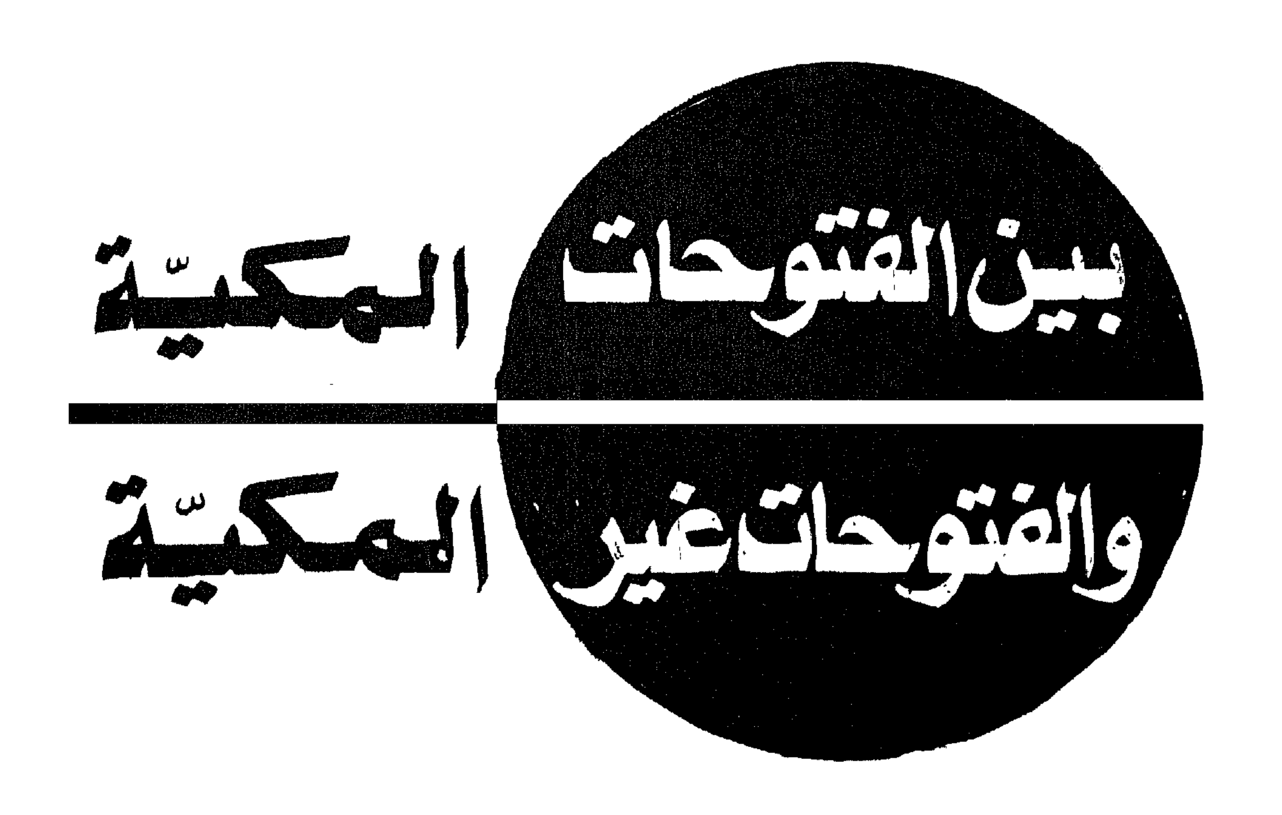
الاشراف الفنى على هذا العدد :

أحمد فاضل و أحمد الورداجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريد العـادى ٧ دولارات أو ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو ٩ ج.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العـرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة ـ

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



بقلم رئيس التحرير

● لن اقف طويلا فى هذا المقال عند الزوبعة التى ثارت حول كتاب الفتوحات المكية لابن عربى ...

فقد تبين بالفعل انها كانت مجرد زوبعة لا اصل لها ، فلا مجلس الشعب اتخذ فى موضوع كتاب الفتوحات المكية قرارا ، ولا صـــدر تحريم لقــراءة مؤلفات ذلك الصوفى الكبير الذى لقب بمحيى الدين ، وبالشيخ الاكبر ، وبابن افلاطون .

وليقر الحريصون على حرية الفكر مكانهم ، ولتطمئن قلوبهم ، ولينصرفوا الى ماهو اجدى عليهم وعلى الناس من الكلام فى حرية الفكر وحق مجلس الشعب فى التعرض لكتب التراث ، فان مجلس الشعب لا يفكر ولن يفــكر فى مثل ذلك التعرض .

وهذا كلام سمعناه فى جلسة طويلة من السيد الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب .

***

وانما السؤال الان ماالذى يحرك عضوا فى مجلس الشعب الى ان يتقدم

- نحن نعلم أن كلام ابن عربي في الإشراق أو الفلسفة الإشراقية كان له صدى بعيد فيما كتب مفكر ديني ذو شهرة عالمية هو رايموندو لوليو .. وكان له أثر كبير فيما عرف بحركة أهل الأنوار وتاريخ الفكر الأوربي وخاصة عند رجل مثل القديس يوحنا

- عندما تجرأ الدكتور عثمان يحيى لنشر كتب ابن عربي وتجشم في ذلك مصاعب لا يعرفها إلا من قرأ شيئًا من كتابات ابن عربي كان في الواقع يؤدي عملاً جليلاً للثقافة العربية .

بطلب أو « اقتراح برغبة » كما يسمونه، يقترح فيه ايقـــاف نشر كتاب مثـــل الفتوحات المكيه لمحيى الدين بن عربى ؟

الدافع الرئيسى فى رايى هو ان النائب المحترم اخذته الغيرة على الدين ، فاحس أن واجبه يقتضيه ان يتقدم بذلك الاقتراح . ونسال الآن :

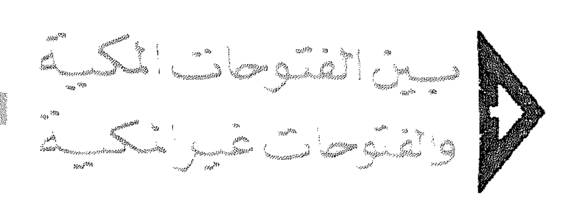
ولكن ما الذى جعل ذلك النائب يخشى كتابات محيى الدين ؟

الجواب فيما نظن — ومن حقنا ان نقول رأينا .. انه لم يقرأ الفتوحات المكية أو مشاهد الاسرار ، أو رسالة الانوار ، أو ترجمان الاشواق وغير ذلك مما كتب كبير الصوفيين المسلمين . —

ونقول ذلك لاننا نعلم انه ليس من الهين على اى انسان مهما كان مثقفا، ان يقرأ هذه الكتب او يصبر على متاعب مافيها .

ذلك لان أبا بكـــر محمدا بن على بن عربى المشهور بمحيى الدين وأمثـــاله مثل ابى نصر السراج ، وابى طالب المكى ، والقشيرى ، والحارث بن اســـد المحاسبى ، وغيرهم من ائمة الصوفية — لايكتبون لعامة الناس ، بل يكتبون لانفسهم ولامثالهم ، وكلامهم لا يصدر عن العقل وحده ، ولا هو يقيم للعقل وزنا ، وانما هو كلام خاص صادر عن نفوس مهياة على نحو ربما كان مرضـــيا ومن ثم فانه كلام غير مفهوم وغير واضح ولا يقرؤه الا من كان طبعه شـــبيها بطبع أولئك الصوفية ونظرته الى الحياة متفقة مع نظرتهم .

وكتاب الفتوحات مثله فى ذلك مثل بقية كتابات ابن عربى موجودة فى الاسواق وفى المكتبات عامة وخاصة ، وهى لا تضر أحدا ولا يخشى منهـــا



على عقل احد لان عامة الناس لا يفكرون قط فى قراءتها ، واذا فكروا فى ذلك فان الصفحات الاولى من اى كتاب من هذا الطراز جديرة بأن تصرف الانسان عن مواصلة القراءة ، اللهم الا اذا كان صوفيا بطبعه أو متخصصا فى قراءة كلام الصوفية لمشابهة طبعه لطبعهم ، فيفهم عنهم ويصبر على غوامضهم .

ومن ثم فما كان ينبغى ان يثار موضوع هذا الكتاب لافى مجلس الشعب ولا على صفحات الجرائد ، لانه كما قلت لك لا يستهوى انسانا ولا يضر قارئا انما هو طراز خاص من التفكير والتأليف موجود عند المسلمين وغير المسلمين ..

وعندما تجرد لنشر كتب ابن عربى الدكتور عثمان يحيى وتجشم فى ذلك العمل مصاعب لا يعرفها الا من قرأ شيئا من كتابات ابن عربى ، كان فى الواقع يؤدى عملا جليلا للثقافة العربية، فلم يكن من المقبول أن يظل كتاب الفتوحات المكية وهو كتاب طبقت شهرته الافاق مقتصرا على طبعة قديمة غير مبوبة ولا مفهرسة تقع فى نحو أربعة آلاف صفحة ، ومع ذلك فقد ندرت نسخها حتى وصلت الواحدة الى أكثر من مائة جنيه ...

كان لابد أن يطبع هذا الكتاب طبعة جديرة بقدره حتى يكون فى متناول من يعنيهم أمر التصوف والفلسفة .

واعادة الطبع هذه لن تضر أحدا ولن تعرض العقيدة للشك ، لان كتاب الفتوحات لن يطلبه الا واحد من اثنين :

رجل صوفى المزاج ، وما أقل هؤلاء وما أبعدهم عن الحياة والتأثير فى الناس ، أو رجل يدرس تاريخ التصوف وهو من هذه الناحية عالم من حقه أن يدرس ما شاء من كتب التراث وهو اذا كتب شيئا عن ابن عربى فلن ينشر الا فى مجلة لا يعرفها الا خاصة الخاصة . واذن فما كان هناك قط مايدعو الى التحرك لاثارة الناس على ابن عربى وكتاب الفتوحات ، بل ليس هناك ما يدعو قط الى احالة مؤلفات ابن عربى الى مجمع البحوث الدينية ، فاننا نعرف سلفا أن مجمع البحوث ، هيئة من الفقهاء ، والفقهاء دائما خصوم الصوفية ، وتاريخ الصراع بين الصوفية والفقهاء تاريخ قديم يعرفه كل من **اطلع على تاريخ الفكر العربى ، وهل ينسى فقيه ما كان الصوفية يقولونه فى مجادلاتهم مع الفقهاء :**
أخذتم علمكم عن ميت عن ميت ، واخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت .

ومن هنا فاننا نعرف سلفا ماقد يقوله مجمع البحوث فى شأن كتاب الفتوحات وغير الفتوحات .

***

والشىء الذى استوقف نظرى واستلفت انتباهى أن عضو مجلس الشعب

- إن أبا بكر محمد بن علي بن عربي المشهور بمحيي الدين وأمثاله من أئمة الصوفية ـ لا يكتبون لعامة الناس ، بل يكتبون لأنفسهم ولأمثالهم ، وكلامهم لا يصدر عن العقل وحده ، ولا يقيم للعقل وزنا ، وإنما هو كلام غير مفهوم وغير واضح ، ولا يقرؤه إلا من كان طبعه شبيها بطبع أولئك الصوفية

المحترم الذى تخوف من كلام ابن عربى لم يتخوف قط من قطاع آخر من قطاعات الصوفية وهو القطاع الشعبى فى الطرق الصوفية المنتشرة فى القطر كله ، والتى اجمع الفقهاء فى كل عصر على أن ما تقوم به تلك الطرق من احياء ذكر على نغمات الموسيقى قد يصاحبها رقص ــ اجمعوا على ان ذلك كله لايتفق مع صفاء الدين وما ينبغى له من حرمة تجعله بعيدا عن تلك المذاهب التى تدخل فى مجموعها فى نطاق البدع المستحدثة ، فما سمعنا بطريقة صوفية كهذه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عرفنا فى ايام الخلفاء الراشدين بحلقات ذكر أو رقصات طرب دينى أو مواكب أو شارات أو رايات او ادارات يترأسها رجال يقال انهم من أصحاب الكرامات والمعجزات يلتف الناس حولهم ، ويعتقد العوام انهم قادرون على الشفاعة بين الله والناس وأن لهم عند الله مكانة فوق مستوى البشر ...

وفى أيام محددة من أيام السنة يخرج اصحابنا على صهوات الخيل فى مواكب تظلهم رايات ملونة ويتقدمهم راقصون وعازفون ، واغرب مافى الموضوع ان الدولة تزيد فى هيبة هؤلاء فترسل فرقا من رجال الامن يتقدمون مواكبهم ، ويشقون طرق المدينة فى موكب لا يدرى أحد معناه ومغزاه .

***

سألت نفسى هل من الممكن أن يكون أمثال القشيرى ، والسراج ، وأبى طالب المكى ، ومحيى الدين بن عربى ، اقل قدرا فى حياة شعوب الاسلام من امثال الرفاعى والشاذلى والتيجانى ، وأبى مدين الذى يلقبونه بالغوث .

ومن عجب أن النائب المحترم هاجم كتابا مسكينا لرجل كتب ما كتب ومضى لشأنه وحسابه على الله ، وترك رجالا لايزالون بيننا يمارسون حفلات اذكار وأوراد وتسابيح تعتبر كلها فى نطاق البدع التى لم يعرفها الاسلام الاول ، **وقد انقضى مع ذلك زمانها واصبح من الواجب ادخال تعديل على نظمها أو تحويلها الى جمعيات وهيئات نافعة لهذا البلد واهله .**

ولا انسى قط كيف زرت وانا صغير شيخا من هؤلاء الذين ينتسبون الى

الطرق الصوفية وشعرت بالخجل عندما رأيت أن كل زائر يدخل عليه يحمل فى يده هدية كلفته مالا طائلا ثم يركع ويقبل يد الشيخ الذى يمد يده للتقبيل كأنه طاغية والمساكين يسألونه ان يطلب من الله لهم رحمة هو أولى بها منهم ..

عندما رأيت هذا المنظر خرجت ومضيت الى دارى وأنا افكر ان كان هذا حقا من الاسلام ...

لماذا لم يفكر العضو الجليل فى أمر هؤلاء المنتسبين الى الطرق وما يتصل بها من موالد واحتفالات تجرى فيها أمور لا يرضى عنها أحد .

ولسنا نقول ان رجال الطرق هم المسئولون عما يجرى فى تلك الموالد والاحتفالات ولكننا نقول انه لولا تنظيمات الطرق نفسها لما كانت الموالد والاحتفالات ولا ما يصاحب الموالد والاحتفالات مما لايرضى الناس عنه فقهاء كانوا وغير فقهاء .

***

المسألة فى رأيى تتلخص فى ان الاعتراض على كتابات رجل مضى لشأنه لا يعرض صاحبه لأى خطر ، أما التعرض لهيئات يمثلها رجال يستفيدون ماديا واجتماعيا من وراء مناصبهم أو انتسابهم للطرق فانه يعرض طبعا لبعض المتاعب ولو فى دائرته الانتخابية ، فقد يحملون عليه ويغرون العامة به ويتعرض بذلك مستقبله السياسى لشىء من الخطر ..

***

كل ذلك أقوله لاننى أرى أننا فى كثير جدا من الاحيان ننصرف عن الواقع ومشاكله ، عن مصالح الشعب والوطن الحقيقية ، الى موضوعات لم يتأت منها خطر وانما هى تثير زوابع نحن فى غنى عنها ، وتحمل أسماء أصحابها الى صفحات الجرائد وتضفى عليهم شيئا من الشهرة وما أقل ما يفيد البلد من أمثال تلك الزوابع .

***

وانا واثق أن العضو المحترم لم ير مرة واحدة انسانا اضله كلام ابن عربى ولم ير مرة واحدة كتاب الفتوحات بيد شاب يقرؤه ويعرض بذلك عقيدته للشك والريب ... لان الفتوحات كما قلت انما كتبت لخاصة الخاصة ، فوجودها فى السوق كعدم وجودها ، وانما الذى ينبه اليها الاذهان ويجعل الناس يطلبونها ويقرأونها هو مثل ذلك السؤال أو الاقتراح برغبة الذى تقدم به عضو محترم من أعضاء مجلس الشعب الموقر .

وأنا واثق الآن أن الكثيرين جدا من الناس ينتظرون قرار مجلس البحوث الدينية لكى يعلقوا عليه ويثيروا زوبعة أخرى . كل مطلبهم منها أن تنشر لهم

الصحف مقالات وأن يقنعوا انفسهم بانهم غيورون على الدين حافظون على الاسلام ، والله وحده يعلم ان الاسلام فى غير حاجة الى غيرتهم والى حماسهم وكل الذى يطلبه الاسلام منهم ان يكونوا هم انفسهم مسلمين صالحين فيضربون بذلك المثل الصالحة بالسلوك الاسلامى ، وهذا اجدى بكثير على الوطن وعلى الناس من مساجلات عقيمة لا تؤدى الى شىء ؛ فان مجمع البحوث مهما قال فان الذى يريد أن يقرأ ابن عربى سيقرؤه واذا لم نستكمل نحن نشره فى بلادنا فسينشر خارجها ، لان هذه الكتب لا تموت . وقد توفى ابن عربى فى دمشق سنة ٦٣٨ هجرية/١٢٤٠ ميلادية ، أى منذ أكثر من سبعمائة سنة ، فما اضرت كتبه بأحد ولا بلبلت فكر انسان ، بل اضافت الى تراثنا الفكرى مؤلفات نادرة فى الفكر الصوفى كان لها نصيب كبير من تراث الاسلام الزاخر . **ومن المعروف أن مؤلفات ابن عربى ترجمت الى لغات أوربية وقراها متصوفون غير مسلمين واشادوا بها .**

ونحن نعلم أن كلام ابن عربى فى الاشراق او الفلسفة الاشراقية كان له صدى بعيد فيما كتب مفكر دينى ذو شهرة عالمية هو رايموندو لوليو ، وكذلك كان له أثر كبير فيما عرف بحركة اهل الانوار فى تاريخ الفكر الاوربى وخاصة عند رجل مثل القديس يوحنا صاحب الصليب ، ومكانه فى تاريخ الفكر الاوربى معروف .

***

قد يكون فى كتب التصوف الكثير مما لايفهمه الناس ، وقد يكون فيها الكثير ايضا مما لا يتفق مع الدين كما يفهمه الفقهاء ، ولكن كتابات أهل الصوفية تفيض بحساسية دينية وشاعرية عاطفية لا نجدها عند غيرهم من أهل العلم المذهبى ، ومن منا لا يتاثر قلبه عندما يقرأ ماكتبه الحارث بن اسد المحاسبى فى كتابه المبدع « الرعاية لحقوق الله » أو ما كتبه أبو نصر السراج فى كتاب « اللمع » ومن منا لا يتأثر قلبه وهو يقرأ صفحات « قوت القلوب » لابى طالب المكى .

***

ياناس ...

دعونا مما لا يفيد الى مايفيد ...

دعونا من العواصف الجانبية والدعوات التى لا يرجى من ورائها الا الشهرة وبعد الصيت ، ولنركز على مايهمنا حقا من مصالح وطننا المصرى ، وطننا العربى ، وما اكثر المشاكل العاجلة التى تتطلب منا الحل ، وما اكثر الاخطار التى تتراكم من حولنا وتهددنا وتهدد مصيرنا على نحو يتضاءل الى جانبه كل مايقال عن كتابات محيى الدين وآراء محيى الدين .

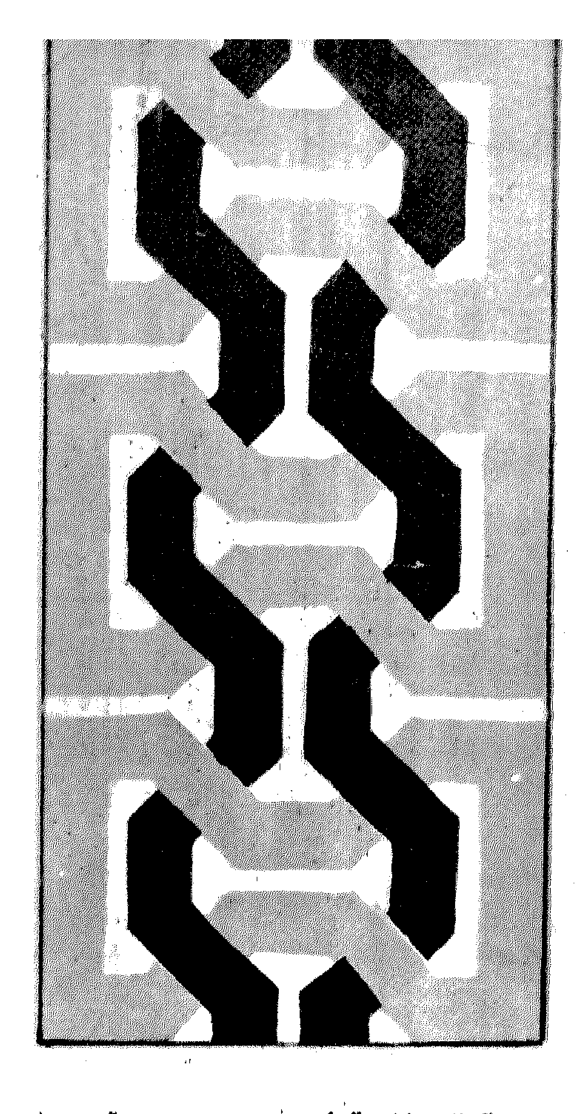
●

● **د . حسين مؤنس** ●



والعلم

● فضيلة الدكتور :
عبد المنعم النمر
وزير الاوقاف ●

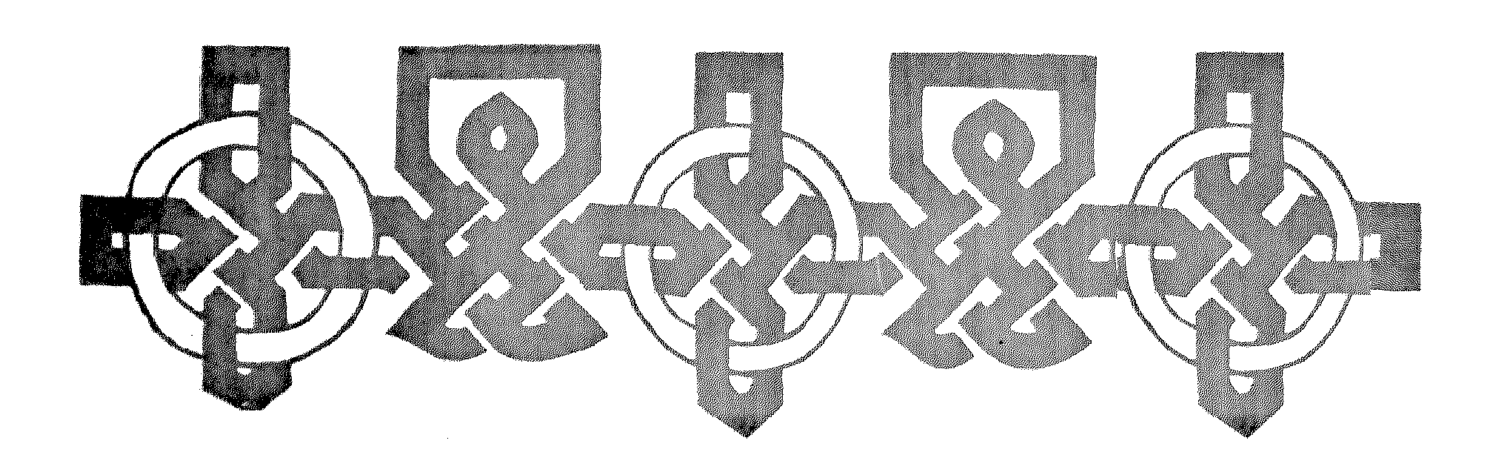


● لعلني لا ابتعد عن الصواب اذا قلت أن نشاطنا العلمى والفكرى الآن يكاد يقتصر على رد الفعل لما يصلنا من الخارج ، وهذا دور لا يقتصر علينا هنا فى مصر ، فان غيرنا من الدول العربية والاسلامية ـ ولعل الدول النامية كلها كذلك ـ يقوم نشاطها على رد الفعل ..
وربما كان هذا دورا من أدوار الامم الحديثة اليقظة ، المتاخرة فكريا وعلميا عن غيرها من الدول المتقدمة ..

فلقد تيقظنا فى الدول الاسلامية ، ووجدنا حولنا ركاما من الطوب الذى قذفنا به أعداؤنا وأعداء نهضتنا ، وربما ظنوا أن ذلك سيقضى علينا ويدفعنا تحت هذا الركام ، وتبيد حضارتنا كما بادت حضارات اخرى بعد أن سادت زمنا طويلا .. دون أن يفطنوا الى أن العمود الفقرى للأمة الاسلامية ـ وهو القرآن الكريم لايزال ولن يزال موجودا قائما فى روعة قوته وحيويته ، ويمكن للامة الاسلامية أن تسترجع به قوتها وتنصب به قامتها ، وتستأنف سيرها وشوطها .

لطالما قذف المبشرون والمتعصبون الاسلام وعموده الفقرى « القرآن » بالقذائف المتعددة الانواع ، المختلفة الاثقال ، بعضها يظهر فى شكل دراسات علمية مستترا وراء هذه الدعوى ، وتحتها حقد دفين على الاسلام والقرآن ، وبعضها يظهر فى شكل شتائم وسباب واتهامات للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل أن بعضها أحيانا يظهر فى شكل عرائس الحلوى ولكنها حلوى مسمومة .. فما ان تيقظنا وبدأنا نصحو الى انفسنا حتى وجدنا أعداءنا قد أغرقونا وأحاطونا بهذه القذائف وبقاذفات التراب ، ووضعونا قهرا عنا فى موقف المدافع عن نفسه الذى يحاول أن يزيل من حوله ومن طريقه هذا الركام ليخطوا الى الامام ، وهم لم

• لا نظن أن هناك كتاباً أنزله الله ، ولا رسولاً أرسله الله - احتفى بشأن العلم والعلماء ، ودفع الناس إلى العلم ، كما احتفى القرآن ، واحتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعد ذلك يتساءلون هل الإسلام قادر على خلق نهضة علمية ؟



يتركونا فى حالنا نزيل ما تراكم من الماضى ، بل ظلوا فى لعبتهم وارسال قذائفهم حتى لا نفرغ من تنظيف الجو حولنا ، وننتهى من تنظيف ملابسنا ، لنظل فى اماكننا وفى موقف الدفاع .

ومن هنا جاء ماذكرته وبدات به من ان نشاطنا الفكرى الان انما هو نشاط رد الفعل ودفع الاتهامات ، ومحاولة تبرئتنا وتبرئة ديننا وثقافتنا الاصيلة من هذه القذائف ..

ولو كان امرا او هما واحدا لاحتملته ... نعم ، لو كان الامر امر الاعداء لهان ، ولكنه كان مع ذلك امرالاصدقاء او الاخوة ، واعنى بالاصدقاءوالاخوةهنا رجالا من ابناء جلدتنا شركائنا فى الدين وفى الوطن ، تأثروا بقذائف الاعداء ، وانسلخوا عنا وانتقلوا الى صفوفهم ، وصاروا مهاجمين لنا مثلهم يرددون كالببغاوات أفكارهم وطعونهم وهم منا ، ولكنهم طابور خامس بيننا . يؤثرون فى شبابنا من مواقع أعمالهم ومراكزهم وهويتهم واسمائهم فى شهادات ميلادهم ، وصاروا بذلك اخطر علينا من اعدائنا التقليديين .

ومن هنا ثقل الحمل ، وزاد العبء على المخلصين الاصلاء الغيارى على دينهم واصالتهم ، فقد ازدوج الهجوم واصبحت الحصون مهددة من الداخل ولابد للمخلصين أن يصمدوا ويثبتوا ، وينظفوا صفحة الاسلام من كل مارماه به الاعداء الاغراب والاقارب . لتسلم لشبابنا نظرتهم لدينهم ولدوره العظيم فى الحياة .. ومن هنا كثر ما كتبه الكاتبون ، ورردده المتحدثون دفاعا عن الاسلام وتصحيحا لدوره فى الحياة .

ولعل حديثنا اليوم كما كان وكان بالامس وقبل الامس ، عن الاسلام والعلم ، هو واحد من هذه الدفاعات والتصحيحات التى نراها ويراها امثالى ضرورية ، وان كنت أحب الا نقتصر على رد الفعل هذا ، والا نستمر فى خطوط الدفاع بل لابد ان نهجم ، فلربما صدق

الإسلام والعلم

ماقيل من أن الهجوم هو أنجح وسائل الدفاع ، ولا نهجم بالسب لغيرنا ومبادلته الاعتداء على دينه أو غير دينه ، بل نخطو الخطوات العملية الايجابية التي تمثل براءة الاسلام مما نسب اليه ونخطو هذه الخطوات باسم الاسلام وفي ظل القرآن ..

فنأخذ من الاسلام قوانين العدالة الاجتماعية والضمان الاجتماعي ونعلن بالخط العريض أنها قوانين اسلامية .. وننشىء مباحث الطاقة الذرية ونقول ((الطاقة الذرية الاسلامية)) وننشىء المصانع الاخرى التي تنتج ما نحتاجه ونقول المصانع الاسلامية للغزل والنسج .. المصانع الحربية الاسلامية .. المؤتمرات الاسلامية للطب . وهكذا كرد فعل لما يتهمون به ديننا ويتهموننا نحن المسلمين من تأخر بسبب ديننا . ونترك هذه الردود العملية المجسمة تفعل فعلها في نفوس الآخرين .

ثم تساءل المفرضون وتهكموا : هل الاسلام يقبل النهضة الصناعية ؟ هل يمكن في ظل الاسلام قيام نهضة صناعية أو علمية ؟ وهل يمكن ؟ وهل يمكن ؟

ولطالما هاجموا ديننا بانه أباح الزواج بأربع ، ولم يستحوا وهم يبيحون العشيقات الخليلات بدون التقيد بعدد.

ولطالما هاجموا ديننا بالطلاق ، ولم يكن عندهم أى احساس بالخشية في عيونهم ولا بما يغشى بيوتهم ، ولا لما ينتسبون اليهم من أولاد ليسوا لهم ، وانما للاخلاء .

بيوتهم من زجاج ويرموننا بالحجارة؟ ولكننا مشغولون بالدفاع !

ولطالما اتهموا الاسلام بانه ضد العلم ونسوا أو تناسوا أن نهضتهم العلمية الحديثة انما استمدت ينبوعها الاول من المعين العلمي الاسلامي ، وانهم تتلمذوا على العلماء المسلمين في كل علم تعلموه في بدء نهضتهم ، والذي لا يعرف الف باء لغة لا يستطيع أن يقراها .

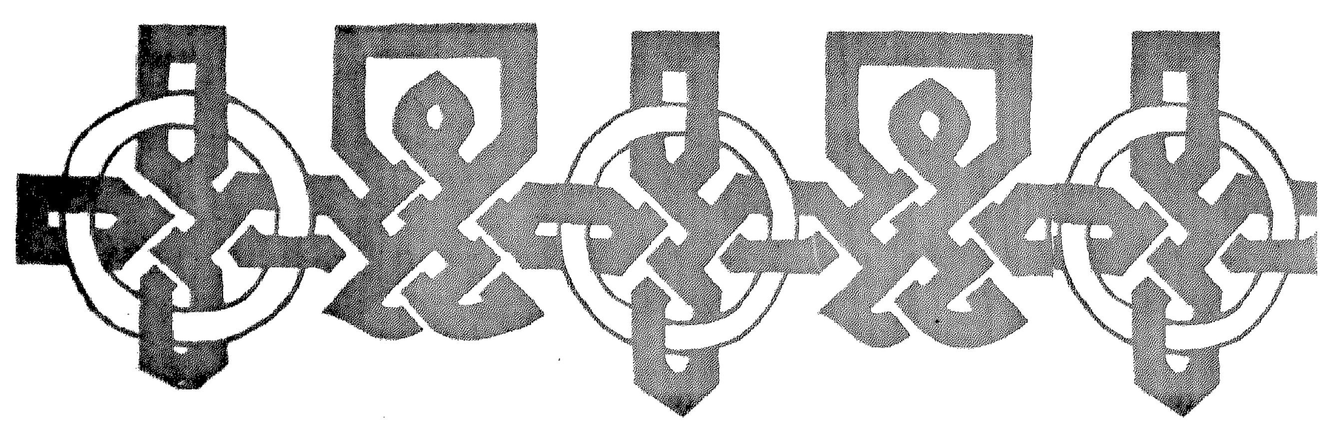
لم يعرفوا طبيعة الاسلام ، ولا ماجاء من نصوص في القرآن وفي السنة تدفع المسلمين دفعا الى العلم كل العلم لا فرعا منه وتجيء الاية القرآنية الكريمة لتقول ((**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**)) مطلقة لتضع حدا بين الذى يعرف والذى لا يعرف أية معرفة وأى علم .. فلم تقيد الذى يعلم بعلم مخصوص ، علم الدين أو علم الدنيا ، علم الفلك أو طبقات الارض أو الطب أو الطبيعة أو الكيمياء ، أو اللغة . الخ لان الذى يعرف أحسن ممن لا يعرف ، والاول نسميه العالم ولو بعلم محدود والآخر نسميه الجاهل بهذا العلم أو الجاهل المطلق ، الذى لا يتحرك عقله ليعلم من أمر علوم الدين أوالدنيا شيئا ...

وتتكرر الآيات ومن هذا المنطلق تدعو الى العلم صراحة وترفع من شأن العلماء وتعرض صفحة الكون في السموات والارض وما بينهما وتدعو الى التدبر والنظر .

ويزيد العلم والعلماء شرفا وفضلا حين يجعل العلم وسيلة لمعرفة الله الخالق ، ووسيلة للتواضع وخدمة العباد ، لا وسيلة للتجبر والطغيان والتدمير ، والشيء يشرف وتعلو قيمته بسمو غايته وشرفها ... فيقول ((**ان في ذلك لآيات لاولي الالباب**)) **أو لقوم يتفكرون ، يتذكرون ، يعقلون ، للمؤمنين ، للموقنين .**

وطلب العلم عبادة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، والدنيا ملعونة ملعون ما فيها **الا ذكر الله وما والاه ، وعالما ومتعلما ، ويحصى الرسول صلوات الله وسلامه عليه للعمل والسعي الشريف في ذكر الله وتقواه في العمل ، وفي بذل العلم وتعلمه أو في التقوى والعلم .. وتأتي الآية الشريفة لتقرر ((يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)) فنجعل**

● إن العمود الفقري للأمة الاسلامية - وهو القرآن الكريم ، لا يزال ولن يزال موجودًا قائمًا فى روعة قوته وحيويته ، ويمكن للأمة الاسلامية أن تسترجع به قوتها وتنصب به قامتها وتستأنف سيرها وشوطها .



وسيلة الرفعة والسمو عنــد الله فى الايمان وفى العلم .

ولا نظن أن هناك كتابا أنزله الله ولا رسولا أرسله الله احتفى بشأن العلم والعلماء ، ودفع الناس الى العلم كما احتفى القرآن واحتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبعدذلك يتساءلون متهكمين هل الاسلام قادر على خلق نهضة علمية ؟

اهو الجهل أم العداء المستحكم ، وكلاهما شر وآفة — هو الذى دفع هؤلاء الى ان يتقولوا على الاسلام ؟

نهضه المسلمين العلمية

وحتى اذا كان هؤلاء لم يطلعوا على ما جــاء فى القــرآن أو فى الســنة فجهلوا هذا وذاك ، فانه كان يكفيهم — اذا كانوا علماء كما يدعون — أن يتابعوا النهضة العلميه الفجائية التى اوجـدها المسلمون ، ولم تكن تلك النهضة مـن فراغ ، بل كانت دفعة من دفعات الاسلام فى كل جانب من جوانب الحياة ..

والملاحظة حتى البسيطة — ان كانوا حقا من اهل الملاحظة كما يدعون — كانت تكفيهم ليكفوا عنا عبثهم او ليخفوا عن الناس جهلهم .

هل كان من الممكن أن ينصرف كثير من المسلمين ومن أتقيائهم الى طلب العلم — كل علم — والى التفــرغ له والتبحر فيه الا بدفع الاسلام لهــم ، وفتحه للابواب امامهم ...

الذين انصرفوا للقــرآن ونفســيره ومعرفة احكامه والذين انصرفوا للحديث وغربلته ، وشرحه واستخراج الاحكام والتوجيهات منه ، والذين انصرفوا لعلوم اللغة من جوانبها المتعــددة والذين انصرفوا للفلك والرحلات والجغرافيا ، والطب والهندسة والكيمياء والجــبر وغير ذلك مما تسمى علوم الدنيا ..

هل كانوا ينصرفون اليها ويستغرقون فيها ، الا فى ظل الاسلام ورحابه ؟.

وخلفاء المسلمين الذين شجعوا العلماء وبذلوا لهم هل كانوا يفعلون ذلك ارضاء لله ولدينهم او تنكرا منهم لله ولدينهم ؟

والحضارة الاسلامية التى تمثلت فى المبانى وفى النقوش والزخرفة واقــامة المراصــد ورصــف الطرق وانشــاء الحمامات ، ورصد الاوقاف لطلب العلم وايواء الفقراء واليتامى وجبر خاطــر الشغالين بدفع ثمن مايكسرونه مــن الاوانى حتى لا يضربهم من يعملون عندهم وايواء المطلقات او الارامل اللاتى لا عائل لهن ، أكل هذا صدر من فراغ ، أو وراءه دافع من الله ومن كتابه ورسوله ؟!

اكل هذه الحضارة العلمية والاكتشافات التى وصل اليها العلماء فى ظل الحكم الاسلامى .. أكل هذه لاتسد عيون هؤلاء وتجعلهم يخجلون ولو بعض الخجــل من التشكك فى الاسلام وموقفه من العلم — اذا كانوا لم يقــرأوا القــرآن أو السنة ؟!

لقد حفلت الكتب التى تحدثت عن العلوم فى العهد الاسلامى بالكثير مما أنتجه هؤلاء وقدموه للبشرية واضافوه الى حقل العلم وموكبه الذى لايتوقف.

وقد ذكر السيد جمال الدين الافغانى وهو يتحدث عما سبق اليه العرب ونبغوا فيه من العلوم والفنون ، كما جاء فى كتاب « خاطرات » جمال الدين للمخزومى ذكر الكثير من اكتشافات العلماء الاسلاميين كالجاذبية والمركز ولم يكن المكتشف لهما « اسحاق نيوتن » وكذلك التحليل والتركيب والفوسفور واستحضاره واستحضار الاوكسجين والايدروجين والازوت، وحامض الكبريت والكبريتى وغيرهما ، وقال « كل ذلك من مكتشفات العرب وكان الاساتذة فى علم الكيمياء للجيل الثالث الهجرى هم : أحمد بن سلمة المجريطى ، وتلميذه ابن بشرون وأبا السمح وقد تقدمهم مثل جابر بن حيان الحرانى ، ومن بعدهم زكريا ابو بكر الرازى وغيرهم»

ويقول الامام محمد عبده فى كتابه « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » : يقول « جيبون » فى كلامه عن حماية المسلمين للعلم فى المشرق والمغرب: « ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء فى اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد فى اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه .. الخ »

قالوا ان باكون هو اول من جعل التجربه والمشاهدة قاعدة العلوم العصرية ، واقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بآراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد وذلك حق فى أوربا ، واما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها فى أواخر القرن الثانى للهجرة .

فاول شيء تميز به فلاسفة العرب عمن سواهم من فلاسفة الامم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجريبيات ، حتى لقد نقل «جوستاف لوبون » عن أحد فلاسفة أوربا ان القاعدة عند العرب كانت « جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفا » وعند الاوربى الى مابعد القرن العاشر المسيحى « اقرأ فى الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالما » .

وأما فى الكيمياء فلا يمكنك أن تعد مجربا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعد من المجربين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم .

ويقول الفيلسوف درابر الامريكى : تأخذنا الدهشة أحيانا عندما ننظر فى كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد الا فى زماننا ... الخ .

ويقول العالم الفرنسى سيديو : « لقد كان المسلمون منفردين بالعلم فى تلك القرون المظلمة ، فانتشروا فى كل مكان وطئته اقدامهم ، وكانوا هم السبب فى خروج اوربا من الظلمات الى النور»

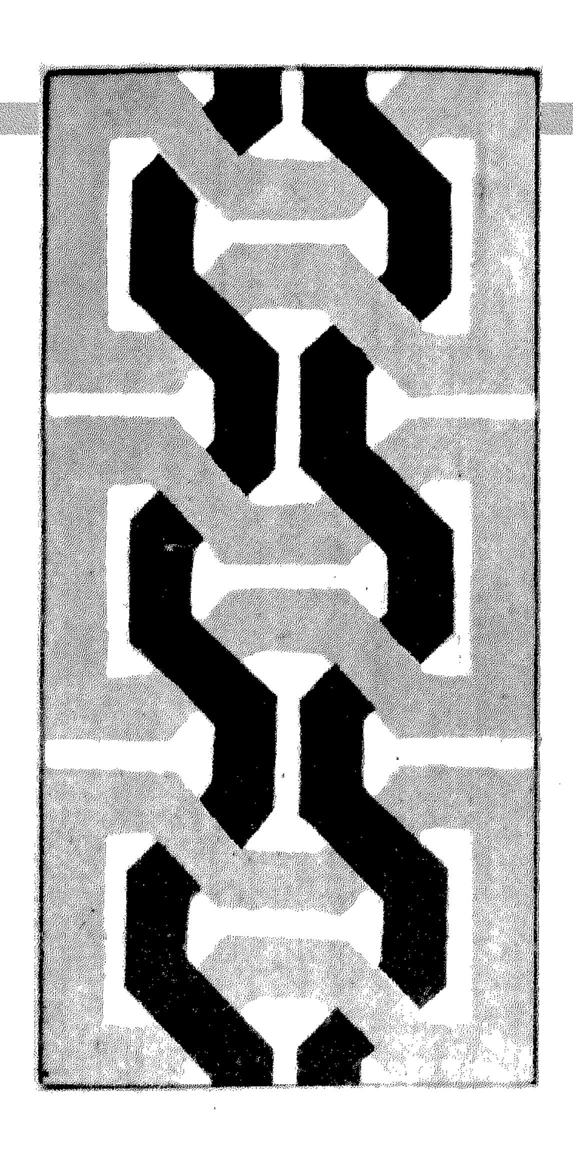
ويقول مستر هنتر المؤرخ الانجليزى : « حين قبضنا على الهند كان المسلمون فيها ارقى السكان عقلا وسياسة وعلما وعملا » .

ويقول الرئيس الامريكى ايزنهاور « فى خطاب له أمام الجمعية العامة للامم المتحدة » نشرة الاستعلامات ١٠ - ٢ - ١٩٥٩ :

« اننى عندما أتطلع الى المستقبل أرى ظهور دول عربية حديثة سوف تقدم الى هذا القرن الحاضر اسهامات تفوق تلك التى لا نستطيع أن ننساها فى الماضى ، اننا نذكر أن علوم الحساب والجبر فى الغرب مدينة كثيرا للرياضيين العرب كما أن الكثير من اسس علم الطب فى العالم وكذلك علم الفلك قد وضعها العرب » .

***

وبعد : فما كان أغنانا عن هذا الدفاع لو أن المسلمين الذين خلفوا المسلمين



الاوائل ساروا على طريقهم ونبغوا فى العلوم نبوغهم ، ولكن الضعف الذى اصيب به المسلمون فى كل ناحية عدة قرون بسبب عوامل كثيرة ليس منها الدين وفى نواح متعددة ومنها مجال العلم هو الذى اغرى المتربصين بالاسلام بالهجوم عليه .

ان الاسلام يحكم على هذه القرون ويحكم علينا حتى الآن بالتقصير ويعتبرنا آثمين فى حق انفسنا لتاخرنا فى المجال العلمى فان الاسلام يوجب على المسلمين ان يكون فيهم متخصصون حاذقون فى كل علم من علوم الحياة بجانب العلوم التى تصحح الدين وذلك على سبيل فرض الكفاية .. فاذا خلا المجتمع الاسلامى من علماء فى اى فرع من فروع العلوم كان من الواجب اليقينى على كل مسلم ان يسد هذا

● لنأخذ من الإسلام قوانين العدالة والضمان الاجتماعى ولننشئ مباحث الطاقة الذرية ، ونقول ، (الطاقة الذرية الإسلامية) وننشئ المصانع "الحربية الإسلامية" وهكذا.. ونترك لهذه الردود العملية المجسمة تفعل فعلها فى نفوس الآخرين .

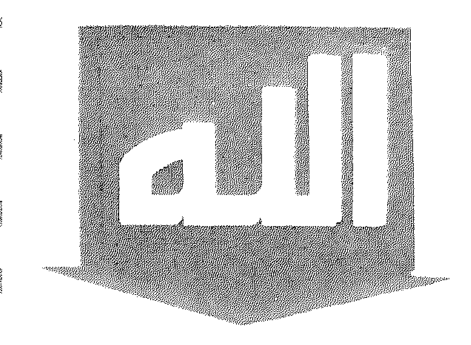
النقص ...

فالى هذا الحد ينظر الاسلام الى العلم .

وحين أمر القرآن باعداد العدة للقوة فقال ((**وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة**)) كان معنى ذلك الا يدع المسلمون غيرهم يسبقهم في اى علم يكون له دخل فى توفير القوة لهم .

وبالتطبيق لهذا الحكم الآية يجب على المسلمين أن يسبقوا امريكا وروسيا فى مجال العلوم والاختراعات ، كقوتين رهيبتين فى العالم . ومن هنا يتبين مدى تقصيرنا واثمنا دينا فى مجال العلوم والصناعات وبالتالى فى مجال القوة الحربية .

ليس هناك عاقل منصف يستطيع ان ينسب تاخير المسلمين علميا وصناعيا الى الاسلام ، انما ذلك من صنع المسلمين انفسهم ومن تقصيرهم كشأنهم فى مجالات اخرى .. وما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم ، وظلموا الاسلام معهم واغروا به وبهم اعداءه واعداءهم ،وانتا باسم الاسلام نهيب بالمسلمين فى كل مكان ان يكونوا أسبق الامم واقواها فى كل مجال من مجالات الحياة ليعلوا بذلك كلمة الله وكلمتهم ، وليحققوا معنى العزة التى كتبها الله لهم . ●



الله وحياة الإنسان في فكره وسلوكه

● د. زكي نجيب محمود ●

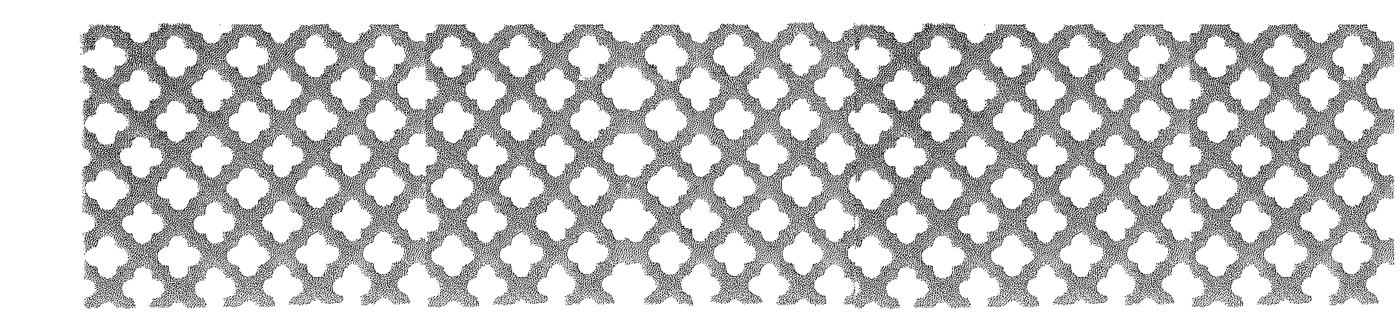
● **اذا استثنينا عددا من الرجال قد لا يزيدون على أصابع اليد الواحدة ، منذ عرفت الدنيا فكرا ومفكرين ، فنستطيع القول على سبيل اليقين ، لا على سبيل الظن بان صحائف الفكر البشرى ، لم تشهد انسانا بغير عقيدة فى اله .**

وكل ماحدث من أوجه الاختلاف فى هذا الصدد ، فهو منحصر فى الصورة التى تصور بها هذا الانسان أو ذاك ، الله كيف يكون .. والا فما الذى فعله شيخ الفلاسفة افلاطون ، اذا لم يكن قد أخذ يقيم بناءه الفكرى على شكل هرمى ، أعنى انه اخذ يصعد بالافكار الدنيا الى طبقة اعلى ، فاعلى ، فاعلى حتى بلغ ذروة الهرم ، واذا بهذه الذروة هى الله كما تصوره وهى « فكرة الخير الخالص » . فالله هو ذلك الخير المجرد الذى راى افلاطون انه مامن كائن على وجه الارض ، الا وقد وجد ليسعى نحو تحقيق ذلك الخير .

فلو وضعنا هذا التصور الافلاطونى فى لغة قريبة من اللغة التى نستخدمها نحن اليوم ، فى اطار عقيدتنا ، لقلنا : ان ذلك التصور ان هو الا تصوير يوضح معنى الآية الكريمة « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » اى ان كل من فى السماء والارض ومافى السماء والارض انما ينحو نحو غاية عليا ، هى الله سبحانه وتعالى « بلغتنا نحن » وهى الخير الاسمى بلغة افلاطون .

ثم ماذا فعل ارسطو من بعد افلاطون، اذا لم يكن قد كرس أهم مافى فلسفته لكي يصور فكرته الاساسية التى تجعل هذا العالم مسيرة تظل ترتقى الى ماهو أعلى ثم أعلى ثم أعلى ، بحيث يكون طرف الابتداء هو مادة غير ذات خصائص تميزها ، وهو ما يسمونه اصطلاحا « بالهيولا » ويكون الطرف النهائى لشوط تلك المسيرة صورة غير مختلطة بمادة . اعنى كمالا ، لا تشوبه نواقص المادة . تلك الصورة هى بمثابة الغاية المثلى ، التى تجذب اليها العالم بكل من فيه وما فيه ، وهى الله سبحانه وتعالى .

فاذا تركنا العصر اليونانى القديم ، ونظرنا الى خمسة عشر قرنا تمتد من القرن الاول الميلاد ، الى القرن الخامس عشر ، فلا نكاد نقع على مفكر واحد ، او على فكرة واحدة من الافكار الكبرى، خلال تلك الفترة الطويلة الا ونجد أن الموضوع الاساسى المطروح للنظر ، انما هو حقيقة الخالق جل وعلا كما وردت فى الكتب المنزلة ، سواء كان ذلك كتابا منزلة على الرسل قبل الاسلام، او كان ذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذى آمن به المسلمون ، وذلك هو ان محور التفكير خلال تلك القرون هو بصفة اساسية ،



محاولة النظر فى الكتاب المنزل عند المسلمين ، أو عند غيرهم . اما لشرحه ومحاولة فهمه الفهم الصحيح ، واما للنظر فيما يربطه بالفكر العقلى كما ورد عند الفلاسفة الاقدمين .

بمعنى ان يسال المفكر نفسه قائلا : هل فى هذا الكتاب المنزل ، مايتعارض مع ما املاه العقل الصرف على رجال العقل ؟!..

ومعنى ذلك كله هو أن فكرة الخالق جل وعلا ، كانت مشغلة الفكر البشرى فى تلك الفترة ، سواء كان ذلك بصورة مباشرة ، أو بصورة غير مباشرة .

***

ثم جاء العصر الحديث بادئا بما يسمى بالنهضة الاوربية منذ القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر .. فماذا نجد عند مستهل تلك الفترة الاخيرة ؟ ..

نجد عند الباب عملاقا فى دنيا الفلسفة هو « ديكارت » . ولعلنا نعلم جميعا أن الفلسفة «الديكارتية» ركزت على الاعتقاد بوجود الله ، لانه اعتقاد لا يمكن فهم الوجود الانسانى ، بفكره من الداخل ، وبجسمه من الخارج الا اذا كان الوجود الالهى متضمنا .

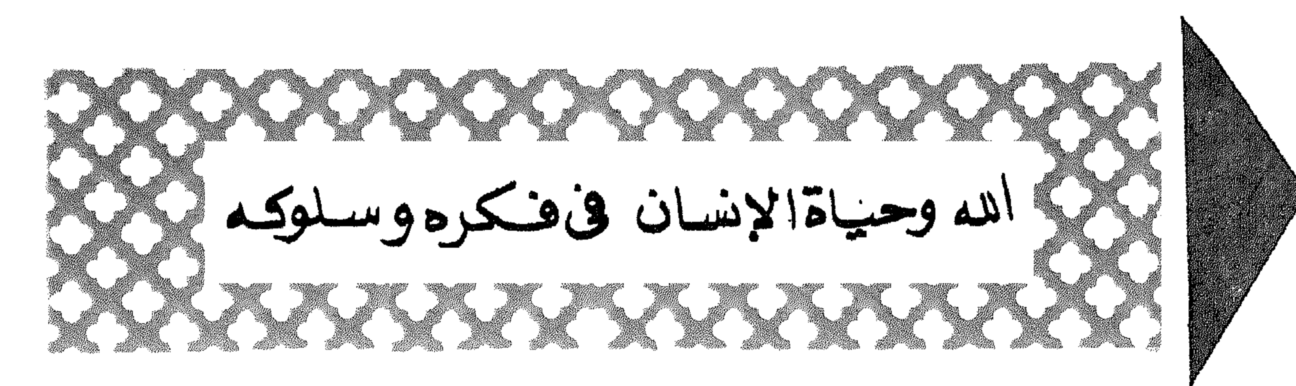
وقد انتهى « ديكارت » الى عقيدته فى الله بطريقته الخاصة ، وهى كما نعلم جميعا «طريقة الشك المنهجى» . اعنى الشك الذى يريد البناء ، ولا يريد الهدم وذلك بان يفترض بأن كل العلم الذى فى راسه تحصيلا من أعوامه السابقة غير ذى وجود ، وانه سيبدأ من الصفر لكى يجعل نقطة الابتداء علما يقينيا ، وبالتالى كل ما يبنى عليها يكون علما يقينيا كذلك . فكانت نقطة البدء عنده انه كلما استبطن ذاته وجدها ذاتا مفكرة شاعرة ، وعلى هذا الاساس اقام حجر الزاوية وهو « الكوجيتو » ، اى عبارته المشهورة « انا افكر انا اذن موجود » .

ومن هذه البداية اخذ يسلسل النتائج الى أن وصل الى اليقين بوجود الله كنتيجة لازمة عن الطريق الاستدلالى الصحيح .

وهكذا كلما انتقلنا فى مجال الفلسفة من فيلسوف الى آخر ، وجدناه يثبت وجود الله بطريقته . فهناك ((لايبنتز)) وهناك ((اسبينوزا)) ، وهناك ((كانط)) وهنالك ((هيجل)) .. وهكذا واحدا بعد واحد تجيء عنده العقيدة بالله نتيجة محتومة لفكره الفلسفى بمنهجه الخاص .

وحتى الفلاسفة المعاصرون الذين تغلب عليهم جميعا النزعة الطبيعية التى ملخصها انه ليس وراء هذه الطبيعة شيء ، فلا يفوتهم أن يتصوروا الله على هذه الخلفية نفسها بصورة ملائمة لمذهبهم كأن يقولوا مثلا : انه هو بمثابة القوانين الخافية عن البصر ، والتى تنبث فى الكون فتنظمه ، أو أن يقولوا انه بمثابة الدفعة الباطنية التى تدفع الحياة الى التطور . ولكن فليقولوا فى الامر مايقولون ، لان النتيجة فى النهاية هى اختلاف فى التصور ، لا اختلاف فى اساس الاعتقاد بوجود الله .

لذلك كثيرا مايدهشنى أن أجد بعضنا فيما يكتب ، أو فيما يذيع على الناس ، مركزا قوله على محاولة اثبات وجود الله ، وكأنما هذا الوجود موضع شك من احد ... فكما رأينا ، أنه اذا استثنينا قلة بالغة فى الصغر ، من اهل



الله وحياة الإنسان فى فكره وسلوكه

الفكر ، وجدنا أن الكثرة الكاثرة التى تشبه الاجماع لم يتردد منها احد فى اثبات هذا الوجود ، اعنى وجود الله. والاختلاف كما قلت هو اختلاف فى التصور ، لا فى الاعتقاد نفسه .

***

على ان الاعتقاد فى وجود الله يتضمن جانبين ، قلما وجدت من يتنبه الى الانتفاع فى الحياة الانسانية بهما،انتفاعا كاملا . اذ كثيرا جدا مايقتصر المتكلم فى هذا الموضوع على القول او الكتابة دون الربط بحياة الانسان العملية فى جانبها السلوكى ، اى فى جانبها الاخلاقى

ولو اننا تنبهنا الى الجانبين اللذين اشرت اليهما ، لاتضحت أمامنا صورة الربط بالسلوك الانسانى كيف تكون ...

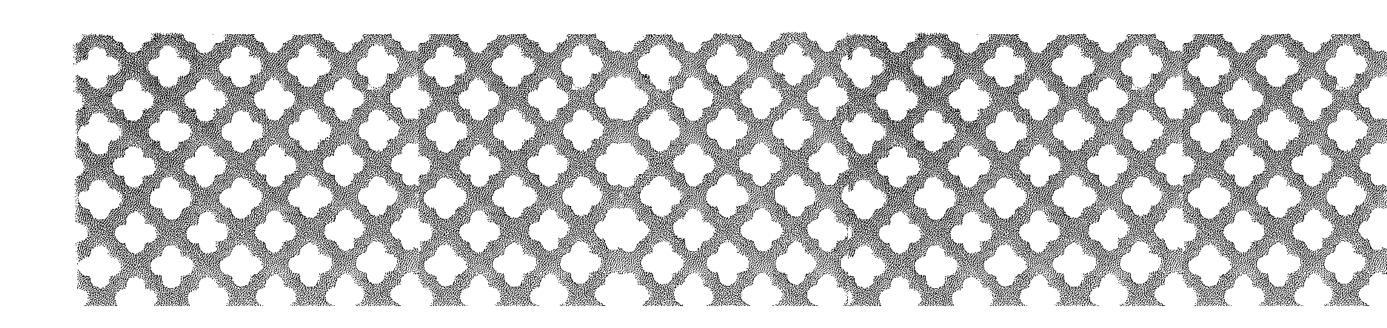
واما هذان الجانبان فهما : الذات الالهية ، والصفات التى تلخصها اسماء الله الحسنى على شرط الا يفهم من هذه التفرقة ، بانها تفرقة فى المكان أو فى الزمان لان الذات الالهية وصفاتها وجود واحد .. ومحاولة الفهم وحدها، ومحاولة الانتفاع العملى بذلك الفهم ، هى التى تجعلنا نتحدث عن كل جانب على حدة : جانب الذات الالهية ، وجانب الصفات .

لقد اشار بعض كبار ائمة المسلمين، وبصفة خاصة الامام الغزالى ، الى اسماء الله الحسنى التى تسمى الصفات الالهية ... اقول ان كبار الائمة اشاروا الى هذه الاسماء ، على انها نماذج تصور لنا المثل العليا للسلوك الانسانى ، لانها وان تكن موجودة فى الخالق سبحانه وتعالى بصورة مطلقة ، فهى هى نفسها مايتوق اليه الانسان من جوانب الكمال الذى ينشده لنفسه ، برغم ان الانسان لا يستطيع قط أن يبلغ منها الدرجة المطلقة المتمثلة فى الذات الالهية .

ولشرح ذلك اقول :

اننا اذا تأملنا صفة الحياة عندمانقول الله هو الحى ، أو صفة العلم عندما نقول الله هو العليم ، او صفة الارادة عندما نقول عن الله ((**فعال لما يريد**))او صفة الرحمة عندما نقول الله هو الرحيم او صفة العدل عندما نجد ان العدل اسم من اسماء الله تعالى . وهكذا الى آخر تلك الاسماء المباركة ـ فاننا انما نشير ضمنا الى الاهداف العليا التى يجب ان يتقياها الانسان بسلوكه . فكأنما نريد ان نقول : يجب على الانسان أن يكون متصفا بالحياة وبالعلم وبالارادة وبالعدل الى غير ذلك من الصفات .

ونقف عند صفة الحياة وحدهالنتأمل ماذا يجب على الانسان أن يفعله ليكون « حيا » بالمعنى المطلوب والمتضمن فىذلك الاسم من اسماء الله الحسنى ..بالطبع ليس المقصود هو حياة الطعام والشراب والنسل ، ولا هو حياةالزراعةوالصناعة والتجارة ، ولا هو اى وجه من اوجه الحياة التى ينشط بها الانسان ويكاد ينشط بمثلها الحيوان أيضا ـ لكننا



نعنى بالحياة هنا ، حياةالوعى والادراك والتعقل ، وما الى ذلك من صفات لانها هى الصفات المتضمنة عندما نقول : ان الله هو الحى ، اى انه هو المحيط بكل شىء علما وادراكا ونورا .. الى آخره .

فاذا وجدنا انسانا لايجعل اهتمامه الاول هو حياته العقلية الواعية المدركة عرفنا انه قد انحرف عن الخطة السلوكية المثلى ، التى ترسمها له اسماء الله الحسنى .

والخص هذا الذى قلته اخيرا فى عبارة موجزة ، فاقول : ان الاعتقاد فى الله من جانب صفاته ، هو فى الوقت نفسه اعتقاد فى الانسان من جانب سلوكه اذا اتخذ ذلك السلوك صورة مثلى .

واما الاعتقاد فى وجود الذات الالهية الموصوفة بتلك الصفات ، فهو اعتقاد ينعكس بدوره على حياة الانسان . وليست المسالة مقصورة على مجرد الاعتقاد وكفى ، والا لما كان هنالك فرق كبير فى الحياة العملية بين المعتقد وغير المعتقد .

وانعكاس ذلك الاعتقاد على الحياة العملية هو الذى يتمثل فى وجود هدف امام الانسان . ولعل الازمة الحادة التى يعانيها عصرنا هى انه لما غاب الاعتقاد الحقيقى بوجود الله من صدور الناس ، غاب فى الوقت نفسه وجود هدف أسمى تتجه نحوه الحياة . وغياب

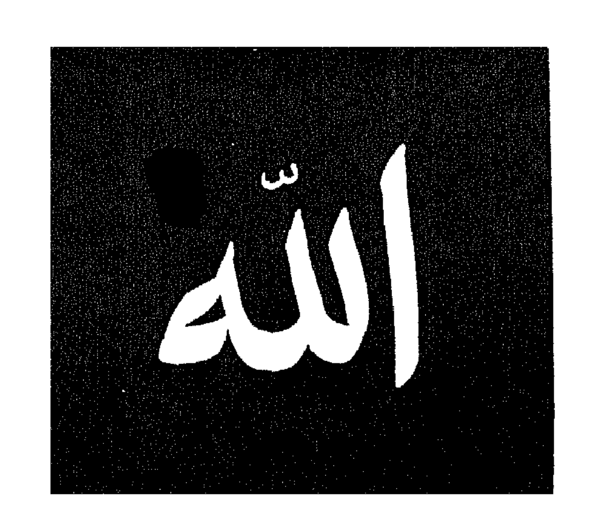
الهدف على هذا النحو ، افرغ الحياة من مبررها فاصبح لسان الحال عند الناس ، يصيح قائلا : ان الحياة عبث فى عبث ، والا فاين هو الهدف الذى يبرر وجودها . وهو قول لا يمكن أن ينبثق من انسان يؤمن بوجود الذات الالهية .

***

هكذا نرى مما سبق رؤية جلية واضحة أولا : بان وجود الله والاعتقاد فيه ، امر مقرر ثابت لا عن طريق الديانات وحدها ، بل عن طريق الفلسفة متمثلة فى رجالها ومذاهبها واذا قلنا الفلسفة فقد قلنا العقل .

وثانيا : راينا أن الاعتقاد فى الله ووجوده ليس مجرد اعتقاد يخلو من التاثير على توجيه السلوك البشرى فى الحياة العملية ، بل هو اعتقاد كما اسلفنا يعطى هدفا للحياة من جهة ، ويعطى خطة للسلوك البشرى من جهة اخرى .

ولو تحقق هذان الجانبان ، اعنى الهدف والسلوك الامثل، لما الجنا مايعانى منه عصرنا ، وخصوصا الشباب من هذا العصر ، من قلق وشعور بالاغتراب ، وشعور بالعبث .. الى آخر تلك السمات التى يتميز بها انسان عصرنا .



والعلماء

● محمد الحديدى ●

((كل من يجتهد بجدية في طلب المعرفة العلمية سوف يأتي عليه وقت يوقن فيه ان هناك روحا تعبر عن وجودها قوانين هذا الكون ، وهى روح تسمو سموا عظيما فوق الانسان ،ونحن – بقدراتنا المحدودة – نحس فى مواجهتها أننا متواضعون الى أدنى درجة))
((ألبرت اينشتاين))

● **يذكرني هذا بكتاب من أروع ما قرأت للمرحوم عباس العقاد ظهر منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ، هو ((عقائد المفكرين فى القرن العشرين)) ، وكان آينشتاين واحدا من عدد كبير من علماء القرن وفلاسفته ، اورد العقاد تصوراتهم لذات الله العلية، وغير ذلك من معتقداتهم فى الدين ..**

واذكر اذ ذاك أن واحدا من النقاد كتب يعيب على الاستاذ العقاد انه يكتب فى أمور الدين لأنه واحد من الموضوعات التى تروج وتجعل الكتب تباع ويبدو ان النسخة التى اشتريتها اذ ذاك كانت طبعة ثانية لأنه فى مقدمتها تعرض الأستاذ العقاد للرد على مهاجميه ، وكان مما أورده ان تأليف مثل هذا الكتاب يستغرق وقتا طويلا وجهدا عظيما ينفق فى الاطلاع على مؤلفات هؤلاء المفكرين للتعرف على عقائدهم،وانه لو كان يبحث عن رواج كتبه لكان ايسر واسهل عليه – كما يقول – ((أن نمسك بالقلم ونخط على الورق قصة من قصص الشهوات التى تنفع وتروج عند هذا الواغش البشرى)) ..

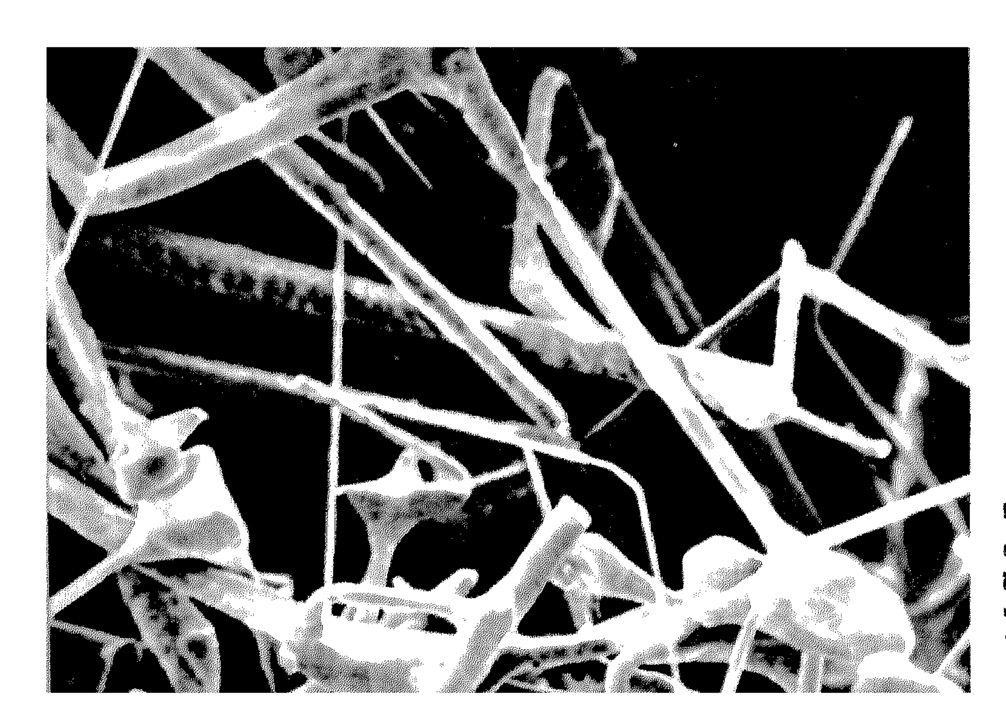
وكان صديق لى قد قرأ الكتاب ومقدمته ثم تصادف أن كان مدعوا عند واحد من معارفه وصادف الناقد المذكور هناك ، وسأله ((اقرأت كتاب العقاد الجديد ؟)) فأشار الرجل الى صدره صائحا ((ياسيدى .. أنا الواغش البشرى !)) .

معضلات !

أورد هذه القصة الطريفة فى بداية هذا الحديث لعل الاسلوب اللاذع الذى اتصف به الأستاذ العقاد وناقده – رحمهما الله – يدخل المرح الى قلب القارىء ويشجعه على أن يغفر لى ما ستأتى به هذه المقالة مما قد لا يجده مسليا ، وان كنا ما زلنا نأمل أن يجده كذلك !

ونحن ننوى أن نتعرض لبعض المعضلات ، العلم .. الكون .. الخليقة ولكننا – بصراحة – لا ننوى أن نحل واحدة منها ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ! ...

هناك عباقرة خبطوا رءوسهم فى كل ركن وجدوه ولم يصلوا الى شىء ، ولعلنا



كــل شيء يبدو لنا مستمرا ؟ وهو ليس كذلك .. وهذا سطح معدنى لامع من معدن التجستن مكبرا آلاف المـرات ....

نسأل اسئلة ليست لها اجابات ، أو لها اجابات حتى لو قيلت لنـا فلن نستطيع أن ندركها ، وهل تستطيع البكتريا التى تعيش فى امعاء الانسان ان تبصر الانسان ، أو هل تستطيع النملة أن ترى الانسان كما يراه العصفور أو الحصان ؟

فقط ، لا بأس ، ان التساؤل فى ذاته متعة عظمى ، وفى سياقه ستكون هناك بضعة أجوبة ، ولا يأس مع التساؤل !

***

هل من الضرورى أن يتعارض الدين مع العلم ؟ أو ـ لعله يكون من الافضل ان نعكس السؤال ـ هل من الضرورى أن يتفقا ؟

كان المرحوم الدكتور محمد كامل حسين ـ وله كل الحق ـ يحب ان يسخر من الذين يحاولون ان يثبتوا صحة القرآن لمن لا يؤمنون به ، بأن يستخرجوا منه نصوصا تتفق مع العلم الحديث ، تفسيرات يجدون فيها حقائق تتفق مع ما نعرفه الآن عن المادة والفلك .. الخ ، وهم بذلك يسيئون الى الكتاب الكريم بأن يحاولوا أن يهبطوا به الى مستوى كتاب فى الفيزياء النووية أو علم النجوم بينما هو أعلى من ذلك بلا حدود ، فهو كتاب فى علاقة الانسان بالله ، واذا كنا نظن ان العلم هو الذرة والالكترون ، لمجرد ان هذه اشياء ((صعبة)) فالامر بالعكس تماما ، ان جهلنا بأنفسنا ، وجهلنا بما فوقنا ، هو الذى يجعلنا نظن اننا نعرف هذا وذاك! والحقيقة ان علوم الذرة والالكترون ، مهما كنا ـ فى الشرق ـ متخلفين بمقاييسها ، أبسط ـ بلا حدود ـ من الانسان وعلاقته بالله ..

هكذا يتضح لنا ان العلم ـ اى المعرفة المبنية على التجربة والملاحظة ثم الاستنتاج ـ لا يكفى وحده لادراك الكون . وان الدين ـ على هيئة رسالات سماوية ـ ليس الهدف منه ان نحل المعادلات الكيمائية وان نتقدم فى حساب المثلثات والأدهى من ذلك ، ان حساب المثلثات قد لا يكون صحيحا على الاطلاق ، وان استنتاج قوانين المادة والفضاء والزمن وتسخيرها لفائدة الانسان ـ أو لضرره ـ ليس معنى هذا كله ان هذه القوانين صحيحة ، كما سنرى .

وبعكس ما يتصور الكثيرون فان التقدم المطرد فى العلم والتطبيق التكنولوجى ، والذى تتميز به دول أوربا وأمريكا بصفة خاصة ، لم يعد شيئا يناقض الاعتقاد الدينى ، بل ان الجزء الاخير من هذا القرن قد جاء بنوع من المصالحة بينهما بعد الجفاء الذى ساد طوال القرن الثامن عشر ، أو عصر ((الاستنارة)) بصفة خاصة ، واستمر

الى داروين ثم تحطيم الذرة صناعيا .. الخ ، ويتضح هذا فى قصة الخليقة التى أصبح علماء الغرب يجدونها فى سفر التكوين كما يجدونها فى معادلاتهم الرياضية،وأصبحت النظرية الارسططالية القديمة والقائلة بأنه ليست هناك بداية ولا نهاية لهذا الكون ، تتنافى مع النظرة الحديثة التى ترجح أن انفجارا هائلا وقع منذ حوالى ١٥ ـ ٢٠ ألف مليون سنة هو الذى ادى الى وجود كل هذه النجوم والكواكب ، وان هذا هو السبب فى انها جميعا تتناثر مبتعدة عن المركز الذى انفجرت فيه هذه الكرة اللهبية العظمى، ففى سنة ١٩١٣ اكتشف عالم فلكى امريكى مجرات تطير مبتعدة عن الارض بسرعة تصل الى ثلاثة ملايين كيلو متر فى الساعة ، وكان ذلك فى نفس العصر الذى أعلن فيه اينشتاين نظريته «العامة» فى النسبية والتى ألغت الفكر العلمى النيوتونى .

وفى سنة ١٩٦٥ أعلن عالمان امريكيان انهما التقطا موجات صوتية تأتى من كل مكان فى الفضاء ، أو ، بعبارة اخرى ، من لامكان . هذا الصوت ، فيما يعتقد الكثيرون من علماء اليوم هو آثار صوت الانفجار العظيم الذى أدى الى خلق الكون الآخذ فى التمدد .

الا أن هذا ليس اكثر الامور اثارة للحيرة ، أو للمصالحة بين « التصوف » و «المنطق» كما يسميهما برتراند راسل فهناك وجود أول جزىء من المادة يمكنه أن يعيد تكوين نفسه ويستمر هكذا الى أن ينشأ عنه كائن حى ، لماذا حدث هذا مرة واحدة ولم يحدث ثانية ؟ هذه معجزة لا تقل عن معجزة الانفجار الكونى الهائل .. كل هذا جعل العلماء لايجدون فى العلم التجريبى تلك الواحة الخضراء فى صحراء الغموض والتيه ،التى وجدها هذا الصف الطويل من أرسطو الى فولتير الى ماركس .

ثورة اينشتاين

تحدثنا قوانين نيوتن عن كون «مطلق» فالزمن يطرد ثابتا ، وهو « متغير » مستقل عن كل المتغيرات الاخرى . وهى ايضا « مستمر » بعكس المادة ، فهى ليست مستمرة لانها تتكون من ذرات بينها وداخلها فراغات ، والمكان كذلك، فهو فضاء مطلق مستمر لا نهائى ، والمسألة فى غاية البساطة ، لا تزيد كثيرا عما يقول به شاعر ضرير عاش فى معرة النعمان بالشام منذ ألف سنة : « وقد حددتهما حدا ما أجدره ان يكون قد سبقت اليه ، ولكننى لم أسمع به ، فأما الزمان فان اصغر جزء منه يشتمل على جميع الكائنات ، وهو فى ذلك عكس المكان ، فان اصغر جزء منه لا يشتمل على شىء أبدا »

هذا فى رسالة الغفران ، ثم عاد فى ديوانه « لزوم مالا يلزم » ففرق بينهما فى قوله :

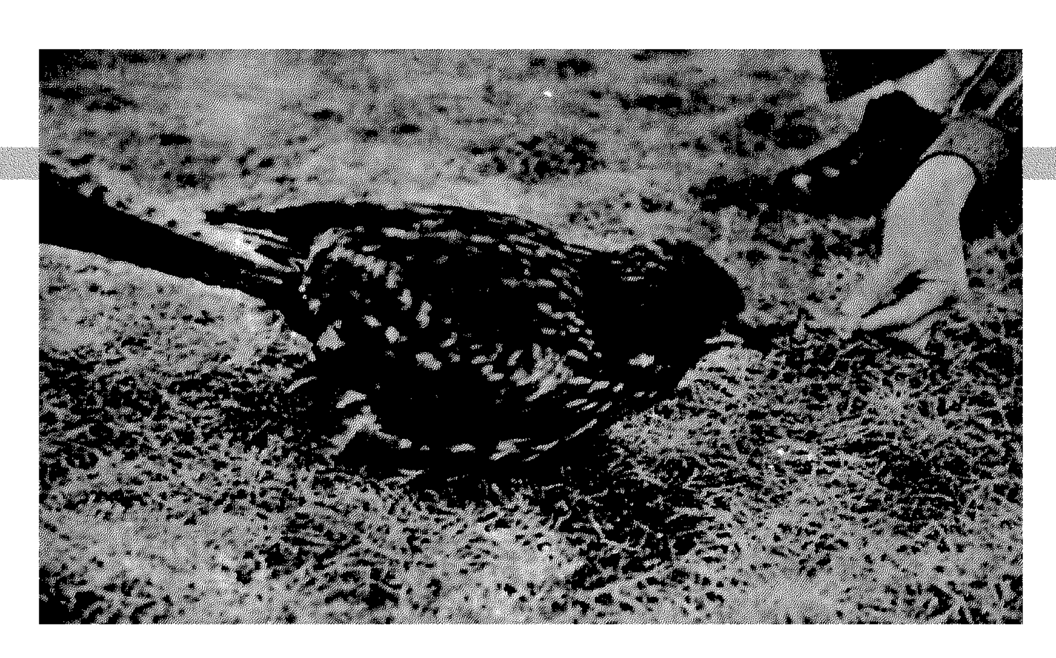
أما المكان فثابت لا ينطوى
لكن زمانك ذاهب لا يثبت

والذى يقصده بقوله « أصغر جزء منه » هو ما يسميه الرياضيون الآن : « Infinitesimal » والذى ظل معضلة الى أيام « لايبنتز » . .

والذى فعله نيوتن اذن ـ وقد كان معاصرا للايبنتز وتوصل كل منهما الى علم التفاضل والتكامل مستقلا عن الآخر ولكن أحدهما لم يصدق ذلك وتبودلت الاتهامات بين انجلترا وألمانيا ـ الذى فعله نيوتن هو انه تصور كونا مطلقا يحيط به فراغ ثلاثى الابعاد يمتد الى ما لا نهاية،وهو ملء بالخطوط المستقيمة ويمر به زمن مطرد لا أول له ولا آخر ، يمشى مستقيما هو الآخر .. اما المادة فهى قطعة هنا وقطعة هناك ، لكل منها كمية هى « الكتلة » ولكل منها ايضا « وزن » ينتج عن قانون دولى لا يخيب هو الجاذبية ، فالجسم على الارض اثقل منه على القمر لان قوة جذب الارض أكبر أما كيف تؤثر الاجسام على بعضها البعض من بعيد هكذا فيبقى مسألة لا تفسير لها .

هل توجد خطوط مستقيمة ؟

نعيد الاعتذار للقارىء ونعد ألا نغرق



والحياة ، هذا اللغز المحير

فى بحار لا نجيد السباحة فيها وسنبدأ أولا بكلمة عن الفضاء . ومن ناحية الابعاد فالامر غاية فى البساطة ،اذا تصورنا كائنا دقيقا كالفيروس يتحرك على سطح مستو ، واذا اتخذنا نقطة ثابتة للقياس فانه يمكننا ان نحدد موضع هذا الكائن « بالنسبة » لها بقراءتين ، كأن تكونا مسافتين س و ص كما هو معروف ، أو مسافه وزاويه ، ولذلك فهذا السطح فراغ ذو بعدين اما اذا كان الكائن حيوانا ــ كالانسان ــ فلابد من ثلاثة ابعاد لتحديد موضعه ، وهكذا فالكائن الفيروسى الذى يعيش على سطح منضدة أو على سطح كرة ، يعيش فى فراغ ذى بعدين ولكن الكرة بأكملها وما فى داخله ــ فراغ ثلاثى الابعاد وهذا هو الذى نعيش نحن فيه .

ولكن مسألة انه لانهائى ... مسألة محيرة . اين أوله واين آخره ؟ الفيروس الذى يسبح على سطح كرة سيخيل اليه هو ايضا انه يعيش فى فراغ لانهائى ، ذى بعدين ، وهذا لمجرد انه يعيش على « سطح » قطعة من فراغ ثلاثى الابعاد هى الكرة ، ألا يجوز ايضا اننا نعيش على سطح قطعة من فراغ ذى أربعة أبعاد ؟ هذا السطح ــ عندئذ ــ سيكون ثلاثى الابعاد ، وسيبدو لنا ايضا انه لا نهائى ، تماما كما لو كان الفيروس يتحرك على دائرة مقفلة وهذه تكون فراغا ذا بعد واحديحد فى داخله قطعة مستوية من فراغ ذى بعدين ، فى كل هذه الحالات سيظن الفيروس واينشتاين انهما يعيشان فى فراغ بعده فراغ ... هكذا الى مالا نهاية

ولكن ... ماذا عن الخطوط المستقيمة ؟ آه ... هذه مسألة جديدة ، وما الخط المستقيم ؟ انه ما يخيل الينا انه اقصر مسافة بين نقطتين ، والفيروس الذى يتحرك على سطح كرة ، بل والنملة فى نفس الموقف ، يمكنها ان تجد على سطح الكرة مسارا هو اقرب الطرق الى نقطة معينة ، وسيبدو لها خطا مستقيما ، والواقع انه جزء من دائرة عظمى (أى مركزها مركز الكرة) ، ومن المستحيل أن تجد خطا مستقيما على سطح كرة ... وهذا هو الحال معنا ، فنحن نتخيل خطوطا مستقيمة وهى ليست كذلك وهناك نظريات عديدة فى الفراغ الذى نعيش فيه ، فهو قد يكون دائريا وقد يكون اليبتيا (يعنى على هيئة قطع ناقص) او بارابوليا أو هيبربوليا (يعنى على هيئة قطع مكافىء أو قطع زائد) كل هذا معناه ان اقصر مسافة بين نقطتين فى هذا الفراغ هى فى الحقيقة منحنى من هذا النوع ، بل ان برتراند راسل ــ وكثيرين غيره بطبيعة الحال ــ يشك فى « استمرارية » الفراغ ، فهو قد يكون

منقطعا وهذا هو السبب — أو قد يكون السبب — فى ان الالكترون داخل الذرة يترك مساره فجأة (وهو على شكل منحنى قطع ناقص) — وينتقل الى مسار آخر دون أى مناسبة ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون الفضاء والزمن — والحركة معهما — غير مستمرة والذى ينظر الى لوح من الزجاج أو الى محيط هائل ملىء بالماء يرى امامه شيئا مستمرا ، ونحن الآن نعرف ان المادة غير مستمرة ٠

الرجل المناسب والمكان المناسب

سنأخذ هذا المثال من النظرية العامة للنسبية لندلل به على مدى ما يمكن للعلم ان يقع فيه من خطأ ويظل مع ذلك قابلا للتطبيق العملى ويصلح لصناعة الطائرات والاقمار الصناعية والتليفزيون ٠٠٠ الخ ٠

سنذكر اولا شيئا عن نسبية الكون كمقدمة لهذه المغامرة الجديدة ٠

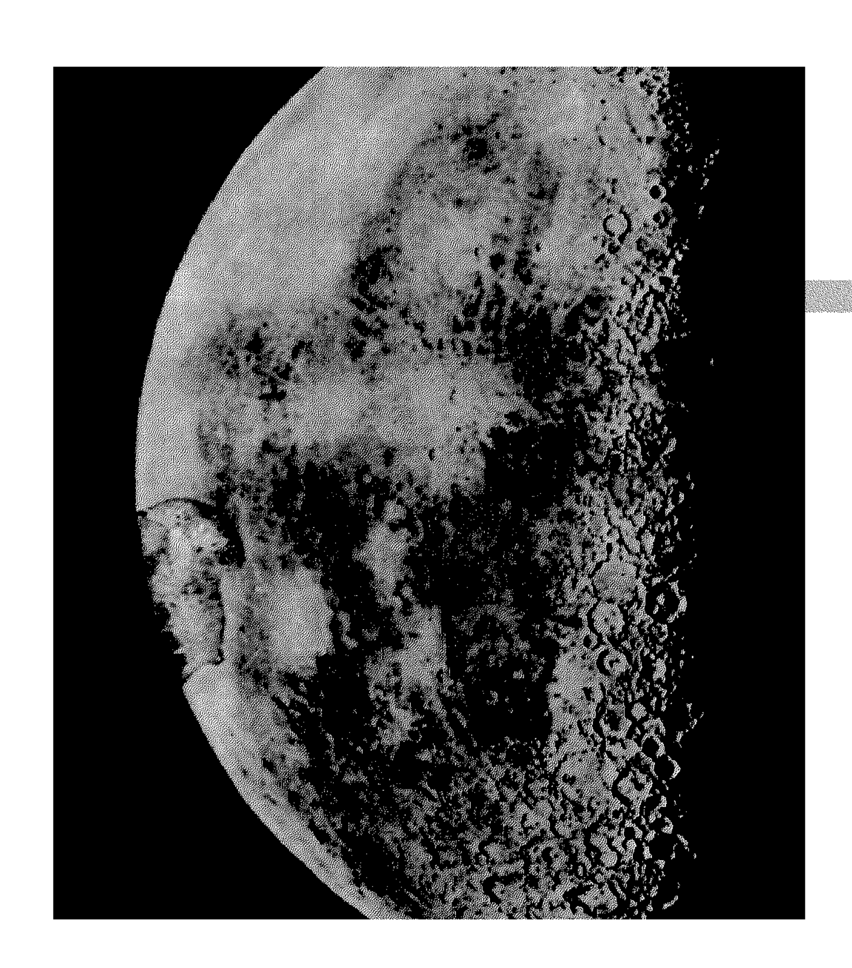
هناك نسبية الفضاء اولا ، فمهما كانت طبيعته ، ليس فى كل هذا الفضاء مكان واحد يمكن ان نسميه مكانا ويمكن أن تكون له « هوية » لانه ليس فيه شىء واحد ثابت يمكن ان يحدد الاوضاع بالنسبة اليه ، كل شىء يتحرك ولابداية ولا نهاية ولا نقطة للقياس ٠٠٠ وكذلك الزمن ، وفى النسبية نجدهما يندمجان معا فى« فضاء زمن » وتصبح الاحداثيات س ، ص ، ع ، ن ولكل نقطة فى«الفضاء زمن » لها أربعة ،والرابع ن هو الزمن، **ومن المؤكد ان المكان لا يوجد بمفرده ولا الزمن ايضا ، والحركة نسبية والسرعة كذلك ، وانت عندما تركب قطارا يسير فى اتجاه معين ويقابل قطارا ياتى فى الاتجاه المضاد يخيل اليك أن سرعته اكبر بكثير مما هى فى ((الحقيقة)) (ان كانت هناك حقيقة فهى نسبية ايضا) أو على الاصح اكبر مما تبلو لشخص واقف على الارض ٠**

واما الترتيب الزمنى فليس الا خرافة أخرى ، لان الضوء له سرعة ، وهى سرعة ثابتة بصرف النظر عن مصدرها ، وهو فى ذلك يختلف عن كل شىء آخر يتحرك ، فأنت اذا ألقيت بحجر من نافذة القطار ، فانه سيشرك القطار مكتسبا سرعته ، حتى لو رميته الى الوراء فانه قد يتحرك للامام بتأثير اكتسابه لسرعة القطار ، أما الضوء فأيا كان مصدره ، ثابتا كان ام متحركا (وليس فى الدنيا كلها شىء ثابت ، فالثبات نسبى) فان سرعة الضوء تكون كما هى : ثلاثمائة الف كيلو متر فى الثانية ٠

وهكذا فاذا كنت واقفا فى مواجهة قضبان سكة حديد وهى تمتد الى يمينك وشمالك ، اذا حدث ان مصباحا أضىء فى موضعين مختلفين وانت فى منتصف المسافة بينهما ، واذا أضيئا فى وقت واحد فسوف تراهما يلمعان فى وقت واحد ، ولكن شخصا يركب القطار ويبتعد عن أحدهما متجها نحو الثانى فان الضوء الآتى من ورائه سيتخلف قليلا عن ادراكه بينما يسبقه الى ذلك الضوء الآتى من الامام لانه يتجه اليه ، فاذا رأى المصباحين يلمعان فى وقت واحد فهذا ذنبه هو ، وهكذا فان الماضى والحاضر والمستقبل مسائل نسبية ، ومن العلماء من يعتقدون ان فى الفضاء آثارا لنجوم هى من مخلفات زمن آخر غير زماننا ، لايزال فى المستقبل بالنسبة لنا ، ولكنه ماض بالنسبة لغيرنا لانه يمضى فى اتجاه آخر ، فكما يمكن ان تنعكس الحركة ، وكما يمكن أن تبتعد عن مكان أو تقترب منه ، فانه يمكن ايضا ان يمضى الزمن فى اتجاه مضاد ٠٠ ويصبح الحاضر مستقبلا والمستقبل ماضيا وهكذا ٠٠٠

هل هناك شىء اسمه الجاذبية ؟

فلنعد الى القطار ٠٠٠ ولنفرض انه لا يتحرك بسرعة ثابتة ، بل بسرعة متزايدة ، ولنفرض هذه المرة انه مصعد يتجه الى أعلى فى الفضاء ، اذا ركبت هذا المصعد فسوف تحس نتيجة تزايد سرعته أنك منجذب الى أسفل ، وهذا فى الواقع هو الاحساس الذى ينتابك للحظة خاطفة عندما يبدأ مصعد يتحرك بك الى أعلى



والقمر .. له جاذبية، اذا كان وجها جميلا .. اما قمر السماء فانه لا يجذب احدا ، انه يجعل الفضاء يتسلون !.

وهى لحظة تزايد سرعته ، ولو انه استمر تتزايد سرعته لا ستمر معك الاحساس بأن قوة تجذبك الى أسفل وان وزنك قد ازداد .. والآن ، لو أن شيئا دخل من فتحة فى المصعد وليكن شعاع ضوء ، فان هذا الشىء اذا خرج من الناحية الاخرى سيخرج من فتحة أسفل تلك التى دخل منها لان المصعد سيكون قد تحرك الى أعلى ، وهكذا ، يخيل اليك ان شعاع الضوء هذا قد تأثر بالجاذبية هو ايضا ... والحقيقة انه لا جاذبية ولا اغراء ... المسألة هى الحركة غير المنتظمة ، وهذا سر من أسرار الكون لم يظهر الا مع النظرية العامة للنسبية ...

نعود الآن للفضاء ... هل هو مستقيم ؟ أبدا ... ان الفضاء الذى نعيش فيه يمكن ان يلتوى وينبعج وتحدث فيه ثقوب ، تماما كما لو كان لوحا من خشب « الابلاكاش » ...

ولنتخيل لوحا رقيقا من المطاط كالذى يستخدم فى الالعاب البهلوانية ، وهو مشدود فى وضع أفقى ، ومنبسط تماما، اذا دحرجنا كرة عليه فانها تستمر فى حركة مستقيمة على خط أفقى ...

أما اذا وضعنا فى وسط اللوح المستوى جسما ثقيلا فانه سيهبط الى اسفل جاذبا معه جزءا من اللوح بحيث يتكون منخفض فى الوسط ويصبح اللوح كله مقوسا بدرجة تخف كلما اتجهنا الى الاطراف .

اذا دحرجنا الآن كرة فانها لا يمكن ان تسير فى خط مستقيم ، سوف تنحدر تدريجيا الى ان تسقط فوق الجسم الثقيل ... لان هذا « المكان » ، هذا الفراغ الثنائى الابعاد ، قد التوى بتأثير الجسم الذى وضع فيه ، هذا هو ما يحدث فى الفراغ ثلاثى الابعاد ايضا، كل هذه الاجسام السماوية ، الشمس والقمر والنجوم ، وكل كمية كبيرة من المادة ، تحدث حولها التواء فى الفضاء ، يجعل الاجسام الاخرى تنحدر أو تحاول ان تنحدر اليها ... هذا هو سر الجاذبية ... اعرفتم انكم ما اوتيتم من العلم الا قليلا ؟!

الأديان غير السماوية

● مصطفى الشهابى ●

لاحظنا أن الكثيرين من القراء والشباب خاصة ليست لديهم فكرة عن الاديان غير السماوية ، فاذا سئل أحدهم عن البوذية مثلا أو الهندوكية ، لم يجد لها فى ذهنه أى صورة ، فرأينا أن نقدم هذه العجالة عن تلك الاديان ، لكى يتجلى عن طريق ذلك ، فضل الاديان السماوية والاسلام أولها ...

● عرفت الاديان منذ بدأ الانسان يكون المجتمعات ، ويرى أغلب الباحثين أن خوف الانسان من القوى المجهولة ، هو الذى دفعه الى ابتكار آلهة يتقرب اليها لدفع شر تلك القوى ، وطبيعى ان الطقوس الدينية كانت يومئذ بسيطة وساذجة ..

وبمرور الايام نشأت ديانات ، دعا اليها وعمل على نشرها بعض الحكماء والفلاسفة ولقيت اقبالا فى بعض الجهات التى ظهرت بها ، ولا تزال آثار بعضها موجودة حتى اليوم .

ومن هذه الاديان القديمة مايعتبره معتنقوه دينا قوميا يخصهم وحدهم ، وهو مايسميه علماء الاديان « دينا مقفلا » أى محصوراً فى بيئة خاصة ، لا يدعى اليه الآخرون

وتختلف هذه الاديان اختلافا جوهريا عن الاديان السماوية المعروفة، والغالبية العظمى من أتباعها يقيمون فى القارة الاسيوية ، وقد يوجد بعضهم خارج تلك القارة ، لضرورة كسب العيش وظروف الحياة .

وأهم هذه الاديان هى : البرهمية ، والبوذية ، والكنفوشسية ، والشنتوية ، ثم المجوسية .

وهناك أديان أخرى انبثقت عن الاديان السابقة كالطاوية ، واليزيدية والمانوية ، والمزدكية ... الخ — غير أن اتباع اغلبها لايتجاوز عددهم الآلاف .

● البرهمية ...

البرهمية أو الهندوكية أو الهندوسية هى أقدم اديان الهند ، ويدين بها اليوم نحو ٨٠٪ من مجموع سكانها البالغ عددهم أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة ، وهى تنسب للاله « برهما » وهو عند الهنود البرهميين



البوذية نظام فلسفى اخلاقى ، وهذا تمثال بوذا المؤسس لتلك الديانة .

اله موجود بذاته ، يستمد منه كل شيء وجوده ، لا يحدث شيء في العالم الا باذنه وارادته ، وهو مسبب الحياة والموت لكل كائن . ولا ترجع البرهمية الى كتاب واحد ، ولكنها نشأت ونمت على مر الاعوام، كما أنها استندت فى تعاليمها وقواعدها الى عدد كبير من الكتب التى جمعت فلسفة الحكماء القدامى وافكارهم وتعاليمهم .

واقدم الكتب التى ضمت المبادىء البرهمية وفلسفتها وتعاليمها هو كتاب « الفيدا » وهى كلمة تعنى العلم أو العرفان المقدس .

ويذهب البراهمة الى أن هذا الكتاب نزل به الالهام على جماعة اختارتهم الالهة دون غيرهم ، وأن هذه الجماعة المختارة قامت بنشره كاناشيد يتغنى بها الكهنة للناس ، وذلك منذ أكثر من ألف عام قبل مولد المسيح ، عليه السلام .

وظل الفيدا ينتقل من جيل لآخر بالتواتر شفاها نحو خمسة قرون ثم سجل فى كتب ثلاثة ، اضيف اليها رابع يتضمن الاحجبة والتعاويذ .

والديانة البرهمية تذهب الى ان جميع الكائنات ، التى صدرت عن الموجود الاول ، متغيرة متناسخة وانها تعود فى النهاية الى خالقها ، ويشبهونها بقطرات من الماء العذب تصبها الانهار فى البحار ثم تصعد بخارا فى السماء وتنتقل من جهة الى جهة اخرى ، وقد تتناسخ فتتحول الى قطع من البرد أو الثلج ثم تسقط مطرا على قمم الجبال ثم تنحدر الى الانهار ، وبذلك ترجع الى مصدرها الاول .

وتدعو البرهمية الى الفناء فى الخالق وذلك باهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق ، والى الاعراض عن متع الحياة والاكثار من الصوم والتوبة والندم على ما اقترف من المعاصى والآثام .

وبعد أن كانت البرهمية فى الاصل ديانة توحيد الى حد كبير ، تغيرت بمرور الايام وحلت محلها عقيدة تثليث . لقد زعم كبار الكهنة أن الاله « برهما » كان فى البداية يقيم فى فضاء لا نهاية له ، ثم خلق العالم وسمى نفسه الخالق . ثم انبثق منه « سيفا » الآله المدمر الذى يحطم ويخرب كل شيء .

ولما كان وجود « سيفا » سيعمل على فناء كل ما بالارض والسماء ، لذلك انبثق من « برهما » اله ثالث هو « فيشنو » ليحافظ على الكون ويجدد ما يدمره « سيفا » .

واهم ماتتميز به البرهمية هو تقسيم المجتمع الى طبقات وذلك ــ فى رأيهم ــ يرجع الى ان كل طبقة من طبقات المجتمع انما خلقت من عضو معين من اعضاء « برهما » وهى تتفاضل بحسب العضو الذى خلقت منه . فالبرهميون خلقوا من فم « برهما » و « الكشتريون » من ذراعه « والفيسائيون » من فخذه « والسودرائيون » من قدمه والاخيرون هم من يعرفون باسم « المنبوذين » .

ولذلك قسم البراهمة الوظائف الانسانية بين هذه الطبقات فالبرهميون ارقاها ، يتولون الوظائف الدينية ويعلمون الناس « الفيـــدا » اما « الكشتريون » فلهم الوظائف الحربية ومهمة المحافظة على الامن ، وأما « الفيسائيون » فيقومون بالتجارة والزراعة وتربية المواشي والاغنام ويبقى « المنبوذون » الذين قضى عليهم أن يكونوا خدما للطبقـات الثلاث السابقة ، ولا يقتصر سوء حظهـم على ذلك فقط ، بل هم معتبرون انجاسا لايصح لمسهم او مؤاكلتهم أو مصاهرتهم .

والطبقات فى البرهمية وراثية ، فلا يصح لفرد من طبقة ما أن ينتسب الى طبقة اخرى ، فضلا عن مزاولته مهنة غير التى تخصصت لها طبقته .

● **الجينية ...**

وهى مقتبسة عن البوذية بعد أن ادخلت عليها بعض التعديلات ، ومؤسسها هو « ماهافيرا » الذى كان معاصرا لبوذا ، وتنص تعاليمهاعلى أن الخلاص يكمن فى الافكار والاعمال الصالحة ، وتنص كذلك علـى أن جميع الكائنات الحية لها ارواح وان ايذاءها يعد خطيئة .

ويبلغ عدد اتباعها نحو ثلاثة ملايين يعيش أغلبهم فى كبرى المـدن الهندية .

● **السيخية ...**

وعن البرهمية أيضا تفرعت السيخية ، وقد اسسـهـا « جودو » اى المعلم « ناناك » الذى ولد فى البنجاب سنة ١٤٦٩ ، وقد واجه مقاومة شديدة من البراهمة ، ولكنه استطاع أن يصمد واخذ يبشر بمبادىء : « العبادة الصادقة والحياة العملية . »

وقد اهتمت هذه الطائفة بالتربية الحربية ، ولذلك نجد للغالبيـة العظمى من السيخ علامات مميزة كتقلد الخناجر والشعور الطويلة . واكل اللحوم مباح عندهم ، أما المكيفات والتبغ فهى محرمة تحريما باتا ويبلغ عدد السيخ فى الهند نحو خمسة ملايين .

● **البوذية ...**

البوذية نظام فلسفى اخلاقى دينى ، وكلمة بوذا هى الاسم الدينى لمؤسس تلك الديانة ومعناه باللغة السنسكريتية العالم الذى حصل على « البوذة » اى العلم الكامل او الوعى التام ومن ثم فكلمه بوذا ليسـت

اسم علم ، بل هى صفة ولذلك وجب أن يقال « البوذا » باستعمال اداة التعريف .

ومؤسس البوذية « سدهاتاجوتاما » ، كان ابنا لاحد زعماء القبائل الهندية فى مملكة نيبال ، وقد ولد حوالى عام ٥٦٠ ق . م وعاش عيشة ترف وتزوج فى التاسعة عشرة ، ولما بلغ التاسعة والعشرين هجر منزله وزوجته ، ولجأ الى الغابات ليبحث عن حقيقة الحياة وسرها وهل من المستطاع التغلب على آلامها ؟

وفى طريقه لقى احد المتسولين فبادله بملابسه الثمينة أسماله البالية، والتقى بعد ذلك ببعض الرهبان الهندوكيين الذين لقنوه التعاليم الهندوكية التى تقوم على أن تعذيب الجسد بالجوع والالام يؤدى الى سمو الروح وخلاصها . وأسرف « جوتاما » فى تعذيبه لنفسه مما لفت اليه انظار بعض النساك فالتفوا حوله .

وظل كذلك نحو سبع سنوات ، ادرك فى نهايتها ان تعذيب الجسد زاد حياته اضطرابا وقلقا ، ومن ثم قرر أن يضع لذلك التعذيب حدا ، وطلب من اتباعه أن يأتوه بالطعام والشراب ، مما دعا اغلبهم للانفضاض من حوله .

ولم يأبه « جوتاما » لذلك وقرر العودة الى مسقط راسه ، وبينما هو فى طريقه جلس يرتاح تحت شجرة ، واذا به يغفو قليلا ويسمع صوتا يناديه بأن « فى الكون حقا وحقا لا ريب فيه ، وأن عليه ان يجاهد حتى يناله » وبذلك حلت فيه روح « البوذا » وادرك سر الآلام التى يتكبدها البشر وأسبابها وطرق علاجها ، ولهذا اخذ ينشر تلك الحقائق بين الناس ، واجتمع حوله عدد كبير من الشبان ، لقنهم تعاليمه ومبادئه وطلب اليهم نشرها ، فكانوا خير دعاة له .

وظل « بوذا » يدعو لديانته خمسا واربعين سنة ومات نحو عام ٤٨٣ ق . م .

والاسس التى تقوم عليها البوذية هى :

١ ــ الالم من لوازم الوجود ..

٢ ــ الالم سببه شهوات الانسان المادية والمعنوية ، ومنها شهوة اللذات والسلطة ، وهذه وغيرها نار تحرق صاحبها ، وكلما تحققت منها شهوة ، ولدت شهوة جديدة .

٣ ــ ايقاف الالم يكون عن طريق الخلاص من الشهوات .

٤ ــ أما كيفية منع الالم فيكون بكبح جميع الشهوات واتباع الحق وعدم اضمار الحقد أو الحسد أو الكراهية للغير .

وفى كاندى عاصمة سرى لانكا « سيلان » معبد « سن بوذا المقدسة» الذى يعتقد البوذيون انه دفن فيه فبلي جسمه ولم يبق منه الا سن واحدة اقيم حولها المعبد ، وهى موضوعة فى صندوق من الذهب ، اقيم عليه تمثال كبير من الذهب الخالص .

وفى اغسطس من كل عام تحمل السن المقدسة على هودج من حرير تغطيه قبة من ذهب ، يحمله فيل يبالغون فى تزيينه ، ويتبعه قطيع مكون من ٦٢ فيلا اخرى ، وتفرش لها السجاجيد فى الطريق لكيلا يدنس وحل الطريق طهارة حملها المقدس ، وبعد أن يطوف موكب الفيلة حول المدينة يعود الى المعبد ، وسط الحجاج الركع السجود المصطفين على

جانب الطريق وقد انهمرت دموعهم !

وجدير بالذكر ان البوذية التى نشأت وانتشرت فى الهند ، كادت تختفى من تلك البلاد اذ لم يعد أتباعهـا يزيدون على ربع مليون بوذى ، عكس الدول الاخرى التى انتشرت فيها البوذية كسيلان وبورما والتبت وآسيا الوسطى والهند الصينية ، ففى هذه المناطق تكاد تكون البوذية الدين الرئيسى .

● الكنفوشية ...

وهى تنسب الى الحكيم الصينى كنفوشيوس « ٥٥١ ـ ٤٧٩ ق.م » الذى نشأ فى أسرة كريمة ثم اشتغل بالتدريس فى بدء حياته العملية ، كما فعل أفلاطون ، واهتم بتلقين النشء الاخلاق الحميدة ومبـــادىء الحكومة الرشيدة ، ولكنه لم يلبث طويلا فى القيام بتلك المهمـــة اذ اخذ يدرس الفلسفة واستبدل بأطفاله حواريين لقنهم الفلسفة بلا مقابل ومن ثم بدأ يشتهر فعين قاضيا ، ولكنه لكثرة حساده ترك القضـــاء وحاول الاشتغال بالسياسة باسداء النصائح للحكام ولكنه وجد معارضة شديدة مما دعاه الى العودة الى نشر الفلسفة ، وجمع حوله عددا كبيرا من الشبان الذين نشروا آراءه ومبادئه .

ولم يكتب كنفوشيوس شيئا بنفسه ولكن تلاميذه اثبتوا كل ماأملاه أو سمعوه منه .

ومن أبرز المبادىء الكنفوشية الاخلاقية ، المحافظة على العلاقة الطيبة بين الافراد وتوثيق الروابط بين الاسر وحسن التعـــامل بين الرئيس والمرءوس ، والدعوة الى تهذيب النفوس وتطهير القلوب ، وتوسيع كل فرد لدائرة معارفه .

وتناول كنفوشيوس فى مبادئه الاتجاهات الرئيسية التى يجب ان يراعيها من يقوم بحكم أية دولة .

وفى العام التاسع والستين من عمره عاد الى مسقط رأســـه ، فوجد من الجميع ترحابا ، وهنا أخذ القوم على اختـــلاف منازلهـم يتوافدون عليه يســـــألونه الرأى والنصيحة ، ولـــكنه كان تواقا لان يعتزل الدنيا ، اذ احس بالمنية تدنو ، ولذلك عكف على جمع الشعر الصينى القديم وعلى اصلاح الموسيقى التى كانت تعزف فى الحفـلات العامة ، كما ألف سجلا لامجاد تاريخ بلاده .

ولما قضى كنفوشيوس بالغ تلاميذه فى تمجيده ولقى بعد موته من ذيوع الصيت ماجعل الاباطرة والحكام الصينيين يقيمون المعابد باسمه ويأمرون بتقديم القرابين تكريما لذكراه أربع مرات فى العام ، وخلعـوا عليه لقب « العظيم القداسة » ونسوا وصيته التى قال فيها : « كـل مايجوز أن ألقب أو أوصف به ، هو انى تلميذ نهم ، ومعلم لا يكل ، هذا حسبى .. ولا شىء أكثر » .

● الشنتوية ...

وهي الدين الاصلى القديم لليابانيين ويقوم على تمجيد الاجداد ، وذلك لانه من الملايين التى تتكون منها الآلهة الشنتوية تنحدر الاسر العظيمة واعظمها الهة الشمس التى تسلسلت منها الاسرة الامبراطورية الحاكمة ، ولهذا يمجد اليابانيون امبراطورهم وافراد أسرته بصفة خاصة .

ويعتقد الشنتويون أن الشخص اذا مات بقيت روحه فى العالم الارضى ، تأكل وتشرب وتتمتع بما كانت تتمتع به من ملذات الحياة دون أن يراها أحد ولذلك أقاموا لهم الاضرحة ، وجروا على أن يضعوا أمامها أحب الاشياء للاجداد فى حياتهم .

وللشنتوية نحو ١٠٠٠٠٠ معبد فى اليابان ، اهمها وأكبرها معبد « يازوكونى » فوق أحد التلال المحيطة بطوكيو ويزوره اليابانيون بالملايين ، حيث يقيمون حفلات تكريم لارواح الشهداء فى الحروب .

وفى أغلب هذه المعابد يوجد حصان ابيض ليركبه الاله الذى أنشىء باسمه المعبد ، وهذه الاحصنة لا يجوز لاحد ، كائنا من كان ، ان يركبها .

والشنتوية اليوم هى الدين الثانى لليابانيين بعد البوذية .

● المجوسية ...

وهى تطلق على اتباع الزرادشتية التى أسسها زرادشت حوالى القرن السابع قبل الميلاد وكان أول ظهور لها فى بلخ « بأفغانستان » ومنها انتشرت الى جميع أرجاء فارس « ايران » .

وجوهر مبادىء المجوسية هو أن العالم يتنازعه مبدآن متناقضان هما الخير ، الذى يمثله اله النور ويسمى « أهورامزدا » ، والشر ، ويمثله اله الظلمة ويسمى « اهرمان » .

وعن الاول تفيض الحياة الطيبة وكل مافى الوجود من خير ونور ونعم ، وعن الثانى تصدر الآفات والامراض وكل ماينزل بالانسان من شر وبلاء . والاثنان فى حرب مستمرة ، يتنازعان الانسان ويحاول كل منهما أن تكون له الغلبة . ولكن الغلبة فى النهاية تكون للاول .

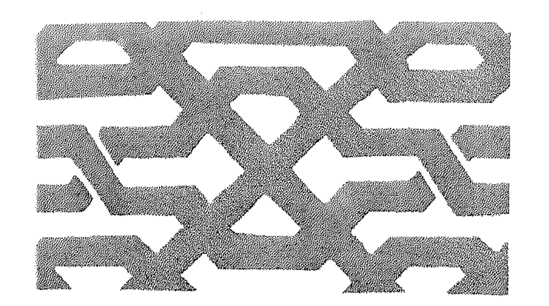
وكتاب المجوسية المقدس يسمى « الزند افيستا » .

ويؤمن المجوس بالبعث والحساب ، كما يؤمنون بظهور مخلص يولد من عذراء وينصر أعوان الخير وبذلك يسود السلام وتعم البركة .

وقد سادت المجوسية بلاد الفرس حتى انتصر الاسكندر الاكبر عليهم سنة ٣٣١ ق . م فانحط شانها الى حد ما وظلت حتى فتح المسلمون فارس ففر بعض اتباعها الى الهند حيث لا تزال طائفة « البارسيين » .

والمجوس يعبدون النار ويوقدونها فى المعابد وهم لا يدفنون موتاهم وانما يضعونهم فى ابراج لتلتهمها الطيور الجارحة وما تبقى من عظام يجمع ويلقى فى بئر تتوسط تلك الابراج .

ولله فى خلقه شئون .



على هامش لغتنا الجميلة

لابد من مواجهة قومية

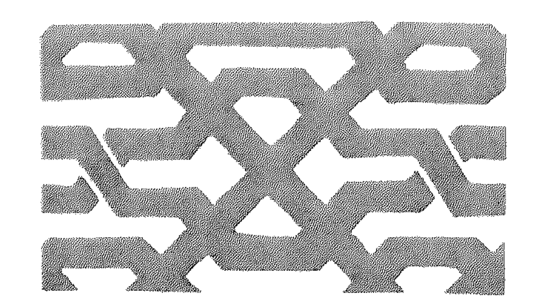
● فاروق شوشة ●

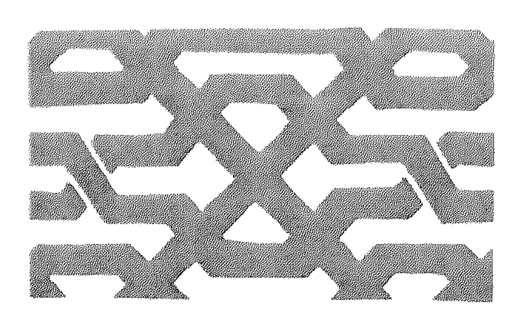
تتطلب المواجهة القومية لمشكلات لغتنا الجميلة ضرورة وضع خطة شاملة تنتظم البيت والمدرسة والجامعة وأجهزة الاتصال بالجماهير - من صحافة وإذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما - كما تنتظم ساحات العمل الرسمي ومواقعه في الدولة - داخل أجهزتها ومؤسساتها ودواوينها - بحيث يكون الوعي بهذه الخطة والعمل بها وأحكام دورتها ومسارها ، شاملا وفعالا .

واعتبار البيت نقطة البداية في هذه الخطة ، يتطلب مخاطبة أجياله من خلال صيغة جديدة تضع في اعتبارها التأثير المتبادل بين المتعلم وغير المتعلم في اطار حوار الاجيال ، والتوجه الى النشء المتعلم للغته القومية وهو لا يزال في مرحلة الطفولة ، والمتعلم لهذه اللغة شابا أو كهلا أو شيخا ، بحيث لا يكون هناك قصور في الوصول الى العنصر الانسانى كله - وهو جوهر العملية التعليمية - ويتحقق النفاذ الى انسان الحاضر والمستقبل في وقت واحد ،ومن خلال جهد دائب ومتصل . خاصة وأن المناهج والخطوات الراهنة تفصل ما بين هذه الاجيال في ممارستها لتعلم اللغة العربية من ناحية ، ثم هي لا تراعى التأثير المتبادل - سلبا وايجابا - مما يؤدى في النهاية الى قدر من التشتت والتمزق في عناصر الموقف التعليمي من ناحية أخرى . ومن هنا ينتظم تعليم الصغار وتعليم الكبار خطة قومية واحدة مدركة لحقيقة مسئولياتها والوشائج الوثيقة بين عناصرها ، ومستشرفة - عن وعي وبصيرة - حقيقة النتائج المرتقبة وطبيعتها . فاذا ما اتصل الامر بالمدرسة ، كشف الموقف التعليمي للغة العربية عن عناصر شتى ، تنتظمها الرؤية الشاملة ، منها ما يتصل بالمنهج ذاته ، وطبيعة اللغة المستهدفة فيه ، والهدف الواضح من تعليم هذه اللغة ، ومنها ما يتصل بالكتاب المدرسي واسلوب تأليفه ووفائه بالأهداف المرجوة ، ومنها ما يتصل بالمدرس القائم على التنفيذ ، ومنها ما يتصل بمناخ الحياة المدرسية وأنشطتها ، فضلا عن طرق التدريس وأساليب التربية ، ومدى ملاءمة ذلك كله لأهداف الخطة .

ونكتفي - في هذا المجال بعرض بعض النقاط عرضا موجزا ، وان كانت له دلالته على سائر زوايا الموضوع .

فبالرغم من المحاولات الدائبة والمستمرة - خلال عصرنا الحديث -





من اجل اكتشاف صيغة حية ومتطورة يمكن بواسطتها تعليم نحو اللغة العربية وصرفها بطريقة أكثـــر جدوى بدءا بابراهيم مصطفى صاحب نظرية احيـاء النحو وانتهاء بالدكتور محمـــد كامل حسين صاحب نظرية النحو المعقـول فى دعوته للعربية المعاصرة ــ وخلالهاكانت محاولات المؤلفين الداعين الى النحـــو الوافى والواضح والميسر والمصـــفى ، بالرغم من ذلك فان شكوى المتعلمين من دروس النحو العربى وعدم قدرتهم على النفاذ الى اسرار منطقه ، وبعـــدهم الشديد عن ممارسة قدر من السليقة اللغوية التى تحكمها ضوابط علم النحو وحدوده ، مما جعل النظرة الى درس النحو أو حصة « القواعد » تتسم دائما بالجهامة والغلظة ، والمبالغـــة فى مشاعر العداوة والنفور حينا والميل الى السـخرية والتهكم والاحســـاس باللاجدوى حينا آخر .

***

ولقد حاولت النظريات الحديثة فى التربية ــ من خلال مناهجها المستحدثة فى طرق التدريس ــ ان تربط بين تعليم قواعد اللغة العربية وغيرها من فروع تعليم اللغة ، بحيث تصبح ممارســة هذا العلم دائبة فى اطار دروس الأدب والقراءة ومعتمـــدة على النص الأدبى اكثر من اعتمادها على استذكار القاعدة النحوية ، الا أن ذلك كله لم يجد بالقدر المأمول ، ولا تزال المشكلة قائمـــة ، والشكوى عامة والمأساة فادحة .

ويأتي درس الادب ــ فى صـــورته الراهنة وعلى ما هو عليه طيلة احقاب طويلة ــ محققا لنظرية الهرم المقلوب . فمنطق واصعى مناهجنا التعليميـــة يقضى بان يبدأ تلميذ المرحلتين الاعدادية والثانوية تعرفه على ما يســمى بالادب العربى متمثلا فى أدب العصر الجاهلى . وبالاضافة الى اصطدام هذا التلميذ ــ من خلال أدب ذلك العصر ــ بالكلمات الحوشية والتعابير الوعرة والألفـــاظ المهجورة ، والصور الشعرية البعيـدة عن عالمه ومتناول ادراكه ، وقدرته على التمثل ، فان المشكلة الرئيسية هنـا هى فى ضرورة استيعاب الظـــروف الحضارية والتاريخية والنفســية التى تشكل الخلفيـــة الضرورية للعصر الجاهلى ، والتى بدونها ينعدم الفهـم بله التذوق لنصوص ذلك العصر مـن نثر وشعر ، ويصبح البنـــاء اللغوى للشعر الجاهلى منفصلا عن روحـــه وجوهره ودلالاته .

والمنطق السليم ، والبسيط ، يقضى بأن يبدأ الدارس تعرفه على ادب أمته من اللحظة الحاضرة ، من حاضر هذا الأدب ، المتمثل فى ادب المقـــالة التى تمتلىء بها الصحف اليومية والاسبوعية ، والقصيدة والقصة القصيرة والروايـة والمسرحية التى يطالعها فى مجـلة او كتاب ، او يستمع اليها او يشاهدها من خلال الاذاعة او التليفزيون ، فيبـــدا الدارس تعرفه على معنى الأدب وفنونه ومحتواه من خلال ما يموج به المجتمع حوله من فنون قولية تصله عبر قنوات الاتصال ، ويقرؤها ويتجاوب معها دون مشقة أو اعنات .

ومن منطلق العصر والمعاصرة يمكن الانتقال بالدارس الى ماضى هـــذا الحاضر الأدبى ، والى جذوره البعيدة والضاربة فى اعماق التاريخ ، وهــو يبدأ رحلته مع تراث امته العظيم .

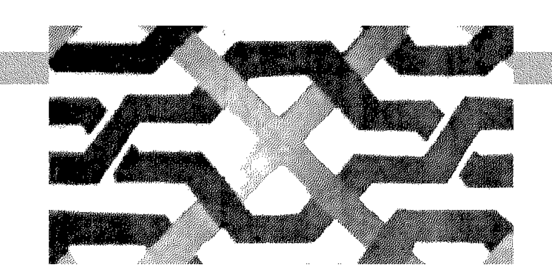
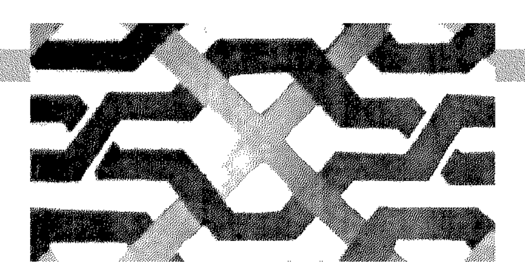
فالبدء بالحاضر اذن شيء اسساسي وجوهري وهام . ليس فقط كمنطلق ميسر مفهوم ، ولكن لابراز قيمةالتوازن في عطاء الأمة بين ما هو تراث وما هو معاصرة ، وحتى لا يجرفنا الحماس للتراث ـ وهو حماس له ما يبرره موضوعيا ونفسيا وقوميا ـ عن تأمل ما حولنا من واقع ادبي وفني متطور ، اشد التصاقا بهمومنا وأشواقنا وتطلعاتنا ..

***

ونصل الى درس البلاغة ، لنجد ما هو أفدح واشد وقعا . فما تتضمنه مناهجنا الدراسية منها لا يستطيع ان يبني ذوقا مدربا متمكنا قادرا على التعامل مع عطاء أدبنا المعاصر في شتى فنونه . فضلا عن أن الدرس البلاغي يقوم على نظرة خاطئة الى مفهومالتطور وحركة التاريخ . فهو يغرس ـ بوعي وبلا وعي ـ حقيقة أن عصور ازدهار الادب والبلاغة قائمة في الماضي وان على قافلة الأدب أن تمضي وعنقها متطلع الى الوراء ، يستلهمه القدوة والنموذج والمثال ، وعندما يصبح الماضي مستقبلا، فان معنى ذلك قفل أبواب الاجتهاد الأدبي والبلاغي وخنق بذور التطور والتمرد والتجديد والوقوع في أسر التكرار والتقليد ، من خلال حفاوة هائلة بكل ما هو منسوب الى القدماء ، بالحق وبالباطل أحيانا .

لن تستطيع دروس البلاغة هذه ، الغارقة في علوم البديع ، وضوابط الفصاحة والبيان ، أن تبني ذوقا ولا ان تكون حسا نقديا ، يمكنهما النفاذ الى ابداعات الحاضر الأدبي ، خاصة وأنها تعنى في جوهرها بالجزئيات أكثر من عنايتها بالادراك الكلي لمعنى الابداع، وقوانين العمل الأدبي في مجموعه ، وغاية الجهد أن تقف عند اللفظة والعبارة والتركيب ، وأنواع الاستعارة والتشبيه ، وقيمة الجناس والطباق والتورية ، أين منها الدعوة الى علم جديد للأسلوب ، ومعايير جديدةللنقد الأدبي المتوجه الى فنون القصةوالرواية والمسرحية والقصيدة بحثا عن حقيقة التجربة ومعنى الصدق والعلاقة بين الشكل والمضمون وحقيقة الصورة الأدبية ونظرية المعنى والعلاقة بين الأدب والمجتمع أو الفن والحياة بصفة عامة ، فضلا عن الفهم الجديد لأدبنا العربي في اطار النظرة المقارنة بينه وبين الآداب القومية والعالمية .

وتملك أجهزة الاتصال بالجماهير ـ خاصة الاذاعة والتليفزيون ـ بما أتيح لها من نفاذ وسعة انتشاره وعمق تأثير ، ان تحكم دائرة الصواب اللغوى والصحة اللغوية ، لو وضعت هذه الأجهزة في اطارها الصحيح من هذه الخطة القومية المنشودة . والذى لاشك فيه أن هذه الساعات الطويلة من الارسال اليومي ـ بكل ما تمثله من مواد اخبارية وترفيهية وثقافيةودرامية ومنوعة ـ اذا ما توفرت لها السلامة والدقة واتصف مقدموها بما ينبغي للمواطن السوى من حسن الادارك والتمثل للغته القومية ، فان التأثير الهائل المرتقب يفوق في نتائجه بكثير جهد كل من البيت والمدرسة في هذا المجال . فما بالنا لو اتسعت الدائرة لتشمل جزءا من نشاط فني المسرح والسينما ـ الشعبيين بطبيعتهما ـ واقول « جزءا » ولا أقول كل أو معظم، تمشيا مع المنطق الطبيعي للاشياء وادراكا لأهمية العامية وحتميتها كلغة تعبير عبر هذين المجالين في كثير من الأعمال الفنية المستهدفة ، لكن منشأن الخطة القومية ان تزيد من نسبة الفصيح بين الكم الهائل الذى تقذف به صناعة السينما ويموج به النشاط المسرحي ، وقبلهما الدراما الاذاعية والتليفزيونية ـ وهي في التحليل الأخير لكل استطلاعات الراى الخاصة بالاذاعة

والتليفزيون ــ المادة الأولى المفضلة لدى المستمع والمشاهد ، والاكثر نفاذا الى عقله ووجدانه والأشد تأثيرا فى سلوكه اليومى وفى تكوين اتجاهاته وتعديلها أيضا .

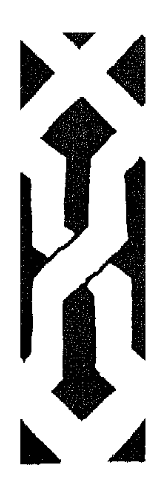
***

ولقد بدات اذاعة ((صوت العرب)) فى الآونة الأخيرة خطة قومية لتفصيح برامجها ، والالتزام بالعربية الفصحى ما امكن ذلك ، خاصة فى برامجها الثقافية والدرامية والمنوعة ، بالاضافة الى سابق التزامها ازاء البرامج الاخبارية والسياسية ، وهو جهد يستحق الاشادة والتنويه ، بالرغم من أنه ــ بالنسبة لاذاعة صوت العرب ــ يبدو امرا طبيعيا واساسيا ، وكان ينبغى الالتفات اليه منذ اللحظة الأولى لميلادها على الهواء . ويبقى ان تصحو بقية اذاعاتنا ، التى تغرق الان فى فيض من طوفان الدردشة بالعامية ، داخل اطارات الوان شتى من البرامج، ولا أستثنى منها اذاعة كالبرنامج الثانى ــ يفترض فيها الجدية والالتزام بالفصحى حيث أنها تخاطب الصفوة من المستمعين ــ فقد وقعت فيما وقع فيه غيرها ، مما دفع البعض الى تسجيل ظاهرة ((اللغة الخنثى)) فى البرنامج الثانى ، والتى يصفها بانها ليست فصحى ولا عامية .

وربما كان التطبيق السليم لفكرة المستويات فى لغتنا العربية المعاصرة ، يمثل طوق النجاة بالنسبة لاذاعاتنا الآن ، اذا ما أخذت بفكرة الالتزام بالمستوى العصرى من اللغة الفصحى فيما يستوجبه الموقف الاذاعى ، وبمستوى عامية المثقفين ــ وهو قريب جدا من الفصحى العصرية المنطوقة ــ فى برامجها الحوارية ، مما يؤدى الى رفع مستوى الاداء الاذاعى اللغوى ، ويرتفع بالمستمع فى الوقت نفسه الى حيث ينبغى دائما أن يكون .

ولا شك ان الهدف الواضح الصريح من هذه الخطة القومية ، التى نطالب بها وندعو اليها ، هو الوصول بالمواطن الى حالة الاتزان بين لغة يفكر بها ، ولغة يتكلم بها ، ولغة يضطر الى الكتابة بها ، ولن يتحقق القضاء على هذه الفوضى اللغوية بكل ظواهرها المربكة نفسيا واجتماعيا وثقافيا ، الا من خلال العمل الجاد الدءوب بهدف التوصل الى نمط المواطن الصحيح الذى هو التجسيد الحى للغة أمته . واذا كان القول الشائع بأن العيب فينا نحن وليس فى لغتنا صحيحا تماما ، وبقدر سلامتنا نحن وعصريتنا نحن تتحقق سلامة اللغة وعصريتها ، فان علينا ان نتجه الى هذا الانسان ــ خاصة فى فترات تكوينه الأولى ــ بكل ما يمكنه من ضبط واجادة مفاتيح هذه الآلة اللغوية ، والسيطرة عليها من خلال مهاراته المكتسبة ، تمهيدا لانطلاقه المتجدد واضافته الثرية ــ الى التراث المتراكم .

ذلك أن الانسان العصرى المتسم بالرؤية العلمية ، والتكوين الثقافى الصحيح ، هو القادر على ابداع لغته الحية المتطورة ، القادرة على استيعاب منجزات العلم والحضارة ، ومواجهة كل تحديات العصر ، فمن خلال ازدهار العلم والعلماء توجد لغة العلم ، ومن خلال ابداعات الاديب والمفكر والفنان توجد لغة الفكر والفن والحياة . ●



الإسلام والحياة المعاصرة

الثقافة من أجل المسلم المعاصر

● د . محمد كمال جعفر ●

● رأينا في المقال السابق ((هلال يناير ١٩٧٩)) ، كيف هيأ الاسلام ـ ممثلا في كتابه الكريم وهدى نبيه العظيم ـ كل سبيل لاطلاق الطاقات والكفايات الانسانية لما فيه الخير والتقدم والصلاح ، ورأينا انه لا توجد مواطن محظورة ، أو كفايات محجورة ، او افكار ممنوعة مادام الوصول الى الحق هو الغاية النهائية التي يسعى اليها الانسان . ولا يقبل الاسلام أن يحيا الفرد على الشك بدءا ونهاية ، أو وسيلة وغاية ، لانه يوقن أن الشاك المدمن للشك من اجل الشك نفسه ، تضطرب حياته ، وتتوزع نفسه ، حتى تشلها ثلوج التردد ، ويخيم عليها ظلام القلق الضال ، وتهوى بها الحيرة في مكان سحيق .

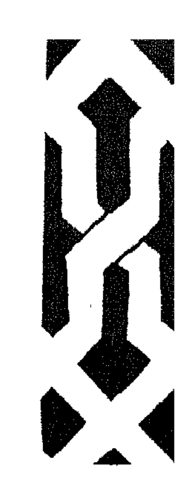
لقد وضح أن الاسلام يربط دائما بين المعرفة أو العلم او الثقافة والنتائج المترتبة عليها من حيث الصلاح او الفساد ، أو النفع والضرر ، ومن المعروف أن مستويات النفع والضرر ، او الصلاح والفساد انما تختلف باختلاف الميادين او الزوايا التي تتعلق بها المعرفة او الثقافة .

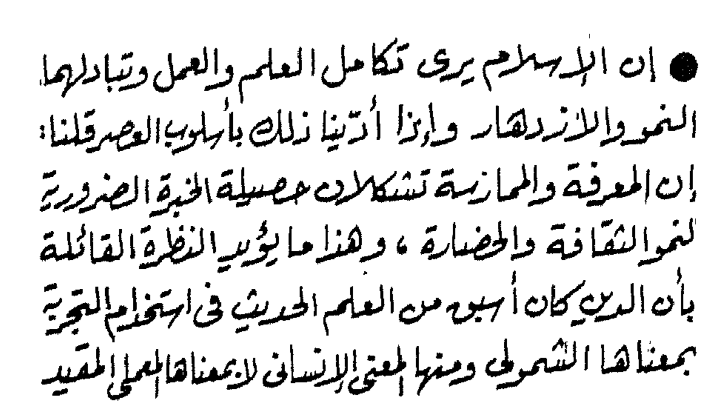
وخلاصة ذلك أن الاسلام يرى تكامل العلم والعمل وتبادلهما النمو والازدهار واذا ادينا ذلك بأسلوب العصر قلنا : ان المعرفة والممارسة تشكلان حصيلة الخبرة الضرورية لنمو الثقافة والحضارة وهذا مايؤيد النظرة القائلة بأن الدين كان أسبق من العلم الحديث في استخدام التجربة بمعناها الشمولي ومنها المعنى الانساني Experience لا بمعناها العملي المقيد Experiment وهذا الموقف الاسلامي الملتزم بتكافؤ المعرفة والتطبيق وتأسيس التقييم على هذه الركيزة القوية يفوق في الدقة والسعة كثيرا من مواقف المذاهب الوضعية الاخرى كالبرجماتية مثلا لان الممارسة في الاسلام تستضيء دائما بالفكرة الموثقة ، وتحل كثيرا من المشكلات الاخلاقية على خير وجه بمبدا الاسوة الحسنة وهو افضل المبادىء وانجعها في هذا السبيل .

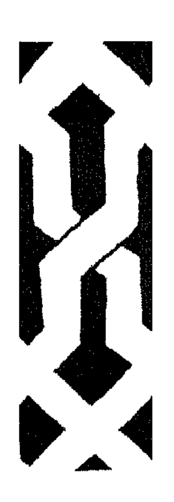
ولا يشك عاقل في اهمية الثقافة في اعداد المسلم المعاصر . ويتقدم هذا المقال خطوة جديدة يحاول فيها أن يرسم اطار هذه الثقافة من حيث المدى ، وان يقترح العناصر اللازمة لتركيبها من حيث التكوين ، وان يتخيل آثارها العملية من حيث المستقبل .

ومادمنا بصدد تثقيف المسلم المعاصر فلابد ان تكفل لزاده الثقافي الاصالة والتميز من جهة ، والمعاصرة ومواكبة الحياة من جهة اخرى . ولا يتم ذلك الا بالانبثاق الواعي من الاسلام ، فهذا الانبثاق يقدم الضمانات الموضوعية لتحقيق الأصالة وتثبيتها ، ويتيح الفرصة في الوقت ذاته لانماط عديدة من صور التجديد لمواكبة الحياة .

ان الروح الاسلامية المستوحاة من القرآن والسنة علمت الخلص من المتصدرين لصنع الثقافة في العالم الاسلامي حقيقتين هامتين ، هما في نظرنا موضع اعتزاز كل منصف نزيه ،







الحقيقة الاولى تتعلق بالتمييز بين ضربين من الاعداد الثقافى :

الاعداد والاتجاه الاستيعابى الافقى المستعرض الذي يسير على مبدأ « من كل بستان زهرة » . وهذا الاتجاه يضع فى الاعتبار ضرورة الاحاطة والالمام بخلاصة الحصيلة الثقافية والفكرية لجوانب الحضارة فى أسرع وقت وأقرب جهد .. أما الضرب الثانى فهو الاتجاه التخصصي المتعمق والمستقصي لمعرفة جزئية محددة او موضوع بعينه ، وهذا الاتجاه يقصد الى الاجادة والاتقان لفرع أو لآخر من فروع الثقافة المختلفة .

وانا لنجد فى تراثنا الاسلامى نماذج لهذين الضربين ، ولكل انصاره ومؤيدوه ، وقد استحر الجدال حول هذه الظاهرة بين الفريقين بما يشهد حقيقة بالحيوية والطاقة التى فجرها الاسلام فى نفوس هؤلاء الأعلام . ومن رجع الى هذا التراث العريق وجد المؤلفين المتخصصين ، ووجد المؤلفين الموسوعيين ، ووجد الى جانب هؤلاء وأولئك من يجمع بين الاتجاهين : فاذا فكر فى ان العمر قصير والمعرفة واسعة وفروع الثقافة عديدة ، رجح عنده الاتجاه الموسوعى فالف فى سعة وشمول ، واذا فكر فى فرع معين من الثقافة واعجب به ، الف فيه على جهة التدقيق والتمعن والتخصص .

هذا فيما يتعلق بالحقيقة الاولى التى افادها المسلمون من الروح الاسلامية المستوحاة من القرآن والسنة ..

الحقيقة الاخرى ـ وهى برهان فخار وكرامة للانسان ، وشاهد فضل واسع من عميم الاحسان ـ جل شأنه ـ تتعلق باستمرار التطور الفكرى . وهذه الحقيقة يجب أن يعيها المسلم بصورة تليق بكرامته العقلية ، لا بالصورة التى تفتعلها بعض المذاهب السطحية .

ولا يمارى أحد فى ان الأديان ذاتها تمثل حلقات متتابعة فى هذا التطور حتى بلوغ الانسانية رشدها بفضل الصيغة النهائية الخاتمة لهذه الاديان ، ممثلة فى الاسلام . فلا عجب اذن أن يقف الاسلام متميزا فوق مصادر الانماط الثقافية باحتوائه على خصيصة فريدة لا يشاركه فيها دين او مذهب فكرى .

ان هذه الخصيصة تتصل بالتنبؤ باقصى الابعاد المحتملة للتطور كما تتحمل الطاقة الذهنية للبشر ، فالواقع ان فكرة التطور فى الاسلام لا تقف عند حد هذه الحياة الموقوتة المحددة ، بل تمتد الى الحياة الاخرى مع دوام مبدأ الترقى وازدياد المعرفة والخبرة .

ولم أصادف فيما قرأت عن الأديان او المذاهب الانسانية نصا يدل على الحاجة الى العلم او المعرفة فى الآخرة وان وظيفة التعليم والتعلم تستمر فى هذا النمط الجديد من الحياة ـ كما وجدت فى الاسلام ..

ودون استقصاء للشواهد والنصوص نكتفى بمثال من القرآن ، ومثال من السنة . أما المثال الاول فيتمثل فيما علق به المفسرون على قوله تعالى ((لتركبن طبقا عن طبق))

وأما المثال الثاني فما ورد عن احتياج أهل الجنة الى العلماء ، لان الاولين ــ حين يستوفون غاية آمالهم ، وقمة تطلعاتهم ــ تقف هممهم دون التقدم للمزيد لعدم درايتهم بما وراء ما استوفوه ، فيلجأون الى العلماء ليبصروهم بما ينبغي أن يطمحوا اليه في خطواتهم المتقدمة .. لان هؤلاء العلماء اقرب الى ادراك ما يليق في ضوء معرفتهم بربهم وبما يليق بكماله وجلاله .

ونريد ان نتامل هذه الفكرة في عمق ــ والا نظن ان المسألة تتعلق بطلبات أهل الجنة وقوائم رغائبهم ــ اذ الواقع ان هذه الفكرة ترمي الى تنبيه العقل البشري والوجدان الانساني الى الامكانات الهائلة التي منحها الانسان ، كما ترمي الى التنويه بالمصير اللامحدود في ترقي هذا الكائن ، وفي نفس الوقت تشير الى لا نهائية الكمال الالهي ـ الذي تسبح في آفاقه ارقى العقول واصفى القلوب ، والذي يظل القدر الاكبر منه غيبا تتكشف بعض جوانبه تباعا مع نمو المعرفة واطراد الترقي ...

ولعلمائنا كلام طيب حول لفظ ((المزيد)) الذي ورد في قوله تعالى ((لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد))

تحديد الثقافة وتجديدها

ان من الاهمية بمكان تحديد مفهوم الثقافة ووصفه في أوجز صورة حتى تتضح امامنا الصورة التي نريد أن تكون عليها الثقافة الاسلامية أو بالاصح ثقافة المسلم المعاصر .

اننا نقصد بالثقافة هنا ذلك الزاد الذي يغذي الفكر والوجدان ويطوع السلوك ويعين على صنع وتفهم عناصر الحضارة . ونقصد بالتجديد ، تجديد امثلة وصور الواقع المشكل لجزء هام من الحقيقة الكبرى التي يجب أن يعيها المثقف ، هذا التجديد يرمي الى الربط بين المعارف المختلفة التي يزخر بها عصرنا ، والمشكلات التي تواجهنا والتيارات الفكرية التي تهب ريحها فتلفح وجوه شبابنا بزمهريرها احيانا ، وشواظها احيانا اخرى دون وقاية او حماية فكرية او ثقافية .

ولسنا نعني بالوقاية والحماية هنا مجرد الحيلولة بين شبابنا وهذه التيارات ، أو حجب هذه الافكار والمذاهب عنهم ، فقد علمتنا الحياة ان الافكار الممنوعة هي أكثر الافكار رواجا ، لان احب شيء الى الانسان ما منع .. ونرى في مثل هذا المسلك لونا من الجبن والغباء المؤسف ، والجهل الفاضح بنتائج هذا المسلك الهزيل المستخذي .

اننا نعني بالوقاية اشراب شبابنا حصيلة المعطيات المستنبطة من روحنا الديني في المجال الثقافي بحيث تكتسب عقلياتهم المناعة الحقيقية والحصانة الذاتية ، فلا ينطلي عليها زيف مهما احكمت حلقاته ، وتتهاوى على اعتابها المذاهب المنحرفة مهما اجيدت حبكتها .

اما الاطار الذي يحوى خلاصة الزاد الثقافي المقدم فهو اطار يتسع لكل الوان المعارف العلمية والدينية والفنية بما يحقق التكوين اللائق للمسلم المعاصر .

ولكي نضع ذلك في صورة تامة الوضوح يمكننا أن نعرج مؤقتا على انماط تصانيف العلوم التي تتخذ الملكات الانسانية اساسا لعملية التصنيف ... ان اصحاب هذه التصنيفات يختلفون زمنا وجنسية ودينا : فهناك الفرنسيون في مطلع النهضة ــ مثل دوركايم واوجيست كونت ، وهناك الانجليز عقب النهضة ــ مثل بيكون وبرتراندرسل ، وهناك الامريكيون في مشارف القرن العشرين مثل ديوى ، وجيمس ، وبول موى ، وهناك قبل هؤلاء وأولئك المفكرون المسلمون ــ مثل الفارابي ، وابن سينا ، ومسكويه ، والغزالي ، والتهانوى ، وغيرهم كثيرون . وتوجد تصنيفات جيدة لدى كل من علماء الاصول وعلم الكلام ، كما توجد اشارات قيمة في هذا الصدد لدى ابن

تيمية وابن قيم الجوزية وابن خلدون.

ولا يتسع المقال لاستعراض هذه التصنيفات والمقارنة بينها واستخلاص الاساس المشترك الذي يجمع بينها باعتبارها استجابة لاحتياجات الانسان بما هو انسان . ولكننا بالرغم من ذلك قد نوهنا بما سيكون عليه الامر بشأن هذه الثقافة المقترحة وهو الاخذ بمبدأ الكفايات أو الملكات الانسانية كأساس للتصنيف المعتمد ويختصر ذلك كله فيما يشبع الفكر والوجدان والسلوك ..

غير ان النظرة الموضوعية الى واقع الأمر بالنسبة لشبابنا تفرض علينا ان نراعي أن يكون الزاد الثقافي المقدم لهؤلاء على مستويين يختلفان اجمالا وتفصيلا ، أو اسهابا واختصارا، ولكنهما يتفقان جوهرا واصولا . وتلك حكمة تمليها التجارب ، وتحتمها طبيعة الاشياء ، اذ لا يعقل ان يكون الشباب المعاصر على مستوى وعي واحد .

ولا يظنن أحد أن الالتزام بالانبثاق الاسلامي لهذا الزاد الثقافي ضمانا للأصالة قد يعني الاتيان بنمط ثقافي يتناقض مع المنجزات العلمية المعاصرة بحكم انه اسلامي ، فالحقيقة أن هذا النمط الثقافي ينتفع بهذه المنجزات في تأيد الانطلاق الاسلامي نفسه ، وبذلك يثبت للشباب ان العلم في صميم جوهره حليف للدين لا عدو .

ولايضاح ذلك بالمثال نقول: انه لا داعي مطلقا لان نصدر فتاوى توقيتية حول كل مايجد في حياتنا الحضارية مادام معنا الاساس العام والتصور الاسلامي الكامل لأبعاد التطور الانساني كما حوته الثقافة المقترحة . ان هذه الثقافة تفرس فيما تفرس ، أن هذه الحياة ستكون معرضا لاروع صور التطور وان مبلغ ذلك كله لايتجاوز ظاهر هذه الحياة ، وان أي كشف علمي يكتسب به الدين الاسلامي دعما جديدا .

ان فهم الروح الاسلامية الصحيحة كما تشيعها هذه الثقافة يهييء الانسجام والاتساق بين مواد المعرفة وعناصر الثقافة ، ويفضي الى خلق الشخصية الموحدة والموحدة ، والايجابية في كل ما يعهد اليها به ، ولذلك نرى من الضروري خلق المواءمة والاتساق بين نتائج المعرفة المختلفة داخل هذا الاطار الاسلامي الموسع ، ومن ثم لا تتبلبل أفكار وخواطر الشباب حول نتائج المخترعات الحديثة، أوحول الانتصارات العلمية مع تصريحات العلماء انفسهم حول القضايا او المسائل الدينية .

ويجب أن يوضح في هذا الزاد الثقافي الجديد أن العناية بوجهة النظر الدينية ليست الا لتحقيق أمثل الفرص لضمان الدقة والصلاح والنفع الذاتي للمثقف . وبالطبع لا نسلك الى ذلك طريق الوعظ او الخطابة او الكتابة المنمقة وانما يسلك الطريق الملائم لطبيعة الحقل الذي تعالجه هذه الثقافة.

وقد يكون من المفيد الآن ان نشير الى اهم الجوانب التي يجب أن تمثلها الثقافة الجديدة على المستويين المشار اليهما آنفا ، وهذا التحديد تقريبي قابل للبسط أوالطي على النحو التالي:

أولا : **الجانب الديني الخالص** وفيه تصنع التركيبة الثقافية التي تمزج الاحكام الدينية وعللها العقلية وآثارها النفعية ، وعلاقاتها بكل من الفكر والوجدان والسلوك ، كما تربط بالمبادىء والقيم وصورها الواقعية الممثلة في الرواد والأعلام الذين هم موضع القدوة من الاسلاف والمعاصرين تأكيدا للفاعلية والحيوية التي يمكن أن تؤدي اليها هذه القيم والمبادىء .

وفي هذه النقطة بالذات نود أن نؤكد على ضرورة الحصانة والدقة في اختيار الاسلوب والطريقة والمنهج الذي تقدم به الثقافة الخاصة بهذا الجانب . ويجب أن يلاحظ ان هذا الجانب الديني لا يقتضي بالضرورة أن يفسر تفسيرا عقليا صرفا ـ كما هو داب هؤلاء الذين يتباهون بقدرتهم على احالة النظام

الديني الى نظام عقلي بحت ، وهم في ذلك مخطئون أشد الخطأ ، لان احالة سائر النظام الديني الى نظام عقلي صرف هو الخطوة التمهيدية الطبيعية لالغائه او النيل منه . **فطبيعة الدين تفترض أن يكون فيه بعض العناصر التي تتجاوز الحدود العقلية للانسان ، لكنها لا تتنافض مع هذه الحدود .**

ولو لم يكن الامر كذلك لأضحى النظام الديني والنظام الفلسفي شيئا واحدا قابلا للاخذ والرد ، وهذا ليس صحيحا ومن أجل ذلك دعونا الى أن تكون لدينا **فلسفة دينية** ، ورفضنا أن يكون لنا **دين فلسفي .**

وعلى هذه الاقلام التي يسيل منها الاستخفاف بالجوانب الغيبية في الدين بدعوى التحرر والتقدم العقلي ، ان تتطامن وتخشع أمام محراب الحقيقة بناء على قانون العقل نفسه . ان اصحاب هذه الاقلام قد يتظاهرون بانهم يحاولون تعقيل الدين ، واظهاره — في زعمهم — بالمظهر اللائق ، وهم في الواقع يتابعون في سذاجة اقلاما مشبوهة تخطط للنيل من هذا التمكن الذي تتصف به العقيدة الاسلامية .

وقد أطلنا الحديث في الرد على هؤلاء في بعض مقالاتنا السابقة وخلاصة ماانتهينا اليه أن الايمان بالغيب سمة من سمات الكمال البشري ، لانه افساح للعقل والقلب وتوسيع للأفق وعلو الهمة وتتويج للاساس اليقيني الذي يركن اليه المؤمن بعد وضوح براهين الصدق الحاسمة بالنسبة لدينه والمتمثلة في اطراد صدق الداعي وأحقية الدعوة .

وقد بينا في غير هذا السياق كيف يعتمد العلماء التجريبيون المحدثون في اختراعاتهم على فروض ظلت غيبية فترة طويلة ، ثم جلاها الكشف فاضحت شهادة وقانونا ، بعد ان كانت فرضا وغيبا .

ثانيا : الجانب العلمي الخالص وهو ثاني جوانب الثقافة المقترحة ويجب ان نراعي فيه الربط بين النتائج العلمية المختلفة بحيث لا تدفع الى الشباب مبعثرة لا يضمها سمط ، لان ذلك قد يحرم الشباب من رؤية الحقيقة الكبرى التي تكمن وراء هذه النتائج، وهذه الحقيقة الكبري هي النبع الاصيل لدينه .

وهذا الموقف الذي يؤلف بين النتائج العلمية ويضعها في نظم مترابط جذاب يختلف بالطبيعة عن موقف العالم نفسه حين يستقصي في بحوثه الجزئية الاحتمالات الممكنة لفروضه او لتجاربه حتى يصل الى نتائج محددة ، كل نتيجة تقف بذاتها مستقلة مقطوعة الصلة أحيانا بالنتائج الاخرى بحكم التخصص الضيق والدقيق للعالم . ولا مانع من أن يقدم الزاد العلمي أيضا على مستويين: المستوى المتوسط الذي يلائم جمهور الشباب المثقف . والمستوى السامي الذي يلائم المستزيدين .

ثالثا : الجانب الوجداني : ويعرض في هذا الجانب ما يرهف الوجدان ولا يرعبه ، أو ينال من قوة تحمله . وبدهي أن هذا الجانب يعتمد في الاغلب على المجالات الفنية والجمالية وفي هذا الجانب حقا تسنح الفرصة الغالية للربط بين القيم الجمالية وقيمنا الخلقية في غير تزمت أو تحلل . واننا لموقنون بأن الالتزام الخلقي النزيه لاينال من الكمال الفني ولا يعوق ترقيه .

ولابد من كلمة صارخة في هذا الجانب الى كل مسئول عن تثقيف المسلمين ، وكل موهوب في شتى الميادين الفنية والجمالية .

اننا نشكو حقيقة خلو زادنا الثقافي الاسلامي مما يربي الذوق والتذوق الجمالي ، وخلو نظمنا التربوية مما يرعى حاسة الجمال منذ نشاتها في الطفولة رغم العناية الفائقة التي يوليها اعلام المربين في شتى بقاع العالم في هذا

الصدد ، ورغم الجهود الصادقة التى بذلها الاسلاف فى هذا السبيل .

اننا نريد ان نحقق بهذا الزادالمتعلق بهذا الجانب الوجدانى ان نعين المسلم المعاصر على انجاز شيئين هامين : تقدير الجمال وتذوقه ، ثم خلق الجمال وابداعه .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الفن والجمال قد ضما الى رسالتهما الاصلية رسالة اخرى لا تقل اهمية وخطورة وبخاصة فى الميدان السياسى كما وضح ذلك تماما فى المؤتمر الثقافى العالمى الذى عقد فى امريكا ١٩٤٩ بالنسبة لرسالة الموسيقار .

ان الوسائل المستخدمة لاشباع هذا الجانب والتى تشمل الكلمة واللون او الصورة والصوت او النغمة يجب ان تكون هى الاخرى ملتزمة بالدقة والامانة والصدق ، وان تكون دافعة على تكميل البناء النفسى والحضارى فى الانسان وليس على هدم القيم او تشويه الواقع الذى تحياه الامة فعلا . وهذا لا يتم بالطبع الا اذا كان من يعد مثل هذا الزاد ذا غاية نبيلة وهدف شريف .

لقد آن الاوان لان يقدم الفن غير هياب لياخذ مكانه فى دفع عجلة الحضارة الثقافية ، وتكميل المسلم المعاصر مادام قد تنسم اريج الاسلام ، وحلق فى افقه الرحيب . ولا يحسب الفنان ان الاسلام يقيد حريته باكثر مما تقيده به انسانيته الخيرة الهادفة الى الحق والخيروالسلام

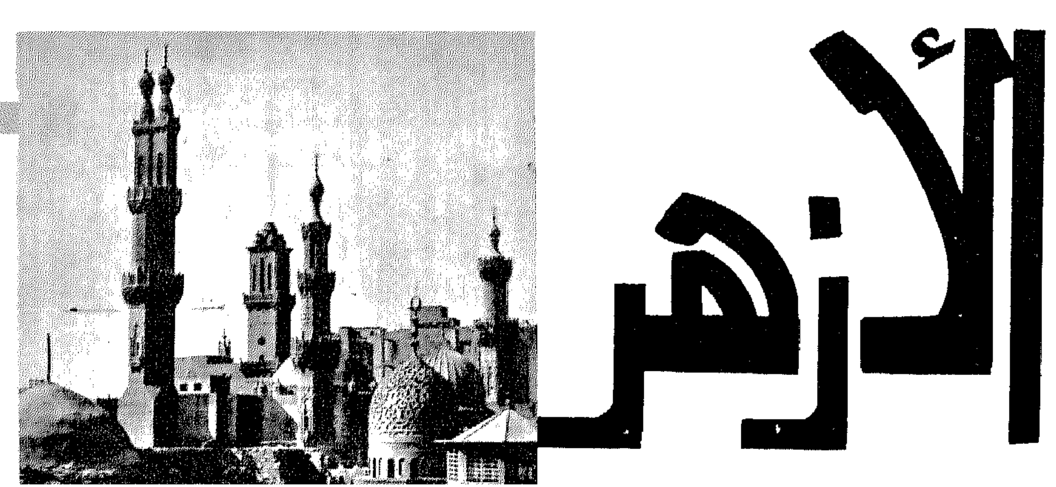
ان استكمال هذه الجوانب الثلاثة فى التركيبة الثقافية المقترحة يصنع الزاد الثقافى للمسلم المعاصر . وهو زاد يجمع بين الاصالة — من حيث انبثاقه من الاسلام وجمعه العناصر الثابتة الاصيلة فى التراث — وبين المعاصرة بما يتضمن من الصور والامثلة المعاصرة التى تربط الحاضر بالماضى — لا بمجرد العودة اليه والانفصال عن العصر ، بل باحياء وتجديد ما نحتاج اليه من الافكار والمناهج .

ان من الواجب ان يجند لاعداد هذا الزاد الثقافى فريق من العلماء والفنانين والمفكرين والتربويين فى حقول الثقافة المختلفة . وهذا الفريق لا ينبغى ان يقتصر على المتخصصين المحترفين ، لان هؤلاء المتخصصين — كما اسلفنا — قد يكون فيهم قصور ضيق النظرة نتيجة للمبالغة فى التخصص وطرح ماعداه .

ان على القائمين على امر الثقافة الاسلامية ان يعملوا على تجديد هذه الثقافة بحيث لا يقف شبابنا حائرا بين حاضر لا يستطيع ادراكه ، وبين ماض مفصول عن الحاضر ، وعلى الهيئات الاسلامية والجامعات العربية وذوى الكفاءة من هذه الامة ان يكرسوا جهودهم لانتاج هذه الثقافة الآن ، لان الظروف تلح على ضرورة ذلك . ولا ننسى دائما ان الثقافة المستقيمة تنتج الانسان المستقيم البناء ، وما احوجنا الان فى هذه الفترة التى تمر بها امتنا الى مثل هذا الانسان . الانسان الذى يعيش معه الناس فى راحة ، وتعيش نفسه معه فى تعب وكد .

ان ماقد نجده فى هذه الثقافة المقترحة على سبيل المثال تفسير القرآن تفسيرا يجمع بين مايشبع الفكر والوجدان معا مع تأكيد اهمية التطبيق ، كما نجده شاملا لخلاصة العلوم الاسلامية المساعدة لادراك الحقائق القرآنية فى وضوح ويسر ، على الا نغفل عرض زبدة الحياة الروحية والخصائص التربوية للحياة الصوفية المستقيمة . ولا تغفل خلاصة النتائج والحلول المشكلات الفكرية والدينية والمدنية بنفس المرونة والانطلاق الذى نتمتع به فى معالجة قضايانا الفنية والجمالية .

وما اعظم ثقافة انطلقت من دين يجعل الانسان خليفة للخالق فى الارض ، ويمنحه مكان الصدارة والسيطرة بين الكائنات .. انها ثقافة تبنى وتغنى وتعد للنهوض باضخم المسئوليات . .



الأزهر
مناهجه ومشكلاته العلمية

● د . احمد شلبى ●

احس باننى من اكثر الذين تغنوا بامجاد الازهر ، وابرزوا دوره العظيم فى خدمة الاسلام واللغة العربية عدة قرون ، وليس ولائى للازهر راجعا الى اننى ازهرى النشأة فقط ، بل لانى مصرى عميق الولاء لهذا الوطن ولكل المؤسسات الناجحة به ، ثم لاننى مسلم شديد الوفاء والتقدير لكل ما يخدم الاسلام ويرفع شانه .

ولكن حبى للازهر يلزمنى أن أتمنى له ان يقوم بدوره خير قيام ، وان يستمر تطوره مع تطور الزمن ليظل منارة يستضىء بها المسلمون ، ويهتدى بهديها المترددون ، بيد أن الامانى لا حياة لها بدون عمل وبدون جهد ، والعمل لتطوير الازهر قليل وخافت ، وذلك شىء اثار غيرتى عليه ، وينبغى ان يثير غيرة كل مصرى وكل مسلم .

وبسبب صلتى بالأزهر وبالدراسات الاسلامية تجدنى عضوا فى كثير من اللجان الازهرية وفى اجتماعات اسلامية بالازهر ، وقد رأيت فى اللجان والاجتماعات عجبا ، واتخذت فيها كل ما أستطيع من اليسر والحكمة لنخدم الازهر والفكر الاسلامى به ، ولكنى للاسف قابلت اتجاهات معوقة ، وكان من اخطر المعوقات محاولة اسدال الستار على ما نشيره من فكر ليطويه الزمن ويشمله النسيان ، ولذلك قررت شيئين مهمين هما :

اولا : أن انقل هذه المشكلات الازهرية الى الراى العام عن طريق المجلات والصحف والاذاعة والتليفزيون ليرى المصريون والمسلمون مايعانيه الازهر وليقولوا كلمة الحق فى هذا الشأن .

ثانيا ـ أن يتجدد هذا النداء الانسانى حتى نغلب أولئك الذين يسكتون لينسى الناس مايثار من الاراء النافعة والناجحة وسنظل لذلك ندق الابواب الموصدة حتى تنفتح هذه الابواب .

والموضوعات التى سأعرضها عن الازهر كثيرة ومتلونة ، ومن اهمها المناهج الدراسية وتطوير الازهر ، وفى مقالى السابق « بالهلال » اثرت بعض نقاط عن المناهج الاسلامية بالازهر وكيف أنها بعيدة عن المناهج الاسلامية الصحيحة ، كما انتقدت القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م المسمى بقانون تطوير الازهر ، وقد طلب منى بعض القراء مزيدا من الشرح لهذين الموضوعين

ليتعرفوا على حقيقة ماحدث للمناهج من تحريف ، وليعرفوا المزيد عن هذاالقانون الذى لم يتح لهم ان يطلعوا عليه ، وفى هذا المقال نستجيب لهذه الرغبة الكريمة .

عانت المناهج الاسلامية هجوما معاديا ضدها ، سافرا حينا ومختفيا حينا آخر ، وقد بدأ هذا الهجوم مبكرا ، واستفحل فى عصور الظلام ، وبسبب حركة بعض مذاهب الشيعة المغالية فى التشيع التى سببت الانحراف فى الدراسات الاسلامية ، وحركة الصراع حول اللغة العربية فى البيئة الفارسية ، تلك الحركة التى احالت اللغة الى قواعد والغاز ، وقد لعبت البصرة والكوفة دورا خطيرا فى هذين المجالين ، بيد ان مدرسة العراق توقفت نهائيا بالغزو المغولى الذى دمر كل شىء ، وكذلك اضعف الغزو المغولى مدارس الشام .

هذا عن الجانب الشرقى من العالم الاسلامى ، وفى نفس الحقبة تقريبا ، كان زحف الفرنجة على الاسلام والمسلمين فى اسبانيا ، ويمتد خطره الى الشمال الافريقى . ولم يبق من موئل الثقافة الاسلامية واللغة العربية غير مصر او قل غير الازهر فى مصر ، ومن هنا يلزم ان نقف وقفة مع الازهر لنراه وهو يعانى من مناهج عصور الظلام .

المناهج المنحرفة

انشىء الازهر كما هو معروف فى العهد الفاطمى « ٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ » وكانت العناية فيه تتجه للدراسات الشيعية ، فلما قامت الدولة الايوبية أوقفت الدراسة بالازهر ، وانشأت المدارس امتدادا للمدارس التى انشأها نور الدين محمود فى الشام ، ولما انتهت الدولة الايوبية وقام العهد المملوكى على اثرها ، اعيد فتح الازهر ، ولم يكن فى حول المماليك أن يضعوا له المناهج السليمة ، فانحدرت الى الازهر مناهج العصور الوسطى بما فيها من تحريف خطير ، قتل بعض العلوم المهمة كمقارنة الاديان والحضارة الاسلامية ، وانحرف بعلوم أخرى عن المسار الصحيح ، وكان الازهر على أى حال شعلة نور بين الظلام الحالك آنذاك فى كل اتجاه ، وكان هذا النور الضئيل من الثقافة فى الازهر خيرا من الجهل الذى كان مطبقا فى كل مكان ، ثم جاء العصر العثمانى فزاد الطين بلة ولم يخلق هذا العصر فرصة تغيير أو تحسين ، وربما خلق فرصة للمزيد من السوء .

وبعد العثمانيين جاء الاستعمارالغربى وكان هذا الاستعمار يرى فى الدين الاسلامى وفى اللغة العربية وفى الازهر اعداءه الالداء ، ومن هنا تفنن الاستعمار للنيل من هذه القوى الثلاث ، فقلل من قدر معلم الدين الاسلامى ، وجعل هذه المادة اضافية لا امتحان فيها وحقر من قدر مدرس اللغة العربية ، وجعل مرتبه حوالى ربع مرتب مدرس اللغة الانجليزية ، وترك المزيد من الظلام يزحف على الازهر .

وعندما اتضح ان الازهر لم يعد يستطيع ان يحمل رسالة الفكر تقدم الاستعمار فاكثر من انشاء المدارس ، ووضع فيها مايشاء من ثقافات ، وترك الازهر يئن تحت عبء السنين الشداد ومناهج عصور الظلام .

وما يسمى تطوير الازهر !

وبعد الاستعمار الغربى جاءت ضربات للازهر لم تكن ضربات خفية ، ولم تكن خطوات خطوة اثر خطوة ، وانما كانت ضربات علنية وقاتلة ، كانت فى ثوب قانون سمى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ .

ماذا يقول الازهريون وغير الازهريين عن هذا القانون الذى ينبغى أن يسمى قانون « تدمير الازهر » وليس تطوير الازهر ؟

يقول الدكتور محمد البهى وزير الازهر عند اصدار هذا القانون :

ـ **ان قانون تطوير الازهر كان يقضى**

باغلاق كلياته الثلاث « اللغة العربية ، وأصول الدين ، والشريعة » وان يحل محل هذه الكليات « كلية الدراسات الاسلامية » التى انشئت فعلا لتعود للدرس على حصير المسجد (١) ولكن ذلك المخطط لم ينفذ الى النهاية خوفا من الجماهير المسلمة بمصر وبالعالم .

وقال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الاوقاف وشئون الازهر السابق فى مجلس الشعب (٢) : ان قانون تطوير الازهر لم يكن لرجال الازهر رأى فيه ، وقد نزل هذا القانون على الازهر « بالباراشوت » واننا مسوقون الى المحاذير نتيجة لهذا التطوير ، ولولا العناية الالهية لما بقى الازهر بعد هذا التطوير حتى الان .

وقال فضيلة الاستاذ الشيخ صلاح ابو اسماعيل رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب : **ان قانون تطوير الازهر الصادر فى يونيو سنة ١٩٦١ صدر فى ليلة ظلماء ، ناقشه المجلس واقره فى ليلة واحدة ، والقانون ليس تطويرا ولكنه تدمير ، وهو جناية فى حق الازهر (٣) .**

ويقول الاستاذ فتحى رضوان ، وكان احد وزراء ذلك العهد ، فى مقال عنوانه : « الازهر بين التطور والمسخ »: « ان الكثيرين حاولوا أن يحولوا دون صدور هذا القانون الذى فاجاهم ،وكأنه البلاء النازل ، فلما لم ينجحوا بقوا مؤمنين أن الزمن سيثبت أن مصلحة الازهر ، وماضيه الطويل ، واسمه المضىء ، ومصلحة المسلمين .. تقضى كلها بالغاء هذا القانون .

« وقد كان أول الحوافز على معارضة هذا القانون أنه لم يكن ثمة وقت متاح لمناقشته وكان هذا شيئا يدعو للعجب ، فكيف يعد مشروع يتصل بهذا المعهد العريق دون أن يرجع بشانه الى علماء الازهر ، ورجال الفكر ، وكيف تحدد لمناقشته خمس ساعات أو ست ويختار لمناقشته اليوم الاخير فى دورة مجلس الامة ، مما جعل من المستحيل مدارسة القانون ، وأن تقال فيه كلمة الحق ، **بل لم يكن هناك وقت لقراءة النصوص وأخذ الرأى فيها ، فكان يكتفى بتلاوة أرقامها فقط للموافقة على المادة دون معرفة نصها .**

« وقد عجز هذا القانون عن أن يميز بين التطور الذى هو حركة حيوية تصدر عن الكائن الحى نتيجة لتفاعل هذا الكائن بما حوله تفاعلا سليما وبين التلفيق والاصطناع الذى هو تغيير خارجى مفروض على الكائن الحى قاهر لارادته » .

***

والعجيب ان هذا القانون الذى إشترك فى الهجوم عليه ثلاثة وزراء ، ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب لم تمتد يد لاصلاحه ...

والان نجد من حق القارىء ان نبرز له بعض مثالب هذا القانون الظالم على الازهر وعلى الاسلام .

١ ـ انشأ هذا القانون كليات طب وهندسة وزراعة وتجارة . والصقها بالازهر ، واخذ طلابها غالبا من الحاصلين على الثانوية العامة ، دون اعتبار لمقدار ثقافتهم الاسلامية ، أو قدراتهم فى اللغة العربية ، ولهذا فهم غرباء على الازهر ، لا تربطهم به رابطة ذات بال .

٢ ـ يمضى الحاصلون على الثانوية العامة سنة تمهيدية قبل أن يلتحقوا بالكليات العملية التى سبق ذكرها ،وقد كانت هذه السنة الضائعة سببا فى أن الطلاب الذين حصلوا على مجاميع كبيرة فى الثانوية احجموا عن الالتحاق بكليات الازهر ، حتى لايضيعوا عاما من اعمارهم وبهذا قضى هذا القانون بأن يكون مستوى كلية طب الازهر أقل بكثير من

(١) حديث (بندوة العلماء) سمعته بنفسى مع جماهير المستمعين وهو لا يزال مسجلا بالتليفزيون .

(٢) ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٧

(٣) ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٧



مستوى كلية طب جامعة القاهرة مثلا لانه لا يذهب لطب الازهر الا الطالب الذى لم يمكنه مجموعه من الالتحاق بكليات الطب الاخرى ، وقل مثل هذا عن كلية الهندسة والعلوم وغيرهما .

٣ ــ ليست هناك دراسة اسلامية ذات بال بهذه السنة التمهيدية ، ولا يحضر الطلاب محاضرات ، وانما هى مذكرات يشتريها الطلاب ويمتحنون فيها ، وينجحون غالبا بعد ضياع عام فى بيوتهم . واشهد الله أن المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود طلب منى أن أشترك معه فى القاء محاضرات مبكرة فى السابعة من صباح كل يوم لطلاب السنة التمهيدية احساسا منه بان الدراسة بها فاشلة ، وقد وافقت على المبدأ ولكنى اقترحت موعدا مناسبا « الساعة التاسعة مثلا » حتى يستطيع الطلاب أن يحضروا لنا ، ولم يتم الامر على كل حال .

٤ ــ الدراسات الاسلامية التى تدرس بالكليات العملية لا تستهوى الطلاب أبدا ، وهى بعيدة كل البعد عن مطالبهم الفكرية والدينية ...

٥ ــ كان هذا القانون على وشك أن يقضى قضاء تاما على كليات الازهر الاصيلة ، ولكن الله سلم كما قال الدكتور محمد البهى .

٦ ــ لم يمس التطوير او الاصلاح علوم هذه الكليات ، بل فى ظله انقسمت كلية اللغة العربية اقساما للصحافة والتاريخ ، وتقلصت بها علوم اللغة العربية ، وازدحمت كلية الشريعة والقانون بمنهاجى كلية الشريعة وكلية الحقوق ، فناء الطلاب بهذا العبء وعجزوا عن اجادة هذا المنهج أو ذاك .

٧ ــ قضى هذا القانون باحداث ازدواجية فى مناهج المعاهد الاعدادية والثانوية ، بأن يدرس الطالب علوم الازهر كاملة ، ومعها علوم المدارس الاعدادية والثانوية ، والمنهاج الواحد يعيى الطلاب فكيف بمنهاجين ؟ وكانت النتيجة ان الطلاب لم يجيدوا هذا المنهج ولا ذاك .

٨ ــ عند خلق الازدواجية فى التعليم لم يضمن هذا القانون لمعاهد الازهر مايلزم من وسائل لتدريس علوم المدارس الاعدادية والثانوية ؛ فلا توجد بالمعاهد معامل كافية ولا مدرسون للغات أو العلوم او الرياضة من مستوى مناسب

٩ ــ أصبحت الدراسة فى المعاهد الازهرية الثانوية تنقسم قسمين : علمية وادبية ، وفتح الباب لطلاب القسم العلمى ليدخلوا كلية طب الازهر او الهندسة أو الصيدلة .. وانهال نوابغ الطلاب الازهريين على هذه الكليات ، وحرمت منهم الكليات الازهرية الحقيقية ولم يبق لهذه الكليات الا الفتات مما قضى على مستوى هذه الكليات بالتخلف الفكرى .

١٠ ــ على ان الازهريين الذين التحقوا بالكليات العملية بالازهر لاقوا عنتا شديدا لانهم ضعاف فى اللغة الانجليزية ، وهذه الكليات تدرس بهذه اللغة . وقد كانت نتيجة كلية الصيدلة لذلك صفرا فى المائة فى بعض الاعوام .

***

وهناك عيوب أخرى كثيرة لا حصر لها فى هذا القانون ، ومن أجل هذا فاننا نصرح بان بقاء هذا القانون جريمة فى حق الازهر ورسالته .

وبعد ، لقد وصفنا الداء ، ونحب فى ختام هذا المقال ان نؤكد ان الدواء معروف ، يعرفه رئيس جامعة الازهر ونائباه ، ويعرفه فضيلة شيخ الازهر ووكيله ومساعدوه ، ويعرفه عمداء الكليات واساتذتها ، ويعرفه الكثيرون من المفكرين ، ويعرفه كاتب هذه السطور وهو مستعد أن يقدم مقترحاته ، ويتاخر هو ، فليس حريصا الا على النفع العام والابقاء على هذا المعهد التليد فى رونق يناسب العصر ، ويستطيع أن يؤدى رسالته كما نرجى منه . ●

ثورة فى التعليم الجامعى لابد منها ..

● د . محمد عبد المنعم خفاجى ●

— ١ —

● التعليم الجامعى فى مصر اليوم يمر بمرحلة خطيرة ، لنسمها مرحلة تطور ، أو ميلاد جديد ، أو أزمة فكرية ، أو أى اسم من الاسماء التى قد تعجز عن التعبير الدقيق عن هذه المرحلة الحاسمة فى تاريخ حضارة وطننا .

ان مصر عريقة فى التعليم الجامعى ، ففيها قامت جامعة الاسكندرية القديمة وجامعة عين شمس الفرعونية ، وجامعة الفسطاط ، وجامعة الازهر ، التى استمرت حتى قامت الجامعة المصرية الاهلية ، التى حولت الى جامعة فؤاد عام ١٩٢٥ ، ثم حولت الى جامعة القاهرة عام ١٩٥٢ بعد قيام الثورة .

وقامت جامعة الاسكندرية أيضا قبل الثورة ، ثم تطورت هذه الجامعة بعد الثورة ، واتسعت فروعها ، وبعد عام ١٩٥٢ راينا الجامعات الاقليمية تنتشر فى محافظاتنا ومدننا . ورأينا الكليات تقوم فى مدننا الصغيرة فضلا عن الكبيرة ، بلا حساب ولا نظام دقيق ..

وبذلك قامت جامعة المنصورة ، وجامعة أسيوط ، وجامعة الزقازيق ، وجامعة شبين الكوم ، وجامعة طنطا وجامعة المنيا ، وجامعات أخرى تستكمل الان فروعها المختلفة كجامعة حلوان ، وجامعة القناة ، وجامعة سوهاج ، وغير ذلك .

لقد دعوت عام ١٩٤٨ الى الاحتفال بعيد المنصورة القومى ، عيد النصر الكبير على جيش الصليبيين بقيادة لويس التاسع ، بانشاء جامعة فى المنصورة ، واقامة مهرجان قومى فى المدينة ، وانشاء معاهد أزهرية فيها ، واطلاق أسماء الاعلام التى شاركت فى معركة المنصورة على شوارعها الكبرى ، وانشاء متحف وطنى فيها يضم مابقى من آثار المعركة الخ .. ولم أكن اتصور يومئذ أن تقوم فى المنصورة جامعة كبيرة تضاهى جامعة القاهرة اتساعا وفروعا وطلابا وأساتذة ، ومرت الايام ، ورأينا الجامعات تتوالى ، وتتسع بلا حساب ، ودون تخطيط علمى دقيق . ولقد أنشأ الأزهر أيضا جامعات اقليمية له فى الاقاليم . أو فروعا لجامعة الأزهر فى القاهرة ، كفرع جامعة الازهر فى أسيوط ، وفرع الجامعة فى المنصورة ، وفرعها فى طنطا ، وفرعها فى شبين الكوم ، وفرعها فى الزقازيق الى غيرذلك

ومنذ أسابيع وأنا أطالع فى مجلة « أبولو » القديمة التى انشأها الدكتور

ابو شادى رائد جماعة ابولو الشعرية عام ١٩٣٢ — وجدت الدكتور اباشادى لا يستبعد عام ١٩٣٣ قيام جامعات اقليمية فى بلادنا ، بل ويدعو الى ذلك ملحا لمستقبل الاجيال القادمة .

— ٢ —

انه لمن الغريب ان تكون كل جامعة اقليمية مشابهة لجامعة القاهرة فى كلياتها العلمية والانسانية ، وفى فروع تخصصاتها ، وفى نظامها العلمى كافة ... فكل جامعة تنشأ لابد أن تقوم فيها كلية للاداب ، واخرى للحقوق ، وثالثة للزراعة ، ورابعة للهندسة وخامسة للطب .. الخ .

ولقد دعوت عام ١٩٦٠ فى مقال لى الى أن تكون جامعاتنا نوعية ، فتقوم جامعة للهندسة ، تختص كل كلية منها بفرع من فروع الهندسة لا تشاركها فيه كلية اخرى ، فتكون هندسة القاهرة مثلا للكهرباء ، وهندسة الاسكندرية للميكانيكا وهندسة أسيوط للاعمال المدنية ، وهكذا وتقوم جامعة للزراعة على هذا النمط ايضا ، وجامعة للطب ، وجامعة للاداب والعلوم الانسانية ، وجامعة تجارية ، واخرى صناعية ، واخرى للعلوم ، وجامعة عسكرية ، وجامعة للقانون والشريعة ، وجامعة للبنات ، وجامعة عسكرية ، وجامعة بحرية ، وجامعة للتربية ، وتظل جامعة الازهر القديمة للثقافة الاسلامية ، وجامعة الازهر الحديثة للثقافة العلمية ، على ان تختص كل كلية أيضا بفرع واحد من فروع التخصص العلمى . وبذلك نضمن الحصول على التكامل والتخصص والتعمق فى شتى الفروع العلمية .

ان كليات الزراعة القائمة فى مدننا — على سبيل المثال — متشابهة فى كل شىء ، وهذا التشابه يلغى التميز الفكرى ويضع الكليات المتشابهة فى درجات وفق النظام الاجتماعى السائد بيننا ، لا النظام العلمى المطلوب التمييز بين الكليات على اساسه .. وهكذا كليات الهندسة والطب والتجارة الخ . ومن الغريب ان تكون كلية الزراعة فى جامعة القاهرة داخل مدينة الجيزة ، ولاتقوم فى القناطر الخيرية مثلا .

ان الاكثار من انشاء الجامعات فى بلادنا مطلوب ، على أن يكون قيامها من اجل مصلحة وطنية ، لا لمجرد العصبية وتنافس المحافظات بعضها مع بعض . وعلى ان تتميز كل كلية عن الاخرى تميزا كاملا حتى لا نجد ما نراه اليوم من التكرار والتشابه دون حساب .

وقيام جامعة أهلية جديدة اليوم مطلوب أيضا . على أن تختص بمهمة علمية محددة . ولا تكون فروعا وكليات مكررة ومشابهة للكليات القائمة . ومن **العجب أن بين اساتذة مجالس جامعاتنا من يوافقون كل يوم على انشاء كليات جديدة ، ولا يوافقون على انشاء جامعة أهلية جديدة ...**

وقد دعوت فيما دعوت اليه من قبل الى انشاء اكاديمية ثقافية تضم جميع المؤسسات الثقافية القائمة او

التي ستقوم فيما بعد . كما تقوم أكاديمية للبحث العلمي بشتى أنواعه وفروعه وتخصصاته المختلفة . ومن حسن الحظ ان قامت أكاديمية البحث العلمي ، ولم تقم أكاديمية ثقافية بعد .

ـ ٣ ـ

ويلاحظ اليوم ان التعليم الجامعي قد اصبح يسير على نمط التعليم الثانوي تماما . واذا كانت بينهما فروق فهي قليلة لا تكاد تذكر ..

فالرغبة في الملخصات . وفي الكتاب الواحد . وفي « جمع الفكرة الواحدة في اضيق نطاق . وفي قبول الاراء دون نقاش او تمحيص لها . والعزوف عن قراءة المصادر المتعددة . وترك المطالعة في المكتبات العامة . وفقدان المشاركة الوجدانية والفكرية بين الاستاذ والطالب . واهتمام الاستاذ بكتابه . واكتفاء الطالب بالثقافة السطحية ، والعمل من أجل الامتحان ، لا من أجل المعرفة والمسئولية العلمية ... كل ذلك وغيره ، أصبح علامة مميزة للتعليم الجامعي عندنا ، مما يضعف من مستوانا الحضاري والعلمي اضعافا شديدا ويجعل المرحلة الجامعية شبيهة بالمرحلة الثانوية في نظامها العلمي دون أن يكون هناك فروق مميزة بين المرحلتين .

ولقد كثرت اقسام الدراسات العليا وفروعها وخريجوها كثرة مذهلة دون تميز يذكر ، ودون تعمق في الدراسة او في البحث او في الرسائل الجامعية مما يهددنا بخطر شديد لا نستطيع ان نتصور مدى نتائجه ..

ومن المطلوب الحرص على المستوى العلمي الاعلى ، وان نثق بان النظام الجامعي قادر على تخريج مواهب وعبقريات ومفكرين ، لا على تخرج حفاظ للكتاب ، او متلقين لفكر معين . فلقد لاحظنا قلة الطلاب المبدعين قلة كبيرة في محيط التعليم الجامعي .

ان الطموح العلمي عند طلابنا ، وبخاصة طلاب الدراسات العليا ، صار ضئيلا لا نكاد نحس به عند الشباب اليوم . والمواهب الشابة المبدعة من الطلاب صارت أقل من القليل أيضا ، مما يجعلنا في أشد الحاجة الى رصد هذه الظاهرة وتحليلها والتعليل لها ، واستنباط النتائج منها ..

ـ ٤ ـ

ومن العجيب أن الطالب لايزال يعمل من أجل الوظيفة ، وبروح الجد من اجل الامتحان فحسب .. ولم تتغير عقلية الطلاب من شبابنا التغير الملائم لتطور مجتمعنا . وقد يكون ذلك راجعا الى ظروفنا الاجتماعية ، او الى أسباب اخرى ، ولكننا نرجو أن نبرأ من روح الغاية المادية للثقافة لانها من اشد ما يصيب التعليم الجامعي بالشلل والتدهور والهبوط .

واذا كانت الرسائل والبحوث العلمية التي تقدم للجامعات للحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه

مطالبة بأن تسهم في خدمة البيئةثقافيا وفكريا وحضاريا واجتماعيا .. فانه لمن المؤسف أن تظل هذه البحوث قابعة في مكانها في مخازن ومكتبات الكليات المختلفة دون أن ترى النور ، ودون ان تخرج للجمهور مطبوعة ليقراها الناس ويطلع عليها المختصون ، ويفيد منها الباحثون .. ولو ان الدولة فرضت على دور النشر المختلفة طبع عدد من هذه الرسائل كل عام لراى هذا الفكر العلمي النور منذ امد طويل ..

على ان جامعاتنا مطالبة بنشر الجيد من هذه الرسائل بمختلف طرق النشر ومختلف اسبابه ايضا .. ومن الواجب ان يفرض على الطالب طبع ملخص لرسالته والجديد فيها في شكل كتاب كبير او صغير قبل ان تقدم رسالته للمناقشة ، ليقرا الجمهور هذا الكتاب قبل المناقشة ، وليكونوا مشتركين فعلا مع لجان الحكم على الرسائل في مناقشتها . وليكون المشرفون على هذه الرسائل على علم بأن الجمهور يشتركون ايضا في الحكم على هذه الجهود العلمية مع لجان الحكم التي تؤلفها الجامعات لمناقشة الرسائل والحكم عليها ..

ومن الواجب أن توزع الجامعات هذه الكتيبات على مختلف الجامعات ولو في وطننا على اقل تقدير ، ان لم توزعها على الجامعات العربية كلها . أو على الجامعات المهمة في الشرق والغرب المتصلة بهذه البحوث الجديدة اتصالا وثيقا .

— ٥ —

ومن الواجب للارتفاع بالمستوى الجامعي في بلادنا عقد الحلقات العلمية المختلفة التي يسهم فيها اساتذة الجامعات المصرية أو الجامعات العربية — اذا ما اردنا الطموح وعملنا من اجله — لتطوير البحث العلمي والجامعي في مختلف فروع الثقافة .

وكذلك عقد المهرجانات الثقافية والادبية بين شباب الجامعات المختلفة لايجاد صلات فكرية وروحية بين شبابنا في مختلف جامعاتنا القائمة .

وللاسف لا نجد لاية جامعة من جامعاتنا مجلات علمية متخصصة ، تقوم بعبء اثراء البحث العلمي والعمل من أجل ازدهار الفكر والثقافة .

ان من الخطا ان يغلب عامل الاعلام والدعاية على عامل التقويم والنقد في جامعاتنا وعند اساتذة هذه الجامعات وهم القمة السامقة في محيطنا الثقافي اليوم .

واتمنى ان ارى العقل الجامعي في بلادنا يبدع ويجدد ويثمر ثمرات نعالة من اجل الحضارة والتقدم ، بعيدا عن الانتماء المذهبي ، والتعصب الايديولوجي والتشيع الحزبي ، وبعيدا عن العصبيات **المختلفة التي تقتل روح العلم في جامعاتنا ، والتي تضع العراقيل امام الباحثين ، وتنسى ان العلم رحم بين اهله ، وان الحب والتعاون والاخاء ثلاثتها هي العناصر الاولى الضرورية لخلق ثقافة انسانية مبدعة .**

عالم محمد فريد من مذكراته

كما كنا نتوقع ، أثار المقال الذى نشره الاستاذ الدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بكلية الاداب جامعة القاهرة عن الزعيم الوطنى الكبير محمد فريد ، عاصفة من الجدل والمناقشة لان كل مايتصل بمحمد فريد يمس قلب كل مواطن عربى ، لا لدوره المجيد فى الجهاد فى سبيل مصر والوطن العربى بالتالى ، بل للظروف الحزينة التى عاشها وعمل فيها محمد فريد .

وقد نشرنا مقال الدكتور محمد أنيس لانه من أولى الناس بالكلام فى ذلك الموضوع ، لا لانه أستاذ التاريخ الحديث فى أكبر جامعات العالم العربى فحسب ، بل لانه ذو عناية خاصة بمحمد فريد وبدايات الحركة القومية المصرية بصفة خاصة ، وله من الدراسات والتحقيقات فى هذه الميادين مايجعله بحق حجة فى ذلك الباب .

وقد تفضل الاخ الزميل الاستاذ صبرى أبو المجد ، وهو مؤرخ مصرى له قدم ثابتة فى كل ما يتعلق بتاريخ الجهاد الوطنى في ذلك البلد، تفضل فكتب مقالا فى ((المصور)) يناقش فيه بعض ماذهب اليه الدكتور محمد أنيس مناقشة علمية قومية ، فرأينا أن من حق قراء ((الهلال)) أن يطلعوا على ذلك المقال ليروا وجهتى النظر فيما يتعلق بمرحلة هامة من مراحل جهاد محمد فريد ، وهى مرحلة سفره الى اوربا ومواصلته الكفاح فيها فى سبيل القضية المصرية .

ونحن اذ ننشر الرأى ، والرأى الآخر فى هذا الموضوع وغيره ، فانما نعمل على القواعد التى نسير عليها دائما فى ((الهلال)) ، وهى مجلة الفكر العربى الحر التى تعود القراء منها الصراحة والوضوح والاخلاص والايمان بحرية الرأى فى كل ماتنشر

ثم دخل مجال المناقشة الاديب الكبير فتحى رضوان ، فادلى بدلوه وهو أيضا من أقطاب ذلك الميدان فهو من رجال الحزب الوطنى ومن رجال الجهاد ، وله دور كبير فى تاريخ الكفاح القومى فى ذلك البلد . ومن هنا فان رأيه فى محمد فريد له وزنه وقدره ..

وكل هذا النشاط يسعد ((الهلال)) وقراء ((الهلال)) لان الهدف الذى يتوخاه الجميع هو الحق والصدق فى كل ما يتصل بمحمد فريد ، وكل مايتعلق بقضايا الوطن العربى ...

ح . م .

مؤامرة جديدة لاغتيال الزعيم الوطنى

محمد فريد

● صبرى ابو المجد ●

عقب قيام ثورة يوليـو ١٩٥٢ ، توجهت الى أستاذنا عبد الرحمن الرافعى الذى كتب تاريخنا القومى بالامانة والصدق، راجيا منه ان يعيد النظر فيما كتبه ، على ضوء المتغيرات الجديدة والمذكرات والوثائق التى ظلت «حبيسة» طويلا ، واتيح لها بعد ثورة ٢٣ يوليو ان تخرج من مخابئها .

ويومئذ قال لى أستاذنا الكبير : لقد اصدرت احكاما على ضوء ما لدى من معلومات وبيانات ، وليس من حقى ان اعيد النظر فى تلك الاحكام ، ولكن من واجبكم انتم كشبان تهتمون بتاريخنا القومى ان تستانفوا تلك الاحكام وان تنقضوها بما يتوفر لديكم من معلومات ووثائق جديدة لم تكن متوافرة عندى او عند غيرى .

هكذا كان موقف المؤرخ الوطنى الذى لم يكتب حرفا واحدا يخالف ضميره الوطنى ، والذى تعرض للمتاعب والمشاق بسبب مانشره من كتب وطنية ، خاصة نقده الشديد العنيف للملك احمد فؤاد الذى اثار حفيظة نجله الملك فاروق سنوات وسنوات .

وقد يكون أستاذنا الرافعى لم يستطع أن يكمل الصورة التاريخية لاحداثنا السياسية الهامة وبصورة تامة ، لعدم توافر بعض المعلومات والوثائق الهامة والضرورية وقتئذ . ولكن الذى لا جدال فيه ، أن الرجل لم يكتب حرفا واحدا عن هوى شخصى . كما انه لم يتأثر باتجاه حزبى فى كل ما الف من كتب ..

وهذا هو أيسر ما يجب توافره بالنسبة لكاتب التاريخ ، الذى يكتب لعشرات الالوف من القراء . على مدى اجيال عديدة .

ولكن الأمر يختلف اختلافا بينا بالنسبة لاستاذ التاريخ الذى لا يكتب لعشرات الالوف من القراء وحسب ، وانما يقوم بتدريس التاريخ لمن سوف يكونون فى يوم من الايام ، أساتذة للتاريخ .

ومنذ فترة بعيدة ، والاستاذ الدكتور محمد انيس ، أستاذ التاريخ ، ورئيس قسم التاريخ بكلية الاداب فى جامعة القاهرة ، يحرص على ان يشوه تاريخنا القومى فى بعض مايكتبه من مقالات ، وفى بعض مايصدره من كتب .

والدكتور محمد انيس لا يلتزم فى الكثير من الحالات بالقواعد التى يجب ان يلتزم بها كاتب التاريخ أو أستاذ التاريخ .

وقد سبق لنا اكثر من مرة ان انتقدناه لانه كان يعتبر بعض الاوراق والتقارير، التى كان يقدمها عملاء حسن نشأت باشا عندما كان وكيلا للديوان الملكى ،

مؤامرة جديدة لاغتيال الزعيم الوطني محمد فريد

بمثابة وثائق سياسية خطيرة يصدر بمقتضاها الاحكام الخاطئة .

وكلنا يعرف جيدا ، كيف كانت توضع تلك التقارير ، وممن تستقي مادتها .. كما اننا نعرف جيداً ، ان تلك التقارير لا تعبر الا عن رأى أصحابها من مرتزقة السياسة . ومحترفي التجسس .

***

وبين الدكتور محمد انيس وبين الحزب الوطني ثأر قديم لا نعرف له سببا حتى اليوم ، رغم الجهود التي بذلناها لمعرفة ذلك السبب . الا ان يكون السبب هو ان اتجاهات الدكتور محمد أنيس ـ وله ارتباطاته الحزبية السابقة المعادية للحزب الوطني ولاقطاب الحزب الوطني ـ هي التي تفرض عداوته للحزب الوطني وكل مايمت الى الحزب الوطني بصلة .

ولقد سبق لي ـ في عام ١٩٧٢ ـ ان ناقشت الدكتور محمد انيس في مقالات عديدة نشرت بالمصور عن افتراءاته المتعمدة للنيل من شخصية الزعيم الوطني محمد فريد . كما انني في عام ١٩٧٣ نشرت أيضا سلسلة من المقالات في المصور دفاعا عن علي فهمي كامل شقيق مصطفى كامل . وكان الدكتور محمد أنيس قد حاول تشويه صورته والتقليل من تضحياته .

والأستاذ الدكتور محمد أنيس يريد ان يخلق في التاريخ مدرسة الاثارة ، كتلك المدرسة التي توجد في بعض الصحف ، والتي تلقن تلاميذها درسا صحفيا وحيدا هو : انه اذا عض الكلب شخصا ما لم يكن ذلك خبرا ، والما الخبر هو عندما يعض الشخص كلبا ..

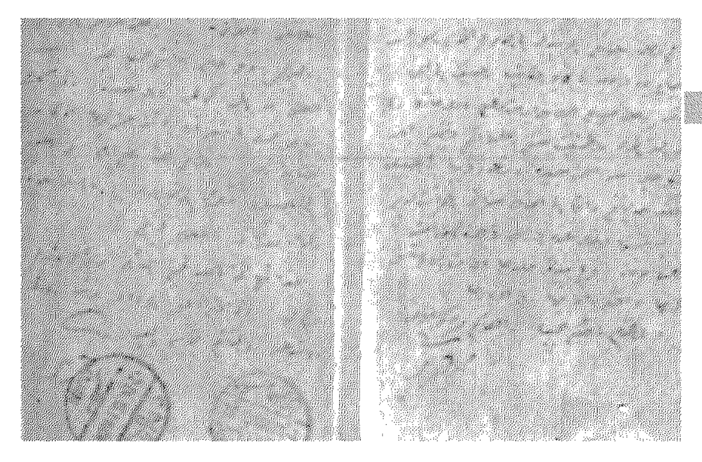
الدكتور انيس يتخذ من بعض العبارات التي ترد في بعض المذكرات او المقالات ـ وهي عبارات في الغالب عرضية ، بل وفي بعض الاحيان مشكوك

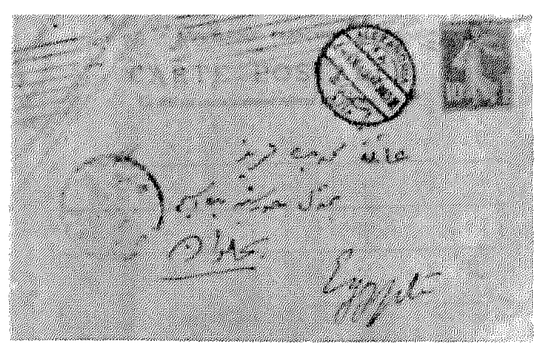


محمد فريد : بذل كل حياته من اجل وطنه

في صحتها ـ قضايا هامة وخطيرة . يفرد لها الصفحات تلو الصفحات ... جاعلا من « الحبة قبة » ... كما يقولون .

وقد خرج علينا الدكتور محمد انيس في الاهرام ، في ٢٥-٨-١٩٧٢ ، بما سماه « مذكرات مدام دي روشبيرون » وقد نشر منذ ذلك التاريخ سلسلة من المقالات فيها اشنع هجوم على الزعيم الوطني محمد فريد . وقد قمنا في « المصور » وقتئذ بتفنيد مانشره حرفا بحرف ، وواقعة بواقعة ، معتمدين في ذلك على ماتوافر لدينا من وثائق لاتوجد عند غيرنا ، وهي الخطابات التي كان يرسلها محمد فريد الى أصدقائه وزملائه وأسرته وهي تزيد على مائتي رسالة ، يفند بعضها كل ما يدعيه الدكتور محمد أنيس ، استنادا على





رسالتان تاريخيتان ارسلهما محمد فريد من باريس وجنيف ولوكسمبرج يتحدث فيهما عن حياة الضيق التى كان يعيشها فى أوربا .

مذكرات مدام « دىَ روشبيرون » التى كان يعتبرها محمد فريد فى مذكراته وفى خطاباته ، جاسوسة عليه لصالح الخديو ، ولصالح جهات أخرى .

وكنا قد ظننا ان الأستاذ الدكتور محمد انيس قد اقتنع بما سقناه من أدلة قاطعة لا تقبل المناقشة والجدل ، غير انه خرج علينا فى عدد فبراير من مجلة « الهلال » بالذات بمقال أعتبره سلسلة لمقالات جديدة تعتبر امتداداً لما سبق له أن نشره فى الأهرام عام ١٩٧٢ ..

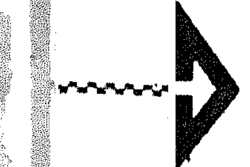
وقد انزعجت حقيقة لنشر هذا المقال واستاذنت الاستاذ الدكتور حسين مؤنس رئيس تحرير الهلال ، فى أن أرد على الدكتور انيس فى «المصور» ، فأذن لى مؤكدا انه لا يريد الا أن يشارك فى اظهار الحقائق التاريخية جلية وواضحة ..

والمقال الذى نشره الدكتور محمد انيس فى مجلة الهلال ، هو فى رايى محاولة جديدة لاغتيال تاريخ الزعيم الوطنى محمد فريد . وهو فى نفس الوقت بمثابة عدوان جديد على تاريخنا الوطنى الذى نرى لزاما علينا ان نحتفظ له جلاله وان نحتفظ له بكل ما به من قيم وطنية طيبة .

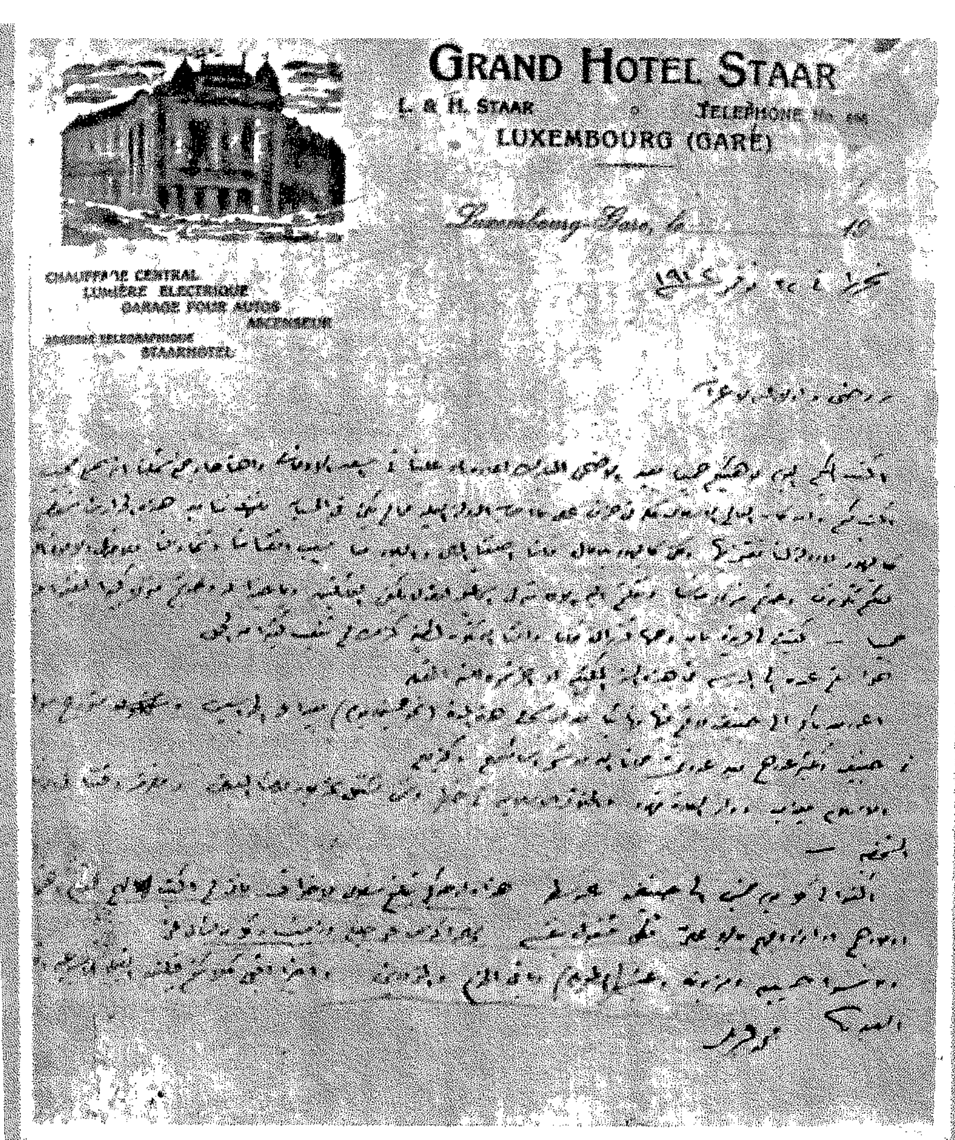
والذى انزعجت له اكثر واكثر انه ـ اىَ الدكتور انيس ـ ذكر ، ضمن ماذكره .. أنه زار السيدة « دى روشبيرون » فى باريس مرتين ، وكان هدفه الحصول على مذكرات تكون قد كتبتها هى أو رسائل من الزعيم محمد فريد لها ، ويقول الدكتور محمد أنيس فى مقاله ، انه قد استطاع بالفعل الحصول على هذه المذكرات وهى فى طريقها الى النشر باللغة العربية ..

والدكتور محمد انيس يعرف جيدا ان مذكرات « مدام دىَ روشبيرون » ـ كما نشر هو بذاته فى العدد الصادر من الاهرام بتاريخ ٢٥ـ٨ـ١٩٧٢ ـ موجودة فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، وأنه ـ أىَ الدكتور محمد انيس كما قال فى ذلك المقال ـ أول من عثر على مذكرات هذه السيدة بين اوراق القصور الملكية سابقا وانقل هنا بالنص ماكتبه الدكتور محمد انيس فى مقدمة مقاله سالف الذكر : « ان كريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق كان قد حصل من هذه السيدة على هذه المذكرات ، ولكن فاروق سلمها الى سكرتيره الخاص حسن حسنى لفحصها ، ورأى السكرتير الخاص ، ان المذكرات تمس عددا من الشخصيات المصرية وانه يحسن شراء هذه المذكرات حتى لاتنشر » .

ولا يكتفي الدكتور انيس بذلك، وانما ينشر مذكرة صادرة عن ديوان الملك



مؤامرة جديدة لاغتيال الزعيم الوطني محمد فريد



GRAND HOTEL STAAR
L. & H. STAAR   TELEPHONE No
LUXEMBOURG (GARE)

Luxembourg-Gare, le   19

CHAUFFAGE CENTRAL
LUMIÈRE ELECTRIQUE
GARAGE POUR AUTOS
ASCENSEUR

ADRESSE TELEGRAPHIQUE
STAARHOTEL

رسالة من الزعيم محمد فريد الى زوجته واولاده يهنئهم فيها بعيد الاضحى المبارك

تفيد بان الملك فاروق امر بشراء هذه المذكرات من صاحبتها حتى لا تتصرف فيها بالنشر . فكيف اذن يمكن التوفيق بين ماقاله الدكتور محمد انيس في مقاله بالاهرام في ٢٥-٨-١٩٧٢ وما نشره في الهلال في فبراير ١٩٧٩ ... من انه ذهب الى مدام روشبيرون للحصول على مذكراتها ؟

ولا اعتراض لي كمواطن مصري على نشر مذكرات مدام دي روشبيرون ، المواطنة الفرنسية فذلك من حقها ومن حق اي ناشر يريد ان ينشرها لحسابه

والاعتراض الوحيد الذي اعتقد أن لي الحق في التقدم به ـ كمواطن مصري وكواحد من تلاميذ محمد فريد وانصاره ومريديه ـ هو ألا ينسب ناشر هذه المذكرات تلك السيدة الى محمد فريد.

وآخر مايحز في نفسي كمواطن مصري ، أن يجيء استاذ التاريخ، وبعد مرور ستين عاما على وفاة محمد فريد، ليشارك في عملية اغتيال الرجل الذي ضحى بكل ما يملك ـ بما فيه الحياة ـ من أجل مصر ، وقضية مصر .

وأخيرا أهمس في أذن الدكتور محمد انيس متسائلا : لصالح من تشارك في عملية اغتيال الزعيم الوطني محمد فريد !! ..

عالم محمد فريد

من مذكراته

● فتحي رضوان ●

ان تاريخنا المعاصر ، لم يظفر بمذكرات القادة والزعماء ، التي تستطيع أن تضيء جوانب هذا التاريخ الغامضة ، فكل ما تركه لنا صانعو السياسة الرسمية والشعبية لا يعدو أربعا أو خمسا من مذكرات أو يوميات هؤلاء العظماء وتحتل مذكرات محمد فريد ، الى جانب مذكرات سعد زغلول مكانة الصدارة ، بين الوثائق .

وفيما عدا هذه المذكرات ، مضى الى ربهم مصطفى كامل ، وعلى يوسف وعدلى ، وثروت ، ورشدى ، ومصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وحافظ رمضان والخديو عباس ، والملك فؤاد وابنه فاروق ، وعلى ماهر — دون أن يخلفوا للمؤرخين والاجيال التالية ، أسرار عملهم السياسى ، وحقائق ما أسهموا فيه من الاحداث والوقائع ، ورأيهم فى الرجال الذين زاحموهم وعاونوهم ، ومروا بهم .. ولعمرك ان هذه خسارة قومية وعلمية فادحة . فان التقليد فى الغرب ، أنه ما من رجل يصل الى القمة ، او يقترب منها ، أو يسعى الى الوصول اليها ، من رجال السياسة أو العلم أو الادب ، او الفن — الا وله مع ما يخلفه للذين يأتون من بعده من مال وعقار ، مذكرات يكتبها يوما بعد يوم ، يسجل فيها خواطره الحميمة ، ويصور الذين اقترب منهم ، وكادوا له أو كاد لهم ، أو تتلمذ عليهم ، أو علمهم ، كاشفا عن الوجوه والاقنعة ، حاسرا عن النفوس ، الحجب والستائر

أما فى مصر ، فالرجل يحمل معه الى قبره ، أسراره وافكاره ، فاذا دفن ، انقطعت صلته تماما بالاحياء ، فلا يجيب عليهم اسئلتهم ، ولا يلهمهم بشىء ، ولا يحرك خاطرهم بقول . فى حين يبقى المشهورون ، ذوو الصيت الذائع ، والمكانة النافذة فى اوروبا ، أحياء بما كشفوا للناس ، عن غرائب النفوس ، وما تطويه الصدور ، وما جرى فى الازمات التى تتزلزل لها العزائم ، وأمام المغريات التى تتلاشى أمامها المبادىء ..

وتمتاز مذكرات محمد فريد بخصائص وصفات ، تجعلها أثرا فريدا وفذا حقا .

واولى خصائص هذه المذكرات انها كتبت بقلم رجل ، كان زعيم أمته ، حينما عاش بين ظهرانى مواطنيه ، فلما هاجر من وطنه الى تركيا وأوروبا بطولها وعرضها ، لم تفلت من يده خيوط الاحداث الكبرى ، التى تحدد مصير بلاده ، بل بقى ندا وشريكا لامير البلاد الذى هاجر بدوره الى أوروبا ، ثم قريبا غاية القرب ، مؤثرا غاية التأثير ، فى رجال السياسة الدولية سواء كانوا اتراكا مسلمين من الوزراء ، وقادة الجيوش ، وعلماء الدين ولم تكن زعامة

عالم محمد فريد
من مذكراته

فريد في مصر ، ولا هجرته الى أوروبا . في ظرف كسائر ما يمر بمصر أو بالامم قاطبة من ظروف السياسة والحكم ،بل ان زعامته تأكدت ، وبدت عاملا مؤثرا وموجها ، الى أقصى الحد ، في الوقت الذى كانت ظروف العالم كلها تتأزم وتتعقد ، وتتهيأ لتفضى الى المجزرة البشرية الكبرى ، التى سميت بالحرب العالمية الاولى تلك الحرب التى استمرت أربع سنوات حسوما ، قتل فيها من ابناء آدم وبناته ، ما لم يقتل في مثل تلك الفترة من قبل ، ودارت خلالها من المعارك ، ما لم تشهد مثله ساحات القتال الكبرى ، لا من حيث ضخامة عدد المقاتلين ، ولا من حيث كثرة عدد عباقرة الحرب والسياسة ، الذين شاركوا في ادارة تلك الوقائع . وما اظهروه من فنون التدبير وأساليب التخطيط ، وما ابتدعوه من الاسلحة الفتاكة التى لم يعرف العالم شيئا مثلها ولا قريبا منها .

في هذه الفترة ، كانت القومية المصرية قد برزت معالمها بفضل جهاد مصطفى كامل المستمر المتصل ، الذى استطاع ان يشق للوطن المصرى المستقل الحر ، طريقا عريضا واسعا بين مطامع انجلترا وفرنسا والمانيا من جانب ، وبين البقية الباقية من سيادة تركيا التى أفل نجمها ،وهلك سلطانها وما كانت تضمره وتعلنه قلوب المصريين من امل بعث الخلافة الاسلامية التى رفعت تركيا علمها أربعة قرون ، اختلطت فيها الانتصارات الرائعة ، بالهزائم المروعة ، وتداخلت فيها احلام تجديد مجد الاسلام البائد ، وطغيان الحكم التركي ،وفساده وأغلاله ..

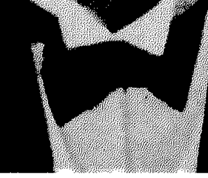
ولما آلت الزعامة الى محمد فريد كانت الأمور قد بلغت في مصر الى الحد الذى تستحيل فيه المهادنة بين الوطنية المصرية ، وحكم الخديو عباس ، وطغيان الانجليز ، واستبداد الاجانب باقتصاد البلاد وثقافتها ..

ولم يتعجل فريد المعركة ، ولكنه يعلم أنها آتية لا ريب فيها ولم يكن يكربه هذا ولا يخيفه ، لأنه منذ استقال من وظيفته المرموقة ، كوكيل نيابة بنيابة الاستئناف بالقاهرة ، كان يعلم ان ما ينتظره هو تألب القوات والسلطات عليه ، المصرية والدخيلة : الاحتلال البريطاني والخديو ومن حوله ، والطبقات التى تنتفع من نفوذ وحماية هاتين السلطتين وجاههم ومالهم ..وكان مصمما على أن يمضى الى آخر الطريق .. وكانت هجرته من مصر في ٢٧ من مارس سنة ١٩١٢ الى تركيا ، وتحضيره الهادىء لها ، يدل على أن هذه الهجرة ، كانت أولى خطواته في طريق مواصلة القتال ، بلا تردد ولا خوف ، ولا تفكير في الرجوع عن الخطوة التى خطاها ، والتى كانت اشبه شيء بحرق السفن ، على الشاطىء ، لكيلا يتصور أن هناك سبيلا للنجاة خارج ميدان المعركة .

ومذكرات محمد فريد ، لم تبدأ حقا الا في ٢ من أغسطس سنة ١٩١٢ بعد وصوله الى الاستانة عاصمة تركيا ، ثم سفره هذا اليوم الى أوروبا ، فمنذ ذلك اليوم ، بدأ يكتب يومياته . أما ماكتبه عن الاحداث ابتداء من اغسطس ١٩٠٤ حتى أغسطس ١٩١٢ ، فلم يكن سوى ذكريات ، سرد بها ما جرى في مصر ، وما جرى له ، حتى يوم الهجرة الى تركيا ثم الاقامة فيها ، وفي أوروبا والتنقل بين عواصمها الكبرى كالاستانة وجنيف وبرن ولوزان ، ثم فيينا التى يسميها دائما (ويانه) وزيورخ وبرلين واحيانا باريس ولندن ولوكسمبرج وبروكسل .. الخ

وقد استفتح الحديث ، في باب الذكريات ، بواقعتين خطيرتين ، وهما جوهر مذكراته وذكرياته ، لأنهما تعلنان عن أسلوب الحزب الوطني الذى أسسه مصطفى كامل ، والذى آلت الزعامة فيه الى محمد فريد ، ومحمد حافظ رمضان .

والواقعة الاولى ، الصدام بين الخديو



محمد فريد — سعد زغلول — مصطفى كامل

عباس من جهة ، ومصطفى كامل قبل تأسيس الحزب الوطني من جهة اخرى وكانت هذه الواقعة في (ديفون) احدى مدن الاستشفاء بمياه العيون .

والواقعة الثانية الاصطدام بين الخديو عباس من جهة ، وبين محمد فريد من جهة اخرى .

وسنأتي على بيان لهاتين الواقعتين كما رواهما محمد فريد في ذكرياته التي سبقت مذكراته التي كتبها فريد في منفاه الاختياري من اغسطس سنة ١٩١٢ - كما مر بنا - حتى وفاته في برلين في ١٥ من نوفمبر سنة ١٩١٩ . وقد حذفت من عبارتي فريد ، بعض ما كان من قبيل الجمل الاعتراضية ، أو التفاصيل التي لا يؤدي اسقاطها الى الاخلال بالسياق ، أو غموض المعنى .

والواقعتان الافتتاحيتان ٧ تدلان على ان الحزب الوطني ، حزب مصطفى كامل منذ البداية حزب معارضة ، لا تستقيم علاقته بالحكومة ، ولا يستقر تعاونه معها ، ولا سيما في الفترة التي كان فيها النفوذ الاجنبي الانجليزي ، سائدا ، وكانت الوزارات المصرية ، في خدمة طغيان الخديو من جهة ، وطغيان الانجليز من جهة اخرى ، مع سيادة النفوذ الاجنبي ولا سيما في ميداني الاقتصاد والمال أولا ، والثقافة والتعليم ثانيا .

قال محمد فريد في ص (٥١) من كتاب « أوراق محمد فريد » الذى أصدرته هيئة الكتاب في صيف عام ١٩٧٨ في الباب المعنون : الكراسة الاولى »

« في اغسطس سنة ١٩٠٤ حضرت الى ديفون ، وكان مصطفى كامل في انتظاري بالمحطة فتوجهنا الى الاوتيل الكبير ، وكان بانتظارنا الخديو أمام قاعة التياترو ، فاستقبلني أحسن استقبال ، وفي اخر السهرة اجتمعنا في احد صالات الاوتيل ، ودار الكلام في المسائل الحاصلة بمصر وكان اهمها وقتئذ قضية زواج الشيخ على يوسف (صاحب ومحرر جريدة المؤيد) بصفية بنت السيد عبد الخالق السادات . وكان الخديو يساعد (الشيخ على) حتى انه أرسل أخاه (الامير محمد على) لمصر قبل ميعاد عودته ليتكلم مع قاضي مصر اذ ذاك يحيى المندى - مصطفى أخذ يلوم الخديو بلطف على تدخله في هذه القضية مبينا ان ذلك يسيء الى سمعته خصوصا وان الراى العام كان ساخطا على الشيخ لرغبته في التزوج بالبنت رغم ارادة والدها . فقال الخديو (رأى عام ايه شيخ ، هو فيه حاجه اسمها رأى عام أو أمة .. أنا في مصر لبست برنيطة ومشيت في البلد ، ما حد يتكلم) واحتد الخديو وقال لمصطفى اخيرا (أنا ماحبش تنصحني ، أنا عارف الواجب على) وقام زعلانا فبقينا نحن ، وكان مصطفى في

عالم محمد فريد
من مذكراته

حالة هياج شديد يقول (لابد من قطع علاقاتى بهذا الرجل) وفى الصباح امتنع مصطفى عن مقابلة الخديو فى (غرفته بالفندق) فقابلته أنا ومحمود أبو النصر ، ومن دهاء عباس (الخديو) لم يتكلم مطلقا فى حادث الليلة السابقة بل أخذ يكلمنى فى الزراعة ..

عدنا بعد ذلك مع مصطفى الى مدينة جنيف فأراد مصطفى كامل أن يكتب جوابا يقطع علاقاته معه فمنعناه بكل مشقة ، ولكنه صمم على رأيه فى نفسه ولما عاد الى مصر فى سبتمبر حرر الجواب المشهور ، أرسله اليه من الاسكندرية وأرسل صورته الى الجريدة قبل مقابلتى حتى لا أمنعه، ولما وصل القاهرة وقطعت بذلك العلاقات بينهما مدة سنتين تقريبا » .

عاد مصطفى كامل الى مصر ونشر فى ٢٤ من اكتوبر سنة ١٩٠٤ خطابه المشهور الى الخديو عباس ، فقال له فيه انه يقطع علاقته به ، لان الانجليز يتخذون من علاقتهم به ، سبيلا للكيد للخديو اذ يحملونه كل ما يصدر عن مصطفى من قول أو فعل ، وختم خطابه بأنه ينصحه بأن يبعد سيىء السمعة من افراد بطانته فانه اعظم ضررا به من الانجليز أنفسهم .

وكان هذا الخطاب عملا ضخما ، كشف للناس ،طبيعة العلاقة بين الخديو والزعيم مصطفى كامل ، وان مصطفى لم يكن يوما صنيعة من صنائع عباس ، وأنه لم ياتمر بامره ، ولا يعمل بوحيه ، بل النقيض هو الذى كان يجرى . الزعيم كان ينصح ، بل كان يشتد فى اللوم ، اذا لم تنفع الاشارة الخفيفة ، والتعريض المستور ، وكان نشر الخطاب فى صفحات اللواء ـ بعد الاتفاق الودى الذى ابرم بين بريطانيا وفرنسا فى سنة ١٩٠٤ ، والذى تخلت بمقتضاه فرنسا ، عن تاييد الحركة الوطنية فى مصر ، وعن التضييق على الاحتلال البريطانى لوادى النيل ـ كان نشر الخطاب دليلا على أن مصطفى كامل لم يكن يعتمد فى صراعه مع الاحتلال لا على الخديو ، ولا على فرنسا ، وانه قادر على أن يبقى فى الميدان وحده ،وان يحارب مع الاحتلال البريطانى ، كلا من الخديو عباس ، وفرنسا . وانه كان يشعر ان وقوفه فى الميدان وحيدا ، ومصاولته للخديو والانجليز فى آن واحد يزيد من تأييد الشعب له ، وثقتهم به وأن هذا التأييد هو العدة الحقيقية والاصيلة لمصطفى كامل وللحزب الوطنى وان ما عداهما زائل أو عابر . وقد كان فانه لم يمض على مجاهرة مصطفى كامل بالعدوان السافر للخديو اقل من عامين حتى وقعت حادثة دنشواى فى ١٣ من يونيه سنة ١٩٠٦ ، فاحسن مصطفى استغلالها ، وراح يذرع أوروبا جيئة وذهابا ، منددا بفظائع الاحتلال البريطانى ، وجرائمه ، وبسوء سياسة اللورد كرومر ، وتخبطها ..

وسقط كرومر فعلا تحت ضربات مصطفى كامل البارعة .. والمحكمة فى مصر وفرنسا والمانيا وتركيا ، وبريطانيا ذاتها ، وزاد نفوذ مصطفى كامل ، وعظم تأييد الشعب له ،وحبه لشخصه وأصبح اسمه فى كل قرية ، وعلى لسان كل فلاح ..

واحس الخديو بأنه هو الذى بات معزولا ومكشوفا فسعى الى الصلح مع مصطفى كامل ، وتم الصلح فعلا بفضل وساطة أحد اصدقاء الخديو ، ومصطفى كامل فى الوقت نفسه ، وهو الدكتور صادق رمضان ، وقد حدثنا محمد فريد فى مذكراته فى ص ٥٤ من مطبوع هيئة الكتاب ، فعرفنا صورة أخرى من صور النصيحة والتوجيه التى كان يمارسها زعماء الحزب الوطنى لرأس الدولة فقال :

« فى خريف سنة ١٩٠٦ المذكورة توسط الدكتور صادق رمضان ، ومهد

السبيل للمقابلة وفعلا اجتمعنا أنا ومصطفى كامل والدكتور صادق ولطيف سليم باشا ، وقابلنا الخديو ليلا فى عزبة مسطرد وفى هذه الليلة اتفقنا على تأسيس الحزب الوطنى ، وكنا مختلفين هل يكون الحزب (سرى) أو (علنى) وكان رأى الخديو أن يكون سريا ،ولكن تغلبنا على جعله جهريا »

ثم قال محمد فريد :

« عارض المرحوم لطيف باشا فى مقابلة الخديو أو العمل معه لعدم ثقته به لأنه رجل انانى ، يفضل دائما مصلحته الشخصية على الصالح العام ، وكان يكرر دائما هذه الجملة (هذه كلها قناطر مررنا عليها ووجدناها غير موصلة) بعد هذه المقابلة اجتمعنا مرات مع الخديو أنا وصادق رمضان ومصطفى بجامع سيدى البرى بجنينة القبة ، ولم يحضر لطيف باشا هذه المقابلات ، وفى احدى هذه المقابلات تكلم معه الدكتور رمضان صراحة بخصوص بيع الرتب والنياشين وان هذا الامر يجعل للانجليز سبيلا للطعن عليه ، فقال الخديو بأن هذه المسألة كانت من أمور الشبوبية وقد تركها وسيشتغل من الآن فى المسائل العامة بجد واجتهاد ويترك هذه الصغائر » ..

وهذه الفقرات تزيد حقيقة استقلال الحزب الوطنى واستقلال زعمائه الكبار جميعا عن الخديو ، وعن وقوفهم منه موقف المعلموالمرشد والناصحوأنهم كانوا يسلكون لاداء هذا الواجب الوطنى العظيم موقف الصراحة والمواجهة ، دون لف ودوران ، ودون تلطيف أو تخفيف فاذا سهل علينا تصور أنينصح مصطفى كامل الخديو ، باعتبار ما لمصطفى كامل من مكانة أضفتها عليه زعامته وشهرته وحب الشباب له ، وذيوع مقالاته وخطبه فى مصر وأوروبا ، وكثرة علاقاته بكبار رجال السياسة الدوليين فرنسيين والمان وطليان ونمساويين واتراك ، فاننا لا نكاد نفهم كيف يجرؤ رجل



قليل الحظ من الشهرة كالدكتور صادق رمضان ، أن يشتد فى تقريع الخديو ، لتورطه فى مسألة تتعلق مباشرة بالذمة والامانة ، وهو على رأس الدولة ، فيستخذى الحاكم المطلق ، ويعتذر بأن ما فرط منه كان من سقطات الشباب ، وانه سيترك هذه الصغائر ، ويلتفت للعمل الجاد .

ولابد لنا من وقفة أمام موقف لطيف باشا سليم من الخديو عباس ، واعلانه أنه غير أهل للثقة ، وأن العمل معه لن يؤدى الى خير الحركة الوطنية ، ثميحضر اجتماعا واحدا مع صديقيه مصطفى كامل ومحمد فريد ومع الدكتور صادق رمضان لفرط الحاحهما عليه ، ثم بعد ذلك ، ينقطع عن حضور جلسات الحزب الوطنى ، لأنه يرى فى التعاون مع الخديو مضيعة للوقت .

وليس هذا الا دليلا آخر على ان زعماء الحزب الوطنى ، كانت تملؤهم الثقة بأنفسهم حتى لا يروا الخديو جديرا بزمالتهم ،وينفضون اليد منه ،وينصرفون عنه . فاذا قال لك قائل بعد ذلك ان مصطفى كامل كان يتحرى ما يرضى الخديو عباس فيعمله وهو غير مقتنع بما يفعل فثق تماما ان هذا القائل واحد من اثنين اما انه جاهل ــ واما انه مغرض .

فالذين يقولون مثلا ان مصطفى كامل هاجم عرابى ، وآخذه بأمور فى آخر ادوار الثورة العرابية ، لمجرد استرضاء الخديو ، أو مجاملته يقول زورا وبهتانا

بقى أن ننقل ــ فى هذا السياق ــ ان ننقل من مذكرات محمد فريد ايضا ، ومن صفحة ٥٩ ، مادار بين الخديوعباس وبين محمد فريد ، عند اعتزام محمد

عالم محمد فريد
من مذكراته

فريد السفر لاول مرة بعدانتخابه رئيسا للحزب الوطني في ١٤ من فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة زعيم الحزب الوطني في ١٠ من فبراير من السنة نفسها ، قال محمد فريد :

« في مايو عزمت على السفر الى أوروبا ، وقابلت الخديو قبل السفر بيومين ، ودار بيني وبينه هذا الحديث:

الخديو : ماذا عزمت عليه يا سى فريد

فريد : ساسافر لاوروبا وأسير في طريق مصطفى .

الخديو ـ عظيم ! عظيم ! .. سافر نجح الله مقاصدك !

فريد : ساسافر ان شاء الله وانما اطلب من افندينا ألا يعاكسني في مساعي وألا يرسل ورائي من يسعى ضدى أو يعرقل مساعي كما فعل افندينا في العام الماضى سنة ١٩٠٧ اذ أرسل حافظ عوض واسماعيل اباظة باشا الى لندن لمعاكستي ..

الخديو : لا والله يا سى فريد لا تخف . ومع ذلك فانا لم أرسل حافظ عوض في العام الماضي .

فريد : ان امر ارساله مثبوت ؛ وانك اعطيته ٣٠٠ جنيه مصاريف سفر .

الخديو : لا والله مايه وخمسين فقط.

هنا تلعثم الخديو ، وتغير لونه فتركته وقمت » .

وأحسب أن القارىء الكريم في غير حاجة الى بيان تضييق فريد الزعيم الثانى للحزب الوطني ، على ولى الامر وأمير البلاد ، وهو يستأذن في السفر الذي كان يجرى في عهد ما بعد الحزب الوطنى ، على صورة مخالفة تماما ، فالوزير أو الكبير حينما ينال شرف المثول بين يدى ولى النعم ، وسلطان أو ملك البلاد ، لا يتكلم الا اذا أذن له ، ولا يتكلم الا في الموضوع الذى يفتحه ولى النعم ، ولا يطيل في القول ، أما ان ينقلب اللقاء الى تأنيب للسيد الاعلى ، واحراج ، وتحقيق .. فشىء لا يخطر على بال ..

هذه هى الصفحات الاساسية في كتاب الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل الذى بقى حريصا على تقاليده .

واذا استقرأنا مذكرات محمد فريد ، واستخرجنا منها اتجاهاته السياسية، وترامى آفاق ثقافته الدولية ، وحرصه الشديد على تناول الامور التى تتعلق بمصير بلاده وهي بين براثن الصراع الدولي الرهيب من جهة ، وتحت وطأة الاحكام العرفية البريطانية ، من جهة أخرى ، لاحتجنا الى صفحات وصفحات .

ولكن قد يجمل بنا ان نقف أمام امرين لهما شأن خاص .

أما الامر الاول ، فهو في حقيقة الواقع ، قليل الشأن ، ولكن اريد له ان يكبر ، ثم نفخ فيه ، حتى اصبح كالمنطاد ، يبدو ضخما ولكن حسبه راس دبوس صغير ، ليتهاوى على الارض .

واعنى بهذا كله ،السيدة روشبرن ، التى طافت ومعها أوراق تسميها مذكرات وقد عرضتها للبيع ، وفي الايام الاولى للثورة ، طرقت بابى ، وكنت اذ ذاك وزيرا للدولة ، وكان يهمنى بطبيعة الحال ، اى شىء يتصل بمحمد فريد وتاريخه ، والحزب الوطني وجهاده ، فاحلت هذه الاوراق الى المستشار برهان سعيد ، وكان يعاوننى في عملى كوزير للدولة ، وهو من المصريين القلائل الذين يحسنون الفرنسية ، فضلا عن كونه من الشباب البارز في الحزب الوطني ، فتوفر على قراءة هذه الاوراق فقال أنها لا تستحق ان تشترى ، وانه لم يقع فيها

على شيء يجلو غامضا ، أو يضيف جديدا .

ولم أقابل السيدة على ضوء هذا التقرير ولكني سمعت بعد ذلك ، أن ما كان معروضا علينا لشرائه كان قد بيع بالفعل الى الديوان الملكي في عهد فاروق وان المقصود هو بيع ما يسمى بمذكرات مدام روشبرن للمرة الثانية ..

وهذا حسبك لتعلم مدى ما يمكن ان تحتويه هذه الاوراق ! ..

ومناقشة هذه المذكرات كان يستحق اهتمام العلماء ، أو الباحثين ، حتى ولو كانت لهم حوافز أخرى غير علمية ، لو أن محمد فريد لم يشر الى السيدة صاحبة المذكرات كثيرا ، وكان من الممكن ان تورد كل هذه الاشارات في مواضعها ولكن حسبي أن أشير الى موضعين أو ثلاثة ، لنعرف منها رأى محمد فريد في مدام روشبرن . ففي صفحة ١٠٩ من المذكرات حسب طبعة هيئة الكتاب ، قال في يومية ١٢ من سبتمبر :

« هذه السيدة « روشبرن » تنقد عشرين جنيه تركى شهريا للتجسس على وافادتهم بأخبارى ، ولكنها أخبرتنى بجلية الامر ، وهي الآن تنقل لى اخبارهم كما تنقل لهم ما تقف عليه من أخبارى» .

وفي صفحة ١١٥ ، يشير محمد فريد الى عملية قامت بها مدام روشبرن بايعاء من المسيو هاكسيدس وكيل الخديو في جنيف ، ويتحدث فريد عن هذه العملية بقوله : « يظهر أنها ألعوبة من الألاعيب السابقة » ..

ولو شئنا التعقبنا المذكرات واوردنا منها الكثير من هذه الآراء الصريحة التى تجعل الاطمئنان الى هذه الاوراق التى يقال عنها مذكرات وانها في طريقها الى الظهور ، عدما . وقد نعود الى مزيد من القول ، في هذا الصدد ، بتفصيل أوسع .

الامر الثاني الذى يستحق ان يذكر لدى التلاوة الاولى لمذكرات محمد فريد ، هو انشغال خاطره بالتحضير للثورة في مصر ، والعمل المسلح ، والحرب العالمية قائمة ، وكل شيء ينذر بأن مستقبل مصر ميئوس منه سواء ظفر الانجليز في الحرب ، أو ظفر الاتراك والالمان .

ففي يومية ١٠ من سبتمبر سنة ١٩١٥ يقول محمد فريد : « قابلت أنا كذلك مترجم أول السفارة الالمانية وتكلمنا كثيرا ، وخلاصة الحديث أن دولته مستعدة لمساعدتنا بالسلاح والضباط اذا امكننا عمل مفيد بمصر يقصد تحريرها من الاحتلال » ..

وفي يومية ١٩ من مارس سنة ١٩١٥ يقول محمد فريد :

« وصل عبد العزيز عمران وملخص اخباره ان الحالة الروحية في مصر جيدة جدا وان اخواننا مشتغلون بتنظيم اعمالهم استعدادا للثورة عند سنوح الفرصة . ولكنهم ينتظرون منا ان نرسل اليهم السلاح . وسنسافر معه قريبا الى برلين للسعى في ارسال الاسلحة والذخائر » .

وفي يومية ٣ من مايو سنة ١٩١٥ يقول محمد فريد : « قابلنا الهر فون زيننس السكرتير العام لوزارة الخارجية ، وهو قدمنا للهر « ويزن دونك » رئيس القلم المشتغل بالمسائل الخارجية فذهبنا معه الى غرفته وتكلمنا كثيرا بخصوص ارسال اسلحة لمصر ، فوعد ببحث المسألة والاستعلام منا عن اللازم عند تقريرهم شيئا » ..

فاذا كنا نتحدث عن ثورة سنة ١٩١٩ باكبار واعزاز ، بوصفها من قدرات الشعب المصرى ، الابى المناضل ، فلا يجمل بنا ان ننسى ان محمد فريد ممن بذروا بذور هذه الثورة وحضروا لها ، ونسقوها ، وفرحوا بها عند ما قامت ولم يضعف من فرحه أنها قامت وعلى راسها سواه ، وانه كان في المنفى ، لا يملك ان يشارك فيها الا بقلمه ولسانه .

كلمة أخيرة

ليست مسائل ثانوية

في مجلة « روزاليوسف » ، العدد الصادر بتاريخ ٥ مارس ١٩٧٩ ، كتب د . عبد العظيم رمضان تحت عنوان : « الزعماء السياسيون ، هل هم مقدسون ؟ » . وذلك تعقيبا على مانشرته بالمصور عن الزعيم محمد فريد ، وما نشره آخرون عن سعد زغلول .. وكان من بين ماقاله ان الكاتب الذى هاجم سعد زغلول ، والكاتب الذى دافع عن محمد فريد - الذى هو انا - قد ظلما الزعيمين الكبيرين ظلما بينا ، فالزعماء السياسيون لا يؤاخذون على هذا النحو ، فليسوا - من جانب - قديسين تطلب لهم العصمة من الخطا والكمال من الصفات ، وليسوا من جانب آخر - افرادا عاديين تجوز عليهم المحاسبة ، كما يحاسب الافراد العاديون .

ثم يقول الكاتب ايضا - فى مكان آخر - من كلمته : ان علاقة محمد فريد ، بمدام دوشبيرون تصبح مسالة قابلة للاجتهاد التاريخى قد تحتمل الخطأ وقد تحتمل الصواب دون أن يترتب على النتيجة فى كلتا الحالتين اى تاثير بالسلب او الايجاب على زعامة محمد فريد او شخصيته الانسانية العظيمة .. فلا ثبوت هذه العلاقة فى أى صورة من صورها يمكن ان ينتقص من هذه الزعامة او يؤدى الى « اغتياله » على حد التعبير الطريف لكاتبنا الكبير . ولا نفى هذه العلاقة يمكن أن يثبت زعامة هذا الزعيم ، فزعامة زعمائنا لا تقوم على امثال هذه المسائل الثانوية والا كانوا أفقر الناس فى صفات الزعامة وقيادة الشعوب ، والشعوب المتخلفة وحدها هى التى تنشد فى زعمائها ، صفات الصحابة والخلفاء الراشدين والانبياء والقديسين ، أن عظمة هؤلاء تكمن فى تغلب عوامل القوة فى شخصيتهم الانسانية على عوامل الضعف ، والانحياز البطولى لقضايا بلادهم المصيرية ، وتغليبها على مصالحهم الشخصية ، على عكس مايفعل الافراد العاديون وحياة الزعيم الخاصة أيا كانت هذه الحياة ، هى ملك له وحده ، والغرض من دراستها هو استكمال الصورة الانسانية للزعيم السياسى ، وليس التجريح ، او التمجيد ... »

ومنذ اكثر من عشر سنوات عندما كنا نحتفل بذكرى مرور نصف قرن على وفاة الزعيم محمد فريد ، وفى احدى الندوات التى اشتركت فيها مع الدكتور محمد انيس قال لى الاستاذ الدكتور انيس : « لماذا تعطى موضوع مدام دى دوشبيرون كل هذه الاهمية .. ان وجود عشيقة للينين - مثلا - لم ينقص من قدره عند شعبه ولم يقف عنده الكتاب والمؤرخون ، كما تقف انت بهذه الصورة المتيبدة الجامدة »

وهذا هو جوهر الخلاف بينى وبين الدكتور محمد انيس ، الذى هو موضع التقدير كاستاذ جامعى مرموق ، أدى للتلامذة والمكتبة العربية بما الف ودرس ، الكثير من الخدمات .

دكتور محمد أنيس ، ومن يتفق معه فى الرأى والاتجاه يرون أن موضوع زواج زعيم وطنى من احدى السيدات زواجا سريا يثمر ابنا ثم لايعترف الزعيم بالابن ولا بالزوجة ، هذه مسالة ثانوية من ناحية ، ومسالة شخصية من ناحية اخرى ...

وانا ارى ككاتب وكواحد من تلاميذ محمد فريد يفتخر ، فى مقدمة مايفتخر به فى حياته ، انه ظل وفيا لمحمد فريد رغم كل الظروف الشديدة

التى كانت تحول دون هذا الوفاء ، او على الاقل تحرمه — ارى أن مثل هذا الموضوع وفى مجتمع مصرى اسلامى يؤمن بالقيم والمثل العليا ، ليس موضوعا ثانويا وليس مسألة شخصية ابدا ...

ولو اننى حقيقة كنت قد تأكدت من زواج محمد فريد بمدام دى روشبيرون ، وانجاب أحد الابناء كثمرة لهذا الزواج ، لكان لى راى آخر فى محمد فريد ، ولتأثرت علاقتى به ، أو على الاقل لاهتزت صورته ، عندى ..

ولو اننى حقيقة أيضا ، كنت قد تأكدت من وجود هذا الزواج وهذا الانجاب ، لما ترددت فى نفس الوقت مهما تكن علاقتى بمحمد فريد ، ومهما تكن ارتباطاتى الحزبية بالحزب الوطنى فى ان اعترف به ، والا اجادل فيه على الاطلاق ، فلست أبدا ممن يحاجون فى المسائل الثابتة القاطعة .

ولكننى متاكد الى ابعد حدود التاكد ان هذا الموضوع لا اساس له من الصحة . وقد سالت فيه الاستاذ خليل مذكور الذى عمل سكرتيرا للزعيم الوطنى فى السنوات الاخيرة من حياته ، فنفاه بالقطع كما حاججت فيه الاخ الصديق الاستاذ عبد الخالق فريد ، نجل الزعيم محمد فريد ، طويلا ، فاثبت لى بالادلة التى اقتنعت بها ان هذا الموضوع لا اساس له من الصحة . كما ان مذكرات محمد فريد تؤكد لنا انه كان يعتبر مدام دى روشبيرون جاسوسة عليه من قبل الخديو السابق ، وان الخديو السابق عباس حلمى كان يعطيها أجرا ثابتا لقيامها بتلك المهمة .. ولا اعتقد ابدا أن محمد فريد الذى نعرف جيدا اخلاقه يمكن أن يقول عن انسانة ارتبط بها حتى ولو لايام قلائل ، انها كانت جاسوسة عليه لصالح خصومه السياسيين ، فقد كان ممكنا اذا ماكان الارتباط صحيحا ، أن يبتعد عن الاشارة اليها فى مذكراته ، والا يوجه اليها مثل هذه الاتهامات التى تسقطها وتؤثر الى أبعد الحدود فى سمعتها .. ان كل ابناء الحزب الوطنى ممن زاملوا محمد فريد يعرفون جيدا **قصة مدام دى روشبيرون منذ ان بدات تتصل بالمصريين الذين كانوا يعدون مؤتمرا مصريا وطنيا فى مارس فى صيف ١٩١٠ وكانت لجنة تنظيم هذا المؤتمر قد اتخذت مقرا لها بباريس فى شارع جاليلى رقم ٦٣ واستاجرت قاعة كبرى فى ٢٨ شارع سيربون لعقد جلسات المؤتمر ، ثم رات حكومة مسيو بريان منع عقد المؤتمر بباريس مجاملة للحكومة البريطانية ، فتم نقل المؤتمر الى بروكسل !**

وقدامى رجال الحزب الوطنى يذكرون جيدا زواج مدام دى روشبيرون من احد الضباط الاتراك ، وانجابه منها ابنا اسمه وحيد و . و.

واذا كانت مدام دى روشبيرون تمسك بعض بطاقات المعايدات الرقيقة التى كان يكتبها محمد فريد اليها فى بعض المناسبات ، فان هذه البطاقة لاتدل ابدا على وجود علاقة زواج ، ذلك ان اللغة الفرنسية وهى من ارق لغات العالم ، تحمل بعض العبارات الرقيقة التى يستخدمها البعض لمخاطبة السيدات دون ان تحمل وراءها اكثر مما تحمله رقة اللغة الفرنسية ..

ونحن لا نلوم مدام دى روشبيرون الا على ادعائها الزواج من محمد فريد ، بعد مماته فى الوقت الذى لم تكن تجرؤ فيه على اظهار هذا الادعاء فى حياته : لقد جاءت الى مصر بعد وفاة محمد فريد مباشرة لتقديم التعزية فيه وكانت تعرف انه **رجل مليء ترك الكثير الكثير فلما عرفت** الحقيقة وعرفت انه مات غارقا فى الديون ، عادت الى باريس دون أن تقول شيئا عن هذا الموضوع **وان كانت لم تتوان عن اظهار علاقتها الطيبة به ، واهتمامها بتاريخه . وانني اذكر ، مرة فى** نوفمبر ١٩٥٠ وكنت قد الفت لجنة للاحتفال بذكرى محمد فريد ، وكانت الاهرام تنشر متفضلة اخبار هذه اللجنة وكنا قد اخترنا مسرح الريحانى لنقيم فيه حفلة التابين — اذكر **اننى تلقيت برقية عن طريق الاهرام تحمل اسم مدام عزيزة دى روشبيرون تشاركنى فيها الترحم** على محمد فريد . وعندما عرضت البرقية على استاذنا عبد الرحمن الرافعى ، وعلى بقية اعضاء « الحزب الوطنى » ، سمعت منهم — ولاول مرة — القصة الحقيقية لمدام دى روشبيرون » .

ولا اريد أن اطيل فى هذا الموضوع الذى سبق ان كتبت فيه مقالات عدة ، مكتفيا بنقل فقرات مما جاء فى مذكرات محمد فريد عن مدام دى روشبيرون وهذه الفقرات من وجهة نظرى الخاصة تكفى للتدليل على حقيقة العلاقة التى كانت بين محمد فريد ومدام دى روشبيرون .

يقول محمد فريد فى مذكراته تحت عنوان « طلب روشبيرون التوسط فى الصلح » :

وفى مساء ١٢ سبتمبر ١٩١٣ قال لى عزت بك شكرى ان الخديو اخبره عند مقابلته فى العام الماضى فى اكتوبر او نوفمبر ان مدام روشبيرون كتبت له وليوسف باشا صديق تعرض عليهما ان تتوسط لدى فى الصلح مع الخديو ، ولكنه — اى الخديو — امر يوسف باشا بعدم الرد عليهما بهذا الخصوص . وهذه السيدة تنقد عشرين جنيه تركى شهريا للتجسس على وافادتهم باخبارى ، ولكنها أخبرتنى بجلية الامر وهى الان تنقل لى اخبارهم كما تنقل لهم ما تقف عليه من اخبارى » .

وفى مكان آخر من مذكرات محمد فريد يقول :

« سافرت صباحا من باريس الى جنيف ، وهناك فى اليوم التالى اى مساء ١٠ منه ، حضرت روشبيرون موفدة من قبل الخديو لمقابلتى والاتفاق معى على الصلح ، وكانت كتبت بذلك من قبل ، وبانها قابلت الخديو فى جيوفلى « بوسفور » واظهر لها اسفه مما حصل واخبرها بانه يريد ان تكون هى واسطة الصلح واعطاها نفقات مصاريف السفر .. وانت فاجبتها بانى مستعد للصلح على شرط ان تكون المخابرة بينى وبينه مباشرة

● البقية صفحة ٧٠ ●

قضية الشعر الجديد بين طه حسين والعقاد

● د. عبد الفتاح الديدى ●

● تبدو الحياة الادبية هذه الايام صماء لا تجد صدى يلوح بها لأى رأي أو أي فكرة .. وكأنما لم يعد ثم مجال لتناول اى شيء بالبحث والدراسة .. وقضية الشعر الجديد انتهت الى ما يشبه الجمود تقريبا لان الشعر العمودى لا يزال معمولا به ، فضلا عن أن الشعر الجديد اكتفى بتسجيل أرقام قياسية فى الانتشار واشاع أصحابه عن انفسهم أنهم الشعراء المثقفون ، وانتهت المشكلة بايجاد منامة من نوع آخر لاصحاب الشعر الجديد .

وقد اعتبر النقاد المحدثون ان الاستاذ العقاد مسئول عن محاربة هذا الشكل الجديد من الشعر . واعتقدوا انه تسبب فى ايذاء الشعر الجديد وفى تضييق الخناق على أصحابه حين قام بتحويل دواوين الشعر الجديد الى لجنة النشر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية !

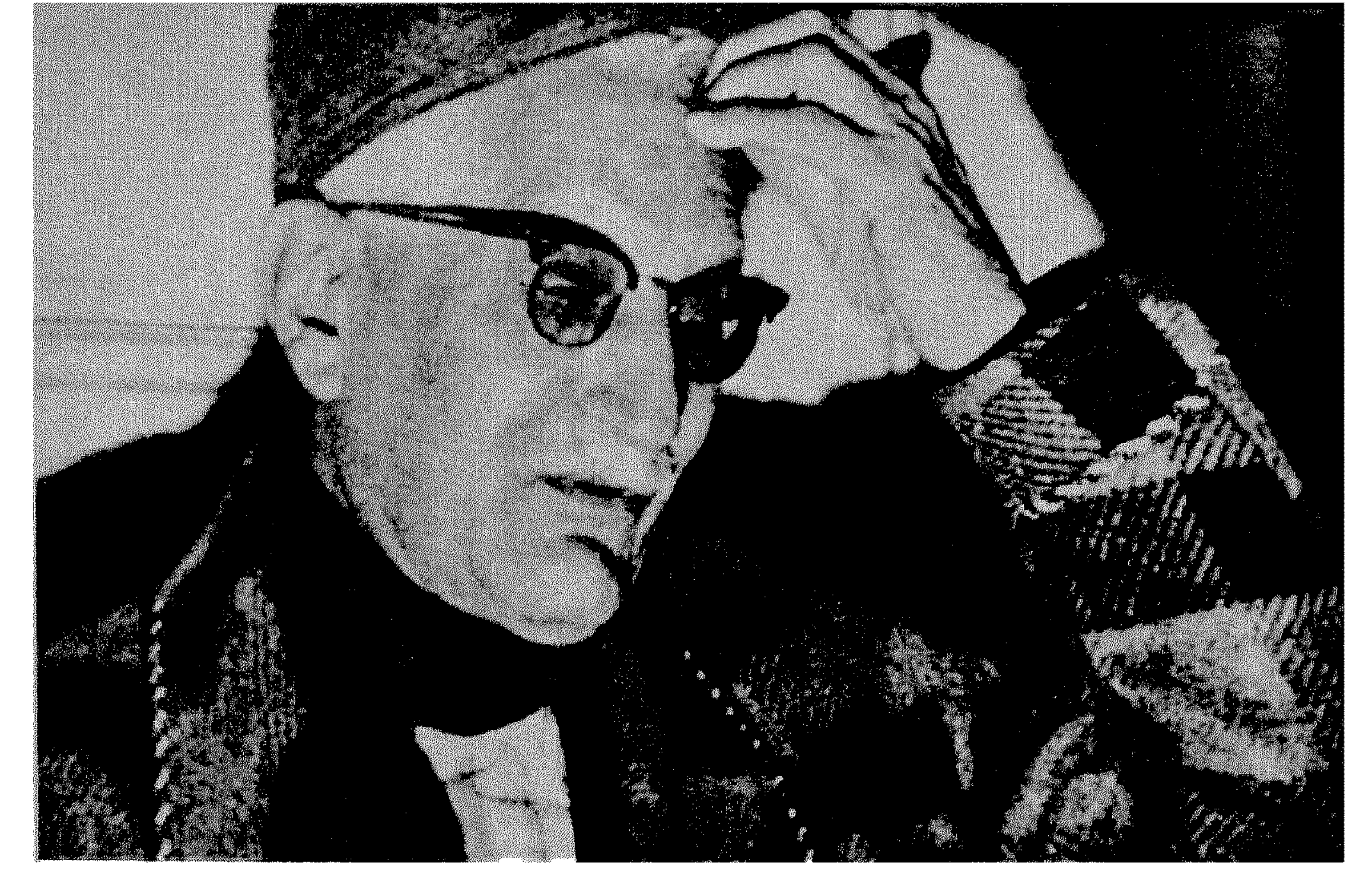
ولو علم أصحاب الشعر الجديد حقيقة الأمر لما غضبوا من العقاد لهذا السبب . فالواقع أن طه حسين هو السبب المباشر فى تحديد هذه الخاصية عن الشعر الجديد عندما أصدر الجزء الثالث من كتابه على هامش السيرة وبه خمسة فصول أولى موزونة على طريقة الشعر الجديد دون أن يسجلها شعرا ...

وكانت محاولة طه حسين تلك سنة ١٩٤٦ على وجه التحديد .. وثار الموضوع فى ذلك الوقت على صفحات « الرسالة » ، ثم عاد الصمت واطبق على هذه القضية ... ثم ثارت مرة اخرى على صفحات « المجلة » على يد الاستاذ يحيى حقى الذى أراد أن يخلق مواجهة جديدة للقضية بتوجيه الناقد الكبير انور المعداوى .

وتلهف عدد كبير من الادباء على اجراء مثل هذه التجربة ، ولكنهم وزعوا التفعيلات على سطور ولم يتركوا كلماتهم تمضى فى شكل فصول أدبية . وبهذا ظهرت المشكلة التى عالجها العقاد على ذلك النحو .

والمسئول الاول عن هذه المشكلة هو طه حسين .. فلو قد ظن انه كان يسجل شعرا لا فصولا نثرية ، لقام بتوزيع تفعيلاته على السطور كما يفعل بعض الشباب الآن ..

وقد احببت ان أثير هذه المسألة مرة اخرى بمناسبة ذكرى استاذنا العقاد لكى اكشف عن شيء هام هنا



العقاد ـ العملاق .. كان انسانا وديعا .. يلاحظ كل شىء ملاحظة هادئة متأملة ..

وهو أن بعض أعمال الشاعر صلاح عبد الصبور أثارت اعجاب العقاد ، وأذيع الآن كلماته التى سمعتها منه أمانة للتاريخ بهذا الصدد ، لانه قال ((كان لازم صلاح عبد الصبور يكون جادا لان نبضاته الشعرية سليمة)) وكثيرا ما أبدى اعجابه به ويستطيع صديقى الاستاذ حسن عنبر أن يشهد بذلك ...

ولم تكن العداوة النقدية عند العقاد سوى شىء ظاهرى ، لانه ـ بمعزل عن العملية كعمل صحفى ـ يصبح العقاد انسانا وديعا أليفا يلاحظ كل شىء ملاحظة هادئة متأملة .. ولم يكن هناك سبب للخصام الشديد بين مدرسة العقاد ومدرسة الشعر الجديد لان معظم نقاد الشعر الجديد ومنهم الدكتور عز الدين اسماعيل ـ كان يوما من تلاميذ العقاد .

وقد تحركت عند العقاد رغبة جادة فى تطوير التشكيل الزمانى للاطار الموسيقى بالقصيدة كما تحركت هذه الرغبة عند عز الدين اسماعيل وانصار الشعر الجديد . بل لقد ورثنا جميعا حب تطوير الشكل الاطارى للقصيدة من العقاد ذاته . ومن الظلم للتاريخ أن يقال غير ذلك . وكل محاولات العقاد من هذه الناحية مسجلة بديوانه اعاصير مغرب وغيره من الدواوين ...

وكان العقاد ابرع شعراء اللغة العربية تعبيرا عن طريق المعنى الذى يشيع به احساسا معينا يملك بدفة الاحساس عند القارىء من البداية الى النهاية . اعنى انه كان أبرع من يحدث وقعا ونبرا فى صميم الاحساس الشعرى وهى الخاصية التى فاض فى تحليلها سيد قطب فى مقالاته النقدية عن شعر العقاد سنة ١٩٣٨ بمجلة الرسالة القديمة . واستطاع سيد قطب ان يخطف ابصار كل نقاد الشعر فى تلك السنوات بما أبداه فى تحليلاته من دقة وحساسية وجمال .

فالتجديد الجوهرى الذى يمس اطار الشعر كان هدفا فى شعر العقاد . ومحاولاته كانت جادة فى هذا المجال بدليل انه اشاد بها عند مطران فى قوله :

حررت أوزان القصيد
فزاد فى الميزان وزنا
وتوسعت فيه البحور
فأرسلت دررا ومزنا
هذى الثلاثيات حقك
من لدنك ومن لدنا

وديوان العقاد ((عابر سبيل))نموذج واضح فى أوائل الثلاثينات لثورة شعرية حقيقية تتناول المضمون وتتناول القالب أو الاطار التشكيلى ...

وليس ذنب العقاد أنه حاول أن يدعم مركزه اولا فى ميدان الشعر كشاعر اصيل ، ثم يمتد فنه الى التغيير الجوهرى للاطار التشكيلى ثانيا . فقد كان هذا هو هدفه الاول ولكنه هدف مؤجل لارتباطه اساسيا بجماليات فنية صعبة التحقيق بدون مكانة شعرية مرموقة .

وقد ذكر النقاد العديد من هذه المحاولات ولكن الشيء الذى عزلنا تقديره بعيدا عن الشعر الجديد هو مايسمونه بالايقاع الداخلى للكلمات أى ايقاع الحركات والسكنات بما فيها من قوة أو لين ومن طول أو قصر ومن همس أو جهر .

ونعود فنقول ألم يلتفت طه حسين الى هذا الايقاع الداخلى فى الفاظه وهو استاذ النبر الصوتى لكى يحول دون سرد فصوله ذات الوزن الفعلى فى كتابه على هامش السيرة على هيئة الكتابة النثرية المألوفة ؟

ولم اكن قد تناولت قضية الشعر الجديد بالتفصيل قط فى كتاباتى وان كنت قد تناولت قضية الموسيقى الشعرية كما افهمها ، ولا أستطيع ان أقول سوى شيء واحد هنا وهو أن نقاد الشعر الجديد شأنهم شان نقاد ((الهراوة)) لم يحاولوا أن يتفهموا القضية تفهما علميا واضحا بالمناقشة الجادة الواعية بعيدا عن الحماس والتعصب .

ولاشك أننى أحببت العقاد كما قلت دائما ولكن حبى لرفاق الدرس وأصدقاء العمر شيء لا سبيل الى انكاره . وقد نشأت القضية خطأ عن وجود العقاد فى كفة وبقية النقاد فى الكفة الاخرى كما قلت يوما لصديقى الاستاذ الدكتور عبد القادر القط . وقد أبديت أسفى له عن الاسلوب الذى شاع عند مناقشة القضايا الادبية بحيث يلهب النقاد ظهور خصومهم تبكيتا وتنكيتا ، فى حين أن المسائل هنا تحتاج الى ريادة من نوع جديد . وكم كان يمكن أن نحل العديد من الاشكالات بالتفهم والدرس الدقيق .

وأحب أن أطرح الآن مع جميع الاصدقاء والدارسين والنقاد مشكلة أولى من مشكلات الشعر الجديد والشعر العمودى ، وهى الى أى حد يقوم كل من الشكلين الشعريين بعملية التبليغ او الاتصال ؟

فأنا وغيرى من النقاد نعتقد أن الشعر فن قائم على أساس التوصيل والابلاغ المتقن أي أنه يخلق جسرا اشبه بالقنوات التى تمر خلالها الكلمات فتترابط فى النهاية عند السمع كسياق بنيوى أو تتهاوى بعده الكلمات بدون تجميع .

والسياق السمعى النغمى يقتل الالفاظ قتلا كي ينصرف الوعي بعد السمع الى الدلالات . فاذا فاق الشعر الجديد باطاره التشكيلى ((الشعر الاطارى السياقى)) اذا صحت هذه التسمية لاتجاهات الابداع الفنى للعمل الشعرى مع الارتباط بالسياق البنيوى ــ اقول اذا فاق الشعر الجديد مدرسة السياق البنيوى فى هذه الخاصية كان أولى بالتقدير .

والمهم هو ان نلاحظ أن المقارنة بين اتجاهى الشعر الجديد ومدرسة السياق البنيوى لا تحتاج الى برهان على الاجادة بقدر ماتحتاج الى برهان على الفشل فى الاداء المطلوب عملا بقول الشاعر

ابن خميس :
« لا أشتم الذئب طبع الذئب يكفينى »

والفشل الظاهر بين أصحاب الشعر الجديد يماثل تماما الفشل الظاهر فى شعراء السياق البنيوى . ولعل الخمول الذى يغطى ارجاء الشعر الان يصاب برجفة امام دعوتنا اليوم الى سماع ثلاث قصائد من كل لون يتفضل بارسالها الى « الهلال » أصدقاؤنا من الشعراء هنا وهناك لاعادة شكل القضية ودراستها على نحو بعيد عن الخلط والمغالطة .

والجانب الذى يهمنا الآن بالدرجة الاولى هو التوصيل . ونود ان يعتبر كل شاعر هذه القضية قضيته وقضية مستقبل الادب العربى الحديث . فالشعر شانه شأن كل الفنون مطالب بأن يكتشف فتحات ينفذ منها الى قلب القراء ووجدانهم وسط كل المشاغل اليومية . **أو بعبارة أخرى يخضع القارئ اليوم لمؤثرات شتى تبعده عن الكلمة المقروءة ومن الضرورى أن يحاول الاديب محاولة جادة من اجل تشكيل الكلمة المقروءة بالإسلوب والنغم المطلوبين لنجاح مشروع الشعر أيا يكن .**

وهذا نفسه هو ماحدث بفرنسا عند ظهور تيار الشعر الذى تغنى به جاك بريفير فى ديوانيه ((المطر والجو الصافى)) و ((أقوال)) فاستطاع بذلك أن يجذب جمهور القراء بشكل رائع ، وصار شعره فى متناول كل لسان .

ولكن هذا لم يقض نهائيا على شعر بول ايلوار بل ظل الادب الفرنسى الحديث والمعاصر يرعى مايسميه بالكلاسيكيات الادبية ، وهى الاعمال ذات الطابع الجاد القويم المتفق مع قواعد واصول وتاريخ الفن الشعرى .

والمهم هو ان نلاحظ ان تغيير قوالب الشعر الاطارية لا تمثل اتجاها مثل اتجاهات الفن كالحوشية ، والسيريالية ، والتجريدية ، والانطباعية ـ بل هى عملية تحرك قواعد الفن من أساسه ، وبالتالى لا تشكل مجرد موقف كما حدث حتى الآن بالنسبة الى الشعر الجديد ، وانما من الضرورى أن نعهد الى عدد من شعرائنا بتسجيل موقفهم الحسى من موسيقى الشعر لاكتشاف طرق ووسائل التعبير .

ليس حسبنا هنا موقف او موجة جارفة تروح وتجىء وانما نحن بصدد احداث تغيير جوهرى يناسب مقتضيات عصرية مناسبة ، من الظروف المعيشية والثقافية والاجتماعية . وعلى ذلك فالنغم المطلوب ايجاده يخضع لايقاعات جديدة مطلوبة ونبرات أصلح واقرب الى اسلوب الجماهير فى تلقى الانغام .



عباس العقاد

لابد من سليقة موسيقية شعرية تتالف عند المرء بالتاصيل والمقارنة والاستيعاب . للشاعر خاصية موسيقية فى تصوير الالفاظ هى مانسميه ملكة الشعر . يبقى بعد هذا اما أن يستغلها استغلالا تقليديا فاسدا او يقدم عبارته من خلالها على نغم طريف مجدد متحرك . ●

ليست مسائل شانوية

بلا وسيط وبدون حضور احد أيا كان. استعلمت من محل المسيو « هاكسيدس » وكيله بجنيف فاخبرها ان الخديو بلوزان ، فارسلت اليه تلغرافا تخبره بما حصل .. وقد اخبرها هاكسيدس بالتليفون بأن تلغرافها وصل الخديو ولكنه سيسافر غدا ؟ الى الاستانة ..روشبرون قابلت هاكسيدس فاخبرها ان الخديو سافر وانه سيرسل لها بالاوامر اللازمة من مصر ، فحضرت هى الى باريس لمقابلة يوسف صديق وانا حضرت لباريس كذلك فى صباح الجمعة ٢٥ لاقيم بها فصل الشتاء كله او بعضه ، وقابلت روشبرون فقالت لى انها قابلت يوسف صديق ، وانه أخبرها بأن الخديو خشى جواسيس الانجليز الذين علموا بانه يريد الصلح معنا ، وعلى ذلك سافر الى الاستانة بدون أن يدخل جنيف حتى لا يتهم بمقابلتى . »

وفى مكان آخر من مذكرات محمد فريد يقول :

« قابلت روشبرون الاحد ٩ نوفمبر فاخبرتنى بانها قابلت شخصا اسمه المسيو دوباز ، ودار الحديث بينها وبينه على مسائل الدولة ، فعلمت فيه اثناء الحديث آن فرنسا تسعى جهدها لاستمالة كثير من الشوام فى مساعدتها ، وان « الروسية » تبذل جهدها كذلك فى بلاد ارمينيا اذ انه ينتظر حدوث ثورات بولايات آرمينيا فى الربيع القادم ، وانه هو سافر الى الشام لهذه الغاية ، وانه يريد آن يجعل بينها وبين وزير خارجية فرنسا علاقة لتوافقها بالاخبار ، وربما تمنحها بمأمورية فى جهة ارمينيا لمساعدة الروسية ، اى انها ستكون جاسوسة هناك . ولا غرابة فى ذلك فانى توسمت فيها ذلك من مدة بسبب سعيها فى التقرب من رجال الاتحاد والترقى ، والتعرف بالضباط ، وبالاخص ضباط البحرية ، ... الاحظ ذلك من الان »

ويستطرد محمد فريد قائلا :

« فى يوم السبت ٢٩ نوفمبر ورد لى جواب من روشبرون تقول فيه أن محل كوك أرسل لها تذكرة درجة اولى من باريس الى القاهرة بالوابور الذى يغادر مرسيليا يوم ٥ ديسمبر ، وانها تنتظر مرتب الشهر لتسافر حسب الطلب ولظنى أن هذا الطلب لابد وان يكون له علاقة بمخابرات الصلح ، كتبت على الفور لاسماعيل حافظ ، بان يخبر فؤاد بك سليم بذلك ، وبان يرفضوا تدخلها بالمرة ، واظن أن الخديو لم يطلبها الا بعد قرار مجلس ادارة الحرب « الوطنى بالطبع » بعدم التكلم فى الصلح معه بناء على انه غير صادق فى مسعاه ، وغير كتوم للسر .. فان اللجنة كانت قررت فى آخر أكتوبر قبول المخابرة معه ، وعينت عبد الملك افندى حمزة ، ومصطفى افندى الشوربجى لينوبا عن اللجنة فى المخابرات ، ثم عدلت عن هذا القرار لاشاعته بالقهاوى من جهة ، وبعد وقوفهم على مادار من المخابرات بواسطة توفيق بك زاهر وصادق رمضان من جهة اخرى ، تلك المخابرات التى لم تأت بفائدة »

ومما يدل على أن محمد فريد كان يرى فى الزواج غير الشرعى وفى العلاقة غير المشروعة امرا تاباه الاخلاق الكريمة ، انه كتب فى مذكراته يقول :

« علمت امس بطريقة غريبة ان يوسف صديق له ولد من الزنا يتربى فى مدينة الهافر ، وقد رايت هذا الغلام ، وهو يبلغ الحادية عشرة وتظهر على ملامحه سيما المصريين ، وسالته عن اسمه فقال « صديق » .. وهو لايعرف كلمة من العربية عندها قالت لى فهيمة هانم زوجة محمود مسعود بك ، وبنت مصطفى باشا صديق اخ يوسف صديق ، وكانت مع اولادها فى لوكاندة ستا ـ « ٦٣ شارع جاليلى » انه غلام يتيم تبناه يوسف ولكنها كانت تتلعثم ، وظهرت عليها امارات الخجل ، لانها قالت لى فى مبدأ الامر عند سؤالى منها عن هذا الغلام . انى لا اعرف اباه . فقلت لها عجبا انه كله مصرى تقريبا »

والذى يكتب هذا الكلام عن ولد غير شرعى بمثل ذلك الاتهام الشنيع ، لا يمكن أن يقبل على نفسه ان يكون له زوجة يتنكر لها او ابن يرفض انتسابه اليه .

ان كل مالدى من وثائق تاريخية ، ومن بينها اكثر من مائتى خطاب ارسلها محمد فريد من منفاه الى زوجته واولاده واقاربه ، تؤكد فى مجموعها ان اخلاق محمد فريد كرجل وطنى مسلم مستقيم .. لم تكن لتسمح له بأن يتزوج زواجا غير شرعى ، كما أن اخلاقه الكريمة وشجاعته التى فاقت كل الحدود تابى عليه ان يكون له ـ وهو الذى حارب الخديو والانجليز اعنف حرب لاكثر من عشرين عاما ـ ولد من صلبه يرفض ان ينسبه اليه .

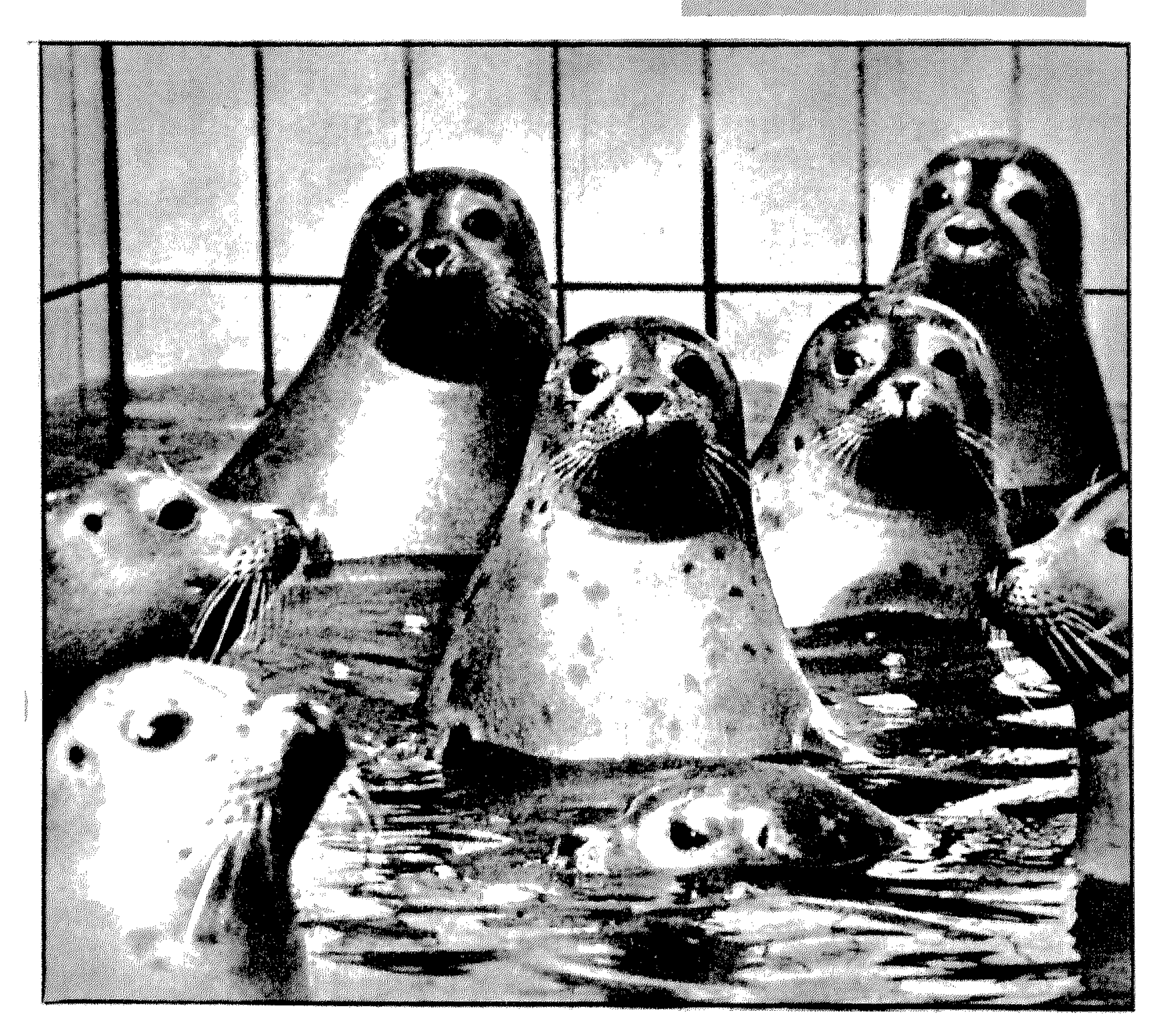
وفى النهاية نقول آن مثل هذه الامور التى يرى البعض انها مسائل ثانوية آو مسائل شخصية تخص الزعيم وحده ، لايمكن ابدا ان تكون مسائل ثانوية فى مجتمع اسلامى يؤمن بالقيم والمبادىء . ولو ان مثل هذا الامر الذى تنسبه مدام روشبرون الى محمد فريد كان له نصيب من الصحة ، لاهتزت شخصية محمد فريد الى ابعد الحدود عند اصدقائه وتلاميذه ومريديه .

ان علاقة محمد فريد بمدام روشبرون لاتتعدى علاقة مصلحة ، فهو يستخدمها ليكشف عن طريقها خطط خصومه واعدائه ، وهو فى نفس الوقت لا يريد أن يقطع هذه الصلة ، لانه يريد أن يعرف الكثير من الاخبار السياسية ذات الاهمية البالغة التى كانت تتوافر عند مدام روشبرون نظرا لصلاتها الوثيقة بالخديو وبالمخابرات السياسية وغيرها من الاجهزة التى كانت تعمل فيها مدام روشبرون .

● صبرى أبو المجد ●

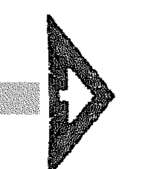
ناس وصور

وحكايات



حمّام جماعى للأسرة

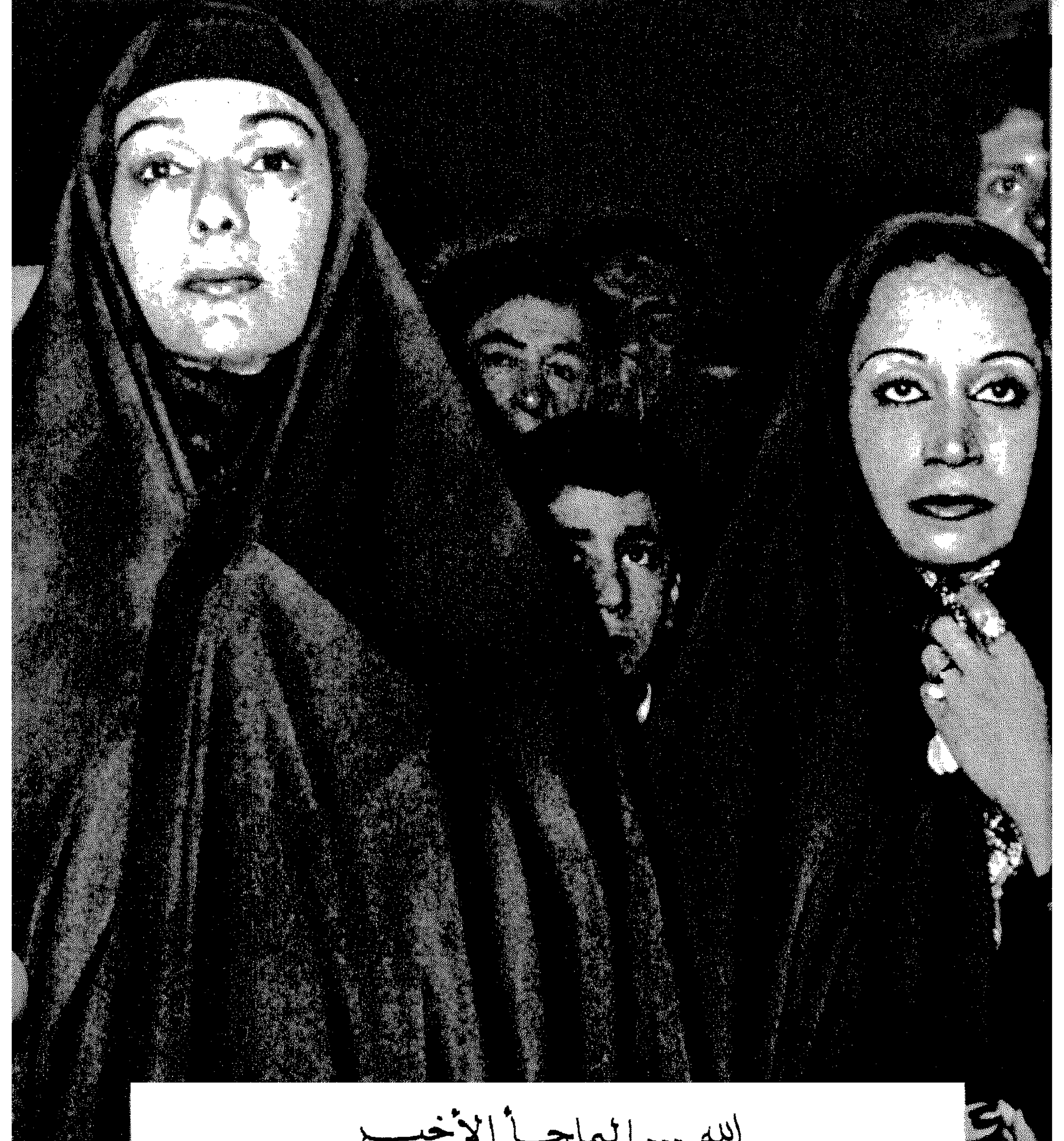
تعتبر الفقمة ((كلب البحر)) من ألطف ماخلق الله من حيوان ، فهى ذكية واليفة وتحب اللعب . ولهذا يستخدمونها فى السيرك . ونحن نعجب من طرائف ماتقوم به من بهلوانيات ... ومن احسن صفات الفقمات هو الحب العائلى فان الفقمة سواء كانت ذكرا أو انثى تحب آسرتها وتعيش حياة أسرية كأحسن ماتكون تلك الحياة وفى الصورة ترى مشهدا من مشاهد الحياة العائلية لفقمة وأسرتها فهم يستحمون معا فى حمام خاص اقامه لهم صاحب السيرك .



الأميرة ... حافية ... إجلالاً للمسجد

لعلك لم تر فى حياتك أميرة حافية القدمين، لان المعروف ان الاميرات لا يسرن الا على الحرير ، ولا يتحركن الا باحذية من أغلى ما يصنع الصناع . ولكن هذه أميرة حافية ، هى الاميرة جريس أميرة موناكو ذات الجمال والشهرة والصيت .

وهى حافية لانها ستدخل المسجد فقد كانت فى زيارة لاستانبول ، وقبل ان تدخل مسجد أحمد باشا خلعت نعليها ربما للمرة الاولى فى حياتها.



الله ... الملجأ الأخير

هذه السيدة التى تراها فى الصورة ، هى الشهبانو فرح ديبا التى كانت من أقوى وأغنى نساء العالم ..

وقد حدث فى ايران مانعرفه جميعا ، وتبدل الحال غير الحال وذهب ناس وأتى ناس . وفى لحظات الفزع الاخيرة والتماسا للامل تركت الشهبانو العرش والتاج والترف واتشحت بالسواد واتجهت الى الله ... الى العتبات المقدسة فى النجف ، تلتمس العون ممن لا عون بدونه ، ولا امل بدونه : الله سبحانه وتعالى .

وسبحان مغير الاحوال



علموه كيف يقتل .. فقتل

هذان الصبيان اللذان تراهما فى الثالثة عشرة من عمرهما وهما فيتناميان من جنس الخمير وهما اثنان من مئات الالوف من شباب وصبيان فيتنام الذين ولدوا فى الحرب وعاشوا مع الحرب ولم يعودوا يعرفون لانفسهم حياة غيرها ولذلك فالحرب بالنسبة لهم لعبة او قل لعبة الحياة .. فهما يحملان فى يدهما مدفعا رشاشا يحصدان به الارواح ولهما لا يعرفان ماهية الارواح .



تلك هى آللعبة الخطرة التى دخلت فيها فيتنام من اكثر من ربع قــرن وهى لا تعرف أين تقف أو كيف تقف ...

وكان المفروض بعد خروج الامريكيين ان تستقر فيتنام سنوات طــويلة لترتب وتعيد البناء وتتم وحدة فيتنام ... أما الهجوم على كمبوديا فــكان فيما نظن ســابقا لاوانه ، لم يكن ضروريا اطلاقا ولكن ما العمل وهناك الوف من مثل هذين الصبيين لا يعرفان من لعب الاطفال الا البندقيــة الرشاشة ...

تولستوى

● بقلم ابنته : الكسندرا تولستوى ●
● ترجمة : نصرى عطا الله ●

● **قارن أبى احـدى المرات بين الكتابة وبين تعلم الموسيقى ، قال : انه لأمر مضـحك أن يسألك الناس :**

ــ هل جربت أن تكتب ؟

وما من أحد منهم يجد فى السـؤال أى غرابة ، فى حين انه اذا سأل سائل:

ــ هل جربت أن تعزف على الكمان أو البيانو ؟.. فسوف يكون ذلك أمرا بالغ الغرابة ، لأنه لابد لك أن تتعلم العزف!

كان أبى يقول دائمـا ان الكتـابة ليست مجرد موهبة من المواهب الذهنية بل لابد لك ان تدرس بقدر ما تدرس من أجل أى شىء آخر تود ان تمارسه : وبطبيعة الحال فعل هو ذلك ..

وأتذكر اننى قرأت أول قصة كتبهـا حين قرأت مخطوطاته خلال السـنوات الاولى للثورة ، كان هنـاك اثنا عشر صندوقا من مخطوطاته ، وعندما شرعت فى دراستها وجدت احدى قصصـه ــ كيف ينتهى الحب ــ أو شيئا يشبه ذلك وعندما قرأتها خيل الى انها من انتـاج شـاب فى احدى المدارس العليا ، لقد كانت هزيلة للغاية . تلك كانت واحدة من محـاولاته الاولى ، وبعد ذلـك تعلم شيئا فشيئا أن يكتب ..

لقد نسخ « الطفولة » و « الشباب » اربع مرات . (مع تعديلات فى كل مرة) .. ونسخت أمى « الحرب والسـلام » سبع مرات من البداية الى النهاية ... وقد أنفق سبع سـنوات فى كتابة تلك القصة ..

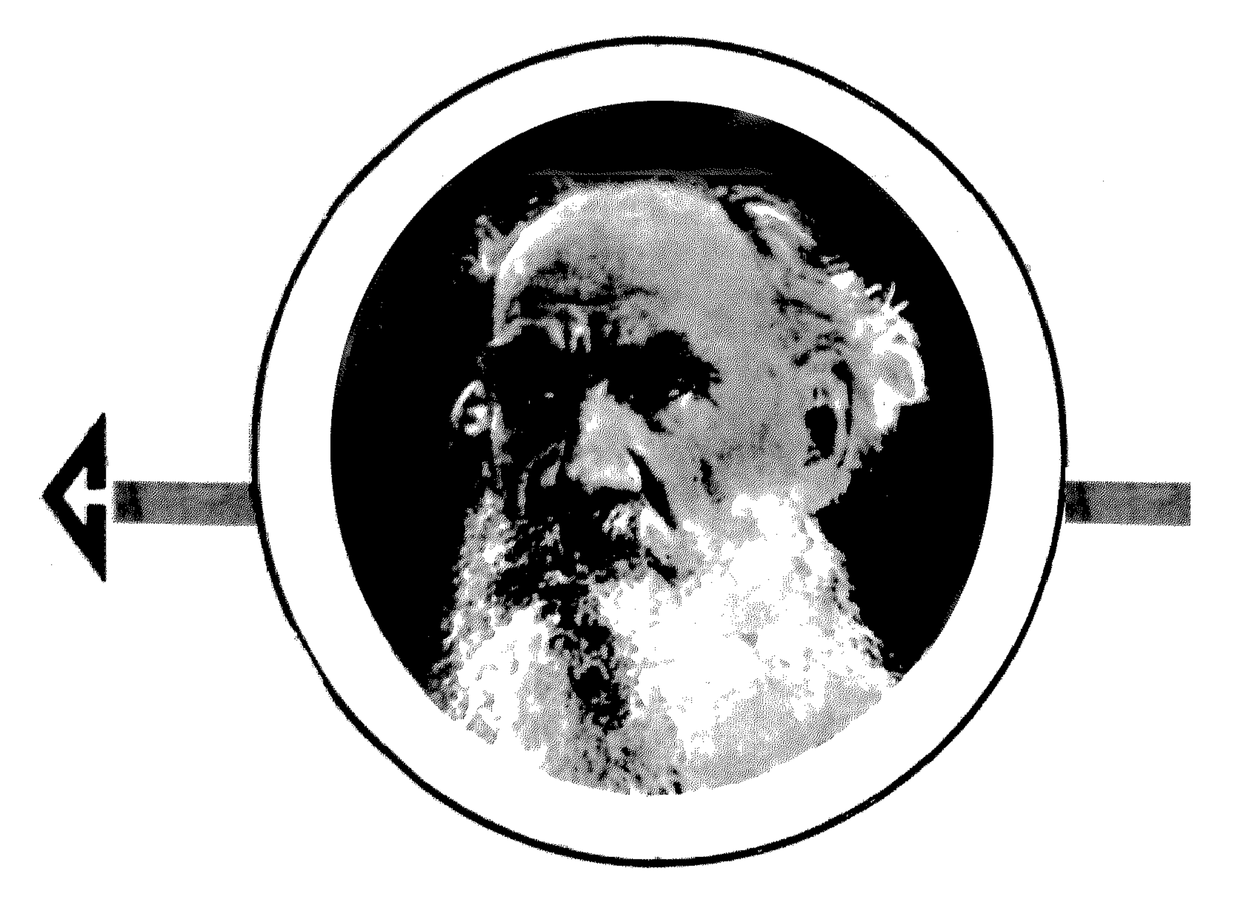
وكم كان ينصرف عن « أنا كارنينا » ولا أستطيع أن اتذكر بالضبط كم من الوقت انفقه فى كتابتها ... لا اظن أنه أقل من عام ، ولكنه كان يصدف عنهـا ويقول ان قصة « أنا كارنينا » تسبب له الضجر . ثم يبدأ من جديد ويعكف على كتابتها فصلا فصلا ! ..

وهكذا ظل ابى تلميذا ويقوم بدراسة ما يعـرض له من بداياته . وظـل على الدوام يتعلم شيئا ما حتى آخر أيامه.

كان أبى يحب الطبيعة ، واسـتطيع أن أقول انه لم يكن يحب الحضـارة كثيرا جدا ، وقد قال مرارا أن اولئك الذين يحاولون العيش فى عالم متحضر يشتمل على البرق والتليفون دون وعى روحى ، أى محبة الله والايمان ــ انما ينحدرون الى أسـوأ فأسـوأ ... انه لأمر مدمر فى حقيقته !

وهكذا لم يكن يحب حيـاة المدينة اطلاقا .. أمى كانت تحب المـدن وكى لا يسبب لها أى كدر ، كنا أحيانا نقضى فصل الشتاء فى موسكو ، واستمر ذلك ــ كمـا يغلب على ظنى ــ حتى بلغت السادسة عشرة ، وكان لنا فى موسـكو حديقة واسعة ، أظنها حوالى فدان، وكان أبى يمتلك جوادا ، وكان يتجول أحيانا ممتطيا جواده ، كما كان لدينـا بقـرة هناك .. كان ذلك شبيها بالريف ،ومع ذلك فقـد كان يكره المدينة كراهيـة عميقة !

ولانه كان يحب الطبيعة كان يربط بينها وبين الحقيقه كلها ...



تولستوى .. كان يعتقد ان الشىء الطبيعى لـدى الانسان هو ان يتقـدم ويبلغ مرتبة السيطرة على الذات ..

وكانت عقيدته أرحب أفقـا من أى نوع من الديانات ، كان يؤمن بالمسيح ولكن كانت له عقيدته الخاصة ، كانت ديانته المسيحية أو اتباع تعاليم المسيح ولكنه نحى المعجزات جانبا وبلغ به الحد أن كتب انجيلا خاصا به اشتمل على التعاليم الواضحة للمسيح دون أى شىء آخر ، أى بدون معجزات .. ولقد نبذته الكنيسة الارثوذكسية ، ولكننى لا أظن ان ذلك ترك أثرا فى نفسه ، اذ انه فى الوقت الذى فصلته فيه الكنيسة ، كان هو قد انفصل عن الكنيسة ...

ولم يحدث أن فهمت جماهير النـاس تولستوى ، بل هو غير مفهوم فى الوقت الحاضر .. المحافظون حاولوا أن يقولوا انه ثورى ، والثوريون قالوا انه محافظ ... وهو لم يكن هذا ولا ذاك . وقـد قال ان حكومة القيصر تحتفظ بالسلطان عن طريق الشر والعنف ، وان حكـومة الثورة على القيصر سوف تستولى على الحكم بالقوة والشر ..

شىء آخـر قاله وهو انه يعتقـد ان الثورة الروسية سوف تدفع بالعالم الى طريق مسـدود ، وأعتقـد انه كان على صواب . اذ أننا فى الوقت الحـاضر نشعر حقا اننا أمام طريق مسدود . كان أبى يساوره القلق على مستقبل العالم . كان مثاليا . تلك هى خصيصته المميزة التى أستطيع أن اذكـرها .. وكان يعتقد ان الشىء الطبيعى لدى الانسان هو ان يتقدم ويبلغ مرتبة السيطرة على الذات ، وكان يعتقد ان العالم والشعوب سوف تتقدم أيضا تدريجيـا ... كان يؤمن بامكانية كمال الانسـان ، عندما يرقى كل انسان بذاته فسـوف يحقق ذلك السعادة للدنيـا .. كان يؤمن ان ذلك أمر طبيعى بالنسبة للانسان .

كان والدى بالتأكيـد رجلا جـديرا بالمحبـة ، وما كان فى استطاعته ان يكتب قصصه لو لم يحب الناس ويعرفهم وكانت عمتى « تانيـا » هى النمـوذج الاصلى لشخصية « ناتاشا اورستوفا » فى رواية « الحرب والسلام » وقد قالت مرة لأبى :

ــ أفهم انك تستطيع أن تصف قائدا حربيا أو أحد ملاك الاراضى او الفلاحين وتستطيع حتى وصف أم من الامهات .. ولكن كيف تستطيع أن تصـف فتاة تحب ..؟ اننى لا استطيع أن افهم ذلك!

حسنا .. لقد كان يفهم الناس وكان فهمه لهم متعدد الجوانب ، كان يستطيع أن يفهم الغلام الذى يأتى اليه ، والفتاة التى تمر بتجربة غرامية وتأتى اليه لتحدثه عنها .. لقد فهم الناس وأحبهم .. كان يحب عائلته ، ولكنه لم يكن على وفاق معها ، ومع ذلك فلم يحل ذلك بينه وبين محبتها .

واعتقد انه فى أعماق أعماقه كان رجلا يحب ، كما انه رجل استمتع ايضا بالحياة وأحبها وفهمها ، انه لا يفهم الناس فحسب بل الطبيعة ايضا ... فأحيانا كان يجلب معه باقة من الزهور ... ويبدو انه يستمتع بها الى حد كبير ، كما كان يستمتع بصحبة جواده، كان يسعد بأشياء كثيرة فى الحياة ويحب للآخرين أن يسعدوا بها .

وذلك هو سبب حزنه الشديد على الفلاحين الذين لم يكن لديهم ما يكفى من الارض ، وذلك هو سبب كثرة كتاباته عنهم .

وعندما كان أبى يكتب مقالاته كنت اقوم بعمل السكرتيرة الخاصة له ، وقد كنت فى السادسة والعشرين فقط عندما مات ولذا لم يتح لى أن أنسخ القصص الطويلة فيما عدا ((البعث)) التى نقلتها عندما كنت فى الخامسة عشرة ، ولكن فيما بعد كنت أنسخ له مقالاته واعماله الفلسفية .

وقد أرسل لنا « رمنجتون » أول آلة كاتبة خرجت من مصانعه وكانت قد اخترعت فى ذلك الحين ، وسرعان ما تعلمت الكتابة عليها ، وكنت استعملها فى كتابة مخطوطاته وذلك « على مسافتين » .

وفى الصباح كان أبى يعمل حتى الواحدة ، ثم أنسخ له مخطوطاته وأقدمها له صباح اليوم التالى ، وبعد أن يراجعها لا تبقى صفحة واحدة دون تصويبات ، وقد يكتب بين الهوامش وبين السطور وعلى هوامش الوجه الآخر من صفحات المخطوطة ، واحيانا كان يمزق كل شىء الى قطع صغيرة . وعلى مدى أيام وأيام يكتب نفس الصفحة ويصححها ، ثم يعيد تصحيحها وأحيانا يقضى فى كتابة مقال شهرين أو ثلاثة أشهر ، ولا أعرف عدد المرات التى كنت أرى فيها نفس المخطوطة وقد كتبت مرة أخرى .

وهكذا كان أبى شديد التدقيق فى صياغة أفكاره ، محاولا دائما أن يدرس، محاولا دائما أن يصل بكتاباته الى مستوى الكمال .

ولى ان أقول ان ثمة خلافا كان قائما بين أبى وأمى ازاء القضايا الاساسية فى تعاليمه ... وكانت هى لاتستطيع ان توافق عليها . واخيرا .. أصبح الجو العائلى عاصفا ، وهاجمت أبى الامراض، واصبح متعبا جدا ، وعزم على ان يحقق الحلم الذى طالما راوده طوال حياته وهو ان يذهب ويموت بين البسطاء من الناس الفلاحين .

ان أتباع تولستوى يعيشون بين احضان الطبيعة .

ولكنه كان متواضعا للغاية ... انه لم يفطن ابدا الى التأثير الهائل الذى أحدثه فى الشعب الروسى : لقد ظن انه يستطيع ان يذهب الى مكان هادىء يعيش فيه ولا يعثر عليه أحد ، ولكن كل المراسلين والمخبرين الصحفيين ورجال الشرطة كانوا يحاولون العثور على تولستوى ..

ولسوء الحظ لم يستطع ان يصل الى اصدقائه ... لقد مرض وهو فى الطريق اليهم ... كنت معه ، وحدث ذلك فى محطة صغيرة للسكك الحديدية هى ((استابوفو)) على بعد ثلاثمائة ميل من منزلنا . لقد دهمه المرض ، ومات متأثرا بالالتهاب الرئوى .

أريد ان احدثك عن آخر ما قال :

فى مساء الليلة التى رحل فيها ، نادى أختى ونادانى . وقال :

ـ لماذا تنظرون فقط الى ليو (يعنى نفسه). هناك كثيرون فى الدنيا غير ليو ... وأنتم لا ترون غيره !

والشىء الأخير الذى قاله وكان آخر ما تفوه به :

ـ الحق ... اننى أحبه كثيرا ! ●

في المترو

● محمد حليم حامد غالى ●



تطرق الباب برفق ... لينتهها   تطرق الباب على قلبي الحزين
غادة تختال في سحر الصبا   أخذت من غرة الصبح الجبين
ثغرها كالفجر ، حين ابتسمت   مزجت بالروح عرف الياسمين
وقوام ينثني بنانه   يسمع القلب خطاه ، كالرنين

***

أفسحوا للشمس في مجلسهم   وجمال الشمس بين الجالسين
وتناجوا خشعا أبصارهم   في جلال كصلاة العابدين !
تأفل الشمس .. ويخفى ضوؤها   وضياها ليس بين الآفلين ....

***

تشهد الدنيا إذا ما سفرت   أنها الكأس لروح الساكرين
من جلال الله ، إلا أنها   خلقت في الكون من ماء وطين
يا بهذه الكون ، أبدعت ... وما   تعشق الأرواح إلا المبدعين !

الأعمال الادبية

وراء نجاح أفلام المهرجان

● مارى غضبان ●

●● فى العام القادم يصبح عمر مهرجان برلين السينمائى الدولى ثلاثين عاما ، وهو بهذا العمر يصبح ثانى أعرق مهرجان سينمائى عالمى بعد فينيسيا التى توقف مهرجانها فى الفترة الاخيرة ●●

وظروف مهرجان برلين تختلف عن بقية مهرجانات العالم نظرا لطبيعةبرلين المنقسمة بين جزء يمثل مدينة تتبع جمهورية المانيا الاتحادية ، وجزء اساسى هو عاصمة جمهورية المانيا الديمقراطية . وهذا التقسيم السياسى لمدينة برلين انعكس على مهرجانها ، فحتى ما قبل ولاية فيلى برانت لمستشارية المانيا الغربية لم يكن هناك سماح بعرض أفلام البلاد الاشتراكية.

ومع تغير النظرة بعد اخذ المانيا الغربية بسياسة الانفتاح على الشرق، بدات مشاركة الدول الاشتراكية الاوربية والاسيوية وكوبا فى المهرجان، وظل اشتراك هذه الدول فى المهرجان بدون عوائق أو مشكلات حتى تفجرت مشكلة العام الحالى عندما عرض الفيلم الامريكى « صائد الغزلان » الذى يعبر عن وجهة نظر متطرفة ، فى احداث الحرب الفيتنامية رغم انه لا يمثل قيمة فنية ذات معنى ، الا أن عرضه ضمن افلام المسابقة تسبب فى اعتذار وانسحاب عدة دول عن الاستمرار فى المشاركة فى المهرجان . وهذه الدول هى الاتحاد السوفييتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمانياالشرقية ، والمجر ، وبلغاريا ، وكوبا ، بينما لم تنسحب كل من رومانيا ويوغوسلافيا والصين والبانيا ..

ورغم انسحاب المانيا الشرقية من المسابقة الرسمية فقد تركت افلامها فى العروض العادية وسوق الافلام ،وبقيت المخرجة التشيكية « فيراتشيتلوفا » فى لجنة التحكيم الدولية ، بينما اصر



مشهد من الفيلم المصرى الحائز على جائزة الدب الفضى « اسكندرية .. ليه » ـ اخراج يوسف شاهين

المخرج « بال جابور » الذى حصل على جائزة احسن مخرج فى مهرجان القاهرة الدولى الثانى ، على الانسحاب مع وفد بلاده المجر رغم كونه عضوا فى لجنة التحكيم .

ولعل اهم ملاحظة خرجت بها من متابعتى لعروض الافلام المشتركة فى المهرجان هى أن الاعمال الادبية المنشورة كانت وراء نجاح العديد من الافلام التى حققت نجاحا كبيرا فى هذا المهرجان .

والفيلم الحائز على جائزة « الدب الذهبى » وهى الجائزة الاولى فى المهرجان هو فيلم « داود » أو «ديفيد» وهو انتاج المانى وموضوعه مستمد من رواية « جوهيل كوينج » عن نفس الاسم « داود » وموضوعه الذى اخرجه بيتر ليلنتال الذى اشتهر بتقديم الافلام التسجيلية وبعضها صور فى البلاد العربية بجانب خبرته فى اخراج الافلام الروائية الطويلة .

ومضمون الفيلم يدور حول ابن حاخام يهودى يعيش فى قرية المانية خلال سنوات حكم هتلر فى عام ١٩٣٦ وقتها كانت الشمارات تغطى الشوارع « لا مكان لليهود » وبعد سنوات طردوا الشاب ديفيد من مدرسة القرية ورحلوه الى برلين للدراسة فى المدارس الالمانية هناك ، بعد القبض على الاب . وهربت الاسرة من مقاطعتها الى برلين متصورة انها اكثر امنا . ويتم القبض على الاسرة الهاربة بدون بطاقات اقامة ، وينجح ديفيد فى الهروب من المانيا .

ولولا أن هذا الفيلم يعالج موضوعا يستغل فيه اليهود عقدة الذنب عند الشعب الالمانى ، لما أمكن لهذا الفيلم الطويل والممل احيانا ، ان يحصل



على الجائزة الاولى . وكان الفيلم المرشح لها الفيلم المصرى « اسكندرية .. ليه » اخراج يوسف شاهين ، والذى يروى فترة من تاريخ مصر خلال الاربعينات اعتمد فيها شاهين على عدد من المراجع الادبية والفكرية . ومن بينها رباعية الاسكندرية للكاتب المعروف لورانس داريل ، وكتاب تاريخ الحرب العالمية الثانية ، والمراجع والوثائق والصحف والمجلات والافلام الخاصة بهذه الفترة ..

وقدم شاهين نسيجا فنيا جميلا يحكى قصص التسامح السكندرى وصورة الاسكندرية التى تمثل نموذجا للحب والتعايش بين الاجناس والاديان ، وبين المصريين العرب والمصريين من اصل ايطالى او يونانى او مالطى وايضا بين أصحاب الافكار المختلفة حيث يجمعهم احترام الفكر الانسانى ولا يفرقهم اختلاف النظرة الى الامور من دينية وسياسية وفلسفية واجتماعية وثقافية

ولقد حصل فيلم يوسف شاهين « الاسكندرية .. ليه » على الجائزة الخاصة جائزة « الدب الفضى » وهى أهم الجوائز بعد جائزة الدب الذهبى التى حصل عليها الفيلم الالمانى لاعتبارات كثيرة خلفت توقعات النقاد والسينمائيين من ان « اسكندرية ليه » هو الفيلم الاحق بالجائزة الاولى فى مهرجان برلين السينمائى الدولى التاسع والعشرين .

والفيلم الحائز على جائزة أحسن ممثل لبطله ميشيل بلاسيدو فيلم ايطالى هو « ارنستو » الذى اخرجه سلفادورى سامبيرى ومقتبس عن رواية تأليف امبرتو سابا لنفس الاسم « ارنستو » وبطل الفيلم شاب فى السابعة عشرة هو فى نفس سن ابطال فيلمى « ديفيد » ـ « اسكندرية ليه » وتشترك فى بطولة الفيلم الايطالى « ارنستو » الممثلة المعروفة فيرنا ليزى وموضوع الفيلم يدور حول مراهق من أسرة مفككة انفصل فيها الاب عن الأم ويضيع الشاب فى متاهات واهتمامات شاذة ومنحرفة تجرفه الى رمال الضياع .

والفيلم الحاصل على جائزة أحسن ممثلة وهى هانا شيجولا ماخوذ أيضا عن نص ادبى هو « زواج ماريا براون » الذى كتبه بيتر مارتشيمر . ومن إخراج فاس بندر وهو يعد أهم مخرجى المانيا فهو يماثل انجمار برجمان فى السينما السويدية ..

وقصة هذا الفيلم تحكى قصة زوجين يقضيان معا ٢٤ ساعة فقط ، يستدعى بعدها الزوج الى ميدان القتال ، وبعد فترة انتظار ترتبط هى فى قصة حب مع امريكى أسود وتنجب منه طفلة ، ويعود زوجها بعد سنوات الحرب ويفاجأ بزوجته عشيقة لأمريكى زنجى وتدور مشاحنات بين الزوج والزوجة والعشيق تنتهى بقتل العشيق على يد



«لقاءات مع رجال فوق العادة» مشهد
من فيلم بهذا الاسم ـ اخراج بيتربروك

ألزوجة ويعترف الزوج بانه القاتل ويحكم عليه بالسجن .. الفيلم كما وصفه بعض النقاد يشبه افلام الميلودراما المصرية والهندية !

واذا كانت الافلام السابقة هي الافلام الحاصلة على جوائز في المهرجان ومستمدة من أصول أدبية ، فان هناك فيلما جيدا مأخوذا عن كتاب معروف في الاوساط الثقافية البريطانية وهو « لقاءات مع رجال فوق العادة » لمؤلفه جورديف ، قام باخراجه المخرج المعروف بيتر بروك الذى اشتهر في البداية كمخرج مسرحى وقدم اشهر اعمال شيكسبير مثل روميو وجوليت ، والملك لير ، وحلم ليلة صيف ، وكليوباترا وهاملت ، كما قدم قطة على صفيح ساخن من اعمال تينسى وليامز المعروفة بينما لم يقدم في السينما الا سبعة افلام فقط آخرها فيلم « رجال فوق العادة » ، ويدور موضوعه حول اسرة قوقازية ، رب الاسرة نجار يحار في فهم تساؤلات ابنه الفلسفية عن لغز الحياة والموت ، ويكون الشاب مع بعض اصدقائه ورجل دين جماعة للبحث عن الحقيقة وقد تنقلوا في رحلتهم وراء المعتقدات والفلسفات والعقائد من جنوب الاتحاد السوفييتى الى تركيا ثم الى الصحراء والوادى المصرى ، والى الهند وبلاد التبت بحثا عن الحقيقة التى ينشدونها ، وينتهى الفيلم والحقيقة هدف لم يحصل عليه الشاب الباحث عنها ..

●● والمحصلة التى نخرج بها من البحث عن سينما الاعمال الادبية هي ان العالم كله وليست السينما المصرية وحدها ، تعانى من فقر في الموضوعات المكتوبة خصيصا للسينما ، ولهذا تلجا السينما الى الاعمال الادبية ، والاعمال المكتوبة التى تعانى ايضا من ندرة في مجال الفكر المعاصر .

موعد في .. المغرب

بلد الجبال والجمال والثلوج والزهور

● عبد الكريم غلاب ●

● بلادكم جميلة ...

● يا للجمال في هذا البلد الاخضر ..

● ما كنا نظن أن المغرب جميل الى هذا الحد !

بهذا يفاجئنا بعض الزائرين ، من عرب وغير عرب ، حينما يزورون المغرب سائحين ، أو في مهمات رسمية ، أو لحضور بعض المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد من حين لآخر في المغرب .

تنوع الطبيعة له الاثر الاكبر في جمال المغرب الذي يتحدث عنه الآخرون قبل أن يتحدث عنه المغاربة انفسهم ... فللمغرب شواطىء واسعة على المحيط ، زرقاء لازوردية ، بعيدة الآفاق بعد الاطلسي الكبير ... تبدأ من حدود موريتانيا حتى مضيق جبل طارق ، عند مدينة طنجة ، التي حمل المغرب اسمها ردحا من الزمان . وتسلم شواطىء المحيط المغرب الى شواطىء البحر الابيض بهدوئها ودفء مياهها من طنجة الى السعيدية ، قريبا من الجزائر

« ٢٥٠٠ كم طول الشواطىء المغربية »

وعلى شواطىء المحيط والمتوسط تربعت مدن جميلة نابضة بالحياة والحركة من: العيون ، وطرفاية ، وافنى الصحراوية الى اغادير ، والصويرة ، وآسفي ، والجديدة ، والدار البيضاء ، والمحمدية ، والرباط ، والقنيطرة ، والعرائش ، وأصيلة ، وطنجة — وطنجة تسلمنا الى تطوان ، وسبتة ، ومليلية ، والناضور ، والسعيدية .

كلها مدن أصيلة لعبت دورا خطيرا في التاريخ المغربي . وكانت مراكز صراع بين المغرب المستقل ، كما عرف نفسه دائما ، وبين الطامعين من أيام الرومان حتى أيام الفرنسيين مرورا بالبرتغاليين والانجليز والاسبانيين والالمان ، وانتصر فيها المغرب فحمى ثغوره العديدة ، وانتهت امبراطوريات أجنبية على شواطئه مثل امبراطورية البرتغال في معركة « وادي المخازن » التي احتفلنا اخيرا بمرور اربعة قرون على حدوثها .

ويحيط بجنوب المغرب حزام هائل من الصحراء ينتهي بوادي السينغال . ولم يكن حزاما مانعا ولا عازلا بين المغاربة والامتداد الحضاري في افريقيا، وانما كان صلة وصل بين حضارة المدن والريف الاخضر وحضارة الصحراء التي تركت في الواحات المهمة في قلب الصحراء اثرها العميق في الامتداد الحضاري للمغرب .

وبين الشواطيء والصحراء تمتد سلسلة جبال الريف والاطلس المتوسط والاطلس الكبير ، مجللة بملايين من اشجار الارز السامقة المثلجة الخضراء الناشرة ظلالها على السفوح ذات التربة السمراء تحتضن بينها سهولا رائعة خضراء منتجة !

***

شروق الصحراء يلتقي بغروب البحر .

ففي الصحراء الشاسعة التي تسلمنا اليها جبال الاطلس الكبير تمتد الرمال متموجة تموج البحر ، تتنقل تموجاتها مع الرياح شرقا وغربا فتحدث آكاما ذهبية تعطى للصحراء تنوعا غريبا ، تقدم للزائرين لوحات فنية عن تجاوب الشمس مع الرياح الناعمة المتموجة ، وعن انعكاس ضياء القمر الفضي في البحر اللجي الذهبي في ليالي الصحراء الدافئة ، وعن آلاف الغزلان النافرة ترتع في الصحراء تتأبى على الصيادين بجمالها وخفة حركتها .

ولا تكاد تسير في الصحراء التي تقطعها طرق معبدة رائعة حتى تستريح العين في الواحات الفنية بمياهها تحتضن آلافا من النخيل السامق ينشر ظلاله في الصحراء ، ويعطيها مدلول الحياة . واحات اخرى تنتشر فيها الورود الزاهية . وورود قلعة « مكونة » أجمل ورود العالم واطيبها رائحة واغزرها انتاجا . وحول حقول الورد تنتشر معامل انتاج العطر ، ومعامل تربية الورد وتصديره الى الخارج .

وفي قلب الصحراء تكونت مراكز علمية كانت ملجا للعلماء والطلاب الذين كانوا يعيشون متفقهين للعلوم الاسلاميه . ولا تزال مكتبة الزاوية الناصرية في « تامكروت » من احفل المكتبات بالمخطوطات النادرة في التاريخ والدراسات الاسلامية ، ولا تزال ملجأ للباحثين والسائحين يطلعون فيها على جزء مهم من التراث الاسلامي والادبي الذي خلفه الباحثون المغاربة كجزء من اسهامهم الايجابي في الدراسات العلمية .

***

لم تنقطع الصحراء المغربية عن عالمنا الحديث .

فلا تزال قوافل السائحين تقطع الاطلس الصغير عن طريق مكناس أو الأطلس الكبير عن طريق مراكش أو اغادير ؛ لتتمتع بأجمل خريف واجمل شتاء واجمل ربيع تقدمه البادية في المغرب . وفي مختلف الواحات التي تعتبر قرى حية نشيطة توجد سلسلة من الفنادق الحديثة لا تجد مكانك فيها اذا ما ردتها خريفا او ربيعا .

والصحراء هي التي تسلم المغرب الى قلب افريقيا ، وتسلم قلب افريقيا الى المغرب عن طريق سلسلة جبال الأطلس الشامخة .

ولم تكن الجبال حاجزا بين أجزاء المغرب ، ولكن المغاربة ارتادوها . فليست هناك قمة من قمم « تيشكا » أو « هبري » أو « أويكايمدن » أو « افران » أو « الريف » الا بنوا فيها قراهم ومداشرهم ، والمغربي لا تقهره الطبيعة وانما يقهرها . كانت القمم ملجأهم فاتخذوا منها الدار والقرار ، ودافعوا عنها دفاع الابطال ، وعلى صخراتها كانت تتحطم احلام الغازين .

والجبال هي التي امدت رجالها بالحياة ، لانها امتنعت عن ان تكون جبالا جرداء ، فغابات الارز تحتل منها القمم والمنحدرات ، وتمثل احفل غابات

تعرفها قمم عالية يقطنها انسان ... وبين الغابات والصخور الصامدة يحرث الانسان الارض فتمده بالقمح والشعير والخضر والفواكه . وكان الانسان الجبلي في المغرب مكتفيا اكتفاء ذاتيا ،

وهو الذى يمد السهول بالحطب ، واحيانا بما تبقى من بيض ودجاج وماعز

هذه القمم العالية المثلجة شتاء المخضرة على طول السنة تبدو شامخة فى جلالها وجمالها ، تنوع الطبيعة فى المغرب فلا تكاد العين تمل من رحابة السهل حتى تصطدم بالجبل الأخضر فترتفع عالية مقتحمة خضرته تعب من جماله وفتنته .

والطرق التى عرفها الانسان المغربى وهو يتنقل من السهل الى الجبل هى التى عرفتها الآلة فشقت طريقها اللاحبة التى تربط الآن شمال المغرب بجنوبه. وتسير بك السيارة اينما شئت الى قمة الريف والأطلس وتنزل بك الى ما خلف الجبل فتجد نفسك فى سهول اخرى تكون اللوحة الرائعة المتعادلة للمغرب الجميل .

وفى قمة الجبل ستجد المأوى الجميل الذى ينتظر رواد الجبال فى الصيف والربيع ، ومحبى رياضة التزحلق على الثلوج فى الشتاء .. وستجد ، ان كنت ممن يبحثون عن الانسان الجبلى أكثر مما يبحثون عن الجبل الشامخ ، الرجل القوى ذا الوجه الصارم الذى لوحته شمس الجبل بنعومتها فمنحته سمرة خفيفة . وسترى المرأة الجبلية فى لونها الذهبى تحتطب وترعى الماشية وتسقى من العين ، وتعيش لعائلتها مع ذلك ترعى البنين والبنات ، وتوفر للرجل الحياة الناعمة التى تعوضه عن مشقة العمل بين الاشجار والصخور ومطاردة الصيد .

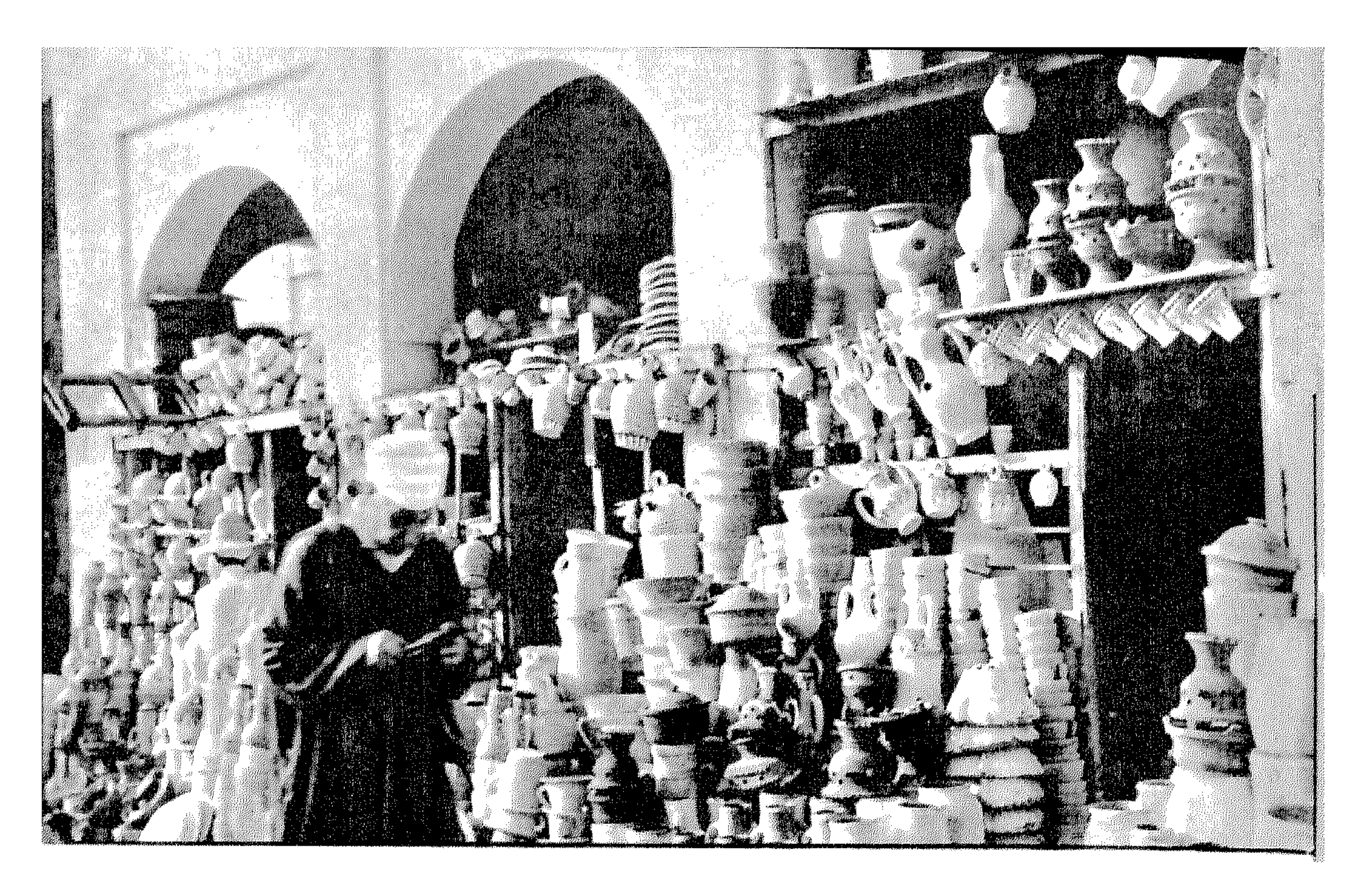
والمرأة الريفية من اجمل نساء العالم فى بساطتها وفقرها ومن اكثر نساء العالم اخلاصا وحبا . ولا تكاد تزور الريف حتى تطمئن الى ان المدينة لا تقدم الجمال ، وان كانت تصقل هذا الجمال وتبرز محاسنه .

كانت الجبال أكثرايحاء من السهول، فيما يبدو ، المجتمع الجبلى يعيش فنانا ينشد الشعر ــ باللهجات المحلية ــ ويغنى ويرقص . والرقص الجماعى فى الأطلس يقدم أروع اوحات من التراث الفنى الرائع الذى احتفظ به المغرب ، ولاتزال الاغانى والرقصات التى تقدمها مجموعات الرجال والنساء تقدم أروع الفنون الشعبية بآلاتها البدائية وأهازيجها وانتظام ايقاعها الغنائى الرقصى . ففى الأفراح العائلية والمواسم والمهرجانات المحلية والوطنية والاقتصادية كالاحتفالات بموسم الزهور أو موسم الثمر على أطراف الصحراء أو موسم الحصاد ، تنتظم مجموعات الرجال والنساء فى رقصات منتظمة تنشد الشعر وتغنى للحب والجمال ، وتغنى للوطن والجبل . وليس فى الرقص والغناء بالجبل احتراف .

والذين لا يرتادون الصحراء ويخشون شموخ الجبل وهيبته تفريهم السهول الفسيحة . وبين الأطالس والريف يمتد السهل المنبسط بين مجارى الانهار ، تقطعها السيارات فى ساعات طويلة بين مراكش جنوبا وطنجة شمالا ، بين فاس التى تتربع وسط المغرب ووجدة التى تقع على الحدود الشرقية ، بين الناضور فى الشمال الشرقى وأبركان ، بين اغادير فى الجنوب الغربى وطنطان . سهول غنية بتربتها الحمراء ، وهى تمنح المغرب الخصب والثراء مما تنتجه الحقول من قمح وما تنتجه الاشجار من فواكه . وقد عاش المغرب يصدر قمحه وفواكهه وأعنابه للخارج . وكان الى عهد قريب يبادل ايطاليا السكر بالرخام ــ قبل أن تعرف أوربا انتاج السكر من القصب .

***

وسفوح المغرب تزهو بربيعها الطويل. فمنذ البشائر الأولى لقطرات المطر فى



الانسان فى المغرب يسهم فى تقـديم نماذج من الجمال الرائع فى بلاده ،وفى الصورة الوان من الجمال الفنى الذى تقدمه يد الصانع المغربى من منتجات الخشب والجبس والفسيفساء بالنقوش البديعة ، وهذا بائع يعرض الزخارف فى احد احياء الدار البيضاء ..

شهر سبتمبر تخضر الأرض وتعشب حتى يداهمها الصيف فى شهر يونية . وتستمرحقول أشجار البرتقال والليمون مخضرة يانعة فى مختلف فصول السنة. المياه التى تتدفق فى أغلب السنوات ، والثلوج التى تكسو الجبال فى فصل الشتاء تحيي الأرض الخصبة ، وهى توفر فى الأنهار والوديان والسدود الحديثة ، التى أنشئت على منحدرات الجبال ، زادا لأيام الصيف ، ومنها تسقى الحقول الشاسعة للبرتقال والتفاح والمشمش والبرقوق وغيرها من الفواكه والخضر التى تنضج فى المغرب قبل نضجها فى أوربا ، فتكون ثروة للمغرب بمصدراته الواسعة ...

ولعلنا ادركنا من هذه الجولةالموجزة فى اقاليم المغرب أن الجو فيه متنوع. اذا كانت الصحراء فى الجنوب والشرق حارة فى الصيف فهى فى مناطقها الغربية معتدلة تنهل من تيارات المحيط. ولعلها من اكثر الصحارى فى العالم اعتدالا فى جوها صيفا وشتاء . وتشتد الحرارة فى الصيف فى الاقاليم الداخلية من المغرب ولكنها لا تعدو الأربعين درجة ، كما يشتد البرد فى بعضها فى الشتاء وخاصة التى تقع على مشارف الجبال التى تثلج فى الشتاء ، ولكنه برد محتمل جاف لا يقاس ببرد أوربا وهى على بعد بضعة أميال من شواطىء المغرب . فى الشواطىء الشاسعة على المحيط والمتوسط نجد اعتدالا فى الصيف والشتاء لا تنزل الحرارة لأقل من عشر درجات فى الشتاء ، ولا ترتفع فى الصيف لأكثر من سبع وعشرين درجة .

وتوجد على شواطىء المحيط مدن كاغادير والصويرة لا تكاد تختلف درجة الحرارة المعتدلة فيها صيفا وشتاء . وسوف لا تستغرب اذا وجدت قوافل السائحين تسبح على شواطىء البحر أو فى مسابح الفنادق فى شهر ينـاير ، وسوف لا تستغرب اذا وجدتهم يملأون

مسابح الفنادق بمراكش فى شهر نوفمبر او فبراير ، وهى المدينة التى تبعد عن شاطىء البحر زهاء مائتى ميل .

***

لا تكاد تعرف فى العالم العربى بلادا تزدهر فيها مجموعة من المدن كما فى المغرب . لكل اقليم عاصمة، ولكل عاصمة روافد من المدن المحيطة بها . ولقد لعبت كثير من هذه العواصم ادوارا مهمة فى التاريخ ، كما تلعب اليوم دورا قريبا منه فى حاضرها . ويكفى أن نذكر أن فاس ومراكش ومكناس والرباط كانت جميعها عواصم للدولة عدة قرون أو عقود من السنين فى تاريخ المغرب الاسلامى . ويكفى ان نذكر أن طنجة وتطوان وسلا والدار البيضاء « آنفا قبل الاسلام » ، قد لعبت أدوارا مهمة فى التاريخ القديم والحديث .

وفتنة المدن لا تقل عن فتنة الريف . فقد كانت المدن القديمة قلاعا متكاملة تحيط بها الاسوار ، وتتنفس عبر بوابات ضخمة تقفل على المدينة عند الغروب . وهى تقدم نماذج رائعة من المدن الاسلامية التى يعتبر المسجد الجامع سرة المدينة وتتفرع منه الشوارع والزقاقات الضيقة الملتوية التى حاولت فيها الهندسة القديمة أن تستغل المساحة وان يكون الجوار والترابط قاعدة الحياة الاجتماعية .

انك فى فاس تجد جامع القرويين (اقدم جامعة فى الدنيا) هو وسط المدينة وعنه تتفرع الاحياء ، وكل باب من المسجد يفضى الى طريق توصلك الى حى بعيد عن الاحياء الاخرى . وتتجول فى المدينة كلها لتعود الى قلبها النابض بالحياة : القرويين وما حول القرويين ..

وجامع الكتبية فى مراكش قلب المدينة الحى الذى يلعب نفس الدور الذى يلعبه القرويين فى فاس .

لكل مدينة طابعها المتميز . اذا كنت فى طنجة فستبصر على بعد قريب شواطىء أوربا ، واذا كنت فى مراكش فستسعد بشمسها الدافئة فى الشتاء ، وجبل أوريكا يطل عليك مجللا بالبياض الثلجى فى أروع منظر يجمع بين دفء المدينة وثلج الجبل .

واذا كنت فى فاس فستبهرك عيونها المتدفقة ومنعرجاتها والسهل الشاسع على اطرافها والحدائق تحيط بها لتملأ جوها عطرا وخاصة فى ربيعها الطويل .

***

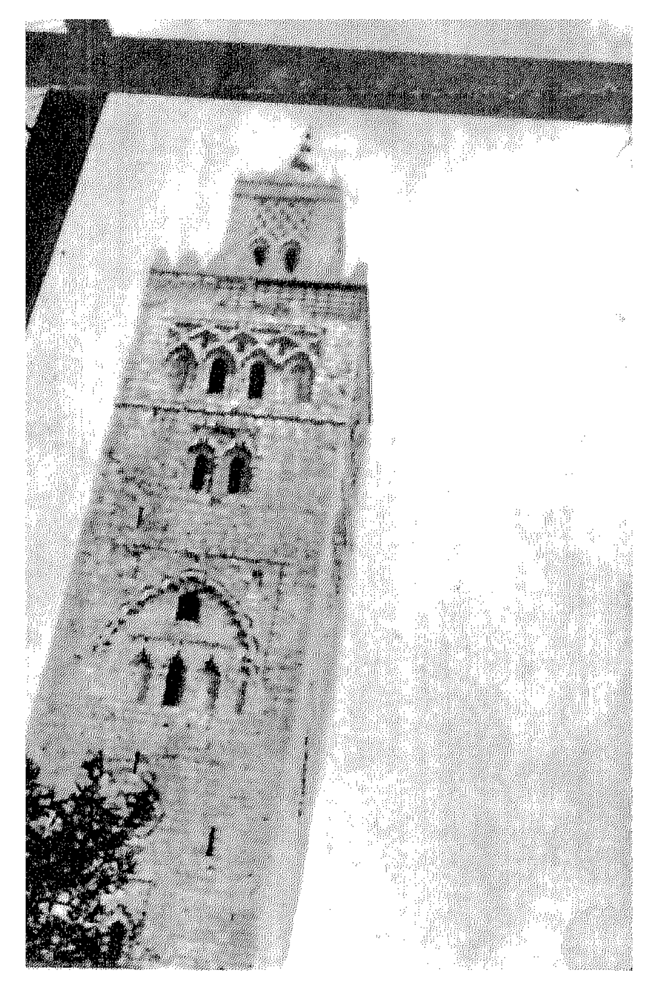
والانسان فى المغرب اسهم فى تقديم نماذج من الجمال الفنى الرائع . وانت واجد هذا الجمال الذى تقدمه اليد الصناع فى القصور والمساجد والمدارس « التى كانت تتخذ لسكنى الطلبة كأحياء جامعية حول القرويين بفاس ومسجد ابن يوسف بمراكش » والأضرحة وبوابات المدن . لقد استغل الفنانون الخشب والجبس والزليج (الفسيفساء) لنقوشهم البديعة التى تعطى فكرة واضحة عن الاحساس بالجمال عند الفنانين المغاربة . وقد صمد هذا الفن الجميل على مر الزمان فلا تزال آثار العهد المرينى والعهد السعدى (من خمسة قرون) ماثلة فى المدارس والمساجد والمنارات والبوابات . ولم ينقطع الاتصال بين هذا الفن والعصر الحديث ، فلا تزال فاس ومراكش تقدم أروع فن للنحت والتزليج ، ولا يزال هذا الفن الجميل يظهر فى الزرابى بالرباط وسلا وبعض المدن الاطلسية وفى الادوات المنزلية .

اينما تجولت فى مدن المغرب وقراه ستجد مظهرا بارزا من مظاهر الحضارة المغربية فىعمائرها وبناياتها ومساجدها واضرحتها والقصبات والقصور التى تعمر صحراءها. وكل مظاهر الحضارة هذه لا تقوم على أساس المنفعةفحسب، ولكن على أساس الجمال ويستند المغاربة فى ذلك الى نظرية فلسفية اجتماعية . فقد لا تجدهم يعنون بمظهر المنزل من الخارج مثلا حتى لتظن وانت تسير اليه انك داخل لخراب ، ولكنك ما أن تعدو عتبته حتى تجد اروع قصر واجمل بناء ، بنقوشه الخشبية الجبسية المذهبة أحيانا ، وبزليجه (فسيفساء) الملون الذى يرسم نماذج هندسية رائعة فى استدارتها وتعاريجها . ونافورة من المياهالمتدفقة فى وسط الدار . وكثيرا ما تضم باحة الدار احواضا من أشجار الليمون والبرتقال والاشجار التى تنعش الجو وتنشر الظلال .

وتسأل : لم العناية المتناهية بداخل المنزل والاهمال المتناهى لخارج المنزل ؟

وتجاب : العائلة تعيش اغلب أيامها داخل المنزل ، فالمرأة لا تكاد تخرج (هكذا كان) من منزلها الا نادرا ، ويجب ان يعوضها المنزل ما تفتقده خارج المنزل .

ولعل العناية بعمارة المساجد والاضرحة والمدارس التىيسكنها الطلبة كان — كما هو الامر فى مختلف بلاد العالم الاسلامى — نوعا من التقرب الى الله عن طريق الفن الرفيع . المغاربة ، ولو أنهم محافظون ، الا آن الفن عندهم طريق الى الله . ولا يرون فى ذلك غضاضة فى الدين ولا بعدا عن طريق الله . يرفعون عقيرتهم بالدعاء مغنين. وينشدون قصائد المدح فى النبى الكريم



مئذنة مسجد حسان الذى لم يتم فى مدينة الرباط وهذه المئذنة اختلمئذنة جامع اشبيليه فى الاندلس التى مازالت باقية الى اليوم ، وتعتبر من مفاخر الفن الاندلسى

والقصائد الصوفية عن طريق الغناء وبالدفوف والآلات .

وهكذا نجد اروع ثلاث مآذن بناها مهندس واحد فى عهد الموحدين هى مئذنة الكتبية بمراكش، ومئذنةحسان بالرباط، ومئذنة ((الخيرالدا)) باشبيليه وجميعها تمثل اجمل آيات الفن الرفيع صنعته يد صناع منذ اكثر من ثمانية قرون .

فن العمارة الجميل يكمل جمال الطبيعة فىالمغرب.ويتضافران معا على تقديم باقة من الجمال لكل زائر لبلاد المغرب الجميلة .

أبو القاسم الشابي

تخطّى بشِعْره قيود التجربة وحدود العمر

● مصطفى عبدالرحمن ●

روح سماوي رفرف في العلا .. شاعر بنى مجد أمة ، وصنع تاريخ شعب دعاه لينهض من نومه في كهوف الظلام ليسير مع قوافل الحياة المحفوفة بالمجد .

ذلكم هو أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود .. شاعر الفجر المتوهج والبعث الجديد . سما بشعره الى عالم من النور مشرق جميل فيه الخير ، وفيه الحب ، وفيه الجمال .. عبر به عن القلق والحرمان اللذين عاشا معه وقاسماه الحياة .. عبر به عن المطالب السامية للنفس الانسانية .

صور مآسي شعبه ، وآماله ، واحلامه ومطامحه في اروع انشودة وطنية :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

ضوأ الشابي متخطيا بشعره قيود الثقافة ، وحدود السن ، وأرسلها اشعاعات قوية الوهج ، قوية اللمعان ثم مضى ..

مضى كما يمضي الحلم الساحر الجميل ولم يتجاوز السادسة والعشرين ربيعا .. ما اقصر عمر الورود ! ...

كان الشابي من أعلام مدرسة (أبولو) تأثر أول ما تأثر (بخليل مطران) الذى كان امتدادا لحركة البعث التى خلصت الشعر العربي مما شاع فيه من صور باهتة سقيمة مكبلة بقيود البديع والمحسنات اللفظية .. تلك الحركة التى قام شعرها على قوة الاسلوب ، وجزالة اللفظ ، والتى حددت مفهوم الشعر فى أنه فكرة وعاطفة تنتظم أحلام البشرية وآمالها ، وآلامها من خلال تجربة الشاعر الخاصة ليشترك فيها الناس معه ..

***

تأثر الشابي كذلك بمدرسة الديوان (شكرى ــ المازني ــ العقاد) التى قامت كرد فعل لمدرسة البعث وهاجمت زعيما من زعمائها هو (شوقي) فقالت انه ارتفع بشعر الصنعة الى ذروته العليا ، وهبط بشعر الشخصية الى حيث لا تتبين فى



أبو القاسم الشابى شاعر الحياة والخلود والبعث الجديد . سما بشعره الى عالم من النور المشرق فيه الخير والحب ، والجمال .

شعره ملمحا من الملامح ولا قسمة من القسمات التى يتميز بها انسان عن انسان بين سائر الناس ـ الى آخر ما قال أصحابها ..

وكان شعراء مدرسة الديوان ينادون بخصائص جديدة لم تظهر فى مدرسة البعث منها الوحدة العضوية التى تضم أبيات القصيدة فى كيان عضوى يتصل كل جزء بجزء آخر اتصال الاعضاء والجوارح فى الجسم الحى ومن أهم ما تدعو اليه مدرسة الديوان ويميزها عن مدرسة البعث هو أن يتخذ الشاعر موقفا فريدا ازاء الكون والانسان لا يتقيد فيه الا بعواطفه وبما يجيش فى أعماقه من مشاعر وانفعالات الى غير ذلك من الآراء التى نقلوها عن المدرسة الرومانسية الانجليزية فى الشعر ، وهى التى دعت الى شعر الوجدان أو التعبير الصادق عن التجارب الشخصية للشاعر بغض النظر عن أحداث عصره ...

***

وتأثر الشابى بحركة المهجريين الذين رحلوا الى أرض الامريكتين . بحثا عن الحرية التى افتقدوها فى الوطن الراسف تحت نير الحكم العثمانى ، واتخذت من كتاب (الغربال) لميخائيل نعيمة ميثاقا يعبر عن آرائهم واتجاهاتهم ، وحاجتهم الى الافصاح عن كل ما ينتابهم من العوامل النفسية من رجاء ، ويأس ، وايمان ، وشك ، وحزن ، وفرح ، وحيرة ، وقلق ، وشعور بالغربة الموحشة ...

كما تأثر بمدرسة المهجر الشمالى وبخاصة جبران والاقليمية التى كانت ترفض الانتماء الى القومية العربية ...

وأخيرا تأثر بما ترجم الى العربية من شعر شعراء المدرسة الرومانتيكية الاوربية من أمثال وردزورث ، وكلودج ، وبيرون ، وشاتوبريان ـ وغيرهم ..

***

وقد حدد الشابى ملامح (أبولو) بقوله : « ان المدرسة الجديدة تدعو الى حرية الفن من كل قيد يمنعه من الحركة والحياة .

ان هذه المدرسة الحديثة لم تصبح مذهبا واضح الحدود والمعالم ، ولكنها ما زالت ثورة مشبوبة هائمة ، وايمانا قويا عميقا ، وثورة فى سبيل حرية الشعر

وكماله ، وايمانا بسمو الغاية وجلال المبدأ ... أجل هى ثورة ما زالت تختلط فيها الميول وتضطرب المذاهب » .

وقد بدأ الشابى حياته مقلدا لشعر القدامى ، ثم ما لبث أن تمرد على هذا القديم وهوى عليه بمعاوله ، واندفع فى قوة بثورة الشباب فتتلمذ على هذه المدارس . وما لبث أن استوى له مذهب له شخصية واضحة المعالم ...

تفتحت عبقرية الشابى فوجد الرومانسية الشائعة فى كتابات الادباء ، والشعراء فكان هذا المزاج الذى وجدناه فى شعره الذى حفل بالمعانى الثائرة على العيش فى ظلام القديم والذى امتاز بشبوب العاطفة ، والموسيقية الساحرة . وسعة الخيال ..

لقد اندلعت وطنية الشابى من اصطدامه العنيف بالواقع الاجتماعى المتخلف فراح يرسلها قوية جبارة تؤجج نار الثورة فى وجه التخلف الرجعى والاستعمار البغيض ..

أرسلها ــ عملاقا يحطم القيود ، ثائرا على أسلوب الحياة فى الأغلال ، هاتفا بالشعب ان يهب ليثار لحريته ... دعاهم لينفضوا عنهم غبار الغفلة وأن تتحرك فيهم ارادة الحياة ..

اذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلى ... ولا بد للقيد ان ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة ... تبخر فى جوها واندثر
كذلك قالت لى الكائنات ... وحدثنى روحها المستتر
ودمدمت الريح بين الفجاج ... وفوق الجبال وتحت الشجر
اذا ما طمحت الى غاية ... لبست المنى وخلعت الحذر
ومن لا يحب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

ويضرب على هذه النغمة العلوية مستحثا قومه لكى ينهضوا ويسيروا فى موكب الحياة :

خلقت طليقا كطيف النسيم ... وحرا كنور الضحى فى سماه
تغرد كالطير اين اندفعت ... وتشدو بما شاء وحى الاله
وتمرح بين ورود الصباح ... وتنعم بالنور أنى تراه
كذا صاغك الله يابن الوجود ... وألقتك فى الكون هذى الحياة
فما لك ترضى بذل القيود ... وتحنى لمن كبلوك الجباه
اتخشى نشيد السماء الجميل ... اترهب نور السما فى فضاه
الا انهض وسر فى سبيل الحياة ... فمن نام لم تنتظره الحياة !

وهو ينذر المستبدين بالنار الكامنة تحت الرماد ، ينذر هؤلاء الطغاة الذين استغلوا الشعب وامتصوا دمه ــ ينذرهم بثورة عارمة تطغى مندفعة لا تبقى على شىء ولا تذر ..

حتى اذا رأى الشعب غارقا فى نومه ثار به ثورته العارمة :

لست يا شيخ للحيــاة باهل | انت داء يبيدها وتبيــــده

***

ونشيد الحب فى شعر الشابى نشيد جبار صادر عن نفس تؤرقها الاشواق ٠٠ لقد وقع الشابى فى شراك حب عنيف قاده الى معابد الغرام ، ومحاريب الهوى والهمه أروع قصيدة غرام ٠٠ فهذه هى روحه الشفافة تأخذنا الى هيكل من هياكل العبادة لتشجي الوجود بأنغامها السماوية :

عذبة أنت كالطفــولة كالأحــلام | كاللحن ، كالصــباح الجـــديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء | كالورد كابتســام الوليـــد
أنت ما أنت ؟ أنت رسم جميــل | عبقرى من فن هــذا الوجـــود
فيك ما فيه من غمـــوض وعمق | وجمــال مقـدس معبـــود
أنت روح الربيع تختــال فى الد | نيا ، فتهتز رائعــات الــورود
وتهب الحياة ســكرى من العـ | ـطر ويدوى الوجود بالتغــريد
أنت انشــودة الأناشــيد غنا | ك اله الغنـــاء رب القصــيد
أنت فوق الخيال والشــعر والفـ | ـن وفوق النهى وفــوق الحـدود
أنت قدسى ، ومعبدى ، وصــباحى | وربيعى ، ونشــوتى ، وخلودى !

وها هى ذى قصيدة غرام أخــرى يحملك فيها علىأجنحة من خياله الرفافالى خمائل الغاب تحت الزان ، والسنديان ، والزيتون ، فى ظل الطبيعة الميمون ٠٠ فى واد سحرى تتغنى فيه ملائكة الحب وتدوى أغاريد الشباب ٠٠٠
يقــول الشـــابى :

اى دنيــا مســحورة ؟ اى رؤيا | طالعتنى فى ضوء هــذى العيــون
زمر من ملائك العــالم الاعــلى | يغنــون فى حنــو حنــون
وصــبايا روافص يتراشــقن | بزهــر التفــاح والياسمين
فى فضـــاء مورد حــالم | أطافت به عــذارى الفنــون
اى خمــر رشــفت ؟ بل أى نار | فى شــفاه بديعة التــكوين
وردتها الحياة فى لهب الســحر | ونور الهــوى وظل الشــجون
وســكتنا وغرد الحب فى الغـاب | فاصــغى حتى حفيف الغصــون
وبنى الليل والربيــع حوالينــا | من الســحر والرؤى والســكون
معبــدا للجمال والحب شــعريا | مشــيدا على فجاج الســنين
ونجــوم السماء فيه شــموع | أوقــدتها للحب روح القــرون

وهكذا تنفس الشوق ، والحنين فى صدر الشابى حبا للمرأة دقة تصــوير ، وسلاسة تعبير ، وصدق معاناة ، وعمق أحاسيس ٠٠

● هذا هو الشابى روح تفتحت للحياة ، والحب والحرية ٠٠٠ الشابى الذى ضوأ فى سماء العالم العربى لحظات واختفى ، ومع ذلك فقــد ترك ضوءا خالدا قويا سوف يبقى نورا للاجيال من بعده ٠٠

أدباء معاصرون

مع أديب اليونان ساماراكى

جائزة الدولة فى الرواية

جائزة النقاد فى القصة

● د . نعيم عطية ●

● تجاوزت شهرة الكاتب اليونانى المعاصر اندونى ساماراكى حدود بلاده ، واصبح من الادباء العالميين، فقد ترجمت أعماله الى اثنتين وعشرين لغة ، وعرفت روايته « الخطأ » طريقها الى سلسلة كتب الجيب الفرنسية واسعة الانتشار .

ولد اندونى ساماراكى بأثيناعام ١٩١٩ ودرس القانون واشتغل من عام ١٩٣٥ موظفا بوزارة العمل الى ان استقال عام ١٩٦٣ ليعمل فى الامم المتحدة خبيرا فى شئون تهجير العمال وتوطينهم .

وفى أثناء الاحتلال النازى لبلاده انضم الى المقاومة ، فالقى القبض عليه فى يونية ١٩٤٤ وحكم عليه بالاعدام لكنه تمكن من الهرب الى أن وضعت الحرب أوزارها .

وقد صدرت لساماراكى أربع مجموعات قصصية هى « مطلوب أمل » عام ١٩٥٤ و « انى أرفض » عام ١٩٦١ و « الغابة » عام ١٩٦٦ و « جواز السفر » عام ١٩٧٣ . كما صدرت له روايتان هما « الخطأ » و « نذيرالخطر » ويكتب الآن روايته الثالثة التى تصدر فى اثينا قريبا .

وقد حصل الكاتب اليونانى الكبير فى بلاده على جائزة الدولة فى الرواية، كما حصل على جائزة النقاد فى القصة.

وكتب كثير من كبار الادباء والنقاد فى العالم من أمثال جراهام جرين ، وارثر ميلر ، واجنازيوسيلونى ، واندريه مالرو وبير هنرى سيمون ــ يمتدحون أعماله

ويكتب اندونى ساماراكى باسلوب يتوخى وضوح الفكرة وبساطة التعبير ويتحاشى كل ماهو غير جوهرى وصادق أما موضوعه فهو « الانسان المعاصر » انسان القرن العشرين . ويحاول أن يكرس فنه للتعبير عن الحاجة الانسانية الملحة الى الالتقاء والتواصل ، وعلى الرغم مما تحتويه قصصه من احتجاج على « الوضع الانسانى » الا انها لا تخلو



د. نعيم عطية فى لقائه مع الاديب اليونانى المعاصر اندونى ساماراكى الذى عبر بشهرته خارج حدود بلاده وترجمت اعماله الى اثنتين وعشرين لغة

على الدوام من دعوة الى النضال وعدم الاستسلام .

عالم مجنون ، مجنون ..

فى قصة « شارع الاستاد عشية راس السنة » بين خليط من عناوين الصحف واسماء الافلام التى تعرضها دور السينما ، والبضائع الجذابة التى تزخر بها واجهات المحال التجارية ، حدث شىء غريب فى شارع الاستاد حيث النظام صارم ، والمرور يخضع لترتيب دقيق .. انطلق حصان يجرى ، انفلت من عربة بائع خضار بسبب الامطار الغزيرة التى هطلت منذ قليل واثرت فى اللجام .. الحصان يجرى ، يجرى ، فى شارع الاستاد . والتعليقات تتابع : « حصان فى شارع الاستاد !.. لابد أن شيئا جللا حدث ! . فلنطلب بوليس النجدة ! ..نسمة هبت من أيام طفولتنا البعيدة:المغلفة بالتراب والنفتالين. انها فلتة من الحياةاليومية المحكومة بقوانين صارمة ، من تلك الحياة اليومية الغارقة فى المنطق الصارم . كلا ، لا محل لان يوجد حصان فى مثل هذا الشارعالذى تغمره الاضواء وتعمه فرحة السنة الجديدة ، هذا أمر يأباه المنطق .. لابد أن نطلب بوليس النجدة » .

العناوين تترى على صفحات الجرائد « كل عام وانتم بخير » ... « فيتنام تتقدم بشكوى الى مجلس الامن » ... « المشكلة القبرصية تبحث عن حل جديد » .. « ملايين ماتوا من الجوع العام المنصرم » ... « اذا قامت حرب جديدة فان الانسانية سيلحقها الدمار تماما » ... مضى الحصان يجرى .. ولم يكن لديه من الوقت متسع كى يقف ليرى على واجهة سينما « أبولون » الاعلان المضىء بالالوان عن فيلم « انهعالم مجنون ، مجنون ، مجنون » !

ميتة من واقع هذا العصر

واذا اردنا قصة من واقع العصر الذى نعيش فيه فهى ، قصة ساماراكى بعنوان « مكتب الافكار » وهى تحكى عن السيد كافاذياس الذى كتب فى حياته رواية وحيدة ، تقدم بها الى مسابقة أدبية ، وهو متأكد من الفوز بالجائزة الاولى . عندما ظهرت نتيجة المسابقة اصيب بخيبة أمل ، فلم تفز روايته بأية جائزة ، ولكن لجنة التحكيم علقت على

الرواية بانها « وان كانت مكتوبة على نحو رديء ، الا أن مؤلفها يتمتع بموهبة فائقة فى ابتكار الافكار » . هداه هذا التعليق الى مايجب أن يعمل بعد ان كان قد تخبط من قبل بين أعمال كثيرة لم تسفر عن أى نجاح . قرر أن يفتح مكتبا لابتكار الافكار وتزويد زبائنه بها ...

أفكار عن اقامة حفلات واجتماعات ، عن كتابة مقالات وروايات ومسرحيات، عن خطب للبرلمان ، وللمتقدمين للانتخابات، وغير ذلك من المناسبات .. بعد سبعة أشهر حقق مكتبه هذا نجاحا طيبا ... اصبح الزبائن يجلبون زبائن آخرين . « فهذا العالم تحكمه النساء والافكار الجديدة » !

ذات يوم مطير دخل المكتب رجل طلب فكرة عن ميتة مبتكرة ... هذا العالم الذى أعقب الحرب العالمية الثانية ــ على حد قوله ــ خيب الامال .. أريقت الدماء الغزيرة كى يتحقق عالم من السكينة والعدالة ، لكن ماذا وصلت اليه البشرية بعد تلك الحرب ؟ حروب محلية هنا وهناك يراق فيها مزيد من الدماء . فقر مدقع ومجاعات ، بينما الملايين من الجنيهات تنفق فى اختراع القنابل الفتاكة .

هذا العالم لا أقل من ان يوصف بأنه عالم غريب ! .. واذا كان بامكان المرء قديما أن يطمع فى ميتة هادئة ،فى فراش دافىء ، محاطا بالاهل والاقارب ، فان هذه الميتة ماعادت تتفق مع طبيعة العالم الان . لابد لمن يموت اليوم ان يموت ميتة عصرية ، والميتة العصرية ، يجب ان تتصف بغرابة من نوع غرابة العالم المعاصر . ومن اجل مثل هذه الميتة العصرية جاء هذا الرجل ذو « البيريه » البنى يطلب من صاحب مكتب الافكار المبتكرة ان يدله على ميتة تتوافر فيها الصفات التى يطلبها ..

يعتذر صاحب مكتب الافكار المبتكرة، فمكتبه يقدم أفكارا للحياة ، اما افكار للموت فلا يقدم .. يقول له الرجل: « لكن أليس الموت وضعا من اوضاع الحياة ؟. وهذه الحياة الغريبة بحاجة الى أن تنتهى بميتة غريبة » واذ يعتذر صاحب مكتب الافكار الحية ، يقول الرجل ذو « البيريه » البنى انه كان ينتظر منه ذلك ، فليس مثل هذه الفكرة التى يطلبها بالامر السهل ، ويمهله الى بعد غد ، كمايعده بأنه سيدفع له ماشاء من اتعاب . بعد غد الساعة الثامنة والثلث مساء . هاهو الوقت يتقدم ولا يأتى الزبون الذى يطلب ميتة غريبة . تنفس صاحب المكتب الصعداء وهم أن يغلق مكتبه مبكرا كى يذهب الى السينما ليشاهد فيلما من افلام رعاة البقر التى يحبها . ولكنه يفاجأ بصوت الزبون ذى « البيريه » البنى فى المكتب ، وهو يعتذر عن تأخره فى المجيء ، ويسأل عما اذا كان قد أعد له فكرة مبتكرة عن الميتة الغريبة التى يطلبها .

يعاود كافاذياس الاعتذار . ولكن الرجل يصوب اليه مسدسا صغيرا ، ويقول له « عملت حسابا أيضا لاعتذار مثل هذا . وقد رسمت لنفسى الطريقة التى سأموت بها .. أغلق الابواب . هذه **الحقيبة الصغيرة هناك بها قنبلة زمنية، ضبطتها على التاسعة مساء .. بعد بضع دقائق سينفجر هذا المكان، وتغادره الى الابد ، ولكننى سأكون معك . لا تحاول المراوغة .. باللعنة ، ان رباط حذائى الايسر محلول . وهذا فال سيء ... يجب أن أربطه .. اياك ان تتحرك من مكانك . سامسك المسدس بيدى الاخرى بينما انحنى لاعقد الرباط ! »** .

ثم يترك المسدس على المنضدة برهة

كى يربط الرباط بيديه الاثنتين، يخطف كافاذياس المسدس ، ويصوبه الى الرجل ذى « البيريه » البنى ، الذى يهم بان يتقدم اليه قائلا : « دعك من المزاح واعطنى المسدس »

ولكن ما ان يتقدم خطوة حتى تستقر فى قلبه من المسدس رصاصة وحيدة فيقع على الارض صريعا . وفى لمح البصر، يفتح كافاذياس الباب ، ويخرج الى الشارع صائحا .. يتجمع سكان العمارة وقد أصابهم الذعر . يستجمع احد المتجمهرين شجاعته ، ويدخل الى مكتب الافكار . يفتح الحقيبة ، فلا يجد فيها سوى منبه قديم ، ولا يعثر على أثر لقنبلة زمنية .

وعندما يأتى الجندى وينحنى على الجثة متفحصا مايلبث أن يرفع بصره الى كافاذياس ويقول له « هل قلت انه انحنى ليعقد رباط حذائه الايسر ؟... اننى لا أرى رباطا محلولا لا فى الايسر ، ولا فى الايمن !. »

فيتمسك كافاذياس بروايته التى بدات تبدو غير مقنعة ، ويعلق عليها احد المارة قائلا : « اننى لا استطيع ان اقول الا انها ميتة غريبة ! » عالم أصبح غريبا ، تصرفات غير مبررة تتسم بالعنف والضراوة ، وتنضح باليأس أيضا ...

عبر ساماراكى فى قصته هذه ابلغ تعبير عن القنوط الذى يغرق قلب الانسان المعاصر الذى لا يجد علاقة توازن بينه وبين عالمه الا أن يموت ميتة غريبة ، واذ يلجأ ذلك الانسان القانط الى « مكتب الافكار الحية » فانه يجد لديه مايربو على ثلاثة آلاف فكرة عن توافه الحياة ، لكنه لايجد لديه حلا للمشكلة الاساسية ، مشكلة مصير هذا العالم .



..الاديب اليونانى المعاصر اندونى ساماراكى .

هل المرأة عزاء ؟

ولكن فى هذا العالم الكئيب ، الايمكن ان تقدم المراة للرجل راحة أو عزاء ؟ هذا مايجيب عنه ساماراكى فى قصة « السكين » حيث نجد المراة تثير فى قلب الرجل من المرارة والاحباط مايجعله يفكر فى القتل واراقة الدماء . وفى قصة « الاستحواذ » نجد بطلها رجلا حالما منطويا على نفسه يحيا وحيدا فى شقته الصغيرة . ويتبدل حال هذا الرجل منذ أن جاءت تسكن فى شقة بالعمارة **المقابلة فتاة اعتبرها نموذجه الاعلى فى الجمال . انشب وجود هذه المراة مخالبه فى كيانه ، فمضى يتابعها من وراء ستائر نافذته ، ولا يذهب الى فراشه الا اذا اطفات نور مصباحها . اعتبرها ايضا وعلى الاخص « رمزا » فان حياته التى مضت حتى الان خاملة فاترة دون ادنى انتصار كبير او صغير ، يمكن أن تزهر بانتصار يعوض كل مافات ، وهو الاستحواذ على تلك الحسناء الرقيقة . منذ أن جاءت تسكن بالعمارة المقابلة ، وقد تغيرت حياة الرجل . دب فيها شىء جديد . مضى يتخيل كل خطوة سيخطوها كى يظفر بهذه الحبيبة ، ولكنه عندما يلتقى بها تخيب له آماله، ويكاد يقول لها : « كلا ، كلا ، اتوسل اليك لا تحطمى المثل الاعلى الذى صنعته لنفسى » اذن ، فنحن فى قصة « الاستحواذ » ازاء احباط جديد ، احباط تحققه المراة للرجل . . .**

روّح عن نفسك

هذه صفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة وستجد الاجابات على صفحة ١٤٦

١ ـ لغز بالشعر

وذى اوجه لـــكنه غير بائح بسر وذو الوجهين للسر مظهـــر
يناجيك بالاسرار اسرار وجهه فتسمعها بالعين ما دمت تنظـــر

ـ ماهو ؟

٢ ـ أسماء مختفية فى جمل :

فى كل جملة من الجمل التالية اسم شاعر مشـــهور مختبىء بين حروف الجملة ، فهل تستطيع أن تكتشف اسماء هؤلاء الشعراء ؟

١ ـ فى حديقتنا شجر يربو طوله على عشرة امتار .
٢ ـ احتشد الجنود حيث استمر الفرز دقائق معدودة .
٣ ـ اشترينا من البقال صابون واسبرتو .

٣ ـ كلمات دخيلة :

فى كل مجموعة من المجموعات التالية كلمة دخيـــلة لا تنتمى الى المجموعة ، فهل تستطيع أن تعرف الكلمة الدخيلة ؟

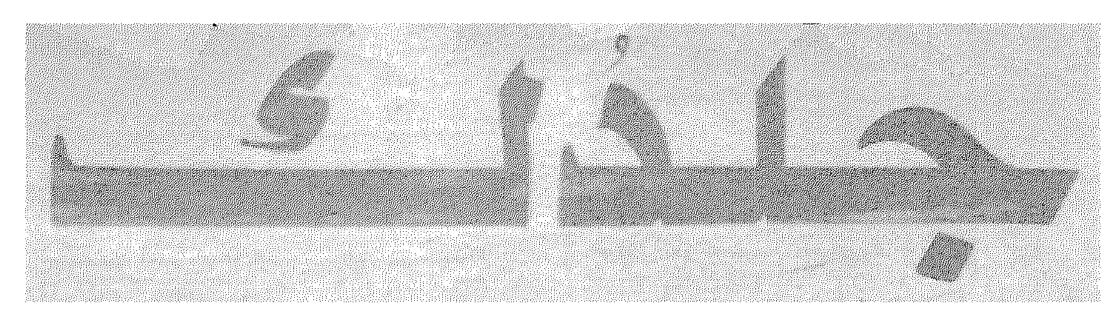
١ ـ هارون الرشيد ـ أحمد بن طولون ـ لويس الرابع عشر ـ محمد الفاتح ـ كسرى انو شروان .
٢ ـ فيل ـ اسد ـ ديك ـ كلب ـ حمار .
٣ ـ العباسية ـ الظاهر ـ الانفوشى ـ الحلمية الجديدة ـ جاردن ستى
٤ ـ اسيوط ـ طنطا ـ المنصورة ـ المحلة الكبرى ـ قنا .

٤ ـ اختبر معلوماتك :

١ ـ أيهما افيد للجسم : اللحم المشوى أم المسلوق ؟
٢ ـ ايهما اكبر مساحة : كندا ام الولايات المتحدة ؟
٣ ـ ايهما اكثر ارتفاعا فى الحرارة : درجة ٩٥ فهرنهيت ام ٣٥ سنتيجراد ؟
٤ ـ ايهما أسرع : الصوت ام الضوء ؟
٥ ـ ايهما اثقل : الذهب ام البلاتين ؟
٦ ـ ايهما اثقل وزنا : طن من الحديد ام طن من ريش النعام ؟
٧ ـ ايهما اكبر : الارض ام المريخ ؟
٨ ـ ايهما اكثر ذكاء : الحصان أم الغزال ؟
٩ ـ ايهما اثقل : الحديد ام الرصاص ؟
١٠ ـ ايهما اشد صلابة : الجرانيت أم المرمر ؟

٥ ـ من هم مؤلفو الكتب الآتية :

رسالة الغفران ـ الايام ـ جزيرة الكنز ـ فجر الاسلام ، ـ هملت ـ البؤساء ـ حديث عيسى بن هشام ـ مصرع كليوبترة ـ عبقرية عمر ـ الحرب والسلام .



ثوب بديع متجدد منحك الله إيـاه ليحميك من أمراض العظام والكلى

- أصل البشر كلهم سود والبياض ظاهرة طارئة
- لا علاقة للون البشرة بالذكاء والخصائص الإنسانية

● انت لا تعرف حقيقة جلدك ذلك الغطاء الذي منحك الله اياه ليحمي جسدك وهذا الاستطلاع الذي يعرض لك صورة الجلد مكبرة ٦٠٠ مرة يكشف لك عن حقائق لا تخطر لك على بال

جلدك ثوب بديع

● يغير الانسان جلده كما يغير ثيابه . فان الطبقة الخارجية من الجلد تتبدل كل ثلاثة اسابيع. وخلال هذه الفترة تنقسم الخلايا فى الطبقات السفلى للجلد بصورة مستمرة ، والخلايا الجديدة التى تتولد من الانقسام تنزاح بعملية اوتوماتيكية الى اعلى الجلد فى المنطقة التى تكثر فيها الاوعية الدموية وتتصل بها ، وتصبح جلدا حيا فى حين ان الخلايا التى تموت تنزاح الى اعلى وتكون غلافا واقيا للجلد ولهذا يتغطى سطح جلدك بعشرين طبقة من هذه الخلايا الواقية، وهى تجف شيئا فشيئا وتتساقط دون ان يلاحظ الانسان وتحل محلها خلايا اخرى من نوعها وفى اثناء غسل يديك بالصابون وكذلك اثناء لبس ثيابك واحتكاك الجلد بالثياب تسقط عنك ملايين الملايين من هذه الخلايا .



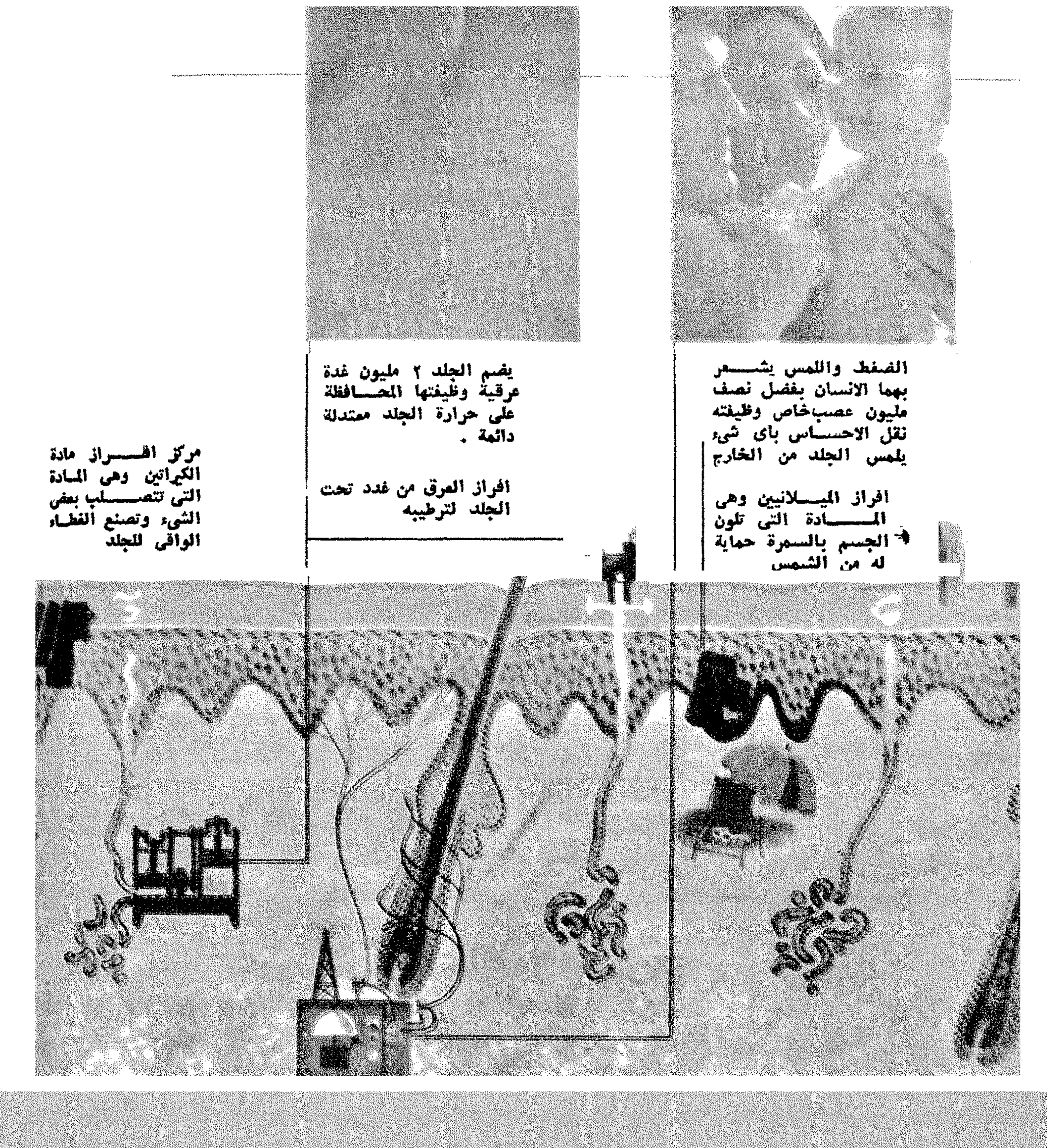
امراض الجلد تزعج الانسان بمنظرها لان هذا المنظر يكون فى معظم الاحيان مخيفا. اكثر من الحقيقة ، لان اى اصابة فى الجلد يصاحبها التهاب وورم واحمرار ونتيجة لذلك فانها توهم المريض اكثر من حقيقة حجمها.مثال ذلك : الصورتان فوق هذا الكلام . فالاولى، على اليسار لوجه صبى اصيب بحمرة متعددة الاشكال والتى على اليمين بثور على اليد ناشئة من ارتوكارية متحببة .. وكلا المرضين سهل العلاج بواسطة عقاقير معروفه يصاحبها تعليمات من الطبيب .



هــذا الالتهاب الجلدى الذى ملأ يد المــــريض بالبثور ينشا من ممارســة بعض الصــــناعات التى يضطر فيها العــامل الى وضع يده فى مواد تسـبب التهابات للجلد . وعلاجهـا يبدأ بالتوقف عن ممارســة العمل واســتشارة الطبيب ثم الحرص على تنفيــذ تعليماته



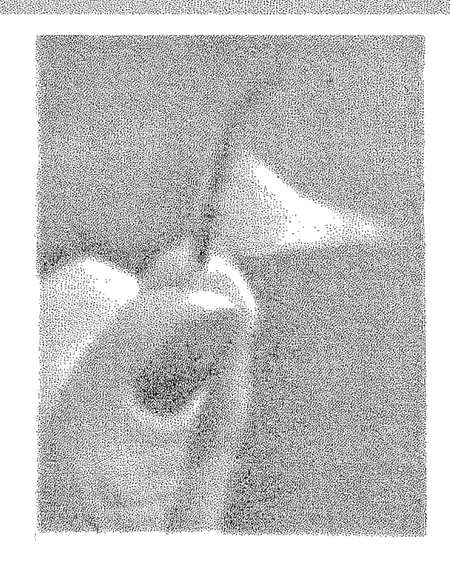
هذا الصبى يعانى من مرض يسمى بالالتهــاب الجلدى الحــاد الناشىء من الميكروب الذى يتكاثرعلى هيئة السبحة . وينبغى علاجــه بسرعة ويتوقف الشفاء منه على السرعة التى يبادر بهـــا المريض لرؤية الطبيب



جلدك
ثوب
بديع



هل تدرى أن جلد طرف انفك يضم ملايين الشعيرات العصـــبية التى تجعلك تحس بشعرة اذا لامسته



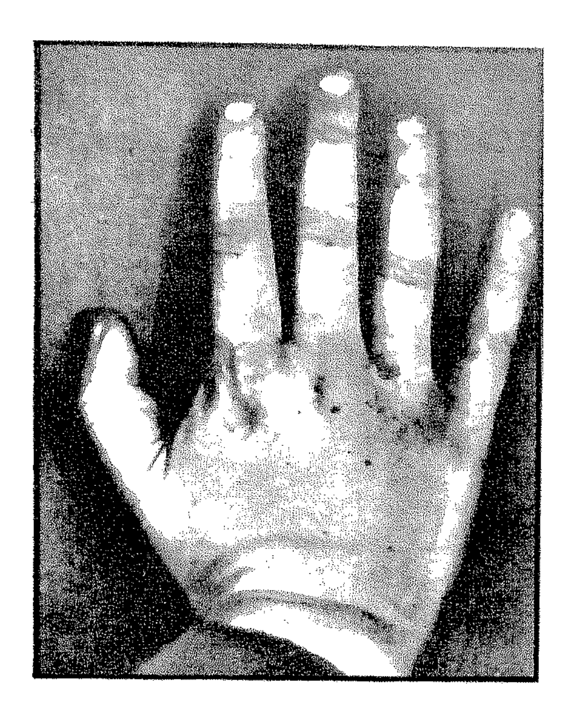
يضم الجلد ثلاثين الفا من نهايات الاعصـــاب وظيفتها الاحساس بالحرارة وبعد الجلد عنها وتبليغ ذلك الى المخ

تعمل طبقات الجلد كلهـــا بتناسق تام بفضل مرونتها وما بين كل طبقة وطبقة من مادة سائلة

تتم عملية تنظيم حرارة الجلد عن طريق توسيع أو تضـــييق الاوعية الدموية الدقيقة

هذه الاسهم التى تمثل تيارات كهربائية تقوم بالانذار عندما ينفذ من الجلد أى ميكروب يهدد بالمرض

هذا الاناء الذى تراه اشارة الى غدة قرب منابت الشعر وظيفتها حمايتها من اى مادة صلبة أو غريبة





هذا المرض الجلدى الذى يسمى بالنمو الجلدى الدائرى يحتاج الى علاج طويل تحت اشراف الطبيب لانه اذا لم يعالج فى وقته تفاقم امره .

جلدك
ثوب
بديع

ويقدر العلماء أن جسم الانسان ينشىء ويبلى على طول عمره ما يقدر بعشرين كيلوجراما من الجلد بهذه الصورة .

اما الطبقة العليا من الجلد التى تتم بها هذه العملية فان مساحتها تبلغ على وجه التقريب مائة مرة مساحة كف اليد ـ اى أن مساحتها فى انسان طوله ١٧٠ سم تبلغ ١٨٠ سم مربعا .

وفى أسفل القدم يزيد سمكها ملليمترين على سمكها فى بقية الجسد وذلك لان كعب الانسان يحمل معظم وزنه .

اما فى جلد الشفاه فلا يبلغ سمكها اكثر من ١ على ٢٠ من الملليمتر وذلك حتى تصل الاوعية الدموية الى طبقة



يعتبر مرض الساركويد اى انتشار البثــور العميقة المؤلمة على الجلد من اعسر الامراض علاجا ولكنه قابل للشفاء . والصورة ننشرها لمجرد تنبيه من يصاب بمثل ذلك المرض لكى يطمئن اولا ويسرع للطبيب ثانيا .

الجلد الرقيقة وتعطيها لونهـا المعروف . وحساسيتها التى ذكرناها آنفا .

***

وفيما يتصل بالجلد يوجد خلاف بين الرجل والمرأة فطبقة الجلد العليا عند الرجل يبلغ سمكها ٧٧ر من المليمـتر اما عند المرأة فيبلغ سـمكها ٦٢ر من المليمتر . وفى الواقـع يمكن القول بأن الرجال حيوانات ذوات جلد سميك .

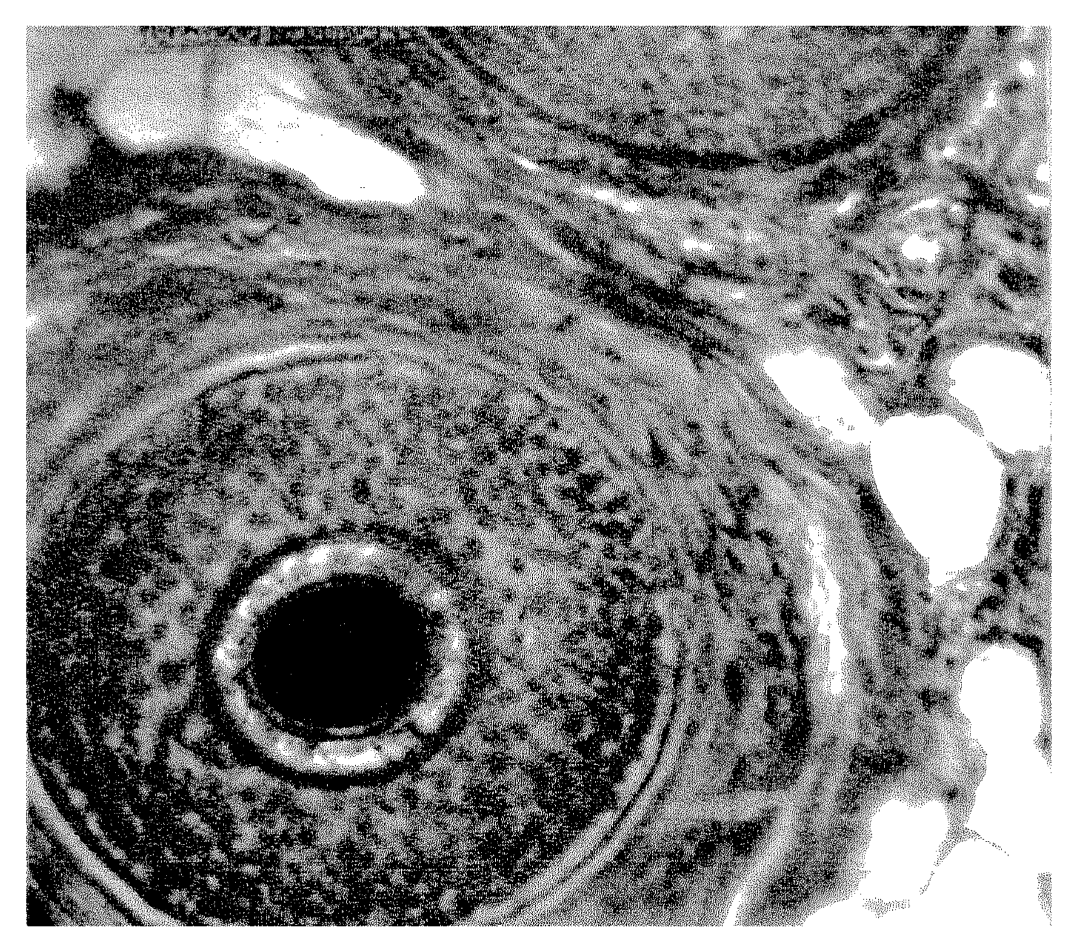
وفى هذه الطبقة الرقيقة من الجلد التى تبلغ جزءا من المليمتر تتم عملية مـن أغرب العمليات التى يقوم بها الجسد وهى تلون الجلد بلون داكن بعض الشىء يعتبر فى ذاته حماية للجلد ، وتتجلى لنا اهميته عندما نرى انسانا يخلو جلده من تلك المادة الملونة وهو الذى نسميه عادة بعدو الشمس ، والافراد الـذين يعجز جلدهم عن افراز هذه المـادة يتميزون بحساسية جلدية شـديدة ، تبدو فى أوضح صورها فى غشاء العين الذى يصبح حساساً الى درجة لايتحمل الضوء معها .

والخلايا التى تقوم بهذه العمليـة

جلدك ثوب بديع

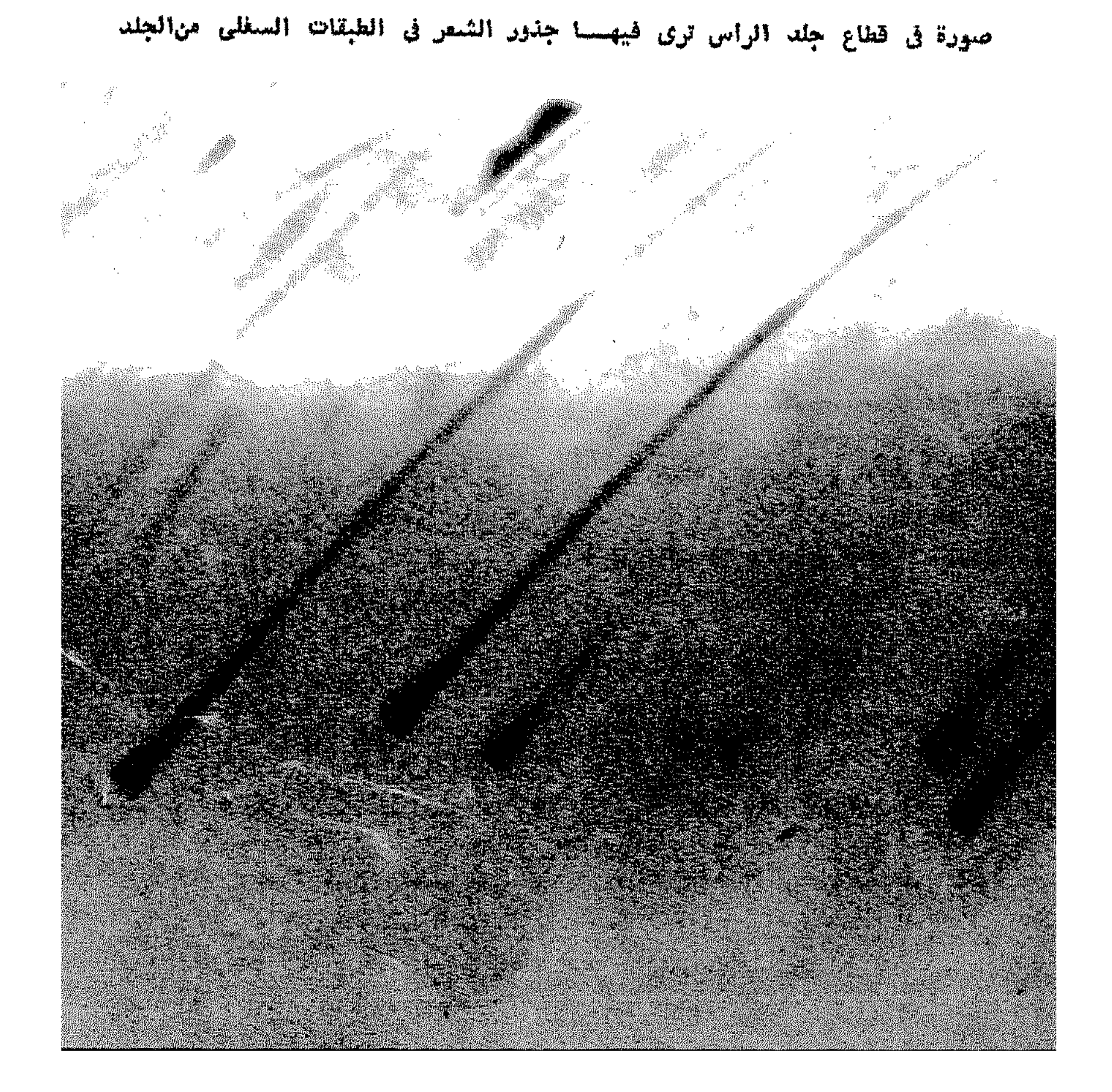


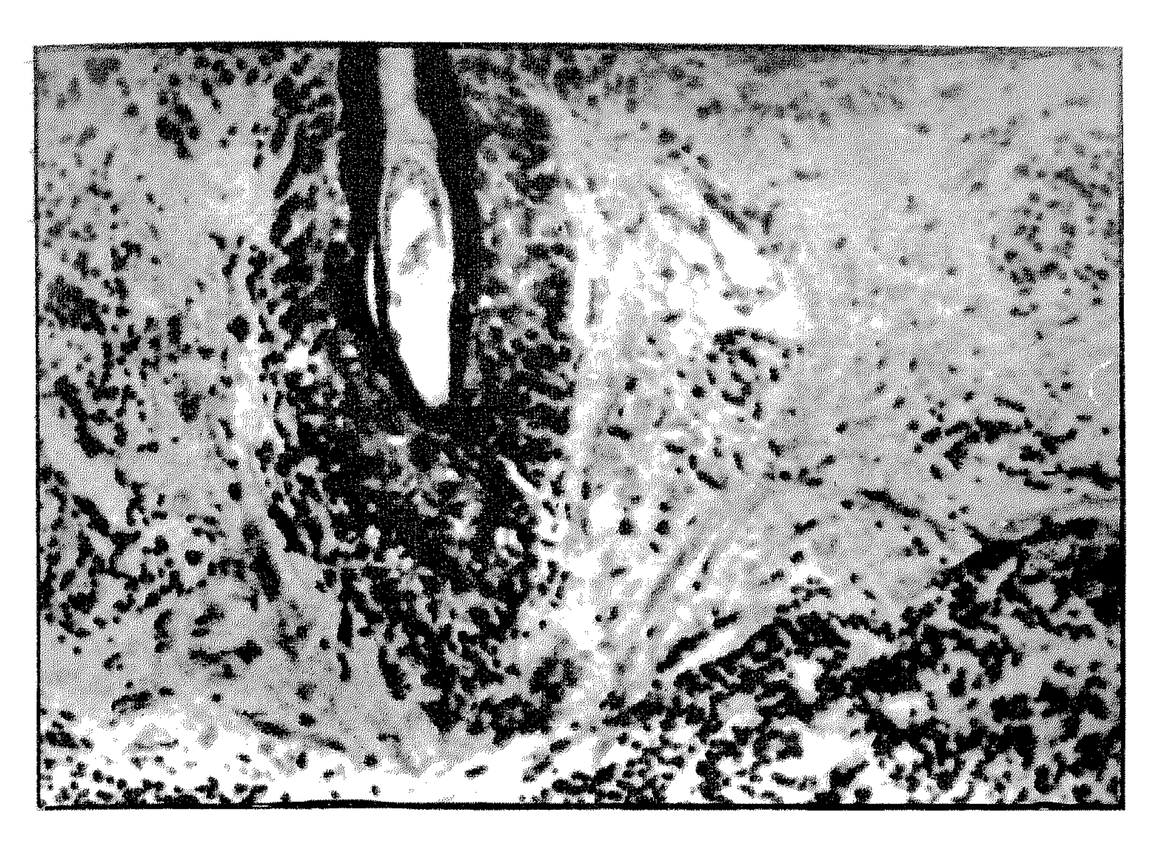
اين توجد مراكز الاحساس فى الجلد ؟ نجدها فى وسط هذه الصورة متجمعة بين الخلايا الدهنية والاعصاب والاربطة العصبية مختلطة بين طبقة الانسجة الرابطة



يتوقف على لون الجلد فى معظم الاحيان لون العيون والشعر كما ترى فى الصـــورة اعلاه جلد بياض العين مكبرا مئات المرات

صورة فى قطاع جلد الراس ترى فيهـــا جذور الشعر فى الطبقات السفلى من الجلد





الذئبة الحمراء مرض جلدى معروف عندنا يصاب به الفلاحون كثيرا ويحاولون علاجه بالوصفات البلدية . والصورة لبشرة من بثور هذا المرض الخطير الذى ينشأ عن نقص شديد فى فيتامين « د »

تسمى بالميلانوزيتين ووظيفتها الوحيدة هو انه عندما يتعرض الجلد لضوء الشمس تفرز المادة الملونة للجلد والحامية له المعروفة بالميلانيين وكلما تعرض الجلد لاشعة الشمس زاد افراز هذه المادة بكثرة وزادت السمرة تبعا لذلك .

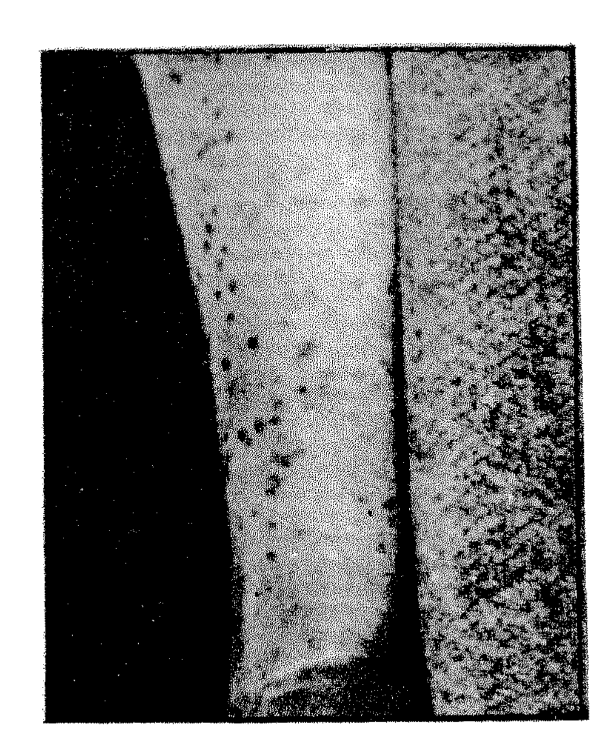
وهذه المادة تحمى جلد الانسان وجسده بعد ذلك ، وتحميه فى نفس الوقت من زيادة انتاج الفيتامين د الخاص بالجلد ، ولكى نفهم ذلك نقول أن جلد كل انسان يضم سبع مواد مجففة للجلد وهذه المواد تضم نسبة من فيتامين د ، وعندما يتعرض الجلد للاشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس تتحول المواد المجففة للجلد الى فيتامين د وتصبح مادة حيوية وظيفتها اساسية بالنسبة للعظام واذا قلت نسبتها تعرضت العظام للاصابة بما يسمى بمرض « الراكيتس » اى لين العظام ، واذا كانت فى الجلد نسبة عالية من فيتامين د يؤدى ذلك الى فقدان الوزن والامساك وتكون الحصى فى الكلى واضطراب فى عملية النمو وكان لذلك اثر ايضا على باقى الدم .

جلدك ثوب بديع

وكلما كان لون الجلد أكثر سمرة اى كلما صنع الجسم مادة ملونة اكثر صعب على الاشعة البنفسجية النفاذ الى داخل الجسم وهذا هو الذى يؤدى الى تلك الامراض التى ذكرناها .

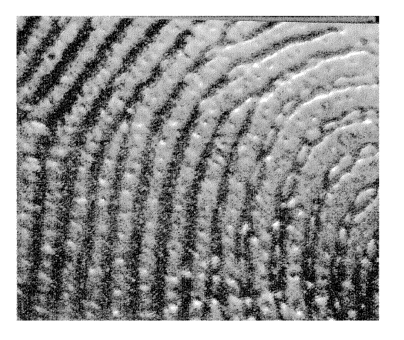
وهذا هو السبب فى ان اجناس البشر ذات السمرة الداكنة اكثر تعرضا للين العظام من غيرهم لان الاشعة فوق البنفسجية لها اثر مباشر فى تكوين عظام الانسان واعطائها الصلابة اللازمة لها.

ومن هنا نرى ان كل الاختلاف بين الوان جلد البشر متوقف على اختلاف لايكاد يذكر فى نسبة مادة الميلانيين فى الجلد، ومن هنا نرى أن هؤلاء الذين يربطو سواد البشرة بالذكاء والنشاط وما

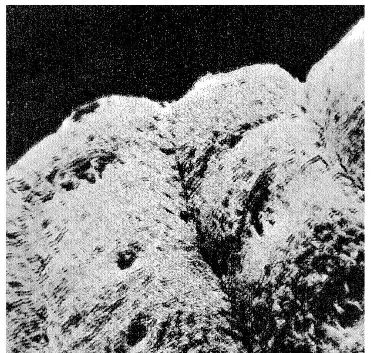




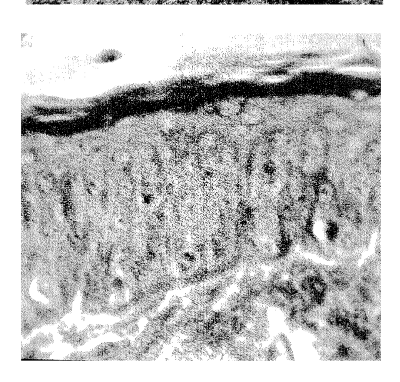
الصورتان لمرض واحد يسمى التهاب جلدى متحبب . وهو نوعان : نوع يصيب الكبار « الصورة أعلاه » ونوع يصيب الصغار « الصورة أسفل » وهو شديد العدوى ولكنه غير مستعصى العلاج .



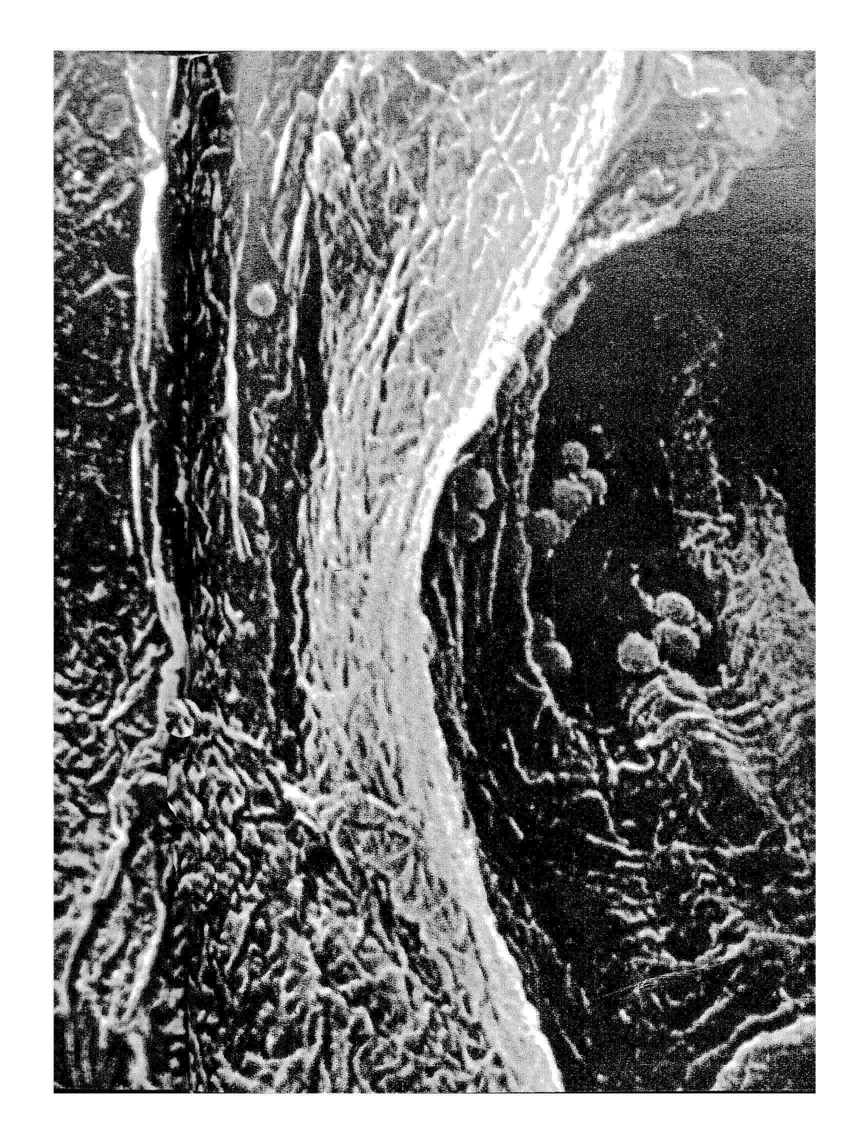
صورة مكبرة لجلد طرف الاصبع من الداخل . وهى كما ترى معرجة لتبرز اعصاب اللمس فى التعريجات العالية ثم انها تختلف من انسان لانسان فتعطى ما يسمى ببصمات الاصابع



سطح الجلد مكبرا ١٥٠ مرة .. النقط السوداء هى غدد العرق



قطاع فى الطبقة العليا من الجلد « الايبيدرينيس » ويوجد تحتها طبقة صلبة تتجمع فيها الاعصاب التى تقوم بوظائف الجلد وعندها تتجمع اطراف الاعصاب والاوعية الدموية الصغيرة والصورة الكبيرة الى اليمين تمثل قطاعا فى هذا الغطاء الجلدى وما يتخلله من تجمعات بكتريا وفتحات المسام .



جلدك
شوب
بديع

الى ذلك يقعون فى خطا جسيم لانالامر كله يتعلق ببضعة جرامات من المادة الملونة .

وعلى هذا الاساس وضع استاذ امريكى يسمى فارنز ورث لوميس يعمل فى جامعةماساتشوستس بالولايات المتحدة

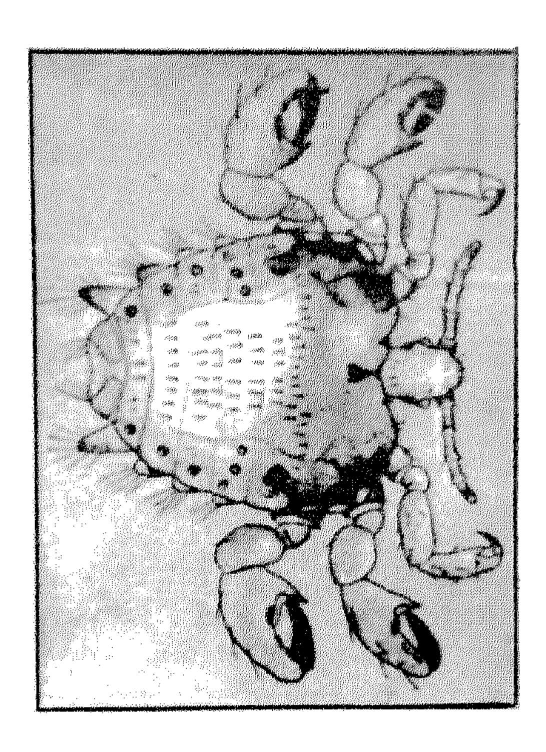
نظرية خاصة بلون البشرة تعتبر الان اساسا لكل تفكير علمى فيما يتصل بهذا الموضوع ، هذه النظرية تقول :

ان سواد الجلد ظاهرة نشأت نتيجة لظروف جغرافية مناخية فان سكان البلاد الحارة لابد لجلدهم من أن يفرز للوقاية من الاحتراق نسبة عالية من فيتامين د ومن مادة الميلانيين ، ويقول هذا العالم : ان كل البشر فى الازمنة السحيقة كانت جلودهم سوداء لشدة الحر ووهج الشمس فى الماضى وعندما تغير المناخ واعتدل جو المناطق البعيدة عن خط الاستواء وساد « البرد »المناطق القطبية وبدأ الانسان يتجه الى الشمال



بثور على اليد ناشئة عن حساسية دموية نظن المصاب بها انها مستحيلة على الشفاء ولانها توهم المصاب بها لكثرة بثورها ، وعلاجها مع ذلك يسير يستطيعه اى طبيب متخصص فى الجلد .





القمل من الافات التى تسبب عشرات الامراض الجلدية لانه يتكاثر بسرعة خطيرة ويعيش فى ثنايا الجلد الصغيرة ويسبب التهابات والاما كثيرة ولهذا فلا بد من القضاء عليه بمجرد ظهوره سواء فى الراس او فى اى موضع من مواضع الجسد . ولم يعد من الصعب القضاء على القمل وانما الخطورة تأتى من التهاون والقذارة . فالصورة التى على اليسار لقملة الجسد والتى على اليمين لقملة الشعر .

فى هجرته اخذت الحاجة تقل لافراز قدر كبير من فيتامين د ، ومادة الميلانيين واخذ لون الجلد يفتح ويبيض شيئا فشيئا .

ومعنى ذلك أن السواد هو الاصل فيما يتصل بلون البشر وأن بياض اللون ظاهرة جديدة . وكذلك الوان قرنية العين فقد كانت الالوان كلها فى الاصل سوداء ثم اخذت اللون العسلى بالنسبة لمن هاجروا الى المناطق المعتدلة ،واللون الازرق او الاخضر او الرمادى بالنسبة لمن هاجروا الى الاقاليم الشمالية القاسية وكل لون بحسب الجو الذى

يسود المنطقة التى يسكنها الناس ويتصل بذلك ايضا لون الشعر فالمفروض بناء على نظرية الدكتور لوميس ان الشعر الاسود هو الاصل وان تحول شعر بعض اجناس البشر الى الشقرة جاء نتيجة لقلة افراز الفيتامين د ومادة الميلانيين التى لا يحتاج اليها الانسان فى المناطق المعتدلة او الباردة .



في مثل هذه الجميلة قالوا ..

● أنت ... وأنا ! ●

كانت النظرةُ أُولَى نظــــرتين ثمَّ صارتْ لفظــــة ما بيننــا
والهوى يَعْجَــب من مغتربين لم يقلْ أنتِ .. ولا قالتْ : أنا
وسبحْنا فوق واد من لُجين تحتَ أفق من غمـام وسنَا ..
أتمـلاَّها سِـمات عربيَّــة
وبسمعِي همســة منها شجيَّة .

● علي محمود طه ●

● أسائل عينيك ! ●

أُصدق عينيْك أم أحـــذر ؟ وأخذلُها وهيَ لا تقهــرُ ؟ !
خليين كنَّا .. فهل مسَّــنا من الحبِّ سهم ولا نشعر ؟!
بنفسي وقلبي عيـونُ المَهـا يموج الصَّفاءُ بها والبـريقْ
تُشعُّ حنـانا ، فيسبي النفـو سَ وسحرا فيسكرها ، لا تفيق !
أسائلُها كلَّمـا ضمَّنـا حديثُ الرِّضا أو حديثُ الشجون
أهل يحسبُ اللحظُ فينا يغرُّ ويخدعُ أفئـدة العاشـقين ؟ !
أم العين صـادقة قولهـا ومرآتها تفضـح العابثين ؟ !

● د . أحمد بديع ●
● الاسكندرية ●

● ابتسام العيون ... ○

رأيتُ بعينيك سرَّ الخلودِ
وسحرَ الوجودِ ونورَ الحياه
وإشراقةً كالمنى غضّة
تجلّت فكانت لقلبى مناه
فيا فرحةَ الروح كمْ شاعر
على ناظريْك تغنّى هواه
هو الشّعر أنتِ ، وأنتِ المنى
إليك انتهى الشّوق يا منتهاه
وأنتِ الرّبيعُ أصلّى لديك
تراتيم شوق ندىّ الصلاه
وأنت الطفولةُ فى سحرها
وأنتِ الضّياءُ وأنت الحياه

● رشاد يوسف ●
● القاهرة ●

● كل الرواية ! ●

قالوا عيونَك آيَه
فى حُسْنها وحكايَه
بحر بدون قرار
مَدى بغير نهايه
قالوا جمالك كنْز
من فتنة وغوايه !
الناسُ فى الحسْن سطرٌ
وأنتِ كل الروايه !

● د . عبد الحميد محمود ●
● الاسكندرية ●

● زهرة .. ! ●

آموينجة" فى البحر أنت وبالصبابة تسبحين ؟!

أم زهرة نامت على ... خد الحياء لتستكين !

قد كنت أبحث عن هواك وعشت آلاف السنين

متشوقا لنجيشة .. بالأفق أو بدر حزين !

وأتيت فى ثوب الهوى ... فأفاق كل العاشقين !

وعدوت مثل الطفل تأتلق الزهور وتسرحين !

فتمازحين النهر أو .. تسقى قلوب الظامئين !

وتلوت آية حبنا ... حيرت فيها العالمين

وسألت قلبك فى الخفاء وقلت علك تعلمين

أنى بحبك قد غدوت أهيم وسط الخاشعين !

● طارق صلاح الدين بندارى ●
● القاهرة ●

● ما أروعك ! ●

أنت من أهوى ... وكم أهوى ، ولا
مأرب عندى سوى أن أنظرك !

كم يذوب القلب فى إطلالة
بل يهون العمر لو لم أسمعك !

يا قرين البدر ما أبهاك ، قد
أبدع الخلاق لما صورك

قد حباك الله حسنا رائعا
يامليك القلب ... ياما أروعك !

● حسنى الامين ●

قصة الأوراق

● عاطف سعودى ●

فوجىء ضابط الاطفاء اثر فراغه من اخماد الحريق الكبير الذى شب فى شقة فاخرة بحى الزمالك ـ بصوت اشتغاثة واهنة تصدر من الغرفة الوحيدة التى لم تمسها النيران ... اندفع نحو مصدر الاستغاثة فوجد سيدة عجوزا مقعدة . كانت ممددة على الارض بجوار السرير الوثير الذى ترقد عليه. عرف أنها سقطت أثناء محاولاتها النجاة بنفسها . واستغرب كثيرا من ان احدا من قاطنى الشقة وهم بعض أقاربها ، لم يدله على مكانها لينقذها هى أولا ...

حمل الضابط السيدة العجوز واعادها الى فراشها ، فشكرته واستمهلته قليلا لانها تريد ان تتحدث اليه . دعته الى الجلوس بجوارها ، وسالته :

ـ قل لى أيها الضابط الشجاع .. كيف تشتعل النيران ؟

* اذا وصلت الاشياء لدرجة حرارة اشتعالها .. فى وجود الهواء طبعا .

سألها الضابط هذه المرة :

ـ قولى انت يا سيدتى .. لماذا لم يدلنى أحد على مكانك رغم حالتك هذه ؟!

تجاهلت السيدة سؤال الضابط وعادت تستفسر منه :

ـ قل لى انت أولا ، ما هى أسباب الحرائق كما تعلمتها من عملك ؟

* الاهمال يا سيدتى ، القضاء والقدر ، العمد ... لكنك لم تجيبى عن سؤالى بعد .

تجاهلت السيدة سؤال الضابط مرة اخرى واردفت تسأله :

ـ وما هى المواد التى تسهل عملية الاحتراق يا بنى ؟

* المواد البترولية ، الكهرباء ، البوتاجاز ، الأوراق ..

قاطعته كمن لدغتها عقرب :

ـ الأوراق ... تسبب الحرائق ؟

* نعم يا سيدتى . الأوراق تسبب الحرائق أحيانا .. ما الغرابة فى ذلك ؟ ولكن قولى الآن بربك ، لماذا لم يدلنى أحد على مكانك ؟ .. هل انشغلوا بأنفسهم عن نفسك ؟

لمعت عيناها وسرحت بخاطرها الى بعيد كأنها فى واد ومحدثها الضابط فى واد آخر . كانت تردد بين آن وآخر عبارة « الأوراق تسبب الحرائق .. » ثم انتفضت فجأة وهى تقول للضابط :

ـ أرجوك يا ولدى، لو سمحت تحضر لى الصندوق المذهب الموجود فى صوان ملابسى هذا ...

اشارت السيدة بيد مرتعشة الى صوان ملابسها وهى تناول الضابط مفتاحه . قام واحضر لها الصندوق . فتحته واخرجت منه ورقة مطوية ثم مدت يدها أسفل وسادتها واستخرجت ولاعتها الذهبية .. وبيد كانت لا تزال ترتعش ، أشعلت السيدة الورقة التى استخرجتها من الصندوق ، فالتهمتها النيران فى لحظات ...

كانت تضحك من أعماقها وهى لا تزال تردد :

« الأوراق .. الأوراق تسبب الحرائق !! »

ازدادت حيرة الضابط وتعجبه من تصرف السيدة وسالها :

ـ ما هذه الورقة التى أشعلتها يا سيدتى ؟!

قالت وكأن هما قد زال عن كاهلها :

*** أنها وصيتى أيها الضابط .. انها كما ترى من الورق ، ألم تقل لى ان الأوراق تسبب الحرائق ... أحيانا ؟!**

ثم تحولت تبكى فى حرقة بالغة ... ●

مالارميه.. وفكرة اللغة المستحوذة

● ماهر شفيق فريد ●

اتمت مجلة «انكاونتر» الانجليزية عامها الخامس والعشرين فى شهر اكتوبر الماضى : واصدرت بهذه المناسبة عددا خاصا نعرض لاحدى مقالاته هنا : وهى مقالة « مالارميه وفكرة اللغة المستحوذة » بقلم جون ويتمان ..

يقول الكاتب : توفى الشاعر الفرنسى الرمزى ستفن مالارميه عام ١٨٩٨ فى سن السادسة والخمسين ، ولكنه ظل قوة فاعلة فى الشعر الحديث لمدة ثمانين عاما .. ولو اننا ارخنا بداية فاعليته بعام ١٨٧٥ عندما استقر فى باريس فى شقة بشارع روما ظل يقيم بها حتى وفاته — لوجدنا انه كان مؤثرا هاما ونشطا لاكثر من قرن من الزمان .

وبعد انتقاله الى شارع روما فتح بيته فى أماسى الثلاثاء لعدد من الادباء والفنانين على شكل ندوة اسبوعية صارت تعرف باسم « أماسى الثلاثاء فى شارع روما » وكان من بين من يختلفون اليها شعراء وكتاب غدت شهرتهم فيما بعد لاتقل عن شهرته مثل بول فاليرى، واندريه جيد ، وبول كلودل .

وخلال هذا القرن من الحضور الفعال عانت شهرة مالارميه عددا من التقلبات . ففى حياته كان بعض الادباء راسخو المكانة من قبيل لوكونت دى ليل، واناتول فرانس ، ينظرون اليه على انه رجل غريب الاطوار لطيف محير . ولايحملونه على محمل الجد كثيرا ، بينما كانت اقلية منتقاة من معاصريه خاصة الشبان منهم تعجب به وتحترمه . ولم تكن هذه الاقلية مقصورة على الادباء وانما كانت تشمل رسامين وموسيقيين أيضا . فمن المعلوم بطبيعة الحال أن شعره قد الهم دبوسى وانه كان صديقا لمانيه ، ومنذ عام ١٨٨٤ بعد ان حياه الروائى جوريس كارل وسمانز فى روايته المسماة « ضد الطبيعة » باعتباره واحدا من الشعراء الذين كان يعجب بهم ديسانت بطل الرواية ، ونموذج الغندور « الداندى » الجمالى النزعة ، اصبحت لمالارميه شهرة عامة سيئة من لون ما. حاول البعض محاكاة أسلوبه المستتر محاكاة ساخرة مفترضين ان مؤلفاته الغامضة تخفى معان ملهوية او حتى فاحشة .

ومع مطلع هذا القرن وجدت قلة من قصائده الاقل صعوبة طريقها تدريجيا الى كتب المنتخبات ، وبدأ يؤثر فى عدة شعراء خارج فرنسا . اما داخل بلاده فان عقيدته الشعرية قد واصلها ، بتعديلات طفيفة ، أبرز حوارييه : بول فاليرى، الذى يلوح مونولوجه الدرامى المسمى « ربة القدر الشابة » « ١٩١٧ » فى بعض الاحيان وكأنه محاكاة لمالارميه تماما

وعلى ذلك يحق لنا ان نقول انه بينما قد ظل مالارميه دائما شاعرا مهما لدى غيره من الشعراء ظلت شهرته العامة بطيئة النمو . لقد كان ثمة قدر معين من الاهتمام به فى ثلاثينات هذا القرن عندما كرس له ألبير ثبوديه دراسة كاملة كانت اول كتاب عنه ونشر روجر فراى ترجمة انجليزية حرفية لقصائده . بيد انه فقط مع مقدم الاربعينات اصبح يعد شاعرا كبيرا يقف على قدم المساواة مع بودلير وفرلين ورنبو ... وربما كان قد انتفع بشهرة تلميذه فاليرى . ومن المحقق ان احد اصدقاء فاليرى المعجبين به — نعنى الدكتور هنرى موندور وهو واحد من سدنة الادب المكرسين الذين يلوح ان فرنسا تنجب منهم اكثر مما ينجبه غيرها من البلاد — قد كتب سيرة مالارميه وشرع يطبع رسائله الى معاصريه ثم واصل عمله الاستاذ اوستن من جامعة كمبردج ، وعرضا نلاحظ ان الدارسين الانجليز قد نشطوا خلال الجيل الاخير فى نشر اعمال مالارميه وتفسير قصائده .

غرام الشعراء

« لامرتين » شاعر الحب والجمال

● د . سليم الاسيوطي ●

● كانت حياة لامرتين حافلة بالصبوات والغراميات فلم تخل فترة من حياته من جولة فى ميدان الحب والغرام الملتهب تتحدث بذكرها الركبان .

ولد ألفونس مارى لويز برات دى لامرتين عام ١٧٩٠ فى باريس ، وتوفى عام ١٨٦٩ ، حيث دفن بها فى « مقبرة الخالدين »

وباستثناء فترة دراسته الاولى، قضى لامرتين السنوات العشرين الاولى من حياته فى الريف ، خاصة فى ضيعة ابيه فى « ميلى » .. ولقد كان منذ نشأته يتوثب نشاطا وحيوية ويمتلىء بالقوة والفتوة منذ صباه الغامر الجارف ولقد اغدقت عليه الطبيعة والفطرة ما أثراه روحا وجسدا .

شب لامرتين فى «ميلى» وترعرع حرا طليقا كالفراشة يهب كالهواء هنا وهناك ، لا يقيده قيد ولا يحول دونه حائل أو سد . فاجتلى ببصره الحديد وبصيرته النفاذ ، محاسن مقامه البديع . ولكن التقاليد الاسرية والواجبات الاجتماعية التى فرضها العصر عليه انعكست فى حياته ، كأى انسان آخر ، هناك فى ذلك الوقت ، بالاضافة الى الانطباعات والارتسامات التى خلفتها فى نفسه هذه البيئة وتركتها فى عقله وقلبه ، كانت قد ترسبت عميقة قوية فى اعماقه ، شعوره ولا شعوره ، وحالت دونه والافكار الجديدة ، التى سبق بها عصره ، ولم يكن قد حان الحين لتؤتى ثمارها جنية ، دانية القطاف .

كان لامرتين أثناء طفولته فى «ميلى» يلعب ويمرح بين مغانى البلدة ومفاتنها ، ويرد حدائق الخضرة والماء والبهاء ، فآمن « بأن كل من ينشأ فى حجر الطبيعة واحضان الريف لابد وان يستهويه غرامهما ويعشق حسنهما »

وفى صباه وشبابه شغفه حب الكتب والمكتبات ولما لم يشأ أن يتقيد بقيود الوظيفة ابان حكم نابليون الطاغية « كما كان يراه » فقد أخلد الى القراءة ففذى قلبه وأثرى عقله بما كتب جان جاك روسو ، وفولتير ، ودانتى ، وبترارك ، وشيكسبير ، وملتون ، والكسندر بوب ، كما درس الايطالية وتعلم الانجليزية فترجم العديد من هذه وتلك الى الفرنسية .

قرا لامارتين روائع الادب ، شعره ونثره ، بل حصل منهما ايضا ثروة لغوية ضخمة ، وثراء علميا عريضا .

ولقد كان شعره النابض بالحياة الجياش بشتى العواطف والمشاعر ، بدء عهد جديد لشعر الوجدان . فطالما قال: « لقد استبدلت بقيثارة آلهة الشعر ذات الاوتار السبعة أوتار قلب الانسان بنبضه ، واهازيج الطبيعة من حوله ».

فلقد كان منذ صباه الباكر ، يصوغ الابيات الحانا شجية من نبضات قلبه ، ومفاتن الطبيعة من حوله ، وروعة ايمانه .

فلما حركته دواعي الصبا الى الحب طفق ينهل موارده ، فوقع فى حب صبية من « ميلى » أولع بها ولوعا اطاش صوابه واخل توازنه ، واضاع الحكمة والنهى من حياته وشف جسمه وأنحله فلما كان الاقتران بها أمرا مستحيلا لاعتبارات ارتأتها الاسرة ، فقد بعثت به الى ايطاليا لتحامى هذا الزواج وعله ينسى هناك . ولكن القدر فى ايطاليا كان قد أعد له غراما جديدا اقوى واعتى ..

اندفع لامرتين فى حب الفتاة « جراز يلا » ، وهى ابنة وحيدة لاحدالصيادين الفقراء ، كان يسكن جزيرة فى البحر. وتصادف أن دعا والد الفتاة لامرتين وصديقا له « ل ـ لامرتين » الى زيارته فى بيته ، وهناك التقى الشاعر بجراز يلا ، واضفت الاسرة عليهمامن صنوف المودة والاحترام ماأعطف الضيفان على هذه الاسرة وآمال مشاعرهما نحوها .

توطدت الصداقة ، وذات يوم ذهب لامرتين وصديقه الى رحلة صيد فىمركب لوالد الفتاة ، وكان يدعى « أندريا » ، وفى اثناء الرحلة هبت عاصفة هوجاء عاتية ، وتعرضت حياة الجميع للخطر ولكنهم جاهدوا وكافحوا ، فكتب الله لهم النجاة ، وعادوا الى الشاطىء سالمين . وقد كادت تنخلع قلوبهم من الرعب وتتقطع ، وتحطم بعض من السارية وتمزق الشراع .

وفى اليوم التالى ، عاد لامرتينوتمكن من رءب الصدع واصلاح التلف اللذين اصابا المركب ، فعادت الى ماكانت عليه فى سابق عهدها ، ورأى « أندريا » ، والدة الفتاة فى هذا العمل فالا حسنا وبشرى خير ، وفاتحة بركة .

رحل صديق لامارتين عائداالىفرنسا ففدا وحيدا فى غربته ليس له من يؤنس حياته او يسرى عنه . فماذا عساه ان يصنع ؟!

اكثر من الترداد على ال « اندريا » وتكررت زياراته لهم . ربما تكون الاسرة قد رأت فيه صيدا ثمينا ، سمينا وفرصة دفع بها الحظ السعيد الى دارهم ، « والحظ لايطرق الباب مرتين» كما يقولون فى الامثال . وسوف يكون الزوج الامثل لوحيدتهم العزيزة . فدعاه الاب لتناول الغداء فى بيته ولبى لامرتين الدعوة شاكرا . وفى غضون النهار ، بينما كانت « جراز ييلا » تدبر شئون المنزل وتفى بحاجاته ومطالبه ، كان لامرتين يشارك « أندريا » أصلاح شباكه المعطوبة .

اراد لامرتين ، بعد ذلك ، العودة الى نابلى ، حيث كان يقطن ويقيم فى حجرة هناك . ولكن والدة « جراز ييلا » رحبت به يقيم بين ظهرانيهم ، ربما كان يتوق الى هذه الدعوة ويشتهيها ويتمناها من السماء ، فما كان منه الا أن نزل عند رغبة الام ، ولكنه اصر على دفع بعض المال ، فلم تمانع الام من جانبها ، حتى لا تبقى له حجة أو ذريعة يتذرع بها للرحيل ، فيفلت العصفور من أيديهم .

جعل الوالدان يفكران فى مستقبل الفتاة « جراز يلا » ، وحينئذ نزل بالاسرة ضيف ، ابن عم للفتاة ، قدماه الى لامرتين على انه خطيب « جراز يلا » ، فاهتم صاحبنا واغتم ودهمه الحزن والاسى ، فاعتزل صحبة اهل البيت ولاذ بمخدعه لا يبرحه . وحزنت « جراز يلا » ولم تحتمل البقاء بالدار ، فغادرتها بليل .

ولما علم لامرتين بالامر اسرع الى حيث كان يتوقع العثور عليها ، فى جزيرة بروكيدا . لقد صدق حدسه . فهناك لجأت الى دير به تمثال شاهق للسيدة مريم العذراء ، وحين رآها كانت تركع امام التمثال وبيدها خصلة من شعرها الطويل الناعم تقدمها قربانا الى العذراء

ولما فرغت من صلاتها ، التى لم يشأ لامرتين ان يقطع عليها حبلها اقترب منها وهمس قائلا : « انى لا اسالك ما اذا كنت تحبيننى .. »

قالت : ولكنى احبك . كل الحب ، حتى ملك على كل جوارحى وحواسى ، ومشاعرى وعواطفى » .

فما كان من لامرتين الا ان امطر

وجهها بالقبلات وهو يصارحها بحبه لاول مرة ، وتوسل اليها أن تعود معه الى نابلى رحمة به وبوالديها اللذين كان يتفطر قلباهما الما وحسرة لفرارها. وعادا معا الى نابلى .

وترامت أخبار مغامرة لامرتين الغرامية ، حتى بلغت أسماع الاسرة فى فرنسا ، على لسان أحد أصدقائها فهبت الام التى هالها أن تسمع بأن ابنها يعيش فى ايطاليا حياة مريبة وامطرته بوابل من الرسائل تسترحمه وتستحثه على العودة على عجل وأصبح صاحبنا نهبا للحيرة تتجاذبه الطاعة لأمه والوفاء « لجراز بيلا » والهيام بها ، فلقد كان يقدس أمه ويعبد فتاته ، ويشق عليه اغضاب هذه ، ويعجز عن فراق تلك .

كان كلما حزم امتعته واعد حقيبته وازمع سفرا شق عليه الرحيل، فيعدل، ولكن ما أن تعاوده رؤيا امه الوالهة المتلهفة ، حتى يرجع عن عزمه على البقاء ويقرر الرحيل .. وهكذا ظل نهبا للتردد والحيرة حتى بعث الله فيه الشجاعة والهمة والقرار الاخير .

فى غضون هذه الفترات الحرجة القاسية كانت والدة « جراز بيلا » ووالدها يرددان صباح مساء على مسامع ابنتهما القول :

« غدا سوف تحمله الباخرة ، آخذة طريقها الى فرنسا ، .. غدا سيهجرك، نعم سيهجرك ويعود الى فرنسا حيث يجد الفتاة التى تحبه هناك . »

وكانت الفتاة تعيش تلك الايام خائفة متوجسة يكاد قلبها ينخلع ويطير شعاعا، فماذا عساها أن تفعل ؟

ذهبت الى حائكة ثياب واستعارت منها ثوبا فرنسي الزى وارتدته وشخصت الى حبيبها لامرتين . فلما لقيها هاله أمرها واندفع يقول : « ماهذا الذى ترتدين ؟! أين هذا الزى من ثوب الايطالية الجميلة الحسناء ، التى لاتتكلف ولا تصطنع الاناقة والزينة ؟! »

فحز فى نفسها اللوم وآلمتها السخرية وطفقت تبكى بكاء مرا وراحت تكشف له عن دخيلة نفسها : « انى اعلم أنى عاملة بسيطة فقيرة ، وقد ارتديت هذه الملابس حتى لاتخجل من مظهرى ومنى، اذا مارافقتك الى وطنك » .

فما كان منه الا أن قال فى خشونة « ماذا تقولين ؟! أتذهبين معى الى فرنسا ؟! ماكنت أحسب أنك على هذا القدر من الحماقة ؟! »

لقد كان لامرتين يحب « جراز بيلا» حبا صادقا ملك عليه كل حواسه ، وملأ حياته ، ولكنه لم يجرؤ على التصريح بهذا الحب او الاعلان عنه ، كما انه لم يفكر وهو النشوان دائما بهذا الحب ، فى أن يبنى بها فقد كانت تفصلهما هوة سحيقة ، عميقة ، من الاوضاع الاجتماعية والتقاليد والعرف والقيود الطبقية ، لايمكن أن يجهلها أو يغفلها ولا يدخلها فى الحسبان .

وكانت جراز بيلا من جانبها تحمل له الحب كل الحب وتوليه الوفاء والاخلاص ولكن الفتاة العذراء ، لا تدين بمذهب الحب للحب ، وترنو دائما بعين الامل والرجاء الى الزواج . وهذه هى نهاية المطاف لكل حب صادق أمين ، فعاشت هذا الامل ترعاه حتى شب وكبر واكتمل . وحان وقت القطاف .

لم تكن الام لترضى بما نمى اليها، فلما خابت رسائلها بعثت برسولها وهو أحد الاقرباء ، الى لامرتين ، فى نابلى ، فما أن وصل الى نابلى حتى هرع الى بيت الصياد اندريا ، وأنهى الى لامرتين ماآل **اليه حال امه من بعده .. هذه الحال التى تزداد سوءا يوما بعد يوم ، فجمع الشاعر شجاعته وامتعته ورحل الى فرنسا مع قريبه . وصورة «جرازبيلا» ماثلة فى خياله لا تفارقه بكل محاسنها ومفاتنها وروعة جمالها تلتف بالطهر وتتشح بالصفاء والنقاء .**

وحين أخلد الى الحياة فى باريس واتاه رسول بحزمة صغيرة ، فلما فتحها قال « كما جاء فى مذكراته » : «نزعت الغلاف ، ومازالت ذكرى هذه اللحظة

تلازمني ، فوجدت بداخلها خصلة من الشعر ، تعرفت فيها على شعر « جراز يبلا » ، كما وجدت رسالة قصيرة بخط يدها تقول : « يرى الطبيب أني سألقى ربي في غضون ثلاثة ايام ـ اني اتوق توقا شديدا الى أن القاك ... لقاء الوداع الاخير ، وأنا بكامل قواي ـ آه ، لو كنت بجواري لامتد أجلي ، وطال عمري . ولكن هكذا أراد الله ولا راد لقضائه ، اليك خصلة من شعري من راسي فقدمها قربانا الى خالقي ، في هيكل عندكم لكي يحقق الله لك كل ماتصبو اليه مني »

***

لم يعد لامرتين الى وطنه وموطنه خاوى الوفاض من الحب دون كسب او مغنم . نعم ، لقد خسر « جراز يبلا » بالجسد فحسب ولكنه أعاشها في حياته روحا ومعنى ، شعرا وخيالا خصبا ، مجسمة مجسدة ، غامرة بالحياة ، جياشة العواطف ، فياضة المشاعر في ملحمته الرائعة : « جرازيبلا » التى سرد فيها مع روايته « رفائيل » تاريخ شبابه وأيام حياته ..

لم يكد لامرتين يضيق من حب « جراز يبلا » أو يسلو هواها حتى دعاه داعي هوى جديد ..

ففي ربيع ١٨١٦ ، وهو في فرنسا اصيب بداء الكبد ، فاشار عليه طبيبه المعالج بالسفر الى مدينة اكس والافادة من مياهها المعدنية . فجاءها في أكتوبر من هذا العام . وتصادف ان كان في المصح الذى نزل فيه انه كانت تقيم نزيلة شابة تدعى « جوليا شارل » وهي زوج أمين سر المجمع اللغوى الفرنسي في ذلك الوقت فكان أول مالفته اليها واعطف قلبه نحوها ، وجهها الشاحب وقوامها الناحل وانطواءها ، وعزلتها ، وهدوءها فهوى في هواها وكانه على موعد مع حب جديد ..

افتتن بها ، وبما اوتيت من الملامح الشعرية الرائعة والثقافة الواسعة النادرة واللهجة الموسيقية الشجية ونبرات الصوت الرخيمة العذبة ، يجللها فوق كل هذا هالة من الشجى ومسحة من الشجن بجانب ماهي عليه من قوام بارع فاره ، وطلعة بهية تبدو دائما من وجه صبوح سمح . فهام بها وقضى بصحبتها ثلاثة أسابيع على ضفاف بحيرة بورجيه ، فطعم معها الحياة الصافية ، وخبر حلاوة الغزل العفيف ونشوة الحب النبيل ، ولكن السعادة قصيرة الاجل ، فلم تلبث « جوليا » ان عادت الى باريس

وعاد هو الى « ميلى » ولم يلتق بها ثانية الا في يناير من عام ١٨١٧ في منزل زوجها بباريس فتساقيا كئوس الحب مترعة صافية على مشارف العاصمة وفي رياضها ومغانيها ، شهورا قليلة ، ثم افترقا على موعد في الخريف في « سفوا » ، ولكن القدر ابى عليهما هذا اللقاء فقد شخص لامرتين الى «اكس» ينتظر مقدم حبيبته ولكن كان هناك نبأ مفجع في انتظاره : لقد اشفت جوليا على

الموت فارتد عائدا الى مدينة ماكون وجاءه نعيها الى هناك فهاله الخبر وبرح به الحزن وتفجرت ينابيع الدموع في مآقيه .

ان الحزن والاسى والفجيعة تشحذ خيال الشاعر وترهف حسه وتحلق به في سماء الالهام والشعر ، فجادت عليه ربة الشعر بالدرر الغوالي . ورثاها رثاء سيبقى خالدا على الايام فان شعره في « الفير » ـ وهذا هواسمها المستعار ـ اروع ماشتمل عليه ديوانه «التأملات» واشد مافيه امتلاكا للحس وسيطرة على المشاعر .

كان لصلة هذه السيدة بلامرتين اعمق الاثر في حياته وفي شعره . ولقد كتب ذكرياته عن هذا الحب في رواية « رفائيل » مستعينا بمذكراته ورسائله واسلوبه الشائق الجميل ، مما كتب لهذا العمل الخلود والبقاء ●

قصـــة العـــرائـــس الإلـــهـيـــة

● اليفه رفعت ●

● انطلقت صرخات حادة تشق سكون الليل أعقبها نشيج مؤلم بكى له قلبي وتمزق كأنما مر عليه سكين حاد .. وضاعف من رنين البكاء الصمت والهدوء الذى يخيم على عمارتنا فى مثل هذه الساعة ..

وازداد هلعي حين أدركت أن الصرخات قد انطلقت من شقة المهندس وائل .... المواجهة لشقتى والتى يسكن فيها مع أسرته .. جريت نحوهم وألف خاطر يتنازعنى ويرسم لى أبشع الكوارث والنكبات التى من الجائز أن تحـــل فجاة باى اسرة آمنة ..

وضعت يدى على جرس بابهم وانا انتفض من الخوف بينما تجمع باقى السكان أمام عتبات الشقق يطلون من الادوار فى انزعاج .. فتح لى وائل بنفسه . كدت انكره لصورته المضطربة وتقاطيع سحنته المقلوبة وعينيه المحمرتين تومضان بالغضب الشديد ..

قلت أدارى انزعاجى بابتسامة متوددة .. « ماذا حدث ؟ »

قال : « اسألى صديقتك السيدة المحترمة المصون .. » وتركنى ودخل الى غرفته وأغلق بابها عليه بينما تجمع الاولاد حول أمهم يفكرون العيون المذهولة المتسائلة .. هرعت لسهير حين رأيتها بينهم متكومة على الارض وكل وجههـــا كدمات زرقاء شوهت وجهها الجميل وانقلبت بوسامته الى صورة دميمة شقية زاد من بشاعتها عيناها المقروحتان المتورمتان ..

احتضنتها وشـــددتها من على الارض حتى تحاملت على نفسها وقامت معى بينمـــا تفرق الاولاد الى غرفهم فى صمت حزين .. انسحبت بها الى غرفة الاستقبال فتهاوت متخاذلة على أقرب مقعد وغطت وجهها وراحت ترتعد وتنشج باكية .. رحت أمر على وجهها بفوطة مبللة بماء مثلج وأمسح بها على جروحها فى رفق وقد ألقت براسها للوراء مستسلمة للمساتى وعينـــاها تدوران فى ذهول .. تنهدت فى بؤس وراحـــت تتمتم .. « انتهى .. انتهى وجودى كله .. »

قلت فى حيرة : « ماذا حدث ؟ بالله عليك خبرينى .. لماذا يضربك زوجك بكل هـــــذه الوحشية ؟.. » قالت والدموع تطفر من عينيها وتتدفق مرة أخـــرى : « تحطمت كل عوالمى وانتهيت ! .. لن استطيع العيش كما كنت بعد الان ولن استطيع النظر فى وجوه اولادى بعـد



ان أذلنى على هذه الصورة أمامهم .. فلن اكون الام المحترمة فى تقديرهم .. ولن أستطيع تناول لقمة واحدة عنده .. وأفضل أن أموت جوعا من أن يعولنى هذا الرجل بعد أن حطم كبريائى هكذا .. »

قلت وقد زادت حيرتى : « انت تضـــخمين الامور وكأن نهاية الدنيا قد حلت .. ولم يحدث بينكمــــا مالم يحدث .. فكثير من الازواج يتشاجرون ثم يعود الوفاق بينهم . »

انطلقت فى ثورة تقول : « الا أنا ... أنا لا . أنا لم يضربنى احد أبدا حتى ولا أبواى .. بل ربيانى على سرعة الفهم والتقدير .. يكفينى نظرة موحية الى بالتصرف الصحيح لاقوم به فى صمت بغير كلمة تأنيب ولا زجر .. وعندما تزوجت بوائل لم يربط بيننا حب ولا عشق بقدر ماربط بيننا التفاهم والاحترام .. وعشنا طوال هذه الاعوام مثالا للزوجين المهذبين الوقورين .. كل منا كان يعرف واجباته وحدوده ويؤدى مهامه .. بيتنا يسير كالساعة فى الانضباط .. أحوالنا منسقة ميسرة بغير خلل .. ولكنى كنت أختنق واحترق كما تحترق الشمعة لتنير لمن حولها .. أســير فى طريق الواجب مثل الالة التى يحركها مهندس ماهر .. ووائل كما تعرفين مهندس ماهر قدير فعلا خطط لنا حياتنا بدقة وبراعة وعمل حسابا لكل مسمار وترس فى جهاز بيتنا ومستقبلنا . ونسى أننا بشر .. لم يدخل أبدا فى تخطيطاته وتقديراته اننا لنا قلوب وأهواء وعواطف .. »

راحت تمسح دموعها بباطن كفها وتهز راسها ومازالت فى ثورتها تتكلم : « أنا انسانة ياصديقتى .. قلبى ليس من حديد ولا حجر .. انا من دم ولحم واعصاب ، وعاطفة .. قلبى حى ينبض وكلى حيوية متدفقة . وينبض هذه الايام أكثر ويركض محاولا استعادة الزمن الذى جرى بى الى اعتاب الكهولة واقترب بى من نهايتى المحتومة .. قلبى يتمرد على الجمود المنظم الذى عشت فيه آلة أدور وأدور .. الا فى اللحظات القليلة التى كنت اختلسها من قيودى .. لاشـعر انى مازلت انسانة أعيش واتنفس .. اختلى بجهاز تسجيلى اتسمع لصوت حبيبى او اجلس لمعزفى احاول ان اترنم بموسيقى هذا الحبيب الذى ملك على اسمى مشاعرى .. واروح غائبة عن واقعى سابحة فى العالم الجميـل المضىء الذى يصوره بموسيقاه وبنبرات صـوته الشـــجى الرخيم الذى يتسرب الى أعمق أعماق احساسى .. يطوف بى فى سماوات سحرية ويحملنى بلين ورفق كموجة بحر هادئة رطبة فى قيظ صيف ..

كنسمة ليل صافية رقيقة تطويني نبرته العذبة .. »

قلت في دهشة : « هل تقصدين بقولك ان تبوحي لي بمشاعرك للموسيقار الشهير سمير وحدى .. وما الضرر من حبك له ؟! كلنا نحبه .. انا دائما أتصنت بشغف لغنائه الذى ينساب .. نديا من شقتكم حين تديرين جهاز تسجيلك واشاركك متعة الاستماع اليه .. واحيانا يلمحني زوجي فيمدني ضاحكا بشراء جهاز مثله لأسجل عليه ما أشاء . ليس في هذا أى عيب . »

ضحكت لحيرتي من خلال دموعها التي انقشعت سحبتها سريعا أمام اشراقة روحها الشفيفة .. حتى بدا وجهها الخمرى برىء التقاطيع كوجه طفل .. لولا الكدمات التى تبرقشه لانمحت تماما آثار الزوبعة التى مرت بها ..

وقالت : « نعم ليس فى الاستماع اليه ذنب : ولكن صدقيني لو احببته كما احببته واتصلت به لذبحك زوجك حين يعلم ! .. »

قفزت من مكاني والصقت مقعدا بجانبها وادنيت اذنى وانا اهتف بها : « كيف اتصلت به واحببته ؟ وهل احبك هو الاخر ؟! »

قالت : وهى تتمطى باستمتاع : « تصورى .. سمير وجدى يحبنى انا انا سهير المسكينة المنطوية .. انا الهامه وعروس احلامه ! »

قلت ولذة استمتاعها بالعواطف الدافئة تجتاحنى : « احكى لى بالتفصيل ، فلكم يطربنى أن استمع لحكايات الحب ، فهى تحيينى وتذيب الثلوج المتراكمة على الحياة . وتجرى بالدماء فى العروق تعيد للاجساد الحيوية والشباب .. »

رنت ضحكتها صافية مترقرقة . وهمست تفضى بسرها :

« لست ادرى متى بدأ حبى له : فطول عمرى منذ بدء وجودى وأنا أحبه ، وان كنت لم اعرف هذه الحقيقة حتى قابلته .. وانما كنت أستمع اليه فتطل روحه على من بين الانغام تلازمنى وتكمل وجودى .. حتى كانت ليلة قدر لى فيها أن أتعرف على حبى .. ليلة فاضت فيها مشاعرى بعد طول كبت وحرمان .. فلبنى فيها حنينى فناديته بالتليفون كأى معجبة من الجماهير التى تعشق غناءه .. ولقدرنا المكتوب رد على هو بنفسه فى الحال ، وكانما كان فى الانتظار .. ومن اول كلمة شعرنا أننا كنا نحيا معا .. وتعرف كل منا على الاخر وكأننا كنا نعيش فى مكان آخر وفى حياة اخرى غير حياتنا فى هذه الدنيا .. وراح يشكو لى من السأم الذى يعانيه رغم الشهرة والغنى وكثرة العاشقات ، فمازال يبحث عن القلب الحنون الوفى ويبحث عن الروح ألتى تعانق روحه .. يبحث عن نصفه المفقود . فهو يؤمن مثلى أن الله حين خلق الانسان ، شطر كل واحد الى نصفين لجعلهما رجلا وامراة ، وكل من الشطرين تائه ناقص بغير نصفه المفقود والفه الغائب . ولكن متى التقيا وعرف كل منهما الاخر اتحدا بالحب وربط بينهما ، وهذا سر الحب وجاذبيته الغامضة . وهكذا باصديقتى وجدنا انفسنا قبل أن تنتهى المكالمة التليفونية عاشقين غارقين فى الحب .. وصدقينى انى حاولت التعقل وتجاهل العاطفة الجارفة التى كانت تدفعنى لان القى بنفسى فى احضانه وحاول هو الهروب حين علم انى زوجة وأم ، ولكن بغير جدوى .. وتقابلنا فى « الكازينو » الهادىء تحت سفح الهرم ذات ليلة والتقط لنا مصور ملهم صورة تذكارية احتفظت بنسخة منها فى علبة مجوهراتى .. ورحنا نتبادل المكالمات التليفونية والخطابات ونحيا فى عالمنا الملون الساحر وألف المقطوعات الموسيقية الحالمة التى سماها « سهير » و « العرائس الالهية » من وحى حبنا والهاما من عاطفتنا الحارة الصادقة ، ولكننا واقسم لم ننحدر لجحيم الجسد ولا وقعنا فى احبولة رغباته وشهواته .. **بل قاومنا فى استشهاد واستبسال غرائزنا البشرية وسمونا بحبنا الى آفاق الروح الوضاءة .. هو متخم من كثرة الحسان العاشقات اللاتى يترامين فى تبذل ممجوج على اعتابه حتى اصابه الملل والسأم ، وانا زوجة وأم امينة لا افرط فى امانتى ، واحافظ باخلاص على بيتى وشرفى وسمعتى . لم يحدث ابدا بيننا ما يشين او يغضب الله ،وانما صورنا لانفسنا باحلامنا عالما مثاليا وامتلكنا ارضا جديدة فى كوكب بعيد عن نزوات البشر ، ورحنا نشرب الحرمان ليشع فينا نور الحب . . . . حبنا عبادة . كحب الزاهدين .. يجمعنا الشوق الروحى الظامىء للجمال .. وحين نلتقى نروح هائمين نتبادل السعادة التى تشع بها ارواحنا من خلال العيون .. نحيا فى موطن حبنا السحرى .. وتنساب بيننا الانغام الملائكية تتجاوب مع ايقاع نبضات قلبينا ..** حتى اذا عدنا لواقعنا

ـ عدت امراة متجددة مقبلة على الحياة ممتلئة بالحيوية والامل .. كل حبنا خيال فى خيال .. ولكننا نؤمن به وننتظر الرحيل من هذه الدنيا حتى نزف عروسين فى السماء . فنحن لا نقوى على هدم عشى وتشتيت اطفالى . فنحن لسنا فى حاجة لنحيا معا حياة مادية على هذه الارض . لا نشعر بالشوق الجسدى ، وانما حبنا سما على اشواق البشر الترابية .. حبنا نور يشرق لا نار تحرق » ..

قلت لها وقلبى يفيض بشجى عميق : « هل ادرك زوجك هذا وهل يصدق ! »

قالت : « لست ادرى .. وانما انتابته ثورة عنيفة وغضب شديد جعله يضربنى بكل هذه العصبية حين سمعنى اتكلم معه فى التليفون مناجية وانا أحتضن كنز خطاباتنا واتامل الصورة التى تجمعنا .. فراح يضربنى بجنون وقسوة »

وطفرت دموعها مرة اخرى وقد غامت تقاطيعها بسحب الالم ، ثم نهضت وهى تضغط على راسها فى ألم .. وتهتف : « هذا جنون .. ان احب بهذه الصورة وانا فى هذا العمر وهذه الظروف ! . جنون ولكن أين المفر ؟ انه قدرى ! وليس امامى الا ان ابتهل وادعو الله سرعة الرحيل » ..

وقفت وتوجهت تلوذ بابواب السماء..وراحت بغير ان نشعر به .. وتقدم حتى وقف بجانبها فتح وائل الباب فى هدوء واشار لى بسبابته على فمه يدعونى للصمت ..

وكان يبتسم فى هدوء بعد أن استمع لحديثنا بغير ان نشعر به .. وتقدم حتى وقف بجانبها وامسك بيدها وراح يبتهل معها فى ندم واستغفار .. وضعت راسها على كتفيه وهى تتنهد بارتياح بينما كنت اتسلل الى شقتى فى فى هدوء مع تسلل اول اشعة الصباح

مع حسين بيكار

الرسام .. الموسيقى .. الكاتب

• الفن الجيد إفراز طبيعي لتفاعل الفنان والبيئة
• تأثرت بالفن الفرعونى لأنه واضح وصريح

عندما تتامل لوحاته تحس أنه داخلها بكل جوانب شخصيته، فالخط يجرى على اللوحة بوضوح ونعومة ، وهذه هى ملامح الفنان ((حسين بيكار)) . انسان صريح ، وواضح ، ورقيق .. داخله صورة واضحة المعالم بلا حدة ، أو غموض .. وأعماقه صافية صفاء الحياة كما تصورها ريشته ..

يحمل اسمه شهادة انتماء لأصل تركى ، وتحمل بصماته الفنية شهادة بانه اسكندراني ـ مصرى ، ابن بلد أصيل .. له عديد من الهوايات الفنية، برع فى كل منها ودرس واحدة فقط، فهو عازف ماهر على عدد من الالات الموسيقية الشرقية ، العود ، والطنبور والبزق .. وله صوت جميل معبر ، فهو مغن لاول فرقة فى مصر للموسيقى الشرقية ..

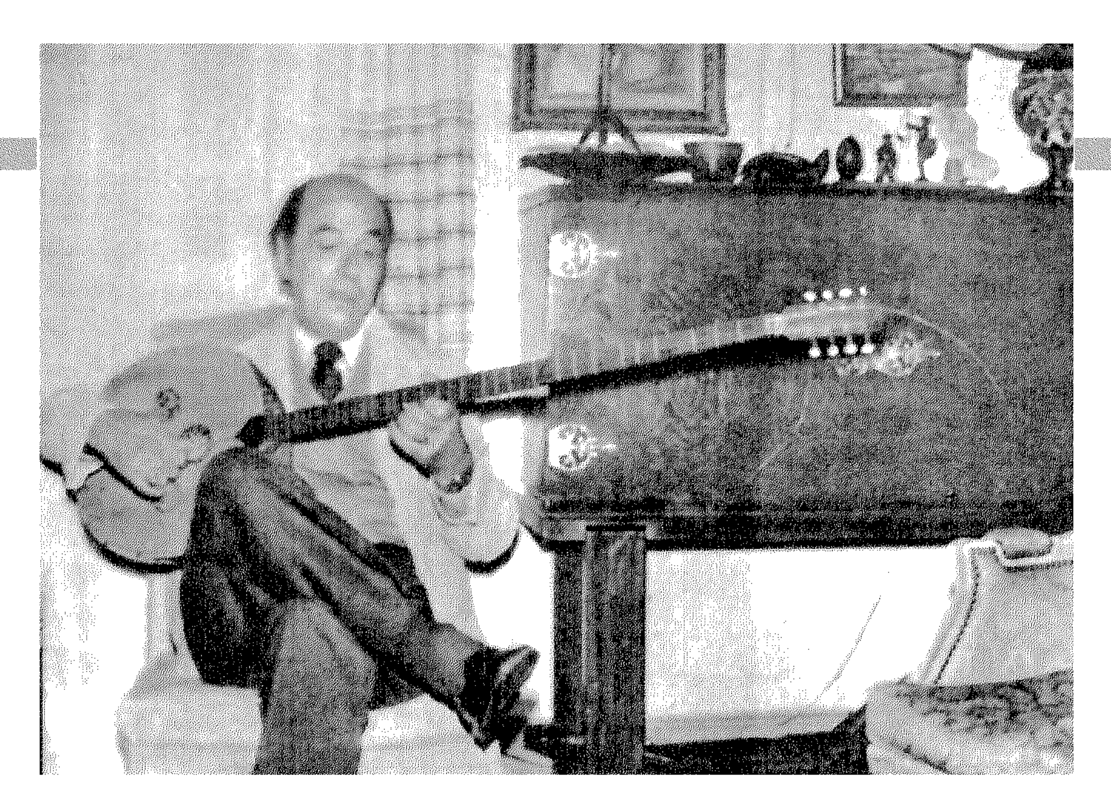
وهو رسام حساس . عبرت ريشته عن الواقع المصرى الشعبى بخطوط رومانسية رقيقة..وكان هو أول الدفعة الاولى لمدرسة الفنون الجميلة العليا فى عام ١٩٣٣ ، ثم عمل كأستاذ ورئيس لقسم التصوير فى كلية الفنون الجميلة فى الفترة من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٥٩ .

ـ أنا مصرى ، من مواليد الاسكندرية فى عام ١٩١٣ ، و ((بيكار)) اسم جدى وهو تركى الاصل .. أسرتى فقيرة،وليس لاحد أفرادها اتجاه فنى واضح ، الاانى منذ طفولتى المبكرة كنت أنظر للمظاهر الفنية بانبهار ودهشة . وكنت دائما اتمنى أن أحاكى ما أراه مرسوما وما اسمعه منغما .. كان دكان ((البراويز)) على ناصية الشارع يستوقفنى فى الذهاب والعودة ، لارى وأتعجب كيف انتقلت الطبيعة والاشخاص الى صفحات الورق ..

كما كنت انبهر من أصوات الموسيقى عندما كانت صديقات أمى يزرنها فى يوم ((المقابلة)) ، وعندما كان معلم أختى الكفيف يأتى ليعطيها دروس العود .. فتعلمت العزف وأنا فى السابعة . وكنت أعطى دروسا فى العود وسنى عشر سنوات ..

● اذن انت فنان موهوب ..

ـ كلنا يحمل فى داخله طاقة خلاقة ، وهى تتحرك بالدراسة والممارسة ... وعندما كنت فى المدرسة الابتدائية كنت أهوى الرسم ، وارسم اشخاص أساتذتى . ولكنى لم افكر ابدا فى احتراف الرسم ، ولم يكن لدى تصور حول تنمية هذه الهواية .. ولكن الاقدار



الفنان حسين بيكار ـ صاحب اكثر من موهبة يتالق مع عزفه على آلة موسيقية .

هى التى جعلتنى اقابل صديقا لعائلتنا اعرف منه أن هناك مدرسة تسمى مدرسة الفنون الجميلة وأن الدراسة ستبدأ فيها فى العام التالى .. وهكذا التحقت فى الدفعة الاولى لهذه المدرسة وكنت الاول على الدفعة سنةالتخرج .

***

كانت بداية محاولاتى فى الرسم : المحاكاة والتقليد ، كنت أقلد الصور واكبرها .. اما اول محاولة للخلق فكانت فى سن الخامسة عشرة عندما مات ابى وتمنيت ان ارسم له صورة . ولانه كان شديد الشبه بى ، رسمت نفسى ثم وضعت شاربا ولحية .. وقد رسمت الصورة على قطعة من المشمع وبألوان أضفت لها زيت الزيتون لانى سمعت أن الفنان الكبير يرسم « بالوان زيت على ورق مشمع » ـ وكانت النتيجة طبعا مضحكة !..

وأحست أمى بهوايتى وبحبى للفنون فوافقت على دخولى مدرسةالفنون رغم ان هذا كان مرهقا لها جدا .. وبعد تخرجى حاولت أن أعمل فى مجال العمل الحر ولكنى لم أوفق ، فعملت مدرسا فى وزارة « المعارف » من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٤٢ ، ثم عملت مدرسا للتصوير فى كلية الفنون الجميلة . ثم استاذا لهذا القسم حتى عام ١٩٥٩ .

وبجانب هذا نهناك تجارب عديدة فى الرسم لكتب الاطفال ومجلاتهم ، ورسم اغلفة الكتب والصور التوضيحية لها ، ثم الرسم فى الصحف والمجلات ـ كل هذه التجارب أضافت لخبرتى الفنية آفاقا وأعماقا جديدة .

● تخرج على يديك وانت استاذ فى كلية الفنون الجميلة عشرات بل مئات.. من هم ابرز تلاميذك واكثرهم تأثرا بشخصيتك ..

ـ انا لا اسعد اذا رايت احد تلاميذى يقلدنى او يتاثر بشخصيتى .. عندما كنت مدرسا كنت اتخيل نفسى فلاحا عنده بستان كبير ، وقد نمت فيه انواع مختلفة من الثمار ، والفلاح لا يملك ان يغير ثمارا باخرى ، ولكنه يملك أن يروى البذور ويصلح الارض ويقتلع الضار ويقوم المعوج ، ثم تثمر الاشجار ، وتعطى اشجار العنب عنبا ، واشجار الرمان رمانا ، كذلك يعطى غيط البصل بصلا..

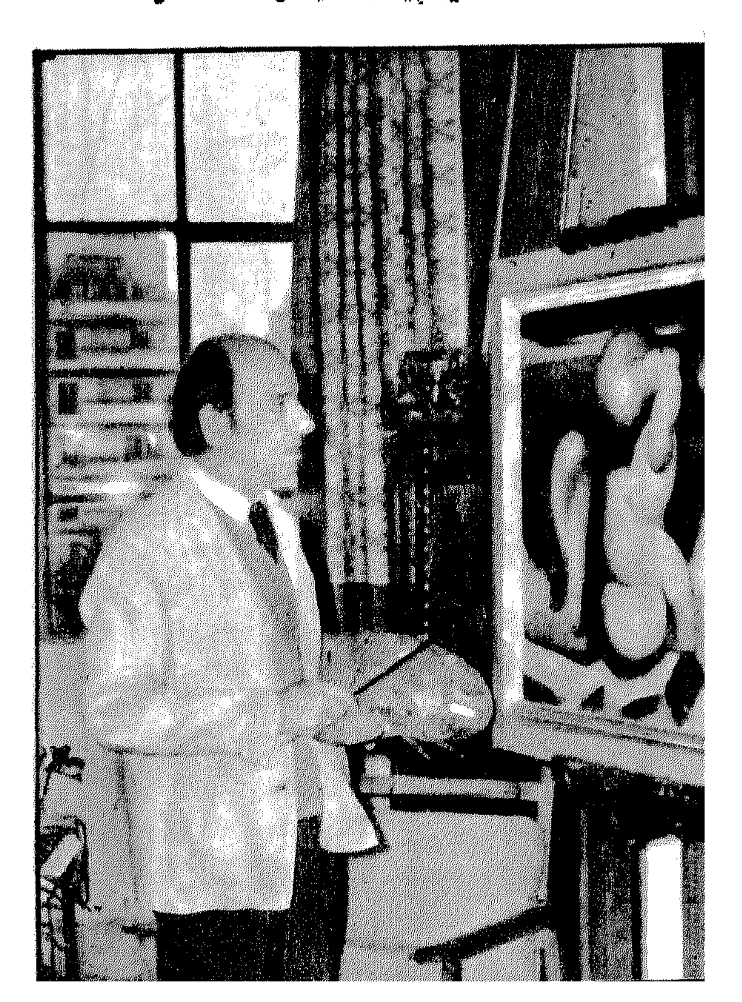
والحياة لا تستغنى عن كل من هذه الثمار أما اذا حاول الفلاح أن يغير من طبيعة هذه الاشجار وان يغرس على كل منها نوعا معينا من الثمار ، فلا هى أعطت مايريد ولا هى تعطى ماتريد .

أنا درست لكل فنانى مصر بلااستثناء كل الفنانين المعروفين حاليا تلاميذى وكلهم عندى سواء لهم حظ واحد من الحب والاعجاب .

● **واقرب هؤلاء الابناء شبها بك ؟**

ـ يوسف فرنسيس .. بيننا تقارب شديد فى المزاج . لكنه فنان صاحب شخصية متميزة .

الفنان حسين بيكار ، يتامل احدى لوحاته



● **من هو فى رأيك الفنان الحقيقى؟**

ـ الفنان الحقيقى هو الذى تعكس مرآة أعماله صورة الواقع . واذا لم تطابق الصورة الاصل ، فلابد ان المرآة غير سليمة . لان الفن الحقيقى هو مرآة المبدع . والفن الجيد هو افراز طبيعى لتفاعل الفنان مع بيئته .

● انت فنان صاحب ريشة متميزة ، وخطوط فريدة .. بأى المدارس تأثرت فى الفن التشكيلى ؟

ـ تأثرت بالفن الفرعونى ، ثم بالرسوم اليابانية . فالخطوط الفرعونية خطوط واضحة صريحة قوية معبرة كذلك الخطوط اليابانية خطوط رقيقة ورومانسية .

● وهل اثرت هذه المدارس الفنية فى نظرتك للمرأة ، المرأة التى ترسمها؟

ـ المرأة فى الرسوم الفرعونية مثال ناطق للانوثة الطاغية المحتشمة الوقور . فرغم انها تبدو عارية تماما الا أنها لا تثير الغرائز . كذلك فى تصوير الطبيعة . الرسم الفرعونى صادق ويهتم بالتفاصيل ويؤكد على المظاهر الكونية ..

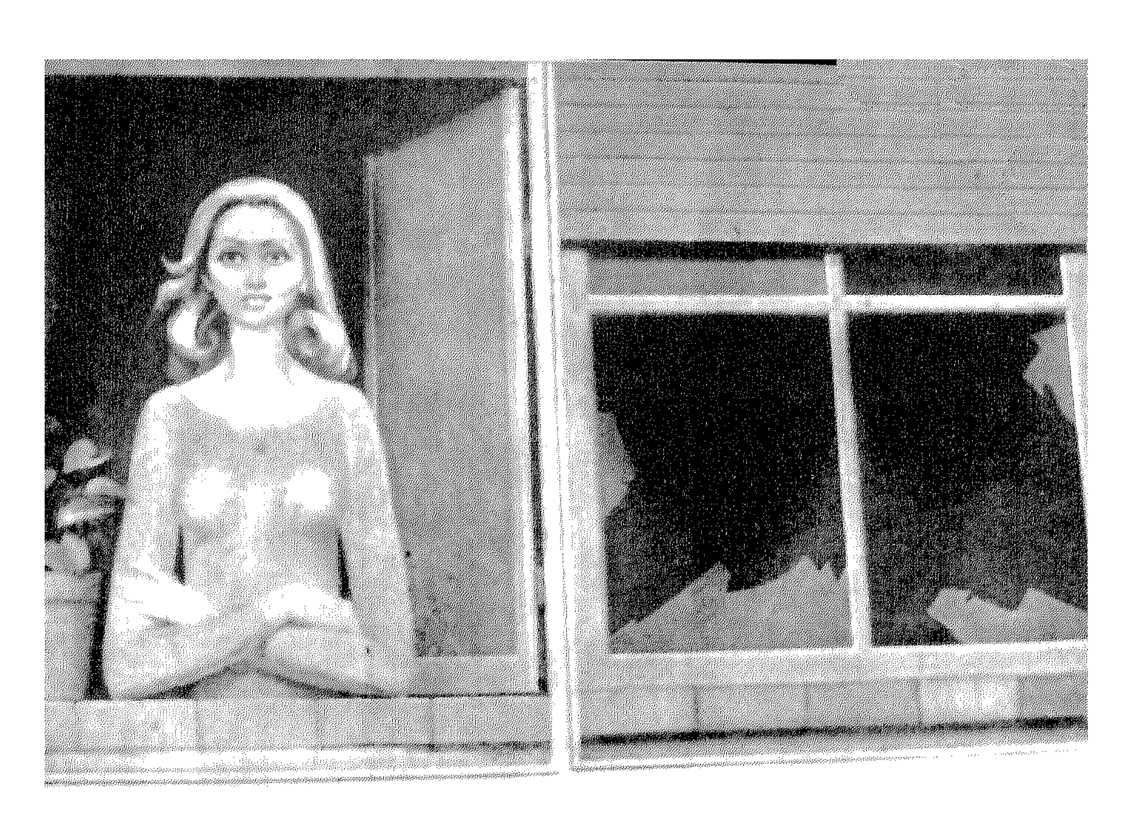
والمرأة التى ارسمها هى المرأة التى اقابلها كل يوم فى الشارع والسوق والمكتب .. أهتم بتفاصيلها لتنطق بكل ماأريد ان أقوله . ولكنها دائما محتشمة وقور لا تثير اثارة رخيصة .

● **والموسيقى ؟**

ـ أحببت الموسيقى منذ طفولتى المبكرة ثم تعلمت العود وأنا فى السابعة من عمرى ، وظل هذا الحب وهذه الهواية معى حتى يومنا هذا ..

● وماذا عن الفرقة الشرقية الموسيقية ؟

ـ كانت فرقة من الهواة كونها الاستاذ عبد الرحيم محمد ، وكنت أنا مطرب الفرقة الاول وعازف العود والطنبور بها .. وكنا نقدم حفلات فى معهد



من أحدث اعمال الفنان حسين بيكار .. هنا تبدو ملامح فنه الرائع ...

الموسيقى الشرقية .. وفى بعض محطات الاذاعة الاهلية .

وكان يغنى معنا فريد الاطرش، ومحمد عبد الوهاب وغيرهما من مشاهير المطربين والموسيقيين ، وكنا نسهر كل مساء فى منزل أحدنا . وهذه هي هوايتي الثانية التى لم انتظم فى دراسة لها وان كنت لم اهملها .

وقد سألت الفنان بيكار عن السر فى ندرة الفنان الشامل عندنا ـ فقال :

ـ تعود هذه الظاهرة الى الانغلاق الفكرى والفهم الخاطىء لمبدأ التخصص لدى بعض العاملين فى حقل الثقافة والفن ، كما ان التربية التى نتلقاها أحيانا تحد من تفكير النشء ولا تعطيه الفرصة لتوسيع أفقه .. وكان مما يؤكد هذا ويساعد عليه النظام الاجتماعى السائد الذى لم يكن يشجع العمل الحر ويؤيد الارتباط بكوادر الوظيفة ، فتضيع الفرص على الكثيرين لاشباع هوايات مختلفة ومتعددة .

والفنان المنغلق فنان محدود الافق ، لان الفنون تكمل بعضها البعض .

فالموسيقى تعمق بالرسم ، والرسم يتضح بالشعر . وقلم الشاعر يتجسد بفرشاة الفنان ..

● لمن ترسم ؟؟

ـ عندما يطلب منى عمل محدد ارسمه بعد دراسة الموقف الخاص به دراسة متعمقة ، ولكنى كثيرا ما انفرد بنفسى لاضع انطباعا عن الحياة وعن الموجودات حولى على صفحة بيضاء . وتجرى فرشاتى معبرة عن داخلى انا .. حتى عندما أرسم « البورتريه » . فانا اضع فيه جزءا من نفسى .. اليست اعمالى هى ابنائى ؟!

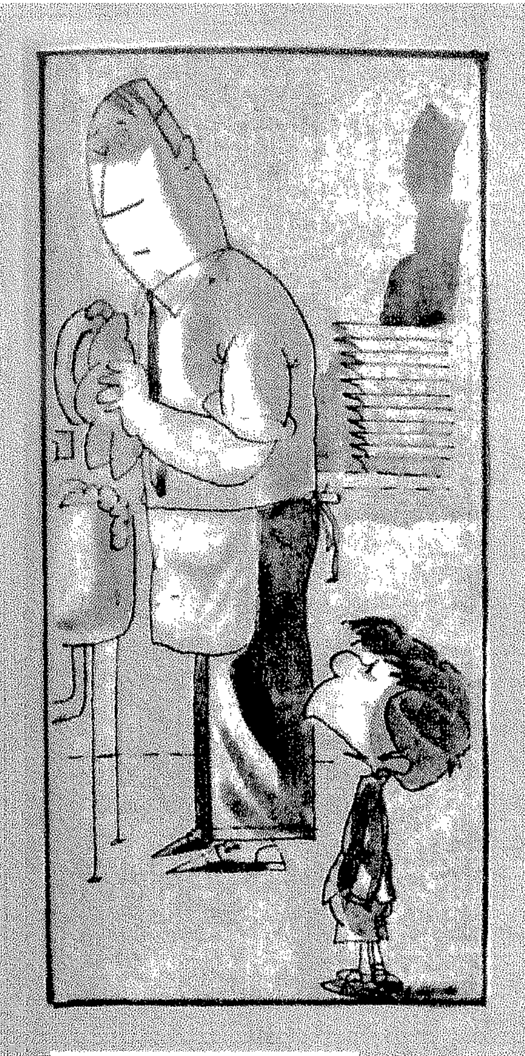
● سؤال اخير .. ماهى رسالتك فى الحياة ؟؟

فقال فى بساطة :

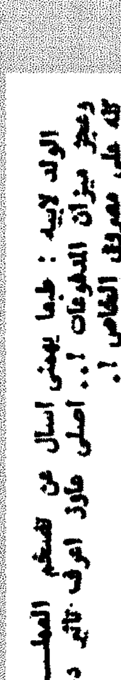
ـ انا وظيفتى مثل وظيفة الكرسى الهزاز .. يجلس عليه الشخص بعد عودته من عمله لينال قسطا من الراحة .. وعلى فكرة ، هذه ليست كلمتى ، انها عبارة قالها الفنان الفرنسى المعاصر « ماتيس » ! ●

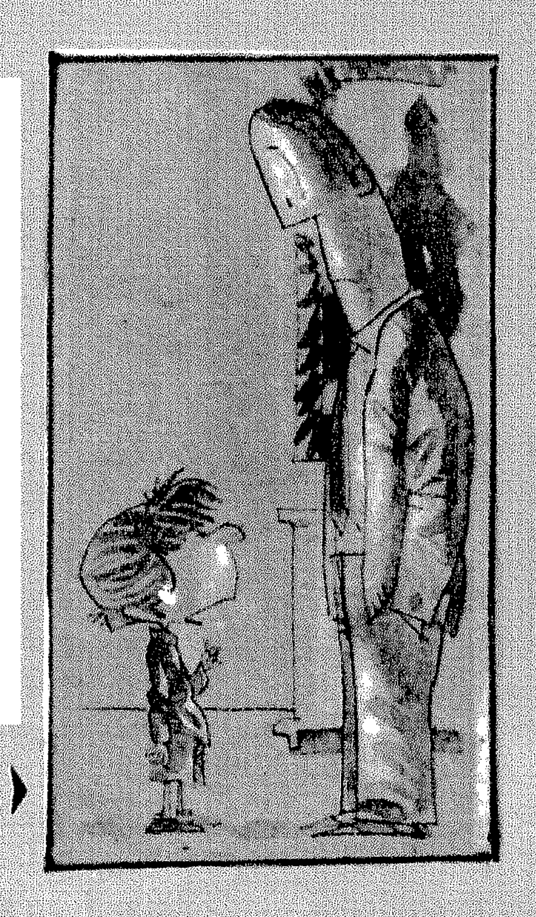
كاريكاتير

جيل جديد جدا!



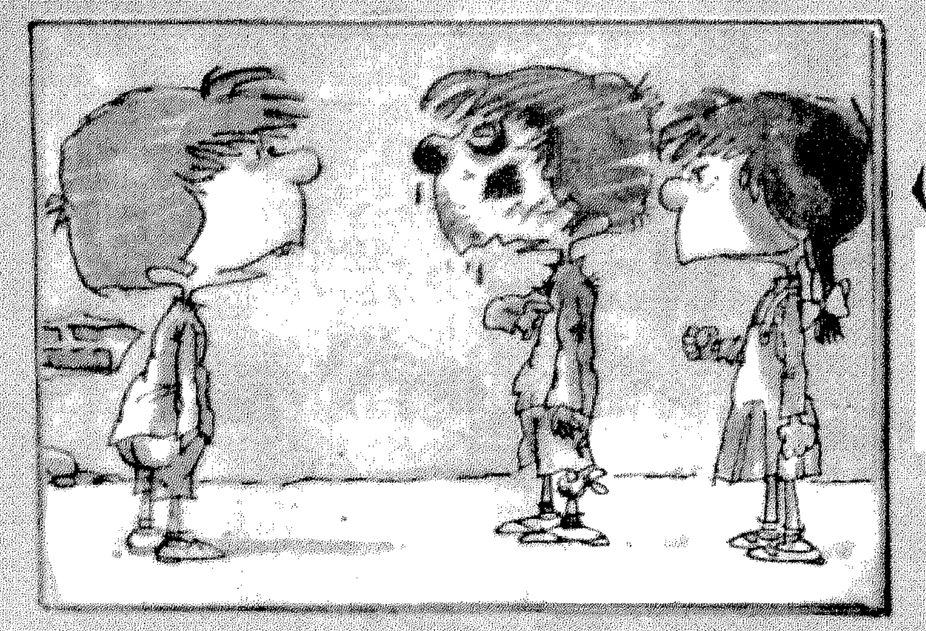
الولد لابيه : يكون فى علمك بقى ان مساعدتك لماما فى شغل البيت ح تضيعنى معاك ! .... أصل ده ح يخليها تتشجع ويمكن تطلب منى انا كمان اساعدها فى اى حاجة !



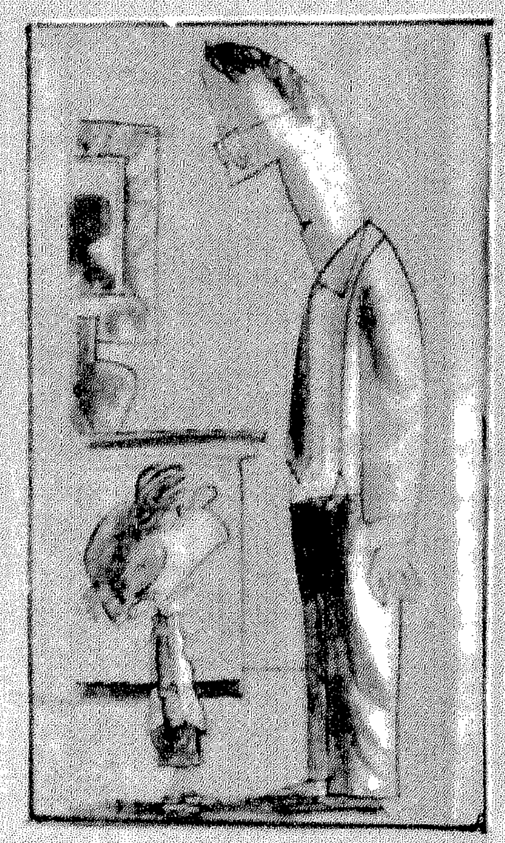




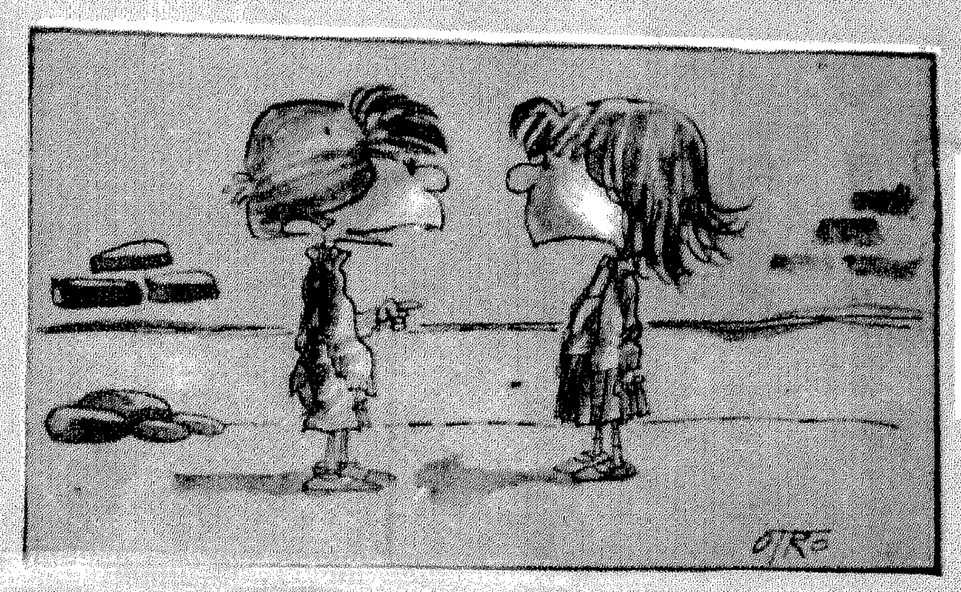
الولد لصاحبه : شايف المقالب العظيمه ! ..بعد ما تعبت نفسى فى المذاكرة واجتهدت لغاية ما عرفت اجمع واطرح واضرب كمان تطلع مكافاتى هدية : آلة حاسبة ! .. شىء يجنن!



الولد لصاحبه : ابدا
اصلي رحت لاهلها اقول
لهم انا جاى اضمن لكم
مستقبل بنتكم ، واسعدها
و ... واديك شـــايف
اللى حصل !



الولد لابيه : مش مهم
اني اتقــدمت للامتحان
واخدت صفر في الحساب
والعربى وفى الجغرافيـــا
كمان ! .. المهم بقى لما
اتقدم لجايزة نوبل انشاء
الله !



الولد لصديقته : انتى
طبعا ياعزيزتى تعرفى ان
حواء كلها على بعضـــها
اتخلقت من ضلع آدم ..
يبقى لازم تعرفى ان حضرتك
شخصيا عبارة عن قطعة
كوستلبته لابسه فستان !

الإنسان ذلك المجهول

- تاليف : الكسيس كاريل
- تعريب : شفيق أسعد فريد

بعد رحلة طويلة داخل « الانسان ـ ذلك المجهول » وهو كتاب ضم بين دفتيه موضوعا يتعلق بحياة البشرية وما فرضته عليها حضارة هذا العصر ، وما انتابها من تلك الحضارة ـ نجد أن مؤلف الكتاب ، وهو عالم وباحث كبير قد درس ظواهر الحياة فى تعقيدها المخيف .. فلاحظ كل وجه من وجوه النشاط البشرى بصفة عملية ، حيث قضى المؤلف الشطر الاكبر من حياته فى المعمل يدرس الكائنات الحية ، والشطر الباقى فى العالم الفسيح يراقب بنى الانسان ويحاول أن يفهمه .

وعندما نحاول عرض هذا الكتاب يبدو أن الفرض الاساسى منه هو أن توضع تحت تصرف كل شخص مجموعة من المعلومات العلمية التى تتعلق بالكائنات الحية فى عصرنا بعد ان تخلفت علوم الحياة عن علوم الطبيعة ، وذلك واضح من ان علم الكائنات الحية بصفة عامة والانسان بصفة خاصة مازال فى المرحلة الوصفية ، ولم يجتز مرحلة التقدم المفروضة عليه ، لان الانسان كل لا يتجزأ ، وليست هناك طريقة لفهمه فى مجموعه أو فى أجزائه فى وقت واحد ، كما لاتوجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجى . وبذلك فاننا اذا حاولنا أن نحلل انفسنا فلابد من استخدام فنون أخرى مختلفة وعلوم عديدة ، ومن الطبيعى أن تصل كل هذه العلوم الى آراء تختلف فى غايتها المشتركة ، فهى تستخلص من الانسان بحسب قدرة علومها . وفى النهاية نجد انفسنا فى فراغ ولم نصل الى حقيقة اكيدة وحتمية ...

وعلى هذا نجد أن فكرتنا عن الانسان تختلف تبعا لاحساساتنا ومعتقداتنا .

والحقيقة ان الجنس البشرى قد بذل مجهودا جبارا لكى يعرف نفسه ، ولكننا بالرغم مما نمتلكه من الملاحظات التى كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين فى جميع الازمان ـ فاننا لم نستطع أن نفهم الا جوانب معينة فقط عن انفسنا ، ومازلنا فى واقع الأمر فى حيرة من امر انفسنا ، لانه مازالت هناك مناطق غير محدودة فى أغوار نفوسنا غير معروفة ... فمعرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية وسبب جهلنا بأنفسنا يرجع الى طريقة أسلافنا وتركيب عقولنا .

كان على أسلافنا لكى يعيشوا ان يقهروا العالم الخارجى ، فانشغلوا عن دراسة انفسهم بأمور أخرى كصناعة ادوات الصيد والاسلحة واكتشاف النار ، وتدريب الماشية والجياد ، واختراع المركبات .. وقد فكروا فى الشمس وفى القمر والفصول الاربعة ، ولهذا تقدم علم الفلك فى الوقت الذى لم يعرف الانسان فيه أى شىء عن نفسه ، فقد

اثبت جاليليو أن الارض تابع من توابع الشمس فى الوقت الذى لم يعرف فيه الانسان اى معرفة أولية عن الكبد والعقل الخ ...

ومن الموضوعات التى أثيرت فى هذا الكتاب ولها قدر كبير من الاهمية فهى تمس اخطر القضايا فى عصرنا هذا ـ ان التعيرات التى أحدثهاعلم التكنولوجيا فى بيئتنا قد اثرت فينا تأثيرا عميقا.. فقد اتخذت تأثيراته صفة لم تكن متوقعة اذ أنها تختلف اختلافا ملحوظا عما كنا نأملها ، والتى كان من الممكن أن نتوقعها من مختلف انواع التحسينات التى ادخلت على العادات المتأصلة . وطريقة الحياة والطعام والثقافة والجو العقلى لبنى الانسان.. فكيف أمكن الحصول على هذه النتيجة المتناقضة ؟

يمكن الاجابة هنا ، بان الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لانها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون اى معرفة بطبيعتنا ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس واوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا . ومن الواضح أن العلم بذلك لا يتبع اية خطه ، وانما يتطور اعتباطا، ويتوقف تقدمه على الظروف العرضية، كولادة رجال يتمتعون بالنبوغ وتكوين عقولهم ، والاتجاه الذى يتخذ حب الاستطلاع ، اى أنه لايتحرك تبعاللرغبة فى تحسين حالة بنى الانسان .. فيرى مؤلف الكتاب أنه لو توجه كل من جاليليو أو نيوتن أو لافوازييه نحو دراسه جسم الانسان والوجدان ،لكان من المحتمل أن يختلف عالمنا عما هوعليه الان .. لان رجال العلم لا يعرفون الى اين هم ذاهبون ، وانما تقودهم الصدفة والتفكير الحاذق ونوع من البصر المغناطيسى . وكل منهم يعتبر عالما منفصلا تحكمه قوانينه الخاصة فهنا نجد انجازات العلم عظيمة ، ولكنها لم تضع فى اعتبارها مصالح البشريةمطلقا

فلم يسأل احد نفسه يوما ما كيف نستطيع أن نتحمل السرعة الهائلة فى نظم الحياة التى تنتج من سرعة وسائل النقل والتلغراف والتليفون وطرق الاعمال العصرية ، والالات التى تكتب وتحسب ، وتلك التى تؤدى جميع الاعمال المنزلية التى كانت تستلزم عناء شديدا فيما مضى ؟ وقد اهمل تأثير المصنع على الحالةالفسيولوجية والعقلية للعمال اهمالا تاما عند تنظيم الحياة الصناعية .. فلم يفكر احد فى طبيعة البشر الذين يديرون الالات ، ودون اى اعتبارات للتأثيرات التى تحدثها طريقة الحياة الصناعية التى يفرضها المصنع على الافراد واحفادهم ..

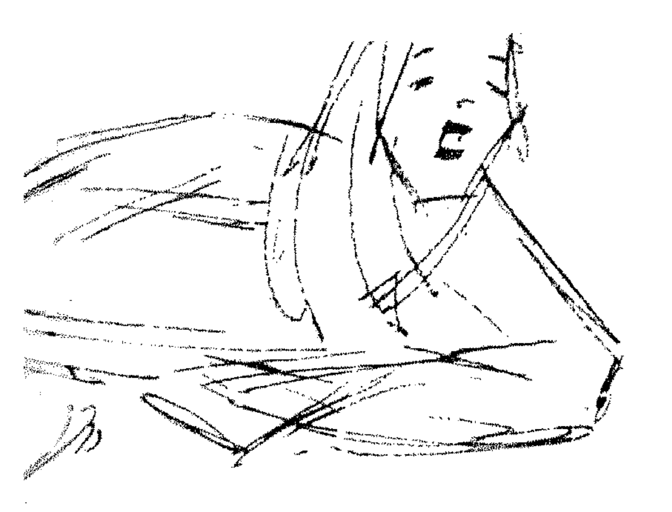
ولقد بنيت المدن الكبرى دون اى اهتمام بأمر البشر ومصالحهم ، فناطحات السحاب ومساحاتها تتوقف تماما على الحد الاعلى من الدخل من كل قدم مربع من الارض ، وطريقة الحياة هذه تعجب القوم العصريين ، فبينما يستمتعون بالراحة والترف اللذين يتوفران فى مساكنهم ، فانهم لا يدركون انهم يحرمون من ضرورات الحياة .. فالمدينة العصريه تتكون من مبان هائلة ، بينما تمتلىء شوارعها الضيقة برائحة البترول ، والغازات السامة ، كما تمزق اعصابهم ضوضاء السيارات ، وبذلك نجد ان من خططوا لهذه الحياة لم يقيموا وزنا لسكانها .

قس على ذلك وسائل التعليم والاعلام ووسائل المعيشة ، كل ذلك محتاج لتطور ليساير مصلحة البشر . فهل مثل هذه النظم ملائمة حقا للانسان العصرى الذى يحتاج قبل كل شىء الى التوازن العقلى ، وقوة الاعصاب واصالة الحكم ، والشجاعة الادبية والبدنية وقوة الاحتمال ؟

وهكذا فالبيئة التى نجح العلم والتكنولوجيا فى ايجادها للانسان لا تلائمه لانها انشئت اعتباطا .

كل هذا بالاضافة الى ما اشتمل عليه الكتاب من تشريح الجسم البشرى وكيفية تكوين هذا الجسم ودرجة الاعجاز فى خلقه ووجوه النشاط الفسيولوجي والنشاط العقلى والوظائف التنسيقية بين الاعضاء ... علاوة على الافكار الجديدة التى تتبنى كيفية اعادة بناء الانسان طبقا لقواعد طبيعته وعلى أساس مصلحة الانسان والمحافظة على كيانه البشرى .

● **اعداد : عادل عبد الصمد** ●





• رفقي بدوي •

ان اظل اتابع ببلاهــة واستكانة فهـذه ليسـت عادتي ، لكـن الشمس التي كانت قد اشرقت فى الصيف المـاضي ، اصبحت اكثر شحوبا وكأن وجههـا ، ذلك الوجـه النارى ، فقد الكثير من حرارته وأصبح كأى جسم لا يدعونى لمتابعتـه ، تلك المتابعة المستكينة .

لقد اندهشـت من نفسى ، وزادت دهشتى تلك عندما وجدتنى فى الايام الاخيرة اكثر الحاحا من اى وقت مضى فى مراقبة الشمس الشاحبة ، وهـذه المراقبة قد فقدت الكثير من خصائصها مثل الدهشة أو التأمل الموضـوعى ، فانى اراقب مراقبة بلا معنى وبلاجدوى وبلا اى ضرورة تجعلنى هكذا مقرفصا على نفسى ، شاخصا الى السـماء ، منجذبا نحو الضوء النارى الشاحب ..

كانت الدهشة التى هى ظل البراءة الساذجة ، تاتينى احيانا مفجـرة فى اشياء كثيرة قد تصبح افعالا .

كان الوجه الذى انطبـع بالداخـل مجسدا نموذجا قد صبغه الخيـال والمشاعر ، فانطبعت صورته بالذاكرة ، وقد أغلقت الذاكرة الباب عليه ، ولم تعد المشاعر او العقل يقبلان دونه شيئا .

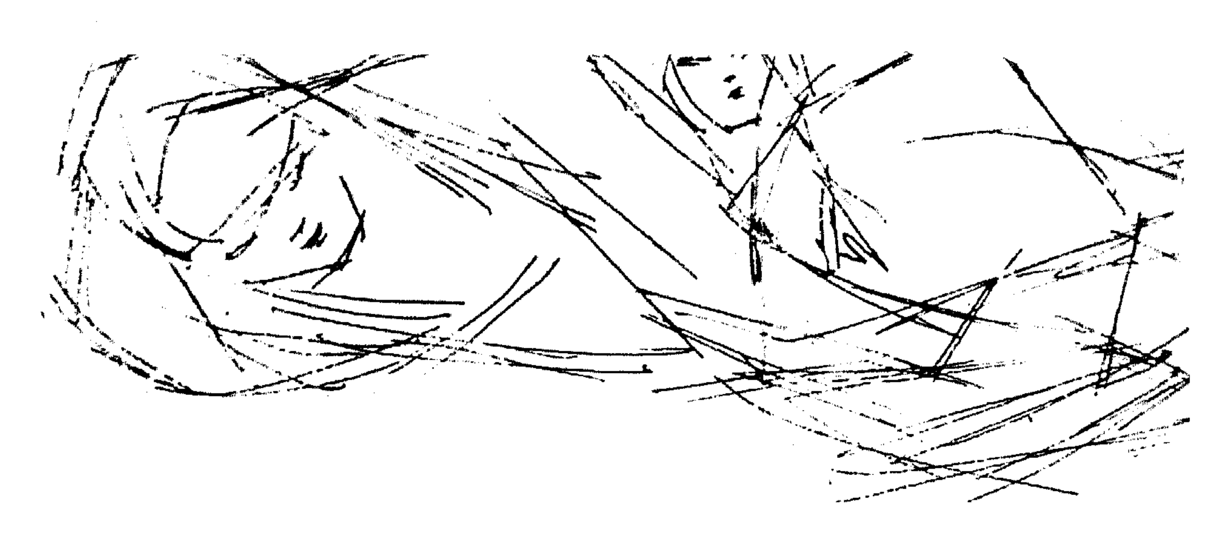
حدثتنى باديء ذى بدء فانفرط العقد وسمعت صرير الباب ينفتح ، خرج من باب الذاكرة النموذج فتداخلا ، ولم اعد قادرا على التفريق بين النموذج وبينها وارتجف القلب فى الصيف الماضى .

حين بحثت فى عينيها ، كانت العيون الرمداء التى تخرج من قريتى كل صباح سائلة طبيب الوحدة الصحية الشفاء ، كانت تلك العيون الرمداء والتى احببتها لانها عيون امى وعيون اختى الصغيرة قد انزوت بعيدا وتألقت امامى هاتان العينان ، ففتحت الباب الذى انفلت منه نموذجى القابع بأعماقى ليتجسدا معا ، فى الصيف الماضى ، فارتجف القلب ..

القلب الذى كان يوما كعود البرسيم الاخضر هو اصفر ، وكان منزلنا الذى سكنا فيه انا واخى واختى وامى ، قد سقط على رءوسهم ولم تبق من كل هذه الرءوس سوى رأسى الذى يستمع الى محاضرة الدكتور .

كنا قد نزحنا من قريتنا لاكمل تعليمى بالقاهرة وليعمل اخى الاكبر « ساعيا » فى وظيفة ابى الذى توفى منـذ فترة قريبة بالانيميا اللعينة !

كنا قد نزحنا ، وكان على ان اودع



تلك الاجساد الى مثواها الثانى ، بعد ان دفنت أولا تحت الانقاض .

كانت رءوسنا الاربعة تفكر جيدا فى لون الغد الذى سيكون عندما أعود فى أول كل شهر وأضع الثلاثين جنيها على المنضدة .

كانت رءوسنا تفكر فى كل ذلك ،وانا لم اتخرج بعد ، وانا مازلت فى السنة الاولى بكلية الطب .

فجاة دون ان تتحرك الطبلية التى وضعت أمى عليها بعض اعواد ((السريس)) وقطعة من الجبن القديم، كان الدود الرفيع جدا والذى لونه كلون الجبنة القديمة يتحرك .. كان يتحرك ببطء خارجا وداخلا فى الجبنة التى هرستها أمى باصابعها المعروفة ، قائلة عبارتها المشهورة ــ والتى تتسارع اختى فى ترديدها معها ــ ((كل الدود قبل ماياكلك))

فجاة ودون ان تتحرك الطبلية ،سقط البيت فوق كل الرءوس .

كانت عربات الانقاذ ترسل((سرينتها)) المميزة ، وكنت اقف بلا حركة مشدوها ، وكانت الشمس الكابية الحزينة قد انحسرت جهة الذهاب، كانت أمى واخى واختى وباقى سكان البيت ، ام سليمان وزوجها العجوز ومنتصر وسعيد وجمالات ــ تحت الانقاض .

نزل الضابط من سيارة الانقاذ وبدا عمال الانقاذ يحاولون جاهدين فى رفع الانقاض وانقاذ مايمكن انقاذه .

كانت عيناى قد اتخذت ثلاثة محاور رئيسية تتنقل عليها ؛ كانت الشمس التى فرت جبانة هى محورها الاول . وكانت عيونها التى خرجت من خلف الشباك لتنظر الى هذه الفرجة ، لتنظر الى هذه الاكف التى توضع على كتفى وهذه الافواه التى تضع فى أذنى كلمات المواساة التافهة ، وقبل ان تغلق الشباك فى وجهى ابتسمت ابتسامة فانجرح القلب .. وكانت الرتبة التى على كتف الضابط محورى الثالث .

تحركت الرءوس والاقدام وانفتح باب السيارة ونزل منها رجل قد رأيت صورته مرة فى الجريدة ، تحركت الرءوس والاجساد والاقدام صانعة حركة كماشة حوله وكأننا سنقتله لو تقدم ناحيتنا .

كانت سيارات الانقاذ قد اقامت اربع خيمات ، وكان الرجل الطويل العريض ذو البطن المنتفخ الذى نزل من السيارة توا ، قد سال عن سكان المنزل من الاحياء وتقدم نحوى وهو محاط بالرءوس ، والاجساد ، نظر الى الارض ووضع فى يدى مظروفا به خمسون جنيها ، ووضع يده على كتفى وقال :

ــ الخيمة لن تسكن فيها لمدة طويلة

سكت ، قال :

ــ نحن لايمكن ان نتركم ،هكذا فى العراء .

سكت ، قال :

ــ خلال شهر ستنتقلون الى المساكن التى فى منطقة ...

صرخت ، كان جسد أمى قد اخرجوه من تحت الانقاض ●

عودة الوجه الغائب

(اهداء : الى مصر التى لم تهزم ابدا)

● حسين على محمد ●

ـ ١ ـ

تجيئين فى الصبح شمسا
تمزق ليل الكآبة
أحدق فى ناظريك ،
أرى شرفات بعيدة
وباقة ضوء عليها
ومن فوقها تستقر السحابه
وتنفض عن وجهها المستميت صلابة
غبار السفر !

ـ ٢ ـ

أراك مع الظهر واحة ظل
فارحل عبر النجوم حمامة
وأنشد فى حبك الأغنيات
وأركب مهرك رغم الملامه
واصرخ فى الاهل والاصدقاء : تعالوا
فمهرة هذا الصباح
تحب السباق ...
وتركض نحو غدى الآمل
وتكره هذا الغثاء المباح

ـ ٣ ـ

أراك تجيئين فى الليل شمسا
بلا اقنعة
تذيبين كل الجليد
فتبسم للناظرين الورود
وألقى بنفسى فى المعمعة !



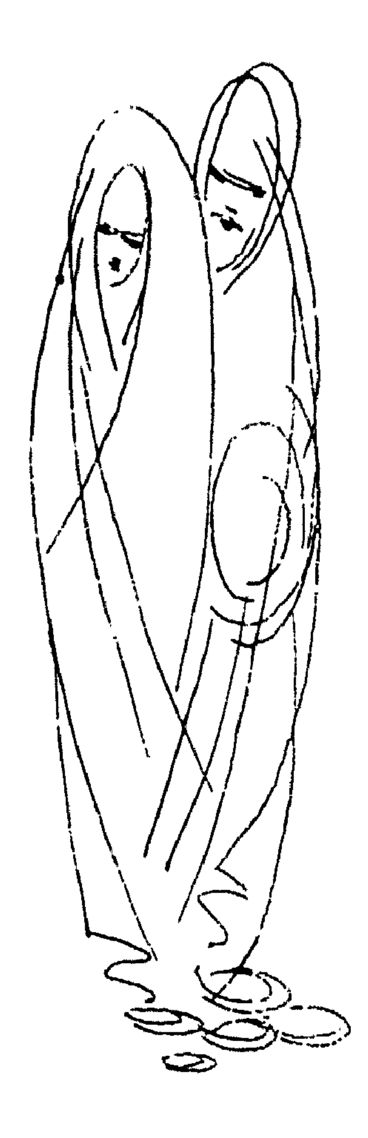
● المسافر ●

احن يا أمى لقهوة الصباح من يديك
أحس أننى غريب
مسافر بلا رفيق
تقطعت من دونه الأسباب
فدق كل باب
ولم يفز بما أراد
وحينما أراد أن يعود ثانيا
لم يبصر الطريق
احن يا أمى .. احن لابتسامه
فمنذ ان رحلت من حضنيك
لم أجد سوى القتامه
ومنذ أن خلعت جذرى العميق
من تربتى الطينية
ونمت فى العراء
فى القواقع الصدفية
ذبلت فى مستنقع البلاهة الملحية
وجف عودى

لا تخجلى

● سعد عبد الرحمن ●

لا تخجلى ...
لا تخجلى يا حيتى الرقطاء
ومارسى مع الجميع دونما حياء
هواية التغرير والنفاق والرياء
فنحن معشر الرجال كلنا غباء
نصدق الخيال والأحلام
ونعبد المثال والأوهام
لا تخجلى ! ..
ووزعى على اليمين والشمال
وأنت تخطرين كالطاووس فى دلال
تفقدى الجمهور - يا خادعتى - شعوره
وتسمعى هتافه .. وتسمعى صفيره !
لا تخجلى ! ..
فليس فى الرجال من يثير شبهة سواى
وليس فى الرجال من معقد أو غامض الاى
لا تخجلى ..
فلن أكون ((قاسيا)) وأكشف القناع
أو أرفع الستار عن رواية الخداع
تلك التى مثلتها على
وكان فى ختامها الحزين والشقى
أن مزقت أضالعى عواصف الألم
وأحرقت مشاعرى صواعق الندم
ولفنى فى ثوبه الضياع !
لا تخجلى ..
بل وارقصى لحيرتى
ولم أزل بدون وجهة
مبعثر الخطى على طريق عزتى
ما بين سفح الزيف فى الهوى ..
وذروة الحقيقة !
لا تخجلى ..
فعصرنا لا يعرف الخجل
وعصرنا كامرأة بلا رجل ..
تغازل الكبار والصغار فى الطريق
وعندما تعود فى المساء
منهوكة القوى ..
بادية العياء
يكون فى ذراعها رفيق
قد اشترى العشاء
لا تخجلى ...
لا تخجلى يا حيتى الرقطاء



قصة العلم

● فؤاد قنديل ●

● ما كاد يتقدم خطوة واحدة داخل غرفة المصاب ، ويرنو من خلف الستار ، القائم بين الباب والسرير حتى توقف .. لم يعد يرى شيئا ... تجمد للحظة !.

ارتد اليه راسه ، سحب خطوته عائدا ، اغلق الباب وهو يزفر جمرا من انفه .. استدار للحائط وضربه بقبضته القوية ضربةشديدة، كاديحطم بها الجدار !

هو بالفعل اراد ان يحطم الجدار ، يحطم المستشفى كله ، كيف تفعل اخته هذا ... المجرمة !.. اخته هو من دون كل الزائرات تفعل هذا ـ مستحيل! زفر زفرات حارة وهو يلتفت يمنة ويسرة فى حيرة ، كانه طفل صغير يبحث عن حجر .. المجـرمة تقبله ؟ .. مستحيل !

صار فى الممر ، هبط الدرج ، هربت من شفتيه الكلمات ... التقطها :

ـ لابد ان اعود للكلاب .. ليس هناك اى سبب يدعوها لذلك ...

عاد فصعد الدرج . تثاقلت خطواته، هرش راسه ، ضرب قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، كعادته حين تغلبه الحيرة .

ـ ماذا افعل لهم ؟.

لم تثب الى راسه اى فكرة عما يجب عمله ، وكيف تثب اليه الافكار وهو على هذه الحال من الاضطراب والقلق ...

هبط الدرج ، واسنانه تقضم شفته العليا ، توقف .. اعاد السؤال على نفسه دهشا :

ـ المجرمة تقبله ؟! لا ، لا ، يجب ان اذهب .. ساعود اليها ، اصفعها امامه واصفعه .. ابصق فى وجهه ، بل واحطم وجهه بلكمة .

تململ فى حيرة ، ثم هبط الى سيارته فتحها ، انقض عليها بوحشية .. صرخ المحرك متالما تحت ضغط اقدامه ...

مضت السيارة تولول ، اتجه ناحية الطريق السريع خارج المدينة . يلزمه طريق ممتد واسع ، يندفع فيه بعصبيته وهياجه يتنفس فيه كما يشاء ، كل هواء الدنيا لا يملأ رئتيه المتعطشتين ..

المجرمة تقبله ؟! اريد ان افهم ... على اى أساس تقبله ؟ لم يصبح زوجها بعد .. انه مجرد كلام . صحيح ان الاسرتين اتفقتا على ذلك ولكن لم يتم شيء رسمى ، ومازالت الحدود قائمة بينهما ، حدود يفرضها المجتمع وتحتمها التقاليد ، بل ويقرها المنطق ..

وحتى لو تم شيء .. هل يقبلها فى المستشفى ؟ هذا لا يكون الا فى البيوت، بين الجدران ، بعيدا عن العيون .. سر من اسرار الزوجين ، قبلتهما لهما وحدهما ، حلاوتها لهما وحدهما، تأثيرها فى نفسيهما لافى نفوس الاخرين .

عيب والله كبير .. المجرمة تقبله !

استرسل يبحث عن اجابة شافية تريح صدره من طعنة ما رأى .

كلنا نقول عنها انها غاية الخجل ، تذوب حياء اذا رات رجلا ، بل لمجرد سماعها سيرة رجل .. ياللعجب ! ماذا حدث اذن ؟ هل كان قناعا ؟ هل كان ادعاء ؟ اليوم أراها لا تكتفى بالخجل ، بل لا تكتفى بالاحضان ، وانما ايضا ضاعت فى جحيم من القبل .. رائع ! عندما تعودين للبيت سيكون الحساب رادعا !

وانت ايضا ، فى كل مناسبة وبدون مناسبة تقول عنك الاسرة انك مثال الشاب الممتاز .. الطيب المؤدب ... اين ذهبت كل هذه الصفات الحميدة ، واين ؟ فى المستشفى ؟! الحرب مازالت قائمة ، والجبهة مشتعلة ، وربما شفى وعاد اليها ، ومات فيها .. ما العمل عندئذ ؟.. الم ترهما زائرة ؟! الم يلمحهما انسان ولو من النافذة أو من بعيد ؟ . وبعد أن انتهيا من قلة أدبهما

هذه ، الم تتجل في وجهيهما الاثار ،
آثار الوقاحة .. بعدها يتقول الناس ،
وينتقل الاخبار ، اخبار السيرة بالذات
تنتقل كالنار في الهشيم ، تسري بين
العائلات ، تشوه الصورة ويضيع مستقبل
البنت .. ما العمل الان ؟.. يقولون انني
عصبي .. لقد كظمت غيظي ، وملكت
جماح نفسي الغضبى ، وما كان يجب
ان افعل ذلك .. ان الجنون او التهور
كثيراً ما يكون هو العلاج الشافي ..

في العمل لم اجدها ، غادرت مكتبها
قبل حضوري وجاءت اليه وحدها ...
جاءت لترتكب جريمتها التي اعدت لها.
تذكرت ، لقد حاولت التهرب امس ،
مدعية انها لا تضمن ظروفها ، وطلبت
ان تذهب وحدها .. فدون أن ادري
صممت على ان اصحبها ، تريد ان تفلت
من الرقابة .. قالت امي ان البنت حتى
لو بلغت الستين فهي بنت .. تحتاج
الى الرقابة والرعاية .. وآه منهن البنات
انهن أسوا المخلوقات .

يجب ان يعينوا لكل بنت اخا شديدا
يتتبع سيرها وسلوكها . حتى نضمن
مستقبلها وسمعة العائلة .

مازلت مندهشا ، لماذا جاءت اختي
وحدها ؟ اختي اعرفها ، اكبر من هذه
التصرفات الناقصة التافهة .. تراها
اسرعت اليه لتعبر له عن شعورها ..
اى شعور ، شعور الحب وقلة الادب .
طبعا لو سألتها وهي محاصرة في ركن
جريمتها الضيق ، ستقول انها فرحة
بانتصاره .. سعيدة ككل المصريين
بعمله المجيد .

اننا جميعا فرحون بما حققه اخوتنا
الجنود الابطال ، لكن .. لكن ليس معنى
هذا ان تقبليه ياست هانم .. لم يكن
هذا متوقعاً منك ابدا !

أوقف السيارة على النيل ، هبط
منها ، وقف على الشاطيء يرنو للماء
الهادر ..

على البعد لمح قاربا يتهادى فوق الماء
... الموجة في اثر الموجة ، تدور حولها
يتعابثان ، يفتر ثغر الموج عن ضحكات
نزقة .. القارب يتراقص فوق صفحة
المياه . القارب سعيد ، يعتقد ان المياه
تداعبه — يهتز في دلال !

علم مصري صغير فوق القارب ...
يصمد لعصف الرياح التي تصارعه .علم
مصر يرفرف كما يرفرف الان فوق سيناء
... خطيب اخته أصيب وهو يرفع
العلم فوق سيناء الحبيبة ، تلك الطفلة
التي سلبت من حضن امها الحنون ،مصر
... غابت عنا ست سنين واربعة اشهر
... العلم المصري فوق القارب يكبر
ويكبر ، يعلو ويعلو ، لا يتحمل القارب
اهتزازاته العملاقة .. خطيب اخته
يرفع العلم ، العلم ضخم وثقيل ، يميل
القارب .. خطيب اخته مازال يرفع
العلم . يسقط في الماء .. ومازال يرفع
العلم .. العلم يشق السماء ، يصل
قارب آخر ، نزل من فيه .. ينقذون
رافع العلم .. ويرتفع العلم اكثر ...
يعتدل القارب المقلوب ، خطيب اخته
يقف عملاقا في القارب .

القارب يضحك ، تحول الى ابتسامة،
تحول القارب الى شفتي حسناء ،تختلج
اختلاجة الحب والسعادة .

**الماء حوله أزرق ، احمر ، اخضر ،
فضي ، ذهبي ، هائل عنيف .. رائق
عميق ، ما هذه الدنيا الملونة ؟! الزهور
تزين جانبي النيل .. استدار
بهدوء ، هرش راسه ، ما هذه
الخيالات التي تتراءى له ؟.. حمل
النسيم الهفهاف الى وجهه قطرات من
الماء ، ارتعشت شفتاه ، سأل نفسه :**

**— ماهي اصابته ؟.. رايت ذراعه
ملفوفة فقط هي المصابة .. لهفي عليه،**

**انا قلق من اجله .. اخشى ان تكون هناك
اصابة اخرى ، خسارة الجدع شاب
وتعليم وشجاعة وبذل ، وانسان
له مواقف كثيرة نبيلة .. خسارة
صحيح !**

**مضى الى محل الزهور .. اشترى
باقة كبيرة حملها اليه .. بسمته على
وجهه فسيحة كالميدان .. كريمة
كالارض الخضراء ، حنون ، كانها
تطل من وجه ام .. دخل عليه ..**

— اهلا بالبطل ..

**ارتمى فوقه .. قبله قبلة طويلة ،
دس فيها عصارة قلبه ورغبة
شبابه في عطاء لم يتسح
له ..**

العاصفة!

● محمد خليل ●

راقبني من الان يا صــــديقي .. راقب احداث ليلة قاسية !

هانذا اغادر القطار .. اعبــر الطريق المرصوف .. هانذا اتوقف للحظات .

تسأل لماذا ؟

ــ بدأت الكآبة تلوح أمام عيني .ومخاوفي الان تتفاقم وتتكثف .. مرة اخرى تسأل : لماذا ؟

ــ الطريق طويل طويل .. والجبل بعيــد بعيد .. ورائحة رمال الصحراءتعوق تنفسي ــ وها هي فلول الظلام بدأت تنتشر، واحاسيس اليأس والملل تتوافد ..

هانا ابدأ أولى خطواتي نحو الجبل الذى بدا وكأنه يتحدى قوة الانسان والزمن .. يخيـل الى يا صديقي انه قريب ، المسافة بيني وبينــه تستغرق عدداً قليلا من الدقائق .

لا تصدق .. تكون قد بلغت الهدف اذا امسكه بيديك .. وحتى الان لم ابلغه .. مجرد تخمينات ببلوغه .. ولكن انظر :

ــ الا يبدو وكأنه سحابة كبيرة سوداء تحجب عنا رؤية الافق البعيد ؟ .. ارجــو الا يصيبك الملل واصــل الرحلة معي .. أشعر أن هذا الجبل يجثم فوق صدري ، يكتم انفاسي ، يضغط عليها بكل ثقله ،يريد خنقي .. يبغي ان يتخلص مني .. وهنـا سوف أسأل أنا :

ــ لماذا ؟ .. دعني أجيب من السؤال أيضا .. لست أدري ..

ــ آه ياصاحبي .. ما لي هكذا لااقوى على المسير .. لقد قطعنــا شوطا بعيدا ، والهدف لم نبلغه بعد ، اقصد الجبل ..

الم اقل لك لا تصدق .. ســاقاي تعبتـــا .. لم نفقدنا القدرة على الاستمرار ؟ ..ماراْيك في راحة قصيرة ؟!

بعدها نواصل المشوار .. كانت لم تحاول قبل ذلك بلوغ هذا الهدف . ولكنى حاولت كثيرا أن أصل الى هذه القمة .. مسكين «سيزيف» .. ظل يحاول على الرغم مــن القيود . وانا أفضل منه، لأنى بلا قيود .. تسألني عن مشاعري الآن وهذا الظلام الدامس والوحدة القاتلة والصحراء الممتدة ، لا شيء من هذا يشغل تفكيري .. بل افكر فـي ذكريات ، العمر الزمني لها ســاعات ... قبلات ودعوات امي ، وكلمات الوداع مــن اخوتي واقاربي واصـــدقائي ، وخطيبتي ودموعها وزهرتها التي في يدي الآن .. والاكف الضارعة بالعودة المظفرة .. ولكن ، هل يقدر لي ان أعود ؟ ... مجرد أمــل يداعبني ويداعب الجميع .. تسألني عــن مصدر هذه الاصوات القريبة ..

ــ انها عواء الذئاب ، فهي هاهنـا ترتع وتلعب . وقد تعودنا على اصواتها ووجودها بيننا .. بالطبع ، كثيرون معي يحاولــون بلوغ هدفي نفسه ، ولكننا جميعا لا نعرف كيف؟.. انها كثيرا ما تدخل خيامنا في الليل ونحن نيام . ولكن يبدو انها الفتنـــا ايضـــا ... ويخيل لي أنها تتولى حراستنا ليلا . لاننا نترك خلفنا بقايا طعام كثير ..

آه .. مرة اخرى اشعر بالتعب . ولكـن جهاز تنفسي يكاد يتوقف ..

مازالت العاصفة تتصاعد ، صفير الريح يزداد ، يصم اذني .. ماهذا ؟ الرعـــدة تملكتني والقشعريرة دبت في أوصــالي ، الرياح تطوحني يمنة ويسرة ، البلوغ اصبح مســـتحيلا .. فقدت طاقيتي ذات الرفـــرف الأمامي ، هي شارة الرحلة ... وبدونهـا أصير مجهولا .. العاصفة تزداد هبــوبا ، والزمن يمر ثقيلا ، بطيئا ، كأن قوى خفية تعرقل تقدمه ..

يا رفاق .. أين انتم ؟

هانذا اتهاوى ياصاحبي ، احبال صوتي تقطعت من كثرة النداء .. اريد أن ابكي !

انني ابكي حقا يا صديقي ، ولكن بلادموع .. رمال العاصفة جعلتني اغلق عيني رغم انفي ... صرت لا ارى وجهتي . قدماي تغوصان في الرمال . حذاء الرحلة الثقيــل يضايقني ــ ما هذا ؟ يبدو انني سقطت في حفرة .. احاول ان انهض .. تخلصت مـن هذه الحفرة اللعينة .. ساقي تؤلمني آه .. العرج اصابها . ساحاول البحث عن مكان آمن ، احس انني اصعد فوق احدى التباب اشعر ببلوغي قمة التبة ، أجـرجر ساقي الآن فوقها .انني انحدر ،يبدو ان الطريق ضاع ، ساحاول الجلوس ريثما تهدأ العاصفــة ، لعل الطـــريق يكون قريبــا مني . هــانذا أجلس .. آه ، اف .. عدت للوقوف مرة اخرى ، الرمال عند جلوسي تراكمت وكادت تطمس معــــالمي ان كانت لي الان معـــالم ، حسن .. سأستمر في المسير ، فالاستمرار في المسير افضل من التوقف .تريد ان افسر ما يدور ؟ ..

ــ قيام القيامة .. او ان التكنولوجيا تمكنت من السيطرة على الاحــوال الجوية وبدأت تســتخدمها في الحروب .. وتلك بداية معركة في هذه المنطقة .

ــ تضحك ؟ .. يحق لك ان تســخر وتضحك .. كانت لا تعـرف الا التكييف ، والسامبا ، وكلمات الغزل . عموما دعنا من هذا الآن ... ان قلبي ترتفع دقاته ، اكاد اسمعها ... لا ... يبدو انهــا توقفت ، التعب أصابني جدا . لا ، يبــدو انني لا شيء .. ريشة تتلاعب بها العاصفة .. لانهـــا بمفردها وليست في الجناح العاري

يا رفاقي أين انتم ؟

تضحك ؟ علام تضحك ؟ .. علام تسخر؟

آه .. ما هذا ؟

لقد صدمني شيء ، لا ليست صخرة .. دعني اتحسس هذا الشيء ، ها هو الفرج، انها شجرة .. هانذا احيطهــا بســاعدي لاحتمي بها .. ماهذا ؟ ان خلفها جسما قريبا يصدر عنه صوت رفيق من رفاق الرحلة، الآن احيطه ويحيطني ونحيط الشجرة .. وهدأت العاصفة يا صاحبي ..

ومع اشراقة اليوم التالي ، كنــا قــد بلغنــا قمة الجبل معا ..

سأبقى أغني ..

• محمد عثمان صالح •

وكنت اقول اليقين ، اليقين ...
وكان اليقين خيوط الهدى
وكنت اغنى اغانى الهوى
عن الحب فجرا مبين الضياء
وبين الدفوف وصوت النغم

***

حكايا تمر كيوم قريب
كيوم ندى ، وفير الثمر
حكايا ، حكايا ... يطول القصص
وانت تغنين لحن الألم
وتحكين عنى حكايا الشجن
هلا صحت فى ، وقلت نعم ؟ !

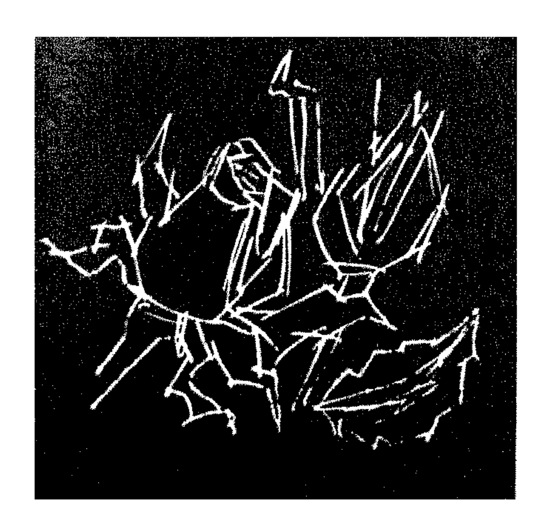
***

ولكن لانك كم تبعدين
وكم تستريحى لفيض الالم
وصوتى لديك كسير يموت
كانك لا ريب لا تسمعين
سابقى على الدهر حيا اغنى
اغنى الحكايا ،
ولن التفت
الى صوتك اذا ما هجر
ففى القلب نور رقيق نضير
وفى القلب حب منير كبير
يضىء الظلام اذا ماانتشر
ومرت يداه على الاخرين



قصة

لقاء على شاطئ النهر





● حسين عيد مادى ●

ينظر توفيق باهر التى ساعته يجدها تشير الى السابعة .. يهز راسه ، كأنه يقول : لايزال فى الوقت بقية ... يوسع خطواته .. لكنه ايقن أنه لا يريد أن يسرع ، بل يريد أن يتمهل ، حتى ينساب فكره فى هدوء اليها ، ليعيش معها بخياله .. **عيناه تملأ عينيها ، يهمس اليهـا : انتظرتك طويلا .. تضىء ابتسـامتها الوديعة وجهها الملائكى . تتحـرك شفتاها : وما بعد الانتظار ؟!**

يقترب منها . يسبح فى عينهـا : وجدتك ... وجدت جزءا مفقودا من حياتى !

تبتسم . تتسلل حمرة خجـل الى وجنتيها : انت اكملت حياتك بوجودى، وانا أيقظت قلبى بوجودك !

يجذب يديها بابتهال او ايمان :لست جانبا من حياتى فقط ، انما انت كلها۔ كل حياتى !..

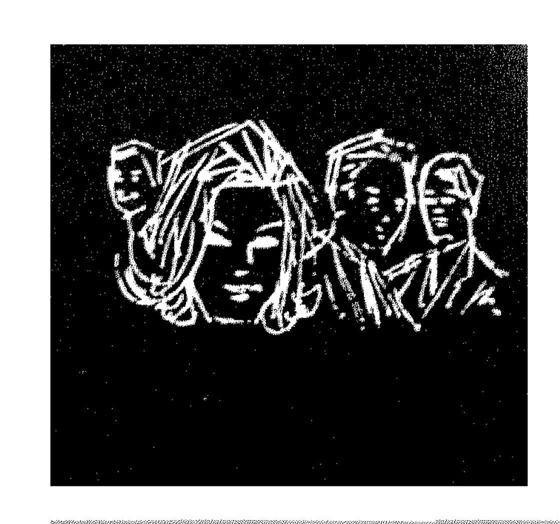
يتنهد بارتياح ، ينظر الى الطريق . لمسات فرحته الغامرة ، تكاد تطفو على وجهه .. للمرة الاولى ، منـذ زمـن يبتسم للا شىء يضحك من اى حدث..

يحملق فى النهر القـريب . بعض الاطفال يعبثون على ضفته .. يتعلـق بصره بطفل صغير ، يقف منزويا ، عن مجموعة من الصبية يلعبون ... عـاد **معه الى طفولته ، الى الطريق الذى قلما كان يراه .. كانت رائعة تجرى هنـا وهناك ، تثير الهرج فى كل جانب، تبعث الحيوية فى كل ركن .. جذبته من يده: هيا الى اللعب معنا !..**

تبعها بعد الحاح ، فهو لا يختلـط بباقى الاطفال .. وكالعادة ـ ايضا هرب عائدا الى المنزل ، عند عودة ابيـه من عمله ، خشية بطشه اذا ماراه يلعب فى الطريق ..

يرقب مجموعة من جذوع الاشجار، متكومة على حافة النهر ، كتـابوت ، **تابوت ابيها .. يومها راها تبـكى ... جرى اليها . وقف بجوارها . ربت على ظهرها بحنان : سامية .. لم تبكين ؟!**

مسحت بعض دموعها بيدها الصغيرة



أمى تقول ــ أبى سافر الى بعيد !.

بعد أيام رآها مع أمها يهجران منزلهما المجاور . لم يتمكن من توديعها فابوه رابض بالبيت ، لا يتحرك ...

ينتزعه صياح الصبية من تأملاته . يعاود السير .. **تجمعت صور أصدقائه فى خياله . قطع فوزى الحديث ، مصطنعا الجد : قابلتها أمس ..**

همس صوت بداخلى : ليتنى مثلك. تعلقت به العيون . استمر :تمشينا وحدنا قرب النهر .. يدى تنام فى يدها .. حديثنا همس رقيق .

عاد العواء بداخلى يرتفع : حظك حسن ... أين حظى أنا منك ؟!

تبادل توفيق معى غمزة سريعة .راقه اندماجى معه . استطرد : قالت لى ..

قاطعه الاصدقاء . انقلبوا عليه ساخرين ، مستهزئين من احاديثه ، التى لا يمل تكرارها .. ليس فوزى وحده ، هو الذى يحكى مغامراته ، بل يفعل معظم الزملاء نفس الشىء .. وتوفيق عاطل عن كل ذلك .
لم سر أبدا مع فتاة ، كيف يحدثها، يتفق معها على موعد ، يمشى بجوارها؟.

خطرت له صورة صغيرته سامية ، مرارا وتكرارا .. كانت أول الامر باهتة غامضة فى مغزاها .. ثم تكشفت له الحقيقة .. بعد حين .. لكن هل لا تزال تذكره ، ويداعب احلامها ؟ .. لعلها تذكره .. فمن يستطيع ان ينسى أسعد أيام صباه ؟!
لكن .. كيف يمكن ان يتم لقاؤه معها ؟! وكأن الحظ شاء أن يساعده ، فقد سمع أمه تخبر اباه ، انها قابلت سامية ، على شاطىء النيل عند الغروب كعادتها فى التنزه كل يوم .. ثم حكت الكثير عن احوالها ومعيشتها ، فقر عزمه على لقائها ، اثناء نزهتها المعتادة ..

ينظر الى ساعته .. السابعة والنصف تماما . يراها قادمة من بعيد .. يضطرب . يخفق قلبه بشدة . كيف يبدأ حديثه معها . ماذا يقول لها . انها تقترب منه . اختفت ملامح الطفولة التى طالما حببتها اليه ... لكن ماذا يحدث لو لم تتعرف عليه ، أو تجاهلته؟ كلا .. حتما ستعرفه ، لانها مالت اليه فى طفولتها .
يقترب منها . يهمس بصوت متحشرج
ــ مساء الخير ! ...
التفتت اليه . راته فى لمحة خاطفة. ثم مضت فى طريقها .. يناديها باسمها. تتوقف مترددة ، ينطلق اليها ، يتشبث بها كالمنقذ : الا تذكرينى .. الا تعرفينى ياسامية ؟
تتوقف .. تفكر : وجهك ليس غريبا عنى .. ياالهى ، من .. توفيق ؟!

تمد يدها . نفس البسمة ــ التى طالما تمنى ان يراها ــ ترتسم على وجهها .. **يمد يده . تنام يدها ــ الرخوة ، اللينة، بين احضان يده للحظة . تتركز نظراته ومن ورائها احاسيسه على اصبعها .**

يسمعها تقول فرحة : الا ترى كم غيرك الزمن ، حتى كدت لا اعرفك .. اجابها باسى : انت ايضا كم تغيرت . يتركها ، كالتائه .. وداعها يتردد فى سمعه ، ودبلة ذهبية فى اصبعها ، تابى ان تغادر خياله

زهرات من رياض العرب

• من ذكاء اياس •

استودع رجل رجلا مالا ثم طلبه فجحده ، فخاصمه الى اياس ، وقال المدعى انى أطالبه بمال أودعته اياه وقدره كذا وكذا .. فقال له اياس : ومن حضرك ؟ قال : كان رب العزة حاضرا .. قال اياس : دفعته اليه فى أى مكان ؟ قال الرجل : فى موضع كذا .. قال : فأى شىء تعهده من ذلك الموضع ؟ قال: شجرة عظيمة .. قال اياس : فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك ... فمضى الرجل مسرعا ، فقال اياس للرجل المدعى عليه : اقعد حتى يرجع خصمك . فجلس واياس يقضى بين الناس . ونظر اليه بعد ذلك وقال له : يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التى ذكرها؟ قال : لا !

فقال اياس : يا عدو الله ، انك الخائن ! ..

ثم احتفظ بالرجل حتى جاء صاحب الحق واخذه .

• من ذكاء أبى حنيفة •

دخل الامام أبو حنيفة رضى الله عنه الى البادية فاحتاج الى الماء ، فجاءه اعرابى ومعه قربة ملآنة فأبى الا يبيعها الا بخمسة دراهم .. فدفعها له ، ثم اخذ القربة . ثم قال له : يا اعرابى ما رايك فى السويق ؟ . فقال : هات !. فأعطاه سويقا ملتوثا بزيت ، فجعل يأكل حتى امتلأ ، ثم عطش ، فقال : على بشربة .. فقال : بخمسة دراهم على قدح من ماء ! .

وهكذا إسترد أبو حنيفة دراهمه الخمسة وبقى له الماء ! .

• الشكر لله •

جاء رجل الى أبى حنيفة وقال له : يا امام : دفنت مالا مدة طويلة ونسيت الموضع الذى دفنته فيه .. فقال الامام : ليس فى هذا فقه فافتى لك ، ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكره ان شاء الله تعالى .

ففعل . فلم يمض الا أقل من ربع الليل ، حتى ذكر الموضع الذى دفن فيه فجاء الى أبى حنيفة فأخبره فقال : قد علمت ان الشيطان لايدعك تصلى الليل كله ، فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله

• صلة الرحم •

جاء رجل الى معاوية رضى الله عنه فقال له : سألتك بالرحم التى بينى وبينك ان تقضى حاجتى ... فقال له معاوية : أمن قريش أنت ؟ قال : لا ... قال : فأى رحم بينى وبينك ؟ قال الرجل : رحم آدم عليه السلام !

فقال معاوية : رحم مجفوة ، والله لاكونن أول من وصلها .

ثم قضى حاجته ..

• والد وولد •

قيل لعمر بن ذر : كيف كان بر ابنك بك ؟ فاجاب بقوله : ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفى ، ولا ليلا الا مشى امامى، ولا صعد سطحا وانا تحته ...

• طلب الشكر •

عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلنى شكورا . واجعلنى صبورا ، وأجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعين الناس كبيرا ..

● محسن فهمى ●

تذكرة طبية

نزلات البرد

● د · السيد الجميل ●

نزلات البرد

● تسفر العدوى بالفيروسات على الجهاز التنفسى عن نزلة البرد تظهر وتبدو على هيئة رشح سائل مائى من الأنف مع تعطل حاستى الشم والتذوق ، وسرعان ما يتحول رشح الانف من سائل مائى الى سائل غروى أكثر كثافة متغير اللون والرائحة بعد بضعة أيام · وعادة لا ترتفع درجة الحرارة ·

وهنا يجتمع التهاب الحلق واحتقان العين مع صداع شديد وآلام فى المفاصل والعظام والعضلات ، وقد ترتفع درجة الحرارة الى حد ما اذا ما حدثت مضاعفات اذ أن رحلة هذا التعب تتراوح ما بين ثلاثة أيام الى اسبوع كامل ·

لذا ننصح المريض بالاخلاد للراحة والسكينة الذهنية قبل البدنية فى هدوء تام، وان يتناول بعض المسكنات البسيطة مثل الاسبرين أو النوفالجين مع عصير

حساسية صدرية

يشكو الطفل أو البالغ أحيانا من متاعب تنفسية يضيق بها ولها صدره ثم يأخذ المضادات الحيوية الواسعة المدى دون جدوى ، فنطلب عمل أشعة على الصدر ، فتأتى النتيجة سلبية بالرغم من التقلص الحاد والاختناق الشديد بصدره ، فنأمر بعد ذلك بعمل فيلم للدم نجد نسبة عالية من خلايا الايوسينوفيل التى تعبر وتشير بأصبع الاتهام الى عنصر الحساسية ، والتى لابد لعلاجها من التجرد من الاجواء المشحونة بالاتربة المحملة بدخان المصانع ·

وعلى المريض ان يبتعد عن الملابس الصوفية ، وان يتجرد من الملابس الحريرية ايضا وعلاج هذه الحال ميسور تماما بحقن الادرينالين تحت الجلد وعقار الكورتيزون بالجرعة التى يحددها الطبيب المعالج ··

كما يجب على المصاب بهذه الحالة ان يعاف أكل اللحوم الدسمة والكبد ، والكلاوى ، والمخ ، والاسماك ، والبيض

« شيزوفرينيا »

مرض نفسى تتوالى غزواته على الموعود به فى أناة ومهل شديد وتزحف أعراضه شيئا فشيئا وقد تسرع الخطو أحيانا فى صورة هروب من الحقيقة فى عدم تناسق بين الافكار أو الكلام أو التصرفات الشخصية وبين الواقع والمنطق ·

كما تعرو وجه الشخص صحوة بعد حين أشبه **بصحوة الموت** ··

هلوسة حسيه سمعية وخلل الوعى واضطراب الذاكرة وفقدان الاتزان العقلى والحركى — هذه الحال يعالجونها فى المستشفى النفسى ويشرف عليها مباشرة اخصائيو الامراض العقلية ، والعقار الفعال فى هذه الحال هو « الكلوروبرومازين » تحت اشراف الطبيب ·

« قلبك »

وجه الى احد مرضى القلب من قراء « الهلال » نقدا بناء — فى نظره — فحواه أن التذكرة الطبية توهم المريض بالافاضة فى وصف الصورة المرضية للحالة القلبية ·· ونعقب على ذلك اننا — مع ايماننا المطلق بالراحة النفسية والعلاج النفسى للمريض — يجب ان نوضح له كل شىء عن المرض القلبى حتى ننبه الى طرق الوقاية ، وننوه عن مواطن التلف حتى يتلافاها · ولو لم يشعر بخطورة حالته لما أعطاها الاهتمام اللازم اللائق بها ولداهمته النوبات على حين غفلة دون سابق احتراز أو احتراس منها ، لاسيما وان أمراض القلب جميعها بغير استثناء قائمة على النظام والاتزان فضلا عن اننا حريصون على الامانة العلمية ، ونقدم عصارة التجارب وخلاصة التعليمات الطبية والمكتشفات العصرية من واقع آخر النشرات العلمية الطبية والمجلات الانجليزية والامريكية واخر الطبعات لاحدث المراجع فى أمراض القلب · ●

روّح عن نفسك

الإجابات

١ ـ لغز بالشعر : هو الكتاب

٢ ـ اسماء مختفية فى جمل :

١ ـ جرير « شجر يربو »

٢ ـ الفرزدق « استمر الفرز دقائق »

٣ ـ ابو نواس « صابون واسبرتو »

٣ ـ كلمات دخيلة :

١ ـ « لويس الرابع عشر » لانه ملك غربى بينما الباقون ملوك وحكام شرقيون .

٢ ـ « ديك » لانه من الطيور والكلمات الاخرى حيوانات .

٣ ـ « الانفوشى » لانه حى بمدينة الاسكندرية والكلمات الاخرى اسماء لاحياء بالقاهرة .

٤ ـ « المحلة الكبرى » لانه اسم مدينة اما الكلمات الاخرى فاسماء لعواصم محافظات .

٤ ـ اختبر معلوماتك : أيهما ؟

١ ـ اللحم المشوى لان عصارة اللحم المقلية تبقى فيه ولا تذوب فى المرق .

٢ ـ الولايات المتحدة .

٣ ـ متساويان .

٤ ـ الضوء .

٥ ـ البلاتين .

٦ ـ كلاهما متساويان فى الوزن وان اختلفا فى الحجم .

٧ ـ الارض .

٨ ـ الحصان .

٩ ـ الحديد .

١٠ ـ الجرانيت .

٥ ـ المؤلفون بالترتيب .

ابو العلاء المعرى ـ طه حسين ـ روبرت لويس ستيفنسون ـ احمد امين ـ شيكسبير ـ هوجو ـ محمد المويلحى ـ احمد شوقى ـ العقاد ـ تولستوى .

مختارات من الشعر العالمى فى ضيافة الشعر العربى

سنّة الحياة

● للشاعر الارمينى المعاصر : هوفان تومانين ●

● ترجمة : احمد مصطفى حافظ ●

أتشرقين بدمع جِـــــدٍ منهمِـــر

يا حلوتِي •••• بدروب الشَّجو والذكَــر

وتُصبحين مع الأشْجـــان ••• ممسيَّـة

وتَرتعين بـواد غير ذي ثَمَـــــر

••• خُذِى القَضاءَ كما قد حُمَّ وامتثلى

فـكل شيء جَرى ••• يَجرى على قَدر !

إن كان زهْــر سـلوٌ عَـزَّ مَطلبـه

ما تنشدين ••• ربيع هَـلَّ ــ فابتَــدرى

أو كان فرط حَنِـين للحبيبِ وقَـد

شَطَّ المزار ، بجوف القبر ، فاصْـطبرى

فلا النحيبُ بمُجْـدٍ ، لن يرد لَنَــا

عَهد الأحبَّــة فى ماض من العُمر ••••

وما انتفاعُ عيون غاضَ رونَقَهـا

بمَــا تبـدَّد من سِـحرٍ ومن حور !

وهل بســكبِ دمـوعٍ فوق مقبَرةٍ

بعث لعَهد الهَـوى والأنس والسَّمَـر ؟

هيهات ! •• هيهَات ما قد رَاح ندركُـه

ماراح أدبر لا يَلوى على أثَـــر !

هيَّـا إلى الحبِّ فى أفيَـاء أيْـكته

قبل المشـيب ــ فهذى سُـنة البشر !

••• تُديلُ دولة حبٍّ ، آفـل غـدُه

نعمُ التداوى بحُب غـيره ، نَضـرِ •••

فاسْتقبلى العَيْش والآمَـال صَـابرة

إذ لا يُطَـاق دوامُ الحـزن والـكَدر !


الهلال
مجلة الفكر العربي
حظوظ وأقدار
ذكاء أم حظ؟
صاحب الجلالة الحظ مظلوم
هل تعرف توأمك الزمني؟
قاموس مصطلحات الكواكب والأبراج

الهلال

مايو ١٩٧٩

حياتك .. يحكمها القمر!

مصر الخالدة ..

ماذا جرى للدنيا ؟!

لم يحدث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ان سالت الدماء فى نواحى العالم كما يحدث اليوم .

حتى فى أيام حرب فيتنام : كانت الحرب دائرة هناك ، وكان ضحاياها كثيرين ولكنها كانت محدودة المدى والمجال ..

ثم انها كانت مفهومة ..

كانت حرب شعب صغير يحارب فى سبيل حريته ، ومعارك التحرير فى العادة باهظة الثمن فى الدماء ، ولكن كل دم يراق فيها قليل ، لأنه يراق فى سبيل هدف نبيل ..

أما القتل فى ايامنا تلك فيجرى فى نواحى الدنيا كلها دون مبرر مفهوم ..

دماء الصوماليين والارتريين لماذا تسفك ..

وهذه الحرب الدائرة فى اوغندا ..

والذين يتحاربون فى افغانستان ..

والذين يعدمون بالرصاص فى ايران ..

والاكراد ما دفعهم الى القلقلة بعد طول صمت وهدوء ؟ ماذا يريدون ؟

هل كل جماعة فى الدنيا مهما صغرت لابد أن يكون لها وطن ؟

وماذا نعمل بعد ذلك بتلك الأوطان الصغيرة مثل الباسك ، والاسكتلنديين ، والاكراد ؟

اما الاكراد فستبتلعهم روسيا دون شك .

وبعدها سيعرفون فعلا معنى الندم ..

وكذلك الباسك ، لا نظن انهم يعرفون الى اين تمضى بهم سفينة الزمان اذا هم استقلوا عن فرنسا او اسبانيا ..

***

دماء تراق بغير هدف ..

وارواح يضحى بها بلا غاية ..

ودنيا فقدت رشادها واصابها الجنون ..

وكل هذا والوقت ربيع والرياض مثقلة بالزهور ..

أى ربيع ..

انه ربيع الدماء !

المحرر

في هلالك هذا الشهر



جمادى الثاني ١٣٩٩هـ
مايو ١٩٧٩م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون ـ
اول مايو ١٩٧٩ ـ ٤ من جمادى
الثانية ١٣٩٩

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى عميد

من الهلال

إليها جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتـاج
الفنى د . وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل
إليه من يستطيع لنشر الصالح منها ، ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد
من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لاترد ، نشرت أم لم تنشر .

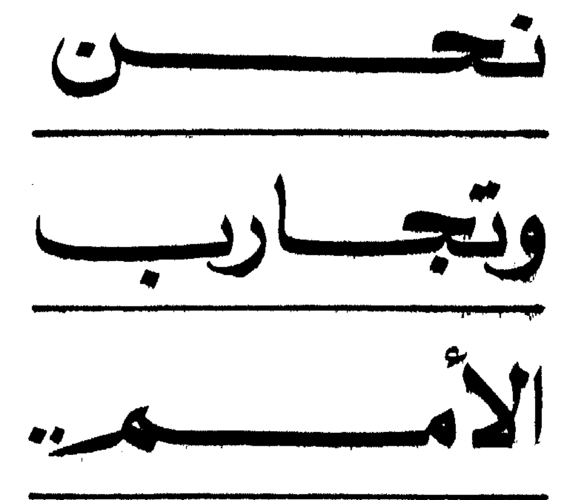
الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الوردى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صـاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهـلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غيرحكومية .

فى الخارج بالبريد العـادى ٧ دولارات أو ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو ٩ ج.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العـرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمـد عز العرب ـ القاهرة ـ
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



بقلم رئيس التحرير

أبو علي احمد بن محمد بن مسكويه مؤرخ فيلسوف عربي ..
ولكن فلسفته ليست فلسفة الرجل المتامل الواسع الافق الذي يقدم رؤية جديدة للدنيا والناس . انما هي فلسفة الرجل العاقل العادي الذي يرى الدنيا بعين الرجل السلبي الذي يدع الدنيا تجري امام عينيه وهو يتفرج ويستنتج ويعتبر ...

انها فلسفة رجل الماضي الذي ياخذ الحياة كما هي ويفهمها كما هي ، ويحسب ان كل ما يجري من احداثها امامه طبيعي ومفهوم وعادي ، لانه تكرر امام نظره الف مرة ..

وكتابه يسمى « تجارب الامم » وهو تاريخ للدولة العباسية في عصور انحدارها أيام البويهيين ، فقد ولد الرجل سنة ٤٢٠ هجرية ونشأ في أيام عصيبة ليس فيها ما يسر ، لان أمور بني العباس ضاعت بين أنانية الجند وقسوة قواد الاتراك ، وحاجة الامر الى من يستنقذ الخلافة والأمة، فكانت تلك هي الفرصة التي أتاحت لبني بويه ، وهم اجلاف من الديلم من بلاد طبرستان جنوبي بحر قزوين ، قوي امرهم بما كان لديهم من القوة العسكرية وآل الامر الى أن استنجد بهم الخليفة العباسي فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وأقبل بنو بويه ووضعوا أيديهم على الخلافة وحاولوا تصريف الامور فما افلح منهم أحد ، وتلقبوا بألقاب تبعث على الضحك مثل عضد الدولة وصمصام الدولة ، ومعز الدولة، وحاولوا الانتساب الى الخليفة العباسي واهله فلم يكن حالهم أحسن ، وأخذت سفينة الخلافة تغرق معهم رويدا رويدا .

في تلك الظروف العسيرة نشأ ابن مسكويه ، وكان أصله مجوسيا فأسلم، واشتغل بالكتابة ليكسب عيشه ، فما أفلح ، فانصرف الى ما يسمى بالسيمياء وهي كيمياء الشعوذة ، فلم يكن نجاحه فيها بأكبر من نجاحه في عالم الكتابة . فانصرف الى التاريخ وأخذ يكتب مواصلا تاريخ الطبري ، وهنا ادرك شيئا من النجاح فكتب كتاب « تجارب الامم » ، والف كتبا أخرى فيها تاريخ وفيها محاولات فلسفة كما نجد في كتاب « جاويدان فرد » الذي ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي عن الفارسية وسماه « الحكمة الخالدة » ..

● هذا ما قاله أبو حيان التوحيدي عن ابن مسكويه الذي أنفق الوقت في تحويل النحاس إلى ذهب: «هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية والعمر قصير، والساعات طائرة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق...»

وأنا أنظر اليوم فى كتاب « تجارب الامم » وأجد صاحبنا مسكويه يقص علينا مأساة تدهور الدولة العباسية في أيامه ، ويعرض علينا فى أسلوب مرير أفاعيل رجال بني بويه في أيامه ببني العباس ، وما كان بنو العباس أيضا رغم ضعفهم يدبرونه لبني بويه ، وبين الحين والحين أدع القراءة وأسبح مع أفكاري وأقول : مساكين العرب ، حيرتهم الايام ، وحيروا الايام ، لانهم خرجوا عن الطريق التى رسمها لهم أولئك الذين أقاموا لهم دولتهم الاولى : طريق الايمان والوحدة والصدق والاخلاص ، ومواجهة المشاكل بحزم وبعد نظر كما كان أبوبكر يعمل ، وكما كان عمر يعمل ، وكما كان قتيبة بن مسلم يعمل ، وكل هؤلاء مثل كان العرب حريين لو اتبعوها ان يصلوا مع التاريخ الى حال غير الحال التى وصلوا اليها فى عصر ابن مسكويه وبعد عصر ابن مسكويه .

***

وقد كان ابن مسكويه يكتب وفي قرارة نفسه خوف على مصير أمة الاسلام وخلافة بني العباس ، وأنا أكتب هذه السطور وفي قرارة نفسي خوف على أمة الاسلام والعروبة ، لانني أجد الاخطار من حولنا تتزايد والضغط علينا يشتد ومع ذلك فمعظمنا يفضل ان يظل جامدا مكانه لا يفكر فى مخرج من هذه الظروف القاسية التى نجد أنفسنا فيها ، كان الجمود فى ذاته سبيل من سبل النجاة ، وما نجا قوم قط لانهم جمدوا مكانهم وتركوا الاحداث تجرى من حولهم وتفعل ما تريد .

ذلك ان الدنيا فى حركة دائمة ، واذا نحن وقفنا ودفعنا غيرنا الى الحركة على رغمنا ، سرنا فى الطريق الذى يريدهو لا الطريق الذى نريده نحن ، ومعظم المصائب التى أصابت عالم الاسلام أتت من جمود الذهن والوقوف فى وسط الطريق ، مع انه من المعروف ان أى تحرك خير من أى ركود .

***

ولقد بدأت هذا المقال وحوادث ايران تهدأ شيئا فشيئا بعد ان استقر الامر على الجمهورية الاسلامية هناك ، فاذا أنا فى بعضه أتت الاخبار بأن المحاكمات وحوادث الاعدام عادت من جديد ، ثم تقلقل الامر مرة أخرى فى أفغانستان وهو

نحن.. وتجارب الأمم

ينذر بالانفجار ، وفى جنوب وادى النيل يجرى تغيير حاسم فى أوغندا ، ونظام عيدى أمين تهاوى ولا ندرى ماذا يجىء بعده ، وفى موريتانيا تغييرات جديدة تدل على قلق الاوضاع ، والصمت يسود أنباء الصراع فى الصومال واريتريا ، وفى سماء تركيا سحب تتجمع ، والاكراد يتحركون من جديد ..

وهذه كلها أحداث تجرى فى الاطار الواقى لعالم الاسلام ، أى ان قشرة عالمنا تنكسر ، والاخطار تقترب منا يوما بعد يوم ، والمواطن العربى لا يدرى ماذا يفعل فى مثل هذه الظروف ، وحالته ينطبق عليها ما قاله أبو حيان التوحيدى فى **كلامه عن ابن مسكويه الذى دفعته حيرة زمانه الى انفاق الوقت فى محاولة تحويل النحاس الى ذهب : « هذا مع تقطيع الوقت فى الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرص بروق تأتلق ، والاوطار فى عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها تذوب وتحترق .»**

***

فى هذه الظروف لا أجد ما أقوله للمواطن العربى الا أن يترك السلبية التى هو فيها والمبادرة الى تحمل مسئولياته أمام وطنه ونفسه ، ولا يترك نفسه لعبة فى أيدى الدعايات التى قد تضلله ولا تنفعه ، وان ينظر بنفسه الى الامور نظرا سليما ليعرف واجبه وما لابد له من عمله ، اذ أنه لا يمكن ان نكون كأهل القرون الماضية : واقفين جامدين والعمر قصير والساعات طائرة والحركات دائمة ..

ان علينا نحن العرب ان نجد حلولا للمشاكل التى تواجهنا وتحيط بنا من كل جانب . ولا يكفى قط ان يقف الانسان ساكنا أمام الاعاصير تاركا غيره يتخذ الحلول . واذا حدث وتحرك مواطن عربى واتخذ خطوة فى سبيل الخروج من الجمود فلا ينبغى ان يملكنا الفزع لمجرد هذه الحركة ، بل لنفكر أولا قبل ان نصدر حكما ، ولنجتهد دائما فى ان يكون الحكم صادرا منا لا رد فعل لما نسمع من كلام من يتصدون لقيادة الامور ، لان الوطن العربى ليس ملك جماعة دون جماعة ، انما هو ملكنا جميعا ومسئوليتنا جميعا ، ولا يجوز لواحد منا يزعم انه صاحب فكر ورأى ان يترك ميدان العمل لغيره مكتفيا بعد ذلك بالنقد والتماس الاخطاء . لان الخطأ الاكبر هو الجمود والسكون ، وأى حركة خير من أى سكون ، والحركة بركة كما يقولون .

***

ولقد تحركت القضية العربية خلال الشهور الماضية بعد طول ركود ، وطرحت حلول واتخذت خطوات ، وبعض القادة سارعوا الى اتخاذ مواقف تتفق مع

● إنها تجارب أمم .. والتجربة تعني التحرك والعمل .. وليست هناك تجربة تتم والإنسان ساكن لا يتحرك .. إن الخطأ الأكبر هو الجمود والسكون وأي حركة خير من أي سكون ...

مصالحهم ووجوه نظرهم ، وليس من مهمة الهـــلال ان يدخل فى تفصيل هذه المواقف أو مناقشتها ، وان مهمته هى ان ينبه المواطن العربى الى ان يعمل فكره ويتخذ قراره بنفسه ، فليس كل ما يقولون له صوابا ، ولا يقال معظمه لوجه الله٠

ان المفكر العربى مطالب اليوم بأن يقوم بواجبه كمفكر وهو ان يستعمل فكره٠ لقد بدأت فى عالمنا العربى حركة جديدة فى اتجاه الحل ، وهذه الحركة كان لابد منها لأن الجمود يخدم العدو وحده ، فان عدونا الصهيونى أفاد الفائدة الكبرى خلال السنوات الثلاثين الماضية من جمودنا وعجزنا عن الحركة واتخاذ القرار ، وليس هناك سبيل الى مواجهته وايقافه عن العربدة فى منطقتنا الا بأن نتحـرك نحن ونعمل شيئا ٠٠

لقد أثرنا فى الهلال مشاكل تدهور الفـكر والقصور الادبى ، ولكننا نرى الان مشكلة الجمود أوسع مدى من الفكر وحده ، انها تشمل كل نواحى حياتنا ، فقد استرحنا الى الجمود وأرسلنا أذهاننا فى أجازة طويلة ، وتركنا غيرنا يقـــرر لنا ما يريد ، ويتصدى لاتخاذ الاحكام من دوننا بالضبط كما كان المفكرون فى العصر البويهى يعملون : كانوا يتفرجـــون على الاحداث ويبدون الاسف ويذرفون الدموع كما كان أبو حيـان التوحيـدى وأبو على الخازن أحمد بن محمـد بن مســـكويه وأبو القاسم الكاتب يعملون ، فماذا كانت النتيجة ؟ ضياع دولة بنى العبـــاس جملة ، وتمزق عالم الاسلام اربا ٠٠

***

انها تجارب أمم ٠٠

والتجربة تعنى التحرك والعمل ٠٠

وليست هناك تجربة تتم والانسان ساكن لا يتحرك ٠٠

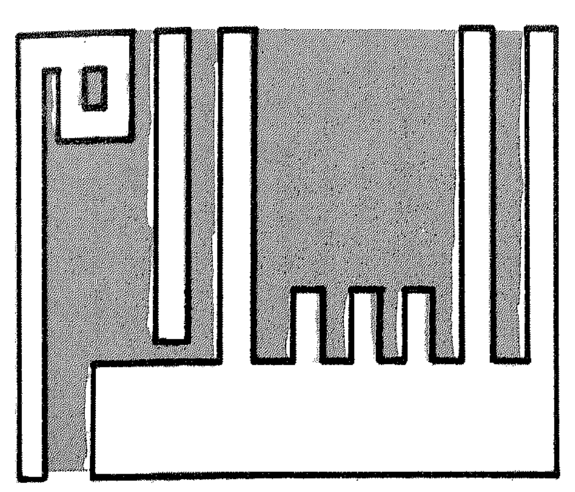
وليس من حق انسان جامد ساكن ان يصدر حكما على أعمال انسان نشـــيط يجهد نفسه ويعمل ٠٠٠

ان تجارب أمتنا العربية قليلة ، بالذات لان المواطن العربى قرر من زمن طويل ان يقف جامدا لا يتحرك والاحداث تمضى من حوله وتتدافع ٠٠

واذا كان المفكر العربى يحس أحيانا انه غير قادر على ان يقوم بنفسه بالتجربة فلا أقل من ان ينظر بنفسه نظرا موضوعيا الى أى تجربة يقوم بها غيره ٠٠

أما الاستنامة الى الجمود ، وترك الاخرين يوجهون المصائر والحـكم على تجارب الاخرين دون اجهاد ذهن أو تفكير فلا يســـمى تجارب أمم بل مهالك أمم ٠٠ ”





● د. احمد الحوفي ●

– ١ –

دأب الناس على ان يتحاربوا في كل عصر وفي كل صقع ، وكلما صعدوا في سلم الحضارة زاد افتنانهم في اختراع وسائل الحرب والتخريب والتدمير ، فهدموا بمخترعات العلم والحضارة ما ابدع العلم والحضارة ،وخربوا في يومهم ماشيدته اجيال من قبلهم .

ومن عجب انهم لا يبتغون من الحرب الا بسط السلطان ، وتوسيع الملك ، واشباع النهم الى الشهرة والمجد ، واستعباد الضعفاء ،والاستئثار بخيرات بلادهم ، وينابيع ثرواتهم .

وطالما تعالت الدعوات الى السلام، فصمت دونها الآذان ، كأنما كتب على البشر الا ينعموا بسلم دائم .

وليس صراع العالم الذي يهدد البشر بالانقراض ، وينذر الحضارة بالدمار ، ناشئا عن دوافع سامية،او غايات نبيلة ، بل انه صراع مبعثه الجشع ، والغاية منه التغلب والسيطرة واحتكار الخيرات والاستئثار بالقوة والنفوذ .

وهنا تتجلى عظمة الاسلام،لانه دين سلام ، يؤثر السلم على الحرب ما وسعه الايثار ، فان لم يكن من الحرب بد لحماية العقيدة ، او صيانة الحياة، أو الدفاع عن الوطن ، فالحرب شر وضرورة موقوتة . ذلك ان الاسلام يدعو الى المثل الاعلى في جميع الصلات والمعاملات ، فاذا لم ينجح المثل الاعلى لجأ الاسلام الى العلاج الذي لاينجح سواه ، مراعاة للواقع ، ومجاراة للاحداث .

ولقد دعا الاسلام الى السلام ،فابى خصومه الا الحرب ،وصبر المسلمون على اذاهم ، فلم يزدهم الصبر الا طغيانا وعدوانا ، فلم يكن للمسلمين مندوحة عن الحرب ، ليحموا انفسهم وعقيدتهم استجابة لدينهم الذي يامرهم بالاحتماء بالقوة والاستعداد للدفاع كما يدعوهم الى المسالمة والتسامح .

– ٢ –

ولا غرابة في أن الاسلام دين سلام، فان القرآن الكريم يصف المؤمنين بالمسالمة والتسامح ، قال تعالى : **((وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما))** ويسمى القرآن الكريم الجنة دار السلام ، قال تعالى : **((لهم دار السلام عند ربهم))** ويجعل التحية فيها سلاما ، قال عز وجل : **((تحيتهم يوم يلقونه سلام ، واعد لهم اجرا**

● المسلمون لم يحاربوا إلا ليدفعوا العدوان ، ولم يستلوا سيوفهم إلا عند اليأس من مسالمة أعدائهم ... والمسلمون لم يحاربوا إلا المحاربين وتركوا المسالمين وغير المحاربين آمنين في ديارهم .. والمسلمون لم يتجاوزوا في حروبهم حدود الدفاع والإرهاب إلى الإنتقام الحاقد والتنكيل المبيد ... !

كريما » ويبشر الاتقياء بأن تحييهم الملائكة فى الجنة بالسلام ، قال سبحانه وتعالى : « **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون »** .

وكيف لايكون الاسلام دين سلام ، وكل مسلم يقول فى تشهده مرات كل يوم : « السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ثم يختتم كل صلاة بالسلام ! واذا كانت الحرب فى طبائع البشر فان الاسلام ضيق نطاقها وراعى فيها حرمات الانسانية أوفى رعاية .

فالمسلمون لم يحاربوا الا ليدفعوا العدوان ،ولم يستلوا سيوفهم الا عند اليأس من مسالمة اعدائهم .

والمسلمون لم يحاربوا الا المحاربين ، وتركوا المسالمين وغير المحاربين آمنين فى ديارهم .

والمسلمون لم يتجاوزوا فى حروبهم حدود الدفاع والارهاب الى الانتقام الحاقد والتنكيل المبيد .

ولقد جنح المسلمون الى السلام حينما استجاب الاعداء الى السلام

- ٣ -

وكان المسلمون بعد انتصارهم رحماء بالمغلوبين ، لم يمثلوا بالقتلى ، ولم يخربوا العمران ، ولم يجبروا أحدا على اعتناق الاسلام . نعم ان المسلمين لم يستغلوا قوتهم ليضطروا أحدا الى أن يسلم لانهم يعلمون ان للاسلام من القوة الذاتية ما يفتح له القلوب ، ويشرح الصدور ، فقد ذاع الاسلام فى مكة والنبى صلى الله عليه وسلم وأتباعه قلة لايملكون من وسائل القوة ما يحمون به انفسهم من الاذى ، ثم ذاع فى المدينة قبل أن يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم اليها ، وتعهد الذين اسلموا بحماية النبى ونصرته اذا هاجر اليهم ، ثم استمر الاسلام ينتشر بقوته الذاتية فى كل عصر ، حتى فى العصور التى ضعف فيها المسلمون واضطرب سلطانهم ...

وحسبنا هنا شهادة السير توماس ارنولد فى قوله : تصدعت اركان الامبراطورية العظمى ، وتضعضعت قوة المسلمين السياسية ، ولكن غزواته الروحية بقيت مستمرة دون انقطاع وعندما خربت جموع المغول بغداد سنة ١٢٥٨م واغرقوا فى الدماء مجد

الدوله العباسية ، وعندما طردفرديناند ملك ليون وقشتاله المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ م ، ودفعت غرناطة آخر معاقل الاسلام فى اسبانيا الجزية للملك المسيحى ، فى هذا الوقت كان الاسلام قد استقرت دعائمه ، وتوطدت اركانه فى جزيرة سومطرة ، وكان يستعد لان يحرز تقدما ناجحا فى الجزائر الواقعة فى الملايو .

وفى هذه اللحظات التى تطرق فيها الضعف السياسى الى قوة الاسلام نراه قد حقق بعض غزواته الروحية الرائعة ، اذ تغلب الكفار المتوحشون على المسلمين ، وهم الاتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر ، والمغول فى القرن الثالث عشر ، ولكن الفاتحين الغالبين اعتنقوا ديانة المغلوبين .

كذلك حمل دعاة الاسلام الذين فقدوا مظهر القوة والسلطان عقيدتهم الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية والروسيا وغيرها ، ثم صار للاسلام فى السنوات الاخيرة اتباع فى انجلترا وامريكا واستراليا واليابان

– ٤ –

وانه ليتضح لمن يدرس قوانين الحرب فى الاسلام انه دين رحمة وسماحة وسلام ، سواء فى ذلك دوافع الحرب وبواعثها ، والغرض منها وغايتها ، ونظام المعركة وسيرها ، ونتائج الحرب وآثارها .

وحسبى ان اشير هنا الى امثلة من ذلك :

١ – ليس للحرب باعث الا الدفاع لحماية الوطن وصيانة العقيدة واتقاء الخطر الواقع او الخطر المتوقع ولهذا نهى الاسلام عن العدوان حتى على الاعداء الذين ظلموا المسلمين من قبل ، قال تعالى : ((**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**)) ، فالحرب هنا لاعلان دين الله الذى ارتضاه ، وليست للسيطرة ولا للاحتكار ولا للغنائم والاسلوب ، ومع هذا فان ختام الاية يحذر من العدوان ، لانه بغيض الى الله .

وقال تعالى : ((**ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب**)) ففى هذه الاية نهى عن الاعتداء حتى على الاعداء الذين آذوا المسلمين من قبل، وفيها امر للمسلمين بالاتحاد والتعاون على الخير والسلام وطاعة الله، لا على الشر والاعتداء ، وفيها تحذير من عذاب الله الشديد ان عصوا امره ونهيه ، فتجاوزوا الحد فى حربهم ، واعتدوا على غيرهم .

كذلك نهى القرآن الكريم عن قتال من اعلن مسالمته ، وان أثمرت حربه منافع مادية ، قال تعالى : ((**ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا**))

وقد جرى المسلمون على السماحة فى حروبهم وفتوحهم ، فكانوا يبعثون الى البلد الذى يريدون فتحه شروطا للصلح قبل ان يحاربوه ، كما فعل عمرو بن العاص مع اهل غزة حينما حاصرها ، وكما فعل مع اهل مصر اذ عرض عليهم حرية دينية وعدالة شاملة .

٢ – واذ نظر الاسلام الى السلام على انه الاصل ، والى الحرب على انها طارىء موقوت ، شرع من النظم ما يتفق مع سموه ، وسن من القوانين ما يكفل تخفيف ويلات الحرب ، ويحصرها فى اضيق نطاق .

فلا يصح ان تتعدى الحرب الى المدنيين الذين لا يحاربون ، كالشيوخ والنساء والاطفال والعجزة والعباد المنقطعين للعبادة .

ولا يجوز أن يجوع المسلمون أعداءهم او يقتلوا سفراءهم ، او يعتدوا على

● يتضح لمن درس قوانين الحرب فى الإسلام أنه دين رحمة وسماحة وسلام ، سواء فى ذلك دوافع الحرب وبواعثها ، والغرض منها وغايتها ونظام المعركة وسيرها ونتائج الحرب وآثارها

● فى نظرة الإسلام إلى السلام على أنه الأصل ، وإلى الحرب على أنها طارىء موقوت ـ شَرَّع من التنظيم مايتفق مع سموه ، وسَنَّ من القوانين مايكفل تخفيف ويلات الحرب ، ويحصرها فى أضيق نطاق

المستامنين فى ديارهم من رعايا الدولة المعادية . فاذا جنح العدو الى السلام كان على المسلمين أن يسالموه ، واذا ما رغب فى الهدنة كان عليهم أن يهادنوه ، على شرط الا يكون فى هذا اهدار لحق من حقوق الدين ، او تعويق للدعوة عن الذيوع ، قال تعالى : **((وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله))** وقال سبحانه : **((فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا))** .

٣ ـ ولم يكن الغرض من الجهاد اجبار احد على ان يسلم ، بل ان المسلمين ضربوا اروع الامثال فى كفالة الحرية الدينية للناس ، ولهذا رحب بهم سكان المستعمرات الرومانية وغيرها ، لينقذوهم من عسف الحكام ومن الاضطهاد الدينى . وكيف يتصور احد أن الغرض من الجهاد كان الاجبار على الاسلام .

والنبى صلى الله عليه وسلم مخاطب بقوله تعالى : « لست عليهم بمسيطر » وبقوله سبحانه : ((لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)) ، وبقوله عز وجل ((ماعلى الرسول الا البلاغ)) ، وبقوله جل وعلا : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن))

٤ ـ اما نظام الاسلام فى معاملة المغلوبين بعد ان تضع الحرب اوزارها فانه النظام الذى لم يعرف العالم له مثيلا من قبل ولا من بعد فى السمو والرحمة والرفق وتقدير الانسانية فمثلا لايبيح الاسلام التمثيل بالقتلى ، ولا تخريب العمران . ولا يجبر المغلوبين على اعتناقه ، بل يوجب تخييرهم بين البقاء على دينهم أحرارا ودفع الجزية مقابل الحماية والخدمات العامة التى تقوم بها الدولة وبين ان يسلموا ، فالجزية نتيجة للحرب لا باعث اليها ولا هدف من اهدافها.

ولقد شرع الاسلام اعدل النظم وارحمها فى معاملة الأسرى والارقاء ، كما شرع أسمى نظم فى معاملة الشعب المغلوب .

ـ ٥ ـ

وكثيرا ماشهد للاسلام بذلك كله كثير من غير المسلمين ، مثل الكونت هنرى دى كاسترى فى قوله : ان المسلمين امتازوا بالمسالمة ، وبحرية الافكار فى المعاملات ، ومحاسنة المخالفين ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشهم المظفرة ، ولم يتركوا اثرا للعسف فى طريقهم الا ما أضطروا اليه فى كل حرب وقتال ، ولم يقتلوا أمة أبت الاسلام .

كذلك قال جوستاف لوبون : لم تكن القوة عاملا فى نشر القرآن ، لان العرب تركوا المغلوبين احرارا فى اديانهم . واذا كان بعض النصارى قد اسلموا ، واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التى لم تعرفها الاديان الاخرى ، وقد عاملوا أهل سورية ومصر واسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم حقا ان الاسلام دين السلام ، والتحية فى الاسلام سلام .

تقوية الملكة الأدبية بحفظ النماذج الجيدة

● محمد عبد الغني حسن ●

● رحم الله حفاظ الحديث النبوي من امثال الحافظ الذهبي مؤرخ الاسلام ، والحافظ ابن حجر العسقلاني المصري المؤرخ وكاتب الطبقات ، والحافظ النووي ، والحافظ السخاوي المؤرخ المصري وكاتب التراجم المشهور ، والحافظ السيوطي مؤرخ مصر وفقيهها ، وعالمها اللغوي وموسوعيها الكبير ، والحافظ ابن عساكر مؤرخ الشام وصاحب التاريخ العجيب لمدينة دمشق ، وغيرهم ممن الهمتنا حيواتهم الخاصة المباركة ضروبا من الموضوعات ، وفنونا من المسائل . حتى لقد ساقتنا مكانهم العظيم من (الحفظ) لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى موضوع (الحفظ) في الشعر والادب .

(والحافظ) أولا هو الحافظ لكتاب الله الكريم ، لا يعجزه استحضار آية منه ولا يستعصي عليه الاستشهاد بما يريد من آياته . أما (الحافظ) في اصطلاح المحدثين — أي المشتغلين بالحديث النبوي — فهو المرادف للفظ (المحدث) عند السلف . كما ذكر امام الشام وعلامته ، المرحوم الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، في كتابه الثمين : (قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث) . الذي حققه وعلق عليه العالم الجليل المرحوم الاستاذ محمد بهجة البيطار عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

والمحدث ، والحافظ أرفع من (المسند) — بكسر النون — وهو من يروي الحديث باسناده . وللاديب المؤرخ المصري (الشهاب الخفاجي) . صاحب (ريحانة الألباء) وشارح كتاب (الشفاء) للقاضي عياض رأي في الحافظ لا يختلف كثيرا عن رأي الامام جمال الدين القاسمي ، حيث يقول : (انه وصف يطلق على كل من اكثر رواية الحديث واتقنها ..) .

واذا كان اصطلاح (الحافظ) للحديث النبوي قد انقطع في عصر الشهاب الخفاجي — كما يقول في شرحه للشفاء — وكان آخر الحفاظ — في تقديره الحافظ المؤرخ المصري « السيوطي » ، والحافظ المؤرخ المصري « السخاوي » من رجال القرن العاشر ، وصاحب تراجم (الضوء اللامع ، في اعيان القرن التاسع) فقد بقي في الامة العربية (حفاظ) آخرون ، لا في مجال الحديث النبوي . ولكن في مجال الشعر والادب .

ويكاد يجمع الذين كتبوا عن شاعرنا (أحمد شوقي) ومكونات شاعريته ، على انه تأثر باثنين من شعراء العربية تأثرا واضحا ، هما المتنبي ، والبحتري فقد كان يحفظ شعرهما بالاضافة الى شعر غيرهما من الفحول . وبلغ من شدة تأثير المتنبي في شوقي أن الامير شكيب ارسلان قد لاحظ بين شوقي وابي الطيب شبها جديدا ، وهو تشبهه به حتى في تعقيد كلامه ..

وليس تعوزنا في الشرق والغرب على السواء نماذج على ادباء وشعراء حفظوا كلام من سبقوهم وتأثروا به ، وادخلوا عباراتهم في تعبيراتهم . حتى كاد التأثر هنا يكون تقليدا لا ابتكارا فيه ، ومحاكاة لا اثر فيها لاستقلال الشخصية .

ففي الادب الانجليزي — مثلا — يلاحظ النقاد ومؤرخو الآداب الاجنبية ان الشاعر (كيتس) كان يحفظ شيكسبير كله عن ظهر قلب ... وكانت تتسلل الى كتاباته ورسائله كثير من عبارات شيكسبير حتى ترصد بعض النقاد لهذه العبارات الشيكسبيرية وردوها الى مصادرها الاصلية في كتابات شيكسبير ...

واذا كان بعض الكتاب والشعراء في

الشرق والغرب قد تنبهوا من عند أنفسهم الى أثر الحفظ فى تكوين أساليبهم وتلوينهما بلون خاص ، فان طائفة غير قليلة من نقاد العرب ومفكريهم قد حاولوا التنبيه فى كتاباتهم ودراساتهم الى قيمة الحفظ للنصوص الرائعة واثره فى امداد (الحافظ) الادبى بما يسيغة دائما عند الصياغة ·

فالاصمعى - وهو من هو فى اللغة والرواية - يرى أن الشاعر لا يصير فى قرض الشعر فحلا ، حتى يروى اشعار العرب، ويسمع الاخبار ، ويعرف المعانى، وتدور فى مسامعه الالفاظ ···

وجرى النقاد على ما جرى عليه الاصمعى من ضرورة حفظ الشعر لمن يروم ان يكون فى الشعر ذا فحولة واذا كان بعض الاخلاقيين والمثاليين العرب قد رأوا فى الشعر وروايته وحفظه مصدر المجموعة من الخلال الكريمة فان **نقاد الادب قد نظروا الى الشعر من وجهة نظر فنية - لا اخلاقية · فاشترطوا حفظه وروايته تاسيسا لاتقان صنعته ، وتوكيدا لتأصيل ملكته · واستعانة به على تقوية الملكة ، واسعاف الموهبة ،حتى لنرى الناقد الشاعر (ابن رشيق القيروانى) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، يرسم فى كتابه (العمدة فى صناعة الشعر ونقده) آدابا للشاعر · ولا يفوته من ادب النفس ان يكون الشاعر حلو الشمائل ، حسن الاخلاق مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطىء الاكتاف · فان ذلك مما يحببه الى الناس ، ويزينه فى عيونهم ، ويقربه من قلوبهم ·**

ثم لا يفوت ابن رشيق من آدب الدرس ان يأخذ الشاعر نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب وايام العرب، ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار ، وضرب الامثال ··· (وليعلق نفسه ببعض أنفاسهم ، ويقوى طبعه بقوة طباعهم ···)

وتعليق أنفاس الشاعر والكاتب بأنفاس غيره من المجيدين هو الظاهرة التى كست البلاغة العربية الاسلامية ثوبا انصع واحلى واعلى طبقة من ثوب البلاغة فى العصر الجاهلى ·



● أحمد شوقى ●

وكان مؤرخنا ومفكرنا ابن خلدون هو أول من فطن لهذه الظاهرة مع تعليل اسبابها فى خلال حديثه فى مقدمته التاريخية المشهورة عن صناعة النظم والنثر · وقد أدرك ابن خلدون هذا بسلامة طبعه وصحة ذوقه ، ودقة ملكته الناقدة ·

ويصرح لنا الناقد الشاعر المجدد (عبد الرحمن شكرى) بأن ادمان الاطلاع أساس فى الشعر ، لانه (هو الذى يهيىء الطبع) · كما يقرر لنا فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه أن (الاطلاع شراب روح الشاعر ، وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ، ويلقح ذهنه ···)

وقد كان فى الظن أن تعبير (الاطلاع) بدلا من (الحفظ) هو من مستحدثات العصريين فى عصرنا الحديث ، ولكننا نجد عند البيانى المشهور (ابن الاثير الجزرى) المتوفى سنة ٦٣٧ هـ كلاما فى كتابه : (المثل السائر) عن الاطلاع وأثره فى البيان ، يعد فيه فوائد الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور ، لان المطلع يعلم منه أغراض الناس ، ونتائج أفكارهم ، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم ، والى اين ترامت به صنعته فى ذلك ، ويعرف المعانى التى سبقه السابقون اليها · وبالاطلاع قد ينقدح له من بينهما معنى غريب غير مسبوق ···

وهنا يجب ان يلحظ أن (الاطلاع) أو (الحفظ) ليس المقصود منهما مجرد النقل ، والا صارت المسألة أخذا وتقليدا وانعدام اصالة ··· وانما المقصود هو الاستعانة بالمحفوظ على تقوية الغريزة الطبيعية ··· ويحذر ابن الاثير من

الحفظ الذى يجعل الكاتب أو الشاعر مرتبطا فى كتابته ونظمه بما يستخرجه من محفوظه ، سواء أكان قرآنا أم حديثا أم شعرا • ويحدد لنا ابن الاثير غرضه من الحفظ بقوله:(بل اريد انه اذا حفظ القرآن الكريم ، واكثر من حفظ الاخبار النبويه والاشعار ، ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه ،مفتش عن دقائقه ، وقلبه ظهرا لبطن ، عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه ، واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية)

وكان أكثر ما يخشاه النقاد ذوو الاصالة من الوصية بالحفظ أن يكون الكاتب أو الشاعر الحافظ محاكيا ، لغيره ، مقلدا لاسلوبه ،فيكون نسخة من أدب غيره ، لا منتجا أصيلا مبتدعا • ومن هنا اشترط بعض النقاد أن يأخذ الكاتب معنى غيره — لا لفظه — ويكسوه عبارة من عنده • ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل لخاطره — بمباشرة المعانى — لقاح ، فيستنتج منها معانى غير تلك المعانى ••• ولا يزال يدمن ذلك ويدأب فيه حتى يصير له ملكة وطبعا • فاذا كتب كتابا أو خطب خطبة تدفقت المعانى فى اثناء كلامه • وانثالت عليه انثيالا ، وجاءت الفاظه معسولة ، لا مغسولة ، وبدت عليها طرافة وجدة كأنها ترقص رقصا ••

وقد بلغ من اعتقاد النقاد والادباء الرواد فى قيمة (الحفظ) للنماذج الجياد وأثره فى جودة الانتاج ، أن بعضهم آمن بأن الشاعر الجيد هو وليد قراءات ورواية لاشعار المجودين فى الجاهلية والاسلام • بل لم يمنع بعضهم حفظ أشعار المولدين المجيدين ، لما فيها من حلاوة اللفظ ، وقرب المأخذ ، واشارات الملح ووجوه البديع •••

فنرى ابن خلدون •فى موضع آخر من المقدمة يشترط لعمل الشعر واحكام صنعته شروطا ، منها الحفظ للجيد من جنس الشعر العربى • ولكنه يقيد ذلك الشرط بشرط آخر حكيم ،وهو أن ينسى الانسان ما حفظه ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، ثم يأخذ فى النسج على منوال ما اكتنزه فى حافظته ، صارفا النظر عن استعمال الاساليب بعينها ، بل يتصرف فيها بما يوجبه التكيف لا النقل • ويؤكد ابن خلدون أهمية حفظ النماذج الجياد بقوله : (ان من كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء • ولا يعطيه الرونق ولا الحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر ، وانما هو نظم ساقط) بل أكد ابن خلدون أن كل من ليس له محفوظ (فأولى به أن يجتنب الشعر • ولا يتعرض لقوله ، لقصور آلته •••)

ويزن ابن خلدون فى موضع آخر من (المقدمة) قيمة الملكة الشعرية عند الشاعر بقيمة ما يحفظه من الشعر • وهنا تتبع الملكة الشعر المحفوظ صنعة وارتفاعا • فعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ ••• فبارتقاء المحفوظ من الكلام وجودته ترتقى الملكة الحاصلة ، فاذا هبط المحفوظ أو قلت قيمته الفنية الشعرية هبطت الملكة تبعا لذلك • ومن هنا كان الفقهاء ،وأهل العلوم كلهم قاصرين فى البلاغة كما لا حظ بحق مؤرخنا البصير ••• (وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ، ويمتلىء به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة ، والنازلة عن الطبقة ، لان العبارات عن القوانين والعلوم لا حظ لهما فى البلاغة ، فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه فى غاية القصور ، وانحرفت عباراته عن أساليب العرب فى كلامهم •••)

وقد وقع ابن خلدون نفسه فى هذه التجربة ففسدت ملكته الشعرية على الرغم من معاناته نظم الشعر ، وذلك بكثرة ما حفظه فى صغره وشبابه من المتون العلمية والفقهية والمنظومات الجافة التى منها قصيدتنا ((الشاطبى)) الكبرى

والصغرى في القراءات ، وكتابا ((ابن الحاجب)) في الفقه والاصول ، وكتاب ((الجمل)) للخونجي في المنطق ، وبعض كتاب « التسهيل في النحو لابن مالك » وكثير من قوانين التعليم في المجالس··· (فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب) ·

ويؤكد لنا هذا التقرير الصريح أثر حفظ النصوص الرديئة وتغلبها على الجيدة · فان النصوص العالية الطبقة التي حفظها مؤرخنا المفكر ابن خلدون قد توارت أمام النصوص الوطيئة الطبقة التي شحن بها ابن خلدون حافظته ، فجاء كله على غير الطبقة التي كان يرجوها

واذا كانت النصوص التي يحفظها الاديب تؤثر في انتاجه وتلونه بلون خاص،فان آثار مهنته وصناعته المعيشية تغلب على تعابيره وتبدو واضحة عليها · فقد سمع «ابن شعيب» – كاتب السلطان أبي الحسن المريني – البيت الآتي ينشده الكاتب الاديب أبو القاسم بن رضوان :

لم أدر حين وقفت بالاطلال
ما الفرق بين جديدها والبالي

فاستنتج ابن شعيب أن هذا الشعر لفقيه ، وذلك من قول الناظم :(ما الفرق) فانها من عبارات الفقهاء ··· وكان الاستنتاج صحيحا لان هذا البيت من شعر ابن النحوي الفقيه ·

وبلغ من تأثير « الحفظ » وأثره في عبارات الشعراء والمنشئين أن الشيخ « حسين المرصفي » – وهو الرائد الاول لدراسة الادب العربي وتاريخه في العصر الحديث ، واستاذ البارودي الشاعر وصديقه – قد اشترط على من يتصدى لانشاء الكلام نثرا كان أم نظما أن يكون ذا حافظة قوية ، وذاكرة مطيعة ، وفهم ثاقب ··· واستشهد في كتابه « الوسيلة الادبية » على صدق نظرية الحفظ بصديقه الشاعر محمود سامي البارودي الذي لم يتعلم النحو ولا البيان ولا اللغة على معلم ··· ولكنه اكتفى بحفظ أجود النصوص العربية القديمة،



● شيكسبير ●

فاستقامت له في الشعر والبيان ملكة تعرف مواقع الألفاظ في الكلام ، من غير معرفة بالنحو والصرف · ولكنه اشتغل بقراءة دواوين المشهورين من شعراء العرب وغيرهم ، حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها ، واقفا على صوابها وخطئها ، مدركا ما كان ينبغي وفق مقامات الكلام وما لا ينبغي ·· واذا كان الاستشهاد برجال الطبقة العالية في البيان والبلاغة ضروريا في هذا المقام . فاننا تحضرنا هنا عبارة للمرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ومدرسة « الرسالة » ، تؤكد لنا قيمة الاطلاع والمطالعة في اكتساب الذوق الادبي ، الذي لا يعلم ، وانما يكتسب بمخالطة الصفوة المختارة من رجال الادب ، ومطالعة الروائع ·· (واطلاع الكاتب على الامثلة الرفيعة من البيان الخالد ، يرهف ذوقه ، ويوسع افقه ، ويريه كيف تؤدي المعاني الدقيقة وتحيا الكلمات الميتة) ·

وعلى الرغم من مهاجمة سلامة موسى لكثير من الالفاظ والعبارات العربيه القديمة ، وعده اياها ((احافير لغوية)) – على حد تعبيره في كتابه : (البلاغة العصرية) ، ومحاولته اليائسة ليحمل الادباء والكتاب على دفنها بدلا من احيائها بالاستعمال ، فانه – بعد مناقشات كثيرة وعنيفة معه ، وحملات على كتابه هذا – قد عدل في آرائه بعض التعديل، فكتب في كتابه اللاحق الاول : (التثقيف الذاتي) فصلين عن الادب العربي القديم، والكتب العربية القديمة ، فاعطاها بعض حقها وان كنا نرجو لو كان اعطاها حقها الكامل الواجب لها في أعناق الابناء والحفدة من العرب المخلصين ··· ●

الرجل الذى حاولوا مصادرته :

ابن عربى

● بقلم : د . حسين مؤنس ●

تتمثل اعلى صورة وصل اليها تطور مذهب الافلاطونية الحديثة « عند مسلمى الاندلس المتفرع عن مدرسة ابن مسرة » فى شخص ابى بكر محمد ابن على بن عربى « ٥٦٠ / ١١٦٤ — ٦٣٨ / ١٢٤٠ » وقد عرف ابن عربى « محيى الدين » « بالشيخ الاكبر » وبابن افلاطون ، وقد ولد فى مرسيه فى بيت حسب وتقى وكانت اسرته على ثراء ولابد انه درس علوم الدين والادب دراسة شاملة وذهب به اهله وهو بعد طفل الى اشبيلية عندما استولى الموحدون على مرسيه وفى اشبيلية قضى سنوات طفولته وصباه .

ولم يبد منه فى سنه الباكرة انصراف الى حياة الزهد ، بل كان همه الاداب والصيد . وفى اشبيلية ايضا قرا القرآن والحديث ودرس الفقه على يد احد تلاميذ ابن حزم الظاهرى ، وكتب لبعض الولاة وتزوج بمريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجى وعند ذلك بدأ مجرى حياته يتغير ، وكان سبب ذلك التغير ما كان يسمعه من مواعظ زوجته التى ضربت له المثل الصالح فى الورع ، والحت عليه امه كذلك ان يقلع عما هو فيه ..

ثم اصابه مرض فلزم الفراش مدة تراءت له اثناءها منامات تمثل له فيها عذاب جهنم . وتوفى ابوه على بن عربى فى اعقاب ذلك ، وكان قد اخبر — اى ابوه — بيوم وفاته قبل حلول اجله بخمسة عشر يوما ، وتجمعت هذه العوامل كلها ودفعت به الى طريق الزهد والتصوف ، فنراه قبل سنة ٥٧٩ / ١١٨٤ — اى قبل وفاة ابيه وقد سلك الطريق ، ومصداق ذلك تشوف ابن رشد الى معرفته ، ولابد انه انصرف انصرافا عظيما الى دراسة كتب التصوف بعد ان اتجه الى هذا الاتجاه

ونذكر من اوائل اساتذته فى التصوف موسى بن عمراه الميرتلى الذى علمه كيف يتلقى الالهام الالهى وابا الحجاج يوسف الشبربلى « وشبربل قرية بالشرق على فرسخين من اشبيلية » وكان ممن يمشى على الماء — وأبا عبد الله ابن المجاهد ، وابا عبد الله قوم وكلاهما من أهل اشبيلية ، وقد تعلم منهما محاسبة النفس وكيف تكون .

بيد ان استاذه الحقيقى كان الاعتكاف

فكان ينفرد بنفسه اياما طويلة بين القبور يناجي ارواح الاموات .

ثم وقع بينه وبين شيخه ابى العباس العريانى جدل ، فظهر له الخضر ، وهو ــ كما يقول آسين « شخصية اسطورية تمثل زهاد المسلمين فيها ما اثر عن الربانيين اليهود وعلماء النصارى من اخبار تدور حول الياس النبى والقديس جرجس مختلطا باسطورة اليهودى التائه » .

وقد مارس ابن عربى حياة التصوف مع شيوخ كثيرين ، واخذ عنهم الكثير من رياضات الصوفية ، واخذ على الاخص عن عجوز تسمى نونه فاطمة بنت ابن القرطبية ، لزمها سنتين خادما ومريدا ، وشاهد بنفسه ما كان يجرى على يدها من ظواهر التنبؤ الغريبة .

وعندما احس انه استكمل عدته خرج يجول فى الارض ، وقضى بقية حياته متجولا ، فكانت بقية ايامه رحلة متصلة فى بلاد المسلمين والنصارى ، جابها كلها يتعلم ويعلم ويجادل ، كما يقول آسين . ولدينا اخبار عن المامه بمورور ، ومرشانة الزيتون ، ومدينة الزهراء ، وقبر فيق ، « قرية على مقربة من رندة » ، ثم رحل الى المغرب ونزل بجاية (حيث لقى الصوفى شعيب بن الحسن الاشبيلى المعروف بأبى مدين ، وبالغ ابن عربى فى وصف كراماته وفضائله وطريقته) . ثم الم بتونس حيث درس ماكتبه ابو القاسم بن قسى الزاهد وهو الذى بدأ ثورة المريدين فى غرب الاندلس على المرابطين ، وفى هذا البلد ظهر له الخضر مرة أخرى ، ثم مضى الى تلمسان ، وبعد ان قام بسياحات متعددة فى نواحى المغرب والاندلس استقر فى فاس سنة ٥٩٠ / ١١٩٥ حيث انصرف الى الدراسة والى الرياضة الصوفية فى الجامع الازهر (بعين الخليل من مدينة فاس . وجنة (حديقة) ابن حيون . هناك وقع له اول ماعرف من حالات الاشراق .. ويبدو ان العلاقات بينه وبين الموحدين لم تكن على مايرام ، وربما كان هذا هو الذى دعاه الى المسير الى المشرق ، ولكنه تلكأ بعض الوقت قبل الخروج اليه ، وزار مرسيه والمريه مركز جماعة ابن العريف ، وهناك كتب رسالته الصوفية «مواقع النجوم» وهى مدخل للمبتدئين فى سلوك الطريق يبين فيها كيف يمكنهم السلوك فيه دون حاجة الى مرشد روحى اى شيخ .

ثم قصد مراكش وفيها راى رؤيا جعلته يحزم أمره على المسير الى المشرق ، فخرج اليه ، وحل ببجاية (رمضان ٥٩٧ هـ) .

وعندما نزل تونس الف كتابه «انشاء الدوائر الاحاطية » وفيه يشرح تصوره المعقد الملتوى للكون بواسطة اشكال هندسية .

وفى سنة ٥٩٨ / ١٢٠١ توجه الى مكة وجاور فيها ، وهناك توثقت علاقته بأسرة ابى خاشعة امام مقام ابراهيم ، وتعلق بابنة له تسمى نظام ، وأوحى اليه تعلقه بها موضوع كتاب من اشهر كتبه وهو « ترجمان الاشواق » وهو من ناحية ظاهرة مجموعة من شعر العشق الذى قاله فى هذه الفتاة ، أما معانيه فصوفية المقصود بها الله والملأ الاعلى ، وحلاوة الفناء فى الخالق .. ثم زاد نشاطه فى التاليف ودخل فى سلك طريق اخوان مكة وتواترت عليه المكاشفات ، واخذ يخبر الناس عما سيحل بهم من المصائب ، وكتب كتابه « الدرة الفاخرة » وهو مجموع من سير الصوفية من اهل المغرب من شيوخه واخوانه .

ثم هدا واستقر فى مكانه ردحا من الزمن ، عاد بعده الى التجوال فسار الى الموصل سنة ٦٠١ / ١٢٠٤ وهناك لبس خرقة الخضر للمرة الثالثة على يد الشيخ الصوفى على بن جامع فى حفل احاطت به مظاهر تبين اهميته ..

ونجده بعد ذلك بسنتين (٦٠٣ / ١٢٠٦) فى القاهرة حيث ظهرت على يديه كرامات ومعجزات غريبة فى حلقة من الصوفيين كان مركزها حارة القناديل (وتسرب الى جمهور الناس قوله بوحدة الوجود ، واشتهر امره ، فتالب عليه الفقهاء ، واتهموه بالمروق ، فلم يعرهم اى اهتمام ، وقال ان نبا ذلك كان عنده منذ زمان طويل ، فقد

كشف الله له عنه ..

ولم يصبه اتهام الفقهاء اياه باذى لان السلطان العادل الايوبى كان متسامحا ، فقبل فى ابن عربى شفاعة صديقه ابى الحسن الباجى (نسبة الى بجاية بافريقية) وفسرت اراؤه تفسيرا رمزيا ، ولكن ابن عربى اصر على ما كان يقول به من آراء صوفية ولام صديقه ابا الحسن قائلا : « وكيف يكون مسجونا من حل الله فى جسده ؟ »

***

ثم مضى ابن عربى الى بلاد الروم ونزل قونية وسمع بامره الملك كيقاوس الاول (تولى عرش قونية سنة ٦٠٧ / ١٢١٠) وزاره وقال : « هذا تذل له الاسود .. » أو كلاما هذا معناه ، وامر له مرة بدار تساوى مائة الف درهم ، فلما نزلها واقام بها مر به فى بعض الايام سائل فقال له : شىء لله ، فقال : مالي غير هذه الدار خذها لك ! » فتسلمها السائل وصارت له !..

واجتذب نفرا من الناس فتتلمذوا له بسبب ماظهر عليه من علامات القطبية وهناك الف كتابى مشاهد الاسرار ورسالة الانوار ، ثم ساح بنواحي الاناضول حتى بلغ ابرد نواحى ارمينية حيث يتجمد ماء الفرات ، ثم عاد الى بغداد (٦٠٨ / ١٢١١) حيث لقى شهاب الدين السهروردى قطب الصوفية وتتلمذ له نفر من المريدين فى هذا البلد ومن بغداد كتب الى كيقاوس خطابا يعتبر وثيقة فى السياسة الالهية يطلب اليه فيه أن يشتد مع النصارى . وخطابه هذا يفيض بكراهية شديدة لهم وهى كراهية تتجلى فى كتبه الاخرى ثم قصد مكة سنة ٦١٠ / ١٢١٤ ، وفيها كتب «ذخائر الاعلاق» شرحا على ديوانه ترجمان الاشواق ، وقد رمى من وراء وضع هذا الشرح الى القضاء على الاراجيف التى كان الفقهاء وبعض أهل الدين يذيعونها حوله ، اذ استعظموا معانى العشق الواردة فى الترجمان وما تتحدث عنه من عاطفة حسية مادية ، وقد غابت عنهم المعانى الصوفية التى ارادها .

وتوجه بعد ذلك الى قونية فوجد كيقاوس قد خرج لحصار انطاكية فتوجه ابن عربى الى سيواس حيث راى فى نومه انتصار كيقاوس واستيلاءه على انطاكية ، فذهب الى ملطية ، ومن هناك وجه الى الملك خطابا بالبشرى ، ووصل الخطاب قبل أن تتحقق رؤيا ابن عربى ، وقبل سقوط انطاكية فى يد كيقاوس بعشرين يوما ، ثم قصد حلب حيث لقيه السلطان الظاهر غازى (صاحب حلب حتى سنة ٦١٣ / ١٢١٦) فاعجب به وبلغ من نفسه مكانة جعلته يقدمه على من كان حوله من الحاشية والفقهاء . وكان ابن عربى يبغضهم .

ثم اعتلت صحته ، وزاد ما كان يبدو عليه من مظاهر الجذب واضطراب العقل ، وفى هذه الحالة من الاعتلال الجسمى والعقلى كتب كتابه الحكمة الالهامية ، وهو رد على الفلاسفة ونقض لارائهم على طريقة الغزالى فى التهافت ، ثم مضى باحثا عن مكان معتدل الجو يلائم صحته ، واختار دمشق واستقر فيها من سنة ٦٢٠ / ١٢٢٣ الى وفاته وكان واليها الملك المعظم بن العادل من مريديه وفى دمشق كتب ثلاثة كتب هى «فصوص الحكم »،و «الفتوحات المكية» و«الديوان »،وفيها كذلك راى رؤيا شهد فيها الخالق سبحانه ، وفيها كذلك قضى اخريات أيامه ضيفا على قاضيها ابن الزكى ، وانصرف الى التاليف حتى ادركته منيته ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الاخر ٦٣٨ / ١٦ نوفمبر ١٢٤٠ ودفن بسفح جبل قاسيون خارج دمشق بالتربة الصالحية .

وقد اخذ اجلال الناس لابن عربى يزداد بعد موته فجعلوه قطبا شبه نبى ، ولم تلبث المأثورات المتداولة عنه بين تلاميذه أن صارت مصدرا لعدد لايحصى من الحكايات الاسطورية نسبت اليه ثم اختلطت بترجمة حياته وقد بنى

السلطان سليم العثمانى قبة كبيرة على قبره وانشأ مدرسة رتب لها الاوقاف وقد كانت هذه المدرسة قائمة لاتزال فى ايام المقرى على أوائل القرن السابع‌عشر وذكرها فى النفح .

***

قيل ان ابن عربى كتب نحو اربعمائة كتاب ورسالة ، وقد ذكر من ترجموا له الكثير من أساميها ونبذا عنهـــا ، وسنلم هنـــا بذكر مؤلفاته الثـلاثة الكبرى :

١ ــ فصوص الحكم : الفه ســـنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ .

الى هذا الكتاب يرجع الفضل فيمـا تمتع به ابن عربى من شهرة كبرى بين الصوفيين كمؤلف لكتب المكاشفات التى ترفع الحجب عما وراء الغيب ، وفيه يعرض مذهبه الغامض المتناقض فى‌وحدة الوجود على صورة ايحاءات .

٢ ــ الديوان الفه سنة ١٢٣٢/٦٢٩ : وهو مجموع من شعره معظم مافيه فاتر متكلف تنقصه الحيوية والواقعية اللتان يمتاز بهما شعره فى ترجمان الاشواق.

٣ ــ بيد ان اعظم كتب ابن عربى هو الفتوحات المكية فى معرفة الاسرار الملكية والمكية ، ونستطيع ان نقول انه جمع فيه كل ماذكره فى مؤلفـــاته الاخرى ، ونســـخته المطبوعة تقع فى اربعة الاف صفحة ، وقد اراد من وضع هــــذا الكتاب ان يبلغ صديقيه ابا محمد بن عبد العزيز التونسى وعبد الله بن بدر الحبشى ما فتح الله عليه به اثناء مقامه بمكة . وفاتحة الكتاب خطبة القـــاها بين يدى الخالق سبحانه وتعالى فى رؤيا رآها .

والكتاب فى مجموعه خمســــمائة وستون فصلا ، وقد كانت ضخامته سببا فى قلة انتشاره وان كنا نجد له شروحا متعددة ..

ولابن عربى مؤلفـــات اخرى كثيرة بعضها فى الزهد وبعضــــها الاخر فى التصوف ، واهمها محاضرات الابرار وهو اقرب الى نوع كتب المتفـــرقات الادبية وان كانت مادته كلها زهـدية صوفية كبقية كتبه كلها .

كان محيى الدين كغيـره من المفكرين المسلمين مكثرا من التواليف ، وكتاباته تتناول كل شىء من علوم وفقه وفلسفة وشرع وفلك وما الى ذلك . ونحن نلمح عنده زيادة على ما نجده عند غيره الاثر الذى خلفه فى مؤلفاته اختلاط المذاهب المتشعبة التى سمع بها اثناء سياحاته الطويلة او تحصلت له نتيجة لاتصـــاله باقوام ذوى عقائد شتى يختلف بعضها عن بعض اختلافا عظيمـا . وهو يقول فى ذلك انه لا يعرف طريقة مـن طرق الصوفية او فرقة من الفرق او عقيدة من العقائد لم يلق واحدا من السالكين فيها او ممن يعتنقونها ويمارســــون طقوسها قولا وعملا ، وان كل ماسطره فى كتبه فمنه ماشاهده ومنه مانقله من كتب مشهورة رواها سماعا او قراءةاو مداولة او كتابة .

ويقول آسين ان الاسلام فى عصرابن عربى كان قد تمثل علوم اليونان جميعا، وذلك بفضل الدراسات الفلســـفية اللاهوتية التى قام بها ابن ســــينا والغزالى ، وابن حزم ، وابن رشد . واعقبت مذاهب الصوفية البســيطة الاولى مذاهب ذات طابع نظـرى غالب وهى فى اساسها تتجه نحو القول بوحدة الوجود وتقوم كلها على محاولة التوفيق بين شتى المذاهب والاراء وهى محاولة متشعبة محيرة .

هذا ، وشيوخ ابن عربى فى علوم اهل الباطن يعدون بالمئات ، والكتب التى‌يبدو انه قراها وعرف مافيها فى التصـــوف وغيره لا تحصى ، وهذه الاراء كلها التى تجمعت لديه من مصادر مختلفة اشـد الاختلاف كان لابد ان تختمر اختمـارا صاخبا فى راسه ، وكان ذهنه مستثارا مضطربا بسبب ماركب فى طبعه من مزاج صوفى بالغ القوة وبسبب ماكان يعانيه من جذب غير عادى ، ذلك كله ، فى راى آســـين ، يجعل عرض مذهبه عرضا علميـــا امرا عســـيرا جدا . ●

شخصيات ومواقف في دنيا الفكر والأدب

● فتحي رضوان ●

● بين اساطين الادب فى بلادنا ، والبلاد العربية كلها — اثنان — غمطنا حقهما ، ونحسنا مقدارهما ، فماتا فى وحشة قاسية ، ووحدة باردة ، كانما اثما فى حق الوطن وارتكبا جرما عظيما . والعجيب انهما يجتمعان فى الكثير . فقد بكرا فى الظهور على المسرح الادبى ، فكانا علمين من اعلام الادب والشعر ، وهما فى اوائل سنى الشباب ..

وقد ارتبطا فى هذه السن الصغيرة، باكبر الادباء والشعراء ، ثم ما زالا يمنحان الشعر والنثر ، وفنونا اخرى من القول والفكر ، الغالى والثمين من نتاجهما ، وآثارهما حتى اذا نضجت ملكاتهما ، واستوت مواهبهما ، واصبح جنى ثمارها ، شهيا وغنيا وناضجا — ادارت لهما دنيا الفكر ظهرها ، واصمت عن صوتهما اذنها .. وما زالت تنأى عنهما ، وتنسى وجودهما ، حتى اصابت كلا منهما مصيبة الوهم ، فشعرا بان الدنيا امتلات بالاعداء ، تطاردهما وتتوعدهما بالويل والثبور ، والشر المستطير ..

وطالت المحنة ، وعلت اسوار العزلة، وتردد الموت طويلا فى ان يمد لهما يد المعونة ، لينقذهما مما هبطا اليه .

أولهما عبد الرحمن شكرى الذى ولد فى بور سعيد سنة ١٨٨٦ فى الثانى عشر من اكتوبر منها ، والذى توفى فى الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٥٨ بالاسكندرية ، بعد اثنين وسبعين عاما.

وثانيهما محمد صبرى الذى عرف بين الادباء باسم « السربونى » الذى توفى فى ١٨ من يناير سنة ١٩٧٨ وهو فى الرابعة والثمانين لانه ولد فى سنة ١٨٩٤ بعزبة المرج .

لحق عبد الرحمن شكرى — بمدرسة الحقوق — بعد أن أتم دراسته الثانوية فى سنة ١٩٠٤ ، وبقى بها عامين ، ولكن حينما احتدمت الاحداث بفعل دعوة مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطنى وزعيمه ، وقف عبد الرحمن شكرى فى صف المواطنين ، وأعلن دعوتهم ، وفى احدى المظاهرات ، القى زميله عبد الحميد بدوى « الذى أصبح فيما بعد الدكتور عبد الحميد بدوى باشا القاضى الدولى » قصيدة لعبد الرحمن مطلعها:

ثباتا فان العار أصعب محملا

من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

فعرفت السلطات أن عبد الرحمن شكرى ، هو ثائر وأن بقاءه بين صفوف طلبة مدرسة الحقوق سيجعل استتباب الدراسة مستحيلا ففصلته ، فذهب الى الزعيم مصطفى كامل ، ليلحقه بجريدة اللواء محررا ، ومترجما ، ولكن الزعيم نصحه بأن يتم تعليمه فى مدرسة عليا اخرى ، وأطاع الشاعر الشاب فلحق بمدرسة المعلمين العليا ، واصدر وهو



عبد الرحمن شكرى



عبد القادر المازنى

بعد فى السنة الاولى من سنيها ديوانه الاول المعنون « ضوء الفجر » وكان فى الثالثة والعشرين من عمره فاستقبله حافظ ابراهيم بالترحاب والحفاوة ونظم فيه شعرا جاء فيه :

افى العشرين تعجز كل طوق
وترتصلن باحكام القوافى
شهدت بان شعرك لا يجارى
وزكيت الشهادة باعترافى
لقد بايعت قبل الناس شكرى
فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

وعن اثر شكرى فى زملائه وفى مقدمتهم الكاتب العظيم ابراهيم عبد القادر المازنى قال المازنى فى مقال له بجريدة السياسة فى ٥ من ابريل سنة ١٩٣٠ :

من اللؤم الذى اتجافى بنفسى عنه ان أنكر ان « شكرى » اول من أخذ بيدى وسدد خطاى ، ودلنى على الحجة الواضحة ، واننى لولا عونه المستمر لكان من الارجح أن اظل اتخبط أعواما اخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن اضل طريق الهدى ..

وقال عن ديوان شكرى الاول :

وقد اخرج « شكرى » أول جزء من ديوان شعره ، وهو فى السنة الاولى « من مدرسة المعلمين ، فكانت له ضجة ، وكان هذا الديوان بداية اقتحام المذاهب الجديدة فى الادب للميدان وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقى وحافظ ، واضرابهما ، وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار استاذى وهو زميلى »

وبعد ان تخرج شكرى فى مدرسة المعلمين سنة ١٩٠٩ ، ارسل الى انجلترا ، ليطلب مزيدا من العلم فى التاريخ القديم والحديث ، والتاريخ الدستورى ، والعلوم السياسية والاقتصادية ، والجغرافيا ، والادب الانجليزى فى جامعة شيفلد ، نبقى هناك ثلاثة أعوام ، وعاد فى ٣١ من أكتوبر سنة ١٩١٢ ..

ولما عاد عين مدرسا للتاريخ واللغة الانجليزية بمدرسة راس التين وفى سنة ١٩١٣ ظهر الجزء الثانى من ديوانه وفى سنة ١٩١٥ طبع الجزء الثالث ، وفى سنة ١٩١٦ ظهر الجزء الرابع والخامس ، كما نشرت له ثلاثة كتب هى « الثمرات وحديث ابليس والاعترافات » ، وفى سنة ١٩١٨ ظهر كل من الجزء السادس من الديوان وكتاب « الصحائف » وفى سنة ١٩١٩ ظهر الجزء السابع ، وقصة الحلاق المجنون .

وقد عاش عبد الرحمن شكرى الشاعر الاديب الناقد ، الفترة ما بين سنة ١٩١٢ و سنة ١٩٢٨ مدرسا بمدارس الحكومة الثانوية ثم ناظرا لبعضها ، واخيرا مفتشا ، ولم يكن يعجبه اسلوب التعليم ولا مناهج الدراسة ولم يكن قادرا على تغيير شىء مما يضيق به صدره ، ويرى فيه الضرر لابناء وطنه الناشئين ، ولم يكن قادرا فى الوقت نفسه ، أن يهيىء نفسه للعيش فى الجو الحكومى الرتيب البارد ، الخالى

من حرارة الايمان بشيء أو الجهاد في سبيل شيء ، فنفد آخر الأمر صبره ، والقى باستقالته في وجه الحكومة ، وقنع بمعاش قليل ، ومضى الى بلده بورسعيد، دون أن تحدث هذه الاستقالة عند احد شعورا بالاسف أو الاحتجاج ، ودون أن يتحرك احد ممن يعرفون قدر شكري الشاعر والكاتب والناقد ، ليفسح له مكانا في دنيا الصحافة الادبية منوها بتحرره من قيود الوظيفة ، فاخلد الى العزلة .

وكان قد طوى النفس على جرح عميق ، أصابه من يد صديقه وزميله وتلميذه وشريك جهاده ابراهيم المازني، الذي ضاق بنقد شكري لشيء من شعره واتهامه اياه بسرقة افكاره من شعراء الغرب فهاجمه في قسوة وضراوة، غير مبق على الود القديم ، ولا مقيما وزنا لوحدة الفكر بينه وبين شكري فقال فيما قال ضد شكري في كتاب « الديوان » — الذي أصدره مع زميله العقاد :

« شكري صنم ولا كالاصنام ، القت به يد القدر العابثة في ركن خرب على ساحل اليم .

« صنم تتمثل فيه سخرية الله مبدع الكائنات المضحكة ، ورازقها القدرة « على جعل مصابها فكاهة الناس ، وسلواهم » ..

وقد مر بنا رأى المازني نفسه في هذا « الصنم » الذي نعته بهذه النعوت ، وقد يحسن ان نذكر راى العقاد نفسه في مقال له نشر بمجلة الهلال في أول فبراير سنة ١٩٥٥ فقال :

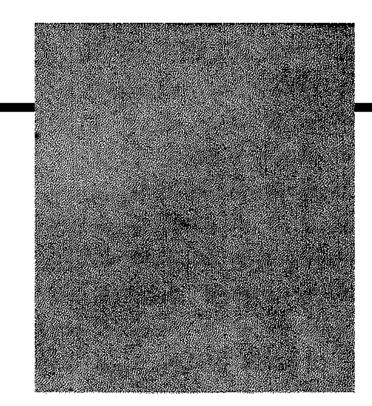
« عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس واربعين سنة ، فلم اعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا ، على أدب اللغة العربية وادب اللغة الانجليزية . ولا اذكر أنني حدثته عن كتاب قرأته الا وجدت منه علما به واحاطة بخير ما فيه وكان يحدثنا احيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت اليها ، وقد كان على سعة اطلاعه صادق الملاحظة نافذ الفطنة حسن التخيل » ..

وقال العقاد في مقال آخر :

« ان ما قاله شكري لصحبه وتلاميذه في توضيح رايه لأضعاف ما كتبه ونشره في دعوته ، لانه كان مطبوعا على التعقيب الجامع الناقد على مطالعاته ومطالعات غيره » .

ولكن ماذا تجدى هذه الموهبة العظيمة ، وتلك القدرة الفريدة ، وهذا الاطلاع الواسع ، وشكري قد ضاق ذرعا بالمجتمع الرسمي ، ولم يحفل به المجتمع الشعبي ، فآوى الى ركن كالحيوان الجريح ، يخشى ان يطارده صبية الطريق بالاحجار والعصي .. عاش شكري في بيته ببور سعيد ، وكان قد ورثه عن ابيه مع اخوته ، حتى دكت قنابل الاستعمار في حرب السويس سنة ١٩٥٦ هذا المنزل فاحالته انقاضا ، ثم لجا الى بيت في سيدي بشر بالاسكندرية بعد أن أصيب بالفالج ، ومعاشه لايزيد ، واخوانه عارفو فضله لا يذكرونه ، وهو يوالي بعض الصحف بمقالات نقدية موقعا عليها بحرفي ع . ش . ولا أحد يسأل من هو صاحب هذه المقالات التي لايمكن ان يجرى بها الا قلم متمرس ، قرأ صاحبه آلاف الصحائف في شتى فنون الشعر والنثر ، وكتب التاريخ والقصة ..

ثم مضى عبد الرحمن شكري ، بعد أن وافاه الاجل في شقته المطلة على البحر ، في الساعة الثانية من يوم شتاء تلبدت سماؤه بالغيوم ، تاركا وراءه ما يمكن ان يؤلف كتبا لا نظير لهاولا







حافظ ابراهيم

شبيه فيما يقرؤه تلاميذ الادب ومحبوه، دون ان تنشر على الناس ، فيجدون فيها زادا عظيما لنفوسهم وعقولهم ..

***

ولا يختلف الامر مع محمد صبرى ، عنه مع عبد الرحمن شكرى ..

فقد تفتحت عبقريته ، وهو فى السادسة عشرة من عمره ، اذ أخرج فى سنة ١٩١٠ الجزء الاول من كتابه « شعراء العصر » ، وقد قدم مصطفى لطفى المنفلوطى لهذا الجزء . فاعجب لصبى فى الرابعة عشرة ينجح فى اقناع امير الكتاب وسيدهم فى ذلك العهد ، بان يقدم لباكورة اعماله ، ولما اصدر الجزء الثانى من هذا الكتاب ذاته قدم له شاعر العراق جميل صدقى الزهاوى، ونشر فى المقدمة نظريات فى الشعر ، بقيت مرجعا لشعراء العراق .

وقد حدثت مفارقة طريفة لمحمد صبرى فى مطلع حياته الادبية حققت له شهرة عظيمة من حيث لا يحتسب ، فقد وقعت الحرب الطرابلسية « حرب طرابلس فى سنة ١٩١٢ » عندما غزت ايطاليا ليبيا ، فأثارت جزع المسلمين والعرب ، فتواصوا بجمع التبرعات لارسالها الى الجيش العثمانى ليرد عادية الطليان على بلد من بلاد العروبة والاسلام ، والهمت هذه الواقعة (محمد صبرى) بشعر ارسل به الى جريدة الاهرام ، وامهره باسمه ، ولكن يبدو ان محرر الجريدة خلط بين اسمى محمد صبرى ، واسماعيل صبرى ، فنشر القصيدة بامضاء اسماعيل صبرى باشا الذى كان آنذاك من كبار شعراء مصر ، وكبار موظفيها اذ كان مستشارا لمحكمة الاستئناف ثم وكيلا لوزارة العدل ...

وفوجىء الشاعر الكبير ، بنسبة هذه الابيات له ، وفى نفس يوم نشرها تلقى برقية تهنئة من احمد شوقى امير الشعراء ، وكان فى الاسكندرية يصطاف ، ومضى بعد ذلك « محمد صبرى) الشاب الصغير الى اسماعيل صبرى باشا فلقيه فى حديقة قصره ، فلما اهل عليه ، وقف فاتحا ذراعيه ليتلقى بينهما هذا الشاعر الموهوب ، الذى ارتقى شعره الى مرتبة الشعراء الفحول .. وضمه اليه وهو يصيح ترحيبا وابتهاجا :«ان مستقبلك واسع واسع ... »

ولست ادرى ماذا كان يمكن أن يقوله الشاعر الكبير ، لو امتد به العمر، ورأى (صبرى) مغمورا منسيا ، ولو علم ان الذين شيعوا جثمانه الى قبره لم يزد عددهم على أصابع اليدين ، ليس فيهم من يمثل هيئة او جهة رسمية من جهات الفكر والتعليم والصحافة التى يعمل فيها كلها .

اتم محمد صبرى تعليمه فى مصر ثم سافر الى فرنسا ، ليحصل على ليسانس السوربون ثم ليحصل على (دكتوراه) الدولة من الجامعة الشهيرة ذاتها برسالة

شخصيات ومواقف في دنيا الأدب

عن ميلاد القومية المصرية ، فكان اول عربي يحصل على هذه الشهادة المنيعة

وانفجرت ثورة سنة ١٩١٩ ، وسافر وفد برياسة سعد زغلول ليعرض ظلامة مصر على مؤتمر السلام بفرساي بجوار باريس فسدت السبل في وجه الوفد وردت امانته كل ما أرسله الوفد المصرى من مذكرات وعرائض ، ردت اليه دون ان يفض مظروفها .. واتجه الوفد الى الرأى العام ممثلا في الاحزاب والصحف واحتاج الى كاتب يعرف الفرنسية ، ويعلم تاريخ مصر الحديث ، فكان ذلك هو محمد صبرى الذى الف كتابا من جزءين عنوانهما الثورة المصرية .صدر اولهما في سنة ١٩١٩ والثانى في سنة ١٩٢١ ، كما نشر في سنة ١٩٢٠ كتابا اخر بعنوان ((المسالة المصرية)) ، وقد اثنت الصحف الاجنبية على هـذه الدراسات العلمية السياسية التاريخية المؤيدة بالوثائق ، المعززة باكبر المراجع ، المسوقة في اسلوب علمى جاد وامين .

ثم توالت كتبه الوطنية التاريخية بعد رسالة الدكتوراة التى قدمها للجامعة سنة ١٩٢٤

ولما كلف الملك فؤاد المؤرخ الفرنسى ((هانوتو)) أن يضع كتابا في موضوع تاريخ مصر في القرن التاسع عشر ، حفزه ذلك لان يتجه هو الى تأليف كتـابين عن الامبراطورية المصرية في عهد محمد على واسماعيل في الجانب الشرقى من افريقيا ، وطاف عواصم أوروبا على نفقته الخاصة ، باحثا عن الوثائق ، بعد أن قرأ وثائق قصر عابدين التى كانت باللغة التركية مستعينا بصديقه سـامى السراج الصحفي السورى الذى كان يتقن التركية . وقد تلقت المحـافل الجامعية في اوروبا هذين المجلدين بأعظم عبارات التقدير والترحيب

ولما عرضت قضية مصر على مجلس الامن سنة ١٩٤٧ ، كلف النقراشى باشا الدكتور صبرى بوضع كتـاب عن ((السودان المصرى)) فخرج الكتاب آية من آيات العمل العلمى وأثرا من آثار الوطنية المستنيرة وليس في الوسع أن نتعقب جميع آثار ((الدكتور محمد صبرى)) التاريخية والادبيـة ، والتى بلغت امهاتها ٣٢ مجلدا ضخما في كل فرع ودرب من دروب التاليف ، وقد اراد ان يتفوق على نفسه ، في سنيه الاخيرة بعد أن ضاقت عليه حلقات عزلتـه ، وشعوره بالاضطهـاد ، وخوفه من المستقبل ، وتوقعه لكل شر ، بعـد أن ضعفت اعصابه ، وساء رايه في الناس اجمعين .. ـ فالف في هذه الفترة وما قبلها بقليل ثلاثة اجزاء من الشوامخ تناول فيها في سـنة ١٩٤٤ ((امرأ القيس)) ، وفي الجزء الثانى : ((الشعر الجاهلى خصائصه وأعلامه)) .وفي الجزء الثالث سنة ١٩٤٦ ((ذو الرمة)) وفي الجزء الرابع سنة ١٩٤٦ ((ابو عبـادة البحترى)) فكانت هى الشوامخ ، وكان اسلوبه في النقد الادبى ، ومنهجه الذى التزمه في هذه الموضوعات الادبيـة ، تجديدا جديرا بأن يقام له من أجله النصب والتماثيل على أبواب كليـات الآداب ، وفي دور العلم ، والبحث ...

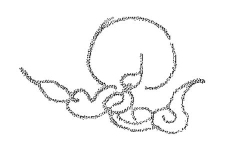
ثم اضاف الى هذا الجبل الشامخ ، كتابه الفريد ((الشوقيات المجهولة)) في جزءين صدر أولهما سنة ١٩٦٠ والثانى في سنة ١٩٦١ ، فكانا معا ابتكارا يدل على مافى قلب محمد صبرى ، من حب متقدم لبلاده وادبه وشعرائها وتاريخها ، وما الهمه هذا الحب من صبر عـلى البحث ، وسهر في الدرس ، ثم قدرة على التعبير تبلغ حدا يأخذ بالالباب ، ويثير أعظم الاعجاب .

ولكن كل هذا الذى عمله محمـد صبرى ، مضى مجهولا من اكثر الناس ، ومن الصحف ، ودوائر العلم ، ولكنه لن ينسى قط ، فالاذهان والقلوب ستتلفت اليه ، وتقف امامه ، وتطيل التامل فيه والاخذ منه .

مرافئ الأهداب

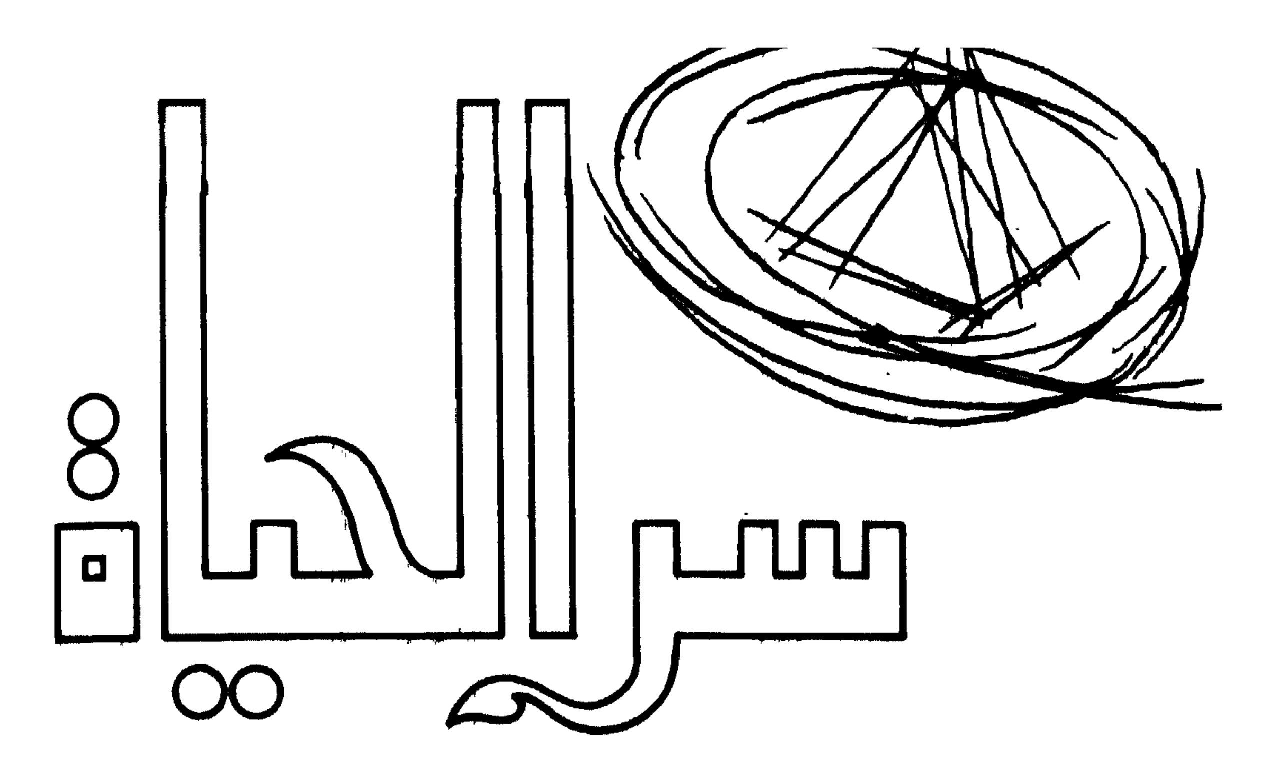
● فوزى عطوى ●

لمَنْ حبِّى ، وشَوقِى ، وانعطافِى
إذا لم تَوحِ عيناكِ القوافِى ؟
وأنتِ أرَقّ مَن لثَمَتْ جفون ،
وأنضَرُ مَن تَدَثّر بالعفافِ ؟!
ولِى قلبٌ ـ حَنانكِ الله ـ غِرٌّ :
ولكنْ رائقُ الأحلامِ ، صَافى
تَمتّع بالأزاهرِ ؛ لا تُراعِى ؛
وأولعَ بالأطايبِ ، لا تَخافى !
تلفّتَ ، والجمالُ له مُبَاح ،
فلَمْ يلم الالتفاتاتِ الدّوافى
ولمّا أن رددْتِ إليه رشدا ،
فأضحَى فيه سحركِ غيرَ خاف
سألتُ ، مُداعبا : يا قلبُ مَالِى
أراكَ تميلُ فى غير انحرافِ ؟
عهدتُكَ لا تَقَر على ضفاف ،
فمالَك تَستريحُ على الضفاف ؟!
تلفّتْ !.. فالربيعُ السّمْحُ نَقّى
فؤادى ، فاطمأنّ إلى الكفاف !
ونيسانيّة ؛ لولا شَذاها ،
لأنكرتُ استيافى وارتشافى
إذا ما رقرَقتْ صوتا ، تَراءَى
شَهى الشّوقِ فى ثغرِ السلافِ
ترفرِفُ ، فالجنائنُ مونِقات ،
وتبسمُ ، فالخمائلُ فى المطافِ !
حبستُ الطّيبَ إلاّ عن رفيف
تَنَمنمه بأهدابٍ لِطافِ
فلولاها ، لما سَلسلْتُ لَحنى ،
ولا أصغَيتُ بَوْحِى واعترافى
لقد حطّمتُ أوثانى ، فأضحَتْ
تَنَزّلُ من فؤادى فى الشغافِ .





● فوزى عطوى ● ● بيروت ●



سر الحياة

● محمد الحديدى ●

● الاطباق الطائرة ليست سوى ظواهر جوية .. والاجسام المضيئة التى تظهر فى الليل ، او «يوفو» كما يسمونها ، ليست سوى اسراب من الحشرات تنعكس عليهـا اضواء الليل وتعطينا هذه التهيؤات . وليس هناك أدنى احتمال لوجود زوار من الفضاء الخارجى ، لان الانتقال من نجم لآخر (وليس من كوكب لآخر فالكواكب المعروفة لنا لا تصلح للحياة) يستغرق آلاف السنين ..الخ، الخ..

فهل هذه هى نهاية الاحلام ، فى الوقت الحاضر على الاقل ؟

لا يبدو أن الامر بهذه السـهولة ، فهنـاك قائمة لا نهاية لها من هـذه « النظريات » التى لم نعد نستطيع ان نرفضها أو نقبلها ، والبعض منها يدرس فى أرقى جامعات الغرب ، بل والشرق أيضا .. وفى ذات الوقت هناك الكثير مما ثبت انه مجرد خيالات يفرح بها الناس فى لهفتهم منذ آلاف السنين الى اكتشاف المجهول والاتصال بأحبائهم الذين سبقوهم الى عالم آخـر ، او الاحساس بأنهم ليسوا وحدهم فى هذا الكون الهائل المخيف والله أعلم اى الحالين افضل ، الى آخر هذه الامنيات العزيزة القديمة ..

لنأخذ «مجال الحياة» مثلا، أصحاب هذه الفكرة يبنون اعتقـاداتهم على أن بعض الكائنات تستطيع أن « تحس » بوجود كائنات حية اخرى بالقرب منهـا دون أن تكون قادرة على تمييز ظـواهر الحياة المعروفة : الحركة ، والتنفس .. الخ ، هناك مثلا نوع من الاسماك يعيش فى أنهار افريقيا الوسطى ، يسـمى « جيمنارکوس » ، هذه السمكة ضعيفة الابصار ضامرة العينين الى حد انهـا لا تميز بين الضوء والظـلام ، وهى تتغذى على الاسماك الدقيقة والديدان المائية وتتعقبها فى عتمة المياه الحمـراء بقدرة عظيمة على الاحساس بوجود هذه الفرائس المتناهية الصغر ، هذه الاسماك « ترى » بالكهرباء ، فعلى الرغم من انها عمياء ، فهى مزودة بمجموعة من العضلات التى تعمل على توليد شحنة كهربائية تسرى الى قطبين يرسلان دفعات كهربائية بمعدل ثلاثمائة نبضة فى الثانية ، فى كل نبضة منها يكون ذيل السمكة قطبا سالبا بالنسبة لرأسها وتعمل كأنها قضيب مغناطيسى مكونة مجالا له خطوط

● هل صحيح أن كل كائن حي تحيط به هالة كالمجال المغناطيسي - هي مجال الحياة ؟!

● هل صحيح أنك إذا قطعت جزءاً من ورقة شجرة فإنه توجد طريقة لتصويرها فوتوغرافياً بحيث يظهر فيها طيف الجزء المقطوع ؟!

● هل صحيح أنك إذا صنعت أنموذجاً دقيقاً لهرم خوفو ووضعت فيه شفرة حلاقة صدئة، فإنك في الصباح تستطيع أن تحلق ذقنك بها ؟!

● هل صحيح أن في الفضاء ثقوباً سوداء تلتقط أي شيء يقترب منها فتختفي إلى الأبد لأنه من خلالها ينتقل إلى عالم آخر ؟!

قوى تنبعج حولها كخطوط الشمامة أو كوز انعسل ، فاذا كان الفراغ المحيط بها كله ماء ظلت خطوط القوى متماثلة، اما اذا اقترب منها أى جسم ـ حيا كان أم ميتا ـ فان هذا يؤدى الى تحريف خطوط القوى ثم الى تفاعل عصبى سريع يمكنها من أن تتجنب الاصطدام بالاجسام الصلبة ..

الى هنا والأمر عادى فالخفاش « يرى » باذنيه ، يرسل موجات لا نسمعها نحن ويلتقطها كالرادار ،وبذلك يستطيع أن يطير بسرعة عظيمة قريبا جدا من الحوائط والسقوف ، ولكن السمكة الافريقية لا تكتفى بذلك ، فهى تعرف فريستها بالتفاعل المغناطيسى بينها وبين مجال الحياة لهذه الديدان او الاسماك الصغيرة ،وهى تهملها اذا كانت ميتة وتتعقبها اذا كانت حية ، مع انها فى كلتا الحالتين لا تتحرك ، واذا تحركت فانها تكون أبعد من أن «يحس» بها المجال المغناطيسى المحيط بالسمكة ... التفسير الوحيد يبدو انها تلتقط الاشعاع الكهربائى من مجال الحياة ..

● الحياة والكهرباء ●

وبينما تتفاوت الكائنات الحية فى درجة « الكهرباء » ، فانه من المعروف أن الاحياء المائية أكثر اعتمادا على الكهرباء العصبية والعضلية من كائنات البر لأن الماء اجود توصيلا من الهواء مما يستلزم جهدا كهربائيا عاليا خارج حياة البحر ، ولكن لا يمنع أن كل صورة من صور الحياة تنشىء حولها مجالا كهربائيا ضعيفا يختفى بمجرد « موت » هذا الكائن .

وقد جرب باحث فى جامعة «ييل» ان يستمد طاقة كهربائية من مجال الحياة الذى يحيط بحيوان السالاماندر، وهو حيوان بر مائى صغير ،جعله يسبح فى حوض من الماء المالح وادار حوله طبقا معدنيا بطريقة تشبه دوران الموصل الكهربائى فى المجال المغناطيسى وسرعان ما تولد تيار ضعيف ، لا يتولد عند اخراج السالاماندر من الحوض ..

بل ان المرض بداء يهدد الحياة ـ قد وجد انه يؤثر على مجال الحياة ، حتى فى مراحله الاولى ، ولكن العالم المذكور ـ واسمه هارولد بير ـ لم يستطع ان يثبت ان التأثير على هذا المجال يؤدى الى تغيير فى الحياة الفيزيائية أو البائولوجية للكائن ، وبذلك انهارت دعواه القائلة بان مجال الحياة هو الروح وان هذا المجال يبقى بعد الوفاة الجسدية

ولكن هارولد بير مضى فى تجاربه ليثبت ان مجال الحياة شىء له وجود مستقل عن عالم الفيزياء المادية ، وان يكن كهربائيا فى طبيعته ، وامكنه ان يثبت ان مؤثرات هذا المجال بيولوجية فى المقام الاول ، واشترك مع احد اطباء التوليد فى تجربة على مائة سيدة اثبت بها العلاقة بين مبادىء سرطان الرحم ـ وهو مرض يهدد الحياة وقياسات مجال الحياة ، حتى قبل ان تصبح اعراض المرض واضحة .

ويقاس المجال بالفولتميتر « مقياس الجهد الكهربائى) ولكنه لا علاقة له بالموجات المخية أو النبضات التى تستخدم فى رسم القلب الكهربائى ،وان كان لا يزال ممكنا ان يكون مجموع كل

الظواهر الجسدية ذات التأثير الكهربائي أو الكيميائي ، ويمكن الاحساس به دون الحاجة الى التلامس مع الجسم الحي ، واذا كان الانسان ـ مثلا ؟ ـ في صحة جيدة تماما ، فان الارتفاع والانخفاض في الجهد الكهربائي لمجال الحياة يكونان على درجة من الانتظام تمكن من التنبؤ المبكر بأي اختلال في المستقبل ، وبالتالي بامكان ادلال هذا الشخص على الاوقات المناسبة أو غير المناسبة لأي عمل يقوم به ، بعبارة اخرى « بخت » هذا الشخص ..

وبينما يصعب أن نربط مقياس الفولت الكهربائي على جسم انسان لعدة شهور ، فان كائنا حيا كالشجرة لن يعترض كثيرا على مثل هذا الاجراء ، وقد اجريت هذه التجربة على شجرة سنديان واستمرت ثلاثين سنة ، واظهرت مدى تأثر الكائن الحي بكهرباء العواصف الرعدية ، وانه حتى الشجرة تتأثر بدورات الشمس والقمر سواء اليومية منها أو الشهرية ، ومن المعروف ان طلوع الشمس والقمر والكواكب يحدث تغيرات في مغناطيسية الكون المحيط بنا ، مما يؤثر على المجال المغناطيسي للأرض ، وبالتالي فان مجال الحياة المحيط بالكائنات الارضية يتأثر بكل هذه الظواهر ، مما يوجب القليل من التروي قبل ان نرفض نصائح الفلكيين وتنبؤاتهم ! .

وقد كان يمكن أن نصبر قليلا على العلماء الذين يقولون بأن مجال الحياة هو الروح لو انه ـ هذا المجال ـ كان يبقى بعد موت الجسد ، ولكن الذي استطاعوا أن يثبتوه لا يعدو وجود المجال مع وجود الحياة الجسدية ، ولكن الحقيقة تبقى وهي ان سمكة « جيمناركوس » التي سبق ذكرها لا تستطيع أن تميز بين فريسة ميتة وانموذج شمعي يشبهها ، كلاهما خال من الحياة .

والعلاقة وثيقة بين الحياة والكهرباء ، وهي تفسر تأثر الحياة على الارض بالاحداث التي تقع خارج المجموعة الشمسية. فالى جانب الضوء الذي يأتينا من النجوم ، هناك قدر من الطاقة يأتي على هيئة اشعة كونية ذات ذبذبة عالية جدا وموجات قصيرة جدا، اغلب هذه الاشعاعات يمتص في الغلاف الجوي وتستهلك بعض طاقته في تحويل ثاني اكسيد الكربون الى كربون ١٤ ذي النظائر المشعة التي تخترق كل الاجسام الحية والتي يمكن بها تقدير اعمار الحفريات . اما بقية الطاقة التي تأتي مع هذه الاشعاعات الكونية فتعمل على « تأيين » الهواء، أو تقسيم غازاته الى ذرات تحمل شحنات كهربائية، وهذا هو الغلاف الذي يحيط بالأرض على ارتفاع حوالى مائة كيلومتر ويسمى الغلاف الايوني ، وهو الذي يعكس الموجات اللاسلكية ويمكننا من استقبال الاذاعات ذات الموجة القصيرة من اماكن بعيدة ، فهي تصطدم بهذا الغلاف غير المرئي راجعة الينا بدلا من ان تعوقها كروية الارض .

جزء من هذا الهواء « المتأين » ينساب الى الهواء المحيط بنا ويأتي على هيئة « أوزون » وهذا اكسوجين تتكون جزيئاته من ثلاث ذرات بدلا من اثنتين ، احداها سهلة الانفصال، ومن هنا يأتي تأثيره القاتل على البكتريا التي لا تحتمل الذرة المنفصلة التواقة الى الاتحاد الكيمائي الفوري، ويمكننا أن نشعر بوجود « الاوزون » في الجو عندما يتوفر ، فله رائحة منعشة تشبه رائحة البحر ، ولكن المهم هو أن الهواء « المتأين » قد تحمل ذراته شحنات كهربائية موجبة او سالبة ، كثرة الموجب تشعر الانسان بالانقباض ، والعكس بالعكس ..

مثل هذا التغير يدل على أن مجال الحياة لكل انسان يتأثر بنوع الشحنات الغالبة على الهواء « المتأين » ، ويقول العلماء الذين يحبون هذا « الموضوع » ان مجال الحياة يتأثر بالقمر ـ كما

سبق — وبما يحدثه من تغيير في المجال المغناطيسي للأرض ، هذا التغيير يحول شحنات مجال الحياة عند اكتمال القمر وارتفاعه الى شحنات موجبة ، يؤدي هذا الى اجتذاب المزيد من الشحنات السالبة الى اجسامنا وبالتالي الى حالة « اغتباط » فجائية قد تكون هي السبب في الاعتقاد القديم بأن النوم في ضوء القمر يسبب الجنون ، وفي اتخاذ كلمة « ليوناتيك » وهي انجليزية للدلالة على نفس الشيء ، ومعناها « قمري » — كما قد يكون في هذا ايضا تفسير لظاهرة تزايد الاستعداد للنزف عند ارتفاع القمر ، ويذهبون الى حد ايجاد العلاقة بين ظواهر الحيض عند الاناث وكون هذه الدورة قمرية ايضا، كائنا ماكان الامر، فنحن جزء من هذا الكون الكبير وكل شيء فيه ، مهما كان الفاصل الزمني او المكاني بيننا وبينه ، له علينا تأثير اشد واوثق مما نعرف .

● الاستجابة الذبذبية ●

اذا اتينا بشوكة رنانة من النوع الذي يستخدم في معامل الفيزياء لاجراء تجارب الصوت ، وطرقناها فانها تهتز بذبذبة معينة ، فاذا قربناها من شوكة اخرى مماثلة لها فانها ستهتز استجابة للذبذبة الاولى وبتأثير انتقال طاقة الذبذبة عن طريق الهواء ، وهكذا فان حشرة دقيقة تقف على الشوكة الثانية وتكون صماء أو غير قادرة على الاحساس بالصوت المنبعث من الشوكة الاولى ، سوف « تحس » بما يحدث في عالم اخر يخرج عن طاقتها وقدرتها على الادراك .

اذا كان هذا يحدث لنا فهذا هو ما نسميه « الخوارق » او « الميتافيزيقا » وهو التفسير العلمي للكثير مما نظن انه خرافة ، وهو ليس الا نتائج لمسببات بعيدة عنا ولا يمكننا ان نعرفها أو نوجد العلاقة بينها وبين النتائج المترتبة عليها. وهناك اشعاعات وذبذبات تأتي من بعيد لا يمكننا ادراكها ولكنها تحدث فينا آثارا هائلة، كل هذه الامور: السحر وغير ذلك من الخزعبلات قد يكون لها تأثير علمي لا نعرفه ، ناهيك بالارواح والاشباح والعفاريت . . . الى آخر هذه القائمة الطويلة .

● الهرم ، ما هو ؟ ●

كلنا نعرف الهرم على انه هو هذا الاثر الهائل القديم الذي يقع في نهاية هذا الشارع الطويل المعروف اسمه والمليء الان بالملاهي والكباريهات

وقد زار الهرم الوف الملايين من الناس ، منهم فرنسي يدعى «بوفيس» صعد الى غرفة الملك خوفو في عز النهار والحر، وهي تقع على مسافة من قاعدة الهرم تساوي ثلث ارتفاعه بالضبط ، ولاحظ ارتفاع نسبة الرطوبة داخلها، وانه برغم الرطوبة فانه حتى آثار الفسيخ وغيرها من الزبالة ، وقطاو فارميت تصادف وجوده اذ ذاك — كل هذه الاشياء لم تتلف بالسرعة المعتادة، بل تحنطت كالمومياء ، خلاصة القول أن هذا السائح بدأ يحاول ايجاد العلاقة بين الشكل الهرمي وقدرة المصريين القدماء على التحنيط . وبالتالي بين الهرم والتأثيرات الكونية ...

يقولون ان العالم الفرنسي صنع انموذجا للهرم ، ووضع بداخله قطا ميتا ، في ثلث ارتفاعه اي في موضع غرفة الملك في هذا النموذج نجحت التجربة ، اذ تحنط القط بفعل التأثير السريع لجفاف الجثة والذي يأتي من تفاعل الشكل الهرمي مع الاشعاع الكوني .

وسرعان ما التقف النظرية عالم تشيكي يدعى «كاريل دربال »، واعلن ان «هناك علاقة بين شكل الهرم والتأثيرات الفيزيائية والكيمائية والبيولوجية التي تجرى فيه ، وانه باستخدام الاشكال الهندسية المناسبة يتسنى اسراع أو ابطاء هذه التأثيرات » .

ولما كانت هناك خرافة تقول ان وضع شفرة حادة في ضوء القمر يجعلها تفقد

حدتها ، فقد جرب ((دربال)) هذا فى هرمه ، ولكنه لم يحدث ، فجرب العكس ، اخذ يحلق بها الى ان ((تلمت)) (والامواس فى بلاد الكتلة الشرقية لا تحتاج الى جهد كبير للوصول الى هذه النتيجة على اية حال ، فهى ((تلمة)) من نفسها) ثم تركها لفترة داخل الهرم فاذا بها تصبح حادة . ولما كان الحصول على شفرة حادة فى بلد اشتراكى بالصعوبة التى اشرنا اليها فان سعادة السيد ((دربال)) لم تكن مقصورة على الكشف العلمى ، ولكنه عمد على اية حال الى تسجيل اختراعه العظيم ، وللذين لا يصدقون ، فهو مسجل تحت رقم ٩١٣٠٤ لسنة ١٩٥٩ جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية .

يقال فى تفسير هذه الظاهرة ان حافة الشفرة لها تركيب معدنى بللورى ، الى هنا والامر معقول ، والبللورات تشبه الكائنات الحية من حيث انها ((تنمو باعادة التكون)) . وبينما تنتشر اشعة الشمس فى كل اتجاه ، فانها عندما تنعكس على وجه القمر تاتى ((مستقطبة)) اى تتذبذب فى اتجاه واحد ، هذا قد يفسر اتلافها للشفرة الحادة ، اما اصلاح الشفرة التالفة فقد يكون نتيجة لان الشكل الهرمى يستقبل اشعة القمر ويركزها على حافة الموسى ، مما يؤدى الى اعادة شحذ الموسى ! ..

اذا أردت أن تجرب ، فما عليك الا أن تصنع انموذجا من ورق مقوى ، اقطع أربعة مثلثات متساوية الساقين بحيث تكون نسبة القاعدة الى الضلع ١٫٥٧ الى ١٤٫٩٤ بأى مقياس تريده ، الصقها لتكون الهرم وستجد ان ارتفاعه يصبح ١٠ بالضبط بنفس المقياس الذى استخدمته . ضع الهرم بحيث تتجه خطوط القاعدة الى الشمال والجنوب المغناطيسيين ، والى الشرق والغرب بالنسبة لضلعى القاعدة المتعامدين ، ضع الشفرة على قاعدة بداخله على ارتفاع ٣٫٣٣ وحدة عن سطح الارتكاز ، وبحيث يكون الحدان المرهفان فى ناحيتى الشرق والغرب .

ابعد التجربة عن المؤثرات الكهربائية ، ستجد فى الصباح انك وفرت ثمن موسى جديدة .. انا شخصيا لم استطع اجراء هذه التجربة رغم قراءتى عنها فى مصادر عديدة ، لانى لا أستخدم نوع الامواس الذى يصلح لذلك .

● **الاطياف ...** ●

العين الآدمية تحس بالضوء فى مدى ذبذبة تتراوح بين ٣٨٠ و ٧٦٠ ميلليميكرون « وهو واحد على الف مليون من المتر » ولكن بمساعدة وسائل اصطناعية شديدة الحساسية يمكننا توسيع مجال الرؤية ليمتد خارج مجال الطيف المعروف ويشمل الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، وهناك طريقة فى التصوير « الثرموغرافى » ، تلتقط الاشعاع الحرارى على هيئة الوان رائعة ، فاذا صورت انسانا ، فان الشعر والاظافر تاتى سوداء او زرقاء بينما تجد الاذنين خضراوين والانف أصفر لانه دافئ قليلا ، أما الخدان والرقبة فحمراء او برتقالية ، هذا النوع من التصوير يستخدم فى بعض أنواع الأورام والالتهابات المفصلية ولكنه أيضا يستخدم فى تصوير « الهالة » .

ويرجع القول بوجود « هالة » حول الاجسام الحية الى سنة ١٩١١ عندما أعلن عالم انجليزى يدعى والتر كلنر أنه استطاع بمساعدة وسائل مشابهة أن يرى الهالة الدالة على الحياة وأنها تتخذ شكل « اشعاع » سمكه ١٫٥ سم ، وأنها — هى أيضا — تتأثر بالحالة الصحية ، لان الحالة الصحية تدل على درجة الحياة . ويقال أن الحيوانات التى تجيد الرؤية فى الليل تستطيع أن ترى هذه الهالة ، هذا هو الذى يجعل البومة مثلا تكتشف الجرذ الصغير باسهل مما تعثر على قطعة لحم اكبر منه ، رغم حبها لها ، وهذا أيضا هو

السر في ان اهل السحر مغرمون بالبوم والقطط .

ويقولون ايضا انهم اخترعوا نظارة يستطيع من يلبسها أن يرى الهالة ، والاستاذ الامريكي الشهير « كارلوس كاستانيدا » صاحب المؤلفات الاكاديمية العديدة في موضوع السحر ، يقول ان « دون جوان » ، وهو استاذه المكسيكي الغامض ، يرى الناس على هيئة اجسام بيضاوية بيضاء ، وهو قد يجلس في محطة اوتوبيس ويرقب هذا البيض الابيض الكبير يروح ويجيء ، وعندما يرى شخصا عاديا ، يعني على الصورة التي نرى نحن بعضنا البعض عليها ، فانه يعرف انه يرى شخصا غير عادي اطلاقا .!

وفي الاتحاد السوفييتي ، وبرغم المادية الجدلية واعتبار انه حتى قصيدة الشعر ليست الا انتاجا لتفاعل بيوكيمائي في قطعة من المادة هي مخ الشاعر .. تجرى أبحاث لا تكل للكشف عن شيء هنا أو هناك ، في عالم الميتافيزيقا الساحر .. والمصور الشهير سيميون كيرليان ، سوفييتي من اصل أرمني ، اخترع طريقة في التصوير سنة ١٩٣٩ تفرق بين المادة الحية والمادة الصماء ، يقول الرفيق كيرليان: « ان الاجسام الحية تبعث اشارات تدل على الحياة ، نحن نبعث هذه الاشارات ولكننا لا نستطيع ان نتلقاها الا بمساعدة الاجهزة ، واجهزته عندما تلتقط صورة لورقة شجرة خضراء فانها تأتي نابضة بالحياة ، فاذا اقتطع منها جزء ثم أعيد تصويرها فان « طيف » الجزء المقطوع يظهر في الصورة الجديدة !.

اما ثقوب الفضاء ، فهي المنفذ الى عالم آخر ، لعله هو الذي تأتي منه كل هذه الالغاز .

● ثقوب سوداء في اعماق الفضاء ●

اذا كانت هناك اكوان اخرى ، فقد تتحد معنا في المكان ، وتظل خافية عنا بحكم اختلاف الذبذبة التي تمكن احدنا ـ أو كلينا ـ من ادراك الآخر ، وقد لا تتحد ، وربما تعيش زمنا آخر .. الى آخر هذه الافتراضات القديمة ، نقطة ان وجدت وسيلة للانتقال الى أحد هذه الاكوان فانها قد تكون هذه الثقوب السوداء .

وهذا موضوع طويل في الحقيقة ولكننا نلمسه لمسا ، وهو يرجع الى النظرية العامة للنسبية ، عندما تندثر النجوم ، وتخبو حرارتها ، فان الغازات المحيطة بها تندفع مسرعة الى مركزها بحكم التقلص الهائل الناتج عن البرودة. هناك في قلب النجم ، تتحطم كل هذه المادة ، كما يمسك الواحد منا بكيس من الورق في قبضته ثم يسحقه ويظل قابضا عليه لى أن يتحول الى كرة صغيرة في حجم البندقة بعد أن كان يسع عدة كيلو جرامات من الفاكهة ، هذا التقلص الذي يجعل نجما يصل حجمه الى ملايين او بلايين حجم الشمس «ينصر في منديل» كما تقول «الفزورة» والواقع انه يصل الى ما يعادل جزيرة الروضة مثلا ، **يؤدي الى زيادة عظمى في الكثافة نتيجة لان وزنا هائلا قد اودع في حجم صغير جدا ، هذه الزيادة تعطى بقايا النجم هذه جاذبية تجعلها تمتص اى شيء يقترب منها بحيث تنشق السماء وتبتلعه ولا يظهر منه أثر بعد ذلك ، حتى شعاع الضوء ، ينحرف الى ناحية هذه الهوة مختفيا الى الابد ..**

اين تذهب هذه الاجسام والاشعة ؟ نظرية النسبية تقول لنا ان هذا قد يكون هو الطريق الى زمن ومكان آخرين ، بعبارة اخرى ، الى عالم آخر ، ولما كان الفضاء مليئا بهذه « الثقوب » نتيجة لعملية « وفاة » النجوم وولادتها ، وهي عملية دائمة متتالية .. فكل شيء « ينقطع خبره » ربما يغوص في اعماق هذا المجهول.

ولكن هذه قصة اخرى طويلة .. ●

هل للقمر تأثير خفي على الإنسان ؟

في سنة ١٩٧٥ وقعت الجريمة التالية :

كانت الساعة الثامنة مساء، وفي شقة هادئة كل ما فيها يدل على الرخاء والسعادة العائلية ، وقف رجل في الخامسة والثلاثين من عمره وكأنه ذاهل ينظر الى النافذة ، ثم يتقدم ويزيح الستار فيبدو قرص القمر في تمامه أمام عينيه .. وتتسع عيناه ويرتعد جسده ثم يرتد الى الوراء ويفتح درجا من ادراج مكتبه ويستخرج منه سكينا ، ويقف ...

بعد لحظات تدخل زوجته وتدهش لمنظره وتتقدم نحوه ...

ويمسك بالسكين ويسير نحوها وهو ينظر اليها بعينين جامدتين كأنهما قطعتان من زجاج أو كأنهما عينا ثعبان . ويسري الخوف في كيانها وتتراجع والرعب في عينيها حتى يصبح ظهرها للحائط وزوجها يتقدم نحوها في خطوات رهيبة وقبل أن تصرخ ترتفع يده بالسكين ويضربها احدى عشرة ضربة .. وتسقط الى الارض دون أن تنطلق من فمها صرخة واحدة !

وبعد أن تتم الجريمة يقف ذلك الرجل واسمه جرهارد تسايف وتسقط السكين من يده ، ثم ينهار على اقرب مقعد اليه ، ثم يأخذ في البكاء ، ثم يأخذ في الصراخ والاستغاثة ! ....

ويدخل الناس ويرون هذا المنظر فيسرع هو ويأخذ السكين مرة أخرى ويضرب نفسه في صدره مرتين ، وثلاث! .. وينقض عليه الناس ويمسكون به ، ويأتي رجال البوليس ويأخذونه وهو في حالة اغماء ، وتحمله عربة الاسعاف الى المستشفى ... لسوء حظه لم يمت، كانت جراحه سطحية ، وعلى فراشه في المستشفى أخذ يدلي بأقواله ...

***

وبعد جهد ، قال جرهارد تسايف : انني آسف جدا .. لا ادرى لماذا فعلت ما فعلت ... ان القمر هو المسئول ، انه القمر ..

واكد الشهود الذى استدعاهم البوليس ان جرهارد رجل طيب هادىء المزاج ، لطيف العشرة ، ولكن احواله تتغير ويصبح صعب التعامل عندما يحل وقت اكتمال القمر ...

هنا أجمع الشهود جميعا على ان ذلك الرجل يتأثر بصورة ما بضوء القمر في ذلك الوقت فيكثر من التشاجر مع اخوانه ويسيء الى زوجته .



خلال عصور طويلة كان الناس يعتقدون انتاثير القمر على الانسان خرافة من الخرافات .. ولكن تبين من بحوث العلماء ان ذلك ليس مجرد خرافة وانما هو حقيقة ، فان للقمر تاثيرا مباشرا على اجسامنا وعقولنا ، ويبلغ هذا التاثير اقصاه عندمايكون القمر فى حالة البدر او وليدا .. هنا يحس بعض الناس ذوى المزاج الخاص باحساسات قريبة من الجنون او الجنون نفسه !

وعنـــــدما فحص رجال البوليس « الاجندة » التى يدون فيها ملاحظاته ومواعيده ، لاحظوا أنه يعين أيام وصول القمر الى التمام بعلامة حمراء كبيرة .

ومن باب الاحتياط وحتى تتجلى حقيقة الموقف ، امر رجال البوليس بأن يوضع هـــذا الرجل تحت التحقيق والمراقبة فى مستشفى من مستشفيات الامراض العصبية ..

***

وحالة هذا الرجـــل كانت غير عادية ولكنها لم تكن فريدة فى ذلك ، فــان علماء الاجرام تبينوا انه فى الحــــالات التي يكون فيها القمر فى حالة البــدر او عندما يكون القمر هــلالا ولبــدا ، يكون لذلك أثر مباشر على كثـــير من الناس وخاصة ذوى الميول الاجرامية منهم ، فيلاحظ أن تلك الميول تنشط ويتحول رجل هادىء فى العــــادة الى شيطان غاضب غير متمـــــالك نفسه ،لايدرى ماذا يفعل . والكثيرون من هؤلاء لا يتجهون بالذات الى القتل او العدوان على الاشــخاص ، وانمـــا يتجهون الى ارتكاب اعمـــال اجرامية مختلفة ، مثل اشعال النيران فى البيوت او تحطيم زجاج النوافذ وارتكاب أعمال السرقة ... بل لوحظ ان واحدا من هؤلاء فى ايام وصول القمر الى حالة البدر ،يقضى وقته بالليل فى تتبـــع النساء والاطفال ومن لا يخشى خطره من الرجال ، حتى اذا انفرد بواحد منهم فى مكان منعزل انقض عليــه واذاه ، وكثيرا ما كان يكتفى بارهاب النـــاس بالسير وراءهم متلصصا ! وعلى وجهه ابتسامة تدل على أنه يستمتع بهذا النوع من الاعمال الاجرامية .

بل حدث كثيرا ان بعض الرجال ممن يجيدون قيادة السيارات تخطر فى بالهم فى ذلك الوقت أفكار جنونية مثل توجيه السيارة فجأة نحو اناس ابرياء وقتلهم فى كثير من الاحيـــان . وعندما يقبض عليهم ويجرى التحقيق معهم يتبين انهم ارتكبوا هذه الافعال دون وعى ، ويبدو عليهم الاسف الشــديد لما فعلوا ، ثم يعودون الى الحالة الطبيعية تماما بعــد مرور فترة اكتمال القمر .

القتل فى ليالى القمر !

وقــد كتب مفتش بوليس امــريكى

يسمى ويلفرد فاوس المفتش في بوليس فيلادلفيا بالولايات المتحدة تقريرا عن هذه الظاهرة جاء فيه : « ان القوة العاملة في فرقة البوليس في النقطة التي أعمل فيها تبلغ سبعين موظفا ، مابين شرطي ومفتش ومحقق ، وهؤلاء جميعا يؤكدون انه عندما يكون القمر في حالة البدر تكثر حوادث الاجرام بالليل . فتتوالى علينا البلاغات الخاصة بعدوان بعض الرجال على النساء واختطاف الاطفال والبنات وقتلهم في الغابات . وحوادث اشعال الحرائق والسرقات من المحلات التجارية والافراط في السكر وما يؤدى ذلك اليه من أعمال العربدة والاخلال بالامن » .

ويذكر الناس السفاح الانجليزى المعروف جون كريستي الذى قتل سبع نساء وطفلا ووضع جثث ضحاياه في دولاب حديدى أعده خاصة في بيته ، وقد تبين أن هذا الرجل قام بجرائمه دائما ، في الاوقات التى كان القمر فيها في حالة البدر ، وكانت نتيجة ذلك انه لمدة سنوات حذرت نساء لندن من الخروج في الليل والسير في الشوارع المقفرة .

وجدير بالذكر أن معظم شوارع لندن في الأحياء السكنية تكاد تخلو من المارة في الليل ، وهذه الظاهرة تعتبر من الظواهر التي تشجع هذا النوع من الناس على اقتراف جرائمهم ، لان خلو الشوارع والاطمئنان الى ان الواحد منهم يستطيع ان يفلت من العقاب اذا اقترف جنايته في شارع مقفر ، فيضرب ضربته سريعا ثم يسرع بالفرار ، وقد تبين من التحقيقات أن امثال هؤلاء الاشخاص يكونون في ذلك الوقت غير مسيطرين على افعالهم اى انهم يقدمون على مايقدمون عليه تدفعهم الى ذلك قوة غلابة لا يستطيعون مقاومتها .

وتسجل دفاتر اسكتلنديارد أن شخصا آخر من ذلك النوع يسمى وليام بارلت قبض عليه وهو مختبىء خلف سور حديقة عامة في ناحية كرديون يترقب مرور أى شابة منفردة لكي ينقض عليها ، وقد تمكن من فعل ذلك عدة مرات في نفس الموضع حتى كمن له البوليس وقبض عليه بعد أن أعد له كمينا ، وقد تحرى رجال البوليس ان يكون الكمين وقت اكتمال القمر .

وتسجل دفاتر قسم بوليس سنترال بارك في نيويورك بأن رتشارد فايس قتل زوجته في ليلة من ليالى القمر ، وعندما سئل في التحقيق تبين انه لايعرف السبب الذى دفعه الى ارتكاب هذه الجناية وقتل زوجته التي قال انه كان يحبها حبا حقيقيا وقد ثبت ذلك بالفعل من أقوال الشهود ، ولم يحدث بينهما ما يؤدى الى وقوع مثل هذه الجريمة المروعة .

القمر والجريمة !

وقد اتفقت أقوال علماء الاجرام وعلماء النفس على أن هناك علاقة وثيقة بين أوجه القمر والجريمة ، وقالوا ان بعض الناس يتأثرون تأثرا واضحا بالقمر وما يمر به من حالات ووجوه .

وقد تبين من دراسة قام بها قسم بحوث الجرائم في لندن أنه من بين ٦٢ جناية اقترفت في الليل وقعت ٣٧ منها في الوقت الذى كان فيه القمر بدرا ، و ١٨ عندما كان القمر وليدا ، ولم يستطع الباحثون والعلماء معرفة السر الذى يربط بين القمر وهذا التغير النفسي الذى يصيب بعض الناس . فمن بين ١٩٤٩ جريمة قتل وقعت في ١٤ سنة في ناحية من نواحي فلوريدا ، تبين أن معظمها وقع والقمر في حالة البدر ، وقد حاول عالم النفس الامريكي الدكتور ليبر وصاحبه الدكتور س . ر شيرين كشف النقاب عن السر الذى يربط بين القمر والجريمة ـ فلم يصلا الى نتيجة .

القمر والانتحار

وفي احصاء أجرى في المانيا الاتحادية تبين أن نحو مائة الف انسان يحاولون في كل عام قتل أنفسهم في ذلك الوقت وقد نجح منهم ١٢ ألفا في قتل أنفسهم أما الباقون فلم يوفقوا .





السفاح المشهور جون كريستى عندما قبض عليه بوليس لندن سنة ١٩٥٠ بعد ان اقترف ثمانى جرائم قتل سبعة منها قتل فيها نساء والثامنة قتل صبيا، وكان يخفى جثث ضحاياه فى دولاب حديدى أعده خاصة فى بيته ،وكل هذه الجرائم وقعت بتاثير القمر ! ..

هذه السيدة تسمى السيدة داويتس ،وهى تمسك بصورة زوجها ولم يبق لها منه الا هذه الصورة ، لان ذلك الرجل اختفى اثناء زواجه منها سبع مرات لمدد تتراوح بين اسبوع واسبوعين متاثرا بالقمر ، وفى المرة الثامنة اختفى ولم يعد ، ووجد بعد ذلك مقتولا !

وعند بحث حالاتهم تبين انهم هم أنفسهم لا يدرون ما الذى يحدث لهم فى ذلك الوقت ، وكل ما استطاع الباحثون الوصول اليه هو أن القمر يؤثر تأثيرا واضحا على كثير من الناس فى الوقت الذى يكون فيه القمر بدرا أو وليدا .

فبعض هؤلاء الناس يفقدون السيطرة على أنفسهم ، وبعضهم يتحول الى شخصيات تختلف تمام الاختلاف عن طباعهم المعهودة فيهم ، وفى كثير من الحالات لا يصل الامر الى حد الجريمة أو اقتراف السرقة أو محاولة الانتحار ، بل يقتصر على أن يحس الانسان المتأثر بالقمر بان حالته غير طبيعية وانه لا يسيطر على نفسه السيطرة الكاملة ، بل هناك نفر من اولئك الناس تعودوا اذا جاء وقت البدر واحسوا تغيرا فى احوالهم أن يذهبوا الى المستشفيات النفسية ويطلبوا قضاء بضعة أيام فيها حتى تزول عنهم هذه الحالة ..

***

وقد ذهب العالم البيولوجى الانجليزى دزموند موريس الى أن هذا الجنون القمرى بقية من بقايا عهد التوحش القديم عندما كان الانسان يعيش فى الغابات أو يسكن الكهوف ، وكان هناك رجال لا يملكون الشجاعة للحصول على النساء بقوة الرجال كما كان الانسان الوحشى يفعل، وكانت فرصتهم الوحيدة هى أن يكمنوا للنساء بالليل ، فى الليالى المقمرة حتى تكون لديهم الشجاعة على الانقضاض عليهن لانه عندما يكون القمر غائبا تماما يصاب هذا الطراز من الرجال بالخوف فلا يجرؤون على الخروج من الكهوف والسير وحدهم .

***

ولا يقتصر هذا الاثر على الرجال بل يمتد الى النساء ايضا فقد لوحظان الكثيرات من النساء تتغير احوالهن النفسية وينقلب مزاجهن عندما يكون القمر وليدا أو بدرا .

واذا كان النساء لا يلجأن الى الجريمة العنيفة فانهن يعانين فى ذلك الوقت تغيرا فى المزاج وميلا الى العدوان وسرعة الى الغضب ، وبعضهن يكثرن البكاء أو الضحك وتصاب حالاتهن بتغيرات عنيفة

وكل ذلك من تاثير القمر ، بل لوحظ ان بعض الازواج تاكدوا من ان زوجاتهم تصبحن عسيرات العشرة فى ذلك الوقت فيجتهدون فى تحاشيهن .

ح . م

العلاقات الثقافية بين مصر والسودان

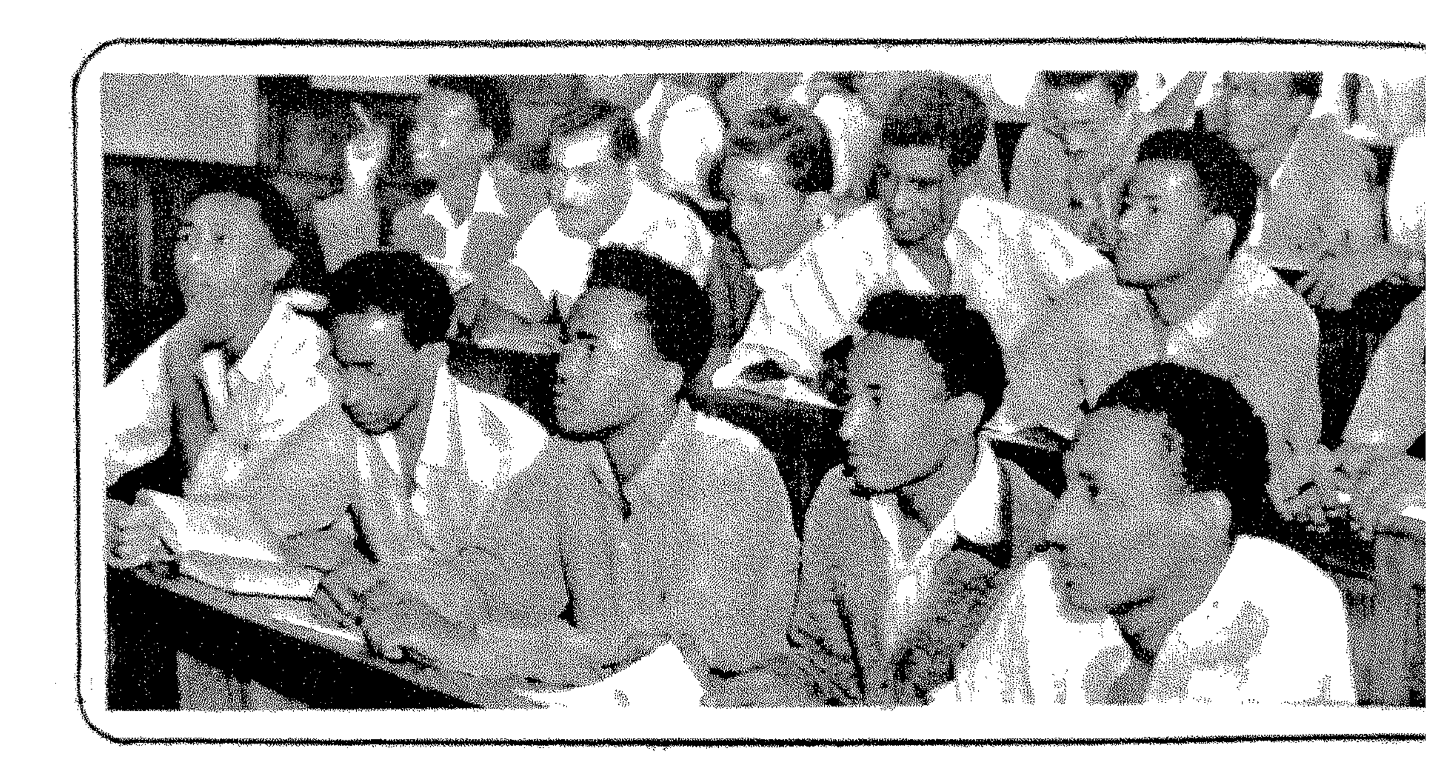
● يوسف الشارونى ●

● بحكم الموقع الجغرافي اشتركت مصر والسودان في اسباب الخصبواسباب الجدب : النيل والصحراء ، هذا قدرنا معا ، وترتبت على هذه الاسباب الطبيعية اسباب مكتسبة على مر التاريخ ، اسباب تتصل بالوجدان واخرى تتصل باللسان ، هما الدين واللغة ، وهكذا أصبح المعلول علة ، فسادت العوامل المكتسبة تؤكد ما سبق ان مهدت له عوامل الطبيعة .

ولقد كانت العوامل الثقافية هيالتى مهدت لتلك العوامل المكتسبة، فالسودان فى ماضيه القديم ــ كما يقول محمد احمد محجوب فى كتابه « الحركة الفكرية فىالسودان» ــ قد تأثر بالثقافة الفرعونية وثقافة البطالسة ــ وهى فى جملتها ثقافة يونانية ــ وبثقافة الرومان ، كما تأثر بالثقافة العربية أولا عن طريق الهجرة ، واخيرا عنطريق الغزو والفتح (محمد أحمد محجوب ، الحركة الفكرية فى السودان ، ط ١ ، المطبعة التجارية الجديدة ، الخرطوم ، ١٩٤١ ، ص ١١) .

كما يقول ان الجيل الجديد منابناء هذه البلاد وخاصة من تمخضت عنها ثورة عام ١٩٢٤ راوا حاجتهم الملحة الى زيادة معلوماتهم ، فكان اول خطوة خطوها أن اقبلوا على قراءة ما تخرجه المطابع المصرية (المرجع السابق ص ١٠) .. لقد تاثرت هذه البلاد بالثقافة الغربية والانجليزية منها بوجه خاص ، كما تاثرت بالثقافة العربية والمصرية منها بوجه خاص (المرجع السابق ص ٢٣) . وكان للاساتذة المصريين والسوريين الذين أتوا هذه البلاد بعد الفتح فى المعاهد الحكومية أكبر الفضل ــ ونحن نقول أكبر الدور ، فلا فضل هنا ــ فى انتشار آداب اللغة العربية وتعميم اسلوب النشر الحديث (المرجع السابق ص ٣٠) . وكما تاثر النثر بالنهضة التى ظهرت فى الشام ومصر كذلك فقد تاثر الشعر وظهر جيل جديد من الشعراء .

كما اعلن الشاعر محمد محمد على (١٩٢٢ ــ ١٩٧٠) فى كتابه « محاولات فى النقد » ان العلاقات الثقافية بين السودان ومصر ــ بل بين العالم العربى



ـ امر طبيعي لاكثر من سبب وذلك « لاعتقادنا جميعا اننا نرجع الى امة واحدة ، واننا أصحاب تاريخ مشترك ، فيه ما يسرنا ويبهجنا ، وفيه ما يسوؤنا ويخجلنا . وقد عشنا جميعا تحت ظروف متشابهة ، عشنا فترة من الزمن تحت نير الاتراك وحكمهم الذى قضى على جميع مقوماتنا المادية والمعنوية ، وكنا جميعا نستقى من معين الثقافة العتيقة ، التى احتضنها الازهر ، ثم عركنا الاستعمار الاوربى وأفسد حياتنا، وخلق لنا مشاكل اقتصادية واجتماعية جعلت من أوطاننا مسرحا للرذيلة والخيانة والجهل والمرض والزعامات الفاسدة . ثم مسنا طائف من اليقظة ، فاخذنا نجمع شتات انفسنا ونذود عن اوطاننا وننفك قبضة الاستعمار من رقابنا . لدخلنا جميعا فى صراع مع الاستعمار والاوضاع الفاسدة ، وأخذنا نحلم بالحرية والانطلاق من القيود ، ونحلم بالحياة السعيدة الخصبة ، وبدانا ننقى ثقافتنا من أوضار الماضى ، ونستقبل التيارات الثقافية التى ترد علينا من العالم المتحضر المثقف ، ونحاول جهدنا ان نوفق بينها وبين ثقافتنا الموروثة ، وأوضاعنا المحلية .. كل هذا يجعل من الطبيعي أن يكون بين أدبنا وأدب هؤلاء القوم ، بل سيكون ادبنا كاذبا اذا لم تكن بينه وبين هؤلاء القوم مشابهة ، ومشاكلة »٠(محمد محمد على ،محاولات فى النقد ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١).

***

ولقد بدات الاتصالات الثقافية الحديثة بين مصر والسودان حين ارسلت بعثة سودانية فى عهد محمد على الى مصر مكونة من ستة من الطلبة للدراسة فى مدرسة الالسن ، وأخذت بعدها وفود السودانيين تتوالى حتى انه كان يوجد عام ١٢٨٥ هـ ، مائة تلميذ سودانى كما أرسل ممتاز باشا مائة سودانى لدراسة العمليات الميكانيكية والزراعية. كذلك أقبل السودانيون على الازهر بعد ان اعدت لهم الاروقة ، ونظمت الجراية، وصار الطريق آمنا .

وقد اسهم كل هؤلاء اسهاما فعالا فى نشر الثقافة فى السودان . فبعضهم تولوا مناصب دينية ، بينما فتح آخرون الخلوات، او الفوا الكتب (عبده بدوى، الشعر الحديث فى السودان ، المجلس

الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٠٩ — عن كتاب تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير ، مطبعة المعارف ١٩٣٠ ، جـ ١ ص ١٤١) .

كذلك كان لدخول الطباعة لاول مرة فى السودان أثره ، ففى عهد محمد على انشىء فرع للمطبعة الاميرية بالسودان ، فعرفت لاول مرة مطبعة الحجر ، وظلت تقوم بدورها فى عهدى الفتح التركى والمهدية ، والى جوارها اقيم مصنع للورق ليمد فرع المطبعة (المرجع السابق ، ص ٢٤٠ — عن كتاب السودان بين عهدين لسعد ميخائيل ، المطبعة الخيرية بالمنيا ، ١٩٤٠ ، ص ٢٨٦ » .

ثم افتتحت فى عهد عباس أول مدرسة مصرية فى الخرطوم لتدريس العلوم الحديثة من حساب ولغة ، افتتحها رفاعه رافع الطهطاوى . ثم افتتح فى عهد اسماعيل خمس مدارس موزعة فى المدن الكبرى فى السودان ، فى الخرطوم وبربر وكردفان ودنقلة وكسلا « د . ابراهيم الحاردلو ، الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٧٧ ، ص ١٤) . كذلك كان الطلبة السودانيون على صلة حميمة بأساتذتهم المصريين فى كلية غوردون التى افتتحت فى بداية هذا القرن بعد الاحتلال الانجليزى للسودان عام ١٨٩٩ .

***

وفى عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ تشكلت الجمعيات السرية فى السودان لمحاربة الاستعمار من بينها جمعية الاتحاد السودانى التى تكونت من بعض الموظفين وطلبة كلية غوردون والشباب من التجار ، وكان من أوجه نشاطها مراسلة الصحف فى مصر للكتابة عن قضية السودان ومدى ارتباطها بقضية مصر . وكانت تجلب بعض تلك الصحف الصادرة فى مصر الى السودان سرا . ومن شعاراتهم «السودان للسودانيين ، والمصريون أولى بالمعروف » . ويعلق الدكتور ابراهيم الحاردلو على هذا الشعار قائلا : هذا يؤكد ان السودانيين لم يفكروا يوما فى التبعية الضعيفة لمصر ، ولم ينادوا بضم اقليم السودان الى مصر باعتبارها محافظة تخضع لها يوما من الايام ، بل كانوا ينظرون الى المصريين نظرة الأخوة والاهل ، وانما كان ذلك منذ القرن الثامن قبل الميلاد أيام بعنخى « المرجع السابق ص٣٦» .

اما فكرة الكيان السودانى المنفصل عن مصر التى شجعها الانجليز فهى جزء من سياسة أشمل لتحقيق أهداف كبرى فى العالم العربى كله . فبريطانيا كانت تسعى وتشتد الى تجزئة العالم العربى وتقسيمه الى دويلات صغيرة متنافرة ... ذلك أن الاتحاد بين دولتين عربيتين — وفى تلك الحالة بين مصر والسودان — يجعلهما قوة فى وجه الاستعمار . (المرجع السابق ص ٥٣) .

ولقد انقسم الرأى حول علاقة الثقافتين المصرية والسودانية ، فظهر فريق يدعو الى وحدة الثقافة بين مصر والسودان على أساس أن وحدة الثقافة تسبق وتمهد للوحدة السياسية ، وفريق يدعو الى ثقافة سودانية مستقلة عن الثقافة المصرية يكون لها خصائلها المستقلة وتفردها وتنوعها دون ان يعنى ذلك قطع الصلة بمصر أو ادبها ، وكان زعيم هذا الاتجاه المرحوم محمد احمد محجوب ، ثم كان هناك آخرون يدعون الى مزج الثقافتين وزواجهما ان صح التعبير .

وقد عبر صاحب مجلة الفجر عن قوة الرباط الادبى بين البلدين قائلا ان التفاهم الادبى — ان أدت هــــذه العبارة المعنى الذى اقصد اليه — ان وجد وسار بين البلدين لهو اقوى وابقى على حوادث الايام والليالى من كل ما يقول السياسيون من حقوق بالفتح وحقوق بالمعاهدات . وقد ثبت فى كل زمان ومكان ان الاولى لا وجود لها الا قائمة على اسنة الرماح ، وان الثانية قصاصات من ورق تعصف بها أقل الاعاصير السياسية عنفا . (الفجر ، مجلد ١ ، عدد ١٢ نوفمبر ١٩٣٤ ، ص ٥٥٨) .

اما محمد احمد محجوب فقد علل سبب انصراف المصريين عن الاقبال على الادب السودانى بانهم لا يجدون فيه الا صورة فاترة وناقصة من الادب المصرى ، أما « اذا نحن شرعنا فى كتابة ادبنا القومى فسوف تجد كتاباتنا مكانتها فى مصر ، وسوف يقبل عليها اخواننا بالدرس والنقد والتعقيب وسترحب مجلاتهم وجرائدهم بكل ما نكتب »

(محمد احمد محجوب ، نحو الغد ، قسم التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم ط ١ ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٦ — ١٧٧) .

ويقول الدكتور ابراهيم الحردلو الاستاذ بجامعة الخرطوم « ان مصر الآن غير مصر التى حكمها الباشوات والاستعمار ، والسودان غير السودان تحت الاستعمار . تغيرت الافكار عن الصلة التى كان يمكن ان تنشأ بين البلدين . انتفى جانب سيطرة اقليم على اخر ووعت الجماهير والحكومات التى تعاقبت على الحكم فى كل من مصر والسودان طبيعة المرحلة ورأوا ما حدث من تغير ليس فى منطقتنا وحدها بل فى العالم اجمع » (د. ابراهيم الحردلو ، العلائق الثقافيه بين مصر والسودان ، بحث على الاستنسل فى مهرجان الثقافة الثانى ، فبراير ١٩٧٩ ، ص ١٣) .



● رفاعة الطهطاوى ●

اما التقاء الثقافة السودانية بالثقافة الغربية فقد تم عن طريقين : طريق مباشر كان فى بدايته قدوم الرواد والرحالة والمكتشفين والتجار والقناصل الذين تدفقوا على البلاد ، ثم قدوم بعثات التعليم الاجنبية واخيرا ارسال البعوث السودانية للتعلم فى اوربا لا سيما انجلترا ، اما الطريق غير المباشر فهو الذى قامت به الحكومة المصرية اولا بتوسعها فى التعليم بالسودان .. ومحاولتها استخدام الوسائل العلمية الحديثة فى استغلال ثروة البلاد والافادة منها ، ثم ما احتفظت به بعض الجمعيات الاهلية المصرية من مدارسها بعد رحيل قوات الجيش المصرى بعد ثورة ١٩٢٤ .

دور الشعر

ونتيجة لهذا الالتقاء الثقافى نجد ان كثيرا من ابرز الشعراء السودانيين

هم ممن درسوا بالازهر مثل الشيخ الحسين الزهراء « المولود عام ١٢٤٨ هـ — ١٨٣٣ م . » والشيخ يحيى السلاوى (المولود عام ١٢٦٢ هـ — ١٨٤٦ م .) الذي طالب — بعد عودته الى السودان وعند قيام الثورة العرابية بمصر — بترحيله الى مصر ليكون بجانب هذه الثورة . وما كاد يصل الى القاهرة ، حتى اتصل بأحمد عرابى فاحبه وقربه اليه ، فنظم الشيخ السلاوى قصيدته البالية التى تقع فى ٩٩ بيتا ، وكان من اهميتها ان طبعت بماء الذهب وبيعت فى شوارع القاهرة ، كل نسخة منها بجنيه ذهبا (الشعر الحديث فى السودان ، ص ٢٣٨ — عن كتاب نفثات اليراع فى الادب والاجتماع للاستاذ محمد عبد الرحيم ، شركة الطبع والنشر بالخرطوم ، ١٩٣٦ ، ص ٨٢) .

كذلك من شعراء تلك الفترة الذين درسوا بالازهر الشيخ عمر الازهرى « المولود عام ١٢٧٠ هـ — ١٨٥٣ م » . الذى اندمج فى الحياة المصرية وتعرف على الكثيرين من ذوى الراى بها حتى انه لما تزوج وانجب فيما بعد سمى ابنه شفيق على اسم شفيق باشا اعز اصدقائه المصريين وقت طلبه العلم بالقاهرة .

كذلك كان من هؤلاء الشعراء محمد سعيد العباسي (المولود عام ١٢٩٨ هـ) ولم يلتحق بالازهر كزملائه السابقين انما التحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة التى دخلها عام ١٨٩٩ من بين ثمانية واربعين سودانيا ، لكنه لم يواصل تعليمه مع انه كان أول الناجحين لان نظام ترقية الطلبة السودانيين كان بالاقدمية فقط (المرجع السابق ، ص ٤٦٦ — عن ديوان العباسى للشيخ محمد سعيد العباسى ، دار الفكر ، عام ١٩٤٨ ، ص ١١ — ١٢) . وقد ظلت هذه الفترة التى امضاها فى مصر حية فى نفسه وشعره .

ومن الشعراء المحدثين الذين تخرجوا في دار العلوم الدكتور محيى الدين صابر ، ومحمد محمد على ، وادريس جماع .

والواقع انه قلما تقع العين على ديوان لشاعر سودانى الا وفيه على الاقل قصيدة تشيد باخوة الشعبين الشقيقين او بالنيل الذى يربط بينهما او ينفعل الشاعر بحدث مر به القطر الشقيق كالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ . فهذا هو التيجانى يوسف بشير « ١٩١٢ — ١٩٣٧ » فى ديوانه « اشراقة » يحيى فى احدى قصائده شبابه مصر ، ويشيد فى اخرى بثقافة مصر معلنا :

انما مصر والشقيق الاخ السو
دان كانا لخافق النيل صدرا
حفظا مجده القديم وشادا
منه صيتا ورفعا منه ذكرا
كيف يا قومنا نباعد من فكـ
ـرين شدا وساندا البعض ازرا
كيف قولوا يجانب النيل شطيه
ويجرى على شواطىء اخرى ؟ .

(التيجانى يوسف بشير ، اشراقة ، المطبعة الوطنية بالخرطوم ، ط ٢ ، ١٩٤٩ ، ص ٨٦ — ٨٧) .

وقد اقامت لجنة التاليف والترجمة بمصر فى شهر مايو عام ١٩٤٦ حفلا بنادى نقابة الصحفيين بالقاهرة لاحياء

ذكرى الشاعر السوداني ، وكان من المتحدثين المرحوم الدكتور مظهر سعيد الذى ربط بين التيجاني شاعرالسودان والهمشري شاعر مصر وأبي القاسم الشابي شاعر تونس .

اما المرحوم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي فقد اعلن أنه اذا كانت الصلة الجغرافية بين القطرين كاملة ، والصلة السياسية لا ريب فيها ، فما أجدر من الصلة الادبية باحكام ذلك الوثاق وتمكين تلك العرى . لقد مجد التيجاني النيل ، وشاد بحب مصر ، ونوه بجمال الخرطوم ، فعلى النيل أن يذكره ، وعلى مصر أن ترد له شيئا من الجميل، وعلى الخرطوم أن تفخر بالتيجاني . (المرجع السابق ، ص ٩٩) .

وفى ديوان « ظلال وعيون » للشاعر مختار محمد مختار نقرأ قصيدة مصر المجاهدة التى نظمت ابان الاعتداء الثلاثى على مصر .وفى ديوان«لحن وقلب»للشاعر مصطفى طيب الاسماء (١٩٢٤ —) نقرأ قصيدتيه « مصر الباسلة » و «الى أخى العربى » اللتين نظمهما فى المناسبة نفسها . ومما جاء فى القصيدة الاخيرة قوله :

ارض الكنانة مهد العرب اجمعهم
ومهد عزتهم ان حادث دهمسا
مجد الكنانة مجد العرب اجمعهم
فان ابيحت رتعنا الذل والرغما
واليوم صارت امانينا موحدة
هى العروبة تسرى فى العروق دما
ومصر قلب ومن ينبوعها انفجرت
قوى الحياة فهب الشرق ملتئما

(مصطفى طيب الاسماء ، لحن وقلب ، المجلس القومى للآداب والفنون ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٩ — ١١٠) .

وفى ديوان الناصريات للناصر قريب الله (١٩١٨ — ١٩٥٣) نقرأ قصيدة بعنوان : وفد الكنانة ومما جاء فيها :

وبمصر لنا قلوب اقامت
اتحسونها بانحاء مصر
ولمصر السودان صنو شقيق
وبذا النيل شاهد حيث يجرى
غير ان السودان عاش ربيبا
فى حماها فنال اطيب ذخر
فاقمعوا ألسن المكائد انا
اخوة فى الهنا ومس الضر

(الناصر قريب الله ، الناصريات ، وزارة الارشاد القومى ، الخرطوم ، ١٩٦٩ ، ص ١١) .

وفى ديوان « ألحان واشجان» للشاعر محمد محمد على نقرا قصيدته « مصر الباسلة » التى نظمت ايضا ابان العدوان الثلاثى على مصر . وقصيدة اخرى عنوانها « عميد الادب » انشدت فى تكريم الدكتور طه حسين عندما اصبح وزيرا للمعارف عام ١٩٥٠ .

وفى ديوان « نار المجاذيب » للشاعر محمد المهدى المجذوب نقرأ مشاركته فرحة مصر بخلع فاروق عام ١٩٥٢ . « محمد مهدى المجذوب ، نار المجاذيب، لجنة التاليف والنشر بوزارة الاعلام والشئون الاجتماعية ، الخرطوم ١٩٦٩، ص ١٢٦ — ١٢٧ » . كما نقرا قصيدته الحماسية « نموت وتحيا مصر » التى اوحى بها العدوان الثلاثى على مصر ايضا ، والتى جاء فى مطلعها :

قتال ولسنا نبالى القتال
فيا مرحبا بالوغى والنضال
عباب يجيش هنا فى الجنوب
له موعد فى عباب القتال
« المرجع السابق ، ص ٦٥ » .

والقصة

ذلك قليل من كثير يبرهن على ان معظم شعراء السودان يفصحون عن مشاعرهم نحو مصر باعتبارها وطنا ثانيا لهم . ولم يكن الشعر وحده فى هذا الميدان ، وان كان سباقا اليه باعتبار ان الفنون النثرية الحديثة وعلى رأسها القصة قصيرها وطويلها لم تعرف الا فى مرحلة اخيرة .

لقد بدأت القصة فى السودان فى العشرينات ، وهى الفترة التى كان الادب المصرى فيها قد اخذ يقف على قدميه ويستقل بمادته . ولئن تمكن الكثير من الأدباء السودانيين من الأطلاع على الادب الانجليزى وقراءة نماذج قصصية فيه ، اما مؤلفة بالانجليزية أساسا وامامترجمة عن الفرنسية او الروسية ، الا أن الاتجاه الغالب ــ كما يقول الاستاذ مختار عجوبه فى مؤلفه القيم « القصة الحديثة فى السودان » ــ كان هو التاثر بالادب المصرى والاخذ عنه « مختار عجوبه ، القصة الحديثة فى السودان ، دار التاليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٢ ، ص ١٥ » . فقد قرأ لمحمد ومحمود تيمور ومحمودطاهر لاشين وللمازنى وغيرهم .

ويقول الاستاد مختار عجوبه فى موضع آخر انه فى الوقت الذى كان يتلقى فيه السودان الثقافة الانجليزية اختيارا او جبرا ، كان يتعرض الى التأثر بالثقافة المصرية . وحركة الثقافة السودانية تجاه الثقافة المصرية كانت حركة ذاتية تنبع من واقع البلدين المشترك وتاريخهما وثقافتهما المشتركة وقد حاول الانجليز الوقوف ضد التفاعل الثقافى بين السودان ومصر ولكنهم فشلوا أمام الحركة الوطنية التى اجتازت جميع الحواجز والعقبات التى وضعها الانجليز « المرجع السابق ص ٩٩ » .

فمثلا فى انتاج ابى بكر خالد والطيب زروق تتضح المؤثرات الثقافية والفنية التى اتاح لهما تعليمهما فى مصر الحصول عليها . وقد انعكست على انتاجهما بشكل او بآخر . ويتتبع الاستاذ مختار عجوبه تطور القصة السودانية فيقول ان قارىء كل من الزبير على وخوجلى شكر الله قارىء محدد هو القارىء السودانى ، ولعله القارىء السودانى العاصمى . اما ابو بكر خالد والطيب زروق فقد كانا يحاولان مخاطبة القارىء العربى عموما ــ كما يفعل صلاح احمد ابراهيم وعلى الملك ــ من منبرهما فى القاهرة خلال الصحف المصرية والعربيةالاخرى كما يرى ان قصة « ليلة العيد » لابى بكر خالد ماخوذة عن قصة صفارة العيد للمرحوم محمد تيمور (المرجع السابق ص ١٥٤ ــ ١٥٥) . كما انه نشر روايته « النبع المر » و « القفز فوق حائط قصير » فى مصر ، وكذلك نشر بعض قصصه القصيرة فى مجلة صباح الخير بالقاهرة . وفى قصته « مولد انسان » يشارك الشعب المصرى نضاله ضد العدوان الثلاثى . وتأثره باللهجة المصرية واضح فى قصص المرحلة الأولى ، حتى حين كان يتناول تجارب سودانية صميمة . « المرجع السابق ص ٦٥ » . وان رواية ابى بكر

خالد « بداية الربيع » كان اسمها ـ كما جاء فى مقدمتها ـ « أم درمان الجديدة » ، مما يدلنا على تأثر القاص المباشر برواية نجيب محفوظ « القاهرة الجديدة » . فقد اخذ ابو بكر الشكل من نجيب محفوظ وصب فيه مضمونا سودانيا . ونحن نجد فى شخصيات الرواية النماذج الفكرية الثلاثة التى كانت تمثل التيارات الفكرية المتصارعة فى المجتمع السودانى . وهى صورة مقابلة للتيارات المتصارعة فى مصر عند نجيب محفوظ . فنجد صديق يمثل الاخوان المسلمين ومحمد كامل شيوعيا وسعد لا منتميا ، وهم شخصيات مأمون رضوان وعلى طه ومحجوب عبد الدايم على التوالى عند نجيب محفوظ « المرجع السابق ، ص ١٦٧ » . وما كان يمكن وجود هذه المشابهة بين الروائيين لولا وجود مشابهة سابقة بين المجتمعين .

***

كما يرى الاستاذ عجوبه أن قصة « دومة ود حامد » للطيب صالح فيها نقاط تشابه كثيرة مع قصة « سره الباتع » ليوسف ادريس ، وهو وان كان يرجع تأثر الطيب صالح بيوسف ادريس لأن قصته ألفت بعد قصة يوسف ادريس ، الا انه يعود فيكون أكثر حذرا اذ يعلن أن مصدر التشابه قد يكون أيضا توارد خواطر أفرزته حضارة النيل المشتركة ـ « المرجع السابق ، ص ٢٢١ » .

والواقع أن لمعظم القصصيين فى السودان شأنهم فى ذلك شأن معظم الشعراء ـ قصصا تتصل بمصر من بعيد أو قريب كأن تدور حوادثها فى مصر ، أو يكتبها وقد تمثل القاص وجدان مصر ، فهو مهموم بهمومها ، يغوص الى ما راء القشرة الاجتماعية الواعية حتى لقد ينطق شخصياته اللهجة المصرية العامية ، فهو ابن من ابناء هذا الوطن الكبير لا يحس فيه بغربة أو اغتراب . فعلى سبيل المثال وانا اقلب بعض اعداد مجلة القصة السودانية التى صدرت فى الخرطوم فى أوائل الستينات أقرأ قصة «درهم من الحزن » لا بن خلدون « مجلة القصة عدد ٣ ، السنة الاولى ، مارس ١٩٦٠ » وقصة « محمد افندى يأخذ أجازه » للكاتب نفسه فى عدد تال «مجلة القصة عدد ١٠ ، السنةالاولى، أكتوبر ١٩٦٠ » وقصة للدكتور محمد ابراهيم الشوش عنوانها « زيارة المرحوم : قصة مصرية فكاهية » « مجلة القصة عدد ٩ ، السنة الاولى، سبتمبر ١٩٦٠ » . وقصة « النار المقدسة » بقلم عثمان على نور « مجلة



● محمد أحمد محجوب ●

القصة عدد ١١ ، السنة الاولى، نوفمبر ١٩٦٠ » .

نصيب الدراسات الادبية

كذلك فان نصيب مصر فى الدراسات النقدية والادبية السودانية لا يقل عن نصيبها فى كل من الشعر والقصة . فهذا الشاعر المجدد حمزة الملك طنبل يذكر فى كتابه « الادب السودانى وما يجب أن يكون عليه » الذى نشره عام ١٩٢٧ واعيد نشره عام ١٩٧٢ ، يذكر ادباء مصر فلا نحس الا انه يذكر أدباء بلده ، فيتحدث عن العقاد وطه حسين والمازنى وشوقى وحافظ ابراهيم ، ويستشهد بآرائهم حينا ويناقشها حينا آخر . ويشكو فى ذلك الحين — ولعل شكواه لا تزال على شىء من الصحة حتى اليوم — مما يراه فى مصر من جهل الناس بأحوال السودان وارتسام صورة مشوهة فى أذهانهم عنه . (حمزة الملك طنبل « الادب السودانى وما يجب أن يكون عليه ، المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون ١٩٧٢ ، ص ٥٥) . وهو يتحدث عما يجب ان يكون عليه الأدب السودانى ونصب عينيه مصر دائما ، فمجال الطبيعة فى السودان اوسع من مجالها بمصر ويتسنى للأدباء هنا ان يكونوا اكثر اتصالا بها من الأدباء هناك ، أى فى مصر . (المرجع السابق ، ص ٩١) . وهو يذكر صيحات بعض أدباء مصر حول الأدب العالمى وطنطنتهم باسمه فيتولد فى نفسه شعور الاستخفاف بكل من يترك الماء ويجرى وراءالسراب وذلك لان أدبهم القومى « يقصد المصريين » لم ينضج بعد . (المرجع السابق ، ص ١٠٧) .

ولئن كان حمزه الملك طنبل قداشار فى كتابه الى السياسة الاسبوعية، وهى المجلة الأدبية التى كانت تصدر فى مصر فى العشرينات من هذا القرن ، فان معاوية محمد نور كان ينشر قصصه وخواطره فى السياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعى وجريدة مصر وذلك فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات من هذا القرن . فى الخواطر يناقش ادباء مصر فى ذلك الوقت مثل الدكتور زكى مبارك وابراهيم المصرى، كما كان يناقش ما يكتب فى الصحف المصرية مثل البلاغ ، ويتحدث بضمير المتكلم الجمع (نحن) حين يتحدث عن السودانيين والمصريين معا فيعلن أننا لم **نترجم الى العربية حتى الآن (اكتوبر ١٩٣١) شيئا من مخلفات الأمم التى ترجمت الى جميع اللغات واعتبرها العالم كله تراثا انسانيا (معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، جامعة الخرطوم ، د. ت ، ص ١٦٤) . وهو يستخدم هذا الضمير بطريقة عفوية لا افتعال فيها لانها نابعة من احساس طبيعى . اسمع قوله وهو يعلق على منح جائزة نوبل للسلام لغاندى قائلا ((لماذا تحرز الهند وغير الهند جوائز نوبل ولا نحرز نحن شيئا منها ؟ لماذا ؟ هذا هو ما يجب أن يتناقله المصرى ويتعرف اسبابه ، لان حرماننا من هذه الجائزة ظاهرة تدل على نقص فى اجتماعنا وادبنا ولغتنا وعلومنا .. فحرماننا منها حكم سىء علينا)) . (المرجع السابق ، ص ١٥٢) . كما يشارك فى التعليق على مسرحيات يمثلها مصريون مثل طلبة معهد التمثيل برئاسة جورج ابيض (المرجع السابق ، ص ١٧٩) . ولاعجب**

فان معاوية محمـــد نور قد نشر معظم كتاباته فى الصحف المصرية لان الانجليز طاردوه وحرموه الاستقرار فى السودان ، ولم يتح له فرصة النمو داخـل بلاده (القصة الحديثة فى السودان ، ص ٨١ ـ ٩٢) . وعندما احتفل ادباء السودان بتابين اديبه النابغة أرســل الاستاذ العقاد قصيدة بعنوان ((الشهيد معاوية)) القيت فى حفل التابين كمـــا نشرها فيما بعد فى ديوانه « اعاصير مغرب » كذلك نماه فى مجلة الرســالة الأديب المرحوم محمد أمين حسونة .

وفى كتاب « موت دنيا » لمحمـــد احمد محجوب وأخيه الدكتور عبــد الحليم محمد ـ وهو اقرب الى السيرة الذاتية ـ نجد أنهما يذكران من شعراء مصر وكتابها البارودى وحافظ ابراهيم والعقاد وابراهيم المازنى والدكتور طه حسين ومحمد حسين هيكل ، ومــن صحافتها السياسة الاسبوعية والبــلاغ الاسبوعى ، وينفعلان بالثــورة المصرية عام ١٩١٩ ، ويتحدثان عن سعد زغلول ثم عن معاهدة ١٩٣٦ .

وكتب محمد عبــد الله عرفات صاحب مجلة الفجر السودانية فى بداية الثلاثينات عن اقبال السودانيين عـلى الصحف والمجلات والكتب التى تصدر فى مصر فلا تستقر الا فى السودان مهما كانت الحواجز التى اريد لها أن تحول بينها وبين المثقفين السودانيين « فى هذه الايام لا يلتفت الانسان فى الترام يمنة أو يسرة الا يرى عن يمينه أو يســاره احد الشبان يحمل مجلة الرسالة أو ملحق السياسة الادبى والاجتماعى أو كتـابا ظهر جـديدا فى مصر ، والكل يقراون باهتمام » .

ويعلق على هذه الظاهرة فيرى أنهـا تدعو للتفاؤل والاعجـاب حتى لتدفعـه الى الحلم بنهضة ادبية صــحيحة بل يتنبأ اننا بين عام أوعامين سنرى انتاجا أدبيا ناضجا ونرى افكارا طريفــة من جماعات المتعلمين والشباب منهم بوجه خاص . (مجلة الفجر ، المجلد الاول ، ص ٣٣ ـ نقلا عن كتاب الدكتور ابراهيم الحردلو ، الرباط الثقـافى بين مصر والسودان ، ص ١٢٧) .

***

وهذا يقودنا اخيرا الى الابيـــات التجاوب لما يقع من جليل الاحداث فى البلدين ، فعلى اثر ما وقع فى السودان من احداث عام ١٨٨٩ نجد يعقــوب صنوع ، شيخ الصحافة الشعبية فى مصر يكتب بلهجته الساخرة: لابد لفكم يا خلان ، ما فعلته القساة الانكايشان، بمدينة أم درمان ، بجثة محمد احمـد بطل السودان .. الى متى تحلم على الانجليز يارحمن .. ياماهم وحوش ، يا سلام عليهم متى قدروا ما يعفوش .. نراهم اليوم يقتحموا مقـــابر الابطال ، ويخرجو الميت ويفعــلوا به اشنع الافعال .... الى ان يتحدث عن غوردون الجنــرال الخسيس ، اللى فى عهد المهدى مات فى أم درمان فطيس.

وليس أبلغ فى الدلالة على تفــاعل الشعبين السودانى والمصرى مما جاء فى رسالة المجاهد عبيد حاج الأمين : ارسلت الكلمـــة لتنشر فى الاهرام ولا ادرى لماذا لم تنشر حتى الان ، وقــد شكا الى بعض الاخوان من ان الجرائد

لا تنشر لهم الا قليلا . وقد نشرت اللواء ما بعثت به اليها أخيرا ، عقد لى مجلس تأديب لانى ارسلت تلغرافا للصحف المصرية دون أن اعرضه للمخابرات ، وقد قرر مجلس التأديب رفتى (مجلة الحياة ١٩٥٧) .

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ فى مصر صودرت الصحف المصرية فى السودان، وحوكم البكباشى خلف الله خالد فى كوستى عام ١٩٢٢ بتهمة توزيع صحف مصرية ممنوعة .

وقد عبر أكثر من شاعر مصرى عن حبه للسودان لعل فى مقدمتهم المرحوم الشاعر عزيز اباظة الذى عبر عن حبه للسودان باكثر من قصيدة منها قصيدته « سمراء الخرطوم » :

ابصرتها فى فندق الخرطوم فى احدى الليالى
فوقفت مشدوها اجيل الطرف فى ذاك الجمال

سمراء مذهبة تقول الخال موصول بخال
او اعين سود رففن خلال اهداب ثقال
ان اقبلت اوادبرت خطرت على ساقى غزال

ويقول صالح جودت فى مقدمته لديوان « عاشق النيل » للاستاذ مبارك المغربى :

مصر والسودان هل كانا سوى
جنة يجتذب الدنيا شذاها
كلما الغيد تملت حسنها
اعذرت من سموا النيل الها

غفر الله لهم ، هل عرفوا
منعما فى عصرهم الا المياها

وعلى الجانب الآخر نجد الاستاذ مبارك المغربى يقول بطريقته الغزلة الرقيقة فى قصيدة له بعنوان « مصر الشقيقة » :

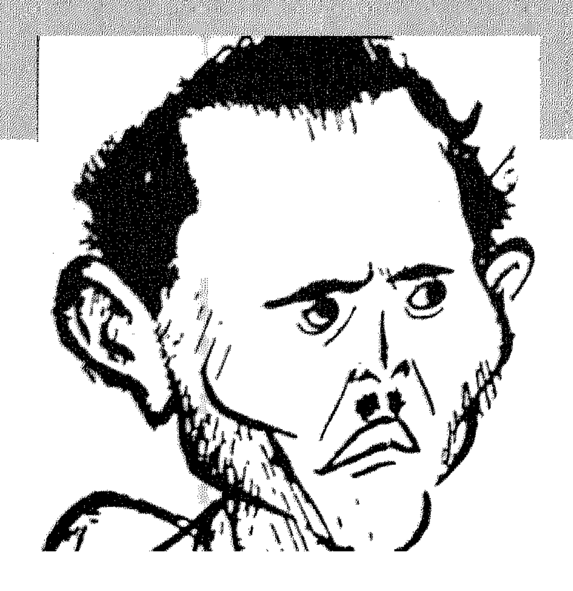
اتيت الى مصر وقلبى موزع
يهش الى دار ويبكى على دار
تركت غرامى بالجنوب لالتقى
هنا بغرام عند حلوان غدار
فكيف اداري الحب منى وما الذى
اقول اذ ذاعت لدى القوم اخبارى
ايصبح مفتونا اسير صبابة
رمته .. فلم ترحمه الا بمقدار
لقد كنت ارجو ان اعود اليهم
بقلب على صرف المقادير صبار
ولكن سقتنى الحب حواء لم ترد
سوى المى - فيما اخال - واضرار
ومالى سوى الاذعان ، هل يملك امرؤ
اذا وقع المحذور تصريف اقدار ؟

وقد اطلق الاستاذ مبارك المغربى اسم عزيز اباظة على ابنه وفاء له ، وعندما القى قصيدته عام ١٩٧٤ بمناسبة مرور عام على وفاة عزيز اباظة قال يخاطبه :

ايهذا الذى تولى كريما
مسرعا خطاه دون زحام
اين القاك كى ابثك ما عندى
واشكو اليك حر هيامى
سوف القاك فى محيا عزيز
صورة منك فى الشباب النامى

ويقول الشاعر السودانى عبد الله عبد الرحمن فى ديوانه الفجر الصادق :

بلغ النيل ان بالنيل شعبا
همه فى العلا هم بعيد



● محمد محمد على ●



● محمد المهدى المجذوب ●

ربط النيل والعروبة منه
وهداه بنوره التوحيد
كما يقول :

من قال قطر وقطر فهو فى نظرى
كمن يقول بان الواحد اثنان

ومن المؤسف ان التدفق الثقافى لا يزال حتى اليوم فى اتجاه واحد هو عكس اتجاه تدفق مياه النيل اى من مصر الى السودان . واذا كان المرحوم محمد احمد محجوب قد سبق أن عزا ذلك منذ اكثر من ثلث قرن الى عدم وجود أدب سودانى قوى العناصر له مميزاته وطابعه الخاص ، فان الشكوى لا تزال قائمة الى اليوم بعد أن نضج الادب السودانى واستطاع ان يقف على قدميه واصبح له ادباؤه البارزون مثل الطيب صالح وابراهيم اسحق وأبو بكر خالد وعلى الملك فى مجال الرواية ومثل محمد مهدى المجذوب ومبارك المغربى ومصطفى سند ومحيى الدين فارس والنور عثمان أبكر فى مجال الشعر بنوعيه التقليدى والحديث ، بل له اديباته مثل المرحومة ملكة الدار محمد (١٩٢٠ ــ ١٩٦٩) صاحبة رواية « الفراغ العريض » وكذلك له نقاده مثل الدكتور محمد ابراهيم الشوش ومختار عجوبه وغيرهم ، كما ان هناك بدايات مسرحية لا باس بها ، وبرغم ان البعض قد نشر اعماله الادبية فى القاهرة مثل روايات موسم الهجرة للشمال وبندر شاه للطيب صالح والقفز فوق حائط قصير والنبع المر لابى بكر خالد ومجموعة قصص الصعود الى اسفل المدينة للاستاذ على الملك وكثير من دواوين اخواننا الشعراء السودانيين ، وبرغم تبادل معارض الكتب بين العاصمتين ، فقد جدد التعبير عن هذه الشكوى ــ أن الادب السودانى مجهول اوشبه مجهول فى مصر الشقيقة ــ اكثر من أديب سودانى ، لعل الاستاذ عبد القدوس خاتم كان اكثرهم لباقة حين عرض فى نهاية كتابه ((مقالات نقدية)) لهذه القضية قائلا فى ختام كلماته ((لا اخشى أن يكون الذنب ذنبنا قبل ان يكون ذنبهم)) (ادارة النشر الثقافى ، الخرطوم، ١٩٧٧) .. ولعل الذنب متبادل، ولعل محوه يتم بجهد ايضا متبادل .

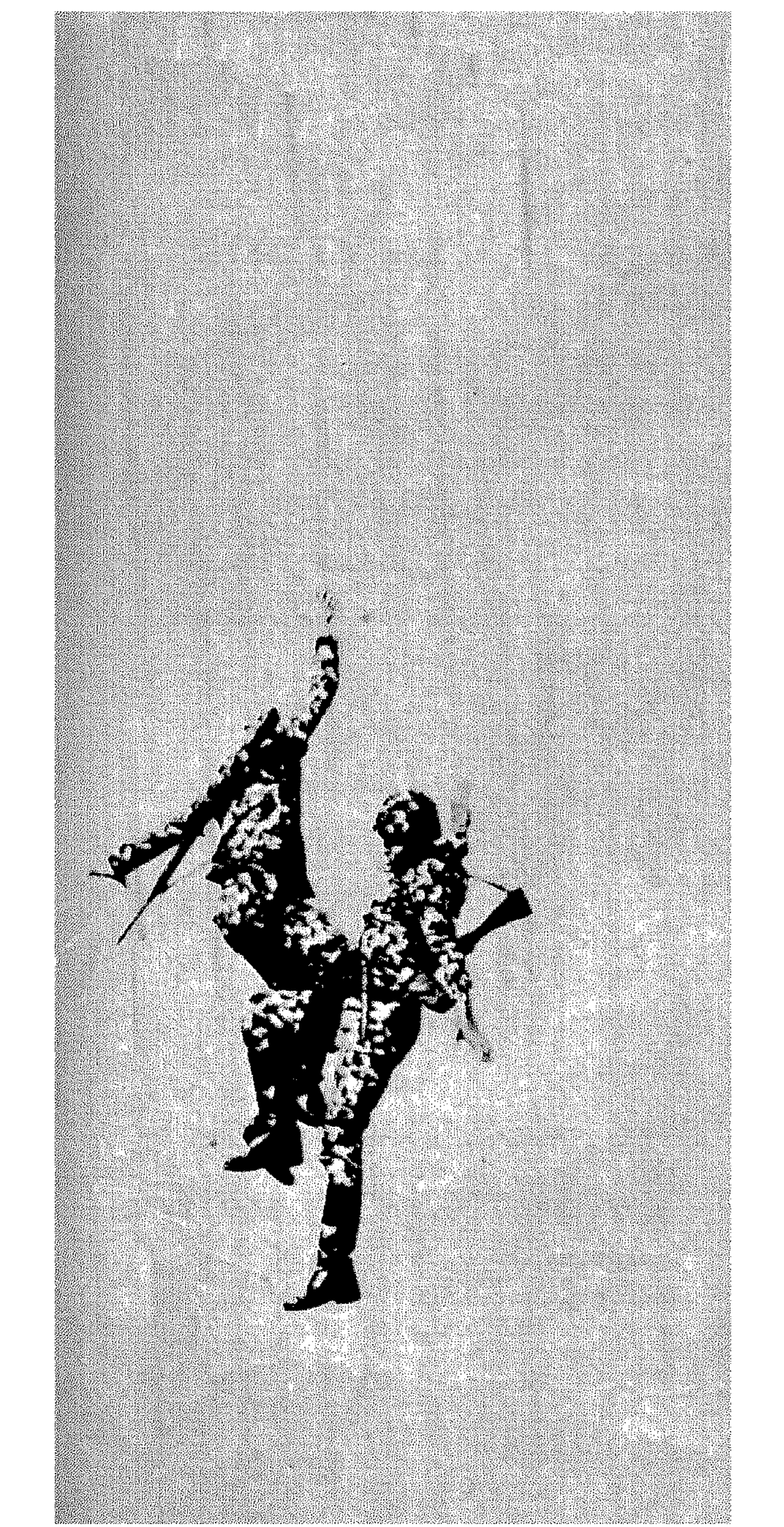
●



● لحظات الموت بالكاميرا ●

لا حدود لما يصنعه اليوم المصورون بآلات التصوير من الغرائب التي لا تصدق ، فمن شهور تمكن مصور من التقاط صورة طائرة قبل ان تصطدم ببيت ، اى انه تنبه الى الكارثة القادمة ووجه آلة تصويره وصور في ثانية من الزمان . .

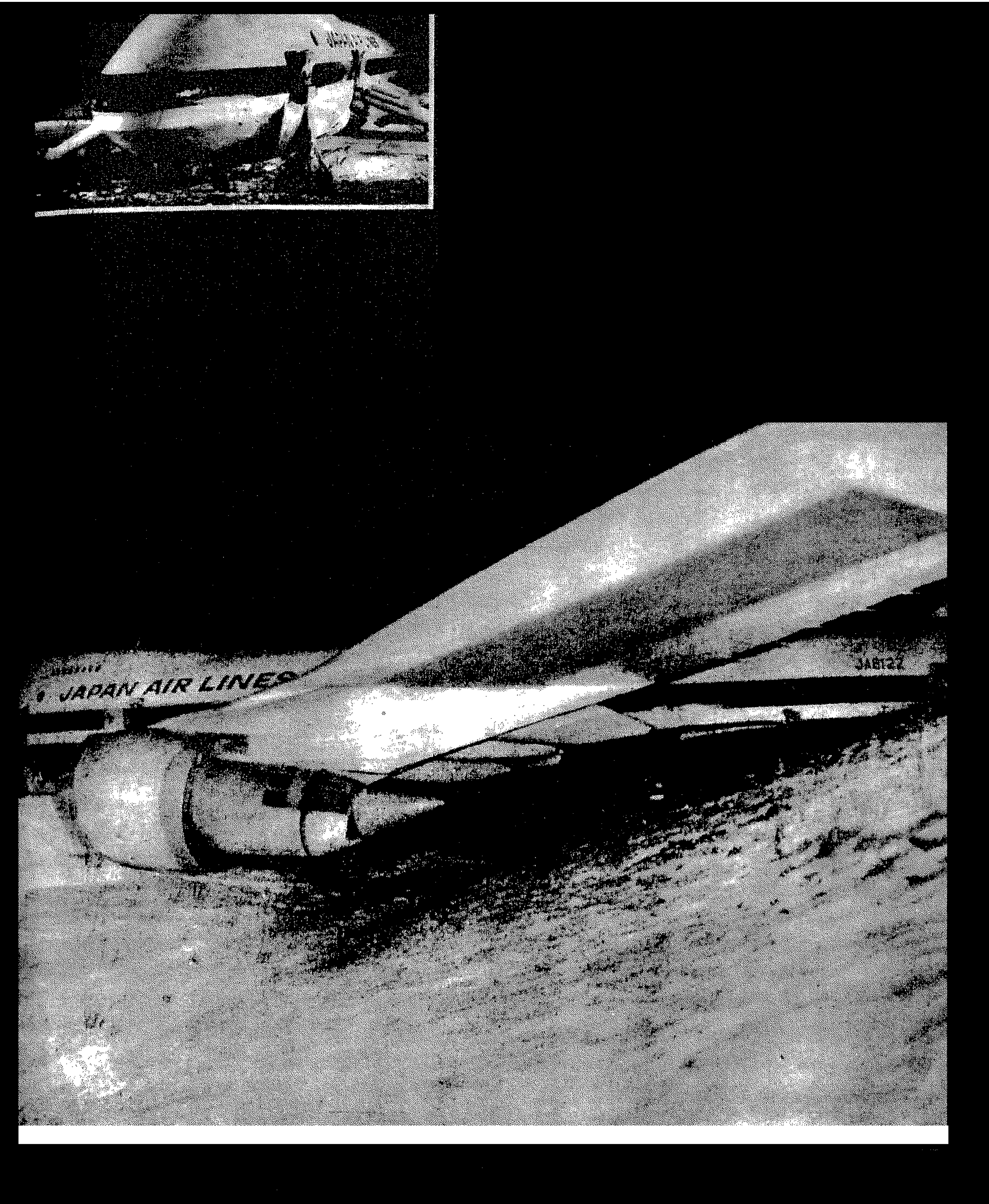




هنا مثال آخر لتلك اليقظة التى لا تصدق ، فقد كان الجنود يتدربون فى المانيا – على الهبوط بالمظلات ،وكان مصور هاو ينظر اليهم · فلاحظ ان المظلة الواقية لاثنين منهم لم تفتح ،وتوقع الكارثة ، فاخرج آلة التصوير والتقط صورا يمكن ان نسميها: القفز الى الموت .. وفى الصور الاربع ترى المسكينين وهما فى طريقهما الى الموت ،ثم لحظه دخولهما فى الموت !



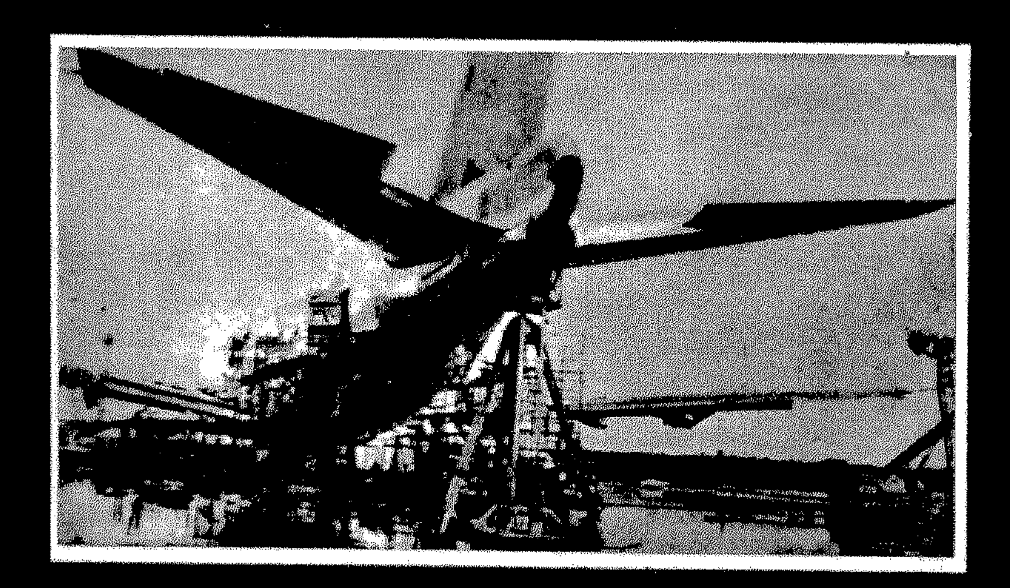




● المصنع ينتقل الى مكان الحادث ●

بينما كانت احدى الطائرات اليابانية تقوم برحلتها فوق القطب الشمالى اختل توازنها واضطرت الى الهبوط فوق الثلج ، وغاصت فيه ، ولم ينج الركاب الا بمعجزة ·





وكان لابد من نقلها الى مصانع أو «ورش الاصلاح» .. ولكن ذلك كان مستحيلا نظرا لنشوب الطائرة فى الثلوج ...

وهنا تفتقت العقلية اليابانية التى لا يعجزها شىء . عن فكرة ارسال الورشة الى الطائرة المنكوبة فهيأوا طائرة فى صورة مصنع يضم كل ما تحتاجه العملية وطيروه الى القطب الشمالى . وانقذوا طائرتهم !







ناس و صور
وحكايات

● المراة وحيرتها في عصرنا ●

المراة في كل نواحي العالم في حيرة من امرها ، ماذا تعمل لكي تصل الى حقوقها التي تعطونها اياها بالكلام ، ثم تنكرونها في الواقع ...

والصورتان على هاتين الصفحتين تعتبران موضوعا كاملا انهما تصوران حيرة نساء ايران ...

وقبل الثورة والانقلاب في ايران كان النساء يتظاهرن مطالبات بعودة الخميني ، وكن يلبسن النقاب ..

وبعد الثورة وبعد ان ارادت الثورة ان تفرض عليهن النقاب خرجن يحتججن على ذلك .. خرجن هذه المرة سافرات احتجاجا على ذلك الاجراء ...

مسكينة المراة في عصرنا هذا!

الأدب احدى الصناعات الثقيلة

فى عالم اليوم

● د. عبد الفتاح الديدى ●

● من المسلم به أن الادب مجال يمكن أن يطرقه اى انسان ، وكذلك الفن والموسيقى والرقص والتمثيل .. ولكن من المسلم به ايضا ان مستويات الانتاج فى هذه المجالات قد تتراوح فى قيمتها بين درجة الصفر او اللاشىء ودرجة النهاية الكبرى ، اى الامتياز والعبقرية

ولا شك أن الاستعداد الذاتى لمواجهة مطالب « الصناعة الفنية » من أهم العناصر التى تؤدى الى نجاح الاديب او العالم او الفنان . غير ان « الصناعة الفنية » لا يمكن أن تتوفر للمرء الا بعد جهاد شاق وطويل . فقد اصبحت الآداب والفنون اليوم من « الصناعات الثقيلة » التى تستلزم ممارسة عنيفة ومعرفة كبيرة وخبرة نادرة ...

والادب والفن ليسا اكثر من تقديم خبرة معينة ومميزة من خلال العمل ، ولكن اى خبرة ؟.. أهى خبرة صياغة العبارة – وفى هذه الحالة ينبغى ان يلم الكاتب والشاعر والفنان بكل صور التعبير وادواته واسلوب الاتصال والتوصيل وطرق الاداء فى البحث والتنقيب عن النظم الدفين والشكل الصريح والقالب او الاطار اللائق بنجاح المضمون ؟..

أم هى خبرة البوح والجراة على القول .. وعندئذ يحتاج الشخص الى روح التجربة والاقتحام واسلوب التعامل مع العقليات واسلوب التحرك امام المواقف ؟...

أم هى تقديم نوع معين من الخبرة .. وهذه ليست موحدة كما أنها ليست مجرد خبرة عادية وانما هى خبرة من صميم الواقع ممزوجة بخبرات شتى من خبرات الآخرين فى الماضى والحاضر ؟

وهذه الخبرة محوطة بغير قليل من الصعوبات بعد أن أصبحت وسائل الاتصال بالعالم قريبة من متناول كل انسان . وبدون أن يضع الاديب او الفنان فى اعتباره أن الانتاج فى مجال تخصصه صار اليوم محوطا بصور شتى من المعارف والثقافات ، سيظل عمله قاصرا عن المستوى اللائق ، وسيظل انتاجه مليئا بعيوب التخلف وضيق الافق وسوء الرؤية ...

ولا يزال المجال فسيحا أمام الكثيرين لتقديم الخبرة على مستوى الفنون الشعبية أو صور التراث التقليدى ... أما التطلع الى الأعمال الجادة فيتطلب رصيدا قويا عريضا تبدو لمحاته فى كل نبرة وتظهر معالمه مع كل خطوة .

وهذا فى الواقع مانسميه عادة بمعدن

الخبرة او طبقات الشعور الكامن وراء العمل أو الابنية النسقية الضاربة فى اعماق التعبير .. ومن اللحظة الاولى عند الاطلاع على العمل تفاجئنا هذه الدلالة النابعة من قاع الخبرة ... وليست هذه الخبرة جملة من التعقيدات وليست ايضا دفعة معرفية . ونضيف انها ايضا ليست مجموعة من الاحداث الشخصية .. الخبرة باختصار هى القدرة على اغتصاب آلاف التجارب الاخرى والتهامها وضمها الى الكيان الشخصى بحيث تستحيل فى النهاية الى منظور خاص .. والكارثة هنا انها لاتنشأ مع التعليم وحده وانها لاتكتمل بالصناعة والممارسة ، وانما تتولد من القدرة على الاستيعاب الطويل والممارسة المستمرة غير المعلنة الى أن تكتمل وتصبح شيئا جديرا بالالتفات ...

ولذلك فالامر يتطلب مواجهة حقيقية للمشكلة . واذا استعرضنا حياة اى اديب او فنان نجح فى اثبات قدراته مع مرور الايام ، سنجد أن معظمهم استفاد من الفشل والانهزام .. وقد قال احد الشعراء الفرنسيين سنة ١٩٤٢ وهو بيير جان جوف فى مقدمة ديوانه ((فى الغناء والفظاظة نستطيع الوصول الى الفهم ، ونستطيع أن نستوضح فى هذه الظروف اشعار ((رامبو)) بقراءتها اكثر مما ندركها خلال عشرات الشروح والتعليقات)) والازمات الادبية المتوالية كفيلة بأن تفتح لنا آفاقا جديدة ..

***

وعندما هبت ثورة الرومانتيكية مع مطلع القرن التاسع عشر عمدت الى تغيير جوهر الشعر والفن ، والى تحديد رسالتهما على نحو مختلف .. وصرحت الرومانتيكية بأن الشعر الغنائى الفرنسى كان ضحلا ابتداء من القرن السابع عشر . واذا كان على الشعر أن يقدم المشاعر الذاتية والانفعالات ، فعليه ايضا أن يعبر عن ارفع الافكار . ولابد للشعر فى نظرهم ان يستوحى العصر الذى يعيش فيه الشاعر بكل صوره وانماطه وتجاربه مع استخدام القول المباشر .

ولم ينجح الرومانتيكيون فى مواجهة اقوى تيارات الفن والادب الا على اساس خبرة جديدة تستوعب القديم وتتجاوزه وتتخطاه من اجل استلهام الموقف العصرى الطارىء على حياتهم ..

***

وجاء العصر الحاضر وفى عشرينات هذا القرن صرح بول بولان بانه يحتقر كل الشعر الفرنسى من شاتوبريان حتى موريس باريس الذى عاش حتى أوائل هذا القرن .. ولكن بول بولان لم يزعم ذلك عرضا وانما على اساس دراسة جديدة للغة اقامت صرحا شامخا فى معرفة اسرار التعبير أو اسرار الابداع .

فالاعمال الادبية والفنية تتغير دلالاتها ولكن تبقى لها دائما تلك الخبرة الكامنة التى يستمتع بها الانسان كصورة صادقة لحياة العصر باكمله ...

وادباء الشباب هذه الايام او من يسمون انفسهم بالدماء الساخنة محتاجون الى معاودة النظر فى موقفهم . انهم يطالبون بان تتاح لهم فرص النشر ولست ممن يملكون شبر ورق والحمد لله . ويقول الكثيرون منهم انه قضى ليلة كاملة يعد فيها قصيدته او انه قضى عاما كاملا فى اعداد الرواية ، او انه عاش تجربة خصبة تستحق التنويه والتعريف فى فن بيانى ، او انه يقدم لونا لم يعرفه الناس من قبل ... فاذا حاول بعض النقاد تعريفهم بابعاد العمل الذى يقدمونه ، غضبوا وزمجروا ... وأول مايقولونه : ولكن ياسيدى مابال فلان او فلان من الكبار الذين يملأون بكتاباتهم صفحات المجلات الادبية عندنا .. انهم يكتبون شيئا غثا يبعث على القرف والاشمئزاز !

وكنت اسمع احيانا من يقول لهم :

وانتم ... هل تريدون ان تكونوا مثلهم ؟.. لقد اخطأ من عودهم النشر صغارا فأصبحوا على نحو ما تقولون كبارا .. وما بالكم تريدون ان تكونوا مثلهم اذن وقد مضى على بعضهم عشرون سنة على الاقل فى مزاولة الكتابة » .. الا ترون أن رايكم هذا وحده كفيل بأن يردكم الى الصواب فلا تتعجلوا النشر الا وقد اكتمل لكم موقف واضح ؟ ..

والكثيرون من شبابنا لا يعلم أننا نعيش فى عصر قاس لا يصير فيه الاديب او الفنان ما يتمناه لنفسه الا بشق النفس فعلا لا مجازا .. ولا اخفى على شباب هذه الايام ان مستقبلهم ملىء بالصعوبات لأن لمسة الوعى بكافة التغيرات التى طرأت على جوهر الفكر فى العالم بعد منتصف هذا القرن لابد ان تتجسم فى ثنايا انتاجهم . ولم تعد تكفى الثقافات العادية لاظهار الخبرات الفنية المختلفة المطلوبة لمواجهة حاجة الذوق الحديث لدى جمهور العارفين .. والجهد المبذول وحده مهما كان ليس معادلا لقيمة الانتاج .

ان النقلة الفكرية التى حدثت فى نصف هذا القرن قد هزت العالم اجمع .. ويمكنك ان تنظم الشعر او ان تكتب الروايات . ولكن شبابنا القارىء اليوم يقرأ الشعر المترجم ويتأسى على مايكتبه لنا شعراؤنا . ويشاهد السينما الاجنبية ويسخط على مؤلفى الروايات عندنا . ويسمع طول النهار موسيقى الغرب ويأنف من سماع اغانينا . ويطرب من قراءة المسرحيات المترجمة ويدير ظهره لمؤلفينا المسرحيين . نصف او ثلاثة ارباع الجمهور المستهلك للانتاج المصرى فى الادب والفن لا يود ان يسمع او يقرأ شيئا ممايصدر عن ادبائنا وفنانينا ... أليس لنا فى هذه الظاهرة ما نعتبر به ؟

انى اعرف اديبا روائيا من دارسى الفلسفة المصريين قضى نصف عمره واكثر يعد نفسه لكتابة مؤلف واحد عن محمد عليه الصلاة والسلام ، ذاك هو الدكتور نظمى لوقا الذى كنت أراه صغيرا فى الابتدائية يجلس لسماع دروس الدين الاسلامى فى المدرسة بمدينة السويس . وعندما كبر لازم العقاد فى حياته سنوات طوال الى أن أظهر فى الستينات كتابه « محمد » الرسالة والرسول » ـ وهو عمل باق على مر الايام .

واذا نظرت الى كاتب روائى مثل البير كامو ستجد انه لم يخرج كتابه ((الغريب)) سوى سنة ١٩٤٢ وقد بلغ الثلاثين من عمره ، معانه كان معروفا فى الاوساط الادبية قبل ذلك التاريخ . ولكن ((الغريب)) ادهشت الجميع كرواية لانه وضع تعبيرا جديدا عن الصدق الانسانى ، هذا الصدق الذى يمنعه ان يبوح بحب امه الدفين ويسخر من مظاهر المبالغة فى اظهار عواطف انسانية كاذبة او غير محددة .. ولم تكن رواية الغريب مجرد رواية ، لقد كانت اولى دعامات الموقف الفلسفى الاخلاقى الذى عاش كامو ليحققه طول حياته بعد ذلك فى كل مؤلفاته حتى وضع روايته الخالدة عن ((السقوط)) . وفى سنة ١٩٤٢ نفسها اخرج كامو كتابه ((اسطورة زيزيف)) جنبا الى جنب مع ((الغريب)) ليقدم نواة فلسفة جديدة تدعو الى الحياة بلا انخداع . واعتبر الابداع الادبى حياة ثانية الى جانب حياة الانسان الطبيعية ..

والروائى الفرنسى « سانت اكزوبيرى » كان طيارا ولم يتلهف على اخراج روايته عن طيران الليل او بريد الجنوب الا بعد ان اكتملت أداته فى التعبير وتصوره للحياة .. ولم تكن الطائرة بالنسبة اليه آلة تحقق الوصول الى المكان المطلوب بقدر ماكانت وسيلة للتحليل والتأمل الاخلاقى والميتافيزيقى وهو يصور الناس كأنهم عالم جديد من وراء ثقافة المعلبات المحفوظة . وقد

● الكثير من شبابنا لا يعلم أننا نعيش في عصر قاس لا يصير فيه الأديب أو الفنان ما يتمناه لنفسه إلا بشق النفس فعلا .. لا مجازا .. ولا أخفي على شباب الأدباء هذه الأيام أن الوعي بكافة التغييرات التي طرأت على جوهر الفكر في العالم بعد منتصف هذا القرن ، لا بد أن تتجسم في ثنايا إنتاجهم ..

● الكتابة الأدبية تصدر عن طاقة ذاتية بلا شك .. ولكنها اليوم أصبحت مهنة خطرة لها درجات مختلفة من الارتفاع والهبوط .. ولها أيضا درجات مختلفة من العظمة والانحطاط ..

هاجم الزيف فى رواياته بأبسط الحكايات ووصف حياة الجماعة بانهار فى خصائص الانسان وارفع صورة لعلاقاته الانسانية . وكتب روايته للاطفال عن الامير الصغير التى اصبحت اروع الاعمال التى قدمها المؤلفون للصغار والكبار معا . وقراها الممثل الراحل جيرار فيليب فى اسطوانات فكانت احدوثة العصر والخيال الادبى البسيط الجميل فى وقت واحد .. ومات سانت اكزوبيرى سنة ١٩٤٤ فأصبح مقروءا من نسبة عالية من القراء خاصة عندما ظهرت روايته عن القلعة بعد وفاته بقليل .

***

وعندما ظهرت بشائر الرواية الجديدة عند ناتالى ساروت والان روب جرييه، وميشيل بيتور ـ فى الخمسينات « وان كانت ناتالى ساروت قد اخرجت بعض اعمالها فى الاربعينات » قال المحللون أن الرواية الجديدة تريد أن تحل ازمة الرواية القائمة ... وتعمدت ناتالى ساروت النظرة المجهرية الى الحياة حتى تجعل من انماط الوجود الانسانى تعبيرا عن الكينونة . وترفض الرواية الجديدة أن تكون عملا فنيا وتتحلل من خاصية الجمال بالمفهوم التقليدى ولا تنافق الذوق . انها تنقل القارىء نقلة جديدة الى عصر الشكوك والهواجس كما تقول ناتالى ساروت ولا تصف الموجودات بقدر ماتتساءل عن الوجود .

وبطبيعة الحال تشكلت الرواية الجديدة باشكال عديدة وان بقيت مندرجة تحت هذا الاسم . وتقدمت الرواية الجديدة للظهور وهى تحمل ارصدة ضخمة من افكار الفلسفة الظاهرية وخاصة عند ميشيل بيتور . وهذا المؤلف الروائى لم يصبح مشهورا فى منتصف الخمسينات الا بعد ان زاول اعمالا مختلفة وكان معلما للغة الفرنسية بمدرسة المنيا الثانوية فى مصر سنتى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ . ثم استغل فرصة وجوده بمصر واعد كتابا رائعا عن عبقرية الزمان عن الاثار المصرية طبعه بفرنسا بعد وصوله اليها سنة ١٩٥٣ . وكان قد سافر للعمل بالتدريس قبل ذلك بكندا سنة ١٩٥٢ . واخرج رواياته المرور بميلانو والتعديل والجدول الزمنى بين سنتى ١٩٥٤ ، ١٩٥٧ . وكانت هذه الروايات حدثا فذا فقال عنها سارتر انها تنبىء فى طياتها عن كاتب كبير .

والكتابة الادبية تصدر عن طاقة ذاتية بلا شك ولكنها اليوم أصبحت مهنة خطيرة لها درجات مختلفة من الارتفاع والهبوط ولها ايضا درجات مختلفة من العظمة والانحطاط . واصبحت تحوط الكاتب هالة كبيرة تتخللها ثغرات من التدخل والتنغيص. وعندما الف سيلين قصته الاولى بعنوان عند حافة الليل انهالت عليه الجوائز سنة ١٩٣٢ بصورة عجيبة جعلته يفكر طويلا فى مصيره كمؤلف روائى ،وكأنما تتخاطفه الجماعات والاتجاهات .

ولكنه ثابر وجاهد وعانى معاناة الابطال الحقيقيين ليقول كلمته حرة

● الأديب المبدع هو الذى يخلق ضمائر الناس ويعمر قلوبهم بالصدق ويجمع بين أطراف المشاعر الإنسانية .. ويلزمه لذلك كله موقف أخلاقى ومعرفة علمية وفلسفية واتجاه تاريخى والتزام بالمسئولية ...

مستقلة ومنها عبارات كثيرة لصالح العرب فى رواياته من مثل : من قصر لآخر وموت بالتقسيط . واصبح سيلين أكبر روائى تقرؤه الجماهير بفرنسا .

وكذلك رفض جان بول سارتر جائزة نوبل ، واحتقر جوليان جراك جائزة جونكور ، وانكر هنرى ميشوه قيمة جائزة الاداب الكبرى القومية . ولم يعد الكاتب او الاديب أو الشاعر يلتمس دليلا على أصالته من احد . ومثل هذا الموقف يتطلب من الكاتب الفنان موهبة وقوة ذاتية ورصيدا كبيرا من الاصالة والابتكار يجعله فى موقف يتناسب مع هذه الحقائق الجديدة . فالاديب المبدع هو الذى يخلق ضمائر الناس ويعمر قلوبهم بالصدق ويجمع بين اطراف المشاعر الانسانية . ويلزمه لذلك كله موقف اخلاقى ومعرفة علمية وفلسفية واتجاه تاريخى والتزام بالمسئولية . فمن أين للشاب بهذا كله مالم يكن قد استوعب علوما يظهر معدنها فى سطوره ومعرفة تضمن استمراره ورصيدا من الالمام بالمسائل الفكرية والمذاهب الفنية تجعله يعكس ذلك كله فى انتاج واضح الأبعاد والاعماق . وكيف تتالف مواقفه النفسية والاخلاقية فى اطار المهمة التى يقوم بها ...

لقد اصبح اليوم عنصر الشهرة وعنصر الظهور الاجتماعى مختلطين بعملية الانتاج الثقافى الى جانب عنصر الكسب المادى الضرورى . وهذا من شانه أن يجعل احتراف الكتابة والشعر والفنون ذا بريق ولمعان وذا اهمية ايضا من ناحية الارتباط بخط سير واضح فى الحياة . فهو اما ان ينزوى عن الناس استعدادا لرسالته الفكرية او يخالط الناس مخالطة العاملين فى مختلف المجالات العملية . ويتحدد هذا الجانب عادة فى حياة الفنان أو الاديب او العالم وفقا لطباعه فى تصور الحياة والمدنية والتاريخ ولمدى فهمه لطبيعة الفرع الذى يتخصص فيه ولمدى قدرته على اتقان صناعته الفنية . فمنهم من تجذبه الشهرة والسمعة مهما كان تقديره الشخصى لكفاءته الشخصية بالنسبة للاخرين . ومنهم من تغريه طبيعة الوضع البراق والمكانة المرموقة بكل ما فيهما من استعراض وتعالم واستئثار بالتقدير والاهتمام بالإمجاد . ومنهم من يبذل قصارى جهده فى التحايل من أجل كسب الثروة باية وسيلة .

وليس أوضح الان من طريق العمل الادبى . فبعد هذه المقدمات نستطيع ان نعرف اى الطرق نختار . والناقد امره سهل أما جوهر العمل الادبى فما من سبيل اليه الا باتخاذ خطوات جادة نحو التثقيف الذاتى والارتباط بمناهج فى العمل والدراسة والشروع فى ممارسة الانتاج .

والناقد مسئول بلا شك فى هذه الفترة القاسية . وقد غلبت المجاملة على لغة الجميع . وهم يخلطون بين التشجيع والتوجيه وبين المجاملة اللا ابالية التى لا تهدف الا الى استرضاء العواطف واستقطاب الاشخاص واتخاذ الوسائل الكافية لضمان خطوط سيرهم الشخصية . وازاء الشعور العام بالاحباط يحاول كل أن يستنقذ ذاته . واذا لم تكن صناعة الادب تضمن الكسب الوفير فلا اقل من الا نغضب الناس والا نسىء الى العلاقات والاصحاب . وحتى الامتياز قد يبعث على الحسد واثارة الكراهية فى نفوس الاقران . فلنستبعد اذن هذا الامتياز ولنكن كما يكون الاخرون ولنخرس اذا لزم الامر فلم يعد لجوهر رسالة الاديب والكاتب والفنان شان . ولنا الله من قبل ومن بعد فى هذه الصناعة التى لا تقل فداحة عن الصناعات الثقيلة . ●●

من فكر القدماء

اللهُ والوحدانية والإيمـــان

أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني

يعتبر ابو محمد عبـد الله بن ابى زيـد القيروانى « ٣١٠ ـ ٣٨٥ هـ / ٩٢٢ ـ ٩٩٦ م » ، من اجـل الفقهاء فى تاريخ المذهب المالكى ٠ ولـد فى بليدة نفذه فى جنوبى الاندلس ثم انتقل به اهله الى القيروان ، وهنـاك نشـأ وتربى وتعـلم ، وظهر نبوغه فى الفقـه المالكى ، ولهذا يلقب بابى زيد القيروانى وقد بلغ من مكانته بين المالكية ان سمى بمالك الصغير ٠ وترجـع شـهرته الى انه اختصر الفقـه المالكى كله فى كتـاب صغير يسمى بالرسالة ، يعتبر من نوادر الاعمال الفقهية لانه اختصر الفقه المالكى كله فى صفحات قليـلة ، ولهذا كرهـه الكثير من الفقهـاء لانه يسر الفقـه للناس جميعا ولم يجعـله قصرا على كبار الشيوخ ٠ والفقرة التـالية اخذناها من خطبة « الرسـالة » وهى تتناول الله سبحانه وتعـالى والوحدانية والايمان بابلغ ما كتبـه الكاتبون الى اليـوم ، ولهـذا نقـدم هـذه السـطور البديعـة من الفكر الفقهى الاسلامى فيمـا يلى :

باب ما تنطق به الألسنة وتعتقـده الأفئدة

من واجب امور الديانات

من ذلك الايمـان بالقلب ، والنطق باللسان ان الله اله واحد لا اله غيره ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا شريك له .. ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون ... يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون فى ماهية ذاته ، ولا يحيطون بشىء من علمـه الا بما شاء ، وسع كرسيه السمـوات والارض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم ، العالم ، الخبير ، المدبر القدير السميع ، البصير ، العلى ، الكبير ، وانه فوق عرشه المجيد بذاته ٠ وهو فى كل مكان بعلمه ، خلق الانسان ويعـلم ما توسوس به نفسه ، وهو اقرب اليه من حبل الوريد . وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين .. **على العرش استوى ، وعلـى الملك احتوى ، وله الاسمـاء الحسنى ، والصفات العـلا ... لم يزل بجميع صفاته واسمائه تعالى أن تكون صفاته مخلوقة واسماؤه محدثة ... كلم موسى بكلامه الذى هو صفة ذاته لا خلق من خلقه ، وتجلى للجبل فصـار دكا من جلاله ، وان القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد .**

والايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ، ومقادير الامور بيده ، ومصدرها عن قضائه . علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عبارة قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه به ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ... يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدى من يشاء فيوفقه بفضله ، فكل ميسر بتيسيره الى ماسبق من علمه وقدره من شقى او سعيـد ، تعالى ان يكون فى ملكه مالا يريد او يكون لأحد عنه غنى . او يكون خالق لشيء الا هو رب العباد ورب أعمالهم ، والمقـدر لحركاتهم ، وآجالهم ، الباعث الرسـل اليهم لاقامة الحجة عليهم .

ثم ختم الرسالة والنذارة والنبـوة بمحمد نبيه ((صلى الله عليه وسلم)) فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

الدراسات العليا أيضا ..

فى حاجة إلى ثورة جديدة

● د . محمد عبد المنعم خفاجة ●

● واقصر الحديث هنا على جانب من الدراسات الإنسانية ، وهو الدراسات اللغوية والادبية فحسب . ومن البديهى ان هذا الجانب كثر الخريجون منه كثرة مذهلة ، لدرجة تجعل من الحتم تاجيل القبول فيه اربع سنوات، على أن يقصر القبول فيه على الحاصلين على ((جيد جدا)) فى الليسانس .

وعلى أن تكون مرحلة الماجستير اربع سنوات على الاقل : اثنتان دراسيتان، واثنتان لاعداد الرسالة ، وتقتصر الدراسة فيها على الاساتذة وحدهم .

أما الاشراف على البحوث وتوجيه الطلاب فيها ومراجعة كتاباتهم العلمية فيوكل الى الاساتذة المساعدين ، على ان يقدموا تقارير كاملة عن أعمال الطلاب كل نصف سنة .

أما فى مرحلة الدكتوراه فسيبقى الاشراف والتوجيه للاساتذة وحدهم على الا يزيد نصاب الاستاذ فى الاشراف على رسائل الدكتوراه على عشر رسائل ولا تقدم رسالة دكتوراه للمناقشة قبل مضى أربع سنوات على الاقل من بدء تسجيلها .

ولابد من أن يقر موضوع البحث لجنة مؤلفة من المشرف ، ورئيس القسم ووكيل الكلية للدراسات العليا .

***

وفى رسائل الماجستير تؤلف لجان الحكم ثلاثية : اما فى رسائل الدكتوراه فيجب ان تكون لجنة الحكم خماسية .

وتخصص بحوث الماجستير للاعمال التى تحتاج الى جمع نصوص مادة الرسالة المتفرقة من مختلف المصادر :

أما بحوث الدكتوراه فيجب ان تكون حول النظريات والمذاهب والتيارات المختلفة ، والكشف عن كل ماغمض من الافكار .. وتنشأ فى كل كلية مجلة للبحوث العلمية ، ويشترط لمناقشة اية رسالة أن يقدم بحث كامل عنها يتضمن خلاصة وافية للرسالة والجديد فيها وأهم مصادر البحث المخطوطة ، ويقر الاستاذ المشرف هذا البحث وتقوم الكلية بطبعه مع ترجمة له بالانجليزية، ويوزع هذا البحث المطبوع على مختلف دوائر البحث العلمى .

على أنه لابد من طبع فهرست شامل للرسائل فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه فى جميع الكليات الجامعية فى جمهورية مصر العربية ، ووضع هذا الفهرست فى أيدى المشتغلين بالدراسات العليا ، حتى يمكن الافادة منه فى كل مايتصل بشئون البحث العلمى فى مختلف اقسام الدراسات العليا .

ان من العجيب اليوم ان نسمع ان استاذا جامعيا اوكل اليه الاشراف على اربعين او خمسين رسالة ، اويكلف باعمال علمية فى الدراسات العليا تفوق قدرة البشر !!

والمتبع اليوم ان يقر المشرف على الرسالة وحده صلاحيتها للمناقشة .. ويجب الا ينفرد المشرف بذلك العبء وحده ، بل يجب ان يمر البحث بمرحلة اولى من التقويم والميزان العلمى على يدى استاذ مساعد ، ثم يجىء دور المشرف بعد تلك الخطوة الاولى فيعيد الوزن والتقويم مرة ثانية ، حتى يكون البحث على درجة علمية عالية ، وتلافيا

لان تخرج البحوث خفيفة الوزن، قليلة الفائدة العلمية ، ضحلة المادة ، لا جديد فيها ، كما نلحظ ذلك اليوم .

لقد قرأت مقدمة كتاب الخصائص لابن جنى التي كتبها الباحث العلامة محمد على النجار رحمه الله وهو يقدم الكتاب ، فهالني روعة البحث ، وعظمة الكتابة . وقرأت كتابا لكراتشوفسكى عن ((محمد عياد الطنطاوى)) فذهلت لهذا التمكن العلمى من المادة ، عن الازهر فى عصر محمد علي ومناهجه العلمية وحلقات الدراسة فيه .

ولدينا طبقة جليلة من الاصلاء فى العلم ، من امثال عبد الوهاب عزام واحمد امين ، والشيخ محمد أبوزهرة، وامين الخولى ، وأحمد الشايب ، و د . شوقى ضيف ، و د . حسين مؤنس وغيرهم ، وهم الذين تزدهى بهم نهضتنا العلمية الحاضرة .. ومن المطلوب تكوين طبقات علمية مماثلة لهذه الطبقة ، تثرى بهم حركة البحث العلمى .. ومصر الحرية ، مصر السلام ، مصر النهضة والمعرفة والعلم . والدءوب على تلقى الثقافة ، وحمل رسالتها ، وأداء امانتها ، جديرة بأن يكون فيها طبقات متلاحقة من أجيال العلماء الاصلاء .

ومن العجيب اننا اذا ماقرانا فى كتب التراث نجد منهجا علميا رفيعا اصيلا ، فى جمع المادة العلمية وتخيرها والكشف عن جوهرها ، والافادة منها فى البحث والمعرفة ، قل أن يوجد له نظير فى دراستنا العلمية اليوم ..

لماذا هذا التأخر العلمى ؟ ولماذا ذلك الجمود والوقوف والنكوص على الأعقاب؟ انى لأفهم ان ياخذ كل جيل من سابقه، ويفيد منه ، ويتلقى عنه فيحسن التلقي .. ويضاهيه فى الامانة العلمية ، وفى الجد فى حمل مسئولية البحث. ولكن الأمر صار بعكس ماكنا نرجوه ، مع تقدم وسائل البحث العلمى ، وثراء المصادر والمراجع ، ووضوح المناهج

واذا ما اصبحت الجامعات بيئات علمية حقا فانها سوف تحمل المشعل ، وتضىء الطريق للاجيال وعندئذ تنعدم وسائل الزلفى والنفاق والملق فى جونا الجامعى ، حيث تصبح الجامعات للعلم وحده ، وتكشف عن اصالتها النادرة ،

ان الدراسات العليا فى جامعاتنا فى حاجة شديدة الى الانقاذ ، الى المعاودة والمراجعة والبحث عن المنهج ، الى ثورة علمية جديدة ، تعود بها الى عظمة الطريق ، وجلال الهدف ، وسمو الغاية ، والى كل مقومات البحث الخالص .

لقد ملكت مصر بجامعة الفسطاط الاولى ، وبجامعة الازهر ، وبجامعاتها الحديثة اليوم . وبجامعاتها الفرعونية القديمة من قبل : كجامعة عين شمس وجامعة الاسكندرية وجامعة منف . كل مقومات الحضارة والاصالة والشخصية العلمية المتميزة ..

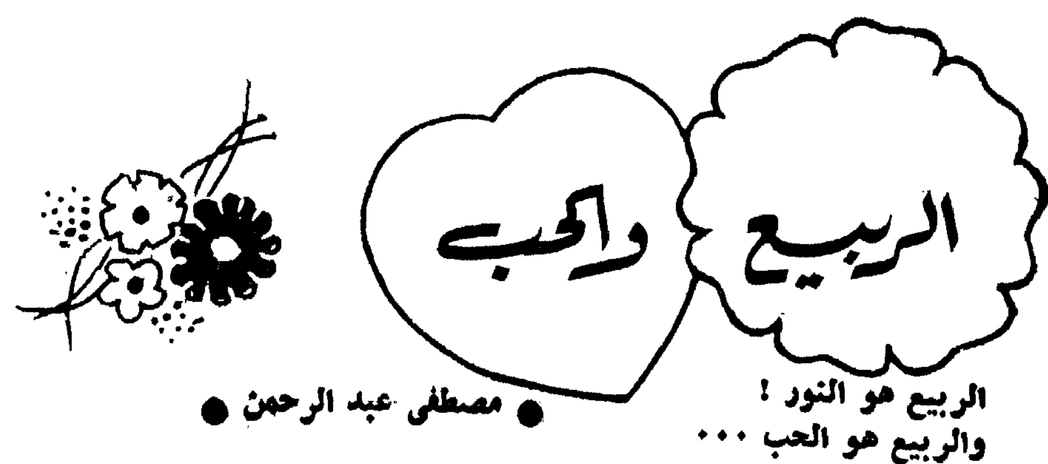
واليوم نريد ان نعود الى هذه الشمائل الكريمة فى البحث وتخرج العلماء الباحثين .

ان جيل محمد عبده ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم من علمائنا ، وممن اكسبوا مصر مكانة علمية عالية ، لجدير بنا اليوم ان ناخذ عنه الاعتداد بالشخصية ، والكفاح من اجل حمل رسالة العلم ، واداء امانة العلماء .

ومصر العلم والعلماء ابدا قادرة على الاخذ والعطاء ، انها حلقات مضيئة دائما فى سبيل الثقافة وطريق الحضارة والعقل المصرى دائما يبدع ويبتكر ،وقد يعتريه يوما الوهن والضعف ، ولكنه لا يكل ولا ينام ولا يستكين .

واذا كانت الدراسات العليا فى جامعاتنا اليوم لا تخرج لنا طبقات كثيرة من الموهوبين فانها جديرة بأن تكون المنبع الاول لصقل المواهب ، وشحذ الذهن، وتأجيج شعلة الذكاء فى العالم والباحث

لم تعد الجامعات نفسها فى مراحلها العالية اداة كبيرة لكل ماتريده منها الشعوب ، ولكن حلقات الدراسات العليا فى مختلف الجامعات اليوم هى التى تضىء الطريق أمام الاجيال ، **وتنير السبيل امام جماهير الدارسين ، وهى التى نعتمد عليها فى الاخذ بيد البحث العلمى ، من اجل نهضة شاملة، وحركة تقدم كاملة ،والله من وراء الجهد ، وهو العون للمجدين فى سبيل المعرفة والثقافة** ●



● مصطفى عبد الرحمن ●

الربيع هو النور !
والربيع هو الحب ...
والربيع هو الحياة ...
ما اشد أن نظلم الربيع حين لا نراه غير وردة حمراء ، او قبة زرقاء ، أو ثمرة ناضجة حلوة الرواء ! ..

ان لغة الزهور هي نفسها لغة الحب ، عطر الشوق ، وعبير الحنين ، وشذى اللهفة ، ولون الدموع والخدود ..

قالوا : ان الوردة الحمراء تقول لك (بدأت أحبك) وان زهرة القرنفل تهمس (لماذا تحبيني) وان الودرة الصفراء تناجي بقولها (ثق بحبي) بينما تتوسل زهرة البنسيه (أفكر فيك دائما) ، أما الوردة البيضاء فتتأسف في صمت معناه (أما زلت لا تعبأ بحبي) ؟

يقول (لامرتين) شاعر فرنسا الكبير :

الحب وردة ذات شوك ، وكلما كانت
الوردة جميلة كثرت من حولها الاشواك

والمثل الهندى يقول :
(ولد الحب في احدى ليالى الربيع المقمرة !)

أما العقاد فيقول :

(يقترب الربيع فتسرى الحركة في عالم الاحياء كأنهم يتاهبون ليوم عرس أو يتجملون لعيد مهرجان

طائر يرفرف ولا يستقر ، واذا استقر اخذ في التغريد ، وشجر يخرج جواهره من خزنتها المهجورة كما تتزين الحسناء

وأنغام ترقص ،ومروج تتألق ،وأحلام تتجاوب بأشتات من الانغام والاصداء .. اشتات تتفرق ما شاءت أن تتفرق ، ثم تجتمع في كلمة واحدة تقال بكل لغة ، وتفهم بكل وجدان

هي كلمة الحب ..)

***

الناس كلهم يحيون مع الربيع من جديد ، فتجرى في عروقهم دماء الحياة ، وتسرى فيهم نبضات الغرام ، وتشتعل العواطف ، وترتل القلوب أحلى أناشيد الهوى والحنين ... فالربيع موسم التلاقي في ظل الطيب والورد ، واللقاء مع الحبيب بلا وعد ..

يقول عمر أبو ريشه :

هنـــا في موسم الورد | تلاقينـــا بلا وعـــد
وسرنا في جـلال الصمت | فوق منــاكب الخـلد
وفي الحـاظنا جــوع | على الحـرمان يستجدى
واهوى جيدك الريان | متكئـا على زندى ...
فكنا غفــوة خرسـاء | بين الخـــد والخـــد

والمرأة بما فيها من سحر ، واشراق ، وفتينة وجمال تمثل بأنوثتها روح الربيع التى تختال فى الدنيا فتهب الحيـــاة ، ويخفق القلب وتنتعش الروح ، وترتل أحلى أغانى الهوى والحنين ..

يقول الشابى شاعر تونس الخضراء فى خالدته (صلوات فى هيكل الحب) :

انت روح الربيع تختــال فى الد | نيا فتهتز رائعــات الـــورود
وتهب الحيــاة سكرى من العـــ | ـــطر ويدوى الوجود بالتغريد
كلما ابصرتك عينـــاى تمشـــ | ـــين بخطو موقع كالنشـــــيد
خفق القلب للحيـــاة ورف | الزهــر في حقل عمرى المجرود
وانتشت روحى الكئيبة بالحب | وغنت كالبلبـــل الغــــريد

ان الربيع يعود فتعود الحياة فى كل شىء ويسيطر الحب على كل الخلائق من حى يحيا ولا يتحرك وذلك النبات . ومن حى يحيا ويتحرك وذاك الحيوان ، ومن حى يحيا ويتحرك وله فهم وله لسان وذلك هو الانسان ...

يقول امين نخلة وقد عاد الربيع :

عاد الربيع وحـرك الغصـــنا | اين الربيــــع واين ماكنـــا
عودى فقد عاد الربيع وقـــد | عاد الحمام وقد تعـــاتبنا
عــودى فقـد عاد الربيع لنــا | همس الربيع وغمزه عنـــا
انفاســـــه منــا ورقتـــه | منـــا ، وجـــر ذيوله منـــا
يا غصن يا مضـــــنى بلا سبب | مل حولنا يا غصن يا مضــــنى
يا ورد يا ابن الرقة اختبـــأت | فى ظلك العشــاق خبئنـــا

وفى ألفاظ تسيل عذوبة ، ومعان تشف عن رقة .. رقة كأنها صفاء فى صفاء أو كأنك تتأمل فيها الى زرقة السماء وهى بعد تحمل فى بساطتها عمق التـاريخ ووهج الحريق ..

يقول صالح جودت :

يا حلوة العشرين لا تفـــزعى | من همسة الخمسين فى مسمعى
انا شـــباب سرمدى المـــدى | انا ربيــــع دائم المطـــلع
لا يكبر الشـــــاعر يا طفلتى | فعمــــره فى حســـه الطيـــع
قلبى على العشرين قيـــدته | فعمـــر قلبى ليس يجرى معى !

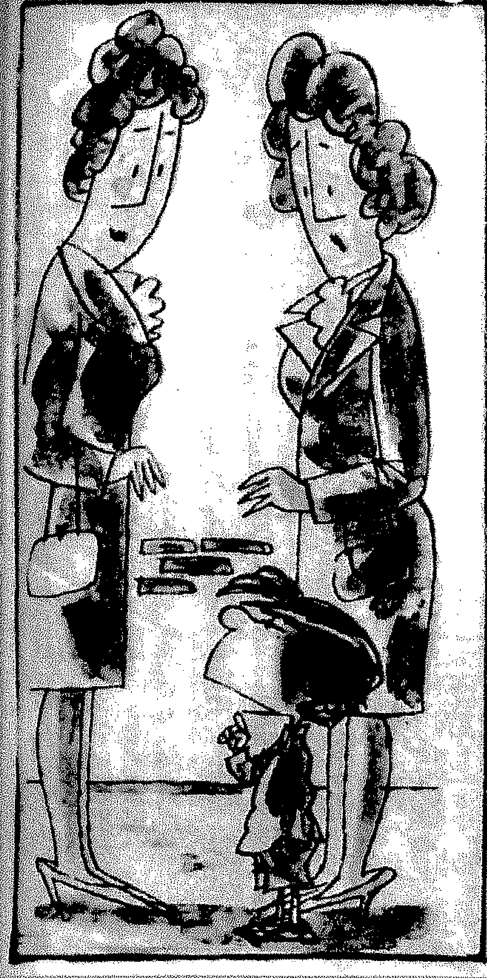
ويمزج العقاد بين الربيع فى مشاعره ، والحبيب فى أحاسـيسه فاذا نضرته سبب لنضرة الطبيعة واذا غضبه غضبها فى الشتاء ، والطير لا يغنى الا بصـوته وخرير الجدول همسات ثغره :

فيـك من كل ربيــع طلعـــة | تنبت النضرة عاما بعـــد عام
والشـــتاء الجهم لا يعدوك من | عهـده العاصف برق وغمــام
ما تغنى الطـــــير الا بعض ما | انت راويه ولا نوح الحمـــام
واذا الجدول ناغى نفســـه | فهى اصـــداؤك من غير كلام

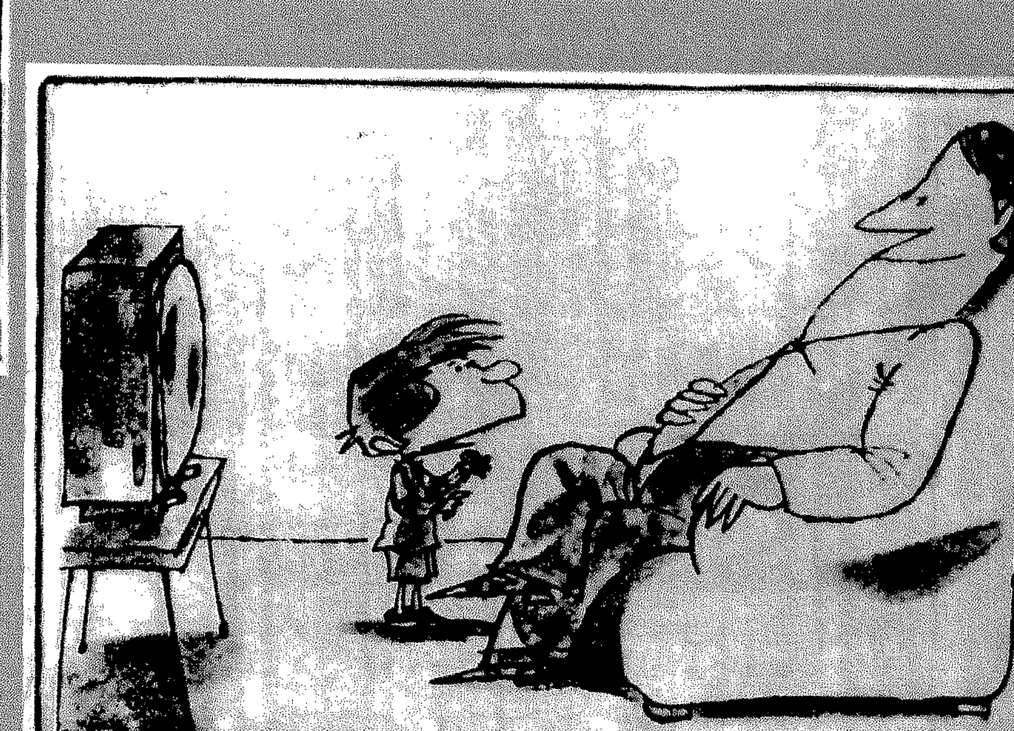
مرحبا بك يا ربيع الحب
يا ربيع النور والحياة والسلام ..

كاريكاتير ..

جيل .. جديد جداً !



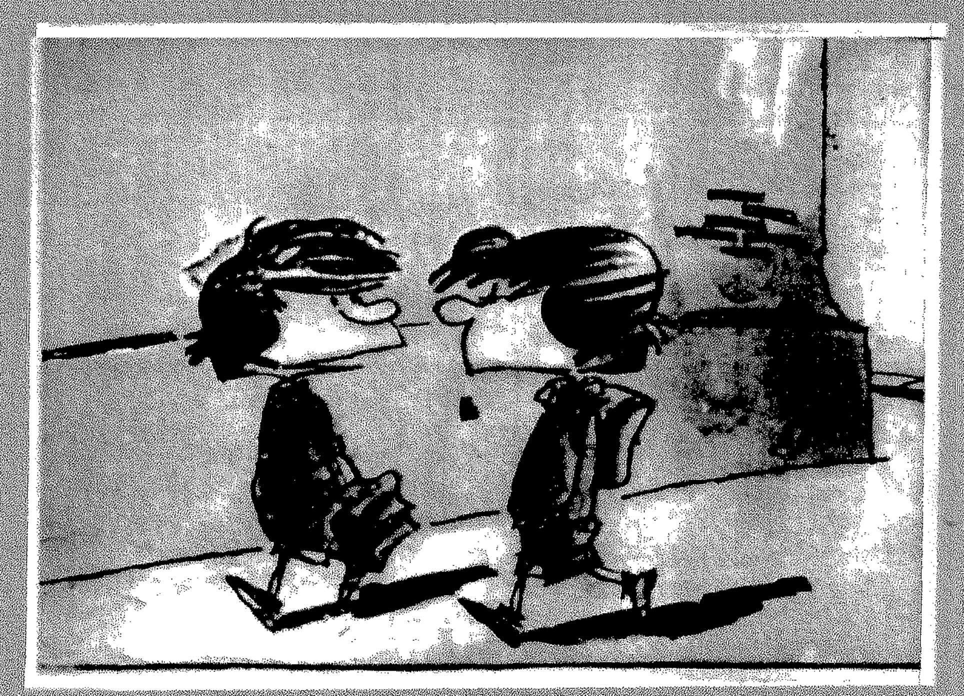
الولد للضيفة : لا ، لا يا تانت ... لازم تيجى عندنا بكره وبعده وكل يوم ! .. أنا سمعت بابا بيقول عنك كلام بحرارة ، وبمنتهى الاعجاب !.



الولد لابيه بيتهيالى تقوم انت بقى تنام بدرى ، احسن ح يعرضوا دلوقت برنامج مثير شويه !.



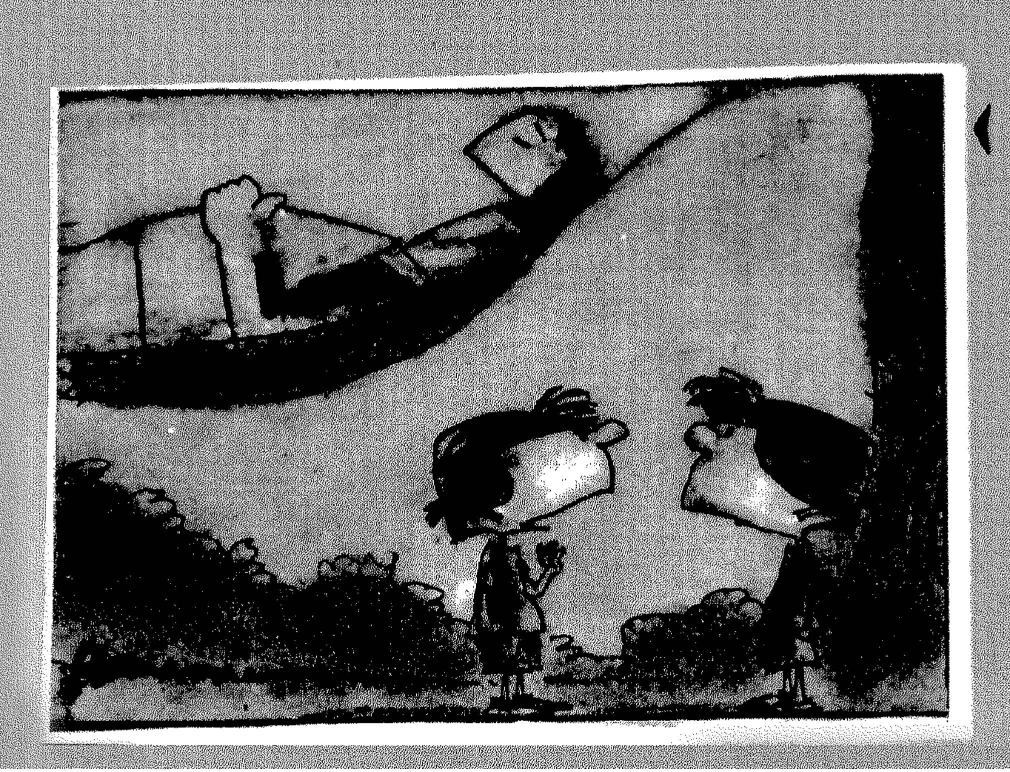
البائع للوالد : اطمن .. هو اختار الاسطوانة دى ، وصحيح هى ح تعمل دوشه فظيعه .. لكن كلها لفتين و ح تنكسر !.



الولد لصاحبه : مفيش فايده !.. كل يوم بابا يصمم يعمل لى الواجب بنفسه ، والنتيجة يطلع غلط ، والمدرس يعاقبنى ، واضطر أعمل الواجب بنفسى تانى !..



الولد لصاحبته : شوقى بقى ... انا ما احبش مراتى تخرج ، لا تتعلم ولا تشتغل !.. انتى تروحى تتقعدى فى بيتكم كام سنه لغاية ما اكبر واتخرج وآجى اتجوزك !.



الولد لصاحبه : خلى بابا نايم كده مستريح لغاية ما تقطع بيه الحبل ، وانت تشوف اللى ح يحصل بقى هيصه وفرجه لها العجب !.

في ذكرى مرور ٥١ سنة على إزاحة الستار عن "نهضة مصر"

مختار

ملحمة من الأصالة المصرية بلغة عالمية

● جمال قطب ●

● قال د. طه حسين يوما عن مختار « انه من العسير على شباب اليوم ان يتصور ما استولى علينا من دهشة ومن عجب عندما بدأ الحديث عن مختار، فنحن وان كنا قد اخذنا الان نتحدث عن الفن وندرسه ، وننظم له المعارض ، ونناقش ونصدر الاحكام ، الا ان أمور الفن كانت غريبة من قبل عن الشباب، لقد كان مختار معجزة أدهشتنا حتى سميناه « النابغة » . »

وفى عام ١٩٢٠ كتب أكبر نقاد الفن فى أوروبا ، اندريه سالمون : « لا اعرف نحاتا معاصرا عنى أكثر من مختار بالعنصر البنائى ، وباحترام الكتلة لذاتها فى فن النحت وفقا لما تمليه تقاليد هذا الفن العريقة ، وليس هناك فن أجدر من فنه أن يكون فن انبعاث، وفوق هذا وذاك فان مختار دفعنا لان نلمس اعماق ضمير بلاده مصر .. حين عبر عن عاطفة كبرى وهى تمجيد الجلس »

وفى نوفمبر ١٩٣٥ كتب جورج ريمون المراقب العام للفنون الجميلة فى مصر وقتذاك مخاطبا رئيس الوزراء آنذاك : « ان فن مختار منفرد النظير .. فقد ظل هذا المصرى الاصيل مصغيا الى صوت تقاليد اجداده منذ آلاف السنين ، ثم اعاد الحياة الى فن النحت والفنون كلها . وان اعماله التى نحتها بيد تحركها العاطفة ويهزها المرض ، لتدل على فنان متمكن من اسلوبه ،قدير على التعبير بلغته الخاصة دون الالتجاء الى التقليد ! »

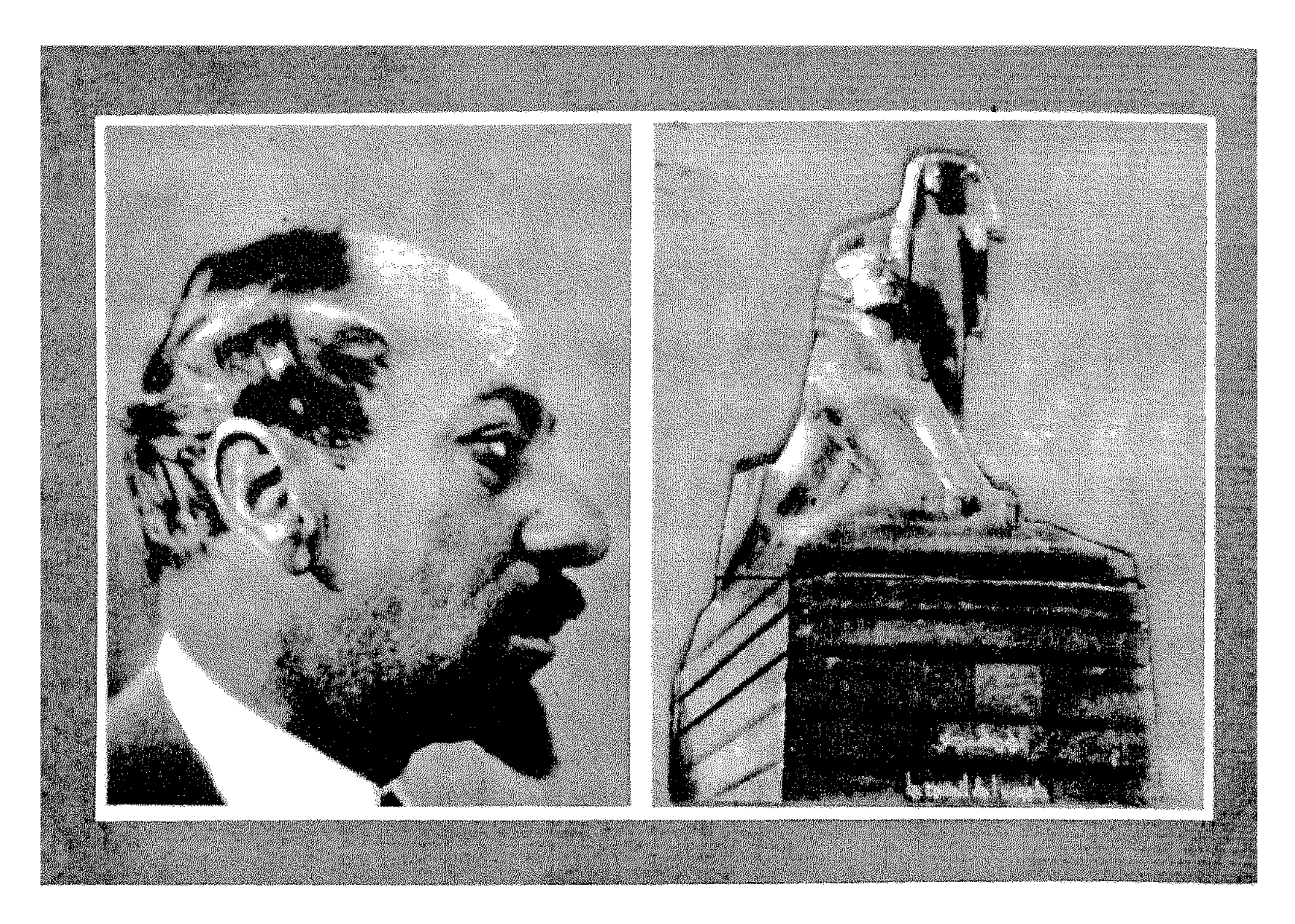
فمن هذا الفتى الريفى الاسمر الذى اصبح فى الثلث الاول من هذا القرن حديث العالم وملء سمعه وبصره، ونجم محافله الفنية ؟

المنبع

عندما ولد الطفل محمود مختار فى عام ١٨٩١ ، لم يدر بخلد أهالى قرية « طنباره » انهم يقدمون للعالم فنانا اصيلا سيحمل رسالة أجداده الفراعنة الذين انقطعت مسيرتهم الفنية منذ آلاف السنين !

وينمو الوليد .. حتى يبلغ الرابعة من عمره ، وينفصل ابواه ، وترحل الام بولدها الى بلدتها الصغيرة « نشا » وهى احدى قرى محافظة الغربية ، لتقيم بين اهلها ، ولينشأ الطفل فى بيت أخواله . وهناك وجد فى البيت جارية عجوزا ، لا تكف عن رواية الحكايات والاساطير . فشغف بها ، وكان يطلب منها دائما أن تقص له من حكاياتها الممتعة . حتى اذا جاء الليل ، تسلل مختار الى المقهى القائم بمدخل القرية ليستمع الى شاعر الربابة وهو ينشد سيرة « أبى زيد الهلالى » ، وعنترة، ودياب، وسيف بن ذى يزن. وكان لهذه البطولات مفعول السحر فى نفسه المتفتحة ، وملأت هذه البطولات الاسطورية فكره وخياله زهوا وتطلعا نحو التفوق والانتصار ! وزادت من حماسه قصص امجاد عائلته فى عزهم القديم ، فقد كان أخواله يتغنون بهذه الامجاد الغابرة فى مجالسهم على مسمع من مختار الصغير : سمع أن الاسرة قد فقدت جاهها ورجالها ..

فالجاه ذهبت به الديون والاسراف، والرجال قضى عليهم وباء الكوليرا الذى



«نهضة مصر » .. ملأ الارجاء بالوطنية المتدفقة ..

مختار .. فنان مصر الذى تميزت تماثيله بكل خصائص الفن العظيم ..

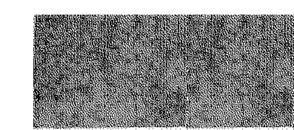
داهم البلاد مرتين ! كما يروون ان احد اجداد الاسرة كان فارسا عربيا قدم الى شمال الدلتا حيث توزع نسله، فاستوطن السيد « زغلول » بلدة « ابيـــانه » واسس اسرته التى أنجبت الزعيم سعد زغلول ،كما استوطن آخر بلدة «نشا» وانحدر من اسرته محمود مختار .

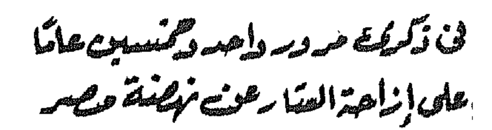
فى هذا الجو المفعم بعبق الريف وجو الاساطير والبطولات والأمجاد ، ترعرع الطفل ورسخت فى وجدانه معـــانى البطولة !

وسارت عجلة الايام ، ولجأت الام الى العبادة ، وامعانا فى التقرب الى الله نذرت ابنها مختار للازهر لينشأ فى خدمة الدين . وسافرت أم مختار لتـــادية فريضة الحج ، وبعد عودتها استاجرت بيتا فى القاهرة لتقيم به للعلاج . ولـم يحتمل الطفل البعد عن أمه ، وبعـد مشاجرة مع بعض الصبية فى القرية ، صمم على السفر ليقيـــم مع والدته بالقاهرة .. فصحبه أحد شيوخ البلدة واوصله اليها ، وهكـــذا بدأت صـفحة جديدة من حياة الفنان ..

فى القاهرة ، وفى احد احيائهـــــا الشعبية ، تعلم الصبى القراءة والكتابة .. واخذ يقضى وقته فى التجول بـين الاحياء القريبة .. وبهرته المظاهـــــر والعادات والتقاليد الشعبية .. واختزن عقله الباطن منها ما سوف نراه متجسدا فى اعماله بعد ذلك . واضاف الانطباعات الجديدة على ذكريات الطفـــولة فى القرية . واخذ يعبر عن ذلك بالرســـم والتشكيل باى مادة وعلى اى شىء فى متناول انامله الرقيقة .

وتمرد مختار على رغبـــة والدته فى الالتحاق بالازهر الشريف ،وقاوم الفكرة بعناد .. والتظم فى المدرسة ،كما تمرد على كل وصاية او سيطرة من اهله ! وجابه حياته بمفرده ، وقاسى فى سبيل ذلك من الحرمان والمعاناة .. وقســم وقته بين المدرســة وعمل التماثيـــل واللوحات وكسب قوته بالعمل فى المصانع الصغيرة . واخذ يواصل الليـــــل بالنهار ، فخورا بمجابهته للحياة وتحمل اعبائها وهو فى هذه السن المبكرة . وظل كذلك .. حتى كان الحدث العظيم ..





مدرسة الفنون الجميلة

فى عام ١٩٠٧ تبلورت فكرة انشاء مدرسة للفنون بالقاهرة . واحتضن الامير يوسف كمال هذه الفكرة . وكان شغوفا بالفن واقتناء التحف ، مشجعا للحركات والجمعيات الفنية التى ظهرت فى مصر فى مطلع هذا القرن . . وافتتحت المدرسة أبوابها عام ١٩٠٨ فى بيته الخاص بحى درب الجماميز بالقاهرة .

وفى عصر احد ايام الخريف من ذلك العام ، وبعد بدء الدراسة بأسابيع قليلة ، مر الفتى مختار بهذه المدرسة ، فكانت نقطة تحول فى مجرى حياته . .

وعندما تقدم مختار لتادية امتحان الدخول ، كان نجاحه باهرا ، بل ان « مسيو لابلان » مدير المدرسة ، وجمعا من الاساتذة الاجانب — قد التفوا حول مختار يتأملون هذه الموهبة الفذة التى وفدت الى مدرستهم الناشئة ، ويعقدون الامال الكبار على ما ستكون عليه هذه الموهبة الجديدة بعد صقلها وتوجيهها !

واحاط «لابلان» مختار بعناية خاصة فلم تمض أسابيع قليلة حتى خصص له مرسما مستقلا فى قسم النحت بالمدرسة . واطلق فناننا العنان لشعره ولحيته تشبها بكبار الفنانين ، وأخذ ينهل من خبرة وعلم اساتذته الفرنسيين والايطاليين . واخلصوا له العطاء والتشجيع ، ثم ما لبث ان نضجت مكامن نفسه التى اختزنت انطباعات الريف والحياة الشعبية ، وتحركت عوامل الاصالة والمجد والوطنية التى طالما راودته احلامها . فشارك أقرانه المظاهرات والتجمعات الثورية . . وتصدر الندوات السياسية الطلابية ، وتعرض للاعتقال والسجن من جراء ذلك . ولكنه لم يكف عن الكفاح ضد المستعمرين وأعوان السراى ، وكان يلجأ الى الشعر فيقرض القصائد الملتهبة ويلقيها فى جموع المتظاهرين ليزيد من روح الوطنية التى أشعلها مصطفى كامل ! وكان لموت الزعيم مصطفى كامل أثره البالغ فى نفس مختار ، فصنع له تمثالا يفيض بالمحبة وقوة التعبير .

وظهرت لمختار تماثيل تعبر عن أحلامه فى البطولة القومية ، متاثرا بأمجاد العروبة من خلال روايات جرجي زيدان ، ومسرح سلامة حجازى وثورة البعث الوطنى التى فجرها مصطفى كامل ومحمد فريد . . فابدع تماثيل خالد بن الوليد وطارق بن زياد وخولة بنت الازور التى حررت نساء العرب من اسر الروم . وغيرهم من ابطال العروبة على مر التاريخ !

واصبح مدير المدرسة « مسيو لابلان » واساتذتها الاجانب فى موقف حرج . . ورغم اعزازهم لتلميذهم النابغة ورفاقه ، فان السلطة قد استخدمت نفوذها واوعزت بفصل مختار وخمسة عشر آخرين من المدرسة ! وقابل الزملاء الوطنيون القرار باستخفاف مزهوين بحركتهم ووطنيتهم . . ولكنهم لم يطيقوا الابتعاد عن مراسمهم ، فاستاجروا دكانا قريبا من المدرسة نسقوا فيه اعمالهم لجذب انظار الجمهور ، وافتتحوا فيه اول معرض وطنى فى مصر . . ويمكننا القول بان اول المعارض الفنية فى تاريخ الفن الحديث . . افتتح فى دكان بحى درب الجماميز بالقاهرة !

ولم يطل بهم الحال ، فقد اشفق « مسيو لابلان » عليهم وهم صفوة تلاميذه الذين اخلص فى تكوينهم — فأعادهم الى المدرسة . .

وعكف مختار على عمله وابداعه ، ومرت الايام ثقيلة متباطئة . . وعانى الفنان من الحرمان وقلة المورد . وتمنى لو تغيرت به هذه الحياة الناعسة الراكدة الى حياة جديدة كلها حركة واحداث وآمال . . وشهرة !



احدى روائع مختار.. تمثال القروية الجميلة تملأ جرتها من النيل..

يقول مختار عن تلك الايام :

« كلما خلوت الى نفسى ، وانفردت بعجينة الطين ، وانا جائع ساخط ، او شبعان سعيد ، تخيلت لو ان شيئا، اى شىء ، يختاره الله لى ، فيسلطه على حياتى الراكدة الخالية من كل طعم ولون ، ليحولها الى حياة تملؤها الشهرة والتماثيل .. التماثيل .. التماثيل ! »

وفى عام ١٩١٠ اقامت ادارة المدرسة معرضا كبيرا فى نادى محمد على الذى كان قائما بشارع المدابغ ، وعرضت فيه أول النتاج لطلبتها ، وعلى رأسهم محمود مختار . وافتتح الامير يوسف كمال هذا المهرجان الفنى بصحبة مدير المدرسة واساتذتها الاجانب وجمع كبير من قادة الفكر فى مصر .. واستعرض الامير اللوحات والتماثيل قطعة قطعة ، وأمام أعمال مختار توقف طويلا وهو لايكاد يصدق ما يرى أمامه .. وأخذ « مسيولابلان » يحكى للامير عن النابغة الذى تفخر مدرسة الفنون به وبفنه الاصيل ! وما أن انتهى حفل الافتتاح ، حتى اعلن عن قرار يوسف كمال بارسال محمود مختار الى باريس لاتمام دراسته الفنية . وهز الخبر مشاعر الفنان ، فنظم قصيدة بثها شجونه واحلامه وأخذ يترنم بابياتها:

اعلل نفسى بالمعالى تخيلا
فياليت آمال الخيال تكون
سارفع يوما للفنون لواءها
ويبقى تذكراها بمصر رنين
فى مدينة النور والفنون

فى باريس ، وضع الشاب الريفى الخجول قدمه على أولى درجات المجد الفنى ، ولكنه كان مجدا غالى الثمن. سلك مختار طريقه شاقا وعرا مليئا بالعقبات والاشواك .. ولذا ، نرى مختار وقد اثر هذا الكفاح المرير على نفسيته وسلوكه مما جعله متجلدا لايهاب شيئا ولا يخشى احدا ، وكان يقول : « هذى يدى ، وهذى صحتى ، فرزقى على الله ، وليس لأحد سلطان على . »

ولنر معا كيف استقبلت باريس فناننا الذى رحل اليها بفطرته

وتقاليده القروية المحافظة !

فى مدرسة الفنون الجميلة فى الحى اللاتينى بباريس ، وجد مختار وهو يشق طريقه الى المدرسة فى أول يوم ، نفسه وحيدا بلا أصدقاء أو معارف . وليس عليه الا ان يزداد انطواء على نفسه وانهماكا فى عمله ..

وسارت أيام باريس خاوية متثاقلة، خالية من دفء العائلة والاصدقاء ، بعيدة عن الوطن وأحداثه الملتهبة المتوالية ! ولكن مختار كان يتتابع الحركات الثورية فى مصر ويستلهم من أحداثها موضوعات لاعماله . . واضطرته بعد ثلاث سنوات الى العودة الى مصر فعرض عليه أن يكون ناظرا لمدرسة الفنون الجميلة ، ولكنه رفض وعاد الى باريس ، ليبدأ الكفاح مرة أخرى . وقابل الايام العصيبة وجابه الجوع والحرمان ، وتقلب فى أعمال صغيرة سعيا وراء لقمة العيش ، وكان من بينها أن عمل فى مصنع للذخيرة أيام الحرب العالمية الاولى .

ولم يثنه الجرى وراء رزقه وقوت يومه عن فنه ، وكانت اخبار الثورة المصرية أيام سعد زغلول تتوالى محملة بالامل فى التحرر ، فعبر عن مشاعره بتمثال لمصر الثائرة وهى تتأهب لاستلال السيف من غمده ، وتتهيأ لقتال أعداء الوطن .. ثم مالبث مختار ان وجد ان الثورة المصرية أعم واشمل من ذلك ، فهى يقظة الشعور العام وعودة الروح الى ارض الوادى متمثلة فى النهضة التى تعم كل انواع الحياة.

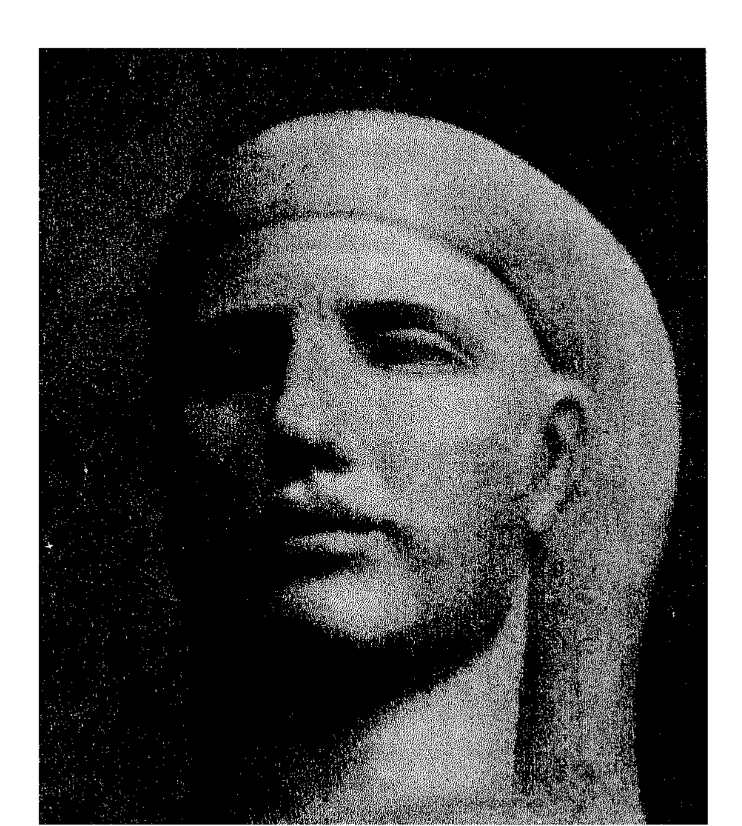
ولهذا صمم على ابداع رائعته الفنية الخالدة : تمثال نهضة مصر .وقد رمز لمصر بالفلاحة التى هى امنا جميعا نهضت قائمة ورفعت عنها الحجاب فى تحفز وتطلعت الى الافق بكبرياء وأمل، وقد استندت الى ابى الهول الناهض الذى يرمز الى انبعاث الماضى فى الحاضر وعودة الروح الى الشعب .

وفى أكبر معارض باريس عرض مشروع التمثال عام ١٩٢٠ ونال عليه جائزة تقدير ، وانطلقت الصحافة العالمية تشيد بفن مختار وتصفه بأنه حلقة الوصل بين الفن الفرعونى الخالد، وبين الفن المعاصر ذى المستوى الرفيع .

ولم يكد أعضاء الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول يرون التمثال فى باريس حين كانوا يدعون القضية



راس فتاة مصرية ....
خطوط تنساب فى رشاقة
وتناغم كالموسيقى الحالمة



المصرية هناك في طريق عودتهم من لندن، حتى استقر رأيهم على اقامة التمثال في مدخل القاهرة .

وكتب سعد زغلول الى مختار يقول :

« شاهدت التمثال الذى رمزت به لنهضة مصر ، فوجدته أبلغ رمز للحقيقة ، وانهض حجة على صحتها ، فاهنئك على هذا الخيال الواسع وهذا الذوق السليم وهذا الفن الساحر ، واهنئى مصر بانك من أبنائها العاملين على اعادة مجدها ، فارجو من الله أن يعين هذه النهضة حتى تبلغ كمالها ، فتشفع تمثال النهضة بتمثال الاستقلال »

وعندما عاد رجال الوفد الى مصر دعوا الى اكتتاب قومى لاقامة التمثال، فتحمس المصريون بكل طوائفهم ، وتوالت قوائم الاكتتاب فى تسابق رائع، واصبحت اقامة التمثال مطلبا وطنيا يامل الجميع فى تحقيقه وعم مصر شعور بالوطنية الدافقة .. فهذا أمير الشعراء احمد شوقى يناجى « أبا الهول » ويستنهضه ، ومصطفى صادق الرافعى يقول فى النشيد الوطنى الذى صاغه ١٩٢٠ :

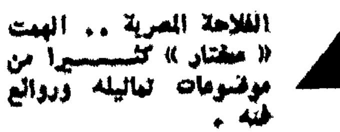
رسا ابو الهول دكينا وربض
ربضة جبار على الارض قبض
فالفزع الاكبر يوما لو نبض

وهذا سيد درويش وهو يفاخر الدنيا بعز اجدادنا وكرم عنصرنا ، ويبدع توفيق الحكيم قصته « عودة الروح » .

رغم المؤامرات

عندما استقر الرأى على ان يقام تمثال « نهضة مصر » بالقاهرة ، بدأ مختار قصة كفاح من نوع آخر ، كفاح ضد الروتين والرجعية والتآمر ! وكان عليه أن ينحت التمثال ، وفى نفس الوقت يحفظ للفن قداسته وللفنان





الفلاحة المصرية .. الهمت « مختار » كثيرا من موضوعات تماثيله وروائع فنه .

كرامته .

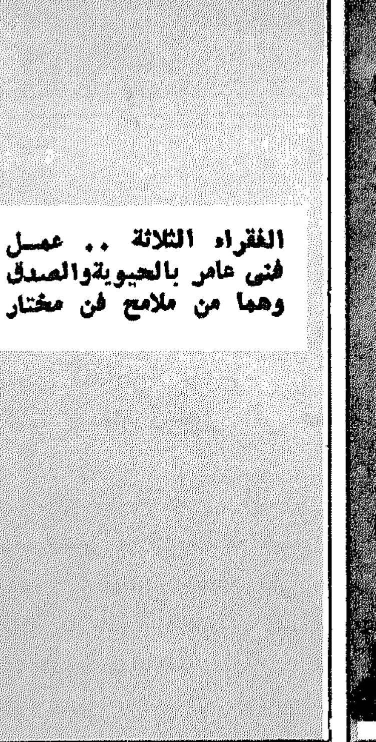
وتوالت المؤامرات ، ويكفى ان هذا التمثال قد اقتطع من عمر الفنان ثمانى سنوات ضاع معظمها بين مقاومة الحكومات والسراى وتخطى العراقيل والعقبات . .

ويجابه الفنان الذى لايملك مالا ولا جاها تعنت الموظفين فيخاطب وزير الاشغال ــ وكانت وزارته تشرف على اقامة التمثال ــ قائلا :

« ليست وعودا ما اريد ، وانما قرارا حاسما صريحا : نعم أو لا ، على أن يكون ذلك عاجلا ، فلقد بدأت اشعر باليأس من الاستمرار على هذا النحو» .

وما كان غير مختار بمستطيع ان يخاطب رئيس الحكومة بمثل هذه الرسالة : «انى أرى أن تدخل الحكومة





الفقراء الثلاثة .. عمل فنى عامر بالحيوية والصدق وهما من ملامح فن مختار

فى شئون الفن بالوضع القائم ليس فقط عديم الفائدة، ولكنه بالغ الضرر. أليس من المضحك والمؤلم فى الوقت نفسه وصاية وزارة الاشغال على الفنون الجميلة ؟ اننى أفكر لو كان كل الفنانين يلقون مثل هذه المعاملة من حكوماتهم لهجر معظمهم الفن واشتغل بالبقالة ! » وهكذا كان مختار .. الصرامة والصراحة والشجاعة تغلفها روح الفكاهة والسخرية !

واستمرت مضايقات السلطة التى تحركها قوى الاستعمار والرجعية..

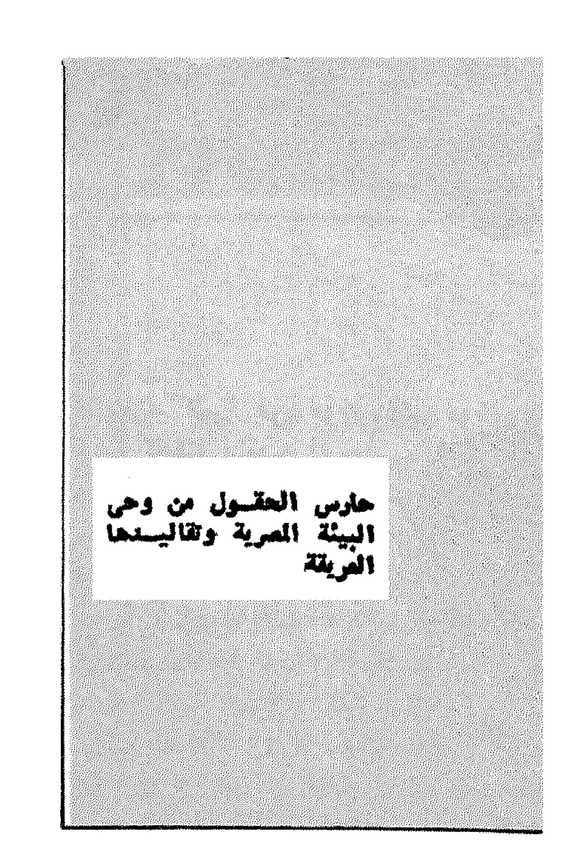
.. وأخيرا ، وبعد ثمانى سنوات ، اتم مختار تمثال « نهضة مصر »، واحتفل بازاحة الستار عن التمثال فى مايو ١٩٢٨ ، وحظى باعجاب المفكرين وتقدير كافة طوائف الشعب . أما السلطات الرسمية ، فقد قابلت التمثال بفتور واعراض ، فلم تعط مختار أى تعويض مادى ، ولم تمنحه رتبة أو وساما حين كانت الرتب والأوسمة تمنح للكثيرين بغير حساب !

وبهذا الانجاز الرائع قدم مختار الدليل على قدرة الفنان المصرى فى ان يثبت ارادته وان يفرض فنه المبدع على الجميع دون اعتماد على ثروة أو منصب !

جماعة « الخيال »

عندما كانت اقامة المعارض الفنية واعداد القاعات والمراسم أمرا عسيرا، أنشأ مختار جماعة « الخيال » وجعلها مركزا للثقافة والفن ، وزودها بقاعة عرض رائعة . ولم تكتف الجمعية بالنشاط المحلى ، بل كانت تستقبل الكثيرين من فنانى العالم البارزين ، فيلقون فى الجمعية التشجيع والمناخ الحر الذى عهدوه فى بلادهم . ومن هؤلاء الفنانين العالميين « فان دونجن » وكان من زعماء « المدرسة الوحشية » السائدة آنذاك فى أوروبا . واقام فى مصر شهورا طويلة بصحبة مختار ، وقد أذهله ــ وهو فى قمة الثراء والشهرة ــ ان يرى فنان مصر الشهير يعيش فى القاهرة تلك الحياة البسيطة المتواضعة .. وفى نفس الوقت ينتج روائعه التى بهرت العالم !

وكان من اعضاء جمعية « الخيال» معظم جيل الرواد من أمثال : راغب عياد ــ ناجى ــ محمود سعيد ــ محمد حسن ــ يوسف كامل ــ شفيق شاروبيم ــ انطون حجار . كما ضمت اصدقاء لها من الادباء والمفكرين مثل العقاد ومحمود عزمى والانسة مى، ومن رجال



حارس الحقول من وحي البيئة المصرية وتقاليدها العريقة



الدولة : واصف غالى ـ ويصاواصف ـ يكن ـ عدلى ـ ثروت وحسين رشدى ..

وقد استطاع مختار من خلال نشاط الجمعية أن يقيم رابطة قوية بين الفنانين والمفكرين ، وقد أثمرت هذه الرابطة انشاء جهاز للفنون الجميلة ترصد له الاعتمادات فى ميزانية الدولة ، كما يقوم بايفاد البعثات وتنظيم المناهج وانشاء مدرسة حكومية عليا للفنون الجميلة ، وفى نفس الوقت كان غيره من المخلصين يسهمون فى انشاء الجامعة الحكومية .

المعاناة والتأمل

ما أن انتهى مختار عام ١٩٢٨ من تمثال « نهضة مصر » حتى دعته الهيئات الوطنية الى اقامة تمثالى سعد زغلول ، ليكون احدهما بالقاهرة والاخر بالاسكندرية ، واستقبل الفكرة بحماس بالغ لانه كان يرى فى سعد رمزا لكفاح الشعب باسره .. واخذ **يعد اجزاء** المشروع التى تمثل الحرية والعدالة **والدستور ، ولكن مقاومة رجال السراى والرجعيين من عملاء الاستعمار ، بلغت حدا من العنف جعل اليأس يتسرب الى نفس الفنان ، بل دفعه الى التفكير فى السفر الى فرنسا ليتنفس عبير الحرية .**

واشتدت ضراوة الدسائس ، فقبع الفنان يطالع حياة مايكل انجلو وصراعه ، ويجد عنده العزاء .

ويقول مختار فى رسالة كتبها الى صديق له :

« ان كثيرين يقفون فى سبيلى ويعملون ضدى .. وبدلا من أن انفى من هنا نتيجة دسيسة أو مؤامرة ، فسأنفى نفسى باختيارى ! اننى اكاد أعيش فى قفص من زجاج ، ولكن رأسى يحتاج الى الهواء النقى فهو غذاء الفن وحياته ! »

.. وصبر مختار .. وكان يجد السلوى فى تشجيع الهيئات الوطنية ، ومن بعض رجالات مصر المخلصين .. وتحقق له حلمه فى انجاز تمثالى سعد زغلول .. وزودهما برموز الحرية والعدالة والدستور و « ١٣ نوفمبر » وهتاف الجماهير . . . وغيرها من

الرموز التى تعبر عن القيم والمناسبات التى كافح سعد من أجلها . واصبح هذان الصرحان مع تمثال نهضة مصر من شوامخ مختار الخالدة .

اعجاز الفنان

ان عظمة مختار الفنية ـ وقد صارت معلما أساسيا من معالم الفن المصرى المعاصر ، قد زادها عمقا ورسوخا وجمالا شكليا ، هذا التوافق المنطقى بين الشكل والموضوع ، وبين التجريد والواقع . وكما يقول «هنرى مور » : «لست أرى مايمنع أن يعيش الفن الواقعى مع الفن التجريدى فى العالم ، بل فى نفس فنان واحد . »

واذا كان التجريد بمفهومه البسيط هو التعبير متحررا من قيود المقاييس التقليدية ، الا أن مختار استطاع أن يسخر التجريد فى التأكيد والتركيز لمنطق الاشياء،دون الاعتماد على الرؤى التقليدية ، وفى نفس الوقت دون أن يكون على حساب الجمال الشكلى او الخروج بهعن نطاق التذوق والاحساس بالانسجام ، كل هذا فى رقة متناهية ميزت أسلوبمختار ،وكأنها الشفافية بعينها . فنرى تماثيل مختار ، وقد اكتسبت رسوخا ووقارا بكتلتها الفرعونية المتماسكة ، وخطوطها التى تنساب فى رشاقة وتناغم كأنغام الموسيقى الحالمة !

وكما يقول « انطون بورديل » :
« ان خصائص الفن العظيم هو أن يزدهر دون كلام ، وان يعطى دون صخب»
.... وهكذا كان فن مختار !

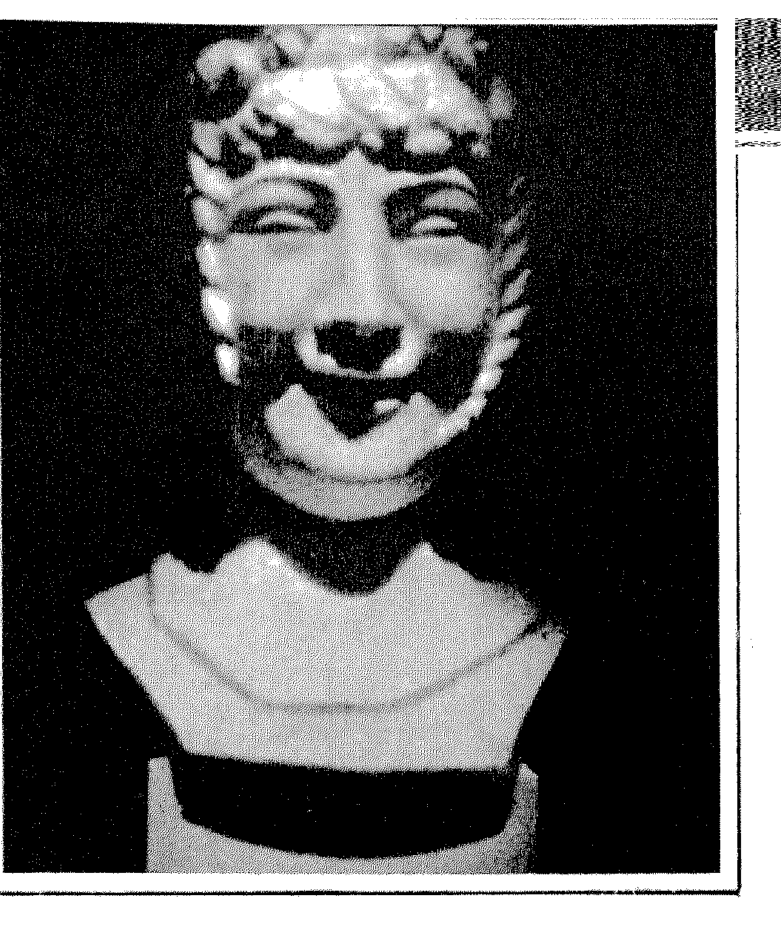
***

احب مختار الريف واهله بحكم نشاته الاولى ، وفتنته الفلاحة المصرية، فالهمته كثيرا من موضوعات تماثيله . واذا تاملنا رائعته ((نهضة مصر))وتماثيله الاخرى : نحو ماء النيل ((١٩٢٧)) ـ الى النهر ((١٩٢٧)) ـ اعتداد ((١٩٢٦)) ـ العودة من السوق ((١٩٢٨)) ـ على شاطىء النهر ((١٩٢٦)) ـ الفلاحة ((١٩٢٦)) ـ ايزيس ((١٩٢٩)) ـ عروس النيل ((١٩٢٩)) ـ الراحة ((١٩٢٦)) ـ والوجه القبلى ((١٩٣١)) ، نجد ان مختار لم ينظر الى المراة المصرية نظرة مقصورة على الجنس ، بل جعلها أعم واشمل من ذلك ، جعلها النبع الذى يتدفق اصالة وحيوية وأملا . والرمز الذى يشكله بحكم النشاة والتاثر والبيئة فى شتى الموضوعات .

الا أن حياة الفنان ذات المستوى المتفاوت والمزاج المتقلب، لم تخل من ملهمات حسان ساقهن القدر فى طريقه ليخفق لهن قلبه ، وليلعبن أدوارا هامة فى حياته الفنية .

النهاية

فى شقته الصغيرة المتواضعة التى تطل على صحراء هليوبوليس ، نظر مختار حوله فلم يجد سوى مقعدين من طراز فرعونى ، وسرير ضخم من طراز قديم ، وبعض الابسطةالصغيرة المتناثرة فى ارضية الحجرات ، وبضع عشرات من التماثيل الصغيرة التيعبرت عنخواطره وأفكاره السريعة قبلتنفيذها النهائى .. ثم اطال النظر الى مكتبته الزاخرة بمئات الكتب من شتى العلوم والفنون والاداب ، وشعر باعتزاز خاص ، فكل كتاب منها قد آنسه وحدته فى الليالى القاسية الموحشة ، او صاحبه فى رحلة وراء البحار أوعبر



استطاع فنان مصر محمـــود مختـــار ان يبتدع اسلوبا متميزا لتمـــاثيله تشكل معلما اســاسيا من معـــالم الفن المصرى المعاصر

الخيال .. وبين ســاعة واخرى ، يفد لزيارته اصدقاؤه المخلصون واحدا تلو الاخر : عزيز المصرى يحدثه عن اسفاره ومغامراته ، ومصطفى عبـــد الرازق يســتعيد معه ذكرياتهما فى باريس ، ومحمود سعيد ومحمد حسن وغيرهما من الرعيـل الاول للفنــانين العظـام يناقشونه فى مدارس الفن واتجاهاته الحديثة التى كانت تجتاح اوروبا حينذاك كفرشاة هوجاء تطلخ القيم الفنيـــة بالوانها العابثة دون أن يحكمها منطق أو مقياس جمالى .. !

وكان الجميع يبالغون فى ملاطفتـه ويكثرون من زيارته لعلمهم انه يقضى آخر أيامه ... حتى حل يوم النهاية فى ٢٧ من مارس ١٩٣٤ !

وفى ساعته الاخيرة ، وبين جمع من اصدقائه، ادار مختار عينيه المتثاقلتين، وكان يبحث بين الحضور عن صديق عمره عزيز المصرى ، وطلب ورقة وقلما ليخط له بضع كلمات . ولكن الاصابع التى حملت الازميل ونحتت الصخور، لم تقو هذه المرة على حمل القلم .. وسكنت متهاوية على الفراش ، كمـــا سكنت انفاسه الى الابد .

واراد أصدقاؤه ان يحتفظوا بآخر ملامحه ، فكلفوا زميلهم انطون حجار بصـب قناع من الجبس على وجهه ويده ..

وهكذا ، مات الفنان فقيرا من متاع الدنيا ، بعد ان اثرى حياتنا الفنيـة بتراث لا يقدر بثمن !

وتمضى الايام .. وفى ربيع كل عام تتفتح الازهار على ارض مصر الطيبة، وتمر ذكراه ، دون أن نجد من يجمع باقة من زهور الربيع ليضعها على قبر اعظم فنـــان مصرى التقط الازميل من آخر فنان فرعونى من جيل العمالقة !

● جمال قطب ●

حديث مع

سيمون دى بوفوار

" سيمون دى بوفوار هي اشهر نساء عصرنا في ميدان الفكر والادب والفلسفة وكل مايتصل بالدفاع عن حقوق النساء وهي لا تاخذ ذلك الموضوع الاخير من الناحية العادية التى تاخذها منها زعيمات تحرير المراة ، اى انها لا تقول انالمراة ضعيفة او مهملة او ان الرجل يظلمها وهي في حاجة الى الانصاف ··· بل تقول ان المراةموهوبة وقادرة على القيام بمعظم المسؤليات التى يزعم الرجال انها مناختصاصهم وحدهم ولكنها ،اى المراة ،تقصر في حق نفسها وتدع الرجال يستولون على حقوقها ويظلمونها والذنب ذنبكم ··

ثم ان سيمون دى بوفوار تعتقد أن عاملالزمن مهم هنا ، أى أن مئاتالسنين التى مرت على المرأة وهى فى حالة الخنوع عودت فيها المرأة نفسها على النظر الى نفسها على انها مخلوق أقل فى المستوى وفي القدرات من الرجل ·

أى انها تعتبر الزمن عنصرا أساسيا فى موضوع استكمال تحرير المرأة ، وكل الذى تطلبه من النساء هو الصبر والثبات والعمل ، وهنا تحل معظم المشاكل التى تقف فى سبيل المرأة ـ نفسها بنفسها ·

وفيهذا الحديث الذى ننشرهسنلمس بأنفسنا نواحى تفكير هذه السيدة التى تكافح فى سبيلالمرأة دفاعا عن الحضارة والفكر والحرية ··

هذا الحديث أجـرته مع سيمون دى بوفوار سيدة من أكبر كاتبات هذا العصر والمكافحات في سبيل العدالة الاجتماعية وهى السيدة اليس شفارتز · ونشر الحديث فى مجلة ماريكير ، وكان له صدى بعيد فى عالم الفكر فى الغرب ·

وسنقدم فيما يلى أهم فقرات ذلك الحديث الحافل بالافكار والاراء ·

سؤال : سيمون ··· انك بالنسبة لنا نحن نساء هذا العصر رمز كبير على ما يمكن أن تصل اليه المرأة من سمو الفكر والقدرة على معالجة أكبر المشاكل ، وقد استطعت فى كتابك الكبير « الجنس الثاني » أن تشرحى بكل وضوح موقف النساء فى هذا العصر بصورة اقنعتنا جميعا بأن قضية المرأة انما هى قضية تاريخ وحضارة ، وانت الان فى السبعين من عمرك ، وتصفين نفسك فى الكثير من كتاباتك بانك امرأة مسنة ··· فهل حقا تشعرين انك امرأة عجوز ؟

جواب : اليوم يقولون اننى احتفل باكمال سبعين سنة من حياتى ، وهذا رقم خطير ، ولكنه لا يختلف فى تقديرى عن ٦٩ ، ٦٨ بالنسبة لى على الاقل ، لاننى منذ زمن طويل أصبحت أعد نفسى فى عداد صاحبات السن ·

عندما كنت فى الخمسين كان يضايقنى أن أسمع بعض زميلاتى من النساء يهمسن أن سيمون دى بوفوار أصبحت عجوزا وكثيرا ما كنت أقرأ فى الصحف كتابات لنساء يقلن فيها : اننى لم أعد امرأة شابة واننى أفكر تفكير امرأة عجوز ··· وكان هذا يؤلمنى اذ ذاك ··· أما الان فاننى فى



السبعين من عمـــرى ، وقد تعودت من عشرين سنة على أن أحسب نفسى فى عداد كبيرات السن ، ولا أجد فى ذلك أى ألم لاننى كما تعلمين ، نذرت نفسى من زمـن طويل **لقضايا الفكر ومشاكل المجتمـع وتناسيت نفسى وحقوقى كامراة ، فانا لم اتزوج كما تعلمين ، بل لم افكر فى الزواج ولا انا حرصت على ان احتفظ لنفسى بصور تمثلنى فى مراحل شبابى · لاننى فيمـا اظن قد اكون طرازا مختلفا من النساء ، فليس معنى ذلك اننى مجردة من مشاعر الحب والعاطفة ، فقد كان فى حياتى حب ولم تخل حياتى قط من العاطفة ، ولكن لامر ما الهتنى قضايا الدنيا عن قضيـة نفسى ، ومن ثم فاننى لا اشعر** بما تسمونه انتم العجز أو الشيخوخة أو كبر السن·

سؤال : هذا ما فهمته من قـــراءتى لمذكراتك ومن رؤيتى لصورك ، فهل أفهم من كلامك أن ما نسميه بصدمة الشيخوخة **بالنسبة للمراة كانت موجودة عندك وانت فى سن الخمسين ، وانك الان تعـــودت عليها ، ولم تعودى تفكرين فيها ؟**

جواب : بالضبط ، لاننى عندما كنت فى سن الخمسين أى فى السن التى تبدأ النساء فيها فى الشعور بالفـــزع لانهن يرين أنفسهن تخطين الخمسين ولا رجعة الى الشباب بعد ذلك ·· فى هذه الســن كانت فرنسا تمر بازمات عسيرة جدا ، وكنت مشغولة بفرنسا أكثر من انشغالى بأمر نفسى · كنا اذ ذاك نمر فى سنوات أزمة الجزائر والمتاعب التى كانت تعانيها فرنسا ، وكان شعورى اذ ذاك اننى بالفعل تخطيت الخمسين · وكان ينتابنى خـوف النساء من الشيخوخة ولكن كان يغلبنى خوف أكبر هو الخوف على مصير بلادى · وتستطيعين أن تقـولى اننى نسيت نفسى فى ذلك الحين فلم أشعر تمام الشـعور بصدمة سن الخمسين !

سؤال : فى كتابك المسمى «الشيخوخة» تحدثت عما سميته بالوقار الذى يتطلبه

الناس جميعا من المسنين وقلت ان ذلك الوقار أو التوقر مظهر من مظاهر الظلم الذى يتحمله الانسان بسبب سنه وأعتقد أن ذلك يصدق بصورة أكبر على النساء اللائى يفرض المجتمع عليهن بعد سن الخمسين أن يلتزمن وقارا قاسيا ويتخلين عن أنوثتهن وكثيرات من البنات اذا رأين امهاتهن يتزين ببعض الشىء بعد سن الخمسين يرين فى ذلك تجاوزا للحدود من جانب الامهات فما رأيك ؟

جواب : رأيى أن ذلك كله ظلم للمرأة فان من حق المرأة فى أى سن كانت أن تتزين وتظهر بأجمل صورها ، فاذا كانت تحس بأنها ما زالت انثى جديرة بأن تجتذب أنظار الناس فلماذا تحرم نفسها من التزين والظهور بمظهر جميل ولست اقصد بذلك أن أقول انه يليق بالمرأة فى ذلك السن أن تتبذل أو تتصرف تصرف شابة فى العشرين أو امرأة فى الثلاثين فهذا فى رأيى غير مناسب،وانما لماذا نصر على أن نلزم امرأة بعد الخمسين بأن تمتنع تماما عن ارتداء ملابس أنيقة أو صباغة شعرها باللون الذى تحب أو تزين وجهها لتبدو فى أجمل صورة ... ان ذلك لا يمس الوقار بأى صورة من الصور وكل الناس يعرفون اننى أكره التبذل بالنسبة للمرأة كما أكرهه بالنسبة للرجل ..

سؤال : هل هناك أشياء أخفيتها فى مذكراتك وتريدين اليوم ان تكتبيها اذا أتيح لك أن تعيدى كتابة هذه المذكرات ؟

جواب : أجل ، هناك مسائل كثيرة أتمنى أن أكتبها ، لاننى تخطيتها فى مذكراتى ، وخاصة فيما يتصل بعواطفى وعلاقاتى الخاصة .. كنت أحسب عندما كتبت المذكرات أن الافضل ان أسكت عن هذه الناحية أما الان فاننى أعتقد انه من واجبى نحو نفسى أولا ونحو بنات جنسى من ناحية أخرى لو قلت كل شىء بالطريقة التى أريد . ولست أقصد اننى أفكر فى أن أكتب اعترافات أو أزيح النقاب عن أسرار ، فلست أعتقد أن لدى شيئا كثيرا من هذا الطراز .

سؤال : يعتقد كل الناس أن الانسان ـ والمرأة خاصة ـ اذا دخل فى دور الشيخوخة فعليه أن يوقف كل ما يتعلق بحياته العاطفية ويكبت كل شعوريتصل بالجنس ويلتزم ما يسمونه بالوقار ولقد حللت فى كتابك عن الشيخوخة ذلك بطريقة لا أظن انها ترضيك ، فهل مازلت تؤمنين بذلك ؟

جواب : نعم الى حد ما ... فقد ظللت الى حين قريب ألزم نفسى بالخضوع لضغط المجتمع ولست أرى فى ذلك بأسا لان المجتمع أيضا له حقوقه ، ومع اننى أعتقد أن الفكر بالنسبة لى كان دائما أهم من الحب فاننى أعتقد اننى ظلمت نفسى من هذه الناحية فبالغت فى الانصراف عن الانوثة الى الفكر .

وعندما أعود بالذاكرة الى الوراء ، أذكر اننى تكلفت خطا جامدا من التصرف والسلوك عندما تخطيت الثلاثين فأهملت موضوع الحب ، وكان ينبغى الا أهمله ولست آسفة لاننى لم أتزوج ، فان الزواج شىء والحب شىء اخر ، وعندما أفكر الان أحس اننى ظلمت نفسى وظلمت الكثيرات معى لان الكثيرات من النساء مع الاسف الشديد الزمن أنفسهن بتقليدى . فكان هذا خطأ منهن ولكن أنا المسئولة .

أما الان فأحب أن أصارحك بأن كل ما يتصل بالحب أو العاطفة النسائية قد انتهى بالنسبة لى . شىء ما مات فى حياتى وذلك من حسن حظى لاننى عندما أفكر فى نساء فى الستينات ما زلن يحببن أو يشعرن بميل جنسى أو عاطفى أشعر بالاسف نحوهن لانهن يتخلين عن وقارهن

أما بالنسبة لى فقد كانت مسألة الجنس مرتبطة دائما عندى بالحب الا ربما عندما كنت صغيرة السن جدا .

سؤال : لقد كنت دائما امرأة جميلة وذلك أمر تنكرينه ، ولكن الناس جميعا يقررونه .. فهل ساءك أن تفقدى ذلك الجمال ؟

جواب : لم يكن لى قط اهتمام بموضوع الجمال ، ولقد سمعت كثيرا من الناس يمدحون هيئتى ، ومن حين لحين عندما كنت أنظر فى المرآة فى سن الثلاثين أو الخامسة والثلاثين حتى الاربعين ـ كنت أقول لنفسى : انك أجمل مما تتصورين

بكثير . ولـــكن حتى ذلك لم يكن له اى تأثير فى نفسى ، كان لا يهمنى كثيرا ما يقوله الناس عن هيئتي ونفسى .

ولكننى ينبغى أن أعترف بأنه كان لى دائما اهتمام بطلعتى ومـــلامحي وذلك طبيعي لاننى امرأة أولا وانسـانة ثانيا ، وعندما بلغت الخمسين وتخطيتها بقليل جعلت أقارن بين ملامحى فى تلك السـن وملامحى عندما كنت فى الثـلاثين أو الاربعين فكان ذلك يؤلمنى بطبيعة الحال ، ولكنى تعودت على ذلك وأظن انك تفهمين عنى عندما أقول لك .. ان ذلك الموضوع كله انتهى تماما بالنسبة لى .

سؤال : لقد تحـدثت فى كتـابك ((الشيخوخة)) أن هنـاك تعارضا بين ايجابية الانسان والشـيخوخة ، وقلت حرفيا ان الانسان قد يحس انه شـاب وهو فى جسـد مسن فكيف توفقين بين ذلك ؟

جواب : لقد اشار الى ذلك سارتر عندما تحدث عن الشيخوخة بالنسبة له عن انها ما يسميه « بأمـر لا يمكن أن يكون » ، فهناك ناس لا يشعرون بالشيخوخة لان اذهانهم وقلوبهم تظل شابة عفية . واعتقد اننى من هذا النوع ، فانا عندما استيقظ من النوم ، وعندما أسير ، وعندما أقرا كتابا ـ لا يخطر ببالى اننى امرأة مسنة ، بل لا أشعر بمسألة السن أبدا ، ولقـد تحدثت عـن ذلك فى كتابى المسـمى « المتميزون » ، وانت تذكرين أن هناك عبارة أقول فيها اننى ذات سن وقررت ذلك فى كتابى « قوة الاشياء » .

ولكنىالان لا أقول لنفسى شيئا من ذلك كل هذه انتهت لى ، تعودت على أن أنسى موضوع سنى واسمحى لى أن أقول لك أن أسوأ ما فى الشيخوخة أن يظل الانسان شاب الروح شيخ الجسد .

سؤال : ولكن هل غيرت الشـيخوخة من نظام حياتك اليومى ؟

جواب : نعم ، وهذا أمر صعب عـلى التوضيح ، ولكن الذى أستطيع أن اقوله هو اننى أشعر الان اننى أضعف مما كنت عليه قبلا ، فعندما كنت فى الثلاثين كنت ما أكاد افتح عينى حتى أكون فى الشارع وأجرى هنـا وهنـاك ، وأعمل وانجز أشياء . وأنا الان أميل الى الراحة بعض

هـكذا كانت سيمون دىَ بوفوار فى سن الاربعين
امراة جميلة ذات شخصية يعرفها كل المجتمع الاوربى



الوقت ، وأحب أثناء النهار أن أتمدد على كرسي طويل وأقرأ ، وأكون في هدوء . ثم ان هناك أشياء كثيرة لم تعد لها أي أهمية بالنسبة لي ، بينما كنت أحبها حبا شديدا عندما كنت في الاربعينات . ومثال ذلك الخروج وحضور السهرات والاستمتاع بقضاء الامسيات ومناقشات مع الاصحاب .

انني أتحدث الان عن سنوات ما بعد الحرب عندما كنا لا نزال صغارا بعض الشيء ، كان ذلك في وقت التحرير ، وكنا اذ ذاك نضع مشروعات كثيرة ونحاول تحقيقها معا ، وكان ذلك شيئا جميلا وممتعا حقا ولكن الان تغيرت الظروف ولم تعد هناك دوافع الحماس وحتى لو كانت لي القوة على الجرى كما كنت أفعل فيما مضى ، فلماذا أجرى الان وما هو الشيء الذى أريد أن أحققه ؟.. واذكر انني في تلك السنوات التي أحدثك عنها كان في ذهني من الافكار ما يجعلني ابتلع فنجان القهوة وأنا أكتب دون أن احس به ، والان كما ترينني أشرب قهوتي وليس في ذهني أي فكرة .

وأصارحك القول انني لا أشكو من ذلك ولا يضايقني بل أنا أرتاح اليه ، فأنا أستمتع بوقتي وبنوع من الحرية ما كنت أتمتع به فيما مضى ، وفي نفس الوقت يحزنني ذلك لانه يجعلني أشعر بأنه لم تعد بالناس حاجة الى لانني قمت بالمطلوب مني أى أن الحياة أصبحت ورائي ، وكانت قبل ذلك أمامي والفرق كبير بين الحالتين . والشيخوخة كما تعرفين هي الانتقال من اللا نهائي الى المنتهي ، أقصد أن الانسان في شبابه يكون الطريق أمامه بغير نهاية أما في الشيخوخة فهو في نهاية فعلا .

سؤال : ألا تشعرين وانت الان في هذه السن بشيء من الرضا عن نفسك بأنك فعلت شيئا أو تركت اسما أو أحدثت تغييرا ؟

جواب : مؤكد ، وهذا يسهل على حمل عبء الشيخوخة ولكنه يزيد ذلك العبء في بعض الاحيان ، لانني في بعض الاحيان أشعر أن على أن أكتب كتابا اخر أو كتابين ولكن مهما كان فان أهم ما أستطيع عمله قد تم بالفعل .

سؤال : وما هي مشروعاتك الان ؟

جواب : أن أهم ما يهمني الان هو أن أتسلى أو قولى أستمتع ، وهو أمر لم أعرفه قبل ذلك .

استمتع بتحويل الكثير من كتبي الى أفلام واشترك في ذلك التحويل ، حقا انها متعة قليلة لان الخلق فيها قليل ، فليس في ذلك جديد ، ولكن السينما أسلوب اخر للاتصال بالجمهور مما يشجعني على العمل ويفتح أمامي افاقا من التجديد في التفكير ، وربما يرى الناس أن ذلك لا أهمية له بالنسبة لي ، وقد يكونون على حق ولكن هذا هو شعوري .

وهناك شيء اخر كنت أحب أن أعمله لو انني كنت في الثلاثين من عمري ، كنت أريد أن أكتب عن علم النفس من بداية أخرى غير بداية فرويد ، كنت أريد أن أكتب على أساس الطريق الذى قطعته المرأة في سبيل التحرر وانت تعرفين أن فرويد جعل المرأة مجرد مخلوق جنسي .

وهذا في رأيي خطأ ومهين للمرأة والرجل معا ولا أدرى ان كنت أستطيع عمل ذلك أم لا .

سؤال : هناك سؤال ترددت كثيرا في قوله ، وارجو الا يضايقك وهو اننا نعرف ان المسنين جميعا يعانون من الوحدة فهل تشعرين انت بها أيضا وكيف تتخلصين منها ؟

جواب : ولماذا يكون هناك حرج في هذا السؤال .. هذا حقيقي انني مثل كل المسنات أشعر بمشكلة الوحدة وبأنني أحس حولي فراغا ولكن لحسن الحظ لي أصدقاء تربطني بهم علاقات وثيقة تسمح لي بأن القاهم كلما شعرت بفراغ حولي أو في نفسي وهناك نتجاذب أطراف الحديث ونسري عن أنفسنا . والحقيقة أن الوحدة يمكن أن نسميها مرضا من أمراض الشيخوخة ، لان الانسان المسن يفقد اصدقاءه مع مرور السنوات ، وتأتي أجيال أخرى لاتحتاج اليه ولا تجد متعة في الجلوس معه ، ثم ان الانسان في هذه السن يكون قد فرغ من الجانب الاكبر من عمله ، وفي العادة يكون في المعاش ، فاذا كانت فيه فضلة من قوة أو نشاط فانه

يعاني من هذا النشاط بالذات لانه يريد أن ينفقه في شيء ولا أحد يعطيه عملا ، فاذا كان مريضا تضاعفت المشكلة وأخذت حدودا محزنة لانه يكون في هذه الحالة عبئا على غيره،ولهذا نجد الشيوخ والعجائز دائما ، وكأنهم مخلوقات لا لزوم لها حتى بالنسبة لاولادهم وبناتهم ، عندما يستقل هؤلاء ويدخل كل منهم في حياة جديدة . ولا يعودون بحاجة الى أن يضيعوا وقتهم مع العجوز أبا أو أما ، وكلاهما في الغالب ليس لديهما شيء يقدمانه للشباب أو لغير الشباب .

وإذا جاز لي أن انتهز هذه الفرصة لكي أوجه كلاما الى المسنات والمسنين ، ففي هذه السن العالية تتلاشى الفوارق بين الجنسين ويصبحان سواء ، فانني أقول أن علينا نحن الشيوخ أن نواجه هذه الحقيقة وهي أن الانسان اذا انتهى من عمله وقابل مسئولياته حيال بيته وعمله ولم يعد في النهاية الا شيخا على المعاش ، فلا ينبغي أن نيأس لذلك ، فهذه طبيعة الحياة ، وسواء أكان موسرا أو غير موسر فمشكلة الوحدة قائمة حتى لو كان المسن انسانا مثلي ، لديه مشاغل ومسئوليات لانني بطبيعة الحال لم أعد قادرة على العمل بنفس النشاط الماضي ولا أستطيع أن أشغل كل وقتي، فحولي فراغ واسع وربما كان مؤلما ولكن لا مفر لي من أن اتقبله وأتحمله والشيء الذي يعرض الكثيرين من الشيوخ للمتاعب هو الوقوع في خطأ التصرف على اعتبار انهم ما زالوا شبابا أو على انهم لا يستطيعون أن يقوموا بمغامرات أو يبدأوا حياة جديدة مع انسان أصغر أو انسانة أصغر . فكل هذه أوهام وخدع ، وهي تنتهي في النهاية بمآس كلنا نعرفها والنصيحة الان هي هذه :

أيها الشيوخ ، لقد أديتم ما عليكم سواء أكان كبيرا أو صغيرا ولابد أن تتحملوا الوحدة وتخففوا عبئكم عن الناس ولابد لكم من أن تخلقوا مشاغل خاصة بكم تملأ وقتكم ، واياكم من الشكوى من الآخرين والملل من الوحدة أو ارتكاب الحماقات .

سؤال : وهل تعتقدين ان الشيخوخة بالنسبة للنساء اقسى منها على الرجال ؟

جواب : لا أظن ذلك ، ولقد قلته في كتابي عن الشيخوخة بل أرى العكس ان عبء الشيخوخة على الرجال أكثر من عبئها على النساء ، لاننا نحن النساء متعودات على الوحدة ، وعلى ان ينظر الينا على اننا مخلوقات زائدة على العدد وعلى سوء المعاملة بخلاف الرجال ، وأنا هنا لا أتحدث عن نفسي فمن حسن حظي أن لي ظروفا أخرى

أما الرجال الذين تعودوا على أن يعتبروا أنفسهم مخلوقات أعلى مستوى ويحسبون انهم يحملون مسئوليات أكثر ، فهؤلاء عندما يصلون الى الشيخوخة ولا تعود بأحد اليهم حاجة ، وتنتهي بالنسبة لهم المسئوليات يشعرون وكأنهم سقطوا من حالق أو كأنهم أهينوا ، ولقد تحدثت مع الكثيرين منهم فعرفت أن معظم الحال عند الشيوخ هو الشعور بالكرامة المهينة أو بفقدان الاهمية ، وأعتقد انهم ينبغي أن يتخلوا عن ذلك الشعور لان الانسان طالما أدى واجبه وقطع مشوار حياته فلا يبقى له الا أن يخلد الى الراحة .

وليس معنى ذلك انني أقبل ظروف الحياة الحالية كما هي أي انني عندما أتحدث بهذه القسوة الى الشيوخ والشيخات لا أشعر بالسرور ولا بالرضا عن نفسي وربما كنت أفكر في تغيير ظروف هذا العالم وادخال عقلية أخرى على المجتمع ولكن حتى هذا لم ينفع الشيوخ لان العالم يسير ، وهناك أجيال تتوالى وهذه الاجيال يأخذ بعضها مكان بعض ولا سبيل الى الشيوخ الا أن يتركوا مكانهم ، راضين ولا داعي للغضب .

انني اعتبر نفسي عجوزا الان رغم ان لدى من الاعمال ما يملأ فراغ عشرات الناس ، ولكن لامر ما لابد ان استسلم لظروف السن .. لابد ان استريح .. لابد ان اخلو لنفسي .. لابد ان اعترف ان هناك قليلات جدا من النساء وقليلين جدا من الرجال يسعدهم ان يجلسوا معي .

انني اتلقى مئات الخطابات ، ولكن الخطابات لا تحل ازمة الوحدة كما تعلمين ثم انني لا استطيع ان ارد على كل الخطابات التي تصلني ، فهناك كثيرات ينتظرن مني ردودا ، وساكتب لهن ، ولكن قليلا من الصبر فانني بعد كل شيء تخطيت السبعين ..

● **ترجمة : د. حسين مؤنس** ●

مع الأدباء

والشعراء والظرفاء

* نظر المأمون الى بعض أولاده وفي يده كتاب فقال : « ماهذا ؟ » قال : «بعض مايشحذ الفطنة ويؤنس الوحشة» فقال : « الحمد لله الذى جعل فى اولادى من ينظر اليه بادبه أكثر مما ينظر اليه بحسبه ! »

* من أقوال الاديب الامريكي الساخر مارك توين عن التدخين :

« لقد قررت الا ادخن اثناء النوم !. وقررت الا أتوقف عن التدخين اثناء اليقظة !.. وقررت الا ادخن اكثر من سيجارة واحدة فى وقت واحد » !

* قيل لابن الزبعرى الشاعر : لم تقصر اشعارك ؟ فقال : لانها اعلق بالمسامع واجول فى المحافل !

* اشتهر الشاعر الايطالى «دانتزيو» بحظوته الكبيرة لدى النساء ، وسأله صديق يوما عن سر توفيقه فى غزو قلوب الجنس اللطيف رغم ان حسن الطلعة لم يكن من خصائصه .. فاجاب الشاعر : لقد وفقت فى عالم المرأة لانى اكتشفت سرها : ان كانت اميرة عاملتها كما لو كانت خادمة ، وان كانت خادمة عاملتها كما لو كانت اميرة !

* قالت زوجة الاديب والفيلسوف الروسى الكبير ليوتولستوى : كان لطفه ينبع من «مبادئه» لا من قلبه.. وسوف تقرأ فى تراجمه كيف كان يبذل العون للعمال فيحمل عنهم صفائح الماء ، ولكن احدا من القراء لن يعلم انه لم يتح لزوجته فرصة للراحة خلال ٣٢ سنة ، او انه لم يعط ابنه شربة ماء ، أو انه لم يلازم سرير ابنه خمس دقائق ليهون على أنا ان أنال قسطا من الراحة »

* عرضت جائزة فى روسيا ، فى عهد ستالين لمن يصنع احسن تمثال لتكريم ذكرى الشاعر بوشكين ، فعرضت على



لجنة التحكيم مئات من الرسوم والامثلة المصنوعة من الطين تمثل بوشكين ، مفكرا ، أو متكئا ، أو مستلهما شياطين الشعر ، أو جالسا وسبابته على جبهته ..

وقد وقع الاختيار فى آخر الامر على تمثال يمثل ستالين جالسا وهو يقرأ كتابا ــ هو ديوان بوشكين ، فنصب فى الميدان العام !

* ذاع اسم برناردشو أول ما ذاع ، يوم شنت عليه حملة شعواء فى صحف لندن فى مقالات لا تحمل امضاء احد . وكان الصحفى كاتب هذه المقالات يكتب انه يقتحم شقة برناردشو الوضيعة ، وليس له غرض سوى أن ينهال عليه بالقدح والسب

وقد ذهب الظن بكثيرين من الناس الى ان شو هذا رجل متخيل ، وشق على الكثيرين يومئذ ان يصدقوا ان هناك رجلا كمثل شو المسكين ، يبلغ منه التسامح حتى يتجاوز عن الذين يسيئون اليه ..

والحقيقة ان كاتب هذه المقالات كان ــ برناردشو نفسه !

* تعهد استاذ فى جامعة هارفرد بأن « يأكل قميصه » اذا ثبت انه اخطأ ، وفعل .. لقد اخذ قميصه واذابه فى حمض ، ثم عدل الحمض بمادة قلوية ، ثم صفى السائل ، واخذ المادة المترسبة فبسطها على كسرة خبز واكلها !

● امين سلامة ●

من كوارث الطيران

الموت بين السماء والأرض

« انت تاخذ مكانك فى الطائرة الضخمة على كرسى وثير ، وموسيقى رقيقة تتهدهد فى اذنيك ،والمضيفات رائحات غاديات .. وبعد قليل يصدر اليك الامر بربط الحزام ، وتحلق الطائرة فى السماء .. ولكنك لا تعلم كم من العمليات الفنية لابد أن تتم بغاية الدقة حتى تحلق بك الطائرة ، وكم من الاخطار تحيط بك فى كل لحظة من لحظات الرحلة ، وكم من محطات المراقبة والانذار مسلطة عليك حتى تصل بسلام ، واقل خطا فى ابسط الاجراءات قد يؤدى الى اسوا العواقب وهذا هو الذى يحدث عندما تقع كارثة الطيارات .. !

انها تقع فى ثوان معدودة ، تتحول فيها الطائرة الفاخرة الى جحيم ،وتنتهى فيها حياة المئات بسبب خطا لا يكاد يذكر !

وفى القصة التالية عن حوادث الطيارات ، ستقرأ ما يجعلك تفكر الف مرة قبل ان تجلس فى راحة واسترخاء على كرسيك فى طائرة هى انبوبة مغلقة ستحلق بك على ارتفاع عشرة الاف متر وبسرعة الف كيلو متر فى الساعة ،نحو غايتك .. او نحو مصير نرجو الله ان يحميك منه !

الجحيم فى سماء صافية

السماء فوق فرنسا حافلة بالاخطار . هناك ست عشرة شركة طيران تجرى طائراتها فى الممرات الهوائية فوق فرنسا . فيما بين مجرى نهر الراين والمحيط الاطلسى ما يزيد على ٣٠٠ ممر هوائى محددة باتجاهاتها وارتفاعاتها . لابد أن تسلك كل طائرة واحدا منها محددا بالضبط .

حوالى ٢٨٠ طائرة تنطلق فى هذه الممرات بسرعة تفوق سرعة الصوت ، أى خطا فى التقدير او الحساب يؤدى الى تصادم . هناك ستمائة محطة مراقبة مسلطة على تلك المساحة من الهواء فوق الأرض لانها ثانية ميادين الطائرات زحاما بعد الميدان الواقع بين واشنطن ونيويورك .. كل شركات الطيران يتملكها الخوف عندما تجتاز طائراتها تلك المنطقة المخيفة . شركات طائرات قليلة درست هذه المنطقة دراسة وافية واصبحت تامن على طائراتها تماما وهى هناك .. من هذه الشركات ((سويس اير)) « لوفتهانزا » ، شركة ((ايبيريا الاسبانية)) وكذلك شركة «اسبانتاكس» وهى اسبانية دولية .

ومن غرائب المقادير أن تقع الحادثة التى سنرويها فيما يلى بالذات بين طائرتين احداهما تتبع اسبانتاكس والثانية ايبيريا .

***

.. كان ذلك فى الخامس من مارس سنة ١٩٧٣ م . الكابتن انطونيو اريناس ، ورجال طاقم الطائرة ياخذون


SPANTA

اماكنهم من طائرة اسبانتاكس الذاهبة الى لندن من جزيرة مايورقة مارة بمدريد حيث تتوقف بضع دقائق . الساعة الثانية عشرة ظهرا وصلت الطائرة الى قرب مطار براخاس قرب مطار مدريد كانت اذ ذاك على ارتفاع تسعة الاف وسبعمائة متر وتمكنت من الهبوط وانطلقت في مدرج المطار الطويل والكابتن انطونيو ايناس يداعب زملاءه ويبتسم .. انه من أمهر طياري الدنيا وهو من المستوى الذي يقولون عنه بلغة الطيارين الذي يستطيع أن يسير بالطائرة الى الخلف ..

وقد تخصص في قيادة الطائرات من طراز كونورادو واشتهر بذلك حتى قيل انه أمهر من يقود هذه الطائرات في الدنيا . لذلك كان ينظر الى ارض المدرج بغير مبالاة عندما لامسته عجلات طائرته فهذه ربما كانت المرة الاولى بعد العشرة آلاف التي يهبط بها بمثل هذه الطائرة .. وجلس الكابتن انطونيو في مطار براخاس ينتظر حتى تعد الطائرة لمعاودة الطيران الى لندن ، وقال له واحد ممن حوله : كان الله في عونك فان المرور بفرنسا مخاطرة .. فابتسم وقال : أي مخاطرة تعنى ؟ انني استطيع عبور فرنسا دون توجيه واحد من أي نقطة مراقبة ، فانا أعرف هذه البقعة كما اعرف حجرة نومي ، والحظ دائما معي في الجو ! .. » ثم ضحك .

***

ولكن الحظ هذه المرة لم يكن معه !
ربما يكون الحظ قد شعر بالمهانة من استهتار هذا الطيار به فاراد ان يتخلى عنه مرة ..

وانتهوا من اعداد الطائرة وجلس تسعة وتسعون راكبا في اماكنهم وسار الكابتن انطونيو في زهو نحو طائرته ، وعلى وجهه من علائم الثقة بالنفس ما يجعل كل واحد من هؤلاء الركاب التسعة والتسعين يثق بأنه واصل بالسلامة الى لندن بعد ساعات ..

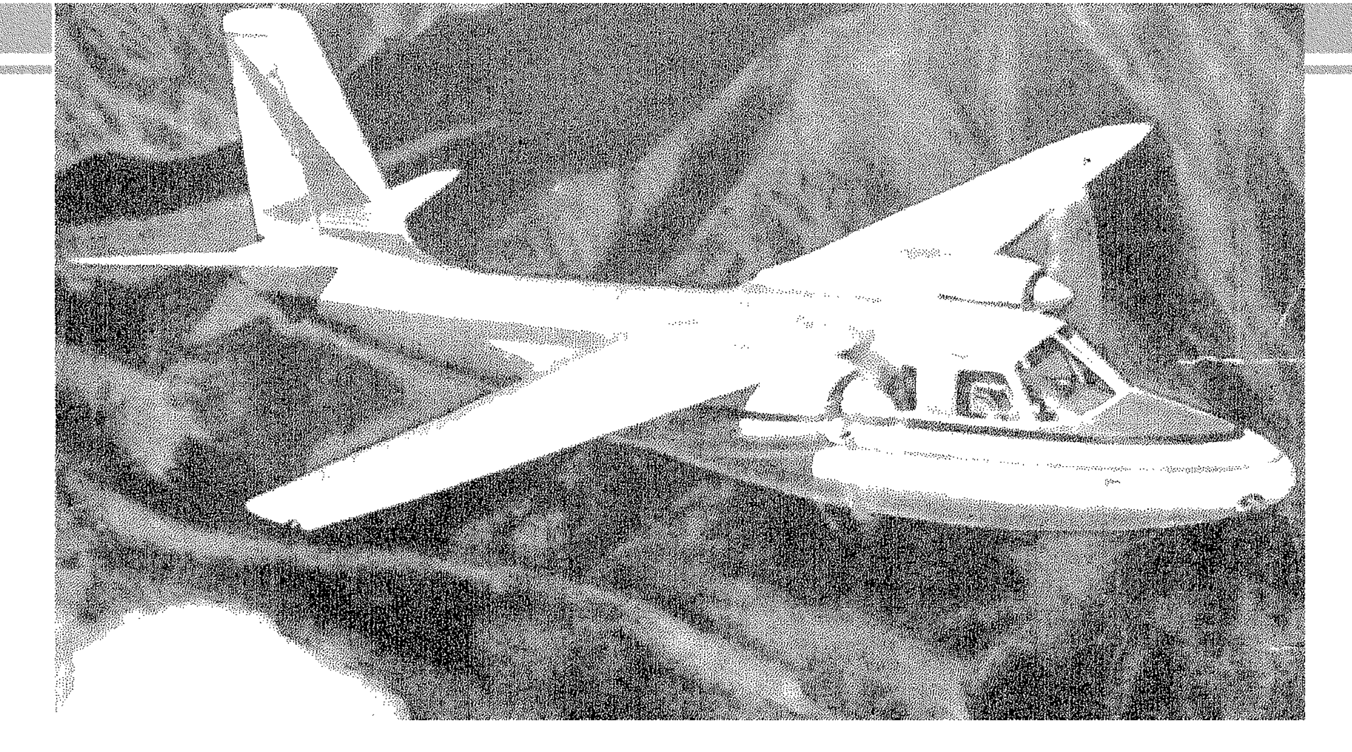
دارت المحركات الأربعة ، ومضى الكابتن انطونيو ينظر في الساعات الكثيرة التي أمامه وكل منها تدله على حالة جزء معين من اجهزة الطائرة ، وجعل يختبر المفاتيح التي تحيط به وهو يحدث زملاءه والابتسامة لا تغادر شفتيه .

كان الى جانبه مساعد الطيار وهو أيضا كابتن واسمه استيبان سافدرا ووقف خلفه مهندس الطائرة خوسيه ماريا ثاراوس ، بينما كانت المضيفات يرحن ويجئن لتنبيه الركاب الى ضرورة ربط المقاعد واطفاء السجائر استعدادا للصعود في الجو .

وتلقت الطائرة اشارة من برج المطار بأنها تستطيع التحرك ، ودارت ٦٠ الف حصان هي قوة المحركات — واهتزت الأرض تحت الطائرة ، وبعد دقائق كانت المحركات الأربعة تدور بأقصى قوتها وتستعد لحمل مائة وعشرين طنا من الحديد والالمنيوم والبلاستيك والناس والاطعمة والبضائع — في الهواء .

واعطى مساعد الطيار الاشارة « في — ١ » وبمصطلح الطيران معناها ان الطائرة ستتحرك الآن بسرعتها الاولى ١٢٠ عقدة ، وتحركت الطائرة الضخمة على مدرج المطار بعد أن رفع العمال القطع المعدنية التي توقف العجلات ..

سارت الطائرة في بطء وشيئا فشيئا اخذت الكونورادو تلتهم الكيلو مترات ، وقفزت السرعة الى ثمانين كيلو مترا في الساعة ثم الى مائة ، وفي نهاية المدرج



وقفت تنتظر الاشارةللصعود أو للتحليق ــ كان اسم هــذه الطــائرة « جــولى شارلى » ..

واخــذ الطيار ومساعدوه يختبرون الاجزاء واحدا واحدا ،وتبادلوا فيما بينهم السماعات لاستماع صوت المحرك قبل أن تنطلق الطائرة فى أول مرحلــة من مراحل الصعود وتسمى فى مصــطلح الطيارين الأزرق العلوى واتجاهها الآن نحو مدينة بلباو فى شــمال اسبانيا ، لان الحارة الجوية المحددة للطائرة تمر فوقها .

فى ذلك الوقت كانت كبيرة المضيفات الآنســـة بيلار ساراجوثاراموس تعــد المشروبات للمسافرين‌وتناولهاللمضيفات: مشروبات كحولية لركاب الدرجة الاولى، ومشروبات غير كحولية لركاب الدرجــة الثانية .

وفى الساعة الثانية عشرة وخمســة وعشرين دقيقة طلب استيبان ســـافدرا مساعد الطيار الاتصال بنقطــة المراقبــة الأرضية على الحـــدود الفرنسية وهى نقطة مون دى مارسان .

وجاء الرد بالايجاب .

نحن الآن على لحظات من الاقلاع ...
ونحن ايضا على دقائق من الكارثة : بالضبط ٢٨ دقيقة !

الطائرة « جولى شارلى » من طــراز الكونورادو تطير الآن بسرعة ٩٥٠ كيلو مترا فى الساعة وارتفاعها هو الارتفاع رقم ٢٦٠ لان ارتفاعات الطائـــرات لها مصطلح خاص ٢٦٠ هو ارتفــــاع معين يعرفه الطيارون وهو نحو ٢٦ الف قدم أى ٨ آلاف متر .

واعاد سافدرا مساعد الطيار الاتصال بمركز المراقبةولكنه لم يتلق ردا فالتفت الى رئيسه الكابتن اريناس ، وســأل : لماذا لا يردون ؟

وضحك هذا وقال : لانك لم تحول ذبذبة جهـــاز الارســـال على السرعة المضبوطة !

وخجل مساعد الطيار وضبط جهــاز الارسال !

الطائرة الاخرى من طراز د . س ٩ تسير على ارتفاع ١٨٠ مترا : لا خطر .

وأرسل مساعد الطيار برقية تقول : هنا طائرة « اسبانتاكس ٤٠٠ » وردت نقطة المراقبة تقول :الطائرة اسبانتاكس ٤٠٠ تقديراتنــا انكم ينبغى ان تطيروا على مستوى أعلى ، نقترح ان ترتفعوا على مستوى ٢٩٠ ،ضموا طائرتكم فى الحارة ٢٩٠ .

وفعل الكابتن اريناس ذلك . الطائرة

الآن تسير على ارتفاع ٢٩٠ والرقم الفنى لذلك الارتفاع « ب ـ اكس ـ ٤٠٠ » الآن يشعر الطيار انه فى أمان .

ولكنه يفاجأ بكتلة من السحاب امامه لونها ازرق اسود ويندفع فيها ليخترقها

***

أمر من مركز المراقبة : عـــودوا الى ارتفاع ٢٦٠

تلقى الطيار هذه الاشارة بهـدوء . أدرك أن هناك طائرة اخرى تطير على ذلك الارتفـــاع أو قريبة منه . انهـــا الطائرة ايبيريا د ـ س ـ ٩ ، كان يظن انها تطير على ارتفاع ٣١٠ .

ولكن الكابتن روجى قائد هذه الطائرة يحاول الاتصال بطائرة اسبانتاكس لانه يخشى ان يكون الارتفاع الذى تطير عليه قريبا جدا من الارتفـاع الذى يطير هو عليه ، ولكنه لا يستطيع الاتصـال لان الاسبانتاكس الآن وسط كتلة السحاب وتدخل المضـــيفة فى كابينة الطيارين وتقول : أن احد الركاب فى حالة سيئة واخشى ان يكون هنـــاك تسرب غازى من ناحيته ...

وهز الطيـــار رأسه وتحـدث مـع مساعده : ان مثل هذا الامر مستحيل بحسب ما يعلم ، لانه اختبر كل اجزاء الطائرة قبل ان يرتفــع فى الجو ... ودار حديث طويل بين الاثنين سجل على الشريط الموجود داخل « الصـندوق الاسود »الذى تحمله كل طائرة ويسجل عليه كل ما يدور بين طاقم الطائرة ونقط المراقبة وما يدور بينهـم من حـديث . الساعة الآن الثانية عشرة واثنتان وثلاثون دقيقة ، ومركز مراقبة مارينا يبلغهـــم رســـالة تقول : ايبيريا ٥٠٤ اتركـوا مستواكم واهبطوا الى مستوى ٢٩٠ . وهنا كانت الكـارثة لان نفس نقطـــه المراقبة اصــدرت قبل دقيقتين نفس التعليمـــات الى الطائرة اســـبانتاكس الذاهبة الى لندن طلبت اليها ان ترتفع الى مســـتوى ٢٩٠ ومعنى ذلـك ان الطـــائرتين الاســـبانيتين ، ايبيريا واســـبانتاكس تطـيران الآن فى نفس
الاتجاه وهو لندن ، وعلى نفس المستوى ! .. لابد أن يحدث التصادم بعد دقائق وكانت الرؤية سيئة . لم يكن الطيارون فى هذه الطائرة أو تلـك يرون الأرض ولا أى معلم يدل على مكان الطيران .

وقال الكابتن ايرناس : عجيب ... لم يحدث لى هذا قبل ذلك !
انه يتكلم فى هدوء ولكن الخوف يملأ قلبه ربما للمرة الاولى فى حياته !

فى هذه اللحظة كانت نقطة المراقبة المسماة منهير والتى كانت تتابع طائـرة الاسبانتاكس منذ الساعة ١٢٫٣٧ ترسل رسالة رادار الى الطائرة التى كانت قد خرجت فى ذلك الوقت من كتلة السحاب وعندما أصبحت الطائرة اسـبانتاكس فى السماء الصافية وجدت نفسها على لحظات من الكارثة ! .. انها والطائرة الاخرى تسيران فى نفس المستوى !

وجاءت رسالة من نقطة مراقبة منهير تنادى : « اسـبانتاكس ٤٠٠ » ويأتى الرد : « هنا اسبانتاكس ٤٠٠ ، أبلغونا الرسالة » ويجيء الرد : « .. حولـوا اتجاهكم الى مركز تانت ، افعلوا ذلـك قبل الساعة الواحدة » وصـاح الكابتن ايرناس : هذا مستحيل . اننا نطير الآن بسرعة ٢٣٠ عقدة ، ومن المستحيل أن أغير اتجاهى بهذه السرعة . ان طائـرة كونورادو لا تستطيع عمل أى تحـويل على هذه السرعة !

وعادت نقطة المراقبة تقول : لابد من ذلك والا فأنت المسئول !

وصاح الكابتن : لعنة اللـه عليكم ، ألا تفهمون ما هو الطيران !

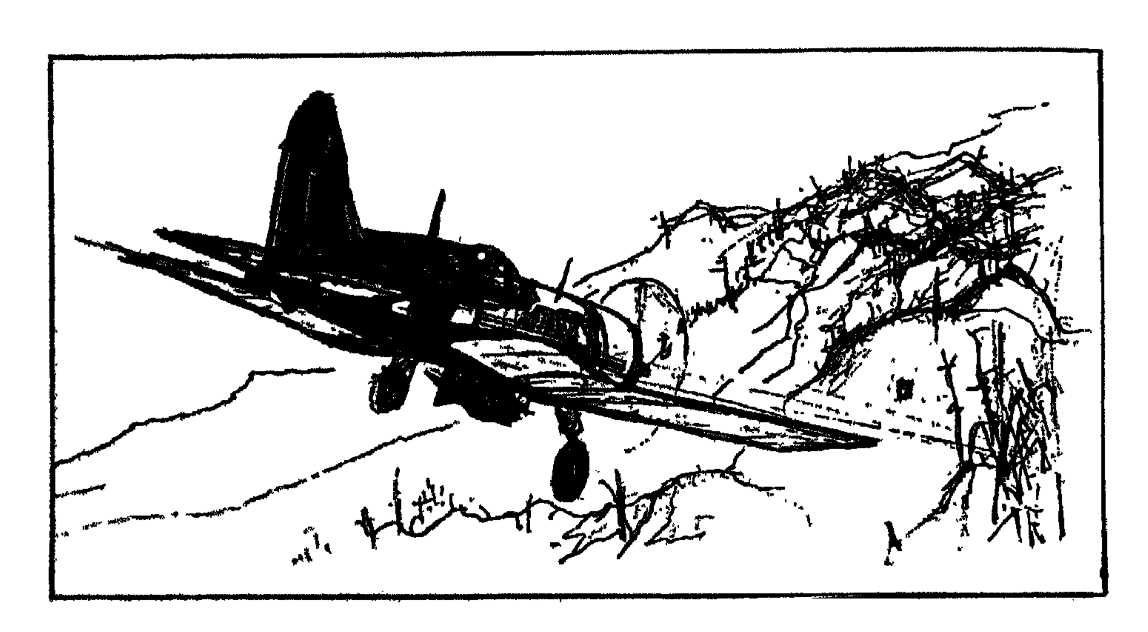
وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة التاسعة والأربعون عادت الطائرة اسبانتاكس تنادى نقطة المراقبة منهير : سنحاول أن ننحرف ٣٦٠ درجة لكى نتفادى الكارثة ٠٠ أريد أن ارتفع فى نفس الوقت الى مستوى ٣٦٠ ٠

وترد نقطة المراقبة : هذا مستحيل !

وأدرك الكابتن اريناس انه يواجه نتحاشى التصادم ، سنحاول الهبوط اضطراريا فى بردوا ٠٠

كان الكابتن اريناس يعرف انه لكى يغير اتجاهه فلابد له من مسافة طويلة ٠ والمسافة تحتاج الى وقت ولا وقت عنده

ونظر الكابتن اريناس ومساعده سافدرا ومهندس الطائرة بعضهم الى بعض ، انهم لا يدرون ما يفعلون لكن الكابتن اريناس بدأ بالفعل يستعد



كارثة لا مفر منها ، ولكنه بثقته بنفسه قرر أن يحاول ٠٠

وارسل اشارة رادار : سأحاول أن اصل الى ارتفاع ٣٦٠ والمسئولية عليكم!

وأدار موجه عجلة الطائرة بسرعة جعلت كل ما فى الطائرة يهتز اهتزازا عنيفا ٠٠ الساعة الآن الثانية عشر واحدى وخمسون دقيقة ٠

وفى الطائرة تسعة وتسعون راكبا رءوسهم تدور وقلوبهم تخفق ٠٠ كلهم يعرفون الآن انهم فى مأزق خطر ٠٠٠

محاولة اخيرة للنجاة

وأرسل الكابتن اريناس قائد الطائرة اسبانتاكس الرسالة التالية : لكى للهبوط اضطراريا فى مطار بردوا ٠٠

الساعة الآن الثانية عشرة واثنتان وخمسون دقيقة ٠ انه يحاول الهبوط ، ولكن مطار بردوا لا يرد لأن جهاز الرادار لا يستطيع الوصول الى الاتصال بنقطة المراقبة فى بردوا ٠

واخيرا جاء الرد بالموافقة ، وعندما ابتسم الكابتن سافدرا واخذ يحرك اجهزة الهبوط ، ماتت الابتسامة على شفتيه لأن طائرة ايبيريا كانت قد اصطدمت بطائرته واشتعلت الطائرتان ومات كل من فيهما ٠٠٠ وهبطتا فى الجو وهما كتلتان من نار ٠ !

● ح ٠ م ●

فلسفة الحكم من خلال المادة التاريخية بين شوقي وعزيز أباظة

● د. سعد ظلام ●

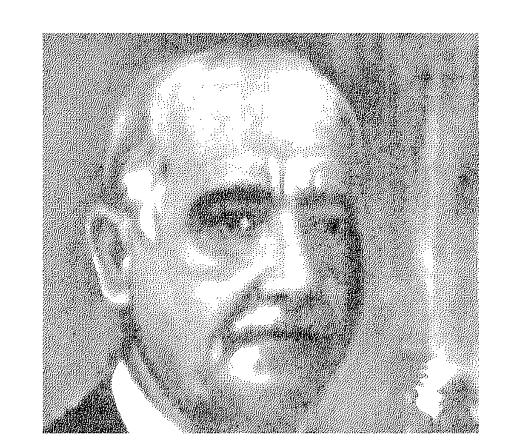
● تناول كل من الشاعرين الكبيرين شوقي وعزيز الحكم واصوله وأبدى كل منهما رأيه ووجهة نظره فيه من خلال معالجتهما للمادة التاريخية المتنوعة في مسرحيهما

وقد استطاع كل من الشاعرين أن يطوع المادة التاريخية لمتطلبات فنه المسرحي ، وأن يطبعها بطابعه الذاتي ، وأن يتصرف فيها تصرفا ينسجم مع ميوله ومشاعره وهواه ومزاجه ومع طبيعة كل منهما وظروفه ومناخه السياسي .

وانطلاقا من هذا وجدنا الشاعرين الحبيبين القريبين يختلفان ، ولابد لهما أن يختلفا ، فشوقي أملت عليه طبيعة الشاعر أمير الشعراء المتسيد أن يعالج النزعة الفردية في أكثر مسرحياته . ولم يشأ أن ينزع نزوعا جماعيا يهتم بمشكلات الجماعة اهتماما أصيلا يدرس من خلاله العصر والبيئة والمجتمع والناس وأدواء الحكم وعلله وعيوب الحاكم ، وهو يدرس الشخصية التي يستعرضها ، فعالج قصص كليوباترة ، وعنترة ، وعلى بك الكبير ، وقمبيز من خلال هذا النزوع الفردى حسبما أملته عليه الظروف السياسية وظروف العصر ومقتضياته .

فهو فى معالجته لشخصية كليوباترة يحاول أن يرد على « بلوتارك اليونانى » فى قصة انطونيو و « شيكسبير » فى مأساة أنطونيو وكليوباترة و « درايدن » فى « كل ما نملك فى سبيل الحب » . فكل هؤلاء الكتاب قد صوروا كليوباترة بغيا تبيع البلاد من أجل نزواتها ومتعها، وقد نجح شوقى فى ذلك ، فصورها ملكة ذكية تلعب بالعروش والتيجان لعبها بالاهواء والقلوب ، وأنها استطاعت بدهاء سياسى ولباقة وحصافة أن تجعل سيفى روما الطامعين فى مصر يقتتلان ، وأنها لم تعد من معركة « أكتيوم » ولم تفر خائفة غادرة بأنطونيو وانما سياسة رسمتها لتترك روما يحارب بعضها بعضا .

فشوقى فى رده على الكتاب الغربيين يدافع عن شخصية الملكة . وهو تمجيد لها وللملك والملوك عموما : صحيح أنها مصرية وأنه تطوع للدفاع عنها كمصرية قبل أى شىء آخر . ولكنه دافع عنها كملكة قبلا وبعدا ، وهذا لا يمنع ماقلناه بل يؤكده ، وشوقى لم يتمسك بالحقائق التاريخية حين كتبها وانما حورها بما يناسب النزوع القومى فى عصره ومايتفق مع ميوله وطبيعة العلاقة التقديرية والتقليدية المتبادلة بينه وبين الحكام . ولم يبحث أمور الشعب ولا مشكلاته ولا سبب الغزو ومبرراته .



أحمد شوقي



عزيز اباظة

ويمجد البطولة او النزعة الفردية في شخصية « عنترة » الذى رد غارة الاعداء عن قبيلة « عبس » وحقق ببطـولته الاسطورية أمنيته ، فاستلحقه أبوه وربح عبلة زوجا له ·

ومسرحية علي بك الكبير ··

الرواية فيجوهرهاتقوم على المؤامرات السياسية · وتصـور النزعة الفـردية تصـويرا قـويا ، فعـلى بك الكبير يستقل بحكم مصر عن العثمانيين · ويتحد مع والى عكا ، ويفتح « اليمن » و « جدة » و « مكة » و « شبه الجزيرة العربية » · ويفكر فى غزو « سوريا » فيرسل أحب أتباعه اليه ، وهو محمد بك أبو الدهب، ولكن الاتراك يستميلونه ويمنونه بحـكم مصر ، فيخون سيده ، ويدس من يأسره ويتولى أبو الذهب حكم مصر ·

وكل هذا تمجيد للنزعة الفردية التى تجلت فىطموح على بك والمطامعالشخصية لدى أبى الذهب ولم يشأ أن يبرز العلل الكامنة فى الدولة آنذاك ، وانما صـور سياسة الدولة العثمانية فى استمالتهـا أبا الذهب وذكاءها الحصيف فى هذا ، وكانه يعني أن الذكاء والاستمالة يغنيان عن كل شيء ·

ومسرحية قمبيز ··

تتناول فترة قضى فيها على اسـتقلال مصر وسيادتها ووقوعها فى يد الفـرس الذين اغاروا عليها ، وهى فترة ضعف وانحلال سيطر فيها الجنود اليونانيـون على جيش الوطن ·

ولم يهتم شوقي بالاسباب الاساسـية للغزو من اقتصادية وعسـكرية تتعلق بالصراع بين الفـرس واليـونان ، وتطلع كل منهما الى حكم مصر · ولم يرد شوقي أن يعزو سبب الغزو الىالاسباب الحقيقية له ، وانما آثر أن يستخدم لفنه المسرحي اسطورة رواها « هيرودوت » ونقلها عنه بعض المؤرخين ـ ومؤداها « أن قمبيزا » غزا مصر لانه طلب الى فرعونها«امازيس» أن يزوجه ابنتـه ـ ولكن « امازيس » غشه · فبدلا من أن يزوجه من ابنتـه « نفريت » زوجة « نتيتاس » ابنةابرياس الفرعون الذى قتله « أمازيس » واسـتولى على عرشه وقد اكتشف « قمبيز » هـذا الغش فثارت حفيظته · وانتقم منفرعون بغزو مصر وسفك دماء اهلهـا ، ونهب خيرات أهلها ، وتدمير معابدها ، وقتـل عجل أبيس المقدس عند المصريين القدماء وان تكن نوبات الجنون التي انتابت هذا الطاغية قد اطاحت بعقله فقتـل اخاه وقتل اخته في ساعة جنونه ولقي حتفه·

ولو ان « شوقي » اهتم بالاسـباب الحقيقية للغزو وأكد عليها وعالج القصة من خلالها لكان قد أدى عبرة تاريخيـة يسديها الى الجماعة الانسانية · ولكنـه عدل عنها الى هذه الاسـطورة ميلا الى النزوع الفردى ، صـحيح أنه صـور شخصيته نتيتاس لتكون « جان دارك » مصرية تصور الشعور القومي ولكنـه لم ينجح فى تصويرها على هذه الصورة التى أراد ·

ونلاحظ بعد هذا كله أن « شـوقى » تعرض فى مسرحه للتاريخ المصرى القديم والوسـيط فى « مصرع كليوباترة » و « قمبيز » و « على بك الكبير » وتعرض للتاريخ العربى والشعبى فى « عنترة » ولم يعطنا فلسفة خاصة فى الحـكم ولا تفسيرا لاسباب الانحـلال والضعف فى الدولة ، وانما أكد على النزوع الفردى فى اتجاهاته وأعماله المسرحية كلها ٠

اما عزيز فقد كتب ست مسرحيـات تاريخية اعتمدت على الواقع التاريخى هى « العباسة » و « الناصر » و « شـجرة الدر » و « غروب الاندلس » و «شهريار» و « قيصر » ما عدا « شهريار » فانهـا اعتمدت على الواقع الاسطورى ٠

وقد ألم عزيز بالتاريخ المصرىوالعربى والاسلامى فى كل عصـوره عدا العصر الحديث ، فالعباسة تسـتعرض التاريخ العباسى فى عصر ازدهاره ، والنـاصر تستعرض تاريخالاندلس فىعصرازدهاره و « غروب الاندلس » تسـتعرض فترة أفوله وزواله و « شجرة الدر » تتناول التاريخ المصرى الوسيط ،وكانأزمع أن يكتب فى العصر الاموى مسرحية « معاوية ملكا » وتناول الجـانب الاسـطورى لشخصية أحد ملوك الفرس فى شهريار وتناول التاريخ الرومانى القـديم فى « قيصر » ، فعزيز أكثر تنـوعا فى مادته التاريخية وأكثر سـخاء فى تناوله ، وأسخى فى اسـقاطاته الضوئية على التاريخ وكيفية التناول والعرض ٠

ومسرحية « العباسة »

تتعـرض للوضع العـام فى الدولة العباسية ٠ فصور الدولة ضاربة فىبرج الحضارة الاسنى والبذخ والترف ، غارقة الى أذقانها فى اللهو والمتع ٠ وصـور بوادر الصراع بين العنصرين العـربى والفارسى ٠ وكان العنصر العربى مقهـورا منزويا ٠ ولكنه لا يرى غيره من الاجناس كفؤا له فى النسب والمصـاهرة ، وكان العنصر الفارسى قويا مسيطرا ، لانالدولة قامت على أكتافهم ٠ واعتمدت عليهم فى تصريف شئونها ٠ ولم تركن الى العـرب خشية أن تحدث لها متاعب سياسـية ، ولكن هذا أوجد تحسبا غير قليل منجانب الخليفة ، جعله يخاف أن يمبل الميزان ٠ أو يجمح الحصان الفارسى فيضـيع كل شىء ٠ فتوجس واحتاط وحاسب على أقل القليل وتحفز للبطش والانتقام ٠

ولقد اتجه عزيز الى جعـل الصراع الناشب فى نفسية الخليفة بين حبه لجعفر وثقته به وبين نزوعه العربى وخوفه على الحكم أساسا لنكبة البرامكـة ، وكانت مشكلة الزواج غير المتكافىء بين جعفـر والعباسة وانجابها منه سببا كافيـا لنكبتهم ٠

وفى مسرحية « الناصر » ٠٠

صور الشاعر قرطبة عاصمة الاندلس المزدهرة باعثة النهضة فى العـالم كله بجامعاتها ومعاهدها وثقافتها وأساتذتهـا فى أيام « الناصر » ٠ وقد حاول الشاعر أن يبين لنا كيف قضى على هذه الحضارة بسرعة ٠ ويوضح العلة فى انهيار هذه الدولة السامقة ، وقد جعل من أسباب انهيارها جعل الخلافة وراثيـة فى أبناء الخلفاء والحكام دون المبايعة العـامة ٠ والاكثار من الغلمان الذينكانوا يشترون أو يسترقون أو يهدون الى الخلفاءوأولياء العهد من الدول الاجنبية ٠ وحياة البذخ واللهو التى كان يحيـاها الخلفـاء ٠ وجعل ولاية العهد فى أكثر من واحد ٠

وفى « شجرة الدر » ٠٠

أحس عزيز أنه بدأ يكتب فى التاريخ المصرى الذى سبقه اليه شوقى فأهـداها اليه أثرا من هديه ونفحة من وحيه،هدية تقدير واكبار ، وتصـور المسرحية فترة تاريخيـة غالية من تاريخ مصر ، وهى الفترة التى بدأ انتقال السلطة فيها مـن

الايوبيين الى المماليك البحرية ، وتبـدأ بمقتل توران شاه ، وتولى شـجرة الدر الحكم يؤيدها زعماء المماليك في مصر وعلى رأسهم «أيبك» وبيبرس واقطاى وقلاوون وقد طمع كل واحد منهم في الزواج منها ليستأثر هو بالملك ، ولكن أمراء الشام يرفضون أن تتولى عليهم امرأة ، فيتصلون بالفرنسيين لغزو مصر ، ويطلبـون من الخليفة عزلها ، فلم يسبق أن تولت امرأة حكم المسلمين • وهى فترة مليئة بالاحداث والصراعات والمؤامرات ، وبالاخص الصراع الداخلى فى القصور حيث تتحكم الاماء وتغلى الشهوات ، وتنطلق الاهواء بلا رادع ، وهناك صراعات هائلة كان القصر مركزا لها ، قائمة بين أيبك وشجرة الدر • وبين « أيبك » وزملائه وبين «شجرة الدر» وزوج أيبك ، وبينها وبين المماليك ، وصراعات تتعلق بالمماليك انفسهم من أجل الوصول الى الحكم • وصراعات الشعب المغلوب على أمره الضائع بين أطماع المماليك ، وصراعات خارجية تتعلق بغزو فرنسا لمصر ، والكفاح المشرق المشرف الذى قام به الشعب من أجل كسر شوكة الجيوش الزاحفة والانتصار الكبير عليها وأسر مليكها فى دار ابن لقمان وبالحروب الصليبية عموما •

اختار عزيز هذه الحقبة لانها غنية بالصراع • مليئة بالفتن والدسائس • مائجة بالاحداث والمؤامرات ، وعدم الامن الفردى والجماعى • وهو لا يختارها لانها مما يتلاءم ومتقضيات العمل المسرحى ، ولكنه يختارها لانها تجسم الادواء المخامرة للمجتمع والدولة عموما ، والتى كانت سببا مباشرا فى مفاجاة ((هولاكو)) زعيم التتار للبلاد مستغلا ما هى فيه ليقضى عليها وعلى الاسلام والمسلمين ولولا كتاب ((هولاكو)) الذى انقذ الموقف وجعل السيوف كلها تتجه الى العدو لكان ما لا تحمد عقباه •

واذا كانت مسرحية « الناصر » صورت مجد العرب والمسلمين الباذخ ، وصورت فى الوقت نفسه **عوامل انهيار هذا المجد فان مسرحية « غروب الاندلس »** تمثل قمة المأساة وأفول نجم العرب والاسلام فى الاندلس الحبيبة أى انها تمثل قمة الكارثة • وتصور دقائقها تصويرا دقيقا •

وتتناول المسرحية فترة صعبة من تاريخ المسلمين فى اندلسهم الغاربة ، وتبدأ هذه الفترة قبل نهاية دولة الاندلس سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) وفى ظروف تولى السلطان أبى الحسن الغالب بالله وأخيه أبى عبدالله محمد المعروف « بالزغل » أمر « غرناطة » و « مالقة » حتى انهيار دولة الاسلام فى الاندلس •

وقد كانت الادواء والعلل التى بدات مع الدولة • ولكنها لم تظهر بصورة مخيفة نظرا الى قوة الدولة وشبابها ، ولكن مع تقدم السن بدات تلح عليها تلك الادواء والعلل وتنال منها ، وكان عزيزا اراد أن يتابع الادواء وما تجره على جسم الدولة وهيكلها حتى شيعته ، ويضع الاسباب والعلل والنتائج والنهايات ، والعبر والعظات للحكام والجماعة الانسانية كلها ، ويصور النموذج الباذخ وكيف الحت عليه الاحداث والعلل حتى انهكته واهلكته •

ولقد بدات مطامع العدو تتجه الى الاندلس منذ وطئتها أقدام العرب • ولكنه كان يتحين الفرصة السانحة للانقضاض ، وراح يبث عيونه ويشعل العلل ويدبر الفتن • ويبارك الفساد وينميه •

وقد شهد تناقص الاطراف ، والتهام الاجزاء • وراح يترقب هوى الجسد المتهالك المنهوك والمتهاوى وكانت « غرناطة » و « مالقة » آخر معاقل الاسلام ، وكان ((فرديناند)) ملك أسبانيا المجاورة يرقب بعين الصقر ما يدور ويباركه •

وكان الصراع على أشده بين الاخوين

أبي الحسن وأبي عبدالله ، وقد اتفقا على اقتسام المملكة ، فكان لأبي الحسن غرناطة وما حولها ، ولأبي عبدالله « مالقة » وما حولها ، وكان هذا الصراع والزواج بالاجنبيات والخلود للمتعة واللهو وتدبير الدسائس في القصر ضد الدولة . وجعل ولاية العهد لاكثر من واحد ، والجوارى الاجنبيات في القصر . والانقسام بين الاخوة وتخاذل المسلمين عن نصرة اخوانهم لانشغالهم بصراعات داخلية وخارجية واصطدامات أخرى . كل هذا جعل من الاندلس أو من البقية الباقية منها لقمة سائغة في يد « فرديناند » .

وتشخيص عزيز للعلل والادواء التى تنخر في جسد الامة تشخيص دقيق ، وتصوير واقعي ، وهما لا يقفان عند حدود الاندلس ولكنهما يصدقان على كل دولة بدت عليها اعراض هذه الادواء .

بدأ عزيز بتصوير الجو النفسي الذى تدور فيه المسرحية . ومنذ بدايتها يجعلك تحس بالتمزق والتفكك والانحلال الذى يشمل الامة من اقصاها الى اقصاها ويسرى فيها سريان النار في الهشيم ، فما فيها من احد الا وله مارب خاص يسعى اليه ويعمل من اجل تحقيقه .

أما شهريار ..

فمادتها أسطورية : وهى اتجاه لاستلهام التراث الشعبي بأساطيره ، الغني بمادته وهلاميته ورمزيته ، والمسرحية تصور حياة الملوك الخاصة ونزواتهم وتصرفاتهم . وجو الخداع والنفاق والملق الذى يسود بطانة الملك التى تحقق له نزواته وتساعده على تحقيقها وتهيىء له جو السعادة التى ينشدها على حساب الشعب وقيمه وأعرافه ، وهي خطوة للتعرف على المرأة وما ركب فيها من خداع ، أو ما ركب في طبيعتها من فتنة وخيانة حسب ما تصوره المسرحية أو مادتها الاسطورية .

وموضوعها الازمة النفسية أو العقدة النفسية التى تعرض لها شهريار بطل المسرحية نتيجة لخيانة زوجته فقتل كل ما لديه من نساء وجوار . وقرر أن يتشفى من جنس المرأة بان يتزوج كل ليلة بكرا يقضي معها ليلة سعيدة ، ثم يقتلها عند الصباح . وقد تكفل له وزيره بأن يحضر له كل ليلة عروسا ، وضج الناس بالشكوى وتعلم ابنة الوزير ، فتزمع على تخليص بنات جنسها من عقدة الملك . وتطهره منها ، وتثأر لهن أو تموت ، وراحت تقص على الملك الطفل جزءا من قصة كل ليلة فيمهلها الى مساء اليوم التالى لتتم له الحكاية . وظلت على ذلك حتى طهرته ونجت بنات جنسها .

وقد صورت القصة رغبة الملك الجامحة في الانتقام ، والتسلط والاستبداد بالشعب من أجل لهوه ومزاجه . والبطانة المنافقة التى نفذت رغبات الملك دون مناقشة ونزلت على رايه دون مبالاة بالقيم والخلق والاعراق .

أما قيصر ..

فتمثل اهتمامات عزيز بالتاريخ العالمي والانساني ، ورغبته في تتبع السلطة الحاكمة ومعاناة الشعب من هذا الحكم المطلق .

وزمنها الفترة من التاريخ الروماني في عصر قريب من عصر كليوباترة في مصر فقد تزوجها قيصر وأنجب منها قيصرون . وتدور حول الثورة على النظرة الاستبدادية . وتسلط الفرد . والحكم المطلق . والرغبة في الحكم الذى يشارك الشعب بجميع فئاته فيه .

فقيصر كما تقول الروايات حبته الطبيعة قدرا كبيراً من الذكاء والحصافة ، فكان قائدا عظيما . واخلص لروما وأحبها . وقاد معاركها الناجحة . وخلصها من يد الطاغوت ((بومبي)) وقد كان له ولع شديد بالنساء وميل الى تأكيد حكم الفرد .

ونظرته الى الحكم المطلق هي التى جعلت الثائرين بقيادة ابنه غير الشرعي «بروتس» يثورون للتخلص منه ومن سلطته الفردية المستبدة .

ومن هذا يتضح لنا أن عزيزا فى تناوله للمادة التاريخية المتنوعة فى مسرحه ينطلق عن فلسفة معينة اصطفاها وعالج من خلالها فلسفة الحكم وأصوله ، فهاجم الديكتاتورية والاستبداد السياسى وحكم الفرد هجوما عنيفا فى « قيصر » وعالج الشخصية المعقدة والمتسلطة على الشعب دون رادع ، ونفاق البطانة والحاشية ، وتعرض للاخلاق والفساد فى « شهريار » وعرض الادواء والعلل المخامرة للدولة والبلاط والشعب فى «غروب الاندلس» وأكد على الانغماس فى الشر واللهو وفساد القصور والصراعات الدائرة فيها والتزوج بالاجنبيات اللائى كن عيونا على الدولة من قبل الاجنبى الطامع فيها . وتعرض للفتن والمكايد والصراعات وعدم الامن والامان وعدم الانضباط السياسى ومراعاة أصول الحكم فى « شجرة الدر » وتلك كانت صفة أساسية وطابعا أصيلا فى حكم المماليك . فكان لا يوصل المملوك الى كرسى الحكم كفاءته ومقدرته السياسية وبراعته فى تصريف شئون الرعية والبلاد ولكن كان يوصله تملكه عددا أكبر من المماليك فكان كرسى الحكم للأقوى لا للاكفا وللبارع فى تدبير المؤامرات والانقلابات والمراوغة وكانت الوشاية والترقب والحرص والحذر والشك قدرا مشتركا فى جميع الحكام . فى « العباسة » و « غروب الاندلس » و « شجرة الدر » . والنزعة العنصرية والحرص على الحكم كانتا السبب فى موقف الرشيد من جعفر ، فلم يكن ما أطاح بجعفر حبه للعباسة فقط ولا انجابه منها فقط ولا طبعه فى الخلافة فحسب ، ولكن كان كل ذلك مضافا اليه الوشاية والحقد والشك والوقيعة .

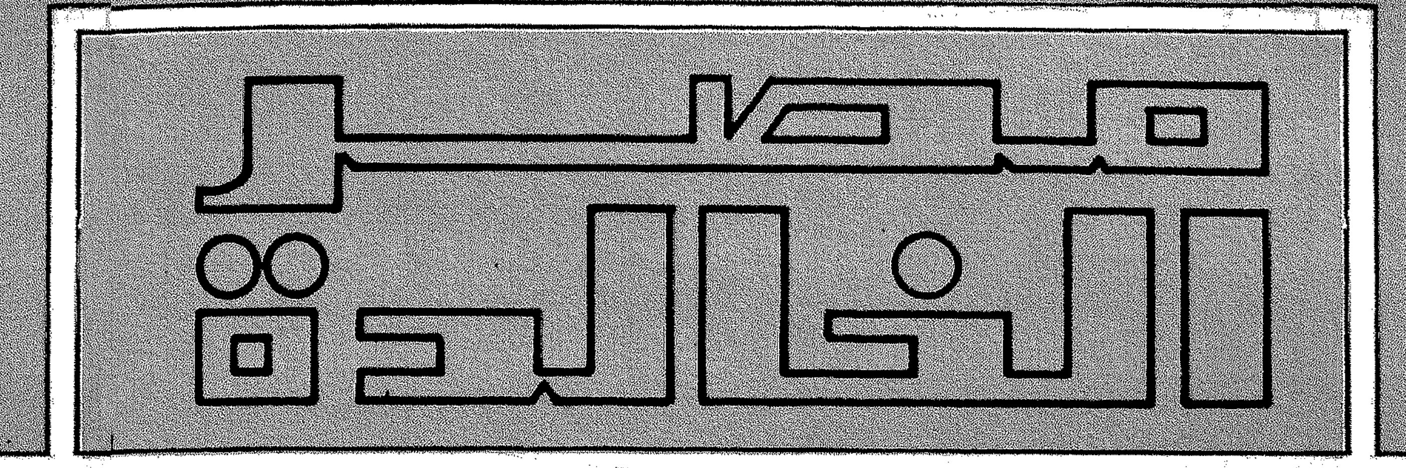
ولا نجد ذلك عند شوقى ، فلم يكن مسرحه مصورا أدواء الحكم وعيوبه ولا علل الدولة وأعراضها ، ولا فساد الحاكم وتسلطه ، ولا باحثا عن مشكلات الجماعة وأسباب أرقها وعلتها ولا عن الحياة التى يتغياها الشعب ، ولا عن الصفات التى ينشدها فى الحاكم . ولا يبرز كل ذلك ولا يهتم به ، ولم يلتفت الى فلسفة خاصة به فى الحكم وأصوله ، فكان يتحاشى تصوير الواقع السياسى والاجتماعى والعسكرى الذى يفضى الى الهزيمة والاحتلال كما فعل فى قمبيز ، واذا كان شوقى قد أكد على النزعة الفردية . فان عزيزا اهتم بالنزعة الجماعية وكشف النزعة الفردية وحاربها وحمل عليها حملة ثورية صادقة كما رأينا فى قيصر ، ووجدنا عزيزا يقف مع الاحداث يرصدها من أولها ، ويرقب ما أفضت اليه كما فى « الناصر » و « غروب الاندلس » ويصور نهايات الدول والحكم ليبين موطن العبرة والعظة للجماعة الانسانية .

ولا عجب فلعزيز قصائد كثيرة فى الشعر الغنائى تصور فلسفته فى الحكم مثل « وقفة على الباستيل » ينعى فيها على الحكم المطلق ويثور عليه ، ومثل « صحوة الشعوب » بينما لا نجد لشوقى الا كلمته البارعة التى تنعى على حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولى
ودالت دولة المتجبرينا
واصبحت الرعاة بكل ارض
على حكم الرعية نازلينا

وليس معنى ذلك أن نرد الفضل لاحدهما دون الاخر ، وانما نود أن نقول ان كلا منهما مثل عصره أصدق تمثيل ، وابدى وجهة نظره فى الحكم من خلال نظرته العصرية ، ووائم بين هذا كله وبين متطلبات العصر وطبيعته الفردية أو الجماعية .

●



يقول المؤرخون ان عمر مصر التاريخى خمسة آلاف سنة ، ولكن حقيقة عمرها اطول من ذلك بكثير .. انهـــا عشرات الالوف من السنين قبل عصر الاسر وبداية التاريخ .. هذه القـرون كلهـا تجارب ...

بعضها حلو وبعضها مر ...

بعضها انتصارات فى ميدان السياسة والحرب وبعضها كشوف فى عالم العلم والفن ..

انها قصة حضارة الدنيا .. قصة مصر الخالدة ..

مصر بلد العلم والفكر والفنون .

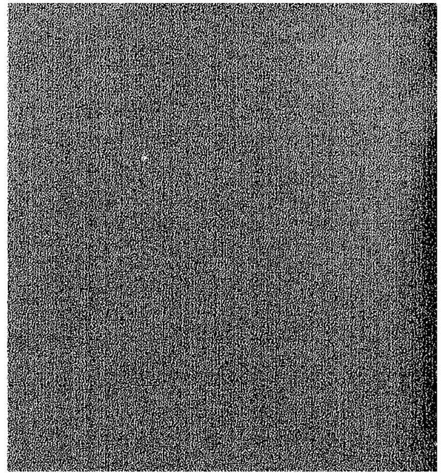
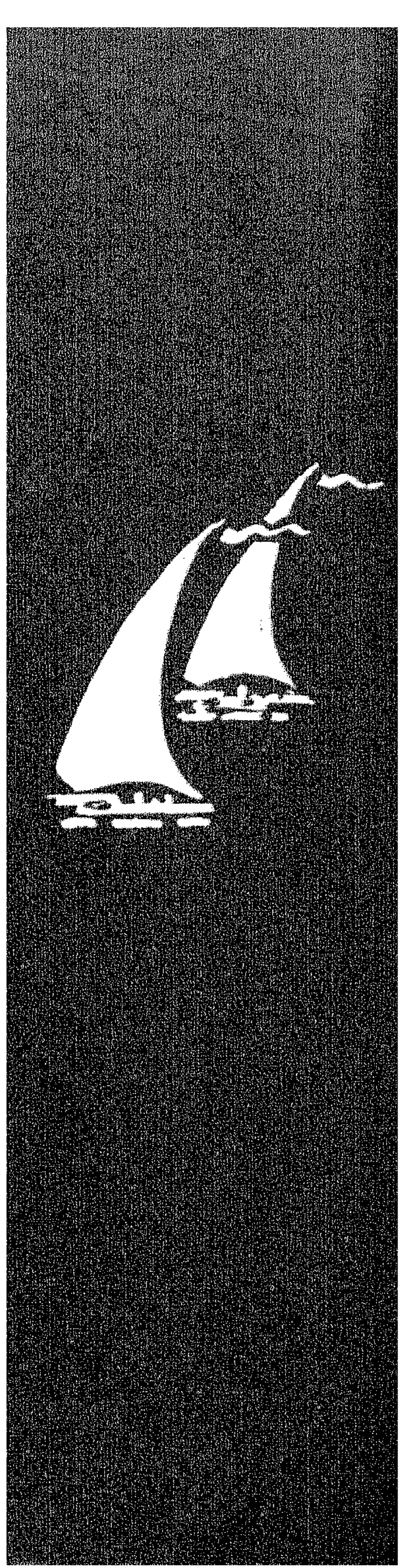
مصر التاريخ ...

انها بنت كل العصور ...

وام كل العصور ..

فى هذه الصفحات سترى صورا من جمال مصر وستقرا سطورا من حكمتها ..

وستعرف لماذا يجمع العالم كله على انها عميدة الامم وصــانعة الحضارات .

على هذه الصفحات صور تمثل جوانب شتى من حياة مصر وجمالها . وفى افتتاحية هذا العدد من الهلال مقال عن مصر العربية ومكانها فى أسرة العرب فيما مضى من القرون ، وفى عصرنا الراهن ، وفيما يقبل من الايام .

وقارىء الهلال يهمه دائما ان يكون على صلة بمصر ، أيا كان مكانه على خريطة العالم العربى ، لأن مصر منذ دخلت عالم الاسلام والعروبة أعطت قلبها وروحها لكل ما هو عربى، وفتحت ابوابها لكل عربى ، ولكل من يحب العرب ... واذا نحن قلنا انها قلب العروبة النابض فلسنا نقول هذا الكلام على سبيل المدح بقدر ما نقوله على سبيل الحقيقة التى يعرفها كل عربى ويسعد بها كل مصرى ..

وفى الماضى كان الرحالة العرب وطلاب العلم العرب يقصدون شتى بلاد العروبة والاسلام للرحلة أو التجارة او طلب العلم ، فاذا جاءوا الى مصر وجدوا العلم ومتعة الرحلة ومكاسب التجارة ، ووجدوا الى جانب ذلك شيئا لا يجدونه فى غيرها من البلاد ، وهو الراحة والامن والمتعة والاحساس بأن الواحد منهم لم يفارق وطنه ؛ وأنه نزل بلدا هو بلد لكل عربى وموئل لكل مسلم ، ومحجة لكل طالب حياة ..

وهكذا كانت مصر منذ خلقها الله الى أن يطوى الله الارض ومن عليها ..
والصور التى تعرضها عليك هذه الصفحات مختارة على نحو يعطيك فكرة عن جمال مصر وعما يحب الناس فيها ، وما تتفرد به من دون غيرها من البلاد
فانت ترى صورا تمثل جمال ريف مصر وطبيعتها الصاحية . وقد يختلف الناس فى رأيهم فى ذلك الريف ؛وبعضهم يشكو اليوم من ازدحامه بالناس ومن روح التغيير التى اقتحمت القرية المصرية وغيرت الكثير من ملامحها وطبيعة الحياة فيها كالمجالس الكثيرة والجمعيات والمخازن ومراكز اصلاح الماكينات الزراعية وكثرة المدارس وما الى ذلك مما لا مفر منه فى بلد يمر الان فى دور التطور الشامل حتى يستطيع مسايرة العصر وملاحقة الزمن .

ومع ذلك فان هذا كله لم يغير من طبيعة القرية المصرية فما زالت الحياة فيها كما كانت فى كل زمان ، مازال بيت الفلاح على صغر حجمه وغرابة هيئته ماوى آمنا ودافئا لأسرة كبيرة العدد يعيش فيه ناس كثيرون ، والى جانبهم البقرة او الجاموسة والحمار وبعض الكلاب ، وفى رحبة البيت وأمامه دجاج وأوز ، وربما كانت هناك أرانب .

ومازلت اذا مررت بهذا البيت وجدت رب الاسرة جالسا على العتبة وأمامه راكية النار فوقها براد الشاى وهو يصنع ذلك المشروب الذى غزا بلاد الشرق أجمعين . وكلما مر انسان دعاه الى الجلوس معه لتناول أقداح الشاى وتجاذب أطراف الحديث فيما يهم القرية وأهلها ، وربما تطرق الحديث الى السياسة ومشاكل العصر .

واذا كانت مثل هذه الجلسات تطيب لك فانك واجد دون شك متعة فى هذه الجلسات الفلاحية وما يدور فيها من حديث وما يقطعها بين الحين والحين من اسراع لتلبية دعوة الداعى الى الصلاة ، وخاصة عندما يرفع المؤذن صوته لاذان صلاة العشاء ، فتلك هى الصلاة التى يهرع اليها معظم الفلاحين

بنى هذا المعبد فى العصر البطلمى على جزيرة فيله التى كانت منتجعا للكثير من ملوك اسرة البطالمة التى تحولت من اسرة مقدونية الى اسرة مصرية وهذا المعبد الذى اعتبر معبدا خاصا ابتناه البطالمة ليصلى فيه الملك وحده او مع اسرته ، يعتبر من اجمل معابد الدنيا وقد تم انقاذه اخيرا لان مياه السد العالى غمرته ونقل الى مكان آخر بعيدا عن مياه النيل .

لانهم فى ذلك الوقت ، يكونون قد فرغوا من مشاكل اليوم واعمال الحقل ويتسع وقتهم للصلاة فى الجامع والتجمع فى جوانبه بعد ذلك .

ولا يخلو الامر من بعض الطعام يقدم على قدر ما تسمح به الحالة والطعام فى ذاته لابد ان يكون متواضعا نهذه حياة القرية وذلك هو طعامها ،





الفلاح المصرى ، رمز الصبر والعمل والاخلاص ، هنا هو يعمل فى حقله والابتسامة على وجهه .. ان عمله من اشق أعمال الدنيا ومن اكثرها خطورة فهو يعرضه الأخطار والامراض ، ولكنه يحتمل ذلك كله ويعانى شظف الحياة ويشعر بالسعادة لأنه مجاهد مؤمن محب لمصر .



الريف المصرى الجميل بخضرته غير المتناهية وزروعه المتنوعة ، وفلاحيه الذين يعملون ليل نهار ليخرجوا من الارض احسن ما فيها .. ومواشيه التى تعتبر جزءا من الثروة القومية ، واشجاره وجوه الصحو الجميل .

ومهما كان رايك فيه فاحب ان أقول لك انه على تواضعه طعام جيد ولذيذ وهو نفس الطعام الذى كان يأكله المصريون منذ قرون طويلة .

هذا الى جانب ما تشهده فى القرية المصرية من مشاهد اخرى من الحياة لابد أن تعجبك لانها تصور لك حضارة الوف السنين وقد احتفظت بطابعها وشخصيتها رغم كل شىء .

***

وعلى هذه الصفحات صور أخرى تمثل لك مشاهد من الحياة فى المدينة ، والمدينة المصرية اليوم تجتاز هى الاخرى مرحلة عسيرة من مراحل تطورها فهى مدينة مختنقة بسكانها وقد ضاقت طرقها بمن يسلكونها ، وما يزحمها من سيارات كبيرة وصغيرة ومن ناقلات ضخمة تنقل أدوات ومواد بناء وخضروات وفواكه وما الى ذلك مما تحتاج اليه المدن ، وكل ذلك يختلط بعضه ببعض ويختنق بعضه مع بعض ، ولكنك رغم ذلك تجد لهذه المدينة المصرية .. التى تنتقل من حال الى حال دفئا لا تجده فى مثيلاتها من مدن البلاد الاخرى ، لأن المصرى رغم كل شىء يعرف كيف يحتفظ بهدوء مزاجه وبنكتته الحلوة وتفاؤله وتقبله للحياة بكل ما تأتى به .. وسترى فى جوانب المدن تلك المقاهى البلدية المعروفة والناس فيها جالسون فى اطمئنان يدخنون الشيشة ويتبادلون النكات والمذياع يصرخ بأعلى صوته بأغان أذيعت ألف مرة ، ولكن رواد المقهى يحبون هذه الضجة ولا يضايقهم فى شىء أن يكون فى الشارع امامهم مئات من الاطفال يلعبون ويثيرون ضجة تقلق الشيطان ،لان هذه هى طبيعتهم وتلك هى حياتهم ، ومهما كان رأيك فيها فصدقنى انها حياة ممتعة فياضة بجوانب الجمال ، لأن المصرى رغم كل شىء لن يتغير فى طبعه الا القليل .

***

وترى من بين هذه الصور صورة لنهر النيل الخالد والقوارب ذات الشراع تمضى فيه على مهل وليس فى الدنيا اجمل من منظر قوارب النيل وهى تمضى على مهل يحركها « فرد جناح » كما قال شوقى .. وصفحة النيل ساكنة صافية وان كان الماء يجرى فيها بهدوء من هضاب الحبشة وبحيرات خط الاستواء الى البحر الابيض قاطعا نحو عشرة آلاف كيلو متر فى رحلة متعبة بين صخور وجنادل ومنحنيات وخلال ارض صحراوية والوف القرى تصطف على الجانبين ، والنيل الخالد يجرى امامك غير حافل بالزمن وغير عابىء برياح التغير ، لان النيل ما زال هو هو ،ابا الانهار ،ورمز الحياة وصورة الجمال ، ومياهه الزرقاء لا تشبهها مياه نهر آخر فى الدنيا ...

***

ومن بين هذه الصور صورة لقناة السويس . وانت لا ترى فيها القناة وانما ترى رمالا ووسط الرمال ترى سفنا ضخمة كأنها تنخر بحر الرمال، والحق انها تسير فى قناة السويس ذلك النهير الضيق الذى شقته يد الانسان لتصل بحرا ببحر ، ولتحول قارة هى افريقيا الى جزيرة ولكى تصل الشرق بالغرب عن طريق أرض مصر الطيبة التى ما زالت ملتقى الشرق والغرب .

وقد اخترنا هذه الصورة لقناة السويس لأنها فى الحقيقة تقص علينا مأساة القناة وما أثارته من حروب وما جلبته على مصر من ويلات الى جانب ما جلبته لها من خيرات ، ونحن نحب القناة لاننا نفهم ان هذه هى حال الدنيا

صورة رائعة لنهر النيل الخالد حيث يجرى امامك غير حافل بالزمن والقوارب ذات الشراع تمضى فيه على مهل .

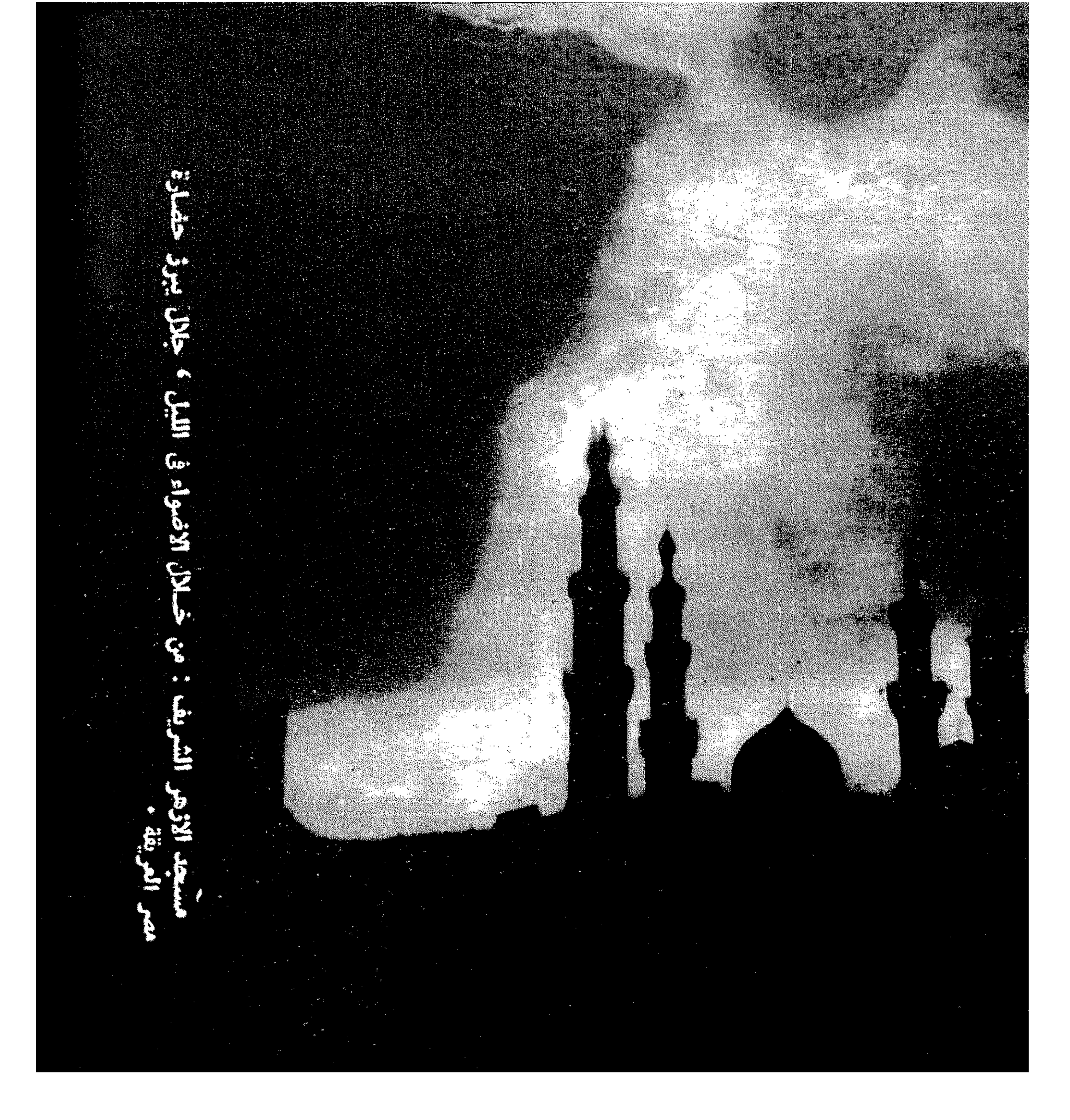
فليست هناك نعمة خالصة ولا نقمة خالصة ، وانما الله سبحانه وتعالى جعل النقمة فى ثوب النعمة ، وجعل ذلك جزءا من جمال الحياة .

ومن بين هذه الصور صورة لداخل مسجد القلعة بهيئته الجميلة التى تحمل طابعا من طوابع المساجد التركية بعد ان اخذت روح المساجد المصرية





داخل مسجد محمد على بالقلعة المسمى بمسجد الرخام . انه آية من آيات الفن المصرى فى طور من اطواره وهو الطور العثمانى . بنى هذا المسجد فى القرن التاسع عشر فى موقع من القلعة لا نظير له فى الجمال . وقد انشىء على طراز عثمانى ومن الذين نفذوه معماريون مصريون ومن هنا اكتسب هذا الجمال البديع الذى تتحدث عنه هذه الصورة .



مسجد الازهر الشريف : من خلال الاضواء فى الليل ، جلال يبرز حضارة مصر العريقة .

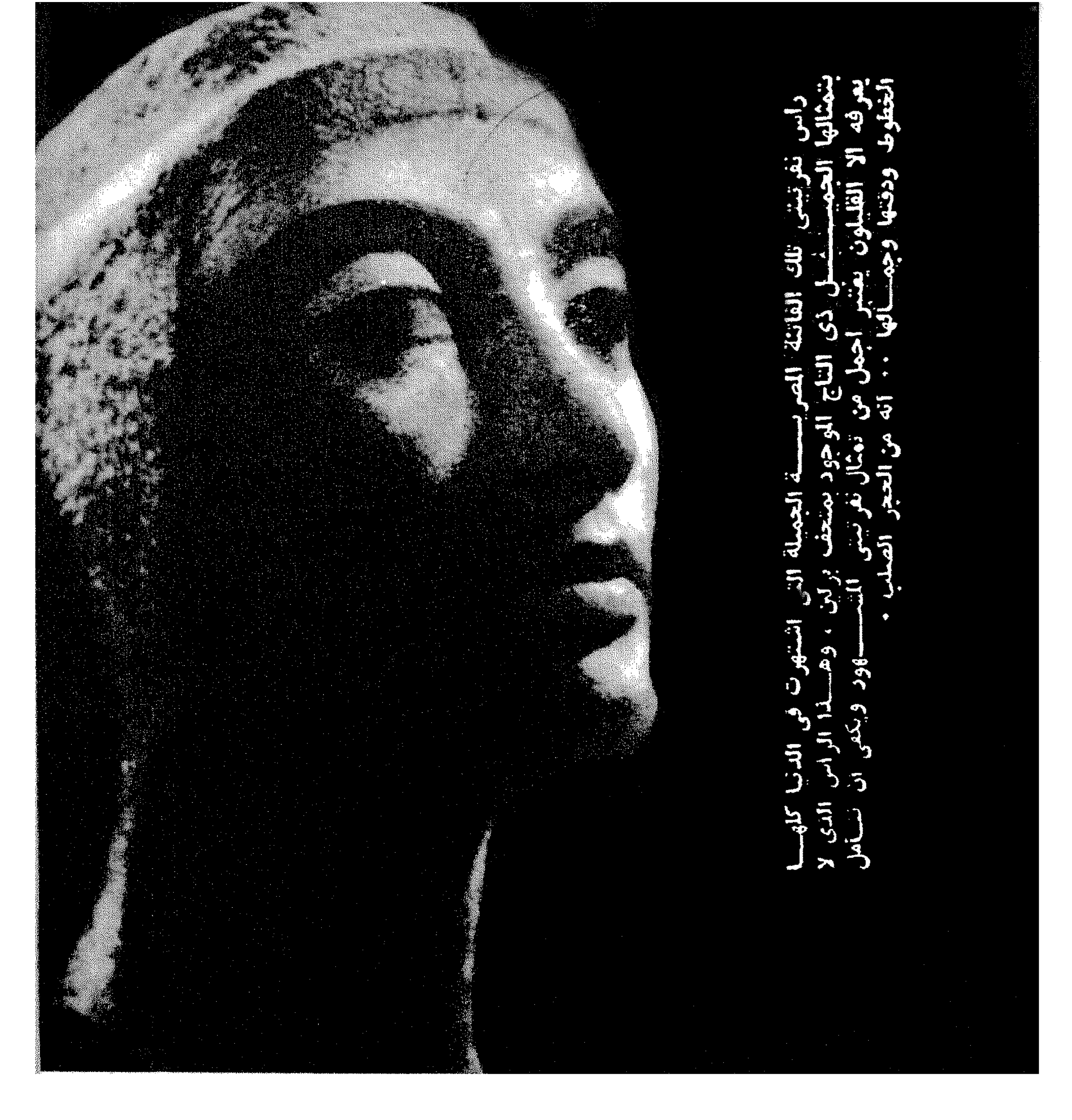
فانت ترى فى ذلك المسجد الجميل الذى يطل على القاهرة مدينة الألف مئذنة ، ترى صحنه الواسع تفضيه ثريات من اجمل ما ابدعه القرن التاسع عشر هدية من ملك فرنسا الى محمد على منشىء المسجد .

وترى كذلك اعمدة المسجد الرخامية وقبلته ومنبره وكلها من اصناف من الرخام ذات الوان شتى مما جعل الاوربيين يسمون ذلك المسجد مسجد الرخام .

وهذا المسجد ما هو الا رمز لالوف المساجد فى مصر ذات الطرز المختلفة والاشكال المتباينة والهندسات التى تصور لنا تطور الفن الاسلامى فى مصر خلال أربعة عشر قرنا .

***

وصور آثار مصر القديمة من تمثال نفرتيتى الى قصر انس الوجود تعبر تعبيرا شاعريا وواقعيا فى نفس الوقت عن ناحية أخرى من جمال مصر وهى ناحية الجمال الحضارى الذى لا يزال

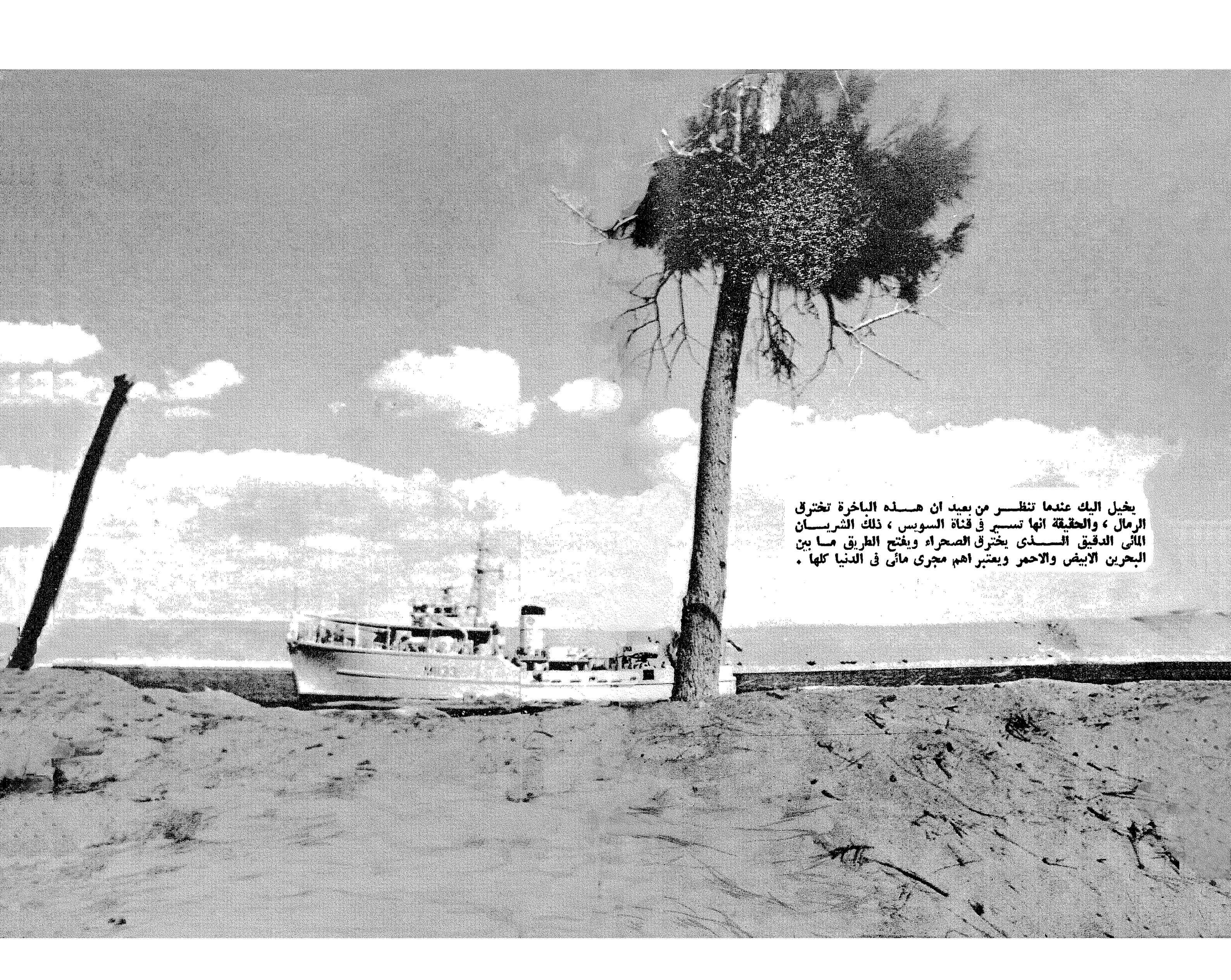


راس نفرتيتى تلك الفاتنة المصريــــة الجميلة التى اشتهرت فى الدنيا كلهـــا بتمثالها الجميــــل ذى التاج الوجود بمتحف برلين ، وهـــذا الراس الذى لا يعرفه الا القليلون يعتبر اجمل من تمثال نفرتيتى المشــــهور ويكفى ان نتأمل الخطوط ودقتها وجمـــالها .. انه من الحجر الصلب .

يبهر العقول والقلوب فى العـــــالم اجمع .

ويكفى ان تتامل راس نفرتيتى التى ترى صورتها هنا فهـــذه الراس التى تعتبر من اجمل التماثيل فى تاريخ فن المثالة العالمى واحدة من المحاولات التى حاولها الفنان المصرى القـــديم قبل ان يصنع تمثال راس نفرتيتى المشهور فى العالم كله وانت اذ تتامل هذه المحاولة وترى ما فيها من التناسق والابـــداع تضـــع يدك على سر من أسرار الفن القديم وهو انه فن اصيل يقوم عـــلى احساس بالجمال عميق .

وصورة معبـــد فيلة المسمى بانس الوجود الذى ظل مغمورا بمياه النيل نحو ستين سنة حتى استطاع العـلم ان ينقذه اخيرا وينقله الى شـــاطىء النيل ، هذا المعبــــد نموذج من الفن المصرى القديم فىالعصر البطلمى عندما امتزج ذلك الفن بفن اليونان ونشأ فن مصرى قديم جديد ما زال يبهر العيون



يخيل اليك عندما تنظر من بعيد ان هذه الباخرة تخترق الرمال ، والحقيقة انها تسير فى قناة السويس ، ذلك الشريان المائى الدقيق الذى يخترق الصحراء ويفتح الطريق ما بين البحرين الابيض والاحمر ويعتبر اهم مجرى مائى فى الدنيا كلها .





مصر الخالدة ؟ حيث يتوسطها نهر النيل الخالد بجماله وعظمته لتبدوعليه ملامح عشرة آلاف سنة من الحضارة والازدهار •

ليس فى الدنيا منظر يقرب جماله من منظر النيل عند اسوان فانت اذا نظرت هناك رايت ضفتى النيل من البازلت الاحمر وزرقة مياه النيل تترقرق بين الضفتين ، والمراكب ذات الاشرعة المثلثة ، ومن وراء ذلك كله صحراء مصر الغربية التى تترامى الى ما لا نهاية تقطعها بين الحين والحين تلال من البازلت الاسود

الى اليوم •

وبعد فهذه صور شتى من جمال مصر وفتنتها تعرضها عليك هذه الصفحات التى تعبر لك فى خطوط والوان عن حضارة بلد عريق ولد قبل أن تولد الامم وعاصر الدهر اربعين قرنا متوالية ما بين مد وجزر ، ما بين صعود وهبوط فى كل عصر منشئا من منشئى الحضارات وصانعا من صناع التاريخ.

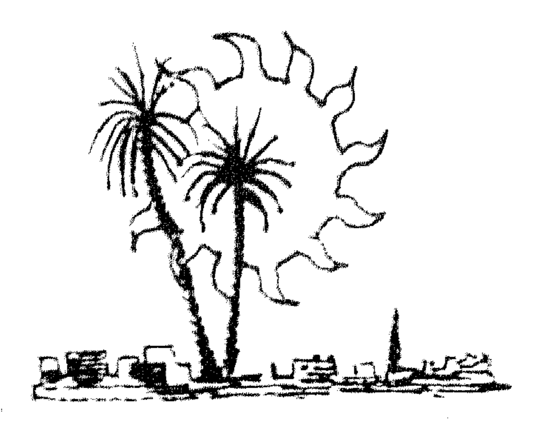
تلك هى مصر فى صور وسطور : صفحات من المجد والتجارب والتاريخ وحاضرها اليوم بما تجتازه من ازمات وما تتعرض له من خطوب وما تكسبه من انتصارات ، انها لمحات من صورة ذلك البلد الأمين الذىشرفه الله فذكره فى القرآن الكريم ولم يذكر فى القرآن بلدا غيره. بوركت مصر وعاشت لاهلها وللعرب . وللحضارة الانسانية كلها .

•• للشعراء والكُتّاب



هذه الحسناء توقفت بها سيارتها في الطريق فحاولت أن تصلحها وتعيدها الى السير على قدر ما استطاعت ولكنها عجزت عن ذلك وعادت الى سيارتها وجلست تنتظر ما تأتى به الاقدار ••

وهذه فيما بدا لنا بداية قصة او لمحة توحي بشيء من الشعر، فهل عندك ما تقول•؟ أكتب لنا بما عندك في حدود أقصاها عشرة أبيات من الشعر أو صفحة من النثر •• وهذا هو موضوع المسابقة ••



العودة الى .. بلاد الشمس !

● سالم حقي ●

أهلا ... بلادَ الشمس جئتك عاشقا   يحدو خطايَ إليك شوق غامر

أستاف عِطرَك من بعيد .. ينتشى   روحي وتخفق فى الضلوع مشاعرُ

فى كلِّ ركن منكِ .. ذكر شيّق   وقصائد وحدائق وسوامرُ

تهفو لها نفْسى إذا طال النّوى   ويجيش تحنانا .. فؤادى الشاعرُ

أسوان ! .. يا أرض العراقة والسّنا   يا درةٌ يجلو ضياها الحاضرُ

المجدُ أنت تليدهُ ، وجديده ..   يقظانُ .. جبّار الارادة .. قاهرُ

أهلا .. وشمسك فى السماء صبية   لما يزل بكرا سناها الزاخرُ !

غنّى لها فرعون .. فى عليائه   متعبّدا ، وهو المهيبُ الكابرُ !

« آتون » ... لحنُ الوجد فى محرابه   أسطورة وطلاسم وشعائر !

والنيلُ .. يسرى فى ربوعك شاعرا   يروى حكايا المجد ، وهو مسافر

أبدا .. سخى الراح .. معطاء الخطى   يمشى .. فيخضل الربيع الناضرُ

والفلك .. راقصةُ الشراع .. يهزها   نغم .. يوقّعه بنان ساحرُ !

وكأنهنّ .. عرائس مجلوّة ...   بيض .. ينـاديهن حب آسرُ !

والنخلةُ السمراء .. فاتنة الصّبا   أسرى .. يوشوشها النسيمُ العاطرُ

هيفاء .. شماء الذرا .. معشوقة   يرنو لها النجمُ المشوق الزاهرُ !

***

أسوان ! .. جئتُكِ والجراح عميقة   هل لى بكأسكِ .. بلسم وبشائر ؟!

يا طالما باركت فيكِ .. لقاءنا   والشمل مجتمع ، وبركِ وافِر ..

نغدو الى السدِّ المنيف مع الضحى   ونعود .. والقمر المنوّر ساهر !

واها !! لايام يعشن بخاطرى   أودى بهن .. وبى .. زمان جائر !

يا نائيا .. ما زال يَحيَا فى دمى !   حتّام هجرُك .. والحياة تهاجر ؟!

كابدتُ فيكَ الشوق مؤتلق الرؤى   ما بال قلبك .. لا يمل يكابر ؟!

قد كنت أحسب أن أراك موازرى   فإذا لصرف الدهر .. أنتَ موازرُ !

***

ياطائرى النائى ! .. يناديكَ الهوى   ياليتَ أنك .. عائد .. يا طائر !

الصالونات الأدبية النسائية في مصر

● اماني فريد ●

بدأت المـرأة المصرية دورها الايجابي في بناء المجتمع المصري بعد ثورة ١٩١٩ ، عندما خرجت مناضلة ثائرة الي جانب الرجل تطالب بجلاء المستعمر الاجنبي عن البلاد ..

وبعدها فتحت المدارس العليا والجامعة المصرية ابوابها امامها ، وخلعت الحجاب وتحررت من كثير مما كان يعوق تقدمها ونهضتها ، وكان من الطبيعي بعد ذلك ان يكون للمرأة نشاط أدبي واجتماعي في شتى المحافل والدور الادبية ، فقامت بعض السيدات الفضليات والبارزات في المجتمع ممن لهن اتصال بالحياة الادبية والثقافية في مصر ـ بافتتاح صالونات ادبية في دورهن ، يؤمها ادباء ومفكرون بل وساسة ـ من الرجال والنساء على حد سواء .

والمتتبع لحركة هذه الصالونات الادبية يجد أن أول صالون أدبي نسائي كان له نشاطه الواضح في الحياة الادبية والفكرية وقتذاك هو صالون الاميرة نازلي فاضل . والذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٠ واستمر حتى أوائل القرن العشرين ، وعلى امتداد نحو ربع قرن من الزمان .

ويعتبر هذا الصالون أول صالون نسائي أدبي في الشرق الاوسط ، وكانت صاحبته على خلاف مع الاسرة المالكة ، وكانت تستقبل فيه كبار المفكرين والادباء من بينهم الامام الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم امين .

والمعروف أن الاميرة نازلي فاضل هي التي توسطت في زواج سعد زغلول من قرينته « صفية هانم » ، كما أن كتابي قاسم امين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » نوقشت أفكارهما في صالون هذه الاميرة ، التي كانت أول سيدة تتنازل عن جزء من اطيانها وتوقفها على مشروع الجامعة المصرية ، والتي تنازلت أيضا بعد ذلك عن جزء كبير من مجوهراتها لاستكمال انشاء الجامعة بعد أن خرجت الى حيز الوجود ..

***

يأتي بعد ذلك صالون السيدة « لبيبة هاشم » صاحبة مجلة « الفتاة » ـ عام « ١٩٠٦ » ـ وكان من رواد صالونها « لطفي السيد » صاحب جريدة « الجريدة » في ذلك الوقت ، والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد .

ولقد نشأت في صالون هذه السيدة فكرة التعليم الاهلي العام ، ترسما لخطى الاميرة نازلي فاضل في موضوع الجامعة المصرية ، ولقد بدأ تنفيذ الفكرة مواطن يدعى « سيد أفندي محمد » وانشأ مدرسة باسم المدرسة الكلية ، وتضم قسمي التعليم



● الآنسة مى زيادة ●

الابتدائى والثانوى ، ونجحت المدرسة ووجدت اقبالا كبيرا لانها كانت تضيف الى التعليم الروتينى القائم اذ ذاك المعلومات العامة والمحاضرات ، وقد حوكم « سيد افندى محمد » صاحب هذه المدرسة على يد الانجليز لنشاطه السياسى ، ولكنه استطاع ان يفر الى دمشق ، وينشىء مدرسة التعليم الاهلى هناك .

***

اما اشهر صالونات الادب النسائية فى القرن العشرين فهو صالون الآنسة « مى » زيادة .. بدأ فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فى عهد ثورة ١٩١٩ ، واستمر حتى عام ١٩٤١ . كان صالونا ادبيا متكاملا ، لعبرواد دائمون ومواعيد لقاء منتظمة كل يوم اربعاء ، حيث تعرض آراء وافكار للمناقشة ..

كيف نشأ ((صالون مى)) ؟

يجيب عن هذا السؤال الكاتب الصحفى حافظ محمود الذى حضر آخر لقاءات الصالون برفقة المفكر الدكتور منصور فهمى استاذه فى الفلسفة ـ فيقول :

كانت «مى» واسمها الحقيقى مارى زيادة ، وقد اطلق عليها داود بركات رئيس تحرير الاهرام فى ذلك الوقت اسم «مى» ، واضاف اليه كلمة « النابغة » فذهبت مثلا ..

كانت «مى» ابنة الياس زيادة صاحب جريدة المحروسة ، وقد انتقل من بيروت الى القاهرة ، فلما توفى عام ١٩١٨ حلت ابنته مكانه فى المسئولية عن الجريدة ، وكانت بعد صبية لم تبلغ العشرين عاما ، فقامت اسرة جريدة الاهرام برعايتها ، وقد اشفقوا عليها من مسئولية الجريدة فقاموا بتصفيتها وكلفوها بالكتابة فى الاهرام الى جانب توفير سكن لها ايضا فى مبنى الجريدة ...

لذلك نظمت «مى» هذا الصالون الذى تردد عليه كتاب الاهرام والادباء ومعظم مفكرى ذلك العصر ومنهم : لطفى السيد ، والشاعر اسماعيل صبرى ، والشاعر ولى الدين يكن ، وعباس العقاد ، وانطون الجميل ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومنصور فهمى ، وطه حسين وغيرهم .

وكانت ((مى)) معجبة بعباس العقاد ، فاغضب هذا مصطفى صادق الرافعى الذى كان متيما بها ، ووضع كتابا فى هجاء العقاد بعنوان ((على السفود))

ومن الطريف ان الشاعر ولى الدين يكن وكان ايضا من المعجبين بها ، ارسل لها ابياتا عندما خاصمته قال فيها : عجبا اشاعرة تهاجر شاعرا ؟ فردت عليه قائلة :

زمانك قبلى انتهى
وهل يرجع المنتهى ؟
فحسبى ان اشتهى
وحسبك ان تشتهى !

ويبدو أن «مى» لم تحب أحدا رغم كثرة الملتفين حولها ، ولكن حبها الاكبر كان لجبران خليل جبران شاعر المهجر الذى لم تره على الاطلاق وعاشت حياتها على أمل لقائه ، وفعلا اتفقا على أنه حينما تضع الحرب العظمى عام ١٩٣٩ أوزارها ، يجىء هو الى مصرويعيش فيها معها ، خاصة وانه بدأ يتبرم بحياة المهجر .

لقد كان حبهما يتمثل فى رسائل متبادلة بينهما ، ثم مرضت « مى » ، وادخلها أهلها مستشفى للامراض العقلية بلبنان حيث وافاها الاجل عام ١٩٤٦ .

وكانت « مى » تقدم محاضرة اسبوعية فى قاعة ايوارت بالجامعة الامريكية ، وكانت تجيد الانجليزية مع الفرنسية ، وترتجل معظم محاضراتها فى أسلوب عربى فصيح ، وكان نثرها أقرب الى الشعر وصوتها الرخيم يستولى على الالباب .

ومن صالونها خرج ديوان ولى الدين يكن ، وخرج من هذا الصالون ، اليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى قامت «مى» بتنظيمه وأقامت له حفلا كبيرا دعت له كتاب وعلماء العربية من شتى أقطارها ، وفى هذا اليوبيل ألقى حافظ ابراهيم قصيدته المشهورة عن العلم :

العلم شرقى تغافل اهله
عنه فعاقبهم بطول غياب !
وتنبهوا لمصابهم فتضرعوا
فعفا وعاودهم بغير عتاب !

ولقد جاء هذا المهرجان بعد عام من المهرجان الذى دعت له جريدة السياسة الاسبوعية ونصب فيه أحمد شوقى أميرا للشعراء عام ١٩٢٧ ، وحضره جميع أدباء وشعراء العربية .

***

وبعيدا عن القاهرة كانت المنصورة مرتعا لكثير من شعرائنا المعروفين ابان صباهم وطفولتهم وشبابهم ، فى احضانها نشأ ابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، وصالح جودت ، فليس بعجيب اذن ان تظهر فيها ايضا صالونات ادبية ، نسائية ، كان أشهرها صالون الشاعرة جميلة العلايلى فى الثلاثينات فى أواخرها .

ولقد جاءت جميلة العلايلى الى القاهرة فى منتصف الاربعينات ، وتزوجت ، وانشأت فيها « المجمع الادبى » وهو صالون يلتقى فيه الادباء والشعراء ، واسست مجلتها «الاهداف» لتنشر الانتاج الفكرى والادبى لاعضاء صالونها ، وقد انتقل هذا الصالون الى دارها فى ضاحية عين شمس ، واصبح مركز اشعاع فكرى فى هذه الضاحية بعد صالون الامام الشيخ محمد عبده الذى سبقها فى هذا المكان .

***

واشهر الصالونات النسائية



● جميلة العلايلى ●

الادبية أيضا صالون الزعيمة هـــدى شعراوى الذى كان صالونا نسائيـــا فريدا ، ادبيا وسياسيا وفنيا ، وكان يعقد كل ثلاثاء فى دارها فى قصرالنيل ويؤمه جمـــع من رجال السياســـة والعلماء والادباء ورجال الصحافة ، ورجال الفن التشكيلى الى جانب عظماء العـــالم الذين يزورون مصرمن كل مكان ، ثم فضليات السيدات المصريات المشتغلات بالحركة النسائية والاجتماعية والضيفات الاجنبيات الزائرات لمصر ممن يشتغلن بالسياسة فى بلادهـــن والقضايا النسوية ، وكانت معظـــم الزائرات ينزلن ضيفات على صاحبة الصالون فى بيتها وخاصـــة رئيســـات وعضوات مكتب الاتحاد النســـائى الدولى .

تقول حواء ادريس ابنة خال هدى شعراوى ، والتى لازمتها فى حياتهـا وكفاحها :

كان يختلف الى صالون هـــدى شعراوى ويؤمه كبار الشـــخصيات والزعماء ، والادباء والمفكرون ومنهم لطفى السيد والدكتور حسين هيكل، والدكتور طه حسين ، وجبراييـــل تقلا صاحب الاهرام، وانطون الجميل رئيس تحريرها ، وشاعر القطـــرين خليل مطران كان ضـــيفا دائما على الصالون .

وقد اخبرتنى هدى هانم ان امير الشعراء احمد شوقى كان من اخلص المترددين على الصالون ، وقد اشتركت هدى شعراوى فى حفل تنصيبه اميرا للشعراء عام ١٩٢٧ .

وقد كان لهذا الصالون فضـــل كبير فى تشجيع وابراز كثير من الادباء والفنانين ، لقد كانت البعثات ترسل منه الى اوروبا من الادباء والـــكتاب



● هدى شعراوى ●

الشباب الذين كانوا يؤمون الصالون وكانت صاحبة الصالون تتولى الانفاق على هذه البعثات ، ومن نتائـــج المناقشات فى هذا الصالون ، رصـــدت هدى شعراوى جائزة باسمها للانتاج الادبى من قصـــة وشـــعر كل عام ، وتكونت لجنة فى المجمع اللغوى لاختيار الانتاج الفائز ..

وتختم حواء ادريس حديثها : كان صالون هدى شعراوى ، وكانت دارها بمثابة جامعة دول عربية نسائية ..

والواقع ان الحياة المصرية الادبيـــة والاجتماعية والعلمية قد اثرت مصر بثراء كبير فى النصف الاول من القرن العشرين ــ من هذه الصالونات الادبية والمنتديات والمجامع العلمية الادبية ، والتى اسهمت فيها ــ فضليات ســـيداتنا المصريات بالنصيب الاوفى والجهد الموفور . ●

مجالس العلماء

● ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ●

● تقديم : د. انس داود ●

كانت «مجالس العلماء» في ايام العرب الزاهرة ، مصدر خير كثير للمعرفة ، ومثابة لطلاب العلم ، اليها يحجون ، وبها يشغفون ، وكان كثير من الولاة والقادة يسعى الى هذه المجالس ، ويجمع اليها العلماء ، تحقيقا للفائدة ، وتمحيصا لمسائل العلوم العويصة ، واستخراجا لما تكنزه العقول ، وتجنه الافئدة . وبخاصة اذا كان هؤلاء العلماء على تلك الدرجة الرفيعة من معرفة المعقول والمنقول التي كان عليها امثال الاصمعي ، وابي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والفراء ، والزجاجي ، وغيرهم من ائمة اللغة العربية والبصر بنحوها وصرفها وغريبها ..

وقد بقي لنا فيما بقي من تراثنا العربي مجموعة من الوثائق الهامة تحكي لنا بعض ما حدث في هذه المجالس ، وما ثار من مسائل ومشكلات ، وماتعرضت له العقول بالحجج البالغة ، والنقول الامينة والبصر النافذ والذكاء اللماح ..

ومن هذه الوثائق الهامة كتاب « مجالس العلماء » لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠ هجرية « والزجاجي منسوب الى شيخه ابراهيم بن السري الزجاج « ٢٤١ - ٣١١ » ، وكان اصل الزجاجي من الصيمرة وهي بلد بين ديار الجبل وخوزستان ، وانتقل الى بغداد ، ولزم الزجاج وقرأ عليه النحو ، وكان رفيقا فيها لابي علي الفارسي ، ثم انتقل الى الشام فاقام بحلب مدة ، ثم انتقل الى دمشق واقام بها وصنف ، وحدث بها عن الزجاج ، ونفطويه ، وابن دريد ، وابي بكر بن الانباري ، والاخفش الصغير ..

ثم خرج مع ابن الحارث عامل الضياع الاخشيدية فمات بطبرية في شهر رمضان عام اربعين وثلاثمائة من الهجرة المحمدية ، ومن اشهر كتبه كتاب « الجمل » في النحو ، وقد انتفع الناس به دهرا طويلا .

وقد حقق الكتاب العلامة المحقق الاستاذ عبد السلام محمد هارون بعد ان بذل جهودا طائلة لارجاعه الى مؤلفه الحقيقي ، ليضاف الى جهوده الضخمة في تحقيق التراث والعمل على نشره.

ومع ان مجالس العلماء تتصل بمسائل في اللغة والنحو الا ان هذا النحو الذي اثيرت مسائله في هذا الكتاب ، لم يكن - على حد قول الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد في تصديره للكتاب - لم يكن جافا ، ثقيل الظل ، بل ان الحكاية التي وردت مسائله بها جعلته خفيفا على النفس قريبا منها . والكتاب الى ذلك يفيد في فهم النحو ويؤرخ لمدارسه وعلمائه وتطوره ، والزجاجي مؤلفه واحد من كبار علماء النحو في القرن الرابع الهجري ، بل كان يعتبر حجة في مسائل النحو واللغة معا ..

ومن مجالسه الطريفة مجلس النضر ابن شميل مع المأمون :

يقول الزجاجي: حدثني ابو الحسن علي بن سليمان قال : حدثنا أحمد بن يحيى قال : حدثني ابراهيم بن المنذر الحزامي والزبير بن بكار ، قال النضر بن شميل : دخلت على المأمون وعلي ازار مرقوع ، فقال لي : يا نضر ،

ما هذا التقشف ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين، حرمرو كما علمت، واناشيخ واحب التروح بهذه الخلقان ..

قال : فاخذ بنا في الحديث في ذكر النساء ، فقال المأمون : حدثني هشيم ابن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايما رجل تزوج امراة لدينها وجمالها كان ذلك سدادا من عوز » .. قلت : يا امير المؤمنين ، صدق هشيم،** حدثنا عوف بن ابي جميلة قال : قال امير **المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله** عليه وسلم : **« ايما رجل تزوج امراة لدينها وجمالها كان ذلك سدادا من عوز » قال : فاستوى جالسا ثم قال : يا نضر ، كيف تحلت سدادا بالكسر ولم تقل سدادا ، بالفرق بينهما ؟ قلت : يا** امير المؤمنين ، السداد القصد في الدين والسبيل والطريق والسداد للثلمة . وكل ما سددت فهو سداد بالكسر . قال : وفي العرب من يقول ذلك ؟ قلت: نعم ، هذا العرجى يقول :

اضاعوني واى فتى اضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال : قبح الله اللحن !.

قلت : يا أمير المؤمنين ، انما لحن هشيم ، وكان هشيم لحانا ، فاتبع أمير المؤمنين لفظه ، وقد تتبع الفاظ العلماء .

ثم قال لي : يانضر ، هل تروى من الشعر شيئا ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فانشدني اخلب بيت قالته العرب .

قلت : قول حمزة بن بيض في الحكم بن أبي العاص :

تقول لي والعيون هاجعة
اقم علينا يوما فلم اقم
اى الوجوه انتجعت قلت لها
وأى وجه الا الى الحكم
قد كنت اقسمت فيك مقتبلا
فهات وادخل واعطني سلمى

فقال : احسن والله ما شاء !

فانشدني امتع بيت قالته العرب

قلت : قول عروة حيث يقول :

اطلب ما يطلب الكريم من الرزق
بنفسي واجمل الطلبا
واحلب الدرة الصفي ولا
اجهد اخلاف غيرها حلبا
انى رأيت الفتى الكريم اذا
رغبته في صنيعه رغبا
والنذل لا يطلب العلاء ولا
يعطيك شيئا الا اذا رهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا
يحسن مشيا الا اذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم وما
شد لعنس رحلا ولاقتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والرحل
ومن لا يزال مغتربا

فقال : أحسن والله ماشاء !

فانشدني انصف بيت قالته العرب ..

قال : قول الرامي حيث يقول :

انى وان كان ابن عمى عاتبا
لمزاحم من خلفه وورائه
ومعده نصرى وان كان امرءا
متباعدا في ارضه وسمائه،
واكون والى سره فاصونه
حتى يكون على وقت ادائه
واذا الحوادث اجحفت بسوامه
قربت مجحفها الى جربائه
واذا دعا باسمى ليركب مركبا
صعبا ركبت له على مسيائه
واذا رايت عليه بردا ناضرا
لم تلفنى متوسما لردائه

فقال : احسن والله ما شاء .

ثم قال ؟ يا نضر كيف تقول من التراب اذا امرت ان تترب كتابا ؟

قلت : اتربه . قال : هو ماذا ؟.

قلت : مترب ... قال : فمن الطين؟

قلت : طنه ! .

قال : هو ماذا ؟ قلت : مطين !

قال: فمن السحاة؟ قلت : اسحه.

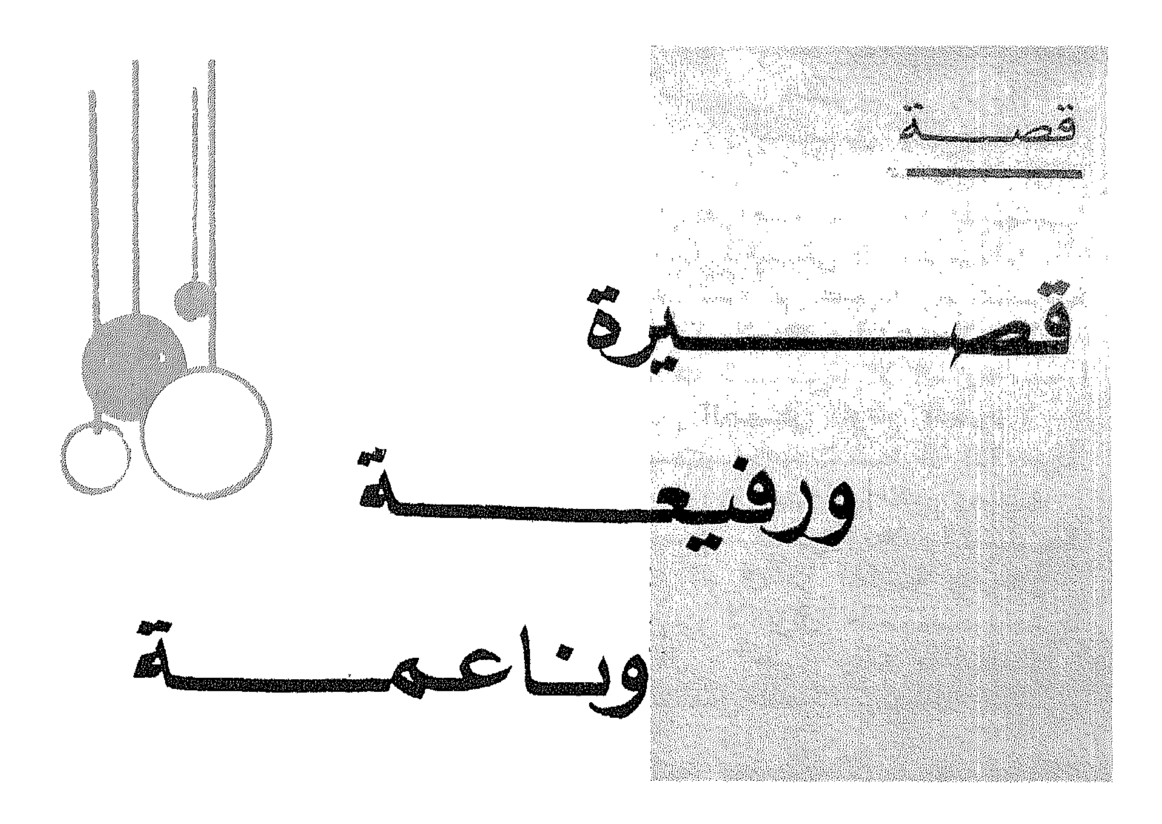
قال : هو ماذا ؟

قلت : مسحى ومسحو !

قال: يا غلام اترب واسح وطن ..

ثم قام فصلى العشاء الآخرة ، ثم قال لغلام فوق رأسه : تبلغ معه الى الفضل بن سهل بهذا الكتاب . فلما دخلنا عليه قال : يا نضر .. ان امير المؤمنين قد امر لك بخمسين الف درهم !

● ●



قصـــيرة ورفيعـــة وناعمـــة

● سعد رضوان ●

قال ابني : « لا يا ابى ... انها قصيرة ! » .

وابتسمت وأنا انظر الى الولد ثم الى زوجتي قائلا :

ــ وامك ايضا قصيرة و ...

وقالت زوجتي : « يارجل ..لاتخلط الجد بالهزل ، فهذا ليس وقته ! »

فضحكت وانا انظر اليها : « انا اقرر الحقيقة ، وانت تعرفين . »

فردت : « يا للرجل .. وستعيد الآن قصة الجاحظ ؟ »

فاجبتها وانا مستمر فى ضحكى : « لا .. لن اعيدها فانت تحفظينها جيدا ! ! »

وتذكرت تلك القصة ... فمنذ سنوات حين طلبت من والدى أن يخطب لى زوجتى ، وجدت منه اعتراضا بأنها قصيرة ، وبأنى قصير ، وأولادنا سيكونون قصارا .. ولكنه سحب اعتراضه حين علم أنى أحبها ..

ثم حدث بعد الزواج ، وفى لحظة من لحظات التسيب الكلامى ، أن أفلت لسانى بالقصة لزوجتى التى غضبت ..

المهم أنى وقتها قد اقنعت زوجتى بحبى لها ، وأنى مغرم بقصرها، واخبرتها بما قد قراته يوما فى كتاب المحاسن والاضداد لكاتبنا العربى الساخر الجاحظ من أن أحدهم ــ واظن ان ذلك كان فى ذكر محاسن القصر ــ قد اعترض على الزواج من فتاة قصيرة امام الحجاج الثقفى ، فرد عليه الحجاج طالبا منه أن يعلن بين الناس أن من تزوج بقصيرة ولم تعجبه فانه ــ اى الحجاج ــ كفيل بدفع مهرها للزوج .. ويومها ، وبعد أن انتهيت من القصة الجاحظية ، لاحظت أن خيلاء واعجابا بالنفس قد ظهر على وجه زوجتى وهى تقول لى :

ــ وطبعا لم يدفع الحجاج مهر اى فتاة !

وساعتها تملكتنى روح السخرية فقلت لزوجتى :

ــ لا اذكر بقية القصة ، وان كنت اظن انها انتهت بافلاس الحجاج !

ولا احتاج لشرح ماحدث نتيجة سخريتى من غضب زوجتى ، فقد كلفنى ذلك جهدا وغرما ...

ولكن هذا ليس موضوعنا . فالموضوع اليوم هو موضوع ابنى الذى



يقول الآن انها قصيرة .. ومهما يكن فقد أمكن اقناع الولد بأن القصر لا الطول هو المطلوب هذه الايام .. وزال اعتراضه من هذه الناحية .. ثم ظهر اعتراض آخر حين قال ابني :

ـ حسنا ... ولكنها رفيعة !

فقالت أمه : « هذا احسن ، فانت سمين ، واظن انها تناسبك . »

وقلت : « طبعا .. السمين ياخذ الرفيعة .. والرفيعة تليق بالسمين . »

والتفتت زوجتي الى سائلة :

ـ ولماذا لم تتزوج بامراة رفيعة، وانت في حجمك هذا بدلا من الزواج بامراة سمينة مثلي ؟..

والحق اننا كنا نحن الثلاثة ، انا وزوجتي وابني ، من ذوي الاحجام المليئة ، فلا يمكن وصف أحد من أسرتي بالرفع ، أو حتى بالتفاف العود ، هذا رغم مانحاوله من تحديد للأطعمة وتنظيم لانواعها وكمياتها ، فقد ثبت أن كل هذا لا ينفع في غير اشعارنا بالجوع وعدم الشبع ...

واجبت زوجتي : « الحق انني حين تزوجتك كنت ارشق منك اليوم بكثير »

ـ ولماذا تبقى معي ، مادمت لم أعد اعجبك !

ـ انا لم اقل انك لم تعودي تعجبيني ، فقط انا اقرر الواقع ..

ـ على العموم انتظر حتى نعود الى بيتنا .

ـ ياويلنا .. ياويلنا !

وتلفتت زوجتي الى ابني مقررة :

لا تهتم بكلام ابيك فهو يهزل ... المهم اني ارى انها جميلة ولا يعيبها رفعها ، فما رايك فيها .. توكل على الله يابني وخذها ..

وابني كما اعرفه من النوع الذي يهوى الاعتراض ، ولهذا فقد قدم هذه المرة اعتراضا بدا غير معقول ، فقد قال :

ـ ولكن جلدها ناعم !

وكانت الفتاة قد اقتربت منا ، وادركت اننا مازلنا نتناقش ، فابتسمت ثم اتجهت الى الرجل تحادثه تاركة لنا الفرصة لنقرر ...

وسألت ابني : « انا لا افهم .. فانا عتقد أن النعومة شيء جميل ! »

فقرر ابني بعصبية : « رفيعة وقصيرة وجلدها ناعم .. انها لن تدفئني . »

وقالت امه : « ماذا تقول ! ... انا ارى انها جميلة ، ولا يعيبها شيء . »

فكرر : « انها لن تدفئني . »

وقلت : « اسمع ياولد .. يجب ان تقرر رايك فورا فنحن لا يمكن أن نترك الناس تنتظر هكذا . » فقد كان الرجل والفتاة ينظران الينا صابرين ..

فقال الولد : « انا لا اقول ان منظرها قبيح ، فهي تبدو جميلة . »

ـ اذن ماذا تريد ؟ هل نستمر هكذا ام نمشي ...

واوضح الولد اعتراضا آخر :
ـ انظر يا ابي .. انها حتى ليس لها صدر .

ـ اى صدر تريد ان يكون لها ؟!.. انك سمين وتريد أن يكون لها صدر بارز .. هذا لا يتناسق ..

ـ لا ادرى .. انها ينقصها أشياء كثيرة .. ولكن الا توجد غيرها ؟!

ـ لا اعتقد .. وانت تعرف اننا قد بحثنا كثيرا فلم نعثر على غيرها تلائمك ، خصوصا وان الرجل غير طماع فهو لم يطلب مبلغا كبيرا .

ـ آه .. ان كل ما يهمكم هو النقود!
ـ ما الذى يمنع أن تكون جميلة ، ولا تكلف كثيرا .

ـ طبعا .. انت تتمنى ان آخذها مجانا !

وشخطت زوجتي بصوت مكتوم :

ـ ولد .. احترم أباك .. انه يريد اسعادك ، ويرغب فى أحسن وأحلى شيء لك ، وهو لايبخل عليك بمال ..

ـ ولكن يا أمى ..

ـ لا تعترض .. عليك الآن أن تقرر فورا هل تأخذها أم لا، فاننا لانستطيع ان نقضى الليل فى التداول والكلام هكذا ... ثم انظر .. ان الرجل والفتاة قد اصابهما القلق ..

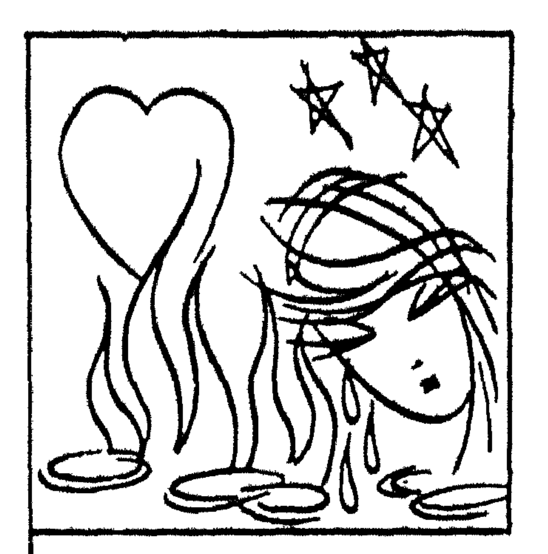
وكان الرجل قد اقترب منا ووقف ينظر الى ابنى مبتسما وهو يقول : « جميلة .. جميلة جدا ! »

وكم كانت دهشتى حين قال ابنى :
ـ فعلا .. انها جميلة جدا ... سآخذها !

وتنهدت قائلا : « الحمد لله» والتفت الى الرجل وطلبت منه كتابة الورقة ..

وكتب الرجل الورقة وسلمها لى ، وتوجهت الفتاة الى مجلسها خلف الخزانة ، وذهبت ودفعت الثمن المحدد وانا اتحسر على ما اصاب حافظتى ... ثم سلمت الورقة لابنى الذى توجه الى الرجل فقدمها له واستلم الجاكت الجلدى الجديد بعد ان تكسرت ارجلنا فى اللف والبحث عن طلبه فى كثير من المحلات ...

نعم كان ((الجاكت)) قصيرا ، وجلده رفيعا وناعما ، وليس له صدر .. ولكن الحق يقال انه كان رائعا على جسد ابنى حتى ان جميع من راوه لم يتمالكوا انفسهم من السؤال عن المحل الذى اشتراه منه وعن ثمنه ! ..



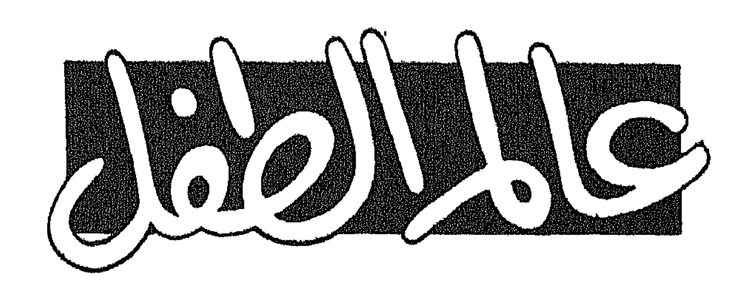


● كريمة زكى مبارك ●

لا عتاب ، او سلام ياحبيبى   بل سؤال حير القلب ، بدا لى
اتدعنى ، لا تسل عنى ؟ وتمضى   لا تبالى ! . لا تبالى ماجرى لى؟
يوم قالوا قد مضى . حسرةروحى   يومها طالت شجونى . انت غال
دمع عينى ما طفى نيران قلبى   انت تلهو وفؤادى فى وبال !؟
اوتنسى يوم سافرت تحيى ؟   تسال الاشواق عنى . والليالى؟
امس ولى لا تسلنى كيف ولى   كبريائى راح يهذى . ضل حالى

***

بعد ما عدت .. اتدرى يامناى   كم تشاغلت كانى لا ابالى
رغم ما بى من حنين ضم عمرى   لم اسل عنك . ترى عزلة حالى
حزن روحى هل تراه ياحبيبى؟   ام تناسيت عذابى ؟ ما جرى لى
لا عتاب بل سؤال ياحبيبى   اترانى عشت عمرى فى ضلال
لا عتاب فالوفاء الان يشكو   بين ياس بت حيرى فى خبال
فى انتظار الرد ياتى ياحبيبى   سيظل القلب يهفو انت غال



هل يجد صداه فى الأعمال الأدبية والفنيّة

● مارى غضبان ●

● ● والعام العالمى للطفل يوشك ان ينهى ربعه الاول ـ يثور سؤال : ماذا قدمت الاعمال الأدبية والفنية للطفل ؟ هل كان الاعلان العالمى لحقوق الطفل فى عامه العشرين مناسبة لكى يوقظ كل من يهمهم امر المستقبل كى يعطوا الاعمال التعبيرية والتشكيلية اهميتها فى عام الاطفال ؟ ان المتامل المحايد لهذه المجالات عالميا ومحليا يدرك ان الطفل فى عالمنا الثالث يحتاج الى المزيد من الرعاية والعناية باموره من خلال التناول الواعى لمشاكله وتطلعاته حتى نضمن لكل المستقبل الاطار الملائم لخلق اجيال قادرة وواعية •

● ومراجعة أدب الاطفال فى العالم ، يضع أيدينا على نتيجة هامة ، وهى أن القليل من الاعمال الادبية تصلح لكى تحول الى أعمال فنية فى السينما والتليفزيون والمسرح وباستثناء أعمال « والت ديزنى » فى السينما الامريكية فان القليل من مخرجى السينما الاوربية ، وبعض مخرجى السينما فى بلاد أوربا الاشتراكية يهتمون بسينما الطفل ومسرح الطفل •

وحتى فى المنطقة العربية قلما نجد اعمالا روائية مكتوبة للاطفال ، وباستثناء بعض الاعمال التى من اهمها ماقدمه كامل كيلانى ومحمد سعيد العريان ، وغيرهما وبعض مغامرات الصغار والاعمال البوليسية المبسطة التى قد لا تبلغ مستوى الاعمال الادبية المعدة خصيصا للاطفال •

وفى محاولة للاجابة عن سؤال لماذا لم تهتم السينما والتليفزيون بالاعمال الفنية الخاصة بالاطفال ـ كانت اجابة معظم المخرجين والمنتجين كما جاء فى تقرير لمنظمة « اليونيسيف » ، ان الفيلم الجيد لابد أن يقوم على أدب جيد ، والأدب الجيد لا يتوفر جيدا وكافيا بالنسبة للصغار ، وهذه مشكلة الموضوع والمعالجة الفنية •

وهذه الظاهرة واضحة فى كل العالم وليس فى منطقة وحدها ••

وقد يكون هناك شخصيات اطفال فى بعض الاعمال الروائية ولكن هذا لا يعنى ان وجود طفل معناه أن يصبح العمل من اجل الاطفال •

هذا الى جانب انكماش كم الانتاج



● مشهد من فيلم (يد فى يد) الذى يصور حياة الطفل فى بودابست ...

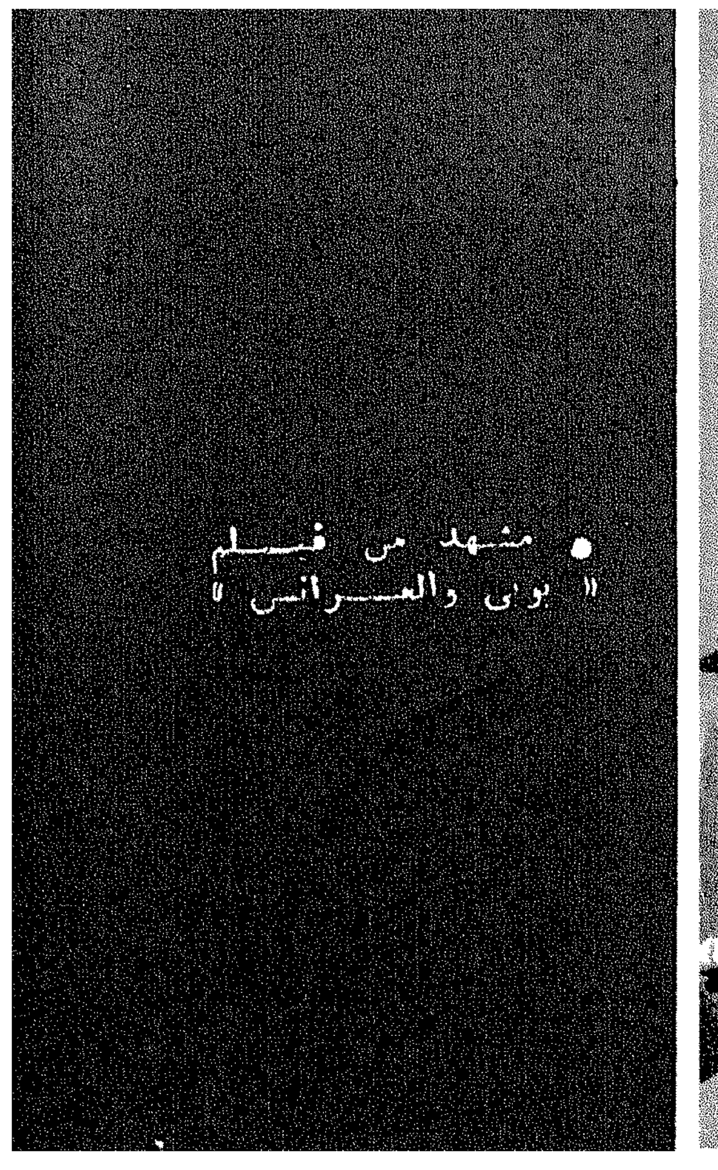
بحجة ان افلام الاطفال لا تحقق ايرادات ، بل انها لا تغطى مصاريفها ، وهذه الحقيقة غير مؤكدة بدليل نجاح افلام « والت ديزنى » فى معظم بلاد العالم ونجاح الافلام التى تنتجها أوربا الاشتراكية وخاصة المجر التى يتخصص عدد كبير من مخرجيها فى افلام الصغار ، مثل المخرجة مارتا ميزاروس . وقد وضح هذا فى فيلمها (العناية والعاطفة) . والمخرج شاندور سيمو فى فيلمه (يد فى يد) بجانب عشرات الافلام التى تعتمد على «الكارتون» والرسوم المتحركة ..

ويقول المنتجون ان لافلام الاطفال مواصفات خاصة تجعلها غير صالحة للعرض فى دور السينما التى تعرض افلام الكبار ، فالطفل لا يستطيع أن يبقى على مقعد ساعة كاملة أو أكثر ، ولهذا فمن الافضل أن تكون مدة الافلام قصيرة . وفى هذه الحالة فان الشاشة الصغيرة هى الانسب لعرضها .

وكثيرا ما يحدث الخلط بين الافلام العائلية التى تصلح لكى يشاهدها الكبار والصغار مثل بعض أفلام ديزنى مثل العربة الطائشة والهروب الى الجبل المسحور ، وهى أفلام تصلح لان يشاهدها الكبار والصغار فى وقت واحد ، بينما هناك أفلام تخص الصغار ومصنوعة من «الكارتون» والرسوم المتحركة مثل فيلم الاميرة والاقزام السبعة وغيرها .

وللاطفال خيالهم الفنى الخصب فهم يحبون ان يكون بطل الفيلم طفلا . ويفضلون مشاهدة الحيوانات فى اغلب الاحيان ، ويحبون متابعة الموضوعات الغامضة والمغامرات .. وايضا يعشقون الكوميديا والمواقف الضاحكة .. وتعجبهم متابعة الجمال الطبيعى من خلال الموسيقى والابهار الخيالى ـ مثلا التعاطف بين الصغار والحيوانات والتعاطف بين الاطفال وبين الكبار .

فالاطفال يحبون من يجعلهم يعرفون الصواب من الخطا .. ويكره الاطفال الكثير من الشخصيات المتناقضة وغير الواضحة خاصة من الكبار ، وخاصة فى المواقف التراجيدية وحالات الموت والمرض والفراق والوحشية ، حتى الموضوعات الرومانسية لا يميل الاطفال الى متابعتها



• مشهد من فيلم « بوبى والعرائس »



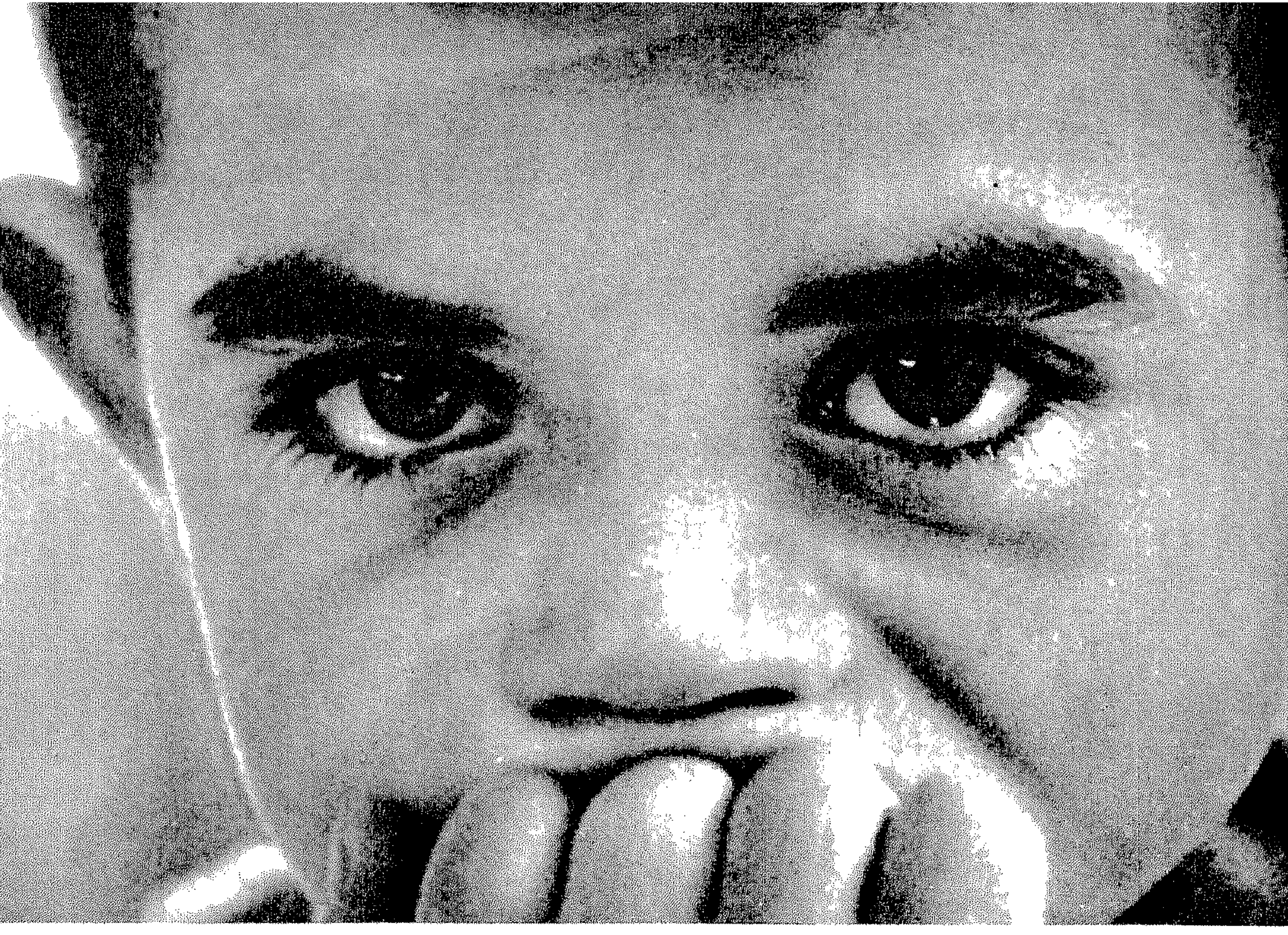
ولهذا فمن المنطقى أن نحدد أولا ماذا يحب الاطفال وماذا يكرهون ؟

ويخشى علماء التربية وعلم النفس من تأثير الاعمال الفنية على الاطفال الذين يحترفون العمل فى السينما والمسرح والتليفزيون من خلال توجيه والديهم تحت حجة الكسب من ورائهم • فهذه الاعمال تضر بالكثير من سلوكيات الاطفال وتجهدهم وقد يفقدون الكثير من براءتهم ويصبحون أطفالا غير طبيعيين ، فهم يدخلون عالما غير عالمهم ويرهقون بالعمل من خلال الاضواء والكاميرات وصراعات **العمل فى الوسط الفنى ، وما الى ذلك من متغيرات يصعب على الاطفال التواؤم معها، ولذلك تترك آثاراعلىمعنوياتهم وسلوكهم حتى ان الكثير منهم يترك دراسته ويتفرغ للفن من اجل المزيد من المكسب والشهرة ••**

وهذه الحقائق أوضحها الفيلم الالمانى (الممثل الاول) الذى عرض فى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث وحصل على الجائزة الاولى ، فموضوعه يدور حول تأثر صبى صغير بهذه الاجواء الغريبة • والفيلم من اخراج رينارد هوف •

وفى بحث ميدانى عن التليفزيون والطفل قامت به وحدة البحوث الميدانية بالتليفزيون العربى فى مصر ، توصلوا الى ان السبب الذى يدفع الطفل فى سنوات عمره الاولى لمشاهدة برامج التليفزيون هو السرور والبهجة اللذان يشعر بهما ، والاستغراق فى البرامجالخيالية والتعرف على ما يدور فى المجتمع المحلى والمجتمع العالمى والتعليم واكتساب الخبرات وقضاء أوقات الفراغ •

وحول السؤال : ما هو مدى تجاوب الاطفال مع البرامج المخصصة لهم ؟ كانت نتيجة البحث الميدانى أن أكثر من ثلاثة أرباع عينة البحث لا يشاهدون هذه البرامج •• كما لوحظ وجود اختلاف بين عدد من يشاهدون هذه البرامج بينالذكور والاناث فى كل السنوات الدراسية •



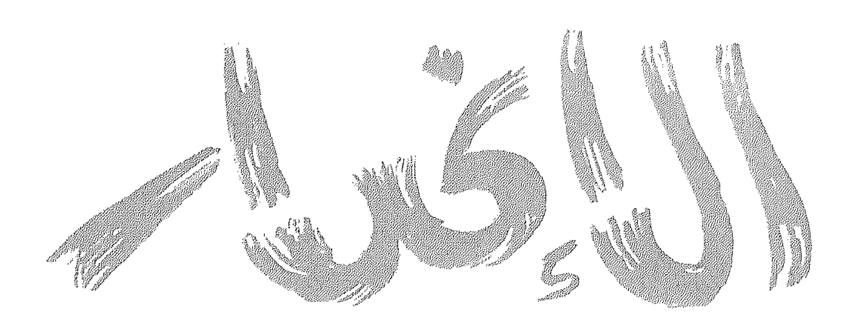
● مشهد من فيلم العناية والتعاطف
.. اخــراج مارتا مازاروس ...

واهتم البحث الميداني بالرســوم المتحركة وخرج بعدة نتائج منها ان ثلاثة ارباع عينة البحث يحبون مشـاهدة الرسوم المتحركة وقد يرجـع ذلك الى أن البرنامج يعتمد على الخيــال والى مادته المرحة الهادفة الى الترويح عن الاطفال .

عموما اتضح للباحثين أن الاطفــال يفضلون البرامج الجذابة الخاصة بهم مثل سينما الاطفال ، وجنة الاطفــال ، وأنهم يفضلونها عن البرامج الاخــرى التى يحبونها أيضا مثل سوبرمان وأفــلام هيتشكوك والساحرة وأفلام الخـوارق ، ويدل هذا على أن الاطفال يفضلون مشاهدة البرامج الخيالية أكثر من غيرها .

●● ولان التليفزيون أصــبح أكثر الاجهزة الفنية قربا من الاطفـــال ولانه يؤثر فيهم أكثر من الراديو والســينما والمسرح ، كان من الضرورى بحث الاسباب التى تجعلنا نفرض بعض القيود على الاطفال من أجل مشاهدة برامج التليفزيون . وقد اتضح أن القيود تفــرض على الاطفال بقصد تفرغهم لاستذكار دروسهم وحتى لا يكــون التليفزيون عائقا يعطلهم عن متابعة دروسهم بنجاح . أما القيــود الاخرى التى تفرضها الأسرة على الاطفال فى مشاهدة التليفزيون فتعود الى نوعية البرامج ، من مثل مسلسلات الجريمــة والرعب والاثارة . وهى ما تثير فى الاطفال نــوازع وآثارا غير مرغوبة وغير مستحبة . ●●

قصـــــة



● محمد كمال محمد ●

تحت ستار من بقايا شمس الشتـــاء كان غافيا على كرسيه القديم .. رأســه غائص بين كتفيه ، مفتوح الفم عن فجوة معتمة لا يضيئها بياض أسنان ..

فتح عينا واحدة عندما حطت ذبابة زرقاء على أصبع قدمه عند حافة ظفره المخضر ، تقرص جلده المجعد .. هشها بيد متراخية من مسافة بعيدة ، ونظر الى الخادمة يرقب تحويمها بمقشة اليد التى كستها زوجته بجورب قديم ، لتحميها من التآكل ..

كانت تزحف حوله على مؤخـــرتها ، لا تنتهى من كنسها .. عاد الى اغماضته . لكنه لم يدلف الى جوف النوم ...

أحس فجاة ببرودة أطرافه ، نادى دون أن يفتح عينيه :

ــ مهيدة ..

ظل وقتا ينتظر : الصماء لا ترد !

فتح عينيه ، بحث أمامه وحـــوله ، أين ذهبت بشبشبه ؟ ــ تريد ، تلك الحمــــارة ، أن يصيبه الروماتزم بالكساح مثلها ؟! لم تعد تهابه فى كهولته مال برأسه باحثا تحت الكرسى ..

دخل الى سريره ، تربع فوقه مســـندا ظهره الى الحائط . اضطربت الاشياء فى رأسه ، انسدت أذناه فأحس بالعالم ينحسر من حوله ..

صاح فى مكانه !

ــ مهيدة ! .. تتاخرين على بالطعام كل مرة ..

سمع زمجرتها قرب الباب :

ــ لم يحن بعد وقت العشاء !

شوح بيده متعبا وحيدا :

ــ لكنى جوعان !

زامت : أتعبتنى معك !

تجترىء عليه بعد ذهاب زوجته .

كانت زوجته تخاف عليها منه ، تغلق عليها فى الليل باب حجرتها ، وتدس فى صدرها المفتاح .

« ــ يا حمقاء ! .. هذه المصبوغة بالقار ، أنظر اليها أنا ! »

« ــ كلام تخزى به العين ! يجب أن نحـــذر الفضائح ! »

« ــ تغارين على من الاخريات ، حتى هذه أيضا ؟! »

دخلت مهيدة زاحفة بطبق الطعام مغروســة فى وسطه الملعقة .

حملق فيها ، لكن نظرته هومت مثل كل يوم فى العالم الذى يجذبه الى أعماقه ، يمتصه فى أحشائه ، ظل يعوم تحت مائه يطفو ويغوص ، سحب نفسه بجهد بعد أن تعب . حطت نظرته على الطبق ... صاح :

ــ أيكفينى هذا يا مهيدة ؟!

هدرت من جوار السرير :

ــ سأحضر لك غيره بعد ما تأكله !

انزلق من السرير نازلا ، حمل الطبق وخرج به !

ــ اتبعينى !

ردت من مكانها :

ــ ماذا سأفعل لك أيضا !

وضع الطبق على منضدة الطعام ، التفت اليها وهى تزحف عند عتبة الحجرة :

ــ هكذا يجب أن أجلس ، أليس أفضل !

زمت فمها وأشاحت ...

ــ كوب الماء يجب أن يكون هنا ، بجوار الطعام ، أليس عندنا ماء ؟!

ردت منذرة :

ــ فى الشتاء لا تحب أن تشرب ..

ــ لكنى أحب الان !

تضاعفت زمتها واستدارت صامتة تزحف لتحضر الماء ..

التفت بالطعام فى فمه منزعجا على صوت كطقطقة النار .. كان ثمة قط يخمش الحصير فى ركــن حجرتها المفتوحة .. صاح :

ــ اطرديه ! .. أليس له مكان فى هذا العـــالم غير حجرتك !

هدر خلفها وهى تزحف الى حجرتها :

ــ أسرعى قبل أن يمزق المرتبة !

عاجلها وهى عائدة : القهوة !

هز رأسه .. الاولاد لم يعد يراهم .. السنوات تكر عندهم كأيام ... لابد انهم نسوا طريق البيت !

ــ أريدها ساخنة جدا يامهيدة !

كان يلم البيض فى حضنه حتى فقس الكتاكيت .. فتفرقت من حوله ، وتوزعت تجنى الثمـــار ، وتركته !

فرغ من رشف القهوة فى تلذذ ، استرخى عـــلى الكرسى فى جوار السرير ناظرا الى السقف ، انسلت أنفاسه هينة لا تكلف قفصه الصدرى جهدا .. ظلت عيناه مركزة على السقف .

دخلت مهيدة ، نظرت الى الفنجان المقلوب على طبقه عبست ومدت يدها لتأخذه ..

أرخى نحوها نظرة آمرة :

ــ دعيه !

زامت ساخطة :

ــ لا أطيق هذا العبث !

شوح بيده بلا معنى تفهمه .. جر الفنجان بقربه وغطاه بكفه ، ابتسم كطفل

خرجت مهيدة تدمدم بكلمات السخط

قلب الفنجان ورنا الى قاعه ، قام فاغلق الباب ، تكور على الكرسى ومال برأســـه للفنجان ، توقفت حركة عينيه كأنما انقلبتا الى زجاج غائم ... أعطى أذنيه للصوت ، عادت عيناه الىالحركة ، رقت نظرتهما وصفت .. أنصت وهز رأسه ، تقاطرت فى داخله الاشياء ، أطرق ، رفع وجهه ، إنبسطت ملامحه ..

انكمشت ، اطلق زفرة ارتعشت لها ضلوعه ، وضع الفنجان محملقا أمامه ، استرخى ثانية على الكرسى وطرح ساقه على الاخرى ، اشتهى سيجارة يدخنها ، وتعجب أن يعاوده الحنين بعد السنوات ٠

كان يرى أمامه فى أكثر ساعات النهار التى تطول عليه ، خيوط دخان كالحبال ، تتشابك وتتداخل ، تمتد بجوار بعضها وتتلاصق لتصنع بعرض الحجرة لوحا من الرصاص البارد يتماوج لعينيه ٠

ارتعش قلبه لسنوات الشباب : السيجارة المشرعة بين الاصابع المنسجمة الخلقة ، المعلقة فى تانق فى زاوية الفم المتبسم ٠٠ طاردته زوجته لتقتلع العادة ، كانت تلقمه أقراص النعناع والروبسوس ، كلما حن الى أنفاس الدخان ٠٠ القطعة الفضية التى خبأها تحت جلدة الطربوش ليقتنص بها علبـــة « البحارى » واكتشاف أصابع زوجته لها ، بينما تنظف الطربوش كالمغناطيس !

زحفت العتمة على البيت الساكن ، نهض وخرج الى الصالة مسرعا :

ـ مهيدة ٠٠

تتصامم البنت كعادتها !

تعثرت قدمه فى البساط القديم وسقط

نهض ومد يده الى مفتاح النور ، فاحس أن كتفه تنخلع ٠٠ توجع :

ـ كتفى يا مهيدة !

سمعها خلفه تزمجر :

ـ ماذا أقول لك !

استدارت زاحفة الى حجرتها :

ـ سأنام ٠

خطا خلفها متخبطا :

ـ لا نزال فى أول الليل ٠٠ تنامين ؟!

وقف عند حجرتها يحملق فى هلع ٠٠ تراجع داخلا حجرته يغمغم بالشكوى ٠٠

انحط فى وسط السرير ، مد ساقيه أمامه ، لمهما وتربع ، استلقى على جنبه ،جر اللحاف مغطيا جسده، حتى وسطه ، سكنت أعضاؤه وهدات أنفاسه حتى لم تعد تتردد من داخله ٠

طوقته اللحظة ضيقة ضاغطة ، اعتصرته ، وكان يحس بالشىء يتصاعد من أعماقه ، ويتسلق داخـــل بنيان جسده ، أحس بقلبه خفيفا كقلب طائر صغير ، وكانت أصابعه الطويلة السرحة تمتـــد الى عينيه مرتعشة ٠٠ وكانت تعود دون أن تلمس شيئا ٠٠

انفرجت عنه اللحظة ، تباعدت ٠٠

تقلب فى فراشـــــه ، كان يحس انه يريد أن يتثاءب ٠

سمع حفيف مهيدة على وبر البساط ٠

ـ لماذا تنادى ٠٠

ـ متى ؟!

ـ اتريد شيئا قبل أن أنام ٠ لن أعود اذا ناديت ثانية !

ـ انتظرى !

طرح اللحاف عن نفسه ، انقلب على جنبه ناحيتها :

ـ ابقى بجانبى ٠٠ بعض الوقت !

ظل ساكنا صامتا ٠

كانت احدى عينيه مدفونة فى الوسادة اللينة ، والاخرى مغمضة ، لتحها ناظرا الى مهيدة :

ـ اقتربى !

نظرت اليه فى غير دهشة ٠٠ وزحفت دانية من السرير ٠

ـاقتربى أكثر !

بدت الحيرة فى عينيها ، زحفت المسافة الباقية حتى لامس كتفها حافة السرير ، تامل بشرتها الابنوسية ، مد يده وتحسس وجههـــــا فى رفق ، انكمشت فى نفسها ، نظرت اليه بدهشة وخوف ، رفـــع شفتها الغليظة باصابعه عن أسنانها ٠٠



ـ بيضاء قوية وجذابة ٠٠

حدقت فى وجهه دون أن تفهم ٠٠

سحب يده وأنامها على صدره ٠

ـ كنت طفلة عنـــدما جئت بك من الصعيد ٠٠ يا للسنوات !

تثاقلت أنفاسه ،، انغلقت عيناه ، بدا كأنما غفا ٠ فتح عينيه :

ـ كنت موظفا أعزب هناك فى مدينتك الصغيرة ، جئت بك الى هنا ٠ وتزوجت ٠٠ تركتك مع زوجتى ،عدت الى هناك ، كنت أسرع بلهفة لاحضر٠٠ عندما جاء الاولاد كانت اللهفة ترهقنى أكثر ، كنت أصل الى هنا منهكا بالوحدة ٠٠ مهيدة ! ٠٠

أظنك تعرفين الان معنى أن تكونى وحيدة !

لمس كتفه متوجعا ٠٠

ـ ربتك زوجتى على يديها ، مشت حياتك جنب حياتنا ٠٠ تجاور عمرك وعمرنا ٠٠

ـ ادخرنا لك نقودك ، حتى كبرت ٠٠

تحولت نظرته الى عينيها المنكسرتين :

ـ جاء أحدهم ليتزوجك ٠٠ انت لا تنسين !

ارتخت نظرتها الى الارض :

ـ كان طامعا فى نقودك !

امتدت يده ترفع ذقنها نحوه :

ـ منذ دخلت هذا البيت ، لم تخرجى منه أبدا ٠

ارتدت يده ليدفنها تحت جنبه ، أغمض عينيه ، فتحهما ، نظر الى خيط الدموع على وجهها ـ ارتعشت شفتاه لحظة ، أدار وجهه الى الحائط ٠

تكاثف الصمت ٠٠ غمغم وحيدا ، متعبا :

ـ اصمدى الى جوارى ، هل تقدرين أن تصمدى ٠

توقفت اللحظة ثقيلة غريبة ، ســـمع ما يشبه الحفيف مبتعدا ٠٠

حومت عند رأسه الطيـــــور السوداء مندلعة من أوكارها فى البيت ، رفت أجنحتها فى فحيح مخيف ، اقتربت باظافرها متهيئة ٠٠ نادى :

ـ مهيدة ٠٠

حط السكون ٠٠

ـ هل ذهبت ؟

هدأ لحظات ٠٠

ظل مديرا وجهه للحائط ٠٠

شعر بالبرد يغز عظامه اليابسة ، يوجعها ، لم ساقيه الى صدره حتى لامست ذقنه ركبته ٠٠

ظل ساكنا محاصرا ٠٠

تكور تحت اللحاف ولفه حول وجهه ٠

كان خائفا أن يسقط فى الوعاء ٠٠

قراءآت

مصطفى الشهابي

حكم الزهر

في المتحف الحربي لمدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا ، وضعت بين المعروضات فردتا زهر نرد ، شطرت احداهما نصفين . وكل زائر لهذا المتحف يضع نصب عينيه أن يراهما وان يستمع الى القصة الرائعة التي احتفظ بهما بسببها منذ ثلاثة قرون ، واليك القصة :

اغتنم جنديان شقيقان فرصة توقف فرقتهما للراحة ذات مساء على مقربة من قريتهما ، وتسللا من المعسكر تحت جنح الظلام ، واتجها الى القرية لزيارة امهما العجوز .

ولسوء حظهما ، اكتشف امر الغياب في منتصف الليل . فلما عادا قبل شروق الشمس القي القبض عليهما ووضعا في السجن في انتظار عرض امرهما على القائد .

ولما كانا نموذجا طيبا لحسن السلوك ، وتلك أول مخالفة يرتكبانها ، فضلا عن حاجة الفرقة لهما ، فقد حاول ضابطهما جهده ان ينقذهما من العقوبة الشديدة المنتظرة ، ألا وهي الاعدام .

وأبى القائد أن يلبي رجاء الضابط وتوسلاته ، وبعد الحاح شديد ، وافق على أن يعدم أحد الشقيقين وان يترك لهما وحدهما تقرير ايهما يعدم !

وأبلغ القرار الى الجنديين الشقيقين ، ونظرا للحب الشديد بينهما فقد قضيا وقتا طويلا وكل منهما يحاول اقناع الآخر بأن يسمح له بأن يعدم بدلا منه ! .. ولم يصلا الى قرار ، اذ أصر كل منهما على أن يكون فداء لشقيقه .

ولما علم القائد بتلك النتيجة أمر باستدعائهما ، وان يحكم الزهر بينهما وجيء بزهر النرد ووضع امام الشقيقين ، على أن يكون حظ الحياة لمن يصيب رقما أكبر من الآخر .

وبدأ الاكبر يجرب حظه ، فتناول الزهر ورمى به على المنضدة فسجلت كل فردة رقم ٦ ، أي ان مجموع ارقام الفردتين ١٢ ، وهو أكبر رقم يمكن أن يأتي به الزهر ، واصبح من المستحيل أن يأتي الزهر برقم أكبر ، ومن ثم طالب بتنفيذ حكم الاعدام فيه ، اكتفاء بتلك النتيجة ، ولكن الأخ الثاني عارض والتمس أن يجرب حظه فقد يحصل على مثل ما حصل عليه اخوه ، فسيعاد رمي الزهر من جديد .

واستجاب القائد لتلك الرغبة ، وتناول الأخ الثاني الزهر وقذف به في حماس شديد فسجلت احدى الفردتين رقم ٦ ولكن الثانية انقسمت الى شطرين : احدهما رقم ٦ والآخر رقم ١ وبذلك أصبح المجموع ١٣ .

وذهل القائد لتلك الظاهرة الخارقة ، ولم يجد ما يعبر به عن شعوره سوى العفو عن الشقيقين .

اجابات عملية

جاء أحد الزنادقة الى جماعة من المسلمين وسأل عن امامهم ليسأله ، فجاءوا به الى الامام الغزالي رضي الله عنه ، وكان أعلم أهل عصره ، وهو جالس في بستان لاحد اصدقائه بين اتباعه ومريديه .

قال الرجل :

ـ اني سائلك ثلاث مسائل فان اجبتني عنها اسلمت واعتنقت مذهبك

قال الامام : ـ سل ما بدا لك .

قال الرجل :

ـ لم لا نرى الله ؟

واجاب الغزالي :

ـ حسن ! والثانية ؟

ـ كيف يعذب الله ابليس بالنار وقد خلقه منها ؟
ـ نعم ، والثالثة ؟
ـ لم يؤاخذنا الله بما كتب علينا ؟
ـ حسن ! وتريد الجواب ؟
ـ نعم ...

فما كان من الغزالى الا ان مد يده وقبض قبضة من طين وضرب بهـا وجه الرجل . وخطر لبعض الحاضرين ان الامام لم يستطع الجواب ...

وصرخ الرجل واسرع يشكو الى الوالى الذى استدعى الغزالى وجرى بينهما الحديث التالى :

ـ هل اجبته حين سالك ؟
ـ لقد اجبته !
ـ وكيف ؟
ـ كان سؤاله الاول : لم لا نرى الله ؟ انه يحس الما من لطمة الطين، فهل راى الألم ؟!

وكان سؤاله الثانى : كيف يعذب الله ابليس بالنار وهو مخلوق منها ؟ فلم تألم من الطين وهو مخلوق منه؟.

وكان سؤاله الثالث : لم يؤاخذنا الله بما كتب علينا ؟ فلم رفع أمرى اليكم وقد كتب الله على أن اضربه بالطين ؟!

شؤم الغراب ؟

تذهب الأساطير القديمة الى أن الغراب كان ابيض اللون ، له مكانة سامية بين البشر وانه كان يترددعلى مجالس الالهة فى السماء ، ومن لم كان مطلعا على اسرارها .

ولكنه لم يرع الامانة فراح يفضى بما يسمع الى بنى الانسان .

واغضب فعلههذا الالهة ، فسخطت عليه وقذف به احدها من السماء فاخذ يهوى خلال طبقاتها ، مصحوبا باللعنة التى حولت لونه الى اسودقاتم كالفحم ....

ومنذ ذلك اليوم اصبح الناس يتشاءمون من رؤيته ، لدرجة أن اليونانيين فى قديم الزمان كانوايحذرون من ظهوره فى حفلات الزواج ويهرعون الى طرده وابعاده والا حل الطلاق سريعا وفرق بين الزوجين .

وربما يذكر المسنون ، ان الكثيرين كانوا عندما يسمعون نعيق الغراب ، يبادرون الى القول « اللهم اجعلـه خيرا ! » .

تيمورلنك وخالد بن الوليد

بعد أن استولى المغول على بغداد ودمروها ومثلوا بخليفتها العباسى وباهلها عام ١٢٥٨ م ارادوا الاستيلاء على مصر ولكن مصر استطاعت أن تهزمهم فى معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م.

ومنذ ذلك التاريخ لم يلم المغول بغارات تذكر على بلاد الشام حتىظهر تيمورلنك الذى ادعى انه من احفاد جنكيزخان ، وقاد جيوشه لفتحسوريا عام ١٤٠٠ .

وبعد ان تمكن من دخول حلب ونهبها ، سار جنوبا قاصدا دمشق، وفى طريقه مر بمدينة حمص ولكنهلم يدخلها وامر جنوده بعدم مسها بسوء احتراما لوجود ضريح البطل العظيم خالد بن الوليد بها . ثم واصل سيره حتى دمشق التى فتحها ومثل بهـا وباهلها .

يارب !

كان شيخ الشعراء اسماعيلصبرى باشا يحس الموت فى كل وقـت ، ويتوقعه بين لحظةواخرى ، ولذا اكثر فى شعره من التصوف .

وكان مما قاله قبل وفاته بايام :

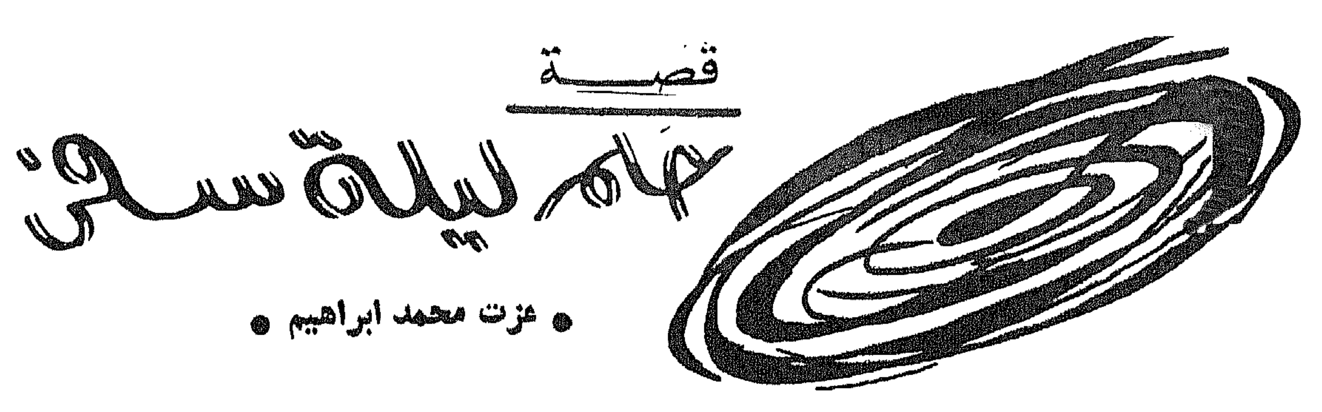
يارب اهلنى لفضلك واكفنى
شطط العقول وفتنة الافكار
ومرالوجوديشف عنكلكىأرى
غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الأسرار حسبى محنة
علمى بانك عالم الأسرار

حرية الوطن
فى ظل الله

من الكلمات الباقية لاسماعيل صبرى باشا :

أحب الحرية فى ثلاثة :

حرية الوطن فى ظل الله ، وحرية المراة فى ظل زوجها ، وحرية الرجل تحت راية الوطن . ●●



• عزت محمد ابراهيم •

عاش طيلة حياته فى فزع دائم وخوف متصل ، كأنما يطارده شىء مجهول ، فهو لا يعبر الشارع قبل ان يلتفت مرات عديدة يمنة ويسرة ، يتوقع في كل لحظة ان تدهمه سيارة فتقضى عليه ! ..

وهو يسير ببطء متمهلا ، لا فى جانب الطريق ولا فى وسطه ، فعلى جانبه بيوت ومساكن ربما سقط من احدها شىء يقع على رأسه فيهشمه ، وفى وسطه السيارات على اختلاف انواعها واشكالها واحجامها تنطلق كأنها السهام التى لا تعرف غير هدفها المتجهة اليه فى سرعة وجنون .

ولم لا يحاذر وهو يسمع كل يوم عن حوادث تقع وبلايا تقضى على حياة الناس .. هذا سقطت عليه حجارة من أعلى بيت فهشمت رأسه ! .. وذاك وقع تحت عجلات سيارة فقضت عليه ! .. وثالث داس على سلك كهربى فما هى الا غمضة عين وانتباهتها وفارق الحياة ! .. ورابع قد سقط فى حفرة قد فغرت فاها فكأنها الشرك المنصوب لاصطياد الفرائس والضحايا .

لم لا يحاذر وهو يرى ويسمع كل ذلك فى كل يوم ، والصحف ملأى بأنبائها ، والسنة الناس لا تكف عن ترديدها .. وحياته غالية عليه لا يريد ان يفرط فى شىء منها ، وسيظل حريصا عليها باذلا قصاراه فى الاحتفاظ بها ، والمسألة عنده مسألة عقل وتفكير وحسن تدبير ، فما دام يعمل لكل شىء حسابه فهو فى أمن واطمئنان .

ولا عليه من هزء الناس به وسخريتهم منه ، فهى حياته لا حياتهم ، والبلاء المترصد اذا نزل به لن ينال منهم مقدار شعرة ولا قلامة ظفر !

وكان كل ذلك مقبولا معقولا طالما أنه يسير فوق اديم الارض الثابتة الآمنة المطمئنة ، أما أن يركب طائرة تطير به على متن الهواء ، فتميد به ميدا ، وتترنح به ترنحا ، فتلك هى الطامة الكبرى ، وذلك هو البلاء العظيم ، وهو ما لم يكن ليخطر له على بال ، أو يقع له فى حسبان .. وكيف يتسنى له الحرص على حياته وهو فى هذا المأزق ؟ وزمام أمره فى يد سواه ، وأى منجاة له من هذا الخطر وهو معلق بين الارض والسماء ، وهو الذى يقرأ عن حوادثها فتكاد نفسه تطير شعاعا وتذهب حسرات ، ولكنها بلية قد وقعت ولا حيلة له فى الخلاص منها .

ومنذ ذلك اليوم الذى تقرر فيه ركوبه الطائرة ، ولا حديث له الا عنها ، ولا سؤال له الا عن مدى اطمئنانه لها كوسيلة لسفره ، فاما ليلة السفر فقد كان من العبث ما حاولته زوجه من اسباغ الطمأنينة عليه ، فهى تذكر له الالوف الذين يسافرون على الطائرات ويعودون سالمين ، وهو يذكر لها العشرات الذين ماتوا فى الجو محترقين .

ولم يجد – آخر الامر – مندوحة ومناصا من الاستسلام الى قضاء الله فيه ، فاغمض عينيه منقادا لسلطان الكرى ، تاركا الامور لتقديرها المرسوم .

****

ويرى فى ليلة حلما عجيبا ما كان ليخطر على باله ان يلم به فى ليلة من لياليه :

ها هو ذا يخرج من باب مسكنه ، فلا يجد المصعد الكهربى الذى اعتاد الصعود فيه والهبوط ، ولا يجد درجات السلم التى تقوم مقام المصعد اذا تعطل او اصابه تلف ، وانما يجد مساحة واسعة قد امتدت أمام المسكن فيها دوائر قد خطت على ارضها ، وعلى كل منها أرقام وعلامات ورموز لا يدرى من أمرها شيئا ، ولكنه يقف على واحدة منها فلا يحس بنفسه الا وقد هبط الى أسفل قبل أن يرتد اليه بصره !

وبهت وأصابه ذعر ، وهو لا يدرى كيف هبط ولا كيف انتقل ، ويخرج حائرا مضطربا ، فلا يجد الشارع على شىء مما عرفه وخبره ...

ما هذا ؟! أين البيوت والمساكن التى الف رؤيتها؟ وما هذه المساكن الجديدة الغريبة التى يقع عليها بصره ولاعهد له بها ؟ متى بنيت ؟ ومتى اقيمت ؟

ولم يجد لذلك كله جوابا وانما وجد نظرات شزراء تتجه اليه ، فكأنما هو شىء غريب لم يسبق للناس رؤيته ، او كأنما قد هبط عليهم من كوكب مجهول ، وتحسس نفسه يريد أن يجد فيها شيئا من الغرابة فلم يجد الا ما عرفه وألفه ، فثيابه هى التى اعتاد لبسها ، وحقيبته التى فى يده هى التى يحملها اذا كان على سفر ، وما فى رجله هو ما اعتاد أن ينتعله ، وما فوق رأسه هو ما اعتاد ان يضعه ، ولا شىء غير ذلك .

وراعه أن لم يجد سيارات فى الشارع تسير على عجل فكأنما قد اقفرت الطرقات مما كان فيها من مركبات ، وتطلع الى السماء قليلا فهاله وأطار لبه ما رأى :

ما هذا أيضا ؟! ان السيارات أو ما يشبه السيارات من مركبات ، لا تسير على الارض ، ولكنها تحلق فى الفضاء يزحم بعضها بعضا ، فكأنها أسراب من جوارح الطير تملأ الجو بضجيجها وعجيجها ! ..

ووقف حائرا لا يدرى كيف يشير الى واحدة منها بالهبوط ، وقد أزف موعد الطائرة ، وحان ميقات رحيلها او هو قد اقترب ، وسأل أحد الناس عن طريقة يذهب بها الى المطار فلم يفهم عنه ، وانتقل الى ثان وثالث ورابع فلم يواته معهم حظ ، ولم يصل معهم الى غاية ، حتى التقى بواحد منهم بدا عليه أن قد فهم منه ما يريد وتطوع لعونه وارشاده ، فاتجه به الى موضع فى الشارع على جانبه لوحة قد ملئت بالازرار ، ووضع اصبعه على واحد منها فهبطت امامهما فجأة احدى مركبات الفضاء ، فكأنما هى حجارة قد ألقى بها من حالق ، واستقرا بداخلها فعادت الى الارتفاع منطلقة بهما الى ما ظنه مطارا .



وتطلع الى هذا المنبسط الممتد أمامه ، فلم يجد طائرات ، ولا سمع أزيزا ، ولا جلبة محركات ، او ضجيج نفاثات ، وسال صاحبه عنها فضحك وهو يقول :

ـ تلك وسيلة للسفر قد عفى عليها الزمان ، وانقرضت منذ مئات السنين !

صاح في هلع :

ـ ما هذا الذى تهرف به ، أتحسبني مجنونا ، لقد رايتها البارحة فقط ، فأى عقل يمكن ان يصدق هذا الهراء الذى تهذى به .

ولم يزد صاحبه على أن قال :

ـ اصبر قليلا ، وسترى بنفسك كل شيء

واخذ بيده الى مكان قد استقرت فيه غرف من زجاج فسيحة الارجاء ، تتسع الواحدة منها لعشرات من الناس يجلسون فيها على مقاعد وثيرة ، وتطلع اليهم مستغربا لا يدرى سر جلوسهم هذا ولا سر الغرف الزجاجية تلك ، وما هي الا لحظة حتى خلت من بعضهم واحدة منها ، فكان لم يكونوا ، او كانما قد كانوا وهما من الاوهام ، أو سرابا من السراب ، وقد كانوا من قبل ذلك يتضاحكون ويتحادثون وقد انبسطت أساريرهم ، وانشرحت صدورهم ، وانفرجت منهم الشفاه عن ابتسامات الامل والبهجة .

وتسمر في مكانه ، والتفت الى صاحبه يسأله تفسيرا لما رأى :

ـ ما هذا ؟ واين هؤلاء الذين كانت تمتلىء بهم الغرفة منذ هنيهة ؟

اجابه في هدوء العارف المطمئن :

ـ لقد ذهبوا ...

قال في سخط يمازجه خوف وفزع :

ـ ذهبوا ! اين ذهبوا ؟ ومن يصدق هذا ؟ انك ساحر تريد ان تخدعني بالاعيبك ، لقد عرفت امثال هذه الخدع في لعب الحواة وعبث الدجالين، فهل هذا نمط آخر من الألاعيب والاحابيل ؟

وتناول صاحبه يده في هدوء ، واجلسه على مقعد قريب وهو يقول :

ـ هدىء من روعك قليلا ، وستعرف كل شيء ، ليس ما رايت سحرا ، وما هي بالاعيب حواة او شعوذة مشعوذين ، ومن رايت من الناس جلوسا فوق مقاعدهم لم يختطفهم الموت ، ولم تعجل بهم عاجلة ، وانما هم قد استقروا في الجهات التي يريدون التوجه اليها ، وهم الان على بعد مئات الاميال في مثل هذه الغرف الزجاجية ، ارسلتهم هذه واستقبلتهم تلك ، ولا يلبثون ان يغادروها فيتجه كل واحد منهم الى وجهته التي يتجه اليها ، وهذا هو كل ما في الامر .

قال ساخرا مستهزئا :

ـ هذا كل ما في الامر !! شيء بسيط طبعا ، وتريدني أن أصدق هذا الكلام ، فانا اذن قد فقدت عقلي ، واصبحت واحدا من المجانين !

واجابه صاحبه رابط الجاش ، ثابت الجنان :

ـ هون على نفسك ، فلاموجب لكل هذا الانزعاج، والمسالة مسالة علم قبل كل شيء ، ألم تكن تعرف من ذى قبل ان الصورة تنتقل من مكان الى آخر في التو واللحظة ، يرسلها جهاز ويستقبلها آخر ، تهاهى ذى نفس الفكرة ، لم يزد عليها الا انتقال المادة بدلا من الصورة ، وهذه الاجسام تسلط عليها اشعاعات تحولها الى ذرات وتنقلها من مكان الى آخر فتستقبلها اجهزة خاصة فتعود كما كانت اجساما حية تتحرك وتضطرب ، ولا يشعر الناس بشيء من كل ذلك ، وهم ينتقلون كل يوم ، وليس فيهم من يتصور انه يتحلل أو يتلاشى ، وانما هو يدخل غرفة ويخرج من غرفة ثم يمضى الى حال سبيله ، هذا هو كل ما في الامر ، ألا ترى أنه شيء بسيط ؟

قال هازئا :

ـ لا شك أنك تخدعني ، ولا بد ان اكون في ملعب للالعاب السحرية .

وثاب الى شيء من الهدوء وهو مطرق ، وكانما قد تذكر أمرا كان قد نسيه ، فالتفت الى صاحبه متسائلا :

ـ هل معنى ذلك ان الناس قد آمنوا شر الحوادث التي كانت تصيب الطائرات فتقضى على العشرات منهم والمئات ؟

ورد عليه صاحبه قائلا :

ـ ليس تماما . فالحوادث هي الحوادث في كل زمان ومكان ، وقد تهب أحيانا عاصفة هوجاء فتعصف بذرات الناس ، وتجعلها هباء منثورا ، فلا يتسنى لاجهزة الاستقبال استقبالهم ، وبذلك يقضى عليهم ، ولكنها على أية حال حالات نادرة ، وتقدم العلم كفيل بالقضاء عليها ، وحماية الناس من شرها .

صاح في هياج :

ـ تقدم العلم ! وهل تريد من العلم ان يتقدم اكثر من ذلك ، ماذا تريد منه بعد ذلك ياصاح ، لقد كنت اتخيل اشياء كثيرة ، ولكن مثل هذه الامور لم تكن لتخطر على بالي ولا على بال اكثر الناس خيالا ، واشدهم امعانا فيه !

ولفهما صمت سمعا خلاله رنين جرس فاشار اليه صاحبه بالاتجاه الى احدى الغرف الزجاجية .

وهنا هب مستيقظا على صوت رنين جرس باب مسكنه ، والعرق يتصبب من جبينه ، وصاح في هياج وفزع :

ـ لن اسافر ، لن اسافر ، ولو انطبقت الزرقاء على الغبراء !

مرآة الفكر العربي

شخصية مصر

● د . نعمات احمد فؤاد ●

هذا كتاب يحمل فى طياته ما يثير فى خلجات نفس كل مصرى أصيل الاحساس بالعزة والبطولة والتضحية من اجل الحق وباصالة هذا الوطن الحبيب سواء فى السلم ام فى الحرب ...

والمؤلفة الدكتورة نعمات احمد فؤاد اخذت على عاتقها حب مصر الذى ملأ كل احساساتها وفكرها وكان شاغلها الاول ، فاحست بوطنها العزيز بكل ظروفه التى مرت به ، وتفاعلت مع هذا الوطن فكتبت كتاب «شخصية مصر» ليكون صرخة مدوية امام كل من يريد ان ينال من مصر واصالتها لان مصر عظيمة مهما مر عليها من المحن فهى التى قالت للهزيمة : لا ... قالتها من منطلق عطاء مصر للانسان والاديان والقيم على مسار تاريخها كله . وبذلك تناول الكتاب شخصية مصر وعطاءها الحضارى الباقى على مر العصور عصور القوة ، وعصور الضعف السياسى بما لا يترك مجالا للشك فى ان مصر اكدت شخصيتها من خلال الفن والعلم والروح والطابع ، مثلما اكدتها من خلال المقاومة ، حيث انه من اللمحات التى تثير الاعجاب فى أمر الشعب المصرى ، ان شخصيته القادرة عملت عملها فى أزماته ونكباته ما لم تعمله شخصية اخرى لأمة من الامم ، ذلك ان المحنة قد تضيف الى الامة العريقة ما لا تضيفه الانتصارات من تماسك وصلابة واصرار وقوة شعور ، وقدرة على العمل ، ونفاذ الى مواطن القوة ... وعلى ذلك قد فطن الشعب المصرى الى وجوب استبطان ذاته من حين لآخر .

وبذلك يعتبر هذا الكتاب من امتع الكتب التى تناولت الشخصية المصرية من حيث الدراسة والتحليل ليكشف الستار عن اصالة هذا الشعب وحضارته الاصيلة التى لم تقم كغيرها من الحضارات على اكتاف الآخرين

ان تكوينات هذا الوطن تزيد من عظمته فهذا هو نيلها العظيم البديع الذى هو حبها الكبير ... كما ان جغرافية هذا الوطن التى جعلت من مصر قلب العالم جغرافيا وقبلته تاريخيا وحضاريا ، حيث ان قوة الانسان المصرى وعظمته انما تكمن فى تجاوبه مع الزمان والمكان من حيث بدأت رحلته الطويلة قبل بناة الاهرام بالوف السنين .. وكان ذلك له التشكيل الواضح على الشخصية المصرية من حيث الحب والتعاون والعمل والكفاح والمثابرة، يتعايش مع طبيعة هذه الارض **ونيلها وصحرائها ومع احداث هذا الوطن الجسام التى ان دلت على شيء فانما تدل على طمع الطامعين وحقد المستغلين ودسائسهم .**

وان المتتبع لتاريخ هذا الشعب المصرى يجد انه يقظ الضمير دائما منذ وجد على هذه الارض ، فهو دائما يعمل ويضع بين عينيه الضمير اليقظ فى كل اعماله ، وبذلك كان الايمان من الصفات الاولى لهذا الشعب

ورغم كل ما يواجه هذا الشعب الاصيل من محن وصعاب فهو قادر على تخطى هذه الصعاب ، يحول كل هزيمة الى نصر . وقد تشقى مصر ولكن تشفى وقد تمرض ولكن لا تموت ... هذه هى مصر صاحبة اعظم منجزات حضارية على مر التاريخ .

الضرورة الشعرية في النحو العربي

● د . محمد حماسة عبد اللطيف ●

مصطلح « الضرورة الشعرية » اطلقه النحاة والنقاد العرب القدماء على الكثير من الظواهر اللغوية العديدة التي كثيرا ما توجد في ابواب النحو والصرف معا

ثم نجدها ايضا في كتب النقد الادبي القديم ، حيث ظن النحاة والنقاد ان الوزن والقافية في الشعر مبرران لارتكاز الشاعر الى ما هو غير مالوف في النظام اللغوي ، وعلى هذا كان كتاب ((الضرورة الشعرية)) في النحو العربي الذي استطاع فيه الاستاذ محمد حماسه ان يجمع كل ما يخص تلك الظاهرة التي اطلق عليها النحاة ((ضرورة شعرية)) وتناولها من جميع الزوايا ، فناقش المنهج والاسس التي انتجت تلك الظاهرة في الدرس اللغوي وبحثها من حيث هي خروج على القاعدة ، فدرس مراحل القاعدة المختلفة وما يثير كل منها من قضايا ، وبحثها من حيث مفهوم النحاة لها ، واختلاف هذا المفهوم ونتائجه وعالج انواعها .

وفصول هذا الكتاب الخمسة تهدف الى وجوب الفصل بين مستويي الشعر والنثر في التقعيد النحوي ، وقد اتخذ المؤلف من «الضرورة الشعرية » ركيزة اساسية في طرق هذه المشكلة ومحاولة الاسهام في حلها .

وأهم ما يطالعنا به المؤلف في كتابه هو ان مصطلح الضرورة الشعرية لايمثل واقعا لغويا حقيقيا ، وقد اضطر اليه النحاة اضطرارا نتيجة للمنهج الذي اتخذوه في جمع اللغة والتقعيد لها .

فمن حيث جمع اللغة كان مجالهم مقصورا على بعض القبائل دون الاخرى طلبا للفصاحة ، ويرفض المؤلف تخصيص النحاة قبائل معينة دون الاخرى للاستشهاد بها ، وذلك لان السليقة اللغوية ما هي الا اكتساب ينتج من تلقي المرء لغة بيئته عن طريق المطابقة والمحاكاة ولأن هناك فروقا بين كل مستوى لغوي وآخر ، فيجب الفصل بين هذه المستويات المختلفة في اللهجة الواحدة وهي الفصل بين الشعر والنثر ، حيث نظر المؤلف للغة على انها متطورة غير ثابتة ، فعالج بعض انواع الضرورة على انها بقايا تاريخية لمراحل سابقة ودلل على ذلك ، وما يقال عنه ضرورة انما هو أصول تاريخية للهجات معاصرة ،وبذلك رفض المؤلف فكرة عصور الاستشهاد باللغة ورأى انه لا خوف على القرآن من هذا المبدأ فان للغته مستوى خاصا ينبغي ان يدرس وحده .

اما من حيث التقعيد فبين المؤلف سبب النحاة في الاعتماد على القياس في الوصول الى القاعدة حيث خلطوا بين عملية الصوغ والقياس التي يقوم بها المتكلم ، والقياس المنطقي الذي فرضوا نتائجه على اللغة فنشأت عن ذلك امور حددها المؤلف في كتابه ، منها القياس على اشياء غير لغوية والخلاف بين النحاة ومعيارية القاعدة التي اتضحت في هذا الخلاف اسبابها ومظاهرها . وأثبت المؤلف هنا أن الحكم بالضرورة مظهر من مظاهر هذه المعيارية .

وقد اقترح المؤلف في كتابه بان يدرس الشعر دراسة منفصلة عن النثر لانفراده بنظام خاص يختلف عن النثر ، كما لا يصح فرض النثر عليه ، وبذلك استطاع الكتاب ان يبين لنا خصائص لغة الشعر وهدفه من ذلك نفي وصمة الضرورة عن الشعر .

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

قصة

المحطّ الأخير

● الحماقى المنشاوى ●

● الوقت بعد الظهر ، على محطة الاتوبيس فى انتظار قدومه .. الملل أطال الزمن .. الدقائق ترحف فى المضى كسلحفاة تتحدى عصر السرعة ، تختال كما فعلت فى القرون الاولى !.. شاب لا تفارق عيناه العقارب ، يود لو لم يرها تمضى ، يرجو من الوقت أن يقف !.. وآخر يزفر فى الهواء ظنا ان الزفرات سلوى الانتظار ! .. سيدة شابة تنقر على حقيبتها السوداء دقات رتيبة كأنها ترقب الثوانى فى مرورها ... واخرى فى العقد الرابع تحمل بعض اكياس الفاكهة ، تعض الانامل لقرب فوات موعد الزيارة لمريضها ... وآخرون يذرعون مكان الوقوف ليقطعوا الملل ، ويختلى كل واحد بافكاره ... واقدام تصطدم بالارض كأنها تلعن نفسها لرضاها بالوقوف ، وتوعز لاربابها بالسير ... طالبان يتحدثان فى سخرية :

ــ « كانت العربة السابقة مزدحمة ... تركتها رغبة منى فى جلسة مريحة بالقادمة ، وتمشيت من المحطة الأولى حتى هنا ، كى أنفق بعض الوقت ، فمكان نزولى المحط الأخير » .

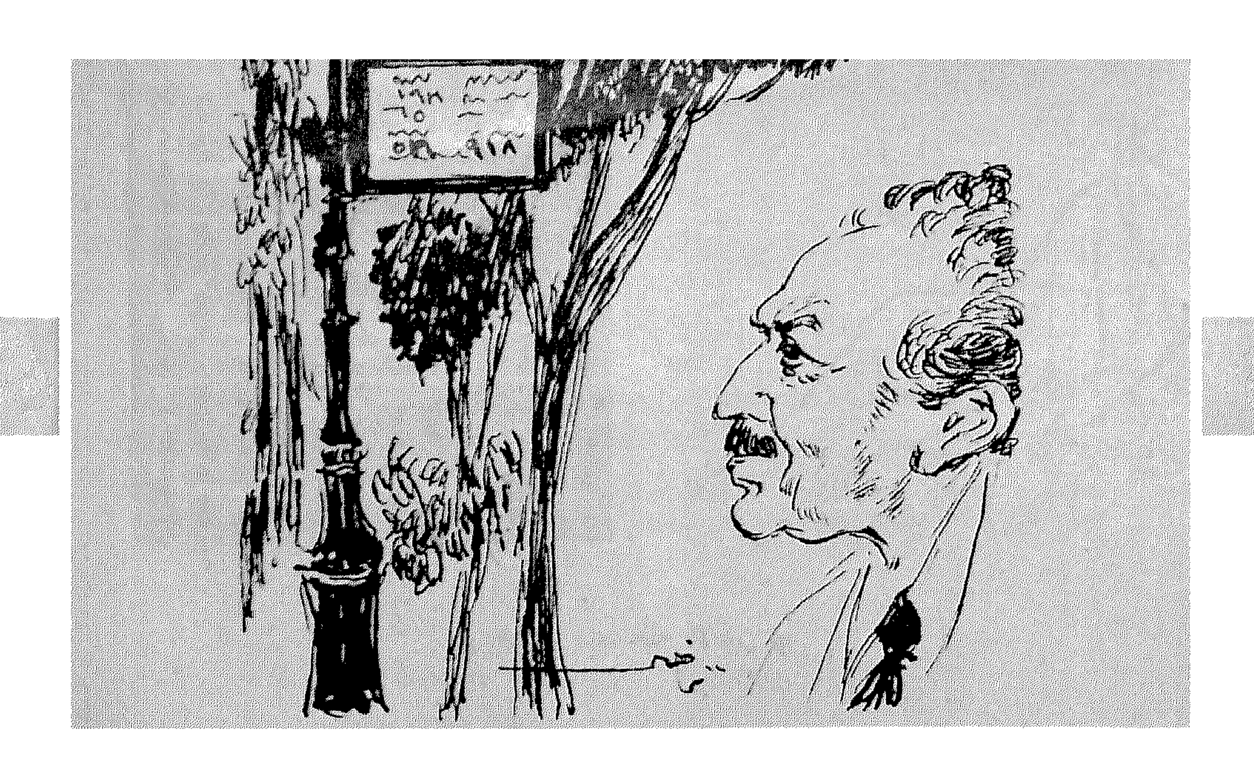
وساد حديثهما فترة صمت قطعها الآخر يود رد الجميل :

ــ « اليوم موعد تدريبى الرياضى بعد الدراسة ، ولذلك تخلفت عن العربة التى مضت ، فأنا أركب الأتوبيس مهما كان مزدحما ... المهم عندى أن أصل مهما أتكلف من مشقة، فلو أن كل شخص فكر فى الزحام ماركب أحد ، ولرجعت دواب العهود الأولى ، ولأصبح كل الناس كفريق جوالة المدرسة ! » .

ضحكا بصوت عال .

رجل واحد يثرثر طول الوقت ، ولا يعلق على كلامه أحد ... يلعن نظام الأتوبيسات ، وأوقاتها وعددها ، بيد أنه لا يفتأ يكرر عناده وصلابة رأيه بأنه لن يبرح المكان حتى يأتى الأتوبيس ، ولو قضى عمره انتظارا ... بشعر بلذة العناد والتحدى ، فتهون لحظات الانتظار الممض ، ويلوك لسانه هذا العناد مرارا حتى ابتسم القوم عند تكراره هذا التحدى آتيا بحركة تجعل اصراره مادة الابتسام عندمايثبت نظارته على عينيه بسبابته المرتعشة !

ويمضى الوقت بطيئا ، وفى لحظة مباغتة يمرق فى الشارع اتوبيس مزدحم بالركاب ، ولا يقف امامهم ، فيصيحون وتنطلق السنتهم باللعن والسخط على السائق الذى تركهم نهبا للانتظار من جديد ، وكان طوق النجاة لهم ، فخلفهم غارقين كل فى دوامته الخاصة ، يفكر فيما بعد النزول فى محطه الأخير ! .



وتمضى لحظة ، يأتى رجل الى المكان، ويسأل « العنيد » الذى أرغد وأزبد ، وتوعد حتى خيم السكون على الجميع لكثرة شتائمه ، ونقمته على سائقى الاتوبيس لعدم الوقوف اعتقادا منهم انه سيقول مافيه الكفاية وعما يجيش بكل صدر :

ـ هل الاتوبيس رقم ثلاثة يقف هنا ؟

نهره صاحب العناد : امامك هذه اللافتة التى لا لزوم لها ، ما دام لم يقف عندها الاتوبيس .. اقرأها اذن لتعرف!

قال الرجل فى هدوء : لا أعرف القراءة يا سيدى !

اطفأ الرد سورة الغضب فى نفسه ، طأطأ رأسه خجلا ثم رفعه فجأة متوهما انه انتظر أكثر من اللازم فى اجابة الرجل ، واطبقت شفاه الواقفين ، واعترتهم الدهشة ... نظراتهم تجول بين الاثنين فى حيرة لتأثرهم البالغ بأمية الرجل ، وزاد من دهشتهم طول صمت الثرثار ! .. خفض بصره الى أسفل اللافتة واخذ ينظرهاحتى وصلت عيناه الى الكلمات المكتوبة ، وفى هذه اللحظة أفاق من ذهوله ، وصاح ممسكا باللافتة يريد تحطيمها :

ـ تبا لهم .. تركونا هكذا بلا شىء ... نستظل بلافتة حمقاء ، تسخر بنا فى بلاهة وجمود .

تشبثت انظارهم بحروف اللافتة ... بدت كأغوار سحيقة يهبطون اليها ، وانصرفوا بعد ان لامتهم أقدامهم كيلا يضيعوا من الوقت أكثر من ذلك ... كانت اللافتة مهينة لعقولهم ، واكتشفت سذاجتهم ، وجهالتهم امام رجل يجهل القراءة ، لم يقف معهم مدة انتظارهم الطويل ... جاء يستفسر عن رقم العربة التى تقله حيث يريد، ثم مالبث سؤاله ان جعل عديدين ينصرفون من المحط يلعنون انفسهم فى سرية تامة ، ويلعنونه أيضا ، ومع ذلك يشكرونه ، فقد كان كمن يمتحن علمهم ومعرفتهم الجوفاء ... فهربوا منه ومن اللافتة !

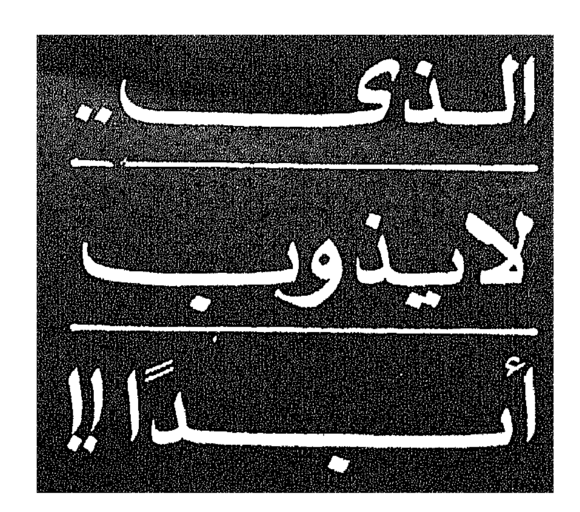
ووقف الرجل حائرا ينظر الى اللافتة الماثلة من اضطراب اعصاب العنيد الذى نهره ، ويحدث نفسه .. يهز كتفيه عجبا لهذه اللافتة التى جعلت هؤلاء الناس يتفرقون ، ولم يطق صبرا على صبى يسير على الطوار يحمل كتابا فى يده :

ـ اقرا لى يابنى المكتوب على هذه اللافتة العجيبة ! ..

نطق الصبى مختالا بقدرته على القراءة ، وانه اهل لحمل كتاب بيده :

ـ « ممنوع وقوف العربات، وتغيرت المحطة الى نهاية الشارع ... » !

●



الــذي لايذوب أبــدًا!!

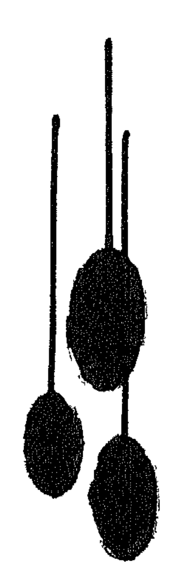


● فولاذ عبد الله الانور ●

وتجيئين الى الآن ماذا تبتغين
بعد أن سممت قلبى !
بعد ان غيرت تاريخى ودربى
لم اعد املك للحب ولو بعض الشجون
لم اعد أبصر فى المرآة الا جسدا
فاذهبى عنى بعيدا واعشقى
لم أعد أصلح للحب وللاحلام أبدا !

***

كان عمرا لن يعود
عندما كنت بريئا أتغنى باسى حبك قدام الجموع
.. وأنا وحدى أحببتك حتى الموت وحدى .. ،
.. كنت راجيك بما فيك وراعيك طوال العام والعام صقيع
انت قد علمتنى كيف أضيع
أنت قد علمتنى ان اقطع الليل بلا نوم .. ،
الى ان تطلع الشمس فاغفو وأضيع !
أنت قد علمتنى أن أفتح الشباك فى البرد .. ،
على الافق وأبكى ، ثم أبكى .. واضيع !
أنت قد علمتنى أن أعبر الشارع أهذى بكلام غير مفهوم ..
.. واذوى واضيع !



وتجيئين الى الان ماذا تبتغين ؟
كان عمرا وانقضى ...
كان امسا ومضى !
فاديرى وجهك الان سريعا عن طريقى
بين كفيك وقلبى الف سور من جليد
تحت نار الشمس اعتى من جرانيت السدود ..
فافيقى !



أحتج على عينيك

● مصطفي رجب ●

(١)

قالت زينب :
عيناي اشتكتا الغزل الفاضح ..
شعري مل الشعر ....
القى الشعراء جمالي في البئر ،
وطرحوني أرضاً ...
ولذلك .... :
حكمت عيناي باعدام جميع الشعراء بميدان عام
رميا بالنظر الشزر ..
ـ بشهادة كل عباقرة شهود الاثبات .. ـ

(٢)

ارفض حكم الاعدام ..
احتج على عينيك بأني عاشق
استأنف حكم الاعدام امام جميع محاكم الاستئناف ..
اطلب عدل المحكمة وعدل القانون التام

(٣)

عينا زينب تخترقان القاضي والقانون
ينظر قاضي المحكمة الدعوى ..
.. ينظر في عينيك ..
ويرفض حكم الاعدام !

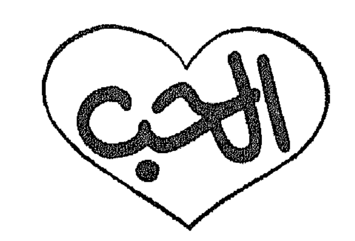
(٤)

تحيا عيناك ..
ويحيا الشعراء ..

(٥)

يحيا العدل ..
ويرفض يوسف ان ياكله الذئب !

قصــــة



تحت الأرض..

● فؤاد بركات ●

●●●● ورق الحائط لونه لا يناسب لون السجاد !

– انها مجرد جراة فى الالوان ، كل قطع الاثاث الوانها هادئة ، عدا الارضية الزرقاء – ترى هل لتحاكى لون البحر ؟!

الهدوء ، والنظافة ، والجدة ، وهواء ساكن مخزون فى الشقة الفسيحة التي يشملها الاثاث الحديث فى كل اركان الحجرات الخمس ، وبمجرد انفتاح الباب الخارجى تطل صالة شاسعة ، عبر مدخل ضيق ، والارض متوارية اسفل سجادة قرمزية ..

فى حفيف ساكت تقدمت خادم عجوز اليهما بكوبى شاى على صينية فضية ، ثم خطوات نشطة لخادم كهل ، بصينية اخرى عليها بعض الحلوى – وعن كثب من المكتبة المكتظة بالكتب ، استقر كلاهما ... الصمت التام ساد ، ثم تقطع :

– متى يعقد القران وتقبل عروسك الحسناء ؟!

– لم يعد هناك مشكلة سوى عودة ابيها من اوربا

اثر رشفات الشاى ، قال الصديق انه فى حاجة الى انفاس من الهواء الخارجى ... انسلا الى الشرفة المطلة على الشارع الساكن العريض – عرض عشرة شوارع من المنطقة الشعبية المتاخمة ... الشـــارع تجلله الاشجار ، وتتوسطه شرائط الحدائق ، وهناك عمارات زاهية . ولان المنطقة كانت مخصصة لاسكان الاساتذة الجامعيين فى منطقة « العجوزة » – فقد كانت السمة البارزة هى أن معظم مبانيها تتمثل فى فيللات رائعة ..

مع حديثهما ، عن الجامعة ، و « الكادرات » ، ومتى يكونان استاذين ، وكيف ... وعن الخارج ، والحياة هناك وهنا ، والاهل الاثرياء ، والهواء الشتوى يحط ببرودة خفيفة ..

صراخ وضجيج ، وكلمات حـــادة مجلجلة مزقت صمت العاشرة من المساء الشتوى . بدا على الفور أن فى مدخل « الفيللا » حادثا جللا ... اكتشاف لص ، العثور على جثة .. شىء من هذا القبيل !

وفى لحظات تبعثر الحديث ، والهدوء ، واسرع الخادمان الى الدور الارضى أما هما فاطلا ، ثم تركا الشاى والحلوى ، والحديث الشجى ، واسرعا يهبطان الطابقين ... فى المدخـــل ، تجمع رهط من الناس محدقين بشاب صغير وبنت شابة قصيرة القامة ، سنها دون الثامنة عشرة .. ناهدة الصدر ، مليئة الجسد ، ممتقعة الوجه ، زائغة العينين ، وقد ارتسم عليها من القدم حتى شعرها الطويل رعب قاتل .. ارتعاش ، انتفاض ، والشاب الصغير ، فى ســـنها تقريبا ، وقف لصقها ، وقد غلفه السكوت وسط الصراخ الذى يهاجمه هجـــوما داميا ، الكلام يرجم كالاحجار ، سيوف مسنونة مجلجلة الصليـــل ، طواحين تسحق ، أقدام تركل ، أفواه مليئة تبصق ... الكلام ، الكلام ، ولم تمتد يد واحدة ، الدماء دماؤهما تنزف ، وتغيض ..

العجوز مقدم الحلوى ، وفمه مفتوح على المصراعين ، وعيناه مفروزتان فى جسديهما ، ويداه تلوح فـــى الهواء :

– أيها الداعران .. تمارسان الحب تحت السلالم ، الا تخجلان ؟!

العجوز امرأته بصوت متهدم :

– يفعلان ما يشاءان فقط بعيدا عن هنا ... هنا طهر ونظافة ! أيتها الفاجرة الا تحسين بالعار ؟!

الفتاة تبحث قدماها عن مكان فى الارض يهبط بها الى كهوف الغياهب الارضية ، تنظر فى وجوم يائس مستسلم باحثة عن الكلمات خـــلال الانفاس اللاهثة ، عن ثقب خلال الاجساد التى اغلقت مدخل البيت بنيانا جسديا مرصوصا ، متلهفة الى كلمـــة تنتصر لان يفرج عنهما ..

هو وصديقه ، والترقب ، والحكم ، والصمت ..

هو الدكتور الجامعى – حديث العودة من الخارج – يبغض كل ما هو خطيئة ، صديقه دائما يصارحه انه احيانا يبدو متزمتا .

امتلأ بعواصف الغضب ، الفجر ، تطاير من فمه رذاذ اللعاب الساخط :

– كيف ايها الضائع تنتهك القيم والفضـــائل ، واين .. اسفل دارى ؟!

وكيف يا داعرة تقبلين ان يلمسك ، على الارض الملوثة فى الظلام ، تسرقان الاخـــرين .. تسرقان الطهارة !

وقد تزايد الضجيج ، أطلت من السلم – ناهد ، ناهد ابنة صاحب « الفيللا » ، يقال ان بعض زائريها مجرد عشاق ، وأن زوجها قد طـــلقها حيث تعدد عشاقها ، فقدمت له برغبتها فى الطلاق ، وباولادها الثلاثة الصغار .

ناهد لاحت مرتكزة على حافة الشرفـــة ، اتكات بيديها ، فذراعيها وتدلت بصدرها العارى ، وتدلت نظراتها المسترخاة اليهم .

النظرات راحت تصعد اليها مختلسة ، ثم مرتدة هابطة ... وجههـــا ملء ، أهـــدابها تحيط عينين خضراوين ثابتتين ، شعرها ينسدل ناعما ، بياض الوجه والذراعين العاريتين ، رغم البرودة التى احترقت بالانفاس المتوفزة ، وكان من يدقق صاعدا – النظر ، يخترق رداء شفافا :

– ايه الحكاية يا حسنين ؟!

– ... ... لصورى ؟!

بسرعة كظمت ضحكة رنانة كانت ستطير مزغردة ، وقالت كالمغتاظة :

– انها التربية الفاسدة ... لم تجد اما تربيها .

أقفلت عائدة ، وقد تهاوى فضولها .

الصديق الذى حاول أن يرى بحياد ، انتقل اليه ارتعاش الثوانى ، يردد النظر الى ناهد ، الى الايدى الكثيرة المتاهبة للامتداد ، وهى تطلق النظرات النارية الجاحظة ... الى الشاب ! .

الولد وقد امتصت أعصابه المتينة عنف المفاجاة ، مد صدره القوى اثر أنفاس الصعداء ، وقال منكرا ،

ان شيئا مما يقال لم يحدث ، انهما كانا يبحثان عن عنوان ما ـ تصدى له سؤال زاعق :

ـ ومن تكون لك هذه ـ يا شاطر ٠٠ هه ؟!

ـ أختى ، خطيبتى ، صديقتى ، ماذا يهمك ؟!

الدكتور ، اثر المشاهد المحتدمة ، والموقف المتصاعد، فقد السيطرة على نفسه ، بسرعة خاطفة ، مد يده فى صفعة قوية على وجه الغلام ، الذى شرع يتماسك ، ويستعيد لون الوجه ، ويسوى من ثيابه ، ويعتدل فى قوامه متوسط الطول والامتلاء •

اهتز للصفعة ، ليردها فى حركة آليه ، وجد الجمع يحيطه ، حاول مقاومة ••• اذرع قابضة ، وكلام ينهمر مع الامساك المشدد لجسده كله ٠٠ عبثا يحاول الافلات مرددا عبارات السباب المهذبة المتحشرجة ضد العبارات النابية الموجهة الى شرفه وشرف الفتاة

ـ نستدعى الشرطة !

ـ يجب أن تقدمهما الشرطة للمحاكمة بالفعل الفاضح !

ذعر الشاب ، ماتت الفتاة فى جلدها ـ ملابسها اكفان انيقة ، نظراتها وداع اخير للحياة ••• سال الغلام :

ـ أين وما هو الفعل الفاضح ؟!

ثم أردف مرتعدا : من رأى فعلا فاضحا ؟!

ـ رأيته أنا عندما مددت رأسى الى بئر السلم ، كان يقبلها ، يحتضنها • ويداه ••• ياللسوء !

الصديق ، وهو يرى الخوف ، والفم المصوب كالخنجر ، « تذكر باريس » ، من الضرورى أن يتدخل أحد ما ليقول وجهة نظر مختلفة ، حتى ولو أغضب صديقه :

ـ دعوهما ، وكفاهما ذلك ، ولن يعودا !

ـ بل العقاب بالقانون ••• الضائع التافه يأبى ان أصفعه !

ـ الستر لاجل الفتاة ٠٠

ـ والغلام اللعين ، أود لو أخنق الفتاة وأرجم الغلام !

ـ الشرع يجلد العازب • « غمغم الصديق ٠٠ »

الشاب ٠٠ وقد استرخت الاذرع فى راحة قصيرة ، تربص بثغرة فى الحوائط البشرية ، فمد الساقين الى الرياح • عبر نصف متر ، ثم الى المدخل والباب مفتوح ، وبه أياد قليلة ، اخترقها كالسهم ، ثم الى الفضاء الخارجى الممتد البارد ، الى حيث صار عند نهاية الشارع لينحرف الى أول شارع عرضى ـ بعدها غاب عن الانظار ! ٠٠

••• والفتاة ! ٠٠

الفتاة كانت لا تزال فى نفس البقعة رغم الدقائق الهائلة الصاخبة المروعة • قدماها تسندان جسدها اليائس بصعوبة ، واثر ابتعاد بعض الضجيج فى اثر الشاب ، ارتكزت بظهرها الى الحائط الرخامى ، متدلية بنظراتها الى الارض الرخامية •

نصف المزدحم ، قد أسرع فى ذيل الهارب الذى افلت بأعجوبة ، أحدهم ليحرض المارة ، ويحث على القبض عليه ، صاح : « حرامى ٠٠ »

وترك المارة فى اثره ، وان بدا من فارق السرعة ، والاصرار ٠٠ انهم لن يمسكوا به ! ٠٠

اثر افلات نصف الجناة ، فان الموضوع قد تغيرت أبعاده ـ الكلمات توقفت ـ وقد تدخل رغما وقسرا دافع جديد من الاشفاق •

الصديق المحايد ـ استبشر خيرا •

الفتاة ، والصمت الذى شاع لدقيقة ، الولد القوى المشاغب سليط اللسان ، قد أفلت ـ ظلت هى مستكينة ضعيفة صامتة ، حتى لا تبحث عن كلمة واحدة تقولها •

الدكتور فى نبرات حادة تدارى عطفا وليدا واهنا :

ـ لماذا يا بنيتى تقبلين ذلك ؟! خدعك ٠٠ ؟!

غير ان البنت ، رغم الفائدة الهائلة التى ستمرد من موالفتها ، لم تومىء بالموالفه وظلت عيناها متدليتين فى شلل أخرس •

ـ طيش يا شاطرة • تجربة سيئة قاسية !

الكلمات باهتة غير مترابطة ، خجول مع وجود الفتاة وحدها ، فرار الصغير الغلام أعطى الامور معانى جديدة ، وقد ساد هدوء ٠٠ وضاعت لحظات الهياج والتوتر

الصديق قال ـ الفتاة ابنة احدهم ـ وشقيقة وقريبة •••

ثم فى صرامة :

ـ أمر يجب حدوثه ـ الستر !

هى ، تماسكت طويلا كي لا تسقط ممدودة متهاوية طويلا أصرت أن تستمر فى الوقوف ، ولكن مع الكلمات الاخيرة المتعاطفة المشفقة احست بالموقف كله فى صورة واحدة عريضة ، بانورامية مجسمة من الماضى وحتى الدقائق الدامية ـ الدماء تسيل ، تنزف ، اجهاض ٠٠ جراح هتك الامال !

ـ القبلة الرائعة الدافئة ـ الاحتضانة ، والجسدان ينتفضان ، وقد شعرت بسعادة حسية غامضة ، وهو يتحسس شعرها ٠٠ و ٠٠ يداه • قبلها كانت لقاءات عديدة ـ دخلا السينما ، كلمات حب طويلة ، الولد وبنات الحى الشعبى فى مؤخرة « بولاق الدكرور » كلهن يتحدثن عنه ، حلاوته وجراءته ، لكنه لم يخدعها ، قال لها ، ووثقت بكلامه ـ انه لو استطاع الزواج لتزوجها ـ بقى عامان على تخرجه فى الجامعة• قال لها وبصراحة ـ وكلامه كله صريح ، ان رغباته تؤرقه حتى انه قد توجه الى طبيب قال له ضاحكا :

ـ عليك بالرياضة ، الساحات الشعبية متوفرة !

قال لها انه يحبها ، من يوم عرفها لا يحادث فتاة عداها ـ وهذا حقيقى ، ولكن كيف ، أين ؟! انه يحلم ، كيف على مائدة الحياة لا يتذوق رحيق وجبات الاحلام ٠٠ التليفزيون ، المجلات ، كلام الزملاء ، حتى الاذاعة • حتى كل الاغنيات ٠٠

الطريق عندما أمسك يدها ، كان مظلما ، وبرودة تشمل الليل • كلماته تنزلق ٠٠ لا يستطيع فى الطريق ذلك البعيد عن بولاق الدكرور سوى أن يمسك يدها ٠٠

كان ناعما ، جارفا ، ينساب الى كل كيانها ، وباب مفتوح ، والمدخل مظلم ، وهو مرتعش الصوت ، حالم جميل النظرات ٠٠

ـ احلم بقبلة الان ٠٠ وأموت !

كيف يموت من أجل قبلة ٠٠ الباب مفتوح ، ولا أحد ، وهناك ٠٠ الصيحات ، الصرخات ، الدماء ٠٠ هتك الامال ، والاحلام •

الصيحات ، العــار ••• الصيحات ، الصرخات تستحيل الى زغاريد ، عروس الليلة ـ فستان الزفاف، عبارات التهانى ، مبروك يا عروسة ، ويا عريس ٠٠ قبلة الام وفرحة الاب ، وضحكات الاطفال ، والبنات يحسدن ، والنساء يثرثرن •

والعريس هو ، اليدان متشابكتان ، كوشة الزفاف والراقصة والاغنيات ، والحجرة ـ حجرة النوم ـ نومهما ٠٠ الرائعة الجديدة فى كل شىء ، والامتداد حتى غاية الزمان • والكلام ، وقد خمدت كل الاشياء عدا كلماته ٠٠ الكلام يمهد ، ناعما قويا ٠٠ يقدم سريان الغد ، والاطفال ، ومكان على خريطة الانسان•

نظر الجمع اليها ، وقد شحب لونها • وفجأة هوت ••• امتدت كل الايدى تجلسها على مقعد البواب ، مع الكولونيا ، والعبارات المواسية المشفقة التى تصنع كل المحاولات ، كى تفيق ٠٠

اخيرا تفيق ، وفى هدوء يشيعانها ، وقد جثم الصمت والسكوت الموحش ـ والظلام •••

عدا عربات فارهة تمرق وهى فى خطوات واهنة ، لمدها ٠٠ مغادرة دائرة الاحلام

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمي ●

● الفضل لمن سبق ●

وقعت جفوة بين الحسن بن علي واخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما ، فانصرفا متغاضبين • فلما وصل محمد الى بيته كتب الى اخيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن علي بن ابي طالب الى أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب ، اما بعد ، فان أبي وأباك علي بن أبي طالب، لا تفضلني فيه ولا افضلك ، ولكن لك شرفا لا ابلغه ، وفضلا لا ادركه ، فامك فاطمة الزهراء وأمي امرأة من بني حنيفة: فو الله لو ان ملء الارض مثل امي ما عدلن امك ،فاذا بلغك كتابي هذا ،فالبس رداءك ونعليك ، وسر الى فترضني ، واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذى أنت اولى به مني •• والسلام »

فما أن قرأ الحسن الرقعة حتى بادر الى اخيه فترضاه •

● الامير الزاهد ●

قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام ، وأبو عبيدة بن الجراح أمير عليها فتلقاه بالترحاب فقال له عمر : اذهب بنا الى منزلك • فقال أبو عبيدة : وما تصنع عندي ؟ ما تريد الا أن تعصر عينيك علي « أي تبكي » •

ودخل عمر منزل أمير الشام ، فلم ير اثاثا ولا رياشا ، فقال : أين متاعك ؟ لا أرى الا بساطا من الصوف وقربة صغيرة وانت أمير ! ••• أعندك طعام ؟

فقام أبو عبيدة الى سلة صغيرة،فاخذ منها كسيرات ••

فبكي عمر •• فقال أبو عبيدة : قد قلت لك انك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين •

● جواب الامام ●

سئل الامام علي كرم الله وجهه : كم بين السماء والارض ؟

فاجاب : دعوة مستجابة !

قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟

قال : مسيرة يوم « يعني مطلع الشمس ومغربها » !

● مستجاب الدعوة ●

كان سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ مستجاب الدعوة وقد سمع يوما رجلا يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه، فلم يسكت •

فقال له : اذن أدعو عليك •

قال الرجل : تهددني كأنك نبي ؟!

فتوضأ سعد وصلى ركعتين • ورفع يديه وقال : اللهم ان كنت تعلم أنه سب أقواما تحبهم ، فاجعله آية وعبرة •

فلم تمض ساعة حتى خرجت من احدى الدور ناقة لا يردها شيء حتى دخلت في زحام الناس ، كأنها تبحث عن شيء ، ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها تتخبطه حتى أشرف على الموت !

● السبع الموبقات ●

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اجتنبوا السبع الموبقات • قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » •

رفــة العبـير!

● محمـــد مجمود غديه ●



الصمت والليل المديد
وسفائن الحزن الوليد ..
والجرح الغائر فى الأعماق،
ينضح بالصديد
وشواطىء النهار ...
بعيدة لاتبين
ومدائن الأحلام ..
تغتال شوقنا الدفين ؟

***

يا رفة العبير
رغم افول النجم ..
وتنبؤ العرافة
يا أجهاض حبنا الكبير
وخطى التوقع المرير
والكهولة رغم شبابنا النضير
وقلبنا مبعثر المصير
وعالمنا الفقير

***

سأظل اسافر فى عينيك
فوق جناحى الأشواق
محفور أسمك.. فى الاعماق
اعانق كفيك ..
والوعد الصادق
بلا انتهاء ..

● محمد محمود غديه ●
المحلة الكبرى

نـجـم بعـيـد!

● مصطفى عبد الرءوف ●

والليل يغشى ايكتى وظلامه يطوى الحدود
وطوارق الأوهام تهمس فى فؤادى بالوعيد!

احذر .. فللحب شباك ، وشراك ، وقيود !
الحب نار ، ولظى ، ورماده مثل الجليد !

***

عيناك لؤلؤتان من بحر على نجـم بعيـد
وعليهما من وارف الأهداب والظل المـديد

وحياءخديك الذى سكب الضياءعلى الوجود!.
وشفاهك الشهد التى بخلت بمكذوب الوعود
عزت على نفسى المنى فلثمت أطراف الورود!

***

فسهرت مثل العاشقين وانجم الليل شهود

حتى أتى الصبح فيممت الى حقل النشيد..
قد صرت فى سجن الهوى،لله ما احلى القيود

روح عن نفسك

هذه صفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة والاجابات أسفل الصفحة ..

اولا : لغز بالشعر

بصير بما يوحى اليه وماله
لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره
اليه اذا ما حركته الاصابع
ـ ما هو ؟

ثانيا اختبر ذكاءك

١ ـ وصف لك الطبيب ثلاثة اقراص لتناولها كل نصف ساعة ، فكم ساعة تمضى بين تناول القرص الاول والاخير

٢ ـ أيهما أوفر ؟ ان تدعو صديقين الى السينما ، كلا منهما على حدة ام تدعوهما معا مرة واحدة ؟

٣ ـ ما الاعداد الثلاثة التى حاصل ضربها يساوى حاصل جمعها ؟

٤ ـ اى سؤال لا يمكن الاجابة عنه بكلمة « نعم » ؟

٥ ـ ما اكبر جزيرة كانت موجودة فى العالم قبل اكتشاف استراليا ؟

ثالثا : الغزاة المختفون

فى كل جملة من الجمل التالية اسم قائد مشهور من قواد التاريخ ولكن كل اسم من هذه الاسماء مختبىء بين كلمات الجملة ، فهل يمكنك ان تستخرج اسماء هؤلاء القواد ؟

١ ـ هذا الرجل ليس من بلدنا بل هو يونانى .

٢ ـ هذا الرجل ليس بخياط ولا طاه ولا كواء .

٣ ـ قل له انى بالدار .

رابعا : اختبر معلوماتك فى الادب الغربى

١ ـ من هم الاربعون الخالدون ؟

٢ ـ من القائل :الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ؟

٣ ـ ما اعظم مؤلفات جيته ؟

٤ ـ من مؤلف كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » ؟

٥ ـ من الكاتب القصصى الذى ابتكر شخصية « شرلوك هولمز » ؟

٦ ـ ما جنسية « عايدة » بطلة اوبرا عايدة لفيردى ؟

٧ ـ اى قصص ديكنز تتناول الثورة الفرنسية ؟

٨ ـ من اشتهر باسم «ابو التاريخ»؟

٩ ـ ما الاجر الذى حصل عليه الشاعر الانجليزى ملتون عن قصيدته « الفردوس المفقود » ؟

١٠ ـ فى اى قرن عاش موليير الكاتب الفرنسى المعروف ؟

الاجـابات

اولا : لغز بالشعر : هو القلم

ثانيا : اختبر ذكاءك :

١ ـ ساعة .

٢ ـ ان تدعوهما معا حتى لا تدفع اجر دخولك مرتين .

٣ ـ الاعداد ١ ، ٢ ، ٣

٤ ـ هل انت نائم ؟

٥ ـ استراليا لان عدم اكتشافها لا يعنى عدم وجودها .

ثالثا :

١ ـ نابليون (.. بلدنا بل يونانى)

٢ ـ هولاكو « .. ولا طاه ولا كواء»

٣ـ هانيبال « .. له انى بالدار»

رابعا اختبر معلوماتك فى الادب الغربى

١ ـ هم اعضاء الاكاديمية الفرنسية

٢ ـ الشاعر البريطانى رديارد كيلنج

٣ ـ فاوست .

٤ ـ لورنس .

٥ ـ البير آرثر كونان دويل .

٦ ـ حبشية .

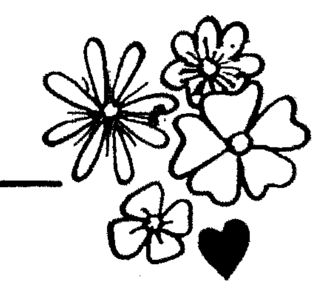
٧ـ قصة مدينتين .

٨ ـ هيرودوت .

٩ ـ خمسة جنيهات !

١٠ ـ فى القرن السابع عشر .

ورد وحب..



حين أهديتها على الغصن وردا

مستعيرا من خدها الأرجوانا

جزعت أن تمسه ـ وهو عطر ـ

ومن الورد ما يروع الحسانا

قالت : النار فيه .. أم فيه قلب

يبعث النار ؟ .. ثم مالت حنانا

قبلته .. فقلت : كان زمانا

ذلك الورد . ثم صار مكانا

سألت : ان حملته .. كيف يلقى

حامل الأحمر المثير أمانا ؟

أين يحيا بين العذارى .. أليست

تهمة أن أضمه وامتهانا ؟

قلت : يحيا ما بين خدين زادا

هذه الأرض في الهوى دورانا

كيف تنسين أن خديك أشهى

من ورود الدنيا وأحلى افتتانا ؟

فاقبلي الورد .. انه مستمد

منك روحا ـ أو ـ ملهم خفقانا

واقبلي القلب .. انه حقل حب

أي حب لا ينبت الايمانا ؟

● سليم الرافعي ● طرابلس ـ لبنان


الهلال
مجلة الفكر العربي
حظوظ وأقدار
عدد خاص
نجاحك .. ذكاء أم حظ؟
صاحب الجلالة الحظ مظلوم
هل تعرف توأمك الزمني؟
قاموس مصطلحات الكواكب والأبراج

يونيـة ١٩٧٩

الهلال

مجلة الفكر العربى

- الخيط المقطوع بين التوجيه الدينى والشباب
- مع د. زكى نجيب محمود : حوار مساحته الزمنية نصف قرن
- نجيب محفوظ : بدأ فى طريق وسار فى طريق آخر
- تنيسى وليامز .. يتحدث مع نفسه
- الفسطاط : الجامعة الاولى فى مصر الإسلامية

الحمام
طائر جميل
وحشى أليف

استطلاع

كلمة الهلال

مسئولية أهل الفكر

لم تكن امة العرب احوج الى مفكريها فى اى وقت مضى مما هى اليوم ، لانها تجتاز اليوم امتحانا عسيرا وعليها ان تخرج منه اقوى بنيانا ..

وليست تلك اول ازمة عنيفة تتعرض لها امة العرب ، فقد سبقتها ازمات وازمات ، وخرجت منها بحمد الله ظافرة موحدة الكلمة والصفوف .. ولم تستطع النجاة فى المرات الماضية الا بفضل رجال العلم والفكر الذين وقفوا دائما صفا واحدا متمسكين بوحدة الامة عاملين على توحيد تلك الخيوط التى يتكون منها نسيج الفكر العربى .. وهل ننسى ما فعله المفكرون فى القرن السابع الهجرى وما بعده للمحافظة على وحدة الامة بعد ان اجتاحتها اخطار الصليبيين واخطار المغول ..

لقد انصرف جهد اهل العلم والفكر فى تلك العصور الى المحافظة على تراث الامة الفكرى وهو رمز وحدتها، فالفوا المعاجم وكتب التراجم واعادوا كتابة العلم كله حتى لا يضيع . ذلك ما فعله ياقوت وابن خلدون والمقريزى والسيوطى وابن عساكر وابن منظور ومرتضى الزبيدى وغيرهم كثيرون .

وعندما انجلت الازمة وطلعت الشمس من جديد وجدت الامة تراثها سالما غير منقوص ، فبنت عليه ..

ان واجب رجال الفكر فى هذه الظروف كبير ..

ان عليهم ان يدركوا انهم المسئولون اولا وآخرا عن ربط الاجيال والمحافظة على تراث هذه الامة وشعلة الفكر ..

عليهم ان يؤكدوا لهذه الامة انها خالدة بوحدتها وبفكرها وبحضارتها وبايمانها بنفسها ..

لان الازمات تجىء وتروح ..
ولكن الامة باقية خالدة ..

المحرر

فى هلالك
هذا الشهر

● موضوعات عامة ●

● دراسات ●

● علوم وطب ●

● استطلاع بالالوان ●

● الناس والعصر ●

● أدب ●

● سينما ●



رجب ١٣٩٩ هـ
يونيـة ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ اسسها جرجى زيدان، سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون ـ
أول يونيـه ١٩٧٩ ـ ٦ من رجب
سنة ١٣٩٩

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

ص

من " الهــلال "

جرت عادة الهــلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليهــا .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير (الهلال) غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الوريدى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحـوالة بريدية غير حكومية .

فى الخارج بالبريد العـادى ٧ دولارات او ٤ جـ . لـ بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ جـ . لـ . تسدد بشيك مصرفى لقســم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

الخيط المقطوع بين التوجيه الديني والشباب

بقلم: رئيس التحرير

ليس في الاسلام أساسا رجال دين .
هناك علماء في شئون الدين وهناك فقهاء أجلاء ،ولكننا لا نستطيع أن نتحدث في عالم الاسلام عن وجود جماعة رسمية تسمي رجال الدين كما نجد في الاديان الأخرى .

ولكن العرف جرى من سنوات على أن يسمي علماء الدين وفقهاؤه والمتخصصون في الدراسات الاسلامية المتخرجون في الازهر وكلياته برجال الدين . ويدخل في زمرة هؤلاء أهل الدراية بشئون الدين من رجال وزارة الاوقاف ويتبعهم أئمة المساجد والوعاظ ومن يقومون بخدمة الجانب العلمي من شئون المساجد .

تسمية خاطئة ، ولكن العرف جرى بها ، ولا بأس من استعمالها في مثل هذا الحديث حتى يعرف الناس عمن نتحدث وماذا نريد أن نقول ..

***

وقبل أن أدخل في حديثي أحب ان أضيف أنني من المشتغلين بعلوم الاسلام ، وعمري كله أنفقته في خدمة تاريخ الاسلام وأحوال المسلمين وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وأنا اذ اكتب هذا الحديث أكتب لقوم هم مني وأنا منهم وان اختلفت سبل التكوين والتعبير ، فليأخذوا كلامي على أنه كلام عضو من الاسرة الكبيرة التي تخدم الدين وعلوم الدين والجماعة الاسلامية بصورة عامة .

والله سبحانه نسأل أن يجعل كلامنا بردا وسلاما على قلوب الاخوة أجمعين .

***

والذى دفعني الى كتابة هذه السطور هو ادراكي لحيرة شباب العصر وضيعه أمرهم فيما يتعلق بشئون الدين خاصة واحساسهم الكامل بأن الخيط مقطوع بينهم وبين رجال الدين ، واحساسنا نحن بأن معظم الانحرافات التي نراها في صفوف الشباب ، ما بين منحرفين الى أقصى اليمين ومنحرفين الى أقصى اليسار ، كل هذه راجعة الى هذه القطيعة بينهم وبين رجال الدين ، من هيئة كبار العلماء الى أئمة المساجد والواعظين .

وأحب أن أقول ان الشباب غير مسئول عن هذه القطيعة بل يسأل عنها سادتنا الذين يجمعهم قولنا رجال الدين فموقفهم أو موقف أكثرهم من الشباب لا يوصف بأنه موقف صديق أو أب أو مرشد أو موجه وانما هو موقف سلبي وأحيانا غير ودى بصورة تدعو الى العجب .

وقد كانت لي صلة وثيقة بالمغفور له الشيخ عبد الحليم محمود وبنفر من وزارة الاوقاف السابقين ، وكانت الاحاديث تجرى بيننا في ذلك الموضوع وفي ذات مرة طلب الى وزير من وزراء الاوقاف أن اكتب مذكرة برأيي في هذا

الألوف الذين تخرجوا في الكليات والمعاهد الأزهرية وما يجري مجراها، ماذا يفعلون لخدمة الشباب وتوجيهه التوجيه الديني الصحيح..؟!

الموضوع واقترح فيها ما أرى من الوسائل التي تجعل جيش رجال الدين على صلة أوثق بالشباب ، مما يمكن لهم من أن يقوموا بخدمة ابناء الجيل الصاعد ويحميهم من الانحرافات ويمكنهم من أن يسيروا في طريقهم على ود موصول بالعلماء والفقهاء ..

وكتبت المذكرة وقدمتها له ، ولا ادرى الى يومى هذا ماذا فعل الله بها ، ولكنى سألت الوزير بعد أن غادر الوزارة فقال لى وهو يبتسم : اصحابنا لم يرضوا عنها ولا عما ذكرت فيها ، لأنهم لا يحبون أن يتدخل فى شئونهم رجل ليس منهم ، انهم يعتبرون مثلى ومثلك غرباء أو دخلاء ..

***

ولكن المسألة تعود الى ذهنى بين الحين والحين ، وكلما ذهبت الى المسجد للصلاة رأيت شبابا مؤمنا يصلى ،ولكنى لم أجد قط شابا راضيا عما يقول معظم رجال الدين فى الخطب . وفى ذات مرة فى الصيف الماضى وفى أحد مساجد الاسكندرية أحب شاب أن يناقش الفقيه فيما قال بعد الخطبة والصلاة وكنت فى المسجد عندما تقدم الشاب يسأل الشيخ فوجدت الشيخ يتكلم ويطيل ، ولكنه لا يجيب قط عما سأله فيه الشاب ، انه يلقى عليه حديثا مكرورا محفوظا لا يخرج الشاب عن الحيرة التى هو فيها ، ولا هو يعطيه جوابا عن السؤال الذى ألقاه .

وأغرب ما حدث أن الشيخ فرغ من الكلام مع الشاب ثم قال له : والآن دعنا الى ما هو اهم ، ثم التفت الى رجل كان جالسا فى انتظار الشيخ وقال له : والآن قل لى يا فلان : هل تم التراضى بينكما بما اقترحته عليك ؟

ــ لا يا سيدى الشيخ ..

وأخذت بيد الشاب الذى اراد أن يستفتى الشيخ ، وجلست معه جلسة طويلة حاولت أن أجيبه فيها عما يحيره وانصرف عنى راضيا فيما اظن .

وقلت لنفسى : الى من يتوجه هذا الشاب يلتمس التوجيه الدينى الصحيح؟ من ابيه وهو يقال لا علم له بشئون الدين .. ام من امه وهى لا تقرأ ولا تكتب .. أم من امام المسجد وهذا هو موقفه منه وتلك هى حاله معه ؟.

وليست حالة هذا الشاب فريدة فى بابها ، بل هذه هى حال جميع الشباب فيما يحزبهم من أمور الدين والدنيا ، لا يجدون قط من يوجههم ويرشدهم أو يعطيهم جوابا نافعا عن أى مشكلة من المشاكل التى تحتاج الى رأى رجل عارف بشئون الدين وأحوال العصر ومشاكله ومتاعب الشباب فيه ...

الخيط المقطوع بين التوجيه الديني والشباب

لأن الحقيقة أن الحبل مقطوع بالفعل بين الشباب ورجال الدين ..

***

وقد رأيت أن من واجبي - كرجل من رجال الفكر وواحد من العاملين في ميدان الدراسات الاسلامية أن أثير هذا الموضوع ..

ان لدينا آلافا من الشيوخ الذين تخرجوا ويتخرجون في الكليات والمعاهد الازهرية ، وما يجري مجراها ، وهؤلاء جميعا يحتلون وظائف تستطيع أن تسميها دينية ، ما بين اعضاء في هيئات التدريس ، أو في معاهد البحوث الدينية أو في المساجد ووزارة الاوقاف.

فماذا يفعل هؤلاء الالوف لخدمة الشباب وتوجيهه التوجيه الديني الصحيح ؟

واذا كانت قد نشأت جماعات من الشباب شديدة التعصب منحرفة عن النهج الاسلامي القويم ، حتى أن بعض افرادها مالوا الى الاجرام وروعوا الناس بما فعلوا وبعضهم الآخر يندرج في جمعيات دينية أشبه بالسرية ، وهذه الجمعيات تقوم بأعمال تضر بمصالح البلاد ، ولا أريد أن أذكر وقائع فالامر معروف .

فهل عنيت مشيخة الازهر مثلا بعمل دراسة حول العلاقات بين الشباب ورجال الدين ...

أو هل عنيت بعقد الندوات وعمل الدراسات الميدانية والاستبيانات عن مشاكل الشباب واتجاهات الشباب، حتى يعاونوا الشباب الحائر على العثور على الطريق القويم ..

الذي اعلمه ان ما يفعلونه الى الآن ، هو الاستنكار وصب اللعنات على المنحرفين وما أيسر صب اللعنات على من لا ترضى عنهم القلوب .

كان ينبغي على الازهر ووزارة الاوقاف ومجمع البحوث الاسلامية ، أن يقوموا بدراسات ميدانية يستطلعون بها موقف الشباب من الدين ، ويتعرفون على المصادر والأصول التي يأخذون منها علمهم الذي يؤدي بهم الى الانضمام الى تلك الجمعيات وما الذي يجعل الكثيرين منهم ضحايا المشعوذين ..

وكنت أرجو أن يقوم الازهر ومجمع البحوث بتكليف رجالهما المنتشرين في كل مكان بالاتصال بالشبان على كافة المستويات واستطلاع آرائهم وكسبهم الى جانبهم حتى لا تتكرر مآسي الانحرافات ..

أما أن يقف شيخ أزهري جليل بين يدي السيد الرئيس ويقول ان المنحرفين قلة لا تذكر ولا يؤبه لها ولا داعي للقلق من ناحيتها - فأمر يدل على بعد عن فهم طبائع الحركات الخطرة الهدامة .

فهي دائما تقوم على أعداد قليلة جدا من الافراد ..

ولكن هذه الاعداد مهما قلت ، شديدة الخطورة نظرا لنشاط افرادها ، فهم في الغالب اما من المتهوسين أو من المأجورين والفريقان في الضرر والشر سواء ...

واذا كانت هذه القلة تضرب على وتر الدين في بلد شديد الحساسية لشئون الدين ، فالأمر يدخل في دور الخطورة دون أدنى ريب .

***

ولماذا لا يدرب نفر من أولئك الشيوخ للتخصص في شئون الشباب وطرق الحديث الى الشباب ..

ولماذا لا تنظم الامور من هذه الناحية بحيث تكون هناك ساعات للشباب في المساجد ، ويجلس الشيوخ ويستمعون

الى ما يقول الشباب ويوجهونهم التوجيه الصحيح ...

ولماذا لا ينشر مجمع البحوث دراسات عن الشباب وعلاقاتهم بالدين ورجال الدين ومشاكل المجتمع حتى نعرف أين نحن والى أين نسير ..

لا شيء من هذا على الاطلاق ..

وانما الذى نسمعه ان الشيوخ يطالبون بزيادة حصص الدين فى المدارس ، وبانشاء وظائف تدرس لشئون الدين فى الجامعات ، أى ان الامر ينتهى الى طلب وظائف .

ومن المعروف لدينا جميعا ان التلاميذ فى المدارس لا تجتذبهم دروس الدين ، لا نفورا من الدين بل نفورا من الطريقة التى تدرس بها مادة الدين ..

وقد اشتغلت بالتدريس زمانا طويلا، فما عرفت من مدرسى مادة الدين الا القليلين الذين يستطيعون اجتذاب انتباه الصغار والحديث اليهم فى هدوء .

ولم أر فى حياتى من الشيوخ من يستطيع القاء درس فى الدين يجتذب القلوب ويؤثر فى الافئدة ، الا نفرا قليلا جدا .. اذكر منهم المغفور له الشيخ عبد الحليم محمود ، والشيخ متولى الشعراوى ، والشيخ عبد المنعم النمر وزير الاوقاف ، والشيخ عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر .. وكل من هؤلاء محسن اذا تكلم ومحسن اذا كتب ، وكلامهم يجد مدخلا سهلا الى نفوس الشباب وغير الشباب ، ومن هنا فعليهم واجب ربط الخيط الذى انقطع مع الشباب .

ولم اقرأ من الكتب التى الفت فى العقيدة فى ايامنا هذه الا كتابا واحدا استطيع أن أقول ان كلامه سهل المدخل قريب من القلوب ألا وهو كتاب المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت .

وما عدا هذا من الكتب التى الفها الشيوخ فى موضوع تقريب العقيدة والشريعة من نفوس القراء فلا يكاد يحض على قراءته أحدا ، لا شابا أو غير شاب ، ثم هو بعد ذلك جد قليل ..

***

وبهذه المناسبة أذكر أننى قرأت من سنوات كتابا قيما جدا يسمى المدينة غير المقدسة ، أى المدينة التى خرجت عن نطاق الدين تاليف هارفي كوكس ، يتحدث فيه عن ازمة رجال الدين فى الغرب ، ويقول ــ وهذا واقع ــ « انهم فقدوا دورهم هناك ، وأن الشباب والكهول قد انصرفوا عنهم ، وأنهم لذلك ينبغى أن يوجدوا لانفسهم دورا جديدا فى حياة المجتمعات المسيحية المتطورة » ..

لقد اثار هذا الكتاب عاصفة من الخوف فى قلوب رجال الكنائس فى الغرب ، لانه صور فى صراحة بالغة أزمة رجال الدين والكنائس فى الغرب حيال عالم يخرج من ايديهم (لا من ايدى الدين) يوما بعد يوم ..

اخشى أن تكون هذه الازمة قائمة هنا ونحن لا ندرى .. لأن الخيط بين رجال الدين والشباب لا يكاد يرى اليوم ...

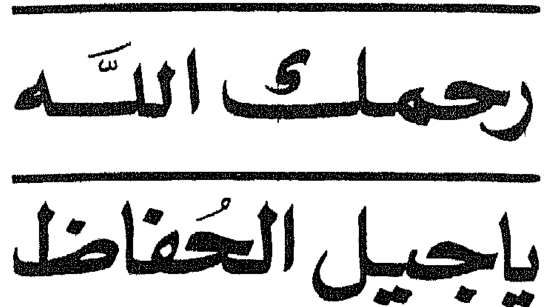
والموقف الذى يقفه معظم الشيوخ هو موقف قريب من عدم المبالاة ، لأنهم مطمئنون الى وظائفهم بل ان هذه الوظائف كل يوم فى زيادة .

ولكن هناك فرقا جسيما بين .. « الوظيفة » و « الدور » فالوظيفة درجة مالية لا تعنى الا صاحبها ..

اما الدور فهو المهم ، لان رجال الدين مثلهم فى ذلك مثل أساتذة الجامعات .. موظفون ينبغى ان يكون لهم دور فى الحياة ..

وبدون هذا الدور لا يصبح للوظيفة فى ذاتها اى معنى الا الراتب الذى يتقاضاه صاحبه من الدرجة وهذا فيما اعتقد لا يرضى الشيوخ





● محمد عبد الغني حسن ●

اذا كنا قررنا فى مقال سابق ان حفظ الجيد من نصوص الشعر والنثر يقوى الملكة الادبية ، ويقيم اللسان على اصح الوجوه وأبلغها ، افلا يحق لنا ان نتساءل اليوم : كيف صار الأمر إلى ان قلت الرواية الأدبية او كادت تندثر ؟ وكيف انتهى بنا الحال اليوم الى ان حفظ بيت من الشعر لشاعر او مقطوعة شعرية له كاد يكون امرا معدوما بين ادبائنا وباحثينا الناشئين ؟

ورحم الله زمانا كنا نتسابق فيه ـ فى الكتاتيب والمدارس والمعاهد العالية ـ فى حفظ نصوص جيدة كثيرة من الشعر والنثر ! وكان كتاب مثل « مجموعة من النظم والنثر : للحفظ والتسميع » ـ الذى احسن رجال من وزارة المعارف وقتذاك اختياره ـ يوزع علينا فى المدارس ويكاد يحفظ كل طالب منا ما اشتمل عليه من شعر ونثر .

وكذلك كانت كتب : « مجانى الأدب » للأب لويس شيخو اليسوعى ، و « جواهر الأدب » للشيخ احمد الهاشمى ، و « معراج البيان » للشيخ علام سلامة ، وغيرها من كتب المختارات والنصوص الأدبية

أما الكتب الأمهات فى الأدب ، كالعقد الفريد ، والكامل ، والأغانى ، والأمالى ، ونهج البلاغة ، والمقامات : حريرية او همذانية ، فقد كنا نقتنيها ـ للحفظ لا للزينة ـ وكانت قوانا الحافظة والذاكرة لا تعيا بالقرآن الكريم كله محفوظا ـ ومجودا فى بعض الاحيان ـ وبطائفة كبيرة من الحديث النبوى تطبعها « وزارة المعارف » وتوزعها علينا ، ويختبرنا المعلمون ـ رحمهم الله ـ فى استظهارها .

ومن هنا كان جيلنا سمينا غير هزيل ، وإن كنا أقل من أجيال من سبقونا فى القرن التاسع عشر الميلادى والعقد الأول من القرن العشرين ..

والحمد لله الذى أعاننا بحفظ القرآن الكريم فى « المكاتب » او « الكتاتيب » على حفظ كثير من الحديث النبوى ، ونصوص الأدب . فما أرهق كتاب الله حوافظنا ـ كما كان يظن ـ ولكنه شحذها وفتح شهوتها للحفظ الجيد من رياض الأدب شعره ونثره .

ولقد كان حافظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ـ ولا يزال على ندرته ـ يسمى « حافظا » ، كما كان ذلك شأن الحافظ للحديث النبوى .

***

ورحم الله زمانا كان يسمع فيه لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ضجة بتلاوة القرآن .. وكان الرسول يأمرهم بخفض أصواتهم لئلا يتغالطوا ...

واجمع كثير من المحققين وعلى رأسهم ابن الجذرى على أن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على خط المصاحف والكتب . استنادا الى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم ان النبى عليه



من أعجب الحفاظ الإمام الفقيه الوجيه "تقي الدين السبكي" والد "تاج الدين السبكي" صاحب طبقات الشافعية - العظيم.. فقد روى عنه ولده التاج أنه كان يستحضر بالحفظ كتب الحديث الستة غير ما يستحضره من غيرها من المسانيد والمعاجم والأجزاء

الصلاة والسلام قال عن ربه: «انى مبتليك، ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان » .. وما اكثر ما كان « حفاظ » القرآن الكريم فى حياة الرسول ! فقد كانوا جما غفيرا ، ما بين مهاجرين وانصار .

ويسوقنا الحديث عن « حفاظ القرآن الكريم الى الحديث عن «حفاظ» الحديث النبوى ، وهو موضوع كلامنا اليوم . واذا كان كلام الله يحفظ متنا خالصا بغير سند ، فان الحديث النبوى يحفظ بمتنه وسنده محدثا عن محدث ، وراويا عن راو . وفى ذلك ما فيه من الجهد الذى لا يقوى عليه الا الاشداء .

ولحفاظ الحديث النبوى طرائق مختلفة فى حفظ الحديث ، فقد كان الحافظ المفيد ((ابن الشرايحى)) — من رجال القرن الثامن — لا يدانى فى معرفة الاجزاء والعوالى ، كما كان آية فى حفظ الرواة المتاخرين ، يذاكر فيهم مذاكرة دالة على حافظة باهرة ، مع حظ من معرفة الرجال المتقدمين ، وغريب الحديث، وكان يعتمد فى ذلك كله على حفظه ، مع الاستعانة بمن يقرا له ... فقد كان — رضى الله عنه — اميا لا يقرا ولا يكتب . وقد شهد له الحافظ المؤرخ المشهور ((ابن فهد المكى)) بانه كان ((بهذه المثابة اعجوبة زمانه فى المحاضرة اللطيفة ، والنوادر الطريفة)) .

ويحدثنا « الصفدى » عن «الحافظ السروجى » فيقول : ما رايت بعد «ابن سيد الناس » مثله : ما سألته عن شىء من تراجم الناس ووفياتهم واعصارهم وتصانيفهم الا وجدته فيه حفظة ، لا يغيب عنه شىء ..

اما الحافظ التركى « مغلطاى » — صاحب سيرة الرسول المعروفة بالزهر الباسم ، فى سيرة ابى القاسم — فكان عارفا بالانساب معرفة جيدة .. فهو لا يكتفى بحفظ متن الحديث وسنده وسلسلة رواته ، بل كان يحفظ أنساب الرواة والحفاظ والمحدثين حفظا لفت اليه انظار المؤرخين .

اما الحافظ المؤرخ العسقلانى المصرى ((ابن حجر)) فكان يحفظ الصحيفة من ((الحاوى الصغير)) من مرتين : الاولى تصحيحا ، والثانية قراءة فى نفسه ، ثم يعرضها حفظا فى الثالثة .. ويذكر عن الحافظ ((المزى)) انه كان يفوق الحافظ المؤرخ الذهبى ، والحافظ تقى الدين السبكى فى اسماء رجال كتب الحديث الستة. اما الذهبى فكان متفوقا فى حفظ اسماء رجال الحديث من بعد الستة ، والتواريخ والوفيات .. اما الحافظ تقى الدين السبكى فكان متفوقا فى حفظ العلل والمتون ، والجرح والتعديل .

***

واذا كان بعض باحثينا ومؤلفينا اليوم يضيق بحفظ الآية أو السورة القصيرة من القرآن ، ويعجز عن رواية حديث واحد من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويعيا بحفظ بيت أو بيتين من الشعر — هذا مع اهمال نسبة الشعر الى أصحابه كما كان يفعل رواة الادب ، وكما تفعل بقية الرواة من أدبائنا اليوم ! — فان عالما « كابن المرحل » — أو ابن الوكيل — المتوفى سنة ٧١٦ هـ كان — كما يذكر النعيمى — صاحب الدارس فى تاريخ المدارس — يحفظ



متونا كثيرة ، فحفظ « المفصل » للزمخشري في مائة يوم ، وحفظ مقامات الحريري في خمسين يوما ، وديوان المتنبي في جمعة واحدة ..

وذكروا عن الامام الفقيه «ابن تيمية» انه كان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو اكثر ، لا يقرأ من كتاب ، بل يملي من صدره .. ومن عجائب الحفظ بين رجال الحديث والفقه ان « بدر الدين بن الشريشي » المتوفى سنة ٧٧٠ هـ كان ــ كما يقول النعيمي ــ يستحضر كتاب الفائق للزمخشري ، والصحاح للجوهري ، وكتب الجمهرة ، والنهاية في غريب الحديث ، وغريب ابى عبيد ، والمنتهى في اللغة للبرمكي ــ وهو أكثر من ثلاثين مجلدا .. ولم يصدق معاصروه ذلك فامتحنوه في مجلس حضره أعيان دمشق ــ اعنى أعيان الادب لا اعيان الذهب ــ فنجح في الامتحان سنة ٧٦٣ هـ .

ومالنا نذهب بعيدا عن أصحاب الحديث ، فقد ذكر المستشرق « جولد تسيهر » ، ونقلها عنه المستشرق « آدم ميتز » في «الحضارة الاسلامية في القرن الرابع » ، أن قاضي الموصل كان يحفظ مائتي الف حديث عن ظهر قلب ! .

على أن من اعجب الحفاظ الامام الفقيه الوجيه « تقي الدين السبكي » ــ والد تاج الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية العظيم ــ فقد روى عنه ولده التاج ــ وهو صادق صدوق ــ انه كان يستحضر بالحفظ كتب الحديث الستة ، غير ما يستحضره من غيرها من المسانيد والمعاجم والاجزاء . ويشهد ولده كذلك انه كان يحفظ كتاب « الام » للامام الشافعي ، و « مختصر المزني » وأمثالهما . وكان يحفظ « المحصول » للامام فخر الدين الرازي ، و «الاربعين» له ، و «المحصل» عن ظهر قلب .

وما أصدق ولده تاج الدين وهو يقول عنه بنص عبارته في « الطبقات » : (واما استحضاره لأبيات العرب وأمثالها ولغتها فأمر غريب . لقد كانوا يقرأون عليه « الكشاف » ــ للزمخشري ــ فاذا مر بهم بيت من الشعر سرد القصيدة ، غالبها او عامتها ، من حفظه ، وعزاها الى قائلها ، وربما أخذ في ذكر نظائرها ، بحيث يتعجب من يحضر) ..

وكان يستحضر «الكتاب »لسيبويه ، و « المقرب » لابن عصفور استحضارا عجيبا . ونعود الى ولده التاج مرة اخرى ليقول عن أبيه : (**واما حفظه لشوارد اللغة فامر مشهور . وكنت انا اقرا عليه في كتاب «التلخيص» للقاضي جلال الدين ، في المعاني والبيان ، انا وآخر معي ، ولم يكن فيما اظن وقف على التلخيص قبل ذلك ، وانما اقراه لاجلي ، وكنا نحكم المطالعة قبل القراءة عليه ، فيجيء فيستحضر من « مفتاح السكاكي » وغيره من كلام اهل المعاني والبيان ما لم نطلع عليه نحن ، مع مبالغتنا في النظر قبل المجيء ، ثم يوشح ذلك بتحقيقاته التى تطرب العقول**) ..

ولا يستكثرن قارىء على قاضي الموصل ــ الذى ذكره «ميتز »نقلا عن « جولد تسيهر » ــ أن يحفظ مائتي الف حديث نبوي ــ أى ربع مليون بلغة اليوم ــ فان الامام الفقيه الحافظ المحدث (أحمد بن حنبل) كان يحفظ ــ كما يذكر جرجي زيدان ــ نحو مليون حديث ، دون منها في مسنده المشهور نحو نصفها ..

***

ولا يسبقن الى الظن أن « حافظ » الحديث أو الأئمة المشهورين «بالحفاظ» كانوا يقفون بالحفظ عند حد الحديث النبوى ، فقد امتد مجال حفظهم الى فنون أخرى من العلم غير الحديث . كما انبسط مدى ملكاتهم الى اللغة والشعر والادب . فالامام الحافظ « ابن سيد الناس » المتوفى سنة ٧٣٤ هـ كان ــ كما يذكر السيوطي في ذيله على «طبقات الحفاظ» ــ اماما في الحديث ، ناقدا في الفن خبيرا بالرجال والعلل والاسانيد ، عالما بالصحيح والسقيم ، اديبا ،



وشاعرا ، بارعا متفننا فى البلاغة ، ناظما ناثرا مترسلا ..

وكذلك كان الحافظ المصرى « تقى الدين السبكى » كما راينا من قبل ، اما الحافظ « ابن رشيد السبتى » فكان — كماقال لسان الدين بن الخطيب — اماما مضطلعا بالعربية واللغة والعروض ، فريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وادبا ، فقيها ذاكرا للتفسير ، ريان من الادب ، حافظا للاخبار والتواريخ ..

وكان المؤرخ الحافظ « ابن كثير » صاحب (البداية والنهاية) اعرف الحفاظ لمتون الاحاديث ، واحفظهم لتخريجها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها ، وقد نظم الشعر ، وشارك فى العربية مشاركة جيدة — كما يذكر عنه النعيمى فى « دارسه » ، وكذلك كان الحافظ المؤرخ « الذهبى » صاحب « تاريخ الاسلام » المشهور ، فقد كان حافظا ، مؤرخا ، فقيها ، لغويا ، قارئا ، مصنفا.

وما أكثر حفاظ الحديث الذين كانوا يحفظون الشعر ويروونه ويعزونه الى اصحابه فى غير خلط ولا تلبيس ، وينظمون الشعر سواء أكان جيدا أم وسطا ! لقد كان الحافظ ابن كثير يحفظ الشعر وينظمه ، وكذلك كان الحافظ زين الدين النابلسى : شيخ دار الحديث النورية بدمشق والمتوفى سنة ٦٦٣ هـ ، ومن شعره فى الشوق الى صديق بغدادى :

ايا حسرتا انى اليك — وان نات
ركابى الى بغداد ما عشت تائق
ولو عنت الاقدار قبلى لعاشة
لما عاقنى عن حسن وجهك عائق

وكذلك كان الحافظ « تقى الدين السبكى » ، ولو أن شعره كان عليه مسحة من اشعار الفقهاء ! وهو فى هذا على الضد من ولده الحافظ المؤرخ تاج الدين — صاحب طبقات الشافعية — الذى كان ناقدا بصيرا بالشعر ، وكان صديقا حميما للشاعر المصرى : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى — صاحب الوافى بالوفيات — وكانت بينهما مطارحات ، ومفاكهات طيبة ..

ولعل الحفاظ — وخاصة الشافعية منهم — كانوا يصدرون فى روايتهم الشعر ونظمهم له عن شيخهم وأستاذهم الامام الحافظ « الشافعى » — رضى الله عنه — فقد روى له الرازى فى « المناقب » شعرا غير قليل ، الى حد ان التاج السبكى قال عنه : (ولا معنى للاكثار من ذكر شعر الشافعى رضى الله عنه ، وهو شىء قد طبق طبق الأرض ، وخلق رداء ليلها المسود ، ونهارها المبيض) ..

وليس بغريب أن يكون بعض حفاظ الحديث النبوى غير شعراء ولا لهم بالشعر بصر .. فان الشعر موهبة يهبها الله لمن يشاء ، وقد يخلى منها حافظا مهما كان حفظه ، لقد كان الحافظ « ابن الغرابيلى » — من رجال المائة التاسعة بمصر — ماهرا فى الفنون الا الشعر ، كما يقول عنه الامام السيوطى فى ذيله على طبقات الحفاظ.

ولم يخل قطر عربى أو اسلامى حتى القرن الحادى عشر الهجرى من حفاظ للحديث فيه. فلكل قطر حافظه الحجة الموثق فى كل عصر .

ولم يختلف فى ذلك مغرب عن مشرق ، ولا تخلفت الاندلس عن مصر والشام والعراق والجزيرة العربية ، فهناك « ابن ظهيرة القرشى » حافظ الحجاز ، وهناك حافظ الشام : ابن حجى . وهناك « نجم الدين الدهلى » حافظ الشام بعد الحافظ المؤرخ الامام الذهبى ، وهناك « ابن عساكر » المؤرخ المحدث حافظ الشام . وهناك الحافظ العراقى : « عبد الرحيم بن الحسين » المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وقد احتضنته مصر الى أن توفى فيها .

وهناك « ابن حجر » المؤرخ حافظ الديار المصرية ، كما كان قبله الحافظان السبكيان المصريان : تقى الدين وولده تاج الدين . وهناك « ابن الخياط » حافظ البلاد اليمنية المتوفى سنة

٨٣٩ هـ . وهناك حافظ المغرب « ابن سيد الناس » ، وهناك حافظ الاندلس « أبو حيان » صاحب « البحر المحيط » و « شرح التسهيل » وغيرهما ، وقد احتضنته مصر الواسعة الصدر زمانا طويلا الى ان لقى فيها وجه ربه سنة ٧٤٥ هـ ..

وقد اضاف المؤرخون ورجال الطبقات الى حفاظ الحديث النبوى اوصافا تدل على شمول «حافظيتهم» وامتدادها الى العصر كله بغض النظر عن القطر العربى الذى ينتمون اليه ، فهناك « حافظ الوقت » الذى أطلق على «زين الدين المصرى » ، و « حافظ زمانه » الذى أطلق على الحافظ « صلاح الدين ابن كيكلدى » المشهور بالعلائى — وقد أطلق عليه ايضا : (حافظ المشرق والمغرب) .

وهناك « حافظ العصر » الذى كان يطلق على الحافظ « زين الدين العراقى » ...

***

واذا كانت كتب رجال الحديث وطبقات الحفاظ لم تسجل لنا اسم « حافظة » من النساء ، فان هناك كثيرا من النساء « الراويات » و « المسندات » ، من امثال المسندة (رقية ابنة يحيى بن مزروع) المتوفاة بالمدينة المنورة سنة ٨١٥ هـ ، والمسندة : (سكينة بنت على السبكى) المتوفاة بالقاهرة سنة ٧٧٦ هـ ، والمحدثة الراوية (امة العزيز بنت الحافظ اليونينى) المتوفاة ببعلبك سنة ٧٤٥ هـ .

واذا كان آخر العهد بحفاظ الحديث النبوى قد انتهى — عند المؤرخ الحافظ المصرى (الامام السيوطى) صاحب « حسن المحاضرة » وغيره من الكتب الكثيرة ، والمتوفى سنة ٩١١ هـ ، وعند الامام الحافظ المؤرخ صاحب « الضوء اللامع » فى أعيان القرن التاسع » والمتوفى سنة ٩٠٢ هـ — كما يقول الشهاب الخفاجى فى شرحه للشفاء ، فانا لنرجو الا يكون « الحفظ » — جملة — قد انتهى بانتهاء تلك العهود الزواهر .

واذا كانت « المطبعة » مسئولة الى حد كبير عن زوال الحفظ وعهوده النواضر ، فانا لنرجو أن يبصر الله علماءنا وباحثينا ، والشداة من ادبائنا وشعرائنا بقيمة « الحفظ » واثره فى تكوين الشخصية العلمية ، حتى لا نجد من يعجز عن رواية حديث لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، او رواية بيت شعر ، مما يعد ذخيرة غالية من ذخائر تراثنا العظيم

موعد !

حدثتها عما الاقى فى الهوى
من لوعة وطلبت منها موعدا
قالت : غدا ووددت بطرف ساحر
حتى متى قول المليحة لى : غدا »

البحترى الصغير
« عمر شاهين »



● مصطفى عوض الله بشارة ●

زال الجفـــاءُ وعادت الأفراحُ

والقلبُ مفتونُ الرؤى خفـّــاقُ

وتعانقت في القـُربِ أحلامُ الهوى

وتزاحمتْ من فيضـها الأشــواقُ

وتمازجتْ مهـجٌ تحنُّ وأنفسٌ

في مجلسٍ يغريهم اســـتغراقُ

واذا الهوى زاد اللهيب تأججـــاً

وتســـامرَ الأحبابُ والعشـّاقُ

سـُعداءَ قدنعموا بسـاعة وصلهم

أنســـاً ونجوى ، حفـّهم اشراقُ

الـــكلُّ مبتهجٌ وصـبٌ هائمٌ

متـــأملٌ كم هـــدّه الارهاقُ

وهـــواهُ في وجـدانه متدافعٌ

جمُّ المشـــاعرِ ، صادقٌ دفـّاقُ

وبنظرةٍ .. خفقَ الفؤادُ محييـــا

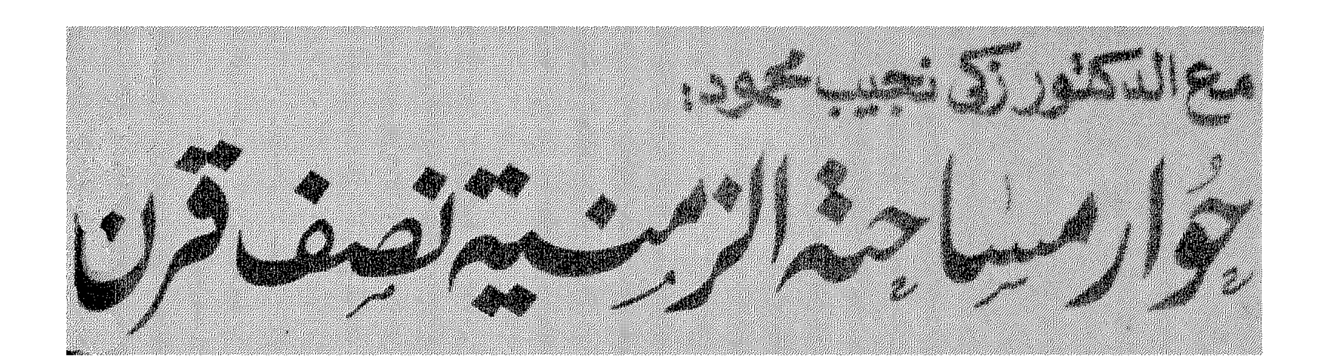
بســـماتهِ .. وتمايلتْ أعنـــاقُ

قد عاد عهدُ الحبِّ وارتحل النوى

بلقائهم .. وتضـــوعتْ آفاقُ

وكأنَّ صـَـادحة الطيورِ اذا شـــدتْ

طربتْ لها الأغصـانُ والأوراقُ !



● محمد سعيد ●

●● صدر في الفترة الاخيرة احدث كتاب للمفكر المشتغل بالفلسفة الدكتور زكي نجيب محمود «مجتمع جديد او الكارثة» . والمسافة الزمنية بين تاريخ صدور هذا الكتاب ، واول مقال منشور للدكتور زكي نجيب محمود تمتد الى نحو نصف قرن من الزمان .. تحفل سنواتها بالكثير من الافكار والاراء والمواقف لمفكرنا الكبير ، نحاول في هذا الحوار ان نستوعب اهمها ولن نقف امام ابرز العلامات منها وقفة مناقشة وتامل مع صاحب «الوضعية المنطقية» اكثر كتب مفكرينا اثارة للجدل والحوار والرفض والقبول ..

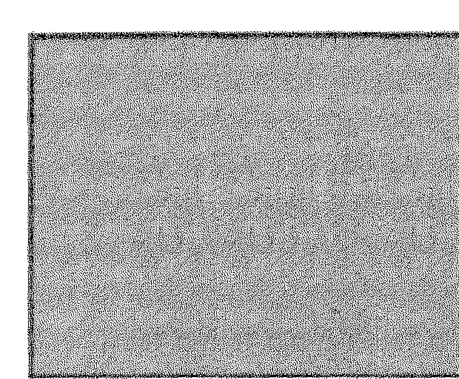
● **قلت له في البداية : قبل أن تبدأ معرفة الناس بك كاتبا للمقال الفلسفي والادبي على النحو الذى ظهر في مجموعة مقالاتك «جنة العبيط او فن المقال» الذى ظهرت بشائره منذ نحو خمسين عاما .. كيف اسهمت الظروف الخاصة والعامة في تكوين فكر زكى نجيب محمود ؟**

ويرد في حضور ذهن يدهش من يتابعه رغم استدعائه لخواطر قديمة :

لأن الانسان كما يقال إجتماعى بطبيعته لا يعيش مفردا ، ولهذا فهو يعيش مؤثرا متاثرا .. والتحديد يرجع بنا الى من أثروا فى تكوينى وأولهم الوالد والوالدة .. من **الوالد** اخذت طموح الدراسة لانه لم يكن يرضى باقل من التفوق الشديد ، ومن **الوالدة** اخذت الأخلاق اى المعنى الواسع الذى يعنى رد الفعل للمواقف ، فقد تعلمت منها أخلاقية التواضع والابتعاد عن الأضواء والاكتفاء الذاتى الى حد مختلف عن الآخرين ، اى بمعنى الرضا بالقليل .

وفى **محيط الدراسة** يؤسفنى أن أقول اننى لم أتأثر بالقدر الكافى من اساتذتى الذين درسوا لى ، بقدر ما تاثرت بالمفكرين ممن قرأت لهم ، فلم يصادفنى مدرس يشحننى بالعدوى العلمية ، بعكس من قرأت لهم مثل المفكرين المعاصرين وعلى راسهم **برتراند راسل الذى اخذت** عنه بعض





الدكتور زكى نجيب محمود

افكاره كجراة الهجوم على الاخطار وتفتبتها ، والافكار تكون وراء هذه الأخطار ، فالحروب مثلا فكرة تحتاج الى تحليل فكرتها قبل الاقتناع بها . وهذا يعنى اننى تاثرت بمدرسة التحليل الانجليزية .

وعلى المستوى العربى للانتاج الثقافى العريض فى العشرينات ، **تاثرت بالدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور محمدحسين هيكل** ، وكان طه حسين فى خيالى النموذج الذى تصورته ، وهذا لايعنى اننى اقترب منه او اشبهه ، ولكنه النموذج الذى شغل حياتنا الثقافية طويلا ومنذ العشرينات .

●● **بدا الدكتور زكى نجيب محمود حياته العملية قبل اقتحام مجال البحث الفلسفي فى التدريس وله راى معروف عن بنية التعليم ومنهاجه عندنا .. وقد ذكرته به لاعرف مدى تمسكه بهذا الراى بعد السنوات الطويلة ، ورايه فى التعليم يقول : ((أدركت القصور الشديد فى طريقة تربية اولادنا لاننا نخرجهم حفظة مادة علمية وليسوا مفكرين او قادرين على الابتكار من خلال التفكير)) ..**

●● ويقاطعنى الدكتور زكى نجيب محمود : ((اننى إزددت إيمانا بهذا الراى ، واستطيع ان اقول ان الفترة التعليمية الماضية كانت افضل ، فكان الكثير من الحفظ والقليل من التفكير والابتكار الى حدما. وفى الفترة الاخيرة كثر الطلاب كثرة هائلة ووجدوا عناية أقل من مدرسيهم ، ولذلك أصبح التلميذ يواجه المادة مباشرة فى بيته ، فلم يعد أمامه سوى أن يحفظ المكتوب على الورق .

والجامعة لا تتميز عن المراحل الدراسية السابقة عليها إلا فى ضرورة تغيير البنية العلمية ، فالجامعة لاتكون جامعة إلا إذا إنتقل الطالب من مادته إلى باحث .. فالعلوم الانسانية عملها الاساسى البحث فى المكتبة ... وفى العلوم الطبيعية العمل الأساسى المكتب والمعمل . وبغير هذا يصبح التعليم العالى إمتدادا للمدرسة الثانوية وليس تعليما جامعيا !

●● **وكيف ترك الدكتور زكى نجيب محمود التدريس الى مجالات البحث الفلسفى ؟**

يجيب صاحب الوضعية المنطقية : « إنها ميول خاصة وجدت عندى منذ الشباب المبكر ، وانا أذكر اننى فى سن السابعة عشرة وقعت على كتاب انجليزى فى ((**سلسلة بن**)) وكان عن **سقراط وارسطو وافلاطون** . ولما قرأت

هذا الكتاب احسست أن مثل هذا التفكير هو الذى خلقنى الله له ، لان القراءة الفلسفية وتتبع المعانى الفلسفية يحتاج الى عقل قريب من العقل الرياضي ، لأنه يبحث فى مجردات مشتقة من الجزئيات التفصيلية ، فهناك ثلاث درجات من التفكير، درجة تتعامل مع الاشياء كما هى على أرض الواقع ، ثم درجة التصميمات لما يشاهد من جزئيات على ارض الواقع، ثم درجة تعميم القوانين العلمية فى مبادىء فلسفية ، ويكون بعد العلاقة بين التعميم من المجرد الكبير الى الجزئيات .. والصبر على هذا التجريد يتطلب نوعا خاصا من الاستعداد ، وقد كان عندى .

●● قلت للفيلسوف صاحب مئات المقالات الادبية القيمة .. لكنك جمعت بين الاشتغال بالفلسفة والكتابة الأدبية .. هل وجدت فوارق بين الادب والفلسفة ؟

ــ يقول الدكتور زكى نجيب محمود: الأدب والفلسفة يختلفان إختلاف النقيض عن النقيض فى صفة عامة اذا كنا ننظر للفلسفة بالمعنى اليونانى، وهو المعنى الذى اخذه فلاسفة العرب ، علما بانها تجريدات مستقاة من وقائع الحياة .. نعلى حين أن الفلسفة تمعن فى التجريد ، يمعن الأدب فى التخصيص فمقياس مدى النجاح فى العمل الأدبى هو فى السؤال : إلى أى حد خلق شخصيات متفردة ومتميزة ؟

ومن الغريب ان الادب عندما يصور لنا شخصيات يصورها بحيث تتفرد، ولكن تصبح نموذجا مثل « هاملت » فلا يوجد رجل يطابق هاملت ، فهو فريد ، ولكن فى ذات الوقت هو نموذج استطيع معه أن أقول ان كل مثقف هاملتى الى درجة كبيرة أو صغيرة ، لأنه يميزه التردد والنظر الى المسألة من وجهيها ، فالأدب يمعن فى تخير الجزئيات المميزة والتى لا تكرار لها .. .

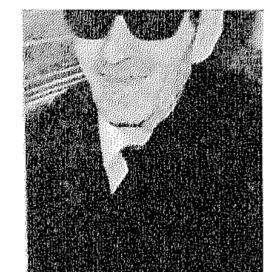
ان الفلسفة استمرار للعلم ، اى استقرار القوانين والمبادىء العامة ، ولكن هناك ضربا آخر من الفلسفة شاع عند **كونفوشيوس وبوذا** ، وشاع عند الحكماء مثل **أبى العلاء المعرى** . أمثال هؤلاء الناس لا يلجأون الى الفلسفة بالمعنى المجرد عند **افلاطون وابن رشد** ، إنما يضعون خبراتهم مكثفة فى كلام ، فتصبح فلسفة من حيث هى تعميم ، لكنها قريبة الى الادب من حيث هى خبرة بشرية مكثفة فالاجابة عن السؤال أن الأدب والفلسفة يتقاربان اذا كانت الفلسفة من حيث الخبرة عند الحكماء ويتباعدان اذا كانت من حيث فلسفة التجريد .

●● هل تعتبر كتابك او مجموعة مقالاتك « جنة العبيط » مجموعة ادبية أم دراسات تقترب من الفلسفة والأدب على النحو الذى اوضحته فى التقارب والتباعد بين الفلسفة والأدب؟

ــ جاء كتابى متأخرا لصدوره عام ١٩٤٧ ، والحقيقة أن المقاله الأدبية بالمعنى الحديث لم تكن معروفة فى الأدب العربى إلا إذا رجعنا للمقامات أو رسائل الجاحظ مثلا ، لكننى تأثرت فى فن المقال بالأديبين الانجليزيين «أديسون» و « ستيل » وكانا معا يشتركان فى نشر مجلة خاصة للمقالات الأدبية ، وكانت النموذج عندى للمقالة اذا أريد لها أن تكون أدبية .

●● قلت للدكتور زكي نجيب محمود : اصبحت معروفا فى مجال الفلسفة والأدب منذ نهاية الثلاثينات، من تعتبرهم اشهر زملائك ممن ينتمون معك الى نفس جيلك ؟

ــ كثيرا ما اتحير فى نفسى : فى اى جيل اضع نفسى .. فلا يمكننى أن اكون فى جيل **العقاد وطه حسين والمازنى والحكيم** وغيرهم ، وكذلك لا يمكننى ان اضع نفسى فى جيل **يوسف ادريس وصلاح عبد الصبور** .. لكننى استطيع أن اضع نفسى فى



الدكتور طه حسين



برتراند راسل



عباس محمود العقاد

● الأخلاق تساوي رد الفعل للمواقف المختلفة

● معظم طلابنا حفظة مادة علمية لايقدرون على الإبتكار والتجديد

● كل مثقف "هاملتي" بدرجة تردده ونظرته للمسألة

● أحترم الكاتب الذى يعرف الجديد فى العالم والقديم من التراث

جيل الروائى الكبير نجيب محفوظ برغم أننى أكبره فى السن ببضع سنوات ، والكاتب الكبير نجيب محفوظ درس الفلسفة وتخرج فى قسم الفلسفة بجامعة القاهرة .

●● بين جيلك وجيل اساتذتك وجيل تلامذتك .. هل تجد فروقا .. ولماذا تبدو الفجوة واضحة بين هذه الاجيال ؟.

ــ قطعا هناك فجوة بين الجيل الماضى والجيل الحاضر والجيل التالى . . فالجيل الماضى أساتذتى الذين قادوا الحركة الفكرية فى العشرينات والثلاثينات وعلى رأسهم طه حسين والعقاد والمازني والدكتور هيكل ولطفى السيد وسلامة موسى ، ومن الشعراء شوقى وحافظ واستاذنا توفيق الحكيم ..

هذا الجيل بنى لنا ما نسميه بالثقافة العربية المعاصرة ، لأنهم إنطلقوا وكان كل منهم يبحث عن حرية جديدة وضرب جديد من التحرر يصفه فى كتبه فى الشعر والتعليم والسياسة والفكر والادب ، وكان السبيل الى هذا اجادة التعامل مع التراث والتزود بلغة أجنبية ، بمعنى وجود خطين .. ماذا يقول العرب المسلمون ؟.. وماذا تقول أوربا ؟

وحدثت الفجوة الآن لأن الشباب اليوم لا يستطيع ان يقرأ التراث قراءة واعية ، ولا يستطيع ان يتابع الفكر الاجنبى بلغة عالمية ، مما ادى الى الفقر الشديد فى الخبرات برغم وجود المواهب، مما يوضح البعد الواضح بين جيل الرواد والاجيال الشابة برغم ايمانى بأن كل حلقة من التاريخ الفكرى تستند على الحلقة السابقة ، ولا بد للاديب والفيلسوف والفنان أن يستند على القديم قبل أن يقدم جديدا ، ولهذا احترم من الاجيال التى جاءت بعد جيلنا **الشاعر صلاح عبد الصبور ، والروائى يوسف ادريس** لهما يعرفان الجديد فى العالم بقدر معرفتهما بالقديم من تراثنا ..

●● بعد كتابك الشهير « تجديد الفكر العربى » هل لا يزال الدكتور زكى نجيب محمود متمسكا بدعوته الى تجديد الفكر العربى اليوم ؟

ــ ما زلت أعتقد أن هذا الفكر يريد تجديدا جذريا كما يقولون ، والفكرة فى غاية البساطة أننى أريد أن أكون عربيا يعيش عصره ، كيف يكون ذلك . . ؟ بالتشبع بتراث الأقدمين حتى يعكس

هذا الحس الخاص بالتذوق العربي واصب هذه القدرة المكتسبة على مشكلات عصري لا على مشكلات الاقدمين !

وهنا اتذكر المأساة التي وقعت لكتاب ((الفتوحات المكية)) لابن عربي وانا لا الزم اى انسان أن يكون متصوفا كما كان ابن عربي ، ولكن كيف يمكن أن نستمد من روح الآباء الاقدمين دون أن نقرأ لهم .. إن نهضتنا الحديثة تحتاج إلى الواقع ، وتحتاج أيضا الى معرفة روح الاسلاف ، حتى نستمد منها الوحي لروح جديدة .

●● وهل ترى ان حركة النقد الأدبي مسئولة عن تلك النظرة الى التراث مثل مسئوليتها عن مستوى الاعمال الادبية التي تظهر في الوقت الحاضر ؟ ..

وما هي العلاقة بين كل هذه الجوانب ؟

ـ بصفة عامة ، هناك علاقة واضحة .. لكن ما هو موقف الناقد الأدبي ، إنه يشبه دور عالم الطبيعة ، مثلا هناك ظاهرة ضوء يدرسها ليرى كيف ركبت والناقد امامه عمل أو كتاب أو انتاج أدبي يجب أن يدرس مكوناته فاذا كان الانتاج عاليا إرتفع الناقد معه في نقده ، ولكن يحدث أن تخلو الساحة من الانتاج الأدبي مع وجود انسان موهوب في النقد .. ففي هذه الحالة نراه يرتد إلى انتاج الآخرين فيدرسهم وينبه اليهم .

وفي بريطانيا هناك عمالقة ليس لهم الا نقد فني بمعنى تصوير وتعبير وتقييم وتقديم رؤية جديدة ، ومن هؤلاء اذكر هربرت ريد ، وراسكين في أواخر القرن الماضي .

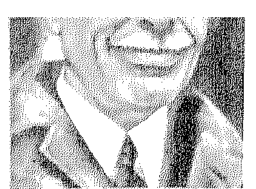
●● كنت رئيسا لتحرير مجلة الفكر المعاصر ، ما رايك اليوم في قيمة الجهد الذي تقدمه المجلات الثقافية والأدبية العربية المعاصرة ؟

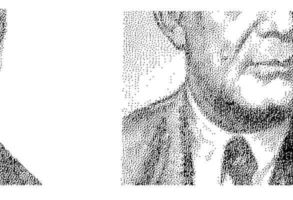
ـ هناك الثقافة ، والكاتب ، والعربي ، والدوحه ، والفيصل ، وهناك مجلات مصورة ثقافية . وقبلهم **ودون ادنى مجاملة هناك ((الهلال)) وفيها جهود تبذل ، وأرى جهود الدكتور حسين مؤنس في ((الهلال)) ومحاولة جعله مقروءا مع شيء من غزارة المادة . ولكن كما أرى أن** وظيفة المجلة الادبية القوية لا تؤدى الان ، فالمجلة هي التي تنتج الناقد والكاتب الجديد .. اين يظهر الدارس والناقد والكاتب الجديد اذا لم تأخذ بيده المجلة الثقافية ..

إنني استعيد في ذاكرتي كبار كتابنا مثل العقاد وطه حسين والمازني وكلهم نبت في ارض المجلات الثقافية العريقة ، ولو لم توجد هذه المجلات ما ظهر هؤلاء المفكرون العمالقة ومن أتوا بعدهم .. وانا ارى انه اذا انعدمت رسالة المجلات في هذا المجال ، انعدم ظهور الشاب الموهوب !

●● قلت للدكتور زكي نجيب محمود وانا اتذكر في ذهني كتاباته : ((فلسفة وفن ـ الوضعية المنطقية ـ قصة الفلسفة المعاصرة ـ قصة الادب في العالم ـ خرافة الميتافيزيقا ـ تجديد الفكر العربي ـ المجتمع الجديد أو الكارثة)) ...

قلت : لعل هذه علامات نجاح .. هل هناك مواطن فشل امكنك أن تتغلب عليها ؟!





توفيق الحكيم — سلامه موسى — حافظ ابراهيم

● الفكر العربي أحوج اليوم إلى التجديد الجذري
● موقف الناقد يشبه موقف عالم الضوئيات
● أعيش في شبه عزلة لا أقصدها وإنما أرتاح إليها
● لم أعد أرى مبرراً في أن يتخصص الإنسان في الفلسفة

— ردالمفكرالدكتور زكي نجيب محمود مبتسما فى بساطة فقال : « حياتى لم تكن ميسرة ، وان ماحققته فى عشر سنوات يستطيع غيرى من المحظوظين ان يحققه فى عام او يزيد .. فانا لم اكن حسن الاختلاط بالناس ، فلم يكن عندى فن التقرب من الناس ، والاختلاط بهم ، وجزء واضح من النجاح السريع كيف تتعامل مع الناس ، وان تعرض نفسك ، وكان هذا صعبا ولا يزال بالنسبة لى .. فانا اعيش فى شبه عزلة لاأقصدها ولكن استريح اليها .. وصلتى بالنــاس هى ما اكتبه فقط ، وهذه بطيئة الاثر ، وهذاالصوره نوعا من الفشل لاننى أكتب واكتب وأجد الكثيرين حتى كبار من كنت أظن انهم يتابعون — افاجأ بانهم لا يعرفون ما اعتبره اعظم ما كتبت!.

لكنى احس صدق المثل الذى يقول أن طول المدة يوصل الى الهدف ، وانا أكتب لاننى أريد ان أكتب . اما الاثر فلم يكن يهمنى . وأنا معك فى وصفك لى بأن من يجلس الى يجد انسانا سهل التناول بعكس بعض كتاباتى ، وهذا صحيح لاننى لا اتحرج فى أن أكون جادا وصارما حينما اكتب ، ولهذا يحس القارىء اننى ذو وجه متجهم ، وهذا عكس طبيعتى فانا انسان لا يخاف بأسه ».

إننى اود لو عادت دورة الحياة لتبدأ من جديد لكى اغير من تكوينى الشخصى فلم أكن اهتم بلقاء الانسان للانسان وهو من اغزر واغنى المصادر للفكر نفسه .. وبودى ان اجعل من نفسى انسانا اجتماعيا يحب الاختلاط واللقاء بالناس .. وبالنسبة لتخصصى ، فلم اعد ارى مبررا ان يتخصص الانسان فى الفلسفة فى الوقت الذى ارى ان يضطلع بالفلسفة من هو موهوب فيها ، لكن لماذا لا يكون هذا بجانب تخصص علمى صرف ، وتغيير وجه الارض يستند الى العلم ، ولا شك ان هناك عقولا خلقها الله لكى تفلسف المادة العلمية ، كما يحدث لكثير من علماء الفلسفة فى عصرنا الحاضر ، فهم اصلا علماء فى الفيزياء أو البيولوجيا أو الرياضيات او الاقتصاديات وينظرون الى علومهم نظرة فلسفية ، وما اقدمه اليوم فلسفة العلوم التى يقوم بها كبار فى العلوم وفلاسفة ، وكنت اتمنى ان اكون عالما فى مجال العلوم الصرف ومفلسفا لعلمى ، لما وهبنى الله من لفتة فلسفية !

●

وحدة الثقافة في مصر

● فتحي رضوان ●

● زارتني منذ سنوات قليلة ، باحثة المانية ، وفدت الى مصر ، لتدرس جانبا غريبا في الادب المصرى الحديث ما اظن انه استوقف احدا من الباحثين المصريين او اثار عنده اهتماما .. ذلك هو الادب المستوحى من الحضارة المصرية القديمة وتاريخها ، او ادبها ، او فلسفتها ، او دينها . قصصا كان ، أو شعرا ، او اناشيد وادعية .

وكنت قد كتبت وأنا بعد طالب بكلية الحقوق حوارا تخيلته بين شاب مصرى ، وشاب فرعونى ، يتم بآلة ، لا تصل بين الناس الذين تفصلهم المسافات ، وانما الذين تفصلهم الازمنة .. وقد اردت بهذا الحديث ، أن أعقد مقارنة بين حياة المصريين فى ظل ما تواضعنا على تسميته بالحضارة الفرعونية، وحياتهم فى ظل الحضارة الحديثة التى نصنعها الان ، ونطبقها، ولا ندرى كيف نسميها.

وأذكر أن نشر هذا الحوار فى مجلة الرسالة كان له واقعة حال، فقد رفض صاحب الرسالة يومذاك الاستاذ احمد حسن الزيات رحمه الله نشر هذا المقال ، باعتباره لونا من السخف ، لا يمكن أن تنشره مجلة تحترم نفسها وتحترم قراءها ، ولكنه نشر .

ومضت سنوات تتلوها سنوات ونسيت كل شىء عنه ، حتى وفدت هذه الشابة الالمانية الى بلادنا ، ومعها شاب مصرى من المشتغلين بنقد الادب فى احدى المجلات الشهرية ..

وتجاذبنا فى مكتبى أطراف الحديث عن الادب المصرى ، فاظهرت الباحثة الالمانية دهشتها لانها وجدت ان النصوص العربية الحديثة التى استلهمت حضارة الفراعنة وأدبهم وتاريخهم ونصوص مقابرهم الدينية والادبية ، قليلة الى ابعد حد ، حتى خيل اليها ان القطيعة بين الاحفاد والاجداد ، لم تأت عرضا ، وانما جاءت نتيجة عزم مصمم عليه .. اذ أن الامر الطبيعى أن يكون تاريخ مصر كله ، من بدايته، الى نهايته ، بحلقاته المتماسكة ، وآثاره الباهرة الفنية والادبية ، وتضوع عطره فى القديم والحديث ، وضخامة أعماله ، والهامه العميق لكل مفكرى العالم فى مجالات الدين ، والقانون ، والحكم، والفن التشكيلى بناء ونحتا ورسما وحفرا ، فى دنيا العلوم من رياضة وفلك وطب وزينة وصناعة وملاحة ــ الامر الطبيعى ان يكون هذا التاريخ كله ، مصدر الهام ووحى ، لا ينضب للقصاص والروائى والشاعر والمفكر وأن يكون احساس الكاتب والشاعر والفنان المصرى ، بوحدة الزمن ، وبوحدة الحضارة على الاقل بوحدة حضارة بلاده ، هو ، قويا لا يضعف ، ولا يفتر.

واذا تصورنا هذا التأثير ، فى فترة، لسبب ما ، فان الانقطاع الطويل المستمر ، او قل الدائم ، انقطاع هو الظاهرة التى لا تفسير لها .

والحق ان الجفوة بين المصرى الحديث ، وماضيه الحضارى ، هى مصدر من مصادر ما نشكو منه من قصورنا الثقافى ، الذى ازمن ، واعيا



• تابوت توت عنخ آمون •

علاجه نفس الاطباء !.

واذا عرفنا سببا لتخلفنا فى البحث والحفر والتنقيب عن آثارنا القديمة فى الصحراء وحول المدن ، وهو عجزنا الآلى الذى نسميه الان «التكنولوجى» الذى يؤدى بدوره الى قلة ما فى ايدينا من ادوات الجس والحفر ، والتصوير ورسم الخرائط ، وتحليل المواد ، ولاسيما فى الفترة التى عاصرت بدء الاحتلال الغربى لبلادنا وللمنطقة التى تنتمى اليها والتى يمكن ان تسمى بحق «الشرق العربى» ـ فان الذى لا تفسير له ، ان حالنا لم يتغير بعد ان كثرت الكتب المطبوعة عن تاريخنا القديم والمتوسط والحديث ، باكثر من لغة اجنبية ثم بعد ان اتقنت من اولادنا جماعات ضخمة ، هذه اللغات الحديثة، ثم بعد ان توافر على دراسة تاريخنا فى حقبه المتوالية ، الالوف او قل المئات من الباحثين والدارسين..

حدث هذا التطور العظيم ، وتحققت صلة بيننا وبين عصور تاريخنا وانفعلت نفوس بعضنا بهذا التاريخ ، وبصور حضارته انفعالا عظيما ، ثم خمدت جذوة هذا الانفعال ، وادرنا ظهورنا وعقولنا وقلوبنا الى تاريخ مصر الفسيح المترامى المتنوع المتجدد ، وانحصر مصدر الهامنا فى واقع ضيق الحيز ، فقير ، ساذج ، حسبنا انفسنا فى نطاقه، ورحنا ننقل عنه ، ونصفه ، ونسخر منه، ونرضى به ، ونثور عليه ولا نزيد.

وجاءت الاجيال الجديدة تنقل عن الجيل السابق مباشرة ، تحتذيه وتتاسى به ولا تفعل اكثر من ذلك شيئا .

واسفر هذا كله ، عن اننا اصبحنا اشبه بمن يقع بيته على مقربة من محيط واسع ، لا تهدأ امواجه ، ولا تصل العيون الى بعض مداه فنقنع بجدول ، ماؤه قليل ، وطينه كثير ، نجلس على حافته ، ننظر فيه ، وفيما حوله، ونحسبه الدنيا كلها.. والمحيط، يصطخب ، ويعرض للناس صورا هائلة ومروعة ، وجميلة وساحرة ، وبعيدة وواسعة ، ويهز النفس من الاعماق ، وينفى عنها الكسل والميل الى الراحة ، والقناعة بالقليل ، والرضا بالذى تتناوله اليد ، وتطوله بلا جهد ولا عناء .

ان التامل فى الواقع ، واستلهامه ، هو مذهب صحيح، ولا غبار عليه، ولكن استثناره الكامل، بكل طاقاتنا الابداعية، هو بلا شك ضمور خطير .

ولقد شغف بعض كبار ادبائنا ، بجوانب من تاريخنا القديم ، وشغف البعض الاخر بجوانب اخرى منه ، واستوحى الفريقان هذا التاريخ نصولا من الادب ، كان يبشر باتصال اهل الفكر من العصور الحديثة ، بهذا العالم الضخم الهائل ، الذى نخرج من احشائه العالم المعاصر ، بافكاره المادية، واتجاهاته الروحية ، وانجازاته العلمية وخوارقه فى الصناعة .

ولكن هذا الاتصال لم يلبث ان انقطع. وكانت الخسارة فادحة ..

ولو رجعت الى كتاب الدكتور محمد حسين هيكل « باشا » الذى حمل عنوان « فى اوقات الفراغ » لوجدت

فصلا من فصول هذا الكتاب قصره كله ، على ما سماه شئونا مصرية ، ومن هذه الشئون المصرية ، خمس مقالات ، تدور كلها حول خواطر اوحى بها التامل فى حضارة وثقافة العهد الفرعونى . فمنها فصل عنوانه فى بيان الملوك ، يعنى وادى الملوك ، الذى ضم قبور ملوك مصر الاقدمين ، وفصل عنوانه « قبر توت عنخ آمون » وثالث عنوانه « فى حضرة الفراعنة » ورابع عنوانه « ابيس » ، والاخير كان قد نشر فى جريدة السياسة التى كان يراس تحريرها صاحب الكتاب فى الحادى عشر من مارس سنة ١٩٢٥ .

وفى هذا المقال يحدثنا الكاتب عن صديق له يعشق ما خلفته الحضارة المصرية القديمة من آثار مادية وروحية، بقيت على الزمن، تتحدى ارادة الانسان الحديث ، وتعرض عليه من فنون القدرة الانسانية العقلية والمادية ، ما يكاد يعجز العلم المعاصر ، بكل غرائبه وخوارقه ، ان يفسرها ويكشف عن أسرارها فضلا عن محاكاتها ، والاتيان بمثلها !.

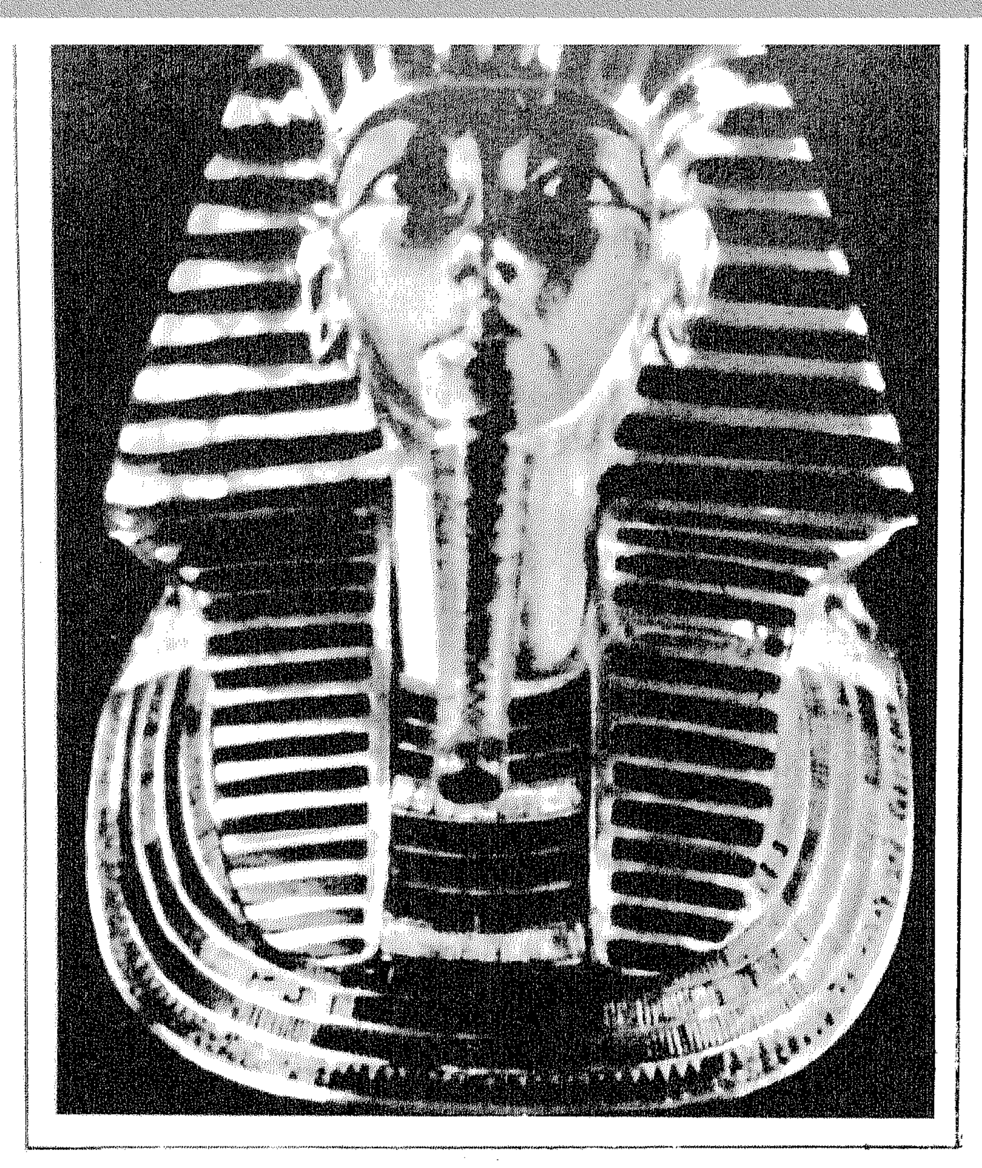
وقد ذهب الهيام والحب بهذا العاشق الى حد تقديم الأدعية الى تمثال « أبيس » فى المتحف المصرى بالقاهرة وأوثر أن انقل لك شيئا من هذا المقال كنموذج بشائر أدب مصر الحديث، الذى اتجه الى التاريخ القديم ، والثقافة العتيقة ، ليجدد دم الادب النقى الفتى، فى نفس الارض التى شهدت جلائل آثار الحضارة الام .

قال الاستاذ محمد حسين هيكل، فى الفصل المعنون « ابيس » :

ذهبت مع اصحابى الى المتحف المصرى اشهد للمرة العاشرة نفائس مقبرة توت عنخ آمون ، واثقا من الكشف فيها عن دقائق جديدة من آثار الفن القديم ، وفيما نحن متاهبون للخروج لقينا صديقا مغرما بتاريخ اسلافه الاولين فلا يكاد ينقضى اسبوع دون ذهابه الى المتحف ، يتحدث فيما يقول، الى اجيال واجيال حشرت . بعد بعثها فى هذا المقر غير اللائق بها ، ويامل ان يطهرها هذا العذاب من اثم قد يكون لصق بها حين حياتها ، ويرجو الا يطول امد تكفيرها وأن تنقل الى اماكن تليق بجلالها . فاستوقفنا برهة ثم دعانا لنصحبه فى تحية اوجب على نفسه اداءها كلما حضر ، الى تمثال المعبود ابيس . فلما كنا فى حضرة التمثال المقدس وقف برهة صامتا ، ودلت حركة شفاهه على انه كان يتلو بعض صلوات لا شك فرعونية . فاثارت حركته دهشة شاب كان معنا فتح عينين واسعتين . ثم أدار نظرة فينا فالفانا فى شغل بما حول العجل من تماثيل . ولاحظ « المصلى » دهشة الشاب فالتفت نحونا بعد ان اتم صلواته وقال :

— لعلكم تعجبون لما اصنع ... اما انا فلا أرى محلا لعجب . لقد كان « أبيس » رمز الخير والبركة على الناس ، وما اخالكم تذكرون قصة « أبيس » وعبادته عند آبائنا ، فقد كانوا يجعلون لهذا الحيوان المخصب خير صفات الآلهة .. وهنا اتجه الى صاحبنا الشاب ومضى قائلا :

— ولا تحسبه يا صديقى ان كل عجل كان عندهم « أبيسا » ... ولو أنهم فعلوا هذا لطعن فى علمهم الجم ، ومدينتهم الفاضلة . فالعبادة لا تجوز الا للكامل حيث تجتمع صفات الفضل طرا . ومن أجل خير الحياة وبركتها . لذلك كان لابيس عندهم ما يميزه على العجول جميعا . فهو لم يكن يولد كما يولد كل عجل من كل بقرة اقترب منها



● توت عنخ آمون ●

ثور ، بل كان اجل من ذلك نسبا ، واقدس اصلا . كانت نار علوية تهبط فتنفخ في بقرة عذراء . حتى اذا ولدته وجب الا تلد بعده أبدا : وكان يجب أن تكون له صفات كل ابيس سبقه ، ويجب أن يشتمله السواد ، عدا غرة في جبينه واخرى في صورة الهلال على جنبه الايمن . ويجب أن تكون تحت لسانه عقدة كالجعران شكلا . وأن يكون شعر ذنبه ذا لونين، وان يجتمع له ، اجمالا وتفصيلا ، ما فرض أن يكون له . .

ثم انتقل هيكل رحمه الله ، الى تعليق شاب كان في الجماعة التي سمعت حديث نجي « ابيس » فقد قال الشاب بعد ان تحدث عن اعجابه الخالص بآثار طيبة : اعجابي الخالص بآثار طيبة، يظهركم على ما اشعر به نحو آبائنا الفراعنه أصحاب المجد الخالد ، ولكني اعجب حتى لا اكاد أصدق ان شعبا ذلك مبلغه من العظمة والرقي يؤمن بأوهام كالتي تروى عن « ابيس » وعن غير « ابيس » من الالهة ويسلك في عبادته طقوسا يراها اكثر الناس اليوم سذاجة بالغة في السخف حد الهوس .

ويعود نجي (ابيس) الى الدفاع عنه فيقول انت مخطيء يا ايها الشاب ، فان « ابيس » لم يكن عجلا كالمعجول بل كان كما ذكرت نفحة من روح مقدس . نقد حفظ التاريخ ان آباءنا كانوا يقيمون عيدا لميلاده بمنفيس وكانوا يبداون عيدهم بأن يقذفوا في مكان معين من النيل وعاء من ذهب او من فضة ، فكانت التماسيح تمسك مدى هذه الايام السبعة عن ان تؤذي احدا ، فاذا كان اليوم الثامن عادت الى افتراسها . فهل ترى هذه الحيوانات

المائية الضخمة كانت تغير طبعها لولا سلطان ابيس » ...

وقد يرى البعض فى هذا المثل الذى وقع عليه اختيارى ، كان أبعد من ان يكون المثل اللائق ، فانه يفيض وثنية يأباها الاسلام ، والمسيحية والاديان السماوية ، وقد يؤدى النفور منه الى استحسان العزوف عن استلهام الحضارة المصرية .

ولكنى أرى النقيض من هذا الرأى ، فاننى لم اورد هذا المثل ، لكى يكون نموذجا يحتذى ، ولم اضربه لاعجابى به ، ورضائى عنه ، بل لادلل به على ان كتابنا منذ اكثر من نصف قرن ، كانوا أشد احساسا بوحدة الثقافة المصرية وانهم كانوا يجولون فى هذا المجال الفسيح الذى استمر ، حلقة واحدة متصلة نحو سبعة آلاف سنة ، تتغير فيه الانظمة الحاكمة ، واللغات المستعملة ، والعقائد السائدة ، وتعلو مصر ، وتهبط ، ويدبر عنها الزمان ويقبل ، ويبقى جوهر الروح المصرية سليما ونقيا وقويا .

وأعنى به روح البناء والابداع ، والتفكير الهادىء ، والتأمل والثبات واتصال الماضى بالحاضر ، والسماء بالارض ، والمادى بالروحى ، والظاهر بالباطن .. روح التطور الدائم المثابر ، الذى يكره الطفرة ، حتى يبدو جامدا ، وان كان اتصاله الحى بالطبيعة ينفى عنه هذا الجمود ، لان تطور الطبيعة ، هو قانونها الاعلى .

والغاية ان واجب المفكرين المصريين الذين يعبرون عن أفكارهم بالقلم واللسان ، ان يوثقوا صلة المصريين بثقافة وحضارة بلادهم ، ككل متماسك ، تتجاور فيه الفرعونية بالاسلامية بالقبطية بالعبرية ، بالمعاصرة ، لان حجب الجزء الاكبر من هذه الثقافة ، وتجاهلها ، هو خنق الثقافة المصرية الحديثة ، لانه يحرمها من موارد ضخمة ، أشبه شيء بالروافد العظيمة التى تكون النيل الخالد .

والثابت ان المحاولات التى استلهمت هذا التاريخ المتصل الحلقات نجحت نجاحا كبيرا فروايات جرجى زيدان التى سردت تاريخ الاسلام منذ البعثة المحمدية حتى القرن العشرين ، كوفئت باقبال عظيم ، منذ بدء المحاولة للآن .

وقد بدأ نجيب محفوظ رواياته الكبيرة بروايتين عن التاريخ الفرعونى ، بدت فيهما بشائر قدرته وتمكنه ..

ونجحت رواية (وا اسلاماه) لعلى باكثير ، كما نجحت روايات محمد سعيد العريان (على باب زويلة) و (بنت قسطنطين) و (قطر الندى) .

وليس المقصود هو تاليف روايات تاريخية ، عربية أو اسلامية أو فرعونية وانما المقصود ، هو استلهام الثقافة المصرية فى مختلف عصورها ، واعادة عرضها ، بعيدا عن البحث العلمى ، والدراسات المدرسية ، فهذه الثقافة فى واقع الامر ، كيان واحد ، ولم يجزئه ويحطم وحدته ، التى افقدته روحه الا انه وصل الينا ، مجزءا . فقد بقى المصريون لا يعرفون شيئا عن تاريخهم القديم حتى اوائل القرن العشرين أو اخريات القرن التاسع عشر .

وبهذا التجزؤ ، بدت مصر فى تاريخها الطويل ، دولا تحارب بعضها بعضا ، فاصبح منا من يتعصب لمصر القديمة على حساب مصر الاسلامية ، ومنا من يتعصب لمصر الاسلامية ضد مصر القديمة ولان مصر وصلت الينا ، على ايدى الاجانب ، خيل الينا ان تاريخها غريب علينا ، فلم نحسن الاستماع اليه ، ولم يحسن المتحدث الينا ، فهزلت ثقافتنا ، واصبحت فى مهب الريح ، تكاد تنتزع من جذورها .

فمتى نجلو عنها وحدتها ، ونظهرها فى ابهى رواء تكاملها .

أبو العباس المرسي

عبد العليم القباني

رنوا شعاعَ الشمسِ أن يتأى مدعه
أخشى الكواكبَ أن تهيمَ فتتْبَعَه
الرائدُ الأخلاقَ وهي جديةٌ
ومعيدها من فيض ربك مترعه
طافت « بمرسية »(١) عليه غمامة
للظلم توشك أن تمزق أضلعه !
فمضى إلى الشرق العتيد يحثه
قدرٌ أعدَّ لكل فجر مطلعه !

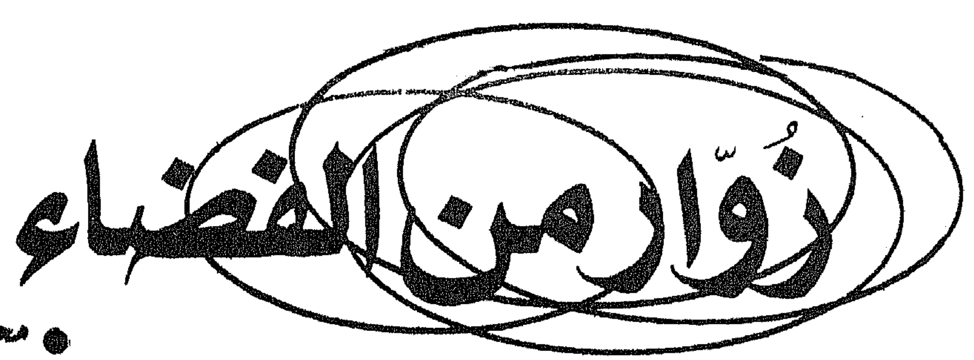
***

يا نجم هذا الثغر(٢) يا نور الحمى
وعبير هذى الجنة المتضوعه ..
فى كل ركنٍ ، فى رحابك أنفسٌ
ظمأى إليك وأعينٌ متطلعه ...

***

شيخَ الشيوخ ، وخيْرَ من وهب التقى
أتباعَهُ ، وشفَى القلوبَ الموجَعَه
أنا فى رحابك قد طويتُ طفولتى
وعلى ثراك طويتُ عمرى أجْمَعَه
أتأملُ الموجَ المثارَ وأنثنى
متدفعا ، كفيوضه المتدفعه !
مستلهما رُوح الكفاح مُضيئة
من روحك القدسية المترفعه !

(١) مرسية ـ ميناء بأسبانيا : الأندلس
(٢) الثغر ـ اسكندرية



● محمد الحديدى ●

الـ « يوفولوجيا » ، علم حديث يعني بالبحث في موضـــوع ((الاجسام الطائرة المجهولة))

والـــذين حــكوا انهم راوا هــذه الاجسام يتراوحون بين طـــوائف المجانين و ((الهيبز)) ، ورجال عقلاء لهم وزنهم ، منهم على سبيل المثال فقط ، الرئيس جيمي كارتر ، الذى اكد انه رآها ايام ان كان حاكما لاحدى الولايات قبل ان ينتخـب رئيسا ، ووعد اذ ذاك ان يستقصى هـــذا الموضوع اذا اصبح رئيسا ، ولـكن يبدو انه اكتشـــف ان على الارض ما يكفيه من المشاكل لانه لم يرجـع الى هذا الموضوع مرة اخرى ..

وهناك كتب كثيرة فى هذا الموضوع بعضها صادر من جهات لها مكانتها العلمية ، ويبـــدو ان ولاية يوتاه الامريكية كان لها حظ وافر من هذه الظاهرة العجيبة ، لان واحدا من ارفع اساتذتها مكانة الف كتابا اورد فيه وصفا لحوالي ثمانين حادثة مـن هذا النوع ، مؤيدة بالشهود والتفسير العلمى والمنطقى .. « اجسام مضيئة تجتذب الانظار بالوانها الساحـرة ، والاسماع بازيزها او صفيرها الخافت ، وهى مسطحة من اسفل ، تعلوهـا قبة نصف كروية ، ومن حولهـا اضواء ملونة ، حمراء اغلب الوقت ، ولكنها تتحول الى اخضر واصفر ، تضىء وتنطفىء ، ثم تضىء .. الخ»

ومن الاخطاء الشائعة فى الحيـاة الانسـانية ان يفترض الناس أن كل شىء لا نعرف تفسيره عن ثقة لابـد ان يكون امرا ليس له تفسير يدخـل فى نطاق مفاهيمنا العادية ، لابد ان يكون آتيا من عالم آخر ، ومن فعل كائنات من « الفضـاء » .. أما ان نقول ان تفسير الامر مجهول لنا الآن وانه سياتى يوم نعرفه ، فهـذا لا يرضى أصحاب العلم الذى لم نؤت منه الا قليلا ! ..

ولكن عالمين أمريكيين وجدا ـ فيمـا يبدو ـ تفسيرا لهذه الظاهرة علـى الاقل ، واصدرا بحثا يؤكدان فيه ان الامر لا يعـدو أن بعض أنواع الحشـرات الطائرة تحلق فى الجو على هيئة اسراب يتصادف أن تتعرض لاضواء تنتج عن مجال كهربائى قوى ، ينشأ عـن ظاهرة معروفة تحدث عندما يتزايد الجهد الكهربائى فى الجو بسـبب العواصف الرعدية ، ولذلك فانها ـ هذه الظاهرة ـ تصاحب صـوارى السفن واجنحة الطائرات .. أى الاجسام المرتفعة المدببة مع ارتفـاع الجهد الكهربائى تنخفض مقاومـة الهواء وتتدفق الالكترونات من هـذه الاطراف المدببة محدثة ضوءا يتخذ شكلا مستديرا حولها . وفى داخـل المجال الكهربائى تعمل قشرة الحشرة كعازل خارجى بينما تتعرض السوائل فى داخلهـا للتحليل الكهربائى الذى يحدث اللمعان والالوان التى توحـى بكل أنواع الخيال الذى لم يصل اليه بعد اجتهاد مؤلفى روايات الخيـال العلمى ..

وقد ايد خبراء علم الحشرات هذه النظرية ، واكدوا ان هـذه الاسراب الطائرة تتخذ شكل جماعات تصل الى عدة كيلو مترات فى طولها وارتفاعها ، وانها تتدافع وتتماوج فى محاولتها ان تتحاشى المجال الكهربائى فى طيرانها الليلى الهجرى .

● أنفق وليم جيمس خمسا وعشرين سنة يقرأ عمل الأرواح دون أن يجد دليلا كافيا على إمكان الإتصال بالعالم الآخر، وقال في ذلك أنه أحيانا أميل الى الإعتقاد بأن الخالق لا يريد لنا أن نعرف شيئا عن ثقة في هذا الموضوع ..!

وليست الاطباق الطائرة اسعد حظا من زميلتها الـ «يوفو»، الاجسام الطائرة المجهولة، وان كنا لا نستطيع حتى الآن ان نجزم بأن التفسير المتاح ينطبق على كل حالة دون استثناء، فان هذا لا ينفي انه يصلح لذلك، ففي بعض الاماكن التي «شوهدت» فيها الاطباق، لم يكن الامر يتعدى تصاعد غازات كثيفة من مصدر ارضي، تتعرض هي ايضا لمجال كهربائي جوي ويتسبب ذلك في توهج يعطي شكلا مشابها لاضواء «الفلوريسنت» ..

وفي حالات اخرى لم يكن الامر يتعدى ان طائرة ركاب عادية دخلت منطقة يسودها ضباب كثيف يغير معالمها ويجعل من يراها يظن انه يرى جسما غريبا ياتي من الفضاء.. وللمرء ان يتساءل: اذا كان في هذا الكون سكان على هذا القدر من التقدم، فلماذا تمضي كل هذه السنوات «الاطباق الطائرة ترجع الى ما يزيد على ثلاثين سنة» دون ان يفعلوا شيئا يزيد على هذه الرحلات الاستكشافية واخذ «العينات» الادمية كما «فعلوا» مع الطيار الاسترالي، ان كانوا قد فعلوا شيئا، ومع غيره من الطيارين والبحارة وركاب السفن الذين يحكى عن اختفائهم في مثلث برمودا وغيره من مناطق العالم؟!

للمرء ان يتصور ان قوما على هذا القدر من التقدم العلمي والتكنولوجي لا يلزمهم كل هذا الوقت ليجروا ابحاثهم الاولية قبل «الدخول في الموضوع» .. ومن المؤكد انه كان يحلو لهم ان يجروا نوعا من «برامج التبادل الثقافي» معنا، واذا كنا لا نملك الاطباق الطائرة والأعمار الطويلة التي تمكننا من ان نعيش ملايين السنين لننفقها في هذا النوع من الرحلات السياحية، فليس معنى هذا اننا بقر لا نستحق منهم اي اهتمام على الاطلاق!

تاريخ طويل ...

وللبشر «على هذا الكوكب» تاريخ طويل جدا حافل بالمعتقدات الخرافية، أغلبها - وما كان يبدو اكثرها يقينا - قد ثبت بما لا يقبل ادنى درجة من الشك انه لا يزيد شيئا على ان يكون «خفة يد» .. نعم، لا اكثر ولا أقل، برغم ان الذين انطلت عليهم هذه الأمور او على الاقل اعطوها اهتمامهم كانوا في بعض الاحيان رجالا على قدر عظيم من المكانة العلمية والفكرية ...

ولعل اكثر مشاهير عالم الفكر والثقافة استعدادا للاقتناع بالخرافة وحكايات الـ «باراسيكولوجيا» كما يسمونها هو الكاتب الانجليزي الكبير آرثر كونان دويل، صاحب شخصية شيرلوك هولمز والعديد من كتابات القصص التاريخي والعلمي، وحتى في سلسلة روايات شيرلوك هولمز لم يسلم كونان دويل ولا قراؤه من ارجاع الموتى الى الحياة، فقد بدأ دويل حياته العملية طبيبا، ولما لم يحقق النجاح المنشود في هذه المهنة بدأ يمارس الهواية

القاسية ، هواية الادب ، وجاء وقت احس فيه بالملل من شخصية هولمز التي ابتدعها ، فانهى حياة بطله في قصة سماها « مذكرات شيرلوك هولمز » .. ولكن قراءه كانوا قد اعتادوا هذه الشخصية إلى حد انهم أرغموه على اعادتها الى الحياة استمر هذا « البعث » عدة حلقات جديدة ، ودويل يزداد إغراقا فيعشق المجهول وما وراء الطبيعة ، إلى أن ضم هذا كله في كتابه المعروف« تاريخ الروحانيات » ...

والكثيرون من الدارسين يعدون آرثر كونان دويل مؤلف شيرلوك هولمز أعظم دليل على ان العلم والذكاء ورجاحة العقل ، كل هذه لا تكفى حائلا واقيا من السذاجة الطبيعية والميل الى تصديق الخرافات عند أغلب بنى الانسان أو ربما كلهم دون استثناء ..

وعندما فقد دويل ابنه في الحرب العالمية الاولى ، انصرف بكليته الى تحضير الارواح توقا الى الاتصال به ، وهي نزعة عادت فتفشت في بريطانيا فى أعقاب ما سماه الانجليز « معركة بريطانيا »» ، وهى الفترة التى استمر فيها القصف الجوى المركز للجزر البريطانية بواسطة الطيران الالمانى في الحرب العالمية الثانية ، وخاصة اثناء صيف ١٩٤٠ وقد جمع محترفو تحضير الارواح والوسطاء وما يلحق بهؤلاء من المشعوذين والدجالين ، ثروات طائلة اذ ذاك من الاتجار بعواطف اسر الشبان من الطيارين الانجليز الذين كانوا يسقطون بالعشرات كل ليلة .

مضى دويل في ابحاثه الى ان طلع بكتابه المعروف « مجىء العفاريت » ، ونشر معه صورا فوتوغرافية لهذه الكائنات الصغيرة ، ذات الاجنحة التى كان يعثر عليها في الحدائق كأنواع من الجن والاشباح التقط لها صورا بآلة تصوير من النوع الذى يلعب به الاطفال ، ولكن الناس لم يصدقوه .

من بين القلائل الذين صدقوه ، باحث امريكى شاب يدعى ج .ب .راين ، استمع الى محاضرة القاها دويل وخرج منها مقتنعا تماما بوجود هذه الاشياء. وكانت جمعية بريطانية تدعى « جمعية البحوث الروحانية » تصدر نشرات في هذا الموضوع ، استغرق فيهما راين وزوجته لويزا ، ثم التحق راين بهيئة احدى الجامعات هناك ، وهى جامعة ديوك ، وبدا يكرس حياته وأبحاثه لعلم الارواح واليه يرجع الفضل في استحداث بعض المصطلحات التى لا تزال حتى الآن ، وفي ادخال مثل هذا النوع من البحوث الى الجامعات الحديثة . وقد شد راين اهتمام الناس بما اذاعه من بيانات واحصائيات عن تجاربه في الادراك عن غير طريق الحواس ، وكانت طريقته في ذلك هى ان يجرب توزيع اوراق اللعب على أشخاص يستطيعون التعرف عليها دون ان يروها .

وتعرض راين للكثير من النقد اذ ذاك ، وكان يلجا اوسائل تثيرالشك في تبرير مايظهر من مفارقات ، والذين جاءوا بعده كانوا ايضا يحاولون كل انواع الحجج ، فالذى يحدث خطا « حالة عكسية » ، والذى يذكر رقم الورقة السابقة او التالية « حالة ازاحة » ، وكتب عنه الصحفى الامريكى هـ . ل . مينكن : الاستاذ راين يقسم من يجرى عليهم تجاربه الى قسمين ، احدهما اولئك الذين يصيبون ، وما داموا يصيبون ، فهم يتمتعون بقدرة خارقة على الرؤية دون ابصار ..

اضطر راين الى إحكام الرقابة على معمل تجاربه ، وكان هذا بالضبط هو

الطريق الى فشل هذا النـوع من التجارب ، وسرعان ما انتهت هـذه الحقبة فى تاريخ الباراسيكولوجيا .

وفى الستينات جاء « تيـد سيريوس » ، وهو شيال من شيكاغو يحترف شيئين : الخمر ، والتقاط الصور الفوتوغرافية فى كاميرا مبسطة وبمجرد ان « يزغر » للعدسة ...

حير العالم فترة طويلة سيريوس هذا ، الى ان شاهده صحفيان وهو يستعرض معجزاته ، وسرعان ما اكتشفا سرها وهو عدسة صغيرة الحجم لا تكاد ترى ، ومعها شفافة من البلاستيك « ترانسبيرانسى » كما تسمى الآن ، وهى تستخدم كوسيلة ايضاح فى غرف الدراسة مع فانوس سحرى خاص ! ..

بالاختصار ، مجرد خفة يد تعتمد على وسيلة علمية ، والتقدم العلمى دائما يعطى من يملكه القدرة على ان يفحم الذين لا يعرفون السر ! ..

اما الجمعيات العلمية ذات المكانة العالية والتى تضم رجالا اجلاء لا يرقى الشك الى مقدرتهم أو اخلاقهم ، فيرجع انخداعها الى سنة ١٨٨٢ عندما انشئت الجمعية البريطانية للبحوث الروحانية ، وكان أول « مطب » يقع فيه العلماء الاجلاء هو انهم ابدوا اقتناعهم التام بأن خمس فتيات صغيرات شقيقات لديهن قدرة كاملة على الاتصال بطريقة « التخاطر » إلا انه بعد ست سنوات من ذلك ضبطت الفتيات وهن يمارسن العابهن السحرية واعترفن انهن كن يخدعن العلماء !

تلا ذلك سنة ١٨٩٢ حادث مماثل ، اشترك فيه هذه المرة رجلان ، وقد يوثق احدهما وتعصب عيناه وتسد اذناه ، وتقطع حواسه من الكون ، ولكنه يظل قادرا على تلقى ما يرسله اليه زميله بالاشعاع الفكرى .. ومرة ثانية انخدع العلماء واعلنوا اعترافهم بالقدرة الخارقة ، وكاد الامر هذه المرة ينتهى عند هذا الحد لولا ان احد الرجلين واسمه دوجلاس بلاكبيرن ، اعترف بانه وزميله « ارادا ان يثبتا للعالم ان فى استطاعة شابين مثلهما أن يجعلا رجالا راسخين فى العلم ينخدعون بسهولة لا لشيء إلا انهم يبحثون عن ادلة تثبت أشياء يريدون أن يصدقوها » !

وعلى الجانب الاخر من المحيط ، لم يكن حظ الجمعية الامريكية للبحوث الروحانية افضل من حظ زميلتها البريطانية ، برغم انها كانت تحظى باهتمام ومساندة الفيلسوف والعالم النفسى الكبير وليم جيمس . كان ذلك سنة ١٨٨٥ ، وكان جيمس متحمسا اول الامر للوصول الى شيء ، وجاءت كلمته الشهيرة « اذا اردنا ان نثبت خطأ القول بأن كل الغربان سوداء ، فاننا لسنا فى حاجة الى ان نثبت انه لا توجد غربان سوداء ، يكفى أن نأتى بغراب أبيض واحد .. اى انه اذا اتينا بعفريت واحد او جنى ، او اذا استحضرنا روح ميت واحد ، فان هذا سيكفى للدلالة على ان هناك عالما آخر ولكن جيمس انفق خمسا وعشرين سنة يقرأ عن الارواح و « خلافه » دون ان يجد دليلا كافيا على امكان الاتصال بالعالم الاخر ، وقال فى ذلك انه احيانا يرتاح الى الاعتقاد بان الخالق لا يريد لنا أن نعرف شيئا عن ثلة فى هذا الموضوع .

ولكن غير وليم جيمس من الباحثين لم يجد اليأس امرا بهذه السهولة . وفى نهاية القرن التاسع عشر **جاء امريكى يدعى « هنرى سليد » وبدا**

يطوف بلدان امريكا واوروبا ويجعل الناس يتفرجون عليه وهو يجعل الاشياء تتحرك او تختفى ، والابرة المغناطيسية تنحرف بتاثير ارادته فقط وكان يبدو مقنعا الى حد ان عالما المانيا محترما الف عنه كتابا سماه ((الفيزياء العلوية)) ((بضم اللام وكسر الواو مع تشديدها)) .

وبدا لاول وهلة اننا ((وصلنا)) اخيرا ، ولكن مرة اخرى ، ثبت ان الاعتقاد فى هذه الامور ياتى من نزعة لدى الناس تفوق او تطمس او تلغى مؤقتا قدرتهم على وزن الامور ..

وظهر كتاب الفه احد الخبراء ، ويدعى هارى هودينى ، شرح فيه تحت عنوان « ساحر بين الارواح » ، كل الالاعيب التى لجأ اليها المستر سليد ، وكيف انها خفة يد لا اكثرولا اقل ، وسرعان ما اعترف الساحربذلك .

ومنذ سنة واحدة فقط ، زار الولايات المتحدة ساحر اسرائيلى يدعى يورى جيلر ، وبصحبته ابا ايبان وزير الخارجية السابق فى اسرائيل ، وعقد حلقة فى مبنى « تايم لايف » الشهير فى مانهاتان، واخذ يجعل الملاعق تنثنى والاشياء تتطاير ، وكان بين الحاضرين جماعة من اعضاء لجنة تتالف من ٤٣ عضوا وتسمى « لجنة التحقيق فى ادعاءات الخوارق » ، من بين اعضائها عالم الاحياء الفلكية الشهير كارل ساجان ، والكاتب العلمى ايزاك اسيموف ، وعدد كبير من اساتذة العلوم والفلسفة ، والحواة ايضا ، على راسهم الحاوى الشهير راندى الذى يسمونه « المدهش » .

وسرعان ما قام راندى باعادة جميع هذه الالعاب على الحاضرين مبينا الى اى حد يمكن للحاوى الماهر ان يخدع اكثر الناس حيطة وانتباها !.. ومنذ هذا الحين وراندى يرصد جائزة كبيرة لمن يمكنه ان يأتى بشىء لا يمكنه تفسيره ولم يحصل احد على الجائزة للان !.

وقد استعرض راندى مقدرته عندما صحب الذين حضروا هذا العرض فى نزهة بسيارته التى يقودها فى شوارع نيويورك وهو معصوب العينين ، وهو ما يسمونه « الجلاء البصرى » ..

من اسرار الحياة

برغم هذا كله، برغم راندى المدهش وغيره من الحواة والعلماء ، فان المسالة لاتبدو انها بهذه البساطة ، ما كل هذه الاسرار ؟ ان الذين يقولون ان الوجود للمادة فقط ، وان مخ الانسان وكل ما ياتى منه ليس الا تفاعلات وان « المادة هى التى تفكر » ، ومنهم مثلا الفسيولوجى الالمانى كارل فوجت الذى ذاعت شهرته فى اواخر القرن التاسع عشر عندما قال : « ان الفكر يرتبط بالمخ كما ترتبط الصفراء بالكبد والبول بالكليتين » او كابانيس الذى سبقه الى القول بان « المخ يهضم الانطباعات ويفرز الافكار » ـ كل هؤلاء الان اصبحوا يواجهون الحقائق العلمية الجديدة التى جاءت بها نظريات النسبية والكوانتم والتى لا بد ان تجعلنا نصدق ان المادة حقا شىء لا وجود له الا فى مخيلتنا ! إنها لا تعدو ان تكون شبيها لمجال مغناطيسى قوى ، وهذا لا يعفيها من ان تكون فراغا فى فراغ.

ومن ناحية اخرى فالذين يقولون ان الوجود للعقل فقط ، وهم المثاليون، اصبحوا يواجهون حقائق اقسى من هذه تاتى من محاولة الاجابة عن هذا السؤال : اين هو العقل هذا ؟

وكما يقول برتراند راسل ، كلما تقدم العلم والتجربة ، ظهر ان العقل اكثر مادية ، وان المادة اكثر عقلانية مما نتصور ، وهو يحل مشكلته بان

● من الاخطاء الشائعة فى الحياة الإنسانية أن يفترض الناس أن كل شيء لا نعرف تفسيره عن ثقة، لابد أن يكون أمراً ليس له تفسير يدخل تحت نطاق مفاهيمنا العادية. لابد أن يكون آتيا من عالم آخر أو من فعل كائنات من "الفضاء"!

هناك قوانين للمادة واخرى للعقل، بعض الاحداث تقع طبقا لهذا والبعض طبقا لذاك، ولكننا نعيش فى دنيا « أحداث »، والذى يوجد فى دنيانا هو سلسلة الاحداث هذه، لاغير ..

ولكن هذا لا ينفي ايضا ان هناك شيئا اسمه الحياة . هناك حياة على الارض، وهي تشمل كل حيوان ونبات على سطح هذا الكوكب، واذا احصينا نجوم السماء فى هذا الجزء من الكون الذى نستطيع ان نراه - وقد يكون، وقد لا يكون، كل شيء - وطبقنا قوانين الاحتمالات، فان تقدير العلماء هو انه بالرغم من اننا لا نعرف كواكب أخرى غير كواكب المجموعة الشمسية، وبالرغم من اننا لانجد فى هذه اى دليل على وجود حياة، فان المقدر هو وجود مائتى الف حضارة تكنولوجية متقدمة فى اماكن اخرى من هذا الكون الفسيح .. اذ انه لا يبدو معقولا ان كل هذا مجرد « خلفية » او « تابلوه » لكائنات الارض وحدها !

وقد عمل الزمن على تقسيم الحياة الى عدة ملايين من الاجزاء، هذا اذا قصرناها على الارض فقط، ولكن كل جزء منها لا يعدو أن يكون قطعة من الكل، فالزهرة زهرة، ولكنها ايضا ارنب وذبابة، كلنا من نفس الكيان، ننصهر فى نفس البوتقة، ونتكون من مادة النجوم ..

وهناك اثنان وعشرون عنصرا من عناصر المادة، ولكن مجموعة صغيرة من ستة عشر منها هى اساس الوجود الكيميائى للحياة .. أحدها وهو الكربون يلعب دورا أساسيا فى تكوين الحياة لقدرته المنفردة على تكوين سلاسل وحلقات معقدة تؤدى الى عدد هائل من المركبات الكيمائية العضوية . وبالرغم من ذلك فهناك عشرون حمضا أمينيا فقط هى الوحدات التى تتكون منها البروتينات، وأربعة جزيئات فقط هى التى تحمل الشفرة التى تؤدى بالبروتين الى ان يصبح أحد مكونات كبد انسان او فرع شجرة، هذه هى الشفرة التى تضع البروتين المناسب فى المكان المناسب وهكذا فان سر الحياة .. يبدو أمرا فى غاية البساطة !

والفرق بين المادة الحية والمادة الصماء هو الفرق بين منتهى النظام ومنتهى الفوضى، والكائنات الحية تتكون من مادة على درجة عظمى من التنظيم، وهى تخلق النظام البديع من الاختلال التام والرغبة فى التحلل والتشوه التى تميز المادة الصماء، هذا النظام يستمر، ولمضى المادة الحية فى الأخذ والعطاء مع البيئة المحيطة بها، فالكائن الحي يختلف عن المادة فى أنه على اتصال دائم بما حوله، وبغيره من الكائنات .

هناك شيء يربطنا جميعا ببعضنا البعض .. والأصل فى الوجود هو « البعثرة » أو « الفوضى »، ويتجه كل شيء الى مزيد من البعثرة، واى درجة من النظام مهما كانت أولية، مثل ترتيب الكهارب داخل الذرة، أمر غير معتاد، ولا يقع الا بالصدفة، اما ترتيب الجزيئات داخل الخلية الحية فهو مسألة تتنافى مع احصاليات الكون، لان الحياة نفسها ليست صدفة عجيبة جدا، ونادرة الحدوث والحديث عن أسرارها يطول . ●



وقبل أن تدخل الطائرة الغابة وتصطدم بأشجارها مرت بسرعة خاطفة فوق طريق عام .. ومرقت كالسهم إلى جوار سيارة صغيرة .. كان سائق السيارة يفقد توازنه من هول ما رأى .. !

كان الطيار يشم رائحة بنزين. ليس هذا بالامر المطمئن ولكنه عادي ايضا .. لا ينبغي ان تكون هناك رائحة بنزين في غرفة القيادة او بقية الطائرة، ولكن ليس من الضروري ان تكون هذه الرائحة آتية من الطيارة. فقد تكون من المطار والمطارات يشم فيها الانسان رائحة البنزين كثيرا ..

ولكنه كان على حق في خوفه الاول، فقد حدث ان العامل المختص لم يجد ماء كافيا ليملأ خزان الماء في المحركات. فذهب يطلب المزيد وعندما عاد اخذ خرطوم الكيروسين بدل خرطوم الماء واكمل الخزان، ثم اقفل الخزان غير مدرك انه مهد الطريق بذلك السهو لكارثة كبرى. ولم يتبين الطيارون ذلك اول الامر، لان الكيروسين اخف من الماء، فهبط الماء الى اسفل، وعندما سحبت الالات خرج الماء ..

وجلس الطيار ومساعدوه يتحققون من ان كل شيء في الطائرة على مايرام. اختبروا كل الاجهزة والمحركات والعجلات وكل شيء. كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٢٧ » وكانوا يسمونها الفاروميو. كانت تزن بركابها ومقاعدها ٤٥ طنا فسبحان من يجعل هذا الجبل يرفرف بجناحيه ويطير. وكان رقمها الفني BAC I - II ورقم الطيران DR 112

جلست المضيفة اليزابيث فريسكا في غرفة القيادة تنظر الى الطيار ومساعديه وهم يعملون. انها مضيفة مجرية طارت الى الآن ١٠١٧ ساعة طيران. جلست في هدوء غير بعيد عن المساعد الثاني للطيار مالفريد رود

كان يبدو على وجهه الملل وهو يستمع الى ما يدور بين الطيار والمساعد الاول. كانا يتأكدان من كل شيء مرة اخرى ويتكلمان بالفاظ هو يعرفها ويفهمها. انها عبارات تقليدية سمعها مئات المرات، ولم يكن هناك ما يدعو الى الاصغاء، فان كل شيء على ما يرام في هذه الطائرة، وعن قريب ستقفز الى الهواء كانها حمامة صغيرة! .

الان اصبحت الطائرة جاهزة. الطيار يعطي الاشارة لاليزابيث فريسكا، فتطلب برج المراقبة وتقول:

— DR، : واحد، اثنان، نحن الان مستعدون للطيران

وجاء الرد: DR تستطيعون الطيران

وقال الطيار رايتهولد هيلز » نحن صاعدون

ثم دفع ذراع البنزين في الطائرة BAC I - II الى اقصاه اماما

واخذت خمسة واربعون طنا ونصفا من الحديد والالومنيوم والناس والبضائع والحقائب والبنزين والماء — تدرج في طريق الصعود، ثم وقفت في نقطة الانطلاق، واجرى الطيار محركاتها على اقصى سرعتها، واهتزت الارض تحتها

واشار مؤشر الصعود في واحدة من المساحات الكثيرة امام الطيار الى درجة ١٠٠

وقالت اليزابيث فريسكا تخاطب الطيار

— السرعة ١٠٠ عقدة

وانطلقت الطائرة بكل قوتها . اشار المؤشر الى ١٢٠، الان ينزل الطيار ذراع الصعود، وياخذ المارد في الارتفاع عن الارض بزاوية قدرها ١٨ درجة

كان الجو صحوا والشمس ساطعة، وتالقت الطائرة، ذلك الانبوب الهائل من الالومنيوم. وفجاة احس الطيار بهزة عنيفة. خيل اليه انه يسمع انفجارات متوالية داخل المحركات! .. اذهله ذلك » ونظر الى المؤشرات امامه .. كلها تسير سيرا مضبوطا، نظر الى مؤشر السرعة، ١٨٠ عقدة ..

اخذ قلبه يدق مع استمرار المفرقعات الداخلية، ولكن الطائرة تطير بجمال..

ماذا هناك يا ترى ؟

الطيار متحير : كيف مازالت الطائرة تطـــير وهي على هـــــذه الحالة

ونجاة راى الطيار ما اذهله : لقـــد سقط مؤشر السرعة من ١٠٠ الى صفر!

واستدعى مساعده وكبيرة المضيفات واخذ ينظر الى المؤشر فى ذهول ...

واخذ يمسك بالمفاتيح واحدا بعد الاخر ويحاول أن يصنع شيئا .ولاشىء ..ان محركات الطائرة مازالت تعمل ، ولكن السرعة اين هى ؟

ثم بدات الطائرة تثقل وتهبط . انهــا لا تزال مندفعة الى الامام ، ولكنهـــا بدات تهبط . مؤشر الارتفاع يقول ذلك .. ان ٥٥٠٠٠ كيلو جرام من الحديد والالومنيوم والبشر معلقة فى الهواء دون قوة دافعة تحملها .. لابد أن تسقط ، ما من ذلك مفر !

وبعد قليل توقفت المحركات وساد صمت . الطائرة الان تسير بقوة الاندفاع كانها طائرة شراعية ! ..

وعدل الطيار مؤشر الاتجاه بعض الشىء واخذ ينظر الى المؤشرات امامه . انه لا يستطيع ان يعمل شيئا لانه لا يفهم ما هناك .. الان اخذ مقدم الطائرة يميل الى اسفل ...

وفى مقعد فى مقدمة الطائرة جلس جورج كولمان تاجر السيارات من فرانكفورت، انه لا يحب الطـــائرات ولا يركبها الا للضرورة القصوى .. كان يستطيع ان يذهب الى مالقة فى اسبانيا بالسيارة كما هى عادته، ولكن زوجته وحدها فى مالقة من عشرة ايام وقد ارسلت برقية متعجلة ، فاضطر الى أن ياخذ الطائرة وهو لا يعرف ما عسى أن يحدث له ..

وفتح عينيه فى ذهول وهو ينظر من شباك الطائرة الصغير : ان الاشجـــار قريبة جدا من النافذة . ماذا حدث .. ؟ أهل هبطت الطائرة فجاة ؟

وكانت المضيفة اليزابيث قد خرجت من مقدم الطائرة ولاحظت وجوم الناس. لقد احسوا جميعا ان هناك شيئا ... وعادت لتجد ان الطيار فى حالة ذهول ، وقال لها ساعة دخولها :

ـ لقد توقفت المحركات فجاة !

ـ وما العمل ؟ ..

ـ ليس أمامنا الا ان نطلب من الرب برج مراقبة أن يساعدنا فى الهبـــوط بالرادار ...

واتصل مساعد الطيار ببرج المراقبــة فى هامبورج

ـ DR تطلب مساعدة الرادار .. نريد الهبوط بالرادار .. واحد ..اثنان

محاولة الهبوط بالرادار

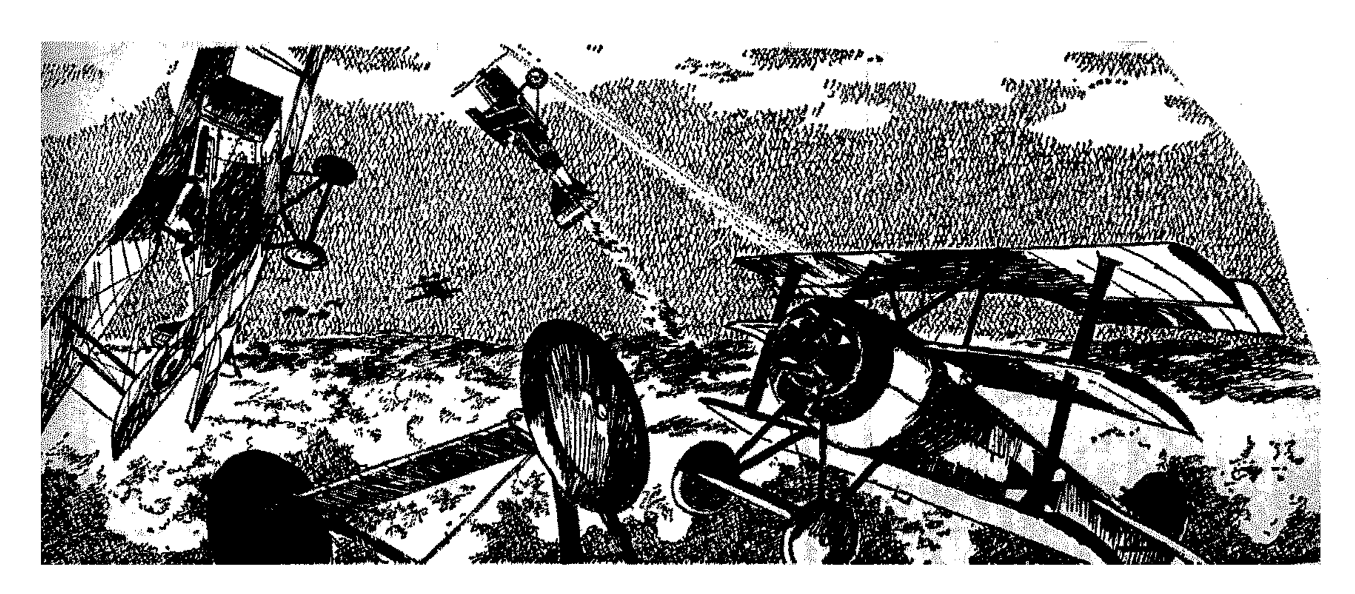
وجاء الرد :

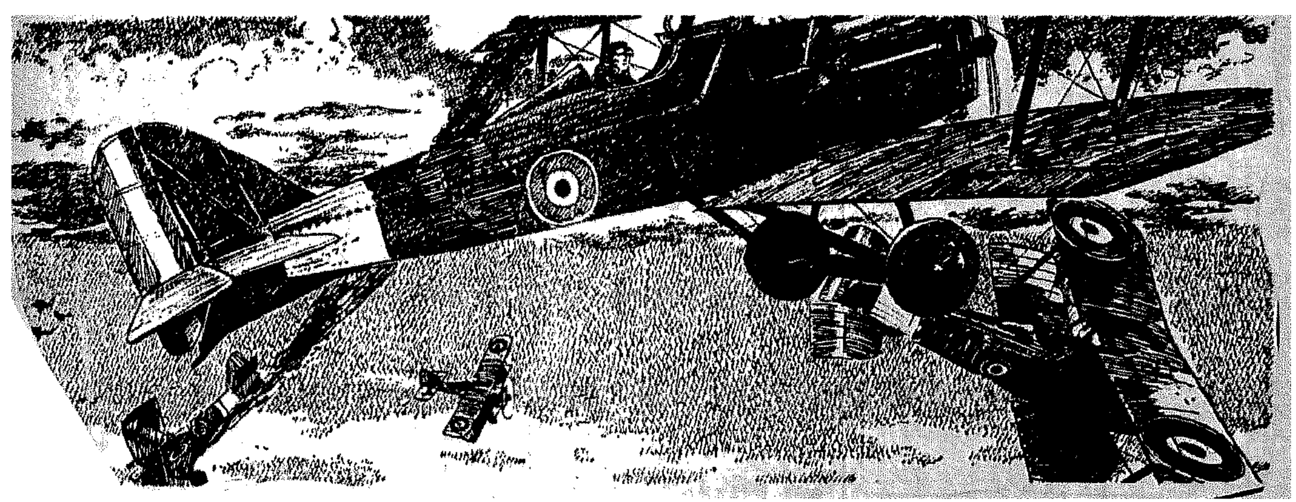
ـ هنا برج المراقبة هامبورج ..تنادى DR سنساعدكم على الهبـــوط ، حولوا تردد جهاز الرادار عندكم الينـا رقم واحد اثنان ثلاثة خمسة ثمانية ..

واخـــذ ينظر الى المؤشرات أمامـــه .. لابد ان يقوم بالتحويل فى ثانية .. العملية تحتاج الى عشر ثوان ولا وقت عنده .. ان الطائرة تحمل ركابا كثيرين .. انها محملة ، حيـــاة فوق المائتى شخص تتوقف على ثوان !

ونظر تحته فراى ان الطائرة متجهــة الى غابة . السقوط فى الغابات ابشــع سقوط .. مثله فى ذلك مثل السقوط على الجبال .. ولكن لم لا ـ ان الاشجار تمتص جانبا كبيرا من قوة الدفع .. الغابة تقترب ، سنرى ...

وبالمنظار راى رجال برج المراقبـــة الطائرة من بعد كانها نقطة ، وقال واحد منهم لمن حوله DR 112 على وشـك السقوط، مامن ذلك مفر !.. ان طاقمها لا يستطيع ضبط تردد الرادار !





وداخل الطائرة كان كل شيء ساكنا .. الركاب فى ذهول .. حدث كل شيء مفاجأة .. كل انسان ينتظر مصيره صامتا . وقبل ان تصطدم الطائرة باشجار الغابة مرت الطائرة فوق طريق عام واقتربت من سيارة صغيرة ، وذهل سائق السيارة ، وكاد يفقد توازنه عندما مرت الطائرة الضخمة الى جواره مثل السهم المارق !

واصطدمت الطائرة باشجار الغابة ، وانقلب كل شيء راسا على عقب . لحسن الحظ ظلت الطائرة فى النهاية معلقة بين الاشجار . النار فى المحركات ، ولكن بدن الطائرة سليم .. وقالت المضيفة :

ــ ارجو الهدوء .. لابد ان نخرج سالمين .. اقفزوا الى الارض لا مفر من ذلك .. نحن على ثلاثة امتار من الارض .. لا شيء ، اننا على وشك ان نحترق .. اقفزوا واحدا واحدا !

وفتحت ابواب الطوارىء على مصاريعها .. وكان اول من قفز تاجر السيارات من هامبورج .. لم يصب بضرر ، وقف على الارض واخذ يساعد الاخرين .. كلما هبط واحد وقف يساعد الاخرين .. نظام غريب ابتكره الناس فى لحظات

وعندما وصلت سيارات الاطفاء والاسعاف كان الطيار راينهولد هولز ومساعده مانفرد رود ، وكبيرة المضيفات اليزابيث فريسكا مازالوا فى اماكنهم فى غرفة القيادة .. وقال الطيار :

ــ افتحوا النوافذ .. آن اوان الخروج !

ونهض دون ان يقوى على الوقوف .. كان شبه مشلول . انزلوه وهو شبه مغمى عليه ونقلوه الى المستشفى هو ومساعده ..

لم يكد يستلقى فى سريره حتى غاب عن الوعى .. وعندما فتح عينيه قالوا له : مبروك .. انقذت ٩٩ راكبا !

ــ والباقى ...

ــ يرحمهم الله !

ترجمة : ح . م .

قراءات..

مصطفى الشهابى

سيف ديموقليس

سيف ديموقليس يضرب به المثل فيقال : ((على رأسه سيف ديموقليس)) والأصل فى هذا المثل أن ديموقليس كان نديما للملك ديونيسيوس ملك سيراقوسة بجزيرة صقلية فى القرن الرابع قبل الميلاد . وحدث ذات يوم أن ديموقليس كان فى مجلس الملك فاخذ يمدح عيشة الملوك الهينة والسعادة التى ينعمون بها وحب الآلهة لهم ووجوب طاعتهم طاعة عمياء ، كل ذلك بقصد التزلف للملك .

وسمع الملك ماقاله ديموقليس وفهم ما يرمى اليه ، فأراد أن يلقنه درسا لا ينساه ولذلك دعاه ليتناول العشاء معه ، واحس ديموقليس بغبطة لا حد لها وشكر الملك على دعوته .

ولما حان موعد العشاء حضر ديموقليس فاجلسه الملك على رأس المائدة . وبينما ديموقليس يتلفت حوله ، راى الأنظار تتطلع الى شىء ما فوق رأسه ، فنظر اعلا رأسه ليرى ما استرعى الأنظار فوجد فوقها سيفا مسلولا متدليا من السقف ومربوطا بشعره . !

وبدأ تناول الطعام والشراب فكان يتناول ما استطاع ويزدرده بكل صعوبة وقد جف ريقه وملأ الرعب قلبه ، اذ كان يتوقع سقوط السيف على رأسه بين لحظة واخرى !

وتركه الملك فترة من الزمن حتى احس انه قد نال كفايته ، ثم وجه اليه الحديث بقوله : ((أن سعادة الملوك وهناءهم يتوقف على شعرة ، فاذا حدث خلل ولو قليل ، قد تنقطع هذه الشعرة ويسقط السيف على رءوسهم فيفقدون حياتهم !))

اقتلونى ومالكا

فى موقعة الجمل انبرى عبد الله بن الزبير لمقاتلة مالك بن الاشتر النخعى ، ولما راى عبد الله ما ابداه مالك من التفنن فى الدفاع عن نفسه والجلد فى صد ضرباته ، رمى بنفسه عليه ليصرعه بيديه ، غير أن مالكا صمد له بل وضربه بيديه على راسه ضربات بقيت آثارها فى راس عبد الله حتى مات . واخيرا وقع كلاهما على الأرض ، وظلا فى صراع عنيف .

فلما شعر عبد الله بتغلب مالك عليه صاح برجاله :

اقتلونى ومالكا
واقتلوا مالكا معى !

واخيرا استطاع مالك ان يدفع بعبدالله بعيدا عنه ، وانتهت المعركة .

ولما هدات الفتنة ، زار مالك السيدة عائشة رضى الله عنها ، فاشارت فى حديثها معه الى ما حدث فى تلك الموقعة من عجز مالك عن قتل شاب مثل عبدالله ، فغضب مالك وقال :

اعائش لولا اننى كنت طاويا
ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادى والرماح تنوشه
بآخر صوت ((اقتلونى ومالكا))
فنجاه منى عزمه وشبابه
وخلوة جوف لم يكن متماسكا !

الشطرنج ينقذ حياته

كان ابو الحجاج يوسف من امراء بنى نصر بغرناطة الاندلس قد اختلف مع اخيه محمد السابع المعروف بالمستعين الذى ظن او نمى اليه ، انه يتآمر ضده ويحاول اغتصاب عرشه ، ولذلك قبض عليه وسجنه بقصره ثم امر باعدامه .

ولما حلت ساعة تنفيذ الاعدام كان ابو الحجاج يلعب الشطرنج ، مع احد المسجونين معه ، فلما استدعى للتنفيذ طلب ان يمهل حتى يكمل دور الشطرنج الذى يلعبه .

وسمح الملك للأمير باكمال الدور ، واثناء اللعب مات الملك ..

اصبح يوسف المحكوم عليه بالاعدام ملكا على غرناطة ولقب « بالناصر » !.

بدأ فى طريق .. وسار فى طريق آخر !!

نجيب محفوظ يترجم "مصر القديمة"

● علاء الدين وحيد ●

لم تكن اول اعمال الروائى الكبير نجيب محفوظ قصة او رواية. فقد بدا روائينا الكبير نشاطه الادبى بالترجمة فنقل عن الانجليزية كتابا فريدا عن مصر ..

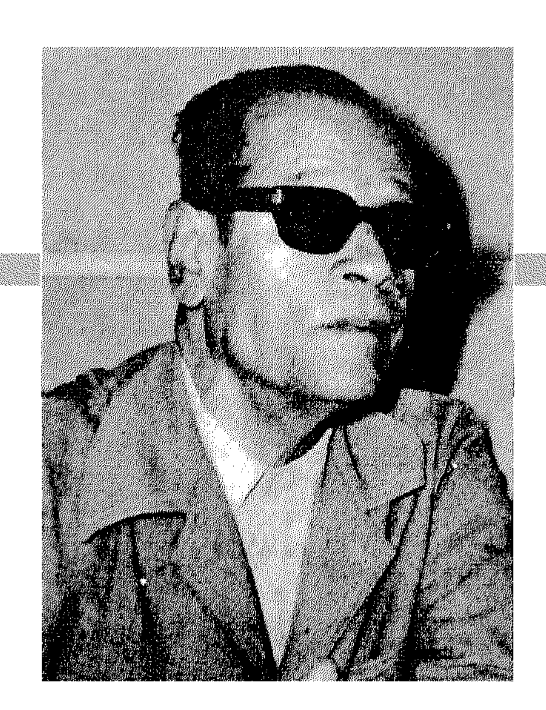
هذا الكتاب الذى نقدم ، كان البداية لعشرات من الكتب قدمها نجيب محفوظ للمكتبة العربية .. لم يحو احدها ترجمة عن الانجليزية اوغير الانجليزية فقد اتجه صاحبها الى التاليف لا فى الدراسات كما يمكن ان تنتمى اليها ((مصر القديمة)) بل الى القصة القصيرة والرواية . واحتاج فناننا الى ست سنوات بعد عام ١٩٣٢ عندما ظهرت ترجمته الاولى والاخيرة ، ليقدم مجموعته القصصية الاولى ((همس الجنون)) فى ١٩٣٨ ، ثم روايته الاولى ((عبث الاقدار)) فى العام التالى اى ١٩٣٩ .. وتتابعت بعدها اعماله الروائية وانتاجه الغزير

ولكن ما هو الباعث الذى دفع نجيب محفوظ فى شبابه الى ترجمة هذا البحث عن مصر القديمة ؟

اكثر من عامل ، الاول التوكيد على الذات الوطنية فى مجابهة العواصف الاجنبية التى تريد ان تقتلع الجذور المصرية بدعوى ان الجذع الذابل فوق السطح ، هو علامة هلاك نهائية . والثانى .. العمل على افساد مفعول حملات التشكيك فى النفوس ، التى يقوم بها المستعمر ليشبط الهمم التى تجد فى مقاومته والخلاص منه ... والثالث : توثيق الصلات بين الاجيال الجديدة وبين تاريخهم العريق الذى لا يعرفون عنه الا النزر اليسير الذى لا يغنى ولا يشبع من جوع .

واذا كان هذا هو موقف المترجم نجيب محفوظ ، فما هو هدف صاحب الاصل ؟ .

يشير جيمس بيكى الى غرضه من وضع مؤلفه هذا فى مقدمة الفصل



● نجيب محفوظ ●

الاول « ارض ذات شهرة قديمة » قائلا « قصدت ــ فى هذا الكتاب الصغير ــ ان اروى لك نتفا من تاريخ هذه الامة العجيبة وابين لك نوع الحياة التى كان يحياها الناس فى تلك الايام الغابرة قبل ان تبدأ الامم الاخرى فى الاستيقاظ وقبل ان يكون لها تاريخ .. »

ومن الواضح ان جيمس بيكي لم يكن يطمع بكتابه « مصر القديمة » ان يضع مرجعا تاريخيا ، بل كان هدفه ان يقدم مؤلفا خفيفا لا يجشم قارئه تعبا ولا يجهد له ذهنا . ولهذا بدا الكتاب منذ سطوره الاولى ، كأنه من كتيبات السياحة والاستعلامات ، موجه أصلا الى القارىء الاجنبى السريع الذى يريد ان يطالع شيئا وهو جالس فى المترو ، عن الفراعنة المصريين . ولذا فهو يقدم المعلومة التاريخية فى برشامة سهلة الهضم .. مما جعله من ناحية اخرى لا يستوعب الجديد فى المضمون أو الاسلوب بالنسبة الى القارىء المصرى العادى فى الاجيال الماضية أو الجيل الحالى ..

لذلك كانت « الروح الصحفية » هى التى تغلب على تناول التاريخ المصرى القديم .. فالكاتب الانجليزى يأخذ المتلقى فى رحلة « حقيقيه » يعلنه بها على الورق لا مجازية ، ويصور ما يلقى المسافر من وعثاء السفر وما يعرض على العين من مشاهد قبل ان يصل الى طيبة عاصمة البلاد .

وهذا الاسلوب جعل من اليسير تجسيد الحياة المصرية فى ادق تفاصيلها ، كما اتاح لدقائق التعامل اليومى الا تغيب فى خضم الاشياء أو القضايا الكبيرة .. مما بلور عراقة الحضارة الفرعونية بلا خطب منبرية او رفع شعارات او استخدام صيغة افعل التفضيل ، وهكذا عرض الكتاب للكثير من الانظمة التى عرفتها مصر القديمة كنظام الجمارك او ضرائب العمال مثلا .

ومن الطريف ان مؤلفنا مع محاولة بعث الامس البعيد ، فهو يستحضر فى هذا الماضى نفسه الروح الحديثة للشعب المصرى ينفثها فى أيامهم المتقدمة بلا اختلاف يذكر ! .. مما اسقط مفهوم التطور والقرون الطوال التى مضت والفارق الحتمى بين ملامح الانسان المصرى قبل الميلاد بمئات السنين وملامحه بعدها بمئات السنين ايضا ! فهو مثلا يجعل شعبنا يتكلم فى صراخ ويساوم دائما ! .

واذا لم يكن من منهج جيمس بيكي رفع شعار أسبقية مصر الفرعونية الى ريادة كل مجالات الابداع الانسانى كما يفعل البعض ، فان سطوره تشارك على الاقل فى توكيد هذا السبق فى اشياء غير تقليدية تكاد تفوت

نجيب محفوظ يترجم
« مصر القديمة »

اصحاب التخصص انفسهم · من ذلك التفات المصرى القديم في مجال الفن ، الى ضرورة الخروج على القاعدة في بعض الاحيان ليتم له خلق العمل الفني ·

يقول صاحب « مصر القديمة » عن دقة الفراعنة في نقش كلماتهم أو بمعنى أدق صورهم على احجار المعابد أو كتابتها على أوراق البردى وصنع خطوطها بالألوان الدقيقة الثابتة التي لم تبهت بعد آلاف السنين : « وكان الكتبة والحفارون عالمين بمكانة فنهم من الجمال والحسن لذلك لم يألوا جهداً في ابرازه في شكل جميل جذاب . وبلغ اعتناؤهم بالجمال انهم كانوا اذا وجدوا ان الصور التي تتكون منها الكلمة أو الجمل تظهر قبيحة المنظر بسبب اتصالها وترابطها حذفوا الصور التي تقبح منظر الصفحة وضحوا بصحة هجاء الجمل في سبيل ابرازها في نسق جميل » ! ·

وجيمس بيكي حريص على ان يذكر القارىء بطريق مباشر وغير مباشر بما طرأ على الحياة البشرية القديمة التي يصورها وهي تمثل صفحة هامة من الحضارة الانسانية من تغيير كبير في العلاقات البشرية والتعامل التجاري · ولذلك فهو كثيرا ما يردد في سطوره صيغ المقارنة والفروق بين الامس واليوم فالنقود مثلا « التي نستعملها الآن كانت مجهولة في تلك الايام ولهذا كانت المبادلة أساس المعاملة التجارية » ·

وبهذا الشكل خرج الكاتب عن التناول التقليدي للحياة الفرعونية ، الذي كان ينحصر في جوانب بعينها لا يعدوها مثل الملوك والأديان والحروب ، الى آفاق الرجل العادي في عمله وخارج عمله وجده ولعبه ولهوه وفي بيته والشارع والخان والسوق . وكذلك في ساعات صفائه وغضبه وشجاره ·

والتسلية هدف هام في مثل هذا الكتاب الذي بين ايدينا ، ولذلك فان صاحبه لم يكتف بأسلوبه ومنهجه ونوادره ، بل يعمد أيضا الى تخصيص فصلين كاملين للحكايات يحملان نفس العنوان وهو « بعض الاساطير » · يقص فيهما أكثر من حكاية شعبية فرعونيه مشهورة ·

واذا كان لهذا الاسلوب مزاياه من الرشاقة أو خفة الدم بلقطاته الصحفية السريعة ، فان له أيضا عيوبه وأهمها انه يجعل مشاعر انسان اليوم هي التي تسير اتجاه العرض ، فينقلنا بطريقة لا شعورية الى الحاضر ·· وهنا يتحول الحديث سواء أكان كلمات معدودة أو اسطر ، الى لقطة من رحلة حديثة يقوم بها أجنبي لهذه البقعة أو تلك من الارض المصرية ! ولا يقتصر استحضار الآن على ذلك ، فان جيمس بيكي لا يجد بأسا في ان يعقد المقارنات أو المقابلات بين أيام رمسيس الثاني التي اختارها زمنا لعرضه أو لكتابه ، وبين أيامنا هذه وخاصة في الحياة الانجليزية بالطبع ·· ولذلك يكثر ترديد كلمة لندن وتذكر المستعمرات البريطانية أيضا · ففي الاشارة الى كثرة الجنسيات في جيش فرعون ، يعقب المؤلف « ·· مثل جيشنا الموجود في الهند » ! أو قوله ان المصريين

اشتهروا بالمهارة فى الرماية مثل الانجليز القدماء ! ٠

وهذه الروح العصرية ولانقول «روح الخواجة » ، تبدو أكثر وضوحا عندما يستخدم المؤلف مقياس العصر الحديث للحكم به على الزمن القديم ، ويجهر بهذا الاستخدام ٠٠ فهو حين يعرض للايمان بالسحر والاستعانة بالوصفات البلدية المدعمة بالقوى الغيبية بدلا من الطب ، يشير الى ما كان يتجرعه المريض المسكين من أشياء مقززة مثل عصير مياه اذن الخنزير أو دماء الضب ٠٠ يفعل الكاتب الانجليزى ذلك غير ملق بالا الى ان الاطباء الاوربيين كانوا يقررون أفظع من هذا على مرضاهم بعد الفراعنة بالآف السنين ٠

وهذا الاسلوب الذى يستخدمه جيمس بيكى ، يهدف ايضا الى تقريب المعلومات القديمة عن البلد العريق لمواطنه الاوربى الذى يمكن أن يكون بعيدا عن فهم روح الحضارة الفرعونية، ولذلك فهو يعمد الى الاشياء التى يعرفها هذا المواطن لتكون همزة الوصل التى تفسر ما يقع على شاشة الامس الحضارى العابر ٠٠ ومن هنا نصادف مثل هذه الاشارة : وكانت هذه الارض - الامبراطورية المصرية ١٥٠ قبل الميلاد - مثل امريكا على عهد الملكة اليزابيث » .. وبذلك ترسخ الملامح التى تقدمها « مصر القديمة » ٠

والاعجاب الكبير لكاتبنا بمصر القديمة ، لم يوصد الباب بالطبع امام اعتزازه بجنسيته الانجليزية ..ولنذكر ان قومه فى ذلك الحين كانوا يحتلون بلادنا وانهم اتوا تحت زعم مساعدة الحاكم الشرعى ضد المتمردين عليه ، بجانب مسئولية الرجل الابيض الحضارية فى انتشال الهمج الذين هم نحن من وهدة جهلهم ٠ وهذه الدعوى الاخيرة كان لابد لها ان تظهر فى سطور جيمس بيكى سواء اراد او لم يرد .. وهكذا تعددت الاشارات غير القليلة الى بصمات بريطانيا العظمى فى مصر والسودان .. تجىء عرضا بالطبع ولكنها تقوم باستدعاء الوجود الانجليزى على اتم وجه ، كما حدث والمؤلف يلمس بناء المهندسين الانجليز للسد العظيم الذى حجب الشلال الاول « ص ٤٤ » .. او نفور « الجندى المصرى من الحرب كما خبره الجندى البريطانى فى معاركه معه » «ص ٢١»!!

ومن الطريف ان نجيب محفوظ فى ترجمته لم يلغ مثل هذه الاشارة الاخيرة المريبة او يعقب عليها مفندا فى هامش !

لقد جعل المؤلف كتابه يتخذ شكل الحديث المباشر الى القلب ، ولذا فهو يخاطب المتلقى ويحاوره ويداعبه ويدعوه منذ البداية الى ان يشاركه مباهج رحلته ومتاعبها ايضا .. كما يحادثه بصراحة فلا يعمد الى تضليله ولا يخفى عنه شيئا ، مما اسقط الحائط الوهمى التقليدى بين المرسل والمستقبل مشيعا جوا من الود جعل الكتاب يبدو كأنه حديث شيق متصل بين صديقين حميمين ! ٠٠٠

الفسطاط

الجامعة الأولى في مصر الإسلامية

١٣

● د. عبد المنعم خفاجي ●

– ١ –

دخلت مصر في الاسلام، واستظلت بلوائه، وحملت راية العروبة لأول مرة، منذ فتحها القائد العربي المسلم عمرو بن العاص عام ٢٠ هـ / ٦٤٠م. وبفضل عبقرية هذا القائد العظيم انتهى حكم الرومان لمصر، هذا الحكم الاستعماري المدمر، ومات هرقل الامبراطور الروماني وقد شاهد هزيمة جيشه، وانحسار نفوذ امبراطوريته، وضياع مستعمراتها، ودانت مصر كلها بالطاعة للحكم الاسلامي، مرحبة بانتهاء العصر المظلم الذي أورث بنيها الفقر والهوان.

وبنى عمرو عقب الفتح مدينة الفسطاط لتكون العاصمة الاسلامية الاولى لمصر. وبدأ فبنى مسجده الجامع عام ٢١ هـ، واتخذ الاماكن التي نزل بها جيشه معسكرا عاما، وبنى حوله مدينة الفسطاط، يتوسطها المسجد الجامع، واخذ يرفع الظلم عن كاهل المصريين، ويعاملهم بالعدل والانصاف والرحمة، واكبر المصريون شريعة عمرو ولغته ودينه، فدخلوا في الاسلام افواجا.

ويحدثنا التاريخ أن عمرو بن العاص (٤٧ ق. هـ – ٤٣ هـ) بعث الى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة معاوية بن خديج، بشيرا بالفتح، في المحرم من عام ٢٠ هـ، فقدم المدينة وقت الظهيرة، فأناخ راحلته امام المسجد النبوي، ثم دخله، فبينما هو جالس فيه، اذ خرجت طفلة من منزل عمر بن الخطاب، يقول معاوية: فرأتني شاحبا، وعلي ثياب السفر، فأتتني، وقالت: من انت؟. فقلت: انا معاوية رسول عمرو بن العاص..

فانصرفت الطفلة عني، ثم اقبلت تعدو، حتى لأسمع حفيف ازارها على ساقها، حتى دنت مني، ثم قالت: قم فاجب أمير المؤمنين، فتبعتها، فلما دخلت المنزل اذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره باليد الاخرى، فقال: ما عندك؟.

قلت: خير يا أمير المؤمنين، فتح الله الاسكندرية..

فخرج معي الى المسجد، وقال للمؤذن: اذن: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، ثم قال لي: قم فاخبر اصحابك، فقمت فخطبت فيهم، ثم صلى ودخل منزله، واستقبل القبلة، فدعا بدعوات، ثم جلس، وطلب الطعام، فقدم خبز وزيت، فقال: كل فان المسافر يحب الطعام، ولو كنت آكلا لأكلت معك، فاكلت على حياء، ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين اتيت المسجد؟ قال: قلت: أمير المؤمنين نائم، قال: بئس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لاضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا

ازدهرت الفسطاط بتوالي الأيام، وصارت العاصمة الحضارية والعلمية والأدبية والاقتصادية لمصر خلال أجيال عديدة وصارت من أكثر الأمصار الإسلامية عمرانًا ورخاءً وعظمة ...

معاوية !!

***

وكان عمرو بن العاص مع هذه الدنيا المقبلة، والسعادة الغامرة، والسلطة النافذة، أسبق الناس الى حق، وابعدهم عن باطل، لم يعهد عليه اثناء ولايته على مصر نقض لعهد، ولا خفر للذمة، ولا انتهاك لحرمة. وقد نهض بادارة شئون مصر ادارة حازمة رشيدة، دستورها مبادىء الاسلام، وشعارها الحق والعدل والمساواة والحرية.

واخذت الفسطاط تتسع وتزدهر، وصارت منذ انشائها عام ٢١ هـ : ٦٤١م عاصمة مصر السياسية، ومنارة الدين واللغة العربية والمعرفة والثقافة، ومقر العمران والحضارة والرخاء اجيالا طوالا ..

وكان مسجد الفسطاط (أو مسجد عمرو بن العاص، أو تاج الجوامع، او الجامع العتيق، أو مسجد الراية) هو أول مسجد قام في مصر العربية، وكان هو بعد قليل مقر جامعة الفسطاط الاسلامية الكبرى.

وكانت المساجد الكبرى في العواصم الاسلامية، لا تلبث بعد انشائها بقليل، ان تتحول الى جامعات تغص بالعلماء وحلقات العلم والدراسة والبحث وبالطلاب، وفي المدينة ومسجدها النبوي قامت اول جامعة اسلامية، ثم قامت في مكة وفي المسجد الحرام بعد ذلك جامعة اخرى، وفي دمشق والفسطاط والبصرة والكوفة، قامت جامعات اسلامية مزدهرة.

وكذلك قامت في القيروان وقرطبة وفاس، وغيرها من العواصم الحضارية الجديدة المنتشرة في شرق العالم الاسلامي وغربه جامعات جديدة تقيم صروحا شامخة للثقافة والمعرفة والحضارة، فرأينا بعد القرون الاولى جامعة الازهر والقرويين والجامعة النظامية والمستنصرية في بغداد ..

***

ولقد اشرف على بناء المسجد الجامع والفسطاط اربعة من الصحابة، هم: ابو ذر الغفاري، ونبهة بن صواب البصري، ومحمشة بن حمزة، وابو بصرة.

ومع ان عبد العزيز بن مروان، الحاكم الأموي على مصر، بعد استردادها من أيدي الزبيريين « ٦٥ ـ ٨٦ هـ »، قد بنى حلوان، وانتقل من الفسطاط اليها، ومع أن العباسيين انشأوا مدينة العسكر عام ١٣٥ هـ شمالي الفسطاط، ومع انشاء احمد بن طولون لمدينة القطائع عام ٢٥٤ هـ ـ فان الفسطاط **لم تتغير منزلتها السياسية والعلمية والادبية، ولم تهبط مكانتها بحال من الاحوال، وحين دخل الفاطميون مصر نظروا الى الفسطاط على انها العاصمة السنية لمصر، فاداروا لها ظهرهم، وانشأوا القاهرة المعزية لتكون العاصمة السياسية والروحية لهم، ولتكون صورة لعقيدتهم الشيعية وخلافتهم العلوية.**

يحدثنا التاريخ أن المعز لما وصل مصر في أوائل رمضان عام ٣٦٢ هـ خرج اعيان الفسطاط واشرافها وعلماؤها لاستقباله في الجيزة، واستعدت

الفسطاط لاستقباله ، وسار موكبه من الجيزة ، ثم جاز النيل الى الشاطىء الشرقى ، وأبى أن يدخل الفسطاط ، وجعلها وراء ظهره ، وامر موكبه بالاتجاه الى عاصمته الجديدة التى سميت « المنصورية » ، ثم صدر امر المعز فى ذلك الحين بأن تسمى القاهرة المعزية ، وقد جمع المعز أشراف الفسطاط من العلويين ، وفى مقدمتهم ابو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينى وأبو اسماعيل ابراهيم بن احمد الحسينى الرسى ، وأحد أبناء الشريف ابى محمد بن طباطبا العلوى ، وسل امامهم سيفه ، وقال : هذا نسبى ، ثم نثر عليهم ذهبا كثيرا ، وقال : هذا حسبى ...

***

ولقد ازدهرت الفسطاط بتوالى الايام ، وصارت العاصمة الحضارية والعلمية والادبية والاقتصادية لمصر كلها خلال أجيال عديدة ، وصارت من أكثر الامصار الاسلامية عمرانا ورخاء وعظمة

أقام عبد الله بن عمرو بن العاص داره فى الفسطاط على صورة الكعبة الشريفة ، وكان عبد الله المتوفى عام ٦٨ هـ ، من جلة العلماء والمحدثين ، وكانت دار الأمير الأموى عبد العزيز ابن مروان « وهو والد عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى العادل » فى الفسطاط من ستة طبقات أو أدوار ، وفيها خمسة مساجد وحمامان

وقد جلس الصحابة والتابعون فى مسجد عمرو ، يتصدرون الحلقات العلمية ، ومجالس العلم ، وشجع ولاة مصر العلماء على نشر الثقافة العربية فى كل مكان من أرض مصر ، وانشئت المساجد واصبحت حلقاتها دورا للثقافة ، يتصدرها المحدثون والفقهاء والعلماء

واستمرت الفسطاط تؤدى دورها الحضارى فى تاريخ مصر والعالم الاسلامى والانسانية كلها ، حتى ليصفها الاصطخرى فى القرن الرابع الهجرى بانها مدينة مصر العظمى ، وبانها فى غاية العمران والخصب ، وبان مبانيها قد تبلغ الواحدة منها ثمانى طبقات ... وينوه كذلك ابن حوقل باهميتها الحضارية ، ويقول عنها المقدسى ان الفساط هى ((عاصمة مصر ، ومفخرة الاسلام ، ومتجر الأنام، وهى اجل من مدينة السلام، ويقول ان حلقات مسجدها الجامع ليس فى عواصم الاسلام أكبر منها ، ومع ان الفسطاط دمرها حريق مروع فى عهد الحاكم الفاطمى ، ثم أحرقها شاور الوزير الحاكم فى مصر عام ٥٦٤ هـ لئلا تقع فى ايدى الصليبيين ، وقد استمر هذا الحريق المدمر اربعة وخمسين يوما، مما جعل المدينة تفقد شيئا فشيئا الكثير من اهميتها الحضارية والفكرية ـ الا انها اخذت تضمد جراحها ، وتستمر فى اداء دورها ، حتى نهاية القرن السابع الهجرى ، فلا نجد لها فى القرن الثامن صدى أو ذكرا ، ومع أن اتخاذ المماليك للروضة مقرا لهم ، قد أضفى على الفسطاط المقابلة للروضة شيئا من الحياة، الا أن هذا لم يجعلها تقف على قدميها كما كانت من قبل .

لقد ترك الفاطميون الفسطاط لشانها، ولكن صلاح الدين والأيوبيين اقبلوا عليها بكل عطف وتقدير ، ثم جاء المماليك فاهتموا بالروضة واكتفوا بها عن غيرها ، الا أن مواجهة الفسطاط للروضة جعل الحياة تتدفق فى شرايينها شيئا قليلا ، حتى أصابتها الشيخوخة وحطمتها . ولقد زارها ابن سعيد الاندلسى عام ٦٣٧ هـ وتحدث عن شهرتها وماضيها العظيم ...

ـ ٢ ـ

لقد قام مسجد الفسطاط بدور الجامعة الاسلامية الأولى فى مصر نحو سبعة قرون ، وعاشت هذه الجامعة العلمية الكبرى فى ظلال ازدهار الفسطاط وعمرانها ورخائها حتى اذا

مسجد الفسطاط أو مسجد عمرو بن العاص ، أو تاج الجوامع أو الجامع العتيق أو مسجد الراية، كان أول مسجد قام في مصر العربية، وكان هو بعد قليل مقر جامعة الفسطاط الإسلامية الكبرى.

دمرت الفسطاط ، وضاعت مكانتها الحضارية والفكرية والادبية ، واصابها الشلل ، والشيخوخة — انتهى دور هذه الجامعة التى خدمت الاسلام والمسلمين أجيالا طوالا ، بل خدمت العلم والانسانية كافة طيلة سبعة قرون

وكان قيام الحلقات العلمية والادبية فى جامع الفسطاط ، بعد انشائه بقليل ، رمزا لحركة البناء والتجديد وطموح العقل المصرى المتوثب دائما .

واعتقد ان عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابى الجليل ، وابن أمير مصر عمرو بن العاص، كان هو المؤسس الاول لهذا الصرح الشامخ ، ولهذه الجامعة الاسلامية الأولى فى مصر ، وكان عبد الله من ائمة الصحابة والمحدثين ، ولا بد أن يكون قد صارت له حلقة علمية فى جامع الفسطاط ، يتصدرها ليفيد الناس فى دينهم ودنياهم ، من حيث يرى الدكتور على اليمنى دردير فى رسالته المخطوطة للدكتوراه والتي عنوانها « الحياة الادبية والنقدية فى الفسطاط ومسجدها الجامع » ان يزيد بن حبيب الذى بعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الى الفسطاط هو مؤسس مدرسة الفسطاط العلمية ، وهذه الرسالة القيمة جديرة بأن تتبنى هيئة من هيئاتنا العلمية نشرها لأهميتها.

وعبد الله بن عمرو بن العاص كان بمثابة الروح البانى للحلقات العلمية الجامعية فى جامعة الفسطاط ، وقد اخذت هذه الحلقات تكبر وتنمو شيئا فشيئا ، وتتسع دائرتها ، وتفيد العقل المصرى الاسلامى الجديد فائدة جلى .

ويكون يزيد بن حبيب تاليا لعبد الله ابن عمرو بن العاص فى ذلك المجال ، ويذكر الدكتور دردير نصا للسيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » « ١/١١٩ » هو ان يزيد بن حبيب كان « أول من اظهر العلم بمصر ، وبين المسائل فى الحرام والحلال وكان الناس قبله يتحدثون فى الترغيب والترهيب والملاحم والفتن » ، وكان الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز قد بعث به الى مصر ، كما بعث كذلك بنافع مولى عبد الله بن عمر « المتوفى عام ١٢٠ هـ » ليعلم أهلها السنن والقراءات وقد صار لنافع مدرسة علمية فى القراءات فى جامعة الفسطاط وكان من أعلامها: مجاهد بن جبير احد العلماء الثقات فى القراءات ، ثم عثمان بن سعيد « ورش » الذى يذكر ياقوت فى «معجم الأدباء» انه كان له مجلس عامر.

ومن مدرسة الحديث عطاء بن دينار الهذلى « المتوفى عام ١٢٦ هـ » وهو بالطبع يعد امتدادا لفكر عبد الله بن عمرو بن العاص . ومن تلاميذ يزيد بن حبيب : ابن لهيعة « ٩٦ — ١٦٠هـ» والليث بن سعد « ٩٤ — ١٧٥ هـ » ، وعبد الله بن وهب « ١٢٤ — ٢٠٠هـ» الذى تاثر بآراء استاذه الليث بن سعد بطريق مباشر ، وبآراء ابن حبيب بطريق غير مباشر

وكان الامام أحمد بن حنبل يقول عن « ابن لهيعة » : عنده الأصول وعندنا الفروع » ولابن وهب كتاب « الجامع فى الحديث » » ، والليث بن سعد هو أحد المجتهدين الأعلام وصاحب مذهب من المذاهب المشهورة. وكتاب تلميذه ابن وهب « الجامع فى الحديث» أقدم كتاب مصرى مخطوط بدار الكتب المصرية ، وعليه ما يفسد أن الكتاب قرىء فى مدينة اسنا عام ٢٧٦ هـ كما ورد فى «حسن المحاضرة» للسيوطى « ١/١٦٨ »

وهكذا ازدهرت حركة جامعة الفسطاط « جامع عمرو » العلمية ، وزادت فيها مجالس العلم ، وحلقات العلماء، زيادة كبيرة، وام هذا المسجد الجامع او الجامعي الكثير من العلماء الاعلام ، والائمة المجتهدين ، ممن افادوا العالم الاسلامي ، وأدوا له خدمات صادقة فى مجال الثقافة والتعليم ، وفى مختلف علوم الشريعة والدين واللغة والادب والعلوم الاخرى

وقد قصد الكثير من الشعراء مصر، ووفدوا الى الفسطاط وجلسوا فى حلقات جامعتها الاسلامية الكبرى ، ابو تمام الطائى « ١٩٠ ـ ٢٣١ هـ » تعلم فى هذه الحلقات ، وابو نواس وفد على الخصيب امير مصر ، وجلس فى حلقات المسجد الجامع وافاد منها .

وفى رحاب هذه الجامعة لقى الكثير من الشعراء والادباء والنقاد وحاورهم وحاوروه ، ومن قبل ذلك وفد على مصر وفسطاطها ومسجدها الجامع : جميل ، وكثير ونصيب ، وايمن بن خريم الأسدى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، وكان الفرزدق قد عزم على زيارة مصر وواليها عبد العزيز بن مروان ، لولا ان جاءه نعى الأمير عام ٨٦ هـ .

ولما وفد الامام الشافعى الى مصر عام ١٩٨ هـ وأملى فيها مذهبه الجديد ، كان مسجد عمرو او جامعة الفسطاط ، مركز نشاطه العلمي الديني ، حيث صارت له حلقة فيه ، وفى زاوية منه كان يدرس فيها مذهبه ، ويدون آراءه ، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الذين دونوا المذهب ، ونشروا علم استاذهم ، كالربيع بن سليمان المرادى « ١٧٤ ـ ٢٧٠ هـ » ، والبويطى « ٢٣١ هـ »، والربيع الجيزى الذى ينسب اليه جمع كتاب الام وترتيبه بعد البويطى وسعيد بن عفير « ١٤٦ ـ ٢٢٦ هـ »، والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل الاكبر « ١٧٠ ـ ٢٥٨ هـ »

وكان عبد الله بن طاهر امير مصر يجعل سعيد بن عفير ثالث عجائب مصر بعد الهرمين والنيل :

ومن جامعة الفسطاط انتشر مذهب الشافعى على أيدى تلاميذه ، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكى الذى كان اول من اعلنه فى مصر ونشره فيها عثمان بن الحكم الجذامى ومن شيوخ المالكية فيها أصبغ بن الفرج ، كما كان اول محاولة لنشر المذهب الحنفى فيها على يدى القاضى اسماعيل بن سميع الكندى ، الذى ولاه العباسيون عام ١٦٤ هـ قضاء مصر ، فعمل على نشر مذهب ابى حنيفة فيها . أما الحنابلة فكانوا قليلين، ومن علماء مسجد عمرو كذلك اسحاق بن الفرات تلميذ الليث ابن سعد « توفى عام ٢٠٤ هـ » ،وقال عنه الشافعى : ما رأيت بمصر أعلم منه باختلاف الناس ، وكذلك اسحاق بن بكر « ـ ٢١٨ هـ » ، وكان يجلس فى حلقة الليث ويفتى بقوله ، والطحاوى واليه انتهت رياسة الاحناف فى مصر « ٢٣٩ ـ ٣٢١ هـ » ، وبكار بن قتيبة من قضاة مصر الأحناف « ٢١٠ ـ ٢٧٠ هـ »

وقامت فى جامع عمرو حلقة تاريخية تصدرها محمد بن اسحاق صاحب السيرة « ـ ١٥١ هـ » ، ثم عبد الملك ابن هشام راويته ، ومحمد بن أبى

الليث ، كمـــا وفـد عليها ابن جرير الطبرى ، وكذلك المسعودى ، وتصدر هذه الحلقة المؤرخون المصريون ، مثل ابن عبد الحكم المصرى مؤلف كتـاب « فتوح مصر » « ١٦٥ – ٢٥٦ هـ » ، ووالده عبد الله بن عبد الحكم «١٥٥ – ٢١٤ هـ » ، والكندى ، وابن يونس « ٢٨١ – ٣٤٧ هـ » وعمار بن وسيمة المصرى « – ٢٨٩هـ » ، وابن الداية صاحب كتاب« المكافاة» ، وابن زولاق المصرى « ٣٠٦ – ٣٨٧ هـ » الذىولد بالفسطاط .

وكان للمعتزلة كذلك حلقة فىمسجد عمرو زعيمها ابن صبيح ، ومنهم أبو عمران موسى بن رباح الفارسى المتكلم، وسيبويه المصرى « ٢٨٤ – ٣٥٨هـ» وابو على بن محمد العاصى الواسطى الذى كان منزعماء المتكلمين المعتزلين فى مصر

ومن مدرسة اللغويين النحـويين الادباء فى جامعة الفسطاط : ابن ولاد « – ٢٣٢ هـ » شيخ العربية فى مصر كما يقول السيوطى فى كتابة حسـن المحاضرة « ١ / ٢٢٨ » ، واحمد بن يوسف بن الداية صاحب كتـــاب «المكافاة » وقد توفى بعد عام ٣٣٠هـ، والحسن بن داود بن بابشاذ المصرى النحوى المشهور « – ٣٣٩ هـ » وابو جعفر النحـاس « – ٣٣٨ هـ » ، والادفوى النحوى المفسر « – ٣٨٨هـ» .. ويروى ياقوت فى كتابه « معـجم الادباء » أن الطلاب المصريين فى جامع عمرو سالوا ابن جرير الطبرى « – ٣١٠ هـ » ان يملى عليهم شعر الطرماح، وكانوا لا يعرفون شيئا منه، وكان ممن ساله فى ذلك على بن سراج المصرى ، فاجابهم الى طلبهم ، واخذ يمليـــه عليهم ويفسر غريبه « ٦/٢٣٣ معجم الادباء »

ومن العلماء الاجلاء ابوبكر بنالحداد « ٢٦٥ – ٣٤٥ هـ » وكان كما يقول السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة» « ١/١٢٦ » يلقب بفقيه مصروفصيحها وعابدها ، وكان يدرس فى جامع عمرو

وقد وفد على مصر ابوالعباسالناشىء الاكبر « – ٢٩٣ هـ » والقى آراءه فى الشعر والنقد فى مسجد عمرو

وقد تصدر حلقات العلم فى هـذه الجامعة الكبيرة بعض الوزراء ، من مثل احمدبن يحيى الوزير: ابنسليمان التجيبى « ١٧١ – ٢٥٠ هـ » ، وكان له مجلس عام بجامع عمرو ، وقـد صحب الشافعى حين وفد الى مصر ولازم حلقته العلمية فى هذه الجامعة « جامعة الفسطاط »، ولازمه ، واخذ الكثير منه ، كما يقول السيوطى فى كتابه « بغية الوعاة » – ص ١٧٤ ، متخذا فى ذلك سنن أستاذه الخالد ، الامام الشافعى الذى كان يجلس فى جامع عمرو يلقى فيه دروسه العلمية الحافلة حتى استأثرت به رحمة الله، وكان اعرابى يتردد على حلقه الشافعى فى مسجد عمرو ، فجاء بعـد موت الشافعى ، فلم يجد قمر هذه الحلقة، فقال للطلاب الذين يجلسون فيها : اين قمر هذهالحلقة وشمسها ؟ فقالوا : توفى الى رحمة الله ، فامتلأت عيناه بالدموع، وقال : رحمه الله وغفر له ، لقـد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويوسـع بالرأى أبوابا مسدودة .

●●●

وكما كان ابو نواس من قبل « ١٤٥ – ١٩٨ هـ » يجلس فى حلقة خاصة فى جامعة الفسطاط ، ويتخـذ له مجلسا أدبيا فى المسجد الجامع ، ويلتف حولهالشعراء والادباء والنقاد ، اثناء اقامته فى مصر ، كان كذلك يفعل ابو الطيب المتنبى اثناء اقامتـه فى الفسطاط « ٣٤٦ – ٣٥٠ هـ » ، يجلس فى حلقة خاصة فى جامعـة الفسطاط وحوله الشعراء والنقـاد والادباء يملي وينشد شعره لهم ، ويستمع لنقـدهم ، ويحاجهم ويحاجونه ، وكان ممن اخذواينقدون

شعره : الوزير ابن حنزابة وزيركافور الاخشيدى « ــ ٣٥٧ هـ » لان المتنبى ابى أن يمدحه، وكذلك سيبويه المصرى ابو بكر محمد بن موسى الصيرفى ، وسواهما .

وكان هناك فى حلقة مسجد الفسطاط لفيف من الشعراء يبدون اعجابهم الشديد بالمتنبى وشاعريته ، ومنهم : عبد الله بن محمد بن ابى الجوع ، وصالح بن رشدين الكاتب، وابن طباطبا العلوى المصرى وسواهم.

وهكذا تعددت الحلقات وتنوعت فى جامعة الفسطاط وتصدرها كبار العلماء والادباء والمفكرين والنقاد ، وخرجت هذه الحلقات اجيالا عظيمة من الباحثين والمتخصصين عاما بعد عام ، مما أمد مصر بهالة من الجلال، وجعلها تتصدر أمم العالم الاسلامى فى حمل رسالة الدين والثقافة والحضارة، حتى لقد سبقت بغداد فى هذا المضمار

ــ ٣ ــ

استمرت جامعة الفسطاط تؤدى دورها الحضارى فى بناء الانسان المصرى العربى طيلة ايام الولاة الامويين والعباسيين . وبفضل هذه الجامعة أصدر أمير مصر الأموى عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمرا رسميا عام ٨٧ هـ بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة .

وازدهرت الحلقات العلمية فى هذه الجامعة فى عهد الطولونيين (٢٥٤ ــ ٢٩٢ هـ) ، والاخشيديين (٣٢١ ــ ٣٥٨ هـ) .

وانتقلت الدولة الى الفاطميين من عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م واستمرت فى ايديهم قرنين كاملين أو يزيد ، حتى عام ٥٦٧ هـ ١١٧١ م .

وشيد الفاطميون الازهر ، وافتتح فى رمضان من عام ٣٦١ هـ ، ولم يلبث ان اقيمت الحلقات العلمية فيه ، وصار جامعة اسلامية ثانية فى مصر ، ثم اقام الحاكم الفاطمى دار الحكمة او دار العلم الشهيرة ، عام ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، التى تنافست الازهر ايضا فى رسالته العلمية الجامعة ، ومع ذلك كله فقد كانت مكانة الفسطاط وجامعة الفسطاط قوية ضخمة، لم تتاثر بالعواصف السياسية الهوج فاستمرت جامعة الفسطاط فى مسارها العلمى ، فالحلقات العلمية والعلماء والطلاب ، ظلت كما هى ، وظل التدريس فى مسجد عمرو طويلا .

وكما كان ابن حنبل يقول لطلابه فى بغداد : « ان بمصر أى الفسطاط صحيفة فى التفسير رواها على بن طلحة الهاشمى عن ابن عباس ، لو رحل رجل منكم الى مصر ليطلع عليها ما كان هذا كثيرا» ، كان الشريف الرضى (٣٥٩ ــ ٤٠٦ هـ) فى بغداد يقول :

ما مقامى على الهوان وعندى
مقول صارم وانف حمى
احمل الضيم فى بلاد الاعادى
وبمصر الخليفة العلوى ؟.

وكان الشعراء فى العالم الاسلامى يهتفون لمصر وحلقاتها العلمية ، وجامعاتها الفسطاط ، والازهر ، ودار العلم ، وهم يقولون :

اسكان مصر جاور النيل ارضكم
فاكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر

وظل مسجد الفسطاط الجامعى منتدى لاهل الفضل والادب ، وحمل لواء الثقافة الاسلامية العربية خافقا عاليا ، كما كانت الفسطاط مدينة حضارية ذات منزلة علمية وفكرية وادبية واقتصادية رفيعة .

واذا كان الجامع الازهر قد اخذ ينافس المسجد الجامع الجامعى فى الفسطاط فى حلقاته العلمية ومجالسه الادبية، كما اخذت دار الحكمة تنافسهما معا ، حيث صارت مثوى للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية ، فان الفسطاط وقد فقد رعاية الدولة لم تضعف قوته، ولم تلن قناته، واحتفظت جامعة الفسطاط باهميتها وبطابعها الدينى والادبى معا ، وفى فترات ضعف الخلافة الفاطمية كانت الفسطاط وحلقاتها العلمية تتفوق على القاهرة ،

مما تحدث عنه الكثير ممن زاروا مصر من العلماء والرحالة المسلمين ، من مثل أمية بن عبد العزيز بن ابى الصلت « ٥٢٩هـ » الذى وفد على مصر ودرس الحركة الادبية والفكرية فيها ، وكتب عنها رسالة بقى منها صفحات قليلة هى التى وصلتنا ، تحدث فيها ابن ابى الصلت عن بعض ادباء مصر وعلمائها ، ومجالسهم الفكرية والادبية • وكانت الفسطاط آنذاك ايضا من اغنى الامصار الاسلامية ، واكثرها رخاء .. وقد وصفها القاضى محمد بن سلامة القضاعى (٤٥٤ هـ) فى القرن الخامس فقال ان فيها من المساجد ستة وثلاثين الف مسجد ، ومن الحمامات الفا ومائة وسبعين حماما ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، واسواقها عامرة وهى عامرة بالمنازل الشاهقة ، وفيها دار عبد العزيز أبن مروان ، وفى داخل هذه الدار خمسة مساجد وحمامان ، أما بضاعة العلم فى الفسطاط فكانت أغلى البضائع وانفسها

وفضلا عن الاسواق التى كانت للكتب فقد كانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين بالعلم ، وحلقات العلم تعقد فى المساجد ، وكان جامع عمرو الذى يسمى تاج الجوامع مكان التحديث والتدريس من عهد الصحابة الى زمن الائمة ، وفيه كانت حلقات الامام الليث بن سعد والامام محمد بن ادريس الشافعى •

واستمرت هذه الحلقات العلمية كل يوم بلا انقطاع فى جامع عمرو ، وكانت لا تقل عن بضع واربعين حلقة فى عام ٧٤٩ هـ ، كما يقول السيوطى فى « حسن المحاضرة » (١٣٦/٢) .

واحرقت الفسطاط فى عهد الحاكم ثم فى عهد شاور عام ٥٦٤ هـ ، وفى الحريق الثانى محيت هذه المدينة الاسلامية بما فيها من ذكريات ومكتبات ومدارس ومعاهد علمية ومع ذلك اخذ الناس يعمرون الفسطاط فى عهد صلاح الدين الايوبى والدولة الايوبية ، ويسكنونها ، ويقيمون فيها ، وينظمون الحلقات العلمية والادبية من جديد فى مسجدها الجامع •

وفى القرن السابع وفد ابن سعيد الاندلسى الى الفسطاط عام ٦٣٧ هـ ، ووصفها فى كتاب (المغرب فى حلى المغرب) الذى افرد منه فصلا كبيرا عن الفسطاط بعنوان « الاغتباط فى حلى الفسطاط » وقد نشر فى مصر ، تحدث فيه عن المدينة وادبائها ، وشاعرها ابى الحسن الجزار (ـ ٦٧٩ هـ) ، وكانت الفسطاط قد استردت الكثير من بهائها السالف ، واهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الجديدة التى انشاها الملك الصالح فى جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط سنة ٦٣٨هـ ، واتخذها عاصمة له • فسكن كثير من الامراء والكبراء بالفسطاط فى الضفة المقابلة للروضة • وظل مسجد عمرو برغم عفائه وقدمه ونسيان أمره عامرا بحلقات العلم والدرس ، وإن كان لم يعد الى شموخه القديم

ولم يتخل المسجد الجامع ـ جامعة الفسطاط ـ عن دوره الحضارى والفكرى والادبى حتى نهايات القرن السابع الهجرى .. ثم سكت الصوت ، وخفت الضوء ، وحمل الازهر وحده عبء الثقافة الاسلامية فى مصر العربية ، وهكذا انتهى دور جامعة الفسطاط الاسلامية •

ـ ٤ ـ

انها لرحلة شاقة . لا يستطيع فرد ان يعيش وحده معها ، وهى محتاجة الى جهد طويل للكشف عن طبيعة المهمة العلمية ومناهج الدراسة التى اضطلعت بها جامعة الفسطاط نحو سبعة قرون كاملة ، وللكشف عن العلماء الذين تصدروا حلقاتها عاما بعد عام .

ياليت هذا المسجد الجامع العتيق ، ياخذ دورا حضاريا جديدا فى ظلال الثورة العلمية التى ننشدها .. وما ذلك على الله بعزيز •

التمرد الاجتماعي في الشعر العربي المعاصر

● د. محمد احمد العزب ●

● كان التمرد الاجتماعي في الشعر المعاصر وليد احساس عارم بفداحة العلاقات الاجتماعية الجائرة في كل منحى من مناحي الحياة العربية : سياسيا، واجتماعيا ،وحضاريا .. بمعنى أن قلة قليلة من جماهير الأمة كانت تحتكر النفوذ في كل مظهر من هذه المظاهر ، وتتداول هذا النفوذ جيلا بعد جيل .. وكانت الكثرة الساحقة من جماهير هذه الأمة مطحونة بواقعها الطبقي الادني ومحكومة بالبقاء في قاعه، ومحرومة حتى من التطلع الى عدل اجتماعي يمكن أن يقرب تقريبا حقيقيا بين طبقات هذا المجتمع .

وكانت تثور بين الحين والحين ثورات اجتماعية ربما تكون قد افلحت في تكوين احساس مشترك بين الجماهير بضرورة المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، ولكنها لم تنجح كثيرا في تطبيق النظرية على الواقع ، والمثال على حركة الوجود الحي ،فبقيت العلاقات الاجتماعية تئن باستمرار من ظهور طبقة اقطاعية جديدة ، بوجه جديد ،وباسلوب جديد .

ولكن الطبقة المثقفة في مختلف جوانب العالم العربي لم تستسلم لهذا الواقع الباهظ ، وانما أخذت تهزه من قواعده هزا عنيفا ، وكانت ترى أن طريقها الى تغيير مثل هذا الواقع لا يكمن في الثورة المادية عليه فحسب ــ فكم من انتفاضات حدثت ولكنها لم تغير سوى السطح الخارجي للنظام الطبقي ــ وانما يكمن في الثورة الفكرية على ما فيه من وضعية عشوائية تضع قانون التفاوت بمنأى حتى عن مجرد المناقشة والحوار مستعينة في دعم هذه الوضعية الشاذة بالظلام الفكري الذي كان يسود المرحلة ، ويغلف المضمون الثقافي الذي يقدم الى جماهيرها .

وقد قاد هذا التحول الهائل في السياسة والدين والفكر والاجتماع **رجال من امثال: محمد عبده، والكواكبي، ومصطفى كامل ، وقاسم امين ، وسعد زغلول ولطفي السيد ، وغيرهم ، على تفاوت في الحضور الزمني والفكري بين هؤلاء جميعا ..**

ان الحقيقة الموضوعية تنطق بعمق التحول الهائل الذي احدثه او مهد له هؤلاء فأخذت الجماهير العريضة تضيق ضيقا واعيا بحقائق التفاوت الطبقي ، واخذت كذلك تنضو عن كاهلها عبء كثير من المسلمات الاجتماعية والدينية والفكرية .. وكان الشعر من وراء ذلك ومن امامه يحدو الى ضرورة الثورة ، ويعمل على اشعال جذوة الغضب ، ويؤهب لمحاولات التغيير .. مما يؤكد ان نهضة شعرية حقيقية كانت تدق على الابواب في اصرار هناك .

وكانت هناك نهضة لاحياء الثقافة العربية القديمة وتحقيق التراث الذي

تركه اعلام الفكر والادب فى الحضارة الاسلامية ، وقد تولى اذكاء تلك النهضة وحمايتها من ان تقضى عليها الدعوات التجديدية المتطرفة طائفة من اعلام البحث والتحقيق امثال : « احمد تيمور » و « شكيب ارسلان » و « محمد كرد على » ..

وكانت هناك ايضا نهضة علمية تحاول الخروج بالتعليم من نطاق اعداد موظفين محدودى المعرفة الى آفاق البحث الحر والمشاركة فى العلم فى ميادينه الرحبة التى جاءت بها الحضارة الحديثة .

وقد تجلى مظهر هذه النهضة فى انشاء الجامعة الأهلية التى اصبحت فيما بعد ((الجامعة المصرية)) الرسمية

وكانت هناك ايضا نهضة تثقيفية عامة تجلت فى التصانيف المختلفة وفى المجلات والصحف اليومية المتعددة ، فرأينا مثلا ((شبلى شميل)) يبشر بنظرية التطور ، و ((يعقوب صروف)) يغذى القارىء العربى بمادة علمية مبسطة ، و ((لطفى السيد)) يوجه الأفكار الى الاسس التى تتوافر بها تربية الفرد والجماعة (١)

وكان من نتائج الاحساس الحاد بخطأ التركيب الاجتماعى الذى أشاعته روح التحول فى كل شىء ، أن أخذ الشعر العربى يقود معركته بلا توقف ضد مظاهر التفاوت الطبقى من جهة.. وضد مظاهر الجمود على اشتات من القيم المتيقة من جهة اخرى .. حتى ان هذا الشعر قد أخذ يعكس وضعية المعارضة كانها غاية فى ذاتها، وتلك سمة من سمات الجموح نلمحها فى كل طور من اطوار التحول والانقلاب فى الفن والحياة ، الا ان الظاهرة العامة أخذت بعد ذلك تتسق مع منطقها الطبيعى ، فأنماط شعر التمرد بكاهله عبء معارضة الفادح والمتهرىء فى العلاقات الاجتماعية والقيم التراثية على السواء ...

واذا سلمنا بان هناك تعارضا حتميا بين الفنان والمجتمع ينشأ من جمود المجتمع على انماطه وتقاليده، فى مواجهة ضيق الفنان بوضعية الجمود على كل الانماط والتقاليد ، فان هذا التعارض ينشا اساسا ليس من شعور الفنان بالامتياز على العالم القائم نحسب كما يقول « توماس مان » (٢)، وانما من شعوره الطاغى بان وضعية التركيب الاجتماعى فى شكلها المتخلف تقضى اساسا على عناصر التفوق الذاتى والجمعى ، وايضا على عناصر النبوغ الشخصى والموضوعى .. اى أن تشوه العلاقات الاجتماعية بسبب الفرد المتفوق بالاحباط والسقوط ، وبسبب البيئة الفكرية بالتمزق ، والانهيار ، فلا يبقى هناك امل فى أن ينبغ الفرد أو تنبغ الجماعة ، كذلك لا يبقى هناك أمل فى أن تمتاز البيئة

(١) محمود تيمور ــ اتجاهات الأدب العربى فى السنين المائة الاخيرة ص٣٣

(٢) انظر : الرؤية الابداعية (جمع هاسكل بلوك ،هيرمان سالنجر) مقال الفنان والمجتمع ، لتوماس مان ــ ص ١٣٥

الفكرية بلون من الوان الامتياز ..
فاذا عارض الفنان او تمرد فانمـــا ينبع هذا الفعل المصادم من التزامـه المطلق بقضية التمهيد للتفوق الذاتي والغيري ، وايضا بقضية التمهيــــد للنبوغ الشخصي والموضوعي ، وليس من مجرد احساسه المتضخم بالامتياز على العالم كما يقال .

من هنا كان شعر التمرد الاجتمـاعي يبدأ من نقطـة الالتزام بقضية التغيير لصالح التطور ، لانه يعرف جيـدا أن الثبات تحجر عند وضعية واحدة بينما تنتقل الحياة في كل لحظة من النقيض الى النقيض .. ان بعض قيم اليــوم كانت بعض جرائم الأمس ، وكذلك فان العلاقات الرابطــة خلف كـل تركيب اجتماعي تتشكل بشكل هذا التركيب المستحدث والصائر بلا جمود .

قد نتساءل :

اذا كان شعر التمرد هكذا صائرا ابدا، فمن اين يتاتى له ان يكون ظاهرة مـن الظواهر ، وهذه بطبيعتها تحتاج الى مساحة زمنية تتخلق داخلها وتتحـور لتصير قضية او ظاهرة ؟

ان هذا التساؤل مشروع من جهة، وغير ذي موضوع من جهة أخرى .. لان مشروعيته تنبثق من ملاحظة الحركة في سرعتها وجريانها بحيث يصعب على الفكر الناقد ان يسلم بامكان تشكل ظاهرة من الظواهر وسط هذا الدوار السريع ... ولان عدم مشروعيته ينبثق من ضرورة الوعي بان التمرد الذي يقفنا امامه كحقيقة نقدية كاملة هــو تمرد فرض نفسه على الفن والتاريخ معا بما هو ظاهرة فنية تخلقت داخل اطارهـا التاريخي ، واتيح لها من خلال الفعل ورد الفعل جميعا أن تصارع تيـارات معها وضدها وتفرض حلولها من خلال هذا الصراع الرهيب ، والا لما اتيح لنا ان نقف حيالها دارسين او متاملين .

هذا جانب .. والجانب الاخر ، ان اي ظاهرة فنية لا تولد هكذا كاملة ، وانما تحتاج الى ممارسات صـعبة ومتكررة تثبت من خلالها جدارتهـا بالبقاء ، وشعر التمرد الاجتماعي واحد من هذه الظواهر الفنية، أخفق ووفق، حاول وكبا ، ثم حاول ونهض.. صادم كثيرا من قيم التفاوت وكثيرا من قيم التخلف ، ولكنه لم يجهز على كل هذه القيم في جولة واحـدة ، لقـد قطع اشواطا فنية وتاريخية حتى أتيح له أن يظفر ببعضها وان يظفر بعضها ببعضه، ثم تخلفت في النهاية صورة هذا الصراع الهائل كما نراها الآن ...

واذن فالقيم التي يصاولها شـعر التمرد لا تستسلم طفرة واحدة ، ولا تلقي سلاحها في لحظة ثم تخلد الى البوار ... على النقيض ، انها تظل تقاوم بلا هوادة ، وتقاوم الى آخر ارماقها، مما ينتفي معه ان تكون حركة شعر التمرد حركة صائرة ابدا على المستوى التاريخي الذي تنمحي معه اللحظات ..

ان الاصح هنا ان يقال : ان شـعر التمرد صائر نعم ، ولكن على المستوى التاريخي الذي تمتد فيه اللحظة الى جيل او بعض جيــل ، لان القيم التي يصاولها تستمد عناصر وجودها مـن أزمات متواصلة ، وعسير ان تعلن عن بوارها هكذا من أول جولة ، إن هزيمتها تحتاج الى مساحة زمنية موائمـــة لرسوخ جذورها في التاريخ .. فاذا تم للتمرد الاجهاز عليها، صار الى مواجهة غيرها ، وهكذا ينبغي ان نفهم صيرورة شعر التمرد ، وهو فهم صـميمي في هذه الدراسة ، وربما كان محورا من محاورها الاساسية .

ويمتاز شعر التمرد الاجتماعي عن غيره من شعر التمردات الاخرى بكونه شعرا عاملا في نقض بناء التقاليد التي تحكم حركـة الاجتمـاع البشري ، اي بكونه شعرا متحركا على ارض الواقع بكل ثقله الوجودي، يناجز على جنباته قيم التخلف ، والظلم ، والسيطرة ، والابتزاز ، وفــرض الارادات .. اي انه يصير حركة عضوية من حركة الواقع في سعيها الى الافضل والاعدل ، بكل

ما يعنى ذلك من مكابدة ، ومعاناة ، واحتكاك ... وليس مجرد تمرد سالب منسحب الى عوالم الذات المادية أو الشعرية ، مسترسل فى دوامة البكاء الرومانسى على ضياع الجنة الموعودة، أو الحلم الاسطورى المنشود على ارض الواقع .

ان فى هذا التمرد السالب ـ كمايرى البيركامى ـ خيانة لاصول التمرد، لان التمرد الراشد « يسعى الى العمل فى المجتمع ليحقق نفسه تحقيقا افضل ، بدلا من ان يرفضه » (٣) .

وهو راشد ليس لانه « يعمل» فى المجتمع فحسب ، ولكن لانه يعمل عن « معرفة » ووعى بما يعمل ، « وانما يقترن التمرد بالقدرة حين يتمرد الانسان ليهدم عن معرفة ويبنى عن معرفة ، ولو كان كل هدم تمردا محمودا لكانت الغازات فى جوف الارض سيدة المتمردين والمتقدمين . لانها تنطلق مع الزلزال فتهدم عن الشمال وعن اليمين» كما يقول العقاد . (٤)

التمرد الاجتماعى اذن تعبير عن ضيق الفنان بفداحة التفاوت الطبقى، ورفضه لغلظ القيم المتخلفة ، ومعارضته للجمود فى كل شىء ، وثورته فى وجه الانسحاب والسلب ، وقد برزت هذه الظواهر الاساسية كلها فى الشعر العربى المعاصر ، وجسدها شعراء المرحلة تجسيدا حقيقيا يعبر عن إيمانهم بقضية الرفض لمواصفات الاجتماع والفن التى كانت تسود هنا وهناك ..

ففى قصائد التمرد على التفاوت الطبقى لم تعد هناك قداسة مخلوعة على طبقة بذاتها ، وانما على النقيض بدت هذه القصائد كانما تريد ان تجرم هذه الطبقات وتخلع شيئا من القداسة على عذابات الطبقة الكادحة ، ربما لانها تريد ان تنتقم لتاريخ الحرمان من تواريخ البشر ، وللجماهير السابقة من النخبة المتخمة ، وهكذا ياخذ رد الفعل شكلا من اشكال الجموع الذى يعكس الاشياء من النقيض الى النقيض ...

كذلك نجد فى شعر التمرد على التقاليد والقيم ليس ثورة على شيوعها وتاصلها فحسب ، وانما محاولة لتجميل اضدادها حتى ولو كان القبح هو هذا الضد النقيض .. وفى هذا الاتجاه بالذات نستطيع ان نزعم ان كسب الفن كان كبيرا ، لان المجاهيل التى ارتادها ـ بعد أن كانت محرمة عليه بقانون غير مرئى ـ وسعت من رقعة الأرض التى يتحرك عليها ، واتاحت له ان يغنى للألم والقبح غناء الفنان المتعاطف مع ما فى هذه المعانى من ماساوية شفيفة صادرة اولا واخيرا عن الذات الانسانية بما هى عالم مائج بضروب شتى من الألوان والأطياف والظلال ، لان الشعر يحيط بالوجود وينطلق فى كل الاتجاهات ، فترسم ريشته المليح والقبيح ، وتتناول المترف والمبتذل ، والرفيع والوضيع

ومثل هذا نستطيع تطبيقه فى معارضة شعر التمرد للجمود ـ وثورته فى وجه الانسحاب والسلب ... انه ينشب اظافره فى لحم اضداده بلا هوادة .

هكذا ينظر شعر التمرد الى الموضوعات والقيم الصادمة للعرف الاجتماعى والعرف الفنى ، أنه ينزع من كل شىء قداسته الموروثة، ويقتحم بالشعر أبهاء كل شىء ، فاذا هو خاضع بالضرورة لمنطق الفن لا منطق الاخلاق .. انه يحاكم الظاهرة الموضوعية من خلال خضوعها او تابيها على منطق الفن ، وليس يهم بعد ذلك ان تكون مهادنة او مصاولة ، عرفا او انتفاضا .. وبهذا كسب الشعر للفن ارضا واسعة ومحاور اساسية استطاع من

(٣) روبير دولوبيه ـ كامو والتمرد ـ ص ٤٥ ـ ٤٦
(٤) عباس محمود العقاد ـ بين الكتب والناس ـ ص ٦٠٩

خلالها أن يعطى قيما جمالية فى الوقت الذى كان يعكس فيه قيما غير جمالية، وأن يكتشف على خارطة الذات بعض مناطقها المجهولة الملأى بأسرار العظمة والهبوط !

وربما ـ حين نخلص الى الشعر ـ نستبين من هذه المحاور انماطا تؤكد كلها أو بعضها ان اقتحام شعر التمرد لهذه المجاهيل كان فاتحة تألق وازدهار لهذا اللون من ألوان التعبير الفنى .. وتدفع الحركة النقدية لاعطاء هـذا اللون من التقييم ما يستحقه أو قل ما يضعه فى مناطه الحقيقى من حركة الابداع .

ونحن لا نغامر حين نزعم بان مجالات شعر التمرد الاجتماعي قد تراحبت فى بعض الاطوار التاريخية وقد تضمر فى بعضها الآخر ، وأن مدى تراحبها فى طورنا التاريخى ـ منذ أوائل القرن العشرين حتى الآن ـ كان من الاتساع والاندفاع بحيث شمل مناطق التعبير عن غباء التفاوت الطبقى ، وضرورة الثورة على كثير من القيم الاجتماعية، وحتمية انعتاق المراة من أسر العبودية الاجتماعية ، ثم محاولة تجاوز التحرير الى الوان من التعرية الهائلة للمشاعر الانسانية والمواقف الانثوية المتسمة بكثير من الجراة وعرامة التعبير ..

وقد يتخطى هذه التخوم الخطرة الى مناطق اكثر خطورة وتفجرا ، اى ان التمرد الاجتماعي فى الشعر العربى المعاصر سلط غضبه وانقضاضه على طبيعة العلاقات الاجتماعية فى شكلها الطبقى من جهة، وعلى طبيعة العلاقات الاجتماعية فى شكلها النوعى من جهة اخرى ، فزلزل كثيرا من القواعد المستقرة الهادئة وغير كثيرا من المفاهيم المسلمة السائدة ، واتاح لكثير من قيم التحرر القاسط والمنحرف ان تفرض حلولها على واقع الحياة الاجتماعية .. ●

أجرت مجموعة من كبرى دور النشر فى أوروبا دراسة للكتب التى يقبل عليها أغلب القراء ، وقد ظهر من احصاءات التوزيع أن الكتب التى تتناول موضوع « الحظ » والمستقبل هى اكثر الكتب انتشارا وشهرة ، بل ان بعضها يباع منه اضعاف ما يباع من الكتب الثقافية، واحيانا يحقق مكاسب خيالية ، لا يحلم بها مؤلفو الكتب العلمية الجادة ! ..

وقد وصل الشغف والتلهف على معرفة الحظ الى حد ان اخترع اليابانيون اخيرا جهاز « كمبيوتر » ، يمكن اعتباره اغرب جهاز قد يتصوره انسان، وذلك هو الكمبيوتر الفلكي الذى يتنبا بحظ اى شخص اذا ما غذى ببعض المعلومات الشخصية عنه ، كالاسم الثلاثى ويوم الميلاد وتاريخه وساعة الميلاد .. الى غير ذلك من البيانات .

وقد انتشر هذا الجهاز هناك لصغره واصبح اغلب السيدات يحملنه فى حقائبهن ، بل ويضعه رجال الاعمال على مكاتبهم لاستشارته فى أية لحظة !

ناس وصور

وحكايات

الناس مقامات

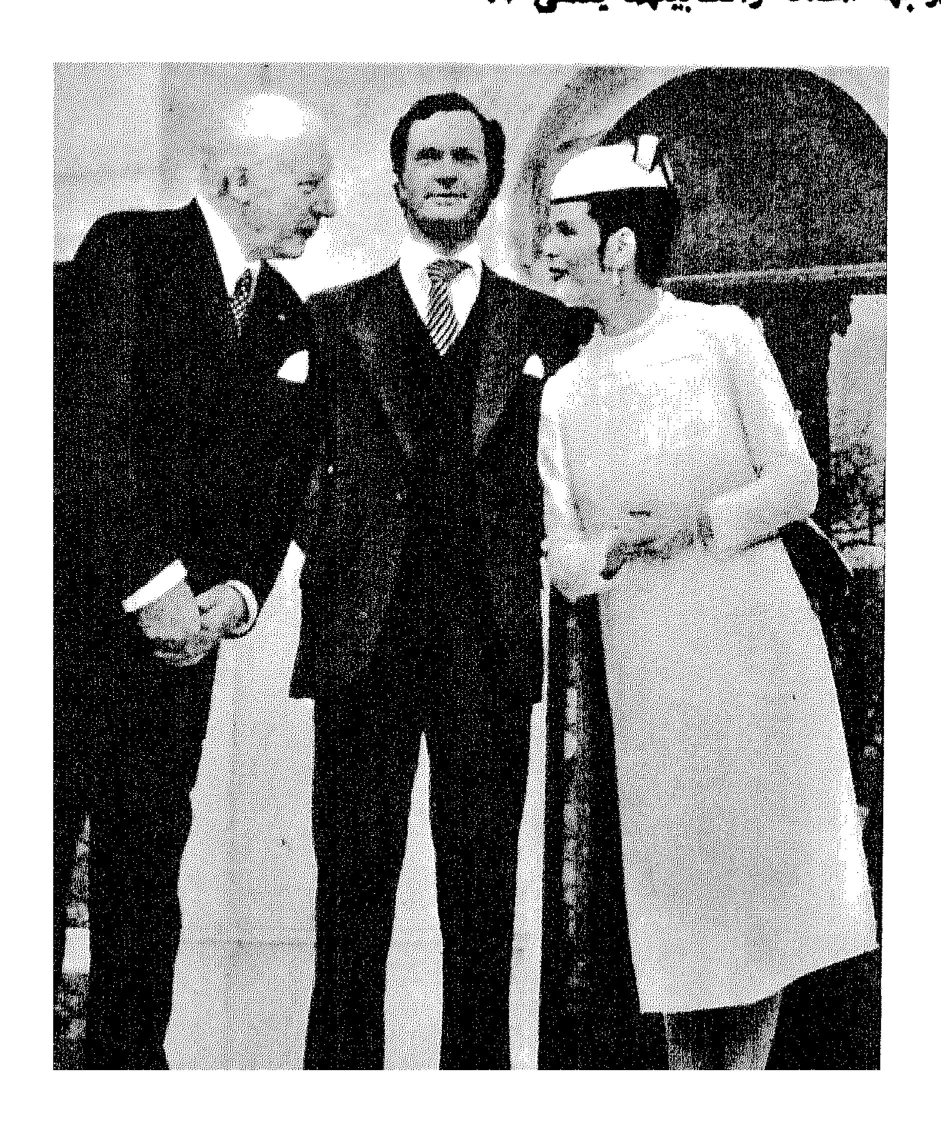
سيلفيا سومرلات كانت فتاة المانية عادية جدا . تجد مثلها عشرات فى اى شارع فى كل مدينة بالمانيا . وكانت فى الثلاثين من عمرها عندما اختاروها سنة ١٩٦٢ لتكون احدى مضيفات الالعاب الاولمبية فى ميونيخ .

وفى المدينة الاوليمبية تعرفت على شاب خجول لا يكاد يتكلم ، هو كارل جوستاف ولى عهد النرويج اذ ذاك . اختاروها لتكون مرشدة ودليلا له ..

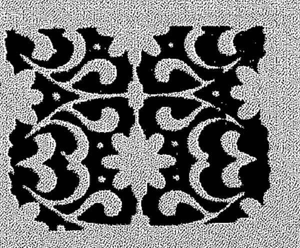
وتعلق قلبه بها وتعلق قلبها به . وتكررت ربما للمرة الالف حكاية سندريلا واصبحت سيلفيا حضرة صاحبة الجلالة ملكة النرويج

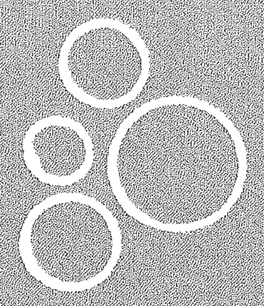
وفى احدى زيارات زوجها الرسمية زارت بلدها المانيا ، واستقبلها الهر فالتر شيل رئيس الجمهورية .

وبين يدى البنت الالمانية العادية التى اصبحت ملكة وقف رئيس الجمهورية يتحدث بكل ادب ويداه متشابكتان ليسمع كل كلمة تقولها ((ماجيستيك)) .. اى صاحبة الجلالة وزوجها الملك واقف بينهما يصغى ..







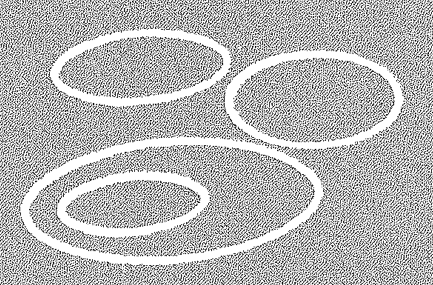


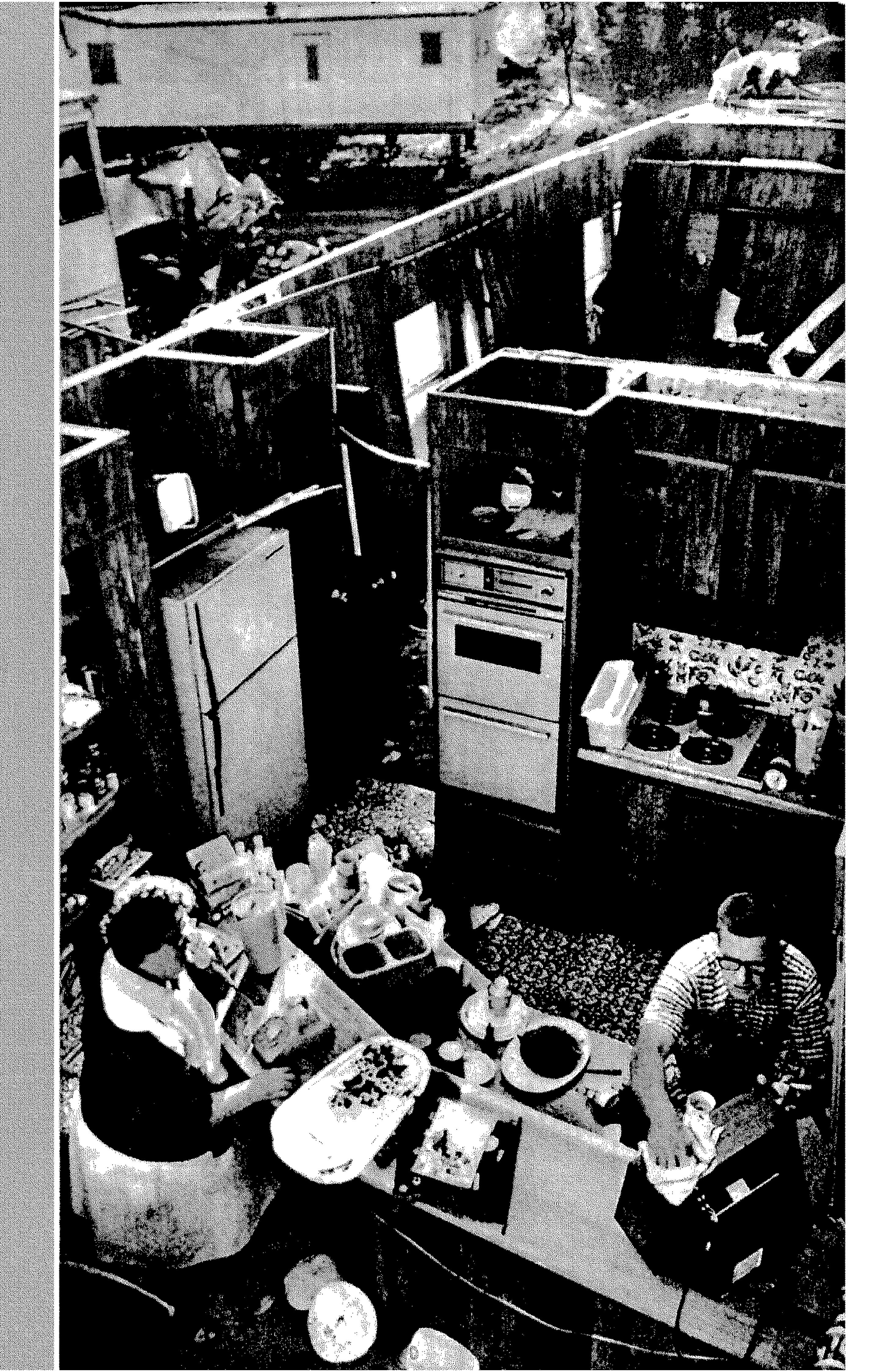
.. وطار سقف البيت

فى بعض نواحى اوروبا وامريكا يبنون البيوت بقطع جاهزة يركب بعضها الى بعض ويربط بالمسامير ويتم ذلك فى ايام ، وفى العادة بعد ان يتم تركيب البيت يوضع السقف قطعة واحدة مصبوبة قبلا ، ويربط بالمسامير .

وفى ذات يوم هبت عاصفة عاتية على بلدة صغيرة فى ولاية كانساس بالولايات المتحدة ، اقتلعت الاشجار والبيوت .

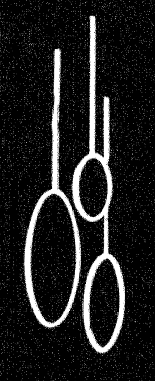
وكانت احدى عائلات البلدة وهى عائلة ((كون)) قد خرجت للزيارة ، وعندما عادت وجدت ان الرياح قد اقتلعت سقف البيت والقت به على مسافة كبيرة بعيدا عن البيت ، ولم تجد الاسرة مفرا من أن تدخل بيتها وتعيش فيه مؤقتا بدون سقف كما ترى ..





قرد يقرأ ويكذب

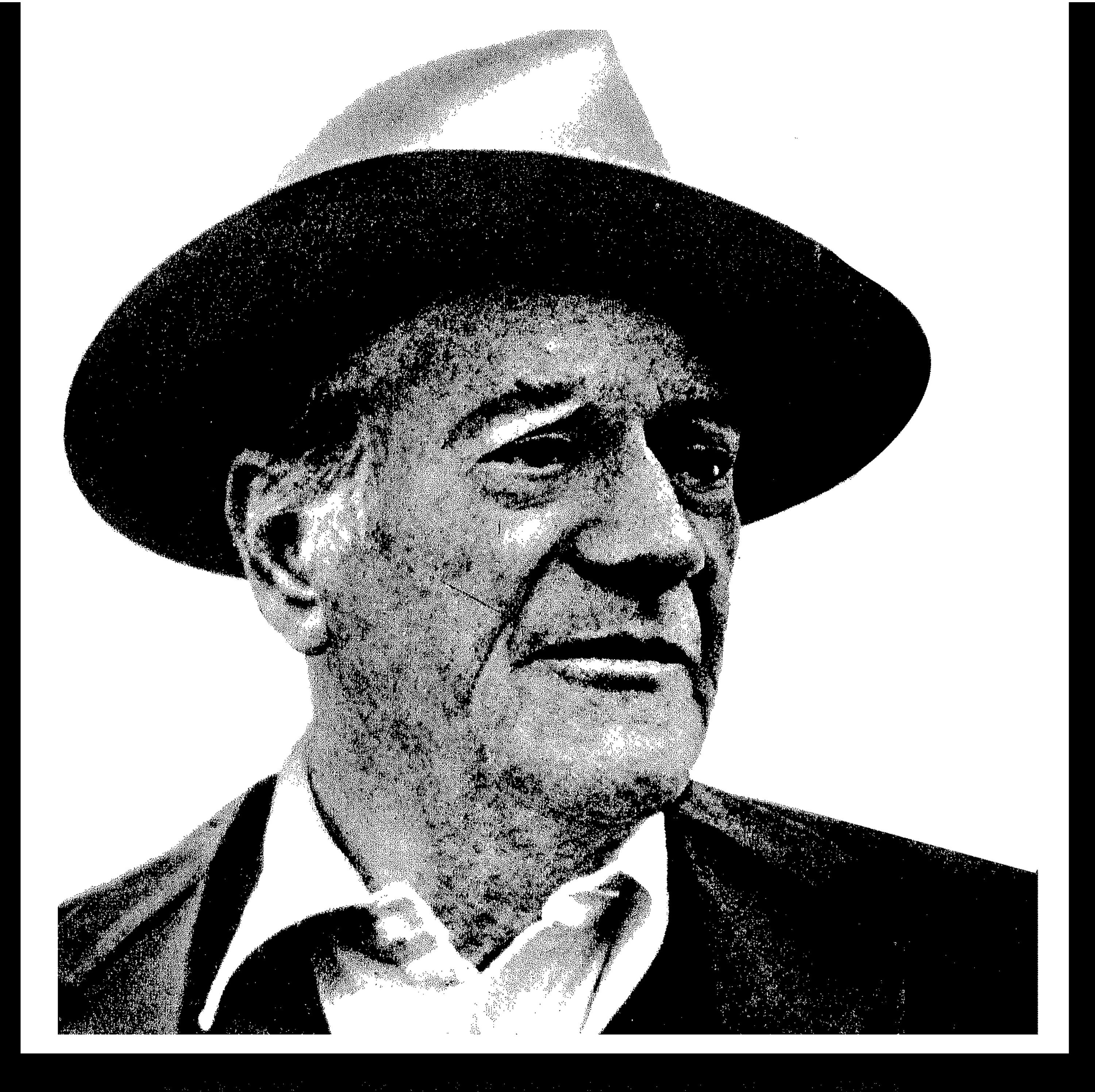
ويشتم أيضاً!



هــذا القرد اســمه كوكو وهو من نوع الشمبانزى وقد اصرت صاحبته الآنســة بيتى بترش على ان تعلمه وتهذبه اى تجعله بنى آدم .

وابتكرت طريقــة جـديدة لتعليمه هى نفس الطريقة التى يلجا اليهــا فى تعليم الاطفال ، اى بالصور والاشارات وبالفعل نجحت فى تعليم القرد كوكو حروف الابجدية ونحو عشرين كلمة ، واغرب مالاحظت اثناء تعليمها اياه انه يكذب عليها فيــدعى انه ذاكر وهو لم يذاكر ؟!

وعندما تشتد عليه يسب ويلعن.. بلغة القرود ايضا !.



ـ يصارع الموت لاخر لحظة

جون واين الممثل الامريكى المعروف يعتبر نموذجا من نمـاذج الصراع فى سبيل الحياة الى اخر مدى ٠٠ فهو اليوم فى الخامسة والسبعين من عمـره وقد أصيب بالسرطان واستؤصلت معدته واحدى رئتيه واصيب بالجلطة اربع مرات ، ولكنه رغم ذلك يخرج كل مرة من المستشفى الى العمل فى الاستديو ويقول انه لن يستسلم للموت ابدا ولكن يبدو انه يخوض اليوم معركته الاخيرة لان رئته الباقية أصيبت هى الاخرى بالسرطان ، وقرر الاطباء انه لن يعيش الا اذا استؤصلت او أكبر جزء منها على الاقل وقد دخل المستشفى ووضع الاطباء بذلك فى مازق لا يدرى أحد كيف سيتم التخلص منه.



اطول لسان رايناه

مهما تظن انك تعرف ناسا طوال الالسنة فما نظن انك رايت لسانا هو اطول من هـذا ..

انه لسان دب صغير فى حديقة حيوان فرانكفورت فى المانيا ، وقد اشتد عليه الحر فجلس يلهث ، واخرج لســـانه الطويل وارسله يتدلى كانه حبل غسيل .

لا تشك من الحر ، فهناك من يقاسون منه اكثر منك ..

ولا تشك من طول الالسنة فهنـاك من اعطاهم الله السنة اطول .. ومن حسن الحظ انهم لا يتكلمون ..

ولو انهم يتكلمون لكانت ماساة ..



لاخطابات لك .. ياعزيزى بوبى

● الكلب بوبى وهو من الطراز الدانمركى الضخم هو الذى يقابل عامل البريد كل يوم عندما ياتى بالخطابات ، وقد لاحظ الكلب ان كل الناس تاتيهم خطابات الا هو ، ولهذا فهو يسرع كلما راى عامل البريد مقبلا يسال اذا كانت له خطابات .

ولكن عامل البريد لا يفهم المسالة على هذا النحو فهو يخاف من بوبى واسنانه كما ترى فى الصورة !●



توت عنخ آمون وتاثيره على الازياء وادوات الزينة فى اوروبا وامريكا

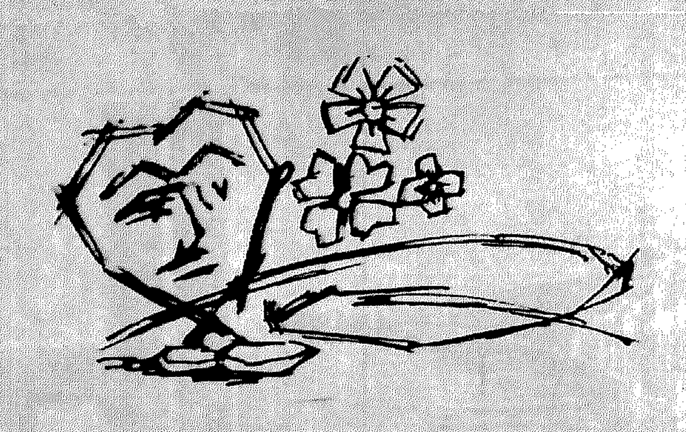
كان لمعرض توت عنخ آمون المتنقل أثر بعيدفى ازياء السيدات واشكال ادوات الزينة فى البيوت مثل التماثيل الصغيرة والاكواب وما الى ذلك وفى هذه الصفحة ترى نماذج من ذلك التأثير فهناك نخلة اقتبسوا شكلها « من الديكور » الذى يعمل لمعارض توت عنخ آمون وهناك قلادة على صدر سيدةمنطراز مصرىوهناك تمثالجمل وتمثال صغيرلتوت عنخ امون وما الى ذلك ..

وهذه الاشكال تملأ الاسواق والبيوت فى الغرب الان ..

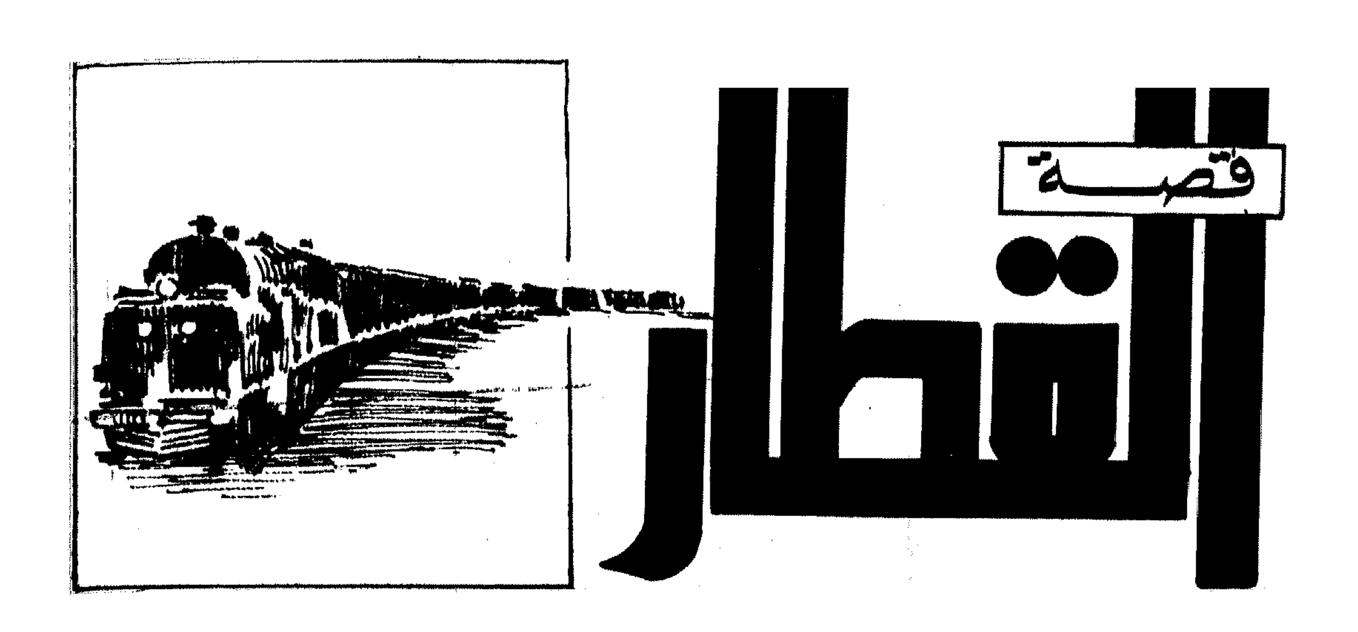
لهفة للحياة

● ابراهيم عيسى ●

أتيتُ إليكِ وبين ضلوعي
حنينٌ يثير الهوى في خيالكْ
ولستُ ملاكا أرشُّ الضياءَ
على بسمةٍ تنتشي من جمالكْ
ولا في ثيابيَ شيطانُ جنٍّ
يعربدُ في ليلةٍ من نوالِكْ
ولكنني لهفةٌ للحياةِ
تغنّتْ وحنّت ومرّت ببالِكْ
وكم عشتُ بعدكِ أطلالَ قلبٍ
يتيمَ الحنينِ شكَى من دلالكْ
وكم كان فجري وخيطُ الشعاعِ
كليلٍ ضريرِ السنا والمسالكْ
وكان طريقي بغيرِ طريقٍ
يهدهدُ خطوي ويحنو هنالكْ
ورغمَ الحريقِ .. بكأس الرحيق
ورغمَ الليالي وكِبْرِ اختيالِكْ
فما زال قلبيَ طيراً يغنّي
ويوقظ أفراحهُ في وصالك



ويَهْدِلُ والقيدُ في كلِّ نَبْضٍ
له وَخْزَةٌ من جَفاءِ اشتِعالِكْ
فان عدتِ غنّتْ جراحُ الفراقِ
وعانقتُ بَوْحَ الشذا من خِلالِكْ
ويعبرُ بالنور ساقي الصباح
يلَمْلِمُ زهرَ السنا من تِلالِكَ
وبين يديه أباريقُ شدوٍ
تَصُبُّ الغناءَ بكأسِ امتِثالِكْ
وأهتف : انى قطفتُ النجومَ
عصرتُ الغيومَ لدنيا جمالِكْ
فعودى ليَخْضَرَّ قلبُ الحياةِ
وتنمو غصونُ المُنَى في ظلالِكْ
فانى أنا النهرُ والشاطئان
وقد بَحَّ صوتُ الظما فى رِمالِكْ
تعالىْ ، ففى لهفتى جنّةٌ
وكونى جحيمَ الهوى بعد ذلكْ !



● د. يوسف عز الدين عيسى ●

ينساب القطار داخل نفق طويل يبدو وكأنه بلا بداية وبلا نهاية .. جميع مصابيح القطار مطفأة ، وقد يكون بلا مصابيح ، ولذا فالركاب الذين يشغلون جميع مقاعد عرباته لا يميزون بعضهم بعضا عن طريق العين : بل عن طريق الاذن . الاصوات مختلطة لايكاد الانسان يميز منها سوى بعض كلمات .

سمع الركاب وقع اقدام تسير في ممر احدى العربات . قال احدهم في صوت رفيع يكاد يشبه صوت صياح الديك :

ـ هل انت رئيس القطار ؟

رد عليه صوت يقول :

ـ اجل .

قال ذو الصوت الرفيع :

ـ من أى محطة قام هذا القطار ؟

قال رئيس القطار :

ـ لست أدرى !.

صوت آخر قوى :

ـ كيف لا تعلم محطة قيام القطار وانت رئيسه ؟ !

قال رئيس القطار :

ـ انا مشغول باشياء اخرى !

قال الصوت الرفيع :

ـ مثل ماذا ؟

قال رئيس القطار :

ـ التأكد من ان جميع الركاب قد دفعوا ثمن تذاكر الركوب !

قال الصوت القوى :

ـ وهل تأكدت من ذلك ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا . لم اتأكد بعد !

قال صوت فتاة :

ـ ومتى ستتأكد ؟.

قال رئيس القطار :

ـ عندما يقف القطار فى محطة الوصول .

قال ذو الصوت القوى :

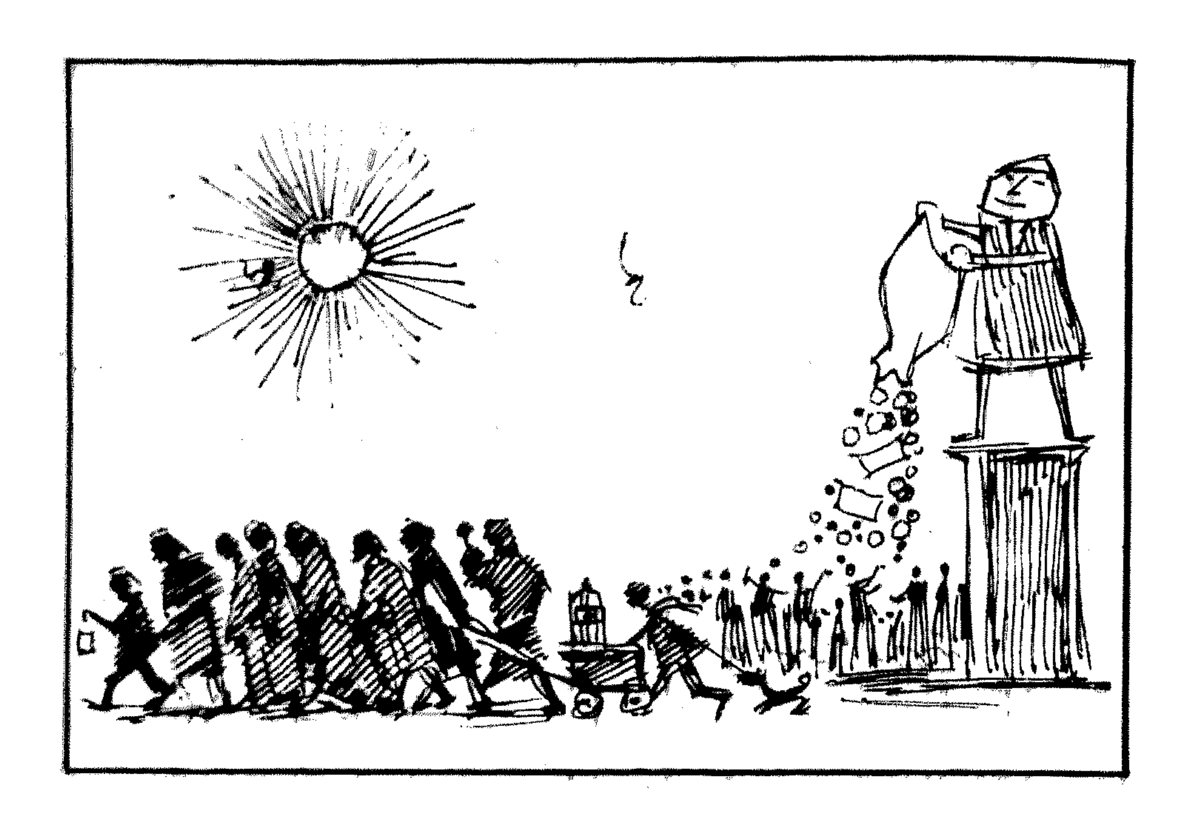
ـ وماهى محطة الوصول ؟ الى أين نحن سائرون ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا أحد يدرى . سنعرف ذلك عندما نصل الى المدينة .

قالت الفتاة :

ـ عجيب أن تكون رئيس القطار



● بريشة أحمد الوردجى ●

ولا تعرف المكان الذى سنصل اليه !.
قال رئيس القطار :

ـ هذه ليست مهمتى . انها مهمة الذين وضعوكم فى القطار !.
قال ذو الصوت الرفيع :

ـ ومن الذى وضعنا فى هذا القطار ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا شأن لى بذلك . انا لا اعلم من اين اتيتم !.
قالت الفتاة :
ـ ولكن لنا الحق فى معرفة المكان الذى نحن ذاهبون اليه !
وسمعوا وقع اقدام مبتعد . قال ذو الصوت الرفيع :

ـ لا اذكر اننى قطعت تذكرة او دفعت أجر ركوبى فى هذا القطار ، ولا اذكر متى ركبته !

لم يسمعوا ردا فاستنتجوا ان رئيس القطار غادر تلك العربة . ساد صمت . ازدادت سرعة القطار فأخذ يهتز اهتزازا عنيفا . صرخ بعض الركاب . هدأ القطار من سرعته فساد الصمت من جديد . وفجأة خرج القطار من النفق . ركز جميع الركاب انظارهم نحو النوافذ .. رأوا أنوارا ساطعة لم تحتملها عيونهم التى اعتادت الظلام طوال الطريق فأغمضوا عيونهم . توقف القطار . اضطروا لفتح عيونهم . وجدوا الاضواء قد خفتت عن ذى قبل ثم اخذت تزداد تدريجيا فظلت عيونهم مفتوحة تتأمل مبانى المحطة ومساكن المدينة التى وقف عندها القطار .

اشرأبت الاعناق وبرزت الرءوس من نوافذ القطار لقراءة اسم المدينة . وجدوا لافتة المحطة بيضاء خالية من الكتابة . رأوا رجلا فارع الطول يسير بين صفوف الركاب مرتديا بدلة صفراء . صاح الرجل قائلا :

ـ ماذا تنتظرون ؟ لقد توقف القطار فى محطة الوصول ! .
ادركوا من صوته انه رئيس القطار الذى سبق أن تبادلوا معه الحوار فى الظلام .
قالت الفتاة :

ـ هل من المفروض ان نهبط فى هذه المدينة ؟

قال رئيس القطار :

ـ لقد وصلتم الى المدينة فماذا بقاؤكم فى القطار ؟ لن يتحرك القطار بعد هذه المحطة . انتم الان فى بداية الطريق . هيا اخرجوا من القطار .

قال ذو الصوت القوى :

ـ تقصد اننا فى نهاية الطريق ؟

قال رئيس القطار :

ـ نهاية الطريق هى البداية .

لم يفهم احد شيئا وبداوا يغادرون القطار . قال احد الركاب لرئيس القطار :

ـ ما اسم هذه المدينة ؟ اننا نهبط الى مدينة لا نعرف عنها شيئا حتى اسمها لا نعرفه !

قال رئيس القطار بلا اكتراث :

ـ وكيف أعرف اسمها ولافتة المحطة لا توجد عليها اية كتابة ؟

شعر الجميع ببرد شديد ، وسرت فى اجسادهم قشعريرة جعلتهم يرتجفون . اكتشفوا انهم شبه عرايا لا يرتدون سوى ملابس العوم . اين كانوا ؟ هل جاءوا من احدى مدن الشواطىء وخرجوا من البحر مسرعين ليلحقوا بالقطار ؟ لا احد يدرى !

عندما لاحظ رئيس القطار انهم يرتعدون من البرد اشار نحو احد مبانى المحطة وصاح قائلا :

ـ اسرعوا الى هذا المخزن وارتدوا اية ملابس تجدونها .

انطلقوا يعدون نحو المخزن الذى وجدوه مليئا بالملابس من كل شكل ونوع . بعض الملابس كانت لضباط وعساكر شرطة وضباط جيش ، الى جانب ملابس عادية للرجال والنساء ، بعضها انيق وبعضها عادى والبعض مهلهل .. اسرع كل منهم بارتداء ما وقعت عليه يده من ملابس ، فبدا البعض انيقا والبعض فى ملابس تنبو عنها الابصار . وفى غمار لهفتهم على ارتداء اى شىء يرد عنهم غائلة البرد ، اضطر بعض الرجال الى ارتداء ملابس نساء كما اضطر بعض النساء الى ارتداء ملابس رجال ...

***

وقفوا عند باب المحطة المؤدى الى المدينة . راوا فى ميدان المحطة فرقة موسيقية بدات تعزف الحانا جميلة احتفالا بقدومهم . اصطف على جانبى باب المحطة عدد من الجنود . فتح الحارس باب المحطة وسمح لركاب القطار بدخول المدينة . كان الجنود يؤدون التحية لكل من يرتدى ملابس انيقة ولا يعباون بذوى الملابس القديمة او المهلهلة !

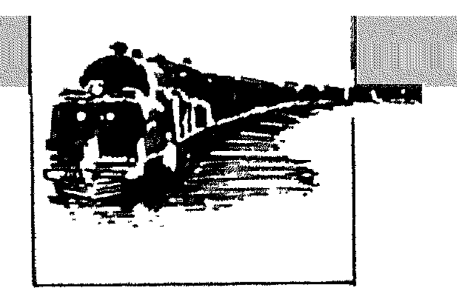
وقف ركاب القطار حائرين لا يدرون الى أين يذهبون فى مسارب هذه المدينة التى لا يعرفون عنها شيئا . تقدم نحوهم رجل طويل نحيل يرتدى حلة زرقاء ذات أزرار ذهبية وفى يده عصا قصيرة وقال مشيرا نحو احد الشوارع الفسيحة التى تصطف على جانبيها الاشجار : ـ كل من يرتدى ملابس انيقة يتجه نحو هذا الشارع ويعدو باقصى سرعته ويحتل اية فيللا او اية شقة يجدها خالية ، ويزاول المهنة التى تؤهله لها الملابس التى يرتديها ...

اسرع ذوو الملابس الانيقة يعدون . حاول احد ذوى الملابس القديمة العدو معهم فجذبه احد الجنود واوقفه قائلا :

ـ لست منهم .. ألا ترى ملابسك المهلهلة ؟

ثم التفت نحو ذوى الملابس القديمة واشار نحو زقاق قذر على جانبيه مساكن آيلة للسقوط وصاح قائلا :

ـ اسرعوا نحو هذا الزقاق واحتلوا



الاماكن الخالية فيــه ، وليمارس كل منكم المهنة التي تؤهله لها ملابسه !.

اندفعوا نحو الزقاق . نجح بعضهم في العثور على بعض الشقق المتواضعة الخالية ، وبقي عدد كبير منهم بلا مأوى .. ظل الذين لم يوفقوا في العثور على مأوى حائرين لا يدرون ماذا يفعلون . اتجهوا نحو الرجل ذي الحلة الزرقاء وسأله احدهم :

ـ لم لا نجد لنا مأوى ؟

قال الرجل :

ـ كانت المساكن الخالية امامكم ، فلماذا لم تسرعوا باحتلالها ؟

قالت فتاة ترتدي ثوبا باليا يكشف عن بعض اجزاء جسمها :

ـ أسرعنا على قدر طاقتنا ولكنهم ازاحونا عن طريقهم بقــوة وعنف، واستولوا على كل شيء ، ولا ندري كيف سنعيش في هذه المدينة ..

قال الرجل :

ـ ليس هــذا من شاني ... تصرفوا !

***

كان الرجل ذو الصوت القوي يرتدي حلة فاخرة نعثر في الشارع الواسع على فيللا انيقة ذات حديقة رائعة .. بعد نحو شهر ، عندما دخل غرفة نومه وجد فتاة جميلة جالسة عــلى طرف السرير ترتدي قميص نوم شفافا .. سألها :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟ ان هذا منزلي . لقد عثرت عليه بعد مجهود عنيف .

قالت مبتسمة :

ـ هو منزلي انا ايضا .

عرف من صوتها انها الفتاة التي تحدثت مع رئيس القطار في اثناء الظلام.

قال لها :

ـ من اين حصلت على هذا القميص؟

لقد رايتك عقب خروجك من المخــزن ترتدين معطفا انيقا .

ـ لقــد اشتريته . المعطف الذي كنت ارتديه اهلني للحصول عــلى وظيفة مرموقة حصلت منها على مرتب كبير !

قال الرجل :

ـ والبذلة الانيقة التي عثرت عليها في المخزن أهلتني للحصول على وظيفة كبيرة ذات مرتب محترم !

قالت الفتاة وقد اضطجعت عــلى السرير :

ـ الديك اعتراض على ان نعيش معا؟ ان منزلك جميل ، واعجبني .

اقترب الرجل منها وقبلها ثم قال :

ـ المنزل بدونك لا يساوي شيئا !.

قالت الفتاة :

ـ سنكون اسعد زوجين .

قال الرجل ذو الصوت القوي وهو يحتضنها :

ـ لن يكون في المدينة اسعد منا ، وجودك في منزلي سيشيع الســعادة والبهجة في كل ركن من اركانه .

ما كاد ينتهي من حديثــه حتى سمعا جرس الباب. قام غاضبا يرغي ويزبد ويغمغم بكلام غير مفهــوم . عندما فتح الباب اطل منــه رجــل ذو ثياب قذرة مهلهلة . قال له صــاحب البيت :

ـ ماذا تريد ؟

قال الرجل ذو الثياب المهلهلة :

ـ لم تؤهلني ملابسي للحصول على اي عمل ارتزق منــه . اعطني بعض المال او كسرة من الخبز .

تذكر صــاحب البيت ذو الصــوت القوي ان ذلك الرجل ذا الصــوت

الرفيع هو الذى كان معه فى القطار . اعطاه بعض النقود واقفل الباب ورجع الى سريره .

***

تمكن الرجل ذو الصوت القوى من جمع أموال طائلة لم يكن يعـرف كيف ينفقها . كان يشترى كل ما تشتهيه نفسه او نفس زوجته ولا يشـعر أن نقوده قد نقص منها شيء ، بل كان كلما اسرف فى الشراء ازدادت امواله .

بعد فترة اصـبح لذلك الرجـل ولدان . اكتشف أن عددا كبيرا من ركاب القطار تمكنوا من جمـع ثروات هائلة بينما ظل البعض الآخر يتضور جوعا ويتسول فى الشوارع والأزقة .

ذات يوم بينما كان يهم بالانطـلاق بسيارته الفاخرة اعترض طريقه رجل رقيق الحال ممزق الثياب ، اتضـح انه أحد مرافقيه فى رحلة القطـار . طلب الرجل منه صدقة . قال له ذو الصوت القوى انه فى حاجة الى خادم. قبل الرجل على الفور أن يصبح خادما فى منزل ذى الصوت القوى .

بعد فترة قصيرة اختفت جميــع البضائع والمجوهرات الثمينـة من حوانيت المدينة . لقد اشتراها سكان الشارع الانيق ..

ورزق الرجل ذو الصـوت القوى بابنة ولدت كفيفة البصر . اصبحت تلك الابنة سوط عذاب يلهب جسـده وجسد زوجته . تحولت الحياة فى الفيللا الانيقة الى جحيم لا يطاق . ثم ظهرت أعراض الاختلال العقلى على احد ولديه ، ومرض الابن الثانى بشـلل الاطفال ..

ذات ليلة دق جرس الباب . فتح الخادم باب البيت فوجد أمامه الرجل ذا الصوت الرفيع وقد اصبح شبه عار . اقبل صاحب البيت ذو الصوت القوى . ولما راى ذلك المتسول طرده واغلق البـاب فى وجهه مشيعا اياه باللعنات ..

اصيبت الزوجة بالسل الرئوى . حزن زوجها حزنا شديدا وعرضها على أعظم اطباء المدينـة . ذات يوم اعلـن الراديو أن ركـاب القطـار مطلوبون للاجتماع فى قاعة المدينـة . ذهب الجميع الى الاجتماع يرتدى بعضـهم الملابس الانيقة والبعض الآخر يرتدى الملابس البالية . انخرط الجميع فى بكاء عنيف. وقف رجل على المنصة يرتدى حلة زرقاء . سالهم عن سبب بكائهم . قالوا انهم منـذ حضـورهم الى هذه المدينة وهم فى شقاء وعذاب متواصل. ارتفع صوت احد الرجال قائلا :

ــ لا اريد البقاء فى هذه المدينة .. انني اتعذب عذابا فوق احتمالى. اريد الذهاب الى القطار ! .

قال الرجل الواقف على المنصة :

ــ لك مطلق الحرية فى ركوب القطار .. انه الان فى المحطة .

انطلق الرجل نحو المحطة ليلحـق بالقطـار . قال الرجل الواقف على المنصة متفرسا فى وجوه الجماهير التى مازالت تبكى من فرط الحزن والشقاء:

ــ القطار لا يزال فى انتظـار من يريد مغادرة هذه المدينة .

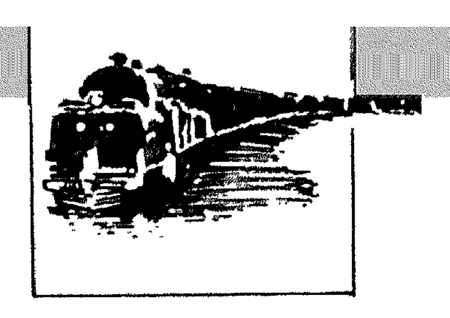
اسرع عدد آخر من النساء والرجال نحو المحطة . ظل الباقـون يئنـون ويبكون. قال الرجل ذو الحلة الزرقاء:

ــ وانتم ، هل ترغبون فى البقاء أم فى السفر ؟

صاحوا وهم يجهشون بالبكاء :

ــ نريد البقاء .

ــ رغم العذاب الذى تقولون انكم ترزحون تحت وطأته ؟.



ـ اجل نريد البقاء فى المدينة رغم العذاب والشقاء الذى نعانيه .

انفض الاجتماع وذهب كل واحد الى منزله أو مقر عمــــله أو الى عرض الطريق . حمل البريد ذات يوم الى الرجل ذى الصوت القوى خطابا يامره بالتوجه الى المحطـــة هو وزوجتــه لركوب القطار ، وســـوف تمر عليهم سيارة لتوصلهم الى المحطـــة . قال الرجل لزوجته :

ـ لقـــد ورد أمر بذهابنا انا وانت لركوب القطار .

قالت الزوجة فى دهشة وفزع :

ـ والاولاد؟ هل سنتركهم وحدهم؟

قال الزوج :

ـ لا بد لنا فى ذلك . لم يصدر الامر بركوب الأطفال معنا .

قالت الزوجة :

ـ لا يمكننا تركهم بمفردهم . كيف يعيشون بدوننا ؟ من الذى يرعاهم ؟ وكيف تعيش ابنتنا الكفيفة المسكينة بلا مساعدة أو رعاية منى ؟

قال الزوج :

ـ لابد من تنفيذ الامر ... لا بد لنا فى ذلك !

جمع الزوج والزوجة كل ما لديهما من أموال وتحف ومجوهرات فى عدة صناديق . وطلبا من الخادم ان يرعى الاطفال . اعتذر الخادم قائلا انه هو ايضا ورد اليه أمر بركوب القطار .

تركوا الاطفال بالمنزل وانزلـــوا الصناديق المليئة بالاموال ووقفوا امام منزلهم فى انتظار الســـيارة التى ستنقلهم الى المحطة .

اقبل سرب ضخم من ســـيارات النقل وقد حشر فيـه عدد هائل مـن المسافرين ومعهم أمتعتهم . وصـلوا الى ميـــدان المحطة فهبطـــوا من السيارات . عندما هموا بدخـــول الباب المؤدى الى المحطة اســـتوقفهم بعض الحرس وطلبوا منهم ان يخلعوا جميع الملابس ولا يبقوا على اجسادهم سوى ملابس الاستحمام التى كانوا يرتدونها عند قدومهم الى المدينة ..

خلعوا ملابسهم وهمـــوا بدخول المحطـــة . بعضـــهم لا يحمل فى يديه شيئا والبعض يحمل حقـــائب تضم الاموال التى حصلوا عليها طوال مدة اقامتهم بالمدينة والتحف والبضـــائع التى اشتروها . اعترض طريقهم حارس البوابة قائلا :

ـ لن يسمح لاحد باخذ اى شىء لم يكن معه عند قدومه للمدينة .

تركت جميع الحقائب خارج اسوار المحطة . دخل جميـــع من كانوا فى سيارات النقل وركبوا القطار . اكتشف الرجل ذو الصوت القوى ان الجالس بجواره هو الرجل ذو الصوت الرفيـع الذى كان متسولا فى المدينة . كانت ملابس جميع الركاب متشابهة . انها ملابس العوم التى كانوا يرتدونها عند قدومهم للمدينة . بحث الرجـــل ذو الصوت القوى عن زوجته فوجدهـــا جالسة بجوار الرجل الذى كان خادما فى منزلهم . حانت منه التفاتة من شباك القطار فرأى ابنته الكفيفـــة وولديه يبكـــون ويلوحون للقطـــار بايديهـــم الصغيرة . كان فى ميدان المحطة حشد هائل يشترك فى وداع ركاب القطار وقد ارتفع صراخهم وعويلهم .

انطلقت فى المدينة زمارة الانذار فكان هذا ايذانا بتحرك القطار . تحرك القطار وبعد بضـــعة امتار انساب داخـــل نفـــق مظلـــم .. وغاب عن الانظـــــار ..

"أُبَىّ بن كعب" .. الرجل والمصحف

● تاليف : د. الشحات زغلول ●
● تقديم : د. حسين نصار ●

كان ابى بن كعب بن قيس الخزرجى – المتوفى سنة ٣٠ هـ اى ٦٥١ م – رجلا من بنى النجار فى يثرب ، شغف بالعلم ، فتعلم القراءة وادام الاطلاع على الكتب الدينية ، وخاصة كتب اليهود لتوفرها بالمدينة .

ولما عرف ان جماعة من مدينته اعتنقوا دينا جديدا هو الاسلام ، اتصل بهم وحاورهم ثم اعتنق دينهم ، وعندما خرج سبعون رجلا من المدينة فى موسم الحج للقاء رسول هذا الدين ، خرج معهم ، وشهد الحلف الهام الذى عرف بالعقبة الثانية ، واتاح للرسول – صلى الله عليه وسلم – الهجرة الى المدينة .

وبعد الهجرة اشترك ابى فى لونين من الوان النشاط : اللون الاول شارك فيه كل القادرين من المسلمين ، وهو النشاط الحربى ضد كفار مكة خاصة وبقية العرب عامة . واللون الثانى تميز فيه ابى بين جماعة من المسلمين ، وهو النشاط العلمى ، وخاصة ما اتصل منه بالقرآن .

فقد اكب عليه ابى كما كان يكب على كتب الدين قبل اسلامه ، يتابع آياته ، فكان احد الذين حفظوه ، لانه جمع آياته فور نزولها ، وحفظها فى ذاكرته ، ودونها فى مصحف خاص به . وكان احد الذين صانوه ، لانه ادام الاستماع الى الرسول لمعرفة ادائه : كيف ينطق ، واين يقف ، ومتى يمد او يصعد .. حتى بلغ به الامر الى ان قرا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم عددا من الآيات . وروى فيه حديث صحيح الاسناد غير انه مرسل يقول : « ارحم امتى بها ابو بكر ، واقواهم فى دين الله عمر ، واقرؤهم لكتاب الله عز وجل ابى ابن كعب . » وكان احد المفسرين ، لانه احسن معرفة مناسبات الآيات من مواضع نزولها واوقاته وأسبابه واحوال الذين نزلت فيهم ، ودلالاتها . وما زالت أقواله محفوظة فى كتب التفسير المطبوعة .

وعندما كلف عثمان بن عفان زيد بن ثابت بجمع القرآن وتدوينه فيما سمى المصحف الامام ، كان ابى احد الذين رجع زيد اليهم واستشارهم واطلع على ما عندهم . ولكن مصحف ابى لم يكن متفقا كل الاتفاق مع المصحف الامام ، بسبب انه كان يكتبه لنفسه ، ويضيف اليه أشياء راى انها تنفعه فى تفسيره او غير ذلك .

مثل هذه الشخصية ، فى الوان نشاطها المتعدد ، وفى عصرها المبكر ، لا شك تجلب أنظار الباحثين . وقد انتدب الدكتور الشحات السيد زغلول المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية نفسه لهذا العمل .

وعندما ينظر القارىء فى فهرس محتويات الكتاب يتبين منذ النظرة الاولى أن المؤلف استغرقه نشاط أبى القرآنى ، فاعطاه القسط الاكبر من جهده .

فقد عنى بابانة الظروف التى يسرت لابى هذا النشاط . فتحدث عن ثقافته الدينية القديمة ، وذاكرته القوية التى اتاحت له حفظ القرآن ، ومداومته القراءة فيه بحيث يختمه كل ثمانى ليال ، وقراءته على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقراءة النبى عليه ، وتعليمه الناس القراءة ، والمكانة العالية التى بلغها فى القراءة ، واتخاذ النبى اياه واحدا من كتاب الوحى ، وجهوده البارزة فى جمع القرآن وتدوينه ، مما

جعله على معرفة حسنة به . ووضع ذلك فى الفصل الثانى من الباب الأول.

وعنى فى الأبواب الرابع والخامس والسادس بنشاطه فى مجال القراءة . فكشف عن موقفه من حديث نزول القرآن على سبعة احرف ، الذى كان احد رواته ، وعن صلة ستة من قراء الأمصار الاسلامية السبعة المشهورين به . ووضع ذلك فى الباب الرابع الذى خصصه لمصاحف الصحابة والأمصار .

وجعل الباب الخامس الباب الأساسى لانه اعطاه نصف الكتاب فى الحجم ، وقصره أو كاد على الحديث عن مصحف أبى . وقد قسمه الى سبعة فصول . درس فيها ترتيب السور فى مصحف أبى ، تبعا لما يرويه الرواة عنه ، ومواضع الاختلاف بينه وبين المصحف الامام . ودرس النصوص التى يقال انها كانت فى مصحف أبى ولا توجد فى المصحف الامام ، ورفضها رفضا باتا ، أو ذكر أنها من المنسوخ ، وعلل موقفه فى الحالين . وصنف ما كان فى مصحف ابى من زيادات وفق طبيعتها الى زيادات فقهية وبيانية ولهجية وآتية عن ترادف الالفاظ . والقى الضوء على ما يندرج تحت كل صنف منها . وختم الباب بالكشف عن موقف النحاة من قراءات ابى ، واعتمادهم عليها فيما وضعوه من قواعد . وهذا الباب اعظم الأبواب قيمة، واشملها مادة علمية ، وادقها دراسة ، واكثرها توضيحا لامكانات المؤلف التى لا تظهر فى كثير من الأبواب الاخرى .

واورد فى الباب السادس قائمة بقراءات ابى ، التزم فيها الاستقصاء والترتيب على السور والآيات . وهى قائمة مفيدة كل الفائدة .

وتناول الكاتب نشاط أبى فى مجال التفسير فى الباب الثالث . وأبان فيه مكانة ابى فى التفسير ، والعوامل التى اتاحت له أن يشغلها ، ومنهجه فى التفسير ، واورد بعض النماذج منه ثم ترجم فى اختصار لثلاثة من تلاميذه هم زيد بن اسلم ، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحى ومحمد بن كعب القرظى، واتبع معهم نفس المنهج .

وبقى لون آخر من النشاط ، هو كتابته الرسائل والعهود للرسول صلى الله عليه وسلم وروايته الحديث عنه . فتحدث المؤلف عما كتبه ابى له ، واورد نماذج من كتاباته . كما تحدث عن روايته الحديث ، ومن روى عنه . ووقف وقفة طويلة عند الحديث المنسوب اليه فى فضائل سور القرآن وآياته وتفنيد صحته .

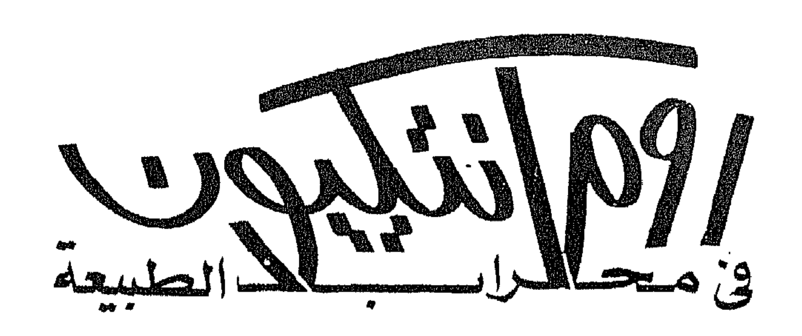
ويمكن القول ان الكاتب احسن دراسة النشاط القرآنى بجميع مجاليه عند ابى بن كعب ، واجاد عرضه . فوضحت صورة مصحفه وقراءته الى جانب المصحف الامام . وقد كان ذلك هدفه الخاص ، حتى الحديث النبوى الذى اطال درسه كان على صلة وثيقة بالنشاط القرآنى . ولذلك لا تتضح صورة ابى فى الوان نشاطه الأخرى بل لا تتضح حياته وضوحا كافيا بسبب تفريق عناصرها وعدم اعطائها ما تستحق من دراسة .

وجعل المؤلف من نفسه محاميا يدافع عن ابى فى كل موضع ، ويهاجم مخالفيه وخاصة من المستشرقين. فزلت به قدمه فى مواضع متعددة ، كما نرى فى دفع اتصاف أبى بالشراسة ، وحديثه عن تدوين القرآن فى عهد الرسول ، وعن احرف القرآن السبعة . وزلت به قدمه فى مواضع اعتمد فيها على احاديث نبوية وانق فيها هو نفسه على غرابتها بل ضعفها .

وكرهت من الكتاب تنظيمه . فاحيانا نرى الأبواب تقسم الى فصول كالاول والخامس واحيانا الى اقسام ذات ارقام وعناوين كالرابع ، واحيانا الى عناوين دون ارقام كالثانى والثالث .

ونجد المادة العلمية احيانا تحت عناوين غير ملائمة لها كالفصل الثانى من الباب الاول ، كما نجد الفصول غير متناسقة الاسس فى الباب الخامس ، والمادة العلمية الواحدة موزعة احيانا فى اكثر من مكان .

وختام القول فى كتاب ((ابى بن كعب)) للدكتور الشحات زغلول انه جدير بالقراءة لما يقدمه من مادة علمية عن موضوع هام فى عصر عظيم ..



● د . محمد عبد المنعم خاطر ●

● نظرا لرهافة الحس ، وشبوب العاطفة ، والميل الى التامل ، والانطواء على الذات – هاموا بالطبيعة فى جميع مظاهرها ، فكانت لهم الامل والملجأ والعزاء

يقول ((بيرون)) : ((**لو أمكن أن تكون الصحراء موطن اقامتي مع نفس واحدة تسيطر بجمالها على ! .. لو امكن أن أنسى كل النسيان الجنس الانساني ، ودون أن أبغض أحدا لا أحب الا هي !.. اينتها العناصر الكونية ، يامن في صوتها القدسي ، وبين احضانها أشعر بنشوة الهيام ، أتستطيعين أن تهبيني مثل هذا المخلوق ؟ في الغابة العذراء متعة ، وفي الضفاف المنعزلة جذبة سحر ، فهنا أنس حيث لا دخيل من الناس ، بجانب البحار العميقة وموسيقا امواجها .. ليس حبى للانسان قليـلا ، ولكن حبى للطبيعة أكثر)) !**

– احدى روايات فريد ابو حديد الادبية التى كتبت فى سنة ١٩٢٤ –

ويهرب المرحوم ((محمـــــد)) فى صحائف من حياة ، من واقعه المر الى حيث يجد الراحة فى رحاب الطبيعة والخيال ، يهرب الى النيل ، والى الفضاء الواسع ويشكو الى النجوم ، وتضيق نفسه بالارض التى استأجرها أبوه ، لانه ليس بها جهات شعثاء وحشية مختلفة المنظر مابين مفلوح وطبعى ، وليس فيها ريح الطرفة ، ولا لون نوار العاقول ، وليس فيها ذلك النسيم الجاف **ولا الزرزور الاغن فوق عود الرمان ، ولا الساقية التى تحيط بها اشجار لبخ وجميز فتظلل عليها ظلا جميلا تتخلله الريح وقت الاصيل ، وتنزع نفســه الى الصحراء ، والبعد عن كل ما لوثته يد الحضارة .**

ويعيش بخياله فى بيئات صحراوية فى ازمنة بعيدة يعبر عنها بقوله : انى أهيم أحيانا فى الخيال ، فاذا أنا فى حلم يقظة ارى نفسي فيه بين أعراب تلك الصحراء البعيدة الاطراف وانا واحد منهم ، واذا بى كانى ارى سواما انتقل بها فى بطاحها بين نفح الهواء ، ولفح الشمس ، وكانى وانا كذلك أسمع صريخا ينذر بمجىء قوم يريدون الاستلاب ، فاتنكب بندقيتى ، وأرجع الى نجعى فأجد قومى قدشمروا عن ساعدهم كرجل واحد ليذودوا المغيرين على أرضــهم وليحموا مالديهم من عيال ومال ، فأسرع معهم قائلا :

وهل أنا الا من غزية ان غـوت   غويت ، وان ترشد غزية ارشــد

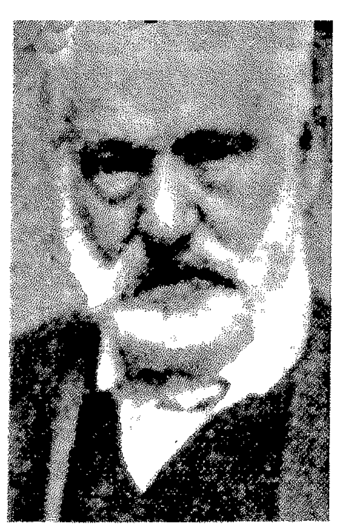
وعند ذلك لا يذكر أحد مالا ، ولا حياة ، بل نذكر جميعا عرضا نحميه ، وشرفا نحوطه من القذى ضنا بشوكة أن تستلان ، وبرجولة أن يطمع فيهـا طامع .

ويحاول ((فيكتور هوجو)) أن ينشد عزاءه فى الطبيعة بعد أن فقد ابنتيــه فيترك باريس : شوارعها ، وقصورها ، وضبابها وسطوحها ويقف فى محراب

* النصوص الاجنبية معتمدة على كتـــاب الرومانتيكية للدكتور محمد غنيمى هلال ، وشعر على محمود طه من ديوانى : الملاح التائه وليالى الملاح .




بيرون



فيكتور هوجو



على محمود طه

الطبيعة مناجيا لها قائلا فى شبه ابتهال :

الآن وانا جالس على الشط ذى الامواج ، مروعا بهدوء الافق وجلاله ، استطيع ان اثير فى نفسي الحقائق العميقة ، واتامل الزهور بين الاعشاب .

الان . ولقد رق احساسى بهذه المناظر الالهية من السهول والغابات والصخور والاودية ، والنهر الفضي .. ارى صغرى امام عجائبك ؛ ويثوب عقلى امام رحيب ملكوتك ، الوذ بك يا الهى يا من اياه اعبد ، حاملا اليك فى خشوع بقايا قلب ملىء بعظمتك قد حطمته .. واجثو امامك مؤمنا ، ياذا العظمة بانك الحق ازلا وابدا .

ويذكر الشاعر المصرى على محمود طه انه تتلمذ على يد الطبيعة فاليها كان معهده ، وفيها كان استاذه .

وانا الشاعر الذى افتن بالحسـ ـن واذكت يد الحياة افتتانه

معهدى هـذه المروج واستا ذى ربيع الطبيعـة الفينانه

وازاهير حانيات على النهـ ـر ، يقبلن فى الضحى شطآنه

ويقول : انه كان يسرى اليها فى المساء ، ويسير اليها فى الصباح :

ولقد حير الطبيعة اسرا ئى لها كل ليلة وطروقى

واقتحامى الضحى عليها كراع آسيوى او صائد افريقى

او اله مجنح يتراءى فى اساطير شاعر اغريقى

وانه كان يبدع امام مناظرها ، وبخاصة اذا سكن الليل ، واطل البدر واخذ جندوله مع محبوبته فوق ضفاف النيل ؛ او امواه « فينيسيا » ونهر « الراين » وبحيرة « زيوريخ » وهام فى فضاء اللانهاية حيث تسبح الروح وتهيم فى اودية شفيفة من الخيال .

ويتمنى ان يركن الى شاطىء بحيرة « كومو » ذى الطبيعة الخلابة فى « اللمباردى » الايطالى ، يحرسه بعينيه ، ويطربه بموسيقاه ، لولا وفاءه لبنى وطنه :

آه لولا احبـة نزلوا شاطىء النهر

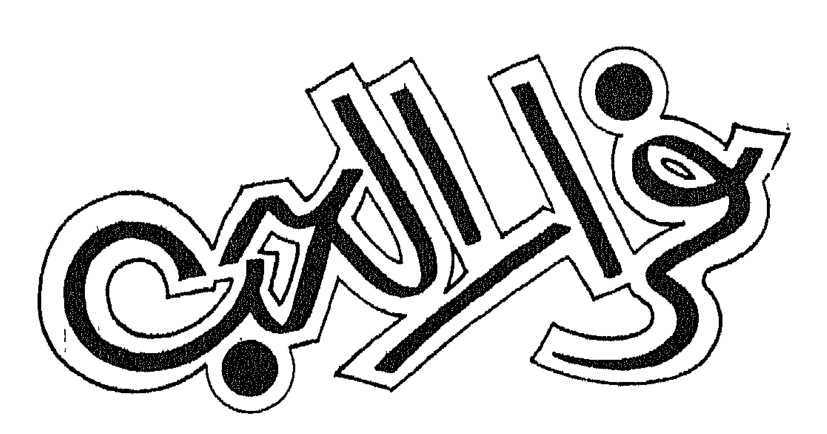
ورفـات مطهـر وكريم من السير ...

لتمنيت شرفة لى فى هـذه الجحر

اقطع العمر عندها فى وان عن النظر

فلقـد فاز من رأى ولقد عاش من ظفر

وهكذا عاش الرومانتيكيون بخيالاتهم فى رحاب الطبيعة ، يغدقون عليها فيض احاسيسهم ، ويستلهمون اروع اغانيهم ، يتاثرون بها ، ويؤثرون فيها .



غزل الحب

● للشاعر الانجليزي شيللي ●

● تقديم : د. سليم الاسيوطي ●

من وجهة النظر الاوروبية ، كان القرن الثامن عشر فجر عصر ازدهار أدبى في بريطانيا . فلقد أخذت انجلترا مذهب الكلاسيكية الجديدة عن فرنسا ، بادىء ذى بدء ، وأثرتها بما كانت تملك من عبقريات وما خلعته عليها أعوام التاريخ من مواهب .. (لاسباب سياسية) سرعان ما اعرضت عنها وشخصت ببصرها الى المانيا التى كانت قد انجبت للعالم كله وللبشرية جميعا عددا عديدا من أعاظم المفكرين والشعراء الذين لم يعجبوا بماضى انجلترا الأدبى المجيد فحسب ، بل كانوا ، أيضا ، يعجبون بمبادراتها فى عالم الفكر والادب ، ويترسمون خطاها فى هذا الميدان وذاك ، ممثلا فى شيكسبير وملتون ، وطلائع الحركة الرومانسية الوليدة التى بزغ فجرها مؤخرا ، وكانت فى المكان الاول ، حركة ادبية ومدرسة شعرية . وحدت بين جيلين ، جيل خاتمة القرن الثامن عشر وجيل فجر القرن التاسع عشر على امتداده .

تقول الرومانسية بأن أسمى ملكة يتمتع بها الشاعر هى الخيال الذى يجب ان يتبوأ عرش العقل ليقترب بالمعرفة من لغز الحياة والطبيعة . فان وظيفة الشاعر أصيلة ورسالته أساسية .

وهكذا بات الشاعر ، كالعهد به فى عصر النهضة ، يحتل مركز الصدارة فى المجتمع ويتولى زعامته والقيادة فيه .

ولكن الشاعر تبوأ هذه المكانة العالية بعد أزمة شديدة ، تمخضت عن تجربة جديدة ، أماطت اللثام عن عجز الفلسفة المجردة وقصورها فى حل مشاكل الجماهير والشعوب . وكان وردزورث وشيللى ، وهما المختلفان كل الاختلاف من وجهة النظر السياسية ، يتفقان كل الاتفاق من حيث المفهوم فى وجهة النظر الى الشاعر بوصفه مرشدا وهاديا ، بعيد النظر ، ثاقب الفكر ذا رؤية متعددة الابعاد

والاعماق ، تحلق فى كل الاجواء والافاق، ويسبق عصره بالاهتمامات والتطلعات ٠٠ ومن ثم كانت الرومانسية أصلا ومضمونا حركة شعرية ٠

تناولت الرومانسية دراسة الانسان وتوسلت فى تلك الدراسة بالوسائل الخليقة بالشاعر الجديرة به ، وطبقت نفسها على ذلك الجانب من « الظل والضوء » فى النفس البشرية ٠ هذا الجانب الذى طالما اهمله الفلاسفة ٠ فكانت الموضوعات التى اختارتها الرومانسية للدراسة والبحث والاستقصاء هى مناطق الغريزة الخفية الغامضة المجهولة ومكامن الشعور والاحساس والعواطف والعلاقة القوية العميقة الدقيقة بين الانسان والطبيعة ٠

ولقد راى شيلى ان الفلسفة هى جوهر الشعر وتكمن فيه حيث تبلغ اسمى قممها وارفع ذراها واقصى مداها ، وأبعد اعماقها واغوارها ٠

كانت الشعلة المضيئة ، والقوة الدافعة المحركة عند بيرون هى الزهو والاعتداد بالنفس ، بينما كانت عند شيلى هى « الحب » ٠

شيللى ، بيرسى بيسشى (١٧٩٢ ١٨٢٢) ٠٠

ابن لاحدى الاسر الارستقراطية فى مقاطعة سسكس فى انجلترا ، ذهب الى جامعة اكسفورد ولكنه لم يتخرج فيها وتركها ٠ وفى عام ١٨١٦ تزوج من هاربت وستبروك ، ولكنه تركها ولمايمض على زواجه منها سوى اعوام ثلاثه ، الى اخرى تدعى مارى غوردون ، وعلى الرغم من زواجه فقد كانت له صلات اصطبغت بالمثالية مع كثير من النساء اللاتى خلدهن فى قصائده ٠ ثم رحل الى ايطاليا حيث أصبح واسطة العقد لجماعة من الكتاب الانجليز عاشوا هناك فيما بين ١٨١٨ : ١٨٢٢ ٠ وفيما هو يسبح ذات يوم ،خارت قواه وابتلعه اليم فى ظروف غامضة غريبة ، لم يبذل فيها اية محاولة للنجاة فكان من المغرقين ٠

على الرغم من ان شاعرنا ولد فى أسرة نبيلةثرية الا انهلم ينح نحو أبناء طبقته فقد كرس حياته ونضرة شبابه ولتوته للكفاح ضد كل ما كان يشعر بأنه مصدر شقاء الانسان وسبب بؤسه وتعاسته ٠

كان يشطح بخياله الى عالم جديد سوف يتحقق عندما تختفى كل ألوان الخطأ وتزول صور الحقد والكراهية من الوجود ٠ وكان جوهر نبوءته هو مولد عصر جديد يتمتع فيه أفراد البشر ، بكل الوان الحب والتعاطف ، وينعموا فيه بخيرات السماء والارض ٠ لم يكن يقصر حبه على قومه بل كان يؤثر به الخلق جميعا الى اقصى الحدود والابعاد حتى شمل الحيوان والزهر وعناصر الطبيعة جميعا ٠ لقد كان شاعرا يتعاطف مع الكون كله والبشرية جميعا ٠

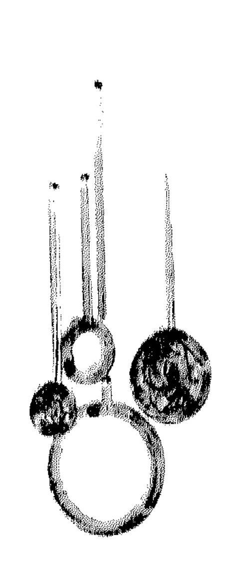
كتب شيلى الكثير والكثير جدا من القصائد الطويلة مما لا يحصره العد ولا يحصيه من مثل « انتصار الحياة » كما ابدع العديد من قصائد سحر الوجدان من مثل « القبرة » و « السحابه » و « فرار الحب » وهى حين ما يوصح الحب عنده ٠

عندما يتهشم المصباح ،
يرقد النور بلا روح ولا حيـاة ، على الثرى
وعندما تتبدد السحابة ،
تتلاشى هالة قوس السماء *
وعندما تتحطم القيثارة
لا نعود نذكر نغماتها الشجية ،
واذا ما باحت الشفاه بسرها ،
سرعان ما ننسى الفاظها المحبوبة *

***

وكما تصمت الموسيقى والضياء
يتوارى بعد القيثارة والمصباح
كذا أصداء القلب
لا تردد الاغانى عندما تصمت الروح
لا تردد ألحان ، ولكن رجع ترانيم حزينة ،
كرياح تعصف فى بيت خرب ،
أو هى الامواج العارمة الحزينة
تقرع أجراس موت البحار *

***



اذا تمازجت القلوب مرة
هجر الحب بداءة عشه الجيد التكوين
وغدا الضعيف وحيدا
ليبكى من كان يوما ملك يديه
أيها الحب ! يا من تتفجع
على ضعف كل الكائنات فى الحياة
لماذا تختار اضعف جارحة (١)
ليكون لك منها المهد والمقام واللحد ؟

***

سوف تتقاذفك الالام
كما تتقاذف العواصف الغربان السودفى الهواء ،
واصحاب العقول الراجحة سوف يهزاون بك
كالشمس تطل من سماء شاتية
من عشك كل نسيلة
سوف تبلى ، ووكر عقابك
يتركك عرضة للسخرية ،
عندما تتساقط الاوراق وتهب الرياح الباردة

بيرسى بيسشى شيللى

(١) الاشارة هنا الى القلب

THE FLIGHT OF LOVE

When the lamp is shattered,
The light in the dust lies dead —

When the cloud is scattered,
The rainbow's glory is shed.

When the lute is broken,
Sweet tones are remembered not;

When the lips have spoken,
Loved accents are soon forgot.

As music and splendour
Survive not the lamp and the lute,

The heart's echoes render
No song when the spirit is mute

No song but sad dirges,
Like the wind through a ruined cell,

Or the mournful surges
That ring the dead seaman's knell.

When hearts have once mingled.
Love first leaves the well-built nest;

The weak one is singled
To endure what it once possest.

O Love ! who bewailest
The frailty of all things here,

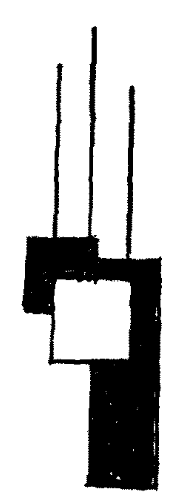
Why choose you the frailest
For your cradle, your borne and your bier ?

Its passions will rock thee
As the storms rock the ravens on high ;

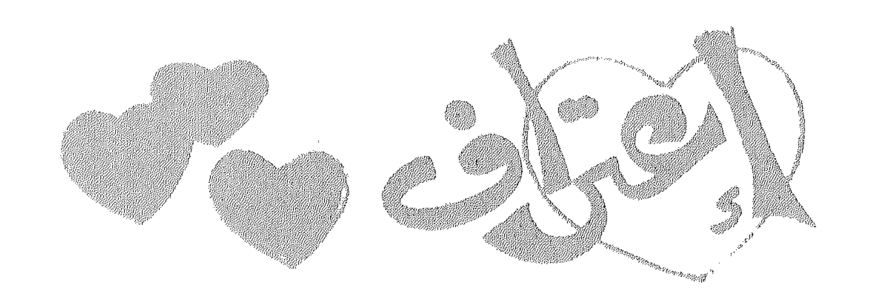
Bright reason will mock thee
Like the sun from a wintry sky.

From thy nest every rafter
Will rot, and thine eagle hom

Leave thee naked to laughter,
When leaves fall and cold winds come.



P. B. SHELLEY



• ابراهيم صبرى •

أحب .. وكم أتوب .. وكم أعـــودُ
وهل للقلب عن قــدر محيــدُ ؟!
وكمْ أشفقتُ منْ قدَرى .. ولكن
لحَلى بالذى أخشى سَـــــعيدُ !
وإن يَك فى الغرام لنـــا حيـــاة
فحيثُ أحب لى عمــر جــديد !
أعيشُ مع الهوى .. عمراً فعمــراً
ويَحيــا الناس عمراً لا يــزيدُ !
وقد جَمَــل الهوى قلبى أمـــيرا
على عرش يقالُ له الخـــلودُ !
وبين يَدَىَّ مملــكة الامـــانى
مفاتنها ربيــع لا يَبيـــــدُ !
وأنى أبصَــرت عينى ... أراهــا
بها من كل حسْـــن ما أريـــدُ
ودون إشارة منى بطـــــرف
تقــدِّمُ ما أريد .. وتســتزيد !
وقد أوتيتُ بالحــب اقتــدارا
له الأفــلاك والدنيا جنــود !
فيحســدنى ســليمان لمُلــكى
ويغبطنى على الخــلد الشــهيد !
وقالوا تلكَ أخيــلةُ القــوافى
وأحــلام يصــوِّرها القصــيد !

وإن هم أبصروا .. لرأوا بقلبي
نبيا لا تحد له حدود !
وفي شفتي بالابداع لحن
يردده الورى حضر وبيد !
ويحدو كل بازغة بحسن
فتقفو شدوه أنى يقود !
وهل خلق الجمال لغير صب
له في كل رونقة نشيد !
إذا شهد الجمال .. فذاك عرس
وإن لقي الجمال فذاك عيد !
وقالوا .. يدعي رشداً ويهوى
وما عرف الهوى رجل رشيد ..
ترى في سمته هارون موسى
وفي أعماقه يحيا « الرشيد » !
وقد يغضي — كما يبدو — حياء
وفي إغضائه فكر شريد !
يعربد بالخيال .. أشد مشيا
يعربد ناظر كلف عميد !
وبين ضلوعه يخفي اشتياقا
تميد به الجبال .. ولا يميد !
وإني بالذي زعموا .. مقر
ولكن .. ليس عن قدر محيد !
ولو فطنوا لما ظلموا فؤادا
بحجر الحب يحجره الوجود !
وكيف نكون دون هوى حياة
هو الشريان فيها والوريد !
وكل الناس موجود .. ولكن
بقدر الحب .. يحيا أو يبيد !

عالمهم بأقلامهم:

الكاتب المسرحي الأمريكي تنيسى وليامز يحاور نفسه !!

• ترجمة : نصرى عطا الله •

سؤال : ــ هل نستطيع ان نتحدث بصراحة ؟.

جواب : ــ ليس هناك من سبيل آخر للحديث !

س : ــ لعلك تعلم انه عندما اعيد عرض اولى مسرحياتك الناجحة ، في بداية هذا الموسم ، شعر غالبية نقاد الصحافة انها مازالت احسن مسرحية كتبتها ، ولو انه قد مضى عليها الآن اثنا عشر عاما !.

ج : ــ نعم ، اننى اقرا كل ما يكتب عن مسرحياتي من تعليقات ونقد .

س : ــ وحيث يكون دخان كثير..

ج : ــ ان النار ترسل اكبر قدر من الدخان عندما تبدأ في صب الماء عليها !.

س : ــ ولكنك سوف تسلم بالتأكيد ان هناك نغمة مقلقة من الخشونة والفتور والعنف والغضب ، تسرى في مسرحياتك الأحدث عهداً .

ج : ــ أعتقد ذلك ، ودون قصد منى افعل ذلك ، لقد تتبعت التوتر والغضب والعنف المتزايدين في الدنيا والعصر اللذين اعيش فيهما وذلك من خلال التوتر المتزايد بانتظام الذى اعانيه ككاتب وانسان !.

س : ــ انك تسلم اذن ان التوتر المتزايد ، كما تسميه ، انعكاس لحالة تعانيها انت ؟

ج : ــ نعم !

س : ــ وقد تقارب المرض النفسى ؟

ج : ــ أظن أن اعمالى كانت دائما نوعا من العلاج النفسى لذاتى .

س : ــ ولكن كيف تتوقع أن تتأثر جماهير المسرح بمسرحيات وكتابات أخرى وضعت أساسا للتنفيس عن توترات مبعثها رجل يحتمل أن يكون مخبولا او هو في الطريق الى أن يكون كذلك ؟.

ج : ــ انها تنفس عما بأنفسهم ..

س : ــ ما الذى بأنفسهم ؟

ج : ــ توتراتهم المتزايدة .. التى تقترب من المرض النفسى !

س : ــ هل تعتقد أن الدنيا تتجه نحو الجنون ؟

ج : ــ تتجه ؟ انها كادت تصبح كذلك فعلا ! وكما تقول الطرفة في « الطريق الرئيسى » إن الدنيا صحيفة فكاهية تقرأ قراءة عكسية وبهذا لا تكون فكاهية تماما !.

س : ــ والى اى مدى تعتقد انك تستطيع ان تعيش على هذا الراى المعذب للدنيا ؟

ج : ــ بقدر ما تستطيع الدنيا ان تعيش في هذه الحالة المعذبة .. ربما كان ذلك في امكانى ولكنى لا استطيع ما هو ابعد مدى من ذلك

س : ــ انت لا تتوقع ان تسير الجماهير والنقاد معك في ذلك الطريق، هل تتوقع ذلك ؟

ج : ــ لا ..

س : ــ اذن لماذا تدفعهم وتجرهم الى ذلك الطريق ؟

ج : ــ اننى اسير في ذلك الطريق، اننى لا ادفع ولا اجر احدا معى ..

س : ــ نعم ، ولكنك تامل ان يظل الناس يستمعون اليك . اليس كذلك؟

ج : ـ امر طبيعي ان آمل ذلك .

س : ـ حتى اذا نفرتهم منك بما في اعمالك من عنف وفظاعة ؟.

ج : ـ الم تر الناس يتساقطون من حولك مثل الفراشات في غير اوانها نتيجة لوباء العنف والرعب في هذا العالم وهذا العصر اللذين نعيش فيهما ..

س : ـ ولكنك مسامر ذو دعاوى فنية ، والناس لم تعد تجد المسامرة في القطط التي تمشي على سطح من الصفيح الساخن او الدمى للاطفال او ركاب عربات الترام المجنونة ..

ج : ـ دعهم اذن يذهبون الى العروض الموسيقية والتمثيليات الفكاهية ، انني لن أبدل من اساليبي، انني لأجد صعوبة في ان اكتب ماأريد ان اكتب ، دون أن أحاول كتابة ماتقول إنهم يريدونني أن اكتبه ، ولا ارغب في أن اكتبه ..

س : ـ هل لك ـ في رايك ـ اية رسالة ايجابية ؟

ج : ـ من المؤكد انني اعتقد تماما انه لدى رسالة ايجابية .

س : ـ مثل ماذا ؟

ج : ـ الحاجة الملحة بل الصارخة الى مجهود ـ على مستوى عالمي ـ لأن نعرف انفسنا ويعرف كل منا الآخر على مستوى أفضل بكثير جدا ، الى القدر الذى نسلم فيه بأنه ليس هناك انسان يمتلك حق احتكار الحق أو الفضيلة اكثر من انسان آخر قدر عليه النفاق والشر وهكذا .

اذا بدأ الناس والأجناس والشعوب يعملون بهذه الحقيقة الواضحة ،اعتقد أن الدنيا تستطيع أن تتقى ذلك النوع من النساء الذى اخترته مضطرا كموضوع أساسي رمزى لتمثيلياتي ككل .

س : ـ ولكنك تتهم المجتمع ككل بالاستسلام للرياء متعمدا ، ويبدو انك تجد نفسك منفصلا عنه ككاتب .

ج : ـ ككاتب نعم، اما كانسان فلا.

س : ـ وهل تعتقد ان هذه مزية خاصة لديك ككاتب ؟.

ج : ـ لست مسرفا في عواطفي تجاه الكتاب . ولكنني اميل الى الاعتقاد ان غالبية الكتاب وغالبية الفنانين الآخرين ايضا ، انما تحركهم اساسا ، في مجال مهنتهم ، الرغبة اليائسة في العثور على الحقيقةوفصلها عن مركب الاكاذيب والمغالطات التى يعيشون فيها ، واعتقد ان هذا الدافع هو الذى يجعل عملهم مهنة اكثر منه شيئا حقيقيا .

س : ـ لماذا لا تكتب عن الناس اللطفاء ؟ الم تعرف اناسا لطفاء ابدا في حياتك ؟

ج : ـ ان نظريتي عن الناس اللطفاء بسيطة الى حد يشعرني بالحاح قوى أن اقولها .

س : ـ ارجو ان تقولها ..

ج : ـ حسنا .. انني لم اقابل شخصا لا استطيع ان احبه اذا ما عرفته وفهمته تماما . ولقد حاولت في مسرحياتي ان اصل على الاقل الى المعرفة والفهم ، انني لا اومنبالخطيئة الاولىولا اومن بالاثم ، لا اومن بالاشرار او الابطال . انما اومن فقط بالاساليب السليمة او الخاطئة التىيتبعها الافراد لا عن اختيار بل بالضرورة او تحت تاثيرات معينة نابعة من ذواتهم ومازال يساء فهمها او نابعة من ظروفهم او عوامل موروثة . ان هذا بسيط الى حد يخجلني ان اقوله ، ولكنني واثق انه صادق واراهن صادقا بحياتي على صوابه ولهذا لا افهم لماذا تحاول دائما اجهزة الدعاية لدينا ان تعلمنا وان تقنعنا ان نكره وان نخاف الآخرين في نفس هذه الدنيا الصغيرة التى نعيش فيها .

انني لا اود ان انهي كلامي بمثل هذه النغمة ، ماذا سوف اقول اذن ؟ انني اعرف انني فنان صغير تصادف ان كتب عملا او عملين كبيرين ـ انني لا استطيع ان اقول ما هي.. ان هذا ليس بذي بال . لقد قلت كلمتي وقد اقولها ثانية وقد اكف عن الكلام هذه اللحظة .. ان ذلك لا يعتمد عليك ، إنه يعتمد تماما على أنا ، وعلى فعل الصدفة او العناية الالهية في حياتي .



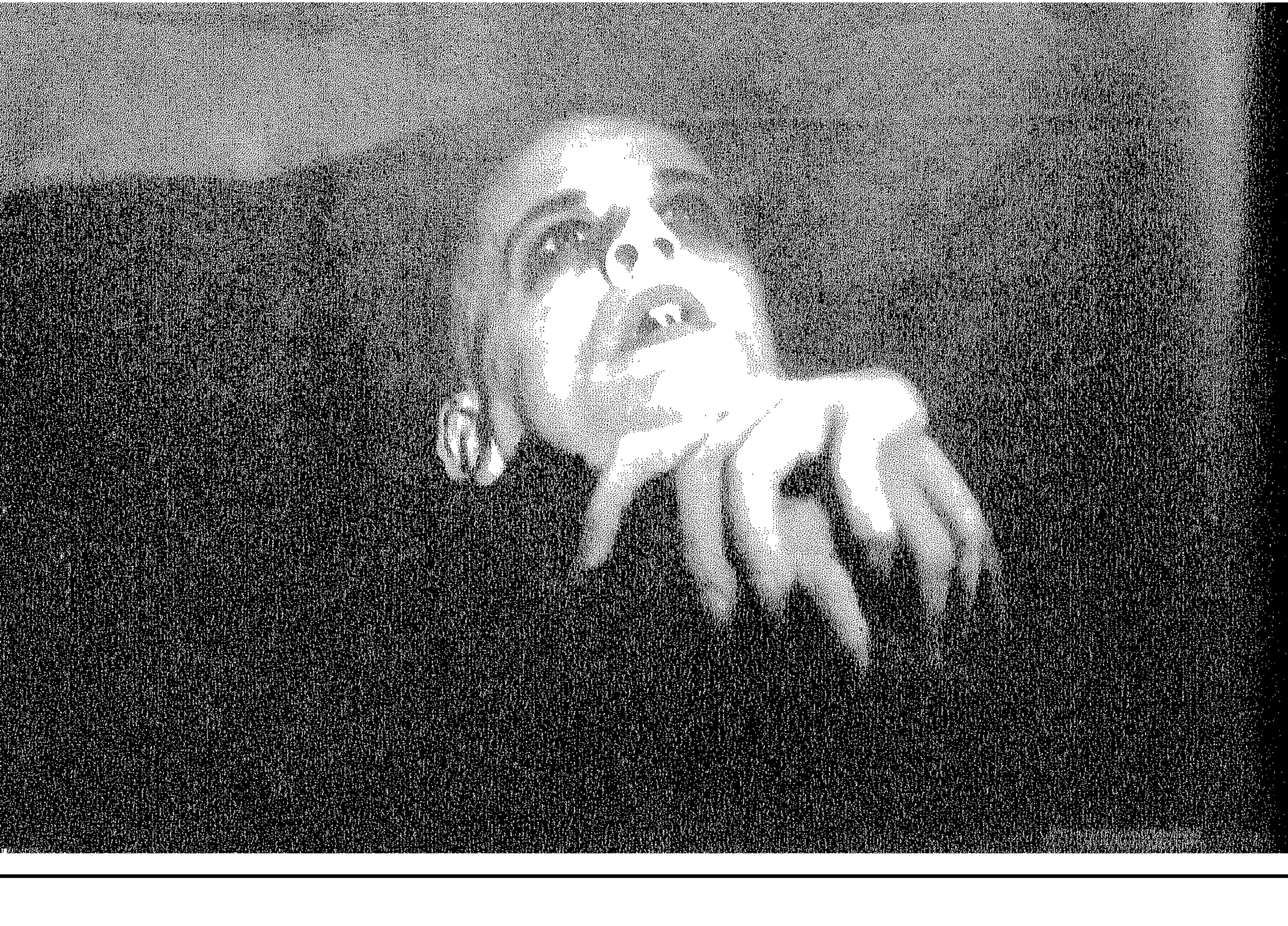
● مارى غصبان ●

●● هنـــاك عشرات من الكتب صنفها النقاد تحت اسـم الخيـــال العلمي المثير ، كانت تخلق شخصيات وهمية تكسبها بعض صفات وسلوكيات البشر ، وتضيف اليها أبعادا وهمية وخيالية مثيرة ، مثل مؤلفات برام ستوكر « دراكيولا » فى عام ١٨٩٧ ، وآخرها « سوبرمان » من مؤلفات جيرى سيجل فى أواخر الثلاثينات ، و «جيمس بوند» الشخصية التى ابتكرها ايان فيلمنج فى الستينات .. وقد وجدت السينما فى هذه المؤلفات مادة خصبة تعطى تنوعا للخيال السينمائى الواسع .

● ولقد بدأ هذا اللون من الكتابات يظهر فى المانيا عام ١٩٢١ ، فى رواية قريبة من شخصية « دراكيولا » حينما قدم فريدرك ميرنو شخصية مصاص الدماء ، وقد ظهر بعدها الفيلم الالمانى الذى اتخذ كنموذج لهذا اللون من الافلام الكلاسيكية المثيرة . . . وكان هذا اللون من الافلام يرمز الى نقص التوازن فى العقلية الالمانية التى خرجت لتوها من الحرب العالمية الأولى .

وفى عام ١٩٣٠ قام المخرج الامريكى تودبراونتج والمخرج البريطانى تيرنس فيشر بتقديم فيلم امريكى مأخوذ عن أصل قصة برام ستوكر ـ « دراكيولا » التى نشرت عام ١٨٧٩ وموضوع هذا الفيلم المأخوذ عن هذا النص هو نفسه الذى اعتمد عليه فرينار هيردسوك فى فيلمه « نوسفراتو أو شبح الليـل » ... والشبح فى الرواية شخص تعيس ، وجهه يشبه مهرج السيرك . عيناه غريبتان تشبهان ما يتخيله الناس عن عيون الشيطان .. وشفتاه غليظتان وأسنانه تشبه الانيــاب المتعطشــة للدماء !

وبالفعل يسعى الشبح المجسد فى شخص مصاص الدماء الى قتل ضحاياه وامتصاص دمائهم متصورا انه يخلص العالم من الانماط البشرية المحرومة



من الابتكار ومن التطلع الى المستقبل.. الانماط العادية التى تضر ولا تفيد ..

وينشر « نوسفراتو » أو الاسم الآخر « لدراكيولا » الموت والخراب فى كل مكان ، ينشر الدمار والطاعون ويحطم العائلات والعلاقات الاسرية ..

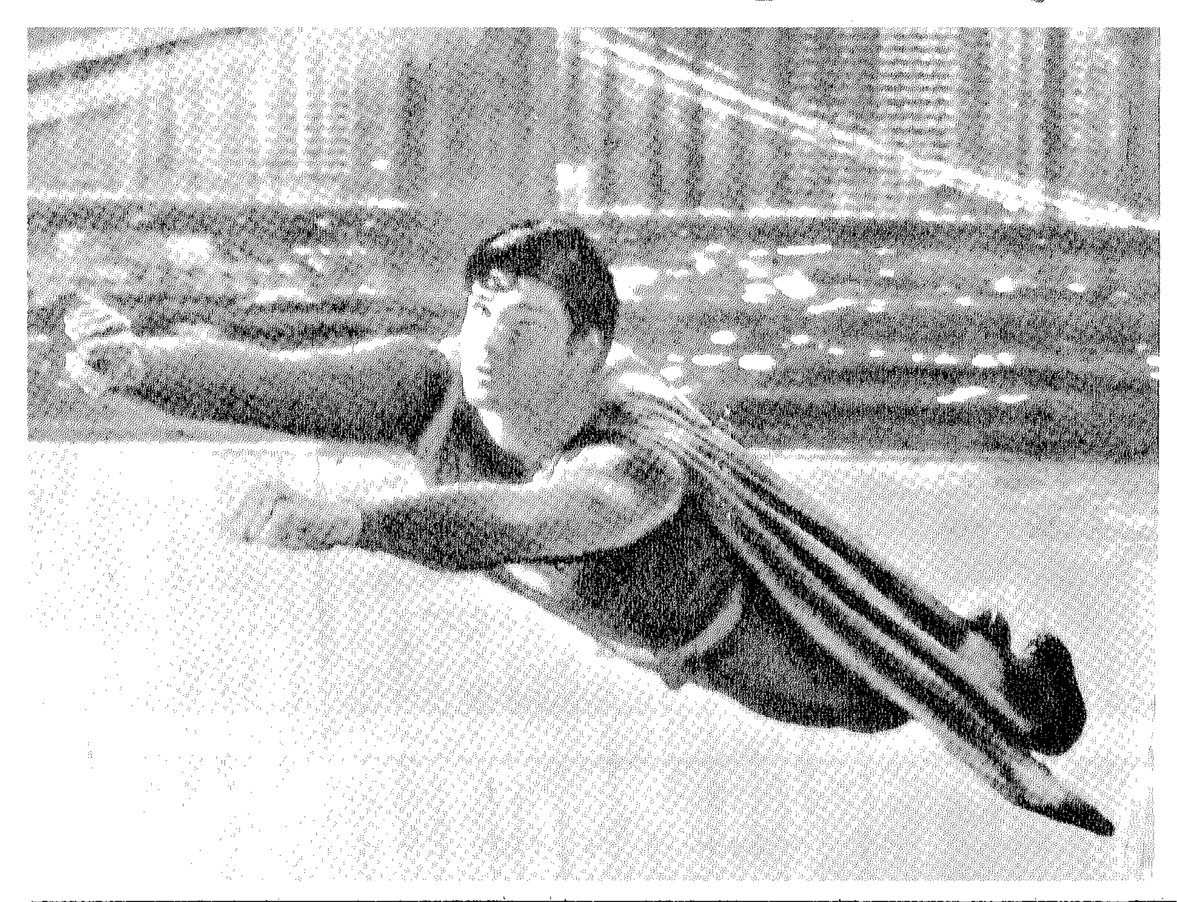
ويحتار النقاد والمفكرون فى تفسير رموز هذه الشخصية ، هل هى تنبيه لنهاية العالم .. وهل هى ايحاء بالدمار الذى ينتشر ويهدد الحضارة ! .

وتكثر التفسيرات والرموز ، ولكن مؤلف « نوسفراتو » أو «دراكيولا » يضع لها حدا حينما يموت الشبح مصدر الموت والخراب ، حينما يتعلق بحب امراة فتتركه فى البحر فيموت وحيدا !.

هذا اللون من المؤلفات الخرافية يسميه بعض النقاد الرواية الخيالية الكلاسيكية التى خلقت بعدها الرواية الخيالية الاجتماعية ، وتعبر عنها رواية جوته ـ « فاوست » الذى صور شخصا باع نفسه للشيطان ، ومن هذه الشخصية خرجت عشرات الموضوعات والمؤلفات التي تحولت الى اعمال مسرحية وموسيقية وسينمائية.

وقد تكون المعالجة المكتوبة لمثل هذه الاعمال مقبولة من ناحية وصف الكلمات ومحتوى هذا الوصف والخيال الذى يتركه هذا الوصف عند القارىء لكن السينما بتجسيد هذا الخبال الروائى تقدم صورة بشعة لا يتحملها الحس المرهف . وهنا يبدو الفارق بين المكتوب والمشاهد ، فالأعمال المكتوبة تعطى معقولية فى التصور ، لكن السينما تقدم نماذج مشوهة وبشعة تعبر عن تزايد ما فعلته السينما بمثل هذه الاعمال .

وقد حاولت السينما ان تعالج هذا الوضع ، وبرز هذا فى معالجة موضوع « سوبرمان » الذى يناسب القيم الموجهة خاصة للاطفال حينما ينتصر



الخير في النهاية على الشر .. وهذا اللون من الروايات كسب كثيرا من تعاطف القراء ، وهكذا أيضا نجح مع المشاهدين ، وكسبت الشاشة شخصية خيالية مقبولة بعيدة عن التشويه والبشاعة .

وقد وضح هذا الاهتمام في آخر فيلم صورته السينما عن هذه الانماط خاصة وأن تكاليف فيلم « سوبرمان » **وصلت الى ٥٠ مليون دولار ، حصل منها المؤلف جيرى سيجال على ثلاثة ملايين دولار ، وهذا يعنى انه حصل عن كل دقيقة في الكتاب على ٤٥٠ دولارا فمدة عرض الفيلم ١٥٠ دقيقة .**

وفي الفيلم استعانوا باكبر النجوم مثل مارلون براندو الذى مثل عشر دقائق فقط حصل فيها على مليونين من الدولارات ، وجين هاكمان ظهر على الشاشة لمدة ثوان ، تقاضى عنها ربع مليون دولار !.

ورغم التكاليف الضخمة فقد حقق الفيلم ١٢ مليون دولار في اسبوعه الاول لعرضه الاول ، بزيادة ثلاثة ملايين على الفيلم الضخم « حرب الكواكب » الذى يعتمد على الخيال العلمي ايضا ..

ويقول ناقد النيويورك هيرالد تريبيون: ان هذا الفيلم يعتمد على منهاج سيكلوجى يجعل المشاهد الكبير والمشاهد الصغير يتصور نفسه يتخلص من ازماته ومشاكله في تقمص شخصية السوبرمان حتى ولو على سبيل الراحة الذهنية والهروب النفسي في **اطار شخصية مريحة يقنع الآباء ابناءهم بانها شخصية خيالية يصعب عليهم أن ياتوا بحركاتها . ولكن يمكنهم فقط أن يتخيلوا أنفسهم في مكانها ...**

وهذا الفهم جاء من ملاحظات النقاد على سلوك الاطفال بعد استمتاعهم بمثل هذه العروض التى تمزج قيم الواقع وسلوكياته ببعض تصرفات وسلوكيات الخوارق والانماط الخيالية .

سجن الظماء

● احمد السمرة ●

أيا أحداق آفاقى دعينـا تنشـد الماء
ملا ظمأى يفارقنى وهذا الورد قد ساء
وسفحى قمة المجهول سلمنى لجلادى
فغللنى بأعوادى واعوزنى كما شاء
وشقق شمس أيامى ليذر حبة الليل
وعلل بالجنى زمنا بحنل كهانة ناء
أريد الماء ثجاجا لأمحو لعنة الأمس
فقد مسخت أصابعها ربا الاصباح إمساء
أريد الماء دفاقا على كفين من كرم
لأبذله على حب لثغر الهيم أنـداء
ألا مطر" ألا مطر" ؟ وجاء من الصدى صوت
(أغاضته الرمال السود ثارت فيه أهواء)
ضياع كل ما أملت يا أرجوحة الخرس
صرير القيد فى نفسى يثير الحرب هوجاء
ويا أصداء قافلتى وفجرى فى مدى التيه
متى الأقدار ترجع لى خرير الحلم إرضاء
وأين من الدجى خيط ينير دخائل الغيب
فأبصر بين لحمته سقاة البعث أحياء ؟
شفاه النهر يائسة تحاور نبتها الذاوى
وتغزل من سراب الوهم حول الماء أثباء
وتسأل عن جراحاتى وما يأسو لها الماء
فاهتف أنه بعث إذا حادى المنى شاء
فقطر الماء يطلبه مساء أعجف الخبز
تعثر فى الدروب الصفر بالأحزان مشاء
أريد الماء ماكولا . أريد الماء مشروبا
أريد الماء نبراسا أريد الماء إحياء
متى أجرى به عمرى على موج الضحى البقا
إلى أرض مخضبة تملى الماء أفياء
فيامزن الهدى أملا يداعب شاحب الأمل
تنزل فالمدى عدم إذا مارمت إرجاء





• د. نبيل راغب •

● بيرل بك روائية امريكية كرست فنها لبلورة الحياة فى الصين التى عاشت فيها معظم سنى طفولتها وشبابها : والتى شهدتها وهى تمر باحرج مراحل ثورتها التى انتصرت اخيرا فى عام ١٩٤٩ وغيرت وجه الحياة تماما على ارضها ..

ولعل القيمة الفكرية التى تكمن فى روايات بيرل بك انها كتبت من خلال نظرة كاتبة قادمة من امريكا التى تمثل احدث الحضارات الانسانية ، الى الصين التى تعد احدى الحضارات العريقة الموغلة فى القدم . وقد لاقت روايات بيرل بك تقديرا من كل الاوساط الادبية العالمية نظرا للروح الموضوعية التى تميزت بها . فقد عاشت بيرل بك وسط الصينيين وتعاطفت مع آمالهم وآلامهم ، بل وتنبأت بحتمية الثورة الجذرية ، وان كانت لم تذكرها مباشرة ، فان تفسخ الحياة الذى صورته فى رواياتها بلغ حدا ينذر بالانفجار الذى لا يبقى ولا يذر ..

ولدت بيرل بك فى فيرجينيا الغربية لابوين يشتغلان بالتبشير ، وادى ذلك الى انتقالها الى الصين منذ طفولتها ، كما تلقت تعليمها فى شنغهاى ثم فيرجينيا . ولكنها عادت مرة اخرى الى الصين لكى تتزوج من مبشر يدعى الدكتور ج . ل . بك لم تتأثر به كثيرا فى حياتها الادبية مثلما تأثرت بأمها التى طالما علمتها منذ سنى حداثتها ان تسجل على الورق كل ما تراه وتحس به.

ولعل النجاح الذى أحرزته بيرل بك فى عالم الادب يعود اساسا الى تلك التدريبات شبه اليومية التى تلقتها بيرل على يدى أمها . وكانت فكرتها الصحيحة عن الانسان الصينى قد بدأت فى التبلور عندما ارسلت فى سن الخامسة عشرة الى مدرسة داخلية فى شنغهاى ، واختلطت بالصينيين الذين وجدتهم مختلفين تماما عن الصورة التقليدية لهم فى ذهن العالم الغربى .

وكانت بيرل دائمة المقارنة العملية بين المجتمع الصينى والمجتمع الامريكى بسبب تنقلها الفعلى بينهما . فعندما بلغت السابعة عشرة من عمرها غادرت الصين الى أوروبا ومنها الى امريكا حيث اكملت تعليمها فى كلية راندولف - ميكون فى فيرجينيا . وبانتهاء دراستها الجامعية التى لم تكن مستريحة لها



● بيرل بك ●

تماما ، عادت مرة اخرى الى الصين حيث وجدت أمها مريضـــة فظلت تمرضها لمدة عامين متصلين . وعندما استردت الام صحتها رحلت الاسرة الى شمال الصين حيث قضت هناك حوالى خمس سنوات . بعدها ذهبت الاسرة الى مدينة نانكنج حيث بدت الحيـــاة مختلفة تماما .

وعلى مدى عشر سنوات راقبت بيرل الصين وهى تغلى بالثورة ، وعلى حد قولها رأت « الايام القديمة وهى تنسحب مهزومة ، بينما الايام الجديدة تنطلق من رحم الزمن ، ضعيفة وواهنة ولـكنها تضج بالحياة القادمة مع الميلاد الجديد »

***

قضت بيرل بك فترة من حياتها فى العمل بالتدريس فى جامعة نانكنج ثم فى جامعة الجنوب الشرقى واخيرا فى جامعة تشنتال التى كانت معهدا حكوميا حيث قامت بيرل بتدريس الادب الانجليزى . ولم تكن بيرل مغرمة بالتدريس كمهنة فى حد ذاتها ، ولكنها وجدت فيـــه طريقة مثيرة ومفيدة وعملية للحصـــول على اكبر قدر ممكن من المعرفة بالشعب الصينى من خلال قطاعاته المختلفة التى تتمثل فى الطلبة الذين تلقوا محاضراتهم على يديها . ودارت بينهـــم وبينهـــا مناقشات مثيرة ومفيدة للغـاية اثرت فيما بعد على المضمون الفـــكرى الذى احتوت عليه اعمالها الروائية والقصصية .

وعلى الرغم من انغمـــاس بيرل بك تماما فى الحياة الصينية ، الا انهـــا ترفض ان تحيل اعمالها الى مجـــرد وصف لصور الحياة المحلية هناك . فهى ترى ان اهم وظيفة للفن تكمن فى اختراق حدود الزمان والمكان ، حتى يتمكن الفنان من رؤية الانسان على حقيقته بعيـدا عن الضغوط والظروف المؤقتة . وعلى الاديب ان يخترق الظاهر دائما بحثا عن الجوهر .

انجازاتها الروائية

بدات بيرل بك حياتها الادبية مبكرة وحصلت على عدة جوائز كانت تنظمهـا بعض الصحف الامريكية . ثم كتبت اول رواية لها عام ١٩٢٩ بعنـوان « ريح الشرق وريح الغرب » وفيها عالجـت موضوعها الاثير عن الحياة فى الصين محاولة تقديمها الى العالم الغـربى فى ثوب موضوعى بعيـد عـن الاسلوب السطحى التافه الذى تميزت بروايات الغرب التى اتخذت من شعوب الشـرق الاقصى مادة لها .

ولـكن رواية « ريح الشرق وريح الغرب » لم تحز على شهرة واسعة بل ظلت بيرل بك اديبة مغمورة حتى كتبت رواية « الارض الطيبة » عام ١٩٣١ وهى الرواية التى اخرجتها الى المجال العالمى والانتشار العريض بما تحمله من تجسيد رائع لمعاناة الفلاح الصينى وكفاحه لكى تخرج الارض اطيب ما عندها ، ولـــكن ظلت حياته رمزا للشقاء والبؤس .

ففى رواية «الارض الطيبة» نرى مثلا ان شخصية البطل وانج لانج لا تمثل الفلاح الصينى المكافح بقـدر ما تجسد صراع الانسان وتمسكه بالارض التى يشعر ان جذوره تمتد لتتشعب فى باطنها . ولذلك فالبطولة معقودة للارض كمـــا هى معقودة للانسان تماما . ومن العــلاقة العضوية بين الانســان والارض نبعت رواية « الارض الطيبة » . فليست هناك ثمة مغامرات من ذلك النوع الذى تميزت به روايات الشرق الحـافل بالغموض

والأسرار والغواية . فرواية « الارض الطيبة » تحكي ببساطة متناهية قصة حياة فلاح من الصين والاحداث التقليدية التي تقع فيها من زواج وانجاب للاطفال ومجاعة ووفاة ... الخ .

وعلى الرغم من ان الاحداث والمواقف تبدو تقليدية ، اذ ليس فيها من الاثارة الروائية المعتادة شيء ، الا أن المعالجة الفنية للمواقف والشخصيات ليست تقليدية بالمرة . فالرواية عبارة عن لوحات متتابعة من الحياة في الصين ، ولكنها لا تعتمد فقط على التسجيل الوصفي . بل تكمن في الصراع الدرامي علاقة عضوية بين الشخصيات الرئيسية وبين الخلفيات الوصفية بحيث لا يمكن الفصل بين الفلاح والارض ، أو بين الإنسان والصين .

وتعاطف بيرل بك مع شخصياتها لا يؤدى بها الى الحماسة الجوفاء ، أو الوعظ المباشر لانها تترك المواقف تتطور من تلقاء نفسها لكي تشكل في النهاية البناء العام للرواية .

***

وما ينطبق على رواية « الارض الطيبة » ينطبق على روايات بيرل بك الاخرى التي تأخذ من الحياة في الصين مضمونا لها مثل رواية « الشورى الشاب » التي كتبتها في نفس عام « الارض الطيبة » ١٩٣١ ، ثم رواية « أبناء » ١٩٣٢ ، ورواية « الام » ١٩٣٤ .

وقد كتبت بيرل بك روايات اخرى بعد عودتها النهائية الى امريكا ولكن تاريخ الرواية العالمية سيذكر لها رواياتها الصينية وخاصة « الارض الطيبة » التي تذكر كلما ذكرت مؤلفتها . ويبدو أن الخصائص الفنية والفكرية الكامنة في المضمون المعالج هي التي تحدد المدى الذي يمكن أن ينطلق اليه الفنان في انجازه الادبي . واذا كانت بيرل بك قد أكدت مرارا أنها لا تهتم بالصينيين بصفة خاصة ، لان اهتمامها يتركز في الانسان بصرف النظر عن الزمان أو المكان، الا أنه من الواضح ان انفعالها بالحياة التي عاشتها في الصين هي التي جعلت منها الروائية بيرل بك التي يعرفها الجميع .

وبلغ بها الحماس بالحياة في الصين لدرجة انها انشقت عن ابناء جلدتها الذين يشكلون بعثات التبشير هناك ، ودخلت معهم في جدل علني حول الاهداف الحقيقية المقصودة بها عمليات التبشير التي تتخذ من الدين ستارا تخفي به اطماعها السياسية .

وقد خاضت بيرل بك هذه المعركة الفكرية على الرغم من أن زوجها كان يعمل بالتبشير . وانتهت هذه المعركة بان قررت العودة النهائية الى امريكا حيث عملت في نشر الكتب لفترة وجيزة ، وكانت تخرج من حين لاخر لقرائها برواية جديدة ، كما اتجهت ايضا الى كتابة السيرة الذاتية كما فعلت بالنسبة لابيها في كتاب «المنفى» ولأمها في كتاب « الملاك المحارب » اللذين صدرا معا عام ١٩٣٦ .

وكانت بيرل بك من الشجاعة بحيث تبنت الدفاع عن الملونين بعد عودتها الى امريكا ، وذلك في وقت كانت التفرقة العنصرية على اشدها في الولايات المتحدة مما عرضها لهجوم كاسح ونقد لايرحم . ولكنها لم تعبأ وظلت في كفاحها الذي أثمر أخيرا بانشاء دار الترحيب والرعاية في بنسيلفانيا التي تستقبل الاطفال الذين من أصل أمريكي آسيوى حيث يتلقون كل عناية تكفل لهم الاستقرار المعيشي والتعليم الذي يؤهلهم لشق طريقهم في المجتمع عندما يشبون من الطوق .

ولكن هذا النشاط الاجتماعي في أمريكا جعل من بيرل بك مصلحة اجتماعية أكثر منها روائية فنانة ، لان الروايات التي كتبتها في تلك الفترة لم ترتفع فنيا الى مستوى رواياتها الصينية . ويبدو أن الشحنة الفنيـا

التى انتجت هــذه الروايات قد وجدت لها متنفسا عمليا فى انجازاتها الاجتماعية من اجل الملونين الامريكيين .

الرواية الصينية

وقد منحــت بيرل بك جائزة نوبل للادب فى ١٠ من ديسمبر ١٩٣٨ . وكان قرار منحها الجائزة مبنيا على «لوحاتها الملحميــة الخصبة والأصيلة عن حيــاة الفلاحين الصينيين ، وتحفها الادبية فى مجال السيرة الذاتية . » وفى خطــاب بيرهالستروم رئيس اكاديمية نوبل فى حفل تسلم بيرل بك للجائزة قال :

« انه عندما قــــررت الاكاديميـــة السويدية منح جائزة هذا العــام الى بيرل بك لاعمالها الادبية المرموقة التى تمهد الطريق من اجل التعاطف الانسانى بين مختلف فئات البشر بصرف النظر عن الحدود الفاصــلة بين العنــاصر والاجناس المختلفة ، وكذلك لدراسات بيرل بك فى عالم المثل الإنسانيــة التى تشكل المضمون الاساسى لاعمالها ، فان الاكاديمية تشعر بأن انجاز بيرل بك كان متمشيا تماما مع أهداف الفريد نوبل واحلامه من اجل المستقبل . »

وقد طلبت الاكاديمية من بيرل بك ان تختار موضوعا ادبيا لكى تحاضرها فيه ، فلم تجد بيرل سوى موضوع « الرواية الصينية » كما نشأت بالفعل فى الصين بعيدا عن أية تأثيرات غربية ، وخاصــة أنها اكدت من قبل ان الشكل الفنى والمضمون الفكرى فى رواياتها قد تأثرا بالرواية الصينية اكثر من تأثرهما بفن الرواية كما عرفه الغرب أو أمريكا بصفة خاصة .

وتعتقد بيرل أن اى اتصال بين الرواية الصينية والرواية الغربية سيعود على الاخيرة بالفائدة الجمة لان تقاليدها الادبية وجذورها الفكرية والاجتماعية تختلف تماما . فالرواية الصينية لم تــكن ابدا فنا قائما بذاته كالشعر مثلا ، بل كانت نشاطا اجتماعيا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان . ولذلك لم ترتبط بطبقــة الكتاب أو الادباء أو المثقفين الاكاديميين فالشعب ــ بجميع طبقاته ــ كان يمارس هذا النشــاط كنوع من التسلية المفيدة التى تتيح له الاطلاع على اكبر قــــدر ممكن من حكمة الاجيال السابقة .

ولعل ابتعاد الرواية الصينية عــن القوالب والمعايير التى اغرم بها المثقفون والدارسون ، قد ساعدها على الانطلاق الحر الخلاق ، والارتباط بحركة المجتمع وتطور الفكر فيه . ولذلك كانت الرواية الصينية نتاجا للوجدان العــام الذى يشترك فيه عامة الناس . وترتب على ذلك أن أصبحت لغة الرواية هى اللغة الدارجة التى يستخدمها الصينيون فى حياتهم اليومية مما اكسبها حيوية وقدرة على تجسيد أحلام الناس .

وعندما جاء البوذيون الى الصـــين وجدوا ان الانماط الادبية الرسمية مثل الشعر والخطب والحكم والامثـــال والمستندات التسجيلية والاسطـــورة الدينية قد انفصلت تماما عن وجــدان الشعب واصبحت مجرد قوالب صــماء فقدت كل المعاني والدلالات التى كتبت من اجلها . ولذلك نادوا بأن الحيــاة تاتى قبل الادب فى الاهمية ، وليس من الحكمة فى شيء أن يشكل الناس فكرهم حتى يتمشى مع القوالب التى صــبها المثقفون من قبل . فالمفروض ان يحدث العكس بحيث يستمد الادب كل اصوله من الحياة المستمرة المتجددة .

واتجهت الرواية ــ على يد البوذيين ــ الى المنهج التعليمى الذى يعمل على تحويل التعاليم الدينية الى سلوك يومى حتى لا تكون مجرد نصوص محفوظة . فقد استغلوا حب الناس للرواية ووضعوا فى طياتها التعاليم التى يريدون بثها بين الناس . ونظرا لأن الامية كانت متفشية الى حد كبير بين عامة الشعب ، فقد اصبح السرد الروائى وسيلة شائعة فى التجمعات التى تنعقد فى وقت الفراغ وخاصة فى المساء . من هنـــا بدأت الرواية الصينية تأخذ شكلها المتعــارف عليه منذ عشرات القرون الماضيــة .

كانت رواية شفاهية تتناقلها الالسن جيلا بعد جيل . وتحولت الشخصيات النمطية الجافة الى بشر احياء يدبون على الارض ويقنعون كل من يستمع منهم اثناء السرد الروائي . وكانت الشخصيات العنصر الرئيسي بل ربما الوحيد الذي يجذب انتباه المستمعين . كيف تتحرك وتسلك وتفكر وتعيش ؟! اما تسلسل الاحداث والحبكة فلم تكن مثار اهتمام حقيقي . ولذلك كانت الرواية تستمر الى ما لا نهاية أو تتوقف فجأة لان الامر مرهون كله بمدى ارتباط المستمعين بالشخصية .

وكان مضمون الروايات يدور حول الموضوعات المفضلة عند جمهور المستمعين مثل الاساطير والمغامرات والمؤامرات والحروب واللصوص وقصص الغرام .

وهناك ظاهرة واضحة في الصين هي ان الرواية كانت دائما أهم من الروائي الذي توارى تماما في الظل لدرجة أن الروايات التي تناقلتها الاجيال حتى الان مجهولة المؤلف أو مشكوك في نسبها الى مؤلف محدد . **فقد حرص الروائيون على تقديم كل مايمت للرواية بصلة مع الامتناع تماما عن التحدث عن آرائهم وامزجتهم الشخصية . ولعلنا نلاحظ ان هذه الموضوعية الفنية المبكرة التي حققتها الروائي الصيني منذ عشرات القرون ، هي نفسها التي يحاول النقد الحديث تحقيقها في القرن العشرين .**

وبصرف النظر عن القيمة الفنية للرواية ، فان القيمة التسجيلية كانت تطغى في كثير من الاحيان على كل عناصر الرواية التي تضمنت كل مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كل عصر على حدة فلم يكن الروائي واعيا بشكل محدد لروايته بل كان السرد يستمر طالما ان في المضمون مايسمح باستمراره . ولم يكن هناك اسلوب خاص ومميز للرواية ، ولكنها كانت محتشدة بالعديد من الشخصيات المستمدة من التراث الشعبي والفولكلور القديم . وبالاضافة الى قوى ما وراء الطبيعة التي تتحكم في سير الاحداث وحركة الشخصيات عن طريق المعجزات واعمال السحر ، فهناك روح الدعابة والتهكم التي تغلف الموقف حتى لو كان المضمون جادا .

وتعد الرواية الصينية مرآة حقيقية للعصور التي مرت بها ، ولذلك تتراوح بين الرومانسية والمثالية والاسراف في العاطفة ، وبين الواقعية والتسجيلية التي تنتقل من نطاق الفرد واحاسيسه الى مجال المجتمع وتياراته . وكانت الرواية تحتوى على الاغاني الشعبية التي يتغنى بها الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية ، وكثيرا مااتخذوا من مضمون الرواية مادة لمسرحية يقومون بتمثيلها . وعندما بدأت الشيوعية في الانتشار بزعامة ماوتسي تونج في الثلاثينات من هذا القرن استخدم الشيوعيون هذا التراث الخصب من الرواية لترويج مبادئهم عن طريق تلوينه وتفسيره في ضوء العقيدة السياسية الجديدة . فقد ادركوا ان جهاز الاعلام الشعبي الوحيد الذي استطاع ان يعيش في الصين عشرات القرون المتتالية كان الرواية .

وبالطبع لم يهتم الشيوعيون بالجانب **الفني للرواية ، بل اتخذوا منها مجرد وسيلة اعلامية لترسيخ المبادىء الجديدة في وجدان الجماهير . وطبقوا هذا على الروايات الشعبية المحبوبة والمنتشرة مثل « شيوهو » و « سان كيو » و « هانج لومنج » .**

ولكن بيرل بك تقول ان تأثرها كان **بالرواية الصينية كما عرفها التراث الشعبي القديم بصرف النظر عن التيارات السياسية الحديثة . ولعل الانجاز الحقيقي لبيرل بك يتمثل في ان رواياتها كانت بمثابة تطعيم للرواية الغربية الحديثة بتقاليد وأساليب روائية استطاعت ان تقهر الزمن بطول تاريخ الصين الطويل .**

تذكرة



الالتهاب الشعبى المزمن

● د. السيد الجميلى ●

● لهذا المرض ـ الالتهاب الشعبى المزمن ـ صلة مودة مع تلوث الهواء ، والتدخين باسراف ولا سيما عند التعرض للالتهابات الفيروسية التى تغزو الممرات التنفسية، وفيه تتضخم الغدد المخاطية المبطنة للشعب الهوائية ثم يعقب هذا التضخم التهاب حاد او تحت حاد مع خراجات صغيرة متباينة الحجوم : مع قروح منتشرة كثيرة هنا وهناك فى تلك الشعب وهذه الشعيبات تمتد الى الحويصلات الهوائية ، ومن هنا يصبح البصاق كريه الرائحة

تبدأ الاعراض بالسعال الحاد الذى يسميه العوام « سعال المدخنين » وهو عادة يزداد فى الصباح الباكر ،وبه كميات من البلغم الغروى ..

فى هذا الطور البدائى من المرض يرى المريض نفسه غير محتاج الى استشارة طبية ويتناساها ، بالرغم من استمرار ضيق التنفس وصعوبته طول الشتاء ، وقد يمتد به الى فصل الصيف ـ الا ان كمية البلغم والبصاق لا تزال على نفس المعدل المتوسط .

بعد بضع سنوات ،وباستمرار الحال بدون علاج شاف ، تزداد « كرشة » النفس شيئا فشيئا ، وتتفاقم حدتها نتيجة اضطراب مجرى التنفس اذ يشعر المريض بصعوبة اخراج النفس او ادخاله اى صعوبة الشهيق والزفير . ويزداد هذا التعب مع اقل مجهود يقوم به ،وقد يصل الحد الى درجة بالغة الخطورة ، الا وهى شدة التعب التنفسى عند الراحة التامة فى الفراش

التشخيص : ـ

لابد من العرض على طبيب الامراض الصدرية والالتزام بتعليماته وارشاداته واتباع تعليماته بكل دقة ، وعلى العموم فانه يطلب اشعة عادية او ملونة على الصدر وقد يطلب بعض التحاليل الدموية الضرورية .

العلاج : ـ

من الممكن ـ على خطورة هذا المرض ـ التحكم فيه وعرقلة سيره ، وذلك بان نملك زمام المبادرة لانه كلما كان التشخيص مبكرا ، كانت فرصة الشفاء ادنى واقرب ..

ولابد مبدئيا من الاقلاع عن التدخين، والاقلال من الحركة ، والعمل فى جو هادىء ، والابتعاد عن العمل الشاق المضنى المحفوف بالتوتر ، ومن اماكن الدخان والاتربة ، والنوم فى غرف دافئة ، وغلق النوافذ فى الشتاء .

وعلى المريض ان يثوى فى بيته فى اليوم المضطرب الطقس ، وعليه ان يعامل اية نزلة برد بحسم وشدة على اساس انها حالة لها خطورتها ، وان يتعاطى المضاد الحيوى السريع وقائيا تحت اشراف طبيبه المعالج ..

موسعات القصبة الهوائية والشعب الهوائية لها دور فعال مشهود .

وتحت اشراف الطبيب ، فان عقار الكورتيزون لاسيما مشتقاته العملية تفيد كثيرا فى هذه الحالة ومزيج صدرى طارد للبلغم منفث مع استعمال المضاد الحيوى المناسب بجرعات مناسبة تتفق ودرجة الاصابة وعمر المريض وبهذا يشفى الصدر وينجلى ويشف صدور قوم مؤمنين . ●

قصة

الوصية

● غبريال وهبه ●

ماتت خالتي فتقاطرت نساء القرية من كل صوب وحدب للقيام بواجب العزاء .. كن يفدن الى منزلنا الريفي زرافات ووحدانا في صمت وهن متشحات بالسواد ، مطاطئات الرءوس ، وقد بدا عليهن الذهول والحزن العميق ... من كان يتصور ان السيدة زهيرة قد فارقت هذا العالم ؟! لم يحدث قط ان ردت طفلا محتاجا او سيدة سالتها المعونة ... كانت تفتح صدرها لتستمع لشكاوى الناس ومشكلاتهم ، ولكنها كانت كتومة على اسرارها ، لا يعرف احد عنها شيئا سوى انها تربيني مع اختي الصغيرتين منذ وفاة ابي وامي في حادث « الترولل باس » الذي شاء حظي العاثر ان يغرق بركابه في النيل هكذا صرت يتيمة الابوين ، واوصد اقاربي الابواب دوني .

كان يوما أسود قاتما ذلك الذي طرقت فيه باب عمي مع اخواتي ، فصاح فينا غاضبا :

ــ ما الذي اتى بكن الى هنا ؟ . ليس لكن مكان في منزلي ... اغربن عن وجهي ! .

همت في الطرقات وقد تشبثت ايدي شقيقتي الصغيرتين بيدي . ركبنا القطار المتجه الى القناطر الخيرية . امسك الكمساري بتلابيبنا ، فلم يكن معنا تذاكر ، وهددنا بتسليمنا للشرطة. بكيت وانا اتوسل اليه ان يخلي سبيلنا، واضطررت ان اقص عليه ما اصابنا من الزمان ، بيد انه كان فظا غليظ القلب ، اصم اذنيه عن سماعي ..

واشفق علينا احد الركاب فدفع لنا اجر السفر .. وهاهي ذي خالتي تعود الى ذاكرتي ، وهي تلقانا بالاحضان وتكفكف دموعنا ، وقد هدنا التعب ونحن نلهث بعد مسيرة طويلة من محطة القناطر الى قرية المناشي ..

ولكن واحسرتاه ! .. لقد ماتت خالتي ، ففقدنا بموتها الدفء والحنان اللذين عوضتنا بهما عما ذقناه من مذلة وبؤس . لن تتلقى شقيقتي الصغرى قطعة الشيكولاته غدا ، كما اعتادت أن تتناولها من خالتي كل صباح !

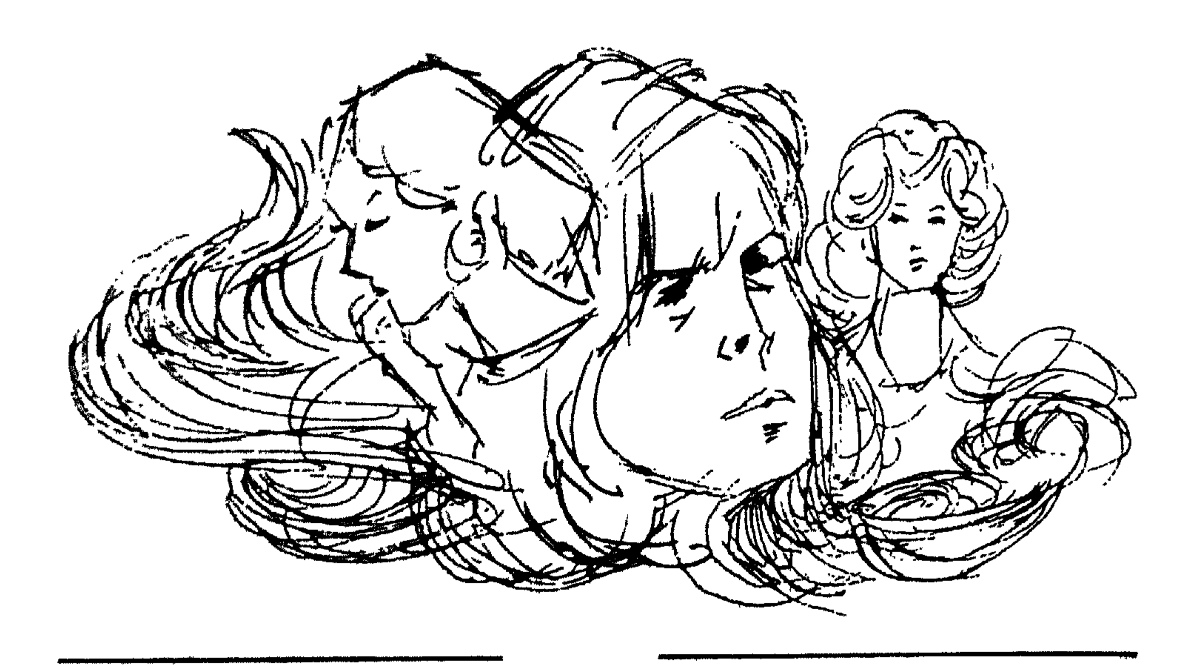
***

تفرقت السيدات جماعات صغيرة داخل المنزل ، وارتفع لغطهن وثرثرتهن

ــ ترى هل كانت ثرية ؟! من يدري؟!

ولكن كيف استطاعت أن تبني هذا المنزل ؟!

رددت بعضهن انها تخفي ثروة كبيرة ومجوهرات ثمينة في صندوق احكمت اغلاقه بقفل حديدي ضخم ... راحت السيدة فاطمة تؤكد انها شاهدت مثل هذا الصندوق ، كما جاء ذكره على لسان الحاجة مسعدة، القابلة التي كانت تتردد على خالتي لاعطائها الحقن في اثناء مرضها . ولقد ضايقني ان سمعت



احداهن تقول :

ـ حقا ان البخيل حارس نعمته !

وفجاة ظهرت قريبة لخالتي ... جلست وسط نساء القرية ، وقدمت نفسها على انها ابنة زوجها الراحل . طفقت تتناول منديلها من جيبها كل هنيهة تمسح به عينيها دون أن يكون هناك أثر للدموع فيهما.. كانت جامدة الوجه تناهز الاربعين من عمرها .

وتساءلت النساء عما اذا كانت ستستولي على الثروة الضخمة داخل الصندوق !!

وعندما أوغل الليل قامت تفتش كل ركن في المنزل الى ان عثرت على ضالتها، فراحت تحتضن الصندوق في جنون.. وهمت بفتحه فمنعتها جارتنا السيدة فتحية ، واسرت الى ابنها الصغير ببضع كلمات . اسرع الصبي الى ابيه الذي توجه الى دار العمدة ، واستصحبه على عجل ومعهما شيخ الخفراء .

فتح العمدة الصندوق واخرج محتوياته بين دهشة الجميع .. آلة حياكة ومعها ورقة صغيرة بسطها امامه وتلا ما فيها .

((الى ابنة شقيقتي العزيزة وديدة..

انني ارد اليك هذه الامانة التي تركتها امك عندي منذ عشر سنوات عندما اقسم لها والدك بانها لن ترى وجهه الى الابد ان مست يدها هذه الماكينة بعد ان ضاق ذرعا من طول انهماكها في حياكة الملابس للاقارب والجيران ... خالتك

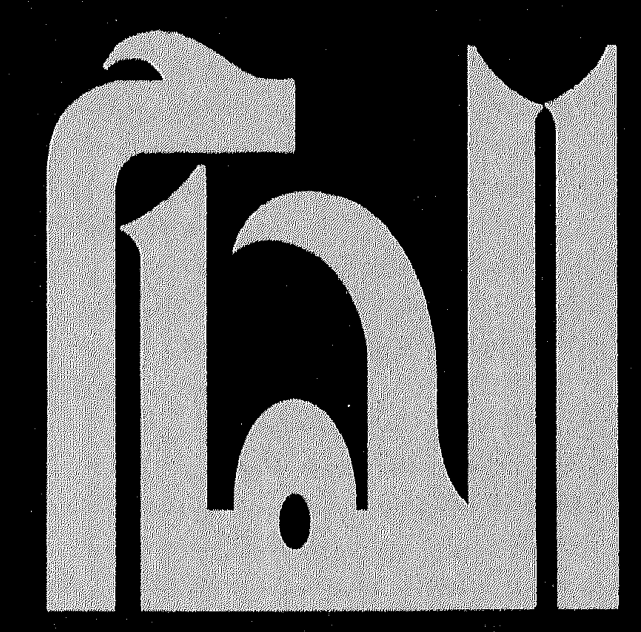
زهيرة عبد القدوس

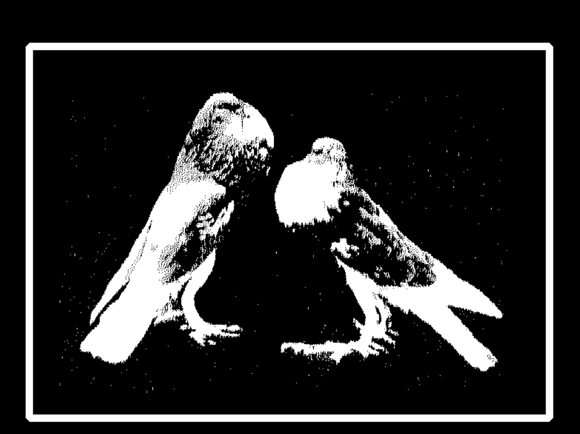
كان هذا كل ماعثر عليه العمدة ، فاقفل المحضر الذى اثبت فيه ماوجده، واستاذن منصرفا بعد أن قدم عزاءه لمن بقى من الحاضرات اللاتى طفرت الدموع من عيونهن ورحن يترحمن على والدتى وخالتى ...

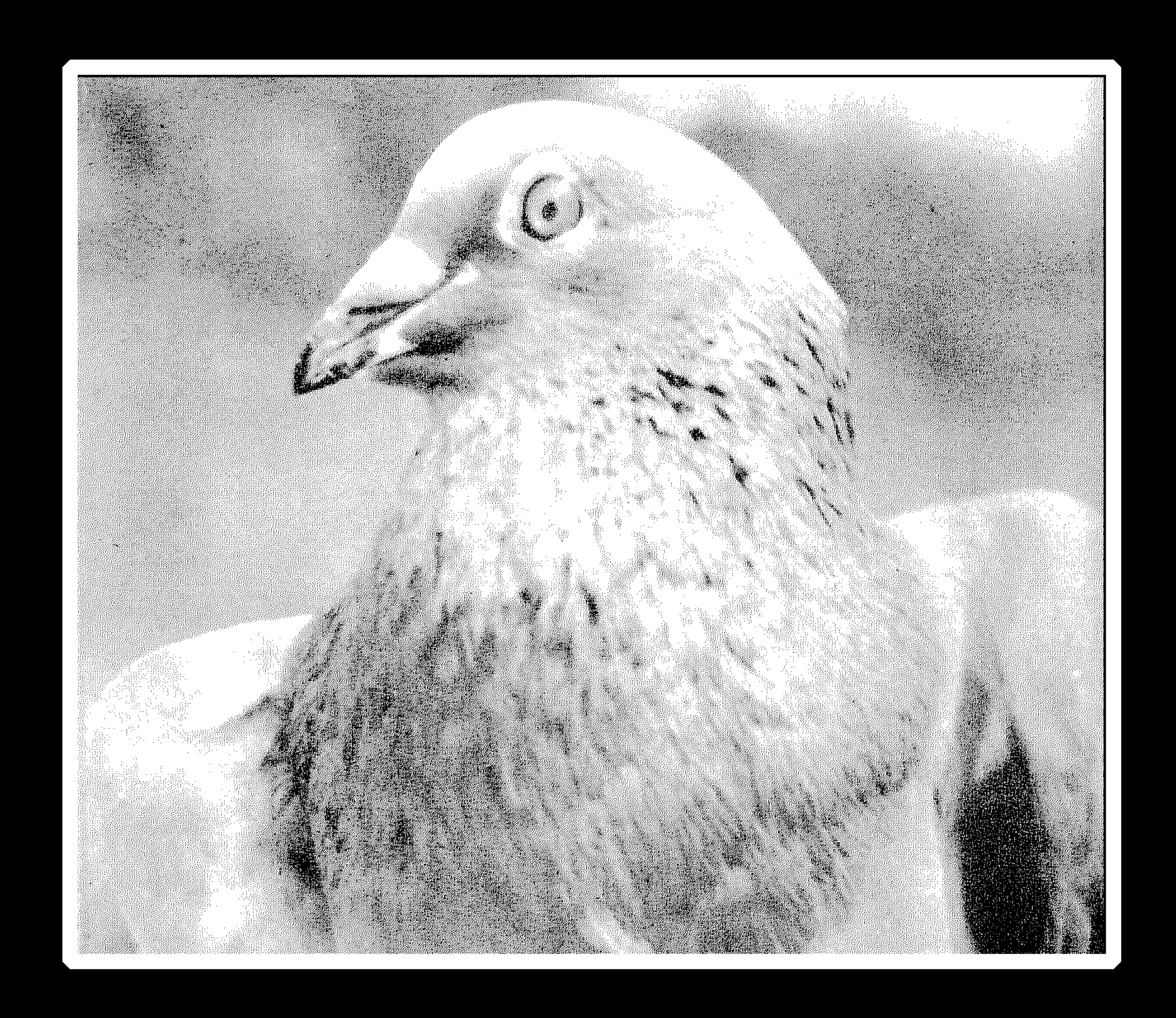
***

توالت الايام ... واذا بنساء القرية يزحمن منزلنا الريفى احيك لهن ملابسهن وجلابيب اطفالهن . واصلت الليل بالنهار من اجل تربية شقيقتى الصغيرتين . يالها من مسئولية القاها القدر على عاتقى .. وسرعان مانفضت على الحزن لاقوم بواجبى نحو الامانة التى اودعها الله فى عنقى .

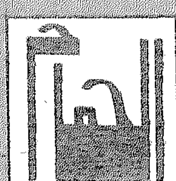
ما احلى ان يكلل جهاد المرء وكفاحه بالنجاح . لقد مشيت على الاشواك حافية القدمين ، وذوى عودى وفاتنى قطار الزواج، ولكن فرحتى الآن لا تعدلها فرحة .. فها هى ذى منيرة قد اصبحت معلمة فى مدرسة القرية الابتدائية تؤدى واجبها نحو الاجيال القادمة .. اما بهيرة فتقف الآن بردائها الابيض داخل المستشفى الاميرى تمسح بيديها آلام المرضى .. ●







طائر جميل الهيئة ، متناسق الشكل ، أصله بري ، أُعتُبِر رمزاً للسلام منذ أرسله سيدنا نوح من الفلك فعاد بغصن زيتون ، بُشرى بانحسار الطوفان ، وعودة الحياة ، وعلى مدى قرون طويلة .. كان الحمام يقوم بمهمة عامل البريد ..!



رمز السلام والمحبة والالفة منذ ألوف السنين . أرسلها النبي نوح عليه السلام من الفلك فطارت وعادت وفى منقارها غصن زيتون ، فكان ذلك بشرى بانحسار الماء وعودة الحياة .. من ذلك الحين أصبح الحمام رمز الخير والسلام .. وخلال قرون طويلة كان الحمام الزاجل يقوم بعمل البريد بين الناس ، وفى سلطنة مصر كان هناك ديوان الحمام . وفى الدنيا ٤٠٠ نوع من الحمام نصفه استنبطه الانسان عن طريق التهجين ..

الحمامة البيضاء ، رمز السلام والمحبة التى نراها بالمئات حيثما وجهنا نظرنا فى الافق ، ماهى الانوع واحد من ٤٠٠ نوع من الحمام تعيش على وجه الارض .

ولعل القارىء لا يعرف ان وجود أسراب الحمام البيضاء بالكثرة التى نراها اليوم فى المدن خاصة ظاهرة حديثة لا ترجع الى اكثر من مائة سنة. أنما كان المعروف الشائع من الحمام هو النوع الرمادى الازرق البنفسجى المنتشر فى الدنيا كلها أيضا ، ولكن ليس بدرجة انتشار الحمامة البيضاء التى تسمى عادة بالحمامة التركية ، وهى معروفة فى مصر والبلاد العربية جميعا منذ الزمن القديم ، ولكنها كانت فى الاصل طيرا مهاجرا ، يقضى الشتاء فى بلادنا فاذا حان الصيف هاجر جماعات الى تركيا والبلقان وبعض بلاد أوروبا الوسطى ، وهناك تبيض الاناث وتفقس ، وفى الربيع تعود الاسراب مضاعفة الى بلادنا .

وأصل هذه الحمامة من جنوبى آسيا ، ثم هاجرت جماعات منها الى مصر وعرفها البابليون والمصريون القدماء ، وكانت هجرتها الصيفية اذ ذاك الى تركيا وبلاد البلقان ووسط آسيا . ومن الغريب أنها ظلت طيرا مهاجرا الى أوروبا حتى أوائل هذا القرن ،فأخذت الحمامة البيضاء تستقر وتنتشر فى أورَوُبا حتى وصلت الى شمال ألمانيا واسكتلندا ، وأصبحت طائرا محليا يعيش هناك طول العام وتكاثرت جماعاتها بشكل غير مألوف ، لان الناس هناك لا يأكلون الحمام ، وفى بعض البلاد الاوروبية يحرم صيده وفى بعضها الاخر لا يحرم ، ولكن الحمام لا يؤكل فى أوروبا على أى حال ...

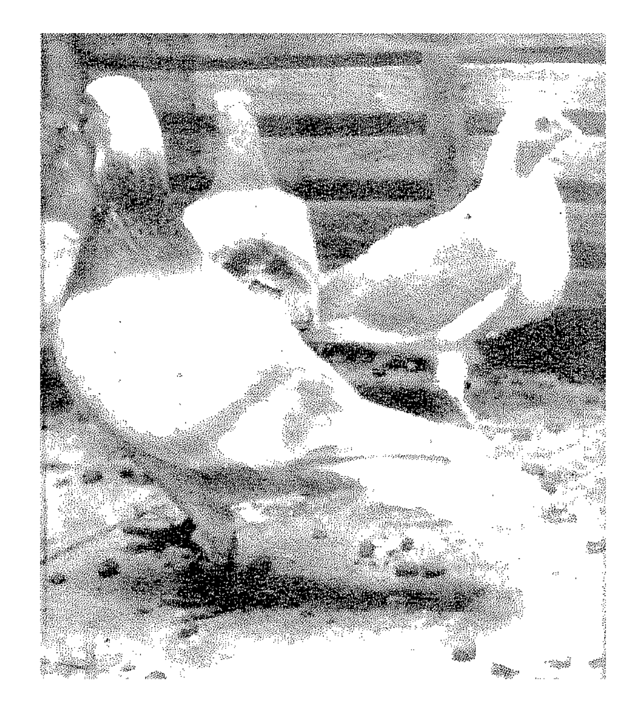
والسبب فى ذلك الامتناع عن أكل الحمام فى الغرب هو ما ورد فى الكتاب المقدس من أن الحمامة البيضاء هى التى حملت الى سيدنا نوح نبأ وقوف الطوفان وبدء انحسار مائه ، فقد طارت من الفلك وعادت وفى فمها قطعة من غصن زيتون ، فكانت هذه هى البشرى .. والحكاية واردة فى تفاسير القرآن الكريم . ولكن أهل الغرب يتأثمون من أكل الحمامة لانها رمز للسلامة والسلام .

***

والحمامة البرية المستانسة ذات اللون الرمادى الازرق البنفسجى وكذلك الحمامة البيضاء تتميز كل منهما بقوة بدنية هائلة بالنسبة لحجمها ، وهى قادرة على التكاثر بصورة لا حدود لها ، فهى تبيض بيضتين فى الشهر لفترة طويلة من حياتها ، وهاتان البيضتان تفقسان وتخرجان فراخا فى الغالب ، ومن هنا كان ذلك التكاثر ، وفى العادة يموت ثلث الفراخ الجديدة ما بين الحوادث والصيد وافتراس القطط والكلاب وغيرها من الكواسر ، اما الباقى فيعيش ويتكاثر .

والحمامة المنزلية بلونيها اللذين ذكرناهما مازالت الى الان نصف وحشية، فهى دائما تحوم حولك ولكنها لا تطمئن الى الانسان الا فى النادر ... والذين يربون الحمام يعرفون ان الحمامة لاتعرف صاحبها الا فى النادر ، ولكنها تعرف





• صورة لمجموعة من الحمام الزاجل التى يربيها الهواة ويتراسلونها فيما بينهم ، وفى أوروبا تقام مسابقات بين الحمام الزاجل على غرار سباق الخيل.

• الحمام الهزاز ، يمتاز بهذه الهيئة الجميلة وكبريائه وذيله واهتزازه عجبا بنفسه !.

وكرها أو برجها جيدا ...

وهى فى الغالب تعيش فى جماعات كبيرة ، وتطير الى مسافات بعيدة ، ولكنها لا تهاجر من موطنها الا فى النادر . وفى العادة تقوم جماعات صغيرة من حمام الابراج بالهجرة الى أبراج أخرى أو مواطن جديدة اذا تكاثرت جدا ولم تعد تستطيع العيش فى منطقتها ، ولهذا يحرص أصحاب الابراج على ألا « تهج » من أبراجهم جماعات وتلتحق بأبراج أخرى أو تنشىء لنفسها مواطن جديدة .

***

ومعظم الحمام لايتجمع بعضه الى بعض الا فى النهار ، أما فى الليل فان كل حمامة لها اليف تطمئن اليه وتنشىء معه عشا أو مبيتا لهما ، وقد تبيت الجماعة من الازواج فى مكان واحد ، ولكنها تظل أزواجا ، فاذا بقيت حمامات دون أزواج كان هناك الصراع العنيف على الاليف بين الاناث . ولكن هذا الصراع لا يكون الا عند هبوط الشمس وبدء الظلام . فتطمئن جماعات الحمام بعضها الى بعض فى شجرة أو مئذنة أو سطح بيت مهجور ، أو برج كنيسة ، أو أعلى شباك بعيدا عن خطر القطط خاصة . فاذا طلعت الشمس طارت الحمامات وتفرقت اما أزواجا أو جماعات.

والحمام طير أكول ، فهو يأكل طول اليوم ، وعينه العسلية او الصفراء ترى الحبة من بعيد وتلتقطها فى سرعة خاطفة ...

ووزن الحمامة فى العادة حوالى رطل ، ولكنها تاكل فى اليوم ثلاثة ارطال من الحب والطعام اذا أتيح لها ذلك ، ولهذا يعمل الفلاحون فى أوروبا والولايات المتحدة الى تقليل عددها بالرصاص والسم حماية للمحاصيل ...

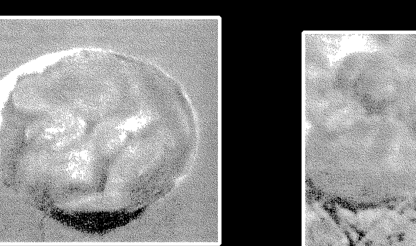
وفى الولايات المتحدة حيث وجدت الحمامة المجال متسعا للنمو والتكاثر ، تكاثرت جماعات الحمام خلال القرن الماضى حتى أصبحت وباء ، وخاصة فى وسط البلاد . وقد قرر عالم من علماء الحيوان فى جامعة أوهايو ان جماعات الحمام تصل



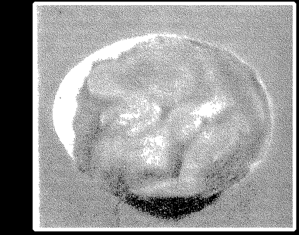
الحمام الابيض .. فى الصـــورة ترى منظرا من غزل الحمام ، فان الذكـــر يتـــودد الى الانثى ، ولابد ان يمســـح على رقبتها بمنقاره ، ويقدم لها بعض الحب كى ترضى عنه ...



فرخ الحمام بعد ثلاثة اسابيع ، لقـــد نما واشتد عوده وتفتحت عيناه وتغـــطى بزغب وبدا يأكل الحب ..



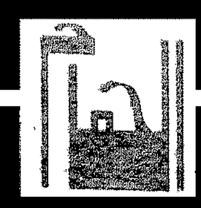
فرخ الحمام الوليد بعـد دقائق من خروجه من البيضة ... انه بلا ريش تماما لعدة ايام ، وهو فى غاية الضعف ولهذا يعيش تحت جناح الام ..



هذه هى الحمامة الكاملة النمـــو داخل البيضة ، انها تنمو وتصـــير على هذه الصورة فى مدة ١٨ يوما قبل ان تفقس ، اى تكسر البيضة وتخرج .



بيضتان من بيض الحمام المنزلى فى العش ، البيضة تزن فى المتوسط عشرين جراما ، ونادرا ما تضع الانثى اكثر من بيضتين فى المـــرة الواحدة ، ولكنها تبيض كـــــل شهر ..



هناك احيانا الى بضعة ملايين . فاذا طارت حجبت ضوء الشـمس ، واذا نزلت على حقل قمح أو ذرة أو فول أو اى حبـوب اخرى اتت على مافيه !.

***

والى جانب تلك الحمـائم التى ربطت نفسها بحياة الانسـان وأصبحت نصف مستانسة ، فما زالت هنـاك الحمامة المهاجرة ومعظم الحمام المهـاجر ذو لون سنجابى ، وهو أقوى وأكبر حجمـا من الحمامة الاليفـة ، وهو كذلك أقرب الى الوحشية ، والذكر منها لهمنقارمنحديد ، وهو فى الغالب يحكم قطيعا من الاناث ، وهو شديد الغيرة لا يأذن لاىذكر غريب بالاقتراب من اناثه ، ولا يسـمح لاى واحدة منها بالخـروج على النظـام ... ومنقاره لهذا يضرب ضرباته الحديدية التى تخرج الدم ، وهو جرىء لا يخشى القطط وصغار الكلاب ...

وقد استلفتت الحمامة نظر داروين ، فاشار فى « أصل الانواع » الى حيويتهـا وقدرتها على التكاثر واستعدادها للتكيف بظروف البيئة والطعام ، اى استعدادها للتطوير ، مثلها فى ذلك مثـل الكلاب ، ولهذا فقد نشأت فى اوروبا وامريكا عقب ذيوع آراء داروين جماعات من الهـواة تخصصت فى انشـاء أنواع جديدة من الحمام عن طريق التهجين والتصرف فى الطعام ، وقد استطاع هؤلاء الهـواة ان ينشئوا الى الان نحو ١٤٠ نوعا جـديدا اشكالها فى الغاية من الطرافة .

والاوروبيون يدخلون اليمـام تحت الحمام ، واليمـامة أصغر وأعصى على الاستئناس فهى فى العادة برية ، ولكنها لصغر حجمها وضعف بنيتها لا تتـكاثر تكاثر الحمام ، وهى فريسـة سـهلة للقطط والصقور وما شاكلها .

ولليمامة فى عالم الاسلام مكانة خاصة نظرا لما تذكره السيرة النبوية من تعشيش اليمامة على الغار الذى لجأ اليه الرسول صلى الله عليه وسـلم وأبو بكر فى أول الهجرة الى المدينة . ولهذا فأمتنا لاتاكل اليمام ولا تصيده بعكس الحمام .

***

ويعرف هواة الحمام عندنا من أصناف الحمام أنواعا كثيرة مثل القمرى والحمام الهزاز والحمام ذى التاج . وكل نوع من هذه له خصـائصه ونواحى جمـاله ، فالقمرى يمتاز بعذوبة صـوته وألفته . والهزاز له ذيل عريض ينشره فيصـبح وكأنه طاووس صغير ، وهو يلوى عنقـه الى ظهره ، ويروح ويجىء ليعرض جماله على أنثاه ، وهو شـديد الغيرة عنيف المنقار .

وهناك حمـام الهوا وهـو صنف من الحمام لا يطير الا عاليا جدا حتى لاتصل اليه الصقور .

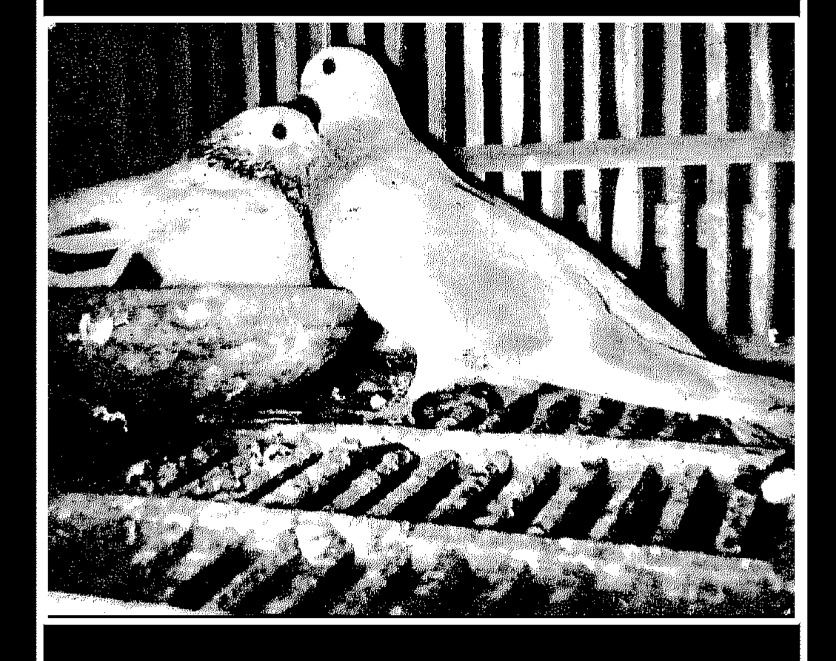
ونحن نعرف هواية تربية الحمام من زمن طويل ، وتسمى عندنا « الغية » بكسر الغين وتشديد الياء وفتحها ومعنـاها الهواية ، ولكنها تطلق علىمجموعة الحمام التى يملكها هاوى الحمام ، وهى هواية جميلة تستنفد الوقت وتسلى . ويقال ان أكبر كسب يسعى اليه صاحب « الغية » هو ان يجتذب حمام الاخرين الى غيته .

***

ولكن الاوروبيين أخذوا هذه الهـواية مأخذ الجـد على عادتهم فى كل شىء ، وساروا فيها سيرا علميا ، فان صـاحب « الغية » هناك لا يكتفى بتطيير حمـامه واجتذاب حمام الاخرين ، بل انه يعمد الى استنباط أجناس جديدة من الحمـام عن طريق اختيار الاقـوى والاكبر او الاكثر فراخا ، أو اختيار الحمـام ذى الالوان الغريبة أو الاشكال غير المالوفة ، وتهجينه



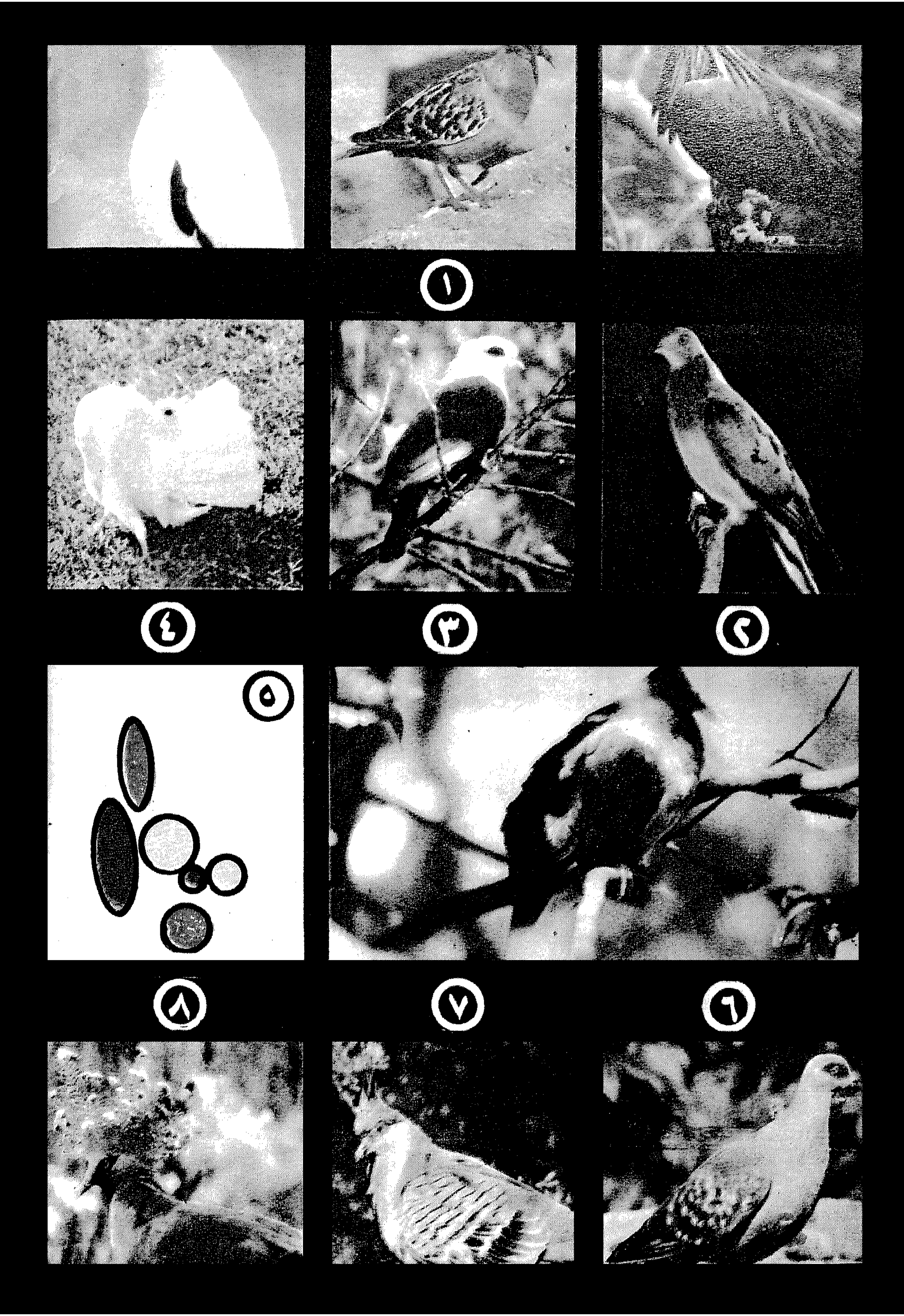
الحمام القمرى الذى يمتاز بصوته الجميل وهو يغنى دائما فى الفجر عند استيقاظك ، وقبل ان يطير فى فضاء الله . والهواة يحرصون جيدا على تربيته .



الحمام الهزاز معروف فى مصر والبلاد العربية وهو مشهور بألفته ..

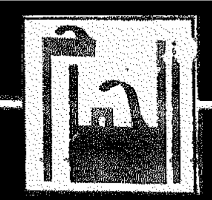


الحمام الزاجل فى مصر .. هناك هواة كثيرون لهذا الحمام الذى اشتهر فى التاريخ بنقل الرسائل والطيران لمسافات بعيدة والعودة الى بيته ..


١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨



انظر شرح الارقام فى الصفحة التالية



١ حمامة ابراج الكنائس العالية ، انهـا تطير على مستـــوى عال جــدا ولا تستأنس ، ولكنها توجد فى كل مكان فى الغرب ، اصلها من استراليـــا وغينيا الجديدة

٢ حمامة موطنها امريكا تمتاز بجمال الوانها واستقامة هيئاتها .. انهـا الآن فى دور الانقراض .

٣ حمامة القمرى الزرقاء ، حمـــامة بديعة الشكل زرقاء الظهر والجناحين بيضاء الرقبة والراس ، وعينـــاها غاية فى الجمال ..

٤ صنف نادر من اليمـام وهو فرع من الحمام يتميز بلونه الابيض وراسـه الذى ينحنى ، وذيله الجميـــل ... اصله من آسيا .

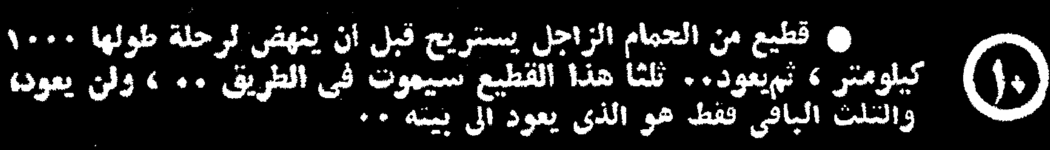
٥ الحمامة الاسترالية الملونة من اجمل اصناف الحمام فى الدنيـا ، وتشبه الببغاوات فى بديع تلوين ريشها، وهى لا تعيش الا فى نصف الكرة الجنوبى وحدائق الحيوان .

٦ الحمامة ذات القناع .. نوع آخـر بديع من الحمام اصله من آسيا ، ويمتاز بشكل عينيه اللتين تبـدوان كأنهما قناع .

٧ الحمامة ذات الجناح البرونزى، توجد فى كل نواحى الارض ولكنها لا تستأنس أبدا . ويعثر عليهـا الهـواة فى قمم الاشجار العالية وهى صعبة الصيد.

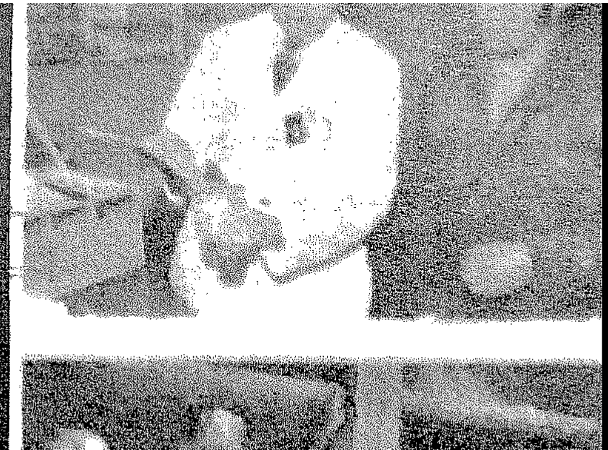
٨ الحمامة ذات التاج التى تســـمى ايضا حمامة تاج فيكتوريا ، اصـلها من غينيا الجديدة ، وتمتاز بشكلها الفريد وتاجهـــا البـــديع .

٩ الاطفال يلعبون مع الحمام فى ميدان ترافالجـار فى لندن ، وهـذه لعبة يتسلى بها الاطفال مع حمام المـدن امام الكنائس خاصة ، ولكنها لعبـة خطرة لان الحمام ينقل بعض الامراض.



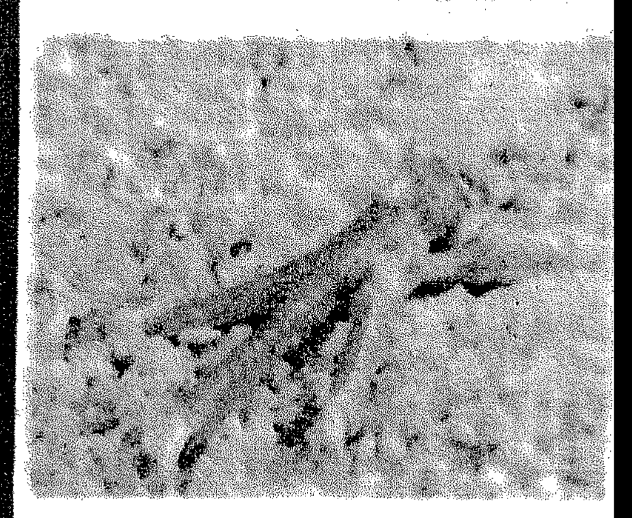
١٠

● قطيع من الحمام الزاجل يستريح قبل ان ينهض لرحلة طولها ١٠٠٠ كيلومتر ، ثم يعود.. ثلثا هذا القطيع سيموت فى الطريق .. ، ولن يعود، والثلث الباقى فقط هو الذى يعود الى بيته ..



فى المانيا يوجد اول مستشفى للحمام الزاجل، وهو يتسع لـ ١٥٠ طائرا ، مريضا اومصابا. فى الصورة نرى الطبيب ومساعده يفحصان الحمامات المريضة ..

الحمام من اكثر الطيور خصوبة وتكاثرا،ونادرا ما تفقد الحمامة بيضة من بيضاتها ، وفى الصورة نرى العيون التى تخصص للحمامات فى وقت الفقس ..



يضع الهواة فى رجل كل حمامة دبلة من الالمنيوم تحمل اسمها ورقمها ومكان تربيتها. وفى الصورة نرى رجل الحمامة وفى اعلاها الدبلة ..



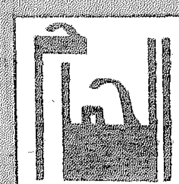
فى اوروبا يقيمون مسابقات بين الحمام الزاجل .. وفى الصورة نرى نفرا من المتراهنين وفى ايديهم الساعات الكرونومترية فى انتظار وصول الحمام ..



يفخر هواة الحمام بالحمام الذى يكسب السباق .. وفى الصورة نرى واحدا من اولئك الهواة ينظر الى اثنين من حمامه فازتا بجوائز دولية ..



فى أوروبا يقيمون هذه البيوت الانيقة للحمام فى اعلى المنـــــازل ، وترى الحمامة على باب بيتها . فخـــورا بعشها .



ومراقبة الاجيال وتسجيل صـــفاتها فى دفاتر وصور ٠

ومن الغريب ان صاحب « الغية » سواء فى بلادنا او فى أوروبا يقـاسى من أذى الحمام ، فهو يحط على رأسه وينقـره ويتشبث أظافره فى يديه ووجهه ، ولكنه مع ذلك يستمر لأنها هواية مثيرة ٠

***

وفى المانيا جمعية لهواة الحمام يصل عدد أعضائها الى حوالى ١٠٠٠٠٠ ولهم مجلة علمية ، ومركز الاتحـاد فى كولونيـا ٠ وتبلغ النفقة على الحمام فوق المائةمليون مارك فى العام ، لان الحمام هنـاك يربى فى اقفاص واسـعة ، ويقدم له الغـذاء المدروس علميا ، وأكثر اهتمـام هـؤلاء المربين يتجه الى الحمام الزاجل أى حمام المراسلة ، ونحن نعـرفه جيدا ، وله فى تاريخنا دور كبير ، وكانوا يسمونه بحمام البطائق نسـبة الى البطاقات التى كانوا يضعونها فى لفات صغيرة يعلقونها فى رجل الحمامة ثم يطلقونها لتعود من حيث أتت وعبارة : « بطق السـلطان الى الامراء » كثيرة الورود فى كتب مؤرخينا ٠٠٠

وأعضاء هذه الجمعية يتراسلون فيمـا بينهم بالحمام وهم يقيمون مسـابقات بين الحمام ، فيقام السباق من كولونيـا الى هامبورج مثلا ، فيطلق الحمام الزاجل من اماكن متقاربة فى البلد الى أماكن متقاربة فى البلد الاخر ، ثم يراقب الوصـول ثم العودة ٠

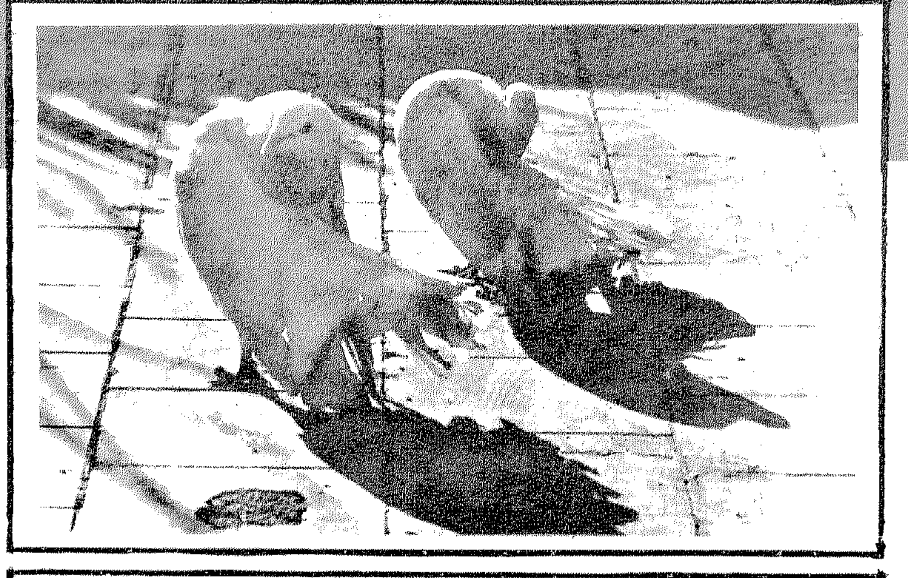
وكل واحد من المتسابقين له زميل فى البلد الآخر ، فاذا وصلت عنده الحمامة الزاجلة أخذ رسالتها ووضع لها رسـالة أخرى متفق عليها ثم قام بتغذيتها واراحتها قليلا ثم يطلقها لتعود ، وهناك تنتظـر لجان التحـكيم ومعهـا السـاعات الكرونومترية ٠ وفى العادة يفقـد ثلث الحمام فى كل رحلة ٠ اما بسبب أعاصير الجو أو شدة العطش فى الصـيف أو عدوان الصقور أو رصاص الصـيادين ، ولكن الباقى يصل ٠

وهناك اعمـال غش وتصرفات غير مشروعة فى هذا النوع من السـباق ، فيعمد الخصوم الى تضـليل الحمامة الزاجلة باعداد عش على هيئة عشها الاصلى فى موضع ما من الطريق ٠ ويوضع فى هذا العش طعام يجتذب الطيور كالفسـتق المحلى بالعسل أو حبـات القمح الكبيرة المحلاة بالسكر ، والحمامة فى طيرانهـا لا تقاوم هذا الاغراء اذا بصرت به ، فتحط لتاكل وقد تعود الى الطيران ، وفى هذه الحالة تصل متأخرة ، وقد لا تعـود الى الطيران ، تانس الى وكرها الجديد وتنسى وكرها القديم ٠ ومن الحمام ما يتعب فى الطريق فيحط على شـجرة فى غابة ويستوحش هناك ٠

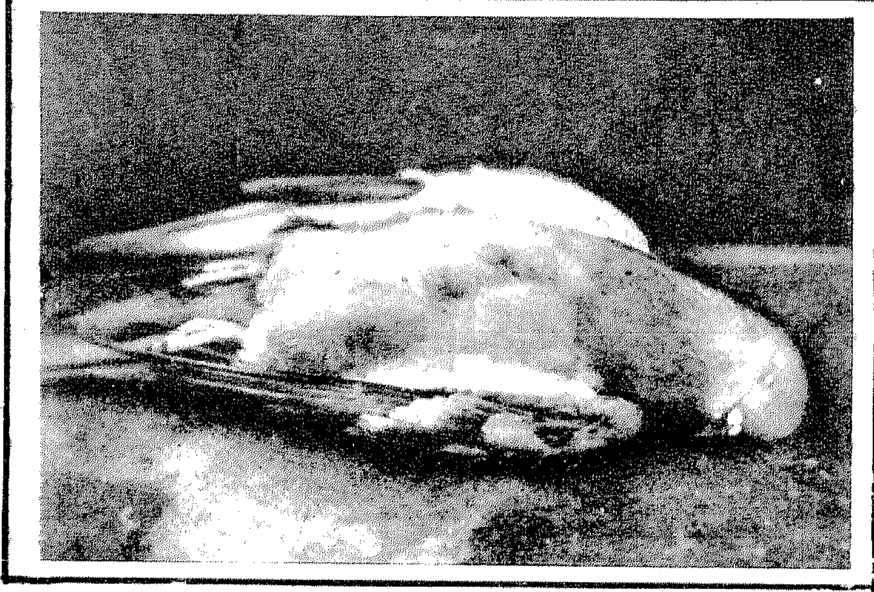
وهناك من يعمدون الى اطعام الحمامة شيئا يثير أعصابها فتطير بأقصى سرعتهـا وفى هذه الحالة تستعمل مركبـات الاستركنين وأنواع كيمائية أخرى ، مثل الانابوليكا أى الشيطانية أو خلطـة الساحرات ، فاذا أعطيت الحمامة شـيئا من هذا انطلقت كالسهم لا تلوى على شىء فتقطع فى الساعة خمسة عشر كيلومترا أو أكثر ، وفى العادة تموت الحمامة بعـد رحلة أو اثنتين من هذه ، ولكن ذلك لا يهم ، اذ ان المهم هو كسب السباق !٠٠٠

ويبلغ عدد المتسـابقين فى بلدة مثل كولونيا فى المانيا نحو خمسـة آلاف يطيرون فى السنة حوالى ٣٠٠٠٠ حمـامة يصل منها ١٠٠٠٠ الى الهـدف والباقى يضيع فى الطريق كما قلنا ٠

وتطير هذه الحمامة مسافة لاتصدق ، فقد اطلق المتسابقون فى انجلترا سـنة



صورة اخرى للحمام الهزاز يتجلى فيها شكله الجميل عندما يبلغ اعجابه بنفسه اقصاه !.



يموت فى العادة ثلث الحمام اما برصاص الصائدين او بالمرض ، او الاجهاد ، او العطش .. والحمامة فى هذه الحالات تقع ميتة دون تمهيد ..

١٩٧١ نحو ٦٠٠٠ حمامة زاجلة لكى تصل الى درسدن وهامبورج وفرانكفورت فى المانيا . وقد وصلت نحو الفى حمامة الى هدفها وعادت ، ولكن بعضها ضل الطريق، فوجد فى استراليا . وفى ذات مرة عادت حمامة الى مكانها بعد عشر سنوات من رحلة طويلة لا يعلم الا الله كم كيلومترا قطعت فيها !

ومن الغريب ان الحمامة الزاجلة تطير بالليل والنهار اذا كانت الليالى مقمرة ، وفى بعض الاحيان تطير مستدلة بتكوينات النجوم ، وخاصة اذا عبرت البحر ، ولكن الغالب ان الحمامة تطير مغلقة العينين ، وهى تستدل على هدفها واتجاهها بغريزة ركبها الله فى طبعها . وقد حار العلماء فى دراسة هذه الغريزة ولكن النتائج العلمية قليلة .

حقا ان الحمام الزاجل عجيبة من عجائب الخلق . لقد طارت احدى هذه الحمامات اكثر من ١٠٠٠٠٠ كيلومتر فى رحلة واحدة ، وقد استدل العلماء من مسيرتها بما وجدوا فى مخالبها من الطين واوراق الشجر ، فدلهم ذلك على الطريق الذى سارت فيه ..

فهل يا ترى تنمو هذه الهواية عندنا ، فيكثر هواة الحمام الزاجل الذين يستغنون عن البريد ويتراسلون بالحمام كما يفعل الكثيرون فى اوروبا ؟ ستكون تلك هواية جميلة ولا شك ، وستريح رجال البريد من بعض العناء .



في مثل هذه الجميلة قالوا !

• عناق الاحلام •

رآها على النبع بعضُ الرُّعاةِ
مصوَّرةً في إطارِ الفصون:
فقالوا : أحُلمٌ تراه العيونْ
أفي الغاب حوريةٌ ؟ من تكونْ ؟
ومسّ مزاهيرهم روحها
فرفت بها خالداتُ اللحونْ
وباتت تعانقُ أحلامَهم
وقد كاد يرقص حتى السكونْ

• علي محمود طه •

• امواج •• •

حسناء لاحتْ في ثيابٍ فاخره
تيّاهةً بجمالها متفاخره !
أهدابها تُصمى الفؤادَ سهامها••
بقوامها الممشوق تخطرُ آسره !
والشَّعرُ في لونِ النضار كأنه
— متمردا — أمواجُ بحررٍ دائره !
سبحانَ واهبكِ الجمال تحكما
فغدوتِ ناهيةً به أو آمره !

• مصطفى محمود مصطفى •
القاهرة

• نجيمات الجبل •

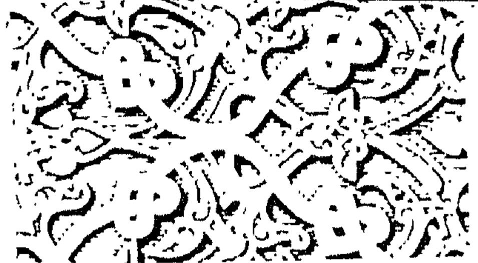
لنا اليوم •• لا موعدٌ لا أمَلْ
لنا قُبَلٌ في اذّكارِ القُبَلْ
ونحن ، هوىَ الليلِ نحن •• ونحن
ارتماءُ النجيْماتِ فوق الجَبَلْ
فان فاحَ زهرٌ فنحن الشذا
وان طاب شُرْبٌ فنحن الثمَلْ
أنا اشتقتُ حتى لألقى محيّاكِ
في نَقْرةِ العود •• أو في الغزلْ
وألمحُ حُسْنَكِ في شهقةٍ
تَلَوّى المغنّي بها واعتدَلْ

• سعيد عقل •

تأثير المتنبى



على الشعر الفارسى



● د. انس داود ●

كثيرة هى الدراسات التى تحدثت عن تأثير الادب الفارسى فى الادب العربى ، ورصدت جوانب الالتقاء بين هذين الادبين اللذين امتزجا فى مرحلة هامة من مراحل تاريخ الحضارة الاسلامية ، ولكن مكتبتنا العربية مازالت فى حاجة ماسة الى دراسات ترينا الوجه الآخر من القضية ، فقد كان الادب العربى بدوره عظيم التأثير فى الآداب الفارسية، حتى كانت العربية ذات يوم هى اللغة الثقافية الأولى عند كبار ادباء الفرس وشعرائهم ومفكريهم، فقد كانت هى اولا وعاء الاسلام ، ولغة القرآن ، ومستودع الفكر الدينى فى اصوله وفروعه، وسيرة رسوله ، وتاريخ أمته ، كما كانت ثانيا جسرا تعبر عليه كل الثقافات العالمية ، فقد كانت الشعوب الاسلامية فى كل من قارتى اسيا وافريقيا تجد فيها المنبع الثر لتاريخ الانسان ، وحضارة العالم.

ومن كل ذلك كانت آدابنا العربية عظيمة التأثير على الآداب الفارسية التركية والاردية ، مما يتيح فرصة كبرى امام المتخصصين فى الادب المقارن ليرصدوا العلاقات المتشابكة بين هذه الآداب المختلفة ، ومناحى التأثير والتأثر ...

ولقد بدأت بالفعل فى اللغة العربية مثل هذه الدراسات، وان كانت لاتزال حيية الخطى غير عميقة المسار ، ومن هذه البدايات دراسات الاستاذ الدكتور محمد غنيمى هلال عن الحياة العاطفية فى الادبين العربى والفارسى ، ومن تأثير قصة مجنون ليلى فى ادب المتصوفة الفرس ، وبين أيدينا الآن كتاب «المتنبى وسعدى» للدكتور حسين على محفوظ الاستاذ بجامعة بغداد ... وهو كتاب هام يرصد تأثير المتنبى شاعر العربية الاكبر ، فى شاعر ايران الملهم ، وامام الادب الفارسى فى كل العصور « سعدى الشيرازى » ...

منهل رجالات الادب ...

لقد ملأ صيت المتنبى الدنيا، وشغل الناس ، وعكف على ديوانه فى العربية كل رجالات اللغة والأدب ، وشغف بفنه الشعراء والمتادبون ، ولكن المتنبى كان عظيم التأثير ايضا على الادب الفارسى.

أما سعدي الشيرازى فشانه شان الكثيرين من كبار المثقفين الفرس فى عهده ، حيث كانت « بغداد » فى نظرهم مثابة العلم ، وموئل الأفذاذ من العلماء.

وقد شد سعدى الشيرازى رحاله وهو فى ريعان شبابه الى بغداد، ونهل من علومها الدينية ، ومن فنونها الادبية ، وهناك تيم بشعر المتنبى ، وعكف على ديوانه ، ونهل من روائع عبقريته ...

وقد ولد السعدى بشيراز فى اوائل العشر الاول من القرن السابع للهجرة ، فى اسرة معظم رجالها من العلماء ، فسار على درب اسلافه ، وابتغى العلم والعلماء فى كل محلة ودار ، فطاف انحاء المملكة الاسلامية بعدان استحصد عوده فى دار العلم ((بغداد)) وزار الشام، وارض الروم ، وكثيرا من البقاع الاسلامية ، والتقى بالعلماء ، والصوفية وذوى الفضل من كبار الرجال، واصبح فى اخريات حياته داعية لله على هدى وبصيرة من منهاج الاسلام ، وطرق الصوفية ...

وقد توفى عام ٦٩٤ هـ ودفن بشيراز .. وقد احاطت بهذا الشاعر الصوفى الكبير بعد موته قدسية عريضة ، وظل قبره فى بلدة شيراز مزار الناس كافة، وما برحت تربته رباط الصوفية ، ومثابة العرفاء ، ولا تزال آدابه مرتاد ارباب الفكر ، ومنهل رجالات الادب..

وقد اطلعتنا هذه الدراسة التى نحن بصددها على جوانب من تاثير المتنبى فى شعر هذا الشاعر الفارسى الكبير، وعلى جوانب اخرى من تاثير المتنبى فى كثيرين من ادباء وشعراء ايران .

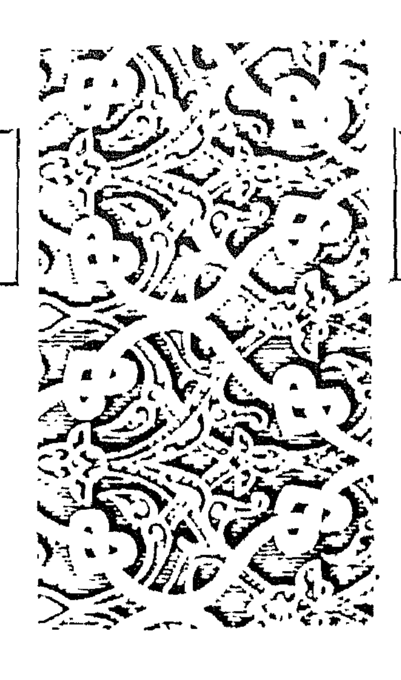
يقول المؤلف: «وليس بدعا ان يروى سعدى ديوان المتنبى ، وتعجب نفسه به ، فان للمتنبى فى الفكر الفارسى مكانا مرموقا ، والعناية به ، ومدارسته سنة موصولة ، ونهج متبع ، فانك اذا استقصيت تصانيف المؤلفين ، وتتبعت رسائل الكتاب ، واستقريت دواوين الشعر ، رأيت اثر افكار المتنبى ظاهرا فى الآداب الفارسية ، واستبنت تاثرها الواضح الشديد بمعانيه ، فلا يكاد يخلو كتاب فارسى فى التاريخ ، والادب والتصوف ، والسير ، والقصص ، والاخبار ، والحكمة . والترسل والشعر من تناقل ابياته ، والتمثل بشعره وحل نظمه ، والاقتداء به ، والاقتباس والانتزاع منه . »

اعتزاز اكابر الفضلاء ...

وتعرض المؤلف الى اسماء الادباء والشعراء الفارسيين الذين تاثروا بديوان المتنبى ، واقتبسوا من معانيه، وعكفوا على دراسته وشرحه، واشادوا بعبقرية المتنبى ، والفوا الكتب للذود عنه ، والموازنة بينه وبين غيره من الشعراء ، فاما الشيخ سعدى الشيرازى ، فكان ينظر فى ديوان المتنبى معجبا به ويقول :

((كنت انظر فى جزء من شعر المتنبى، سفينة بحر المعالى ، الحافل بالدر النفيس ، فاحتقرت متاعى ، وليس للسهى رونق عند الشمس))

وقال الرشيد الوطواط : ((كل الشعراء الاسلاميين عيال على المتنبى فى اقتباس المعارف ، والدقائق ، والمثالة، وديوانه مشهور بين العرب والعجم ، يعتز به اكابر الفضلاء ، ولا يقصرون فى مطالعته ، وكان المتادبون فى الممالك الاسلامية يروون شعره ، ويسمعونه



على الشيوخ ، ويأخذونه بالإجـــازة والاسناد)) .

وقد ذكر المؤلف بعد ذلك عددا من اقتباسات الشعراء الفرس من شـعر المتنبى ، فاقتبس ـ مثلا ـ الامير ابو الحسن على بن الياس الاغاجى قـول المتنبى :

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى
والحرب والضرب والقرطاس والقلم

واقتبس ابو بكر محمد بن العبـاس الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ قوله :

وانك منهم وكذاك ايضا

من الماء الفرائد واللآلى

وتسكن دارهم وكذاك سـكنى
الحجارة والزمرد فى الجبـال

كما اقتبس ايضا قول المتنبى :

فان تفق الأنام وانت منهم

فان المسك بعض دم الغزال

وكذلك قوله :

لو كان سكناى فيه منقصـة

لم يكن الدر ساكن الصـدف

على مدى التاريخ ...

وانتقل من المعـــانى الكثيرة التى اقتبسها الشعراء الآخرون من شـعر المتنبى الى دراسة دقيقة عما استفاده شـعر سعدى الشيرازى من القرآن والحديث النبوى ، ومن حكم العـرب وامثالهم ، ومن كافة الشعراء العرب ذوى النباهة والفضل كأبى تمـام والبستى وابى العتاهية وابن سـكرة وغيرهم ، ثم افرد المؤلف بابا مطولا لما اخذه سعدى الشيرازى من شـعر المتنبى ذلك الشاعر الذى كان اثره عظيما على كل الآداب الاسلامية ومنها الادب العربى والادب الفارسى .

وبعد . فهـــذا الكتاب ((المتنبى وسعدى)) او اثر الثقافة العربية فى سعدى الشيرازى الذى ألفه الاستاذ الدكتور حسين على محفوظ الاستاذ بجامعة بغداد ... مثال طيب وجـاد للدراسات المتأنية الجادة التى لاتضن بوقت ولا بجهد فى ســبيل البحث العلمى المخلص ، الذى يخدم الحقيقة ، ويكشف عن جانب من جـوانب تأثير هذه الأمة فى آداب وعقول الامم الاخرى ... والذى نامله ان يكون خطوة على طريق طويل ، يكشف عن الجهـــد الحضارى الكبير الذى قدمته الامة العربية للفكر الانسانى عـلى مدى التـــاريخ .

شاعر كورسيكي معاصر

چوزيف شياري

● ماهر شفيق فريد ●

كتبت أن سنفنسون مقالة من مجموعة قصائد الشاعر والناقد جوزيف شياري، ان شياري الكورسيكي مولدا قد ظل يحتل مكانة بارزة في الادب الاسكتلندي منذ عام ١٩٤٤ عندما عين – وكان من مؤيدي الجنرال ديجول – قنصلا لفرنسا في مدينة ادنبرة ، وقد اسهم في تحقيق التفاهم بين فرنسا واسكتلندا بعد الحرب العالمية الثانية بانشائه « المعهد الفرنسي » في اسكتلندا واقامته على اقامة احتفالات ادنبره السنوية التي تقدم فيها المسرحيات .

كان شياري صديقا لـ ت . س . اليوت وادوين ميور ، وهيو ماكديارمد ، وديلان توماس ، ولكنه كان ، في شعره ، اقرب الى الموروث الاسكتلندي الكلتي منه الى الموروث الانجليزي . ولان لغته الاصلية هي لغة القارة الاوربية ، فان قصائده – وقد جمعت هنا لاول مرة – توحي بانها ترجمات من موروث اكثر رومانتيكية حتى من الموروث الاسكتلندي . ان لهجة قصائده فرنسية تذكرنا بشعر « نهاية القرن » الماضي ..

ان عددا كبيرا من قصائد شياري موضوعها الحب ، وهي ايضا قصائد رجل احب اسكتلندا وعرف مناظرها الطبيعية وحدودها . بيد ان قصائده لا تنم عن توزع للولاءات ؟ فهو في سلام مع نفسه . ان قصائده تلوح مخلصة ولكنها تفتقر الى الاصالة .. وفي كثير من الاحيان تفسدها كثرة التنقيح .. وفي الوقت ذاته تحفل باصداء تعوزها الحدة من ديلان توماس ، واليوت ، وادوين ميور ، كما في قوله :

ليكن ثمة سلام بيننا في نهاية المطاف

اذ انظر : ان الواحات ترقد نائية ضالعة

في ضباب الايام البعيدة

عندما كانت ترتفع في عروقنا القوة

التي تنمو بيضاء في اشجار التفاح

وهو صدى من احدى قصائد توماس ، أو قارن قول اليوت « ابريل اقسى الشهور » بقول شياري :

الربيع هو زمن الالام
الزمن الذى تبدى فيه الشمس المشرقة
شقوقا في الحائط

على ان قصائد شياري تمتاز بضرب من البساطة وعدم فطنة الى ان صورها مشتقة وان فلسفتها تعوزها الاصالة . اما في خير احوالها فهي تتدفق ببراءة تكاد تكون طفولية .. انظر الى قوله :

اتى على حين من الزمان كنت ارى فيه من ازهار الخشخاش

اكثر مما ارى من ازهار البنفسج ، كان الطريق فيه يجرى الى اعلى ،

وكنت في عجلة من امرى لكى ابلغ قمة التل ، توافا الى اكتشاف عوالم جديدة
اما الان فان الطريق يرقد الى اسفل ، على منحدر

لا يعرف ربوات ولا مدنا عجيبة

ولا سهولا مرتاحة ولا اكتشافات مغرية

سوى لغز النهاية واليوم الاخير .

ثمة شيء مؤثر في هذه القصائد التى كتبها رجل عجوز ولكنها تلوح كما لو كانت من كتابة شاب حساس . ولو كان شياري قد وثق ببراءته واختصر كثيرا من قصائده لتوصل الى جاذبية قصائد و . هـ . ديفيز . ولكن قصائده بوضعها الراهن تربك قارئها بانغماسها في الادب والميتافيزيقا والاشارات الادبية . لقصائده في رثاء اليوت على سبيل المثال لا تفعل شيئا الا ان توضح عمق الهوة بين موهبة الشاعر الذى يمدح وعبقرية الشاعر الممدوح :

ان في بدايتى نهايتى : ذاك يقينى
ان في نهايتى بدايتى : ذاك مشكوك فيه

ومع ذلك فمن المحقق ان قصائد شياري سوف تجتذب القراء الذين يجدون انفسهم ضالعين في متاهات الشعر المعاصر ويرغبون في العودة الى عصر كان فيه الشعر اكثر تلقائية واقل امتنانا للفكر . ●

مرآة الفكر العربي

الغزالي والتصوف الإسلامي

● تأليف : الدكتور احمد الشرباصي ●

ان حصيد هذا الكتاب انما هو سجل حافل عظيم لامام جليل، من ائمة الدين الاسلامي او علم من اعلام الفكر الانساني ، وباحث روحي عميق الفكرة ، ثاقب النظر ، اصيل الحكمة ، فهو حجة الاسلام ابو حامد الغزالي ، العالم الذى احب الحقيقة وحرص على طلبها ، كما حرص على بثها بين الناس ، والفقيه الذى اخلص نفسه للعلم باحثا ومدرسا ومؤلفا وداعية ، وهو الحكيم الديني والفيلسوف الواقعي والمفكر الوضعي ، والمعلم الاجتماعي ، والمهذب الصوفي

ومن خلال رحلتنا فى هذا الكتاب ، نلاحظ ان الدكتور احمد الشرباصي قد فتح ملفا لشخصية لها ظروف عصرية تستحق الدراسة والبحث والتأمل ، لنرى كيف كان ائمة الفكر الاسلامي يواجهون صعابا واحداثا جساما تكون حائلا بينهم وبين الحق .

وهنا نجد ان الغزالى نشأ فى عصر جمع بين الترف المادى والترف العلمى، مع ظهور كثير من الفرق والمذاهب الدينية والفلسفة الكلامية ، وبذلك رأى الغزالى الطعنات تلو الطعنات موجهة للاسلام والمسلمين ممثلة فى المجادلات العقلية والخلافات الفقهية والمناظرات الكلامية ، والمحاورات الفلسفية ، والعصبيات المذهبية والنزعات الالحادية، والاهواء السياسية .. وبذلك كان همه ان يستخلص الاسلام من هذه الاضطرابات والتيارات .

وهذا ما جعل هناك شبه اجماع بين المسلمين على ان الغزالى هو مجدد القرن الخامس لان المجدد يبعث فى الامة المؤمنة بهذا الدين روحا جديدة تستيقظ بها وتقوى من ضعفها وتعاود الالتزام والاحتكام الى دين الله .

وقد روى أبو داود والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ..

وبذلك رأى الدكتور احمد الشرباصي ان الغزالى خير من يستحق ان يكون مجددا اسلاميا فى القرن الخامس ، لانه توافر فيه كل ما يجعله أهلا لذلك .

ومن أهم أعماله فى خدمة الدين مايلى:

- كافح المادية الطاغية التى حجبت روحانية الدين .
- أبطل المذاهب الفكرية الخارجة على الاسلام .
- جدد الحياة فى الفقه الاسلامى .
- مزج العقائد بالعبادات ووثق بين الشريعة والتصوف .
- قاوم النزعات الالحادية التى نبتت فى المجتمع الاسلامى الكبير .
- جدد الدعوة الى العودة للاخذ من القرآن والحديث .

وهناك كثير من المستشرقين يشبهون الغزالى فى تجديده الديني بمن عدوه اكبر مجدد فى الدين المسيحي خلال القرون الوسطى ، وهو القديس « اوغسطين » ... ومنهم من يشبه الغزالى المجدد بالثائر الديني « مارتن لوثر » الالماني .

ولا يستطيع احد ان ينكر ان الغزالى استطاع ان يفرض اسمه على تاريخ الاصلاح الدينى فى المجتمع الاسلامى

واخرا فان الكتاب الذى بين ايدينا يقدم الكثير عن حياة رائد من رواد الفكر الدينى والاصلاح الاجتماعي كرس حياته من اجل خدمة الاسلام والمسلمين .

السرقات الادبية

● تاليف : الدكتور بدوى طبانة ●

تعتبر « السرقات الادبية » من اهم الموضوعات التى شغلت نقاد الادب واعتنوا بها حتى أصبحت من ابرز مشاغل النقد العربى فى قديمه وحديثه، واصبح من أهم الاهداف النقدية الوقوف على مدى أصالة الاعمال الادبية ، ومقدار ما حوت من الجدة والابتكار .

ونلاحظ ان النقاد يعمدون فى اكثر نقدهم الى الموازنة بين أديب وأديب ، باعتبار أن ما يهتمون به فى هذا المجال هو دراسة وفحص نواحى الاتفاق بين اديبين ، ثم الكشف عما ينفرد به احدهما عن غيره ، سواء كان الاتفاق أو الاختلاف يرجع الى التفكير أو الى التصوير والتعبير ... وقد بذلوا فى هذا السبيل كثيرا من الجهود ، يدل اكثرها على الذوق السليم ، كما يدل على تعمق فى فهم الادب وتحليله .

والواقع ان الاهتداء الى نواحى الاتباع او الابتداع ، يحتاج الى كثير من الفطنة والذكاء ، ولا يمكن أن يكون الحكم بذلك مبنيا على رأى مبتور او نظرة سطحية..

وعلى ذلك فان كتاب « السرقات الادبية » ذو اهمية فى هذا المجال ، خاصة وان مؤلفه استاذ متخصص ، وقد عالج موضوع السرقات بدقة الباحث العليم ببواطن الامور اذ ان الحكم بالسرقة أو الابتكار يحتاج الى سعة فى المعرفة بالادب وفنونه ، واطلاع واسع على التراث الادبى فى سائر عصوره ومواطنه ، وحفظ طائفة كبيرة للمشهورين والمغمورين من الادباء على السواء ، حتى يسهل ربط المتقدم بالمتأخر ، ويعرف السابق من اللاحق ، ويمكن حينئذ الحكم بالتقليد أو التجديد .

ولذلك فان هذه الدراسة التى قدمها الدكتور بدوى طبانة فى كتابه « السرقات الادبية » هى فى حقيقة امرها دراسة تطبيقية عملية ، اكثر منها دراسة نظرية ، وهذا الاتجاه يجعل للبحث فى السرقات الادبية قيمة كبيرة ، لان الدراسة العملية أو التطبيقية فى مسائل النقد الادبى مجدية .. اذ انها دراسة موضوعية تنتج احكامها من الموازنات الدقيقة بين الاعمال الادبية ، واستخلاص ما حوت من فنون الجمال ، وما يكون فيها من الابتكار أو الاحتذاء .

وكان من اثر تلك العناية بموضوع السرقات وضع حدود تستطيع أن تكون حكما عادلا فى ذلك حيث وصفوا نسبة الادب لغير قائله ، وافادة أديب من اديب - باوصاف كثيرة تحط من شان فاعله ، وتحطم كيانه بين الادباء .

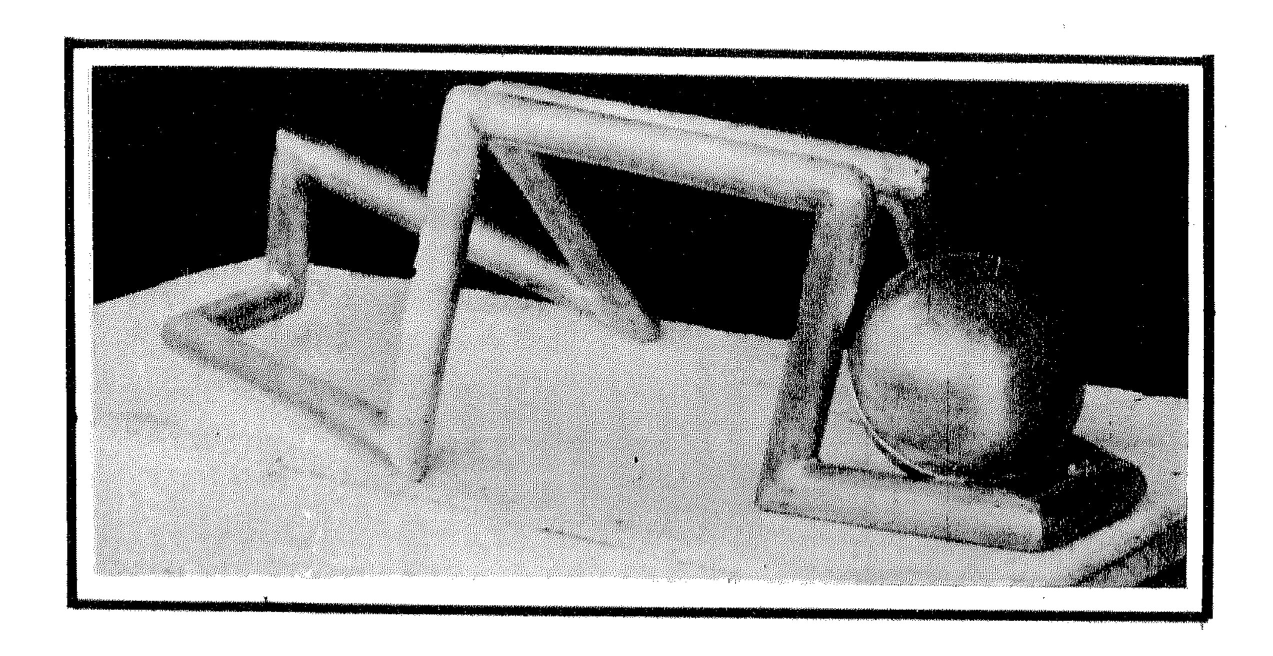
فهم يسمون هذا العمل سرقة ، وانتهابا واغارة الى كثير من تلك الالقاب او الاوصاف التى تشين صاحبها .

وبذلك فان كتاب السرقات الادبية دراسة ذات اهمية قصوى فى الحقل الادبى عموما ، واضافة جديدة للمكتبة العربية ... ●

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

مطرقة الفنان

● د. عبدالفتاح الديدى ●



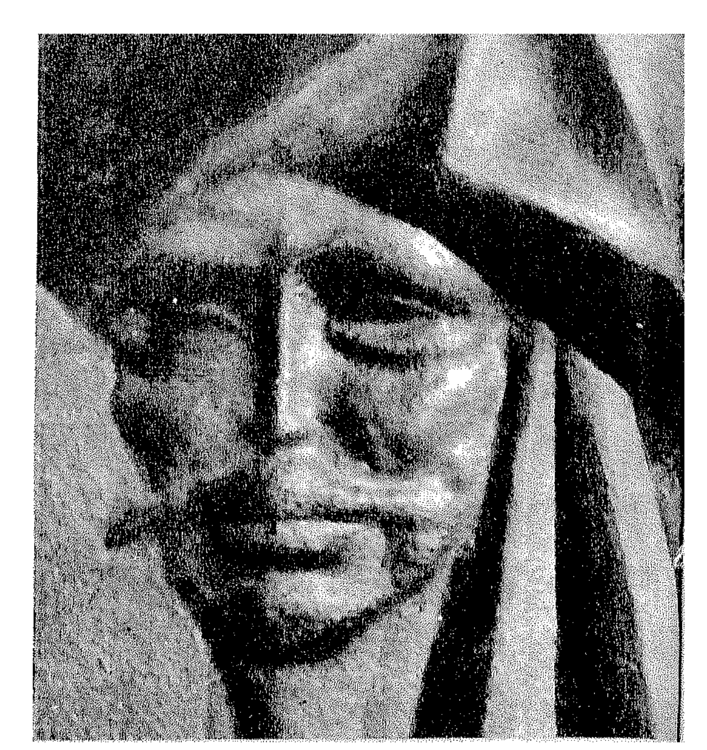
● **تكوينات فنية جميلة من النحاس المطروق، يقدمها الفنان محمد رزق فى معرضه الفريد من نوعه، والذى لا يتكرر فى القاهرة الا نادرا وعلى المدى الطويل .**

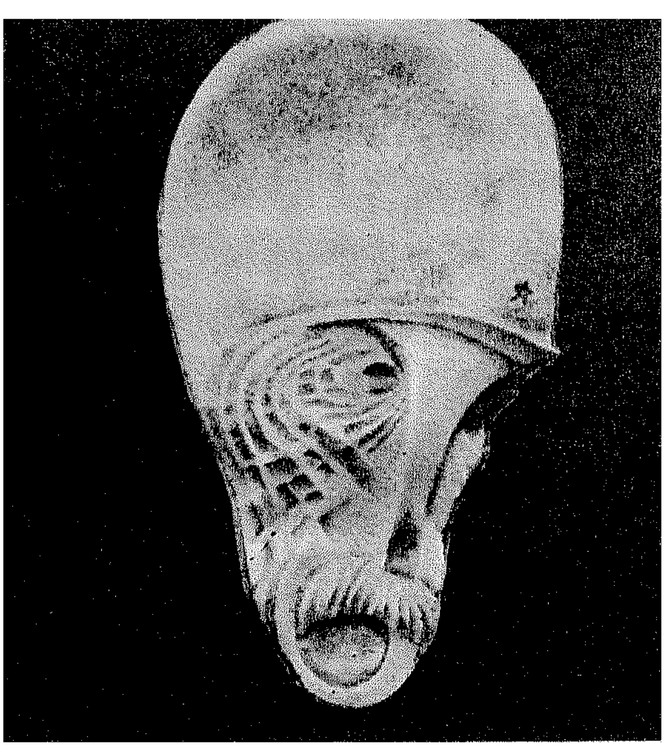
لم يعد عندنا من المثالين من يجرؤ على طرق هذا المجال الذى يكلف شططا من القدرة الشخصية ومن سعة الوقت ومن المال اللازم لمداومة استخدام النحاس كمادة للعمل الفنى .

ذهب السجينى، واطال الله عمر الاستاذ الكبير صلاح عبد الكريم، والفنان المبدع محمد رزق ..

وصلاح عبد الكريم يتعامل مع الحديد ويدخل فى زمرة المثالين العالميين فى مجال فنه ويلاحق بأعماله مدارس التركيبية الفرنسية التى ملأت ارجاء فرنسا منذ مطلع هذا القرن بالعديدمن الأعمال الخالدة . وكابد صلاح عبد الكريم الكثير من المشقة للاستمرار فى عمله ذاك ليتحف فنوننا بتماثيله الدقيقة العظيمة فى آن معا، وزملاؤه من الفنون التطبيقية يجاهدون من أجل الابقاء على هذا الفن .

ومحمد رزق معروف بما نشرت الصحف والمجلات من صور أعماله النحاسية . ولكن حقيقة هذا الفن الشاق الذى يقدمه لنا مثالنا المشتغل بالنحاس وبالنحاس فقط، لا يزال غير معروف فى تفصيلاته الجزئية . فمادة النحاس الصلبة قد أصبحت تمثل مادة يعشقها محمد رزق . وترك من أجل حبه لها وظيفته، واعتزل فى ورشته أو مركز ابداعه الفنى للتفرغ نهائيا لهذه الصناعة .. وهو نشيط منتج لا يفرغ من قطعة الا ليقدم على ابداع قطعة اخرى . ولا يكف عن دراسة الانماط القديمة





والمعاصرة لمسايرة الذوق الجديد كما لا يكف عن البحث والتنقيب فى الصوانى والمصابيح والنقود ليكشف أسرار التعامل مع النحاس .

والنحاس مادة طيعة فى يد محمد رزق ، تلين لأهوائه ونزواته ، وتتمايل مع ضرباته ودقاته . ويكفى ان تنظر الى لوحاته النحاسية لترى الى أى حد نجح فى السيطرة على كل خدشة بسيطة فى أطراف عمله . ومتعة العمل فى النحاس المطروق الذى يقدمه محمد رزق نابعة من احساسك التلقائى بمدى ليونة النحاس بين يديه. فهو يتمكن من تنفيذ خطراته وكأنه يتعامل مع احدى العجائن .

ولوحاته النحاسية تكوينات استكملت كل شروط الحرية فى نقل الاحساس. فانت لا تحس بأن النحاس يعوقه عن امتلاك ناصية الفن . تكوين حر متكامل لا تعوقه انطلاقة الاحساس بالشكل ولو كانت مادته نحاسية . ويستخفك الاحساس بلوحاته حتى تكاد تتصور انها احدى المواد الطرية التى شكلها الفنان بانامله . وسبق ان رأينا خفة تناوله وجمال حركته التى لم يثقلها النحاس فى لوحته الجدارية الضخمة فى مدخل مبنى الاهرام .

وهو يلاحق العصر ويسابقه وينقل على لوحاته فنا مطروقا يمثل تكوينات ظاهرة الجمال . وفضلا عما يروعنا من النحاس فى حد ذاته فاننا نشعر بنفس الروعة مع خفة وانطلاق تكويناته . ويحرص على الا يقصر دون ما ينتجه الغربيون، ويشعرك فى الوقت نفسه بالطاقة المصرية النابعة من كل تراثنا وبيئتنا . ويتحايل برغم ذلك من أجل ادهاشك ورسم الابتسامة على شفتيك وأنت تتأمل لوحاته أمام قدرته على تحريك المواسير وايجاد نماذج عجيبة وطريفة من صور الانسان .

واعجب ما فى اعمال محمد رزق النحاسية المطروقة انك لاتلبث ان تشعر برغبة قوية فى ان ترتسم انت نفسك بين ارتفاعات وانخفاضات النحاس لتصبح وجها من وجوهه النحاسية القوية النابضة بالحركة والنماء .

ومن يحس بالجهاد الحقيقى وراء اعماله سيفطن ايضا بلاشك الى هذا الفن الاصيل الذى يتطلع الى منافسة الأعمال الابداعية الفريدة التى تتمثل فى ارفع مطارق هذا العصر وفى مطرقة الفنان محمد رزق.

روح عن نفسك

اولا — لغز شعرى :

رب حمراء أتتنـــــــا وهى فى احســــن حله
حلوة الريق حـــــلال دمهـــا فى كل مـــله
نصـــــفها بدر ، وان قسمتها ، صـارت أهلة

***

ثانيا — فى كل جملة من الجمـــل التالية اسم نهر من الانهـــــار المشهورة ، فهل فى وســـــعك أن تكتشف هذه الانهار ، مع العلم بانه مختبىء بين حروف كلمات كل جملة :

أ — أنا واثق أن صديقنا لن يلحظ ذلك .

ب — تروى أسطورة أنه قد هاجم الكون غول كبير .

ج — هؤلاء الاربعة هم ولـدان وبنتان .

د — كان الجالس ينصت للحديث باهتمام .

و — غضـــب الحارس وقال لو أراك مرة أخرى لقتلتك !

***

ثالثا — فى كل مجموعة من الكلمات التالية كلمة دخيلة لا تتفق مع باقى كلمات المجموعة ، حاول أن تهتدى الى هذه الكلمات الدخيلة :

أ — المتنبى — ابو نواس — ابن سينا — جرير — امرؤ القيس .

ب — روميــو وجولييت ، هنرى الثامن ، يوليوس قيصر ، البؤساء ، هملت ، تاجر البندقية .

ج — البحر المتوسط ، البـــحر الاحمر ، البحر الاســــود ، البحر الميت ؟

***

رابعا — اختبر معلوماتك فى الادب

١ — من القائل ؟

تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب فى ازدياد

٢ — من شاعر القطرين ؟

الاجابات

اولا : — البطيخة

ثانيا : أ — النيل ، ب — الكونغو ج — الدانوب ، د — السين ، و اللوار

ثالثا : — ابن سينا لان المجموعة هى اسماء شعراء .

ب — البؤساء لان المجموعة أسماء تمثيليات لشيكسبير والبؤساء ليست من تاليفه .

ج — البحر الميت لانه بحيرة

رابعا :

١ — ابو العلاء المعرى

٢ — خليل مطران

٣ — المنفلوطى ، ياقوت الحموى ، المسعودى ، شوقى .

٤ — كان العرب فى مســـابقاتهم ينصبون قصبة فمن اقتلعها وهـو يجرى على ظهر جواده كان هـــو السابق .

٥ — توفيق الحكيم ، عـلى الجارم ، احمد شوقى ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، سهير القلماوى

٦ — الليل والنهـــار ، القلب واللسان ، الفول والعنقاء والخـل الوفى .

٣ ــ من هم مؤلفو الكتب الآتية : العبــرات ، معجم البلدان ، مروج الذهب ، أميرة الأندلس ؟
٤ ــ ما أصل عبــارة : « احرز قصب السبق » ؟ . .
٥ ــ اذكر الأســماء الكاملة للأدباء الآتية القابهم : الحكيم ، الجارم ، شوقى ، المازنى ، القلماوى
٦ ــ ماهمـــــا الجديدان ؟ وما الاصــفران ؟ وما هى المســـتحيلات الثلاثة ؟
٧ ــ كاتبة عربية مشهورة يتكون اسمها من حرفين ، فمن هى ؟
٨ ــ لحافظ ابراهيم كتاب الفه على اسلوب وطريقة المقامات فمــا هو ؟
٩ ــ من مؤلف أول موســوعة عربية ، وما إسمها ؟
١٠ ــ ما اسم الجاحظ كاملا ، ولماذا سمى بالجاحظ ؟

خامسا : اختبر ذكاءك :

١ ــ هل يمكنك وضع اصبعك فى كوب شاى دون أن يبتل ؟
٢ ــ ما الحيوان الذى يشبه الاسد وليس اسدا ؟
٣ ــ ما السبب الرئيسى للطلاق؟
٤ ــ سار سائق التاكسى عــلى الرصيف ولكن شرطى المرور لم يحرر له مخالفة رغم رؤيته له ، فلماذا ؟
٥ ــ ما الشىء الذى لا يستعمل الا اذا رماه مستعمله ؟
٦ ــ ماالجريمة التى يصبح فيها القاتل مجنيا عليه ؟
٧ ــ هل تلد البغلة فى الشــــهر السابع أم فى التاسع ؟
٨ ــ متى تكون أنهارالعالم وبحاره بدون ماء ؟
٩ ــ هل يمكن لشخص أن يتزوج شقيقة ارملته ؟
١٠ ــ اذا كان سلق بيضة يتم فى دقيقة ، فكم دقيقة تكفى لســلق خمس بيضات ؟

---

٧ ــ مى
٨ ــ ليالى سطيح
٩ ــ بطرس البستانى مؤلف دائرة المعارف .
١٠ ــ أبو عثمان عمرو بن بحــر الكنانى البصرى وســمى بالجاحظ لجحوظ عينيه .

خامسا :

١ ــ ضع اصبعك فى شاى جاف
٢ ــ اللبؤة
٣ ــ الزواج
٤ ــ لانه كان يسير على قدميه !
٥ ــ شبكة الصياد .
٦ ــ الانتحار !
٧ ــ البغلة لا تلد
٨ ــ اذا كانت على الخرائط
٩ ــ طبعا لا يمكن لانه مات !
١٠ ــ نفس مدة سلق بيضــة واحدة !

قصـــة

حجم إنسان بسيط

● نبيل عبد الحميد ●

ليتني أعرف كيف افكر !

يقولون ، اذهب الى شاطيء النهر واجلس بمفردك وانظر الى الماء ، وبعد ذلك ستجد الامر هينا ، سيعمل راسك في هدوء حتى تصل الى القرار ، وبعدها تتوقف عن التفكير وترتاح ..

يمكن أن اجلس هنا ، بعضهم يجلس غير بعيد عني وينظر الى الماء ويفكر . أنا أخاف زحف المياه ليلا .. يقولون ، ليس التفكير بالعملية المجهدة ، فقط تحاول أن تنتبه وتركز وتستغرق.حسن.. انظر الى الماء واركز واستغرق .

ولكن كيف أبدأ ؟

ماذا اقول بالضبط ؟

تقول أنا جئت الىهنا لكيأفكر وأتخذ القرار..

أنا جئت الى هنـــا لكى أفكر وأتخذ القرار .

والان هيا فكر جيدا ، حاول أن تبذل كل مايمكنك من جهد لكى ...

يبدو أنني لا أعرف . لا اريد .. لا شك أنه سيكون مرهقا للغاية أن أجلس هكذا بمفردى وأنظر الى الماء وأفكر ... ولم كل هذا ؟

اتتراجع هذه المرة أيضا ؟ اتريد أن تعود . ؟

اعود .. ؟ لا .. اذن لاحاول ان افكر . وماذا اقول ؟ أقول يبــــدو أنهم يريدون أن أترك لهم البيت وأذهب ... ولمـــاذا لا يريدونني معهم ؟

يقولون انني رجل عبيط ، ويقولون انني أعطـــل الاعمال وأقطع الارزاق وأخرب البيوت وأفســـد تربية الاولاد ، و .. أافعل أنا كل هـــذا ؟ أنا أحبهم ، أحاول أن أجعلهم يضحكون ، لا اعرف لماذا يصرخون دائما ؟

***

القطة تغمض عينيها وتضم ارجلها وتنكس راسها وترتعد ، تنقض عليها اليدان وتقذفانها الى أعلى فيرتطم ظهرها بالسقف وتتسع عيناها وتتخبل ارجلها وينقبض في جوفها مواء مبتور وهى ترتطم بالارض . وتتلفت وتحاول أن تزحف على بطنها ، وتنقض اليدان وتعيدانها الى نفس المكان ...

ـ ياسر ، انك تعـــذب القطـــة يابنى ، لماذا لا تتركها ؟

ـ من أجل خاطرى يا ياسر ، دع القطة يابنى ، انظر ، لقد أحضرت لك لعبة ظريفة ، خذها والعب أنت والقطة .

ويضع القطةعلى الارضويدوسعلىبطنها بقدمه وترتعد أرجلها ويحاول فمها المفتوح ان يصـــل الى أصابعه

وأدفعه في رفق فيصرخ ويجرى .

وتهرول رجلاها ناحيتى ، وتتعارك ملامح وجهها وهى تصيح :

ـ اهكذا تجعله يبكى دائما ؟ اتخاف على القطـة ولا تخاف على ولدك ؟ أتريد أن يتمزق صدره من كثرة البكاء ؟ لماذا لا تتركه يلعب ؟ أنا أعـــرفك جيدا ، لا تكف الا اذا أشعلتها نارا ! ..

وأحاول أن أقول شـــيئا . ويرتطم صياحها بالجدران ويتساقط حول رأسى .

ويخطف ياسر اللعبة من يدى ويقذفها ناحيـــة الاشياء فتقع جميعا على الارض . ويضرب الارض بقدميه وينشنج صوت بكائه . وترتمى على المقعد وتتخبل يداها وهى تولول !

ـ أهكذا أتلفت أعصاب الولد ؟ أتلفت اعصابنا جميعا .. أين تذهب بعيدا عنك ؟

وأذهب الى مكانى البعيد وأجلس . وتهـــرول قدماها ناحيتى ، ويظل الولد يبكى ، وتظـــل هى تصرخ :

ـ اهكذا تشعلها وتاتى الى هنا لتجلس ؟ أنت تريد أن تقتلني ، ولكنني لن أترك لك هذه الفرصة أبدا . قلت لك مرارا دع البيت وابحث لك عن مكان آخر !

وتتقلص ملامح وجهها وتتعقد . وأذهب واقول لعادل :

ـ اهذا كلام ياعادل ؟ ياسر يريد ان يقتـــل القطة ، وماما تقول لى ابحث لك عن مكان آخر ..

ويقرأ عادل بصوت مرتفع . واقترب منه أكثر

ـ عادل الا تسمعني ؟ أقول لك ...

ويلقى عادل بالكتاب ويصيح :

ـ حسن ، لا داعى للممل ، قل ما تريد عن القطة وعن ماما ... هيا تكلم

واهمس قريبا من اذنه واضع يدى على ظهره :

ـ انا احبكم ياعادل ولا أريد أن أبحث لى عن مكان آخر !

واسمع صوت القطة وهىترتطم بالارض ، وصوت ياسر وهو يقهقه ... وصوت عادل وهو ينشنج :

ـ بل انا الذى سأترك لكم البيت !

ويأتى صوتها من بعيد ويقتحم الغرفة ويقع على راسى :

ـ الا تترك الولد يذاكر ؟

***

واقوم واذهب الى ســــهير وانظر اليها . تلقى بالاشياء وتضع يديها على وجهها وتبكى

ـ لقد ذهب ولم يعد . أهذا يرضيك ؟ ماذا قلت له ؟

واقترب واحاول أن أضع يدى على رأسها :

ـ لم أقل له شيئا ياسهير .. ألا تصـــدقيني يابنيتى ؟

وتلوح بيديها وتصيح :

ـ اذن لماذا لم يعد ؟

وأحاول أن أجفف دموعها وأنا أبكى

ـ كنت أريده أن يأتى لأراك عروســة . قالت والدتك لا تتكلم معه كثيرا لكى لا تفسد الموضوع. أنا أحبك كثيرا ياسهير ، وكنت أتمنى أن لا أفسد الموضوع ، ولذلك لم أتكلم معه على الاطـــلاق . دخلت وجلست هنا على الارض الى جـــوار الباب . أنا أمارس تمارين اليوجا كما تعلمين . فكرت في



الامر جيدا ، فهـــو رجل مثقف ولابد أنه يعلم ما لليوجا من فوائد • لاشك انه يعلم ، بل لقد سره كثيرا أن يرانى أمارس اليوجا ، والا ، فما الذى جعله يخرج ضاحكا ؟

وتصيح ســـهير وهى تضرب الارض بقدميها :
ـ اهذا كلام ؟ تمارس اليوجا مع خطيبى ؟ لقد افسدت كل شىء ، ويأتى صوتها من بعيد على راسى: الا تريد أن تكف ؟ الا تتركنا وتذهب ؟

يبدو أننى أخطأت هذه المرة أيضا ، الم يكن من الافضل أن أتكلم معه قليلا ؟

حسنا • فى المرة القادمة أفعل ذلك ، اجلس الى جواره وأتكلم معه بدون أن أفسد الموضوع •

ايعنى ذلك انك تريد ان تعود ؟

ولم لا ، انه بيتى ولن يمنعنى احد من الدخول •• أشترى لهم أولا بعض الاشياء ، انهم يحبون ان اعود اليهم بالاشياء واوزعها عليهم •••

ولكنك جئت الى هنا لكى تفكر وتتخذ القرار •

والان لم اعد اريد ••• غدا آتى وافكر

اتؤجل الامر اذن كعادتك ؟

لا بل ادبر شئونى •• انا احب دائما ان ادبر شئونى بنفسى •

***

يدفع الباب بعصاه ويدخل ، يقف فى وسط الصالة ويتلفت ، عيناه بارزتان وحاجباه متهدلان• ينظر الى كل الاشياء ويزوم ، يضع أصبعه على زجاج المنضدة ثم يقربه من عينيه وينظر اليه ويقربه من أنفه ويتشممه • ويلوح بعصاه ويصيح بصـــوت خشن • وتهرول قدماها من خلف الستارة وتقترب والماء يتقاطر من يديها وتنظر الى الاشياء بعينين نديتين •••

وتهتز مقدمة العصا ويعلو الصـــوت الخشن ، الكراسى والمنضـــدة والزجاج والتراب والرائحـة والمفارش والسجادة والاحذية والطـين والكســالى والبهائم • ويستطيل وجه أمى وتتقـوس عينـــاها وتلتوى شفتها داخل فمها •• يبدو ظهره طــويلا وعريضا وهو يصفق الباب من خلفـــه • ويقترب الوجه المستطيل ودموعه تجرى فى طريقها المعتـاد ••• اقول ، أمى ••• ويتشرب الوجه المستطيل دموعه وتغتصبه ابتسامة متعبـــة ، لا شىء ياولدى ••• وترتفع اليد الى كتفى ، كبرت يامنصور وصرت رجلا • وانظر ناحية الباب المغلق ، ولكنى اريد أن أفعل شيئا ياأمى • وتأخذنى خلف الستارةوتهمس بصوت مبحوح ، أبوك رجل طيب ياولدى انا اعرفه جيدا ولذلك لا اغضب منه ، يفعل ذلك لكى يحمى البيت ويصونه ، انه يعرف كل شىء ويدبر كل شىء ، وانا كما تعلم لا اعرف شيئا ســوى انه يحبنا ويحب بيته •••

وامسح بجلد وجهها يرتخى محموما بين يدى ، ولكنك يا أمى ••• وتبتعد بصوتها المضطرب ، هيا قبل ان يبرد الطعام •••

واظل واقفا منكس الراس •

وتتصلب ملامحه وهو يضغط على يدى ، لتفهم جيدا ما اقول ، كن رجلا فى بيتك • لقد اخترتهالك بنفسى وعليك ان تروضها جيدا ، اياك ان تغفل أو تتهاون حتى فى ابسط الأمور فينهار البيت فوق راسيكما •

ويكرر وهو يزيد الضـــغط على يدى ، افهمت ما اقول ؟ وتتمدد قامته ويتسع فمه وهو يتثاءب وتدق قدماه الكبيرتان الارض وهو يمشى • وينادى بصوت خشن فتهرول قدماها • ويلفها مبتورة من خلف ظهره قبل ان يدخل حجرة النوم ، « هيـا » وينخفض راسها وتتخـــاذل قدماها وهى تدخـل

وتغلق الباب •• وانظر الى مقعده واقول ، ولكنى لا اريد هذه ••• واقف وادور حول المقعد واقول، ستكون امراتى انا ، ومن المفروض ان اختـــارها بنفسى •••

واتطلع الى صـــــورتها ، لا باس بها على اى الاحوال ، تشبه امى الى حد كبير ، لا داعى للقلق فهى تبدو طيبة ومطيعة ونظيفـــة ••• وحتى اذا اتضح عكس ذلك فيما بعد فلست مسئولا عما قد يحدث ، اليس هو الذى اختارها ؟ ••

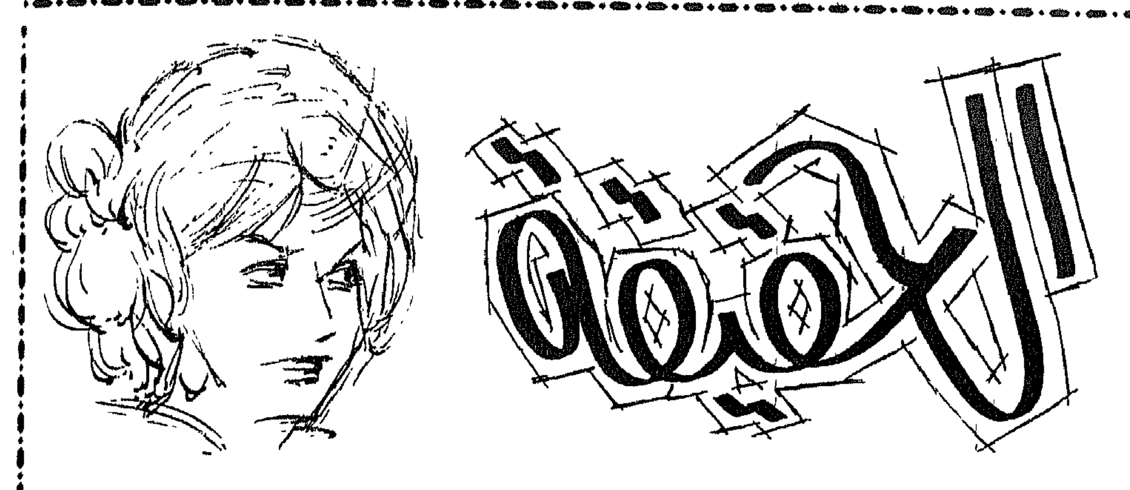
وماذا حدث ؟ انه من الطبيعى جدا أن تحدث مثل هذه الامور فى كل بيت ؟ ••

اذن فانت تعتبر طردك من البيت امرا طبيعيا ••

طردى انا من البيت ، اهذا كلام ؟ انه شـــجار بسيط ، مجرد اختلاف فى وجهات النظر ادى الى انهم قالوا ما لا يقصدون •• وهل يحاسب الانسان على ما يقول وهو فى ثورة غضبه ؟ انهم يحبوننى •• يطردوننى من البيت ؟ اهذا معقـــول ؟ واين اذهب ان كان هذا ؟ لا ••• هم لا يعنون •قالوا ، انهم طيبون ، انقياء القلوب ولا يصح ابدا ان أسىء الظن بهم •• لابد أنهم يلومون أنفسهم الان على ما قالوا ••• ولابد أنهم ينتظرون عودتى ليعتذروا لى عما حدث • لاشـــك أن ذلك يؤلمهم ويجعلهم يبــــكون ، ومن اجلى انا ••• انا دائما اظلمهم واسبب لهم الالم• اليس من الافضل ان ابادر بالعودة اليهم ؟ اطلب منهم المغفرة واجلسهم حولى واتكلم معهم • انا احب ان اتكلم معهم واحكى لهم كل ما يحدث ، وعلى الرغم من انهم يتركوننى ويلومون الا اننى اذهب لاســــمعهم بقية حديثى • انهم يتركوننى لكى يقوموا ببعض الاعمال ، هم دائمـــا مشغولون بالاعمال ، ولكنى اعـــرف انهم يريدون ايضا الاستماع الى حديثى • كل المواضـــيع التى احكيها لهم تكون بالغة الاهمية •

اعود اذن واحكى لهم كل الاشياء ••• هـــل اتحرك الان ؟

راسى تؤلمنى ، يبدو اننى فكرت اكثر مما ينبغى •• اريد أن أضع قدمى فى الماء الدافىء ، واريد ايضا ان اجلس فى مقعدى المريح •• لأسرع اذن بالعودة •••



● محمد برهام ●

سألتها ما تفعلين　　اجفلت من السؤال
قلت اهدئى وجاوبى　　ان السؤال لايزال

***

قالت انا اجلو المرا　　يا ، كى تكون صافية
وانفض التراب عنها ،　　والغيوم البادية

***

فحينما ترنو لها　　ترى بها حقيقتك
لا شىء فوق وجهها　　يحجب عنك صورتك

***

فلاحظت لونى لما　　اوضحت قد امتقع
وكدت فوق صدرها　　او فى جوارها اقع

***

تمتمت يا بريئة　　عند المرايا مسألة
وفى يديها حلها　　ولا تحل المشكلة

***

بكذبة لا غيرها　　تبدى غداة انظر
تعيد لى ماء الصبا　　أرى محيا يقطر

***

احيا مع الدنيا على　　صداقة ، وفى امل
ولا امل عشرة　　لحين ينتهى الاجل

***

قالت انا من رايها　　ارفض أن تموها
اجد عنها باحثا　　اذ اختفت لتوها

***

ولم يجد سعيى الى　　طمس حقيقة ، صدى
بين الجماد والورى　　أكذوبتى ضاعت سدى !



● محمود علي عبدالعال ●

... وياكم سهرت الليالى الطوال
وجاء الربيع ولم تقدمى !
تفتح ورد الحياة ومال
ورق النسيم بفرع الشجر ...
وداعب غصن شفاه الزهر
يقبل فيه رحيق القمر !
وانت الحبيبة لم تقدمى !

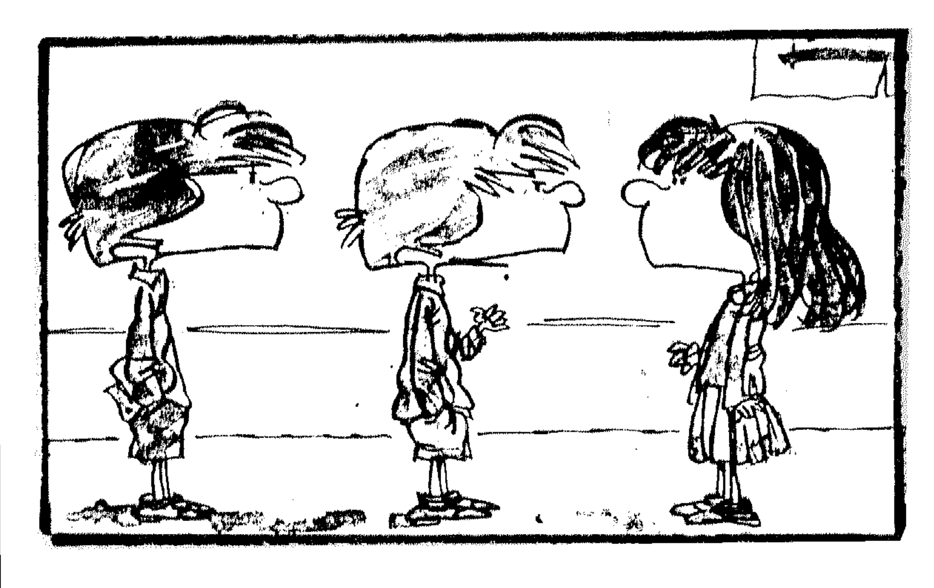
وجاء الربيع بوجه طليق
سقته الطبيعة صفو الرحيق
يرش الضياء ينير الطريق
فيملأ كل العيون البريق
... وابحث ، ابحث بين البشر
لحظى بين الجموع السفر !
اجوب الحياة ولا استقر !
وانت الحبيبة لم تقدمى !

تمنيت يوما اذوق الحياه
ويبسم ثغر ينير الدجى ...
يزيل الربيع خطوط الجباه
يداعب همسا طوته الشفاه !
فظل حبيس قيود الامان
وياكم سهرت الليالى الطوال
جاء الربيع سخى الظلال
يناديك : يامنيتى ... اقدم

كاريكاتير ..

جيل .. جديد جداً !

الولد لوالده : هو انت كل ما توبخنى تستعمل نفس الالفاظ ونفس الطريقة ؟ ! طب على الأقل نوع شويه فى الاسلوب وقول حاجة جديدة !



الولد للبنت : خلصينا بقى وقولى رح تختارى مين فينا ... على الاقل اللى مش ح تختاريه يستريح ويحمد ربنا !



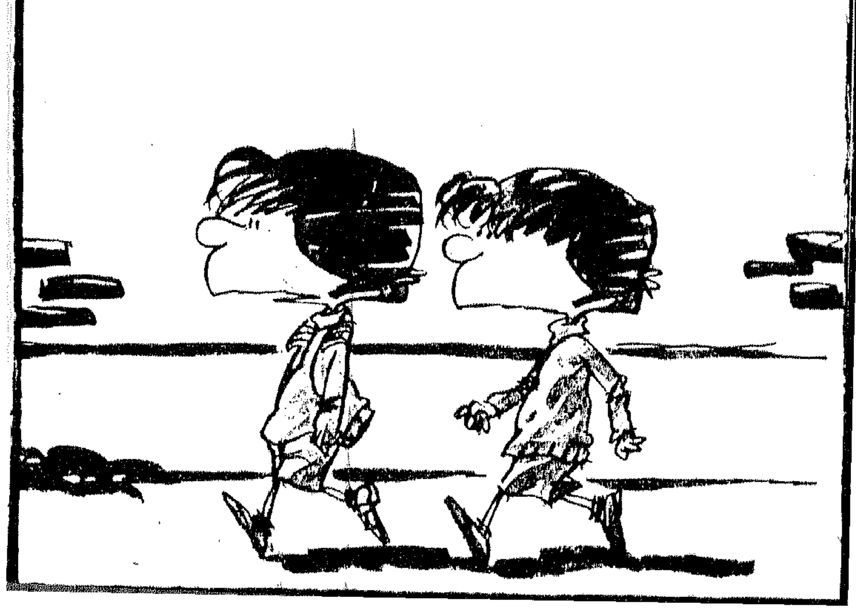
الولد للمدرس : انا معاك ان الواجب معمول وحش جدا النهارده ... لكن أعمل ايه ، اصل بابا كان راجع من الشغل امبارح تعبان قوى !



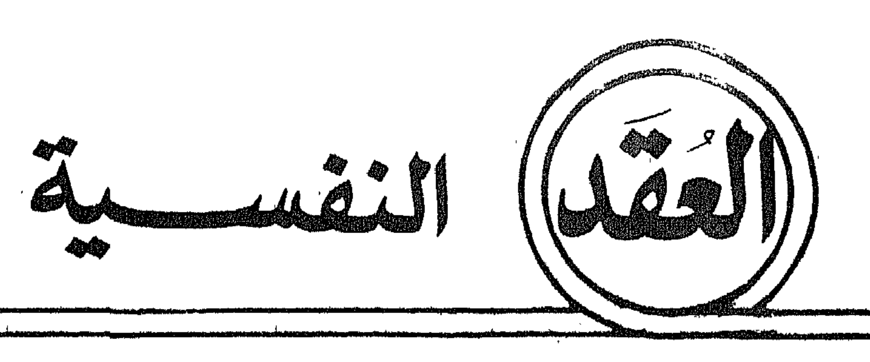
الولد لوالده : المدرسة بتقول فى الجواب ده انهم عاوزينى امتحن تانى فى شــــهر سبتمبر ! .. لازم اجاباتى عجبتهم قوى ، وعلشان كده عاوزين يشوفونى تانى ! !



الولد لصاحبه : الكبار دول فى الحقيقــة مشكلة ! .. طيب احنا صغيرين وح تكبر ... لكن هم بعدما كبروا وخلاص، حيعملوا ايه ؟.



الـولد لوالـده : سيب الحصالهبتاعتى فى حالها وما تتعبش نفســك ! .. ماما عملت اللازم قبلــك واخــدت كل اللى فيها !



في أعمال الكُتاب والشعراء

● د. أحمد متولي مسلم ●

● **عوامل كثيرة ، ودوافع غير محددة ، تدفع الكتاب والشعراء الى الخلق والابداع .**

ويصف المؤرخ ((هاوزر)) الفن بأنه دواء لطبيعة الحياة الناقصة الشوهاء ..

وقد يعاني الشخص من تشوه أو نقص في أحد أعضاء جسمه ، فيستكمله بالفن . فالفنان يهرب الى الجمال ، بعيدا عن قبح الحقيقة وبؤسها .

وقد يصدم الطفل بموت احد والديه او كليهما ، فتطارد فكرة الموت أعماله الأدبية ، بما تشمل من حزن ورثاء وتشاؤم وشعور بالذنب ويظل الشخص متلهفا الى استعادة الراحل العزيز ، وينفث لهفته من خلال أعماله الفنية ..

يقول ((**هـ . ج . ويلز**)) في مذكراته انه مدين في اتجاهه الأدبي لساقين مكسورتين ،حولتا مجرى حياته . الأولى ساقه التي كسرت وهو في الثامنة من عمره . والثانية : ساق والده التي ترتب على كسرها أن فقد والده عمله . وساءت أحوال الأسرة ، وانغمس «ويلز» في عالم الكتب والأدب . يضاف الى ذلك ما عاناه ((ويلز)) من السل الرئوي ، ومرض الكلى،فلا عجب أن يبدو ((ويلز)) في أعماله كمهندس مقتدر يحاول أن يعيد بناء الكون .

وتبدو العلاقة واضحة بين النقص الجسماني والاتجاه الى الفكر الخلاق ، في حالة ((**سومرست موم**)) ، كان يكره قوامه القصير ، وكان يرفع كتفيه ليبدو أطول من حقيقته .. وكان يعاني طول عمره من لجلجة كانت تشتد عليه حتى يضيق بها أشد الضيق . وفي أعظم رواياته ((من عبودية الانسان)) نجد أن البطل يعاني من قدم مكورة ((تشوه خلقي)) وقد يكون ذلك اسقاطا لشعور الكاتب بنقصه الجسماني .

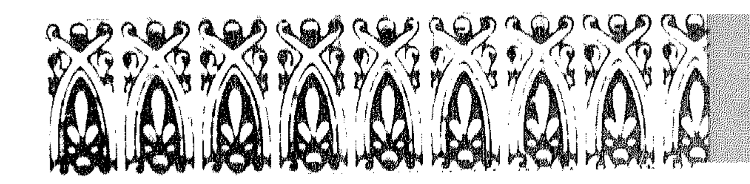
وقد ماتت أم ((سومرست موم)) وهو في الثامنة من عمره ، ولحق بها والده بعد سنتين . وفي أواخر حياته كان يتناول طعامه مع ابن أخيه ، وكان يعاني من المرض والألم ، وفجأة تمتم في حسرة :

– لا يمكنني ان أعيش من بعدها أبدا . لن أستطيع تحمل موتها !

واتضح لابن أخيه أنه كان يعني موت أمه ، التي رحلت عن الدنيا منذ أكثر من ثمانين عاما !

***

أما ((**ادجار ألن بو**)) فقد هجر والده أسرته عندما كان في الثانية من عمره ، وماتت أمه في شبابها بالسل الرئوي . قبل أن يبلغ الثالثة . وقد قضت أمه بضعة شهور في أواخر حياتها في صحبة طفليها ، ادجار وأخته التي تكبره بسنة ، في حجرة فقيرة في ريتشموند بولاية فيرجينيا . وشهد ادجار صراع



امه مع الموت ، ومكث بجوار جثتها فى الغرفة الصغيرة المظلمة ، ليلة باكملها ، حتى دخل الجيران فى الصباح وأبعدوه عنها • ويبدو تركيز ادجار على هذا المشهد الدرامى ، وعلى صورة الأم التى تموت ، خلال كثير من قصائده ، فنرى الحزن يغمر المحب اذ تموت حبيبته ويتكرر موضوع الجميلة الراحلة ، واختلاج الجثث فى «الدفن قبل الأوان» والرعب فى قصة « قناع الموت الأحمر » (عانت والدته من نزيف الرئة عدة مرات فى مرضها) • وتعبر الشطرة الاخيرة من قصيدة « أنا بيل لى » أبلغ تعبير عن فجيعة ادجار :

وهكذا قضيت ليلا كاملا بصحبة العزيزة
عزيزتى •• حبيبتى •• والدتى •• حياتى
فى جدث هناك قرب البحر
فى قبرها على المحيط الهادر

تتكرر فى قصصه صورة المحبوبة ، النصف حية والنصف ميتة ، وبسبب تواتر هذه الصورة فى أعماله ، يتهمه بعض النقاد بنوع وحشى من الشذوذ ، وحنين الى المرأة الجميلة الميتة ! وقد عمم « ادجار » هذا السلوك على كل نواحى حياته ، كالزواج والعلاقات الشخصية كأنه كان يلف على عنقه حبل الصدق الى نهايته ، ولو دمر بذلك حياته ••

***

ومثل صدمة الموت يقع انفصال الطفل عن أمه صدمة كبيرة لنفسه ، تظهر آثارها فى أعماله الأدبية فيما بعد • فقد ولد « روديارد كبلنج » فى الهند ، وفى سن السادسة أودع مع أخته لدى أسرة بديلة فى انجلترا ، لمدة خمس سنوات • وقد سمى بيته هذا فيما بعد بالبيت الموحش • وفى السادسة عشرة من عمره التام شمل اسرته ، وبدأ « كبلنج » فى الكتابة والاسفار • كان ولعه بالرحلات نوعا من العشق • وفى الطب النفسى نجد أن التجوال من أعراض الاكتئاب الشديد ، كانما يرتحل الانسان من مكان الى مكان ، ومن موقف الى موقف ، بحثا عن حضن أمه الذى حرم منه • وقد عبر « كبلنج » عن ولعه الغريب بالتجوال فى قصيدته « جواب الآفاق » :

هنالك شئ مختبئ ••
اذهب وابحث عنه •
اذهب فتش عنه وراء المرتفعات ••
شئ ضاع وراء جبال • ضاع ،
ينتظرك أنت فهيا اذهب !

***

ومحاولة التعويض عن النقص الجسمانى ، من خلال العمل الأدبى ، تتجلى فى « نيكولاى جوجول » الكاتب الروسى العبقرى • كان جوجول قزما ضخم الأنف ، وكان يجد لذة فى تحريك أنفه حتى يلامس شفته السفلى ! ونلاحظ فى قصص جوجول كثرة تكرار عبارات العطس والشم ، والتمخط والشخير وفى احدى قصصه (قصة الأنف) اختفى أنف أحد البيروقراطيين المتغطرسين بطريقة غامضة ، انسحب من وجهه وتجول فى الشوارع • ويصيح صاحبه :

ـ بدون أنف ، يفقد الانسان صفته كمواطن !

وفى قصة أخرى له يقول ان سكان القمر ليسوا الا مجموعة من الأنوف !

لقد استطاع جوجول ـ من خلال قصصه الكوميدية ان يكشف عن شقائه بانفه الغليظ ، ونقصه الجسمى ، مباشرة وبصراحة غير مألوفة •

هذه بعض الدوافع النفسية اللاشعورية وراء عملية الخلق الفنى ، نسوقها على سبيل المثال لا الحصر • وهى ـ على قلتها ـ تلقى ضوءا كشافا على الضغوط الداخلية التى تميز الفنانين والمبدعين ، وتمور فى نفوسهم كأبخرة محبوسة ، وتكشف عن نفسها فى حياتهم الخاصة . وفى أعمالهم الفنية •• ●●

قصة وجدت حلاً

● احمد علي رجب ●

جلست خالتى بجوارى ، كانت تحمل فوق ساقيها حفيدتها الصغيرة . وكانت الطفلة قد كفت عن الصراخ والبكاء اللذين انخرطت فيهما قبل ان تقلنا السيارة . وكانما ادركت الصغيرة اننا جادون – هذه المرة – فى الحاقها بامها ، فهدأت وراحت ترقب المناظر المارقة من خلال زجاج السيارة ..

ومنذ حوالى ساعة كنت جالسا امام مكتبى اسطر رسالة ارد فيها على شقيقى الاكبر ، كان يطلب قرضا لشراء الكتب الجامعية لاولاده . وفى نفس الوقت تقريبا كان بيت ابن خالتى –مأمور الضرائب – يشتعل شجارا على اثره جمعت هدى – زوجته – حليها وملابسها واودعتها حقيبة كبيرة ، ونادت البواب ليحملها ، ثم انطلقت فى اعقابه تاركة ابنتها الصغيرة تشيعها بالصراخ والبكاء . ولما لم يفلح ابن خالتى فى تهدئة الطفلة فقد حملها الى امه التى راحت تساله :

– هل تشاجرتما ثانية ؟

– لم اعد احتملها يا امى .. أنا مصر على الطلاق هذه المرة !!

– اهدأ يابنى !

– الذى يتزوج من هدى لا يعرف الهدوء !

واخذت الجدة تهدىء من روع الصغيرة ، فتارة تلهيها بالمسبحة ، واخرى باساورها الذهبية ، ومرة ثالثة تجيئها بقطعة من الشيكولاتة ، حتى داعب النوم جفنى الصغيرة ... وعادت خالتى تستانف الحوار :

– ما سبب الشجار هذه المرة ؟

– نظراتها يا أمى ، شموخها وتعاليها على ، تتحدث الى من اطراف انفها وكانها بنت اللورد شملان !

– وأنت ... ماذا قلت لها ؟

– لم ادع احدا فى عائلتها الا وكلت له السباب والشتم .

– باى وجه اقابل الآن عائلة هدى ؟

***

وجاءت خالتى الى بيتى ، وكنت بصدد تحديد المبلغ الذى ارسله الى شقيقى .. يظن اننى قد عدت من الخارج حاملا معى بعض عائد البترول هناك ... وكانت الصغيرة قد استيقظت ، ولما لم تجد أمها فقد عادت الى الصراخ والبكاء . ولم تفلح المسبحة او الأساور أو الشيكولاته فى اسكاتها .

وسألتنى خالتى عما اذا كنت اعرف بيت المعلم شملان . قلت :

– اليس كما هو ؟ أعنى فى المساكن المجاورة لسوق المدينة القديم ..؟

– لا ، انه فى العمارة الجديدة التى اقامها .

– تتحدثين عن المعلم شملان فضل الله .. اليس كذلك ؟

– وهل اتحدث عن غيره ؟

كنت لا اعرف له عملا سوى بيع الصحف والمجلات ، فهل كان يبيعها فى السوق السوداء ؟

– اتقصد ان اولاده هم الذين اقاموا العمارة .

***

والمعلم شملان هذا هو جد الصغيرة لامها .. وهو ايضا ابن خال والدتى . واذكر انه منذ عشرين عاما كانت اقصى امنية له ان يحصل على مسكن شعبى من غرفتين . ومن اجل هذا ظل يطارد المحافظ . واوعز اليه – وقتئذ – ابن الحلال او ابن الحرام ؟ بان يستحلف السيد المحافظ بحياة ابنته الوحيدة كى يحقق له امنيته . وضحك المحافظ ، وضحك من كانوا فى رفقته . فالكل يعلم ان المحافظ قد رزق بثلاث بنات وولد واحد . وتذكرت ان المعلم شملان قد وهبه الله ذرية عكس الذرية التى افاء الله بها على المحافظ

وفى تلك الايام ، كان ينتشر بين الطبقات الكادحة ، الاقبال على التعليم . فما كادت الحكومة تعلن المجانية حتى انطلقت جحافل الفقراء تدفع باولادها دفعا الى المدارس . وكل اسرة تمنى نفسها بطبيب ومهندس وصيدلى .. و .. و .. ولم يفكر واحد فى مدى استعداد التلميذ ، أو حتى فى التعرف على ميوله كيلا يصبح الحرث فى الماء .

اما المعلم شملان فقد وقاه الله شر ذلك المرض . فما كاد ابنه الاكبر ينهى دراسته الابتدائية حتى خيره بين الاستمرار فى التعليم وبين اختيار احدى الحرف . واختار الولد العمل فى ميكانيكا السيارات . يومها صمتت أم الولد ، ولطمت خديها وشقت ثوبها ، وصاحت فى وجه زوجها مستعرضة اسماء كل من تعرفهم ، ففلان الشحاذ يعلم ابنه ليكون طبيبا ، وفلانة الخادمة التى استهلكت اصابعها فى غسل الملابس .. تدفع بابنها ليصبح مهندسا .. وفلانة .. وفلان .. اما نحن .. ؟!

فقاطعها المعلم بحزم :

– نحن نربى ولدنا ونعده ليكون « اسطى ميكانيكا » .

– لكن الولد لا يعرف مصلحته فى هذه السن . !



— انه يعرفها اكثر منك ومنى .. !

وراحت امرأة المعلم تسترحم زوجها ، وتسوق عليه « طوب الارض » كى تجعله يعدل عن رأيه لكنه ازداد اصرارا ، ثم عاد الامل يراود المرأة فى أن تحقق ما تصبو اليه على يد الولد الاوسط ، لكنه أصر على اللحاق بشقيقه ، وتلاه الولد الاصغر . أما هدى فقد استمرت فى سلك التعليم حتى نهاية المرحلة الاعدادية ، ثم اختارت أن تتعلم الحياكة .

***

كانت السيارة قد توقفت بنا امام احدى العمارات الشاهقة . وأيقظتنى خالتى من سرحتى الطويلة ، واعتذرت عن عدم مرافقتها اياى بخجلها من سلوك ابنها . ورأيتنى احمل الطفلة وعيناى معلقتان باللافتة التى احتلت اعلى الطابق الاول كله من العمارة . كانت تعلن فى شموخ — بالاضواء الملونة — عن زكى شعلان واخوته اصحاب الورشة الهندسية الكبرى لاصلاح السيارات .

ما شاء الله . نجح الاولاد .

قلت ذلك وأنا انقل بصرى الى عشرات السيارات التى احتلت جانبى الطريق ، بلا شك هى فى انتظار دورها للتصليح . ثم اتجهت الى المدخل .

حملنى المصعد الى الطابق الثامن ، وضغطت جرس الباب ، فانسابت الموسيقى داخل الشقة . وما ان وقع نظر الطفلة على جدتها لامها حتى ألقت بنفسها نحوها . وأخذت السيدة تحدق فى وجهى هنيهة ثم أضاءت الابتسامة وجهها وصاحت فى مرح :

— أهلا وسهلا . أهلا بريح الاحبة . ظننا اننا سنموت دون أن نراك .

وهممت بالجلوس على اريكة فى الصالة ذات الرياش الفاخر ، لكن تربيتى اعترضت واقسمت على ان أشرف الصالون ، واضاءت الثريا اللؤلؤية فبعثت الشمس من مرقدها . « يا الهى .. ماكل هذا الاثاث والتحف والطنافس ..! لمن هذا الذوق الرفيع ؟! »

وترامى الى مسامعى عبارات ترحيب المعلم شعلان آتية عبر الصالة . ثم جمعنا عناق حار . وراح الرجل يبكى تأثرا . ثم اخذ يستعيد ذكرى الايام الخالية ، ايام كنت طالبا امر عليه وهو جالس امام كشكه الخشبى اشاركه مقعده ، واخذ فى التهام وجبة ثقافية عبر الجرائد والمجلات . وكنت لا اجد ادنى حرج فى ان اعرف زملائى الطلبة بالمعلم شعلان واقول لهم انه خالى . وربما كان الدافع الى هذا هو بشاشة الرجل وترحيبه الحار الدائم بى ، يضاف الى ذلك حرمان امى من الاشقاء .

وكان شقيقى الاكبر ينهانى عن سوء استعمال لقب الخال واضفائه على من يستحق ومن لا يستحق ، لكنى كنت منساقا وراء حب الرجل ، ولم استطع ابدا ان اقتلع تلك العادة من نفسى .

***

نص المعلم شعلان على تصميمه زواج ابن خالتى من كريمته هدى ، وكيف ان اشقاءها اثثوا لهما بيتا لا يقل فخامة عن بيوت الامراء . من التليفزيون الملون الى السخان الكهربائى الى البسط المستوردة الى .. الى .. بل وخصصوا لهما شقة فى العمارة ، لكن ابن خالتى لم يشأ ان ينتقل اليها . يضاف الى هذا المصروف الشهرى لهدى وهو مبلغ كبير ناهيك عن الملابس الخاصة بها وبزوجها .

وتختلط العبرات بحديث المعلم شعلان :

« ثم يكون رد الجميل أن يتخذ ابن خالتك من عملى القديم مثار سخرية !! دائما يذكر هدى بأن اباها — مهما علا قدره — فلن يخرج عن كونه بائع صحف ! حقا اننى بائع صحف، وما زال كشكى الخشبى قائما فى موضعه ، واسمى يعلو جبهته ، لكن ان يتخذ ابن خالتك من هذا سببا للتهكم على والتقليل من شأن هدى ؟ فهذا ما لا يرضى به انسان ذو ضمير . خذ مثلا ، انت .. أيام كانت الدنيا تولينى ظهرها ، كنت تثلج صدرى بندائك لى : « يا خال » ؟ وكان نداؤك هذا يحلق بى فى فراديس السعادة . واسمح لى — يا ابن اختى — أن اقول ان هذا هو الادب الذى لم تستطع المدرسة أو الاسرة ان تلقنه زوج هدى . انت الذى تستحق هدى ، وتستحق النعمة ، ليتنى ما تسرعت فى زواج ابنتى ، وقلبت حصى الارض بحثا عنك ! »

***

تأثرت من بكاء الرجل ؟ ومن حديثه ، ورحت أهمس اليه بكلمات عزاء وتسرية ، ومازلت به حتى هدأت نفسه .

وفى طريق عودتى ، كنت افكر فى شقيقى الاكبر ، وفى المبلغ الذى ارسل فى طلبه . فعلى الرغم من انه يشغل منصبا حكوميا كبيرا الا انه كثيرا ما يستدين ليغطى نفقات الاولاد ، ورحت اتساءل :

« ترى بعد ان يتم تخرجهم ، أيكون فى مقدورهم ان يشيدوا عمارة كالتى اقامها الاخوة شعلان ؟ اما شقيقى .. فلو انه رأى ما رأيت ، وسمع ما سمعت .. تراه — بعد هذا — يجد فى نفسه ادنى حرج كى ينادى المعلم شعلان « بالخال » ؟! »

●

معزوفة للشاعر

● ابراهيم صالح ●

كان حلما ان ارى هنى واوتارى وعودى
تسمع الآفاق الحانى وتزهو بنشيدى
ارقصي يا ربة الشعر وغنى واعيـــــدى
فعكاظ الشعر قد عاد الينا من جديد !

●

كم شدونا وحلا الشدو واغرانا الغنـــاء
ومضينا نسكر الانغام من فيض السماء
من دمانا كم عصرناها رحيقا من ضياء
ثم ولى ما عزفناه مع الريح هبـــــاء !

●

ايها الشادى بما يحلو وما يشجى الحياه
وخواليك يضج الهول من كل اتجــــاه
وعواء الريح فى سمعيك لحن ، وصـلاه
واغاريد الأمانى ، لم تعد غير شـــكاه !

●

كم تحمـــــلت مـع الايام آلام البشر
وركبت الوهم والاحلام للصـــبح الاغر
ظامىء العود ـ شقى اللحن ـ مجنون الوتر
ساقيا خطوك من كل لهيب يســـتعر !

●

قم مع النور اذا فتح اجفـان الصباح
واسبق الشمس الى الروض على عزف الرياح

ومـــع الاطيار غرد ، وترنم ، للجراح
ومع الزهر انشر البسمة فى كل البطاح !

●

حطم الوهم ورفرف بجناح من ضـــياء
فى سراديب الوجوه الرحب فى كل سماء
اسمع الايام من عزفك قدسى النـــداء
ويح هذا الكون ان لم يستمع للشــعراء





● حسين عيد مادى ●



« سياتى اليوم الذى تجد نفسك فيه ضجرا من الوحدة ، حين ينكمش فخرك وكبرياؤك ، وتصر شجاعتك على اسنانها .. اذ ذاك ستصرخ : انا وحيدا
نيتشه : « هكذا تكلم زرادشت » ..

قرار :

اذهب الى عملى بوسط القاهرة ، كل صباح .. اليوم قررت ـ ونادرا ما اتخذ قرارا ـ ان اغادر منزلى مبكرا ، هربا من ازمة المواصلات الخانقة ..

مشهد اول :

وصلت مبكرا عن موعد العمل بحوالى ساعة .. فكرت ان اتناول قهوة الصباح فى «كافتيريا» راقية المستوى . اجلس هادئا على مائدة منعزلة .. استمتع بنسيم الصباح النقى . اتصفح جريدة الصباح ارقب العابرين : اكاد التساءل .. ما امتع ان يستيقظ الانسان مبكرا ؟ فى مولد يوم جديد !

يحضر « الجرسون » قهوتى ، اشكره .. مازالت «الكافتيريا» خالية ، او تكاد .. ارتشف قهوتى متلذذا . سيكون جهدى بالعمل مركزا منتجا .. وسيدهش رئيسى ، فهو لا ينتظر منى اى جديد فى العمل ..

يقطع انسياب تفكيرى جلوس شاب على المائدة المجاورة . يطلب شايا . كان نحيفا ، يلبس بنطلونا ضيقا كالحا ، وقميصا مزركشا . يحمل حقيبة يد مغلقة ، وجريدة الصباح .

فجاة ينهض . ينتقل الى مائدتى ببطء . يجلس على الكرسى المقابل لى .. يضع حقيبته اسفل مائدتى ، وجريدته عليها ..

دون نظرة الى ؟ او مجرد كلمة ، يفتح جريدته ، يبدا القراءة ..

« عندما تجلس فى ذات المكان وحيدا .. هل تذكرنى !! »

كتابة باهتة على حائط « الكافتيريا »

مشهد اخير :

ثمة شرخ يخترق عالمى الخاص ، يحدثه هذا المقتحم لمائدتى ، دون سابق معرفة ؟ او استئذان .. من هو !! فقط لو قال : صباح الخير .. اذن لهان الأمر . لكنه يتصرف متجاهلا وجودى تماما كأن لا يشعر بى ، او لا يرانى !.

اتطلع الى وجهه .. قناع غامض ، لا يكشف شيئا . يقفز سؤال : لماذا اختار مائدتى دون كل الموائد الاخرى ؟ الخالية !! لماذا !!

يمد يده الى داخل قميصه . يخرج علبة سجائر مستوردة . يتثاءب . يشعل سيجارة .. يضايقنى دخانها .. احملق فى المارة ضجرا . لعل نظرته الآن تتلصص على .. احاول ان اضبطه متلبسا بالنظر الى .. يخيب مسعاى ، انه لا يحس بى ..

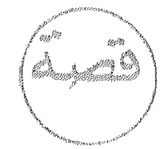
اعاود تصفح الجريدة .. لا رغبة فى شىء اللهم الا ان افهم ، ما يحدث على مائدتى .. هل اساله !! .. لكنه لم يحدثنى ، فكيف اكون انا البادىء !!

يحدث ـ احيانا ـ فى وسائل المواصلات العامة ، ان يقف او يجلس الى جوارك شخص لا ترتاح اليه .. تجد انك ـ فى هذه الحالة ـ مجبر على الاحتمال ، فانت لا تملك حرية اختيار من يجاورك . لكن الوضع هنا مختلف . حريتى فى الاختيار هى الجوهر ..

فى اختيار « الكافتيريا » والمائدة والمشروب .. فلماذا يحطم هذا الزائر الغريب ، قواعد تم التعارف عليها منذ زمن !! ..

احملق ثانية لوهلة فى الكائن المنتصب امامى .. تخنقنى لا مبالاته .. ترى هل اسقط بسهولة ضحية ازعاج عابر ، يبدد معنوياتى ، فى الدقائق الباقية ، التى انصرف بعدها الى عملى ؟ .. ابدا هذا لن يكون .. اذن لاركز تفكيرى ـ بحرية ـ فى مشاكل العمل والبيت ، فهى تحتاج كل اهتمامى ..

بدات اخرج ورقة بيضاء من حافظة اوراقى لاسطر عليها مشاكلى ، تمهيدا لحلها . متناسيا كل ماعداها .



قطرتان في المحيط الأسفل

● سعيد سالم ●

جلس على المقعد المواجه لها قبل أن يتحرك الترام من محطة الرمل . لم تكن نظراته القلقة قد استقرت بعد على شيء محدد ... بدأ التدافع من اجل اللحاق بمقاعد خالية او اماكن مناسبة للوقوف ... التقت النظرات .

***

القطرة الاولى :

جمالها هادىء وديع . العينان ساحرتان . الخصلة الناعسة على طرف الجبين حلوة ، وكانت الوجنتان تكادان تتفجران دما ورديا دافئا .. والشفتان تكتمان حديث حب ناعم هامس تود كلماته لو تناثرت كقطرات الندى على خدود الزهر ..

ماذا استطيع ان افعل حين اتمنى ان انال شيئا ؟.. مساكين نحن ابناء آدم ، تمتاز المخلوقات الاخرى عنا في اشياء كثيرة ... حسدنا ! ... انى اريد تلك الفتنة الجالسة امامي الآن . اريدها بكل ما تستطيع ارادتي ان تريد .. ادفع عمرى ثمنا لعناق حار اعتصر فيه جسدها البركاني بكل قواي فانفجر هذا البركان في محيط الارض باكملها .!

يقول ابى بعد ان صار صديقى : ليس من المستحيل أن تصل الى قلب امرأة متى صممت على ذلك .. يا امى التى لم اعرف غير صورتها الجميلة الوديعة المعلقة على الحائط وبعضا من خطاباتها الرقيقة الى ابى قبل ان يتزوجها ..

لم اكن انتظر من أبى أن يواجه المواقف بهذه القوة .. طرد زوجته من أجلى.. صفعتنى زوجة أبى اذ أمرتها بارتداء ثوب ملائم يستر جسدها امام بائع اللبن .. لم اتمالك نفسى الا بعد أن حطمت مقعدا على جسدها .

بعد ذلك عاهدنى ابى الا يتزوج مرة اخرى قال لى منذ عام : بعد عام واحد ستحمل بطاقة النقابة ، مثلى تماما . ستصير زميلا ... لم تطورت الزمالة !.. صداقة .. الزحام يشتد والمحصل البائس يصارع الركاب ، فضحكات هنا وهناك .. قال المحصل المذهول يجلس بجوارى وقد أعطاه ثمن التذكرة وبصره شاخص في اتجاه وعقله شارد في اتجاه آخر :

ـ سيادتك « رايح فين » ؟

ـ رايح البيت !

ضحك الناس . ابتسمت الارض امامي.. يضع سره في اضعف خلقه . هذا الانسان الشارد المضحك كشف لي عن اعذب ابتسامة رايتها في حياتي : انوثة رقيقة . هدوء ساحر. واجمل ما في الارض ان هذه الابتسامة موجهة الى .. تود لو اشاركها ، وعاجز أنا لانى ماخوذ بالجمال !.. فارق السن لا يهم فلست ابحث عن زوجة .. ما زالت بعد تبادلنى النظرة بنظرة ... لماذا لا يحتمل ان تكون هى الاخرى تفكر فيما افكر الآن ؟! يخيل الى اننى اعرفها واننى عشت معها سنين من عمرى . ما هذا التآلف العجيب الذى يشد حنانى اليها ؟

ـ من فضلك افتح الشباك

ليت عفريتا من الجن يطلقه من جديد حتى اسمع هذا الصوت ـ بل هذا النغم ـ مرة اخرى يقول لى :

ـ ارجوك .. افتح الشباك . دخان السجائر يكاد يخنقنى

معاذ الله يا جميلتى .. ولماذا لا اختنق انا واموت من الدخان بدلا منك ؟.. بل لماذا اختنق او تختنقين قبل أن ينعم كل منا بالآخر ؟.

... نظرة حزن عميقة تطل من العيون المتسلطة في جبروت لا يقاوم . لست ارتاح لتلك النظرة فالحزن عدوى الوحيد ... مشيت في جنازة احد الاصدقاء . كان لدى متسع من الوقت . وماذا يمنع من دخول المقابر ؟.. لم ازر قبر امى لانى لست اعرف مكانه . لم اسال ابى عنه ولم يخبرنى هو الآخر .

الابراهيمية ... النازل اولا يا حضرات ... متى تتعلمون النظام ؟! زحام شديد على المحطة ... يمسكه من رقبته وينطحه براسه كالثور . يبدو أنه كان يعاكس زوجته اثناء شرائه



السجائر من « الكشك » القائم على الرصيف ، معدون صاحبنا .. عندما اقترب حاملو النعش من منطقة الدفن لفوا على اليسار لحدثت همهمات واحتجاجات عنيفة تعبر على اثرها اتجاه اللف فصار يمينا !.. لم استطع تمالك نفسي من الضحك .. ضحكت كثيرا مع ابي ليلة ان طرد زوجته بسببي .. فلقد صار بعدها صديقي .. ثم اصبحنا صديقين ..

هذه المراة الجميلة تكاد تفقدني صوابي .. انني اعرفها .. حتما اعرفها ، لست اظن انني افتقد حنان الأم — ذلك الذى يتحدثون عنه كثيرا !

***

النظرة الثانية :

يذكرني هذا الرجل بعم « جوجع » الذى يقضى يومه غائبا عن الوعي لفرط ما يتعاطى من مخدر وهو جالس على مقعده بالمقهى لا يفارقه الا لماما !

احلى ما فى الحياة تناقضاتها .. اين هذا التائه المذهول من ذلك الشاب النضر المتفجر حيوية وفتوة ، الجالس بجواره ؟!.. هكذا نحن ، من مواليد الى اموات .. وقد تنقطع السلسلة احيانا فى الطريق فلا تكتمل حلقاتها ... جميل ، قوى ، زرقة البحر سائلة فى عينيه ، ونضارة الصبا تتهادى على خصلته البنية المتهدلة فوق جبينه المشرق ، لا باس .. العمل والفن يهذبان من غريزة المراة !

هى لحظة ضعف من حقى ان استشعر كل تفاصيلها . ليته لا يرفع عينيه عنى ، كم احبه الان ، لتسقط كل المؤلفات والثقافات والفنون بعيدا حتى اغرق واستغرق فى تلك اللحظة .. لم يحرمنى زوجى من اشباع اية رغبة — تفهت او عظمت — من رغباتي . لن استبدل ثوبي الاسود مهما توالت السنون .. هناك شىء يسمونه الوفاء ، ما زالت عيناه تلتهماني .. فارق السن لا يهم ، قلت انها لحظة ضعف .. ليته يلقى براسه على صدرى فالثم جبينه فى حنان وتنساب دموعى غزيرة تبلل شعره الناعم ... لم تجرى الخيانة دائما فى عروقنا ؟.. اين راح الحب والوفاء ؟.. ولماذا ضاعت احلى ايام عمرى ؟... الايام العاطفية المبدعة ، والمشاعر الحالمة الشفافة والامانى الحلوة المحلقة ... يمكن للانسان ان يفقد كل شىء فى لحظة واحدة ...

هكذا علمتنى الحياة .. انى حتما اعرف هذا الشاب ، نبض من الحنان يجرنى اليه ، لابد ان اجد وسيلة لسماع صوته .. احب ان استمع الى مخارج الحروف من فم معبودى الحالمة !

— من فضلك افتح الشباك

ضاع الشباب وولى فى غمضة عين ما بين انفجار قنبلة لعينة ، وتناثر شظاياها الحقيرة فى كل مكان .. لماذا يحارب الناس بعضهم البعض؟ لكى يقتلوا عادل ! ولدى الحبيب الذى خرجت به من الدنيا !!.. لم اقو على السير فى جنازة والده لاننى كنت ابكيهما معا ، وابكى وحدتى المدمرة من بعدهما .. انمى حياتى الميتة واود لو ادفن نفسى بجوارهما وانا على قيد الحياة.

— سيادتك « رايح فين » ؟

— « رايح » البيت !

اضحك يا حبيبى .. تلك ضحكة زوجي وتهته عادل ؟! ثم ذهبا !.. ذهبا بعيدا ، استحلفك بكل عزيز لديك أن تضحك وتضحك ... انك تشبهه تماما ؟! عادل ... اريد ان انفجر فى البكاء .. ومع ذلك فهانا ابتسم .. الا يدرك هذا «المسطول» ان المحصل يساله عن المحطة التى يريد ان ينزل فيها لا عن المكان الذى يقصده !!

الابراهيمية..... دقائق قليلة وانعم بجوار نهر الحنان الذى حال دون جفاف حياتى بعد ما كان .. انعم بجوار امى .. لا تشد انتباهي تلك المعركة التافهة التى تدور بين رجلين على رصيف المحطة بقدر ما يشده ذلك التناسق العجيب بين رجل وكلب !.. الرجل يتمدد فى استرخاء داخل « بانيو » مربوط بالحبال الى جانب عربة « كارو » تسير بمحاذاة الترام وهو ممسك بلجام الحصان فى هدوء .. شاخصا ببصره الى السماء فى شبه غيبوبة هانئة .. وكلب اسود يتمدد هو الآخر على الجانب المقابل من العربة .. يفتح عينيه ويغمضهما ... واذناه تهتزان بين الحين والحين وسعادة تغمره ، شعرت بتشابه عجيب بين وجهى الكلب والحوذى ولا اقول انى حسدتهما على ... محطة سبورتنج ... سبورتنج النازل اولا !.

***

المحيط الاسفل :

نهضت تمهد لنفسها طريقا للنزول ، قام هو الآخر تاركا مقعده وعيناه مثبتتان على وجهها تعثرت فى خطوتها فاصطدمت بقدمه ، احمر وجهها خجلا .. وبابتسامة تعبر عن اعتذار رقيق قالت له :

— انا متاسفة يا بنى !

اراد ان يعاود الجلوس فوجد مقعده قد احتل على الفور .. ظل واقفا مكانه بلا حراك وقد تبدد حلمه .. تمالك نفسه بغية القاء نظرة أخيرة .. تحرك الترام ولم تلمحها عيناه ، فوجىء بالعجوز ينظر اليه فى سخرية مستترة، ثم يطلق ضحكة غريبة.

مقاطع من
أغنية لم تكتمل

● درويش الاسيوطي ●

طريقى يبدو غريبا ، غريبا ...
غرابة خط تعرج فى كف طفل صغير
وتمرق فيه طيور العلامات .
« الزم يمينك .. »
« حاذر هناك التواء »
« تمهل فان التعجل سر الندامه »

. . . .

طريقى اليك توحش .
يبتلع الخطو
يلتهم الاتجاه
فلا الشرق شرق .
ولا الغرب غرب .
واصبح خطا تعرج فى كف طفل .
واصبح فيه وحيدا وحيدا ..
ويبرق وجهك عبر الاخاديد .
أمرق نحوك ، أركب مهر البروق اطير .
واكسر كل الاشارات .
الفى بكل التعاليم .. عند التقاء الطرق
واصرخ فى الكون .. ازعج سرب الطيور
المغرد والمنطلق ..
اغنى لعينيك .. لليل لحن القلق :
أعرنى جناحيك ياطائرا يحلق بين سماء
وماء ..
اطير وانظر محبوبتى .. واعطيك يا
صاحبى ما تشاء !



زهرات من رياض العرب



● سخاء ●● ●

كان عبد الله بن جعفر – رضى الله عنه – من اسخى الناس : وقد خرج عبد يحرسه ، ومع العبد ثلاثة أرغفة ، فدخل كلب ودنا من العبد ، فرمى اليه رغيفا فأكله ثم الثاني فالثالث وعبد الله ينظر اليه ، فاقترب منه وساله : ياغلام ،كم قوتك كل يوم؟ قال : ثلاثة أرغفة قال : فلم آثرت الكلب ؟ قال لان ارضنا ليست بأرض كلاب ، وهذا الكلب جاء من بعيد جائعا، فكرهت رده . قال عبد الله : فما كنت صانعا اليوم ؟ قال : اطوى يومي هذا

فقال عبد الله فى نفسه : والله ان هذا العبد لاسخى منى وأجود . ثم اشترى الارض والعبد وأعتقه ،ووهب له الارض وما عليها من زرع وضرع ..

● شقاوة البخيل ●

قال الحسن البصري :

« لم ار اشقي من البخيل بماله،لانه فى الدنيا مهتم بجمعه ، وفى الاخرة محاسب على منعه ، غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج فى الآخرة من اثمه »!

● اسطورة ومغزى ... ●

من أساطير العرب ان رجلا صادق ملك الموت ، فكان اذا جاءه يسأله الرجل : أزائرا جئت أم قابضا؟فيقول له الملك : جئت زائرا .

وفى يوم قال الرجل للملك :أسألك بحق الصداقة ان ترسل لى رسولا حين يحين أجلى يخبرنى بقدومك لقبض روحى ... فقال الملك : لك ذلك ...

ثم هبط الملك يوما على الرجل ، فقال له : لعلك جئت زائرا ؟ ... فقال ملك الموت : بل قابضا .. فقال الرجل : أما سألتك ان ترسل لى رسولا يخبرني بذلك ؟ قال : لقد فعلت .. قال : لم ياتنى رسولك ، قال : بل أتاك تقوس ظهرك بعد استقامته . وابيضاض شعرك بعد سواده ، وارتعاش صوتك بعد ثباته ... وضعفك بعد قوتك .. طلبت رسولا واحدا ، فارسلت اليك عدة رسل ، فما بالك تلومنى .

● الراحة ●

مما يؤثر عن احد حكماء العرب قوله :

راحة الجسم فى قلة الطعام !

وراحة اللسان فى قلة الكلام !

وراحة القلب فى قلة الاهتمام !

وراحة النفس فى قلة الآثام !

● كلمة مفرحة ●

مر عمر بن الخطاب بطلحة بن عبيد الله – رضى الله عنهما – فرآه حزينا فسأله عن ذلك ، فقال طلحة : سمعت النبى – صلى الله عليه وسلم – يقول: انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا نفس الله عنه ، واشرق وجهه ورأى ما يسره ، فلم أسأله عنها ...

فقال عمر : هى الكلمة التى دعا اليها عمه أبا طالب عند موته : « لا اله الا الله » فقال طلحة : فرحك الله كما فرحتنى ...

● محسن فهمى ●

.. ومن مفردات الصّدق لحظة ثناء !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

... ولكن ، ما الذى يثير فى عينيها الرماديتين كل هذه الدهشة المتوهجة فضولا وعجبا ؟!

ألى هذا الحد يبدو منظرى مثيرا مدهشا ــ وانا لا ادرى ؟!

ما وجه الغرابة فى اننى اقف وحيدا وسط غرفة عمليات طبيب الاسنان ، جوار الكرسى اللولبى الــــكبير اتحرك ، اتحــدث ، واحاول .. ؟!

هل اتجاوز حد المنقول والمعقول فى مجتمع نام ، لو اننى تركت نفسى ابدو مندهشا جدا ، ممن تبدو مندهشة جدا منى ؟!..

... ومع ذلك .. :

قالت : ماذا تفعل هنا ؟ ..

قلت : كما ترين !

● اراك تتخذ لنفسك دور طبيب الاسنان !

ــ صدقت الرؤية !

● وتبدو كأنك تعالج جراحة او حالة صعبة !

ــ فعلا .. عملية خلع !

● هاها .. ومع ذلك فاين هو المريض الذى تخلع اسنانه ؟!

ــ اسنانه ؟! لا ، لا !..

● الم تقل انها عملية خلع ؟!

ــ كل من فى الناس والعصر عنده ، غير الاسنان ، مايخلع !

● هاها ! .. ومع ذلك فالمهم ان مريضك لايشكو من اسنانه ؟!

ــ نعم ، وانما الذى يشكو انا !

● من أسنانك ؟

ــ لا !.. منه هو !

● اه .. وهو ، بماذا هو مريض ؟

ــ عنده الكتمه !

● الكت ... ؟

ــ بكسر الكاف ، وسكون التاء ...

● هاها ! .. ومع ذلك . فما هى هذه الكتـ ... ؟
ـ الكتمه ، لغة ، هى : اخفاء الشىء !
والكتمه ـ مرضا ، هى : اخفاء الكلمة !
● اى كلمة ؟
ـ الكلمةالطيبة ، كزهرة طيبة، طلعها شيق ، وعطرها كالحنان !
● أهذا شيء من الشعر ؟
ـلا ! .. شيء للشاعر .. للموهوب ، مغمورا ، على السفح او فى الظل ... ومن يسبح بنا فى المدارات العلا .. نشرب على غنائه النور .. ونقطف النجوم ! ..
● آه ، هو الشاعر !..
ـ وهو كل من فى الظل ، كاتبا وفنـــانا ، يبدع مايعجبون له ويطربون ... ولكن اكثرهم يتكتم الاعجاب ، ويشق عليه ان يعطى من مفردات الصدق لحظة ثناء !
● ... تلك اذن هى « الكتمه » !
ـ تخنق المواهب ، وتطفىء حماس المبدعين !
● وانت منهم ؟
ـ انا .. انا الآن «زامر حى»..وان شئت أيضا كاتب فى الظل !
● آه ، ولذلك تجرب العلاج وتحاول ..
ـ كما ترين ...
● ... تأتى بالمريض ، تفتح فمه ، و ... ـ كما تقول ـ عملية خلع !
ـ أطلع من حلقومه كل ما يمنع طلوع كلمة طيبة تعلن اعجابه بمـا أعجبه !
● الا ترى انك تحرمه بعض حريته ؟
ـ الا ترين انه يكتمنى بعض حقى ؟!
● هاها !.. ومع ذلك فالمهم الان انه ، اعنى مريضك ...
ـ المهم الان انه ليس مريضا واحدا !..
● ولكنى لا أرى ...
ـ الان سترين ...
● كيف ؟...
ـ هل تقرئين حلقات ((الناس والعصر)) ؟
● فى ((الهلال)) ، آه ... الحق اننى ، انها ، لا باس ، اعنى ، ولكن ....
ـ لكن ، لم يعد الان بد ، مما ليس منه بد !
● وما هو هذا الذى لابد ...
ـ ان تتفضلى الان هنا ، وتدخلى ، و ... !
● هاها !... ومع ذلك فلماذا لابد ان اتفضل ، وادخل و .. ؟!
ـ آه ، طبعا ... عملية خلع !!

حجاب !

... ولقدْ كانَ كَتَبَ

ما حَجبَ وما احتَجَبَ ...

و ... حجابُ الشمْسِ : ضوؤها !

. . . . . .

لتكُن الـكثرةُ ، والمكثارُ ، والكَيْثَرُ ملهـاة عَصْرِ

التكاثُر !

لو أتَاكَ الآن قلْتَ : الكثْرة تغْلِبُ الأصالَة ...

فكأنَّما قلت : العُملَة الرَّديئةُ تطردُ العُمْلَةَ الجيِّدَه !

مَرْحَلة ...

والحمدُ لله على القِلِّ والكُثْرِ ! ...

جنون !

ملامحُ وَجهها الرَّقيق ، والمُستوى الأنيق ، والشَّعْرُ

الذَّهَب ـ لَمْ تخفِ عنهُ أنها تابَسُ للنَّاسِ والعَصْر جلدَ

النَّمِرِه !

وعندما استوقَفَتنهُما يوماً مصادفةُ لقاءٍ واعدٍ ، وتَطلَّعَتْ

تَجرِّبُ السِّباحَة فى عَيْنَيهِ ، لم تَخلَعْ جِلدَها ... ولم

تَلتَفِتْ الى جرْحِهِ من أثرِ القيدِ ينزِفُ داخِلَه ...

فتراجَعَتْ مَصْدُومَةً .

وابتسـم هَزيماً ...

وانتهتْ قصَّةٌ كان موعدها للناس والعصر حبا ، و جنونا ،

وخصباً !

انتهتْ قصَّةٌ لَم تَبْدَأْ ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه .. أيضاً !

ليلى الملتقى ، عند المفترق ، فى الغابه ـ : مدينة الناس والعصر ..!

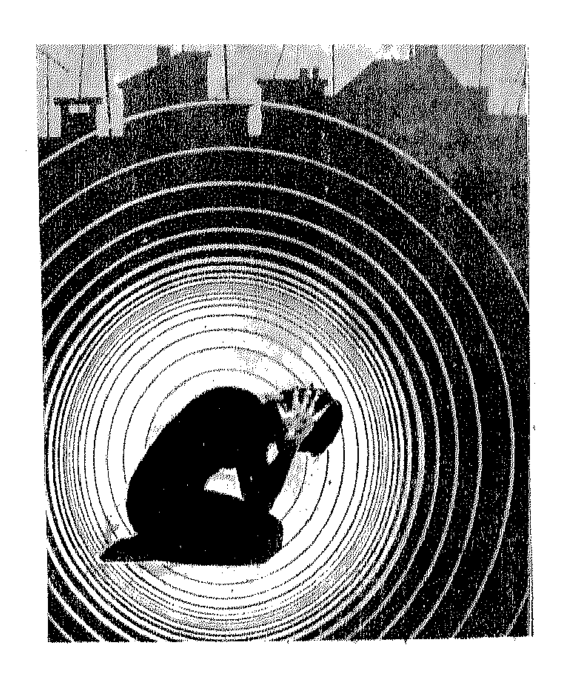
الاضواء ، شاعرة ..!

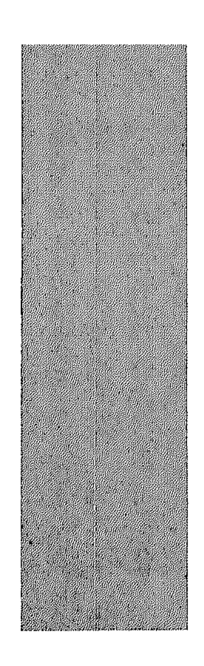
الموائد تفترش انحاء المكان ، كصفحة الكلمات المتقاطعة !..

.. الطاعمون الشاربون قيام حولها وقعود ..!

والمضيفة البديعة تسبح رشيقة ، يقظى ، بين الموائد .. وفى عينيها

للناس والاشياء بريق ياخذ ولا يؤخذ ...!





قواعد اللعبة هنا تتيح لعينيك الاشتباك بعينيها فى جولات ثلاث ..
فهى فى البدء تجيئك تستطلع منك رغائبك
ثم وهى تعود اليك بما رغبت بين يديك ...
و ... عندما توافيك فى الختام فتجمعكما لحظة مكثفة فى محاورات الحساب ..!

***

لكل فعل ، رد فعل مضاد ...
ثلاث طلقات ، مثلا ، فى فضاء الفضاء ، لابد لها دوى ، وصدى ، ودخان ...
ولكن ، ليست كذلك ثلاث جولات اشتباك بعينيها ...
الاهداب هنا طوال مشرعات ، رفيفها يمتص تطلعات الفضـول والاكتشاف !
والحيوية فى البحيرتين الزيتونتين ، والصفاء حتى العمق البعيد شعاعهما حضور ناضر ، و ... حياد !
حيـاد ؟! .
كيف الحياد ـ وهل يمكن ـ لعينيها هنا ، وهنا الليل ، والغابة ، وجنون العصر ؟!

ان الحياد عادة ، وغالبا ، هو الاقوى !..
هو فوق ان يحتمى او ينتمى ...
هو هدف على المدى فى صراع العيش ، بعيد النوال ...!
كيف لها اذن ، ومن اين لعينيها هذا الحياد ، صافيا كوجه النبع ، ليس هو التمرد ، ولا هو الرفض ، ولا هو اثر جرح قديم او قريب ؟!

***

... عندما اقبلت اخيرا ، واحتوتنا لحظة مكثفة فى حســـاب كالعتاب تردد رفيف اهدابها الطوال كانما تشفق أن تكشف عن سحر عينين بلون ثمار الشجر الطويل البقاء فى الارض ـ (الزيتون!) ـ يتألق فى بريقهما حياد لا يحيد ..!

وانفضت ، كلمحة من حلم ، آخر الجولات مع عينيها ، اسبلت اهدابها كما تسدل الستار فجاة قبل النهاية السعيدة !

***

وعدت الى عالمى ، اجرر اذيال

... ها انا الذى انفق ينفق العمر عاشق معرفة ، قد لقيت اليوم فى عينين حسناوين سرا يغرى بالمعرفة ...

ولكنى لم اعرف كيف أعرف !...

لو سالنى اليوم احد او احدة عن معنى الحياد فى العيون الجميلة فماذا اقول ؟.. هل ينفع او يقنع ان اقول عندى موصوفه لا صفاته ؟!

ليتنى قاومت اغراء المساء ولم اجىء هنا ...

او ، ليت انى التقيت الليلة بعينى ذات الحياد ... فى منطقة محايدة !

لعلى اذن كنت اعرف !..

المعرفة طريق الحقيقة ...

والحقيقة ... صديقة ، نتوافق معا ، ونتخاصم احيانا ، واحيانا اواجهها ، اشد شعرها ، اهزها ، واحدق فى عينيها !

والآن .. ليس لى الان الا ان اتراجع عن اسوار طرواده !...

ليكن الحياد فى عينى هذه الجميلة مجرد شعاع ، أو انعكاس شعاع ، من عمق نفس مطمئنة !..

ليكن مجرد صدفة ، او موهبة ، أو خلقة فى العيون ، بعض العيون، بلون الزيتون !..

وليكن لمجرد أنها هى مجرد امرأة سوية شبعى !

آه ... امرأة شبعى ؟!

هنا الحصن القوى المكين ...

لا تنال منه المحاولات .. وتتحطم على عتباته الاطماع والغزوات !..

اتكون اذن معادلة صحيحة ان : فى عينيها حضور محايد = هى سوية شبعى !

ويبقى الآن سؤال يطرح نفسه ..

يطرح نفسه .. ارضا !

آه . ولكنى لن انحنى الى الأرض لألتقط سؤالا لم يسالنه احد بعد .. ولم تبق لى هنا مساحة تتيح لى ان اقتله ـ بالجواب ـ درسا وتحليلا !! ..

بتسامات شاعرة

صانعة الفطير

أصانعة « الفطيرِ » ، أتيت أسعى ... على شـوقي لصانعة الفطيرِ !

فهيا ، شـمري ، وارعى أكولاً ... وسُوطى السّمن بـ العسل الغزير !

وهاتى « الحشو » موفورا ، فانى ... أحب الحشـو بالقدر الوفير !

ودُقّى باليمـين ، فان تخلت ... فدقى بالشمال على « الحرير » ..

بايقـاع ، لذيذ ، مسـتحبٍ ... يراقصنى ، ويكشف عن حبورى ..

ولفيه بحـذق ، وادفعيـه ... إلى نارٍ مؤرجة العبـير ! ..

وهزى ما قدرت عليـه ، وارمى ... « شباكك » ، والعبى لعب الخبير

ولا تدعى حديثا مسـتفيضا ... عن « الأحوال » و «الهم الكبير» !

فانى مغـرم بسـماع كثر ... من الأقوال عن صعب الأمور ! ..

وهمك ـ يالهمك ! ـ قد سبانى ... وأمسكَ مستميتاً بالشـعور !

فزيدينى ، وزيدينى ، وحـطى ... همومك، فوقَ همى المستطير !

ولـكن ، عجلى ، إذ أن بطنى ... « يزقزق » فى صراخ مسـتجير !

وبطنى ليس يحزن .. يا لبطنى ! ... أنامُ ـ ولا ينام ـ عن الشرور !

ينـادينى إليك ، فلا أرانى ... سوى مصغٍ لعملاق خطـير !!

• رمضان أبو غالية •